مجلة الأزهر

٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٧٠

المجلد السابع والخمسون ـ القسم الثاني

السنة ١٤٠٥هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
• صورة الغلاف

مسجد قبة الصخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من مشاهد اليقين

.. هناك

وحيث كانت الجاهلية فى النزع الأخير بينها وبين بعثة محمد ﷺ قريبا من عشرين عاما .

حيث كانت جماعات من أهل الكتاب منتشرة هنا وهناك فى رحاب الجزيرة تؤكد للناس أن نبيها « المرتقب » من بنى اسرائيل يوشك أن يبعث فيكونوا قادة .

وحيث اقتنع بعض العرب بهذه الدعوى فداعبه الأمل أن يكون هو الرسول المنتظر وأعد نفسه لذلك .

الجزء السابع
السنة السابعة والخمسون
رجب ١٤٠٥ هجرية ابريل ١٩٨٥ ميلادية

من مشاهد اليقين

بينما محمد ﷺ فى نحو العشرين من عمره يسمع لما يدور ، ولا يخطر له على بال أنه المصطفى المبعوث المحاط برعاية الله العلى القدير .

وفى جماعة من شباب قريش كان محمد ﷺ فيهم ، وهم قريب من الكعبة ، قال قائلهم :

إنه أَشْبَهُ قَدَمًا بابراهيم الخليل صاحب المقام ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، فادعى الدعوى نفسها آخر، وثالث فلم تكن الا « القيافة » الحكم الدقيق لهذه الدعوى .

تلك «القيافة » التى تفرع عنها فى عصرنا الحديث ضرورة العمل بـ « بصمات الأصابع » ... كانت فى عرف القوم أشمل وأوسع ولا زال المخالطون لعرب « سيناء » يتعجبون لصدق القوم فى اكتشافهم قَدَمَ « البِكْرِ » وفصله عن قدم « الثَّيِّبِ » ومعرفة قَدَمِ « الحامل » من قدم « الخاوية » .

وهذا « مقام ابراهيم » موجود حفظه الله من عاديات الزمن فظلت قَدَمُ الخليل به واضحة المعالم معجزة دائمة الى يوم الدين

ويستطيع « القائف » أو « القائفة » أن تحكم بين الشباب بالحق وتهديهم الى اليقين .

فانطلقوا الى كاهنة « قائفة » وسألوها « الحكم » فى دراهم لتقضى بينهم :

أيهم أشبه قدما بابراهيم الخليل ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

قالت : جُرُّوا مُلاءَةً فابسطوها على هذه الرملة السهل فيستوى سطحها ثم مُرُّوا عليها واحدا بعد الآخر .

فمروا دون أن يطمس أحدهم أثر صاحبه .

ونظرت القائفة مُقارِنَة مدققة ثم أشارت الى أثر فقالت : « هذا أقربكم اليه شَبَهًا » .

وكانت قدم رسول الله ﷺ .

وكان يومئـــذ فى نحـــو العشرين من عمره .

روى ابن ماجه ـ بســـنده ـ إلى ابن عباس (١) :

أن قريشـــا أتوا امـــرأة كاهنـــة ، فقالوا لها :

أخبرينا : أشبهنا أثرا بصاحب المقام ؟

فقالت :

إن أنتم جررتم كســـــاء على هذه السِّهْلَةِ ، ثم مشيتم عليهـــا أنبأتكم .

فجـــروا كســـــاء ثم مشى النـــاس عليهـــا ، فأبصرت أثر رسول الله ﷺ . فقـــالت :

« هذا أقربكم اليه شبها » . (٢)

« إسناده صحيح ورجاله ثقات »

وبســـط الزمن عشرين عاما آخـــر فَبُعِثَ رسول الله ﷺ .

ثم مضت بعدها ـ نحو اثنتى عشرة سنة ـ ووقع « الاسراء » .

وفى « الاسراء والمعراج » جمع الله ـ سبحانه العلى القـــدير ـ لمحمد ﷺ ما لم يجمع لبشر قبله من مشاهد الجزاء ، ورؤيا النبيين والمرســـلين فرأى خيرة الخلق أجمعين ، ومنهم جده الخليل ابراهيم .

عليهم ـ جميعا ـ أفضل الصـــلاة والســـلام ـ الى يوم الـــدين وحَدَّثَ ـ عليه الصـــلاة والسلام ـ أصحابه ـ بما شاهده (رؤيا عين لا رؤيا منام) فوصـــف عيسى وموسى ثم قال لهم ـ عن ابراهيم ـ عليه الســـلام :

« ونظرت الى ابراهيم فلم أنظر الى إِرْبٍ منه إلا نظرت إليـــه منى حتى كأنه صاحبكم » .

أى كأنه محمد ﷺ

« قال جبريل : سلم على أبيك .. فسلمت عليه (٣) . »

« إســـناد صحيح »

وصدَّقَ عَالِمُ الغيب عالم الشاهدين

د/ علي أحمد الخطيب

---

(١) ابن ماجه ٢ـ٧٨٧ احياء دار الكتب العربية

(٢) الارب : العضو الكامل .

(٣) تفسير ابن كثير ١٥/٣ دار احياء الكتب العربية .

فقه آية كريمة

من كتاب الله تعالى

سحر بابل

من كتاب الله :

« وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ •

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ • وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ •

« وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » (١) •

فساد اليهود :

تتحدث هذه الآيات الكريمة وما قبلها وما بعدها ، عن اليهود الذين غضب الله عليهم وأضلهم ، لكثرة ما وقعوا فيه من العصيان والطغيان والتكذيب بالآيات ، والتمرد على الله وهو ينعم عليهم ، ويملى لهم •

واذا نظرنا الى الآيات السابقة القريبة وجدناها تنطق بذكر مخازيهم ، وتندد بعيوبهم ، وتلقى عليهم بشتى ألوان اللوم والتوبيخ والتأنيب ، وتنعى عليهم مسالكهم ومناهجهم •

قال تعالى :

« وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

---

١ ــ سورة البقرة ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣

للدكتور عبد الباقي أحمد سلامه

يعلمون » (١) .

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » (٢) .

« وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا » (٣) .

« وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ... ثم توليتم إلا قليلا منكم » (٤) .

« وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ..... ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ... » (٥) .

« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (٦) .

« وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم » (٧) .

« فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » (٨) .

« وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم » (٩) .

« قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » (٩) .

« ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل » (١٠) .

« وإذ أخذنا ميثاقكم .... واسمعوا . قالوا سمعنا وعصينا » (١١) .

« قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت » (١٢).

« ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » (١٣)

« قل من كان عدوا لجبريل .. (قالوا ان جبريل عدوهم) من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » (١٤) .

---

١ ـ سورة البقرة ٧٥
٢ ـ سورة البقرة ٧٩
٣ ـ سورة البقرة ٨٠
٤ ـ سورة البقرة ٨٣
٥ ـ سورة البقرة ٨٤ ، ٨٥
٦ ـ سورة البقرة ٨٧
٧ ـ سورة البقرة ٨٨
٨ ـ سورة البقرة ٨٩
٩ ـ سورة البقرة ٩١
١٠ ـ سورة البقرة ٩٢
١١ ـ سورة البقرة ٩٣
١٢ـ سورة البقرة ٩٤
١٣ـ سورة البقرة ٩٦
١٤ـ سورة البقرة ٩٧ ، ٩٨

فقه آية كريمة

« وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ .. وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ » (١) .

« أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ » (٢)

« وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ » (٣) .

« وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ » (٤) .

« وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ » (٥) .

.....

فسياق الآيات فى ذم اليهود . وتعداد معايبهم . وهى أكثر من أن تحصى . ويكفى ما ذكرناه للاشارة الى أن اليهود هم المعنيون بهذا الحديث الفاضح .

نبذوا كتاب الله :

لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم معترفا بنبوة موسى عليه السلام . وبصحة التوراة المنزلة وموافقا لما جاء فيها من البشارة بمقدمه . وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق . وما عهد اليهم فى كتابهم من اتباعه ومؤازرته ونصرته . قالوا : والله ما عهد الينا فى محمد . وما أخذ علينا ميثاقا .. وقالوا : يامحمد : ما جئتنا بشىء نعرفه . وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك . ونبذوا القرآن الذى جاء به

وقيل انهم لما عارضوه بالتوراة ، اتفقت التوراة والقرآن . فنبذوا التوراة . وأخذوا بكتاب آصف ، وبسحر هاروت وماروت .

ورجح الفخر الرازى أن يكون الكتاب الذى نبذوه هو التوراة لوجهين :

الأول : أن النبذ لا يعقل الا فيما تمسكوا به أولا . وأما اذا لم يلتفتوا اليه أبدا فلا يقال انهم نبذوه .

الثانى : أنه قال « فريق منهم » ولو كان المنبوذ القرآن لم يكن لتخصيص الفريق معنى . لأن جميعهم لا يصدق بالقرآن .

فان قيل : كيف يصح نبذهم التوراة وهم يتمسكون بها ؟

قلنا : اذا كان يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما فيه من نعته وصفته ووجوب الايمان به . ثم عدلوا عنه كانوا نابذين للتوراة (٦) .

فالمعنى : طرح طائفة منهم كتاب الله الذى بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم . أى تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها . وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه . وأرادوا كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسحروه (٧)

وظاهر الآية : يفيد أن الذين اتبعوا ما تتلو

(١) ــ سورة البقرة ٩٩
(٢) ــ سورة البقرة ١٠٠
(٣) ــ سورة البقرة ١٠١ .
(٤) ــ سورة البقرة ١٠٢
(٥) ــ سورة البقرة ١٠٣
(٦) ــ تفسير الفخر الرازى جـ ٢ ص ٢٠٢ .
(٧) ــ تفسير ابن كثير حـ ١ ص ١٣٤

الشياطين هم الذين نبذوا كتــاب الله وراء ظهورهم • فاتبعوا : معطوف على : نبذوا • والمراد بهم اليهود الذين كانوا فى زمان محمد صــلى الله عليه وسلم •

ولكن قيل : أن المراد هم اليهود المتقدمون •

كما قيل : أنهم هم الذين كــانوا فى زمــن سليمان عليه السلام لأن أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان • ويعدونه من الملوك • والــذين كانوا فى زمانه لا يمتنع أن يعتقدوا فيه أنــه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر •

ورجح الفخر الرازى أنه يتناول الكــل اذ لا دليل على التخصيص (١) والمــراد بقــوله « تتلو » هو القراءة من التلاوة • قاله عطاء ورجحه الفخر •

وحكى رأيا آخر • قال : قال أبو مســلم : تتلو : أى تكذب • يقال : تلا عليه اذا كذب • وتلا عنه اذا صدق •

وقال ابن عباس : تتلو : تتبع • كما تقول : جاء القوم يتلو بعضهم بعضا •

وقال الطبرى : اتبعوا : بمعنى : فضلوا • فمن اتبع شيئا فقد فضله على غيره (٢) •

واختلفوا فى الشياطين • فقيــل : المــراد شياطين الجن • ورجحه القرطبى وقال الفخر : هو قول الأكثرين (٣) •

وقيل : شــياطين الانس المتمــردون فى الضلال • قال الفخر : هو قول المتكلمين مــن المعتزلة •

وقيل هم شياطين الانس والجن معا •

وحجة القائلين بأنهم شــياطين الجن : أن هؤلاء كانوا يسترقون السمع • ثم يضــمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونهــا الى الكهنة • وقد دونوها فى كتب يقرأونها ويعلمونها الناس • وفشا ذلك فى زمن سليمان • حتى قالوا : ان الجن تعلم الغيب • وكانوا يقولون : هذا علم سليمان • وما تم له ملكه الا بهــذا العلم وبه يسخر الجن والانس والريح •

وحجة من قال انهم شياطين الانس : أنــه روى فى الخبر أن سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التى خصه الله بها تحت سرير ملكه حرصا على أنه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون •

فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم الى أن كتبوا فى خلال ذلك أشياء من السحر تنــاسب تلك الأشياء من بعض الوجوه • ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب أوهموا الناس أنه من عمل سليمان •

ثم ان أصحاب هذا الرأى أفسدوا ما قاله أصحاب الرأى الأول :

بأن شياطين الجن لو قــدروا على تغييــر كتب الأنبياء • بحيث يبقى ذلك التحريف محققا فيما بين الناس • لارتفع الوثوق فى جميــع الشرائع • وأفضى ذلك الى الطعن فى جميــع الأديان •

فان اعترض على هذا الرأى : بأن ما جوزوه على شياطين الجن قد يجوز مثله على شياطين الانس •

فالفخر الرازى : يجيب عليه : بأن هنــاك

---

١ ـــ تفسير الفخر الرازى جـ ٢ ص ٢٠٣
٢ ـــ تفسير القرطبى حـ ٢ ص ٤٢
٣ ـــ تفسير الفخر حـ ٢ ص ٢٠٢

فقه آية كريمة

فرقا بين ما يفعله الانسان وما يفعله الجن • فما يفعله الانسان لابد أن يظهر من بعض الوجوه • أما ما يفعله الجن فانه لا يظهر ويبقى خافيا•فيفضى الى الطعن فى جميع الأديان(١)•

فكأن الفخر ينتصر للرأى القائل بأن المراد : شياطين الانس مخالفا ترجيح الأكثرين •

على ملك سليمان :

المراد به : أنهم تقولوه على شرعه ونبوته • قاله ابن العربى •

وقال الزجاج : على عهد ملك سليمان •

وقيل : على بمعنى : فى • أى فى ملك سليمان • أى فى قصصه وأخباره وصفاته (٢) •

قال الفخر : والأقرب أن يكون المراد : واتبعوا ما تتلو الشياطين افتراء على ملك سليمان • لأنهم كانوا يقرأون من كتب السحر • ويقولون : ان سليمان انما وجد ذلك الملك بسبب هذا العلم • فكانت تلاوتهم لتلك الكتب افتراء على ملك سليمان (١) •

قول اليهود فى سليمان :

قال محمد بن اسحق : لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان عليه السلام فى المرسلين • قال تعالى «**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ • وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ**» (٣) قال بعض أحبار اليهود : يزعم محمد أن ابن داود كان نبيا ! والله ما كان الا ساحرا •

فأنزل الله عز وجل «**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**» •

أى ألقت الى بنى آدم : أن ما فعله سليمان من ركوب البحر ، واستسخار الريح • والجن • والطير • كان سحرا • وكتبوا السحر على لسان آصف • كاتب سليمان • ودفنوه تحت مصلاه • حين ابتلاه الله وانتزع ملكه • ولم يشعر بذلك سليمان •

فلما مات سليمان استخرجوه • وقالوا للناس : انما ملككم بهذا فتعلموه • فأما علماء بنى اسرائيل : فقالوا : معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان • وأما السفلة فأقبلوا على تعليمه • ورفضوا كتب أنبيائهم • حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم •

فأنزل الله عز وجل عليه عذر سليمان وبراءته مما رمى به • فقال : «**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ**» (٤) «**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**» لأنه لو كان ساحرا لكان كافرا • لكنه رسول فهو ليس بساحر • فليس بكافر •

---

١ ــ تفسير الفخر الرازى جـ٣ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤
٢ ــ تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٢
٣ ــ سورة النساء ١٦٣
٤ ــ تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤١ ، ٤٢

وقال العوفى ، فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى « وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ .. الآية » : وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فئام من الجن والانس ، واتبعوا الشهوات ، فلما أرجع الله الى سليمان ملكه ، وقام الناس على الدين كما كان ، وان سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه ، وتوفى سليمان عليه السلام حدثان ذلك ، فظهر الانس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان ، وقالوا : هذا كتاب من الله نزل على سليمان فأخفاه عنا ، فأخذوا به فجعلوه دينا (١) .

وقال ابن أبى حاتم عن ابن عباس : كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شىء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا ، وقالوا هذا الذى كان سليمان يعمل به (١) .

وقال ابن جرير عن ابن عباس : كان سليمان اذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتى شيئا من نسائه ، أعطى الجرادة (وهى امرأته) خاتمه، فلما أراد الله أن يبتلى سليمان عليه السلام بالذى ابتلاه به ، أعطى الجرادة ، ذات يوم ، خاتمه ، فجاء الشيطان فى صورة سليمان ، فقال لها : هاتى خاتمى ، فأخذه ولبسه ، فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس (٢) قال : فجاءها سليمان فقال لها : هاتى خاتمى ، فقالت : كذبت ، لست سليمان ، فعرف سليمان أنه بلاء ابتلى به ، فانطلقت الشياطين فكتبت فى تلك الأيام كتبا فيها سحر وكفر ، فدفنوها تحت كرسى سليمان .

ثم أخرجوها وقرأوها على الناس (بعد موته) وقالوا : انما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ، فبرىء الناس من سليمان وكفروه ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » (٣) .

وقال محمد بن اسحق بن يسار : عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان عليه السلام فكتبوا أصناف السحر ، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا ، حتى اذا صنفوا أصناف السحر جعلوه فى كتاب ، ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان ، وكتبوا عنوانه : هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنوه تحت كرسيه ، واستخرجته بعد ذلك بقايا بنى اسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا ، فلما عثر عليه قالوا : والله ما كان ملك سليمان الا بهذا ، فأفشوا السحر فى الناس فتعلموه وعلموه ، فليس هو فى أحد أكثر منه فى اليهود — لعنهم الله — وقالوا : ما كان سليمان إلا ساحرا ، فأكذبهم الله فى القرآن « وَاتَّبَعُوا

١ — تفسير ابن كثير حـ ١ ص ١٣٤

٢ — ظل هذا الشيطان (صخر) يحكم بين الناس اربعين يوما . فأنكر الناس أحكامه . ودخلوا على نسائه وسألوهن عنه . فأحدقوا به فأنكروه فهرب والقى الخاتم فى البحر . فابتلعته سمكة ، وآلت السمكة الى سليمان . وعاد اليه الخاتم . وعاد اليه ملكه . وأمر بالشيطان فجعل فى صندوق والقى فى البحر . فهو فيه حتى تقوم الساعة . (يراجع : تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ٣٥) .

٣ — تفسير ابن كثير حـ ١ ص ١٣٤

فقه آية كريمة

ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان » (١) .

السحر قديم :

لم يكن عصر سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أول العهد بالسحر . فدعوى اليهود أن الله تعالى أنزل السحر على سليمان على لسان جبريل وميكائيل : لا تنفى أن السحر كان معروفا قبل سليمان . وانما صار السحر متبعا على عهده .

ومن الحق : أن الله لم ينزل السحر على لسان هذين الملكين . ولم ينزل شيئا منه على سليمان . ولم يكن سليمان ساحرا .

قال الحسن البصرى : كان السحر قبل زمن سليمان.وهذا صحيح لا شك فيه لأن السحرة كانوا فى زمان موسى عليه السلام وسليمان ابن داود . كان بعد موسى .

وقوم صالح (وهم قبل ابراهيم عليه السلام) قالوا لنبيهم صالح : « **قالوا إنما أنت من المسحرين** » (٢) .

والسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم . ودقة أفهامهم . وكانوا يرتقون الى السماء . ويتسمعون الأخبار ويلقون بها الى الكهان . فلما اطمأن الناس الى صدقهم وأنهم يعلمون الغيب . خلطوا بالصدق أكاذيب . وكتبوا بذلك كتبا . وفتنوا الناس بها . وأكثر ما أطاعهم من الناس اليهود والنساء فى حال طمثهن .

واتخذت « بابل » عاصمة لتعلم السحر . وأصبح لها فى هذا المجال ذكرى وتاريخ . وقام على هذه المدرسة هاروت وماروت « **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** » .

وسيأتى أن سفيان روى عن ابن عباس ، أن « الفرما » ـ وهى من قرى مصر ـ كانت بمثابة فرع آخر ـ غير بابل ـ لتعليم السحر . ولعل سحرة فرعون كانوا من نتاج « الفرما » وأن اليهود توارثوه عنهم . ونقلوه منهم .

ولا أدرى : هل المنبت الأول لفن السحر هو « بابل » أو « الفرما » الا أن اسم بابل طبق الآفاق . وملأ الأصقاع والبقاع . وشاع وذاع . وسجله القرآن الكريم . فى هذه الآية الكريمة « وما أنزل على الملكين ببابل » .

والذين ابتدعوه وعلموه هم الشياطين . واليهود فى كل زمان ومكان هم المتبعون لهؤلاء الشياطين « واتبعوا ما تتلو الشياطين » .

وفى عهد سليمان عليه السلام . تم وضع

---

١ ـ تفسير ابن كثير حـ ١ ص ١٢٦

٢ ـ سورة الشعراء ١٥٣ ويراجع ابن كثير حـ ١

السحر فى كتاب . أو بلفظ آخر : تم جمعه فى كتاب . ونسب الى « آصف » بل زادوا فى النسبة وقالوا : هو سحر سليمان . تفخيما لشأنه . و حثا للناس على اتباعه . واغراء لهم للاقبال عليه . وانكارا لنبوة سليمان عليه السلام .

ومن بابل : انتقل وانتشر . ومع ذلك **فمازال ينتسب اليها . فيقولون : سحر بابل .**

وقد تحمله مع اليهود : كل من لا خلاق له عند الله . فيتعلمون ويعلمون . ما يضرهم ولا ينفعهم .

فرما :

(بلد السحر — بعد بابل) مدينة على الساحل من ناحية مصر . حصن على ضفة البحر . حولها سباخ . وليس بها زرع ولا ماء غير المطر . هواؤها فاسد . بناها « الفرما » أخو الاسكندر الذى بنى الاسكندرية . خربت . وسفت عليها الرمال . بين العريش والفسطاط . كان لها أبواب .

قيل هى المذكورة فى القرآن « **يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ** » فتحها عمرو بن العاص سنة ١٨ هـ (١) .

وروى سفيان عن ابن عباس قال : علم السحر فى قرية من قرى مصر يقال لها « الفرما » (٢) .

بابل :

ينسب اليها السحر والخمر . ناحية منها الكوفة والحلة وقال المفسرون : هى العراق . وقيل : دبنا وند . وقيل : الكوفة .

يقال : ان أول من سكنها نوح عليه السلام . بعد الطوفان لطلب الدفء . وأقاموا فيها وتناسلوا وكثروا . وابتنوا بها المدائن واتصلت المساكن بدجلة والفرات . وكانت ملوكهم تنزل بابل . وبقيت مملكتهم قائمة الى أن قتل « دارا » آخر ملوكهم .

وممن سكنها : فرعون ابراهيم (نمروذ) . وبختنصر . وخربها الاسكندر .

وسميت : بابل : روى عن أنس بن مالك . لما حشر الله الخلائق الى بابل (بعد الطوفان) بعث اليهم ريحا شرقية وغربية وقبلية وبحرية . فجمعتهم الى بابل . وفيها افترقوا الى سبعين لسانا . فسميت بابل لتبلبل الألسنة فيها (٣) .

وذكر أهل التوراة : أن مقام آدم كان ببابل . فلما قتل قابيل هابيل . مقت آدم قابيل .

١ — معجم البلدان حـ ٤ ص ٢٥٥
٢ — تفسير القرطبى حـ ٢ ص ٤٦
٣ — هذه التسمية بهذا السبب بالمعهد القديم — تكوين .... مجلة الازهر

◄ فقه آية كريمة

فهرب قابيل بأهله الى الجبال .

فسميت بابل . يعنى به الفرقة . فلما مات آدم . ونبىء ادريس عليه السلام . وكثر ولد قابيل وأفسدوا . ونزلوا من الجبال. وخالطوا أهل الصلاح وفسدوا بهم . دعا ادريس ربه أن ينقله الى أرض ذات نهر مثل بابل . فأرى الانتقال الى أرض مصر . فلما سكنها واستطابها . اشتق لها اسما من معنى بابل — وهو الفرقة — فسماها : بابليون . ومعناها الفرقة الطيبة ، وصار اسما عاما لديار مصر . بلغة القدماء .

وقيل : هو اسم لموضع الفسطاط خاصة (١) .

قال القرطبى : بابل . لا ينصرف . للتأنيث والتعريف والعجمة . وهو قطر من الأرض . قيل : العراق وما والاه . وقال ابن مسعود لأهل الكوفة : أنتم بين بابل والحيرة . وقال قتادة : هى من نصيبين الى رأس العين (٢) وقال قوم : هو جبل نهاوند (٣) .

واختلف فى تسمية بابل . فقيل : لتبلبل الألسنة بها حين سقط صرح نمروذ .

وقيل : لما أراد الله أن يخالف بين ألسنة بنى آدم . بعث ريحا فحشرتهم الى بابل . فبلبل الله ألسنتهم بها . ثم فرقتهم تلك الريح فى البلاد . والبلبلة التفريق .وقال بمعناه الخليل . وروى عن ابن عباس : أن نوحا عليه السلام لما هبط الى أسفل الجودى . ابتنى قرية . وسماها : ثمانين . فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة احداها اللسان العربى . وكان لا يفهم بعضهم عن بعض (٤) .

وروى ابنُ أبى حاتم . أن على بن أبى طالب رضى الله عنه . مر ببابل وهو يسير . فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر .

فلما برز منها . أمر المؤذن فأقام الصلاة . فلما فرغ قال : ان حبيبى صلى الله عليه وسلم نهانى أن أصلى فى المقبرة . ونهانى أن أصلى ببابل فانها ملعونة .

وروى مثله أبو داود .

يتبع

د/ عبد الباقي أحمد سلامة

---

١ ـ معجم البلدان حـ ١ ص ٣٠٩ ـ ٣١١
٢ ـ نصيبين ورأس العين مدينتان على الحدود بين العراق وايران
٣ ـ نهاوند : فى بلاد ايران
٤ ـ تفسير القرطبى حـ ٢ ص ٥٣
٥ ـ تفسير ابن كثير حـ ١ ص ١٤٢

الرد على أسئلة

السيد الأب

اليزيوكاميروتا

من رجال الدين المسيحى بالإسكندرية

لفضيلة الأستاذ الدكتور
مصطفى محمد الحديدى الطير

السيد الاستاذ اليزيوكاميروتا من رجال الدين المسيحى بالاسكندرية ..

تحية طيبة .. وبعد .

فقد اطلعت على رسالتكم (١) التى وجهتموها الى فضيلة الامام الأكبر ، وقد سألتم فيها عن الخلاف القائم بين المسيحية والاسلام بشأن الألوهية ، رجاء الوصول الى حل لهذا الخلاف وقد جاء برسالتكم أنكم تقرءون القرآن ، كما تقرءون التوراة والانجيل ، وتساءلتم عقب ذلك بقولكم : (أليس الله واحدا أوحد ؟ أجل انه واحد ، فاذا كان الله واحدا ، فالحق أيضا واحد ، والوحى واحد ، اذا تكلم الله فى الماضى ثم تكلم فيما بعد فلا يناقض نفسه ، وانه تكلم فى التوراة وثبت كلامه بالمعجزات ، وتكلم فى الانجيل وأيد كلامه بالمعجزات ، ثم طور المسيح ذلك الوحى بأن كشف لنا التثليث فى التوحيد ، ثم أتى القرآن وعاد الى فكرة التوحيد فحسب (هل الله ناقض نفسه ، أم هل البشر ناقضوا الله ؟) ثم قلت (اذا وقع اختلاف فى احدى الحقائق ، فهذا الاختلاف عائد الى البشر لا الى الله) هكذا قلتم .

وردا على ذلك نقول : لقد اعترفت فى رسالتك بأن موسى جاء بالتوحيد فحسب ، والقرآن أيضا جاء بالتوحيد فحسب ، وأنه لم يخالف فى ذلك الا الأناجيل المتداولة ، فهى التى جمعت بين المتناقضين التثليث والتوحيد والجمع بين المتناقضين باطل .

وعلى هذا يكون ماجاء فى التوراة والقرآن

◄

---

١) يجد القارىء صورة خطاب الاب «اليزبو كاميروتا» ص ١١١٨ ، ١١١٩

الرد على أسئلة السيد الأب

عن وحدة الله هو الحق ، وما جاء فى الأناجيل المتداولة من التثليث باطل من وجهين •

(أحدهما) أنه جمع المتناقضين ، فان الواحد لا يتعدد •

(وثانيهما) أنه مخالف للتوراة قبله وللقرآن بعده •

وليس من حق المسيح أن يعدل هذه الوحدة ويحولها الى ثلاثة كما ادعيت ، فان الحق لا يتغير ، والألوهية ليست صالحة للتطوير ولا لعبث العابثين ، ولأن الواحد فى ذاته وفى صفاته لا يقبل التعدد ، فان التعدد ينافى الوحدة « اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ »•

ثم ان الأبوة تقتضى التقدم ، والبنوة تقتضى التأخر ، لأنها فرع من الأبوة وثالثهما الروح القدس ، فكيف تكون هذه الآلهة الثلاثة واحدا؟

لقد قضيتم فى مؤتمر نيقيه المنعقد سنة ٣٢٥ م على الأناجيل الناطقة بالتوحيد ، كانجيل (الأبيونيين) وانجيل فرقة (الشنشاطى) أسقف أنطاكية وانجيل فرقة الأريوسيين أتباع (أريوس) المشهور بالموحد ، وكان قسيسا فى كنيسة الاسكندرية ، وتشيع له كثيرون فى الاسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية ، وحكم مجمع نيقية بطرده وتكفيره ، الى غير ذلك من الأناجيل الموحدة ، وقد أربى عدد الأناجيل على سبعين انجيلا متخالفة ، ولما انعقد مجمع نيقية أقر منها أربعة أناجيل فقط (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) لأن دعاة التثليث رأوا فيها التصريح ببنوة عيسى لله فاعتقدوها بنوة حقيقية ، هذه الأناجيل كلها من صنع البشر ، والبنوة فيها لا تصح بنوة حقيقية ، ولما ثار خلاف بعد مؤتمر نيقية على ألوهية الروح القدس وقدمه انعقد مجمع القسطنطينية وقرر ألوهيته وقدمه مع أنه ملك ورسول الله الى أنبيائه ورسله من البشر واليك فيما يلى ما يقوله علماؤكم فى العهدين القديم والجديد•

(رأى مفكرى النصارى فى كتبهم)

يقول الأستاذ موريس فورن ناظر مدرسة العلوم العليا فى باريس ، والمدرس بالقسم الدينى بها عن التوراة :

« لوسألنا فى أى وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة ، وفى أى حال وظروف ، وبأقلام من كتب ؟ لانجد أحدا يجيبنا عن تلك الأسئلة وماشابهها الا بأجوبة متخالفة جدا ، وأن كافة ما كتب مشكوك فى كاتبه ، وان كل ما فى التوراة هو عبارة عن خليط من كتابات عديدة جدا ، جمعت فى أجيال متباينة ، وان المذاهب العلمية ترفض أغلب أقوال علماء النقل التى هى أساس اعتقاد اليهود والنصارى ، وتقوض بنيان ادعاء السابقين ، وتبرىء الأنبياء من تلك الكتابات ، وأن تصحيح هذه الكتب كالنقش على الماء أو البناء فى الهواء ، ولكن ما الحيلة ونحن من مائة سنة حيارى بين أسانيد يمحو بعضها بعضا ، فالجديد يناقض سابقه ، والسابق يناقض الأسبق ، وقد تتناقض أجزاء الدليل الواحد ، وأيسنا من الوصول الى معرفة صاحب الكتاب الحقيقى » •

* وتكلم عن الأناجيل فأبدى شكه فى صحة نسبة الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقص ولوقا) الى من نسبت اليهم من الحواريين ،

لدرجة تعادل الرفض تماما .

وقال عن انجيل (يوحنا) :

انه بلاشك كتاب مزور ، أراد صاحبه أن يضاد الحواريين (متى ويوحنا) وأدعى أن هذا الكتاب المزور هو للحوارى (يوحنا الصياد) الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الرواية على علاتها ، وجزمت أن الكاتب هو يوحنا الحوارى — مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب العهد القديم التى لارابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وأن أقدم نسخة من الأناجيل الأربعة الرسمية الحالية ، كتب فى القرن الخامس بعد المسيح ، وأما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس ، فلم يترك لنا نسخة من هذه الأناجيل الأربعة الرسمية ، وفضلا عن حداثتها وقرب وجودها، فقد حرفت هى نفسها تحريفا ذا بال ، وبخاصة انجيل مرقص وانجيل يوحنا) .

(وقد صدق على شهادة الأستاذ موريس فورن ٥٠٠ خمسمائة عالم فى جمعية دار المعارف الكبرى بباريس) .

ذكر ذلك المستشار عزت الطهطاوى فى كتابه (محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن) فى الفصل الثانى الذى عقده للكلام عن كتب المسيحية واليهودية .

وعقب ذلك بقوله :

ان مجلة (لايف) العالمية ، أصدرت عددا خاصا باسم (الكتاب المقدس) — المجلد ٢٨ العدد ٧ الصادر فى أبريل سنة ١٩٥٦ م — ذكرت فيه الآتى : —

١ — هذا الكتاب المقدس أوسع الكتب انتشارا وأكثرها أثرا فى تاريخ البشر ، لكنه مع ذلك كتاب كتبه الانسان .

٢ — أن أغلب كلمات هذا الكتاب المقدس كتبها أشخاص آخرون ، لايعرف من هم ، ولايمكن معرفتهم فى يوم من الأيام — ثم قال : انه لا يوجد اليوم أى نص أصلى لأى جزء من العهد الجديد أو من العهد القديم وربما حوى العهد الجديد تغيرات أكثر وأبلغ من العهد القديم .

* **وذكر المستشار الطهطاوى أن التوراة جميعها فقدت بعد وفاة النبى موسى وارتداد** بنى اسرائيل الى عبادة الأوثان ، فسلط الله عليهم ملوك الوثنيين — فحاربوهم وغلبوهم ، وغنموا منهم غنائم ، كان من بينها تابوت عهد الرب الذى كانت فيه التوراة ، وهى النسخة الوحيدة التى كان قد كتبها النبى موسى ، ولم يكن عندهم نسخة سواها ، واستمروا بعد ذلك بدون التوراة (٤٥٠) أربعمائة وخمسين سنة ، أى الى عهد النبى سليمان ، لأنه بعد مافرغ من بناء الهيكل استحضر تابوت عهد الرب ليضعه فى المحراب الذى أعده له فى الهيكل ، فلما فتحه لم يجد فيه التوراة ، وانما وجد لوحين مكتوبا عليهما الوصايا فحسب .

* وهذه الأحداث مذكورة فى :

سفر القضاة وسفر الملوك الأول ، اصحاح ٨ من عدد (واحد الى أحد عشر) .

وفى سفر الأيام الثانى اصحاح ٥ — ١٠ .

وقد ذكر ذلك الدكتور (اسكندر كيرس) فى أبحاثه وكتبه ، وبخاصة فى ديباجة البيبل الجديد ، اذ يقرر ثلاثة أمور جزما :

الرد على أسئلة السيد الأب

(١) أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى •

(٢) أنها كتبت فى أورشليم بعد عهد موسى •

(٣) أنه نسب تأليفها الى زمان سليمان فى عهد (هوميروس) أى بعد ٥٠٠ خمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام •

*** وننتقل بعد هذا الى مناقشة ماجاء برسالتك يا أستاذ (أليزيو كاميروتا) قلت فى الصفحة الأولى أيضا :**

(اذا ماوقع الشك فى أمر دينى نبحث بعقولنا عن موضع الضعف فى التاريخ ، هل كل دين من الأديان القائمة من الله أن هذا القول غير ممكن مادام هذا الاختلاف قائما ، ماهو اذن الدين الحق ؟) •

ثم قلت

(هل هناك معجزات ونبوات تمت فى غير التوراة والانجيل ؟ هل يكفى أن أقول : قد تراءى لى الله وقال لى كذا وكذا،قد تراءى لى الملك وعلمنى كذا وكذا ؟ هات البرهان فأومن)•

وهذا السؤال وذاك ناطق بالمعنى الذى تقصده ، وهو أن دين الاسلام لايوجد فيه برهان على أنه من عند الله ، وهذا شىء تدعيه متأثرا بجو التقليد الذى يعيش فيه النصارى، ولو أنك تحررت من رباط التقليد وسجنه المظلم ، لأبصرت الأدلة والبراهين فى دين الاسلام أقوى منها فى كل دين آخر ، واليك البيان :

* لقد بعث محمد — صلى الله عليه وسلم — الى البشرية جمعاء حتى تقوم الساعة ، وقد شبت البشرية عن الطوق ، ولم تعد تنفع عصا موسى عليه الصلاة والسلام وشفاء عيسى عليه الصلاة والسلام لبعض المرضى ، واحياؤه بعض الموتى ، لم تعد تلك المعجزات تنفع ، فقد بدأت البشرية تتجه الى العلم وبراهين العقل ، بل انك لتجد اليهود قبل عهد محمد ﷺ كفروا بعيسى وبآياته مع أنهم من بنى اسرائيل قومه ، ومع أنه من سلالة ملك عظيم ونبى عظيم منهم هو داود عليه السلام وأنكروا معجزة احيائه للموتى ، وزعموها تواطؤا مع بعض أصحابه ، أو أنها كانت من قبيل الصحو بعد الاغماء ، وسيأتيك بيان واف فى هذا الشأن ، وأنت عليم بأنهم حاولوا قتله وصلبه — وأنتم تعتقدون أنهم قتلوه وصلبوه — مع اتيانه بهذه العجائب ، وان كنا لانرى رأيكم فى أنهم قتلوه « **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** » النساء — ١٥٧ •

فلو بعث محمد — ﷺ — بمثل تلك البراهين لما تكافأت فى نظر الناس ، مع التقدم العلمى الذى وصل اليه الانسان حتى صعد الى القمر، والتحمت مركباته الهوائية فى الفضاء ، واستطاع أن يستخرج من (النطف) أطفال الأنابيب ، وغير ذلك من العجائب •

فماذا كانت تصنع ناقة تخرج من الصخرة ؟ أو عصا تبتلع الحبال والعصى •

أو علاج مريض ، أو احياء ميت حديث الموت ؟

واذا كانت الامم التى أرسل اليها أولئك المرسلون قد كفروا بها فى عصور الجهالة ،

فكيف يؤمن بها هؤلاء الشعوب الذين بعث اليهم محمد ﷺ فى عصور المدنية والحضارة والاختراعات العجيبة ، ومنها انشاء الحاسب الآلى والانسان الآلى وغير ذلك من العجائب •

ألم تشاهد فى (التليفزيون) الدواجن التى يستخرجها السحرة من تحت المناديل التى فى أيديهم •

والفتاة التى يدخلها هؤلاء السحرة فى الصندوق ثم يطعنونها وهى فى داخله بالسهام ويدخلون على جسدها الصفائح القاطعة ، ثم يفتحون هذا الصندوق مرة فلا توجد الفتاة فيه ، ثم يفتحونه مرة أخرى فتخرج منه غاية فى النشاط •

ولولا أن القرآن أثبت عجائب المسيح عليه السلام ودلالاتها على نبوته ، لكان انكارها اليوم أو انكار دلالتها على نبوة المسيح فضلا عن ألوهيته أمرا واضح السهولة •

واليك فيما يلى قصة الموتى الثلاثة الذين أحياهم المسيح عليه السلام ، وما يقوله المنكرون بشأنها :

(أولهم) شاب من مدينة (نايين) كان محمولا فى جنازة وأمه تبكى ، فاستوقف النعش وقال له : أيها الشاب لك أقول : قم • فجلس وابتدأ يتكلم فدفعه الى أمه ، فأخذ الجميع خوف وسجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم ، وافتقد الله شعبه (لوقا : ١١ — ١٦) •

(والميت الثانى) صبية ماتت فقال له أبوها — وكان رئيسا — : ابنتى الآن ماتت ، لكن تعال فضع يدك عليها فتحيا ، فجاء بيت الرئيس ووجد المزمرين والجمع يضجون ، فقال لهم : تنحوا فان الصبية لم تمت ، لكنها نائمة ، فضحكوا عليه ، فلما أخرج الجمع وأمسك يدها قامت الصبية (٩ — ١٨ — ٢٤)

فمنكرو هذه العجائب يقولون : ان كلا من الفتى والفتاة لم يموتا بالفعل ، وان كثيرا من الناس فى كل زمان قد قاموا من نعوشهم بل من قبورهم بعد أن ظن الناس موتهم ، ولهذا تمنع الحكومات الراقية دفن الميت حتى يقدم أحد الأطباء شهادة بالموت بعد الفحص العلمى الجيد ، على أن (متى) يروى فى انجيله على لسان السيد المسيح أن الطفلة لم تمت ، ولكنها نائمة •

فهل تكذبون رواية متى لكلام المسيح؟ •

(والميت الثالث) اسمه (ليعازر حبيبه) وهو أخو مرتا ومريم المجدلية حبيبته ، مرض فى قريتهم فأرسلتا الى المسيح قائلتين : هوذا الذى تحبه مريض ، فمكث يومين وحضر ، فوجد أنه مات منذ أربعة أيام ، فلقيته وقالت: ياسيد : لو كنت هنا لم يمت أخى ، وحضرت اختها مريم وقالت مثل قولها وكانتا ذهبتا الى القبر للبكاء ، فلما رآها تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب ، وقال : أين وضعتموه ؟ فدلوه على قبره فبكى وانزعج فى نفسه ، وجاءوا الى القبر ، فأمر برفع الحجر فرفعوه ، ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى ، فأنا ، علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك أرسلتنى ، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : ليعازر هلم خارجا ،

الرد على أسئلة السيد الأب

فخرج الميت فقال لهم يسوع : دعوه يذهب . انتهى ملخصا من الاصحاح ١١ من انجيل يوحنا .

فالمنكرون يقولون : ان هذه كانت بتواطؤ بينه وبين حبيبه وحبيبتيه لاقناع اليهود بنبوته .

ولا يستطيع النصارى أن يقيموا الدليل على صحة هذه القصص ، لانها ليس لها أسانيد متصلة الى نهايتها أو حتى الى كاتبها .

ولادليل على عصمتهم من الخطأ فى رواياتها ، فلا يمكن أن يقوم بها دليل على نبوة المسيح فضلا عن ألوهيته ، ويلاحظ أن هذه الروايات مع ما فيها من الملاحظات ، ليس فيها تصريح بألوهيته المدعاة ، بل هى صريحة فى أنه نبى ورسول .

واذا كان احياء الموتى تحيط به هذه الشكوك ، فشفاء المرضى واخراج الشياطين لا يقتضى الألوهية ولا البنوة لأن مثل ذلك يقع فى كل زمان ، وقد نقل مثلها عن صوفية المسلمين والهندوس ، فلولا أن الاسلام أقر معجزة الاحياء والشفاء اجمالا لعيسى عليه السلام ، لما استطاع النصارى اثبات شىء منها تاريخيا ، ولا الخروج من تشكيكات المشككين.

موضوع التينة :

ويروى مرقص قصة التينة التى أيبسها السيد المسيح فيقول ما خلاصته أنه عليه السلام جاع يوما وهو خارج من بيت عنيا الى أورشليم مع تلاميذه ، فرأى شجرة تين مورقة ، فجاءها لعله يجد فيها ما يأكله فلم يجد ، وكان ذلك فى غير أو ان اثماره ، فلعنها قائلا لها لا ، يأكل منك أحد الى الأبد ، ولما رجعوا من أورشليم رأوا التينة قد يبست : الخ (ص ١١ فقرات ١١ — ١٤) .

يقول الامام محمد رشيد رضا تلميذ الامام محمد عبده : فى هذه العجيبة نظر من ثلاث جهات :

(الأولى) ان منكر العجائب يقول : انه يجوز أن تكون التينة يبست بسبب مادى فى أثناء وجود السيد المسيح وتلاميذه فى أورشليم .

(والثانية) أن الروحيين من فلاسفة الهندوس وغيرهم يقولون ان كل من كان روحانيا قوى الارادة ، يكون له مثل هذا التأثير ، فهو من خواص الروح ، واذا كان الأمر كذلك فانه يكون كسبيا بالرياضة ، ولا يعتبر معجزة ، لامكان الاتيان بمثله .

(والثالثة) أن الناس ينقلون هذا فى كل زمان ، ومن ذلك مانقلته (جريدة المقطم) فى عددها الصادر بتاريخ ٤ من رمضان سنة ١٣٥٢ هـ الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٣ م مترجما من كتاب لطبيب اسمه (الكسندر)كان فى بادية (لندن) له منصب معروف فى مستشفى الامراض النفسية ، أنه ألف كتابا اسمه (العالم غير المنظور) تكلم فيه عن التنويم المغناطيسى والسحر الاسود ذكر فيه رحلته الى الهند والتبت ، وما رأى فيها من المناظر العجيبة ، ومنها اماتة التينة ، واحياء الميت كالمسيح .

ونزيد على كلام الامام رشيد رضا فى (شأن التينة) فنقول : لو كان الها لما قصد الى تينة لاثمر عليها ليأكل منها ، ثم يلعنها

بعد أن يجدها خالية من الثمر وكان ذلك فى غير أوانه ، ولو أنه ذهب اليها وهى خالية من الثمر ثم جعلها تثمر لكان ذلك عجيبة ، ولكان ذهابه اليها معقولا ، ومع هذا لا يدل على ألوهيته بل على نبوته فحسب •

(اماتة الصوفى الهندى للتينة كالمسيح)

ويتكلم الطبيب الانجليزى عن صديقه الهندى « البروفيسور •• » فيقول : انه يزوره كل ليلة وعمره مائه سنة ، ولكن منظره منظر رجل فى سن الأربعين وقد صحبه مرة الى شجرة تينة ، فخاطبها ، صاحبها الصوفى الهندى من بعد قائلا : لقد أحسنت وقاومت عواصف الحياة ، وسليت نفسى وشفيتها ، وقد آن وقت رحيلك عن عالم الغرور والعدم ، فموتى الآن ولا تعودى الى الحياة مرة أخرى قال الطبيب : فذبلت التينة حالا ، وسمح لى بفحصها أنا وغيرى ، لنتأكد منها •

احياء اللاما كاهن التبت الاكبر للميت

اللاما هو كاهن التبت الأكبر ومعتقد أهلها، وفى يوم كان جالسا على عرشه ، فدخل عليه (جوقة) أى جماعة من الرهبان يحملون المشاعل فجلسوا فى حلقة واسعة وهم يتمتمون أغنية ، فصلى اللاما وفى تلك الدقيقة دخل ثمانية يحملون تابوتا من حجارة فأنزلوه ورفعوا غطاءه •

يقول الطبيب الانجليزى :

« فرأينا شخصا منظره منظر ميت ، فسمح لى بفحصه ، فلم أشعر بنبضة ولا بخفقان قلبه ، وكان باردا كالحجر ، وعيناه عينا رجل انقضى عليه يوم كامل وهو ميت ، ووضعت مرآة على فمه وأنفه ، فلم يظهر عليها أثر تنفسه ، ثم لفظ اللاما كلمات ، فرأينا الميت يفتح عينيه ، ثم جلس فى تابوته فساعده راهبان على الوقوف والمشى ، فدنا من اللاما وانحنى وعاد الى نعشه وهو لا يزحزح بصره عن اللاما (أعظم الحكماء) عندهم ثم لم تمض دقائق قليلة حتى عاد ولا حياة فيه ، فلم أدر أكان ميتا حقيقة أم كان فى غيبوبة ، فقرأ (اللاما) أفكارى فقال لى : (ان الرجل كان ميتا مدة سبع سنوات) •

يقول السيد / محمد رشيد رضا :وفى هذا الكتاب عجائب أخرى ذكرت بعضها جريدة المقطم وقال :

ان المجلس البلدى عزله من وظيفته عقابا له على اصدار هذا الكتاب —

ويقول السيد رشيد رضا :

« انه سمع فى صغره حكاية مشهورة عند أهل بلده عن رجل معتقد اسمه الشيخ / محمد العصافيرى : أنه نظر الى شجرة تين وقال مسكينة مسكينة تموت ، فلم تلبث أن عراها الذبول حتى يبست » •

انتهى بتصرف من كتاب (الوحى المحمدى) للامام محمد رشيد رضا •

واذا كان أمر الخوارق والعجائب لم يعد مناسبا للأمم التى بعث اليها محمد ﷺ ، بسبب تسرب الشكوك الى نفوسهم من تلك الخوارق •

ولأن من الناس من جرى على يده أمثال تلك العجائب عن طريق الرياضة — كما تقدم بيانه •

الرد على أسئلة السيد الأب

ولأن الخوارق التى ظهرت فى هذا العصر وجاء بها العلم ، مثل الصعود الى القمر ، وتربية النطفة فى الأنابيب حتى تصبح طفلا ، وغير ذلك من الأعاجيب .

لهذا كان لابد لذلك الرسول المبعوث الى جميع البشر حتى قيام الساعة ، أن تكون معجزته علمية متفوقة ، فكانت معجزة القرآن العظيم ، المشتمل على علوم الدنيا والآخرة ينزله الله على رجل أمى لايقرأ ولا يكتب ، وحوله أمة أمية لاتقرأ ولا تكتب ، ولم ينزل عليها كتاب ، ولا تعرف سوى عبادة الأوثان، تنسب اليها الضر والنفع ، وتؤدى اليها طقوس العبادة حذرا من غضبها عليهم بزعمهم .

ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل القرآن وأهله على العلم فى جميع فروعه ، وأثره فى تمدين أوربا وغيرها ، وانتشار العلوم بين أهلها من مخالطتهم للمسلمين فى سلمهم وفى حربهم ، فلولا مدنية الاسلام وعلومه المقتبسة من القرآن ، لبقيت أوربا وغيرها فى دياجير الجهالة ، وقد شهد بذلك المنصفون من مؤرخيهم وكتابهم .

ومع أن الرسول ﷺ قد ظهرت على يده معجزات كونية أكثر مما رواه الانجيليون عن عيسى عليه السلام ، ورواها الرواة العدول بالسند المتصل اليه — ﷺ — ، فان الله تعالى لم يجعلها حجته على نبوته ، بل جعلها قائمة على قواعد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها ممثلة فى القرآن الكريم العظيم ، فالقرآن آية الله على نبوة محمد ، وهو أيضا موضوع نبوته ، ومصدر العلوم الالهية التى اشتمل عليها ، وكل معجزة للأنبياء قبله أصبحت خبرا يروى ولا وجود لها ، والاخبار بها ليس متصل الاسانيد ، فهى قابلة للتصديق والتكذيب ، أما معجزة القرآن فهى مصاحبة للاسلام منذ أشرق فجره حتى تقوم الساعة، ولا يزال القرآن يتحدى كل المفكرين أن يأتوا بمثله ، وقد عجزوا حتى الآن « **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** » الاسراء — ٨٨ وفى ذلك يقول النبى — ﷺ — : (ما من الأنبياء نبى الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

وقد صانه الله سبحانه عن التبديل ، فهو متكوب ومحفوظ فى الصدور منذ نطق به النبى — صلى الله عليه وسلم — حتى وقتنا هذا ، محفوظا بعناية الله ، لم تعبث به أيدى المبدلين « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** » الحجر — ٩ .

والقران معجزة البشر بلفظه وأسلوبه وجرسه وهدايته وعلومه وبصدق روايته لأخبار الأنبياء السابقين مع أممهم ، وانبائه بالغيوب الحاضرة والمستقبلة ، وتربيته العقول والأخذ بها الى الأمثل فى العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات ، فلم يعد

البشر بحاجة الى ميت يحيى ولا الى تينة تيبس وتجف ، وانما هو محتاج الى المعقول من الهدى وسائر العلوم .

وأما ما أكرم الله به محمدا ﷺ من الآيات فلم يكن لاقامة الحجة على نبوته ورسالته ، بل كان من رحمة الله وعنايته به وبأصحابه فى الشدائد كنصرهم فى (غزوة بدر) مع قلتهم وضعف أسلحتهم وكثرة أعدائهم وعنف أسلحتهم ، ولهذا أنزل الله الملائكة بينهم فى شكل البشر لتشد أزرهم وتبشرهم بالنصر تقوية لقلوبهم ، فكسبوا المعركة بنصر ساحق، وكذلك ما كان فى (غزوة الأحزاب) فهو أعجب فقد رد الله عشرة آلاف من المشركين لم ينالوا خيرا ، حيث أرسل عليهم (ريحا باردة) فى ليلة مظلمة ، كفأت قدورهم واقتلعت خيامهم، ونشر الملائكة الذعر بينهم « **وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** » الأحزاب ـ ٢٥ .

ومن آياته ﷺ شفاء المرضى وابصار العمى واشباع العدد الكثير من الطعام القليل ـ كما وقع للمسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ومنها تسخير السحاب استجابة لدعائه ، لتسقى رجال الجيش أو الناس عند القحط ، ومن ذلك ماحدث فى غزوة تبوك ، حيث نفد ماء الجيش فى صحراء قاحلة والحر شديد حتى كانوا يذبحون البعير ويخرجون (الفرث) من كرشه ليعتصروه ويبلوا به ألسنتهم على قلة الرواحل معهم ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله .

ان الله عودك فى الدعاء خيرا ، فادع لنا ، فرفع يديه فدعا ، فلم يرجعها حتى كانت السماء قد سكبت لهم من الماء ماملأوا به ما معهم من الروايا ولم يتجاوز المطر أرضهم .

والروايا :هى القرب التى كانت تحملها الابل فى أسفارهم .

ونعود الى مناقشة رسالتك ياأستاذ (اليزيوكاميروتا) الى فضيلة الامام الأكبر .

تقول فى السطر الأخير من الصفحة الاولى (وبعد هذه المقدمة الضرورية للتمييز بين الحق والباطل وبين دين ودين ، علينا أن نعالج موضوعا آخر فى جانب عظيم ، ذلك الموضوع الذى بدونه يظهر الله وكأنه متناقض عندما نأتى بكلمة انسان تدل على الانسانية بكمالها وأفرادها ، تقول : أنا انسان وهذا انسان الخ ، ثم قلت فى السطر الخامس من ص ٢ (وهكذا منعا من كل التباس يجب أن نفهم أن القول (اله) لايدل على شخص من الاشخاص ، ولكن على طبيعة معينة) نعم اله واحد عبارة عن طبيعة الهية واحدة ، ومن يدرينى هل كان فى تلك الطبيعة الالهية الواحدة شخص واحد فى أقنوم واحد أم اثنان أم أكثر ، الذى يدرينى هو الوحى لا العقل البشرى. اذ فاقت هذه الأسرار ادراك العقل)

وتمضى قائلا :

(وبهذا القول لسنا فى مسألة الاشراك ، نعم اننا لانشرك فى الطبيعة من كان غير الله ، اذ ما من تناقض فى تعليم المسيح الذى علمنا فى كل صفحة من الانجيل تقريبا أن هناك ثلاثة أشخاص آلهة ، الاب الذى أرسله والابن الذى أرسل ، والروح القدس الذى

الرد على أسئلة السيد الأب

سيرسله الابن عند عودته الى الاب) .

وردا على هذا نقول : ان عقدتكم — أيها النصارى — تتمثل فى هذا المبدأ القائل : آمن أولا ثم ابحث عن الدليل ، وهذا المبدأ فى غاية الخطأ والخطر ، فان عقيدة الايمان بالاله لاتصح أولا الا بالدليل العقلى ، فاذا صح الدليل آمنا بالاله وبرسول الاله بعد الايمان به ، فكيف صح فى عقولكم أن يكون لهذا الكون آلهة متعددة ، أحدها الاب ، والثانى الابن ، والثالث روح القدس ؟

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) .

ان قوانين الكون واحدة من الذرة الى المجرة ، فلا يمكن أن يعدها وينفذها ويحافظ عليها الا اله واحد ، حتى لا يحدث فساد فى الايجاد ثم فى الموجود ، ولنا بحث هام فى هذه الحقيقة يهدى الحيران ويروى الظمآن فى كتابنا (نافذة على الايمان) لا يتسع له هذا المقال .

كان الله ولاشىء معه ، ثم خلق هذا الكون ولم يعى بخلقهن ، وأنتم تسلمون بذلك فى كتبكم ، فما وجه حاجته الى الابن ؟

ان الذى يطلب الابن يريده لأحد أمرين :
أن يعينه فى أعماله .
أو أن يرثه بعد موته .

وأنتم تعتقدون بأن الله خالق كل شىء كما جاء فى ميثاقكم ، وتعتقدون أن الاب حى لا يموت ، فما الداعى لاختراع فكرة الهين آخرين الابن والروح القدس ، ثم كيف تكون الوحدة مع هذا التعدد ، انك صرحت بأنهم ثلاثة أشخاص (١) أى هم آلهة وليسوا الها واحدا ، وهذا هو الذى جاء فى ميثاقكم برغم أنكم سميتموهم الها واحدا وكان الأليق بعقيدتكم ، أن تسموهم شركة الآلهة المتحدة ، لماذا تسكرون عقولكم عن حقيقة الاشراك فى عقيدتكم والعياذ بالله تعالى ، فتعال معى لتقرأ الميثاق الذى وافق عليه مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ م ومؤتمر القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م

يقول الميثاق « نؤمن بالله الواحد الأب ، مالك كل شىء وصانع كل شىء صانع كل مايرى وما لا يرى ، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله بكر الخلائق كلها ، ولد من أبيه قبل العوالم كلها ليس بمصنوع ، اله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وهو خالق كل شىء الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس وصار انسانا كاملا ، وحملت به مريم وولد من مريم البتول فأوجع وأولم وصلب فى أيام بيلاطس الملك ، ودفن وقام فى اليوم الثالث من بيت الموتى ، ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ونؤمن بالروح القدس الذى يخرج من الاب والابن ، وبه كان يتكلم الانبياء) الخ .

وفى هذه العقيدة اثنا عشر تناقضا نذكر بعضها .

١ — تنص هذه الوثيقة على أن الأب هو الرب الأول وأنه مالك كل شىء وصانع ما يرى

(١) تجدذلك فى رسالة الصفحة الثانية السطر الرابع عشر

وما لا يرى وأن الابن هو الرب الثانى ، وبيده أتقنت العوالم كلها ، وأنه خالق كل شىء ، فكيف يوصف بذلك وهو وصف أبيه ، فهل ولد من أبيه لتحصيل الحاصل أو لتحصيل مالم يحصل ، فان كان لتحصيل الحاصل فذلك محال ، وان كان لتحصيل ما لم يحصل فهو مخالف لما جاء عن الأب من أنه خالق كل شىء وصانع ما يرى ومالا يرى .

٢ ـ ما فائدته مع أبيه مع زعم أن كليهما رب خالق ؟

٣ ـ انكم تقولون ولد من أبيه قبل العوالم وهو بكر الخلائق كلها ، وهذا يقتضى أنه مخلوق وحادث ، والرب يستحيل عليه الحدوث .

٤ ـ كيف استقام لديكم أن الرب يحشر نفسه فى رحم امرأة بين الدم والروث ، وهل تخليص البشر من الخطايا لا سبيل له سوى ذلك ، وهل كان راضيا عما فعله به اليهود من التهزىء والصلب والقتل ، كلا ، ولهذا نادى ربه قائلا (ايلى ايلى لما سبقتنى) أى الهى الهى لماذا تركتنى ولماذا اختار أرضنا لهذه التمثيلية مع وجود أرضين أخرى فى ملك الله فيها مكلفون وعصاة ، ولماذا لا يهديهم أو يعفو عنهم بدون تعريض نفسه للقتل أهذا معقول أيها السادة ؟ أن يسمح لهم بقتله ليعفو عنهم ، ان هذا لشىء عجاب » .

وأية خطيئة كان المسيح عليه السلام يريد أن يخلصهم منها ؟

أهى خطيئة أكل آدم من الشجرة ؟ .

انها أمر هين بالنسبة لما تفعله البشرية من القتل والسرقة والغصب ، وأهوال الحروب ، والتعذيب والغش والمصادرات وابتزاز الأمم واستنزاف خيراتها وسلبها ونهبها ، على أن نزول آدم الى الأرض ، كان بمشيئة الله لتعميرها ، وقد تاب الى الله فتاب عليه ، وقد خلقه ليخطىء ويتوب .

أم كان يريد أن يخلصهم من ذنوبهم حتى تقوم الساعة ؟ .

فان كان هذا مرادا فهو مخالف لما فى أناجيلكم من نصوص الوعيد للخطائين ، ومخالف للحكمة الالهية التى تقتضى اثابة المحسن وعقاب المسىء ، وحامل على ارتكاب الجرائم اعتمادا على فكرة الفداء المزعومة .

وبالجملة ففكرة الوهيته ظهر فسادها من هذا النقاش ، كما ظهر فساد الزعم القائل : انه استسلم للصلب لفداء البشرية ، لأن هذا العبث لا يصنعه الله قادر على العفو والهداية ، حريص على حماية البشر من فساد أخلاقهم بسبب (فرمان) العفو والغفران الذى ترتب على الصلب المزعوم « وما قتلوه وما صلبوه ولكنه شبه لهم » .

« الله لا يناقض نفسه » :

وجاء فى آخر رسالتكم أن القرآن أثنى على التوراة والانجيل ، ومع ذلك ينقض مبادئهما الجوهرية ، فهل الله ناقض نفسه ، أم الانسان حرف الكتب :

*وجوابنا على هذا نقول : ان القرآن أثنى على التوراة والانجيل المنزلين من الله تعالى ، وقد فقدت التوراة الاصلية فى الغزو البابلى ، ولم يكن عند اليهود نسخة أخرى سواها ، واستمروا بعد ذلك (٤٥٠) أربعمائة وخمسين سنة بدون التوراة الى عهد الملك

سليمان ، فلما فرغ من بناء الهيكل استحضر تابوت عهد الرب ، ليضعه فى المحراب الذى أعده فى الهيكل ، فلما فتحه لم يجد فيه التوراة ، وكل ما وجده لوحان كتب فيهما الوصايا ، وهذه الأحداث مذكورة فى سفر القضاة وسفر الملوك الأول ، اصحاح ٨ ، وسفر الأيام الثانى اصحاح ٥ رقم ١٠ .

وفقد الانجيل الأصلى فلم يعرف أين ذهب ، ولهذا تعددت الأناجيل فوصلت الى أكثر من سبعين انجيلا ، وأحرقت الأناجيل الناطقة بالتوحيد ، ولم ينج منها سوى انجيل (برنابا) بأعجوبة ، وأبقيت الأناجيل الأربعة التى بأيديكم ، وهى مختلفة طولا وقصرا وعبارات ، ولو كان الانجيل الأصلى موجودا لما اختلفت الأناجيل ، فالقرآن حينما ينكر التثليث فلأنه لا وجود له فى توراة الله وانجيله الأصليين ، وأما نسخ التوراة والانجيل التى بأيديكم ، فهى من وضع البشر ، وقد شهد بذلك شهود منكم ، واليك البيان .

وسبق بالمقال ما كتبه موريس فورن عن التوراة .

وتكلم عن الأناجيل فأبدى شكه فى صحة نسبة (متى ومرقص ولوقا) الى من نسبت اليهم من الحواريين وقطع بأن انجيل يوحنا مزور كما سبق بيانه .

وومع هذه التغيرات، فقد بقى من النصوص فى التوراة ما يشهد بالوحدانية المطلقة ، ولا أب فى الالوهية ولا ابنا ولا روح قدس ، بل الرب وحده ، فقد جاء فى سفر التثنية عدد (٤ ــ ٥) « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ، فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » هذا هو تعلقينا على كتابك ، (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ) .

مصطفى محمد الحديدى الطير

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

للمستشار: محمد عزت الطهطاوى

مما لاجدال فيه أن الانسان عندما يذهب بعيدا عن مصدر النور كثيرا ما تختلط عليه الأمور المتعارفة له ، فاذا ما أغرق فى البعد عن النور ومصدره فقد التمييز بين كثير من الحقائق .

وقد قالوا : ان الألوان تتشابه فى الظلام .

واختلاف الناس فى الرأى الذى كان قبل مسلما به وواضحا انما هو وليد بعدهم عن المصدر الأساسى كما بعد صاحب الألوان المتعددة عن النور فرآها كلها فى الظلام لونا واحدا ، ومن هنا تكمن الحكمة الربانية فى انزال الله الكتب السماوية على رسله حتى تكون مصدر ذلك النور الالهى الذى يهتدى به البشر وتوصية الأنبياء والرسل لأتباعهم والمؤمنين بهم بالمحافظة عليها نظرا لما تشتمل عليه من عقيدة سوية فى التوحيد حتى لا يبتعدوا عنها فتختلط عليهم الأمور ويتيهوا فى ظلمات الشك والحيرة والاختلاف كما حدث لأتباع المسيح عليه السلام بعد أن فقدوا انجيل المسيح نفسه .

كيف كان كتاب السماء فى دعوة المسيح عليه السلام :

كان كتاب المسيح عليه السلام هو الانجيل نزل اليه من عند الله وهو مصدق للتوراة كتاب موسى عليه السلام — واذا قلنا : « التوراة » فانما نعنى التوراة المنزلة من عند الله ، فالانجيل المنزل — أيضا — مؤيد لها قال تعالى (**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**) (١) .

١ — سورة المائدة ٤٦ .

ولكن أين هذا الانجيل ذلك الذى نزل على المسيح عيسى عليه السلام ؟

هذا الانجيل ضاع واندثر ولم يبق له أثر وعن ذلك يقول نورتن فى كتابه الذى طبع فى مدينة بوسطن سنة ١٨٣٧ وقد نقل فيه بعد المقدمة عن العالم الألمانى اكهارن :

(انه كان فى ابتداء الملة المسيحية توجد رسالة مختصرة،يجوز أن يقال انها هى الانجيل الأصلى وأنها وضعت للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها على الترتيب) .

ويستطرد العالم الالمانى اكهارن فى مقدمته الى أن يقول :

(كثيرا من القدماء كانوا شاكين فى الأجزاء الكثيرةمن أناجيلنا هذه) (١) .

ومن ذلك يتبين احتمال أن هذه الرسالة كانت المرجع لجميع الاناجيل التى كانت رائجة فى القرن الأول والقرن الثانى الميلادى ومنها الأناجيل المتداولة حاليا لكن هذه الرسالة « التى أشار اليها العلامة اكهارن » فقدت بمعنى أنها اذا كانت الانجيل الأصلى فقد فقدت ولم يعثر لها على أثر وبعدها بقيت تلك الكتابات التى حررها أصحابها وأسبغوا عليها من أنفسهم كلمة انجيل ووصل عددها حتى أوائل القرن الرابع الميلادى الى أكثر من سبعين كتابا أو انجيلا وأوصلها البعض الى ١٠٠ مائة كتاب)(٢) .

كيف كانت العقيدة فى دعوة المسيح عليه السلام :

ان المتتبع لتاريخ المسيحية حتى تلك الأناجيل الأربعة المتداولة : انجيل متى ، ومرقس ، ولوقا يوحنا يتبين أن المسيح كان يبشر بدعوة التوحيد للاله الواحد وأنه بشر رسول فقط شأنه شأن من سبقه من المرسلين كابراهيم ونوح وموسى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وقد ورد ذلك صراحة فى قوله بانجيل يوحنا (وهذه هى الحياة الابدية أن يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته) (٣) وهذا مثل ما نقول نحن المسلمين (لا اله الا الله محمد رسول الله) ومفهوم المخالفة لنص انجيل يوحنا أن من يقول بخلاف ذلك كمن يؤله المسيح أو يقول : انه ثالث ثلاثة (الأقانيم المقدسة) لا تكون له الحياة الأبدية بل تكون له حياة الشقاء والعذاب ، كما تكرر ذلك من المسيح فى قوله بانجيل مرقس ، لما جاء واحد من كتبة الاسرائيليين وسأله أية وصية هى أول الكل ؟

(فأجابه يسوع ان أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل : الرب الهنا رب واحد) (٤) فأيده ذلك الكاتب بقوله :

(١) عن « اظهار الحق » للامام رحمة الله الهندى ص ١٠٦ مكتبة الشيخ احمد المليجى واخيه الشيخ محمد المليجى .
٢ — عن « مقارنة الاديان » — المسيحية للدكتور احمد شلبى ص ٩٨ .
٣ — سفر التثنية اصحاح ٣٢ عدد ١٣٩ .
٤ — مرقس اصحاح ١٢ — ٢٩ — الى ٣٢ .

« جيدا يامعلم ، بالحق قلت ، لأن الله واحد وليس آخر سواه » .

والمسيح — عيسى ابن مريم ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — يكرر فى دعوته — الى عقيدة التوحيد لله ما نص عليه « سفر التثنية » وهو أحد أسفار التوراة المتداولة « العهد القديم » فى وصاياه لبنى اسرائيل ، يقول :

(اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد) (١) وقوله :

(أنا انا هو وليس اله معى ، أنا أميت وأحى) (٢) .

وكل ذلك اتساق مع كلام المسيح كما هو وارد عنه فى انجيل متى فى قوله (لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) (٣) .

هل ورد بالتوراة ما يشير الى ألوهية المسيح والروح القدس :

بتقليب صفحات التوراة المتداولة وما ألحق بها من أسفار الانبياء العبرانيين والذى يطلق عليه العهد القديم يتبين أنه لا يوجد فيها قصص الأب والابن والثالوث ولا ألوهية المسيح أو الروح القدس ولا تجسد الابن وصلبه تكفيرا عن خطيئة البشر أو موت الابن وقيامه .. الخ تلك العقائد التى تمتلىء بها ملة النصرانية .

كما أن بشائر الانبياء التى قيل انها أعلنت عن مجىء المسيح فى العهد القديم ما ذكرت الا كونه نبيا من البشر دون أى اشارة الى أنه سيقتل أو يصلب بل على العكس من ذلك فانها تشير الى أن الله تعالى يحميه ويعصمه من كيد اليهود ويحفظه من شرورهم .

ولندلل على ذلك بأقوال بعض علماء مقارنة الأديان المسيحيين فى دول الغرب .

ما يقرره الكاتب المسيحى الفريد آى (٤) :

يقرر ذلك الكاتب أن تعاليم المسيح تجمعها العناصر الآتية :

١ — قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة .

٢ — الله هو أبو البشر وهو الأمل الذى تهفو نحوه أرواح العباد جميعا .

٣ — الكمال التام والحب الشامل لله .

تلك هى تعاليم النصرانية أو المسيحية لا أكثر ولا أقل ، أما ما سوى ذلك من أسس دينية فقد اعتمدت المسيحية فيها على التوراة ، وقد مدح المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام نفسه بأنه انما جاء ليتمم التوراة لا ليبدأ دينا جديدا وذلك فى قوله (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل) (٥) .

أما المؤرخ الشهير ويلز Wells فيقول :

(كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا

---

١ — سفر التثنية اصحاح ٦ عدد ٤ .
٢ — سفر التثنية اصحاح ٣٢ عدد ٣٩
٣ — انجيل متى اصحاح ٥ عدد ١٧ — ١٨ .
٤ — كتاب النصرانية والاسلام عالمية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة لكاتب هذا المقال ص ١٢ ، ١٣ .
٥ — انجيل متى اصحاح ٥ عدد ١٧ .

المسيحية الحديثة وهو لم ير المسيح قط ولا سمعه يبشر الناس وكان فى بداية أمره من أبرز وأنشط المضطهدين لتلاميذ المسيح قليلى العدد ثم اعتنق المسيحية فجأة وغير اسمه من شاءول وجعله بولس وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية فنراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية — وهى ديانة (ميترا) اله الرومان — المكون من ثالوث — وكذلك ديانة مدينة الاسكندرية — وهى ديانة المصريين القدماء المكونة من الثالوث أيضا فنقل الى المسيحية التى كان يبشر بها فى الأقاليم الوثنية من حوض البحر الأبيض المتوسط كثيرا من أفكار معتنقى الديانات السابقة ومصطلح تعبيراتهم ولم يهتم بتوسيع فكرة المسيح الأصلية وتنميتها وهى فكرة ملكوت السموات ولكنه علم الناس أن المسيح هو ابن الله نزل الى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر ، فموته كان تضحية مثل موت الضحايا القديمة من الآلهة فى أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية وقد استعادت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات :

١ — كالتقسيس الحليق .

٢ — وتقديم النذور .

٣ — والهياكل والشموع .

٤ — والترتيل والتماثيل التى كانت لعقيدة ميترا وعقيدة الاسكندرية .

٥ — بل تبنت أيضا حتى عباراتها فى عباداتها وأفكارها اللاهوتية .

٦ — وراح بولس يقرب الى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة الى أن شأن المسيح كشأن أوزوريس كان ربا مات ليبعث حيا وليمنح الناس الخلود) (١) انتهى كلام المؤرخ ويلز .

ويقول العالم الامريكى المعاصر مايكل هارت عن المسيح وعن بولس الآتى :

أولا — عن المسيح عليه السلام :

ان المسيح أرسى المبادىء الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظراتها الروحية ، وكل ما يتعلق بالسلوك الانسانى ، فهو صاحب الرسالة الروحية . لكن مما تجدر الاشارة اليه أن قصة حياة المسيح وان كانت وردت فى العهد الجديد الا أن أكثر تلك المعلومات ليست مؤكدة فلا يقين على اسمه الحقيقى وأغلب الظن أنه يحمل الاسم اليهودى المعروف (يشوع) وسنة ميلاده ليست مؤكدة وان كان يقال أنه قد ولد قبل السنة التى أجمع عليها رجاله بست سنوات ، حتى سنة وفاته التى أجمع عليها حواريوه ليست معروفة ولا مؤكدة ، كما أن المسيح لم يترك وراءه ورقة واحدة مكتوبة .

ومما يؤسف له حقا ان الأناجيل المتداولة يناقض بعضها بعضا فمثلا إنجيل متى وانجيل لوقا يتناقضان فى ايراد الكلمات الاخيرة

---

١ — كتاب مقارنة الاديان المسيحية للدكتور أحمد شلبى ص ١١٩ ، ص ١٢٠ نقلا عن كتاب A Short History of the World pp. 178—179.

للمسيح وقد أشير كثيرا الى أن المسيح كان يشبه من وجوه كثيرة أنبياء اليهود الذين جاءوا فى التوراة ، كما أنه كان قد تأثر بهم أعمق الأثر .

ثانيا — عن بولس :

بولس هذا هو الذى ألف جانبا كبيرا من الرسائل فمن بين السبعة والعشرين سفرا من كتاب العهد الجديد ألف أربعة عشر سفرا ومن أهم أفكاره .

١ — أن يسوع المسيح لم يكن نبيا بشريا بل كان الها .

٢ — وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر .

٣ — وأن الانسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالايمان بالكتب المقدسة فقط وانما بالايمان بيسوع ، واذا آمن بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياه .

٤ — وبولس هذا هو الذى أوضح فكرة الخطيئة الأولى .

٥ — كما أن بولس هو الذى أعلن أنه لا داعى للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية فى الطعام والطهارة ، ولا التمسك بتعاليم موسى عليه السلام لأن تطبيق هذه الشعائر ليس كافيا لخلاص الانسان . وانما الايمان الحق هو الذى يحقق للانسان خلاص روحه ، وجسده .

وبولس فى تعاليمه وأفكاره :

١ — انما يردد أفكارا كانت شائعة فى زمانه ، ولكن المسيح لم يكن يبشر بشىء من هذا الذى قاله بولس .

٢ — وبولس هذا هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية عن مجرد طائفة يهودية الى ديانة كبرى .

٣ — وهو المسئول عن (تأليه المسيح) .

٤ — بل ان بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذى أقام المسيحية وليس المسيح (١)

كيف تقررت ألوهية المسيح :

قلنا فيما سبق — ان المسيح عليه السلام ما كان يبشر فى دعوته الا بعقيدة التوحيد للاله الواحد وأنه بشر رسول فقط ، الا أنه بعد ذهابه عن هذا العالم لقى المؤمنون به صنوفا من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود والرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون حتى لقد فقد الكثير من كتب المسيحية ومراجعها خصوصا انجيل المسيح نفسه كما قضى على أتباع المسيحية الحقيقيين ففقدت المسيحية طابعها البسيط السهل وامتلأت — نتيجة أفكار بولس وما شابهها — بكثير من المعتقدات الممزوجة بالثقافات المحيطة التى كانت تسود الشعوب التى دخلت فى المسيحية وقتئذ كالمصريين واليونانيين والرومان خصوصا ما اتصل بالمسيح نفسه فبينما كان بعضهم يراه رسولا مثله كمثل من سبقه من المرسلين والانبياء رآه آخرون الها ورآه فريق ثالث

١ — كتاب الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ تاليف العالم الامريكى مايكل هارت نشر دار المعارف بالقاهرة .

انه ابن الله له صفة القدم فهو أكبر من رسول وله صلة خاصة بالله كأنه وسيط بين الله والناس وهكذا تباينت نحلهم واختلفت مذاهبهم فى شخص المسيح وكل واحدة تدعى أنها هى المسيحية الحقة واختلفوا فى ذلك اختلافا كبيرا وتعاركوا عراكا شديدا مما اضطر الامبراطور قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية الذى قيل انه اعتزم الدخول فى المسيحية الى عقد مجمع مسكونى فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية وقد نصادف فى ذلك الوقت أن كان الخلاف على أشده بين كنيسة الاسكندرية وعلى رأسها بطريركها وبين القسيس أريوس المصرى راعى كنيسة بوكاليس اذ كان هذا الأخير داعية قوى الحجة فقاوم كنيسة الاسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من أفكار تقوم على ألوهية المسيح وأنه أحد أركان ثالوث الألوهية المقدس نتيجة تأثر بطريركها بمدرسة أفلوطين الفلسفية الأغريقية فحارب أريوس تلك الأفكار ناشرا فكرة الوحدانية مقررا وحدة المعبود وأن المسيح عبد الله ومخلوق له ، وفى ذلك يقول ابن البطريق وهو مؤرخ مسيحى عن أريوس انه كان يقول (ان الأب وحده هو الله وأن الابن ويعنى به المسيح مخلوق مصنوع وقد كان الأب اذ لم يكن الابن) (١) .

ويعلق على ذلك الدكتور احمد شلبى أستاذ الحضارة ومقارنة الأديان بكلية دار العلوم — سابقا — بقوله : —

(وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح وصادفت البذرة أرضا خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التى سبقت ظهور المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات التى التهمت كثيرا من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت ، وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون أى حتى سنة ٣١٣ ميلادية وفى خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها (العقدى) (٢) البسيط من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة ، وخرجت الى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال وفيها تناقض ظاهر فى تعاليمها وأشد أنواع التناقض قائم فيما اتصل بالمسيح نفسه فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل ورآه آخرون الها واشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية مما أدى الى أن يأمر قسطنطين امبراطور الرومان بعقد مجمع البطارقة والأساقفة من أنحاء الامبراطورية فيما يسمى بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ليضع حدا لتلك الاختلافات وليقرر حقيقة المسيح التى كانت محل تلك الاختلافات الشديدة (٣) .

---

١ — عن كتاب محاضرات فى النصرانية للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٩ ، ٤٠ و ص ١٣٦ .

٢ — نسبة الى العقيدة .

٣ — كتاب مقارنة الاديان المسيحية للدكتور احمد شلبى ص ١٢٠ ، ١٢١ .

كيف انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م :

اجتمع فى مدينة نيقية نفر من الأساقفة والبطارقة من جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية وصل عددهم الى (٢٠٤٨) أسقفا وبطريقا مسيحيا وقد اختلفوا اختلافا شديدا ولم يتفقوا على رأى مما أثار عجب الامبراطور قسطنطين الا أن الرواة يقولون : ان أريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلته اليهم انضم الى آرائه أكثر من (٧٠٠) أسقف وذلك العدد — وان كان أكبر عدد نالته نحلة من النحل المثارة فى ذلك المجمع — الا أنه لم يلق هوى وقبولا من امبراطور الدولة الرومانية فقرر أن يفصل فى الأمر بتدبير السلطة الشديدة بعد أن تبطن رأى صديقه كاهن روما هذا الكاهن الذى انضم الى بطريرك الاسكندرية فى رفض عقيدة التوحيد واعتناق القول بألوهية المسيح بل وبالتثليث أيضا ، لذلك أصدر الامبراطور قسطنطين أمره بطرد الأساقفة الموحدين من دائرة المجمع وكون مجمعا صغيرا بمعرفته من (٣١٨) أسقفا فقط ممن يقولون بألوهية المسيح واتخذوا قرارا بذلك وتحت سلطان الترغيب والترهيب وضعوا توقيعاتهم على الوثنية المشتملة على عدة أمور من أهمها الآتى : —

١ — القول بألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرا عن خطيئه البشر .

٢ — القول بالتثليث .

٣ — اختبار الكتب والرسائل التى لا تتعارض مع الأمور السابق الاشارة اليها وتدمير ماعداها من كتب وأناجيل ورسائل خصوصا تلك التى تنادى بالتوحيد وبشرية المسيح (١) .

محاولة دعاة التوحيد حمل الدولة على عقيدة التوحيد وفشلهم بعد ذلك :

رغم تقرير مؤتمر نيقية لألوهية المسيح وعقيدة التثليث الا أن دعاة التوحيد لم ينخذلوا عن التمسك بعقيدتهم وتخطئة قرارات مؤتمر نيقية وقد أفلحوا فى عقد مجمع اقليمى فى مدينة (صدر) وفيه قرروا : سلامة عقيدة التوحيد ورفض عقيدة الثالوث الا أن الدولة الرومانية سرعان ما ارتدت الى عقيدة الثالوث مرة أخرى وقد استعانت بقوة السلطان لطمس عقيدة التوحيد لذلك فانها صارت تعين فى منصب الأساقفة فى كنائسها فقط الرافضين لعقيدة التوحيد وتدريجيا ومع مرور الوقت أخذ هؤلاء يسيطرون على قلوب العامة ونزع بقايا التوحيد حتى اختفى المذهب الحق فى لجة التاريخ ولم يبد على السطح الا ألوهية المسيح وعقيدة الثالوث فى جميع كنائس الدولة الرومانية (٢) .

أعجوبة عن شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث :

رغم ان النصارى — وقد غلبت عليهم التسميه بالمسيحيين فى زماننا المعاصر —

١ — كتاب مقارنة الاديان للدكتور احمد شلبى ص ١٦٥ .

٢ — كتاب محاضرات فى النصرانية للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة .

المسيح عيسى بن مريم

يؤمنون بألوهيه المسيح ويتدسون عقيدة الثالوث التى تتلخص فى قولهم :

١ — ان الله هو الأقنوم الأول ويدعونه الاب .

٢ — ان المسيح هو الأقنوم الثانى وبدعوته الابن وقد قدم نفسه ذبيحه ليقتل ويصلب فداء للبشرية .

٣ — وروح القدس هو الاقنوم الثالث ويدعونه روح الله .

الا ان بعض رؤسائهم يعلنون فى بياناتهم أنه لا منافاة بين التوحيد والتثليث ولعل الذى يدفعهم الى ذلك هو اعتبارهم التوراة (كتاب اليهود) وهو ما يطلقون عليه (العهد القديم) كتابا مقدسا عندهم أيضا فكيف يكون ذلك وينسجم وهذا العهد القديم يصرح بالتوحيد ويدعو اليه ويشدد فى النهى عن الشرك بكل شعبه وكل أحواله ، بل انه يدعو الى البراءة من المشركين أينما كانوا وحيثما حلوا مثال ذلك قوله فى سفر التثنية : —

(أنا هو الرب الهك ..... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما فى السماء من فوق ومافى الأرض من أسفل ومافى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب الهك اله غيور) (١) .

وقوله (لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم لأن الرب الهكم اله غيور) (٢) .

وقوله (وراء الرب الهكم تسيرون ، واياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، واياه تعبدون ، وبه تلتصقون)(٣) .

ماذا يعمل رؤساء النصارى الروحانيون أمام صراحة نصوص التوحيد فى العهد القديم ؟

أنظر : —

أولا : انهم يجتهدون فى أن يستنبطوا من نصوص التوراة — أى العهد القديم ما يحملونه معنى الاشارة الى التثليث كعبارة (كلمة الله) أو عبارة (روح القدس) .

ثانيا : كذلك يحاولون أن يرجعوا التثليث الى الوحدانية لتلتقى التوراة وهى العهد القديم مع كتابهم وهو العهد الجديد بأناجيله الاربعة وما ألحق به من رسائل فيقربوا التوراة اليهم بتحميل عبارتها مالا تحتمل ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد ، وان كان التوحيد لا يحتمل ذلك فى أى وجه من الوجوه .

ثالثا : وانما يحاولون ، ذلك للرد على المسلمين الذين يعتقدون فى المسيح — على نبينا وعليه ، أفضل الصلاة والسلام — عقيدة القرآن الكريم ، بينما جعل المسيحيون عيسى المسيح — وهو بشر رسولا — الها مع الله بل جزءا من شركة الثالوث .

١ — سفر التثنية من كتاب العهد القديم الاصحاح الخامس عدد ٦ — ٩ .

٢ — سفر التثنية من كتاب العهد القديم الاصحاح السادس عدد ١٤ — ١٥ .

٣ — سفر التثنية من كتاب العهد القديم الاصحاح الثالث عشر عدد ٤ .

قال الله تعالى : ـ

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (٤) ٠

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) (٥) ٠

وقوله سبحانه وتعالى :

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٦) ٠

واعتماد النصارى على ايراد نصوص العهد القديم فى اثبات التثليث فيه من تحميل تلك النصوص ما تنوء به من أثقال المعانى المخالفة لها ولا تحتملها أبعد الاشارات اليها ، فضلا عما يصاحب ذلك من طرح العقل طرحا تاما عن ميدانها ، اذ ليس فى قدرته جمع النقيضين فى قرن ٠

قاموس الكتاب المقدس وما يذكره عن التثليث :

هذا القاموس ألفه نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين المسيحيين ، فهيئة تحريره مكونة من :

الدكتور بطرس عبد الملك أستاذ الدراسات الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ٠

والدكتور جون الكسندر طمسن ٠

والأستاذ ابراهيم مطر ٠

وقد قدم له الدكتور فيليب حتى الأستاذ الشرقى فى جامعة برنتسون ٠

وقد ورد فى هذا القاموس تحت كلمة التثليث الآتى : ـ

(اعترف كبار علماء اللاهوت انها لم ترد فى الكتاب المقدس ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو (ترتليان) فى القرن الثانى للميلاد وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية ٠

ثم استقر التثليث ـ بعد ذلك ـ عند الكنيسة المسيحية على يد (أوغسطينوس) فى القرن الخامس الميلادى » (١) انتهى ماجاء فى قاموس الكتاب المقدس ٠

ومما تقدم يتبين أن التثليث نبت بعد المسيح عليه السلام ، وأنه دخيل على دعوة

٤ ـ سورة المائدة ٧٢ ٠
٥ ـ سورة المائدة ٧٣ ٠
٦ ـ سورة التوبة ٣١ ٠
١ ـ قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

المسيح عيسى بن مريم

المسيح التى أخلصت الدعوة فى عبادة اللـه واحدا أحدا لا شريك له ولانـد ولا ولـد ، وسبق لنا فى ذلك بحث على صفحات هـذه المجلة (١) .

الأدلة على حفظ المسيح عليه السلام وعدم الاضرار به أو حتى اصابته بسوء

أولا فى كلام الانبياء السـابقين المثبت فى الكتاب المقدس لدى المسيحيين .

١ ـ ورد فى نبوة أشعيا الاصحاح ٤٩ عدد ٢ قوله وهو يحكى عن المسيح (فى كنانتـه أخفانى) .

٢ ـ ورد بالمزمور ٣ عدد ٢ ، ٣ قوله عـن المسيح (كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بالهه سلاه ، أما أنت يارب فترس لى) .

٣ ـ ورد فى المزمور ٩١ عدد ١٠ ، ١١ ، ١٢ قوله عن المسيح (لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك لانه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك)

ثا نيا ـ فى الأناجيل المتداولة :

١ ـ فى انجيل متى اصحاح ٤ عدد ٦ وفى انجيل لوقا الاصحاح ٤ عدد ١٠ وصف لكيفية حفظه من أعدائه قوله (مكتوب أنـه يوصى مـلائكته بك فعلى أياديهم يحمـلونك لكى لا تصدم ـ بحجر رجلك .

٢ ـ وقال بصريح العبارة عن نجاته مـن الاعتداء عليه فى الاصحاح ٨ عدد ٢١ مـن انجيل يوحنا قوله للفريسيين من اليهود عندما كانوا يسألونه (قال لهم يسوع أيضا أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) .

٣ ـ وقد روى يوحنا فى انجيله فى الاصحاح الحادى عشر عدد ٣١ وما بعده كيف أن اليهود تناولوا حجارة ليرجموه وهو فى هيكل المعبد بأورشليم وحاولوا الامساك به لكنه خرج من أيديهم ولم يستطيعوا الامساك به ومضى آمنا الى عبر الاردن الى المكان الذى كان يوحنـا يعمد فيه .

ومما يؤيد واقعة عدم صلب المسيح أو قتله شهادة بعض علماء النصرانية .

أولا : المسيو أدوار سيوس أحد أعضـاء الانسيتودى فرانس فى باريس فى كتابـه (عقيدة المسلمين فى بعض المسائل النصرانية فى صحيفة ٤٩) ان القرآن ينفى قتل عيسى وصلبه ويقول بأنه القى شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه وما قالـه القـرآن موجود عند طوائف نصرانية .

---

١ ـ راجع مجلة الازهر ـ جمادى الاولى ١٤٠٥ هـ .

١ ــ منهم الباسيليديون كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب القى شبهه على سيمون السيرناى تماما وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود الغالطين .

٢ ــ ومنهم السيرنتيون فانهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل من كتب الحواريين واذا كلامه نفس الباسيليديين وقد صرح انجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل عيسى أنه يهوذا (١)

ثانيا : قال باسيليوس الباسليدى ان نفس حادثة القيامة (أى دعوى قيام المسيح من الأحداث) المدعى بها بعد الصلب الموهوم هى من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذلك المسيح وبالجملة فان الشعوب الشرقية قبل الاسلام كانت ترفض قبول مسألة الصلب والقتل للمسيح (على نبيا وعليه أفضل الصلاة والسلام) .

ثالثا ــ أورد موسيهيم فى تاريخه أن كثيرا من طوائف النصارى كانت ترفض حصول الصلب

رفضا كليا لأن البعض منهم كان يعده اهانة لشرف المسيح ونقصا وأى نقص أعظم من نقص الاله الذى تلحقه مثل هذه الاهانات ، والبعض الآخر كان يرفضه استنادا على

الأدلة التاريخية وهؤلاء الأقوام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منهم : ــ

١ ــ الساطرينوسيون .

٢ ــ والكاربو كراتيون .

٣ ــ والمركبونيون .

٤ ــ والباد يسيانيون .

٥ ــ والتاتيا نيسيون .

٦ ــ والمانيسون .

٧ ــ والبارسكاليونيون .

٨ ــ والبوليسيون .

٩ ــ الدوسيتية .

١٠ ــ والمرسيونية .

١١ ــ والفلنطانيائية .

والفرق الثلاث الأخيرة وان كانت تعتقد أن الشخص المصلوب غير المسيح لأن المسيح لم تسلط عليه أيدى مضطهديه لكنها تضيف الى ذلك بأنه رفع الى السماء .

تبعثرت تلك الطوائف وضعف شأنها بعد اعتناق الدولة الرومانية لملة النصرانية وتبنيها

---

١ ــ كتاب الفارق بين المخلوق والخالق تأليف الحاج عبد الرحمن بك أفندى باجه جى زاده ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ص ٢٨٠ فى رد دعوى صلب ذات المسيح بالاخبار التاريخية والادلة العقلية .

المسيح عيسى بن مريم

لعقيدة الثالوث منذ سنة ٣٢٥ م وانتهى الامر بتلك الطوائف الى الانتهاء والانقراض حتى لم يبق لها وجود فى زماننا المعاصر ومع ذلك فلا بأس بأن نورد شهادة أحد العلماء الالمان فى هذا الموضوع وهو الموسيو أرنست ذى بونسن الالمانى فى كتابه المسمى (الاسلام أى النصرانية الحقة) أن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح لامن أصول النصرانية الاصلية (١) .

وبعد

فانما الله اله واحد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وليس بينه وبين عباده وسيط ولا شريك وان من هداية البشر أن لهم عقولا يفقهون بها لو أنهم اتخذوها وحدها سبيلا للهدى يقول بارتلمى سانتهلر وهو احد مفكرى الغرب (ان الاسلام أحدث رقيا عظيما فقد أطلق العقل الانسانى من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة من ذوى الاديان المختلفة فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة ، وأن محمدا بتحريمه الصور فى المساجد وكل ما يمثل الله قد خلص الفكر الانسانى من وثنية القرون الاولى واضطر العالم أن يرجع الى نفسه وأن يفكر فى الله خالقه) (٢) .

قال الله تعالى فى قرآنه العظيم هاديا ومرشدا .

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) (٣) .

محمد عزت الطهطاوى

---

١ ــ المرجع السابق .
٢ ــ كتاب النصرانية والاسلام عالمية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة لكاتب هذا المقال .
٣ ــ سورة المائدة ٧٧ .

مع الرسول صلى الله عليه وسلم

المختار من دلائل النبوة

الوصايا العشر

فضل الدعاء

رجب مضر

المختار

من دلائل النبوة للبيهقي
معجزاته - عليه الصلاة والسلام

قال رضى الله عنه من مدخل الدلائل :

... وأيد (أى المولى عز وجل) كل واحد من رسله بما دل على صدقه من الآيات والمعجزات التى باينوا بها من سواهم مع استوائهم فى عين ما أيدوا به .

ومعجزات الرسل كانت أجناسا كثيرة . وقد أخبر الله عز وجل أنه أعطى موسى عليه السلام تسع آيات : العصا . واليد . والدم . والطوفان . والجراد . والقمل . والضفادع والطمس . والبحر .

فأما العصا : فكانت حجته على الملحدين والسحرة جميعا ، وكان السحر فى ذلك الوقت

الامام البيهقى :

هو الحافظ الكبير ، الفقيه ، الأصولى ، النقاد ، الامام الكبير ، العلامة شيخ خراسان ، صاحب التصانيف ، واحد زمانه فى الحفظ وفرد أقرانه فى الاتقان والضبط أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موى البيهقى النيسابورى الخسروجردى الشافعى .

مولده :

ولد الامام البيهقى فى شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة فى قرية (خسر وجرد) بضم الخاء ، وسكون السين وفتح الراء ، وسكون الواو ، وكسر الجيم ، وسكون الراء آخر الدال المهملة من قرى بيهق (على وزن صيقل) وبيهق قرى مجتمعة فى نواحى نيسابور واليها نسبته

تعلمه وتعليمه :

فى بيهق حفظ القرآن الكريم ، وبعض أصول الفقه وفنونها ، ثم رحل - رحمه الله تعالى - الى العراق ، والحجاز ، فتعلم وعلم زمنا ، ثم عاد الى نيسابور ، يفتى ، ويعلم ، ويعظ ويصنف .

شيوخه :

سمع الحديث من نحو مائة شيخ أقدمهم أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى ، وقد تنقل فى بلاد خراسان ورحل الى العراق ، والحجاز ، والجبال ، لسماع الحديث ، تخرج فى الحديث على الحاكم محمد بن عبد الله النيسابورى صاحب المستدرك وابو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوى . وأبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن الشبران وابو عبد الله اسحاق بن محمد ابن يوسف بن يعقوب السوى . وبو الحسين على بن أحمد بن عبدان الاهوازى والقاضى أبو بكر الحسن الحيرى . وأبو أحمد عبد الله بن محمد بن الحسن المهرجانى وأبو نصر عمر بن عبد العزيز ابن عمر بن عثمان بن قنادة وغيرهم من شيوخ العلم فى خراسان ، والجبال ، والحرمين ، والكوفة والبصرة ، وبغداد . وغلب عليه الحديث واشتهر به . واخذ الفقه عن أبى الفتح ناصر بن محمد العمرى المروزى .

تقديم: أحمد حسن جابر

فاشيا ، فلما انقلبت عصاه حية تسعى وتلقفت حبال السحرة وعصيهم ـ علموا أن حركتها عن حياة حادثة فيها بالحقيقة ، وليست من جنس ما ينتحل بالحيل فجمع ذلك الدلالة على الصانع وعلى نبوته جميعا .

وأما سائر الآيات التى لم يحتج إليها مع السحرة فكانت دلالته على فرعون وقومه القائلين بالدهر فأظهر الله بها صحة ما أخبرهم به موسى من أن له ولهم ربا وخالقا .

وَأَلَانَ الحديد لـ (داود) وسخر له الجبال والطير فكانت تسبح معه بالعشى والاشراق .

وأقدر عيسى بن مريم على الكلام فى المهد فكان يتكلم كلام الحكماء . وكان يحيى له الموتى ويبرىء بدعائه أو بيده اذا مسح ـ الأكمه والأبرص . وجعل له أن يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائرا باذن الله .

ثم إنه رفعه من بين اليهود لما أرادوا قتله وصلبه ، فعصمه الله بذلك من أن يخلص ألم القتل والصلب الى بدنه . وكان الطب عاما غالبا فى زمانه ، فأظهر الله تعالى بما أجراه على يده ، وعجز الحذاق من الأطباء عما هو أقل من ذلك بدرجات كثيرة ـ أن التعويل على الطبائع وانكار ما خرج عنها باطل . وأن للعالم خالقا ومدبرا ، ودل بإظهاره ذلك له ، وبدعائه على صدقه وبالله التوفيق .

.... ●

مؤلفاته :

الف من الكتب ما لعله يبلغ قريبا من ألف جزء مما لم يسبقه اليه أحد . منها فى الحديث وعلومه السنن الكبرى فى عشرة مجلدات . السنين الوسطى . والسنن الصغرى مجلدان . والمعارف . والاداب مجلد والترغيب والترهيب ، علل الحديث . وذكر وجوه الجمع بين الأحاديث . ومنها فى الفقه والأصول . المبسوط وهو أول جمع لنصوص الامام الشافعى فى عشرة مجلدات . والجامع المصنف فى شعب الايمان ، والقراءة خلف الامام ، والبعث مجلد ، والنشور وأحكام العبادات والمعاملات . والأسماء والصفات مجلدن والزهد مجلد والدعوات . وفضائل الأوقات . والاسراء . والقدر . والايمان . والرؤية . وعذاب القبر وحياة الأنبياء فى قبورهم . وأشراط الساعة . والميزان . والحساب . والصراط . والحوض ، والشفاعة والجنة والنار . وفضائل الصحابة وغير ذلك من الكتب كمعرفة السنن والآثار أربع مجلات . ومناقب أحمد مجلد ،واحكام القرآن جمعها من نصوص الشافعى عن جزءين .

أخلاقه :

قال ابن العماد فى شذرات الذهب : قال ابن قاضى شهبة : قال عبد الغافر : كان على سيرة العلماء قانعا من الدنيا باليسير متجملا فى زهده وورعة ، وذكر غيره أنه سرد الصوم ثلاثين سنة أثنى عليه الذهبى ، وامام الحرمين بقوله : ما من أحد الا وللشافعى فى عنقه منة . الا البيهقى فان له على الشافعى منة لتصانيفه فى نصرة مذهبة وأقاويله كذلك أثنى عليه ابن خلكان . واليافعى . والقرشى فى طبقاته . وابن عساكر فى كذب المفترى .

وفاته :

توفى فى عاشر جمادى الأولى بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ونقل تابوته الى بيهق وعاش اربعا وخمسين سنة .

فأما النبى المصطفى ، والرسول المجتبى ــ المبعوث بالحق الى كافة الخلق من الجن والانس ، أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، خاتم النبيين ، ورسول رب العالمين صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ــ فانه أكثر الرسل آيات وبينات .

وذكر بعض أهل العلم أن أعلام نبوته تبلغ ألفا.فأما العلم الذى اقترن بدعوته ، ولم يزل يتزايد أيام حياته ، ودام فى أمته بعد وفاته [illegible] فهو القرآن العظيم ، المعجز البين وحبل الله المتين ، الذى هو كما وصفه به من أنزله فقال :

« **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ.لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** »

وقال :

« **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ.فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ.لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ.تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** » .

وقال :

« **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**) .

وقال :

« **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ** » .

وقال :

« **كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ.فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ .. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ** » .

وقال :

« **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** » .

فأبان ــ جل جلاله ــ أنه أنزله على وصف مباين لأوصاف كلام البشر ، لأنه منظوم وليس بمنثور ، ونظمه ليس نظم الرسائل ، ولا نظم الخطب ، ولا نظم الاشعار ، ولا هو كأسجاع الكهان . واعلم أن أحدا لا يستطيع أن يأتى بمثله . ثم أمره ان يتحداهم على الاتيان به ان ادعوا أنهم يقدرون عليه أو ظنوه فقال :

« **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** » ثم نقصهم ... فقال : **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ)**.

فكان من الأمر ما يصفه . غير أن من قبل ذلك دلالة ، وهى أن النبى ﷺ كان غير مدفوع عند الموافق والمخالف عن الحصافة والمتانة وقوة العقل والرأى .

ومن كان بهذه المنزلة ، وكان مع ذلك قد انتصب لدعوة الناس الى دينه ــ لم يجز بوجه من الوجوه أن يقول للناس : ايتوا بسورة من مثل ما جئتكم به من القرآن ولن تستطيعوه ، فان أتيتم به فأنا كاذب وهو يعلم من نفسه أن القرآن منزل عليه . ولايأمن أن يكون فى قومه من يعارضه ، وأن ذلك . ان كان ــ يبطل دعوته .

فهذا الى أن يذكر ما بعده ــ دليل قاطع على أنه لم يقل للعرب ايتوا بمثله ان

استطعتموه الا وهو واثق متحقق أنهم لا يستطيعونه ، ولا يجوز أن يكون هذا التعيين وقع له الا من قبل ربه الذى أوحى اليه به ، فوثق بخبره وبالله التوفيق .

وأما ما بعد هذا فهو : أن النبى ﷺ قال لهم : ايتونى بسورة من مثله ان كنتم صادقين . فطالت المهلة والنظرة لهم فى ذلك وتواترت الوقائع والحروب بينه وبينهم فقتلت صناديدهم ، وسبيت ذراريهم ونساؤهم وانتهبت أموالهم ، ولم يتعرض أحد لمعارضته، فلو قدروا عليها لافتدوا بها أنفسهم وأولادهم وأهاليهم وأموالهم .

ولكان الأمر فى ذلك قريبا سهلا عليهم ، اذ كانوا أهل لسان وفصاحة ، وشعر وخطابة . فلما لم يأتوا بذلك ولا ادعوه صح أنهم كانوا عاجزين عنه .

وفى ظهور عجزهم بيان أنه فى العجز مثلهم، اذ كان بشرا مثلهم لسانه لسانهم ، وعاداته عاداتهم وطباعه طباعهم ، وزمانه زمانهم ، واذا كان كذلك وقد جاء بالقرآن — وجب القطع بأنه من عند الله تعالى جده لامن عند غيره وبالله التوفيق .

قلنا : ومن وقف على ما أخذه العلماء من القرآن على ايجازه من أنواع العلوم ، واستنبطوه من معانيه وكتبوه ودونوه فى كتب تزيد على ألف مجلد ـ علم أن كلام البشر لا يفيد ما أفاد القرآن وعلم أنه كلام رب العزة فهذا بين واضح لمن هدى الى صراط مستقيم .

ثم ان لنبينا ﷺ وراء القرآن من الآيات الباهرة والمعجزات الطاهرة ما لا يخفى وأكثر من أن يحصى .

فمن دلائل نبوته التى استدل بها أهل الكتاب على صحة نبوته ما وجدوا فى التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته ، وخروجه بأرض العرب ، وان كان كثير منهم حرفوها عن مواضعها .

ومن دلائل نبوته ﷺ ما حدث بين أيام مولده ومبعثه ﷺ من الامور الغريبة والاكوان العجيبة القادحة فى سلطان أئمة الكفر والموهية لكلمتهم المؤيدة لشأن العرب المقوهة بذكرهم كأمر الفيل وما أحل الله بحزبه من العقوبة والنكال .

ومنها خمود نار فارس ، وسقوط شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة (ساوة)ورؤيا (الموبذان) وغير ذلك .

ومنها ما سمعوه من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه والرموز المتضمنة لبيان شأنه ، وما وجد من الكهنة والجن فى تصديقه واشارتهم على أوليائهم من الانس بالايمان بـه .

ومنها انتكاس الأصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها عن أمكنتها تومىء — الى سائر ماروى فى الأخبار المشهورة من ظهور العجائب فى ولادته ، وأيام حضانته وبعدها — الى أن بعث نبيا وبعد ما بعث .

ثم ان له من وراء هذه الآيات المعجزات :

انشقاق القمر ، وحنين الجذع . وخروج الماء من بين أصابعه ، حتى توضأ منه ناس كثير . وتسبيح الطعام ، واجابة الشجرة اياه حين دعاها ، وتكليم الذراع المسمومة اياه ،

وشهادة الذئب والضب والرضيع ، والميت له بالرسالة ، وازدياد الطعام والماء بدعائه حتى أصاب منه ناس كثير وما كان من حَلْبِهِ الشاة التى لم ينز عليها الفحل ، ونزول اللبن لها وما كان من اخباره عن الكوائن فوجد تصديقه فى زمانه وبعده وغير ذلك مما قد ذكر ودون فى الكتب وقد ذكرناها بأسانيدها .

غير أن الله تعالى لما جمع له بين أمرين : أحدهما بعثه الى الجن والانس عامة ، والآخر : ختمه النبوة به — ظاهر له من الحجج حتى اذا شذت واحدة عن فريق بلغتهم أخرى وان لم تنجع واحدة نجعت أخرى وان درست على الايام واحدة بقيت أخرى وفيه فى كل حال الحجة البالغة وله الحمد على نظره لخلقه ورحمته لهم كما يستحقه .

وهاك بعض الآيات

باب ما جاء فى شق صدر النبى ﷺ واستخراج حظ الشيطان من قلبه.

قال الله عز وجل : (**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**) .

أخبرنا أبو سهل : محمد بن نصرويه بن أحمد المروزى قال : حدثنا أبو بكر : محمد بن أحمد بن خنب ببخارى قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن الفضل المعروف بدبيس ، قال : حدثنا عفان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك :

.أن رسول الله ﷺ ، أتاه جبريل ، عليه السلام ذات يوم وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه وأعاده فى مكانه ، وجعل الغلمان يسعون الى أمه — يعنى ظئره — فقالوا : ان محمدا قد قتل .

فجاءوا وهو مُنتَقع اللون ، فقال : أنس : فلقد كنت أرى أثر المخيط فى ثوبه .

أخرجه مسلم فى الصحيح عن شيبان عن حماد . كتاب الايمان باب الاسراء .

وأخبرنا أبو طاهر الفقيه ، قال : أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عمر بن حفص الزاهد ، قال حدثنا سهل بن عمار ، قال : حدثنا حفص ابن عبد الله ، عن ابراهيم بن طهمان ، قال : سألت سعدا عن قوله : (**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**) . قال : فحدثنى عن قتادة ، عن أنس ابن مالك : أنه قد شق بطنه — يعنى النبى ﷺ من عند صدره الى أسفل بطنه ، فاستخرج منه قلبه فغسل فى طست من ذهب ثم ملىء ايمانا وحكمة ، ثم أعيد مكانه .

حدثنا أبو عبد الله : محمد بن عبد الله ، املاء ، قال : حدثنا أبو الحسن : أحمد بن محمد العنبرى ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد الدارى قال : حدثنا حيوه بن شريح الحمصى ، قال : حدثنا بقية بن الوليد ، قال : حدثنى بجير بن سعد .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس : محمد بن يعقوب ، قال : حدثنا

العباس بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن معين، قال : حدثنا على بن معبد ، قال : حدثنا بقية عن بجير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن ابن عمر السلمى ، عن عقبة بن عبد (١) .

أنه حدثهم : أن رجلا سأل رسول الله ﷺ كيف أول شأنك يارسول الله ؟ .

قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها فى بَهْمٍ لنا ، ولم نأخذ معنا زادا فقلت : ياأخى اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، فانطلق أخى ومكثت عند البهم ، فأقبل الى طَيْرَان أبيضان ، كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم ، فأقبلا يبتدرانى فأخذانى فبطحانى للقفا ا فشقا بطنى ، ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فأخرجا منه عَلْقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ فقال : أحدهما لصاحبه : ايتنى بماء ثلج فغسلا به جوفى .

ثم قال : ايتنى بماء برد فغسلا به قلبى ، ثم قال ايتنى بالسكينه فذراها فى قلبى . ثم قال : أحدهما لصاحبه : حُصْهُ فَحَاصَهُ ، وختم عليه بخاتم النبوة .

وفى رواية حيوة : حصه يعنى خِطْهُ .

وختم عليه بخاتم النبوة ــ فقال : أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفة واجعل ألفا من أمته فى كفة . فاذا أنا أنظر الى الألف فوقى أشفق أن يجز على بعضهم . فقالا : لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا وتركانى . وفرقت فرقا شديدا . ثم انطلقت الى أمى ، فأخبرتها بالذى لقيت وأشفقت أن يكون قد التبس بى .

فقالت :أعيذك بالله ، فرحلت بعيرا لها فجعلتنى على الرحل وركبت خلفى ، حتى بلغنا أمى ، فقالت : أديت أمانتى وذمتى ، وحدثتها بالذى لقيت فلم يرعها ذلك ، وقالت : انى رأيت : خرج منى نور.أضاءت له قصور الشام (٢) .

(ثم أورد الامام البيهقى رواية أخرى تحمل نفس المضمون ، وتتسع لتشمل الرسل صلوات الله عليهم يدور حوارها بين هشام بن العاصى الأموى وصاحب له مع هرقل والله أعلم) .

---

(١) آخر من مات من الصحابة فى الشام سنة ٨٧هـ

(٢) حديث عتبة بن عبد أخرجه الدارمى فى مسنده، ١ ــ ٨ وأحمد فى مسنده ٤ ــ ١٨٤ ــ ١٨٥ والحاكم فى المستدرك ٢ ــ ٦١٦ والسيوطى فى الخصائص الكبرى ١ ــ ٦٤ ونسبه أيضا الطبرانى ، وأبو نعيم .

الوصايا العشر

عن الحارث بن الحارث الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى : أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام : بخمس كلمات : أن يعمل بها ، وأن يأمر بنى اسرائيل : أن يعملوا بها .. وانه كأنه كاد : أن يبطىء بها .. فقال له عيسى عليه السلام : ان الله أمرك بخمس كلمات : أن تعمل بها ، وتأمر بنى اسرائيل : أن يعملوا بها .. فاما أن تأمرهم بها ، واما أن آمرهم أنا بها .. فقال يحيى عليه السلام: أخشى ان سبقتنى : أن يخسف بى أو أعذب. فجمع الناس فى بيت المقدس ، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف (١) فقال :

ان الله أمرنى بخمس كلمات : أن أعمل بهن ، وأن آمركم : أن تعملوا بهن :

أولاهن :أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا ، فان مثل من أشرك بالله : كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله : بذهب أو ورق (أى فضة) وقال : هذه دارى ، وهذا عملى ، فأعمل وأد الى .. فكان يعمل ويؤدى الى غير سيده فأيكم يرضى : أن يكون عبده كذلك ؟ .

وان الله تعالى أمركم بالصلاة : فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت .

وأمركم بالصيام : فان مثل ذلك : كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك ، وكلهم يعجبه ريحها ، وان ريح الصائم : أطيب عند الله من ريح المسك .

وأمركم بالصدقة : فان مثل ذلك : كمثل رجل أسره العدو ، فأوثقوا يديه الى عنقه ، فقال : أنا أفدى نفسى منكم : بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم .

وأمركم أن تذكروا الله تعالى : فان مثل ذلك : كمثل رجل ، خرج العدو فى أثره سراعا، حتى أتى على حصن حصين ، فأحرز نفسه منهم ، وكذلك العبد : لا يحرز نفسه من الشيطان : الا بذكر الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم : وأنا آمركم بخمس . الله تعالى أمرنى بهن : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة ، فان من فارق الجماعة : قيد شبر ، فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يراجع ، ومن دعا دعوى الجاهلية : فهو فى جهنم .. فقال رجل وان صام وصلى يارسول الله ؟ قال : وان صام وصلى .. فادعوا بدعوى الله : الذى سماكم المسلمين والمؤمنين . عباد الله تعالى (٢) .

١ — جمع شرفة .

٢ — رواه الترمذى .

بقلم الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

هذا الحديث : يشتمل على الوصايا العشر: ذات الأهمية البالغة : التى يترتب على العمل بمقتضاها : سعادة الدنيا والآخرة . والتى هى جديرة حقا : بأن تنقش على صفحات القلوب بأحرف من نور .. فهى مشاعل مشرقة : تبدد الظلمات ، وتضىء للناس طريق المجد والعظمة ، وتمنحهم حياة العزة والكرامة

وهذه الوصايا الغالية : خمس منها : على لسان يحيى بن زكريا عليهما السلام . فقد أمر بتبليغها الى بنى اسرائيل ، ليأخذوا أنفسهم على العمل بها . ثم جاء الاسلام فيما بعد وأمر بها ، ودعا اليها .

وخمس أخرى : على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ أن الخمس الاول قد قرن الله عز وجل بكل واحدة منها مثالا يتلاءم معها ، وذلك لما فى ضرب الامثلة : من تأثير قوى فى النفوس ، وتقريب المعانى للأذهان بصورة واضحة جلية ، ولهذا فانى لن أتناولها بالشرح والتفصيل ، لظهورها وخشية الاطالة .

١ ـ أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا « تعبدوا الله » توحدوه وتطيعوه وتقدسوه « لا تشركوا به شيئا » أخلصوا له فى العبادة ولا تجعلوا فى الربوبية والألوهية : ندا أو شريكا ، لأن من عبد غير الله . أو أراد بعمله غير الله : فقد أشرك به ، ولا يكون مخلصا ، قال تعالى : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ » (١)

والشرك بالله : ليس الا ضربا من السفه ، وهو يوجب غضب الله وعذابه الأبدى . اذا مات عليه صاحبه ، قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ » (٢) .

٢ ـ وان الله تعالى يأمركم بالصلاة : فاذا صليتم فلا تلتفتوا .

الصلاة : عبادة بدنية ونفسية وروحية واجتماعية ، وهى دعامة الدين ، ومعراج الواصلين ، ومناجاة رب العالمين .. وهى أقدم عبادة عرفت مع الايمان . لم تخل منها شريعة من الشرائع ، لما لها من الأثر العظيم: فى القرب من الله وتقويم الأخلاق ، واصلاح المجتمع ، قال الله تعالى : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ » (٣).

٥

١ ـ البينة : ٥
٢ ـ النساء : ٤٨ .
٣ ـ العنكبوت : ٤٥ .

الوصايا العشر

والمحافظة عليها ، والخشوع فيها : من صفات المؤمنين الصادقين .. فصلاة الخاشعين تفتح لأصحابها طريق الهداية ، وتجنبهم سلوك طريق الغواية ، وتجعل لهم نورا يمشون به فى الناس ..

٣ — وآمركم بالصيام : الصوم عبادة قديمة ، أوجبه الله علينا ، كما أوجبه على الأمم قبلنا ، وان كان صيامهم مخالفا لصيامنا

قال تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » (١).

والله تعالى ما فرض الصيام : الا ليرقى بالانسانية الى درجات الكمال ، لما فى الصوم : من الفوائد الروحية والمعنوية والصحية والخلقية والاجتماعية ، وكفى بالصائمين شرفا أن ريح أفواههم حين يمسون تكون أطيب عند الله من ريح المسك.

٤ — وآمركم بالصدقة : الصدقة : اسم لجزء من المال ، يخرجه الغنى : الى اخوانه الفقراء والمساكين ، وفى سبيل المشاريع النافعة : التى تتوقف عليها سعادة الفرد والجماعة .. سواء أكانت واجبة كالزكاة المفروضة بجميع أنواعها ، أو كانت تطوعا

وبالصدقة تتطهر النفوس : من دنس البخل ورجس الشح ، ويتقارب الناس بعضهم من بعض ، وتتوثق عرى المحبة والاخاء بينهم ، فتسرى بينهم روح التعاون والتعاطف والتراحم .

٥ — وآمركم أن تذكروا الله : ذكر الله هو طب القلوب ودواؤها ، وعافية الأبدان وشفاؤها ، ونور الأبصار وضياؤها به تطمئن القلوب وتصفو النفوس من أكدار الذنوب ، قال تعالى : « **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** » (٢).

ولهذا أمر الله به وحث عليه ورغب فيه ، قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** » (٣) .

وقال جل شأنه : « **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** » (٤) .

فالغفلة عن ذكر الله: هى التى تسبب الوقوع فى الخطايا ، واستيلاء الشيطان على قلب الغافل ليزين له الفسق والفجور فيتبعه ، قال تعالى :

« **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ** » (٥) .

وقال تعالى : « **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا**

---

(١) — البقرة ١٨٣ .
(٢) — الرعد ٢٨
(٣) — الاحزاب : ٤١ ، ٤٢ .
(٤) — الاحزاب من الاية : ٣٥ .
(٥) — الزخرف : ٣٦ ، ٣٧ .

إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان جاثم على قلب العبد ، فاذا ذكر الله :خنس ، واذا غفل : وسوس له » ٢

والذكر : كما يكون بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا : يشمل كل خير ، وينتظم كل طاعة وبر من شعب الايمان ، وشعائر الاسلام .

وأما الوصايا الخمس : التى جاءت على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهى

(١) السمع (٢) والطاعة :

لاشك أن السمع والطاعة لولاة الأمر : فيهما سعادة الدنيا ، وبهما تنتظم مصالح العباد فى معاشهم ، وبهما يستعينون على أظهار شعائر دينهم وطاعة ربهم .

قال تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً » (٣) .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «دعانا النبى صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فقال ــ فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، ما لاننازع الأمر أهله ، الا أن تروا كفرا بواحا (جهارا) عندكم من الله فيه برهان » (٤) .

(٣) والجهاد : الجهاد بمعنى القتال : هو الذى حث عليه الاسلام ، لاعلاء كلمة الله ، أو لتحرير الوطن الاسلامى من المستعمر الغاصب ، أو لرد العدوان عنه ، وهو من أفضل الأعمال .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « قلت يارسول الله :أى العمل أفضل ؟ قال: ايمان بالله ، ثم جهاد فى سبيل الله » (٥) .

وهو فرض كفاية : ان قام به البعض ، سقط عن الباقين ، وان لم يقم به أحد ، أثموا جميعا بتركه .. الا أن يعلن النفير العام عند هجوم العدو ، فحينئذ يطلب من كل قادر عليه .. أما الجهاد : بمعنى مجاهدة النفس لعلاجها وتقويمها ، وكبح جماحها ، والسمو بها : فهو مطلوب .

وصدق الله حيث يقول :

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَىٰ » (٦) .

(٤) والهجرة : الهجرة هى الانتقال من دار الكفر الى دار الاسلام ، أومن دار الخوف الى دار الأمن ، وهى باقية الى يوم القيامة ، اذا توفرت أسبابها .

عن معاوية رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاتنقطع الهجرة ، حتى

٥

(١) ــ المجادلة : ١٩ .
(٢) ــ طلبت المجلة الى كتابها مرات عديدة أن يدونوا مراجع الحديث وكنا نود لو فعل الكاتب.
(٣) ــ النساء : ٥٩ .
(٤) ــ البخارى .
(٥) ــ البخارى ومسلم .
(٦) ــ النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

الوصايا العشر

تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة ، حتى تطلع الشمس من مغربها » (١) .

وثواب الهجرة فى سبيل الله : اذا كانت النية صادقة ، وكان القصد منها والدافع اليها : هو التحرر من الظلم والطغيان ، كثواب الهجرة من مكة الى المدنية .

قال تعالى :

« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » (٢) .

وقال تعالى :

« وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (٣) .

(المراغم : المذهب فى الأرض والمهرب ..)

ولا يتعارض هذا مع ما جاء فى الحديث الشريف عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » (٤) .

لأنه لا هجرة من مكة بعد أن فتحت وصارت دار اسلام ، وأمن وأمان ..

وهناك لون آخر من الهجرة : وهو هجر ما نهى الله عنه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مانهى الله عنه .

(٥) والجماعة : من المسلم به : أن الاتحاد قوة ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب ، وأن الذئب : انما يأكل من الغنم القاصية .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « يد الله مع الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة » (٥) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لاتختلفوا ، فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » فانه صلى الله عليه وسلم : يحذر فى هذا الحديث من الاختلاف ، وتفرق الكلمة ، لأن الاختلاف والتفرق : يؤديان الى الضعف والذلة ، فيتمكن العدو من الوقيعة بالمتنازعين ويحث على أخذ العظة والعبرة : من الامم السابقة : التى هلكت ، بسبب الاختلاف .**

قال الله تعالى : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » (٦) .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

---

(١) ابو داود .
(٢) الانفال : ٧٤ .
(٣) النساء : ١٠٠

(٤) الجماعة الا ابن ماجة .
(٥) لم يدون الكاتب مرجعا للحديث .
(٦) الانفال : ٤٦ .

فضل الدعاء

للشيخ محمد صابر البرديسى

عن النعمان بن بشير (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أخرجه أصحاب السنن والحاكم وقال صحيح الاسناد .

أولا ـ اللغة :

١ ـ الدعاء لغة : النداء ، وشرعا ، الابتهال الى الله بالسؤال رغبة فى الأجر .

٢ ـ الدعاء هو العبادة : معناه : هو جوهرها ولبها ، وركنها وشعيرتها .

ثانيا ـ ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ معنى الدعاء .
٢ ـ الدعاء هو العبادة .
٣ ـ الدعاء فى السراء والضراء .
٤ ـ الدعاء علاج .
٥ ـ آداب الدعاء .
٦ ـ شروط الدعاء .
٧ ـ ما يمنع من استجابة الدعاء .
٨ ـ فضل الدعاء .
٩ ـ الحكمة فى تأخير الاجابة .

« البيان »

١ ـ معنى الدعاء :

الدعاء : الابتهال الى الله بالسؤال ، والرغبة فيما عنده من الخير ، والتضرع اليه فى كشف السوء عنه ، فالمرء ضعيف أمام الأحداث فى هذه الحياة ، فلا يجد سندا لضعفه غير الدعاء .

ولقد شعر الانسان بهذا الضعف منذ نشأ ، لاسيما فى وقت الشدة ، اذا نزلت به نازلة ، أو ألمت به ملمة ، فهو فى حاجة الى من يعينه على جلب الخير له ، ودفع المكروه عنه .

ولقد كان الابتهال الى الله ، والدعاء له ، هو دأب عباد الله الصالحين من قديم ، وكان زادهم الروحى الذى يرددونه فى الغداة والعشى ، وفى العسر واليسر ، وفى السراء والضراء ، قال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) الكهف ٢٨ .

فضل الدعاء

والعصر الذى نعيشه . شاعت فيه المغريات وتنوعت . وفشت الأنانية . وانحطت المدارك . وكثر البلاء والابتلاء ولا شىء يمسح عن هذه النفوس صداها . ويزيل عنها بلاءها ، ويمحو بؤسها وشقاءها ، الا الدعاء ، والالتجاء الى الله . فهو ملجأ كل لائذ . ورجاء كل خائف . عندما تشتد الكروب . وتنقطع الأسباب ، وحينئذ يجد المسلم فى نفسه الراحة والطمأنينة ، ويجد فى دعائه التعزية والسلوى .

٢ ـ الدعاء هو العبادة :

الدعاء من مستلزمات العبادة ، اذ هو الصلة التى تربط بين الانسان وخالقه . وانما كان الدعاء هو العبادة ، لأن منزلته فيها كمنزلة الرأس من الجسد ، فهو عمادها ، ودعامتها . فالدعاء ما هو الا اتجاه الى الله بقلب سليم ، واستعانة به باخلاص ، ويقين ، لكى يدفع المكروه ، ويمنح الخير . والانسان فى حالة الدعاء باخلاص ـ يكون فى أسمى درجات الصفاء الروحى ، مؤديا لأشرف ألوان العبادة .

لذلك عنى القرآن بالدعاء وحث عليه . قال تعالى (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**) .

ففى هذه الآية ، وصف الله الدعاء ، بأنه عبادة يستحق من يستكبر عنها غضب الله .

والصلاة من الله « الرحمة . والرضوان » . ومن الملائكة « الدعاء . والتعظيم لأمره » . ومن العباد والأمة : « الدعاء والاستغفار » . عن عبد الله بن أبى أوفى . قال : (كان النبى صلى الله عليه وسلم) اذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم . فأتاه ابن أبى أوفى قال (: كان النبى صلى الله عليه وسلم) اذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم . فأتاه ابن أبى أوفى بصدقته . فقال (صلى الله عليه وسلم) (اللهم صل على آل أبى أوفى) (١) .

٣ ـ الدعاء فى السراء والضراء :

والدعاء الذى يطلبه الاسلام : يكون فى الضراء كما يكون فى السراء . فبذلك يكون أدعى للمسلم لأن يكون على الدوام متذكرا ربه مستجيبا لأوامره . محققا معنى العبودية له ، فان الانسان بطبيعته يلجأ الى ربه عند الشدة . ولكن ما ان يكشف الله ما به حتى ينسى الله ، ويغتر بقوته ، فيؤدى به الى الاعراض عن أوامر الله ، والغفلة عنه . وقد وصف الله هذه الحالات التى تنتاب كثيرا من الناس ، تنبيها للمؤمنين ، حتى لا يقعوا فى الجحود والنكران له ، قال تعالى : (**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**) (٢) .

٣ ـ الدعاء علاج نفسى ، وسمو روحى :

والدعاء علاج نفسى لكثير من أمراض النفس ، فاذا أفضى الانسان المحزون الى

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة فصلت آية ٥١ .

ربه ما يعانيه . وطلب منه ما يبتغيه ، فـانه يشعر بطمأنينة . وبنفحة روحية ، تنتشله مما هو فيه من الهم والضــيق ، وذلك لأن الايمان يقتضى الاعتقاد التام بأن الله قريب منه ، مجيب دعوته . قال تعالى . (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**) . سورة البقرة اية ١٨٦ .

هذه الآية تسكب فى قلب المؤمن الـود المؤنس . والرضى المطمئن والثقة بالله عـن يقين . يعيش معها المؤمن فى أمـل باسـم ، وقربى ندية . ورضى سعيد . وملاذ أمين .

وفى ظل هذا الأنس . وذلك القرب . يوجه الله عباده الى الاستجابة له . والايمـان به ، لعل هذا يقودهم الى الرشد . والهـداية . والصلاح .

واستجابة الله لدعاء العباد مرجـوة حين يستجيبون له . ويؤمنون به فعليهم أن يدعوه، ولا يستعجلوه .

يقول الرسول (صلى الله عليه وسـلم) « ان الله تعالى ليستحيى أن يبسـط العبـد اليه يديه ليسـأله فيهمـا خـيرا فيردهمـا خائبين) (١) .

والدعاء أيضا للسمو الروحى :

فقد شرع الاسلام الدعاء للسمو الـروحى والترفع عن شهوات الجسد الضارة ، والعروج به معارج الكمالات بجانب ما يطلبه الداعى من فضل الله ، وتيسير أموره ، وكشـف الضر عنه ، ولهـذا يعلم الله المـؤمنين كيف يدعونه بما ذكر على لسان أنبيائه والصالحين . يقـول تعـالى : (**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**) (٢) .

ويقول تعالى : (**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**) (٣) .

وبمثل هذه الدعوات ندعو بها فى فتـرات الزمن القاسية والترقى الروحى .

٤ ـ آداب الدعاء :

للدعاء شأن عظيم عند الله ، اذ الدعاء هو العروة الوثقى التى يتعلق بها العبد فى حـال تضرعه الى الله أن يحقق له مبتغاه فيكـون مستأنسا بربه مطمئنا الى معونته ورعايته .

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : (ليس شىء أكرم على الله تعالى من الدعاء) (٤) .

ومن آداب الدعاء التى ينبغى مراعاتها :

التضرع والخشوع حـال الدعـاء ، وأن يلح فيه ويكرر ، وأن يبدأ بنفسه ويصـدق الرجاء فى الاجابة بدون تعجل .

ففى التضرع يقول الله تعالى (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**) (٥) .

(١) رواه الامام أحمد والطبرانى عن سلمان (رضى الله عنه) .
(٢) سورة ابراهيم آية ٤٠ .
(٣) سورة النمل آية ١٩ .
(٤) رواه أصحاب السنن والحاكم
(٥) الاعراف آية ٥٥ .

فضل الدعاء

ومعنى خفية : أى سرا فى النفس ليبعد عن الرياء .

والشريعة تقرر : أن السر فيما لم يفترض من أعمال البر أعظم من الجهر ..

هذا . والالحاح فى الدعاء ممدوح لأنه تذلل وخضوع .

قال (صلى الله عليه وسلم) لرجل ألح فى المسألة وهو يسمع منه : (أوجب ان ختم)(١) أى ان ختم دعاءه (بآمين) وجبت له الجنة .

وكان من هديه (صلى الله عليه وسلم) أن يبدأ بنفسه ، فعن أبى ابن كعب (رضى الله عنه) قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه) (٢) .

ولقد حكى القرآن ذلك عن الأخيار من عباده ، قال تعالى : **(وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (٣) .**

وأما صدق الرجاء فى الاجابة بدون تعجل ، فذلك دليل على قوة الايمان ، وحسن الظن بالله ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال :

(ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) (٤) .

فالله « سبحانه وتعالى » لا يجيب دعاء عبد مشغول بغيره عن طاعته وعبادته .

وينبغى للداعى أن لا يستعجل الاجابة ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل . يقول قد دعوت فلم يستجب لى) (٥) .

وعلى الداعى أن يدعو بما يتفق مع تعاليم شريعة الاسلام .

٥ ــ شروط الدعاء :

ومن شروط الدعاء أن يكون الداعى طاهرا ، ظاهرا وباطنا ، يكثر من ذكر الله ، ويجدد التوبة ، مخالطا للأخيار ، محافظا على أكل الحلال .

قال (رسول الله صلى الله عليه وسلم) لسعد بن أبى وقاص « ياسعد أطب مطعمك تستجب دعوتك . ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما) (٦) .

٦ ــ ما يمنع من استجابة الدعاء :

ويمنع من استجابة الدعاء ، ما فقد شروطه ، أو كان فيه اعتداء .

البقية ص ١١٢٣

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) سورة الحشر آية ١٠ .
(٤) رواه الترمذى والحاكم .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) أخرجه الحافظ بن مردويه عن ابن عباس (رضى الله عنهما)

من نفحات السنة المباركة

رجب مضر

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم . ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان : متفق عليه .

ذكر السخاوى رحمه الله تعالى بأن رجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على أرجاب ورجاب ورجبات .

وذكر الزمخشرى فى أساس البلاغة : رجبه ورهبه بمعنى رجبا ورهبا وبه سمى رجب لأنهم كانوا يهابونه ويعظمونه .

وقيل له . رجب مضر : وان فلانا لمرجب وقد رجبته .

وتقول دخلت عليه فرحب بى ورجبنى وبارك الله لك فى الرجبين وهما رجب وشعبان .

وتقول يدك على محو خطوط الرواجب أقدر منها على محو خطوط المواجب وهى مفاصل الأصابع فشهر رجب هو أحد الأشهر الأربعة المحرمة التى ورد ذكرها فى قوله تعالى :

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » التوبة .

ووضحه رسول الله ـ صلى الله عيله وسلم ـ فى هذا الحديث وقد أضافه عليه الصلاة والسلام الى مضر وهى قبيلة عربية كانت تعظمه فى الجاهلية وهو الذى بين شهر جمادى وشهر شعبان وذلك ليخرج رجب ربيعة التى كانت تدعى بأن رجب انما هو رمضان الذى بين شعبان وشوال وفى ذلك قطع

رجب مضر

لدابر من يريد أن يغير فى دين الله تعالى وابطال لمن شدد على نفسه وادعى بأن الشهور المحرمة ثمانية وهم طوائف البسل فى الجاهلية وانما كانت الأشهر المحرمة أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد لأجل أداء مناسك الحج والعمرة •

فحرم قبل أشهر الحج شهرا وهو ذو القعدة لانهم يعقدون مناسك الحج والعمرة •

فحرم قبل أشهر الحج شهرا وهو ذو القعدة لأنهم يقعدون فيه عن القتال •

وحرم شهر ذى الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون بأداء المناسك •

وحرم بعده شهرا آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه الى أقصى بلادهم آمنين •

وحرم رجب فى وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم اليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود الى وطنه سالما آمنا :

ولقد عظم الله تبارك وتعالى هذه الأشهر الأربعة وحرم فيها القتال الا اذا اعتدى فيه على الآمنين فيجب عليهم الدفاع عن أنفسهم ولو فى الحرم والشهر الحرام •

وكذلك حرم على المسلمين الظلم على أنفسهم وغيرهم وجعله فى الأشهر الحرم أغلظ وأفحش •

قال قتادة — رضى الله عنه : ان الظلم فى الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواه وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله تعالى يعظم من أمره ما يشاء : ثم قال : ان الله تعالى اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الأرض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالى ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظيم الأمور ما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل •

وروى على بن أبى طلحة على ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : ان الله تعالى اختص من الأشهر أربعة أشهر فجعلهن حراما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم • والعمل الصالح والأجر أعظم •

وقال محمد بن اسحاق : فلا تظلموا فيهن أنفسكم « أى لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك •

وذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى تغليظ دية من قتل خطأ فى الأشهر الحرم فقال تكون عليه الدية وثلث الدية • كذلك تغلظ الدية فى الجراح فى الشهر الحرام والبيت الحرام وذوى الرحم •

ولقد كان لهذه الأشهر الأربعة عند العرب فى الجاهلية مكانة عظمى فلا يرتكبون فيها جرما ولا يشنون فيها حربا ولا يئدون فيها بنتا ولا يثأرون من قاتل فلو وجد الواحدة منهم قاتل ابيه أو أخيه فأنه لا يتعرض له بسوء •

وقد روى أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه قال : لو وجدت فيه أى فى الحرم قاتل الخطاب ما مسسته • وذلك تقديس منهم

لشريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام التى كانوا يسيرون عليهاويثبتون ما جاءت به حتى زين لهم الشيطان فيما بعد أعمالهم فغيروا وبدلوا فيها حسب أهوائهم ومخترعات شياطينهم •

ولقد كان هذا الشهر المبارك يوصف بالأصم وبالأصب :

أما الاصم فلعدم سماع صليل السيوف فيه وأما الأصب فلنزول الرحمة فيه وزيادة البركة ووجود الأمان والسكينة بين القوم •

لما روى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أنه قال : « من أحيا أول ليلة من رجب لم يمت قلبه اذا ماتت القلوب وصب الله الخير من فوق رأسه صبا وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه المولى تاج العارفين فى لب الألباب بسند ضعيف :

وأخرج أبو محمد الخلال فى فضائل رجب عن ابن عباس — رضى الله عنهما — أنه قال « صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثانى كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم كفارة شهر » رواه فى الجامع الصغير للسيوطى •

وروى عن أنس بن مالك — رضى الله عنه قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « وان فى الجنة نهرا يقال له رجب أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر » : رواه البيهقى فى شعب الايمان •

وروى أبو قلابة — رضى الله عنه — قال : فى الجنة قصر لصوام رجب » قال البيهقى ان أبا قلابة — رضى الله عنه من كبار التابعين ولا يقول مثله الا عن بلاغ عمن فوقه ممن يسمع عن النبى — صلى الله عليه وسلم •

ولم يرد فى صيام رجب كله حديث صحيح ولم يصح فيه شىء عن النبى — صلى الله عليه وسلم — ولا عن أصحابه وانما ورد فضل الصيام فى الاشهر الحرم •

فقد روى أبو داود عن محببتة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم انطلق فأتاه بعد سنة • وقد تغيرت حاله وهيئته • فقال يارسول الله أما تعرفتى ؟

قال : « ومن أنت » ؟ •

قال : أنا الباهلى الذى جئتك عام الأول •

قال : فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟ » •

قال : ما أكلت طعاما منذ فارقتك بليل •

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « عذبت نفسك » • ثم قال : « صم شهر الصبر ويوما من كل شهر » • قال زدنى فأن بى قوة •

قال : « صم يومين » : قال : زدنى •

قال : « صم ثلاثة أيام » قال : زدنى قال « صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك » •

وقال بأصابعه الثلاثة قضمها ثم أرسلها »

ولقد روى ابن ماجة فى سننه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « نهى عن صيام رجب » : أى كله •

ولقد كره ابن عباس — رضى الله عنهما — أن يصام رجب كله وكذلك كرهه الامام أحمد

رجب مضر

رحمه الله تعالى وقال : يفطر منه يوما أو يومين » .

وحكى ذلك عن عمر وابن عباس رضى الله عنهم .

وقد قال الماوردى تزول كراهة صيام رجب اذا صام معه شعبان وعلى كل حال فأفضل الصيام ما ورد فى السنة من صيام ثلاثة أيام من كل شهر أو صيام داود عليه السلام فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما :

وأما الصلاة فيه التى تسمى الرغائب وغيرها فلم يثبت فيها ما يختص به .

وقد قال الامام الكمال بن الهمام — رحمه الله تعالى — : ما تردد من العبادات بين الواجب والبدعة يؤتى به احتياطيا وما تردد بين السنة والبدعة يترك لأن ترك البدعة لازم وأداء السنة غير لازم .

وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب « المنار ». أحاديث صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب كلها كذب مختلق على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كحديث من صلى بعد المغرب أول ليلة من رجب عشرين ركعة جاز على الصراط بلا حساب « وحديث » من صام يوما من رجب وصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة مائة مرة آية الكرسى وفى الثانية مائة مرة « قل هو الله أحد » لم يمت حتى مقعده من الجنة .

والأفضل للمسلم أن يواظب على صلاة السنن فى رجب وغيره لما روى عن عائشة وأم حبيبة وأبى هريرة وابن عمر — رضى الله عنهم قالوا : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « من ثابر على ثننى عشرة ركعة فى اليوم والليلة بنى الله له بيتا فى الجنة .

وركعتين قبل الفجر . وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها . وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء » .

وأما الذبح فيه فقد كان العرب فى الجاهلية يذبحون فى العشر الأول منه ذبيحة تسمى بالعتيرة واستمر الحال على هذا حتى جاء الاسلام وكانوا يذبحونها للأصنام ويتخذون هذه الايام عيدا لهم .

ومن هنا اختلف علماء المسلمين فى هذه الذبيحة التى تذبح فى شهر رجب .

فقال بعض الأئمة ان العتيرة منسوخة وباطلة لما روى فى الصحيحين عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أنه قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : لا فرع ولا عتيرة » والفرع أول النتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم والعتيرة فى رجب زاد ابن رافع فى روايته فى مسلم والفرع أول النتاج كان ينتج لهم فيذبحونه قال النووى الفرع بفاء وراء مفتوحتين ثم عين مهملة . والعتيرة ذبيحة كانوا يذبحونها فى العشر الأول من رجب ويسمونها الرجبية .

ولما رواه أبو حنيفة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : قال — صلى الله عليه

وسلم — على أهل كل بيت فى كل عام أضحاة وعتيرة « فالأضحاة ما يذبح أيام النحر والعتيرة كانت تذبح للأصنام فى رجب فنسخت وبقيت الأضحية .

وقال الامام احمد — رحمه الله تعالى :
« لا فرع ولا عتيرة فى الاسلام » .

وقالوا المراد بالنفى فى حديث : لا فرع ولا عتيرة » النهى عن فعل ذلك كما ورد فى رواية النسائى والاسماعيلى : نهى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن الفرع والعتيرة » .

ولكن الشافعى وبعض الفقهاء — رضى الله عنهم قالوا : ان الفرع والعتيرة مستحبة اذا كانت لله تعالى والمراد بالنفى فى الحديث نفى الوجوب ، ونفى ما كانوا يذبحونه لأصنامهم أو أنهما ليسا كالأضحية فى الاستحباب أو فى ثواب اراقة الدم ، وأما تفرقة اللحم على المساكين فبر وبركة : واستدلوا بأن رجلا نادى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال انا كنا نعتر عتيرة فى الجاهلية فى رجب .

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « اذبحوا لله فى أى شهر كان وبروا لله وأطعموا » .

قال انا كنا نفرع فرعا فى الجاهلية فما تأمرنا فقال فى كل سائمة فرع تغدوه ما شيتك حتى اذا استعمل ذبحته فتصدقت بلحمه : رواه ابو داود وزاد البيقهى باسناده الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالفرعة فى كل خمسين واحدة .

فمن هنا اذا كان الذبح لله تعالى جاز كما يدل له حديث أبى داود وكذلك رواية النسائى .

سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « عن الفرع قال الفرع حق وأن تتركه حتى يكون بنت مخاض أو ابن لبون فيحمل عليه فى سبيل الله أو تعطيه أرملة خير من أن تذبحه يلصق لحمه بوبره » .

هذا بخلاف العقيرة بالقاف بعد العين .

فقد روى أبو داود عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لاعقر فى الاسلام » :

قال الخطابى كان أهل الجاهلية يعقرون الابل على قبر « الرجل الجواد يقولون نجازيه على فعله لأنه كان يعقرها فى حياته فيطعمها الأضياف فنحن نعقرها عند قبره لتأكلها السباع والطير فيكون مطعما بعد مماته كما كان يطعم فى حياته : قال الشاعر :

عقرت على قبر النجاشى ناقتى
بأبيض عضب أخلصته صياقله
على قبر من لو أننى مت قبله
لهانت عليه عند قبرى رواحله

فهذا العقر لا يزال موجودا فى بعض البلاد لاسلامية التى هانت عليها تعاليم الاسلام فانهم يعقرون ذلك تباهيا وتفاخرا ويشبه الذبح لغير الله تعالى .

● رجب مضر

ومن هنا كرهها العلماء وكرهوا أكلها لأنه لم يرد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين انه فعل ذلك .

وأما العقيقة فهى : ما يذبح للمولود بعد ولادته : عن الذكر شاتان وعن الانثى شاة فعن ابن عامر الضبيى ـ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى » رواه البخارى .

وعن أم كرز الكعبية ـ رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة :

قال ابو داود سمعت أحمد يقول : مكافئتان أى مستويتان أو متقاربتان » .

وروى سمرة ـ رضى الله عنه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويدمى » .

فكان قتادة اذا سئل عن الدم كيف يصنع به قال اذا ذبحت العقيقة أخذت منها صدقة واستقبلت به أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل على رأسه مثل الخيط ثم يغسل رأسه بعد ويحلق » رواه أبو داود .

وأما ما يقوم به المسلمون فى شهر رجب من الاحتفال فيه بليلة الاسراء والمعراج بناء على أنه حدث ذلك فى شهر رجب عند كثير من العلماء وعليه العمل الآن فى أكثر البلاد الاسلامية : فذلك عمل لا بأس به لأنه يذكر المسلمين باكرام الله تعالى لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفرض الصلوات الخمس التى هى عمود الدين .

وفضل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق أجمعين فى الدنيا والآخرة حيث انه لم يحدث ذلك لنبى قبله وهذا من فضل الله عليه.

وقد قال بعض المحبين .

بابن عمران شرفت سيناء
وبا دريس والمسيح السماء
ولك العرش موطن ووطاء
كيف ترقى رقيك الانبياء
ياسماء ما طاولتها سماء

فاللهم اجمع كلمة المسلمين ووفق بينهم وألف بين قلوبهم واجعلهم متمسكين بكتابك ومتبعين لسنة نبيك : آمين .

محمد محمود شعبان

مع الشريعة

الإسلام وحقوق المرأة

الانسان فى نظر العسكرية الإسلامية

اهل الفكر.. واهل الذكر

الشيخ صالح موسى شرف

مبدأ إسلامى يدعو إليه شاعر انجليزى

الإسلام وحقوق المرأة

٢

*انتهينا فى المقال السابق الى ان قضايا المرأة قد لقيت اهتماما بالغا فى الفقه الاسلامى، وان شريعة الله الخالدة ، هى التى قررت مساواة المرأة للرجل فيما يجب ان تكون عليه تلك المساواة ، حيث تقوم على التساوى فى اصل الخلقة ، مع تساويهما فى اساس المسئولية أمام الله عز وجل عن ما كلفهما به من أحكام شرعية ، اذ المرأة مسئولة امام الله عز وجل كالرجل تماما الا ما خصها الشارع به من أحكام تتواءم مع ما فطرها الله عليه من خلقة تحتاج الى اليسر ، وطبع يحتاج الى التخفيف .

وعلى هذا النحو القويم تقوم المساواة الحقة بين الرجل والمرأة ، على أسس قوية تنشد المحافظة على حقوقها ، والأخذ بيدها على طريق الحياة الفاضلة لتكون كما أرادها الله عز وجل مدرسة لتخريج جيل قوى ، ونافذة تطل على الدنيا بالنشء الفتى الذى يحمل أمانة ربه ، ويتحمل مسئولية وطنه بصدق ورجولة (١) ، كما تحول بين المرأة ودعاة السوء الذين يريدون أن يتخذوا من قضاياها مادة للمزايدة عليها ، والتغرير بها ، وتنأى بحقوقها عن أن تتخذ شعارا أجوف لعدد من خصوم الاسلام الذين يستهدفون من وراء ترديده ، التطاول على أحكام الله تعالى ، والتهجم على ما جاء فى شرعه الحكيم حقدا عليه وحسدا من عند أنفسهم . وذلك ما يريدون أن يصلوا اليه .

فدعاة الانصاف الذين يصرخون فى كل وقت باسم حقوق المرأة وقضاياها ـ لا يعنيهم أن تكون المرأة المسلمة على النحو الذى أراده لها الله عز وجل من التكريم الذى كفلته لها أحكام شرعه ، وانما يريدون أن يوقعوا بينها وبين أحكام ربها ، ليصلوا من خلالها الى مايقصدون اليه من هجوم على أحكام الشريعة الاسلامية الغراء ، بعد أن يدمروا كيان المرأة المسلمة وينالوا من ايمانها .

ومثلهم فى ترديد تلك الشعارات الطنانة لها، كمثل من يقدم السم فى الدسم ، وصدق الله العظيم اذ يقول فى أمثال هؤلاء الذين يستهدفون بالقول المعسول أهدافا خبيثة : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ

---

(١) راجع : مقالنا بمجلة الأزهر ــ عدد جمادى الآخر ١٤٠٥ هـ ــ ص ٨٨١ وما بعدها .

للدكتور عبد الله مبروك النجار
المدرس بكلية الشريعة والقانون

عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ • وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (١) » •

فليت المرأة المسلمة تتنبه الى خطورة مايراد بها • وتعلم أن الخير كل الخير لها فى اتباع أحكام الله والالتزام بما جاء فى شرعه الحنيف •

وعلى أساس مساواة المرأة للرجل فى أصل الخلقة والمسئولية ، أثبت الاسلام لها حقوقا كثيرة ، بخلت عليها بها كثير من تشريعات البشر •

فالمرأة فى الاسلام كامل الحقوق المدنية ولها الحق فى اختيار شريك حياتها ، ولها حق التعليم الى اعلى درجاته ، بشرط ان تكون محتشمة فى ملبسها ومسلكها فلا تتعمد الاثارة، ولا تنشد الفتن ، كما أن لها حق المشاركة فى الحياة العامة •

وقد رأينا أن للمرأة فى الاسلام رأيا تبديه وتجادل فيه ، وتدافع عنه ، وتشير به (٢) •

ومن ثم فالتشريع الاسلامى لاينال من حقوق المرأة ، ولايقف فى سبيل النهوض بها ، وانما يكفل لها الحياة الكريمة ، والجو المناسب لتؤدى دورها فى الحياة على أكمل وجه ، بما لايدع مجالا لتقول على الله بالنزعة والهوى •

** كما أن الاسلام لم يقصد أن ينال من المرأة حين جعلها على النصف من الرجل فى الميراث والشهادة ، حيث بنى الحكم فى هذين الأمرين على أساس آخر لايمس انسانية المرأة ولا يحط من شأنها ، فالحكم فى الميراث قد جاء على هذا النحو الحكيم ليتواءم مع مقدار ما أوجبه على كل منهما من التزامات ، وفى هذا الصدد نجد أن الرجل مطالب بكل شىء وهى غير مطالبة بأى شىء حيث أوجب الله نفقتها على الرجل زوجة أم بنتا أم أختا أم أما ، فالحكم فى الميراث قد جاء على مقتضى تلك الحكمة الملموسة •

أما بالنسبة لشهادة المرأة فأمرها يقوم على التخفيف عليها فى أمر قد لايتيسر لها ممارسته، فالمرأة قليلة الممارسة لأمور التعامل والخروج الى ساحات المحاكم لمباشرة شئون التقاضى ، فناسب أمرها أن تكون معها امرأة أخرى تذكرها فى تلك الأمور التى لم تتعود ممارستها •

ومن شأن الانسان فى أمثالها كثرة النسيان ، فناسب المقام وجود امرأة أخرى معها تذكرها اذا نسيت ، رحمة بها وتخفيفا عليها دون النيل منها أو المساس بآدميتها كما يزعم خصوم الاسلام •

** على أن مزاعم هؤلاء الذين يتربصون

◄

١) سورة البقرة — الآيتان ٢٠٤ ، ٢٠٥

(٢) مقالنا السابق — ص ٨٨٨ وما بعدها .

الإسلام وحقوق المرأة

بالمرأة المسلمة للتغرير بها . وتقويض كيانها . لم يقف عند حد هذا الفهم الملتوى لأحكام الاسلام فى هاتين المسألتين . وأمرهما ظاهر الوضوح كما رأينا فى عدم المساس بآدمية المرأة أو النيل من قضية المساواة بينها وبين الرجل . بل تعداه الى عدد من المسائل الاخرى التى حكم الله فيها . وبين أمرها فى حياة الاسرة المسلمة . على رأسها قضية تعدد الزوجات . التى وجد فيها هؤلاء الخصوم مجالا خصيبا لتأليب المرأة على أحكام الله . ومادة للتغرير بها وتقويض ايمانها . فراحوا يتبارون فى التطاول عليها . والتماس الحيل لاهمالها . مقررين ان اباحة الاسلام لتعدد الزوجات . ينال من حق المرأة فى حياة مستقرة . ويطعن مشاعرها فى الصميم . كما يؤثر على استقرار الاسرة . وكان الامر على هذا النحو يتطلب بيانا .

حقوق المرأة وتعدد الزوجات :

❋ وقد حظيت قضية تعدد الزوجات باهتمام واضح من خصوم الاسلام . وكانت ولاتزال عندهم محلا لجدل كبير اختلط فيه صياحهم بعواطف النساء وأصوات المتظاهرين بمناصرتها . حيث التقت كلمتهم جميعا على فكرة واحدة . تستهدف النيل من التشريع الذى يقرر هذا الحكم . وتعتبره عائقا فى سبيل تقدم المرأة . وأداة لهضم حقوقها . واهدار آدميتها .

ويرون أنه لا يتناسب مع ماتقرر لها من حقوق . كما أنه ينتقص من مكانتها لصالح الرجل وعلى حساب عزتها وكرامتها . اذ هو كما يزعم واحد منهم : « نظام بدائى يتبع حال المرأة رقيا وانحطاطا » (١) . وهو عندهم شر كله . لا خير فيه . وهو ليس الا علامة على فساد الأخلاق . واختلاف الحواس وشره فى طلب اللذائذ (٢) .

❋ ذلك هو محور فكرتهم حول تعدد الزوجات . وقد جاء نقدهم له على هذا النحو — كما يبدو لأول وهلة — وليد التسرع والهوى الذى يحمل الانسان على رفض أمر دون أن يدرك كل جوانبه . ودون أن يلم بجوانب الخير فيه . ومقترنا بالنزعة العاطفية التى تقوض بنيان التفكير العلمى السليم .

وتلك سمة فى التفكير عند بعض الناس . لاتنشد الوصول الى الحقيقة أو ادراك جانب الحق . فذلك لا يعنى أصحابها . وانما جل همهم أن يحدثوا صيحة. تستلفت الأنظار . وتثير العواطف . وتكسب الود . وقد يكون اثارة جانب الشفقة عند النساء مقبولا فى جوانب أخرى من أمور الحياة . بل قد يكون مرغوبا فيه ومأمورا به . كشفقتها على زوجها وأولادها . حيث ينمى ملكاتهم الوجدانية ويكمل عندهم ملامح الشخصية . ومن ثم تؤدى المرأة من خلال تلك العاطفة النبيلة رسالة مقدسة فى الحياة . لكن استدرار العاطفة لدى المرأة حين يراد به ان يتخذ أساسا لتشريع يقوم عليه فى مسألة خطيرة تتعلق بأمر الاسرة وقد حكم الله فيه لا يكون

(١) قاسم أمين — تحرير المرأة — ص ١٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٣٣ .

أمرا مقبولا .

فليس من المصلحة للأمة لا عقلا ولا شرعا أن يجيء تقنين يتضمن تنظيما لمسألة تتعلق بأعراض الناس على اختلاف الزمان والمكان ، وليد العاطفة ، ومتأثرا بتلك الأفكار المنفعلة لأن العواطف لاتصلح أساسا تقام عليه القوانين وانما ينبغي أن يقوم القانون على أساس من الفهم الصحيح والادراك الواعي لأحكام الله لأنها أبدية خالدة تنطق بالحق ، وترشد الى الخير في كل زمان ومكان .

❋❋ وقد يكون ما يزعمه خصوم الاسلام من أن موضوع تعدد الزوجات ينال من كرامة المرأة ويمس حقوقها . مقبولا على غير الاسلام، من الأفكار الوضعية التي تبارت في الهجوم عليها ، وتحطيم كيانها ورميها بما يعافه الحس السليم ، ووصفها بأنها رجس أو من عمل الشيطان . وجعلها سلعة تباع كما يباع العروض ويشترى (١) . أقول قد يكون مثل هذا الزعم مقبولا على أصحاب تلك الفلسفات التي جعل المرأة كالرقيق ، والنظر الى ما حصلت عليه منهم بشق الأنفس على أنه منتهى الغاية بالنسبة لها ، بما يستتبع الاشادة بما وصلت اليه منه ، كل ذلك قد يكون مقبول السماع على غير الاسلام .

اما الاسلام الذي كرم المرأة واحترم حقوقها منذ أشرق نوره على العالمين ، فلا يقبل عليه هذا الزعم ، لأن ما قرره للمرأة من حقوق لم تصل الى مثله في أي تشريع غيره لاقبله ولابعده والاسلام الذي قرر للمرأة كل تلك الحقوق ، وأخذ بيدها على طريق الحياة الفاضلة ، وصانها من التبذل وقرر لها المساواة مع الرجل، وكفل لها الرقي والرفعة في الحياة ، هو هو الذي قرر تعدد الزوجات بشروطه . ليكون لونا من ألوان التكريم للمرأة ، وحمايتها من التبذل والضياع ، ووسيلة لتصحيح مسيرتها في الحياة مع الرجل ، على أساس من العفة والطهر والمشروعية .

تقدير المصلحة مرتبط بالنص :

❋❋ والذين يجادلون في الحق بعدما تبين لايريدون أن يسلموا لحكم الله في تلك القضية، لأنهم يناقشون الأمور من زاوية الهوى، لا من جانب الحيدة والموضوعية ، ويأخذونها من ناحية العقل المتأثر بالعاطفة ، لا من منطلق الايمان بالله ، وقد غاب عن ذهنهم أن عمل العقل اذا جاء على غير مقتضى الايمان يكون قد جانب الصواب .

فالايمان حكم على العقل ، ومهمة العقل السليم أن يفهم عن الله . لا أن يشرع عليه فاذا ما وجد نص عن الله في المسألة فمن الواجب على الانسان أن يحترم هذا النص وأن يمتثل لما جاء به من حكم . لأن المصلحة الحقيقية مرتبطة بشرع الله . حتى ولو غاب وجهها عن العقل .

وذلك المعنى الواضح هو المستفاد من العبارة المشهورة : حيثما تكون المصلحة فثم شرع الله فهي تدل على أن حكم الله اذا وجد يكون

◄

(١) راجع : في وضع المرأة في الشريعة اليهودية والهندية البرهمية ، وعند الرومان ، وفي العصر الجاهلي — الدكتور علي عبد الواحد وافي — المرأة في الاسلام — ص ١٥ ، وما بعدها — الطبعة الثانية .

وجوده دليلا على وجود المصلحة لأن أحكام الله تستهدف مصالح الناس وابعاد الضرر عنهم ، وليس معناه كما يفهم البعض ممن يريدون أن يطوعوا أحكام الله للنزعة والهوى ، أن يتجه العقل المجرد الى تقرير مصلحة قد لا تكون مشروعة ويزعم أن حكم الله لابد أن يكون موافقا لها ، ذلك خلل فى الفهم ، ولوضح مثلا لضاعت أحكام الشريعة أمام التقدير العقلى الخاطىء للانسان فى كثير من المواطن ، وصدق الله العظيم القائل :

« وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (١) .

فالمعيار الصحيح للحكم على أمر ما بأنه مصلحة مرهون بحكم الله ، لا بما يقرره الانسان لنفسه ، لأن ادراكه قاصر ، وعلمه محدود ، ومن ثم يكون التصور الصحيح فى حدود ملكات العقل وقدرات العبد أمرا صعبا فى كثير من الأحوال ، وهنا يأتى دور الايمان بالله فى امتثال ما جاء عنه ، ليعوض عند الانسان هذا القصور .

** كان من الممكن أن يفهم الذين لم يستطيعوا أن يقنعوا أنفسهم بوجوه الخير فى تعدد الزوجات هذا المعنى ، لكن الامر عندهم غير ذلك ، فهم امام حكم يريدون التحايل عليه ، وقضية لا ترى عقولهم فيها الأكل أنواع الشرور بالمرأة ، ولو أنصف هؤلاء الذين يوحون اليها بتلك المعانى ، لأمروها بتقبل حكم الله والنظر اليه من زاوية الايمان ، وحينئذ ستجد فيه الخير كل الخير لها وللناس أجمعين .

وجه المصلحة فى تعدد الزوجات :

** شرع الله تعدد الزوجات وجعله رخصة يلج اليها من تلجئه الضرورة أو تدفعه الحاجة ويلوذ بها من تضيق به حياة الزوجية الواحدة ، ويقدم عليها من يجد نفسه مضطرا لارتكاب أخف الضررين ، ومع ذلك قد يكون سياجا يحمى الأسرة من التصدع والانهيار وصيانة للزوجة من الحرمان والضياع كما أن فيه عونا على حفظ توازن المجتمعات واضطراد العمران وتقدم الحضارات .

لذا كان هذا التشريع خير دليل على واقعية التشريع الاسلامى ، ومدى مسايرته لطبيعة الانسان البشرية ولا ريب فهو تنزيل ممن خلق الانسان ، وعلم منشأ فطرته وأسرار تكوينه ، فعمل على ما يصلح ذاته ويقيم مجتمعه ، فهو لم يحرم تعدد الزوجات باطلاق ، ولم يدع الرجال على ما كانوا عليه من الاسراف فيه ، وفى ظلم النساء ، بل قيده بالعدد الذى قد تقتضيه مصلحة النسل وحالة الاجتماع ، ومد استعداد الرجال له مع اشتراط القدرة على الانفاق عليهن ، واستطاعة العدل بينهن (٢) .

** وتستند المشروعية فى تلك الرخصة الى قول الله تعالى : « **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ**

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٦ .

(٢) دكتور أحمد على طه ريان ، تعدد الزوجات ص ٧ ، ٨ — دار الاعتصام .

وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » (١) . وقد جاء متصلا بتلك الآية قول الله تعالى : « وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢) » .

ويتضح من هذا القول الكريم أن الحق سبحانه وتعالى قد أباح التعدد ، وهو فى شرعه ذلك بل وفى شرع أصل الزواج لم يكن مبتكرا لشىء غير معروف من قبل ، وهذا شأنه فى كثير من المعاملات والارتباطات البشرية التى تقضى بها طبيعة الاجتماع ، وانما كان مقررا ما تقتضيه الطبيعة من ذلك معدلا فيها بما يرى من جهات التهذيب التى تكفل للطبيعة الوقوف فى الحد الوسط وتقيها شر الانحراف والميل ، وتحفظ للاجتماع خير مقتضيات هذه الطبيعة (٣) .

التعدد موجود فى غير الاسلام :

** فقد عرفه اليونانيون الاثينيون . وكانو يبيحونه بغير حساب كما عرفه الرومان الى ان حظره (جوستنيان) فى قوانينه ، كما أن التعدد كان معروفا بين العامة والخاصة من المسيحيين ولم يرد فى أناجيلهم المتداولة ما يمنعه (٤) ، كما لم يرد بأقوال المسيح عليه السلام أشارة مريحة الى مبدأ وحدة الزوجة أو مبدأ منع تعدد الزوجات (٥) . وانما الذين قالوا بتحريمه بعض آباء الكنسية . وكان سبب تحريمهم له لا يرجع الى احترام المرأة ورعاية حقوقها ، وانما تقرر منع التعدد تشجيعا على البتولية (عدم الزواج) وتفضيلها على الزواج، وجاءت الرهبانية للاعلاء من شأنها والانتفاع بها فى خدمة الدين (٦) ، يشير الى ذلك الأنبا شنوده بقوله : « أما البتولية فى المسيحية فقد وطد دعائمها السيد المسيح ذاته ، الذى كان بتولا ، وولد من أم بتول،وعمده وبشر به مهيئا الطريق أمامه نبى بتول هو يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) . وعهد بأمه الى رسول بتول هو يوحنا الحبيب » (٧) .

وقد تكلم عن هذه البتولية بولس الرسول فى رسالته الاولى الى أهل كورنثوس ، حيث قال «حسن للرجل أن لا يمس امرأة » . « أريد أن يكون جميع الناس كما أنا » أريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب ، وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى امرأته ، من زوج فحسنا يفعل ، ومن لا يزوج يفعل أحسن (٨) .

---

(١) سورة النساء آية ٣ .
(٢) سورة النساء آية ١٢٩ .
(٣) الاسلام عقيدة وشريعة — للامام محمود شلتوت — ص ١٩٨ .
(٤) دكتور أحمد ريان — المرجع السابق ص ٨ .
(٥) راجع : حلمى بطرس — أحكام الاحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين — طبعة ١٩٥٧ ص ٩٩ .
(٦) دكتور عبد الناصر العطار — تعددالزوجات من النواحى الدينية والاجتماعية والقانونية — ص ١٠٨ وما بعدها — مجمع البحوث الاسلامية مارس ١٩٧٢ .
(٧) الانبا شنودة — شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية ص ١٠٤ ، ١٠٥ طبعة ١٩٦٧ م .
(٨) راجع : كتاب العهد الجديد — ص ٣٥٩ — الفقرتان ١ ، ٧ ، ص ٣٦٢ ، الفقرتان ٣٢ ، ٣٧ — نشر جمعيات الكتاب المقدس .

دوافع نقد المبشرين لنظام التعدد :

** ومن خلال النصوص التى وردت فى رسالة بولس الرسول نجد الدعوة واضحة الى تفضيل حياة البتولية والبعد عن الزواج أصلا ، فهل يعقل أن ديانة تقول : «حسن للرجل أن لا يمس امرأة » ثم يدعو بعد ذلك الى تعدد الزوجات ذلك اذن — هو اساس التحريم عندهم ، الدعوة الى البتولية ، والروح التى تصاحبها هى التى تدعو الى الابتعاد عن المرأة فلا يسمح بالزواج من امرأة الا لضرورة ويحرم تعدد الزوجات من باب أولى •

** وقد أدت هذه النظرة الى الزواج عندهم الى أمرين :

أولهما : النظر الى المرأة على أنها شخص يصرف الانسان عن العبادة ، ومن ثم وهى كذلك يجب البعد عنها ، ومن هنا نظر معظم آباء الكنيسة الى تعدد الزوجات على أنه نظام لامبرر له سوى اشباع الشهوة والانغماس فى اللذة فحرموه فتحريم تعدد الزوجات عند بعض آباء الكنيسة لم يكن لرعاية المرأة والاهتمام بها وحفظ كيانها وكرامتها كما نسمع ، وانما كان للاعراض عنها واهمالها •

والانشغال بالعبادة عن الاهتمام بها ، فهل ترضى النساء هذه النظرة ، وما هو ذنبهن فى أن يبتعد الرجال عنهن ؟ وأين يذهبن اذا حدث ذلك؟ثم أين ذلك من نظرة الاسلام الى الزواج ورعاية المرأة والصبر عليها ، **على أنه عبادة** تقترن بالحكم الشرعى ؟

ثم ان تعدد الزوجات لم يشرع **لاشباع** الشهوة ، لأن الشهوة يمكن **أن يقضيها الرجل** باشباع كامل من زوجة واحدة (١) **وانما شرع** التعددلأمور أخرى هىأسمى **من ذلك التصور** وتتعلق بكرامة المرأة وحفظ **حقوقها وصيانة** حياتها من الانزلاق **فى هاوية التردى** •

ثانيهما :أدت النظرة الى البتولية **على النحو** السالف الذكر ، الى كراهية الزواج **الثانى ،حتى** بزوجة واحدة ، فمن اضطرته **الظروف الى** الزواج للمرة الثانية ، أو الثالثة ، **وبزوجة** واحدة فهو من أهل الغواية ، **حتى ولو كان** الزواج للمرة الثانية بسبب وفاة **زوجته الاولى•** فاذا تزوج الرجل للمرأة الثالثة **وماتت عنه ، أو** افترق عنها بتطليق ، حرم عليه **أن يقرب النساء** وزواجه للمرة الرابعة ولو بزوجة **واحدة لايعتبر** زواجا وانما يعتبر زنا عندهم ، **وأولاده من** الرابعة لايعتبرون بنينا له ، وانما **يعتبرون أبناء** زنا ، ولاتزال كنيسة **الروم الارثوذكس تحرم** الى اليوم الزوجة الرابعة بالمادة **الثالثة فقرة ب** وسار على هذا المنوال **القانون اللبنانى ،** والقانون اليونانى ، **فلا يجوز عند اللبنانيين ،** وعند اليونانيين الزواج للمرة **الرابعة ، حتى** ولو كان بزوجة واحدة (٢) •

يقول الأنبا شنوده : « **أن من يتزوج ثانية** بعد وفاة زوجته الاولى ، **تفرض عليه عقوبة** البعد عن الكنيسة ، وعن **تناول الأسرار المقدسة** مدة من الزمن تتراوح بين **سنة وخمس سنوات**

---

(١) دكتور عبد الناصر العطار — المرجع السابق — ص ١١٠ •

(٢) المواد : ٣١ ، ٣٥ لبنانى ، ١٣٥٥ يونانى •

ولايحضر القس وليمة زواجه ، ولايدخل فى شرف الكهنوت » •

** ويستشهد على ذلك بنصوص كثيرة لاباء الكنيسه وقوانين المجامع الكنسية (١) •

** واذا كانت الزيجة الثانية بالمرأة الواحدة مكروهة هكذا عند كهنة المسيحيين ، والزيجة الثالثة علامة الغواية ، والرابعة زنا ، ولو كانت بزوجة واحدة ، فأولى بهذه الكراهة تعدد الزوجات ، ومن ثم اعتبروه زنا •

** ومن الانصاف أن نذكر أن بعض كهنة المسيحيين رفضوا هذا التفكير فمنهم من أباح للرجل أن يتزوج بزوجة واحدة ولو كان ذلك للمرة الرابعة أو الخامسة ، وعلل ذلك بأنه لايوجد فى الانجيل ما يمنع من الزوجة الرابعة وما فوق ، اذا أن فيه من لايطيق العزوبية فليتزوج أولى من التحرق بالشهوة (٢) ، كما أن بعضهم أباح للرجل تعدد الزوجات أفضل يقينا من الطلاق ، مستشهدا على ذلك بممارسة بعض الانبياء له (٣) •

ويقول « وسترمارك » أن الانجيل لم يحرم صراحة تعدد الزوجات الا فى حالة القس أو الأسقف ، ولم يعارض تعدد الزوجات أى مجلس كنسى فى القرون الأولى ولم يقم أى حائل فى طريق ممارسته •

وقد تكلم لوثر فى عدة مناسبات عن تعدد الزوجات فى تسامح ، ولم يحرم الله هذا الزواج ، وقد دعت بعض المذاهب المسيحية الى تعدد الزوجات بحماس شديد وفى عام ١٥٣١ دعا القسس فى مونستر صراحة بأن من يريد أن يكون مسيحيا حقيقيا فعليه أن يتزوج من عدة زوجات (٤) •

** ومن المؤكد أن كل تلك الآراء ، قد أدت بالكهنة وآباء الكنيسة المعارضين لهذا النظام الى اتخاذ موقف ، الامر الذى أدى الى تحريم تعدد الزوجات على المسيحيين (٥) •

** ومما تجدر الاشارة اليه ، أن شريعة اليهود الربانيين تجيز تعدد الزوجات بشروط منها القدرة على الانفاق ، والقدرة على العدل بين الزوجات ، ووجود مبرر للتعدد ، وقد نصت المادة ٥٥ على ذلك (٤) • كما كان التعدد معروفا عند العرب قبل الاسلام دون قيد فى العدد والمعاملة •

** وقد أشارت كتب السنة الى ذلك ، فقد أخرج ابن ماجة فى سننه ، عن قيس بن الحارث • قال : « أسلمت وعندى ثمان نسوة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت ذلك له فقال : اخترمنهن أربعا » (٧) •

كما أخرج ابن ماجة أيضا حديث ابن عمر

---

(١) الانبا شنودة — المرجع السابق — ص ٩١ وما بعدها •

(٢) العهد الجديد — ص ٣٥٩ فقرة ٨ •

(٣) دكتور شفيق شحاته — أحكام الاحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين — ج ٧ ص ١٦ فقرة ٧٢٩ طبعة ١٩٦٢م ، مشار اليه فى تعدد الزوجات للدكتور عبد الناصر العطار ص ١١٣ •

(٤) وسترمارك — قصة الزواج — ترجمة عبد المنعم الزيادى ص ٢٥٣ وما بعدها •

(٥) دكتور عبد الناصر العطار — المرجع السابق ص ١١٥ •

(٦) حاى بن شمعون — الاحكام الشرعية فى الاحوال الشخصية — المادة ٥٥ •

(٧) سنن ابن ماجة — باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع •

رضى الله عنهما قال : « أسلم غيلان بن سلمة وتحته عشر نسوة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : خذ منهن أربعا (١) • فعلم من ذلك أن التعدد كان معروفا فى الامم السابقة قبل الاسلام الا أنه كان بلا ضابط يعصم حقوق المرأة من الضياع ، وبلا قيد يحد مما قد يحدثه فى حياتها من آلام ، ومن ثم جاء الاسلام ليرشد مسيرته فى حياة الاسرة ليثمر أطيب الثمار على المرأة وعلى الأسرة ، وعلى المجتمع ككل ، وذلك كما يبدو من خلال النظر فى مبرراته •

مبررات تعدد الزوجات :

ومن المؤكد أن تعدد الزوجات يقوم على مبررات قوية وأسباب مقنعة ، تبرر وجوده وتجعل أمر مشروعيته يتواءم مع الحكمةوالمنطق ويتفق مع المصلحة ، الا أن المرأة ومن ورائها خصوم الاسلام ومن ينهجون مسلكهم — وللأسف — من بعض المسلمين لا يريدون أن يفتحوا قلوبهم له ، فهم لايطيقونه ، ولا يحبون الكلام فيه الا هجوما عليه ، وهذه المبررات تتوزع آثرها على الصالح الخاص للزوجين ، الرجل والمرأة معا ، والصالح العام للمجتمع ككل ، مع ملاحظة أن حفظ المجتمع من الضياع والأخذ بيده على طرق الحياة الفاضلة المستقيمة ، تقع المسئولية فيه على عاتق المرأة والرجل معا ، لأنهما كما رأينا شركاء أمام الله فى المسئولية ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولا يتفق وواجبات تلك المسئولية أن تتبرم المرأة على نظام يحفظ المجتمع من شرور العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة ، حتى ولو كان ذلك الرجل زوجها ، لأن البدء حين يستشرى فانه يعم ، والنار حين تنتشر فانها لاتبقى ولا تذر ، كما لا يجوز أن تتذرع المرأة مع البعض بأنتعدد الزوجاتمباح يجوز تقييده بناء على القاعدة الفقهية التى تجيز لولى الامر أن يقيد المباح عند المصلحة ، لأن التقييد سيؤدى الى مضار تتنافى معها •

كما أن التعدد حين توجد مبرراته ، ولا يجد الرجل بدا منه بأن كان سيقع فى الحرام ان لم يعدد مع قدرته على العدالة معه ، فانه يكون والحالة على هذا النحو واجبا ، بناء على قاعدة أحرى تقرر أن ما لا يتأتى الواجب الا به يكون واجبا ، ولاشك أن البعد عن الحرام واجب ، فيأخذ ما يؤدى اليه حكمه ، ولايتعارض ذلك مع اعتبار التعدد مباحا بحسب الأصل كما قرر الفقهاء كما لا يقال بعد وجود مبرراته ان الرجل ينبغى أن يتحمل عدم الاقدام عليه ، وأولى به أن يمسك نفسه عن ابرامه ، لما فى ذلك من مشقة على النفس مع وجود الاباحة ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » (٢) •

والقائل : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ**

---

(١) المرجع السابق ، وراجع : سبل السلام للصنعانى — ج ٣ — ص ١٣٢ — الطبعة الرابعة •

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ •

المُعْتَدِينَ (١) ، ويبقى بعد ذلك بيان تلك المبررات وهى تتعلق بظروف عام للمجتمع ، وظروف خاصة بالفرد ، والخبر فى كلتا الحالتين يعود بالدرجة الاولى على المرأة ، بما يرد على الطاعنين عليه قولهم ، ويظهر حكمة التشريع التى تتوخى كرامة المرأة من خلاله •

أولا : الظروف العامة التى تبرر التعدد :

لم تأت أحكام التشريع الاسلامى خاصة بزمان معين ولا بقوم معينين ، وانما جاءت للناس أجمعين وفى كل زمان ، والصالح العام يحتم أن تكون كل أمرأة فى عصمة رجل يرعاها ويملأ حياتها بالدفء والسعادة ، ويشبع عندها غريزة الأمومة والعطاء ، لتتقدم من خلال وجودها عملا نافعا للمجتمع ، وجيلا قويا مؤمنا يعتز بدينه ويؤمن بانتمائه لوطنه •

وتلك هى الصورة التى ينبغى أن تكون عليها حياة الرجل مع المرأة ، اجتماع يملؤه الحب ويثمر بالعطاء والخير وينأى بكل من المرأة والرجل والمجتمع عن الشرور ، التى تنجم من جراء الاختلاط المريب والتسيب القاتل بين الرجال والنساء ، على أن ظروف الحياة وتغير الأزمان واختلاف طبيعة الرجل عن المرأة ، كل ذلك قد يحول دون ذلك الاجتماع المنفرد بينهما ويجعل وجود التعدد أمرا لازما لصيانة المجتمع من التفكك والضياع ، فمن المقرر فى بحوث الديموجرافيا أو علم الاحصاء ، ان ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم أكثر تعرضا للوفاة من الاناث فى أثناء الولادة ، وفى الطفولة الاولى فى جميع شعوب الانسانية ، ويترتب على ذلك أن عدد من يبقى على قيد الحياة من الذكور يقل عن عدد الاناث بصورة ملموسة تكشف عنها الاحصاءات (٢) . أضف الى ذلك تلك القسوة التى يتعرض لها الرجل من الطبيعة . بحكم قوامته على المرأة والذود عنها فى الحروب والغارات ، ومباشرة الاعمال المختلفة بين الحديد والنار وفى ظروف قد لاتؤمن فيها السلامة من الموت والهلاك . كل ذلك من شأنه أنه يؤثر على زيادة عدد الاناث عن الذكور فى مصر ومختلف بلاد العالم (٣) •

ولاشك أن الحقائق سالفة الذكر تظهر بوضوح مدى فداحة ، مشكلة « بطالة الحياة الجنسية » عند كثير من النساء الناتجة عن زيادة العانسات والأرامل والمطلقات ولاشك أيضا أن هذا العدد الضخم من النساء غير المتزوجات وهن فى سن الزواج . يعشن حياة القلق والضيق معظم الوقت . وليس من مصلحتهن ، ولا من مقتضى الكرامة التى أثبتها

---

(١) سورة المائدة آية ٨٧ .

(٢) دكتور على عبد الواحد وافى — المرجع السابق — ص ١٢٦ وما بعدها ، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى — المرأة كما أرادها الله ، ص ٥٢ ، ٥٣ — مكتبة القرآن .

(٣) فى احصاء نشر بجريدة الاهرام فى عددها الصادر فى ١٦ — ١١ — ١٩٦٥ م . أن عدد النساء فى الاتحاد السوفيتى يزيد على عدد الرجال بنحو عشرين مليون نسمة ، كما يزيد عددهن فى الولايات المتحدة عن عدد الرجال بمليونى نسمة وفى ألمانيا الغربية بثلاثة ملايين نسمة ، وفى مصر أشار الكتاب السنوى للاحصاء — طبعة ديسمبر ١٩٦١ م عن تعداد ١٩٦٠ م الى أن هناك تكاثرا أنثويا فى كثير من محافظات الجمهورية ، يزيد عن عدد الذكور ، منها مثلا : كفر الشيخ ٧ آلاف أنثى ، بنى سويف ١٥ ألف وأسوان ٧ آلاف زيادة عن عدد الرجال .

الاسلام لهن ، بل ولا من مصلحة المجتمع أن ينحرف هذا القدر من النساء فى زمن كثرت فيه الفتــن •

ومن الظلم لهن أيضا أن يمكثن بقية عمرهن على هذا النحو دون رجل يرعاهن ويملأ حياتهن بهجة وسرورا ، حتى ولو كان هذا الرجل متزوجا بأخرى ، وانها لأنانية من الزوجة الاولى أن تحقد على نظام يعطى أختا لها حــق الحيــاة الشريفة الطاهرة مع رجل حتى ولو كان زوجها نعم قد يكون من العسير على نفس المرأة أن تحتمل ضرة تشاركها زوجها وتأخذ منها نصف اهتمامه ، وهنا يتعارض أمران ، ضرر الزوجة الأولى من الزواج عليها ، وهو ضرر يسير يرجع الى غيرة المرأة وأثرتها وخوفها من المستقبل ، يقابله مصلحة كبرى لامرأة فى الاقتران برجل، وتفويت تلك المصلحة عليها يؤدى الى ضرر أكبر وشرور أكثر ، حين نعمل على حرمان تــلك العلاقة الوليدة من حياة الشرف والفضيلة فى ظلال المشروعية التى أحلها الله •

فضرر الزوجة الأولى يسير فى مقابلة تــلك المصالح المتعددة لامرأة ثانية وللمجتمع ككل ، واهمالها يؤدى الى تفويت تلك المصالح ، فوجب أن يعول عليه ، تأسيسا على القاعدة الفقهيــة التى تقرر أنه اذا تعارض ضرران روعى أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما (١) ، مع توازن حــق الزوجتين معا فى اطار العدل الذى أمر الله به وجعله شرطا للتعدد ، مما يضمن احترام حــق الزوجة الاولى وعدم الاضرار بها •

ثانيا : بالنسبة للظروف الخاصة :

** وهى تتمثل فيما يطرأ أحيانا عــلى حياة الزوجية من أمور تجعل التعدد ضرورة لازمة ، فقد تكون الزوجة عقيما عقما أصيلا ، أو قد تصاب بالعقم بعد زواجها ، فلا تحقق فى كلتا الحالتين أهم غرض من أغراض الزواج ، وقد تصبح على أثر اصابتها بمرض جسمى أو عصبى أو بعاهة غير صالحة للحياة الزوجية فى أخص شئونها ،ففىهذه الأحوالوأحوال أخرى كثيرة من نوعها يكون زواج الرجل بغير زوجته ضرورة لازمة لضمان الاستقرار العائلى (٢) ، وتحقيق الأغراض العمرانية من الــــزواج ، والوقاية من الوقوع فى الرذيلة •

وكثيرا مايكون بقاء الزوجة الاولى فى عصمة زوجها فى مثل هذه الأحوال أكرم لها هى نفسها وأدنى الى صيانتها من طلاقها ، فان طــلاقها يعرضها لكثير من المآزق ، ويهدد كثيرا مــــن كرامتها ومكانتها الاجتماعية ، وخاصـــة اذا لاحظنا أن مثلها لا يرغب فى الزواجبها للأسباب نفسها التى دعت زوجها للزواج عليها •

** وغنى عن البيان أن هذه الأوضــاع لاتتلاءم مطلقا مع نظام وحدة الزوجــة لأن السير على هذا النظام مع وجود الأوضـــاع التى ذكرناها يقضى فى معظم الشعوب الانسانية ان لم يكن فى جميعها على نسبة كبيرة من النساء بأن يظللن طوال حياتهن عوانس بدون زواج ، ويوقع ذوى الضرورات الخاصـــة فى العنت

(١) الاشباه والنظائر ــ لابن نجيم ص ٨٩ •

(٢) دكتور على عبد الواحــد وافى ــ نفس المرجع ــ ص ١٣٠ وما بعدها ، وفضيلة الشيخ الشعراوى ــ المرجع والمكان السابقين •

والحرج ، ويسد أمامهم السبل لحياة سليمة ولايخفى مايترتب على ذلك كله من اختلال التوازن بين الجنسين ، واضطراب الحياة الاجتماعية ، ومن العجيب أن الذين يصرخون من وقوع تلك المآسى فى بلادهم هم الذين ينتقدون مسلك الاسلام فى تعدد الزوجات وحمايته للمجتمع بهذه الرخصة الالهية

ضمانات المصلحة فى تعدد الزوجات :

** والحق سبحانه حين شرع تعدد الزوجات قيده بالعدل وجعله شرطا فيه ، ليحمى المرأة مما قد يشوب حياتها من ضجر ، ويحقق الخير المرجو من ورائه ، ولا يليق بواجب العبودية له وحسن الأدب معه ، أن يشرع لنا حكما ما قرره الا لاشتماله على كل تلك المصالح، ثم نرد على الله هذا الحكم زاعمين أن فيه ضررا يبرر اهماله ، والذين يعيبون على المرأة المسلمة خضوعها لحكم الله ، لايقصدون من وراء مسلكهم هذا غير تدمير المجتمع ، من خلال تقويض كيان المرأة بعد زلزلة الايمان فى قلبها ، فليس هناك أجدى لها من الامتثال لحكم الله ، ولتعلم أن أحكام الاسرة كغيرها من الاحكام فيها معنى التكليف ، أى الزام النفس بما فيه كلفة ومشقة ، وتوطينها على الصبر ، ليكون عمل الانسان فى الدنيا رصيدا له عند الله الذى شرع تلك الأحكام .

أما التماس الحيل لاهمال الحكم وتعطيله ، ومحاولة استغلال الشروط التى وضعها الله له ليحقق ثماره فى حياة المجتمع على أحسن الوجوه ، للعبث به فذلك أمر غير مقبول .

وقد يكون من أعجب ما استنبط من آيات مشروعية التعدد أنها تدل على أن تعدد الزوجات غير مشروع ، بحجة أن العدل قد جعل شرطا فيه بمقتضى الآية الأولى ، وأنبأت الآية الثانية أن العدل غير مستطاع ، ويكون معناهما على هذا الفهم الخاطىء ، أن التعدد مباح بشرط العدل ، والعدل غير مستطاع ، فلا اباحة للتعدد وواضح أن هذا عبث بآيات الله ، وتحريف لها عن مواضعها ، فما كان الله ليرشد الى تزوج العدد من النساء عند الخوف من ظلم اليتامى، ويضع العدل بين الزوجات شرطا فى التعدد بأسلوب يدل على استطاعته بقوله تعالى : « فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ » (١) ، ثم يعود ويلغى استطاعته والقدرة عليه (٢) ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

** **لقد أمر الله بالعدل بين الزوجات ، ونهى عن الاضرار بالزوجة الأولى وعدم اهمالها حتى يؤدى التعدد رسالة اجتماعية ، تشعر كل زوجة فى ظلالها ، بكامل كيانها والأهم من ذلك كله كامل ايمانها بالله عز وجل الذى ماشرع حكما الا وفيه عين المصلحة لخلقه ، وخصوم الاسلام لايعنيهم من المرأة المسلمة الا النيل من ايمانها ، واحداث الوقيعة بينها وبين ربها.**

ذلك هو مقصدهم ، وتلك هى أهدافهم ، من خلال ما يصرخون به من الفهم الملتوى لأحكام التشريع فى النساء ، على نحو ما رأينا فى تعدد الزوجات ، وعلى نحو ما سنرى فيما يزعمونه حول مشروعية الطلاق فى الاسلام .

وذلك فى مقالنا القادم بأذن الله ، والله الموفق . والمستعان ..

د.عبد الله مبروك النجار

---

(١) سورة النساء آية ١٢٩ .

(٢) الاسلام عقيدة وشريعة ص ٢٠١ .

صورة "فوتوغرافية" للرسالة التى أرسل بها السيد الأب اليزيو كاميروتا إلى فضيلة الإمام الأكبر

« دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.
وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وأنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين »

فضيلة الشيخ [illegible] الأزهر [illegible]

١٨ ربيع أول ١٤٠٥ هـ
١١/١٢/١٩٨٤

إلى فضيلة الشيخ الأول الجليل الوقور
الجامع الأزهر ـ القاهرة.

تحية عاطرة وأما بعد فأنا الموقّع إمضاؤه أدناه أتقدم إليكم بوطيد الثقة لما أنتم عليه من علم واسع وفضل مشكور لكي تتفضلوا بنوركم على بعض المسائل الشائكة تنبثق من قراءة القرآن وأنا أقابله بما سبقه من كتب مقدسة. لأني إني لا أزال أقرأ القرآن كما أقرأ التوراة والإنجيل وأخذه الكتب في مكتبتي الخاصة جنبا إلى جنب كما لا أشك في أنكم أنتم أيضا تتصفحون تلك الكتب.

والآن أليس الله واحدا أحدا؟ أجل إنه واحد. فإذا كان الله واحدا فالحق أيضا واحد... إذا كان الله واحدا فالحق أيضا واحد. إذا تكلم الله في الماضي ثم تكلم فيما بعد فلا يمكن أن يناقض الله نفسه بأن يتكلم فيما بعد بخلاف ما تكلم به في الماضي.

أما تكلم الله في التوراة وثبّت كلامه بالمعجزات والبينات؟ أما تكلم الله في الإنجيل وأثبت المسيح تعاليمه بالمعجزات الباهرة والوحدانية التي هي أسطع من نور الشمس؟ علّم موسى والأنبياء قديما التوحيد في الله ثم طوّر المسيح ذلك الوحي بأن يكشف لنا التثليث في التوحيد. ثم أتى القرآن وعاد إلى فكرة التوحيد فحسب... هل الله نقض نفسه أم هل البشر ناقضوا الله؟ هل يمكن أن يناقض الله نفسه؟ إذا وقع اختلاف في إحدى الحقائق فهذا الاختلاف عائد إلى البشر لا إلى الله.

إن الله قد زوّدنا بنورين: نور الوحي أي الإيمان ونور العقل أي المنطق السليم. وهاتان القوتان هما من مصدر واحد ألا وهو الله الذي لا يَغُش ولا يُغَش... فلا يمكن أن يكون تناقض بين الوحي الحقيقي والعقل السليم الذي به يميّز خالقنا.

فإذا ما وقع شك في أمر من الأمور الدينية فعلينا أن نستعمل عقلنا لكي نرى ما هو موضع الضعف في التاريخ.
هل كل دين من الأديان القائمة هو من الله؟ إن هذا القول غير ممكن ما دام هناك الاختلاف العظيم قائما حتى في الأمور الجوهرية. فما هو إذن الدين الحق المؤسس من يد الخالق عز وجل؟

يقول لنا العقل: هل من برهان على أن هذا دين هو الدين الحق؟ هل مؤسس هذا الدين كان سليم العقل والجسم؟ هل أيّده الله بالمعجزات الباهرة والنبوات الصادقة؟ وهل تمت في حينه تلك النبوات؟ إن التوراة والأناجيل حافلة بالمعجزات والنبوات إثباتا للوحي من لدن الله... هل هناك معجزات ونبوات تمت في غير التوراة والإنجيل؟ هل يمكن أن أقول: قد تراءى لي الله وقال لي كذا وكذا... قد تراءى لي ملاك وعلمني كذا وكذا؟ «هات البرهان فأؤمن» يقول لي العقل بكل صواب...

وبعد هذه المقدمة اللازمة الضرورية للتمييز بين الحق والباطل بين دين ودين، علينا أن نعالج موضوعاً آخر في جانب عظيم من الأهمية، ذلك الموضوع الذي بدونه يظهر الله وكأنه على تناقض.

عندما نأتي بكلمة «إنسان» تدل على الإنسانية بكمالها. مثلاً: «الإنسان ناطق، الإنسان جسم وروح، أنا إنسان، أنت إنسان، هو إنسان». يدل الإنسان هنا على الطبيعة الإنسانية الواحدة فينا، والطبيعة البشرية مع كونها واحدة لدى الجميع تشمل اليوم أكثر من أربعة مليارات شخص!

وهكذا، منعاً عن كل التباس، يجب أن نفهم أن القول «إله» لا يدل على شخص من الأشخاص ولكن على طبيعة معينة.. نعم إله واحد عبارة عن طبيعة إلهية واحدة. ومن يدرينا هل كان في تلك الطبيعة الإلهية الواحدة شخص واحد أي أقنوم واحد، أم اثنان أو أكثر؟ هو الوحي الذي يدرينا، لا العقل البشري إذ فاقت هذه الأسرار إدراك العقل.

وبهذا القول لسنا في مسألة الاشتراك... نعم إننا لا نشرك في الطبيعة الإلهية من كان غير الله.. إذن ما من تناقض في تعليم المسيح الذي علمنا في كل صفحة من الإنجيل تقريباً أن هناك ثلاثة أشخاص هم الآب الذي أرسله والابن الذي أرسل والروح القدس الذي سيرسله الابن عند عودته إلى الآب. نعم ما من تناقض بين العقل والوحي بهذا التمييز اللازم الضروري.

علينا في كل أمر أن نميز ونفرق كل شيء في الفلسفة والدين وهما من أهم الأمور طراً. فإذا ميزنا بين الطبيعة الإلهية الواحدة والأقانيم الثلاثة، فهناك لا إشراك أبداً لأن الآب إله والابن إله والروح القدس إله من طبيعة الحال. ولما كان القرآن لا يميز بين هذه الأمور فلا بد له من أن ينكر حقائق الدين المسيحي الأساسية الجوهرية، لا بد له من أن ينكر ألوهة المسيح وموته الحقيقي...

إن كلمة الآب أي الابن عندما تأنس في أحشاء مريم البتول نازلاً من السماء، مع بقائه إلهاً أصبح أيضاً إنساناً أي حمل في شخصه طبيعتين، الإلهية والإنسانية. فمن من حيث هو إله كان يجري المعجزات، أكبرها القيامة من القبر بقوته الذاتية لا بإذنه تعالى. ومن حيث هو إنسان تعرض للضعف مثلنا، تألم في حياته ومات على الصليب فداء للبشر إنه ما شُبِّه أصلاً، لأنه لو لم يتألم ومات لما كان فدى الجنس البشري من الخطيئة، لما كان فتح باب الجنة ثانية لجميع الصالحين.. نعم إن القرآن يذكر مراراً وبالإكرام التوراة والإنجيل ومع ذلك ينقض مبادئهما الجوهرية. هل الله نقض نفسه أم هل الإنسان حرف الكتب؟ إن في القرآن [illegible] النار الأبدية لكل من يحرف الكتب؟ فهل يجوز لي أن أفكر أن المسلم سيكون في النار مخلداً؟ كلا ثم كلا!! [illegible] فكيف أنكر القرآن لو كان ينكر [illegible] ما هو مسلّم به من ذي قبل أي في الأناجيل؟

تلك هي المسائل الشائكة التي أعرضها على فضيلتكم عسى أن يكون حلها للاختلاف الواقع في التاريخ، ونحن جميعاً إخوة في الله وإليه مرجعون... وفيما أنتظر جواباً شافياً من لدنكم، أتشرف بأن أرفع إلى فضيلتكم أطيب التمنيات القلبية، وتفضلوا بقبول مزيد الشكر مقدماً ووافر الاحترام.

الراعي لكم بطول العمر والتوفيق

الإسكندرية في ٥/١٢/١٩٨٤

الأستاذ الأب إليزيو كاميروتا D. Eliseo Camerota

D. Eliseo Camerota

أهل الفكر .. وأهل الذكر

جميل أن ينافس أهل الفكر أهل الذكر في التحصيل والسعي وراء المعرفة ، طالما كانت تلك المعرفة من الينابيع الاصيلة ، والمصادر الوثيقة ، وطالما كان لأهل الفكر دين يعصمهم، وعقيدة تحصنهم من الافتتان بكل ما يقرأون، وطالما كانت قناعتهم بما يقرأون لا تتعارض مع نص ، ولا تتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ولا تتباين مع روح الشرع وجوهره .

ولئن كان ذلك جميلا ، ويستحق التقدير والتشجيع ، فانه مما يملأالقلب أسى ، أن يطالعنا بعض من أهل الفكر بين الحين والحين بما لا يصلح الا أن يسمى « فرقعات » .. اما من بنات أفكارهم ، أو هي ترديد لنغمات غيرهم .

وكان آخر هذه الفرقعات أو من بينها مقالين للكاتب حسين أحمد أمين عن موضوع « الحجاب » والكاتب يعمل بالسلك الدبلوماسي وابن للمرحوم أحمد أمين ، الذى قدم للمكتبة الاسلامية :« فجر الاسلام » « وضحى الاسلام » ، « وظهر الاسلام ». وبحكم نسبه ، وبحكم عمله ، يجب ألا يستهان بما يكتبه ، وليس من المصلحة التغاضي عن مغالطاته .

ولقد انبرى للرد عليه وتفنيد أقاويله وادعاءاته علماء أجلاء ، وآخرون من ذوى الغيرة على دينهم ، فكان ردهم مفحما ، وتفنيدهم ملجما ، لذلك فانى لن أتناول كل المغالطات التى ملأت هذين المقالين ، وسأكتفى فقط بالتركيز على بعض منها :

ففى مقاله الأول : ـ اعتبر الكاتب فرض الحجاب أحد الانظمة المرتبطة بمفاهيم طارئة على المجتمع ، أو مستحدثة بعد ظهور النظام القبلى والطبقية فى المجتمع ، وأنه فى بداية أمره كان سمة مميزة لنساء الطبقة العليا ، ثم زاحمتهن فيه نساء الطبقتين الأدنى ، تشبها بهن ، ولما تخلى عنه نساء الطبقة العليا فى قرننا مجاراة وتأثرا بالحضارة الغربية ، لم يتبعهن نساء الطبقتين الأدنى حماية للذات ، ومحاربة للغزو الغربى الاقتصادى ، ومن هنا كان الربط « المصطنع » ـ كما هو مفهوم من كلامه بين الحجاب والدين ، وهو اذ يعتبر الحجاب نظاما اقتضته ظروف المجتمع ، ولادخل للمشرع فيه ، نراه فى الوقت ذاته يسوق نصوصا حرفية وردت فى : العهد القديم ، والعهد الجديد المتداولين ، تتحدث عن « البرقع » و « النقاب » وتحث النساء عليهما ، مما يثبت مغالطته وتناقضه مع نفسه

لفضيلة الشيخ :
مهدى عبد الحميد مصطفى

فيما يدعيه .

ولئن كان الكاتب يهدف فيما يسوقه الى اثبات أن الحجاب كان معروفا وسائدا فى مجتمعات ما قبل ظهور الاسلام ، فاننا لا ننكر عليه ذلك ، بل نقول له : ان الاسلام سبقته شرائع كثيرة ، وان تلك الشرائع كحلقات متماسكة ومترابطة ،وانها دعت الى الحجاب، وما سقته من نصوص الكتاب المقدس خير شاهد على ذلك .

والاسلام يعلن فى وضوح ، أن شرع من قبلنا شرع لنا الا اذا وجد فى شرعنا مايخالفه وان من الخطأ الشائع مرادفة المرأة المحجبة للمرأة المسلمة فقط مع أن الحجاب كان معروفا بين العبرانيين من عهد ابراهيم — عليه السلام — وظل معروفا بينهم أيام أنبيائهم جميعا الى ما بعد ظهور المسيحية ، وجاء الاسلام — كدين خاتم ظاهر على الدين كله ، ومهيمن بكتابه على الكتب السابقة — موجبا للحجاب المانع من الغواية ، والحائل دون التبرج والفضول .

كما حاول الكاتب فى بعض من غمزاته وشطحاته ، أن يقلل من شأن الحديث النبوى، ويشير اليه بعبارة « الاحاديث المنسوبة الى النبى » وكأنه غير مقتنع بها ، ولا معترف بأن الرسول قالها ، فساقها فى اطار يدل على استخفافه بها ، وهذا نلمسه من خلال تناوله لمعانى الاحاديث التى دلت على أن صوت المرأة عورة ، وأن غالبية أهل النار من النساء. وأنه ما اجتمع رجل بامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما ، ونحو ذلك وفى هذا ما فيه من التشكيك فى الاساس الثانى للبنيان الاسلامى بعد كتاب الله وأعنى به سنة رسول الله التى قرنها الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — بالقرآن كأساس للهداية والاستقامة والالتزام بالمنهج الربانى ، وتجنب الزيغ والضلال ، وذلك فى معنى قوله : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى »

وفى المقال الثانى للكاتب : قدم لكلامه بالمعنى اللغوى لكلمة : « حجاب » حسبما وردت فى لسان العرب ، بأن معناها : الستر ، والحائل بين شيئين .. ثم استعرض الآيات التى وردت فى القرآن مشتملة على كلمة « حجاب » مستنتجا أنه لم تأت كلمه «حجاب» فى أى فيها بمعنى الحجاب المراد منه ستر الجسم ، وبنى على ذلك حكمه بأن القرآن لم يفرض الحجاب .

وليسمح لنا الكاتب أن نسأل : مادمت لديك قناعة بأن معنى الحجاب : الستر ، والحائل بين الشيئين .. أفلا ترى فى أمر الله لنبيه بأن يدعو زوجاته ، وبناته ، ونساء المؤمنين ليدنين عليهن من جلابيبهن سترا وحائلا دون التعرف والايذاء ؟؟؟

أهل الفكر .. وأهل الذكر

ثم أترى حفظ الفرج يمكن أن يتم دون الوصول الى التشهى الذى يقود الى الفاحشة ؟؟

ثم أترى حفظ الفرج يمكن أن يتم دون ستره والحيلولة دون رؤيته ؟؟؟

ثم ألا ترى فى ضرب الخمار على الجيوب سترا وحائلا دون الكشف عن مواطن الفتنة؟؟

ثم ألا ترى أن النهى عن ابداء الزينة سترا وحائلا دون الغريزة ؟؟؟

ثم ألا ترى أن النهى عن الضرب بالأرجل حتى لا تنكشف السيقان ولا تظهر الملابس الداخلية سترا وحائلا دون ابداء ما يوقظ الشهوة ؟؟؟

ان ذلك كله قد جمعته الآيات الكريمات التى أوردتها .

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (الآية ٥٩ من سورة الاحزاب) **« وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ... الى قوله سبحانه : **« وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »** الآية ٣١ من سورة النور)

وفى نفس المقال .. يحاول سيادة السفير أن يفسر قول الله فى الآيتين : ٣٢/٣٣ من سورة الاحزاب : **« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...»** بأن تلك الاوامر والنواهى خاصة بنساء النبى ، ونحن نسأل : هل التقوى وعدم التكسر فى القول ، وقول المعروف .

وعدم التبرج ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاء ، وطاعة الله ورسوله ، واجبة فقط على نساء النبى ، وبقية النساء المسلمات لا يجب عليهن ذلك ؟؟؟

وهل النهى عن التبرج غير محقق للستر المراد من المعنى اللغوى لكلمة « حجاب »؟؟؟

والكاتب حين يتجاوز تخصصه ، ويتعرض لأحاديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بما لايليق ، ويعتبر ماورد منها فى أمر الحجاب مخترعا ، فاننا نقول له : الزم غرزك باسيادة السفير ، فلست أنت الذى تستطيع أن تحكم على الحديث بالصحة أو عدمها ، أو بالقوة أو بالضعف ، أو بالحسن أو بالوضع ، أو بالقبول أو بالرفض .. فهذا باب ليس له الا أربابه المتخصصون وأعتقد أن فى هذا القدر كفاية.

والله الهادى الى سواء السبيل

مهدى عبد الحميد مصطفى

فضل الدعاء - بقية

قال تعالى : (أدعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين) (١) .

قال القرطبى : « والاعتداء فى الدعاء على وجوه » :

منها الجهد الكثير والصياح ومنها أن يدعو الانسان بأن تكون له منزلة نبى ، أو يدعو بمحال ونحو هذا من الشطط .

ومنها أن يدعو الانسان طالبا معصية أو بما يخالف الكتاب والسنة ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء) (٢) .

٧ ــ فضل الدعاء :

وللدعاء فوائد وفضائل منها :

أنه لون من ألوان الذكر ، والتقرب الى الله ، وذكر الله هو رطب النفوس ، ودواؤها ، وعافية الأبدان وشفاؤها وبه تطمئن القلوب .

(ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ــ ومنها :

ان الاكثار من الدعاء طريق الى رحمة الله ورضوانه ، فعن ابن عمر (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة) (٣) .

هذا وفضل الدعاء عظيم وكثير ، ولا يكاد يوجد مسلم لا ينطوى قلبه على شىء من الشوق الروحانى ، أو على شعوره باطن بأن هناك قوة يتجه اليها بفطرته .

ان الدعاء فرج للنفوس التى تكاد تشرف على الهلاك ، وهو يمحو الخوف ، ويهب الطمأنينة للقلوب المضطربة .

٨ ــ الحكمة فى تأخير الاجابة :

قد يدعو الانسان ، ولا يجد اجابة أو يتوهم ذلك فيكرر الدعاء ، وقد تطول المدة ولا يرى أثرا للاجابة ، فعلى المؤمن أن يعلم أن هذا من الابتلاء الذى يحتاج الى الصبر .

وما يعرض لبعض النفوس من القلق والوسواس ، وسوء الظن بالله بسبب تأخير الاجابة فهو مرض يحتاج الى علاج ، ويكون العلاج بالتوبة ومداومة الذكر وطاعة الله ، والاعتقاد بأن الله مالك ، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء ، حسب ما تقتضيه حكمته ولاوجه لسوء الظن والاعتراض .

ولا يقول المسلم : دعوت فلم يستجب لى » فقد تطلب شيئا تراه أنت فى مصلحتك ، والحكمة لا تقتضيه ، فقد يخفى وجه الحكمة عليك وقد يكون فى التأخير مصلحة ، وفى التعجيل مضرة .

قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : « دعوت فلم يستجب لى » (٤) .

وقد يكون امتناع الاجابة بسبب شبهة فى مأكلك أو مشربك أو ملبسك ، أو تكون فى وقت الدعاء غفلة فى قلبك ، وربما كان تأخير الاجابة سببا فى اطالة الدعاء ، ومناجاة الله ، والوقوف على بابه نرجو الله سبحانه أن يقبل دعاءنا ، ويوفقنا لرضائه ، ويستجيب لندائنا ، ولا يشغلنا بعطائه عن ذكره ، والله الموفق .

محمد صابر البرديسى

(١) الاعراف آية ٥٥ .
(٢) تفسير القرطبى جـ ٧ ص ٢٢٦ .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

الإنسان فى نظر العسكرية الإسلامية

« ليست العبرة بالمدفع ، ولكن بالرجال الذين وراء هذا المدفع » ..

ذلك : قول مشهور ، يعرفه رجال العسكرية فى كل مكان ، تعبيرا وتأكيدا لما يقرره العلم العسكرى الحديث ، من أن : « الانسان » هو العنصر الحاسم فى بناء الكفاءة القتالية للجيوش ، وفى قدرتها على أداء مهامها فى السلم والحرب .

والجدير بالذكر : أن الذين قرروا هذا المبدأ ، لم يصلوا اليه الا فى العصر الحديث ، وخير ما يشهد بذلك : تاريخ العلم العسكرى وفن الحرب :

فمفهوم « الانضباط العسكرى » (١) — على سبيل المثال — كان فى الماضى بعيدا كل البعد عن الاعتراف بفردية الانسان ، أو احترام ذاته ، وهو ما يعبر عنه القول المشهور لفريدريك الأكبر : « انظر الى هؤلاء الرجال ..لو اختبرتهم واحدا واحدا لوجدتهم يكرهونني ، لكنهم متى اجتمعوا فى صفوفهم ، وعلموا أن الضابط وراءهم بالسوط ، فانهم يضطربون خوفا ، ويكفى أن آمرهم حتى يلقوا بأنفسهم فى النار دون تفكير ، لأنهم يجهلون كل شىء ، حتى الغرض الذى يقاتلون من أجله » !! .

* ثم حدث تطور كبير فى مفهوم الانضباط ، يجعل للانسان قيمة وقدرا ، ويحترم ذاته ، حتى أصبح الانضباط يعرف فى « علم النفس العسكرى » اليوم بأنه :

« هو الحالة العقلية ، ومقدار التدريب اللذان يجعلان الطاعة والسلوك السليم أمور غريزية فى جميع الظروف » .

أى أن الانضباط الصحيح بهذا المفهوم

---

(١) الفعل « انضبط » لم يرد فى « اللسان » ، ولافى «القاموس المحيط» وأورده «المعجم الوسيط» ويغلب عليه أن يكون موكدا ، والمعجم الوسيط عنى بالمولد والمعرب والدخيل ... الخ على أنه أصبح مصطلحا عسكريا كما ترى .

للواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

شىء ينشأ فى عقل الانسان ، وينميه التدريب ، حتى تكون الطاعة والسلوك السليم نابعة من نفسه ، وبدوافع ذاتية ، دون أن تكون هناك قوة دافعة خارجية ، ومن أجل ذلك تطلق عليه بعض المدارس الفكرية تعبير : « الانضباط الذاتى » •

* والأمر الذى نريد أن تلفت النظر اليه ، هو : أن رجال العسكرية وعلم النفس لم يقرروا ذلك لدوافع انسانية مجردة ، بل ان تطور شكل الحرب هو الذى دفعهم اليه ! ففى الحروب القديمة كانت الجيوش تحارب فى صفوف وجماعات متراصة ومتلاصقة ، فكانت « شخصية الفرد » تذوب فى الجماعة التى تجرفه معها ، وتدفعه وتحجب نقط الضعف التى فيه ، بسبب شعوره بأن الجماعة تنظر اليه وترقب سلوكه ، واحساسه المعنوى بالطمأنينة لوجود زملائه على جنبيه ومن خلفه ، فضلا عن أن رقابة الضابط الذى يقود الجماعة رقابة محكمة ، فهو يراهم رأى العين ، ويسيطر عليهم بصوته لقربه منهم ، ولكونهم متجمعين •

* أما الحرب الحديثة التى ظهرت فيها أسلحة القتال ذات قوة النيران الهائلة ، وأسلحة « التدمير الشامل » مثل : القنابل الذرية ، فقد اضطرت الجيوش الى الانتشار على مساحة واسعة من الأرض لتقليل الخسائر فى الأرواح والمعدات ، فانفرط عقد الصفوف ، وأصبحت هناك مسافات بين الجندى وزميله ، بل ان الجندى الواحد قد يواجه وحده موقفا فى المعركة لا يخلصه منه الا تفكيره وتصرفه وحدهما ، كذلك أصبحت سيطرة القائد على جنوده أكثر صعوبة وتعقيدا عن ذى قبل ، مما يمكن معه القول ان عنصر الرقابة المباشر على الجندى فى الميدان لم يعد ميسورا •• وأهم ما يستخلص من هذه المقارنة بين : الحرب القديمة ، والحرب الحديثة من حيث طبيعة كل منهما ، وموقف المقاتل الفرد فيهما ، أنه لا قيمة للفرد الذى تعود ألا يؤدى واجبه الا اذا كان هناك رقيب عليه ، أو قوة ترغمه على أدائه ، بل ان مثل هذا الفرد يصبح وبالا على الجماعة ، اذ قد يؤدى اهماله أو تقاعسه (وهو فرد واحد) الى هزيمة القوة وهلاكها •• وهكذا لم يعد الانضباط العسكرى « فى صلب الجماعة » كما كان بالأمس ، بل أصبح فى « صلب كل فرد » ••

الاقتناع لتوليد الدافع الذاتى :

* وأدرك خبراء علم النفس العسكرى ، أن تحقيق هذا النوع من الانضباط « الذاتى » لا يتأتى الا على أساس الاقتناع الذى يولد لدى الفرد « الدوافع الذاتية » الى طاعة الأمر ، والسلوك السليم ، دون رقابة خارجية •

ثم قرر هؤلاء الخبراء ، أنه لابد من أن يعرف المقاتل « الهدف الذى يحارب من أجله » ومن أجل ذلك ظهرت : « مدرسة العقيدة » التى تنادى بأن يكون للمقاتل « عقيدة قتالية » تقدم له الاجابة عن التساؤل الذى يدور فى نفسه « لماذا أقاتل » ؟ ، وانطوت الى غير رجعة «المدرسة الجبرية » التى تقول : بأن على الجندى الطاعة العمياء ، والقتال دون أدنى تفكير أو تساؤل ، ولا تؤمن بضرورة اعداده معنويا من خلال عقيدة قتال معينة ، ولا بضرورة تفهمه للهدف الذى يقاتل من أجله • وهو ما عبر عنه أصدق تعبير قول فريدريك الأكبر الذى ذكرناه : « يكفى أن آمرهم حتى يلقوا بأنفسهم فى النار دون تفكير ، لأنهم يجهلون كل شىء ، حتى الغرض الذى يحاربون من أجله » ••

* وهكذا : يتضح كيف أن « نظرية العقيدة » التى نشأت وحلت محل « النظرية الجبرية » تؤمن بفردية المقاتل ، وتحترم شخصيته ، وتدرك حقيقة أن المقاتل المنتصر ، هو الذى يدخل المعركة مشبعا بعقيدة معينة ، ومقتنعا بالهدف الذى يقاتل من أجله •

تقدير العنصر الانسانى :

* وهكذا نرى كيف أن الاهتمام بالعنصر الانسانى وتقدير قيمة الانسان ، قد نشأ فى العصر الحديث ، وأن الذى دفع الخبراء ، والمفكرين الى هذا الاهتمام ، هو : التطور الذى طرأ على شكل الحرب وطبيعتها •• وقد نشأت نتيجة لذلك أفرع متخصصة من علم النفس : كعلم النفس الحربى ، وعصاب الحرب (أى الاضطرابات العصبية والنفسية، التى تحدث للمقاتل فى الحرب) ، كما أنشأت الدول والجيوش المتقدمة الأجهزة المختصة بكل ما يتعلق بالقوة البشرية ، من : توجيه ، واختيار ، وتدريب ، ورعاية انسانية ، واجتماعية ، وغيرها ، وأصبح هناك من الضباط من يسمون « ضباط التوجيه المعنوى » لمعاونة القائد فى القضايا المعنوية ، وغرس عقيدة القتال فى أفراد الجيش •

* ولم يقف الاهتمام بالمعنويات عند هذا الحد ، بل لقد أصبح « العامل المعنوى » يحتل مكانا هاما فى التخطيط الاستراتيجى فى الجيوش ، اذ قد يصبح هو العامل الذى يحكم صدور القرار ببدء العمليات الحربية ، أو تأجيلها ، أو التخلى عنها ، وأضاف خبراء الحرب الى « مبادىء الحرب » التى يتعلمها العسكريون فى كل مكان ، مبدأ جديدا هو : « الروح المعنوية » كما أصبح « تدمير الروح المعنوية للعدو » من أهم الأهداف الاستراتيجية التى تسعى الجيوش المتصارعة الى تحقيقها ، فنراها تخطط « للضربات » التى تستهدف تدمير المعنويات ، وتجريد الأعداء من أرادة القتال ، سواء بالعمليات القتالية أو بأساليب الحرب النفسية •

وها هو ذا المشير مونتجمرى ، يعبر عن أهمية العامل المعنوى فيقول : « ان أعظم عامل من العوامل المؤدية الى تحقيق النجاح هو : روح المقاتل ، وانه لأمر جوهرى وهام ،

أن يفهم المرء أن المعارك تكسب أولا وقبل كل شيء فى قلوب الرجال » ..

قيمة الانسان فى نظر الاسلام :

* والحق أن ما وصل اليه الفكر العسكرى فى عصرنا من تقدير لقيمة الانسان هو أمر مبدئى فى نظر الاسلام ، منذ أربعة عشر قرنا .

فالاسلام ينظر الى الانسانية عامة نظرة التكريم والاحترام ، ويضع من القواعد والأصول والأحكام ما يصون للانسان كرامته ، وحقوقه فى الحياة ، فالعدل والرحمة والمساواة فى الحقوق والواجبات ، أمور يفرضها الله لجميع الناس ، ما لم يكن منهم اعتداء وخروج عن حدود الله ، وكرامة الانسان حتى نوه الله به حيث قال : « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** » (الاسراء ٧٠) .

* وقد قرر الاسلام مبدأ الحرية والكرامة الانسانية ، وحرر شخصية المسلم من العبودية لغير الله تعالى فى كل ميدان من الميادين .

والاسلام فى جهاده لتغيير العقيدة وارساء دعائم التوحيد ، كان يتحرك من خلال اطار عام يحمى الحرية ويصونها ، قال تعالى : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** » ، وبأسلوب الاقناع والمجادلة بالتى هى أحسن كما فى قوله تعالى : « **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** » (النحل ١٢٥) .

* كذلك قرر الاسلام مبدأ الحرية فى النفس والمال والعرض ، فنفس الانسان فى الاسلام معصومة لا يجوز الاعتداء عليها ، أو النيل منها ، وكذلك مال الانسان معصوم لا يؤخذ منه شيء الا بحقه ، وكذلك عرض الانسان لا يهان ولا يخدش ، كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل المسلم على المسلم حرام..دمه وماله وعرضه » (١).

* الانضباط الذاتى فى الاسلام :

* والانضباط فى توجيهات الاسلام : « انضباط ذاتى » ، يقوم على الحرية والكرامة الانسانية ، « فالطاعة » التى هى الدعامة الأولى للانضباط ، يوضح الاسلام فلسفتها ومغزاها الاجتماعى ، فهى ليست « خضوعا للسلطة » بل هى « ضرورة اجتماعية » لصالح الجماعة : يقول الله تعالى : « **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** » وأولو الأمر هم الذين

(١) الحديث جزء من حديث أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة باب : تحريم ظلم المسلم وخذله ... الخ ج ٤ ص ١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤ طبعة الحلبى من رواية أبى هريرة . أحمد الباجور .

ائتمنهم الله على من هم فى رعايتهم ، ممن هم دونهم فى الرتبة ، ويقول جل شأنه : « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » (النساء ٦٩) .

*ويوضح الرسول عليه الصلاة والسلام ضرورة القيادة لصالح الجماعة فيقول : « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » (٢) كما يأمر بالطاعة فيقول : « اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » (٣) .

لكن الطاعة التى يريدها الاسلام ليست « عمياء » بل هى الطاعة الواعية البصيرة : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (٤) .

* واذا كان المفكرون قد اختاروا اصطلاح « الانضباط الذاتى » لكى يعبر عن الدوافع الذاتية للطاعة ، والسلوك الصحيح ، بغير حاجة الى رقيب ، فان الاسلام عنى بتكوين « الضمير الدينى » للمسلم ، بحيث يندفع الى أداء واجبه على أكمل وجه ، بقوة ذاتية نابعة من داخله ..

فالضمير الدينى للمسلم هو الذى يدفعه الى أن يرعى الله فى عمله ، لأنه هو الرقيب المطلع ، ويصوره لنا الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم » فى العبادة فيقول : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وينفرد الاسلام فى هذا المجال بمزايا لا تتسامى اليها النظم الوضعية فى بناء الانضباط الذاتى ، فانه لم يجعل نتيجة الخوف أمرا سلبيا ، وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاء ايجابيا ، وثمرة أخرى فوق الخلاص من العقاب ، وهى الثواب الجزيل ، والأجر العظيم ، وذلك ما يفهم من قول الله تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » (النازعات ٤٠ ، ٤١) « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » (الرحمن ٤٦) ومثل هذا قد نراه فى حديث القرآن الكريم عن الخشية كقوله عز من قائل : « إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

(٢) الحديث أخرجه أبو داود بلفظه فى سننه فى كتاب الجهاد باب : فى القوم يسافرون يؤمرون أحدهم ج ٣ ص ٣٦ رقم ٢٦٠٩ المطبعة التجارية من رواية أبى سعيد الخدرى .
أحمد الباجور

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الاحكام ، باب : السمع والطاعة ج ٩ ص٧٨ طبعة الشعب بلفظه مع ذكر لفظ « وان استعمل » بدلا من « وان ولى » من رواية انس بن مالك .
أحمد الباجور

(٤) الحديث أخرجه الامام أحمد فى مسنده بألفاظ منها « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » « مجمع الزوائد للهيثمى كتاب الخلافة باب : « لا طاعة فى معصية » ج ٥ ص ٢٢٦ طبع دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الثالثة وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .
أحمد الباجور

رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» فجمع لهم بين المغفرة والأجر العظيم .

التدريب على الانضباط :

* ولا يكتفى الاسلام ببناء الانضباط على الأساس العقلى العميق فحسب ، بل يعنى أيضا بالتدريب العملى عليه حتى يصبح لدى الفرد عادة وسجية (وهذا ما وصل اليه علم النفس كما يتضح من تعريف الانضباط الذى ذكرناه ، والذى يجمع بين الحالة العقلية ومقدار التدريب) .. ولذلك نرى الاسلام يعنى بالتربية السلوكية فى عباداته لكى يغرس فى الفرد عادة السلوك السليم ، وينميها حتى تصبح جزءا من كيانه لا يتخلى عنها أمام أى ظرف من الظروف .

* فالصلاة لا يمنع من أدائها مرض أو دخول فى معركة ، لأنها ذكر الله ، وقد أمرنا أن نذكر الله قياما وقعودا وعلى جنوبنا ، فاذا نادى المؤذن « حى على الصلاة » لبى المسلمون دون حاجة الى من يرغمهم لأنها صارت عادة ، وفى أثناء الصلاة يتعلم المسلمون تسوية الصفوف حيث جعلت هذه التسوية من تمام الصلاة ، ويتقدم الامام صفوف المصلين ، ولا دخول فى الصلاة الا بدخوله ، ولا ركوع الا بركوعه ، ولا سجود الا بسجوده ، ولا سلام الا بسلامه ، والا بطلت صلاتهم ، ويتكرر هذا المظهر كل يوم خمس مرات ، وفى كل مرة يتأكد الشعور بالانضباط .

* كذلك فريضة الصيام تعود المسلم على الانضباط النابع من داخل ذاته وليس من خارجها ، فالصيام والامساك فى رمضان عن المشتهيات ، وضبط النفس عن متطلباتها ، والصمود أمام هذه المتطلبات بحزم وعزم واصرار ، من فجر كل يوم الى غروب شمسه ، ومن أول يوم فى رمضان الى آخر يوم فيه ، لهو نوع من التدريب على الانضباط الذاتى ، وامتحان قاس لعزيمة الانسان ، وقوة ارادته ، ومبلغ استعداده للصمود والتضحية من أجل عقيدته ، ومبادئه ، وأهدافه العليا ، وغاياته السامية .

* وفى الزكاة طاعة لله باخراج الجزء الواجب اخراجه بلا رقابة من أحد ، وبالقدر المحدد .

* وفى الحج يقف المسلمون جميعا دون مخالفة فى مكان واحد ، هو جبل عرفات ، وبدونه لا يكون حجا ، فالجميع فى وقت واحد ، وزى واحد ، وتلبية واحدة ، هى هتاف واحد . الهى رائع : «لبيك اللهم لبيك» .

العقيدة القتالية فى الاسلام :

* واذا كانت « النظرية الجبرية » فى دفع المحاربين الى القتال هى النظرية التى سادت فى الحروب قديما ، وظلت سائدة الى عهد قريب ، حتى ظهرت الأسلحة الحديثة ، فتحولت الأمم عنها الى نظرية تعتمد على غرس الدوافع الذاتية فى نفوس المحاربين ،

وتعريفهم بالهدف الذى يحاربون من أجله •

فان الاسلام قد قرر منذ أربعة عشر قرنا نظرية الدوافع التى تحرك الانسان عن ايمان واقتناع ، وليس عن جبر أو قسر ، لأن الحرية ، والاختيار ، والاقناع ، من أصول الدعوة الاسلامية ، فعقيدة « الجهاد فى سبيل الله » تتناول شخصية المجاهد ، وتكوينه النفسى ، والوجدانى ، وسلوكه الاجتماعى ، وتنمى لديه الاتجاهات النفسية الايجابية ، التى تحركه — ذاتيا — نحو الاستبسال فى القتال فى سبيل الحق واعلاء كلمة الله ••

* فالمسلم المجاهد ، يدرك بفطرته السليمة « تكريم » المولى سبحانه وتعالى له ، « باختياره » لأشرف مهمة ، وهى الجهاد فى سبيل الله ، كما فى قوله تعالى : « **وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ** » (الحج ٧٨ — اجتباكم يعنى اختاركم) وهو يدرك أيضا مغزى هذا الاختيار ، وما ينطوى عليه من التزام ، اذ أن هناك فرقا كبيرا بين أن نقول لشخص ما : « مهمتك هى كذا » •• وبين أن تقول له : « مهمتك كذا ، وأنا اخترتك لأدائها » •• فالقول الثانى ينطوى على معانى الثقة والأمل والتكريم ، وكلها من أكبر الحوافز المعنوية ، كما يترتب على الاختيار :

التزام المكلف بالعمل بأن يكون عند حسن الظن به ، وأن يثبت عمليا أنه جدير بالثقة التى وضعت فيه ، وأهل لتكريم الذى ناله ، وقادر على تحقيق الأمل المعقود عليه •

* واذا كانت الدول عند صياغتها للعقيدة القتالية لجيوشها ، تربط هذه العقيدة بأهدافها السياسية ، فهى لا تتسامى الى عقيدة الجهاد المرتبطة بالدين الحنيف ، وهذا الارتباط بالدين يميزها بالثبات والاستقرار ، لأن الدين أثبت وأدوم من السياسة ، وبالنبل والشرف والعدل فى الغاية والوسيلة ، لأن السياسة غالبا ما تخضع للأهواء ، والمطامع والمصالح •

ثم ان هذه العقيدة النابعة من الدين ، تولد أقوى الدوافع على الاطلاق ، حيث يجد فيها المجاهد الوسيلة الى الظفر بمرضاة الله ، والى دخول جنة عرضها السموات والأرض •• انظر الى كل الدول تجدها مثلا تعمل على تنمية دافع الوطنية فى نفوس أبنائها منذ نعومة أظفارهم لكى يقف الجندى مدافعا عن وطنه المهدد بالخطر ، ممتلىء النفس بالعاطفة الوطنية ، ومستعدا للتضحية بالروح فى سبيله •• لكن •• ما « الوطنية » الى جانب « اعلاء كلمة الله » ؟ •

اذا كانت النفس يزيدها حب الوطن قوة بمقدار مافى الوطن كله من قوة ، فما أكثر ما يزيدها الايمان بالوجود كله وبخالق الوجود كله من قوة ••

الشورى وصنع القرار :

*وتنطوى قاعدة الشورى فى الاسلام على تكريم للانسان ، واعلاء قيمته ، فضلا عما فيها من خير ومصلحة لجماعة المسلمين ،

فلقد أمر الله تعالى رسوله بأن يشاور أصحابه فقال : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » (آل عمران ١٥٩) .

كما ورد ذكر الشورى فى القرآن بين الصلاة والانفاق لأهميتها وخطرها كما فى قوله تعالى : « وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » (الشورى ٣٨) .

* ولم تكن الشورى وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بها — وهو الذى يتنزل عليه الوحى — الا تعليما لهذه الأمة ، واعلانا بأن فى تحقيق مبدأ الشورى من الفضل والخير ما يؤمن معه العثار ، ويحفظ الأمة من الزلل ، كما أنه شيمة العقلاء ، ومنهم الحكماء — فما ندم من استشار — وما شقى عبد بمشورة ، وما سعد باستغناء رأى » .

وقد جرت سنته عليه الصلاة والسلام على تطبيق مبدأ الشورى فى كل الأمور الحربية وغير الحربية حتى قال عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

محمد جمال الدين محفوظ

تصحيح

فى بيانات الغلاف وصفحة الوجه فى كتاب : (المختصر فى مصطلح أهل الأثر) الذى كان هدية العدد الرابع من مجلة الأزهر الصادر فى مفتتح ربيع الآخر سنة ١٤٠٥ هـ جاءت العبارة « تحقيق المختصر من مصطلح الأثر للشيخ الشنشورى » ٩٣٦م — ٩٩٨م وهذا على خلاف ما ذكر الأستاذ المحقق فى الكتاب ، والصحيح :

(المختصر فى مصطلح أهل الاثر للشيخ الشنشورى ٩٣٦ هـ — ٩٩٨هـ)
لذا لزم التنويه بالتصحيح للسادة القراء ..

من أعلام الأزهر
الشيخ صالح موسى شرف

الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية تنعى فقيد العلم والدين فضيلة المرحوم الشيخ صالح موسى شرف عضو مجمع البحوث الاسلامية

١ — ولد فى قريته بنى عدى ، مركز منفلوط ، محافظة أسيوط فى ١٨/٧/١٩٨٤ م وحفظ القرآن الكريم فى مكتب الشيخ / محمد الدردير الذى ينتسب الى العارف بالله سيدى أحمد الدردير — رضى الله عنه .

٢ — توجه الى الأزهر الشريف للدراسة فيه عام ١٣٢٧ هـ ، وقد تأثر بثلاثة من أساتذته العلماء ، وهم أصحاب الفضيلة الشيخ / عبد الحكم عطا ، والشيخ / يوسف الدجوى ، والشيخ / محمد حسنين مخلوف ، والد المفتى الأسبق لمصر .

وقد مكث فى الأزهر ثمانى سنوات ، ثم تقدم لامتحان الشهادة الأهلية التى تؤهل حاملها لدخول القسم العالى ، وكان الامتحان شفويا وتتألف لجنة الامتحان من ثلاثة من كبار العلماء ، فنجح فى الحصول عليها وكان ترتيبه الأول ، ثم واصل دراسته فى القسم العام الى أن فتح باب الامتحان فى شهادة العالمية فتقدم لها ، وكان ترتيبه الثالث من بين الناجحين .

وعين فضيلته اماما وخطيبا ومدرسا بوزارة الأوقاف التى أرسلته الى احدى قرى مركز بنى مزار بالمنيا ، وكان أول عالم يصل الى هذه القرية ، ثم نقل الى مسجد معهد أسيوط الدينى ، وكان هذا المسجد محلا للدراسة .

ولما أدخلت العلوم الحديثة الى الأزهر أعلن عن مسابقة للعلماء فى هذه العلوم ، فدخلها ونجح فيها ، وعين مدرسا فى معهد أسيوط ، وكان من تلاميذه فى هذا المعهد أصحاب الفضيلة الشيخ / محمد نايل ، والشيخ / محمد قناوى ، والشيخ / يحيى عبد العاطى .

ثم نقل فضيلته الى معهد الزقازيق ، ثم الى معهد أسيوط مراقبا للمعهد ، وفى عام ١٩٣٨ م نقل الى كلية أصول الدين بناء على طلب فضيلة الشيخ / اللبان شيخ الكلية ، وعهد اليه تدريس مادة التوحيد ، ومادة المنطق فى جميع السنوات .

« الوظائف الادارية التى تقلدها »

١ — عين وكيلا لمعهد الاسكندرية فى عهد المرحوم الشيخ / المراغى شيخ الأزهر .

وفى عام ١٩٤٥ م عين عضوا بهيئة كبار العلماء لتأليفه كتابا فى التوحيد عالج فيه

أربعة عشر موضوعاً ثار فيها الجدل بين المتكلمين .

وفى نفس العام عاد الى كلية أصول الدين للتدريس بها مرة أخرى .

ثم عين شيخا لمعهد أسيوط حتى عام ١٩٥٢ م .

ثم عاد الى كلية أصول الدين مدرسا .

٢ ـ فى عام ١٩٥٤ م عين سكرتيرا عاما للأزهر فى عهد فضيلة المرحوم الامام الأكبر الدكتور / عبد الرحمن تاج ، ثم انتدب وكيلا للأزهر .

وقد أحيل الى التقاعد عند صدور قانون تطوير الأزهر قبل بلوغه السن القانونية بشهرين .

« مؤلفاته »

١ ـ رسالة التوحيد للسنوات : الأولى ، والثالثة والرابعة ، بكلية أصول الدين .

٢ ـ رسالة المنطق لشرح القطب .

٣ ـ رسالة المنطق لشرح الخبيصى .

٤ ـ رسالتان لشرح الاقتصاد فى الاعتقاد للامام الغزالى فى التوحيد .

٥ ـ تفسير سورة البقرة الذى كان ينشر فى مجلة الهدى الاسلامى بليبيا .

٦ ـ التشابه بين آيات القرآن مع بيان السر فى التشابه .



٧ ـ اجابات عن أسئلة نشرت فى رمضان.

« من تلاميذه »

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / عوض الله حجازى عضو المجمع .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد الطيب النجار عضو المجمع .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / الحسينى عبد المجيد هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد شمس الدين ابراهيم عضو المجمع .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين عميد كلية أصول الدين .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الغزالى السقا داعية اسلامى .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الصادق عرجون عميد كلية أصول الدين

(سابقا) .

* هذا ، وقد كان فضيلته يزاول الاشتغال بالعلم الى آخر حياته : مدرسا ومشرفا ومناقشا لكثير من رسائل (الماجستير والدكتوراه) فى الأزهر وخارجه ، حتى وافاه أجله فى يوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ١٣ من يناير سنة ١٩٨٥ م . حيث ووري جسده الطاهر التراب ، وهو اليوم الذى كان يتهيأ فيه فضيلته للسفر الى دولة الكويت لحضور المؤتمر الطبى الاسلامى عن (مبدأ الانسان ونهايته) .

* وكان آخر أعمال فضيلته انشاء (مؤسسة اسلامية عظيمة) فى قريته بنى عدى بأسيوط تحمل اسمه .

*رحم الله الفقيد بما قدم للعلم ، والاسلام ، والمسلمين .

* ولقد تذاكر السادة رئيس وأعضاء مجلس مجمع البحوث الاسلامية مآثره وآثاره فى أول جلسة عقدها المجلس بعد وفاة فضيلته بتاريخ ١٠ من جمادى الاولى سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ٣١ من يناير سنة ١٩٨٥ م ، وتوالت كلمات الأعضاء الأفاضل تشيد بعلمه وخلقه وجهده فى البحث :

**** كلمة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المجمع :**

بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح الجلسة ولعلنا نذكر زميلنا المرحوم فضيلة الشيخ / صالح شرف فى مناسبة انعقاد أول جلسة بعد وفاة فضيلته ، نذكره بالخير دائما بما قدم للعلم فى حياته الحافلة بخدمة العلم والدين .

*** كلمة الأستاذ الدكتور / محمد مهدى علام :**

كما تفضل فضيلة الامام الأكبر فذكره عالما من أعظم علماء العالم الاسلامى ، ثم قال : أرجو أن أسجل أن هذا الأستاذ العظيم كان منارة من منارات الاسلام ، وعالما من أعلام الأزهر عاصر أجيالا متلاحقة ، وعاصر العراقة وساهم فيها ، عاصر الخضرمة وتخضرم فيها ، عاصر الحداثة والتجديد وأسهم فيه ، شىء عظيم ، وقد مد الله فى عمره كما مد فى قامته ، وكان مثالا وقدوة فى صمته اذا صمت ، وفى حديثه اذا تحدث ، واذا جلس فى مكان أضفى عليه جلالا ووقارا، رحمه الله تعالى .

*** كلمة الأستاذ الدكتور / سليمان حزين :**

بسم الله الرحمن الرحيم :

حينما كنت فى الجامعة ــ جامعة أسيوط ، شرفت بالعمل مع شخصين ، أولهما : فضيلة الشيخ / صالح شرف ــ رحمه الله ــ فقد كان سمحا ، كل رأى حاولت أن أصل فيه الى سبيل عن طريق الاتصال بالمعاهد الأزهرية بالذات فى أسيوط كان فضيلته سندا لى .

ثانيهما : فضيلة المرحوم الشيخ / دراز ، لقد كان له جانب فى العمل السياسى الى جانب العمل الدينى ، وكان مستشارى الأول فى الدين ، لقد ذكرت فضيلة الشيخ / دراز فى هذه الايام بمناسبة ذكر فضيلة المرحوم

الشيخ / صالح شرف ـ رحمه الله ـ أسأل الله لهما الرحمة والرضوان بقدر ما قدما للاسلام .

*** كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد الطيب النجار :**

بسم الله الرحمن الرحيم :

يعز علينا جميعا أن ننعى فضيلة أستاذنا الشيخ / صالح شرف ، وهو معروف ـ والحمد لله ـ بما له من علم غزير ، وخلق كريم ، وكان أستاذنا عظيما له وزنه وقدره ، .. أل الله أن يرحم الفقيد ، وأن يسبغ عليه وافر رحماته بما قدم للعلم من أياد بيضاء .

*** كلمة السيد المستشار / عبد الحليم الجندى :**

اننى أكتفى بكلمات قليلة ، فأخونا المرحوم الشيخ / صالح شرف كان مثالا لامعا ، ورجلا صالحا ، وكان لآخر يوم من أيام حياته يعمل ، ويسبقنا الى الجلسات ، وكان يسمو على ما يراه من أخطاء صغيرة ، وقد انتفعنا به فى لجنة التعاون بين المجلس والجامعة ، وله وصية سنعمل على تنفيذها باذن الله ، وكم أرجو أن يشاع بين الناس أن ـ العالم الحقيقى هو الذى يخدم العلم بحضور الجلسات ، ويخدمه بحسن الأحدوثة ، يخدم بمجرد أن يمشى على الأرض ، وكذلك كان فضيلة الشيخ صالح شرف ـ رحمه الله ـ .

*** كلمة السيد المستشار / السيد عبد العزيز هندى :**

بسم الله الرحمن الرحيم :

رحم الله فضيلة المرحوم الشيخ / صالح شرف رحمة واسعة ، لقد كان مثالا للعالم الذى يحبب الى القلوب .

*** كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد العزيز عيسى :**

رحمة الله على أخينا المرحوم الشيخ / صالح شرف ، فقد شرفت باللقاء معه فى المجمع فى لجنة شئون القرآن الكريم ، وكان أستاذا نافعا محبا للقرآن وما يتصل به ، جزاه الله عن ذلك خيرا .

*** كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور / الحسينى عبد المجيد هاشم :**

بسم الله الرحمن الرحيم :

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : رحم الله أستاذنا الفاضل فضيلة المرحوم الشيخ / صالح شرف ، لقد كان عنوانا للشرف والفضيلة ، وكان بحق عنوانا لكل عمل طيب ، فلقد بنى وأسس مجموعة من المعاهد الدينية بذل فيها جهدا مشكورا ، حتى أصبحت بناء اسلاميا شامخا .

*** كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الله المشد :**

بسم الله الرحمن الرحيم :

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فلقد كان فضيلة المرحوم الشيخ / صالح شرف عزيزا على المجمع ، بل عزيزا على الأزهر كله بمعاهده وجامعته ، وقد كان مثالا يحتذى فى العلم والخلق ، والسيرة الطيبة الحسنة ، ومن هنا كان عزيزا علينا جميعا أن ـ نتحدث فيما ينبغى أن يذكر به حاليا ومستقبلا .

تحريرا فى ٥ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٥ من فبراير سنة ١٩٨٥ م

الشيخ صالح شرف

فقد العالم الاسلامى ، وفقدت مصر ، وفقد الأزهر عالما جليلا من خيرة علمائه ، هو الشيخ صالح شرف ، أجزل الله له الأجر والمثوبة .

وذلك فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى ١٤٠٥ هـ ــ الرابع عشر من يناير ١٩٨٥ .

والشيخ صالح شرف شغل مناصب علمية كبيرة فى الأزهر قبل الثورة وبعدها .

ولد فى بنى عديات الوسطانية من أعمال مركز منفلوط بمحافظة أسيوط فى ٤ يوليو ١٨٩٤ ، وحفظ القرآن الكريم فى مكتب الدردير ، ثم التحق بالأزهر الشريف فى محرم عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٨ ، وتلقى العلوم الدينية والعربية على أفاضل العلماء .

ومن بينهم الشيخ عبد الحكم عطا ، والشيخ حسنين محمد مخلوف ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عطا المرصفى وسواهم ، ثم نال الشهادة الأهلية عام ١٣٣٥ هـ ، كما نال جوائز مالية كانت تمنحها مشيخة الأزهر للمتفوقين فى علوم التوحيد والفقه والأصول والانشاء ، ونال الشهادة العالمية عام ١٩٤١ هـ / ١٩٢٤ م ،وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من أصحاب الفضيلة الشيخ عطا المرصفى رئيسا ، والشيخ محمد السرتى والشيخ البراد والشيخ الغربيبى والشيخ المرشدى والشيخ عبد المقصود الفشنى أعضاء.

وحضر الامتحان الشيخ عبد المجيد اللبان ، والشيخ صادق عزام ، وحصل على الشهادة العالمية ، حيث كان ترتيبه الثالث من ١٤٣ متخرجا .

وعين اماما ومدرسا وخطيبا فى مسجد من مساجد مديرية المنيا ، ثم نقل الى المسجد الأموى فى أسيوط فى يناير ١٩٢٦ .

ودخل مسابقة امتحان فى التاريخ أعلنها الأزهر لاختيار مدرسين يعينون فى المعاهد الأزهرية ، فنجح فى المسابقة بتفوق ، وعين مدرسا فى معهد أسيوط الدينى عام ١٩٢٧ ، ثم نقل الى معهد الزقازيق عام ١٩٣١ ، ثم عاد الى معهد أسيوط فى العام نفسه ، وظل به حتى عام ١٩٣٨ حيث نقل الى كلية أصول الدين مدرسا وانتدب وكيلا لمعهد الاسكندرية الدينى عام ١٩٤٤ ، وبعد عامين عاد الى كلية أصول الدين .

وفى عام ١٩٤٨ عين شيخا لرواق الصعايدة .

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

وفى عام ١٩٥٠ ندب شيخا لمعهد أسيوط الدينى .

وفى عام ١٩٥١ عين عضوا فى جماعة كبار العلماء .

وفى عام ١٩٥٣ فى مشيخة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الشريف اختير سكرتيرا عاما للأزهر ، وعين عضوا فى المجلس الأعلى للأزهر عام ١٩٥٤ .

وفى عام ١٩٦٤ أحيل الى المعاش ، ولكنه ظل مع ذلك يوالى التدريس فى كلية أصول الدين فى القاهرة لطلاب الدراسات العليا وغيرهم .

وفى عام ١٩٧٤ حين كنت عميدا لكلية اللغة العربية فى أسيوط طلبت منه أن يقبل الحضور الى اسيوط لالقاء محاضرات لطلاب الكلية فى علم المنطق فقبل ذلك بارتياح .

ثم اختارته كلية أصول الدين فى أسيوط لتدريس علم التوحيد كذلك وأسند اليه الاشراف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه فى أسيوط والقاهرة .

وكان المستشار الدينى لجامعة الامام محمد بن على السنوسى الاسلامية فى البيضاء بليبيا قبل ثورة الفاتح فى عهد الملك ادريس السنوسى ، وندبته كثير من الجامعات والمراكز الاسلامية فى مختلف البلاد الاسلامية لالقاء محاضرات فيها ، واختارته كذلك العديد من المجلات والصفحات الاسلامية للفتوى على صفحاتها فى أسئلة القراء التى يبعثون بها اليها .

كان رحمه الله غزير العلم ، واسع المعرفة ، محيطا بالمصادر المختلفة ، وكان فى علمه أزهرى المنهج والطابع ، وكان مجلسه مجلس علم وفتوى ، وكان بيته مفتوحا للناس من كل صاحب حاجة أو طالب فتوى .

ولقد خسرت مصر بوفاته عالما جليلا ، وشيخا كبيرا .. تغمده الله برحمته ، وأجزل له الرضوان فى دار اليقين .

وللشيخ مؤلفات عديدة فى التوحيد والفقه والأصول كان يدرسها طلابه وله فتاوى مخطوطة كثيرة ، ومكتبته التى تركها حافلة بالمصادر الاسلامية نسال الله له الرحمة فى دار الاحسان .

مبدأ إسلامي

يدعو إليه شاعر إنجليزي

أبغض الحلال :

نقرأ لبعض المسلمين ما يوحى بالتذمر الشديد ، والتنديد المتعسف بالطلاق ، وقد غفلوا عن أسبابه القاهرة التى تجعله حلا ضروريا فى بعض الأحوال ، وهؤلاء فى أكثرهم

ممن يولون وجهة الغرب فى تقديرهم للأشياء ولمثل هذا النفر نقدم ما كتبه الشاعر الانجليزى الشهير (جون ملتون) عن ضرورة الطلاق اذا تهيأت دواعيه ، اذ أن هذا الأديب العملاق قد أفرد بعض كتبه العلمية لتحبيذ (الانفصال الزوجى) حين يتعذر الوفاق ،

وواجه خصومه مواجهة عقلية تتسم بالشجاعة النادرة حين وجدهم يخالفون رأيه ، عن حماسة عاطفية ، لا تتسلح بالبرهان ، واجههم بالرد القاطع فى كتاب ثان يمحص الشبهات ، ويدفع الظنون ، وأكثر ما قاله الشاعر الانجليزى الكبير معروف بالضرورة لدى فقهاء التشريع الاسلامى ، ولكن الدعوة اليه على لسان عبقرى من طراز (ملتون) ، تعتبر نصرا كبيرا لقوانين الشريعة الاسلامية ، أمام من يجعلون أوربا وجهتهم الفكرية فى كل مجال ، ولعلهم بعد ذلك يفيئون الى الحق منصفين .

منزلة جون ملتون :

و (جون ملتون) هو صاحب ملحمة « الفردوس المفقود » ، وأذكر أن (هازلت) قد عقد مقارنة نقدية بين ملتون وبين شكسبير أكبر شعراء الانجليز قاطبة ، فذهب الى أن (شكسبير) يعنى بنقد المجتمع وسوءاته أكثر مما يعنى بنقد العقائد والديانات والقوانين كما يصنع ملتون ، كما أن شكسبير يعتصم بالخيال المجنح ويسلم قياده للعاطفة الواثبة فى رغائقه الشعرية .

أما ملتون فذو فكر عاقل متئد ، وذو نظر منهجى يقيده بالواقع دون شطط .

واذا كان شكسبير يعيش فى لجب الزحام ، وفورة التنافس ، فان ملتون يجنح الى الوحدة المنزوية ليتأمل فى هدوء ! .

ولست أذكر ما قاله (هازلت) على أنه الرأى الذى لا معدل عنه ، فقد يكون فى كلامه عموم يحتاج الى تخصيص ، ولكنى أقرر أن من ينزله كبار النقاد منزل المقارنة بشكسبير العملاق لهو ذو مكانة سامقة تدفعه الى الصف الأول بين النابغين .

للدكتور محمد رجب البيومى

تجارب الحياة :

ولم يكن الشاعر باحثا اجتماعيا فى اتجاهه الحيوى ، ولكنه اضطر الى معالجة موضوع الطلاق لما اصطدم به من عقبات شائكة كدرت عليه صفوه ، اذ أتيح له أن يتزوج بفتاة فى سن السابعة عشرة لا ترتفع الى مستواه الثقافى ، ولا تشاركه همومه السياسية ، وكانت من أسرة تتجه فى الحياة وجهة مغايرة لاتجاهه ، وقد رآها عرضا أثناء زيارة غير متوقعة لبيت أبيها ، فشاهد من حيائها وسكونها ما أوقعه فى غرامها ، وكان الشاعر ذا شهرة فى عالمى السياسة والأدب ، فسارع والد الفتاة بقبوله زوجا ، وتم الاقتران على وجه سريع ، فانتقلت الزوجة الصغيرة الى مدينة لم ترها من قبل ، وشاهدت من ملابسات حياتها الجديدة مالا يتفق مع حياتها الغابرة . كان منزل الشاعر هادئا لا يميل الى الحركة الصاخبة اذ أن « ملتون » قد دأب على البقاء فى مكتبه قارئا وكاتبا دون أن يشغل فراغ صاحبته بما تود ، وكان فارق السن بينها وبينه يبلغ عشرين عاما أو أقل قليلا ، فلم تحس معه بما نحس به مع رفيق العمر وزميل الصبا ، هذا الى زهد فى المآكل والمشارب قد لزم الشاعر لفلسفة ينتهجها ، وكل ذلك مما جعل الفجوة تتسع شيئا فشيئا فى حياة الزوجين ، وقد بلغت مداها المتأزم حين صممت الزوجة الصغيرة على مغادرة المنزل ، متجهة الى بيت والدها ، وقد ظن « ملتون » أن والدها الصديق سيعمل على رأب الصدع ، حين ينصح فتاته بالحكمة ، ويدفعها الى الحياة الزوجية متحملة مصاعبها ، ومتعودة على نمطها الجديد بالنسبة اليها ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن . اذ رفضت الزوجة أن تعود ، وأبى والداها أن يلزماها بشىء ما !

نـدم وألم :

واجه الشاعر مأزقا حرجا فى مجتمعه. فأهله الأقربون أخذوا عليه تسرعه فى الاختيار دون مشورة ، وأعداؤه السياسيون اتخذوا من نفور زوجته دليلا على قسوته المفرطة حيث لم يرحم فتاة صغيرة تركت موطنها البعيد ، لتعيش فى كنفه ، مطمئنة الى سلوكه ، « وملتون » فيما بينه وبين نفسه لا يستشعر خطأ وقع فيه ، لأنه رجل ذو رسالة فكرية سياسية ، ومثله فى زعامته الأدبية لا يفرغ لتساقى كؤوس الصبابة فى خلوات هادئة اذ يرى ذلك فى المحل الأخير من اهتمامه ، وحسبه أن يهيىء السكن الهادىء ، والمأكل الهنىء ، أما أن يكون الزواج وظيفة تشغل صاحبها عن مطامحه البعيدة ، فذلك ما يجب أن يتحلل منه ، لقد وجد الشاعر نفسه

مبدأ إسلامي يدعو إليه شاعر انجليزي

يفكر فى ضيق متأزم عما يجب أن ينتهى اليه من رأى ! واذا كانت الكنيسة تحرم الطلاق ، فان ضروريات حياته تتعارض مع هذا التحريم اذ اختلفت المشارب ، وتعارضت الأهواء ، وباتت الزوجة بمآربها الخاصة وشواغلها الذاتية ، على مسافة بعيدة من قلب زوجها ، كما بات هو غريبا عن مشاعرها العاطفية ، بل بات هو نفسه ، يمثل قيدا حديديا يأخذ عليها طريق الانطلاق ، ولابد من عمل !! هذا الى أن الشاعر بعد أن هجرته سريعا زوجته لا يستطيع أن يقترن بسواها ، اذ تحرم الكنيسة ذلك أيضا ، ولا يدرى أيظل مهجورا تحت رحمة غيره ، أم يخلع عنه قيد التقاليد حين يجهر برأى جديد.!؟ ومثله فى جرأته المندفعة لا يسكت اطلاقا عن شاغل يرهقه ويضنيه ، بل لابد أن يجد التنفيس المريح لأواره الشديد •

عاطفة مشروعة :

فكر الشاعر وقدر ، ثم صمم على أن يخرج على الناس بكتاب يثور على الأوضاع المرهقة، وينظر الى الزواج والطلاق نظرة عملية تقتضيها الفطرة الخالصة ، وترتضيها الطبائع المعتدلة ، وقد بعد عن الخيال فى قضيته الشائكة ، ولجأ الى الحقائق العلمية لتكون برهانه الملجم ، فأعلن فى مقدمة كتابه أن العاطفة الانسانية نحو الرجل من المرأة ونحو المرأة من الرجل من الأمور المشروعة التى وضعها الله فى التركيب الانسانى ، واذا لم تنطو هذه العاطفة المشروعة على خطأ فالزواج أمر سعيد لأنه حينئذ التقاء موفق لعاطفتين متجانستين ، فاذا وقع خطأ ما فى اتجاه هاتين العاطفتين بأن كان الزواج مجرد متعة جسدية ، أو دافعا لحرص مادى ، أو وجاهة مظهرية ، فان علائقه ستقطع فى القلبين ليحل محلها سور حديدى غليظ تفرضه الكنيسة اجباريا دون مبرر ، وقد يخدع الانسان فيمن يتخذها زوجة ، كما قد تخدع المرأة فيمن ترحب به زوجا لها ، ثم تكشف الأيام عن اختلاف المشاعر ، وتنابذ الأهواء فماذا يكون الحل ازاء ذلك كله ؟

لا شىء غير الطلاق لأن العيش بدونه جحيم ، لا يطاق •

هذا ما افتتح به « ملتون » كتابه الذى سماه « قانون الطلاق ونظامه » ولم يشأ أن يتعرض لمسألته الشخصية فى بحث قانونى خالص ، اذ آثر أن يخرج على المجتمع الانجليزى وكأنه يتجرد لقضية عامة لا تتصل بذاته ، وحسنا فعل ، اذ لو تعرض لتجربته الشخصية لكشف من الأسرار ما يجب أن يكتم ، ولتعرض لمكذب يتهمه بالغلو والأدعاء ، وانقلبت المسألة من قضية عامة الى حادثة خاصة لا تعدم من يواجهها بأمور مماثلة ينقلها عن أسرة الزوجة ويبالغ فيها •• ولكن ملتون خاطب الانسانية جميعا حين أعلن أنه بتحبيذه الطلاق عند ضرورته يخرج الناس من شر يلحقهم جميعا ، ثم يضرب على الوتر القومى فيعلن أن انجلترا كانت دائما موضع القدوة والاحتذاء بما يهتدى اليه عباقرتها

من أفكار ، فاذا اتجهت فى قوانينها الى مشروعية الطلاق فانها تسبق العالم الحضارى الى وضع مدنى يبعث سعادة المجتمع الانسانى ! وكان على الشاعر الكبير أن يستهدى بالاسلام فى دفاعه ، ولكنه لحاجة فى نفسه أو لأخرى يعرفها فى نفوس معشره ، قد تحدث عن الطلاق وكأنه مشروع ينبثق من ذات نفسه دون أن تسبق به ملل وأديان .

طبعة ثانية :

انتشر كتاب (قانون الطلاق ونظامه) انتشارا مدويا فى انجلترا ، وأعقبه سيل من الردود المتناحرة ، لأن خصوم الشاعر السياسيين لم يتركوا بابا لتجريحه فيما اتجه اليه دون أن يلجوه ، فاضطر الى أن يصدر طبعة ثانية تتناول بالنقض آراء المخالفين ، وقد بدأ الطبعة الأخيرة بالحديث عما سماه « فتنة الجسد » اذ يرى فى سيطرة الغرائز شرا يجب أن يدفع بالحكمة والتعقل وفى اختيار القرين المناسب ، هذا الشر الكامن فى تغلب العاطفة على العقل عند الاختيار ، حين يغفل الزوجان مسألة التجاوب الروحى ، وقد صرح الكاتب بأن فقد هذا التجاوب يجعل الزواج أمرا حيوانيا لا يختلف فيه الانسان عن أسفل طبقات البهائم ولا خلاص منه الا بالطلاق العاجل .

ثم يقف الأديب الكبير متسائلا :

« كيف يتسنى الاختلاط الجسدى الوثيق بين زوجين يكره أحدهما الآخر كرها شديدا فعالا ويود أن يعتزله أبد الدهر ؟ .

وهل فتح الله باب الزواج ليغلقه من ورائنا نهائيا كما يغلق باب المقبرة على الميت الدفين ؟

وهل يأمن عاقل أن يزل فى الخطيئة حين يجد متنفسا آخر مع خليلة تشاركه العاطفة عن محبة وانجذاب ، وقد تكون هذه الخليلة زوجة بغيضة الى قرين تعيس يكن لها ما نكن من العداوة والشحناء ؟ .

وما صورة مجتمع تتعدد فيه هذه الفظائع الدامية دون أن يستطيع رجاله حلا لما يوثق أعناقهم من الأغلال ؟

ثم يهاجم رجال الكنيسة حين يعلن صراحة :

انهم يتسببون عن عمد فى اشاعة الكراهية والبغضاء فى المجتمع المسيحى .

وأنهم يعملون الخير كل الخير لوتجردوا عن معتقداتهم الباطلة ، ونظروا الى الطلاق نظرة واقعية تعتمد على تقدير النوازع النفسية ، والأحوال الاجتماعية .

انهم لو فعلوا ذلك لأنقذوا الآلاف المؤلفة من الأرواح ، ولساعدوا على طهارة النسل ، ورفعوا كثيرا من قذارات المضاجع والجنوب حين يبتعدون بنفر من الأشقياء عن مهاوى الاباحية اليائسة ، ويردون للانسان المسيحى كرامته الطاهرة وحقه الطبيعى اذ يفكون غله الوثيق .

٥

ان الشاب قبل الزواج لا يعلم ما بداخل بابه الجديد ، فاذا ولج الحاجز اليه فقد يجد ما يريحه ويرضيه ، وهنا تكون السعادة ذات جناحين يرفرفان فوق المضجع الوثير .

واذا كانت الثانية ورأى الزوجان ثعبانا يلدغ ، وأفعى تطل برأسها من فوق الوسادة ، فكيف يصبر الزوجان على سم قاتل سيسرى فى العروق سريان الموت عن قريب ؟ ويمضى الشاعر مسترسلا فى هذه الصورة الأدبية ليبلغ ما يريد .

كتاب ثالث :

اشتعل الحوار على نطاق أوسع بعد صدور الطبعة الثانية ، وهى فى حقيقة أمرها ، كتاب ثان ، لا طبعة ثانية حيث اتجهت الى تفنيد أقوال المعارضين ممن قرأوا الطبعة الأولى فأتت بالجديد فى أكثر صفحاتها ، وهذا الجديد لم يكن موضع التسليم المطلق من المعارضين فأوسعوه نقدا وتفنيدا ، والنفس الانسانية لا تعدم وسيلة الحجاج اذا أرادت النقاش ولم تجعله سبيلا الى الحقائق المنشودة دون تلبيس ، وهذا ما كان من أمر الناقدين ، حيث سلكوا المستقيم والمعوج من الطرق ليسفهوا الشاعر قدر ما يستطيعون ، وأكثر هؤلاء من المأجورين الذين سخرتهم السياسة لانتقاص ملتون وتجريحه ، على أنه لم يشأ فى كتابه الثالث أن يلتفت الى النواحى الشخصية فيبحث عن البواعث الدافعة لتجريحه على هذا النحو البغيض ، بل بذل كل قواه الفكرية لتأييد الطلاق باعتباره حلا محتوما اذا تعذر الوفاق ! .

ومع هذه الأدلة الحاسمة فان أسلوبه الأدبى قد ارتقى فى دفاعه ارتقاء جعل الناقد الكبير (ماكولى) يعترف أن ملتون فى دفاعه الأخير قد وصل الى ذروة من البلاغة يتقاصر عنها شعره فى بعض الأحيان كأن يقول مثلا عن الزواج الفاشل :

« هذا الحارس المخيف القائم على الباب ، أمام الزوجين يمنعهما أن يجدا السبيل ، هذا الحارس الجبار ينظر بوجهه الجهم ، وعينه النارية ، مهددا متوعدا ، وقد أغلق كل منفذ يأتى بالنور ، ليصيح بهذين العاجزين ، استمرا كذلك ، ولاخلاص الا بضجعة القبر .

ان المثل الأعلى للحياة الزوجية لهو فى تلك الأيام التى عاشها آدم وحواء قبل هبوطهما من الجنة ، وقد توشحت روحاهما وجسداهما ، فلا محل لطلاق فى هذا الفردوس ! أما اذا تركا الفردوس الى جحيم التباغض والحفيظة فلا نعيم ولا استقرار » .

نهاية متوقعة :

ومع ما خاضه الأديب الكبير من المعارك

البقية ص ١٢١٦

شعر وشاعر

مركبة الفضاء فى رحلة الاسراء

ليلة وموكب فى ذكرى الإسراء

ولـــدى

الشاعر عبده إسماعيل الطهطاوى

الشاعرة روحية القلينى

مركبة الفضاء في رحلة الإسراء

سبق الخيالَ الى الفضاء … خيرُ الخلائق لامرءْ

فى جنح ليل قد سجا … لف البسيطة فى رداء

بالروح والجسم الطهو … ر سرى وكان الارتقاء

جاب السموات العلى … حتى حدود الانتهاء

ورأى بعينيه الحقا … ئق مثلما تبدو ذُكاء

وأتى يسجل حادثا … فى الدهر ليس له كِفاء

لم يخترم فيما حكى … عجبا من الآيات راء

لكنه الصدق الذى … لا نقص فيه ولا افتراء

ولقد وعى فى قلبه … ما جل من خبر السماء

وأماط عن أسرارها … ستر الجهالة والخفاء

وأفاض علما باهرا … لا وهم فيه ولا التواء

أعجوبة شملت معا … رفه الحياة وما وراء

مُذْ كان علم الناس يخبط فى دياجير العماء

بمدارك فى الوهم غار … رقة وأفئدة هواء

وهو الذى فى عيشة … ما خط حرفا من هجاء

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

بل انه الالهام والوحى المنزل والصفاء

من عَلَّمَ الأمى   أن الأصل فى الأحياء ماء ؟

مثل من القرآن أضربه لمن رام اهتداء

أما البراق فلا تسل   عن سره فالسر ناء

يكفيك علما أنه   مرقى امام الأنبياء

لكن ومض البرق أقرب ما يكون الى الجلاء

قد قالت العلماء ان البعد يقهره الضياء

ويميط عن وجه الحقا   ئق بُرْقُعًا ضافى الغطاء

والله نور الكون يخضع ما يشاء لمن يشاء

كاف ونون عنده   فى قولها فصل القضاء

ان المكان مع الزما   ن كلاهما يغدو خواء

يتلاشيان من الوجو   د فلا صباح ولا مساء

كلا ولا الأبعاد   تثبت عند ذلك للبقاء

والعلم يثبت كل يو   م صدق ما جحد الغباء

فاهنأ أخا الايمان وانبذ   زيف ما رسم الهراء

فالريب فى نور الضحى الوضاء فى العينين داء

آمنت ربى بالذى   أنزلت فيه لنا الشفاء

ليلة وموكب في ذكرى الإسراء

أحمد قاسم أحمد

أيُّ ليلٍ « مُنغَّمٍ » الأضواءِ   فاق فى الحسنِ ليلة « الاسراءِ » ٠٠ ؟
ليلةٌ زانتِ الزمان وكانتْ   طلعةَ البدر فى دُجَى الظلماءِ
موكبُ اا ـــرِ والكرامةِ يَسْرِى   فى وقارٍ يَرْعَاهُ ربُّ السماءِ
موكبٌ نَجْمُهُ المبرِّزُ انسا   نٌ ٠٠٠ مِثالٌ : انسانُ عينِ النقاءِ
ليس فَرْدًا من الملائكِ لكنْ   بَذَّ خلق الملائك الغرَّاء

***

جَوْهَرُ النُّورِ فِى السَّرَى مثلُ بَرْقٍ   فوق أرضٍ يَسُوك أَبْهَى المرائى
انه « أحمدُ » الْعَلِىُّ مقامًا   فى جَلَالِ المسيرةِ العلياءِ
يُسْرِعُ السَّعْىَ بالبُرَاقِ لِبَيْتٍ   أمَّ فيهِ أئِمَّةَ الأنبياءِ
ذاكَ أمْرٌ قضاهُ رَبُّ السَّماءِ   كى يَخُصَّ النَّبِىَّ بِالأقْوِيَاءِ
طاش عقلُ الضعيفِ منه وَلَجَّتْ   فى نِفارٍ عِصابةُ الأغبياءِ
قيل : هاتِ الدليلَ ٠٠ قال : إِلَيْكُمْ   وَأَتَى بِالدليلِ وَصْفًا لِرائى

***

أيُّ جَمْعٍ مُضَمَّخٍ بِالسَّنَاءِ   فاق فى القَدْرِ مَوْكِبَ الإسْرَاءِ ٠٠ ؟

ولدى

٣

للدكتور حسن جاد

قالوا : اصطبر لقضاء الله محتسبا ... وكفكف الدمع من عينيك واقتصد
فقلت ما حيلتى فى الدمع يغلبنى ... وفى فؤاد بنار الوجد متقد ؟
فقد الأحبة أقسى مانكابده ... من الحياة ، فياويلى من الكبد
وللفراق تباريح ، وأفدحه ... نوى حبيب بجوف الأرض مفتأد
ضاقت على رحاب الله وانشعبت ... الى طرائق شتى فى الأسى قدد
مصيبة لو على نهلان قد وقعت ... لبات من هولها يشكو الى أحد
صماء ليس بها للصبر نافذة ... سوى رجاء بلطف الله منعقد
أكاد أقتل نفسى حين أذكره ... لولا يقينى وايمانى ومعتقدى

***

آمنت بالله والآجال قدرها ... اذا انتهى العمر لم ينقص ولم يزد
وكل حى لورد الموت مرتحل ... يسعى ، متى ما يصله رحله يرد
مما يعزى فؤادى حين أودعه ... بطن الثرى ثقتى فى الواحد الأحد
وأن من كان فى قلبى وفى بصرى ... جارا غدا فى جوار الوارث الصمد
يارب قدرت فالطف ، وابتليت فكن ... عونى على حملى البلوى ، وكن عضدى
فيما قضيت حكمة خفيت ... على العقول وان جلت عن الفند
لى عندك اليوم فى خطبى ومحنته ... جاه عريض ، فكن جاهى وملتحدى
انى فقدت وشادى فى بنى ، ومن ... سواك يارب يهدينى الى الرشد ؟
كل المصائب فى الدنيا لتعزية ... الا المصيبة ياربا فى الولد

الشاعر

عبد المعطى الهمشرى

وموقف نقاد الشعر منه

فى ديوان « أغانى الهوى » للشاعر الدكتور عبده قصة « تاجر الرقيق » ختم بها هذا الديوان . وقبل أن أتناول تلك القصة الشعرية بالتحليل والتمثيل والنقد أود أن أعطى فكرة موجزة عن فنون الشعر الكبرى حتى نتابع الحديث عن قصة « تاجر الرقيق » لنضعها فى مكانها من تلك الفنون الكبرى .

ومؤرخو الأدب حصروا أجناس الشعر فى ثلاثة :

الشعر الغنائى .

الشعر القصصى الملحمى .

الشعر التمثيلى .

وحين تحدثوا عن تلك الفنون جعلوا الشعر العربى القديم جميعه من الشعر الغنائى ، وسمى غنائيا ، لأن الشاعر فيه يتغنى بتصوير مشاعره ووقع الحياة على وجدانه ، ويندرج تحت هذا كل أغراض الشعر من مدح وهجاء ووصف ورثاء الى آخر الأغراض العشرة التى نص عليها أبو تمام فى كتابه « الحماسة » وقد بلغ بها البحترى فى حماسته الى اثنين وسبعين غرضا ، وتاريخ الأدب العربى سار على مذهب أبى تمام ، لأنه أدق وأدنى الى التحقيق العلمى .

وشعر الملحمة أو الشعر القصصى يمثل الفن الثانى من فنون الشعر الكبرى وهو عمل شعرى كبير يبلغ عدد أبياته الآلاف ، ويتخذ الشاعر من البطولات والأساطير موضوعا له يعبر فيه فى أسلوب قصصى كما فى ملحمتى الالياذة والأديسة للشاعر الاغريقى « هومبروس » .

وملحمة الشاهنامة « الفردوس » الشاعر الفارسى .

وتمتاز القصة الملحمية بالموضوعية على عكس القصيدة الغنائية ، فالشاعر فيها يتحدث عن عواطف الآخرين ورسم مواقفهم وشخصيته لا تظهر الا فى طريقة عرضه للأحداث عن طريق الحكاية .

وحين ترجم العرب فى العصر العباسى فلسفة الاغريق ابتعدوا عن هذا النوع من الشعر ، لأنه يجافى التوحيد الذى دعا اليه الاسلام ، ففيه الآلهة وأنصاف الآلهة فى صراع

للأستاذ السيد حسن قرون

وحرب وتقاتل وانتصارات وهزائم ، ولكننا فى العصر الحديث منذ اتصلنا بالأدب الغربى أحسسنا بالنقص فى شعرنا فحاول الرواد أن يكون لنا فن ملحمى مثل اليونان والأدب الغربى عموما .

ولذا حاول بعض المخلصين للشعر العربى أن يجعلوا من شعر الحماسة فى العصر الجاهلى وماتلاه شعرا ملحميا ،ولكنه لا يقوم لمن يقول : شتان بين قصص اليونان الطويل وما فيه من أساطير وفخامة فى الأداء وبين تلك القصائد العربية التى تتحدث عن المعارك، وأيام العرب وهى قصيرة تجىء مع الفخر أو الرثاء .

وما من شك فى أن الشعر العربى القديم يحمل بذور القصة الشعرية ، فللحطيئة قصة العربى الفقير الذى نزل عليه ضيف ، وتحير فى قراه ، وعرض الأمر على أسرته التى تعيش على الطوى منذ ثلاث ليال .

فقال ابنه لما رآه بحيرة
أيا أبت اذبحنى وييسر له طعما
فروى قليلا ثم أحجم برهة
وان هو لم يذبح فتاه فقدهما

وكانت النجدة قطيعا من حمر الوحش ظهر فرآه الأعرابي فاصطاد نَحُوصًا (١) سمينة ، كانت طعام الضيف والأسرة ومن قبله فعل الأعشى حين خاطب « شريحا » وقص عليه قصة السموءل فى الوفاء ، حيث ضحى بابنه



ولم يفرط فى الأمانة التى وضعت عنده ، وهذا القصص لم يجد من يطوره حتى يكون قصصا يعد من الفنون الكبرى.

ان الالياذة للشاعر « هوميروس » نقلها سليمان البستانى الى العربية شعرا فى أحد عشر ألف بيت ، نشرها سنة ١٩٠٤ وذلل بذلك الشعر العربى للملاحم الطويلة ،

فلا يمكن أن نسوق من الشعر العربى القديم نموذجا يضارع هذا القصص الملحمى، ولا تظعن أن شعر التاريخ يدخل فى هذا الفن ، ففى الشعر العربى قصائد لابن المعتز تؤرخ لخلفاء بنى العباس والشاعر منهم ، كذلك فعل ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » .

فقد أرخ فى شعر طويل لانتصارات

١ ـــ نحوصا : أتانا .

عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى فى الأندلس ، لكن هذا وذاك لا يعد شعرا قصصيا لما بينا سابقا فهو حقائق منظومة ، وسيرة معلومة •

ويجيء الفن الثالث وهو « الشعر التمثيلى» ولم يعرفه العرب ، وهو كالملحمة عمل قصصى يمتاز بالموضوعية ، ويتخلى فيه الشاعر عن عواطفه الخاصة لتحل محلها عواطف الشخصيات التى تقع لها أحداث المسرحية • وتمتاز عن الملحمة بأن الاحداث فيها تعرض عن طريق الحوار •

فالشاعر هنا لا يحكى ولا يعلق ولا يبدى رأيه . وانما الشخصيات هى التى تتحدث •

والحوار مبنى على تركيز العبارة الموحية ، وما تعده بليغا فى الملحمية لا يكون كذلك فى المسرحية ، لأن لكل شخصية أسلوبها الخاص حسب البيئة أو المنزلة ، أو الحالة الاجتماعية

هذه الفنون الثلاثة الكبرى أراد شعراؤنا الرواد أن تكون موجودة فى الشعر العربى ، ولقد وضع سليمان البستانى النموذج لهم بترجمة « الياذة هومير » فكان أن تباروا فى هذا الصنيع •

فألف شوقى شعرا يعد محاولة للملاحم فى شعره مثل « كبار الحوادث فى وادى النيل » ألقيت بمؤتمر المستشرقين سنة ١٨٩٤ •

وألف حافظ « العمرية » •

والشيخ محمد عبد المطلب « العلوية » ١٩١٩•

وخليل مطران « نيرون » و « فتاة الجبل » وهى محاولات لم تبلغ ما تريده من هذا الفن •

« والياذة الشاعر أحمد محرم » فيها الحقائق بارزة لأنها فى سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها الأساطير ولا الخيالات الخارقة للعادات ، وان لم ينجحوا فى هذا الفن فقد نجحوا فى الشعر التمثيلى •

وكان فارس الميدان أحمد شوقى فى رواياته التى مثل بعضها مثل « مصرع كليوباتره » وقمبيز ، ومجنون ليلى ، وعلى بك الكبير ، والست هدى • وتلاه عزيز أباظه فى قيس ولبنى وغيرها •

وشاعرنا عبده اسماعيل الطهطاوى طرق الفن الثانى فن القصة والملاحم ، فأثبت فى ديوان « أغانى الهوى » قصة « تاجر الرقيق» فهو دارس للآداب الاجنبية ودارس للأدب العربى الحديث ، ويعرف محاولات الرواد ، فكان أن كتب تلك القصة التى نحن بصدد الحديث عنها ، لنعرف جهده فى هذا الفن بعد أن عرفنا أداءه فى الشعر الغنائى فى ديوانيه شقائق النعمان وأغانى الهوى ، وقد قدم للقصة هذه العبارة:

« تاجر الرقيق قصة شعرية من نوع الدراما توشيها أطياف من الأساطير » •

وبها نقلنا الى أجواء سحيقة موغلة فى القدم نسبح فى بحار الخيال وعالم الأساطير والأعمال الخارقة ، فجاءت القصة حسب المواصفات ، فيها الحب والحرب ، والخير والشر . واقتتال الالهة فى لغة مناسبة تساير جو الحب والحرب والأحلام وتدخل الأرباب لتغلب فريق على فريق ، ولا ينقصها الا الطول فهى تقع فى (٢٤٠ بيتا من الشعر) صاغها فى

رباعيات بلغت ستين رباعية ، وفيها يقص علينا ما جرى لأبطال القصة .

وقد يبدى رأيه مؤيدا أو معارضا ، وهو عمل مشروع وليس من اللازم أن يسير الشاعر الحديث على منوال الشاعر القديم ، انما المهم أن يتبع أسس هذا النوع من الشعر فيقدم لنا شعرا ممتعا وأدبا رائعا ، ويسد ثغرة فى آدابنا .

ولندخل فى عمله الفنى لعلنا نوفق فى اعطاء صورة واضحة عن عمل شاعرنا فى القصص الملحمى ، ومحاولته الرائدة فى هذا الفن ، وميدان الأحداث فى تلك القصة يتسع فيشمل البحر المتوسط بشواطئه وجزره ، ثم يتصل بوادى النيل لنجد أحداثا تقع فى الأقصر بين أمجادها وسهولها ونجادها ولا ينسى نهر النيل وعالم الزواحف والأشباح .

وتاجر الرقيق رجل جشع أشربت روحه حب المال ولا سيما الذهب ، فأطماعه صفراء ، وهو بغيض الى البشر وأجناس الطير والحيوان والجن والأسماك والرياح والبحار والأمواج لأفعاله النكراء وأخلاقه القاسية ، وله ملاحون على غراره فى الغلظة والقسوة وحب الدماء ، وتبلد العواطف ، والعداوة للانسانية .

وقد وقعت فى أسره « يو » الحسناء لا فى حبه ، فأخذها أسيرة فى سفينة يرى فى أسرها ربحا موفورا ، وغنما كبيرا ، وهو فى سبيلها يرحل الى مواطن الغنى والثروة ، ولايهمه أن يتحمل ، ولا يخشى وعثاء السفر ولا مشقة الاغتراب ، ولا مزالق الطريق وطريقه بحر متلاطم الأمواج ، مضطرب الحباب ، لايعبأ بتلاطم الأمواج حول السفينة ، ولا تعرضها للخطر الدائم ، ولاندرى لم سلمت تلك السفينة مع أن الأمواج جعلتها كفرخ صغير يدهمه طائر كاسر ، أو لعل نجاتها راجعة الى وجود « يو » الحسناء فوق سطحها ، ولم تكن الأسيرة فى حال محتملة فهى تئن وتتألم حتى أن اله البحر ريع لأنتها ، واهتاج لتوجعها .

وقامت حرب مستعرة بين السفينة وأعدائها .. ثم نجت .. ولكن نجاءها لا يجعل صاحبها فى مأمن من الأخطار ووسائل الدمار ، فهناك حرب تصنعها الأقدار ، لا تخطر على بال الغادر الجبار : « تاجر الرقيق » ولا تخطر على بال أعوانه ليتدبروا الأمر معه ، انها حرب من جنس عمله تتناسب مع اغرائه واغوائه ..

لقد غنت « ربة الحب » لتغزو « فلذة كبده » « سيتون » الفتى الزاهر

وغنت ربة الحب
لتغزو فلذة الغادر
فأهوى طفلها المختا
ل « كوبيد » الفتى الساحر

وأرسل سهمه فى قلب «سيتون» الفتى الزاهر

فهام الرئم (١) فى الأعطا
ف خلف غزاله السادر (٢)

كان لابد أن تصنع ربة الحب هذا الصنيع ، لتضرب التاجر فى أعز ما يملك وهو ابنه ،

١ — الرئم : الظبى الخالص البياض يسكن الرمل .

٢ — السادر : المتحير وهو ايضا الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع .

ولتلعب بمصير ذلك الابن كما لعب أبوه بهذه الفتاة الحسناء الكسيرة التى لا تدرى سر أسرها وقيدها •

فغضـــت « يو » بنانيهـــا
وصار الكـــون كالأســـحم
وصـــاحت أيهـــا الريـــا
ن مـــاجرمى ؟ أمـــاترحم ؟

ولم يرحمها وها هو ذا يلاقى ما تلاقيــه « يــو » •

ان الحب له سلطانه على النفوس ، يقهر الرئيس قبل المرءوس ويغرر بالفيلسوف كمـــا يسخر من الغر الذى لا يعرف الخير من الشر ، وضربت « ربة الجمال » فى الجـــو بســـطا سحريا لتكون الغلبة لربة الحب ، وكـــانت رحمة كبيرة صاحبها من «أوبلو» ألحانا وأنغاما تمكن للهوى وتدعو للصبابة ، وساد الصمت ، وخلت الساحة للعاشقين ، ليجنيا شهدا ويطفأ الغلة ، وصار الأمر يدعو للتساؤل :

أهـــــاج الحب قلبـــين
صــــــــغيرين حبيبـــين
وكـــــــان الوجــــــد فى
نفســـيهما تريـــاق قلبين
وأحـــلام الهـــوى أضحت
طهور الروح مـــن مـــين (١)
ولقيـــا الليـــل قـــد صارت
دواء القلـــب والعـــــين

واذا تمت السعادة ارتجفت القلوب خوفا من زوالها ، وفكرت العقول فى الطريقة التى تضمن الاحتفاظ بها ، وكان لابد أن يفكر فيها العاشقان ، وأن يتدولا الامـــر مـــن جميع وجوهه :

وقالت « يـــو » « لســـيتون »
وقد ذابت مـــن الوجـــــد
أخـــاف الفرقـــة السـودا
ء أن تخمـــد لى زنـــدى
فهــــــل تبقى عـــلى حبى ؟
وهـــل تبقى عـــلى العهـــد ؟
حبيبى أنت من أحيـــــا
لـــه ان صـــان لى ودى

وقد أجابها جوابا شافيا كافيا ، صريحـــا مريحا ان قلبه ملىء بها ، وهلم بها وجدا ، ولها أن تسأل قلبها فانه ينبئها بما يكنـــه لهـــا ، لا يخشى فى هواه أحدا :

ولـــم أخش الأب الغـــدا
ر رب الســـلب والنهـــب

ويستمر فى تأكيد حبه ، وفى أثنائه يبثهـــا ما يحوى قلبه من أحاسيس ، وما تحمله نفسه من هواجس قائلا :

وكيف أخـــاف انســـانا
وأنت الـــــروح والـــراح
بقلبى أنت يـــا مفتـــــا
ن معبـــودى وألـــواح
وقلبى معبـــــد شــــادت
عـــلاه لماك (١) والـــراح
ثقى أنى أريـــق العمـــر
ان مســـتك أتـــراح

وكانت ساعة النجوى جميلة كأنها أحـلام

١ ــ المين : الكذب .

١ ــ اللمى : سمرة فى الشفة تستحسن .

تعطى السعادة بلا حدود خفق القلبان فيهما باحساس يجمع هناءة البشر جعلهما لا يخافان من حولهما من ذؤبان وثعابين تصب السم والهلاك .

وفى شجاعة غالبة اندفع العاشق نحو أبيه يعلنه بحبه « يو » الحسناء ودموعه تسيل على خده :

أبى واللـــــه أهواهـــــا
وقلبى ذاب مـــن وجـــده
فغمغم عـــــايد الشــر
وراح يعـــل مـــن حقـــده

وشتان بين وجهة ووجهته فالابن عاشق « ليو » يريد أن يرتبط بها ، ويتخذها دنياه ومأواه ، والأب يريدها سلعة غالية الثمن ، كثيرة الربح ، وغضب الأب وارتفع صوته متهما ابنه بذهاب العقل ، فصار يخالف أمره ، ويطيع هوى قلبه وتدخل « نواتى » من الحب ارتوى شرا ، يزين للأب أن ينزل العقاب بابنه المسلوب العقل ، ولكن سيتون صاح فيه :

هبلت الحــب يـــا مفنـــو
د يجلـــى الشر مـــن قلبـك
ولو كنت الـــذى يهـــوى
لضـــاء الطهر فى نفســـك
ولكـــن أنت شـــيطان
وشـــيطان الى جنبـــك
محـــال أن ترى الانســـا
ن ياشـــيطان فى بـــردك

لقد وصفه مخاطبا له بأن قلبه مريض ، ولو عرف الحب لشفى من مرضه ، وترك الشر الذى يسيطر عليه ، ولو شفى من دائه لطهرت نفسه ولكنه شيطان وشيطان يجانبه ولن يكون انسانا مادام لا يحب ولا يعرف مزايا الحب ، وما حل الحب بقلب الا جعل حامله عطوفا ألوفا يرى سعادة غيره بسعادته ، وحرية الأسير حريته ، ويرى التعب فى سبيل الانسانية راحة وهناء .

وسارت السفينة وكل من عليها لـه شأن يغنيه ، « ويو » الحسناء فى أمن وأمان مادامت بعيدة عن الشاطىء ، فالشاطىء نذير بالمجهول، انها على السفينة ترى حبيبا وتأمل فى الارتباط به أو تخفيف التفكير فى العواقب المغلفة بضبابه لا يبين منه رجاء .

ولمـــا عطر الأمـــواج
روح نســـائم الأرض

تهلل كل من فى السفينة غير « يو » لأنها هنا ستقاسى ما يريده تاجر الرقيق ، ولماذا رحل بها ؟ ان نسيم الأرض أفزعها .

فهـــل خـــافت من الأرض ؟
وهـــل فى الأرض ما يرضى ؟

ماج قلبها بحنان وأشجان ، وصار طفلا لا يكف عن البكاء ، انها تبكى أملين لاحالها ، وودت لو تمسك بهما ليذهب البلاء تبكى عاشقها وحريتها ، أعز شىء لها فى الوجود ، فبكاها فى لهيب الفتنة أو فى العاشق المضنى ، لقد صار « سيتون » هما على هم فبعد أن كانت تعانى القيد والأسر صارت من خشية الفراق فى احتراق .

أما تاجر الرقيق فقد آن له أن يحقق ربح رحلته الميمونة له ، الملعونة لها .

وقد ولى شراع الشيخ نحو الشاطىء المصرى لماذا ؟

يبيـــع الغـــادة العـــذرا
ء ذات الوجـــه كالبـــدر

لقد أسأت اليها أيها الشيخ الجشع ، لم ترحم

ابنا ولا بنتا :

طغت الحب والمحبـــو
ب يا شرير فى الصدر

أهذه الغادة العذراء تعرض فى سوق النخاسة وتتعرض للنظرات الثاقبة ؟ ألا تأسى لهذا الجمال أن يذبل ؟ أترى أن يكون الجمال نهب الأيدى وتبخل به عن فتاك المأمول ؟

وباع التاجر سلعته ، ورجع بسفينته فرحا مرحا وما درى أنه ضحى بنجله ، ان «ستون» لم يرجع مع والده ، دنياه فى خطا «يو» فأين يممت يتبعها ، ترك البحر والبحار والنواتى ، ولم ير الذهب شيئا يروق ويشوق عينه ، معها الى الأبد •

وكانت « طيبة » الفيحـا
ء فى عيـد لفـرعون
تحدث عنهما الركبا
ن فى قـول وفى لحـن
وكم من شاعر فى « طيبـ
ـة » صاغ من وزن
على خفقـة موج النيل
غناه أولو الفن

وطيبة هى الأقصر كانت فى عيد لفرعون شغل الركبان فتحدثوا عنه عما قبل وعما لحن ، وما قاله الشعراء وما غنى به المغنون حين حلت بها « يو » يتبعها « سيتون » من بعيد لبعيد — كما تقول اليوم — انها فى كعبة الأبطال تعيش فى قصر يحيط به بستان حوى السرو وأشجار العنب ، يغنى فيه أصناف الطير كما نغنى فيه قيان بلحن وعاه العرب والعجم •

وعاشا فى حمى رفـه
نـداه الحلم والـوهم

ولكن الدهر له تقلباته وضرباته ، انهما يعيشان على الوهم والحلم والرؤية التى لا توصف بالقرب أو البعد ، رؤية صامتة ، ومشاهدة مضنية ، وأراد الفتى أن يقابل فتاته بين نواضر الزهر •

ويشرب من حميا الحب
أقداحا من السحر

واذا بسفاح كمن له بين الشجر ، فضربه بسيف غدار لا يبقى ولا يذر ، ولكن العشاق أصحاب الأخبار لم يقولوا قتل وانما قالوا : سافر فى زورق يشق عباب النيل بين الغناء والطرب ، والحديث يتنقل •

فناحت « يـو » لفرقته
بقلب فاقد الصبر
ومن شرفتها تـرنو
على الأصداء فى الفجر

فأمست حياتها قلقا وأرقا ، وصابا وعذابا ، وبكاء ونداء ، آناء الليل وأطراف النهار ، عرفت بكاءها الأزهار فى الآصال ، والأطيار فى الاصباح ، وتحيرت من صفير الريح، وعزيف الأشباح • هل تراه همس « سيتون » بكت المجهول والمعلوم •

لقد هدها الحزن وأمضها الفراق ، ودلهتها الهواجس والوساوس ثم نامت •

رأت فى نومها « سيتون »
مذبوحا ولا يذوى

يصـــيح بظـــل نخـــلات
وداعـــا فى الهـــوى أهوى (١)
ويبكى بعـــــد آهـــات
بـــدفع كاللظى يشـــوى

سمعته يقول : سألقاها على الرغم من طعنات الجبان الغادر ، أغنى لها لحن لقيانا ،أقبلهـا ويمحو القلب أشجانه ، وأضمها الى صدرى ، وتيقظت فرددت ما سمعته منـه فى نومهـا ، وهتفت : ستلقانى ، فأين قبـرك كى أكـون بقربك ؟

وأرشـــف ثغـر محبـــوبى
وأشرب صـــاب واديكـــا

وباتت تندب الحيرى ، وتصحب هما يجعل نضارتها ذبولا ، وبضاضتها خيالا ،وطواهـا النوم بجناحيه وهنا :

أتاهـــا وهى نـــائمة
فتاهـــا بـــالمنى الزرق
يـدب بقربهـــا من عـــا
لم الأمـــــوات فى رفق

يقص عليها مالاقى ، فهو مقطوع الرأس ، مربوط على جذر ، ظمآن لا يستطيع الرى من الغدران ، لأن كفه لا تعرف الطريق الى فمه ، ودعاها لتأتيه فتريح آلام قلبه .. وأراها قبره الذى تعرى من وارف اغصان ونسيم الظلال ، وناداها :

تعالى غادتى فالقلب فى الأعشـاب لا يهـدأ
تريـــــع القلـب آلام
ينهش القلـب لا تمـــرأ
تود الفلذة الحــــرى
وبالفلذات قـــــد تهنأ

وعـــن جنبى لا تنـــأى
توهم أنـــه الملجـــأ

وأكثر من ندائها ودعائها ، مقبرة جمرة فى حاجة الى دمعة ، كى يهنأ فى الحفرة ، وتهنأ روح ريها عبرة .

وقولى مـــات مـن حبى
فتى كالزهـــر والخمـره

وودعها وداع الحب واللهفة ...

فهبت مثـــل عصـــفور
ترقـرق فـــوقه قطـــر

ووقفت متهالكة ، وتأوهت آهات لم تجدلها صدى فى الليل والطير ، وأرسلت دموعـــا يشيب لأجلها الزهر ، ومضت تبحث عن قبـر الحبيب بين الأشجار ومسيل المياه . فماذا رأت؟ رأته ، رأت راحته تضم أزاهر الحب ، فمـاذا فعلت ! هوت كالسهم ملتاعة تقبل تراب القبر بين الأعشاب وتمايل الشجر .

وبينا هى فى عناقها وتقبيلها هجمت عليهـا رقطاء من الثعابين كأنها عدو لدود يريـد أن ينتقم منها ، أو قل تعشقتها لملاحتها .

وعضـــت درة النهـــدين
كى يقضى تجنيهـــــــا
ولم ترحم معـــــذبة
فغالتهـــا أمانيهـــــا

نهاية مريعة ، وخاتمة فظيعة ، ومأساة توشى السماء بسحاب أسود . والارض بنار ورماد . فماذا كان بعد هذا العناء ؟
يقول الراوى :

ولف الجـذع معشـــوقين
ذاقـــا المـــر والعـلقم

---
١ أهوى : أسقط ك

على الأعشــاب قد نامــا
حبيبــا ضمــة مغرم
وكانت أجمل الأطيــا
ر تبــكى الظبى والضيغم
وقــد صــلى على القلبين
سرو الــروض والعندم

هذه القصة نعدها محــاولة مــن الشــاعر الدكتور عبده اسماعيل الطهطاوى يهدف بهــا مثــل الرواد الى تطويع الشــعر العربى لهذا الفن ، وهى محاولة جديرة بالقراءة والدرس وبيان حظها من الاستحسان أو الاستهجان ، ولكنى لم أجد أحدا تناولها بالتحليل أو النقد ، ومن ثم عرضتها هنا وحللتها لنرى مدى ماتعطى فى هذا السبيل من اشارات •

انتزع الشاعر من الأســاطير تلك القصــة فصاغها فى رباعيات ، وانتهج منهج القصص الملحمى الدرامى ، وقد وفق الشاعر فى عــرض القصة ، فالقصة ذات موضوع ، ولهــا مسرح حدثت فيه ، وزمان موغل فى القدم ، وايغالــه فى القدم يزيده تشويقا ورونقا وخلابة •

سار بنا الشاعر من شواطىء اليونان وكربت واتجه بنا غربا يؤم الموانى ذات الحضـــارة والثراء حتى بلغ مصر وفى مينائها نزل التاجر ليبيع تجارته وهى « يــو » الحســناء ، ثم بلغنا حاضرة مصر « طيبة » الأقصر ، وفيها تمت أحداث القصة وفى هذه الشواطىء كانت رحلة لها شخوصها : تاجر الرقيق وملاحوه ، والفتاة « يــو » وابنه « سيتون » وربــات الحب والجمال واله البحر وعالم الحيوان •• ثم فى الأقصر •• القاتل ومعالم النيل •

وقد ربط الشاعر بين الأشخاص والوصف والأحداث بخيط ربط كــل تلك المعــالم بحيث يعلقنا بالأحداث •

وكان الحوار طبيعيا ومسايرا لمنهج القصة وهو متنوع حسب أفراد القصــة وأبطــالها ، فالحوار بين الفتاة وتاجر الرقيق يختلف عــن الحوار بين العاشقين ، كما أنه يختلف بالنسبة للفتى والنواتى • أنظر معى الى حوار الفتاة وتاجر الرقيق تجد :

فعضــت « يــو » بنانيهــا
وصــــار الكون كالأكــم
وصــاحت أيهــا الربــا
ن ما جرمى ؟ أمــا ترحــم ؟
وفيم تريدنى باللــــــه ؟
فيم تقيــــد المعصــــم ؟
أهــذى حليــة العــاج ؟
أم التيــــد ولا أعلــم ؟
فقال الشـــيخ يــا هيفــا
ء مه ، مه ،واصدعى هيــا

واقرأ معى حوار العاشقين :

أخــاف الفرقــة الســودا
ء أن تخمــــد لى زنــدى
فهــل تبقى عــلى حبى ؟
وهــل تبقى عــلى العهــد ؟

سيتون :

سلى فؤاد الصب
ينبى القلب بالحب
سليه سليه ما الأهوا
ل حتى صرت فى قرب ؟
وكم قاسيت يا مفتا
ن مر الطعن والضرب
ولم أخش الأب الفدا
ر رب السلب والنهب

والحوار كما ترى يجرى جرى الماء لا يعوقه عائق يتلاحم مع السرد والوصف ، فلا تحس نبوا فوق ثبج البحر ، ولا تعثرا فى ايراد الحكمة ، ولا دخيلا على الفكرة يعترض كالشجا فى الحلق واللغة لا تحتاج الى معاجم والأداء التعبيرى بحقائقه ومجازاته وموسيقاه فى غاية التلقائة بذهن متوقد ، وعلى مدى ٢٤٠ بيتا لا تجد لفظا مجلوبا من أجل القافية الا نادرا مثل « أن تخمد لى زندى » فكلمة زندى لا تدل على الخوف من صروف الزمن وان أدت المعنى .

وللشاعر تعبيرات جديدة تتناسق مع أهداف الشعر الحديثة مثل « الفرقة السوداء » « والمنى الزرق » ولكن صياغته البارعة وصوره المتحركة الباهرة ، وسحر الأساطير كل ذلك تركنا لا نحس غرابة العبارات الحديثة .

وشاعرنا حين نظم تلك القصة لم يترك الخواطر تتوالى على ذهنه حتى يصنع قصته ولكنك بتأمل القصة تجده قد وضع تصميما لها يرصد به البدء والمسيرة والختام ، وأول رباعية تعطينا شمائل (التاجر) بدأ القصة هكذا :

سقته عرائس الأطماع
من أقداحها الصفر
فود المال بين يديه

أجيالا من التبر (١)
وراح يطوف بالآفا
ق يطوى الموج بالبحر
ينير البدر والأفلا
ك حتى مهجة الفجر

وختم القصة بما قدمته لك سابقا .. فقد لف الجذع معشوقين ذاقا المر والعلقم . وعلى الأعشاب ناما والشاعر لا يتركهما دون صلاة.. والصلاة يعرفها الموحد والمشرك . قال :

وقد صلى على القلبين سرو الروض والعندم والسرو والعندم مناسبان لقبر بين الأعشاب . فلست مغاليا اذا قلت لك ان قصة (تاجر الرقيق) من ديوان (أغانى الهوى) تعد من عيون محاولات شعرائنا فى قرض هذا النوع من الشعر الذى يقرأ ويدرس وتدور حوله مذاهب الشعر .

وفى كل قراءة يتراءى معنى جديد . فلتأخذ قصة تاجر (الرقيق) و (أغانى الهوى) مكانهما من الدرس والتحليل والنقد ، ومن المكتبة العربية .

السيد حسن قرون .

---

١ — التبر : الذهب غير المصنع .

الشاعرة
روحية القلينى

حياتها :

ولدت الشاعرة روحية القلينى بمدينة دسوق فى اليوم الأول من شهر مارس عام ١٩١٥ ، وكان جدها لأبيها هو الشيخ عبد الباقى القلينى رابع شيخ للأزهر الشريف .

أما والدها فكان رجلا تقيا ورعا ، محبا للعلم ، وهو أول من شجعها على السير قدما فى مراحل الدراسة ، وعلى شق طريقها العلمى .

وعندما أتمت تعليمها الابتدائى بمدينة طنطا ، تم التحاقها بمدرسة الأميرة فايزة الثانوية بالاسكندرية ، وكانت ناظرة تلك المدرسة آنذاك هى السيدة (نبوية موسى) ، فتأثرت الشاعرة بها كثيرا .

وحصلت على ليسانس الآداب — قسم اللغة العربية واللغات الشرقية من جامعة (فؤاد [1]) عام ١٩٤٢ . ثم سافرت الى العراق للعمل فى التدريس بمدارسها ، وشغلت منصب مديرة مدرسة ثانوية للبنات بالموصل .

وعرفت هناك — كشاعرة — فى الأوساط الأدبية عامة ، وذاع صيتها فى الصحافة ، وقويت صلاتها الفكرية بأهل الأدب والشعر بالعراق ، حتى آخر يوم من حياتها فى مصر ، تلك الحياة التى انتهت بوفاتها فى التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩٨٠ .

عادت الشاعرة الى القاهرة فى أواخر عام ١٩٤٤ ، لتعمل مدرسة بالتربية والتعليم ، متنقلة ما بين مدرسة (بيت القاضى) و (غمرة) وغيرهما .

وفى كل هذه المراحل العملية ، لم تنس الشاعرة نشاطها النسائى والأدبى حينا ، وحماسها للعمل الاجتماعى أحيانا .

وتعاونت مع السيدة درية شفيق والأستاذين خليل صابات وابراهيم عبده فى الاشراف على مجلة (بنت النيل) .

وفى عام ١٩٥٤ أصبحت روحية القلينى رئيسة لقسم المرأة بجريدة الجمهورية ، وتعاونت معها فى التحرير السيدة عواطف البدرى ..

وتم نهائيا نقل الشاعرة الى وزارة الثقافة عام ١٩٦١ ، حيث عملت فى ادارة التفرغ ، وبقيت بها الى أن أصبحت أخيرا المديرة العامة لهذه الادارة ، وشغلها ، بعد رحيلها ،

(١) جامعة القاهرة حاليا .

بقلم الشاعرة : جليلة رضا

الشاعر ابراهيم عيسى . وكانت فترة عملها الأخيرة من أخصب سنوات عمرها ، فشاركت فى مؤتمرات الأدباء والشعراء بالاسكندرية والعراق والسودان وبلجراد ، وألفت كتابها « نساء عربيات » الذى سجلت فيه جهاد المرأة العربية ، من أجل التحرير وحقوق الانسان .

*ونشرت قصائدها بمجلات الرسالة والثقافة فى بواكيرها ، ثم ظلت تترنم بأروع الابتهالات الصوفية الرخيمة ، فى أخرياتها ، على صفحات مجلة منبر الاسلام الغراء ، فأبدعت وأمتعت .

وصارت عضوا فى مجلس ادارة جمعيتى الأدباء واتحاد الكتاب ، وعضوا بلجنتى الشعر بالمجلس القومى ، والمجلس الأعلى للثقافة .

ومن ذلك كله يتضح لنا أن الشاعرة روحية القلينى ، كانت شعلة من الحماس والنشاط فى جميع الميادين السياسية والاجتماعية والأدبية فلم ندع مجالا الا واقتحمته ، ولا طريقا الا وعبرته ، لكى ترقى بالمرأة المصرية ، وتدفعها نحو الخير والكرامة والايمان .

وقد كانت روحية القلينى زميلتى فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة ، وفى شوط الحياة عامة ، وكنا متجاورتين فى السكن ، وأتيح لى أن أقف على مراحل حياتها الخاصة عن كثب ، مما يضىء لى السبيل للتعريف بشخصيتها ، مستعرضة طوايا نفسها ، وحقيقة مشاعرها .. ما استطعت .

وكانت روحية ، عندما تحن الى نظم بعض الأبيات السانحة فى أخرياتها تدونها فى ورقة بخط عريض ، وبالقلم (الفول ماستر) ، وكلما مضى العمر ، نما الخط وكبر ، لضعف حاسة البصر . ومن ثم عاشت معذبة ، وخاصة بعد أن ماتت أمها ، التى كانت نعيش معها بصفة دائمة ، وبعد أن بعد عنها الاشقاء ، اما بالزواج أو السفر للخارج ، وان ظلوا أوفياء لها ، محبين ومعتزين بها وبشعرها ..

وأمضت روحية الفترة الأخيرة من حياتها وحيدة فى بيتها الرحب ، بلا زوج أو ولد ، تمشى فى رحابه ، فتتعثر أحيانا فى سلك التليفون ، وتسقط حينا ، وتعاود القيام ، أو يسقط الجهاز وينكسر ، وترسل فى طلب اصلاحه .. وتتحسس الأشياء المستعملة يوميا ، قبل أن تمسكها ، وتدرس أماكنها الثابتة ، فى صبر وتحد ..

أجل ، فى صبر وتحد وايمان عميق بالله ، فقد كانت تعرف كيف تدارى أحاسيسها الحزينة فى أعماقها . كما تقول :

وأبادل النـــاسِ الحديث (١)
كأنمـــا لـــم يَجْـرِ شَيْ

والنـــار فى الأعماق لاهبة
وتكـــوى القلــب كـى

◄

● الشاعرة روحية القليني

أخفي الأسى يارب قهرا
ثم أطوي الدمع طي
فاذا انفردت فدمعتي تروي
الوساد .. وأي ري
الدمع أصبح طائعا من
بعد أن كان الأبي

وقد نظمت روحية الشعر في شتى الميادين ، ولكن أجمل وأصدق ما كتبت هو شعرها الصوفي بلامراء :

فروحية أولا — وقبل كل شيء — شاعرة متدينة ، بحكم نشأتها وطبيعة تكوينها ، ذات ايمان عميق ، أعطاها القوة على تحمل الحياة وأعبائها .. وغمرها بكثير من الرضى والتسامح ، وسط مآسيها الكبار ، من بعد موت أعزائها.

ومن حسن الحظ أنها تركت لنا قبل رحيلها بفترة وجيزة ، ديوانا كاملا يحمل عنوان : (عطر الايمان) ، يحس فيه القارىء ، وكأنه في محراب الحب الالهي المقدس .

وفي هذا الديوان الذي أصدره المجلس الأعلى للثقافة ضمن مطبوعاته عام ١٩٧٥ ، أبدعت الشاعرة ستين قصيدة صوفية ، من أقوى ما نظمت خلال رحلة حياتها .

ويعد هذا الديوان ذخيرة حية من أسلحة الصبر والصمود ، يحمي بها القارىء الأعزل نفسه من عاديات الزمان ، أثناء عبوره جسر الآلام . فشعر الديوان صادق الاحساس ، جيد التعبير ، لا يعيبه تكرار الفكرة والمضمون ، اذا علمنا أنه نتاج مرحلة طويلة ما بين ديوانها الصوفي الأول : (ابتهالات قلب) ، وبين هذا الديوان ، رحلة تكررت فيها الأحداث والآمال والآلام . فكان طبيعيا أن تتشابه بعض القصائد ، في المعاني والأخيلة والمشاعر .

ولنستعرض الآن بعض الأبيات من قصائد الديوان .. ففي قصيدة « ترعى عبيدك لا تنام » (١) نرى الشاعرة تصف نفسها وطباعها ، وما تحس به ، وكيف تعامل الناس ، ثم تتساءل : لماذا يتدفق شعور محبة الله تعالى عارما متأججا ، وما السر في هذا الحب ؟ تقول :

بَشَرٌ أنا يارب .. لا
أقوى على الآلام
جنِّب حياتي الشر
وانصرني على الايام
بدِّد الهي ما يشوب
العيش من جهم الظلام
وانْشُرْ جناحك تحمني
فأعيش في ظل السلام

وتتفجر شكواها ، فتجأر قائلة :

الكلمة الحمقاء تؤذيني ..
كما تُدْمَى السهام
فأنا أحب الصفو معطارا
.. وأشتاق الوئام

.. ثم تهدأ وتخفت نبرة الاحتدام ، فتسترسل قائلة :

أنا لا أسيء لمن أساء ..
فشيمتي عفو الكرام

(١) ص ٣٦ .

والعيش عنـــــدى رحمـــــة

والظلم فى شرعى حــــــرام

.. ثم تصفو لهجتها وترق . حينما تختلج بحبها الآلهى . كتلميذة وامقة تسير على درب أستاذتها (رابعة العدوية) فتتهدج مترنمة :

أنـــا لســت أقـــرب مـــن الهى

بالصـــــلاة وبالصــــيام

تلك المظــــــاهر بعض حبى ..

فى الفـــــؤاد المســـتهام

.. لكننى أهـــــوى الآلــــــه

لغـــــاية فـــوق المـــــرام

أهـــــواه رب الخلـــــق ..

فى صـــور .. تجـلّ عن الكـلام

وفى قصيدة « الكون يسبح باسمك » من نفس الديوان . تمزج الطبيعـة بالفـن الصادق . وتشرح كيف أن الطبيعة بكل مافيها من نبات ونسيم وطيور . وبحار وعطـور . تسبح بحمد الخالق عز وجل . مـن خـلال معطياته الوفيرة .

والقصيدة جميلة حقا . ذات مغـزى رفيع نبيل . فما نكاد نرى مشهدا من مشـــــاهد الطبيعة . حتى يمر أمامنا مشهد آخر . أعطته الشاعرة حقه فى البـذل والعطـاء . لأجـل الحياة . ومن أجل خير البشرية .

وبذلك مزجت الشاعرة الجمال الجـزئى بالجمال الكلى ، فى شـتى صـوره الحيـة ، لتخرج لنا ابتهالات صلاة مقدسة .. تقـول روحية من قصيدتها تلك :

وَجُبْتُ بخــاطرى عبـر الفضـــــاء

وخلف السحب فى قلب الســــماء

ووسـط البحـر فى الأعماق حـيرى

وفوق الأرض تزهـو بالـــــرواء

الى أن تقول :

وفى النجم الـــــذى يرنـو لنجم

وفى قلبيهمـــــا سر الضــــياء

وفى الثـوب الـذى يكسـو الـروابى

بألـوان منمقـــــة البهـــــاء

وفى النَّحْل الذى يسـعى لـرزق

بصبر لا يكـل من العنــــــاء

الى أن تختتم قصيدتها . بقولها :

وحكمتــــــه لهـــا سر عجيب

ونجهـل نحـن أسرار الخفــــاء

وفى تلك الكنـوز منوعـــــات

ببطـــن الارض تزخـــر بالثراء

يضـم الكـون أسرارا وسـحرا

يسـبح كـل لـــون فى ولاء

أما قصيدتها « المفيد فى التوحيد » فهى دعاء حار يستطيع كل انسان أن يتجـه به الى الخالق . وقد أضـفت عليهـا رقـة الموسيقى الطافرة من خلال أبياتها الوضيئة ، الشىء الكثير من العذوبة . حين تقول :

آمنت يـــاربى فَـزِد إِيمـــــانى

أنا قـد مشيت على هدى القـرآن

فاذا هفوت فان عفـــوك شـامل

تمحـــو بعطفك زلة الانســـــان

أصحوا على صوت المؤذن هاتفـا :

« الله أكبر » بالصـــدى الرنـان

فأودع النـوم العميـق وأرتجـى

فى الفجر ياربى رضـــاك الحانى

وأظـل أقرأ فى كتـــابك هـاديا

وبنـوره تمحـو دجى أشــجانى

ونرجو أن نلقى الضوء فى كلمة تالية عـلى شعرها الوطنى والاجتماعى ..

جليلة رضـا

حول أدب باكثير

بقلم : مديحة عواد سلامة

قرأت (١) مقال الأستاذ أحمد مصطفى حافظ بعدد جمادى الآخرة من مجلة الأزهر الغراء ، جريا على منهجه المحمود فى الكتابة عن الأدباء والشعراء (المظاليم) .. وقد كان من حظى أن توافرت على أدب باكثير عامة لمدة تزيد عن الخمسة أعوام أثناء قيامى باعداد رسالة ماجستير فى الآداب عن : (مسرح باكثير) ..

ومن ثم فان ذلك قد يخول لى الاستدراك على ما أورده الأستاذ أحمد حافظ بمقاله آنف الذكر . من أن ملحمة باكثير الاسلامية الكبرى التى وضعها فى تسعة عشر مجلدا . عن سيرة سيدنا عمر بن الخطاب . قد طبع منها ستة فقط . هى التى تحمل أسماء :

(على أسوار دمشق) . (معركة الجسر) . (كسرى وقيصر) . (أبطال اليرموك) . (تراب من أرض فارس) . (رستم) . وبقى قيد الطبع ثلاثة عشر مجلدا . تبتدىء بـ (أبطال القادسية) وتنتهى بـ (غروب الشمس) ..

وحقيقة الأمر أن ملحمة باكثير الاسلامية عن سيرة سيدنا عمر بن الخطاب قد تم طبعها كاملة كما أعلم . بعد وفاة باكثير وهى مسرحية ملحمية تعد أول عمل فنى من نوعه فى تاريخ الادب العربى .

وصفوة القول فان المتبع لأعمال باكثير التاريخية يكتشف بسهولة أن الحق والعدل والحرية مفاهيم تحدد معالم الرؤية الأساسية لهذا العالم الذى يصوره .

واذا كان (الكلاسيون) الغربيون قد برروا عودتهم الى أحداث التاريخ الواقعى . أو الأسطورى . بأن الطابع التاريخى يدنى الأحداث — حتى الخارق منها — من التصديق والمعقولية ومشاكلة الواقع . فان باكثير يقدم تفسيره لولوعه بالتاريخ واستلهامه كثيرا من مسرحياته . بأن أحداث التاريخ قد تبلورت على مر الأيام . فاستطاعت أن تنزع عنها الملابسات والتفاصيل التى ليست بذات بال .

فتبرير باكثير لعودته الى التاريخ يعكس مفهومه عن الفن عموما . والفن المسرحى بصفة خاصة . باعتباره فنا ينبغى أن يقوم على الرمز والايحاء . لا على التعيين والتحديد . بينما يعكس تبرير الكلاسيين مفهومهم عن الفن الذى يستند أساسا الى نظرية المحاكاة . التى قال بها أرسطو . واعتبرها الكلاسيون أساسا لابداعهم .

مديحة عواد سلامة
« محاضر بقسم اللغة العربية بكلية الآداب للبنات بالدمام »

شئون اجتماعية

العلمانية فى الدستور

بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية فى مصر

العلمانية في الدستور

معنى وهدف

اللفظ الفرنسى الذى ترجم الى (العلمانية) ليس من بين معانيه (العالم) ولذلك قد كنت أفهم أن يرجع الدكتور زكى نجيب محمود الى مفهوم العلمانية سواء اكانت بفتح العين أم بكسرها فى دساتير الدول التى وصفت نفسها بالدول العلمانية قبل أن يعتمد فقط على ما اعتبره مدسوسا بسوء نية أو بحسن نية على مجمع اللغة العربية .

ذلك أن العلمانية . كمبدأ تضمنتها دساتير بعض الدول وخاصة فيها الدول الغربية وبعض الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية والتى تطلق على نفسها « دول المجموعة الفرنسية » ففى دستور جمهورية فرنسا تحت باب تحديد السيادة فى الدولة .

نصت المادة ٢ على أن فرنسا جمهورية لا تتجزأ علمانية ديموقراطية .. الخ .. ولقد حرصت على الاطلاع على نص هذه المادة فى الدستور الفرنسى لأعرف من أى لفظ ترجمت كلمة (علمانية) فوجدت النص الآتى الذى يفلسف معنى الكلمة سياسيا وتشريعيا

La France est une republique indivisable laique

فكلمة laique الفرنسية ترجمها الدستوريون (علمانية) والذى وضع هذه الترجمة الادارة العامة للتشريع والفنون فى مجلس الامة (الشعب حاليا) كما هو ثابت فى الموسوعة العربية للدساتير العالمية التى أصدرها المجلس المذكور فى سنة ١٩٦٦ والتى تعتبر من وجهة النظر الفقهية المرجع الدستورى لتفسير هذه الكلمة اذا ما فكر أحد الأحزاب (وهو وارد) فى طلب تعديل مواد السيادة فى الدستور بحيث تحل كلمة (العلمانية) محل (الاسلامية) ومايترتب عليها من الغاء النص على اعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع فى غفلة من المعنى الحقيقى حين يشيع بين الناس المعنى الذى يروج له الذين تربوا على الثقافة الغربية واشربوها فاصبحت ألصق بهم من ثقافتهم الاسلامية التى ينكرون لها بين الحين والحين ويحاربونها تحت أكثر من عنوان فى مقالاتهم أو يومياتهم ومتى تم لهم ما أرادوا فلن يلتفت أحد الى المعنى المفتعل الذى أورده القاموس الوسيط الصادر من مجمع اللغة العربية ويتجه المشرعون الى المعنى الحقيقى للكلمة كما وردت فى دساتير الغرب مع أهدافها .

وفى واقع الامر ان كلمة (العلمانية)

للأستاذ محمد الليثى على

بالحروف العربية دخيلة على اللغة سواء كانت بفتح العين أم بكسرها وفى اللغة العربية ما يغنى عنها فى الحالين فعندنا العالمية نسبة الى العالم والعلمية نسبة الى العلم فما حاجتنا على اضافة (علمانية) مع الادعاء بنسبتها الى العالم أو العلم وقواعد النسبة الى الشىء معروفة فى اللغة العربية ولقد شجع هذا الافتراء على اللغة أحدهم أن يقترح أن نكون بفتح العين واللام لكى تنصب النسبة الى العلم بمعنى الراية.فيدخل فى مدلولها الاعلام الدولية التى يرفعها المتسابقون فى محافل الرياضة وهو محق فى اقتراحه مادامت الكلمة تخضع لكل هوى وتتشكل حروفها وفقا للاغراض لا وفقا لموضعها فى الاعراب •

ولقد دفعنى البحث عن الاصل الذى وفدت منه الينا كلمة (العلمانية) الى مراجعة بعض المصادر المتاحة فوجدت الآتى :

١ — جاء بكتاب « الدين والعلم » الذى ألفه بالتركية المشير أحمد عزت باشا وترجمه الى العربية الدكتور عبد الوهاب عزام وآخر وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٨ مايلى فى صفحة ١٩٥ تحت عنوان هوامش كتاب الدين والعلم :

« لفظ (اللادينى) وضعه فى اللغة التركية المرحوم (ضياكوك آلب) مقابلا لكلمة laique الفرنسية وكلمة لابيك مشتقه من اللغة اللاتينية ومعناها غير متخصص فى علم ومسلك وخصص الفرنسيون اطلاقها بالذى لم يدخل فى جماعة الرهبان •• فهى اذن ذات علاقة بالدين حتى ولو كانت ترجمتها (لارهبانية) •

٢ — راجعت معنى الكلمة ومرادفاتها فيما تحت يدى من قواميس فوجدت :

(أ) قاموس اكسفورد انجليزى ذكر مايلى ملخصا :

laic, laical (non clerical layman, secular)

(ب) قاموس القرن العشرين انجليزى — انجليزى (ينتسب الى العامة من الناس)

laical : pretaining to the people

(ليس من الكهنة) : not clerical

: secular : as apposed to clerical. one who believes that education should be opposed of religion; one who discarding religious believes.

(بالاختصار من يعارض الدين دراسة أو ينبذه عقيدة)

(ج) دائرة المعارف الفرنسية أحالت معنى (laique) الى مادة (clergé) بصفحة ٦٥١/٦٥٢ من المجلد الحادى عشر ولا يخرج البحث فيها عن أن المعنى ليس من رجال الدين (من عامة الناس) فالكلمة لها علاقة بالوضع الدينى الكاثوليكى •

(د) فى القاموس العصرى انجليزى عربى وعربى انجليزى جاءت الكلمات علمانى — غير كهنوتى • مختص بالعوام أمام :

laical, laity, lay :

clerical	كهنوتى
non clerical	غير كهنوتى

العلمانية فى الدستور

علمانى ــ غير كهنوتى ــ ليس من أرباب الغنى أو المهنة layman عالمى ــ دنيوى ــ علمانى ــ عامى (نسبة الى عام) جيلى secular (نسبة الى جيل) قرنى (نسبة الى قرن) (يلاحظ فتح العين)

(هـ) معجم اللغات (انجليزى ــ فرنسى ــ عربى) سواء الناس الرعية ــ جمهور المؤمنين ماعدا رجال الدين les laiques

(و) لاروس الجديدة Nouvau Larousse
laique (adj) l'école publique est LAIQUE elle est indpandante de tous les réligious

(عكس دينى) (réligieux)
laic : de chertiens que ne sont pas des membres

من غير رجال الاكليروس du clérge
غياب استعمال الدين

laicité : la laicite est l'abssnce d'engagement religieux .

(ز) المنجد فرنسى عربى عن دار المشرق بيروت علمانى ــ (دولة ــ تعليم مدرسة) لادينى laicou laique فليس من بين معانى Laique عالمى • كما يلاحظ كسر العين أيضا •

٣ ــ فسرت جمهورية السنغال ــ ودستورها مستمد من الدستور الفرنسى ــ كلمة (علمانية) غير دينية وذلك فى المادة ١ من دستورها (١) •

٤ ــ جاء فى ديباجة دستور جمهورية الكمرون تفسير للعلمانية جاء منه «مبدأ العلمانية الذى يضع الشعب الكمرونى جمهوريته تحت لوائه يعنى الفصل بين الكنائس والدولة ويترتب على ذلك : الجمهورية ليست كنسية ولادينية (١) •

٥ ــ جاء بالمادة ٢ من دستور جمهورية الجابون •

انها تعلن انفصال الدين عن الدولة •• ومن المعروف أن الجابون احدى دول الجماعة الفرنسية (١) •

٦ ــ وصفت المادة ٢ من دستور الجمهورية التركية بأنها دولة قومية ديموقراطية (١) علمانية ثم جاء بالمادة ١٩ من دستورها (••• كما لايجوز الاستناد الى التعاليم الدينية لتأييد نظام الدولة الاجتماعى أو الاقتصادى أو السياسى أو القانون وكل من يخالف ذلك أو يدفع الغير الى مخالفته يعاقب وفقا للقانون•

وهكذا نرى التفسير الصريح لكلمة العلمانية فى الدستور التركى كمبدأ فى ماهية الدولة كما أنه من استقراء المرادفات ومعانيها نجد (عالمى) فى معنى (secular) فقط •

اما بعد فمهما تعددت الالفاظ والمرادفات فى اللغات الاجنبية كلمة العلمانية سواء بفتح العين أو بكسرها ومهما تعددت المعانى العربية لهذه الالفاظ فمما لاشك فيه أن العلاقة وثيقة بين كلمة (العلمانية) وبين الرغبة فى الانسلاخ عن المبادىء والتعاليم الدينية سواء أكان هذا الانسلاخ متعلقا بالافراد أم بالجماعات أم بالدول وكل مايقال غير ذلك استنادا الى تخريج ضعيف لاحدى معانى الكلمة أو مرادفاتها قول غير ذى موضوع ولقد كان حريا بمجمع

---

(١) راجع موسوعة الدساتير العالمية •

(١) من بحث للمرحوم الشيخ كامل محمد حسن امام مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الخامس سنة ١٩٧٠ •

اللغة العربية عندما أضاف كلمة (علمانية) الى القاموس الوسيط آن يدرج كل المعانى التى خرجتها القواميس الاجنبية اذا العربية منعا لالتباس الامر على الناس حينما يأخذ أحدهم بمعنى دون آخر وعلى الأخص تلك المبانى التى أوضحتها الدساتير التى وصفت نفسها بالعلمانية والتى يعتد دائما بتفسيراتها لدى فقهاء القانون الدستورى ولا يعتد وقتئذ بأى معنى منسوب الى العلم أو العلم أو العلم ، ومن ثم تجد أن كلمة علمانى اذا أطلقت انصرفت بالغلبة على معنى (لادينى) فى القوانين الوضعية ويبدو أن الهدف من اثارة هذه المسألة من وقت لآخر هو صرف نظر الاجيال الحالية والقادمة عن الدين وابعادها بكل وسيلة عن مبادئه وتعاليمه ثم اغلاق المعاهد الدينية كما نادى بذلك الدكتور زكى نجيب محمود فى مقاله (أدرك السفينة باربانها) الذى نشره فى جريدة الاهرام يوم (٥ مارس سنة ١٩٨٣) وهو لم يطلب ذلك فى مقاله بصفة مباشرة ولكن كنتيجة منطقية لدعوته الى الغاء الازدواجية الموجودة فى التعليم الأساسى لأنها (أى الازدواجية) من وجهة نظره لاتؤدى الى أن يكون جميع الدارسين الى سن معينة تحت مظلة ثقافية واحدة وحتى لاتغرق السفينة فقد التجأ الى الربان لكى ينقذها من هذه الازدواجية والربان فى هذا المجال هو المخطط للتعليم فاقترح عليه أحد أمرين هما بالاختصار مع الحفاظ على المعنى .

١ ــ اذا كانت الدراسة فى الخط التعليمى العام هى الاصلح فلتكن هى الدراسة للجميع أو ٢ ــ اذا كانت الدراسة على برامج المعاهد الدينية هى الاصلح لوحدة المظلة الثقافية ــ فى رأى رجال التربية ــ فلتكن هذه الدراسة للجميع ويرى تبعا لذلك أنه من الاصوب أن نقدم للناشئة جميعا مايوحى لهم بقوة أنهم أبناء أمة واحدة لابد أن تكون لها رؤية ثقافية واحدة .

وهذا كلام معسول الظاهر ولكنه مر الباطن فهو يخفى وراءه غرضا جعله مقدمة لموضوع العلمانية الا اذا كنت أخطأت الفهم عنه فالدكتور الكاتب يعلم علم اليقين أن الدراسة على برامج المعاهد الدينية لاتصلح أن تكون مظلة موحدة لجميع أبناء هذه الامة من مسلمين وأقباط فلا خيار أمام المخطط للتعليم الا الاخذ بالخط التعليمى العام دون الخط التعليمى على مناهج المعاهد الدينية ومن ثم تغلق المعاهد الدينية الازهرية الابتدائية والاعدادية فلا تجد المعاهد الثانوية من يكون صالحا للالتحاق بها فتغلق هى الاخرى وهكذا ومن ثم يكون قد تحقق الحلم القديم للاستعمار الغربى الصليبى عندما دعا الى الغاء الازدواجية فى التعليم بعد ماتبين له أنه فى ظلال المعاهد الدينية توثقت العلاقة بين مصر وبين جميع البلاد الاسلامية وفى ظلال الازهر الشريف قويت عوامل الربط بين مصر وبين كل المجتمعات الاسلامية فاضعاف الصلة التى تربط بين التعليم الدينى والمدنى سياسة ابتدعها جورج لويد ومستر دنلوب وكان من أثرها الغاء التعليم الدينى بالمدارس الالزامية وعندما قام بعض الخيرين بافتتاح كتاتيب لتحفيظ القرآن سلطوا عليها وزارة الصحة

البقية ص ١٢٠٢

بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية في مصر

تكتنف مصر — حكومة وشعبا — الدراسة والبحث من أجل حل مشاكل « مصر » الاقتصادية ، كى تنطلق البلاد — باذنه تعالى — الى آفاق رحبة مشرقة بالرفاهية والازدهار •

وقد نادى الرئيس محمد حسنى مبارك بضرورة زيادة الانتاج مثلما نادى فدعا الأطراف جميعا الى دراسة قضية الدعم التى هى احدى الوسائل — لاصلاح المسار الاقتصادى ، ثم خطت الحكومة خطوة رائدة فقررت خفض الانفاق الحكومى فى جهاز الدولة والقطاع العام بنسبة عشرة الى مائة ، أى ما يوازى خمسمائة مليون جنيه فى الموازنة الجديدة للدولة عن عام ٨٤/١٩٨٥ •

والى هذه الخطا الثلاث يطرح البعض دعوى بـ « ضرورة تنفيذ ميزانية تقشف » لمدة محدودة حتى يمكن اصلاح ميزان المدفوعات المصرى •

وليس من شك فى أن جهود الاصلاح الأخيرة التى خطت اليها جهات حكومية مسئولة قد تمكنت من لمس مظاهر الفساد والافساد ، فاذا أمام القضاء مجموعة من القضايا تتعلق بشئون اقتصادية يمثل المتهمون فيها أمام القضاء ، وفى يد العدالة نعم الجزاء•

على أن هذه المظاهر مجتمعة تبشر باصلاح يزهد فى الدعاية ويحث على التطهير وحتى نتبين حجم هذه المشاكل ينبغى أن نلقى الضوء — بايجاز — على أهم رءوسها التى يعانى منها اقتصاد البلاد ، لاسيما مشاكل :

الانتاج — الدعم — خفض الانفاق الحكومى ، ثم نتطرق الى اقتراح بالاصلاح •

الانتاج :

ان الدعوة الى زيادة الانتاج ، وتجويده لينافس المنتجات غير الوطنية ويغنى المصرى عن البضاعة الاجنبية — لهى حجر الأساس لتقدم وازدهار مستوى معيشة شعب مصر ، وقوة الدولة •

ولكى تتحقق هذه الدعوة وتأتى بنتائجها المرجوة ينبغى معرفة العوامل الأساسية المؤثرة فى نجاحها فى كافة المجالات ، وفى ضوء حصر هذه العوامل ودراستها يمكن تحقيق الغرض الأساسى للنجاح ، وسوف يتأتى — من ذلك — تأكيد شخصية مصر مع الاعتماد الكلى على اقتصاد يبنى على أكتاف المصريين وليس على أكتاف المعونات والقروض ، فان هذه الأخيرة ذات ذبذبة سياسية فضلا عما يتبعها من ارتباطات دولية تثير الشبهات فى كثير من أحوالها •

للأستاذ عبد المنعم فـــودة

وهنا يجب أن يقوم النشاط الاقتصادى فى البلاد على الاهتمام الوفير بالكيف ، فان الاهتمام بالكم وحده يجعل السلعة ــ من ناحية الجودة ــ غير مقبولة فى السوقين : العالمى والمحلى ، كما أنه يشجع الكثيرين فى السوق المحلى على سد احتياجاتهم بالبضائع المستوردة •

ولقد تستمرىء القوى العاملة مبدأ العمل بالكم لما يحقق لها من دخل وحوافز ومكافآت ولكنه فى النهاية يبوء بالكساد وتتغلب عليه السلعة الاجنبية ولو كان مستوى جودتها غير قياسى •

ولا شك أن أهم العوامل المؤثرة فى زيادة الانتاج وجودته هو العمل على تقليل نسبة « الفاقد الحقيقى » غير المنظور ، وليس الوهمى الذى يظهر فى مستندات العملية الانتاجية بمعناها الواسع ، أى : الانتاج والخدمات معا •

هذا الفاقد غير المنظور يعتبر خسارة محققة للاقتصاد القومى حيث تعتبره الوحدات الاقتصادية ضمن حجم الانتاج نتيجة ارتباط الانتاج بالكم مما يترتب عليه خسائر متعددة فى مقدمتها فقد السوق الأفضل وتخفيض ثمن المنتج الى درجة قد تصل الى أقل من التكلفة الفعلية •

ومن هنا ، ولكى نعالج هذا الاسراف فى الفاقد ، ونهتم الى جانب ذلك بزيادة الانتاج القومى فى أحسن حالة لابد لنا من تطبيق قواعد ضبط الجودة والمراقبة والتفتيش المحايد على جميع خطوات التنفيذ •

الدعم :

من المفيد فى دراسة « قضية الدعم » وما يتصل بها من قضايا الأجور والأسعار والانتاج والانفاق العام داخليا وخارجيا ألا تفوتنا حقائق تتعلق بهذه القضية ومدى تأثيرها على المشكلة الاقتصادية •

لقد تبين للباحثين فى هذه القضية أنه كان ينبغى أن يكون لها معايير دقيقية فيما يتصل بطبيعة السلع والخدمات التى يمكن دعمها حتى يمكن أن يتجه الدعم الى ما ينبغى دعمه فعلا فتنتفع به الطبقات الكادحة ولا يكون له تأثير سىء على اقتصاد البلاد لكن نرى أن الدعم امتد حتى شمل :

(أ) الدقيق الفاخر والعصائر والمربيات « والكمبوت » وامتد ــ فى بعض الأحيان ــ فشمل سلعا خرجت عن نطاق الحاجيات الضرورية •

(ب) كذلك امتد ــ الى مجالات أخرى ــ مثل التزام الدولة بتحمل فروق القروض الميسرة •

ان الاعتمادات المدرجة بالموازنة العامة لخفض تكاليف المعيشة لا تمثل وحدها حجم الدعم بمعناه العلمى فى الاقتصاد المصرى لذا يجب أن نفرق بين الانواع الثلاثة الآتية : ــ

٧

١ ـ دعم الموازنة :

مثل الاعتمادات المخصصة لخفض تكاليف المعيشة (وهى الدعم المباشر) وما أضيف اليها مؤخرا (الفوائد) وهى مدرجة لتشجيع الاستثمارات فى المجالات المرغوبة ، ويوضح الجدول التالى تطورا لاعتمادات الدعم بالموازنة العامة للسلع التموينية منذ عام ٧٣ باعتبارها تمثل النسبة الغالبة من الدعم المباشر •

(القيمة بالمليون جنيه (١))

السلعة / السنة	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٩/٧٨	٨١/٨٠	٨٢/٨١
القمح	٧٠ر٨	١٩٤ر١	١٣٥ر١	١٥٢ر٣	١١٧ر٥	٤٨١ر٨	٣٥٨ر٢	٥٨٧ر٢
الدقيق	٨ر٢	٢٧ر٠	٢٧ر٦	٢٥ر٨	٣١ر٦	١٠٦ر٤	١٥٢ر٨	٢٠٢ر٤
الاذره الصفراء	٤ر٤	١٦ر٥	٢٩ر٢	٢٣ر١	٤٠ر٦	٣٨ر٤	٦٣ر٧	١٢٥ر٤
العدس	٠ر٦	٢ر٢	٦ر٣	٩ر٠	٩ر٤	١٤ر١	٢٤ر٥	٣١ر٨
الفول	٠ر٣	٠ر٧	٥ر٢	٦ر٠	٢ر٠	١٢ر٧	١٣ر٠	٣٠ر٠
السمسم	٠ر٤	٠ر٣	٢ر٧	٠ر٤	٠ر٣	-	٥ر٦	٦ر٦
زيت الطعام	١٦ر٨	٤٥ر٢	٧٢ر٦	٤١ر٠	٤٨ر٤	١٣٣ر٧	١١٤ر٢	٢٣٣ر٧
الدهون	٢ر٩٠	١٣ر٦	١٩ر١	١٦ر٤	٣٦ر٤	٦٦ر٤	٨٠ر٣	٦٣ر٩
السمن الصناعى	١ر٠	٠ر٢	-	-	-	-	-	-
الزبد	-	٠ر٤	-	-	-	-	-	-
اللحوم المجمدة	-	-	-	٢٠ر٤	-	٤١ر٤	٦٧ر٣	٩٨ر٣
الدواجن المجمدة	-	-	٠ر٥	-	-	-	٧ر٦	٢٦ر٣
لحوم حية	-	٠ر٦	٠ر٣	-	-	-	-	٢ر٠
السمك المجمد	٠ر٥	-	٣ر٠	٠ر٢	٠ر٤	٢ر٩	١٨ر٥	١٨ر٦
السكر	-	١٦ر٢	١٩ر٥	-	-	-	٩٧ر٨	١٣١ر٤
البن	-	٠ر٥	٠ر٣	٣ر٣	٥ر٦	-	-	-
الشاى	-	-	-	-	١٨ر٣	٥٤ر٦	٢٧ر٤	٢٤ر٤
ارز محلى	-	-	-	-	-	٤٣ر٠	٤٣ر٧	٥٢ر٥
الخشب	١ر٩	٩ر٤	٤ر١	-	-	-	-	-
سلع متنوعة	٠ر٠٢	٠ر٦	١ر١	-	-	-	-	٢٤ر٩

ويلاحظ فى هذا الجدول : ـ

ـ أن دعم الخبز وحده يبلغ ٨٨٦ مليون جنيه عام ١٩٨٢ منها ٢٦ مليون لسد متطلبات أصحاب المخابز والعمال لتحقيق ربح مجز لصاحب المخبز وأجر مناسب لعمال (الأفران)

ـ تزايد اعتمادات الدعم للحوم المجمدة والدواجن المجمدة من سنة لأخرى •

ـ تزايد الاعتماد بصفة عامة على

الاستيراد من الخارج •

٢ ـ الدعم الاقتصادى :

ويمثل الاعتمادات المخصصة للعملية الاقتصادية ككل ، منها : ـ

(أ) تكلفة الفرصة الضائعة على الاقتصاد القومى نتيجة استهلاك بعض السلع (البترول مثلا) بأسعار منخفضة عن أسعار تصديرها •

(ب) تكاليف الفرق بين أسعار الصرف للعملات الاجنبية المستخدمة فى استيراد الجزء الأغلب من الاستيراد السلعى والأسعار الواقعية للعملية الوطنية •

(ج) ما تتحمله الموازنة العامة ووحدات القطاع العام من تكاليف العمالة الزائدة ، والتى تقدر فى الجهات الحكومية بخمس أجمالى العاملين بها . ونصف هذه النسبة فى وحدات القطاع العام •

(د) حجم الرسوم الجمركية على السلع التى تعفيها الدولة اسهاما منها فى خفض [تكا]ليف المعيشة •

(هـ) ما تتحمله الدولة من اعتمادات [ل]تقديم خدمات للمواطنين دون مقابل •

٣ ـ الدعم التمويلى :

ويمثل التحويلات التى يتحملها قطاع من المجتمع لصالح قطاع آخر أو المجتمع بأكمله وأهم بنوده :

(أ) فروق أسعار الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية نتيجة لتسعيرها بأقل من تكلفتها أو من أسعار استيرادها •

(ب) الفرق بين العائد الاقتصادى الحقيقى والعائد الفعلى لأصحاب العقارات الزراعية والمبنية المؤجرة •

(ج) ما يتحمله مستوى الأجور نتيجة توجيه جزء من هذه الأجور للعمالة الزائدة طبقا لالتزام الدولة تشغيل الخريجين •

وبصفة عامة فان القضية قضية الدعم يحيطها عوامل متعددة تؤثر مجتمعة فى الاقتصاد القومى ولذلك فانه يجدر بنا هنا أن نعددها وندرسها لكى نصل فى النهاية الى أحد الحلول الهامة لدراسة كيفية ترشيد الدعم وتقليل الثغرات التى تتخلله •

١ ـ يستنفد الدعم الظاهر بالموازنة وحده نحو ٣٤ر٤٪ من الموارد السيادية طبقا للبيان المالى لعام ٨٣ / ٨٤٠ مما كان له أثره على برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن أن معدلات التزايد المستمرة فى حجم هذا العبء والتزام الدولة بتدبير الموارد الكافية لمواجهته ـ فى ظل قصور الموارد المالية ـ قد يدفعها الى الاقتراض من الخارج مما يؤدى الى زيادة تفاقم المشكلة الاقتصادية

ولقد اضطرت الدولة فى الميزانية الحالية ٨٤/٨٥ لرصد مبلغ ٢٠٤٠ مليون جنيه لاعتمادات الدعم بينما بلغ ما رصدته عام ١٩٧٣ (١٠٨) ملايين جنيه •

٢ ـ ان الفرق الكبير بين أسعار بعض السلع المدعمة وأسعار السلع المثيلة المطروحة فى الاسواق المحلية ساعد على ظهور فئات مستغلة من الوسطاء تلجأ الى التحايل بما

يمكنها من المتاجرة فى السلع المدعمة وصولا الى الاثراء على حساب ميزانية الدولة .

٣ - ان خطورة الأمر لم تتوقف عند حد اعتبار موضوع الدعم مجرد مشكلة عادية . وانما أصبح كما يؤكد الجهاز المركزى للمحاسبات . مشكلة على جانب كبير من الصعوبة بعد أن بات مؤكدا أن رجوع الحكومة فيه أو حتى مجرد التوقف عند حد معين لهو أمر عسير المنال ومحفوف بالمخاطر بعد أن تغلغل فى الكثير من الانشطة الاقتصادية وفى العديد من السلع والخدمات وبعد أن تعددت صوره وأشكاله فانه فضلا عن الدعم الظاهر بالموازنة والذى يتناول **مباشرة العديد من السلع الاساسية وحتى غير الاساسية والعديد من الخدمات التى من أهمها تحمل الجانب الاكبر فعلا من تكاليف مقاومة آفات القطن والأرز . والجانب الاكبر من فوائد القروض الميسرة التى تقدم للمزارعين والحرفيين عن طريق بنوك الائتمان** وتقديم القروض الميسرة للاسكان واستصلاح الأراضى والامن الغذائى حيث تتحمل الدولة فروق فوائدها . **فهناك أيضا أنواع أخرى من الدعم تتحملها الموازنة أيضا وان لم ترد صراحة تحت مسمى الدعم فى مقدمتها .**

٤ - اضطرت الحكومة لمواجهة الطلب المتزايد على بعض السلع الى التوسع فى استيرادها ودعم اسعار بيعها للمستهلكين . بينما تركت نفس السلع من الانتاج المحلى تباع بأسعار السوق (كالقمح) أو أسعار أخرى تحددها (كاللحوم) **ويعنى ذلك أن الاقتصاد المصرى يدفع - عن غير قصد - دعما غير مباشر للمنتجين فى الخارج** ويفتح لهم أسواق مصر .

٥ - زاد حجم وقيمة المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية التى نستوردها الى الحد الذى فاق كل التقديرات وفاق أيضا الزيادة السكانية وارتفاع الدخول ، لاتباع الدولة سياسة توفير هذه المواد بكميات مناسبة بالاسعار المدعمة ، فارتفع بالتالى حجم الدعم لهذه السلع ، واذا كانت الموارد محدودة فانه يخشى أن يؤدى ذلك الى زيادة الاقتراض من الخارج مع ما يحيط ذلك من مخاطر .

٦ - فى كثير من السلع ، وبخاصة المستورد منها ، تدعم الموازنة العامة السلع فى شكلها النهائى بينما فى سلع أخرى يوجه الدعم للمدخلات ، وبالتالى فان الحكم على كفاية العملية الانتاجية يكون عسيرا .

من هذا يتبين أن اعتمادات الدعم ليست فقط فى حاجة الى ترشيدها داخليا ، وانما الى ترشيدها - على الأخص - فى السلع الغذائية التى تستنفد الجزء الأكبر من اعتمادات الدعم .

يتبع

بتصرف عن دراسة لـ (كومبيصل)
عبد المنعم محمد فودة

العلوم الكونية

علوم القمر

الغلاف المائى

علوم القمر

« هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (يونس آية ٥) .

دأب الانسان منذ القدم على محاولة معرفة ما على سطح القمر وقد رصدت لذلك الاموال الطائلة من أجل أبحاث مستفيضة .

وكنا نتمنى أن يكون للعلماء المسلمين النصيب الاكبر فى هذه الابحاث الحديثة ذلك لأن اخضاع الاكتشافات والعلوم الحديثة للمفاهيم الاسلامية والنصوص القرآنية يمكن العلماء المسلمين ودارسى القرآن الكريم من اصلاح الحياة على الارض كلها بل واصلاح ما بعد الموت لانه ليس هناك شرع استوعب كل كمالات الحياة والممات كالاسلام « وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » المائدة .

وقد تمكنت روسيا عام ١٩٥٩ من أخذ صور واضحة للوجه غير المرئى للقمر مما أثبت وجود تماثل بين طبيعة سطح القمر فى كلا الوجهين . وتمكن الأمريكيون فى عام ١٩٦٥ من اطلاق صاروخ « رينجر ٧ » الى القمر وقد وصل قريبا جدا من القمر والتقط العديد من الصور . وفى النهاية استطاع الانسان الهبوط على سطح القمر بواسطة ثلاثة من الرواد الأمريكان (رحلة أبوللو ــ ١١ ، سنة ١٩٦٩) ، وتوالت بعد ذلك الابحاث والدراسات على سطح القمر ، وسوف نتعرض باذن الله لملخص لبعض ماتم التوصل اليه من خلال الرحلات الفضائية المختلفة .

١ ــ سطح القمر :

ان الناظر الى القمر فى ليلة اكتماله وهو (بدر) ساطع تام الاستدارة يستطيع أن يميز به مناطق مضيئة لامعة وأخرى داكنة تميل الى السواد .

أما المناطق اللامعة فتمثل بصفة عامة المرتفعات القمرية كقمم الجبال العالية وهذه تقوم بعملية انعكاس لأشعة الشمس الساقطة عليها لذلك فهى تبدو أكثر لمعانا واضاءة .

وأما المناطق الداكنة فتمثل المنخفضات القمرية التى تسمى أحيانا باسم (بحار القمر) وهى خاوية تماما من الماء .

وعلى هذا الاساس فمن أهم ظواهر الشكل الظاهرى لسطح القمر هى وجود سلاسل فى الجبال العالية ووجود مجموعة من المنخفضات المسطحة الجافة (بحار القمر)

كيميائى منير عبد الفتاح عبد الحميد

وبجانب ذلك توجد أيضا ظاهرة الفوهات المستديرة وهى تنتشر على سطح القمر بصورة ملفتة للنظر ، كذلك توجد ظاهرة الشقوق والأخاديد العميقة • وسنذكر بمشيئة الله نبذة مختصرة جدا عن كل من هذه الظواهر الأربعة :

(أ) جبال القمر :

يحتوى سطح القمر على حوالى ثلاثين من السلاسل الجبلية التى يتراوح ارتفاعها ما بين أقل من كيلومترين الى حوالى ثمانية كيلومترات • ويبدو أن معظم هذه السلاسل الجبلية تتكون من الصخور المسمى بـ (الانورثوسيت) وهى صخور فاتحة اللون ذات وزن نوعى خفيف الى حد ما وهذه الصخور غنية بالكالسيوم والسيليكون ووجد أن عمرها يزيد عن (٤٠٠٠) مليون سنة (كما دلت القياسات التى أجريت عليها) •

(ج) بحار القمر :

البحار القمرية تمثل مناطق منخفضة من سطح القمر بالنسبة لما حولها وهى كما أسلفنا لا يوجد بها ماء وانما أطلق عليها لفظ البحار (باللغة الانجليزية) لانخفاضها واستواء قيعانها ويوجد من هذه البحار ما يقرب من عشرين بحرا أهمها هو « بحر الهدوء » الذى هبطت عليه سفينة الفضاء « أبوللو — ١١ » بروادها الآدميين •

(د) فوهات القمر :

تعتبر الفوهات من الظواهر العجيبة على سطح القمر ، وهى عبارة عن ثقوب أو فجوات ذات أعماق لم تعرف بعد يحيط بها من الخارج حواف مرتفعة ويوجد منها الصغير الذى يبلغ قطره عدة مئات من الامتار ، ومنها المتوسط ومنها الكبير الذى يبلغ قطره عدة مئات من الكيلومترات •

ومن أمثلة الفوهات الكبيرة فوهة « كوبر نيق » التى يبلغ قطرها حوالى ٩٠ كيلو مترا فى حين ترتفع حوافها الى حوالى أربعة كيلو مترات • وقد استبعد العلماء والباحثون فكرة نشوء هذه الفوهات نتيجة لفوران بركانى من داخلها نظرا لاتساعها الضخم بالنسبة لفوهات البراكين الأرضية •

ورجحوا أن تكون هذه الفوهات ناشئة عن سقوط (رخات) (١) منتظمة من النيازك ذات الاحجام الضخمة والتى تصطدم بسطح

---

(١) الفعل رَخَّ بابه عَدَّ ، رَخَّ الشئ وَطِئَهُ فأَرْخَاه والشراب : مزجه ، والرَّخ : الرشاش من المطر ،

٥ علوم القمر

القمر بعنف محدثة فجوات عميقة • هى الفوهات •

(د) الشقوق والاخاديد على سطح القمر :

يحتوى سطح القمر على الكثير من الشقوق والصدوع :

وهذه الشقوق يوجد منها القصير الذى لا يتعدى طوله بعض الكيلومترات •

ومنها الشقوق الضخمة التى تمتد لمسافة عدة مئات من الكيلومترات •

أما الأخاديد فهى عبارة عن منخفضات ضيقة وعميقة بالأرض تنشأ عن صدعين متوازيين يحدث بينهما الهبوط المشار اليه • ولا تزال الابحاث والدراسات جادة فى هذا المضمار لكشف عن غموض هذه الشقوق والاخاديد ، وأسبابها •

التركيب الكيميائى للصخور القمرية :

نجحت رحلات « أبو للو — ١١ » الى « أبوللو — ١٧ » فى الهبوط على سطح القمر والعودة بكميات لا بأس بها من الصخور •

أيضا فان رحلات الاتحاد السوفيتى « لونا — ١٦ » و « لونا — ١٧ » قامت باحضار مئات الجرامات من الصخور القمرية •

وقد بذل الباحثون عدة محاولات لمعرفة التركيب الكيميائى للصخور القمرية ، والجدول الآتى يوضح التركيب الكيميائى للصخور البازلتية القمرية بالمقارنة بالصخور البازلتية الأرضية •

أكسيد العنصر	النسبة المئوية للبازلت القمرى	النسبة المئوية للبازلت الأرضى
اكسيد السيليكون	تترا[illegible] ٤٠٪ — ٤٧٪	تتراوح ما بين ٤٥٪ — ٥٠٪
اكسيد الالمونيوم	تتر[illegible] ٨٪ — ٢٠٪	تتراوح ما بين ٥٪ — ١٨٪
اكسيد الحديديك		٣٪
اكنيد الحديدوز	تتراوح ما بين ٨٪ — ٢٧٪	تتراوح ما بين ٣٪ — ٩٪
اكسيد الماغنسيوم	تتراوح ما بين ٦٪ — ٨٪	تتراوح ما بين ٤٪ — ١٨٪
اكسيد الكالسيوم	تتراوح ما بين ٩٪ — ١٣٪	تتراوح ما بين ٧٪ — ١٢٪
أكسيد الصوديوم	تتراوح ما بين ٣٠ر٪ — ٧٠ر٪	تتراوح ما بين ٢٪ — ٣٪
أكسيد البوتاسيوم	تتراوح ما بين ٠٧ر٪ — ٥٠ر٪	تتراوح ما بين ٥٠٪ — ١٪
اكسيد التيتانيوم	تتراوح ما بين ١٪ — ١٢٪	تتراوح ما بين ٣٪ — ٦٪
خامس اكسيد الفسفور	تتراوح ما بين ٠٧ر٪ — ٥٠ر٪	تتراوح ما بين ١٥ر٪ — ٨ر٪
اكسدد المنجنيز	تتراوح ما بين ١ر٪ — ٤ر٪	تتراوح ما بين ١ر٪ — ٢٥ر٪

مقارنة بين نسبة تواجد العناصر الهامة فى صخور البازلت وصخور البازلت الأرضية .

(يلاحظ وجود تشابه كبير بين نسب عناصر صخور القمر ونسبة عناصر صخور الأرض).

هذا وقد أدت التجارب التى أجريت على صخور القمر أيضا الى تحديد نسب العناصر المشعة (لأشعة جاما) وذلك عن طريق تحديد نسب البوتاسيوم واليورانيوم والثوريوم .

٣ ــ الحياة على سطح القمر :

على الرغم من أن هناك جانبا غير مجدى للبحث فى هذا الامر الا أنه قد يكون هناك فوائد تعود على البشرية من جراء البحث عن امكانية الحياة على سطح القمر اذ أن ذلك قد يصل بنا الى امكانية التعرف على وجود كائنات حية على سطح القمر وهل هى عاقلة أم لا ؟ وهل يمكن تبادل المنفعة بين أهل الأرض وأهل القمر ؟

وقد أخذ أرمسترونج (قائد سفينة ابوللو ــ ١١) يردد على سطح القمر بعد أن وطئت قدماه : « هنا خطا رجال من كوكب الأرض أولى خطواتهم على القمر فى يوليو ١٩٦٩ . وقد جئنا بروح السلام للبشرية جمعاء » وكان هذا النداء باللغة الانجليزية على أمل أن يجد صدى من مخلوقات ذكية وعاقلة . لكنه لم يجد اجابة .

والواقع أن الدراسات والابحاث المعملية أثبتت عدم امكانية وجود كائنات حية من النوع الذى يعيش على الأرض اذ أنه لا يوجد غلاف جوى أو مائى ظاهر كما أنه لا توجد وقاية من الاشعاعات الكونية ولا يوجد ما يخفف فروق درجات الحرارة الكبيرة بين النهار والليل بالقمر .

***

غير أن هذه النتيجة التى تنادى بعدم وجود حياة فوق القمر ينبغى ألا تمنعنا من التفكير فى وجود مخلوقات عاقلة فى أماكن أخرى من الكون الفسيح سواء فى الكواكب أو المجرات البعيدة .

يقول الله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَابَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » .

صدق الله العظيم .

---

١ ــ محيط العلوم ــ طبعة دار المعارف ١٩٦٣ .
٢ ــ جيولوجية القمر ــ للاستاذ الدكتور على على السكرى .
٣ ــ قاموس الجيولوجيا .
٤ ــ من أدب القرآن للدكتور الشرباصى .
٥ ــ مجلات علمية أجنبيه ١٩٧٣ .
Analgtical Geochemistry

الغلاف المائي

« وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) .
وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) .
وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) .
(سورة النحل) .

تمهيد :

يقصد بالغلاف المائى جميع الأسطح المائية التى توجد على سطح الكرة الأرضية من محيطات وبحار وبحيرات وأنهار .. الخ .

ومن المعروف أن الكرة الأرضية التى نعيش فوقها مسطحة قليلا عند القطبين ، أى أن قطرها الاستوائى وهو قرابة (٧٩٢٦ ميل) أكبر من قطرها الذى يصل بين القطبين فهو نحو (٧٨٩٩ ميل) ، وتبلغ مساحة سطح الكرة الأرضية كلها حوالى (١٩٧ مليون ميل مربع) منها حوالى (١٤١ مليون ميل مربع) تغطيها المحيطات والبحار (أى نحو ٧١٪ من مساحة سطح الكرة الأرضية) بينما مساحة اليابسة نحو (٥٦ مليون ميل مربع) . (أى نحو ٢٩٪ من مساحة سطحها) .

هذا ولا تتوزع اليابسة والبحار بالتساوى على سطح الكرة الأرضية ، اذ توجد معظم اليابسة فى نصف الكرة الشمالى بينما تغطى المحيطات معظم نصف الكرة الجنوبى .

عمق المحيط :

يختلف عمق المحيط من منطقة الى أخرى ويزيد فى المتوسط على ١٣ ألف قدم (حوالى ٣٩٠٠ متر) ، وقد أمكن قياس أعماق تزيد على ٣٥ ألف قدم (حوالى ١٠٥٠٠ متر) باستخدام صدى الصوت فى المحيط الهادى ، وتم التعرف على أعظم الأعماق فى خندق ماريانا الذى يصل الى نحو سبعة أميال .

ارتفاع اليابسة :

ومن ناحية أخرى يختلف ارتفاع اليابسة أيضا من منطقة الى أخرى فمتوسط ارتفاع اليابسة يقل عن (تسعمائة متر) ، ولكن هناك ارتفاعات تصل الى علو ٨٧٠٠ متر فى (الهملايا) .

وعلى الرغم من أن الفرق بين أعلى قمة

للدكتور ربيع سيد فولى

على سطح الكرة الأرضية وأكبر عمق للمحيط (حوالى ١٣ ميلا) قد يبدو كبيرا الا أنه فى الحقيقة صغير جدا اذا ماقورن بنصف قطر الكرة الأرضية الذى يقارب حوالى ٤٠٠٠ ميل .

ملوحة مياه البحار والمحيطات :

تتوقف ملوحة مياه البحار والمحيطات على عدة عوامل :

مثل معدل سقوط الأمطار .

ومعدل البخر من هذه الأسطح المائية الذى يتوقف بدوره على سرعة الرياح السطحية ودرجة حرارة الهواء عند سطح المياه وتركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى .

وحيث ان هذه العوامل تتغير بتغير المكان والزمان لذلك تتغير أيضا ملوحة مياه البحار والمحيطات من منطقة الى أخرى ومن زمان الى آخر .

الكائنات الحية البحرية :

من نعم الله تعالى علينا — أن جعل (الاكسجين) أثقل قليلا من الهواء ، ولذوبان الاكسجين فى الماء أهمية كبرى اذ أن الحيوانات والنباتات البحرية تستمد ما يلزمها للتنفس من الاكسجين المذاب فى الماء ، وكذلك (غاز ثانى أكسيد الكربون) الذى يتكون فى الغلاف الجوى تمتصه النباتات والأعشاب البحرية أثناء عمليات التمثيل الضوئى ثم تعيده (أكسجين) خالصا .

أى أن التفاعلات التى تحدث بصفة مستمرة بين الغلاف الجوى والغلاف المائى تعتبر أساسا لحياة الكائنات الحية البحرية بأنواعها المختلفة ، وسنوضح فى مقالات مقبلة باذن الله تعالى أن هذه التفاعلات تعمل أيضا على الحفاظ على حياة الانسان والكائنات الحية الأخرى فوق سطح الكرة الأرضية .

دور المحيطات فى المناخ والتغيرات المناخية :

عند محاولتنا فهم مناخ كوكب الأرض والتغيرات التى تحدث فيه يواجهنا نظام طبيعى معقد جدا ، ويتضمن هذا النظام ليس فقط الغلاف الجوى — والذى عرف عن سلوكه وخصائصه الكثير نسبيا — ولكن أيضا الغلاف المائى والكتل الجليدية — تلك الكتل التى لم يعرف عنها الكثير — وكذلك التغيرات التى تحدث فى سطح الكرة الأرضية . وبالاضافة الى العوامل الطبيعية سابقة الذكر ، يوجد أيضا عمليات وتفاعلات كيماوية وحيوية معقدة متبادلة — بين الغلاف المائى والغلاف الهوائى — تؤثر على المناخ من ناحية ، ومن ناحية أخرى تؤدى دورا هاما فى تأثير المناخ على الكائنات الحية المختلفة ، وبالتالى على الانسان .

٥

الغلاف المائى

هذا وكل من العمليات المذكورة يخضع لتفاعلات معقدة مع بعض العوامل الأخرى وذلك لمدى كبير من مقاييس الزمان والمكان ، تمتد من العمليات ذات المقياس الصغير — التى تحدث حولنا يوميا — الى تلك العمليات التى يصل تأثيرها الى باطن الأرض وتظل لسنوات عديدة .

وفيما يلى نلخص الخصائص الرئيسية للمحيطات تلك الخصائص التى تؤدى دورا هاما فى مناخ كوكب الأرض .

أولا : مساحة المحيطات أكبر من مساحة اليابسة، ويزيد الفرق بين المساحتين خصوصا فى نصف الكرة الجنوبى اذ تصل مساحة المحيطات الى حوالى ٨٥٪ من مساحة الأرض (بالمقارنة الى ٦١٪ فى نصف الكرة الشمالى) ، كذلك توجد خصائص مميزة أخرى فى نصف الكرة الجنوبى مثل الغطاء الثلجى الأعظم ،والمساحات الكبيرة والمتغيرة من سطح المحيطات ، والتى يغطيها الجليد .

ثانيا : تعتبر المحيطات باردة اذ أن متوسط درجة حرارتها حوالى ٣,٥°م ، ولها سعة حرارية كبيرة بالمقارنة الى الغلاف الجوى . السعة الحرارية للثلاثة أمتار العليا من المحيطات تعادل السعة الحرارية الكلية للغلاف.

هذا وتكون الطبقة العليا من المحيطات (٥٠ — ١٠٠ متر) ممزوجة جيدا بحيث يكون التغير فى درجة حرارتها — نتيجة لاكتساب كمية حرارة معينة — أقل بكثير من التغير الذى يحدث فى درجة حرارة سطح اليابس .

ثالثا : من الممكن تقسيم المحيطات — رأسيا — الى طبقتين أساسيتين ، على الأقل فى خطوط العرض المدارية والمعتدلة ، اذ توجد طبقة رقيقة (سمكها بضع مئات من الأمتار) علوية دافئة فوق الحجم الأعظم للمحيطات والذى يكون باردا معزولا عن الغلاف الهوائى فيما عدا التغيرات التى قد تحدث عند اعتبار فترات زمنية طويلة جدا .

رابعا : تعتبر التغيرات التى تحدث فى المحيطات طفيفة بالنسبة للتغيرات التى تحدث فى الغلاف الجوى وذلك نتيجة للسعة الحرارية العالية للمحيطات وتياراتها البطيئة . وتقتصر التغيرات الفصلية — التى تحدث من فصل الى فصل آخر — للمحيطات على البضع مائة متر العلوية منها ، وفى المناطق ذات التيارات الشديدة بعيدا عن خط الاستواء تتأثر أيضا التغيرات الفصلية بالتموجات الحرارية نتيجة لانتقال الدوامات .

خامسا : تعتبر المحيطات المصدر الرئيسى لبخار الماء الذى يتواجد فى الغلاف الجوى اذ أن متوسط معدل البخر يكون حوالى ١٠٠سم لكل سنة ، ويتراوح معدل البخر بين ١٠ ، ١٥٠ سم لكل عام .

هذه القيم بالطبع متوسطات طويلة المدى ، ولكن معدل البخر الحقيقى فى مكان وزمان محددين يتوقف بدرجة كبيرة على العوامل الجوية المختلفة ويعتبر عاملا هاما فى العمليات المتبادلة المهمة والمعقدة التى تحدث بين الغلاف الهوائى والغلاف المائى .

وسنتحدث فى مقالة مقبلة باذن الله عن دورة بخار الماء بشىء من التفصيل .

مع التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من الرياض المستطابة

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

الدين ضروري للعمران

لصاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى

الانســـان – خليفة الله فى الكون – مركب من روح وجسد . ولكل منهما مطالب لابد من اشباعها فاذا قصر فى واحـدة على حسـاب الأخـرى دب الفساد اليه ونضبت القريحة فيه وفترت الهمة ، منـه واذا أسرف فى واحـدة منهما كان الجنوح والميـل وزيـغ البصر وعمى البصيرة فلا يهتدى الى النافع ولا ينـأى عن الضـار .

فلا يقيمه – على خير حال – سوى الاعتدال فانه الذى يسلك به سواء السـبيل .

كذلك فان مراقبة الله فى السر والعلن عامل اساسى فى الأخـذ بأسـباب الأعتدال فان الله يعلم السر وأخفى ، وهو مطلـع على أحـواله وسـيجازيه عليها وان كانت مثقـال ذرة .

والله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أتى فى ذلك بأحكام جامعة وقضايا شاملة . وقوانين وأسس تسير عليها الانسـانية حتى تبلغ بر الأمان ، وتصـل شـاطىء النجـاة .

وقد شمل هذا الدين عناصر البقاء وأسس الحياة للانسـان .

فحرى بهذا الانسان أن يتلاءم مع هذا الدين وأن يتواءم مع قـوانينه ويتآلف مع شريعته حتى يكون – بحق – خليقـة الله فى أرضـه فيعمرهـا بنشر تعاليم الاسلام فى ربوعها وبين ابنائها ..

قال الشيخ – رحمه الله :

خلق الله الانسان مركبا من شيئين ، روح وجسد ولكل منهما مطـالب لا يتم أمـره ولا يصفو عيشه ولا تحصل راحته ولا بغيته التى هى من خصائص ذاته ومقتضى طبيعته

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الا بها .

فاذا فرط فى مطالب البدن عاش ذليلا عليلا ، وأسرع اليه الضرر من كل جانب ولم يمكنه أن يقاوم السنن الكونية التى تصرع كل من يغالبها ويخرج على أحكامها .

واذا أهمل مطالب الروح عاش عيشة البهائم ولم يكن له من الانسانية نصيب ، اللهم الا فى صورته الظاهرية . وتخاطيطه الجسمية ، بل نقول ان عيشه أسوأ من عيش البهائم لأن البهائم ليس فيها ذلك الشعور المغروس فى طبيعة الانسان الذى يريه الآلام صنوفا وألوانا ولا ذلك الخيال الذى لا يقف عند حد ، ولا ينتهى الى غاية ولا تلك الشهوات التى تبعد مراميها وتتسع نواحيها . ولا ضروب ذلك الانزعاج الذى يحصل مما يكون أو لا يكون وليس فيها النظر الى المستقبل الذى فعل بنا الأفاعيل ولا تلك العواطف التى قد تهلك صاحبها فى سبيل ما تصبو اليه ، ولديك مصارع العشاق وأخبار من ماتوا شهداء فى سبيل الفضائل أو قتلوا مجرمين فى سبيل الرذائل مما لا نطيل القول فيه .

فأين هذا من الحيوان الذى يكون هادىء البال حتى يفجأه ما يفجؤه من الحوادث الوقتية التى ينتهى الألم بانتهائها من غير أن يحسب لها حسابا قبل هجومها عليه ولا يعتريه أسف الذكرى بعد مفارقتها .

فاذا لم ينظر الانسان فى المنهاج الذى يضعه لنفسه من الجهة الروحية والمطالب النفسية حتى يقفها على الصراط المستقيم ويهذبها بما يقيم اودها ويزيل أعوجاجها كان شرا من البهائم ، وأحط من كل ذى روح ، — هذا حاله فى نفسه .

أما حاله بالنسبة الى المجتمع العام فهو وبال عليه فانه لا يلقى منه المجتمع الا صنوف البلاء وأنواع الشقاء ، فان الرجل العارى من مكارم الأخلاق الذى لم تهذب عواطفه ولم تصف معارفه فأصبح يتخبط فى دياجير الظلمات وأنواع الشرور والآفات هو وحش ضار يفتك بكل من قدر عليه وهو عقرب يلدغ كل من يلتصق به أو يقرب منه ، وهو بعد ذلك شيطان متفنن فى ضروب الشر وفنون الاحتيال لا يعرف الا نفسه المجرمة وشهوته الفاجرة ونزعته الحمقاء .

ولو هلكت الأمة وخرب العالم ، فهو من نفسه فى شقاء شديد . أصبح مضطرب الأحوال مختل الخيال مرتبكا كل الارتباك بين انسانيته وحيوانيته .

أما المجتمع فقد فقده ، أو نقول بعبارة أصح قد اعتاض منه ثعبانا ينفث السم ووحشا أقسى قلبا من وحوش الفلاة وأكبر روغانا من الثعلب وأعظم شرها من الخنزير ، وجدير به أن يكون كذلك ، فانه لا يؤمن بالجزاء على ما اقترف ولا بالحساب على ما جنى ، فهو

لا يرغب فى جنة ولا يخاف من نار .

وكأن العالم فى نظره لعبة لاعب لا يكون الفوز فيها الا لمن كان أكثر تهويشا وأحذق شعوذة ولا حياة فى نظره غير هذه الحياة . وهؤلاء هم الذين خاطبهم الله بقوله (**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**)

وينبههم فى الآيات الكثيرة عى خطئهم فيما ظنوا بمثل قوله (**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**) فهذا ما يعانيه فى نفسه وما يعانى المجتمع منه فى الدنيا .

أما ما أعد الله له فى الآخرة فهو أشد وأخزى ، ولكن تعال ننظر فى حال المؤمن المتدين والى ما يعود على الناس منه فصور لنفسك رجلا مؤمنا حق الايمان بقوله تعالى : (**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**) .

وبقوله : (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**) (**وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**) .

(**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**) وبقوله عز وجل .

(**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) .

(**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**) .

فانظر كيف تكون مراقبته لله تعالى وخوفه من الله ، وهو يعتقد أن الله يعلم السر وأخفى وأنه مسئول عن كل أحواله مجزى بجميع أعماله .

هل يمكنه أن يكون مع هذا الاعتقاد منتهكا للحرمات مغتصبا للأموال أو يكون سارقا أو قاتلا أو خداعا أو غشاشا أو مزورا .. الخ ثم تراه بعد ذلك قد نظر فيما جاء عن النبى — صلى الله عليه وسلم — فوجده يحث على مكارم الأخلاق وينهى عن مساويها ، وجده يأمر بالرحمة لكل أحد حيث يقول : (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء) .

ثم لم يقتصر على رحمة الانسان العاقل بل أوجب الرحمة والشفقة على كل ذى روح ، وان شئت فانظر الى قوله عليه السلام : (دخلت امرأة النار فى هرة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) وقوله : (لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى) . الى غير ذلك .

ثم نظر فوجده يحث على المحبة بين المؤمنين جميعا علما منه — عليه السلام — أن المحبة رسول السلام فقال : (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا) .

وجعل البغضاء هى الحالقة ونهى عن التفرق والتهاجر بابلغ ما يكون وأقصى ما يتصور حتى حرم الخصام فوق ثلاثة أيام ، ونهى

عن الايذاء بكل أنواعه حتى جعل غيبتك لأخيك من أكبر الكبائر وشبهها بما تشمئز له كل نفس وينفر منه كل انسان ، وقال الله فى الكتاب العزيز (**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**) .

وقد نهى قبل ذلك عن أن تظن السوء بأخيك كى يطهر نفسك ولسانك وظاهرك وباطنك فتكون خيرا محصنا للناس ، لا تضمر لهم حقدا ولا تسوءهم بكلمة حتى فى مغيبهم فقال : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**) يريد بذلك أن يجعلهم متحابين متآزرين حتى يكون بينهم التعاون والتآزر ، لا التهاجر والتفاجر والتخاصم والتشاتم وهل نجد شيئا أبلغ فى التآزر الذى يريد الدين أن يجعله بين أبنائه من قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

ويقول : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضا بعضا) .

ويقول : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) ويقول : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

ويقول فى التحذير من ايذاء بعضهم بعضا : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

ويقول : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ويقول فى الترغيب فى عمل الخير بكل أنواعه والترغيب فيما يعود على الناس بالمنفعة صغيرة كانت أو كبيرة : (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك فى دلو أخيك أو أن تلقى أخاك بوجه طلق) .

ويقول : (اماطة الأذى عن الطريق صدقة) وقد جعلها شعبة من شعب الايمان فى الحديث الآخر ، فتراه قد حث كل انسان على فعل الخير وعرفه أنه قادر عليه مهما كان أمره حتى جعل الكلمة الطيبة صدقة ، وأن تعين الاخرق الذى لا يحسن العمل صدقة ، وأن تساعد الرجل فى الحمل على دابته صدقه وأخيرا جعل الكف عن الشر صدقه ، فطلب من كل انسان أن يعمل الخير ما استطاع وبين أن كلا مستطيع .

وقد ورد فى بعض الآثار أن كل مسلم على ثغر من ثغور الاسلام أما تحذيره من الظلم فحدث عنه ولا حرج ، حتى عرفنا أن كثيرا من العقوبات يؤجل للآخرة ولكن عقوبة الظلم معجلة فى الدنيا مع ما ادخر له فى الآخرة ، وأخبرنا أن الله يحاسب على الفتيل والنقير وان من أخذ شيئا ظلما فانما اقتطع قطعة من نار ، وقد حذر الحكام أن يجوروا فى حكمهم بما لا يمكن الزيادة عليه حتى قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما ورد عنه : « ما من أمير عشرة الا يجاء به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فلا يفكه الا العدل » . وانظر هل تجد أبلغ وأروع من قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا**

قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

وقوله فى الآية الأخرى : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) (١) فاذا كان هذا شأنهم مع أعدائهم الذين يبغضونهم فى الله ولله ، فكيف يكون حالهم مع غيرهم ؟

ومن ذلك القبيل قوله تعالى : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (٢) . وعلى الجملة فاننا نعجب كيف لا يظهر نور الاسلام فى هذا العصر عصر العرفان ويقظة العقول .

ونذكر هنا قول « اللورد هدلى » الانجليزى الذى اختار الاسلام دينا بعد أن وقف على مافيه من خير وسعادة وتعاليم تروق العقول وتبهج الأرواح .

« انى أعجب من الذين يبحثون عن أحسن مأكل ومشرب وملبس ومسكن ولا يبحثون عن أحسن دين فى الوجود » ــ انى أعجب كما يعجب او فوق ما يعجب للأوربيين كيف يستكشفون ما كان غامضا من أسرار المادة التى أدهشوا بها العالم ولا يستكشفون أسرار هذا الدين وهى أعظم من كل ما استكشفوه ، حتى يعرفوا ما انطوى عليه من الحكمة العلمية والعملية التى تفوق حكمة أفلاطون وأرسطو وكان لها من الأثر ما لم يكن لهما ولا لغيرهما من كبار الحكماء ، ويجدون فيه من البلسم الشافى للأدواء كلها ما يعجز عنه عصبة الأمم ومؤتمرات السلام .

ومن وسائل المحبة والوئام ما يستأصل الشيوعية التى تهدد مدينتهم وستقضى على كيانهم وتأتى على بنيانهم شاءوا أم أبوا كما أنذرهم بذلك كثير من عقلائهم ان لم يصلحوا مدينتهم الفاسقة ، ولا غرو فهى لا تدور الا على محور واحد يرجع كل شىء عندهم اليه وهو المادة التى أخذت كل عقولهم واستولت على جميع مشاعرهم واحساسهم ، فملأوا الدنيا من أجلها شرا وشقاء وضرا وبلاء بحجة أنهم يريدون أن ينقذوا الانسانية المعذبة (وما عذبها غيرهم ولا قضى عليها سواهم) ، ولو كانوا صادقين لرحبنا بهم وما نقمنا عليهم وقلنا ان الطبيب يفعل بالمريض ما يؤلم لكن بقصد أن يداويه ، والأب يضرب ابنه لكن لقصد أن يربيه ، أما أولئك الماديون فكاذبون فيما يدعون غشاشون مموهون فيما يقولون ، فليسوا يريدون من الأمم ما يريده رب الماشية من الماشية ، ورب الضيعة من الضيعة .

وقد أفسدوا علينا معشر الشرقيين

(١) أى لايحملكم بغضكم لقوم أن تقعوا فى جريمة الظلم

(٢) أى اذا كان بينك وبين قوم عهد وتبينت من حالهم فيه خيانة العهد فانذرهم بطرح العهد الذى بينك وبينهم حتى تكونوا على سواء في الحل من اختراق ذلك العهد

(لا سامحهم الله) آدابنا وأخلاقنا وعقائدنا وجميع فضائلنا الا قليلا من عقلائنا يجاهدون فى ذلك السبيل ، عسى الله أن ينصرهم ويكثر سوادهم بمنه وكرمه ، على أن كثيرا من الاوربيين قد شهدوا للاسلام ونبى الاسلام أكبر شهادة « كاللورد هدلى » المتقدم ولامرتين الذى نقلنا شهادته فى العدد الأول .

ومثل « توماس كارليل » والدكتور موريس وكاين تيلر وغيرهم ولو حسن التفاهم بين الناس وحل الانصاف محل الاعتساف واهتم العالم بغذاء أرواحهم كما اهتموا بغذاء أبدانهم لدخل الناس فى دين الله أفواجا طوعا ورغبة ، فالاسلام وحقك هو بغية الأرواح وطلبة الأشباح ومهبط السكينة ومستقر الطمأنينة وضالة العقول وخلاصة المعقول والمنقول وأمنية القلوب ورأس كل مطلوب ، وهل للناس مطلب غير أن يسعدوا فى ظاهرهم وباطنهم ودنياهم وأخراهم سعادة تدفع عنهم شرور الحياة ومكارهها ثم تفيض عليهم من أنواع السرور وشرح الصدور وبهجة الأسرار صفاء الأنوار مالا يعلمه الا الله تعالى ثم تسلمهم بعد ذلك الى نعيم لا يشوبه كدر ولا يعتريه زوال وملك ليس فيه عناء ولا له انقضاء .

ثم هو فوق هذا يدعو الى الديمقراطية الحقة والمساواة الصحيحة فلا يرى فضلا لأحد على أحد الا بالتقوى وقد أمر الناس بالتواضع فى أنفسهم وخشية الله من قلوبهم وأن يشارك غنيهم فقيرهم بالعشر أو نحوه فيما أعطاه الله تعالى حتى يطهر نفوس الأغنياء من البخل وقلوب الفقراء من الحقد عليهم فيتم بينهم المحبة والوئام ، أوصى الجار بالجار حتى قال : (والله لا يؤمن ــ والله لا يؤمن ــ والله لا يؤمن : فقالوا من يارسول الله فقال ، من لا يأمن جاره بوائقه).

وقال : (ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم) أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا فرق فى ذلك بين أمير ومأمور ورئيس ومرؤوس .

وقال جل شأنه فى حق قوم أصابتهم اللعنة . (**كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**) فكيف تكون مكارم الأخلاق فى مثل هذه الأمة لو أخذت بتعاليم دينها به وهل يكون لانتهاك الحرمات وارتكاب المحرمات وخرق سياج الآداب سبيل الى أمة يكون بعضها رقيبا على بعض وقد سيطر عليها الدين الذى يجعلها خير أمة أخرجت للناس سيطرة تستولى على نفوسها ولا تفارقها فى خلوتها وجلوتها به أوجب أن تكون لها العزة والرفعة حتى أوجب عليها الهجرة من أرض الذل ضنا بكرامتها . واستبقاء لعظيم شرفها ، حتى قال : (المؤمن لا يذل نفسه) .

وقال الله فى وصفهم : (**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**) .

وقال : (**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**). الى آخر مالا يسعنا الا التلميح به والاشارة

اليه ، نعم هذه قواعده المتينة وقوانينه الرفيعة ، وان أمره فوق هذا ، فانه لما رأى الانسان كثيرا ما تلعب به الأهواء وتغلب عليه الشهوات وكان يمكنه أن يحافظ على ظاهر تلك القوانين ولا تقوم عليه حجة بعد المحافظة على أشباح هذه الرسوم مع ما له من القصد السيء فيما يأتي ويذر فيكون ظالما يلبس ثياب العادلين ومتدنسا يتسم بسيمى المتطهرين .

لما علم ذلك علمنا ان المحافظة على تلك الرسوم الظاهرة لا قيمة لها فى نظر الدين

فقال فى الحديث : (ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم) .

وقال انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) .

وقد قال تعالى : **(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَافِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ)** .

وقال : **(وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ)** . وعلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان الأشياء تتشابه فأمرنا بالاحتياط عند ذلك فقال (دع ما يريبك الى ما لا يرأبك) .

وقال : (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) .

وقال تعالى : **(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)** .

فأنت ترى وقد وضح الصبح لذى عينين أن الاسلام لا يريد من أبنائه الا الحق الصراح الذى لا يعتريه ريب والعدل الكامل الذى لا يشوبه ظلم ولا تبنى أموره الا على المصالح الحقيقية والحقائق الواقعية .

فما أدرى كيف صمت آذانهم عن سماع ندائه العالى وعميت أبصارهم عن رؤية شمسه المشرقة . ولنختم هذه الكلمة بمحادثة وجيزة جرت بينى وبين بعض العظماء تناسب هذا الموضوع . قال ان الأمة لا يزعها عن الشر الا أحد أمرين .

الدين والفلسفة وحيث ان الأمة لا تستطيع الفلسفة ولا يمكنها أن تكون من ذويها فلابد لها من الدين فقلت له أشكرك على أن أحللت الدين ذلك المحل وأنصفته ذلك الانصاف ، ولكن يسمح لى معالى الباشا أن أقول :

ان هناك فروقا كبيرة بين الدين والفلسفة ، فالفلسفة ، تستمد من نظريات العقول التى تصيب وتخطىء ، وأمامنا السوفطائية التى تجافى فلسفتهم الحقائق على خط مستقيم ، وكثيرا ما يكون هناك نزعات خفية توحى للفيلسوف فلسفته من حيث يشعر أو

لا يشعر ، والانسان أسير نزعاته وشهواته محصور فى الناحية التى تسيره فيها نزعته الخاصة أو شهوته الخفية .

وأمامنا فلسفة ابيقور واتباعه تلك الفلسفة التى لاترى الخير الا فى الملاذ الحسية وتقول ان ما وراء ذلك وهم أو خيال .

وقد يؤثر زخرفها الخلاب الموافق لاهواء النفوس وشهوات الطبيعة فى كثير من أطفال العقول واسراء الشهوات فيرون كل شىء مباحا . وان الأموال والأبضاع حق مشاع بين الناس . وان من الظلم استئثار بعض الناس بشىء ، فيجب فى شرعة الطبيعة أن لا يكون هناك استئثار بملك أو زوجة والا يكون هناك تحريم لأخت ولا بنت ولا أم ، وان من استطاع الوصول الى الاستمتاع بشىء من ذلك كله حل له أن يتمتع به لأنه استرداد لحقه المغتصب الى آخر تلك الفلسفة ومزخرفاتها .

أما الدين فيستولى على النفوس من كل جهاتها فيقف بها عندما حد لها من الحدود ثم يحاول أن تكون فاضلة كاملة حتى تؤثر على نفسها ولو كان بها خصاصة . وترى فى ذلك كل سعادتها وهناءتها .

وللقلوب سعادة لا يحس بها ذوو الأموال ولا أرباب المناصب ، على حين أن فلسفة « أبيقور » تقول هازئة بهذه التعاليم (ما هى الفضائل وما هى الرذائل وما هى السعادة وما هى الشقاوة وما هو النقص وما هو الكمال) ما هذه الا ألفاظ فارغة وخيالات باطلة ، فهذه الفلسفة لا تلقن أبناءها الا الزور والفجور ولا تغذيهم الا بجراثيم الأوبئة الفتاكة المهلكة والأفكار المربكة ، ولكن المتدين يقول ما يقوله الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ) الى آخر ما جاء بالكتاب والسنة وهو كثير فأنت ترى المتدين فاضلا خيرا كاملا .

وترى ذلك الفيلسوف جاهلا ضالا شريرا ، فالفلسفة غير مأمونة ولا مقدسة لأنها من نتائج الأفكار البشرية ، بل ضررها أقرب من نفعها . بخلاف الدين الذى هو تنزيل من رب العالمين ، وبالجملة فالاسلام عظيم أمره . كبير شأنه . ولكن ضيعه أمراؤه . وفرط فيه علماؤه. منذ زمان بعيد .

يتبع

يوسف الدجوى

فصل من كتاب

الرياض المستطابة

فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة

للامام يحيى بن ابى بكر العامرى اليمنى

« فوائد تتعلق بالصحابة »
رضى الله عنهم

احداها : اختلف فى حد (١) الصحابى فقال البخارى فى صحيحه :

من صحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ٠

وهذه طريقة المحدثين ٠ قال أبو المظفر السمعانى (٢) : وهذا لشرف منزلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم أعطوا كل من رآه شرف حكم الصحبة ٠

وحكى عن الأصوليين أو بعضهم أن الصحابى : من طالت صحبته (٣) ، وتكررت مجالسته ، على مقتضى العرف ٠

وقد يطلق اسم الصحبة فى اللغة على الشيئين اذا كان بينهما ملابسة وان قلت ، أو مناسبة أو مشابهة من بعض الوجوه ٠ وتكون حقيقية ومجازية ٠ وقد نطق مجموع الكتاب والسنة بالأمرين ٠

ثم يعرف كون الصحابى صحابيا بالتواتر والاستفاضة القاصرة عن التواتر ، وقوله أو قول صحابى بشرط العدالة ٠

الثانية : أجمع من يعتد به على تعديل (٤) الصحابة فى الظاهر ومن لابس الفتن (٥) منهم كذلك ، احسانا للظن بهم ، ونظرا الى ما تمهد لهم من المآثر ٠ قال ابن الصلاح : « وكأن الله أباح الاجماع على ذلك (٦) ٠

قال الحاكم المعتزلى : كانت أحوال المسلمين

١ ــ حد : تعريف وتعيين ٠
٢ ــ أبو المظفر السمعانى : سيرد ذكره فى فصول لاحقة ، كما يرد تعريف بفضائله وقدر علمه ٠
٣ ــ صحبته : للنبى صلى الله عليه وسلم ٠
* أشرف على تحقيق الكتاب : عمر الدايراوى أبو حجلة

(٤) ــ تعديل : اعتبارهم عدولا ٠
(٥) ــ الفتن : اشارة الى ثورة الامصار ومقتل عثمان ومبايعة على وانشقاق معاوية ومناهضة طلحة والزبير وعائشة وغيرهم للخليفة الرابع ٠
(٦) ــ ذلك : أى على اعتبارهم جميعا من الصحابة ٠

تقديم : الدكتور أحمد شفيق

يومئذ (١) مستقيمة مستغنية عن اعتبارها • وكأن العدالة كانت فى الصحابى منوطة بالاسلام لا غير ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوصيكم بأصحابى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد » •

رواه جماعة من المحدثين بسند جيد •

قلت (٢) : ويخرج من هذا العموم من شذ منهم وتغير حاله وتفاحش أمره ولابس الفتن بغير تأويل ، كالوليد بن عقبة ، وبشر بن أرطاة •

ثم انه لم يذهب أحد الى أن الصحابة معصومون فى الباطن والظاهر ، **لكن أجمعوا على عصمتهم فى الاجماع ، واجماعهم حجة قطعية** • وهذا وان كان لازما فى غيرهم فانما ذكرته لأنه تساهل قوم فى دينهم فأقدموا على تحبيطهم حيث أجمعوا على التقدم على على (كرم الله وجهه) فى الخلافة ، فركبوا عظيم الأخطار ، واجترأوا على هدم القواعد الكبار ، والله المستعان (٣) •

الثالثة : أكثرهم حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة مع تأخر اسلامه ، وذلك لخصوصية له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • وأكثرهم بعده ابن عمر وعائشة وابن عباس وجابر بن عبد الله (٤) وأنس (٥) • وأكثرهم فتيا ابن عباس • وأوسعهم علما على وعمر • وأفرضهم زيد بن ثابت (٦) • وعن مسروق (٧) قال : انتهى علم الصحابة الى ستة : عمر ، وعلى ، وأبى ، وزيد ، وأبى الدرداء ، وابن مسعود ، ثم انتهى على الستة على وابن مسعود • ومن الصحابة العبادلة فاذا أجمعوا على مسألة قيل : **هذا قول العبادلة**، وهم : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمرو بن العاص • وليس ابن مسعود منهم ، ولا من تسمى عبد الله من الصحابة ، وهم نحو مائتين وعشرين •

الرابعة : جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة : على ، وعثمان (٨) ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد

---

(١) – يومئذ : يقصد فى صدر الاسلام وأيام الجيل الأول من الصحابة •

(٢) – قلت : المألف •

(٣) – وهذه عاقبة من يجترىء على الصحابة ويخوض فيهم ، وأقل فضل لهم أنهم أفضل من أبويه .. مجلة الازهر .

(٤) – جابر بن عبد الله : انظر حرف الجيم فى هذا الكتاب •

(٥) – أنس بن مالك : انظر حرف الألف •

(٦) – زيد بن ثابت : انظر حرف الزاى الذى اشتهر بالمواريث •

(٧) – مسروق : انظر حرف الميم .

(٨) – نصت مراجع الاتفاق على حفظ الخلفاء الأربعة له •

الأنصارى ، وتميم الدارى ، وعبادة بن الصامت (١) ، وأبو أيوب (٢) رضى الله عنهم •

الخامسة : لا يعرف فى بنيه من وجهين وفى الصحابة سبعة اخوة مهاجرون قيل وشهدوا (غزوة) الخندق (٣) وهم : بنو مقرن المزنيون ، النعمان واخوته : معقل ، وعقيل ، وسويد ، وسنان ، وعبد الرحمن ، وسابع لم يسم •

قال ابن الصلاح ، وتبعه النووى : ولم يشاركهم (٤) فيما ذكره ابن عبد البر وجماعة فى هذه المكرمة غيرهم •

قلت ذكر ابن الجوزى فى « عجائب النساء » أن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة رضى الله عنها شهد لها سبعة بنين مسلمون بدرا ، تزوجت الحارث بن رفاعة فولدت له معاذا ومعوذا ، وتزوجت بعده بكير بن عبد ياليل الثقفى فولدت له اياسا وخالدا وعاقلا وعامرا، ثم رجعت الى الحارث فولدت له عوفا ، فشهدوا كلهم بدرا واستشهد بها منهم : معاذ ، ومعوذ ، وعاقل ، واستشهد خالد الرجيع (٥)، وعامر (يوم) بئر معونة ، واياس بالثمامة رضى الله عنهم •

وذكر أيضا فى عجائبهن « هندا بنت عتبة » شهد له بدرا أربعة اخوة وعمان أخوان وعم مع المشركين ، وأخوان وعم مع المسلمين •

فالأخوان المسلمان : أبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير ، والعم المسلم معمر بن الحارث • والأخوان المشركان الوليد بن عتبة وأبو عزير والعم المشرك شيبة بن ربيعة •

السادسة : سئل أبو زرعة (٦) الحافظ عن حملة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ومن يحصيه (٧) ! قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه ، وسمع منه • فقيل له : هؤلاء أين كانوا ، وأين سمعوا ؟ قال : أهل مكة والمدينة وما بينهما ، والأعراب ، ومن شهد معه حجة الوداع ، كل رآه وسمع منه •

* ثم ذكر المحدثون أنهم ينقسمون الى اثنتى عشرة طبقة •

الأولى : قدماء السابقين الذين أسلموا بمكة كالخلفاء الأربعة •

ثم أصحاب دار الندوة •

ثم مهاجرة الحبشة •

ثم أصحاب العقبة الأولى •

ثم الثانية •

ثم المهاجرون الأولون الذين أدركوا النبى

---

(١) ـ عبادة بن الصامت : أنظر حرف العين فى الكتاب •

(٢) ـ أبو أيوب : انظر حرف الألف •

(٣) ـ (الخندق) وضعنا كل اضافة بين قوسين من هذا النوع •

(٤) ـ لم يشاركهم : أى ان السابع لم يشارك اخوته فى الخندق •

(٥) ـ يوم الرجيع : فى صفر من السنة الرابعة للهجرة ، اذ بعث النبى سرية أمر عليهم عاصم ابن ثابت ، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى الرجيع ، وهو على ثمانية أميال من عسفان ، بينها وبين مكة ، وهناك لحق بالمسلمين ما يقرب من مائة رام من بنى لحيان ، فقتلوهم الا اثنين باعوهما للمشركين فى مكة . وكانت نكبة على المسلمين •

(٦) ـ أبو زرعة : أنظره فى موضعه فى هذا الكتاب .

(٧) ـ أى يحصى عدد حملة الحديث •

صلى الله عليه وآله وسلم بـ « قباء » قبل أن يدخل المدينة .

ثم أهل بدر .

ثم المهاجرون بين بدر والحديبية .

ثم أهل بيعة الرضوان .

ثم من هاجر بين الحديبية وفتح مكة .

ثم مسلمة الفتح .

ثم الصبيان والأطفال الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الفتح (١) وحجة الوداع .

وأهل المزايا منهم الذين نطق القرآن بفضلهم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، وهم الذين صلوا الى القبلتين . وقيل أهل بيعة الرضوان . وقيل أهل بدر . ثم ان ذكرهم على الاجمال والتفصيل وبيان أهل المزايا منهم باب واسع يظهر لك بمراجعة كتب هذا الفن . وأوعبها وأكثرها فائدة كتاب « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » لأبى السعادات ابن الأثير الجزرى ثم بعده كتاب « الاستيعاب » للحافظ أبى عمرو ابن عبد البر . **وقد عاب عليه ابن الصلاح حكايته فيه لما شجر بين الصحابة وروايته عن الاخباريين لا المحدثين .**

السابعة : قال الامام أبو منصور البغدادى : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ، ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان .

قلت : وقد تجتمع وجوه التفضيل كلها فى شخص واحد ، وقد يتفق لبعضهم بعضها ويفوته الباقى .

ثم اختلف السلف فى أولهم اسلاما فقيل خديجة ، وقيل على ، وقيل أبو بكر ، وقيل زيد بن حارثة ، والصواب أن ترتيبهم فى ذلك كما ذكرنا . والأورع أن يقال : من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن الصبيان على ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد ، ومن العبيد بلال ، والله أعلم .

الثامنة : الصحيح فى سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث وستون سنة ، وكذلك أصحابه أبو بكر وعمر وعلى وطلحة وعائشة ، والزبير أربع وستون سنة ، (وأن) اثنين من الصحابة عاشا ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام وماتا بالمدينة سنة أربع وخمسين وهما : حكيم بن حزام ، وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام .. قيل ثبت ذلك لحسان وآبائه الثلاثة .

التاسعة : آخر الصحابة موتا أبو الطفيل عامر بن واثلة ، مات سنة مائة من الهجرة ، وآخرهم قبله أنس وهو آخر من مات منهم من الأنصار . وآخر من مات من أهل الصفة جابر بن عبد الله قيل وهو آخر الصحابة بالمدينة موتا .

وآخر المهاجرين موتا بالمدينة سعد بن أبى وقاص وهو أيضا آخر العشرة موتا . وآخر من مات من البدريين أبو اليسر ، وآخر من مات منهم بمكة عبد الله بن عمرو وقيل أبو الطفيل ، وبالبصرة أنس ، وبالكوفة عبد الله بن أبى أوفى ، وبمصر عبد الله بن الحارث ابن جزء ، وبالشام عبد الله بن يسر ، والله أعلم .

---

١ ــ **الفتح : أى فتح مكة .**

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب روضة البلاغة

لابى القاسم المعافى

ان مكتبة الأزهر بما لها من مكانة علمية تزخر بالفيض الوفير والبحر الزاخر من كتب البلاغة والادب لكثير من العلماء والأدباء الذين برزوا فى مجال وحلبة هذه العلوم — من مخطوطات نادرة ومطبوعات ترقى فى قدمها الى مرتبة المخطوط .

ومن بين هذه المخطوطات النادرة « روضة البلاغة » وهى — لابى القاسم المعافى .

وهو الامام العلامة أبو القاسم عبد الملك ابن محمد بن عبد الملك من علماء أوائل القرن السادس الهجرى .

قال عنه « معجم المؤلفين » (٢) : كان حيا سنة٥٠٤هـ(سنة١١١٠م)وأورد فيها المعانى التى تجوزت بها الشعراء ، وأورثها موارد البلاغة ، وقرنها بنظائرها من الكتاب العزيز مبينا ما امتازت به الآيات من المحاسن واللطائف ، وذكر فيها ضروبا من الآداب والمواعظ ، والحكايات والمكاتبات والخطب ، نقلها من كتب السلف نثرا ونظما .

قال فى أولها : الحمد لله الذى أعذر الى عباده بتقديم وعده وابعاده ، أحمده حمدا يتحلى به عواطل الخطب ، ويتلألا به معاطف الكتب .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أنا اليوم بعصمتها آخذ بحرمتها لائذ.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالتبصرة والعلم ، والتذكرة والحلم ، والكتاب البديع النظم ، الى كافة العرب والعجم ، فبصرهم ما كانوا فيه يمترون ، وعرفهم ما يرجون وما يحذرون ، وعلمهم من طريق الخير ما لم يكونوا يعلمون ،وأنذرهم تأثير يوم فيه يحشرون ، وأفنى منهم من عصى بالحاتم فهلكوا ودعا المستجيبين الى مسلك الاسلام

١ — الكتاب « بمكتبة الازهر » برقم خاص ٢٥٢ عام ٦٨٥٨ مكتبة أباظة .

٢ — ج ٢ ص ١٨٤ .

للأستاذ محمد عميرة على

فسلكوا ، وأمرهم بترك ما كانوا عليه فتركوا. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جادوا بما ملكوا .

وبعد : فقد تفضل جماعة من أهل العلم والدراية والفهم بالحضور عندى فى شوال من سنة أربع وخمس مائة بقزوين فى غصون المعارضة وتضاعيت أنواع المذاكرة ، (ذكر البخل) وأنه مذموم بكل لسان ، وعند كل انسان .

فقلت لهم حرسهم الله ، ومن أعجب أحوال البخل أن البارى سبحانه وتعالى شهد على كافة بنى آدم بذلك بقول صريح غير محتمل التأويل فى آيتين فى كتابه العزيز ، سوى من عصمه الله من أنبيائه — عليهم السلام — وأوليائه ، وتلوت قوله تعالى « وَأُحْضِرَتْ الْأَنفُسُ الشُّحَّ » وقرأت الآية الأخرى وهى « قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا » فاستحسن كل واحد منهم غاية الاستحسان.

ثم قلت قال : أبو احمد العسكرى ان الله طبع البشر على حب الخير لنفسه ، واحتداب المنافع اليها ، ودفع المضار عنها ، والازدياد من المال ، والعز والغلبة ، والجمع والمنع ، وعلى بغض ما كان خلافا لذلك ، وهذه أدراء وعيوب تعتريه ، ولكنها فى بعض البشر اكثر ، وانما يتفاضلون فيما بينهم بالنقصان والزيادة وبمقابلتها بأضدادها من خصال الخيرة ومداواتها ، فيرجع الى الاعتدال كمداواة البخل بالسخاء ، والجبن بالشجاعة ، والغدر بالوفاء ، والظلم بالانصاف ، فمن غلب عليه خصال الخير كان الممدوح المحمود ، ومن غلب عليه خصال الشر كان المبغض المذموم .

فأما أصل الطبيعة التى طبع عليها فانه لا يسلس باخراج ما عنده ، وأن يضن بما حواه ، حتى يأخذ أكثر مما يعطى ، ويستفيض عاجلا وآجلا أضعاف ما يبذل مما تستلذ اليه وتميل اليه طباعه ، قال أبو أحمد العسكرى — رحمه الله :

وسمعت أبا بكر بن مجاهد وتجاربنا هذا المعنى قال . سمعت ابا العباس أحمد بن يحيى ، وقد سئل عن هذا فأجاب طبع البشرية اللؤم قال : ابن مجاهد فقلت له فهذا الذى يحكى عن حاتم الطائى وغيره ، فقال ليس ذلك سخاء البشرية وانما ذلك المكافأة من الثناء ، وقول الناس يلتذ ذلك الثناء فيكون الذى للمكافأة هو أثر نفسه وهو قياس على الذى ينفق ماله فيلتذ بالعوض منه فى مأكل ومشرب فكذلك السخاء انما عوض من الثناء والقول الجميل .

من نوادر مخطوطات

قال : ابو العيناء سمعت الفضل بن سهل يقول رأيت جملة البخل : سوء الظن بالله تعالى ، وجملة السخاء : حسن الظن بالله تعالى قال الله عز وجل « **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ** » وقال عز وجل « **وَمَا أَنفَقْتُم مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** » .

ثم قلت سمعت واعظا يعظ « بأصبهان » حماها الله تعالى فى جامعها الاكبر فى سنة ثلاث وخمس مائة ويقول بالفارسية : ابن آدم مركود توكورد تواست » معناه يا ابن آدم سيئات أعمالك محيطة بك ان تركت منفذا خرجت منه وتخلصت والا فلا شك انك من الهالكين .

فقلت للأمير شرف المعالى أسعد بن محمد الظاهرى ، — رحمه الله — هذا المعنى بلفظه فى كتاب الله الكريم ، ففكر ساعة زمانية فلم يتقلح له فى ذلك ما يدل على ما ذكرت ، فقلت قوله عز وجل « **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته** » ، فتعجب من ذلك كل العجب .

وقال هذا الوعظ فى هذا المجلس ، ان من ترك عبادة الله ، فقد خرج من أمان الله ، يعنى الصلاة ، فقلت وهذا المعنى أيضا بلفظه فى كتاب الله فقال فى أى موضع ذلك فقرأت وقال الله « انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة » ومن كان الله معه فهو فى أمانه ، لأن رأس العبادات بعد الايمان بالله تعالى ورسوله — صلى الله عليه وسلم — هو الصلاة من تركها فحاله على الضد من ذلك ، ووافق ذلك ما روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال « لا يزال الله مقبلا على العبد مادام العبد فى الصلاة ، ثم قلت وهذا الجنس قل أن يحرر بكتاب أو يحصر بعدد وحساب الا ان الانسان يعمل على نهاية ما انتهى اليه ومبلغ ما اتسع من العلم عليه فكان كما قال الحطيئة .

أخذت بأطراف الكلام فلم أدع
ذما يضر ولا مديحا ينفع

وقال آخر معرضا بذى عاهة كان من حاضرى المجلس هو ذكر كذا فى القرآن ؟ قال نعم « **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** » الى آخر ما قال .

وقال فى شرف القرآن الكريم أن الله تعالى شرفه بأنواع التشريف ، خصه بها من دون كتبه الكريمة ، وعظمه وأوجب توقيره وحث على تلاوته ، وفرض العمل بموجبه وتدبر معانيه ، ويسره للحفظ وقربه من الفهم ، وتكفل بحراسته من زيادة أو نقصان وضمن حفظه من تغيير أو تبديل ، فى وعد رسوله — صلى الله عليه وسلم نشره فى الافاق ، ثم أودعه القلوب ، وجمعه فى الصدور فقال عز من قائل (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) ، وقدمه على سائر كتبه ، وجعله أمينا على التوراة والانجيل ، ومهيمنا عليهما وعلى كل كتاب ، فقال عز وجل « **هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ** » وذلك لانطوائه على

أنواع الحكم ، قوليا وعلميا ، بدلالة قوله تعالى « **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** » . وقوله تعالى « **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** » لكن ليس يظهر ذلك الا للراسخين فى العلم ، ولكونه منطويا على الحكم كلها قبل تفسيره قوله تعالى « **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** » أنه اراد به تفسير القرآن ثم منازل العلماء تتفاوت فى تفهمه ، ولذلك قال تعالى « **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** »

وأعظم ما يقصر بفهم الاكثرين عن ادراك حقائقه شيئان .

أحدهما — اختص به اللغة العربية من الايجاز والاستعارات .

والآخر : ما يوجد فى القرآن خاصة من المزية والرجحان تحت ما يحويه من الاستعارات الباهرة ، والامثال السائرة ، والتشبيهات البديعة والحذف والايجاز والاشارات اللطيفة ، واللمحات الغامضة ، مما ليس فى غيره من كلام البشر ، ولما فيه من اللفظ اليسير ، المنطوى على المعنى الكثير ، قال عليه الصلاة والسلام « أوتيت جوامع الكلم » ، فمن مثال الايجاز قوله تعالى فى وصف ارتفاع الاسباب المكروهة عن أوليائه « **لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** » فنفى بذلك كل التنقيص ، اذ كان جميعه فى حصول مكروه أو فوت محبوب وقد نفاهما بذلك .

وقال عز وجل فى فاكهة أهل الجنة « **لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ** » فنفى بذلك جميع الافات العارضة لمطاعم الدنيا .

وقال فى صفة خمرهم « **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** » فنفى بذلك كل مكروه يعترض فيها ، وأخبر عز وجل بكل ما كان من فرعون ورهطه بألفاظ وجيزة ، وذلك قوله تعالى « **كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ** » فذكر فيه ما ينطوى عليه أوراق وجلود من السفر ، ومن عجيب من فيه أن كل ما علم أن بالسامع استغناء عنه من الالفاظ تركه ، وتخطى الى ما بعده نحو قوله « **أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ** » فترك ما كان من موسى ، ثم ترك ما كان من فرعون ومن أصحابه فى دخول البحر ، وتخطى الى ذكر ما صنع بهم ، ومن الاختصار الحسن فى القرآن قوله تعالى « **إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ** » أى ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ، الى آخر ما ذكر فى هذا الباب .

ثم تحدث رحمه الله فى الحث على السعى فى طلب الرزق والنهى عن الكسل والتوانى فيه يقال : من سعى رعى ، ومن نام رأى الأحلام .

أقول : وقد أمر الله تعالى بالمشى فى مناكب بساطه ، والأكل من رزقه ، وقال تعالى : « **وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** » وكان بشر يقول لاصحابه : يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه فى موضع تغير ، يقال كل اناء يرشح بما فيه ، قال الله تعالى : « **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ** »

عاتب أبو عبد الله بن أحمد الشريف

◄

من نوادر مخطوطات

المرتضى فى فرط تحفيه واهتمامه بمن يقصده لطلب العلم على اختلاف منازلهم ، وتباين درجاتهم ، فقال المرتضى : روى عن جعفر بن محمد — رضى الله عنه أنه قال : فى قوله عز وجل « **وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** » قال : ينبغى للعالم اذا أتاه من يطلب العلم منه أن يعرف فضله ، اذ لا يطلب العلم الا ذو فضل، والعارف بفضيلة العلم ، ثم قال لما كان الشوق انما يكون من كل مشتاق ، الى ما يوافقه ويلائمه ، وارتياحه الى ما يشابهه ويماثله ، وكانت العلوم الدينية أشرف الامور المطلوبة ، كان المشتاق اليها أشرف المشتاقين ، وكان ذلك دليلا على فضله وأعدل شاهد على شرف نفسه ، وأولى من غيره بالكرامة .

وأورد فصلا من خطبة لامير المؤمنين على ابن ابى طالب رضى الله عنه — مقتبسا من كتاب الله تعالى ، كم من مستدرج بالاحسان اليه ، ومغرورا بالستر عليه ، ومفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله أحدا بمثل الاملالة ، مقتبس ذلك من قوله تعالى « **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ** » .

والجزء المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدعاء يرد القضاء وأن البر يزيد فى العمر ، وأن العبد ليحرم من الرزق بذنب واحد يصيبه « ثم تلا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ** » .

قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحيته » .

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

قال سفيان :انها نزلت فيمن يخالط السلطان وقوله — صلى الله عليه وسلم — : اللهم انى أعوذ بك من شر فتنة الغنى والفقر .

قال مضربن حرز : سئل أبو حنيفة رضى الله عنه عن الغنى والفقر فقال : وهل طغى من طغى من الخلق الا بالغنى . ثم تلا « **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** » .

ثم روى عن ابى هريرة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم »

فقيل لأبى حنيفة رضى الله عنه من أغنياؤهم ؟

فقال : لا أقل الاغنياء من هذه الأمة وهذا صحيح فى القياس ، لان فى أغنياء هذه الامة مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف — رضى الله عنهما —

وقد شهد لهم النبى — صلى الله عليه وسلم — بالجنة ، وفقراء هذه الامة أفضل من أغنياء غير هذه الامة ، قال مضر فذكرته لعبد الواحد بن زيد فقال لا تسأل أبو حنيفة عن هذه وأشباهها ونسأل عن المدبر والمكاتب ونحوه . أقول لقد مدحه عبد الواحد بن زايد ظن أن ينقصه لانه وضعه العلم الحلال

والحرام الذى هو أهم علم فى الدنيا ، وقرأت فى كتاب الربيع لابن الصابى أن جماعـــة

شهدوا فى زمان الحاكم بمصر برشد صبى كان القاضى حجر عليه ، فسلم اليه ماله فأفسده ، فجاءت أمه وشكت الحال اليه ، فأمر بضرب رقاب الشهود ، وقال لا شك أنكم برطلتم منه وكذلك تفعلون فى أموال الناس فقال له واحد منهم اتق الله ، فانا ما رأينا منه الا الخير ، فلما حصل المال معه غيره وأحاله وبدله ، فقال له والمال يغير الانسان عن طرائق جميلة فيه، الى طرائق قبيحه لم تظهر منه ، قال نعم قال الله تعالى « **كَـلَّاۤ إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَيَطۡغَىٰۤ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰۤ** » فقال أف لهذه الجيف ، ما كان فيهم من يورد هذا القول فتسلم به خلوا عنه .

وختم كتابه فقال : قرأت فى كتاب الشوامل والهوامل للقاضى ابى نصر الفزارى ـــ رحمه الله تعالى ـــ حكى أبو اسماعيل أنه كان قاعدا فى جماعة بالرى ، فمر بهم جنازة أبى عبد الله الزعفرانى ـــ رحمه الله تعالى ـــ والنـاس يهرولون ويهرعون ، فقال بعضهم معى مصحف فهل أفتحه تنظر ما يخرج منه فى الصلاة عليه والترحم ، ففتح فخرج « **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰۤ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا**» فتصدع شملهم على استطراق شديد ، وملكهم التعجب ، فقال أبو اسماعيل فلم أعجب أنا وكبرت وصليت مع الامـام ، ورأيت فى المنام قائلا يقول ، اربع فى رياض

الجنة لمخالفتك أصحابك ، وسمعت الشـيخ الامام ابا محمد الحسن ابن العراقى فى المعلا حرسه الله يقـول حكى الشـيخ الرئيس أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الاسـدى رحمه اللـه تعـالى انـــه حضر فى بعض الرباطات بالشام ، رجل كثـير الفهم والشره على الطعام ، واذا وضعت المائدة بين يـدى المشايخ من أهل التصوف ، كان هذا الرجـل

لا يبقى ولا يذر مافى جانب يمينه وشماله حتى يستوفيه ، فلما كثر منه ذلك الفعل ، شـكوا الى شيخ الرباط سوء صنيعه ، وكان عـادة هذا الشيخ أن يرجع فى سـائر الحـوادث والعوارض الى المصـحف ويفتحـه ويعمل بمقتضى ما يخرج منه ، فأخذ المصحف وفتح فخرج فى السطر الاول « **وَيَا قَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيۤ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوۤءٍ** » فتفرقت الجماعة متعجبين من ذلك وسكتوا .

أيها القارىء الكريم هذا قليل من كثير ضمنه المؤلف رحمه الله مسـائل كثيرة متفرقة والذى يهمنا أن نقدم لك تعريفا موجزا وذلك بقدر ما تسمح بـه حالة النشر فى المجلة .

والنسخة فى مجلد بقلم معتـاد ، فى ٢١٩ ورقة وهى فريدة بمكتبة الأزهر .

محمد عميره على

طرائف

حقيقة العبادة

ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار

وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ٠

وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار ٠

الدنيا

دنيا محمودة : وهى التى تصل بها الى فعل خير ، وتنجو بها من فعل شر ٠

دنيا مباحة : وهى التى لا تقع بسببها فى ترك مأمور ولا ركوب محظور ٠

دنيا مذمومة : وهى التى تقع بسببها فى ترك طاعة أو فعل معصية ٠

أشد الناس بلاء

أشد الناس بلاء ، وأكثرهم عناء : من له لسان مطلق وقلب مطبق ، فهو لا يستطيع أن يسكت ولا يحسن أن يتكلم ٠

اقتباس

اقتبس بعض الأدباء من قوله تعالى : ((قتل الانسان ما أكفره)) ؟ ٠

هذين البيتين :

يتمنى المرء فى الصيف الشتا
فاذا جاء الشتا أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد
قتل الانسان ما أكفره

العرب

هم قومى ، وهم أصلى
وهم نسبى اذا أنسب

مواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وهم مجدى ، وهم شرفى
وهم حصنى اذا أرهب
وهم رمحى ، وهم ترسى
وهم سيفى اذا أغضب

قالوا

* رحمة تطلبك ورحمة تطلبها ، فالتى تطلبك رحمة الهداية بالبيان ، ولأجلها كان ارسال الرسل ، وانزال الكتب .

والتى تطلبها هى الجنة تسعى لها بالعمل الصالح على قانون العمل النافع .

* من أهمل الصدق حيث يخاف ، استعمل الكذب حيث يرجو .

* من مدحك عند رضائه عنك بما ليس فيك ، ذمك لا محالة عند غضبه عليك بما ليس فيك .

* من نظر الى الدنيا بعين رأسه رأى غرورا وزورا ، ومن نظر اليها بعين قلبه رأى هباء منثورا .

* من ترك الحزم للوهم فهو أحمق ، ومن أقام على الشك مع امكان المصير الى اليقين فهو أخرق .

* سخر عقلك لعلمك ، وسخر نفسك لعقلك .

* من مكارم الأخلاق : التواضع فى الرفعة ، والتجمل فى القلة ، والاقتصاد فى الثروة .

* أفضل الأعمال ، ما أكرهت نفسك عليه .

◄

طرائف ... ومواقف

أدب

قيل للعباس بن عبد المطلب : أنت أكبر أم رسول الله ؟ • ــ صلى الله عليه وسلم ــ •
قال : هو أكبر منى وأنا أسن منه •

وسئل أخو زيد بن ثابت ، من أكبر أنت أم زيد ؟ •

فقال : زيد أكبر منى ولكنى ولدت قبله •

فتأدب مع أخيه ، وهو غائب عنه ، وقد لاحظ فى جوابه أن زيدا اعتنق الاسلام قبله ، لذلك نظر اليه نظر اكبار واعزاز •

دعاء

اللهم انى أعوذ بك من كل عمل يخزينى ، وأعوذ بك من كل صاحب يردينى ، وأعوذ بك من كل أمل يلهينى ، وأعوذ بك من كل فقر ينسينى ، وأعوذ بك من كل غنى يطغينى وأعوذ بك من كل قاطع يقطعنى عنك •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العلمانية فى الدستور ـ بقية

لاغلاقها بحجة عدم توفر الاشتراطات الصحية كل ذلك حتى ينصرف الناس عن الدين ولن يتحقق مثل هذا الهدف الا فى ظل العلمانية سواء فتحنا العين أو كسرناها وتغاضينا عن فلسفة مدلولها السياسى الذى يحاول اخفاءه من أخذوا الثقافة عن الغرب •

ألا فاتقوا الله فى دينكم وفى أولادكم وفى تلاميذكم وأمتكم وفى أنفسكم

ولا تظنوا هذا ارهابا فكريا بل نصيحة خالصة فمن الالفاظ ما هو فتنة تؤدى الى أن تدخل الامة جحر الضب وراء الغرب بعد أن نتبعه شبرا بشبر وذراعا بذراع ألا قتل الانسان ما أكفره فكما يكذب على غيره فى الكلام فقد يكذب على نفسه وعلى غيره فى الفهم •

محمد الليثى على

اللغة والأدب والنقد

النهج الإبداعي للآمدي الناقد

رجل جنى عليه فكره

نظرات في مسيرة العمل

النهج الإبداعي للآمدي الناقد

(٢)

(٢) منهجه فى النقد والموازنة

(أ) منهجة النقدى

يمكن وصفه بأنه منهج علمى ذوقى تحليلى شمولى واقعى ، يأخذ بالمقيـاس اللغوى ، والنفسى ، والسلوكى ، والانسانى ، ويحرص على التقاليد التى جرت بها عادات العـرب ، ويهدف الى تحقيق العدالة النقدية ، فى أسلوب تبدو معرفته اللغوية ممتزجة بذوقه الأدبى !٠

أما علمية هذا المنهج فأمر يلمسه الدارس لآثار الآمدى ، وأبرزهـا « الموازنة » ، فلقد اجتمعت فيه خصائص العلم المضـبوط من الموضوعية ، والشمول والتماسك ، والاقتصاد «١٥» كما تحققت فيه أصول خطوات التفكير العلمى من نظرة فاحصة ، ودراسـة عميقة لنتـاج الشاعرين الطائيين وغيرهما ، مع اسـتيعاب لما أثير حولهما من آراء ، ثم الخلوص بنظرة ابداعية فى الموازنة بينهما ، وفق خطة راشدة هادفة ، تجعل القـارىء للموازنة ناقدا خبيرا علميا «١٦» ٠

أما ذوقيته التحليلية فلم تفارق الآمدى ، بل نراها تواكبه فى مراحل تناوله النصـوص الشعرية انطلاقا من منظوره فى مسلكه الموازنى بين شعر الطائيين : « ... وأنص على الجيد وأفضله وعلى الردىء وأرذله ، واذكر من علل الجميع ما ينتهى اليه التخليص ، وتحيط بـه العبارة ، ويبقى ما لا يمكـن اخراجـه الى البيان ، ولا اظهاره الى الاحتجاج ، وهو علة مالا يعرف الا بالدربـة ، ودائم التجـربة ، وطول الملابسة ، وبهذا يفضل أهل الحذاقـة بكل علم وصناعة من سواهم ممـن نقصـت قريحته ، وقلت دربته ، بعد أن يكون هنـاك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة ، وامتزاج بهـا والا لا يتم ذلك ٠٠ ثم أكلك بعد هذا الـى اختيارك ، وما تقضى عليه فطنتك وتمييـزك فينبغى أن تنعم النظر فيما يرد عليك ، ولـن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتأمل ، ومـن اذا تأمل علم ، ومن اذا علم أنصف (١٧) ٠

ففى كلام الآمدى هذا تلمح أنه يرى ملكة الذوق : طبعا مركوزا فى الناقد ،وحذقـا يتحقق بالدربة وفطنة تأتى من امتزاج الطبع

---

١٥ ــ حسان د ٠ تمام (اصول الفكر اللغـوى العربى) ص ١٤ ــ ١٨ ٠

١٦ ــ الآمدى : الحسن بن بشر (الموازنة) ج ١ ص ٤١١

١٧ ــ المصدر السابق ٠

بقلم: أ. د. عبد الحميد محمد العبيسى

بالذوق ، فصاحب الفطنة أجدر من صاحب الطبع وحده ، أو الحذق وحده .

ولا ينسى الآمدى قارئه ، فيوجهه الى انعام النظر ، وحسن التأمل ، اذ بالتأمل يتحقق العلم ، وبالعلم يكون العدل فى الحكم.

وأما شموليته ، فانه لم يقنع بالنظر الجزئى الى حقل الظواهر التى يتناولها ، ولا يدرس البعض منها دون البعض ، بل نراه يستقرىء جوانب الحسن والقبح عندهما من خلال تحليل نقدى يحتكم فيه الى « عمود الشعر » وهو مذهب العرب القدامى فى صياغة الشعر، ونسج القريض .. وواضح أن صنيع الآمدى فى تتبعه فنون الشعر عند الطائيين ، وفحصها ثم تعقيبه عليها بأحكام غير نهائية — لأكبر دليل على شمولية منهجه !!

كما أن أخذه بالمقياس اللغوى ، والنفسى ، والانسانى وغيرها لما يؤكد تلك الشمولية فى تعاطى المقاييس النقدية المتفاوتة على حد سواء ، بدون ايثار مقياس نقدى بعينه !! .

أما واقعية المنهج فانها تتجلى فى تطبيقه خطة « الموازنة » ، فعلى حين ينظر فى النصوص الشعرية نظرة الفاحص الواعى البصير بواقعه لا يتعلق بالخيال وأسبابه الجامحة حينا ، والمنسابة حينا آخر ، فجاءت دراسته للفن الشعرى العربى فى ضوء تلك الواقعية ، كما أن تناوله للموازنة لم يلتزم سمتا معينا ذلك أنه كان يريد أن يوازن بين قصيدتين تتحدان فى الوزن والقافية واعرابهما، فلما وجد ذلك أمرا صعبا بعيدا أخذ بالموازنة بين معنى ومعنى ، مع الموازنة فى الوجوه الفنية ، والمسالك التصويرية التى أشار اليها فى القسمين : التاسع والعاشر المفقودين من كتابه وهما : التشبيه والامثال عندهما ، ثم تسجيل المعانى التى ينفرد بها كل واحد منهما لتوضع فى رصيد حسناته !!.

وهو منحى — بلا ريب — يتسم بالمرونة ، والتكيف مع ظروف وطبيعة البحث الذى يقوم عليه ، مما جعله صاحب منهج علمى واقعى !!

أما أخذه بالمقياس اللغوى فانا نجده يضيق مجاله ، ويحكم القبضة عليه ، فان اللغة لا يقاس عليها ، ذلك أنه ينبغى أن ينتهى فى اللغة الى حيث انتهى العرب ، ولا يتعداه الى غيره (١٨) .

ولا شك فى أن ذلك التضييق للمقياس اللغوى أورثه التعنت ، وجعله مغمزا لكثير من النقاد المحدثين والمعاصرين ، وفى مقدمتهم المرحوم الناقد الاستاذ الدكتور محمد مندور فى كتابه « النقد المنهجى عند العرب » (١٩).

ومع هذا فانه لا يمارى أحد فى عمق ثقافته اللغوية ووفرتها وهى التى أحسن تطبيقها كمقياس فيما تناوله من نصوص شعرية ، مع ما شابه من الاسراف والاعتساف

١٨ — المصدر السابق : جـ١ ص٢٢٧ «بتصرف»

١٩ — ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

فى دعواه من أن اللغة لا يقاس عليها !!.

وأما تعاطيه المقياس النفسى فيتضح فى عنايته بالدور النفسى فى التحليل النقدى ، فكثيرا ما يحيل الى نفس القارىء وذوقه . طالبا منه أن يدقق النظر ، ويطيل التأمل . فى ضوء ما ترتضيه فطنته ، فانه « ما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى به الطبع النقى ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو » (٢٠) .

فأنت ترى الآمدى لا يريد هروبا ولا تنصلا عن مسئولياته كقاض ناقد موضوعى ؛ بل يهدف الى أن يكون للقارىء تجربته الذاتية كذلك ، وهذا معنى تربوى نبيل نسجله له ،على أن الآمدى لم يقف عند هذا الحد،وانما رأيناه يطبق المقياس النفسى على شعر الطائيين معا فى « بكائهما على الطاعنين » ، فان البكاء يشفى حرارة الشوق ويطفئها . وهذا المعنى هو الشائع الذائع فى الموروث من الشعر الجاهلى ، لكن الطائيين خالفا هذا المعنى المعروف المألوف فى الجاهلية . فقال أبو تمام :

دعا شوقه ياناصر الشوق دعوة

فلباه طل الدمع يجرى ووابله

وقال البحترى !

نصرت لها الشوق اللجوج بأدمع

تلاحقن فى أعقاب وصل تصرما

فارتكب الطائيان الخطأ . ذلك أن « الدمع هو حرب للشوق . لأنه يثلمه ويتخونه ، ويكسر حده،ولو كان ناصرا له،كان يقويه ويزيد فيه ، وليس بهذا الخطأ خفاء على أحد » (٢١)

وقد دافع المرحوم الدكتور محمد غنيمى هلال عن بيت البحترى ، بقوله : « ان الآمدى يرى أن البحترى خرج على عمود الشعر ، حين وصف أنه بكى الفراق ، وأن الدموع زادت من لهيب شوقه اثر الفراق ، والشوق يشفيه البكاء ولا يزيد منه ، وانما انتقد الآمدى البيت ، لأن المشهور فى الشعر الجاهلى أن البكاء يشفى من حرقة الشوق ولهيبه ، وهذا صحيح من ناحية نتيجة البكاء ، أى أن الانسان يشعر بعد البكاء بما يشبه عملية « التطهير » التى تحدث عنها (أرسطو) .. ولكن من ناحية أخرى لا مجافاة للصدق فى بيت البحترى ، ذلك أن البكاء فى أثناء الانفعال يزيد من العاطفة ، كما يزيد الانفعال كذلك على رؤية الفواجع فى « المأساة » !!

قبل أن يحدث « التطهير » فيما بعد ، على حسب نظرية (أرسطو) المشهورة فى كتابه « الشعر ». فكلا المعنيين صحيح ، ولا وجه لنقد البحترى الا لأنه خالف ما جرى عليه عرف الجاهليين » (٢٢) .

وهذا الدفاع يمكن قبوله الآن ، اذ أن معنى البكاء فى أثناء الانفعال ، وكونه يزيد من العاطفة لم يكن شائعا أو معروفا عند القدامى الأوائل ، وانما اتضح هذا المعنى عقب حركة ترجمة الثقافات الوافدة الى العربية ، وعليه فانا نلتمس العذر للآمدى ، اذ معياره : كون المعنى الذى يأتى به الشاعر موافقا ومطابقا

---

٢٠ ــ الآمدى : الحسن بن بشر (الموازنة جـ١ ص ٥٢٣) .

٢١ ــ المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٢ ــ ٢٣ .

٢٢ ــ هلال : د. محمد غنيمى (دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده) ص ٧ «بتصرف»

للمألوف عند الجاهليين ، وصولا الى «عمودية الشعر » ، وقد يقال : ان هذا يدخل فى صميم نقد المعنى ، وعندى أنه لا تنافى بين مقياس النفس والمعنى ، فقد يجتمعان — كما هنا — ولكل وجهته واعتباره ، ونظرته ومجاله • هذا وقد لاحظت أن الدكتور هلال قد خص البحترى وحده بهذا الدفاع مع أن أستاذه أبا تمام قد سبقه الى هذا المعنى المنتقد ، أو يعنى ذلك أن الاستاذ الكريم — رحمه الله تعالى — كان منحازا الى البحترى ، ومحبذا طريقته فى الصياغة الشعرية ، ومؤثرا مسلكه على منحى أبى تمام ؟ •

وكم وددت أن يشير الأستاذ المرحوم الى بيت أبى تمام ، ليسلم من أى تساؤل أو انتقاد !! بيدأن دفاعه عن البحترى هو دفاع عن أبى تمام فى هذا المعنى •

أما نزعة الامدى السلوكية والانسانية فانك تلمسها فى تضاعيف كتابه ، وبين ثنايا أحكامه اذا تفحصت عبارته السابقة • « ما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى بـه الطبع النقى ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو !! » — فان تلك الحقيقة تكشف عن اعجابه بالشعر المطبوع الذى لا تكلف فيه ، مصورا للواقع فى صدق ، وهى دعوة صريحة للصدق الفنى كسلوك يجب أن يلتزمه طلاب القريض من الشعراء ، وفيها مغزى انسانى رفيع ، فان الصدق الفنى يجعل الفنان مبدعا ، ويورثه ابداعا وجمالا ، فليس الابداع — عند الأمدى — خروجا على سنن القوم (العرب) « عمود الشعر » ، بل هو المعنى الصحيح اذا أتى بـه الطبع النقى ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو •

والحاح الآمدى على التزام الصدق ليس مقصورا على الشعر ، بل تجاوزه الى النثر ، ومن ثم نراه يعقب على فضائل الكلام التى ذكرها (بزر جمهر) ، وهى « أن يكون الكلام صدقا وأن يوقع موقع الانتفاع به ، وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة » (٢٣) •

ان تعقيب الآمدى هو تفسير لما يريده (بزرجمهر) ، فقال الآمدى : « أراد الكلام المنثور الذى يخاطب به الملوك ، ويقدمه المتكلم أمام حاجته ، والشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا أى (صدقا خلقيا) ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ، فانه قد يقصد به موقع الضرر ، ولا أن يجعل له وقتا دون وقت فبقيت الفضيلتان : أن يحس تأليفه ، ولايزيد فيه شيئا على قدر حاجته ، وهما واجبتان فى شعر كل شاعر » (٢٤) •

وكأنى بالآمدى يفرق بين لغة النثر وهى دلالية ، وبين لغة الشعر وهى ايحائية ،لكن شاب الآمدى كما شاب النقدة المنهجيون الأقدمون من العرب فصلهم بين الشعر والخلق أو الدين !!

فان التصور الاسلامى للفنان لا يبيح له

---

٢٣ — الآمدى : الحسن بشر (الموازنة) جـ ١ ص ٥٢٣ — « بتصرف » .

٢٤ — الآمدى : الحسن بن بشر (الموازنة) جـ ١ ص ٤٢٨ .

أن يكذب خلقيا مهما كانت الدوافع أو الضغوط كما لا يسوغ له أن يقترف الا يذاء ، أو يرتكب العدوان ، أو يمارس الهجاء والبهتان ، بل يجعل قريضه على طريق الخير والبر ، ودعم السلوك المهذب ، وترسيخ القيم الاسلامية ، والتواصي بالحق والصبر ، كي تسود المعاني الاسلامية المثالية في دنيا الناس التي تكالبت عليها قوى الشر !!

وأما حرصه على التقاليد العربية التي كانت سائدة في الزمان الأول فانه يتضح في مدى حرصه على تحقيق « عمودية الشعر » ، انظر مثلا الى نقده أبا تمام في قوله :

خرجن في خضرة كالروض ليس لها
الا الحلى على اعناقها زهر

فان قوله : « خرجى في خضرة » • (فيه مخالفة لما جرت به عادات النساء قديما في اختيار ألوان الثياب) ، اذ الخضرة ليست من ألوان ثياب نساء البادية ، ولا من صبغ نساء الامصار الا في القرط ، لا يلبس الا أن يكون أصل لون الثوب أخضر •

وقد جعل أبو تمام جميع لباس هؤلاء النسوة (اللون) الأخضر ، وشبهه بالروض ، من أجل تشبيهه الحلى بالزهر ، وهو نبت حسن ، وغرضه في ذكر الخضرة غرض صحيح ، الا أنه غير معروف !! (٢٥) •

فأنت ترى في كلام الآمدي أن صحة التشبيه ، وصنعة الصورة ، هي التي جعلته يخالف المعروف من لون زى النساء قديما ، فولوع أبي تمام بالصنعة البديعية قاده الى تلك المخالفة للتقاليد ، وبهذين الأمرين يكون أبو تمام خارجا على « عمودية الشعر » في نظر الآمدي !!

وأما سعيه الى تحقيق نمط من العدالة النقدية في تلك الخصومة ، فانه يصرح في بداية كتاب « الموازنة » بقوله : « وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة ، وأحسن في اعتماد الحق ، (وتحرى الصدق) ، وتجنب الهوى » (٢٦)•

وفي مقام آخر يحفل الآمدي بالعدالة فيذكرها قائلا ! « وهذا من أعدل كلام سمعته من القول في (أبي تمام) (٢٧) •

والدارس المتأمل يحس سعيه الحثيث العادل في كل خطوة يخطوها في « الموازنة » ، محاولا الالتزام — ما أمكن — بمبدأ الحياد بين الطرفين ، ومع هذا فانا نلمس تجاوزات قد وقع فيها الآمدي ، تصل أحيانا الى مستوى العنف والقسوة على أبي تمام . انظر اليه في تعقيبه على قوله !

وكأن أفئدة النوى مصدوعة
حتى تصدع بالفراق فؤادي

٢٥ — المصدر السابق ج ٢ ص ٩٦
٢٦ — المصدر السابق ج ١ ص ٣ •
٢٧ — المصدر ج ١ ص ٤٢٠ •

و « أفئدة النوى مصدوعة » يشبه قوله :

وكم أبرزت منكم على مبح خدها
صروف النوى من مرهف حسن القد

وما أظن أحدا انتهى فى الجهل ، والعى ، واللكنه ، وضيق الحيلة فى الاستعارة الى أن أن جعل لصروف النوى قدا وأفئده مصدوعة غير أبى تمام !! (٢٨) .

فهذا نقد جارح حاد لأبى تمام الذى لم يرتكب جريمة ، ولم يقترف ذنبا ، فان التشخيص ظاهرة تكمن فى الاستعارة المكنية عند العرب ، لكن تضييق الأمر — فى نظر الآمدى — جعله مثارا لنقد بعض المعاصرين (٢٩) .

ومع هذا فان الآمدى ظل ملتزما منهجيته طيلة بحثه فى الموازنة التى كان يرى أن تبويبها شرط لصحة الموازنة وسلامتها . بقوله :

« وافتتح ذلك بما جاء عنهما (الطائيين) من الابتداءات فى هذه المعانى ، وأبوبها أبوابا ؛ لتصح الموازنة بينهما (٣٠) ولا شك فى أن تجزئته الكتاب عشرة اجزاء قد ساعدته على بسط فكرة الموازنة ، ومقاييسها ، وركائزها ، وان كانت تلك التجزئة قد جعلته يكرر كثيرا ، فيذكر الموضوع مرتين (٣١) أو أكثر فى جزءين منها على نحو ما سنوضح تفصيلا فى خطته لكتابه فيما بعد .

هذا ومن الثابت المتيقن أنه لم يتخل فى منهجه عن معرفته اللغوية الممتزجة بحاسته الأدبية الذوقية !! .

هذا عن منهجه النقدى ، فماذا عن خطته فى الموازنة ؟

ذلك موضوع المقال التالى اذا شاء الله تعالى —

أ . د / عبد الحميد محمد العبيسى

---

٢٨ — المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٩ .
٢٩ — هلال : د. محمد غنيمى (دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده) ص ٢٠ .
٣٠ — الآمدى : الحسن بن بشر جـ٢ ص ٥ .
٣١ — المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠ — ٢١ . جـ ٢ ص ١٨ — ١٩ .

أبو حيان التوحيدي

رجل جنى عليه فكره

(٣)

•• وبعد أن وقفنا على شىء من عـدة أبى حيان واستعداده ، نقول :

انه كان ـ بحق ـ جديرا بأن يتبوأ مـن المنازل ما يصبو اليه طمـوحه ، وأن يحتـل مكانا يتكافأ وبعض ما لديه من مؤهلات ، لكنه تأخر ، بل أخر عن قصد دون من يفوقهم من معاصريه ، وهذا التخلف والتأخر هو ما نعده من جناية فكره وذكانته عليه •

على أن هذا الموضوع ـ أى ابعاده عـن مكانة يستأهلها ـ قد أخذ شوطا بعيدا مـن القدماء والمحدثين على سواء ، وقلما وجد هذا الرجل من الانصاف ما يوائم معارفه وادراكه، بل انهم عزوا اقصاءه وتقـريب غـيره ممن ليسوا مثله الى أنه كان يؤثر السـلامة فى الخمول عن الغنيمة عند تجشم الأخطـار ، وكان يقنع بالطفيف ويحبـه ، وأنـه خـامل جبان (١) •

وقد استنتج ذلك ـ وما أظنه حقـا ـ من قولته : « أنا رجل حب السلامة غالب على ، والقناعة بالطفيف محبوبة عندى » (٢) •

ولسوف تعلم أن ذلك قد صدر منه بعد أن آب من لدن الصاحب بن عباد وأبى الفضـل ابن العمير بالخيبة والحسرة والاحباط •

ومن التقولات عليه أنه :

« كان قليل الشجاعة والجراءة والتمتـع بقوة النفس وحسن التدبير ، وذلك عاقه عـن تقلد مركز عال » (٣) •

وعاقه كذلك « مـا رمي بـه مـن الزندقة والالحاد ، أو ما اشتهر به مـن الاسـاءة الى الناس ، أو حسده لأولى النعمة فى الثراء والجاه والعلم والأدب » (٤) •

وسترى من خلال ما واجه به الصـاحب ابن عباد ـ قوة القوى فى عصره بين البشر ـ أن أسّ ابعاده ومحاصرته وحرمانه ، انما

---

(١) ص ٣٠ ، ٣١ من كتاب ابو حيان التوحيدى للدكتور عبد الرزاق محيى الدين .
(٢) ١ ـ ١٠٤ الامتاع والمؤانسة لابى حيان .
(٣) ص ٣٢ أبو حيان لمحيى الدين .
(٤) ص ٣٣١ ، ٣٣٢ الصاحب بن عباد للدكتور بدوى طبانه ، وهو فى ذلك متأثر بصاحب النثر الفنى ٢ ـ ١٣٣ ، وهذا الاخير يشرح آراء ياقوت الحموى التى قالها فى ١٥ ـ ٥ وما بعـدها .. معجم الادباء .

للدكتور حامد الخطيب

كانت من شجاعته ، ومن توفز حسه ، وقوة عارضته ، وحضور بديهته ، ومن قبل ذلك كله عدم مداراته ومداهناته ، وبخاصة اذا ما تعلق الأمر بالعلم ومسائله ، تلك التى تتطلب الحق والتحقيق ، ولا ترضى بالمجاملات أو الاغضاء ، اكبارا لكبير ، أو ادعاء احترام وزير ، وذلك ما كان يحدث فى مجلس ابن عباد — كما رأى التوحيدى وسجل — على أنا لو تركنا الجدل فى حسده لأولى الجاه والنعمة ، فانا لا نقبل أن يحسد غيره فى العلم والأدب ، كيف وهو — فى رأينا — كما قال أبو الطيب المتنبى :

قَطَّعْتَهُمْ حسداً أراهم ما بهم
فتقطعوا حسدا لمن لا يحسد (١)

لقد ثبت أن التوحيدى كان يزدرى أهل عصره ويترفع عليهم ، حاشا شيوخه ومن أفاد منهم ، فقد رأيت رأيه البين فيهم ، أما تكبره وازدراؤه ، فانه كان يوجهه الى المتفيهقين والأدعياء ، وقد صب حمم ذلك — بوجه أخص — على من لا يعرف الا نتفا من أمور ، ثم يدعى المعرفة بكل الأشياء .

واذا نأى أبو حيان عن أفانين النفاق والتملق اللذين كانا من صناعة غيره ، وشاعا فى عصره ، « لقى الأهوال من الأحياء ، وذاق الشقاء الذى ما كان يستحقه ، بينما يرى ويبصر من دونه يرتقون ويرتفعون الى أعلى مراتب الرياسة والشرف فى الدنيا » (٢) الدنية ، فلا غرو أن يؤثر البؤس وضراوة الفقر ، حفاظا على قدر علم ، وصونا لاباء نفس وشيم علماء من أن تركع أو تذل أمام مدع — فى رأيه — كالصاحب ابن عباد ، أو أبى الفضل بن العميد .

ذلك ، وما أظن رأيك الا من رأينا ، ولتكونن كذلك اذا قرأت قول من اتهمه آنفا (٣) : ان « الذين بلغوا ما أملوا فى عصره قل بينهم من استقامت له الأحوال ، واطردت معه الأمور ، وسوى من عرض نفسه للمهالك ، أوراضها على خدمة الوزراء ، آخذا بأسباب الملق ، ومعرفة السبل الى النفاق ، ندر أن عاش فى سعة ، وتجاوز حدود الكفاف ، ولم يقاس — على صبر ومضض — بأساء الحياة ، وضراوة الفقر » (٤) .

ولعل أبا حيان كان من هؤلاء الذين لم يرضوا لأنفسهم الهلكة ، أو خدمة الوزراء فى

◄

---

(١) ١ — ٣٣٥ ديوانه ، والمعنى : حسدوك فماتوا بشدة حسدهم ، حتى كأنك قطعتهم .. لأنه ليس أحد فوقك فتحسده . وأنظر ص ٣٢ من الابانة عن سرقات المتنبى للعميرى .

(٢) مقدمة الاشارات الالهية د. عبد الرحمن بدوى .

(٣) أنظر ما اتهمه به د. محيى الدين من الجبن والخمول

٤ — ص ٣٣ أبو حيان د. محيى الدين .

خنوع ، أو التزلف والنفاق والتملق فى سبيل عرض زائل ، ولئن ابتغوا ذلك لقد كانوا يرون العلم وتنوع الثقافة ، وجلال العلماء وحفظ تقدمهم مما يؤهلهم لما يبتغون ، بيد أن الصاحب بن عباد بلماحيته وفطنته ، رأى فى صاحبنا أبى حيان طموحا لم يره عند غيره ، ، ومعارف ترفعه أعلى ذروة ، وهو — أى الصاحب — « كان يرى نفسه فرد زمانه ، وواسطة عقد دهره ، واذ رأى فى التوحيدى علما وجرأة ، ثم سمع فيه قالة السوء من أعدائه ، كان لابد من أن يحرمه كل حق هو به خليق » (١) .

فليست — اذن — تهمة الزندقة والالحاد ، وليست شهرة الحسد والاساءة الى الناس ، وليس حب السلامة وبغض المغامرة ما جعل التوحيدى لا ينال ما يأمل ، ولا يوضع فى مكانة تليق بمكانته ، ولكن قل :

هى مقدرة رجل متعدد الكفايات ، قد تعدد حاسدوه عليها ، وهى ذكاء وتحصيل ، ودراية بما يحصل ، وصيانة لكل ذلك ، وهو أمر لا يطيقه المتسلقون ، وأمانة علمية لا يستطيع الصبر على أن يخفيها متى واتت الحاجة اليها ، ومهما كان خطر الموقف الذى يدلى فيه بالرأى ، لذلك وسواه قد اغتالوا حقه ، وأهملوا جهده ، فأضاعوه ، وأى فتى أضاعوا !! .

لقد « بلغ أبو حيان مرتبة الأستاذية فى الكتابة الفنية التى جعلت اللغة العربية سلسة القياد الى درجة نادرة ، تستجيب للذين يريدون التعبير عما فى نفوسهم ، وانه كان على ذروة من ذراها ، عالما بدقائق الأسلوب الرائع ، وقادرا عليه ، بحيث لم يكتب فى النثر العربى بعده ما هو أبسط وأقوى وأشد تعبيرا عن مزاج صاحبه » (٢) .

ولقد كان معاصره ابن عباد من سادة العصر وقادته ، وكان — باعتراف أبى حيان — « قطب دائرة علمية وأدبية ، وأن مجلسه كان موردا لكل وارد ، ومنهلا عذبا لا يخلو من زحام ، وبين يديه يجتمع ناس يختلفون فى المواهب والمشارب ، وكان الصاحب يستمع ويستمتع بما يجول من المحاورات والمناظرات، ويفسح طريقا لكل ذى حديث » (٣) ، ولكنه — مع هذا — كان فيه تكبر وصلف ، وكان فيه استبداد وتعجرف ،حتى قال ياقوت :

« وللصاحب أخبار حسان فى مكارم الأخلاق ، مع رقاعة كانت فيه » (٤) وحتى قال أبو العلاء الأسدى :

اذا رأيت مُسَجّىً فى مرقعة
يأوى المساجد حُرّا ضره بادى
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت
به الخطوب الى لؤم ابن عباد (٥)

ولعل ذلك ومثله قد جعل أبا الطيب المتنبى يدفع زيارته دفعا — رغم أنه هو الذى دعاه —

(١) ص ٣٤٢ : ٣٤٩ بتصرف ، الصاحب بن عباد د . بدوى طبانة .
(٢) ٢—٢٤٧ الحضارة الاسلامية لآدم متز .
(٣) راجع ٣ — ١٦٩ ، ١٧٠ يتيمة الدهر ، ١٥ — ٤٤ معجم الادباء ، ١ — ٦٥ الامتاع والمؤانسة .
(٤) ٦—١٧٤ معجم الادباء .
(٥) ٣ — ٢٥١ يتيمة الدهر .

ثم يصفه قائلا لأصحابه :

« ان غليما معطاء بالرى يريد أن أزوره وأمدحه ، ولا سبيل الى ذلك ، فصيره الصاحب غرضا يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع سقطاته فى شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالا اياها ، وتمثلا بها فى محاضراته ومكاتباته » (١) ، فلا غرو أن « الناس كلهم محجمون عنه لجرأته وسلاطته واقتداره .. » (ولا شك أن) صغار آفاته كبيرة ، وذنوبه جمة ، ولكن الغنى رب غفور » (٢) .

واذا ما صدق أن تلك الصفات القبيحة كانت فيه ، فهى التى دفعته الى كراهية من يلمح لديه فضلا يربو على فضله ، والذى لا ريب فيه أنه لمس فى التوحيدى جملة من الصفات التى تمكنه من السبق له أو من اخمال شىء من ذكره ، فعمل جاهدا على أن يحيطه بسياج النكران والاغفال ، وأن يكفكف من تطلعه المشبوب .

ولقد يؤيد ذلك ويصدقه ما نسوق من مواقف حازمة حاسمة وقفها التوحيدى مع الصاحب ، وانها لتجل عن الحصر والتعداد ، قال : « فارقت بابه — يعنى الصاحب — سنة سبعين وثلاثمائة ، راجعا الى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة ، ولم يعطنى فى مدة ثلاث سنين درهما واحدا » (٣) .

ويبدو أن ذلك الازدراء والحرمان قد سبقه ما يبرره لدى الصاحب ، وكانت البداية كما « قال أبو حيان : وأما حديثى معه — يعنى ابن عباد — فاننى حين وصلت اليه قال لى : أبو من ؟ قلت : أبو حيان ، قال : بلغنى أنك تتأدب ، فقلت : تأدب أهل الزمان ، فقال : أبو حيان ينصرف أولا ينصرف ؟ قلت : ان قبله مولانا لا ينصرف ، فلما سمع ذلك تنمر ، وكأنه لم يعجبه ، وأقبل على واحد الى جانبه ، وقال له بالفارسية سفها — على ما قيل لى » (٤) .

فالأمر كما ترى ، اجابات تنم عن صراحة وجد ، وتكشف عن خلق رجل يعتز بعلمه أكثر من اعتزازه بنفسه ، وتشى بسرعة بديهه تفجأ المحدث بغير مقصوده ، ولكن مع حجة مسكتة ، وقول مفحم .

تأمل قول الصاحب : أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف ، ورد التوحيدى : ان قبله مولانا لا ينصرف . ولم يغب عن الصاحب ولم يعزب عنه ما يحمله ذلك القول ، ثم ما يحمله تصدير الكلم (بان) التى تنبىء عن شكوك التوحيدى فى تصرفات الصاحب مع أمثاله ، بل مع من هم دونه فى العلم والذكاء .

على أنا نسوق اليك من جراءة التوحيدى ما هو آلم للصاحب وأنكى ، وكل ذلك يرجع الى اظهار العلم والمصارحة بحقائقه ،

٥

---

(١) ١ — ١٢٢ يتيمة الدهر ، ١٤١ ، ١٤٦ الصبح المنبى للبديعى .
(٢) ١ — ٥٤ الامتاع والمؤانسة .
(٣) ١٥ — ٣٢ معجم الادباء ، ٣١١ أخلاق الوزيرين لأبى حيان .
(٤) ٥ — ٢٨ معجم الادباء ، ص ٣٠٦ من أخلاق الوزيرين .

ومن ذلك قوله :

« قال الصاحب يوما : فعل وأفعال قليل ، وزعم النحويون أنه ما جاء الا زَنْد وأزناد ، وَفَرْخ وأفراخ ، وفَرْد وأفراد ، فقلت : أنا أحفظ ثلاثين حرفا كلها فعل وأفعال ، فقال : هات يامدعى ، فسردت الحروف ، ودللت على مواضعها من الكتب ، ثم قلت : ليس للنحوى أن يلزم مثل هذا الحكم الا بعد التبحر والسماع الواسع ، وليس للتقليد وجه اذا كانت الرواية شائعة ، والقياس مضطردا ، وهذا كقولهم : فعيل على عشرة أوجه ، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجها ، وما انتهيت من التتبع الى أقصاه ، فقال : خروجك عن دعواك فى (فعل) يدلنا على ذنيامك فى (فعيل) ولكن لا نأذن لك فى اقتصاصك ، ولا نهب آذاننا لكلامك ، ولم يف ما أتيت به بجرأتك فى مجلسنا ، وتبسطك فى حضرتنا » (١) • أفليس ذلك بالصريح البين الذى يكشف عن أن الصاحب كان لا يحب أن يظهر فى مجلسه أحد يقول بقول هو لا يعرفه ، أو يفوه بعلم هو لا يعلمه ؟ ان الأمر عندى كذلك ولهذا الموقف نظائر كثيرة وأشباه •

ولقد كان العداء الشديد بين الصاحب وابن العميد أبى الفتح غير منكور ، وقد عرف الصاحب أن أبا حيان قرظ عدوه هذا بكلام لطيف ، فكان ذلك عليه بلاء فوق بلاء ، وعداء على عداء ، وقد صرح التوحيدى بذلك ، فقال : « ما ذنبى اذا قال لى : هل وصلت الى ابن العميد أبى الفتح ؟

فأقول : نعم ، رأيته ، وحضرت مجلسه ، وشاهدت ما جرى له ، وكان من حديثه مما مدح به كذا وكذا ، وفيما تقدم منه كذا وكذا ، وفيما تكلفه من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا وكذا ، ووصل أبا سعيد السيرافى بكذا وكذا ، ووهب لأبى سليمان المنطقى كذا وكذا ، فينزوى وجهه ، وينكر حديثه ، وينجذب الى شىء آخر ليس مما شرع فيه ، ولا مما حرك له ، ثم يقول : أعلم أنك انما انتجعته من العراق ، فاقرأ علىّ رسالتك التى توسلت اليه بها ، وأسهبت مقرظا له فيها ، فأتمانع ، فيأمر ويشدد ، فأقرؤها فيتغير ويذهل » (٢) ، لماذا ؟ لأنه — فيما نظن — يرى نفسه أولى بالمدح والثناء ، فكيف يكون ذلك فيمن عاداه يوما ، وكره مقامه ، وأمر الجند بالتآمر عليه (٣) !! •

ومن المواقف التى أذكت عدم التوافق ، وأصلت العداء بين الصاحب وصاحبنا التوحيدى ، قوله :

قال لى الصاحب يوما — وهو يحدث عن

---

(١) ١٥ — ٢٦ ، ٢٧ معجم الادباء ، ص ١٥٠ من مثالب الوزيرين لأبى حيان ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ من أخلاق الوزيرين .

(٢) ١٥— ٣٦ ، ٤٣ معجم الادباء ، ص ٤٩٦ وما بعدها من أخلاق الوزيرين .

(٣) أنظر ٣—١٨٦ ، ١٨٧ من يتيمة الدهر للثعالبى .

رجل أعطاه شيئا فتلكأ فى قبوله — : ولابد من شىء يعين على الدهر • ثم قال : سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك ، فقلت : أنا أحفظ ذاك ، فنظر بغضب ، فقال : ما هو ؟ قلت : نسيت ، فقال : ما أسرع ذكرك من نسيانك ، قلت : ذكرته والحال سليمة ، فلما استحالت عن السلامة نسيت ، قال : وما حيلولتها ؟ قلت : نظر الصاحب بغضب فوجب حسن الأدب ألا يقال ما يثير الغضب ، قال : ومن تكون حتى نغضب عليك ؟ دع هذا وهات ، فقلت : قول الشاعر :

ألام على أخذ القليل وانما
أصادف أقواما أقل من الذر
فان أنا لم آخذ قليلا حرمته
ولابد من شىء يعين على الدهر

فسكت » (١) •

وهذه المسائل التى يعرضها أبو حيان ، ويسجل العديد منها فى كتبه ، لا نظن شيئا من الافتراء فيها ، لأن حفظه ودرايته لم يشكك فيهما أحد حتى من أعدائه ، فأما مقولة القوالين بكذبه فان انصاف التوحيدى لألد خصومه — الصاحب وابن العميد — لتدلنا بالقطع على أنه ليس بالمدلس ولا بالكذاب ، فبالرغم من توافق كلا الرجلين فى ازدرائه واحتقاره ، وحصاره وحرمانه ، فانك تجد الكثير من مثل قوله فى الصاحب :

« ان الرجل كثير المحفوظ حاضر الجواب ، فصيح اللسان ، قد نتف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا ، •• وفى بديهته غزارة ••• وفى الجملة هو أبلغ من ابن يوسف ، وأغزر وأحفظ ، وأروى وأجم رئية ، وأعذب موردا وأبعد من التفاوت ، وليس ابن يوسف من ابن عباد فى شىء ، •• كان الصواب غالبا عليه ، وله رفق فى سرد حديث ، ونيقة فى رواية ، وله شمائل مخلوطة بالدماثة ، بين الاشارة والعبارة » (٢)، وكذلك تجد الكثير من مثل قوله فى أبى الفضل ابن العميد :

« وجملة الأمر أن ابن العميد كان حسن الكتابة ، غزير الانشاء ، جيد الحفظ ، •• وله شعر صالح فى الغزل والمعاتبة ، ولأنه مشهور لا طائل فى روايته ، ومن ذلك قوله :

قلبى دام به ندوب
يكاد مما به يذوب
قد كنت أخفى الوشاة جهدى
فنمّ منى به الوجيب

فهل سمعتم بمستهام
عليه من قلبه رقيب
يعمد ما ساءنى ضرارا
ما هكذا تفعل القلوب

◄

---

(١) ١٥—٣٢ ، ٣٣ معجم الادباء ، ص ٤٦٣ من اخلاق الوزيرين •

(٢) ١—٥٤ الامتاع والمؤانسة لأبى حيان •

رجل جنى عليه فكره

يعتادنى للصبا غرير
كأنه شادن ربيب
جرى مع الدهر فى عناق
فهو لأحكامه نسيب
فكل محبوبه بعيد
وكل مكروهه قريب
وكيف يرجى بقاء صب
ناكده الدهر والحبيب (١)

وعلى ذات الشاكلة كان موقفه من ابن العميد أبى الفتح ، رغم أنه ثلبه أحيانا ، حيث وجد فيه صفات قد ورثها عن أبيه ، قال ـ زيادة على ما تقدم :

« وأما أبو الفتح ذو الكفايتين فانه كان شابا ذكيا متحركا ، حسن الشعر ، مليح الكتابة ، كثير المحاسن ، ولم يظهر كل ما كان فى نفسه لقصر أيامه ، واشتعال دولته ، وطفوها بسرعة ، ومن شعره :

أنى متى أهزز قناتى تنتثر
أوصالها أنبوبة أنبوبا
أدعو بعاليها العلى فتجيبنى
وأقى بحد سنانها المرهوبا

وله كلام كثير : نظم ونثر » (٢) .

ولسنا نبتغى من ذلك كله أن ننزهه أو نبرئه ، انما نريد أن ننصفه ، ولئن أنصفناه فى بعض ما رمى به ، لقد بقيت مقولة حقده ووجده ، وأنه قدم الحسنات على ما ذكر من سيئات فى الصاحب وابن العميد حتى قال : انه بذلك يزن بالعدل ، ويسوق الحسنة والسيئة ، ثم يحكم بالقسطاس ، فهل هو كذلك ؟ وهل للحقد مزية يمتاز بها ، أم انه أبدًا مرذول مذموم .. ؟ يتبع

د / حامد الخطيب

(١) ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ مثالب الوزيرين لأبى حيان .
(٢) ١٤-٢١٣ معجم الادباء لياقوت الحموى ، ص ٢٦٧ مثالب الوزيرين ، ٣ ـ ١٨١ وما بعدها من يتيمة الدهر .

مبدأ إسلامى يدعو اليه شاعر انجليزى ..

فانه فى النهاية لم يفز بطائل ، لأن البرلمان قد وقف دون آرائه ، واستمع الى معارضيه فى ثقة مما هاج هائج « ملتون » ، فاندفع الى تجريح قاس لمناوئيه فى كتاب رابع ، جعل شعاره الصاعق قوله :

« أجب الاحمق بما يشاكل حماقته ، والا فانه يعتقد فى نفسه الحكمة ويتهيأ الى نزالك من جديد .

ولسنا نذكر هذا الشعار مؤيدين ، لاننا نعرف قول الله : « وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ » ولكننا نذكره ليدل على ما اضطرم فى نفس ملتون من غيظ أفقده الراحة والاطمئنان ، على أنه لم يأسف لحظة على موقفه الجرىء ، واذا كان قد أغضب به نفرا من الساخطين فقد أراح نفسه من عبء ثقيل .

د . محمد رجب البيومى

نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى

٢

تأليف الأستاذ :
عمر عبيد حسنة

عرض وتعليق :
ا . د . طه مصطفى أبو كريشة

فى عدد « جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ » وقفنا عند بعض موضوعات هذا الكتاب ، التى تناولت مسئولية الداعين الى الله سبحانه وتعالى مع ضرورة الالتزام بالمنهج ، وتطوير وسائل الدعوة ، وعدم الجمود على وسائل بعينها ، لأن الوسائل اجتهادية ، وقابلة للتغيير حسب مقتضيات الزمان والمكان ، أما الأهداف والغايات الاسلامية فهى التى تتصف بالثبات وعدم قابليتها للتغيير .

وقد ذكرنا فى ختام هذا المقال السالف ، أن فى الكتاب مقالات أخرى ، تعرض فيها الكاتب لبعض جوانب القصور التى يقع فيها من يتصدرون للدعوة الى الله ، ولبعض العقبات التى تصادفهم أو توضع فى طريقهم .. وهنا نعرض لهذا الجانب من حديث الكاتب :

— ١ —

أما الجوانب التى رأى الكاتب أن فيها قصورا ، قد يعوق حركة العاملين فى حقل الدعوة الى الله ، فان من ذلك ما يلى :

* عدم علم الداعية بأحوال الأمم وعاداتها وعقائدها ، وهو قصور مبنى على قصور سابق عليه ، يتمثل فى الجهل بلغات هذه الأمم ، واللغة من غير شك هى النافذة التى يطل منها الانسان على فكر وثقافة الآخرين بطريق مباشر .

وفى هذا المجال يذكر الكاتب أن عالم اليوم بثقافاته وأفكاره ومعارفه وعقائده ، أصبح المتكلمين بغير اللغة العربية من دعاة الاسلام فى بلاد ليست العربية لسانا لها ، وقصورهم يكمن فى أنهم يتعرفون على الاسلام من خلال المترجمات ، ويكتفون بذلك دون محاولة تعلم العربية ومعرفة الاسلام معرفة حقيقية عن طريقها .

والمنزلق الخطير الذى قد ينزلق اليه هؤلاء الدعاة مع حسن النية ، هو تسليمهم التسليم المطلق بما تقدمه لهم هذه المترجمات وفيها ما فيها مما قد يسيىء الى الاسلام ، أو يعطى صورة مشوهة له ، ذلك لأن الترجمة مهما كانت دقيقة لا يمكن أن تعطى الصورة الدقيقة لمدلولات الألفاظ فى لغة أخرى ، لها

اصطلاحاتها ، ولهـا اسـتعمالاتها ، ولهـا مجازاتها وكناياتها ، هذا فضلا عن مقـدار ثقافة المترجم ، ومدى فهمه لمدلولات الخطاب الالهى .

وليس فى هذا تقليل من شـأن الترجمـة ودورها ، ودور من قاموا بجهود مشكورة فى هذا المجال ، خاصـة فى مرحلـة التعـريف بالاسلام .

وانما الهدف من ذلك هو التأكيد على أن فهم الاسـلام فهمـا صحيحا ، لا يتم فى نهايـة المطاف الا من خلال لغة القرآن ، وليس مـع استدامة « وسـيط » لغوى ، قد يقبل ويؤخذ عنه مرحليا ، حتى يتم الاتصـال بالأصـل المباشر .

ولقد أدرك هذا أوائل المسلمين من غـير العرب ، حيث لم يـر الواحـد منهم أن فى امكانه الاستغناء بلغته عن العربية ، بل كانت العربية أملا ، يعمل جاهدا من أجل تحقيقـه والوصول اليه ، ومن هنا كانت الثمرة التى وكأنه دولة واحدة ، وساحة صراع فكـرى وحوار عقائدى ، بعد أن اختصر الزمـان ، وانتقص المكان ، وأصبح الانسان يرى العالم من خلال ما قدمته المدنية الحديثة من وسائل اعلام مرئية أو مسموعة أو مقروءة ، أو مـن خـلال وسائل النقـل المتقـدمة ، وأدوات الاتصال العجيبة .

ومن خلال هذا الواقع المعـاش ، يمكن القول بأن الذى يرضى لنفسه أن يعيش بعيدا عن ادراك الصورة العالمية ، يكون قد رضى لها فى الوقت ذاته أن يعيش على هـوامش الحياة فى عالمه الصغير .

وليس هذا بالوضع الذى يرضاه لنفسـه من يدعو الى الله ، فاذا كان الانسان المسلم مكلفا بواجب التبليغ والدعوة الى الله ، فان ذلك لن يمكن بحال ، اذا رضى لنفسه بـأن تنحصر فى عالم صغير ، هو عالم لغته الخاصة فحسب .

ان الانسان المسلم لا يمكنـه أن يوصـل خطاب التكليف الى البشرية جمعاء ، وهو على جهل بلسانهم ، يعقبه جهل بعاداتهم وعباداتهم وعقائدهم .

واذا كان الله تعالى قال فى شـأن الرسل **« وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ »** ابراهيم ٤ ـ فان الدعاة الى الله فى كل عصر ، هم ورثة الأنبياء ، وعليهم أن يتعلموا لسان من يوجهون اليهم الدعوة (١٠٠-١٠٢)

** ويتصل بهذا القصور قصور آخر ، ولكن ليس فى جانب المتكلمين بالعربيـة مـع جهلهم باللغات الأخرى ، وانمـا فى جـانب قدمت فى حقل الفكر الاسلامى الكثير مـن العلماء المفسرين واللغـويين والأصـوليين والمحدثين والمؤرخين ، وكثير منهم وصل الى مرتبة الامامة التى لا تتوافر الا لمن أتقـن العربية وعلومها (١٠٣ ـ ١٠٥) .

** ومن جوانب القصور لدى الدعاة ، الوقوف عند حدود الرفض والادانة لـواقع الأمة ، والاكتفاء بالخطب الرنـانة الطنانة ، لأن ذلك لن يغير شيئا من الواقع ، وانما ينقلب الى حالة سلبية ، لا يحسن صاحبها غيرها ، وقد تؤدى به الى الانعزال بعيدا عن المجتمع .

ولتلافى هذا القصور ، ولضـمان عـدم

الانزلاق نحوه ، والانسياق اليه ، فان من أوجب الواجبات على العاملين للاسلام ، امتلاك القدرة على فقه التعامل مع المجتمعات ، والانفتاح أكثر ، وفتح منافذ جديدة للدعوة الاسلامية ، وامتلاك قدر أكبر من المرونة ، مع الابصار الكامل والدقيق والأمين للأهداف، والتقدير للامكانات ، وبذلك يكون الخروج من عزلة الرفض والادانة ، الى ميدان التشخيص والعلاج والاصلاح ، من خلال وعى وفهم للداء والعلاج فى آن واحد (١١٦ — ١١٧) .

** ومن جوانب القصور ما قد ينادى به بعض الدعاة فى أماكن متفرقة فى العالم الاسلامى ، من ضرورة الانسحاب والانعزال عن المجتمع ، الذى يختلط فيه العمل الصالح بالعمل السيىء ، مؤكدين أن هذا الانسحاب هو نوع من الهجرة المطلوبة فى تلك المجتمعات.

ويذكر المؤلف أن هناك مفاهيم مغلوطه حول الهجرة ، وقع فيها كثير من المنادين بها ممن تصدوا للدعوة الاسلامية ، اذ أن منهم من خلالنفسه وتصوراته الخاصة الناشئة من النظر فى بعض الجزئيات بعيدا عن الواقع ، واعتمد مقدمات خاطئة ، وصل من خلالها الى نتيجة جعلت بلاد المسلمين اليوم غير دار اسلام بشروطها المعروفة .

ومن ثم استباح هؤلاء لأنفسهم أن يمارسوا فى مجتمعاتهم أنماطا من السلوك ، وأنواعا من المعاملات ، هى محل نظر من الناحية الشرعية ، وقد يتطور الأمر عندهم أكثر فيعلنون الحرب على هذه المجتمعات .

وقد فات من يصل الى مثل هذه النتيجة أن الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم — كان يطلق عليه فى المجتمع غير الاسلامى قبل البعثة (الأمين).

ان الهجرة بالمفهوم الاسلامى ليست حركة سلبية انسحابية من المعركة ولا هروبا من الموقع ، وانما هى جهاد قد يكون من أعلى أنواع الجهاد.

ان الهجرة فى الاسلام حركة ايجابية على أرض المعركة بين الاسلام الذى موطنه الدنيا كلها وبين الكفر والانحراف عن صراط الله المستقيم ومن ثم فان ذلك يتطلب معرفة الحق ، والالتزام به والثبات عليه والدعوة اليه من خلال المنهج الايجابى لا المنهج السلبى (١٢٨ — ١٣٦) .

— ٢ —

أما الجوانب الأخرى التى تمثل عقبات قد تصادف الدعاة أو توضع فى طريقهم ، فان من ذلك ما يلى :

** عقبات يصنعها الأعداء صنعا ، ويصدرونها للعالم الاسلامى كى يشغل المسلمون بها أو يشغل بها الدعاة على وجه الخصوص ، من منطلق الدفاع عن الاسلام ، وهذه العقبات تتمثل فى قضايا عامة طرحت من قبل ، وفى أزمنة وأماكن أخرى ، ومع ذلك يريد الأعداء بعثها من جديد ، أو اعادتها جذعة كما يقال.

ويؤكد الكاتب أن المشكلة كل المشكلة ، تكمن الآن فى محاولة ارجاع المسلمين الى مواقع الفكر الدفاعى ، من قبل خصوم الاسلام مجتمعين ، على ما بينهم من تناقض،

أما السبب فى ذلك ، فهو احساسهم بأن الجسم الاسلامى قد بدأ يتحرك من جديد ، بعد السبات الطويل ، وأنه بدأ يخرج عن وصايتهم ، ويهدد مصالحهم .

ومن أمثلة القضايا التى يقذف بها العالم الاسلامى ليشغل بها عن صحوته ، قضية المرأة وحقوقها وعملها والطلاق وتعدد الزوجات وقضية اللغة الفصحى والعامية والحجاب والسفور ، هذا الى جانب ما يقذفه الاعداء من قضايا أخرى فى مجالات سياسية واقتصادية ، وعلى رأسها قضايا القومية وقضايا المال ، وما يترتب على ذلك من عصبيات ومذاهب ، وكل هذا من غير شك يؤثر على جهد الأمة وطاقاتها ، ويبعثر قواها فى أهداف جانبية .

ان مراكز صناعة الاهتمامات للعالم الاسلامى مستمرة فى عملها ، وان التحذير من الصورة الاسلامية والصحوة الاسلامية ، أصبح ظاهرة لافتة للنظر ، وذلك لاعادة المسلمين الى مواقع الفكر الدفاعى ، التى تقف عند هدف « درء المفاسد » دون أن تجمع اليه الهدف الآخر « جلب المصالح » لكى يحكموا الحلقة حول الاسلام ، ويمنعوه من الانطلاق .

وواضح أن دعاة الاسلام هم المستهدفون أولا بقضية اعادة طرح القضايا القديمة ، حتى يشغلوا بها من واقع غيرتهم الدينية ، وتتبدد جهودهم بالتالى قبل أن تقوم بواجب الابلاغ والانذار ونشر كلمة الاسلام ، وحتى لا تتابع بشائر الصحوة وترعاها لكى تصل الى درجة التيقظ الكامل (٦١ — ٦٨)

** ومن العقبات التى توضع أمام الدعاة محاولة التنفير من اللغة العربية ، والغض من شأنها ، واتهامها بالقصور فى التعبير ، وهذا أمر يجعل مهمة الداعية — وهو يقوم بعمله — شاقة عسيرة ، اذ أنه لن يستطيع من خلال تمسكه باللغة الفصحى أن يصل الى ما يريد من أقرب طريق ، مادام أولئك الذين يدعوهم ، بمعزل عنه لسانا وفكرا وثقافة .

وقبل هذا فان هؤلاء سوف ينعزلون تلقائيا عن مصادر اسلامهم ، ماداموا لا يملكون اللسان الصحيح الذى يصلهم بها ، ويعرفهم بما فيها.

ان الهجوم على العربية فى المجتمع العربى والاسلامى ، أمر استهدف به الدين فى الواقع ، وذلك حتى تضعف الصلة أو تزول بالقرآن الكريم وهنا يمكن ادراك حجم هذه العقبة التى يصادفها الدعاة ، أو يجدونها موضوعة بين أيديهم عن قصد وارادة ، من جانب أعداء الاسلام (١٠٦) .

* ومن هذه العقبات ما يحاول أن يبذره المتشككون ، من بذور التشكيك فى طريق الدعاة الى الله والى تطبيق شريعته .

فاذا كان من الأهداف الكبرى التى يسعى اليها الداعون ، أن يصلوا بدعوتهم ، الى مرحلة التطبيق العملى لشريعة الاسلام فى دنيا الناس وواقع حياتهم ، فان هذه الدعوة لم تخل من محاربة قامت على أساس التشكيك والتنفير ، مما مثل — ولا يزال —

عقبة تحتاج الى جهد حتى تزاح عن الطريق ، ويبقى خالصا لمنهج الله وصراطه المستقيم •

ويذكر المؤلف أنه من الطبيعي جدا أن تتزامن المطالبة بتطبيق شريعة الله في عالم المسلمين بكل جوانبها ، السياسية والاجتماعية والثقافية والقضائية والأخلاقية ، مع حركة المد الاسلامي بعد هذه السنوات الطويلة ، من التجارب المريرة والغربة الموحشة ، وبعد أن حكم على اسلامهم بعدم الصلاحية وطرح جانبا وأقصى عن مجالات الحياة •

ووقوفا عند هذه العقبة التي توضع أمام الداعين الى التطبيق ، يناقش المؤلف أولئك المتشككين والمتخوفين مبينا أن تطبيق الشريعة ، أو المطالبة بتطبيقها لا يعني أبدا اقامة الحدود فقط ، ذلك أن الحدود لم تشرع لاقامة المجتمع المسلم ، وأن الاقتصاد عليها لا يقيم المجتمع الاسلامي ، وانما شرعت لحماية المجتمع الاسلامي ووقايته •

فالمطالبة بتطبيق الشريعة تعني أول ما تعني : التربية الاسلامية للفرد ،والشورى في الحكم والطاعة في غير معصية ، والعدل والمساواة في القضاء وتحريم الربا والميسر والاحتكار ، وسريان روح الجهاد والاستشهاد ، والاعداد والاستعداد قدر الطاقة في الدفاع عن الأمة ، وحماية الفضيلة من الاعتداء عليها •

أما الفهم المبتور الذي يجعل صورة المجتمع الاسلامي مقصورة على ايقاع العقوبات ، ومن ثم لا يحكم الاسلام بعد ذلك أمور الحياة ولا ينظمها ، فهذه قضية على غاية من الخطورة والاساءة للاسلام نفسه ••

وهذا ما يجب أن يتنبه له الدعاة ، وينبهوا غيرهم اليه ، ليستقيم الفهم الراشد للاسلام ولرسالته •

** وبعد • فتلك أمثلة من جوانب القصور وجوانب العقبات ، وهي وغيرها الى جانب ما أشرنا اليه في المقال السابق ، تمثل رؤية المؤلف لما يدور في أفق العمل الاسلامي ، ولما يعكسه هذا الأفق من رؤى متعددة للعاملين في هذا الميدان ، الذي يشهد صحوة ملموسة في كل مكان في الأمة الاسلامية •

واذا كان لنا من تعقيب على تأملات المؤلف ، أو نظراته في مسيرة العمل الاسلامي ، فان ذلك يتمثل في تأكيد الدعوة الى أن يلتقي الداعون الى الله ، على كلمة سواء ، وأن يؤثروا أسلوب الحوار والمناصحة في قضايا الخلاف ، وأن ينبذوا أسلوب المخاصمة والمجادلة الخشنة الحادة ، ذلك لأنه ليس هناك من شيء يسعد أعداء الاسلام اليوم ، من أن يروا دعاة المسلمين وقد شغلوا بأنفسهم ، متنابذين متخاصمين ، مع ادعاء كل فريق العصمة لمنهجه والخطأ لمنهج آخر •

ثم يستمرون في اقتتالهم ، دون أن تمتد أبصارهم خارج جدران خصامهم ، لترى واقع المسلمين ، الذي يحتاج الى انقاذ سريع وعاجل ، من وهاد يوشك أن يتردى فيها ، دون أن يدرى عنها الدعاة المتخاصمون شيئا •• « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » آل عمران ١٠٣ •

أ•د طه مصطفى أبو كريشة

الفتاوى

« وصية الشيخ أحمد هل لها سند من الشرع ؟ »

س : من السيد / عبد الله محمد المنياوى — الرياض — السعودية .

ما حكم الشرع فى الوصية المنسوبة الى الشيخ أحمد .. والتى يدعى فيها أنه حامل مفاتيح حرم رسول الله وأنه قد رأى الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى المنام ... ويزعم فيها أن من قام بنشر هذه الوصية يحظى بشفاعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — يوم القيامة ، ويحل عليه الخير العميم وأن من لم ينشرها يحل عليه الشر الكثير من ضياع الأموال ، وهلاك الثمار وبوار التجارة .. الخ ما زعم .

ج : ما جاء فى هذه الوصية مما يدعيه الشيخ المذكور ليس له أساس من الشرع . ويجب على كل مسلم يقع فى يده هذه الوصية وما يشبهها أن يمزقها ولا يلتفت اليها ، لما فيها من الأكاذيب المنسوبة الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو منها براء ، كما أن ما يذكر فيها ليس له أصل من الدين .

وهذه الوصية قديمة وضعها جماعة من اليهود بقصد اضلال السذج والعوام من المسلمين وصرفهم عن دينهم بهذه الأكاذيب الموضوعة على ألسنتهم ونسبتها كذبا الى النبى صلى الله عليه وسلم .

هذا وقد ظهرت فى هذه الايام وصية أخرى مثلها ولكنها فى هذه المرة لم تنسب الى الشيخ أحمد المزعوم فليحذر المسلمون من هذه الوصايا ، والنافع والضار هو الله **« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا .... وعليكم بالكتاب والسنة فلن تضلوا ما تمسكتم بهما » ..**

« هل للأم الحاضنة الهجرة بمن تحضنهن ؟ » .

س : من السيد / محمد جلال الدين عبد الحميد .

طلقت زوجتى ولى منها ثلاث بنات قاصرات ، فهل لها أن تهاجر بهن الى بلد

إعداد الاستاذ
عبد الحميد السيد شاهين

غير اسلامى (أمريكا) ، بدون اذن منى ٠٠ وما الحكم ؟ ٠

ج : لا يجوز للأم الحاضنة أن تنتقل بمن تحضهن الى بلد غير البلد الذى يقيم به الأب بدون اذنه ، وليس لها أن تهاجر بهن الى بلد غير اسلامى ٠٠٠ ومن حق والد البنات أن يمنعها من أخذ البنات معها ٠٠٠

« فى الميراث »

س : من السيد / حسن على خضرى٠

توفيت امرأة عن : زوج ، بنت ، أم ، أب ـ علما بأن للزوجة المتوفاة مؤخر صداق ، ومنقولات ، ومصاغا ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟ ٠

ولمن تكون الحضانة والوصاية ؟٠

ج : على الزوج أن يدفع مؤخر صداق الزوجة ، ويضاف الى المنقولات والمصاغ ويعد تركة :

للزوج منها الربع فرضا ، وللبنت النصف فرضا لعدم وجود من يعصبها ، وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى للأب تعصيبا ٠

أما الحضانة فهى لأم الأم ، والوصاية للأب أى لزوج المتوفاة والد الفتاة ٠٠٠

س : من السيدة / سناء عبد المنعم الخولى ٠

توفى الوالد عن : زوجة ، أربع بنات ، اخوة أشقاء ، اخوة لأب ٠

وقد وهب فى حياته لابنته سناء : حجرة صالون ، وطقم صينى ، وطقم فضية وأشياء أخرى فرفضت الهبة ، فوهبها لابنته سهير ، كما وهب لابنته سناء عددا من شهادات الاستثمار قبل وفاته ٠٠ فما الحكم ؟ ٠

ج : هبة الوالد لابنته سهير ولابنته سناء صحيحة ، وتفيد ملكية كل منهما دون أن يكون للورثة حق فيما وهبه لابنتيه فى حياته ٠٠ ولا عبرة برجوعه فى هبة شهادات الاستثمار لابنته سناء ، لعدم صحة رجوع الوالد فيما وهبه لأولاده لحديث « الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه » ٠

أما ماعدا ذلك ما تركه المورث فهو تركة تقسم بينهم حسب الأنصبة الشرعية : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الأربع الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للاخوة الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف

الفتاوى

الأنثى ، ولا شيء للاخوة لأب لحجبهم بالأخوة الأشقاء •

س : من السيد / محمد نجيب روق •
أبو حماد • شرقية •

قلت لزوجتي ان قبلت من أهلك شيئا بمناسبة العيد ودخل هذا الشيء بيتي فأنت طالق ، بالثلاثة ، ولكن الزوجة أدخلت هذا الشيء بيتي • فما الحكم ؟ •

ج : هذا يمين معلق ، ان قصدت به الطلاق يقع به طلقة رجعية ، وان قصدت به التهديد والتخويف فلا يقع به طلاق •• وأنت أدرى بنيتك •• والله عليم بذات الصدور •

والله أعلم

س : من السيد / ابراهيم الدسوقي حسن دنيا من أسميت ــ قليوبية •

منذ خمسة عشر عاما أقمنا مسجدا وصلينا فيه الجمعة والجماعات ، منذ اقامته للآن الا أن المسجد يحيط به من الناحية الشرقية مقابر القرية ومن الناحية القبلية قبر أحد الأولياء ومن الناحية البحرية والغربية طريق عمومي ، وجاء أحد العلماء فأخبر بأن الصلاة في هذا المسجد لا تصح فما الحكم •

ج : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد •• فنفيد بأن الصلاة في هذا المسجد صحيحة شرعا مادامت المقابر بعيدة عنه وبينه وبينها جدار والله أعلم •

رئيس لجنة الفتوى
عبد الله المشد

أنباء وآراء

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عاطف زهران
عبد الفتاح السيد عبد السلام

ضياء الحق يهب حياته لتطبيق الشريعة الاسلامية :

أعلن الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق أنه سيضاعف من سياسته الرامية الى اضفاء الطابع الاسلامى على جميع نواحى الحياة فى باكستان بكل ما يملك من قوة وأكد أن جهوده فى المستقبل ستتركز على ادخال الانظمة الاقتصادية والسياسية الى بلاده .

وقال «اننى وهبت حياتى لمضاعفة الجهود لتطبيق الشريعة الاسلامية» .

تطبيق الشريعة الاسلامية

قرر مجلس الشعب تحديد أول مايو القادم لبدء مناقشة مشروعات تقنين الشريعة الاسلامية . وذلك فى ضوء الدراسات التى أعدتها اللجان المتخصصة التى شكلت لهذا الغرض منذ ثلاث سنوات .

أعلن الدكتور رفعت المحجوب رئيس المجلس أن هدفنا فى المرحلة القادمة تنقية القوانين الحالية مما يتعارض مع الشريعة الاسلامية .

وصرح الدكتور رفعت المحجوب رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب أن المجلس يقوم بمراجعة القوانين التى انتهى الأزهر من صياغتها بما يتفق مع القرآن والسنة وأودعها طرف المجلس .

كان الشيخ عطية صقر عضو مجلس الشعب وعضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر قد تقدم بطلب وقع عليه أربعة وستون عضوا من مختلف الأحزاب لمناقشة الموضوع .

ثلاثة مراكز اسلامية

انتهى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بسنغافورة من وضع خطة جديدة لبناء تسعة مساجد ، وثلاثة مراكز علمية بمختلف المناطق التى يسكنها مسلمو سنغافورة .

صرح بذلك الدكتور أحمد مطر وزير الشئون الاجتماعية فى سنغافورة .

قال : ان عدد المسلمين فى دولته يبلغ الآن

◄

أنباء وآراء

حوالى ثلاثمائة وستون ألفا من المسلمين ، يمثلون خمسة عشر بالمائة من اجمالى السكان .

وأضاف قائلا : ان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية برئاسة الحاج اسماعيل محمد قام أخيرا بانشاء هيئة للدعوة الاسلامية بين غير المسلمين . وذلك بالتعاون مع خمسة وعشرين هيئة اسلامية أخرى .

٣٢ ألف يعتنقون الاسلام

اعتنق سكان قرية هندية الاسلام بصورة جماعية ، وأعقب ذلك تحول مجموعة كبيرة من طائفة « الهاريجان » الهنود للاسلام . وقد تجاوز عدد المعتنقين الاسلام فى هذه القرية ٣٢ ألف هندى ، وذلك لما لمسوه فى الاسلام من العدل والمساواة والحرية بعكس ما كانوا يعانون من تفرقة وعنصرية . ويأتى ذلك ضمن بوادر الصحوة الاسلامية بالهند رغم كل ما يواجهه المسلمون هناك من ممارسات غير انسانية .

كلية للشريعة بأندونسيا

احتفل فى جاكرتا بوضع حجر الأساس لأول كلية للشريعة الاسلامية بأندونسيا . الكلية الجديدة تعمل على انشائها المملكة العربية السعودية وتشمل قاعات للدرس والندوات ومسجدا للصلاة . ومن المنتظر أن تفتح الكلية أبوابها للدراسة فى العام القادم . والكلية تعتبر جزءا من جامعة سلطان « اجونج » بمدينة (سيمارانج) بجاوة الوسطى .

مدينة اسلامية فى جورجيا

أعد محمد على كلاى مشروعا كبيرا لنشر الدعوة الاسلامية فى أنحاء الولايات المتحدة الامريكية . قرر طبع مليونى نسخة من كتاب عن تعاليم الاسلام وكيفية الصلاة .

قال محمد على : انه يجرى الآن الاعداد لاقامة مدينة اسلامية متكاملة فى ولاية « جورجيا » بأمريكا ، وأنه تم بالفعل شراء أرض مساحتها ستمائة هكتار لبناء المدينة الاسلامية .

٣ جنود سوفييت يعتنقون الاسلام

اعتنق ثلاثة جنود سوفييت من القوات السوفيتية التى تحتل افغانستان الاسلام وانضموا الى المجاهدين الافغان . وقد غير هؤلاء أسماءهم الروسية الى أسماء اسلامية . وطلب هؤلاء المسلمون الثلاثة التستر على أسمائهم حتى لا تتعرض اسرهم لبطش السلطات السوفيتية .

* احتجت تركيا بشدة على بلغاريا عقب اختفاء عدد من الاتراك المقيمين بها ، ومزاولة السلطات البلغارية القمع والارهاب مع الاتراك داخل أراضيها لتجبرهم على تغيير أسمائهم الاسلامية .

سبق أن قامت هذه السلطات بمنع مؤن

الأطفال المسلمين الرضع عن ذويهم للسبب نفسه •

جامعة أم درمان الاسلامية

تبدأ فى منتصف العام الحالى المرحلة الأولى من بناء جامعة أم درمان الاسلامية الجديدة بالسودان •

الجامعة الجديدة تقع جنوبى منطقة أم درمان وتغطى مساحة (٢٧) هكتارا ومن المقرر أن تستوعب الجامعة الجديدة ثلاثة عشر ألف طالب ، وستضم مجموعة من الكليات فى الجزء الداخلى المواجه للنيل الأبيض بالاضافة الى قاعات المحاضرات • أما الجزء الخلفى فيضم سكن الطلبة والطالبات وهيئة التدريس ومسجدا ومبنى الادارة •

الاسلام ثابت الجذور

نشرت صحيفة « لوموند ديبلوماتيك » الفرنسية ، دراسة واسعة النطاق حول الاسلام فى افريقيا السوداء •

قالت الدراسة : ان أوربا أساءت الظن بقوة الاسلام فى افريقيا حين تصورت أنه دين خارجى بالنسبة للأفارقة ، وأن الارساليات المسيحية نجحت فى خلق الطبقة الحاكمة فى دول افريقيا السوداء ولكن الحقيقة أن الاسلام أثبت أنه ثابت الجذور فى هذه الدول لأنه متآلف مع الثقافات الافريقية ، وأنه دين نشط له قوة دفع ذاتية تساعده على الانتشار •

وأوضحت الدراسة : أن الاسلام كان حاجزا ثقافيا منيعا أدى الى حماية الثقافات الافريقية من الذوبان فى الثقافات الاوربية الاستعمارية فى حين كانت المسيحية امتدادا لسيادة البيض •

وأضافت الدراسة : أن الاسلام لم يميز العرب الأفارقة عن الشعوب الافريقية السوداء ، بل احتفظ لهذه الشعوب بذاتيتها الخاصة دون أن ينقص ذلك من قيمتها الدينية شيئا •

حلول لمشكلة التنمية فى العالم الاسلامى

انتهى الدكتور عبد العزيز الخياط عميد كلية الشريعة بجامعة الأردن من وضع تقرير مفصل عن مشكلة التنمية فى الدول الاسلامية •

ذكر الدكتور الخياط فى تقريره أن العالم الاسلامى زاخر بالطاقات والثروات المتنوعة تبعا لاختلاف تضاريس ومناخات رقعته الشاسعة • فهو يحتوى على سبعين فى المائة من انتاج البترول وخمسة وثمانين فى المائة من انتاج القطن ، وستة وسبعين فى المائة من انتاج المطاط ، وخمسة وأربعين فى المائة من الفوسفات وخمسين فى المائة من ذهب العالم ، وسبعين فى المائة من زيت النخيل ، بالاضافة الى مادة « اليورانيوم » اللازمة لانتاج

أنباء وآراء

الاسلحة الذرية .

وطالب الدكتور الخياط : بعودة التضامن بين الدول الاسلامية .

وقال : ان المسلمين استطاعوا على امتداد ألف وثلاثمائة سنة أن يحافظوا على استقلالهم الاقتصادى .

وقال : ان مفهوم التنمية فى الاسلام لا يقتصر على الجوانب المادية البحتة كما يفهمها بعض الاقتصاديين الغربيين . وانما يتسع مفهومها فى الاسلام ليشمل الجوانب الاسلامية والروحية والأخلاقية ، ومن هنا فان المال وكل الأعمال الاقتصادية والمادية ينبغى أن تكون موجهة بأوامر الله ونواهيه وتعاليمه .

الجماعة الاسلامية بالهند

نظمت الجماعة الاسلامية الهندية بولاية « كيرالا » أسبوع توعية لمنع تداول الخمر والمسكرات ومنع انتشارها فى الولاية خاصة فى أوساط الشباب وطلبة الجامعات .

وقامت الجماعة بمظاهرات احتجاج ضد شرب الخمر فى سائر أنحاء الولاية وهم يحملون آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية . وقد ألقى عدد من الزعماء المسلمين فى الولاية محاضرات ركزوا فيها على الأضرار الناتجة عن شرب الخمر .

المطالبة بمنع الخمر فى الأردن

طالب الدكتور أحمد الكوفحى عضو البرلمان الأردنى الحكومة الاردنية بمنع اصدار تصاريح استيراد أو صناعة الخمور فى البلاد . كما طالب أيضا بحظر تقديمها فى الحفلات العامة . والغاء الرخص الممنوحة حاليا بتداول الخمر .

وقدم مذكرة فى هذا الشأن الى الأمانة العامة لمجلس الأمة الأردنى قال فيها : « ان تحريم الخمر أمر قطعى غير قابل للطعن أو الاستئناف كما أن التصريح بتداول الخمور فى البلاد يعد مخالفا للدستور الأردنى الذى ينص على أن دين الدولة هو الاسلام .

ألقى السيد / عبد الوهاب زبير الغمـاوى من جيجى نيجيريـا القصـيدة التالية فى حفل تخريج الدفعة الأولى من اعداد الدعـاة والأئمة من السودان ونيجيريا وسيراليون فى الدورة التى أقامتها مشيخة الازهـر بمدينـة البعوث الاسلامية .

ياقبلـة العلم يا أزهـر الحكمـا تحيى لنـا المجـد والآثار والنظمـا
بدعـوة القـوم تبقى منبرا أبـدا لنفـع أبنـاء هـذا الدين جد كرما
تدريبنـا دورة حقـا يعلمنـا ـ نهج الرسـول ونور الهدى والحكما
لأنت قدوتنـا لا نبتغـى بـدلا فى الأمـر والنهى كنت اللوح والقلما
أين السـبيل الى الخيرات دونك بل اليـك يأوى الورى مغـزى علا قمما
شـيخ الشيوخ أجاد الحق نجل على امامنـا جـاد حق الله والعظمـا
تبـدى السلوك من الوجدان دافعه عنـاية الله فى قلب صـفا سـلما
شـيوخنا انـكم أزهـار عالمنـا كواكب الأرض بالأنوار وا شيمـا
مصر العزيزة أرض طـاب صـانعها فطابت الأرض لا وبـلا ولا ديمـا
رئيسـها بطـل حسـنى مباركها دامت لدولتـه مصر نمـا وسـما
البيض والسـود عند الله واحدة لكن تميـزهم تقـوى لمـن فهمـا
لسـاننا آيـة ألواننـا عبـر فلن نـرى فيهمـا خلفـا أيا علمـا
هـذى لدورتنـا الأولى قصيدة من يرجـو النجـاة من الأهوال والقيما
الحمـد للـه بدءا ثم خـاتمة سبحان ربى لا نحصى لـه النعمـا

عبد الوهاب زبير الغماوى
مركز التعليم العربى الاسلامى
جيجى / نيجيريا

من خير ما كتب

شيخ الأزهر فى حديث صحفى :

*** تطبيق الشريعة هو الحل الوحيد لوقف ظاهرة خطف الفتيات .**

*** على مجلس الشعب الاسراع فى مناقشة قوانين الشريعة الاسلامية .**

أكد فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على أن تطبيق الشريعة الاسلامية هو الطريق الوحيد لردع الذين جاهروا بمحاربة الله .. ومحاربة اخوانهم واخواتهم ، أولئك الذين جرأوا على أن يغتصبوا الفتيات والنساء .

وطالب فضيلته بأن يسارع مجلس الشعب بمناقشة مشروعات قوانين الشريعة الاسلامية : وقال ان مصر مهيأة اليوم لتقبل تطبيق الشريعة الاسلامية أكثر من أى وقت مضى .

جاء هذا خلال تصريحات صحفية أدلى بها فضيلته ..

وردا على سؤال حول سبب موجة الارهاب والخطف والاغتصاب واستشراء المفاسد اللا أخلاقية قال فضيلة الامام الأكبر :

ان السبب هو غياب الخوف والايمان بحقوق الله وأوامره من قلوبنا .. كما أن الفراغ الدينى ترك آثاره بين الشباب الذى لم ينشأ على منهج الاسلام وانما تربى فى ظل الثقافات الوافدة من الشرق والغرب .

وأوضح فضيلته : أن علاج هذه الظواهر يكمن فى العودة الى شريعة الله فهى السبيل الوحيد لردع الذين حاربوا الله والمسلمين فجرأوا على أن يغتصبوا الفتيات والنساء .. ولو أننا عملنا بأحكام الله لحمينا بلادنا وحفظنا أعراضنا من هؤلاء الخارجين على منهج الله ..

وأجاب فضيلته عن سؤال حول تأخر مناقشة قوانين الشريعة الاسلامية فى مجلس الشعب بقوله :

لا ينبغى أن تحجب قوانين الشريعة الاسلامية بحجة أنها لم تقدم للمجلس بالطريقة المنصوص عليها فى الدستور .. فان هذا الطريق يملكه المجلس .. واذا كان المجلس يفسح جلساته لمناقشة القوانين العادية فمن باب أولى عليه أن يسارع بمناقشة قوانين الشريعة الاسلامية .

ونفى فضيلة الامام الأكبر أن تكون القلاقل التى تحدث فى السودان نتيجة تطبيق الشريعة الاسلامية هناك .. وعلل ذلك بوجود تيارات خارجية تستهدف اعاقة مسيرة الاسلام فى السودان .

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود

محنة اللغة العربية وأسبابها

ليست اللغة مجموعة من الرموز مسطحة بغير أعماق بحيث نستطيع العبث بها كيف شئنا ثم تظل حياتنا مع

ذلك صحيحة معافاة ، بل لغة الانسان هى نفسها عقله وشعوره وقد انتقل من الداخل وخفائه الى الخارج وعلانيته نطقا أو كتابة •

فاذا رأيت لغة قوية أو لغة ضعيفة بأى معنى فهمنا القوة هنا والضعف هناك كانت القوة أو الضعف انما تصف فى حقيقة الأمر انسانا ، أو أمة بأسرها ، من ناحية ما أصاب كيانها الداخلى ذاته • وليس بيننا من يساوره شك فى أن اللغة العربية قد بلغت خلال هذه الحقبة الزمنية التى نحياها درجة من الضعف تستوقف النظر وتستدعى السؤال عن علة ذلك الضعف ما هى ؟

وأنه لأيسر اليسر أن يجىء الجواب مسرعا بأن العلة كائنة فى مدرس اللغة العربية أساسا لكى أرى أن هذه الاجابة المبتسرة السريعة لا تكفى ؟ لأن مدرس اللغة العربية هو واحد من مجتمع ضعفت فيه اللغة الصحيحة فلجأ الى لغته الدارجة أو العامية بديلا ، وتعليلنا لهذا الضعف يجب أن يشمل مدرس اللغة وغيره ممن يستخدمون اللغة كلاما وكتابة وقد نسمع من يعلل ذلك بقوله :

ان الأكفاء من المدرسين قد هاجروا الى اجزاء أخرى من الوطن العربى ولو كان ذلك تعليلا صحيحا لوجدنا قوة اللغة قد انتقلت معهم الى هناك ، والواقع هو ان ضعف اللغة شامل للوطن العربى كله ولابد من بحث عن تعليل شامل للظاهرة الشاملة •

ان الحكم على لغة القوم قوة أو ضعفا ابان فترة بعينها ، يبنى عادة لا على كلام عامة الناس فى شئون حياتهم اليومية بل يبنى على ما يقوله أو يكتبه الشاعر والأديب والناشر ورجل العلوم ولست أظن أن فينا من يخالف الحكم على هؤلاء بصفة عامة اليوم ، بضعف الأداة اللغوية عندهم كل فى ميدانه ضعفا قد يبلغ حد العجز أحيانا ، فشعر الشاعر (فى حالات كثيرة) ملىء بالخطأ وبركاكة التركيب وكذلك قل فى الناتج الأدبى على اطلاقه وخذ رواية أو مقالة ، كما اتفق لك ، وانظر كم فيها مما يجاوز حدود اللغة الصحيحة من حيث المفردات أو تركيبها على السواء •

ورجل العلوم حين تكون عبارته العلمية مما لا يعتمد على رموز العلم يغلب أن تجىء فى غير الدقة اللغوية التى تتلاءم مع التفكير العلمى •

والسؤال الكبير هو :

لماذا حدث هذا كله فى هذه المرحلة من حياتنا على وجه الخصوص ؟

ورأيى هو أن الظاهرة اللغوية انما هى جزء لا يتجزأ من الحياة كلها فى سائر أجزائها• وهذه الحياة فى مجموعها قد سرى فيها شىء من اليأس بحق أو بغير حق — مما أدى الى نوع غريب من الاستهتار بكل ما يربط الفرد الواحد بسواه سواء أكان ذلك السوى من المعاصرين أم من الأسلاف السابقين ؟

واللغة انما تقع فى قلب العلاقات الرابطة بين الأفراد ؟ قاستها نوابها ، وحطوا من شأنها ، وأنزلوها عن عرشها • وأوشك المستهين باللغة فى صحتها وجمالها أن يسخر ممن يعنى بهذه الصحة والمجال لأن الغناية

◄

بهما مضيعة للوقت ، وانى اذ أقول ذلك فانما أردد ما قرأته ذات يوم لرجل كان قد ارتفع به منصبه فى دنيا الثقافة دون أن يكون له من اللغة العربية الا ضعفها فأراد الدفاع عن نفسه وجاء ذلك الدفاع هجوما على اللغة ذاتها .

انى أقولها عن ايمان أن عودة الاهتمام باللغة لا تتحقق الا بعودة الاهتمام بحياتنا ذاتها لا من حيث هى طعام وشراب ومنصب ومال بل من حيث هى عزة قومية أولا وقبل كل شىء آخر ؟

فاذا نحن آمنا ايمانا صادقا بأنفسنا وبتاريخنا فى مجده وبمستقبلنا فى أملنا بازدهاره،أحببنا اللغة فيما أحببناه من جوانب حياتنا وتذوقناها وحرصنا عليها حرمنا على عقولنا وقلوبنا اذ لغتنا هى تلك العقول وهذه القلوب وقد عبرت عن نفسها كلاما وكتابة.

روح الانتماء هى الاساس الأول الذى من شأنه أن يدفع العربى الى قراء العربية فى نماذجها المثلى قراءة المتذوق وقراءة من يريد لها الثراء والغنى ، فاذا شاعت هذه الروح فى مدرس اللغة العربية شاعت من بعدهم فى تلاميذهم وطلابهم .

فلنتناول اللغة من ناحية انتمائنا اليها وحبنا لها فى ذاتها وفى كونها رمزا لعزة نفوسنا وعندئذ تتغير النظرة اليها ، ويزداد الاقبال على قراءتها فى نماذج ٤ب دقتها وحلاوة جرسها وبذلك تكون قد وضعنا أقدامنا على الطريق السليم .

الأستاذ / عبد اللطيف فايد

طلاب الشهرة بالهجوم على الدين

لا يليق أبدا بطلاب الشهرة أن يجعلوا دين الله مطية الى ما يطلبون فذلك بالرغم من أنه ضلال عن الطريق الصحيح الى الشهرة هو فى حد ذاته اقحام على الدين بما يجب على كل انسان ذى دين أن يتجنبه ويعزف عنه .

أقول ذلك بمناسبة ما نشر أخيرا عن اعجاز فى القرآن الكريم بالرقم (١٩) وادخال كلمة (الكمبيوتر) بما لها من سحر على الناس فى القضية ، وتحديد زمن قيام بواسطته اعتمادا على مقولات هذا الرقم ودلالاته التى أخذ صاحبها بجمعها من السور والآيات ..

صاحب البحث يعرضه فى مصر بعد أن رفضه مؤتمر العلماء المسلمين فى الجزائر ، ويطلب الرأى فيه ، ويفسر فى داخله آيات من القرآن على هواه ، مع أن مفسرى القرآن فى القديم والحديث لم يطرأ على بالهم شىء اسمه (الكمبيوتر) فقد صنعت عقولهم أشياء يحتاج احصاؤها الى آلة حاسبة هى الأخرى مصنوعة بعقل انسان .. يذكرنى هذا البحث ببحث آخر ظهر منذ عدة أعوام اسمه (الاعجاز العددى) فى القرآن الكريم ، وقد بهر هذا البحث أصحاب الثقافة الدنيا من الناس اما من عندهم ثقافة متوسطة والراسخون فى العلم فقد نظروا اليه نظرة واقعية وناقشه بعضهم وأظهر زيف ما يقول لأن اعجاز القرآن ليس مسألة حسابية .

ولأن هذا اجتراء على الدين بما ليس منه

يجعلنى أنظر بكثير من الريبة الى ما يقال من كشف علمى توصل اليه أستاذ بالجامعة لشفاء مرض (الروماتويد) لأن هذا الأستاذ نفسه نشر بحثا منذ سنوات عن أسرار الصيام فى رمضان جرد فيه الشهر الكريم من كل عظيم فيه ، ونفى عن الصيام سائر الفضائل وقصره على تجنب بعض العادات السيئة مثل التدخين لأن اضراره على الجسم وبخاصة الجهازان الهضمى والدورى أخطر من أن يتحملهما انسان يريد العمل والانتاج .

والذكريات تتداعى عن طبيب آخر ظهر منذ أكثر من ربع قرن ادعى أنه توصل الى دواء يحيل الشعر الأبيض الى شعر أسود دون صبغة سائلة أو متماسكة القوام مثل المراهم، واتضح أن اختراعه هذا ليس الا مجرد توهمه أو ادعاه ، وقال عنه علماء الطب وقتها أن بحثه يتسم بالسذاجة وعدم الموضوعية .

والذين يتخذون الدين وسيلة الى الشهرة هجوما عليه أو غيره يذكرنى أيضا بآخرين اتخذوا مثل هذه الوسيلة فى الهجوم على كبار المسلمين فى التاريخ أو انكار الشعر الجاهلى وصولا الى انكار اعجاز القرآن أو القول بدعوى القصص الفنى فى القرآن الكريم أو أن الشخصيات القديمة فى القرآن هى رموز فقط للخير والشر .. هؤلاء متحرفون بالدين ومتطرفون فيه ينبغى الحذر منهم .

وعقد جلسات علمية معهم تذاع على الناس بكل أجهزة الاعلام ليعرف الناس الحقائق عنهم كاملة بعيدا عن الاغراءات الكاذبة للأفكار المريضة .

الأستاذ /ثروت أباظة

القانون للكافة

أعظم ما يميز القانون أنه يطبق على الجميع بغير استثناء . ويوم يتقاص القانون عن نفر من الناس ويطبق على آخرين يسقط جلاله وتمتهن هيبته ويحقر الناس شأنه .

والقانون يستمد عظمته من احترام الناس له ويوم يشعرون انه يطبق من فوره على بعض الناس ويتلكأ فى ميوعة عند تطبيقه على آخرين يصبح القانون بل تصبح كل القوانين عند الناس هزءا وسخرية وأضحوكة . والقوانين لها عدة أشكال وشتى متجهات ومختلف مناح . فيها ما يطبقه الفرد وفيها ما تطبقه جماعة على شكل لجنة أو مجلس وفيها ما يطبقه القاضى .

والقوانين التى يطبقها القاضى لا تستطيع أن تتميع ولا تجرؤ أن تواجه قوما وتتخلف عن آخرين . ولهذا فهى دائما موضع احترام ولها فى نفوس الناس مكانها ووقارها. والذى يخرقها يعلم تمام العلم أن أمره اذا انكشف فانها محيطة به منفذة عليه لا ينقذه منها منصب أو جاه أو قربى من صاحب سلطان .

ولكن القوانين الأخرى التى يمسك بزمامها الأفراد واللجان والمجالس تستطيع فى كثير من الأحيان أن تصبح حبرا على ورق وتستطيع أن تدعى العمى أو تفتعل الصمم .

أنباء وآراء

ولا تدرى أن الجمهور صاحب بصر حديد وأذن تسمع خطو النمل • وأن هذا الجمهور له حكمه وحكم الجمهور قاطع ويزداد ضراوة اذا وجد القانون يتعامى أو يتصامم عند صاحب منصب أو عند صديق لسلطان •

فاذا لم يطبق الذين يملكون تطبيق القانون مواده التى هم عليها أمناء فعليهم اذن أن يتحملوا حكم الشعب عليهم •

والرجل العام اذا لم يرع الله كان حكم الشعب عليه وبيلا قاسيا لا قبل له به ؟ •

الأستاذ / صلاح منتصر

مجرد رأى

من البيت للشارع

لا يمنعنا استنزال اللعنات على الشباب السافل مغتصب الأعراض والشرف ، وخاطف الفتيات فى الشوارع من الاعتراف بمسئولية الأطراف الأخرى التى قصرت فى أداء دورها فى التربية • واذا كان مكان أكبر وأصغر شجرة يبدأ من الأرض ، فان البيت هو الأرض الأولى التى يتم فيها غرس كل بذور المستقبل من شباب وفتيات •

والسؤال : هل تقوم بيوتنا بدورها فى التربية ؟ •

ان البيت ليس مجرد فندق أو ملجأ للأكل والشرب والنوم والمطالعة •• وانما البيت الحقيقى هو التوجيه والتقويم والتهذيب فى أحضان دافئة من المشاعر والعواطف •

وأكبر أخطاء البيت المصرى انشغال أصحابه بمسئوليات الحياة المادية ومعاناتها وخلع أيديهم من مسئوليه التربية اعتمادا على المدرسة • وهذه الأخيرة طفحت بالأعداد المتزايدة التى لم يعد فى قدرة المدرس التعرف عليها •• ومع زيادة الأعداد فى المدارس قلت مساحات التربية الجمالية والحسية •• فلا وردة ولا حديقة ولا مكتبة ولا ملعب ولا متنفس يأخذ الأولاد فيه شهيقهم وزفيرهم رغم قسوة السباق الدراسى الذى يدخلون فيه من أجل المجموع ومكاتب التنسيق من الابتدائى الى الجامعة ••

وبين البيت والمدرسة تحول الشارع المصرى الى ملهاة كبيرة أصبح معظم من فيه يقول يارب نفسى •

وبعد أن كان المواطن يعتبر نفسه شرطيا يحرس القانون والفضيلة انقرضت الشهامة من سوق المعاملة المصرية وأصبحت فى ندرة المليم •

وبينما كانت احدى صفات الشارع المصرى قديما أن تنشق الأرض فى لحظة قيام أية خناقة عن ألف شخص يتدخلون لأنقاذ المتشاجرين وفض خناقتهم ، أصبح من النادر أن تستوقف خناقة أحد المارة أو تجذب شهامته •

وبسبب هذا البرود فى البيت وفى المدرسة وفى الشارع وجدت الأخطاء الأبواب واسعة ومفتوحة أمامها بدون أى تأشيرة دخول •

فهرس العدد

the Hereafter. One has to break through inspite of the thorns interspersed. A happy beautiful end had been prepared for those who struggle for it. They are the helders of the keys to Paradise. By their good deeds and good intentions they have been shown its course. We can have the pleasure to be in their company if we are true to ourselves. They are the shining stars we are to observe, their principles and teachings they are those we are to follow, respect and defend unhesitantly.

mental needs?. Of course not, man is not bound to his spiritual world, in spite of his working hard for it. Man is ordered to satisfy his physical, as well as intellectual needs. Wealth owned by a righteous man is but a means to an end, it is considered a gift from Allah, and man is advised to spend it generously to the poor and miserable preferrably in secret, also in the cause of dignifying Allah's principles. Within the cont of this definition of wealth, everything into man's possession is apt for spending; God-given gifts, such as hearing, sight and mind, occupy an entire priority. A righteous man has to direct and teach his companions, provide help to the disabled. This conception of possession provides a humanitarian as well as an economic meaning . Islam lays emphasis on such characters because giving is undoubtedly a positive action far from being negative, neutral or negligent. He ranks with the higher class of humanity because he is completely conscious of great responsibilities authorized to him as a true subject of Allah.

A final extremely important fact is that muslims, in addition to believing in what had been revealed in the holy Qur'an; are also asked to believe in what had been revealed to other prophets before Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) for guidance and salvation of mankind. This crucial prerequisite puts both Christians and Jews face to face with their open denial of the Holy Quran, and superimposes Islam. It is necessary for everyone to conduct the way of righteousness, it is the only drawn line to success both in the worldly life and in

saved from being a prey to their own greed. They are warned of being selfish or egocentric. They are encouraged to be helpful characters. Man's life on Earth, in this world is bounded;its seconds and minutes, days and nights, months and years are accurately counted. struggle for a better life in the hereafter becomes great concern for these who understand and achieve logic.

It is obvious that righteous people are after high goals. They have been inspired to make use of their lives in acquiring an infinite correct tranquil life. They are not extremists, they are balanced, neither very sorrowful for what they have lost, nor very joyful for what they have gained. But how can an integral character like this live amid this intricate material world? How are good qualities within him promoted? This is done by following Allah's do's and avoiding His donots. It is necessary to be committed to your rituals, the most important of which is to perform and keep on performing prayers, an exquisite opportunity to be in the presence of Allah five time a day. Through ablution, he restores his pure, sincere, faithful character to attend in the presence of Allah. In His sublime presence, generosity, grace benevolence, and mercy are certainly attainable. Therefore,it is vital to keep performing these five prayers in their fixed times. By doing so, our souls become provided with the divine energy all along its long but exciting journey through the life.In this way a muslim is shielded against evils; he is made ready to accept, satisfactorily, what has been predestined for him. Here,a serious problem emerges: In his spiritual relation to his Creator, is man detached from aspiring his secular,

ingless argument, self arrogance, and stagnant diversity.

Each substance, element or morsel of the expansive universe around us loudly proclaim greatness, highness, majesty and sovereignty of Allah. All world of animals, birds, plants and insects, even the inanimate world declare the omniscience of Allah. Deliberate denial of this immortal fact is not in keeping with proper function of mind and brain. Satan runs through our bodies just as blood does through veins and arteries. We should faithfully try to block the way in the face of that vicious cursed enemy. This is easy to do, by advocating what is right and virtue, and by adherent obedience to the words of Allah. The belief in the hereafter comes next. The day of judgement, reward or punishment. It is an immaterial world about which none is allowed to talk except Allah. Yet, man has to subject in absolute belief.

It is inevitable to answer a question put forward by both pagants and non-believers: Is it useful to believe in the invisible realm of Allah? In other words, what dimensions will this kind of an unknown world add to the world we are living in now? Believing in the other world does not restrict our expectations into a limited, narrow, mortal world. On the other hand, it helps your hopes remain shining. For the poor, this world is an essence, because he is promised that his portion is many times doubled on the Day of Judgement, if he patiently leads a righteous life. The rich, too, are not left to satisfy their own ambitions; they are

THE WAY OF THE RIGHTEOUS PEOPLE

By: Magdy Abdel Hamid Basheer

Everybody, on reciting verses of the Holy Qur'an is taken by the wonderful ethical life style involved in the words of Allah. This is felt when one reads through the intimate memorable words revealed to the Prophet (Allah's prayers and peace be upon him) in the exposition of righteousness, its meaning and significance, its aspects and fruitful results.

It is clear to every muslim that righteousness is the road that leads its supporters to the Promised Paradise. It may appear difficult for many people to plant such a great tree when its good soil is thought to be out of hand. Contrary to that false imagination, it should be known that this good soil is within your reach. It is nearest and dearest to you. It is your heart when attached to Allah. Through His directive guidance care and patronage, seeds of righteousness can be planted chershed and sustained. Therefore, it is important to know the way to Allah as indicated in the sacred revelations; and still more important to put these instructions into practice. Without application we are plunged into mean-

this is the end of a stage, that eternity starts. In no way does this imply that man's phase of life on earth has no aim beyond delaying his other life in the Garden. Or, the creation, for the service of man, of all that is in the universe would be empty of significance. In fact life has an aim.

It is the belief in Allah that ennobles man's life and endows him with its highest impulses and purest aspirations. Almost on a par with it, is the idea of Resurrection, because it introduces a seriousness into man's life which cannot be otherwise attained. It is to fulfil a higher object and live a higher life that man is put to test and then shifted through death to the Hereafter.

Both good and evil must have their deserved reward. Hence the belief in Resurrection does not serve for a theoretical dogma or a quintessence of hope to idle away one's life in expectation of it. On the contrary, it is a wonderful principle which guides the workings of man's mind and conscience.

The idea of a life after death may seem strange to some minds, even among scientists. No wonder, then, that the Qur'an and the Sunna very often revert to it in terms of confirmation, promise and warning. One and universal is the idea that runs through all the Verses and Traditions bearing on that future life, i.e. the whole universe is bound to give place to an entirely different and superior order. This is quite consistent with man's scientific knowledge of the universe, which turns around evolution, order and sublimation.

mity, "Yaum-ul-Taghabun", i.e. the Day of Mutual Accusation, "Al-Qari'a", i.e. the Striking Calamity, "Al-Ghashia", i.e. the overwhelming disaster, "A-s- Saakhah", i.e. the Deafening Catastrophe, "A-t-Tammah", i.e. the Predominating Cataclysm, "Al-Haqqah", i.e. the Truth Establishing Affliction, and "Al-Waqi'ah", i.e. the Great Event.

Man's stay, and most probably the wearing away of his body, in the grave, is termed the "Barzakh" stage, that is the period that intervenes between death and the Great Doomsday.

Still, Resurrection is applied to several meanings. There are at least three types of resurrection: the great which is the rising up of all people for reckoning; the medium, which stamps out a whole generation or even a whole nation; and the minor in which each individual meets his end on earth. For the Prophet (be upon him peace from Allah) is reported to have said, "Men are comatose; and it is with death that they awake".
As for the Great Resurrection, it is preceded by Israphil's blowing the Trumpet, which is, in its turn, followed by everybody in the Heavens and on Earth being thunderstruck and stunned, except for those whom Allah exempts.

In addition, the word is often used metaphorically in the Holy Qur'an, as when man is guided from unbelief to the blessedness of Islam, and when land, bare of vegetation, is stirred by rain to produce different kinds of plant.

Resurrection involves the entire destruction of the world and its laws, natural and man made like. However,

was created from earth. Man starts as a drop of sperm safely enshrouded and firmly secured in his mother's womb, where silently and unseen he matures his fetal stage. Last he is born to live the term and test appointed for him. Similarly, his spiritual life has three stages. First, his experience is very limited on earth, so that most people are unbelievers. Then death comes to him, and back to earth he goes, where he practices a sort of existence medium between this life and the Hereafter. An unprecedented consciousness causes the righteous to be happy and the unbelievers, and the evildoers to lament over the duties they neglected towards Allah. Last, men are raised on the Doomsday to enjoy or suffer the interminable fulfilment of their deserved reward.

It is noteworthy that the Qur'an, and the Sunna, give several names to Resurrection, and speak of two paradises and two hells. As for the names of Resurrection, these are the following. "Yaumul-Qiyamah", i.e., the day of the great rising, "A-s-sa'ah", i.e. the hour, "Al-Yaum-ul-Akher", i.e. the last day, "Al-Akherah",i.e. the future and last life, "Yaum-ud-Din", i.e. the day of Judgement, "Yaum-ul-Fasl", i.e. the Day of Decision, "Yaum-ul-Hisab", i.e. the Day of Reckoning, "Yaum-ul - Fath", i.e. the Day of Fate, "Yaum-ul-Talaqi", i.e. the Day of Meeting, "Yaum-ul-Jam", i.e. the Day of Gathering, "Yaum-ul-Khulud", i.e. the Day of Everlasting Abode, "Yaum-ul-Khuruj", i.e. the Day of Coming forth from Graves, "Yaum-ul-Baith", i.e. the Day of Being Raised to life, "Yaum-ul-Hasrah", i.e. the Day of Lamentation, or Woe, "Yaum-ul-Tanadi",i.e. the Day of Calling forth, "Yaum-ul-Azifah", i.e. the Day of the Near Drawing Cala-

LIFE AFTER DEATH

By: Soliman Barakat

Belief in Resurrection is a basic principle of Islam. According both to the Holy Qur'an and to the Traditions of the Prophet (be upon him peace from Allah) death does not bring an end to life. On the other hand, it is the door to advancement in an everlasting abode. Rather, it is a transition period between this life and Resurrection. There is no point, however, in putting in a remark that countless generations of various creatures will inevitably differ in the duration of their stay in the realm of death. Indeed, man's consciousness of time after death is very different, so that the unbelievers will swear to have been tarrying for a mere hour or even less.

Immeasurable as is the difference between this life and the Hereafter, it is in the former that the seeds of the latter are sown. Connection is not at all missing between the two lives; spiritual realities are in fact hidden from human eyes by reason of material limitations, so only a few people find the ecstasy of its uplift.

A figurative parallelism can be drawn between man's existence on the earth and his life after death. Adam

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo.

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

We regret the errors appearing in the previous volume.

Both articles are republished in the correct arrangement

they gain; and enough is God for
the believers in their fight. And Allah
is full of strength, Able to enforce His Will"

(Surat Al-Ahzab, XXXIII,23-25)

In spite of the mighty preparations and the massive forces that gathered from Koraysh and the Central Arab Bedouin tribes, the discontented jews and the treacherous Hypocrites that gathered to the seige of Al-Madinah; all their plans were frustrated, and all their forces were shattered. Their fury and hatred availed them nothing. They departed in fear and haste. That was their last dying effort. The initiative thereafter lay with the promoting progressive growing forces of Islam.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980

Al-Yaman to discover what was taking place in the camp of the confedérates. When Huzaifa returned, he informed that the confederates were departing.

The seige of the confederates in the battle of "Al-Ahzab" was in Shawal of the fifth year of Hijrah, and ended in Zulquida. It lasted for two weeks, and some accounts report twenty-seven days. It caused much suffuring, hunger, cold nights, unceasing showers of arrows and various surpise assaults. It ended very unexpectedly by the collapse of Bani Quraiza allaince to the forces of Al-Ahzab, and the complete disorganisation of Al-Ahzab and their discomfiture by the hurricane. Islam emerged from this ordeal truimphant and certainly more firmly established than ever before. The events of the confederate alliance with the Jews, and the great siege of Al-Madinah, is documented in the holy Quran in surat Al-Ahzab. In the struggle for truth, many sacrifice their lives, all their resources, knowledge, everything, and never waver.

"Among the believers are men who have been
true to their covenant with Allah.
Of them, some have completed their vow,
And some still wait: But they have never
changed their determination in the least.
That Allah may reward the men of truth
for their truth, and punish the hypoerites,
If that be His will or turn to them in Mercy.
For Allah is oft-forgiving, most merciful.

And God turned back the unbelievers
for (all) their fury: no advantage did

Quraiza to start battle on the following day. Bani Quraiza answered that they will not fight except when the confederates send seventy of their nobles as hostages to ensure that the confederates will not turn away and leave them face the Muslims alone. This ascertained the words of Naim Ibn Massoud to Koraysh. At this stage of events, there was no true alliance between the confederate forces and Bani Quraiza, and both parties doubted the intentions of each other. The brilliant ingenuity and talented skill of Naim Ibn Massoud in his diplomatic strategy created doubt and inconfidance between the confederates and Bani Quraiza, and this resulted is total collapse of Koraysh Jewish relationship.

Amidst all these very critical events, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslims with him were firm patient and steadfast, humbly and deeply praying for relief from this dire distress. The Divine Powers interfered to answer their prayers. A Violent hurricane started which caused severe confusion disorder and disorganisation among the ranks of the confederate forces. The psychological impact of this was intense fear and doubt that Muslims would carry a surpise attack amidst this chao , possibly sided by the jews of Bani Quraiza. Orders were given by 'Abu Sufyan that every man must make sure of the next man to him, and beware of the enemy to infilterate. The command was to depart and return, everybody moved, the men from Koraysh, Ghatafan and the other confederate tribes. Khalid Ibn Al-Walid remained behind to cover the retreating forces. This was the end of the consortium of famous Arab tribes that intended to annihilate the Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent Huzaifa Ibn

At this depressing situation, a man from Ghatafan called Naim Ibn Massoud Al-Ashgaii well known friend to Koraysh, and the jews of Bani Quraiza, came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Naim confessed his islam which he had kept as secret, and asked how he can offer help. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "you are but one man, what can you do. However, do alleviate our distress if you can, for war is cunning maneuver and shrewd skillful strategy". With these words in his ears, Naim went straight to Bani Quraiza, who were generous to him and wellcomed his presence. With the confidence of a friend, he explained with skilled diplomacy that their alliance with the confederates must be safeguarded and guaranteed; and that Bani Quraiza should ask the confederates for seventy of their nobles as hostages, to ensure that the confederates will not under any circumstances turn away from their confrontation with Muslims and leave Bani Quraiza alone. This opinion was received with great appreciation by Bani Quraiza, and accepted it as a very sincere wise advice. Naim Ibn Massoud then went to the leaders of Koraysh, where as a friend he was met with respect. Again with mental agility and skilled scheming, Naim informed Koraysh that Bani Quraiza deeply regretted their betrayal act with the Muslims, and planned to ask for hostages from the confederates to ensure their alliance; and give up these hostages to the Muslims in return of allowing Bani Qainuqaa and Bani Al-Nadhir to re-inhabit Al-Madinah. The clans of Ghatafan and Koraysh were highly grateful and acknowledged the useful information given to them by Naim Ibn Massoud. Consequent upon this, Abu Sufyan Ibn Harb leader of the confederate forces sent envoys to Bani

THE CONFEDERATES AND BANI QURAIZA

By. Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, P.hD.

In the Name Of Allah Most Gracious Most Merciful.

The confederate forces of Koraysh, Ghatafan, Huzail and others arrayed in flagrant ostentation opposite the inferior numbers of the humble patiently praying Muslims who were trenched in defence of Al-Madinah. This blatant disposition of the confederates became highly manifested when Huaii Ibn Akhtab from Bani Al-Nadhir influenced Kaab Ibn Assad the head of Bani Quraiza to renounce the neutrality of Bani Quraiza and declare their full alliance with the confederates. Such action on the part of Bani Quraiza was very resentful and acrimonious to the Muslims; and placed Bani Quraiza in a position of frank insolent defiant betrayal, and open enmity to the Muslims. The status quo was certainly against the Muslims, with Bani Quraiza and the hypocrites inside Al-Madinah awaiting the time to attack; and the confederates very eager to establish an occupation of Al-Madinah and a final victory over the Muslims. However, the aftermath was still in the realm of the unknown, and the heavenly powers were still to interfere.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير

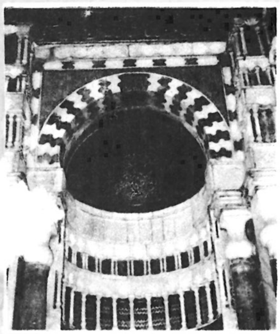
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٢٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

لله وللرسول

ولأئمة المسلمين وعامتهم

أقول ان « الدعوة الاسلامية » لا يمكن أن تنفصل عن حاجة المسلمين · ويندر ، ان لم يكن مستحيلا ، أن يقف داعية بين الناس ، ولا يشرئب اليه السامعون راجين أن يجدوا لديه حلا لمشكلاتهم الخاصة :

هذا يسأله فى « يمين » صدر منه لايدرى أمره فيه ·

وهذا يسأله عن « تصرف » أتاه تحت ظرف من الظروف ، لايدرى : حلال هو أو حرام ·

الجزء الثامن
السنة السابعة والخمسون

شعبان ١٤٠٥ هـ   ابريل ، مايو ١٩٨٥

وثالث يحدثه عن أمر « طلاق » أو مضايقة جار ... الخ وهذا أمر معروف مكرور لا نستطيع انكاره ، كذلك لا نستطيع الفض منه .

ولابد للداعية أن يسد حاجة الجمهور ، ولن يستطيع سدادها دون ان يكون « فقيها » .

ان الفقه ألزم للدعوة من « العظة الأساسية » التى يعدها الداعية ، ولا يمكن — بحال — أن نعتبر الداعية « **قصصيا » يكتب لقرائه منفصلا عنهم فى داره أو حيث يكتب دون شأن له بالجمهور**

داعية الذى يفقد « الفقه » يفقد استجابة الجمهور القلبيه التى ينبغى ان لانماء الترابط الروحى المثمر فى هذا الميدان .

وليس يمكن لداعية أن يؤدى واجبه كاملا دون « فقه » ، والا فماذا يفعل اذا استفتى ، وهو لا يعلم ...... انه بين أمرين :

أن يجيب بقوله : لا أعلم ، فيعود سائله آسفا صفر اليدين أو يفتى — بغير — تكون طامة .

ون — من ضرورة التخصص — أن تدرس الدعوة منفصلة عن الفقه ، كما تدرس « قواعد الكلام » منفصلا بعضها عن بعض ويدرس الاقتصاد » بابا بابا وفصلا فصلا .

ولكنا أمام الجمهور لا نجد الدعوة منفصلة عن « الفقه » . وفى التخاطب أو الكتابة لا نستخدم « النحو » بابا بابا ، ولا فصلا فصلا . كذلك لا يمارس الاقتصادى شئون الصفقات بفصل من كتاب .

ثم .

ألسنا قد خسرنا الكثير عندما طرق الميدان داعية خلوا من الفقه ، فشجع ذلك أن ينضم الى ميدان الدعوة كل من قرأ وكتب ورغب أن يكون « داعية » فآل الأمر الى اضطراب فى شأن الدعوة حتى تقاذفها اليمين واليسار ، ومن ليس من هؤلاء ولا هؤلاء .

ان الاسلام قد تميز من بين الأديان بذخيرته الفقهية ، ثم باحساس كل مسلم أن لكل مشكلة فى حياته حلها من هذا الفقه وتلك حقيقة بدهية . ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد .

د/علی أحمد الخطيب

في شئون الساعة

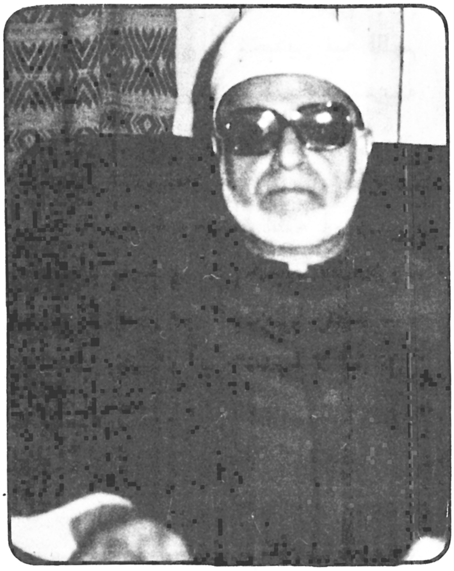
حديث لفضيلة الإمام الأكبر :
الشيخ جاد الحق على جاد الحق

إعداد : سناء السعيد

*** فى بداية الحديث قلت لفضيلة الامام الأكبر عام آخر يمر على الدعوة الى تحرير القدس .. ومع الوقت تضيع الهوية العربية مع تآكل حقوق العرب فى القدس التى تعمل اسرائيل على تهويدها . فما هى رؤيتكم خاصة أن المحادثات السياسية قد تجمدت بالنسبة للقدس حتى أصبحت أشبه ما تكون بالقضية المعلقة ؟**

**** الشيخ جاد الحق : للقدس فى الاسلام شأن كبير ، وكانت وجهة الرسول فى اسرائه ومعراجه .. قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا » .**

فالقدس عزيزة على المسلمين — فهى محط أبصارهم الآن واليها تتجه الأمة الاسلامية



جمعاء .. وما يجرى فى القدس من اعتداءات على المسجد الأقصى وعلى العرب هناك أمر لا تقره أية شريعة ولا أية مواثيق أو قوانين

◄

في شئون الساعة

دولية ، فهو مخالف لقواعد وحقوق الانسان التى يتشدق بها بنو الانسان الآن ، والتى تتحدث عنها الدول الكبرى حين يحلو لها أن تتحدث .. انى لأتساءل أين هى الدول الكبرى من هؤلاء الذين حاولوا هدم المسجد الأقصى؟ أين هى الدول الكبرى — التى تتشدق بالحرية — حين تغمض اعينها عن هذه الجرائم التى تقع على المسجد الأقصى وعلى من يتصدون لحمايته من القائمين على أمره ؟.. أى قانون يسمح بهذه الحوادث التى نسمع عنها من القاء المتفجرات على المسجد والهجوم عليه ، ومطاردة المصلين والمتعبدين فيه اللهم الا أن يكون قانون الفوضى والهمجية وشريعة الغاب .

والغريب أن تتشدق اسرائيل — الآن — بأنها واحة الحرية والديمقراطية فى الشرق بينما أناسها لا يعرفون للحرية طعما .. فهؤلاء لا يعرفون الا هذه الجرائم التى ترتكب ضد العرب فى كل مجال ان مرتكبيها لا يعرفون أى حق لله أو للناس .

لاتتركوا الأرض

*** ما يجرى اليوم فى الارض المحتلة يجسد ما تضمره اسرائيل للمنطقة .. ويؤكد هذا ما أعلنه المسئولون الاسرائيليون مؤخرا من أن اجراءات اكثر تشددا ستتخذ ضد عرب الارض المحتلة ترقى الى الاعتقال الادارى والترحيل من المنطقة بأسرها .. بل ان أبعاد الفلسطينيين يتخذ كأداة لترضية المستوطنين اليهود ؟**

— فضيلة الامام الأكبر : لا شك أن هذا الذى يعلنه مسئولو اسرائيل عن اعتزامهم طرد العرب من بيوتهم وأراضيهم لهو أمر خطير ينبغى أن يواجهه العرب انفسهم .. ينبغى أن يقاتل أهل هذه الارض من يجابهونهم دفاعا عن مقدراتهم — وألا يخرجوا أو يتزحزحوا من أرضهم حتى وان اقتضى الأمر أن يدفنوا فيها .

* ولكن اسرائيل تعرض حياة المواطن العربى الى أخطار يومية وتنازع السكان الاصليين أرضهم وتتعدى القانون وتهدم جدار الثقة وتمارس طرد العرب بالجملة ؟ !

** على فلسطينى الأرض المحتلة أن يعلنوا للانسانية فى هذا العصر الحقيقة القائلة بأن هناك شراذم من الناس وفدوا الى بلادهم واحتلوها قسرا وأنهم يطردون أهل البلاد الاصليين من ديارهم وأوطانهم .

ان الامم المتحدة التى قامت لرعاية السلام وتثبيت أركانه والدفاع عن المظلوم أهدرت حقوق عرب فلسطين وأضاعتهم وعليه فهى مطالبة اليوم بالتصدى لحمايتهم ، ولو اقتضى الأمر تدخلها عسكريا مادام العرب قد عجزوا عن هذه الحماية .

ولا يمكن أن نلوم الفلسطينيين لأنهم عزل من السلاح. فبماذا يقاومون — أيقاومون بأجسادهم ؟

على الامم المتحدة التى تنادى كل يوم بحمايتها للانسانية أن تتصدى لاسرائيل التى

تمارس طرد الفلسطينيين من ديارهم وأوطانهم .

لا تكفى تقارير الادانة

*** الامم المتحدة أصدرت العديد من التقارير التى تحمل ادانة صارخة لما تقوم به اسرائيل فى الارض المحتلة وانتهاكاتها المستمرة لحقوق الانسان ؟**

** لا تكفى تقارير الادانة .. وأتساءل أين مجلس الامن الذى بيده القوة الرادعة.. مادام تدخل مجلس الامن فى أماكن أخرى فلم أهمل هذه القضية ؟

ان على مجلس الامن والامم المتحدة بذل الجهد ولو بالقوة لوقف المذابح والمهازل التى تصعدها اسرائيل يوميا على أرض فلسطين مخالفة بذلك ميثاق جنيف حول حقوق العرب.

أن اسرائيل تقوم بعملية اسنفزاز يومى لعرب الارض المحتلة ، يشهد على ذلك الزيادة المضطردة فى عدد المستوطنين الاسرائيليين فى الارض التى تم احتلالها سنة ١٩٦٧ .. فكفى ما كان من قتل وتشريد وتخريب للفلسطينيين وابعادهم عن بلادهم .

*** رغم أن اسرائيل اكتسبت فوائد جمة يتصدرها تمتعها بحدود هادئة مع مصر ، الا انها لم تسدد حتى الآن ما فى ذمتها من تنازلات للفلسطينيين .. ألا يحمل هذا دلالة أكيدة على أن حلم اسرائيل ليس السلام وانما اسرائيل الكبرى .. ومن ثم فهى تحول الوضع الى أقصى فائدة لها ؟**

** لا شك أن اسرائيل انما تهتم بمكاسبها فقط دون أن تحاول ايفاء بعض ما تعهدت به للفلسطينيين .. ولا غرو فان هذا أمر يدل على سوء النية وخبث الطوية .. ان ما نشر وما قيل عن الوطن الذى يدعونه لانفسهم هو أمر واقع فى أذهان الاسرائيليين فقط ، ومع ذلك يصرون عليه ويعملون له — كما يعملون على تهويد هذه المنطقة .

وعلى العرب أن يفيقوا ويتحدوا لمجابهة هذا الخطر وهو مخطط اسرائيل التوسعى .

فاسرائيل تستولى على الارض قطعة قطعة وتتمكن من أهل البلاد ، ولا أدل على ذلك من تصريحات مسئوليها حول الطرد الادارى للفلسطينيين وابعادهم عن ديارهم وهدم بيوتهم على رؤوسهم لمجرد أنهم يدافعون عن أنفسهم . وهذا ما يجب أن يلتفت اليه العالم بصفة عامة ويلتفت اليه العرب ومعهم المسلمون بصفة خاصة . فالعالم الاسلامى مطالب بأن يحمى العرب فى فلسطين ويدافع عنهم ويثير قضاياهم فى كل مكان حتى يرتدع هؤلاء الذين يمضون فى القتل والتخريب والتشريد ان الحقوق الانسانية تقتضى من هذه الدولة التى وفدت الى المنطقة لتتمركز وتستقر ان تراعى على الاقل حسن الجوار الذى تتحدث عنه الدول والمواثيق والذى هو حق قانونى ومشروع لكل بنى الانسان .

تحذير

*** هناك من يعرب عن التشاؤم ازاء**

◄

في شئون الساعة

احراز سلام شامل وعادل ودائم فى المنطقة رغم التحركات العربية الراهنة هل ترضون عن وقائع الحادث اليوم فى العالم العربى ؟ وهل يمكن أن تهيىء هذه الوقائع ارضية تفاؤل ؟

** هناك قول قديم قاله العرب ما حك جِلْدَكَ مِثْلُ ظفرك فتول أنت جميع أمورك .. فاذا لم تجتمع كلمة العرب ويرتفعوا فوق الخلافات والنزعات الشخصية واذا لم يقدموا ويحزموا أمرهم على أن يكونوا يدا واحدة وشعبا واحداً وأمة واحدة بغض النظر عن الحدود السياسية القائمة فلن ينالوا حقوقهم.

ان الحقوق انما تؤخذ بقوة صاحب الحق ودأبه على الوصول اليها .. أما أن ينام عنها فسيظل من اغتصب يغتصب حتى لا يترك حقا لصاحبه .

على الولايات المتحدة أن تراعى حقوق الصداقة مع العرب

** **وماذا عن دور الولايات المتحدة فى المنطقة ودعمها لاسرائيل فى كل ما تنتهجه من سياسات ؟ .**

** ظاهر للعيان أن اسرائيل انما تستند فى كل تصرفاتها وعربدتها فى المنطقة على الولايات المتحدة الامريكية .. فكما قيل على لسان الزعماء العرب ان الولايات المتحدة تمد اسرائيل بالغذاء والمدفع وكل شىء دون حساب فالخزانة الامريكية مفتوحة بالكامل لاسرائيل وطلباتها .. والغريب بعد هذا ألا تحاول الولايات المتحدة ــ وهى تجسد هذا الكم الهائل من المعونة والظهر القوى لاسرائيل ــ الى الآن أن تقنع أو تفحم أو ترغم اسرائيل على ان تقف وتلتزم داخل حدودها . بل انها على النقيض من هذا أعزتها بغزو لبنان .. وأعزتها بأن تجاوز حدودها لتحتله وتثير بين أبنائه وطوائفه هذه النزاعات والحروب المدمرة التى لم تنته بعد .. ثم اعزتها بأن تمضى فى محاولة طرد عرب فلسطين من ديارهم وأعزتها وأمدتها بالمال الوفير لتقيم المستوطنات وتكثفها فى الارض المحتلة .. وأمدتها بالمال وساندتها فى نقل اليهود الاثيوبيين .. هذا كله دليل ينطق بمظاهرة الولايات المتحدة لاسرائيل فى عدوانها . ولم تقتصر الولايات المتحدة على التأييد والدعم فحسب . بل هى الدافعة والمتحملة لأعباء كل ما تقدم عليه اسرائيل فى المنطقة .

ومن المستغرب أن تنحو الولايات المتحدة هذا المنحى والعرب أصدقاؤها ومصالحها لديهم . ولهذا حرى بها ان ترعى حقوق الصداقة والمصالح وعلى الاقل تعامل العرب على قدم المساواة لاسرائيل .

لا هؤلاء ولا هؤلاء

* **ايديولوجية الاسلام المناهضة للشيوعية هل يمكن ان تشكل حجر الزاوية فى التعويل على الولايات المتحدة لحل مشاكل المنطقة المتفاقمة والوقوف ضد التغلغل الشيوعى ؟**

** أولى بالمسلمين ألا يكونوا مع الشيوعيين ولا مع الرأسماليين .. ان دينهم الاسلام وهو ليس مذهبا اقتصاديا أو اجتماعيا .. وانما هو دين من عند الله .. ان الدين عند الله الاسلام له مصادره وأسسه .

فلا ينبغى أن ينحاز المسلمون الى الشيوعيه ضد الرأسمالية أو الى الرأسمالية ضد الشيوعية ، وانما عليهم أن يكونوا .. على ما دعاهم اليه الاسلام – أمة وسطا فى نطاق القرآن والسنة .

فلا ينبغى أن ينحازوا الى أى من المذاهب المعاصرة لينصروا هذا على ذاك .. وانما يجب أن تكون لهم شخصيتهم وقدرهم ليكونوا فى مركزهم كأمة اسلامية لها مقوماتها وشخصيتها .

*** معنى هذا أنكم تنبذون التوجه والتحالف مع أى من الاتحاد السوفييتى أو الولايات المتحدة الأمريكية ؟**

** التوجه نحو اى من العملاقين دعوة الى الاستقطاب الذى أثبت فشلا ذريعا وولد عواقب وخيمة نحن فى غنى عنها .

لقد جربت المنطقة الانحياز الى الاتحاد السوفيتى مرة والى غيرها مرات .. ووجدت أن سياسة الاستقطاب قد أضرت بحاضرها ومستقبها .. فنحن اذا نظرنا الى الوراء وجدنا سنين جدباء قد مرت بنا أيام أن كنا ننتمى الى تلك الدولة أو هذه .. وعلينا اذن أن نأخذ أمورنا وزمامنا بأيدينا وألا ننحاز الى هذا أو ذاك .

القضية تميعت

*** ما السبيل الى تطويق الصراعات فى المنطقة خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وتذويب الفجوات بين الدول العربية وتحجيم تدخل القوى العظمى لاحراز قدر من الاستقرار .. هل يمكن لنا أن نستعين بالاسلام كحركة سياسية تعين على هذا الاستقرار ؟**

** أصحاب القضية إذا اختلفوا ضاعت قضينهم وذهبت هيبتهم .

ان القضية الفلسطينية تميعت على الصعيد العالمى لاختلاف الفلسطينيين أنفسهم ..

وتبع هذا الانقسام العرب لمناصرة هذا الفريق على ذاك وهو ما أساء الى القضية الفلسطينية كأساس ومحور لمشكلة الشرق الاوسط . ومن هنا فان على الفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم ويجتمعوا على كلمة سواء حتى يستطيعوا حماية البقية الباقية من أرضهم وأهلهم ..فاذا توحدت كلمتهم ستحل العقدة الموجودة من حولهم ، ومن ثم لن تكون هناك انقسامات .

لأن العرب انقسموا بسببهم .. إنهم إذا اتحدوا زالت كل العقد والخلافات بين الأمة العربية وبالتالى بين الأمة الاسلامية التى تتبع الجسد العربى فاذا صلح كانت الامة الاسلامية قوية ورشيدة وعلى كلمة واحدة .

*** الى أى حد أنتم على استعداد**

في شئون الساعة

للقيام بدور الجسر الدبلوماسي كوسيط بين العراق وايران لانهاء حربهما ؟

** الحرب طالت واستطالت •• وأمرها لا شك مؤسف للغاية •• ولو أن هذه الجيوش والاموال قد وجهت لاستعادة فلسطين لأعادتها •• لو أن ما ينفق في هذه الحروب التي تقع في الشرق العربي الاسلامي وهذا النزاع والخلاف في الغرب الاسلامي وجه ورصد لحماية فلسطين واستعادتها كلها والدفاع عن لبنان وازالة الخلاف بين طوائفه لكان الأمر غير ما هو عليه الآن •

لقد وجه الازهر النصح كثيرا للمتحاربين • وطالبهم بالقاء السلاح والجلوس حول مائدة الصلح وبينهم حكماء من أمتهم لكنهم لم يستجيبوا •

ولكن اليوم ومن هذا المنبر أقول ان الأزهر على استعداد أن يكون حكما بين العراق وايران اذا ما تهيأت الظروف للصلح •• واني لأرجو أن يستمع الطرفان الى نداءات الاسلام التي وجهت اليهم من كافة أنحاء العالم الاسلامي •

عليهم أن يضعوا سلاحهم ويحفظوا دماءهم وأموالهم ومقدراتهم ويجلسوا الى الصلح فان الصلح خير كما قال القرآن •

وماذا عن الحرب غير المعلنة بين بعض دول عربية ممن تنحاز الى ايران في حربها ضد العراق — وهي دول لها قضايا مشتركة مع الثورة الاسلامية الخومينية في ايران ؟

** الحرب غير المعلنة بين بعض المسلمين أمر واقع وحادث •• وهو أمر مؤسف بالفعل فالاسلام يعني السلام والصفاء •• بل ان الاسلام سمى المؤمنين أخوة في قوله تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » •

وهذه الاخوة ينبغي أن ترتفع دائما فوق كل الاختلافات وكل العصبيات الاقليمية أو العرقية •• فهذه الحروب غير المعلنة بين بعض دول المنطقة هي التي تضعف كيان الأمة وهي التي تفسد الصلة بين شعوبها •• ان الخلافات يجب أن تصفى وتزول عملا بما أوصانا به الله سبحانه من وجوب اصلاح ذات البين ورأب الصدع فيما اذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين فالسعي أساسا من قبلنا ينبغي أن يكون للصلح بين الطائفتين يجب أن تظل الدعوة دائما الى الصلح قائمة •• كما يجب أن تظل المواجهة بالأخطاء اذا كانت هناك أخطاء — قائمة بين المسلمين لأن الاخوة تقتضي أن يسود الصفاء والنقاء •

أما أن نعمق النزاع أو نصدر الفتن الى أنحاء العالم العربي والاسلامي فهذا ما لا يجوز •• وعليه فان هذه الفئات التي تحترف تصدير الفتن فيما بين الشعوب العربية والاسلامية انما تتخلى عنه صفة الاخوة الاسلامية التي حث الاسلام وحض عليها •

** وما السبيل أمام أمتنا الاسلامية كي نصل الى بر الأمان — خاصة ان**

الاختلافات فى السياسات بين دول المنطقة لا تعود الى اختلافات عقائدية بل الى اختلافات الاشخاص الذين يلعبون أدوارا محورية فى مصائر الدول؟

* الوسيلة فى تقديرى أن يرتفع الزعماء والحكام فى المنطقة فوق أشخاصهم وخلافاتهم ، وأن يجتمعوا على كلمة سواء ليبحثوا أسباب هذه الخلافات ليتجاوزوها عاملين على تجميع رأى أمتهم دون أن يترك أحد منهم مكانه وسط شعبه أو مكانته لديهم .

* والوسيلة لوحدة الامة من وجهة نظرى تتركز فى أن يكون الحكام والزعماء فى مرتبة الجيران الصالحين المتعاونين وهو ما أرجوه أن يعم قريبا ، بحيث يسعى كل جار الى مصلحة جاره وحمايته عند الاغاثة .. واذا حدث هذا فعندئذ لن نحتاج الى نظام الحكم الواحد ولا إلى اعادة نظام الخلافة الاسلامية .

طرد الجسم الغريب

* **اذا أريد لنا كأمة اسلامية أداء دور معقول فينبغى اعادة توضيح بعض النقاط ضمن الايديولوجية المستوردة لا سيما وأن تبنى الانماط السياسية الخارجية بصورة كلية قد أثبت فشله الذريع ما هى رؤيتكم .**

* المشاهد أن لكل بيئة نظامها . وعليه فان ادخال أى عرف أو نظام استيرادا من بيئة أخرى يكون فى أغلب الامور غير ناجح .. وبالنسبة للأمة الاسلامية أقول ان للاسلام طبعه وطبيعته .. ولقد عاش المسلمون فى ظل الاسلام أكثر من أربعة عشر قرنا صارت لهم خلالها أعراف وعادات . وبالتالى لا ينبغى أن ينزعوا منها ويوضعوا فى اطار آخر لا يتفق مع دينهم ولا مع ما تعودوه واعتادوا عليه فى نطاق هذا الدين .. فالاسلام دين يجمع بين العقيدة والشريعة وليس نظاما كما أنه ليس مذهبا اخترعه انسان أو مجموعة من البشر — وانما هو دين أوحى به الله سبحانه وتعالى .

دين بأصوله له قواعده الأساسية فى الحكم . دين يغطى كل المجالات من اقتصاد وكل ما يمس أمور الانسان فى هذه الحياة — نظمها القرآن كما نظمتها السنة — .

ولهذا فان ادخال أية عادات أو عناصر غريبة على هذا الدين انما يطردها الجسد الاسلامى شأن أى غريب يدخل جسد الانسان فانه يبادر بطرده .

الأخذ بالشريعة الاسلامية يقطع الطريق على المتطرفين وأدعياء الدين

* **سؤال : بعد مرور ست سنوات على ثورة الخومينى التى تعد من أهم الظواهر التى هزت العالم نتوقف برهة لتأصيل هذه الثورة ونتساءل عن أسباب شعور بعض العناصر الشابة بالرضى عن التجربة الايرانية — هل هى خيبة الامل حيال فشل حكومات عربية وعجزها عن**

في شئون الساعة

حل القضية الفلسطينية حتى الآن ؟

** فضيلة الامام الأكبر : قد يكون هذا وارادا — لقد استبشر الكثيرون في العالم الاسلامي بالثورة الايرانية عندما قامت — وظنوا أنها ستكون نموذجا صالحا للحكم الاسلامي .

ولكن ما لبثت أن تحولت الى هذه الحرب مع العراق التي لم تبق ولم تذر . أهلكت الأموال والأنفس وخربت البلاد في ايران والعراق — وما لبثت الثورة الايرانية — كما يقال — أن اتخذت صفة الاستبداد سواء في نظام الحكم أو في تصدير الثورة الى كثير من أنحاء العالم الاسلامي — بل انها امتدت الى الأقليات الاسلامية في المهجر أيضا . وانطلقت بدعوة غير رشيدة فيما بين المسلمين في كافة أنحاء البلاد عندما دعت الى التبعية فقط الى ايران — وهذه ليست مهمة الدعوة الاسلامية التي تتركز أساسا في تجميع كلمة المسلمين واصلاح حالهم ونظامهم سواء النظام الاقتصادي أو الاجتماعي وذلك بالعودة الى مصادر الاسلام الصحيحة .

*** سؤال : ولكن اذا كانت ثورة الخوميني نموذجا للشيعة فانه من العسير أن تقدم نموذجا لأهل السنة الذين يشكلون نحو ثمانين في المائة من المسلمين ؟**

** لا شك في أن هذا القول صحيح لأن للنظام الشيعي طريقته في الحكم التي تختلف كثيرا عن نظام أهل السنة وطريقتهم — فما يجري وما وقع في ايران على وجه التحديد لا يعتبر نموذجا للحكم الاسلامي . كما أنه لا يجري في نطاق ما يقضي به الاسلام من العدل والشورى واقامة حكم عادل بين الناس .

*** سؤال :اذا كانت الحركة الاسلامية قد أعطت الناس بديلا أفضل للحياة — هل يمكن القول بأن ايران أعطت المثل على امكانية هذا البديل خاصة وأن الثورة في ايران كانت ارتدادا عن المسلك الأوروبي — فهي رد فعل لفشل حكومات مدنية ؟**

* ان الذي يسير على الاسلام ونظامه في الحكم لا ينبغي أن يلتفت الى أية أنظمة أخرى لأن في الاسلام كل الغنى عن استيراد أي نظام آخر .

نزوات طارئة

*** سؤال : هناك من يذهب الى أن نشأة الحركة الاسلامية المتشددة حاليا جاءت رد فعل لفشل الأيديولوجيات المستوردة فالفوارق بين الغرب والنظم التقليدية تجعل من المحتم أن يتجه الناس الى القديم بحثا عن الخلاص ؟ .**

** أنا أقول دائما ان أمتنا الاسلامية أمة متدينة — فاذا خرجت بعض الشيء عن دينها عادت ثانية حين تتذكر أو تذكره وحين ننصح بالعودة الى الاسلام فما يظهر على السطح من خروج أو انفلات من أواصر الدين أو خروج بعض المسلمين على أحكام دينهم فانما هي نزوات طارئة — ولابد أن يعودوا مسلمين

مؤمنين فى نطاق القرآن والسنة ـ فهم فقط فى حاجة الى التبصير بأحكام دينهم .

ان الفراغ الدينى الذى يوجد الآن ولا ننكره بين الأجيال الجديدة للمسلمين هو الذى يجب أن يملأ ـ يجب أن يكون الدين فى كل شىء . واجب وسائل الاعلام قيادة هذه الأمة لتكون اسلامية بمعناها الصحيح لا أن تستورد لها ما يفتنها عن دينها ويحرضها على الخروج على قيمها وخلقها الذى توارثته عبر أربعة عشر قرناً .

نصيحة للمسلمين

*** سؤال : ما مدى صحة ما يقال بأن الصراع بين الاسلام والعصرية فى التفكير السياسى هو الذى أدى الى حالة عدم الاستقرار فى المنطقة ؟**

** اذا فهمنا العصرية على أنها غزو لبلادنا فهذا صحيح وهذا ما أعتقده فانى أرى أن غيرنا يغزوننا الآن بايفاد عناصر تفرق جمعنا وتشتت أفكارنا وتشككنا فيما ورثنا من دين رشيد له أسسه وقواعده حتى يسهل عليهم القضاء على صفوفنا وتملك كل قدراتنا وهذا وأعوذ بالله أن يتم ـ ما يبدو أنهم يصرون عليه وقادرون على تنفيذه بدليل هذه الفرقة فى كل مكان فالنصيحة للمسلمين أن يحذروا هذه الفرقة وهذا الشتات وأن يرتفعوا فوق الخلاف وأن يكونوا كما سماهم الاسلام وسمى بلادهم جميعا دار الاسلام فبلاد المسلمين كلها دار واحدة ولكل مسلم بيت فيها .

*** سؤال : موجة الارهاب والخطف والاغتصاب واستشراء المفاسد الأخلاقية والتى ربما تكون أثرا من تيارات وافدة غريبة على مجتمعنا ـ تلح علينا اليوم فى العود الى الجزاءات الرادعة فى الشريعة الاسلامية على أساس أن هذه تردنا الى الفطرة الأساسية حيث الشريعة الاسلامية الغراء لا الى القانون الوضعى الذى لا يتمشى ومجتمعنا ؟**

** لا شك أن الاسلام نظام متكامل يحكم الحياة كلها ـ انه اذا ذهب المريض الى طبيب فانما ينتصح برأيه.ويحافظ على توجيهاته وتوصياته فى الدواء لينال الشفاء . فما بالنا اذا كان طبيبنا هو الله سبحانه ـ هو الذى وضع لنا نظام العلاج لأدوائنا الاجتماعية عن السرقة والاغتصاب وكل الموبقات التى هى أمراض اجتماعية لها علاج . فاذا كان الله هو الذى وضع هذا العلاج وهو خالقنا ويعلم ما تكن نفوسنا ـ فلابد أن ننصاع الى هذه الأوامر وأن ننفذها اننا فى أمس الحاجة الى هذا الدواء الآن لا سيما وأن الصحافة اليومية تطالعنا الآن بجرائم كانت غريبة عن هذا المجتمع بعيدة عنه . فماذا حدث ؟ لقد غاب الخوف والايمان بحقوق الله سبحانه وأوامره من قلوبنا ـ لأن الفراغ الدينى قد ترك آثاره بين شبابنا وهذه الأجيال الجديدة التى لم تتربى فى نطاق الاسلام وانما تربت على ما استوردناه من ثقافات أخرى أضرت بنا فى بيوتنا ومجتمعنا .

العلاج بشريعة الله

*** سؤال : ما العلاج اذن ؟**

** التشريع دائما علاج ـ فعلينا أن نعود

في شئون الساعة

الى شريعة الله التى أنزلها لتحكم الناس وأن نقيم شرع الله فيما بيننا ليرتدع هؤلاء الذين جاهروا بمحاربة الله ومحاربة اخوتهم وأخواتهم وهؤلاء الذين جرأوا على أن يغتصبوا الفتيات والنساء وغاب عنهم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ـ وأنه سبحانه لا يرضى أن تنتهك حرماته ـ فهو سبحانه قد كشف سترهم فانكشفوا وكان العقاب لهم بالمرصاد • ولو أننا عملنا بأحكام الله وسيرناها قانونا باجراءاتنا التشريعية والدستورية كما نقول لحمينا بلادنا وحمينا أعراضنا وردعنا المخالفين بما يستحقون من عقاب •

*** سؤال : كنتم من بين من شاركوا فى اعداد مشروع تقنين الشريعة الاسلامية الذى لم تبدأه من فراغ وانما كان امتدادا لما قام به مجمع البحوث الاسلامية منذ سنة ١٩٦٥ • والتساؤل علام التأخير حتى اليوم فى الأخذ بالقانون لا سيما وأن هذا لا يمكن أن يكون عائدا الى الصياغة النهائية وحدها ـ فمن الذى يسأل عن التطبيق ؟**

هل هناك معوقون ممن يملكون ولا ينفذون أم ماذا ؟

* فى ظل مجلس الشعب قامت لجان لاستكمال تقنين أحكام الشريعة الاسلامية التى كانت قد بدأها الأزهر ـ كما بدأت أيضا فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى لجنة تجلية مبادىء الشريعة الإسلامية بحيث أن لجان مجلس الشعب اتخذت أعمال مجمع البحوث الاسلامية والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية أساسا لعملها • وظلت نحو خمس سنوات تعمل فى جميع الفروع القانونية لتقدم تشريعا اسلاميا مأخوذا من فقه المذاهب الاسلامية ميسرة أحكامه للجميع مع ملاحظة ظروف العصر وتغيراته • وانتهت هذه اللجان من اعداد هذه المشروعات وقدمتها لمجلس الشعب •

الدستور والشريعة

*** سؤال : يقال ان المشروعات حجبت لأسباب ارتآها المجلس ؟**

* * لا ينبغى أن تحجب هذه المشروعات بوصف أنها لم تقدم للمجلس بالطريق المنصوص عليه فى الدستور فان هذا الطريق يملكه كل أعضاء مجلس الشعب ، واذا كنا نتقدم بمشروعات القوانين العادية وبتعديلاتها وشرع فى انفاذها وتقريرها من يوم صدورها • فمن باب أولى أن نسارع وأن يتقدم نوابنا أو بعضهم باسمه بهذه المشروعات لتأخذ الصفة الدستورية وان كان الدستور لا يقف أمام الشريعة • ان مجلس الشعب وكيل عن الشعب وانه اذا لم يأخذ نفسه باصدار هذه القوانين بحيث لا يقتصر على مجرد المناقشة فى شأنها ـ فانه يكون قد خالف موكله وهو الشعب • ولا أقول قد خانه فانى أنزه مجلس الشعب عن أن يخون شعبه انها أمانة « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » •

*** سؤال : التردد واللعثمة والتذبذب**

حيال العمل بتقنين الشريعة الاسلامية يعنى ضمناً امكانية ان تتغير الأحكام بتغير العرف والبيئة بغض النظر عما تقتضيه الشريعة وتستوجبه او بالأخرى يعنى امكانية الأخذ بقاعدة المصالح المرسلة ؟

** ان مصادر الأحكام الشرعية المتفق عليها هى القرآن والسنة والاجماع والقياس وهناك مصادر أخرى مختلف عليها بين الفقهاء منها المصلحة المرسلة ومنها العرف وكل هذا أخذ فى الاعتبار أثناء اعداد ما أصر على أنها مشروعات للقوانين مستقاة من الشريعة الاسلامية فليس هناك خلاف اطلاقا لأن العمل جرى ومنذ قديم بين المسلمين باعتبار المصالح فى التشريع وباعتبار العرف الذى يدور فى نطاق أحكام الشرع لا العرف المستورد من بيئة اخرى • فالعرف هنا هو الذى أشار اليه أحد فقهائنا بقوله : أن العرف فى الشرع له اعتبار وعليه الحكم قد يدار • فعلينا اذن الا نبالى بما يقال أو بما يوجه الى الاحكام الشرعية الاسلامية من مطاعن أو معايب •

« يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْكَرِهَ الْكَافِرُونَ » •

الشريعة فوق كل قانون

* سؤال : هناك من يذهب الى أنه لابد من تقنين الشريعة والأخذ بها عملا بمقولة مفادها أن العصر لا يشرع — لأننا ان نزلنا الى مستوى العصر بمستجداته وتياراته المستوردة لضاعت الأمور وانتفى التشريع الالهى — فالمعروف أن يرتفع الانسان الى منهج السماء لا أن يهبط بمنهج السماء الى الأرض ؟

** لا شك أن أصالة الشريعة الاسلامية بأصالة مصادرها • ومصدرها هو الله سبحانه وتعالى • فلا يمكن أن تقارن بأى قانون وضعى بل هى تسمو فوق كل قانون وتاريخ العمل بها مؤيد لذلك • فنحن اذا رجعنا للعصر الأول للاسلام نجد أن الأمن والأمان والسلامة والسلام قد توافرت كان الأمان أمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعرضهم — أمرا قائما واضحا — ولم يكن هذا بسطوة الشريعة وانما بقوة أحكامها وايمان الناس بعدالتها ، اننا نتحايل الآن على كل قانون بينما شرع الله لا يتحايل عليه أحد لأن الشرع يؤمن به كل مسلم ، فحين يقال للمسلمين هذا شرع الله وحكمه يخضعون بقلوبهم قبل أن يخضعوا بجوارحهم ، ان القانون الوضعى انما يعالج آثارا قد وقعت — أما شريعة الاسلام فتمنع الأمر قبل وقوعه فاذا وقع عاقبت — وهذا ما ينبغى أن يكون واضحا فى تبيان الفرق بين القانون الوضعى وقانون الله سبحانه وتعالى •

تشكيك

* سؤال : وسائل الاعلام العربية ، ما فتئت تشكك فى بنود تطبيق الشريعة الاسلامية خاصة فيما يتعلق باقامة الحد متغافلة عن أن الحدود يندر حدوثها وأن المراد بها أساسا هو الأثر النفسى الذى قد تحدثه ؟

في شئون الساعة

** ان الشريعة الاسلامية ليست كلها حدودا وليست كلها عقوبات .. ولكنها منظم لأمور الحياة — فهى تحوى عقوبات محددة وهى ما نطلق عليه اسم الحدود — وعقوبات فوض تقديرها لولى الأمر وهى ما تسمى بالتعزير فالحدود حين شرعها الله وضع لها ضوابط — فهى لا تطبق الا اذا تحققت هذه الضوابط . والمنوط بالتحقق من هذه الضوابط هو القضاء — وليس بوسع أى انسان أن يكون قاضيا فالقاضى من تأهل لذلك وعلم ضوابط هذه الاحكام وتنفيذها .

ومن هنا فلا وجه للخوف من التطبيق ، اذ لا يخاف الا المنحرف ، وعليه فاذا ما أقيم الحكم الشرعى فسيجد كل انسان أمنه لأنه لن يعاقب حينئذ الا من اقترف الاثم وثبت عليه .

*** سؤال : وماذا عن تشكيك وسائل الاعلام الغربية ؟**

** بالنسبة لتشكيك وسائل الاعلام الغربى ووصفها الحدود الشرعية بالبشاعة فان هذا يعود الى أنها لا تعرف ما هى الحدود وما هى ضوابطها ، وانى لأتساءل أين مجتمعنا — حتى بحالته الراهنة — ومجتمعاتهم التى يتحدثون فيها عن الحرية — ان مقارنة بسيطة بين حياتنا الاسلامية بمافيها من ارتباط الأسرة والصلات الاجتماعية القوية وبين مجتمعاتهم تظهر ما يعوزهم من استقرار وأمن . ان كل الوصايا التى يتماسك بواسطتها المجتمع الاسلامى انبثقت من الاسلام وأحكامه ومن شريعته وحدوده .

*** سؤال : يدعو البعض الى تشكيل محاكم خاصة لمن يخالف الاحكام الشرعية بحيث تنفذ الأحكام فورا دون خضوعها لاستئناف الا عند اصدار حكم بالاعدام . هل تجدون اليوم هذه الدعوة لتلافى البطء فى المحاكمات التى تنظر أمام القضاء العادى ؟**

** وفق تقديرى فان مراحل التقاضى القائمة الآن وان كانت بطيئة الا أنها أضمن للعدالة فان الخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه «فلأن يخطىء الامام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة ولا شك أن الحكم من محكمة الدرجة الأولى اذا استؤنف الى محكمة الدرجة الثانية كان ذلك تأكيدا له اذا تأيد واطمئنانا الى أنه صدر صحيحا ، أما معوقات التقاضى فانه يمكن التغلب عليها بالنظر الى الاجراءات والعمل على ازالة هذه المعوقات أن الاسلام فى نظامه القضائى لا يمنع تعدد درجات التقاضى وانما يستهدف العدل فى الحكم .

أمر مستبعد

*** سؤال : السودان شكل أمامكم المجتمع الذى خاض تجربة تقنين الشريعة منذ ان طبقت فى سبتمبر ١٩٨٣ — والتى رأى فيها البعض أحد الأسباب الرئيسية فى ازدياد التوتر والضغط ، والتساؤل بعد تجربتها فى السودان هل مصر مهيأة لها ؟**

« البقية ص ١٣٨٥ »

بيان للناس

من مشيخة الأزهر الشريف

نقدم فيما يلى بيان مشيخة الازهر عن البهائية ومدعى النبوة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعـد :

فقد نشرت الصحف أن رجال الأمن قد كشفوا عن فريقين من المواطنين أحدهما فى الاسكندرية تزعمه طبيب أمراض نساء ادعى النبوة وقد تبعه نفر من الرجال والنساء وجدوا فيما يدعو اليه اشباعا لشهوات محرمة واتخذ هو دعوته وسيلة لجمع المال .

والفريق الآخر نفر اتبعوا (دعوة البهائية) تلك التى وفدت بها طائفة من شذاذ الآفاق الى مصر فى أوائل هذا القرن فضلوا وأضلوا ، وكان الله لهم بالمرصاد عندما انكشف أمرهم ، فطاردتهم الدولة ، وطردهم المجتمع المصرى الذى يلفظ كل دخيل ، والذى آمن بربه وبالاسلام دينا ، والذى يقود أمته الاسلامية على اتساع رقعتها الى خير العمل .

وانه لأمر مؤسف أن تعود البهائية للظهور فى المجتمع المصرى على يد هذه الفئة الباغية التى لم ترع للاسلام حقه ولا للوطن كرامته .

والأزهر يعيد على الناس كافة حكم الاسلام فى هاتين الفئتين :

أولا : ان مذهب البهائية قد اشتمل على عقائد تخالف الاسلام ، ويأباها كل الاباء منها: ادعاء أن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان ، وادعاء النبوة لبعض زعماء المذهب .

ومن ثم فهو مذهب باطل يرفضه الاسلام، وليس من مذاهب المسلمين المعتبرة ، وفى الوقت نفسه ليس من فرق اليهود ولا النصارى .

ويعلن الأزهر أن من تبع المذهب البهائى من

المسلمين يكون مرتدا عن الاسلام وتنطبق عليه أحكام المرتدين .

ذلك لأنهم ضالون مضلون بل ومفسدون فى الأرض ، وهذه الجماعة فى الأغلب جماعة سياسية تخضع للصهيونية وتعمل على تنفيذ برامجها فى الأوطان العربية والاسلامية وآية ذلك أنهم اتخذوا قبلتهم حيفا ، فهم أدوات للصهيونية العالمية فاحذروهم ونحوهم عن مراكزهم وأعمالهم المؤثرة.انهم جراثيم أوبئة فتحصنوا ضدهم بالاسلام واستمسكوا بأصليه القرآن وسنة الرسول محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام . قاطعوا هؤلاء الذين خرجوا على الاسلام ، ولا تتعاملوا معهم . ان مصاهرتهم محرمة ، وان طعامهم محرم وانهم نجس لا يقربون المساجد التى أعدت لعبادة الله .

ثانيا : هذا الذى ادعى النبوة اذا أصر على ما ادعاه كان مرتدا عن الاسلام يحرم التعامل معه أو زيارته كطبيب ، اذ كيف يؤتمن على الأعراض بعد ما انكشف من أمره وسوء سلوكه فضلا عن ادعائه النبوة الأمر الذى يدل على تحلله من كل القيم .

ان الازهر ليدعو الفريقين الى التوبة الى الله والرجوع عما اقترفوا من آثام ، وما نشروا من عقائد فاسدة ، فان استجابوا عادوا الى صفوف المسلمين لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولأن ما اقترفوه يدخل فى حكم الشرك بالله فضلا عن جحودهم أن الرسول محمدا ﷺ خاتم الرسل والأنبياء .

ان على المجتمع المسلم الدفاع عن الاسلام باجتناب هؤلاء الذين خرجوا على الدين واجترأوا على رب الناس ، فادعوا النبوة وأهدروا أحكام الله .

« وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

دراسات قرآنية

الواحد الصمد

الإعجاز

الإجتزاء في معرفة الأجزاء

الواحد الصمد

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » ..

٢

بينا فى العدد الأسبق أن الاسلام جاء الناس بعقيدة التوحيد الخالص واليوم نتكلم على بقية الاخلاص ، ابتداء من قوله سبحانه : « اللَّهُ الصَّمَدُ » .

قال ابن الأنبارى : لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد هو : السيد الذى ليس فوقه أحد ، الذى يصمد اليه الناس ويقصدونه فى حوائجهم وأمورهم .

وقال الزجاج : هو الذى ينتهى اليه السؤدد ويصمد اليه كل شىء .

وعن أبى هريرة : هو المستغنى عن كل أحد ، المحتاج اليه كل أحد .

وعن ابن جبير : هو : الكامل فى جميع صفاته وأفعاله .

وقال مرة الهمدانى : هو الذى لا يبلى ولا يفنى ، يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

والمفهوم من تلك التأويلات لوصف الصمد . أنه تعالى هو ملجأ القاصدين ، ومجيب المحتاجين وأنه يفعل ما يريد ولا معقب لحكمه . وأن كل ما عداه محتاج اليه ، وأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله ، وأنه تعالى ليس فوقه أحد . فكل من عداه دونه ، ومن كان كذلك فلا يصح أن يعبد سواه .

وقد وصف الله نفسه تعالى بأنه « لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ » وهو الحق ، فان الولد يحتاج اليه أبوه فى أمرين :

(أحدهما) أن يساعده فيما لا يقدر على الانفراد به .

(وثانيهما) أن يرثه فى ماله ومتاعه بعد موته .

وقد اتفقت الأديان جميعا حتى الوثنية على أن الله تعالى تام القدرة تام الارادة تام العلم . كما اتفقت على أنه تعالى حى لا يموت .

فاذا كان أمره سبحانه عند جميع الأديان ذلك ، لزم أنه غير محتاج الى اتخاذ ولد فى الأمرين جميعا ، والا كان اتخاذه عبثا والعبث على الله محال .

تفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير

وحيث كان الأمر كذلك بطلت دعوى الولدية لله تعالى ، لأى سبب من الأسباب ، وثبت قوله « لَمْ يَلِدْ » .

وبعد ذلك نسأل الذين ادعوا أن لله ولدا ، لماذا زعمتم هذا الزعم فى حقه تعالى وأنتم مقرون أنه سبحانه غير محتاج الى معين ، وأنه حى لا يموت ؟ .

أظننتم أنه تعالى يلهو ويلعب ، فيتخذ ولدا يسر بوجوده من غير أن يكون له عمل فى ملكه

أظننتم أنه فى سذاجة الأطفال يتخذ الولد ليبتهج برؤيته كما يبتهج الأطفال بما يتخذونه من الشخوص والدمى !!

فان قلتم : تعالى الله عن أن تكون له سذاجة الأطفال .

قلنا لكم : فعلى أى أساس زعمتم أن لله ولدا ، ولأى غرض اتخذه ، مادامت تلك الفروض السابقة مستحيلة عليه سبحانه ، فان قلتم ان كتبكم جاء فيها أن المسيح ابن الله .

قلنا انه — عليه السلام — لم ينفرد بهذا الوصف فى كتبكم ، بل جاء فيها أن اسرائيل ابن الله البكر ، وأن من أطاع الله كان ابنا لله ، ومن عصى الله كان ابنا للشيطان .

فاذا كنتم تقولون : ان اسرائيل ليس ابنا لله من جهة النسب ولا المطيعون أبناء الله نسبا أيضا ، بل المراد أنهم مطيعون لله كالأبناء فى طاعة أبيهم ، وكذلك الأمر فى بنوة العصاة للشيطان ، فهم مطيعون له وليسوا أبناءه على الحقيقة ، فلماذا حملتم بنوة السيد المسيح على البنوة النسبية دون سواه ، أليس هذا ترجيحا بلا مرجح ، وهل أنتم أعلم به منه بنفسه .

لقد أطلق على نفسه أنه انسان مرة ، وابن انسان مرة أخرى .

فقد جاء فى الاصحاح (٨ — فقرة ٤٠) من انجيل يوحنا أنه عليه السلام قال لليهود : « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » .

وجاء فى الاصحاح (٢٠) من انجيل متى أنه قال لتلاميذه : « تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وابن الانسان يسلم ليصلب » ومثل ذلك من النصوص كثير ، فاذا كان عيسى — عليه السلام — يقول هذا عن نفسه ، فكيف تلصقون به أنه ابن الله نسبا ؟ وأنتم لستم أعلم به منه بنفسه .

فاذا قلتم : فعلنا ذلك لأنه ولد من غير أب ، فذلك هو الذى جعلكم تدعونه ابن الله ، قلنا : ان آدم خلق بلا أب وبلا أم ، فهو أعجب خلقا من عيسى ، فلماذا لم تجعلوه ولدا نسبيا لله تعالى كما قلتم فى عيسى .

واذا قلتم : انه أحيى الموتى وأبرا الأكمه والأبرص ، وهذا وذاك مما يختص به الاله ،

فلذا اتخذتموه ابنا لله .

قلنا ان ذلك معجزة لعيسى أيده الله بها ليؤمن قومه برسالته ، وشأنه فى ذلك كشأن جميع الرسل ، فانه تعالى يجرى على أيديهم ما هو من خصائصه سبحانه ، وليس احياء السيد المسيح لفرد أو أفراد موتى بأعجب من اخراج ناقة صالح وفصيلها من الجبل الأصم .

ولا أكبر من ابتلاع عصى موسى لسحر الساحرين ، وشقها أثنى عشر طريقا يبسا فى جوف البحر عبرها بنو اسرائيل الى سيناء ، والماء على أيمانهم وشمائلهم لا ينساب عليهم فيغرقهم .

ولا من تفجير اثنى عشر ينبوعا من جوف الصخر بضربة واحدة منها .

وليس أغرب من احضار عرش بلقيس من اليمن الى الشام قبل رجع الطرف معجزة لسليمان .

وليس أعظم من انشقاق القمر لمحمد — عليه وعلى جميع أنبياء الله ورسله الصلاة والسلام — ولا من سائر معجزاته ومعجزات الأنبياء والمرسلين ، فكلها خوارق للعادات ليس فى مقدور البشر صنعها — ولو كانوا أنبياء — لولا تأييد الله تعالى واذنه ، فهى من خصائص الله أجراها هو سبحانه على أيديهم وباذنه ، تصديقا لهم وتأييدا ، ولو لم يأذن الله بها على أيديهم ، لما قدروا عليها .

فاذا كان لا يحل لامرىء أن يزعم أن رسولا من هؤلاء الرسل اله أو ابن اله ، لأن الله أجرى على يده ما هو من خصائصه تعالى ، فكذلك الحكم فى شأن عيسى ، ولو كان السيد المسيح الها أو ابن الله — كما يزعم الزاعمون — لاستطاع أن يحول دون صلبه والسخرية منه التى زعموها فى كتبهم — وهو منها براء « **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** » .

فان الذى يحيى الموتى بنفسه أجدر به أن يجنب نفسه التهلكة ، ولا يغنيكم أن تقولوا انه أسلم نفسه لقاتليه ليغفر للبشر خطاياهم ، فان سبيله الى ذلك أن يقول لهم : غفرت لكم ، أو أن يشفع لهم عند أبيه ليغفر لهم ، لا أن يزيد خطاياهم حتى يصلوا الى قتل الاله أو ابن الاله .

ثم كيف تؤثر قوى البشر فى جسد الاله أو ابن الاله الى حد قتله ، فى حين أن ابراهيم — عليه السلام — كانت عليه نار المشركين بردا وسلاما — مع أنه عبد الله — وخرج منها أمام أعدائه سليما معافى .

فكيف لم يستطع ابن الله — كما يقولون — أن يكون شأنه فى السلامة أمام أعدائه ، كشأن ابراهيم ، ليكون ذلك حجة له عليهم تدفعهم الى الايمان ، بدلا من أن يوقعهم فى الاثم الكبير بقتله ثم يغفر لهم .

ان من شأن الاله أو ابن الله أن لا يؤثر فيه صنع البشر ، فهو الذى يجرى مراده فيهم وليس العكس .

ولو كان تسليمه نفسه لأعدائه ليصلبوه باختياره ، رغبة منه فى تكفير خطايا البشر — كما زعموا — لما عتب على أبيه والهه فى تركه لهم بقوله : « ايلى ايلى لما شبقتنى » أى الهى الهى

لماذا تركتنى لهم ، لينفذوا مرادهم ولم تنقذنى من أيديهم ، ولو كان الأمر كما قالوا لما قال لربه : « لو نحيت عنى هذا الكأس » كما جاء فى كتبكم .

ان الاله لا حاجة له أن يلبس جسد البشر ، فحسبه أن يقوم رسله بتبليغ رسالته ، ان الاله يجب أن يتنزه عن صفات البشر ، وأخصها التجسد والتعرض للأذى ، ان الاله أو ابن الله لا يصلح فى العقول أن يحتويه رحم امرأة بين الروث والدم .

ان الاله لا يصح فى العقول أن ينزل هذا الملك والملكوت ليعيش فى تلك الرقعة من الأرض ، ثم تنتهى مهمته الى أدنى مما انتهت رسالة نبى من البشر كموسى ومحمد عليهما السلام .

وكداود وسليمان ، وأخيرا يقتل ويصلب ، ان ذلك كله يفتقر الى اعادة النظر فى تلك الدعوى الخطيرة .

أيظن هؤلاء أن ملك الله هو هذه الأرض التى نعيش عليها ، ان لله ملايين المجرات وكل مجرة فيها ملايين الملايين من النجوم والكواكب ، ومن وراء ذلك عوالم لا يعلمها سوى علام الغيوب الذى خلقها ، فكيف يترك الله هذا الملك الرحيب ، ليحبس نفسه فى رحم امرأة تعيش فى رقعة ضيقة فى أرض فلسطين ، ثم ليحبس نفسه فى تلك الرقعة بعد خروجه من بطن أمه يعيش فيها فى ضنك حتى ينتهى الامر بقتله ؟!

ثم نقول : لماذا اثر هذه البقعة من الأرض وترك هذا الملك والملكوت ، دون أن يمنحه شرف المقام به .

من الذى كان يدبر هذا الملك أثناء هذه الاجازة الأرضية الطويلة ؟ .

وأنتم تقولون أيها المسيحيون : ان الله هو المسيح ابن مريم ، وما يقال عن المسيح يقال عن عزير الذى دعاه اليهود ابن الله .

وقد رأيت أن أختم هذا النقاش ، بحجاج وقع بين النبى — صلى الله عليه وسلم ، وبين وفد كبير من نصارى نجران ، مؤلف من ستين راكبا على رأسهم قسسهم ، جاءوا لنقاشه — صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى — عليه السلام .

روى ابن جرير الطبرى عن الربيع أن النصارى أتوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فخاصموه فى عيسى ابن مريم .

وقالوا له : من أبوه ؟ .

وقالوا على الله الكذب والبهتان ، لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

فقال لهم النبى — صلى الله عليه وسلم — : « ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا ويشبه أباه » ؟ .

قالوا : بلى .

قال : « ألستم تعلمون أن الله حى لا يموت ، وأن عيسى يأتى عليه الفناء ؟ » ..

قالوا : بلى .

قال : « ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شىء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟ » .

الواحد الصمد

قالوا : لا .

قال : « أفلستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا الا ما علم ؟ » .

قالوا : لا .

قال : « فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « ألستم تعلمون أن عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة ولدها ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبى ، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟ » .

قالوا بلى ، قال : « فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ » .

قال : فعرفوا الحق ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله « **الٓمٓ . اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ..** » أى أنزل صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها للرد عليهم ، واظهار الحق فى شأن عيسى – عليه السلام .

« **وَلَمْ يُولَدْ** » أى ليس له أب يشاركه فى عز الألوهية ، لأن الولادة تقتضى احتياج الأب الذى ولده اليه ليرثه أو ليعينه والله حى لا يموت ، وقادر على كل شيء فلا يحتاج الى معين ، ولأنه لو ولده أب لكان حادثا ، والحدوث على الله محال ، لا قتضائه المماثلة للحوادث والدور والتسلسل وكل ذلك مستحيل .

« **وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ** » أى لم يكن له أحد مكافئا فى شيء من صفاته .

فضائل سورة الاخلاص

أخرج البخارى وغيره عن النبى ﷺ أنه قال « من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن » لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وسائر صفاته ، وعلى الأوامر والنواهى ، وعلى القصص والمواعظ .

وهذه السورة قد تضمنت التوحيد والصفات ، وذلك ثلث القرآن .

وأخرج الامام مالك والترمذى والنسائى عن النبى ﷺ « أنه سمع رجلا يقرأ « قل هو الله أحد » .

فقال : « وجبت » .

فقيل يارسول الله : ما وجبت ؟

قال : « وجبت له الجنة » .

اللهم أدم علينا نعمة التوحيد ، ووفقنا لطاعتك والعمل بكتابك .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

الإعجاز

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

أن دراسة حياة النبى — صلوات الله وسلامه عليه — منذ أن صدع بأمر ربه فى قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ ... » (١) .

لا تترك أى شك فى أن الصلات بينه وبين الناس قد شابها كثير من الظلال القاتمة التى ينوء بتحمل آثارها أى بشر لا ترعاه عناية الله ولا تحيط به رعايته .

ان التاريخ يحدثنا عما حدث فى ذلك اليوم الذى صعد الرسول فيه على الصفا ونادى قبائل مكة ولبى كثير من الناس نداءه وسألهم : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ وردوا جميعا : نعم ، فما جربنا عليك كذبا قط .

فقال — صلوات الله وسلامه عليه — ولأول مرة — : انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .. وصاح أحدهم فيه قائلا : تبا لك ألهذا جمعتنا !!

ولم يكن صاحب هذا الصوت المنكر الا عمه أبا لهب ، وانصرف الناس عن رسول الله وتركوه وحده .

ان هذا الحدث — على قصر الوقت الذى استغرقه ، وعلى قلة الكلمات التى تبودلت فيه — يصور لنا موقفا متكاملا من المواقف التى واجهها رسول الله مع أعداء دعوته ، ويتضح منه كيف تضيع الحقيقة فى لحظة من الزمن ، وكيف يكون الصادق الذى لم يجرب عليه كذب قط موضع الانتهار والهزء من أقرب الناس اليه ممن وجدوا يومئذ حوله .

وانه ليبدو لنا أن الذين استمعوا الى رسول الله يومذاك قد أخذتهم المفاجأة عندما سمعوا — ممن لم يجربوا عليه كذبا — **« إِنِّى نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَى عَذَاب شَدِيد »** ، وأن فيهم من أحس فى نفسه بشىء من التردد والحيرة . فصدق محمد حقيقة لا ينكرها أحد ممن يعرفه ، وقد أقر الموجودون جميعا به ، وما ألقى به محمد اليهم يمكن أن يكون حقا

(١) سورة المدثر : الآيتان ١ ، ٢

فرفضه بمجرد سـماعه لا يليق بالعقـلاء ، ولو ترك هؤلاء لأنفسهم لكانت النتائج لهـذا الموقف مغايرة لما حدث ، ولكن صوت أبى لهب — وهـو عم محمـد — أسمعهم ما أغناهم عن التفكير فيما أحاط بهم ، وبدد ما اعتمـل فى نفوسهم من حيرة وتردد ، وانطلقوا جميعـا تاركين النبى وحـده .

ولسنا فى حاجة الى تصوير ما أحس بـه رسول الله حينئـذ من ألم نفسى حـاد ، فأقرب الموجودين اليه هو الـذى هاجمـه ، ولم يتطـوع أحد قط ممن سمعوا قول أبى لهب ليرد عليه أو يقول كلمة تخفيف من وقـع ما قال عن رسول الله .

فى هـذا الجو القاتم الذى أحاط به صلوات الله وسـلامه عليـه فى أول لقاء بينـه وبين قومه لينذرهم ينزل الوحى الكريم بما يخرس صاحب الصوت المنكـر ويتوعده بعـذاب أليم فى نار ذات لهب فى قول جازم :

« تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْـرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » (١) .

وهكذا دافع الله عن رسوله ، ورد عـلى أبى لهب بضربات موجعة لقـاء ما وجـه الى رسول الله من كلمات ظن أنه انتصر بها .

ويصعب على القلم — أى قلم — أن يصور حقيقة الأثر الذى تركه هـذا الرد الالهى فى نفس رسول الله ، فقد قوى عزمه ، وسار فى طريق الدعوة الى دين الله الـذى اصطفاه لتبليغه مستهينا بكل ما يلقى فى سبيل ذلك من صعاب .

كما يصعب على القلم — كذلك — أن يحيط بالآثار التى أحـدثها هـذا الـرد الواضـح القاطع فى نفس أبى لهب ونفـوس الـذين شايعوه ، انه شىء لا عهد لهم به ، وان محمدا مهما بلغت به الجرأة — لا يصـدر عنـه مثل هذا التهديد ولا يوجه هذا الوعيد ، ولكنه يصدع بأمر ربه فيقـرأ مـا أوحى اليـه به ، وردده كل من سمعه ، وسمعت قريش كلهـا بالحدث وملابساته .

هذا الحدث وما تـرك من آثار كـان النموذج الأول لـمواقف كثيرة واجهها رسول الله فى رحلته الطويلـة ، فلقد أنكر الكفار عليه رسالته ، وأعلنوا عليه وعلى دعوته الحـرب التى لم يدخروا وسـعا فى الهاب نارهـا ، وتفننوا فى الكيد له ورموه بكل ما وصلت اليه أيديهم من سهام ، فكلما طاش سهم راشـوا سهما غيره فى غير كلل ولا ملل محـاولين أن يطفئوا نور الله .

ويقرر التـاريخ — الذى لا خلاف عليـه — أن النصر كان حليف رسول الله لأنه كـان دائما فى كنف الله ورعايته ، وعجز أعداء الله أن ينالوا بغيتهم وأتم الله نوره .

ان أعداء الله أيقنوا أن القضاء على الدعوة لن يكون الا بأحد أمرين :

---

(١) السورة رقم ١١١ .

اما اسكات صوت محمد بطريقة أو بأخرى •

واما التشكيك فى القرآن الذى هو أساس دعوته •

أما محاولة اسكات صوت رسول الله فقد تكررت وتنوعت ، فجربوا بالاغراء تارة وبالتهديد أخرى ، ووصلوا الى الذروة حين مكروا برسول الله ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، ومكر الله بهم ففشل تدبيرهم ونجى الله ورسوله •

وأما محاولة التشكيك فى القرآن فقد أخذت مراحل متعددة عنى القرآن نفسه بتسجيلها :

لقد حدد القرآن مصدره بما لا يحتمل اللبس فى آيات كثيرة ، منها قول الله تبارك وتعالى مخاطبا رسوله — صلوات الله وسلامه عليه :

« **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** » (١) •

وقوله سبحانه : « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً** » (٢) •

وبين بوضوح أن هذا التلقى وهذا التنزيل كان بواسطة ملك الوحى جبريل فى قوله عز وجل :

« **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ • نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ • عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** » (٣) •

وبالرغم من تحديد المصدر وطريقة التلقين فقد أصر أقطاب الكفر على انكار أن يكون هذا من وحى الله اليه •

وقال بعضهم : ان ما يأتى به محمد انما هو من باب الشعر •

وقال آخرون : انما هو ضرب مما يقول به الكهان ، ونزل قول الله يرد على هؤلاء وهؤلاء فى قوله جل شأنه :

« **فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ • وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ • وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ • تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** (٤) •

وتمادوا فى خصومتهم فرموا رسول الله بالجنون لا لشىء الا لأنه أعلن أنه يبلغ عن ربه ، وجاء الرد القاطع عن مصدر القرآن نفسه ليؤكد ما يقول الرسول ويفند ما رموه به :

« **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ • الْجَوَارِ الْكُنَّسِ • وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ • وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ • إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ • مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ • وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** » (٥) •

ويزيد ذلك تأكيدا فى قوله تعالى :

« **نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ • مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ**

---

(١) سورة النمل : الآية رقم ٦ •
(٢) سورة الانسان : الآية رقم ٢٣
(٣) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ — ١٩٤
(٤) سورة الحاقة : الآيات : ٣٨ — ٤٣
(٥) سورة : التكوير الآيات ١٥ — ٢٢ •

الإعجاز

رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ • وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ • وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » (١) •

ويؤنس الله رسوله فيطلب منه الاستمرار فى دعوته وما عليه مما يقول هؤلاء فى قوله سبحانه :

« فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ » (٢) •

ويتوالى الوحى ويسمعون من النبى ما يبهرهم ويثير عجبهم وتأخذهم الحيرة من أقطارهم ، فمحمد أمى لا يقرأ ولا يكتب فمن أين يأتيه هذا الذى نسمع ، ويصل بهم تفكيرهم المختل الى القول بأنه يتردد على بعض الأجانب فى مكة ممن له معرفة بكتب الأولين فيتعلم منه ما يقول ، ونسوا أن لسان هذا المعلم الذى زعموا ليس باللسان العربى الذى لا يعرف محمد غيره، والذى أوحى الله به كتابه ، وينزل الوحى منكرا عليهم ما يخالف كل منطق وما يتصادم من الواقع ، يقول الحق تبارك وتعالى :

« وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ • إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ • لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ » (٣) •

ويقول سبحانه :

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا • وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا • قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا » (٤) •

وكيف تملى عليه فيكتبها أو يقرؤها وهو أمى لم يسبق له أن خط أو قرأ ، وتلك حقيقة لاخفاء فيها ولا خلاف عليها ، فمن أين يكون الشك والارتياب ، وصدق الله اذ يقول :

« وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ • بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ » (٥) •

وتضيق بهم الحيل ، ويلج بهم العناد ، ويطلبون من رسول الله أن يأتيهم بقرآن غير الذى يقول أو يبدله ، وينزل الوحى حاكيا قولهم وملقنا الرسول ما يجيبهم به ، يقول الحق سبحانه :

« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى

(١) سورة القلم : الآيات : ١ — ٤
(٢) سورة الطور : الآية رقم ٢٩
(٣) سورة النحل : الآية رقم ١٠٣
(٤) سورة الفرقان : الآيات رقم ٤ — ٦
(٥) سورة العنكبوت : الآيتان ٤٨ ، ٤٩

« عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ · قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ · فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ » (١) ·

ثم بلغ بهم الحمق أن قالوا : ان محمدا يفترى ويكذب على ربه عندما ينسب اليه ما يؤلف ويتلو ، ويرد القرآن هذه المرة بأكثر من أسلوب وكلها تدور حول حقيقة واحدة عبر الله عنها فى قوله تعالى :

« وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » (٢) ·

فليس فى مقدور محمد ولا غير محمد أن يكذب على الله وينسب اليه ما ليس له ، ان الله لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو الذى يتولى الدفاع عن كلامه ووحيه ، ولن يدع هذا الافتراء يمر دون عقاب من تسول له نفسه ارتكاب هذه الجريمة النكراء . يقول سبحانه :

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ · لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ · ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ · فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » (٣) ·

ويقول جل شأنه :

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » (٤) ·

واذا صح فى زعمهم ان محمدا تقول على الله فيما يبلغ فليفعلوا مثله وليحاولوا محاكاته ، فهو منهم وهم قومه ، واللغة لغتهم ، يقول عز من قائل :

« أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ · فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ » (٥) ·

واذا عز عليهم الاتيان بما يساوى ما جاء به محمد فهم فى حل من أن يقيموا الدليل على دعواهم اذا أتوا بعشر سور مثله ·

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (٦) ·

واذا عجزوا عن الاتيان بحديث مثله أو بعشر سور مثله مفتريات فيكفى فى تصحيح موقفهم عندنا ان يأتوا بسورة واحدة مثله ·

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ

(١) سورة يونس : الآيات ١٥ — ١٧
(٢) سورة يونس : الآية رقم ٣٧
(٣) سورة الحاقة : الآيات : ٤٤ — ٤٧
(٣) سورة الشورى : الآية رقم : ٢٤
(٥) سورة الطور : الآيتان : ٣٣ ، ٣٤
(٦) سورة هود : الآية رقم : ١٣

٥ الإعجاز

بِمِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (١) ٠

وهكذا تحدى الله أعداء رسوله الذين رموه بالكذب فيما يبلغ عن ربه ، فبرأ ساحته ، ثم كان التحدى العام الذى يشمل الانس والجن جميعا ، والقطع الجازم بأنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو اجتمعوا وتعاونوا على ذلك ، فكان قول الله تبارك وتعالى :

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (٢) ٠

وانما أطلقنا على هذه الآية من سورة الاسراء آية التحدى العام الشامل لأن التحدى فى غيرها لم يوجه الى الجن قط ٠

ولأنه قد يقال : ان الآيات التى تحدى فيها بالاتيان بحديث مثله أو بعشر سور مثله مفتريات أو بسورة من مثله انما وجه التحدى فيها الى هؤلاء الذين كانوا يناهضون الدعوة فى حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهم أول من سمع القرآن يتلى ، وهم الذين قالوا : تقوله فكان الرد عليهم : فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ، وهم الذين قالوا : افتراه فقيل لهم على سبيل التحدى : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وقيل لهم كذلك : فأتوا بسورة مثله ، وهم الذين خوطبوا فى سورة البقرة فى قول الله سبحانه :

« وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ٠ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » (٣) ٠

نقول : قد يقال : ان التحدى فى هذه الآيات كلها موجه الى العرب الذين سمعوا القرآن وأنكروا دعوته ، وهو تحد لهم فحسب بحكم الخطاب والرد على ما قالوا ولا يشمل غيرهم من الناس ولا يشمل الجن من باب أولى ٠

ونحب أن نقول لمن ينحو هذا الاتجاه : ان التحدى فى الآيات المشار اليها يشمل كل الخلائق لقول الله سبحانه « وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ »

وهو ـ فيما نرى ـ لا يختلف عما جاء فى آية سورة الاسراء ، والفرق أن آية سورة الاسراء وضحت المراد من قوله تعالى « مِن

(١) سورة يونس : الآية رقم ٣٨
(٢) سورة الاسراء الآية رقم ٨٨
(٣) سورة البقرة الآيتان ٢٣ ، ٢٤

دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » وضعت الأسماء الظاهرة :

« الانس والجن » مكان ما تضمنه ذلك التعبير ، ولهذا الوضوح أطلقنا عليه آية التحدى العام الشامل •

وبنزول هذا التحدى للانس والجن جميعا صار « اعجاز القرآن » حقيقة ، وصار جزأ من التعريف بكتاب الله •

اذ يقول أهل العلم : « القرآن هو : كلام الله المعجز المنزل على خاتم الانبياء محمد بن عبد الله — صلوات الله وسلامه عليه » •

وصار الكلام عن هذا الاعجاز لا يتطلب عناء فى اثباته ، اذ يستدل عليه من مصدرين واضحين :

أولهما : ما ذكرنا سابقا من التحدى العام الذى نطقت به آية سورة الاسراء وأى مؤمن لا يحتاج الى شىء بجانب هذا القول الكريم فى اثبات الاعجاز للقرآن •

وثانيهما هو الواقع ، فمنذ أن أوحى الله الى رسوله بهذا القرآن وكل كافر بالله وبرسوله يحاول أن يطفىء نور الله بكل ما أوتى من جهد وبكل ما ملك من وسيلة ، ونور الله يتمثل فيما أوحى الله الى نبيه الكريم من قرآن بلغه للناس ، فكان أهم الأهداف التى وجهت اليه هجمات أعداء الدين الجديد الذى أرسى القرآن قواعده وثبت دعائمه •

وقد عجزوا جميعا عن أن ينالوه بشىء ، وعجز أسلافهم كذلك الى وقت الناس هذا ، حتى هؤلاء الذين حاولوا انكار المصدر الالهى للقرآن ونسبوه الى النبى ، وسيدوم عجزهم فى المستقبل الذى لا يعلم مداه الا الله •

واذا كنا نستدل بهذا الواقع الذى لا يمكن انكاره على أن القرآن معجز عندما نتحدث الى غير المؤمنين به ، فليس ذلك سوى القول بصدق القرآن فيما قرر ، ولا يخرج عن أنه استشهاد بالواقع على أحقية ما أخبر ، وصدق الله « وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً » •

الحديث موصول

د٠ أحمد ابراهيم مهنا

الإجزاء في معرفة الأجزاء

للإمام إبراهيم بن عمر الجعبري

الحلقة الأخيرة

أجزاء ثلثمائة وستين

هذه الاجزاء لمن يريد عرض القرآن تجويدا وجمعا ودرسه اعتبارا وحفظه فى سنته باسنادى الى أبى الحسن على بن محمد السخاوى .

قال ابو العيناء : بها حفظت القرآن وعلمته بعض أهلى وبلغنى عن الامام المنصور أنه وابنه المهدى حفظاه بها وكل اثنى عشر جزءا منها جزء من ثلاثين وكل ستة جزء من ستين وكل ثلاثة جزء من مائة وعشرين وكل مائة وثمانين جزءا نصف وكل مائة ، وعشرين ثلثا وكل تسعين ربع وكل اثنين وسبعين خمس وكل ستين سدس وكل خمسة وأربعين ثمن وكل أربعين تسع وكل ستة وثلاثين عشر .

الجزء الأول بالبقرة : « فى طغيانهم يعمهون » الثانى « أولئك هم الخاسرون » . الثالث « واياى فارهبون » . الرابع « لعلكم تشكرون » . الخامس « لعلكم تتقون » . السادس « وهم يعلمون » . السابع « عما تعلمون » يتلوه « أولئك » . الثامن « ان كنتم مؤمنين » . التاسع . « ذو الفضل العظيم » . العاشر « كل له قانتون » . الحادى عشر « وبئس المصير » . الثانى عشر « عما كانوا يعملون » الثالث عشر « ولعلكم تهتدون » . الرابع عشر « لقوم يعقلون » . الخامس عشر « لفى شقاق بعيد » . السادس عشر « وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » . السابع عشر « واعلموا أن الله مع المتقين » الثامن عشر « واعلموا أنكم اليه تحشرون » . التاسع عشر « ألا أن نصر الله قريب » العشرون « لعلهم يتذكرون » .

الحادى والعشرون « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » . الثانى والعشرون « غفور حليم » . الثالث والعشرون « واليه ترجعون » الرابع والعشرون « وانك لمن المرسلين » . الخامس والعشرون « اعلم أن الله على كل شىء قدير » السادس والعشرون « لعلكم تتفكرون » . السابع والعشرون « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » الثامن والعشرون « والله بكل شىء عليم » التاسع والعشرون بآل عمران « العزيز الحكيم » الثلاثون

تقديم الأستاذ
إبراهيم عطوة عوض

« والله بصير بالعباد » • الحادى والثلاثون « بغير حساب » • الثانى والثلاثون « ونبيا من الصالحين » • الثالث والثلاثون » فاتقوا الله وأطيعون » الرابع والثلاثون « الا من بعده أفلا تعقلون » • الخامس والثلاثون « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » السادس والثلاثون « وأولئك هم الضالون » السابع والثلاثون « الا وأنتم مسلمون » • الثامن والثلاثون « وكانوا يعتدون » • التاسع والثلاثون « من الملائكة منزلين » الأربعون « والله لا يحب الظالمين » • الحادى والأربعون « والله ذو فضل على المؤمنين » الثانى والأربعون « والله بصير بما يعملون » الثالث والأربعون « ولهم عذاب أليم » • الرابع والأربعون « فبئس ما يشترون » • الخامس والأربعون « خير للأبرار » السادس والأربعون بالنساء « نصيبا مفروضا » السابع والأربعون « والله عليم حكيم » الثامن والأربعون « ان الله كان غفورا رحيما » التاسع والأربعون « ان الله كان على كل شيء شهيدا » الخمسون « ان الله كان عفوا غفورا » الحادى والخمسون « لوجدوا الله توابا رحيما » • الثالث والخمسون « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » الرابع والخمسون « وكان الله على كل شيء مقيتا » والخامس والخمسون « وكان الله عليما حكيما السادس والخمسون « كانوا لكم عدوا مبينا » السابع والخمسون «يجد الله غفورا رحيما» الثامن والخمسون «واتخذ الله ابراهيم خليلا » التاسع والخمسون « كان بما تعملون خبيرا» الستون«وكان الله شاكرا عليما» الحادى والستون « وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » الثانى والستون « فسيحشرهم اليه جميعا » الثالث والستون بالمائدة « فان الله غفور رحيم » الرابع والستون « أولئك أصحاب الجحيم » الخامس والستون « الى صراط مستقيم » السادس والستون « انا ههنا قاعدون » السابع والستون « وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » الثامن والستون « وما أولئك بالمؤمنين » • التاسع والستون « لقوم يوقنون » السبعون « وأضل عن سواء السبيل » الحادى والسبعون « ولكن كثيرا منهم فاسقون » « كما فى الأصل » الثالث والسبعون « الا البلاغ المبين » الرابع والسبعون « وأكثرهم لا يعقلون » الخامس والسبعون « اتقوا الله ان كنتم مؤمنين » السادس والسبعون بالأنعام « ما يلبسون » السابع والسبعون « وهو الحكيم الخبير » الثامن والسبعون « بآيات الله يجحدون » التاسع والسبعون « الا القوم الظالمين » • الثمانون « بما كنتم تعملون » الحادى والثمانون « وهو الذى اليه تحشرون » •

الثانى والثمانون « وهديناهم الى صراط مستقيم » الثالث والثمانون « ذلك تقدير العزيز العليم » الرابع والثمانون « فى طغيانهم يعمهون » الخامس والثمانون « انهم كانوا كافرين » • السابع والثمانون « لا يحب المسرفين » الثامن والثمانون « لهديكم أجمعين » التاسع والثمانون « بما كانوا يصدقون » التسعون بالأعراف « أو هم قائلون » الحادى والتسعون « ومتاع الى حين » الثانى والتسعون « انهم كانوا كافرين » • الثالث والتسعون « بما كنتم تستكبرون » الرابع والتسعون « انا لنراك فى ضلال مبين » الخامس والتسعون « عذاب أليم » السادس والتسعون « وهو خير الحاكمين » • السابع والتسعون « فهم لا يسمعون » الثامن والتسعون « ثم لأصلبنكم أجمعين » التاسع والتسعون « وما كانوا يعرشون » المائة « اتخذوه وكانوا ظالمين » الواحد والمائة « لعلكم تهتدون » الثانى والمائة « وانه لغفور رحيم » الثالث والمائة « لعلكم تتفكرون » الرابع والمائة « لنكونن من الشاكرين » الخامس والمائة « ويسبحونه وله يسجدون » آخرها السادس والمائة بالأنفال • السابع والمائة « لعلكم تشكرون » الثامن والمائة « ونعم النصير » التاسع والمائة « عذاب الحريق » العاشر والمائة « بأنهم قوم لا يفقهون » الحادى عشر والمائة « ان الله بكل شىء عليم » الثانى عشر والمائة بالتوبة ساء ما كانوا يعملون » الثالث عشر والمائة « أولئك هم الفائزون » الرابع عشر والمائة « سبحانه عما يشركون » الخامس عشر والمائة « على كل شىء قدير » السادس عشر والمائة • « لمحيطة بالكافرين » السابع عشر والمائة « لهم عذاب أليم » الثامن عشر والمائة « ان الله عزيز حكيم » التاسع عشر والمائة « لو كانوا يفقهون » العشرون والمائة « فهم لا يعلمون » الحادى والعشرون والمائة « والله سميع عليم » الثانى والعشرون والمائة « وبشر المؤمنين » الثالث والعشرون والمائة « لعلهم يحذرون » الرابع والعشرون والمائة بيونس « بما كانوا يكفرون » الخامس والعشرون والمائة « أفلا تعقلون » « السادس والعشرون والمائة « الى صراط مستقيم » السابع والعشرون والمائة « من رب العالمين » الثامن والعشرون والمائة « وهم لا يظلمون » التاسع والعشرون والمائة « أتقولون على الله مالا تعلمون » الثلاثون والمائة « وانه لمن المسرفين » الحادى والثلاثون والمائة « حتى يروا العذاب الأليم » الثانى والثلاثون والمائة « وهو خير الحاكمين » آخرها • الثالث والثلاثون والمائة بهود « وباطل ما كانوا يعملون » • الرابع والثلاثون والمائة « انى اذا لمن الظالمين » الخامس والثلاثون والمائة « وقيل بعدا للقوم الظالمين »

الســادس والثلاثون والمائة « عذاب غليظ » السابع والثلاثون والمائة « ومن وراء اسحاق يعقوب » الثامن والثلاثون والمــائة « انــك لأنت الحليم الرشيد » التــاسع والثــلاثون والمائة « وذلك يوم مشهود » الأربعون والمائة « وذكرى للمؤمنين » الحادى والأربعــون

والمائة بيوسف « عشاء يبكون » الثــانى والأربعون والمائة « ان كيدكن عظيم » الثــالث والأربعون والمــائة « ولكن أكثــر النــاس لا يعلمون » الرابع والأربعـــون والمــائة « لا يهدى كيد الخائنين » الخامس والأربعون والمائة « فليتوكل المتوكلون » الســـــادس والأربعون والمائة « هو خــير الحــاكمين » الســابع والأربعون والمائة « انك لفى ضلالك القديم » الثامن والأربعون والمائة « أفــلا تعقلون » التاسع والأربعون والمائة بالرعــد « عنده بمقدار » الخمسون والمائة « كــذلك يضرب الله الأمثال » • الحادى والخمســون والمائة « واليه متاب » الثــانى والخمســون والمائة « وعلينا الحساب » الثالث والخمسون والمائة « ابراهيم « تدعوننا اليه مــريب » • الرابع والخمسون والمائة « وما ذلك على الله بعزيز » الخامس والخمسون والمائة « لا بيع فيه ولا خلال » السادس والخمسون والمائة « وليتذكر أولوا الألباب » السابع والخمسون والمائة بالحجر « من حمأ مسنون » الثــامن والخمسون والمائة « لنسئلنهم أجمعين » •

الستون والمائة بالنحل « ولعلكم تشكرون » الحادى والستون والمائة «بما كنتم تعملون» الثانى والستون والمائة « ان كنتم لا تعلمون » الثالث والستون والمائة « وانهم مفرطــون »

الرابع والستون والمــائة « بل أكثــرهم لا يعلمون الخامس والستون والمائة « انكم لكاذبون » السادس والستون والمــائة « من الشيطان الرجيم» السابع والستون والمائة «وهم ظالمون » الثامن والستون والمائة « والذين هم محسنون » آخرها • التاسع والستون والمائة بسبحان « حتى نبعث رسولا » السبعــون والمائة « وساء سبيلا » الحادى والســبعون والمائة « الا رجــلا مســحورا » الثــانى

والسبعون والمائة « لمن خلقت طينــــا » • الثالث والسبعون والمائه « خلفك الا قليــلا » الرابع والسبعون والمائة « من السماء ملكــا رسولا » الخامس والسبعون والمائة « وكبره تكبيرا » آخرها السابع والســبعون والمــائة بالكهف « وليا مرشدا » السابع والســـبعون والمائة « وكان أمره فرطا » الثامن والسبعون والمائة « وما كان منتصرا » التاسع والسبعون والمائة « وما أنذروا هزوا » الثمانون والمائة « لقد جئت شيا نكرا » الحادى والثمـــانون والمائة من « دونها سترا » الثانى والثمــانون والمائة « ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » الثالث والثمانون والمائة بمريم « مكانا قصــــيا » الرابع والثمانون والمائة • « ولا يغنى عنــك شيئا » الخامس والثمانون والمائة « انــه كان وعده مأتيا » • السادس والثمانون والمـــائة « ويكون عليهم ضدا » الســابع والثمانون والمائة بطه « بما تسعى » الثامن والثمانون والمائة « والسلام على من اتبع الهدى » • التاسع والثمانون والمائة « بــرب هــارون

الإجزاء في معرفة الاجزاء

وموسى » التسعون والمائة « فأخلفتم موعدي » الحادي والتسعون والمائة « ولم نجد له عزما » الثاني والتسعون والمائة « ومن اهتدى » آخرها • الثالث والتسعون والمائة بالأنبياء « ان كنا فاعلين » الرابع والتسعون والمائة « كل في فلك يسبحون » • الخامس والتسعون والمائة « أفأنتم له منكرون » السادس والتسعون والمائة « كانوا قوم سوء فاسقين » السابع والتسعون والمائة « وجعلناها وابنها آية للعالمين » الثامن والتسعون والمائة « على ما تصفون » آخرها • التاسع والتسعون والمائة بالحج « ذلك هو الخسران المبين » • المائتان « ولباسهم فيها حرير » الحادي والمائتان « لعلكم تشكرون » الثاني والمائتان « أولئك أصحاب الجحيم » الثالث والمائتان « ان الانسان لكفور » الرابع والمائتان « ونعم النصير » آخرها الخامس والمائتان بالمؤمنون « في آبائنا الأولين » السادس والمائتان « وسلطان مبين » السابع والمائتان » الى صراط مستقيم » الثامن والمائتان « الى يوم يبعثون » التاسع والمائتان • بالنور « وحرم ذلك على المؤمنين » العاشر والمائتان « وان الله رءوف رحيم » الحادي عشر والمائتان « لعلكم تفلحون » الثاني عشر والمائتان « من يشاء بغير حساب » الثالث عشر والمائتان « بل أولئك هم الظالمون » الرابع عشر والمائتان « خير لهن والله سميع عليم »

الخامس عشر والمائتان بالفرقان « عليه بكرة وأصيلا » السادس عشر والمائتان « وكان ربك بصيرا » السابع عشر والمائتان « بل كانوا لا يرجون نشورا » الثامن عشر والمائتان « وزادهم نفورا » التاسع عشر والمائتان « فسوف يكون لزاما » اخرها • العشرون والمائتان بالشعراء « ان كنتم تعقلون » الحادي والعشرون والمائتان « ان معي ربي سيهدين » الثاني والعشرون والمائتان « ولا صديق حميم » الثالث والعشرون والمائتان بقصة لوط « على رب العالمين » الرابع والعشرون والمائتان بقصة شعيب « من المسخرين » الخامس والعشرون والمائتان « أي منقلب ينقلبون » آخرها • السادس والعشرون والمائتان بالنمل « ان كان من الغائبين » السابع والعشرون والمائتان « ان ربي غني كريم » الثامن والعشرون والمائتان « بل أنتم قوم تجهلون » • التاسع والعشرون والمائتان « مما يمكرون » الثلاثون والمائتان « وهم من فزع يومئذ آمنون » • الحادي والثلاثون والمائتان بالقصص « وهم له ناصحون » الثاني والثلاثون والمائتان « الى من خير فقير » الثالث والثلاثون والمائتان « ومن اتبعكما الغالبون » الرابع والثلاثون والمائتان « وقالوا انا بكل كافرون » الخامس والثلاثون والمائتان « الذين كنتم تزعمون » • السادس والثلاثون والمائتان «ان الله لا يحب المفسدين» السابع والثلاثون والمائتان « واليه ترجعون » آخرها الثامن والثلاثون والمائتان بالعنكبوت « الا البلاغ المبين » التاسع والثلاثون والمائتان « كانت من الغابرين » الأربعون

والمائتان « والله يعلم ما تصنعون » الحادى والأربعون والمائتان « نعم أجر العاملين » الثانى والأربعون والمائتان بالروم « بلقاء ربهم لكافرون » • الثالث والأربعون والمائتان « لآيات لقوم يعقلون » الرابع والأربعون والمائتان « هم المفلحون » الخامس والأربعون والمائتان « اذ ولو مدبرين » السادس والأربعون والمائتان بلقمان « فان الله غنى حميد » السابع والأربعون والمائتان « بل أكثرهم لا يعلمون » الثامن والأربعون والمائتان بالسجدة « لعلهم يهتدون » التاسع والأربعون والمائتان « انا من المجرمين منتقمون » • الخمسون والمائتان بالأحزاب « فى الكتاب مسطورا » الحادى والخمسون والمائتان « ولا يأتون البأس الا قليلا » • الثانى والخمسون والمائتان « وكان ذلك على الله يسيرا » الثالث والخمسون والمائتان

« وكفى بالله حسيبا » الرابع والخمسون والمائتان « على كل شىء رقيبا » الخامس والخمسون والمائتان « ولن تجد لسنة الله تبديلا » السادس والخمسون والمائتان بسبأ « الا فى كتاب مبين » السابع والخمسون والمائتان « ورب غفور » الثامن والخمسون والمائتان « ولا يستقدمون » التاسع والخمسون والمائتان « سحر مبين » الستون والمائتان بفاطر « من أصحاب السعير » الحادى والستون والمائتان « وما ذلك على الله

بعزيز » الثانى والستون والمائتان « ذلك هو الفضل الكبير ص ٥٨ /ب » الثالث والستون والمائتان « ولن تجد لسنة الله تحويلا » الرابع والستون والمائتان بيس » ياليت قومى يعلمون » الخامس والستون والمائتان « ولا الى أهلهم يرجعون » السادس والستون والمائتان « ومنها يأكلون » السابع والستون والمائتان بالصافات « سحر مبين » الثامن والستون والمائتان « على بعض يتساءلون » التاسع والستون والمائتان « فبشرناه بغلام حليم » السبعون والمائتان « الى يوم يبعثون » الحادى والسبعون والمائتان بص « لشىء يراد » الثانى والسبعون والمائتان قيل « ياداود وحسن مآب » الثالث والسبعون والمائتان « بخالصة ذكر الدار » الرابع والسبعون والمائتان « ولتعلمن نبأه بعد حين آخرها • الخامس والسبعون والمائتان بالزمر « ذلك هو الخسران المبين » والسادس والسبعون والمائتان « وانهم ميتون السابع والسبعون والمائتان « اذا هم يستبشرون » الثامن والسبعون والمائتان « ولا هم يحزنون » التاسع والسبعون والمائتان « الحمد لله رب العالمين » أخرها الثمانون والمائتان بغافر « لينذر يوم التلاق » الحادى والثمانون

والمائتان « من هو مسرف كذاب » الثانى والثمانون والمائتان « يرزقون فيها بغير حساب » الثالث والثمانون والمائتان « بالعشى والابكار » الرابع والثمانون والمائتان « أنى يصرفون » الخامس والثمانون والمائتان

« وخسر هنا لك الكافرون » آخرها • السادس والثمانون والمائتان بفصلت « بما كانوا يكسبون » السابع والثمانون والمائتان

الإجزاء فى معرفة الاجزاء

« نزلا من غفور رحيم » الثامن والثمانون والمائتان « وما ربك بظلام للعبيد » التاسع والثمانون والمائتان بعسق « وفريق فى السعير » التسعون والمائتان « لعل الساعة قريب » الحادى والتسعون والمائتان « اذا يشاء قدير » الثانى والتسعون والمائتان « هل الى مرد من سبيل » الثالث والتسعون والمائتان بالزخرف « كذلك تخرجون » • الرابع والتسعون والمائتان « وانابه كافرون » الخامس والتسعون والمائتان « لعلهم يرجعون » السادس والتسعون والمائتان « أنتم وأزواجكم تحبرون » السابع والتسعون والمائتان بالدخان « انا مؤمنون » الثامن والتسعون والمائتان « فارتقب انهم مرتقبون » آخرها • التاسع والتسعون والمائتان بالجاثية « على العالمين » الثلثمائة « وما نحن بمستيقنين » الحادى والثلثمائة بالأحقاف « افك قديم » الثانى والثلثمائة « ان كنت من الصادقين » الثالث والثلثمائة « القوم الفاسقون » آخرها الرابع والثلثمائة بمحمد صلى الله عليه وسلم « لذة للشاربين » الخامس والثلثمائة « أن لن يخرج الله أضغانهم » السادس والثلثمائة بالفتح « وكان الله عزيزا حكيما » السابع والثلثمائة « وكان الله عزيزا حكيما » الثامن والثلثمائة

« وأجرا عظيما » آخرها التاسع والثلثمائة بالحجرات « أولئك هم الظالمون » العاشر والثلثمائة بق « كذلك الخروج » الحادى عشر والثلثمائة « وما مسنا من لغوب » الثانى عشر والثلثمائة بالذاريات « انه هو الحكيم العليم » الثالث عشر والثلثمائة بالطور « والسقف المرفوع » الرابع عشر والثلثمائة « بسلطان مبين » الخامس عشر والثلثمائة بالنجم « لمن يشاء ويرضى » السادس عشر والثلثمائة « فاسجدوا لله واعبدوا » آخرها • السابع عشر والثلثمائة بالقمر قبل « كذبت قوم لوط فهل من مدكر » الثامن عشر والثلثمائة بالرحمن عز وجل « لا يبغيان » • التاسع عشر والثلثمائة « ومن دونهما جنتان » العشرون والثلثمائة بالواقعة « قل ان الأولين والآخرين » الحادى والعشرون والثلثمائة « وأما ان كان من أصحاب اليمين » الثانى والعشرون والثلثمائة بالحديد « ولهم أجر كريم » الثالث والعشرون والثلمائة « الامتاع الغرور » الرابع والعشرون والثلثمائة « والله ذو الفضل العظيم » آخرها • الخامس والعشرون والثلثمائة • بالمجادلة « فليتوكل المؤمنون » السادس والعشرون والثلثمائة بالحشر « أولئك هم الصادقون » الثامن والعشرون والثلثمائة « لعلهم يتفكرون » التاسع والعشرون والثلثمائة بالممتحنة « هو الغنى الحميد » الثلاثون والثلثمائة بالصف « والله لا يهدى القوم الفاسقين » الحادى والثلاثون والثلثمائة بالجمعة « وهو العزيز الحكيم » الثانى والثلاثون والثلثمائة بالمنافقين « وهم مستكبرون » الثالث والثلاثون والثلثمائة بالتغابن « والله غنى حميد » الرابع والثلاثون والثلثمائة بالطلاق « ويجعل له مخرجا » الخامس

« البقية ص ١٢٩٥ »

دراسات إسلامية

روعة الرعاية وجمال الأدب

غزوة حمراء الأسد

الإسلام وحقوق المرأة

ابن مسكويه

روعة الرعاية وجمال الأدب

أخرج الامام أحمد بسنده الى أبى عمران الجونى عن ربيعة الاسلمى قال :

كنت أخدم النبى ﷺ « فقال ياربيعة : ألا تزوج ، قال : قلت : والله يارسول الله ، ما أريد أن أتزوج ، ما عندى ما يقيم امرأة ـ وما أحب أن أن يشغلنى عنك شىء ، فأعرض عنى ، فخدمته ما خدمته .

ثم قال لى الثانية ، ياربيعة ألا تزوج ؟ فقلت : ما أريد أن أتزوج ، ما عندى ما يقيم المرأة ، وما أحب أن يشغلنى عنك شىء ، فأعرض عنى .

ثم رجعت الى نفسى ، فقلت :

والله لرسول ﷺ بما يصلحنى فى الدنيا والآخرة أعلم منى ، والله لئن قال : تزوج لأقولن : نعم يارسول الله مرنى بما شئت .

قال : فقال : ياربيعة ، ألا تزوج ؟

فقلت : بلى ، مرنى بما شئت ، قال :

انطلق الى آل فلان ، حى من الانصار ، وكان فيهم تراخ عن النبى ﷺ ، فَقُلْ لهم : ان رسول الله ﷺ أرسلنى اليكم يأمركم أن تزوجونى فلانة لامرأة منهم ، فذهبت ، فقلت لهم :

ان رسول الله ﷺ ، أرسلنى اليكم يأمركم أن تزوجونى فلانة فقالوا :

مرحبا برسول الله ، وبرسول رسول الله ﷺ ، والله لا يرجع رسولُ رسولِ اللهِ ﷺ الا بحاجته ، فزوجونى ، وألطفونى ، وما سألونى البينة ، فرجعت الى رسول الله ﷺ حزينا !

فقال لى : مالك ياربيعة ؟ فقلت : يارسول الله ،أتيت قوما كراما ، فزوجونى ، وأكرمونى وألطفونى ، وما سألونى بينة ، وليس عندى صداق ، فقال رسول الله ﷺ :

يابريدة الأسلمى أجمعوا له وزن نواة من ذهب ، قال : فجمعوا لى وزن نواة من ذهب فأخذت ما جمعوا لى فأتيت به النبى ﷺ ، فقال : اذهب بهذا اليهم ، فقل : هذا صداقها، فقلت : هذا صداقها فَرَضُوهُ ، وقبلوه ، وقالوا: كثير طيب .

قال : ثم رجعت الى النبى ﷺ حزينا !

فقال ياربيعة : مالك حزين ؟ فقلت : يارسول الله ، ما رأيت قوما أكرم منهم ، رضوا بما آتيتهم ، وأحسنوا ، وقالوا : كثيرا طيبا ، وليس عندى ما أُولِمُ !! فقال : يابريدة ، اجمعوا له شاة ، قال فجمعوا لى كبشا عظيما سمينا ، فقال لى رسول الله ﷺ : اذهب الى عائشة فقل لها ، فلتبعث بالمكتل

للأستاذ محمود محمد رسلان

الذى فيه الطعام ، قال: فأتيتها ، فقلت لها ، ما أمرنى به رسول الله ﷺ، فقالت: هذا المكتل (١) فيه تسع آصع شعير، لا، والله إنْ(٢) أصبح لنا طعامٌ غيره خذه فأخذته ، فأتيت به النبى ﷺ ، وأخبرته بما قالت عائشة .

فقال : اذهب بهذا اليهم ، فقل لهم : ليصبح هذا عندكم خبزا ، فذهبت اليهم ، وذهبت بالكبش ، ومعى أناس من "أسلم"، فقال : ليصبح هذا عندكم خبزا ، وهذا طبيخا فقالوا : أما الخبز فسنكفيكموه ، وأما الكبش فاكفونا أنتم ، فأخذنا الكبش أنا وأناس من أسلم فذبحناه وسلخناه وطبخناه ، فأصبح عندنا خبز ولحم ، فأولمت ودعوت رسول الله ﷺ .

ثم قال : ان رسول الله ﷺ أعطانى بعد ذلك أرضا ، وأعطانى أبو بكر أرضا ، وجاءت الدنيا ... » (٣) .

هذا الحديث الشريف يعطينا صورة من صور الرعاية الحسنة التى اشتهر بها رسول الله ﷺ لصحابته — رضى الله عنهم — فيسأل عمن غاب ، ويعود المرضى ويواسى المصاب ، ويساعد المحتاج ، ويلبى دعوة الداعى اذا دعاه ، حتى لكأنه ﷺ الوالد البار الحنون لكل مسلم .

قال عثمان بن عفان — رضى الله عنه : « انا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر ، وكان يعود مرضانا ، ويتبع جنائزنا ، ويغزو معنا ، ويواسينا بالقليل والكثير .. » (٤) .

وقال رسول الله ﷺ عن نفسه : « أنا لكم مثل الوالد ...» (٥) .

والحديث الشريف يظهر — فى وضوح — مدى حدب رسول الله ﷺ على أصحابه واعتنائه بهم ، الى فساحة صدره — صلوات الله وسلامه عليه — لما يعرض لهم أحيانا من غياب هدف رسول الله ﷺ عن أذهانهم ، فقد يسأل أحدهم الأمر فيرفضه المرة بعد المرة ، وهو — عليه الصلاة والسلام — دائب المحاولة فى رفق عجيب دون أن ينأى به الرفض عما يراه من الخير لهم .

وليس يمكن لبشر أن يلم بمدى رحمة رسول الله ﷺ وحسبه ، عليه الصلاة والسلام — أنه نموذج البشرية الكامل الذى لاتحده حدود .

---

(١) المكتل : زنبيل يعمل من الخوص . المعجم الوسيط مادة (كتلة) .
(٢) ان هنا بمعنى (ما) .
(٣) المسند ٨ / ٢٨ رقم ٣٠ وروى أبو داود بعضه ٤ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ — والترمذى ٣ / ١٣٠ .
(٤) نفس المصدر ٨ / ٣٠ ، ٣١ هامش .
(٥) يقصد الشيخ هذه المرأة وأمثالها .

روعة الرعاية وجمال الأدب

أتاه رجل فقال : يارسول الله ، ان لى خادما يسىء ويظلم أفأضربه ؟

قال — عليه الصلاة والسلام :

« تعفو عنه كل يوم سبعين مرة » (١)

والحديث الذى نسوقه واضح الدلالة على متابعة رسول الله ﷺ للأمر يتعلق بأصحابه، فنراه فى حادث ربيعة — رضى الله عنه — لا يتخلى عنه بمجرد قبول الانصار لمصاهرته بل دأب يسأله عن الامر حتى تم بكل حذافيره وهو ﷺ أثناء ذلك كله يبدد له كل ما يعرض له من مشكلة .

وهذا ما ينبغى للمسلم أن يفعله مع اخوانه .

ذلك هو الاسلام المصفى الذى أراده الله فبعثه فى شخص أكمل خلقه ﷺ وان من الاسلام الرعاية والحنان بالخدم ، لا تعذيب الخادم أوكيه بالنار أو ازدرائه ، فما الخادم الا انسان اختار الله له هذا المقام ولو شاء لرفعه .

روى الشيخ أحمد شاكر — رحمه الله — قضيتين فى هذا الباب :

احداهما قضية تتصل بتعذيب الخدم والأخرى مثل جد عجيب ، قال الشيخ عنه(٢) « لا يتصل بقضايا التعذيب ولكنه يكشف عن نفسية الطبقة التى تسمى « عالية » فى بلادنا وما علوها الا الكبرياء والاستعلاء على أمتهم ، ثم العبودية لسادتهم الخواجات والاستخذاء امرأة من نساء طبقة المستوزرين جمعت جمعا من مثيلاتها فى دارها .. فنظرت هذه المرأة الى خادمها النوبى ، وعجبت لمن حولها أن يكون لهذا « العبد » حق الانتخاب دونها وهى المتعلمة المثقفة التى تراقص الكبراء والوزراء والخواجات .

وما كان الرجل عبدا لها ولا لأبيها ولا لزوجها ، وانما هو من فئة معروفة بالحفاظ والكرامة ، فئة النوبيين الأمناء .. وما أعتقد أن أمثال (٣) هؤلاء مسلمون وان ولدوا على فرش اسلامية وان سماهم آباؤهم بأسماء المسلمين . ذلك بأنهم أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين والله سبحانه يصف المؤمنين بأنهم « أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ »

ونرى — مما سبق من حوار فى الخبر الشريف — شيئا مما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ طاعة وبرا وثقة فى أنفسهم ، وايثارا للخير وتلبية له ، فهؤلاء الانصار الذين أرسل اليهم رسول الله ﷺ ربيعة الاسلمى :

ا — لم يسألوه بينة ، وسارعوا الى التلبية حبا فى الله ورسول ، وثقة فى المؤمنين الاولين .

ب — ولم يقف أمرهم عند اجابة الطلب ، بل أسرعوا الى تقديم ما يمكنهم تقديمه لوليمة

---

(١) مسند الامام احمد .. ج ٤ ص ٥٨ ط. المكتب الاسلامى . بيروت .

(٢) الحديث فى المسند ج١ ص ٣٧ رقم ٥٠٤ شرح الشيخ احمد محمد شاكر ط. دار المعارف ط. الثالثة ١٣٦٨ هـ .

(٣) من حديث أبى هريرة . راجع المسند ج ١٣ ص ١٠٠ رقم ٧٣٦٢ ط. دار المعارف ١٣٧٤ هـ .

العقد ، متعاونين مع ربيعة — رضى الله عنه — وقومه — فيما يمكنهم أن يفعلوه ويرفعوا به ثقلا عن كاهل صهرهم رسول رسول الله ﷺ .

جـ — تجلت معونته قوم ربيعة فى تلبية حاجاته التى أشار عليهم بها رسول الله ﷺ

وهكذا ترى القوم متحابين متضامنين مسارعين الى تحقيق الخير لأفرادهم وجماعتهم وهذا ما أراده الله من الاسلام . وهدى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

محمود محمد رسلان

الإجزاء فى معرفة الأجزاء - بقية

والثلاثون والثلثمائة بالتحريم « والله غفور رحيم » السادس والثلاثون والثلثمائة « وكانت من القانتين » آخرها السابع والثلاثون والثلثمائة بالملك « على صراط مستقيم » الثامن والثلاثون والثلثمائة بن « على بعض يتلاومون » . التاسع والثلاثون والثلثمائة بالحاقة « أعجاز نخل خاوية » الاربعون والثلثمائة « فاصبر صبرا جميلا » . الحادى والأربعون والثلثمائة بنوح « واتقوه وأطيعون » الثانى والأربعون والثلثمائة « الا تبارا » اخرها . الثالث والأربعون والثلثمائة . بالجن « ولا أشرك به أحدا » الرابع والأربعون والثلثمائة « ان الله غفور رحيم » آخر المزمل . الخامس والأربعون والثلثمائة بالمدثر « والليل اذا أدبر » السادس والأربعون والثلثمائة بالقيامة « ولاصلى » السابع والأربعون والثلثمائة بالانسان « شرابا طهورا » الثامن والأربعون والثلثمائة . بالمرسلات قبل أن المتقين « ويل يومئذ لمكذبين » التاسع والأربعون والثلثمائة « كنت ترابا » آخر عم الخمسون والثلثمائة بعبس « عنه تلهى » الحادى والخمسون والثلثمائة بالانفطار « وان عليكم لحافظين » الثانى والخمسون والثلثمائة بالانشقاق « حسابا يسيرا » الثالث والخمسون والثلثمائة بالبروج « ولهم عذاب الحريق » الرابع والخمسون والثلثمائة « صحف ابراهيم وموسى » آخر « سبح » الخامس والخمسون والثلثمائة بالفجر « حبا جما » السادس والخمسون والثلثمائة بالليل « من أعطى واتقى » السابع والخمسون والثلثمائة « واسجد واقترب » آخر « اقرأ » الثامن والخمسون والثلثمائة « شرا يره » آخر « الزلزال » التاسع والخمسون والثلثمائة « كعصف مأكول » آخر « الفيل » الستون والثلثمائة من الجنة والناس » آخرها .

وهذا لترخيمه فى التجزية . بخط المؤلف فى آخره كملت بعون الله وتوفيقه .

فرغ من تأليفها الى الله تعالى ابراهيم بن عمر الجعبرى نزيل الخليل — عليه السلام — وكتب العشرين من ذى الحجة سنة ١١٦٣ من له العز والسعادة والشرف .

— تم —

ابراهيم عطوة عوض

غزوة حمراء الأسد
والنظرية الإسلامية
لاستعادة الهيبة والروح المعنوية

في الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة وقعت غزوة أحد ، وقد واجه المسلمون في مرحلة من مراحلها موقفا من أشد المواقف قسوة حين خالف الرماة الذين عينهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ممر الجبل لحماية ظهر الجيش أوامره فترك أغلبهم مواقعهم الأمر الذي شجع خالد بن الوليد على انتهاز الفرصة فقام بفرسانه بحركة التفاف من خلال الممر ونادى على قريش فاستجمعت قواها وهاجمت المسلمين الذين أصبحوا محاصرين بينها وبين فرسان خالد ، فانقلب ميزان المعركة بعد أن كان في جانب المسلمين •

وبرغم أن المسلمين تمكنوا — بعد أن تكبدوا خسائر كثيرة — من شق الحصار والخلاص مما كانوا مهددين به من فناء أكيد ، الا أن ما وقع في المعركة ترك في نفوسهم قدرا كبيرا من الهم والحزن والأسف ولوم النفس •• « أَوَلَمَّآ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (آل عمران ١٦٥)• ولقد ضاعف من وطأة هذا الضغط النفسي عدة عوامل خارجية أهمها ما يلي : —

١ — قريش ، سوف تعود الى مكة بدعوى الانتصار على المسلمين ، وسوف تتضاعف قواها وحوافزها نحو استثمار النصر لتوجيه المزيد من الضربات لاستئصال شأفتهم ونحو اقناع القبائل الاخرى بالبقاء على الشرك والوقوف معها في ضد الدعوة •

٢ — وأهل يثرب من اليهود والمنافقين والمشركين أظهروا السرور والشماتة فأظهروا أقبح القول فقالوا : « ما محمد الا طالب ملك ، ما أصيب بمثل هذا نبي قط ، أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه » ، وقالوا : « لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل » •

٣ — وسلطان المسلمين بالمدينة الذي كان قد استقر فلم يبق لأحد أن ينازع فيه يوشك أن يضطرب ويتزعزع •

٤ — وكبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، قد خرج على الجماعة ، وعاد من أحد ولم يشترك في القتال هو وأصحابه (ثلاثمائة

للواء ا.ح
محمد جمال الدين محفوظ

رجل) بدعوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعن برأيه (١) أو أنه عليه الصلاة والسلام غضب على مواليه من اليهود .

٥ ــ والانطباع العام الذى رسخ فى نفوس قريش وأهل يثرب من غير المسلمين عن المعركة أن المسلمين قد هزموا .. فلو ترك الأمر على هذا النحو ، لبقيت الهزيمة هى الكلمة الأخيرة بين المسلمين وقريش ولهان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على العرب ولتضعضع سلطانهم بالمدينة ولكانوا غرضة لاستخفاف قريش بهم والاستهزاء منهم فى أنحاء شبه الجزيرة .

وهكذا لم تعد القضية تنحصر فى معنويات المسلمين فحسب بل أصبحت قضية هيبة الاسلام ومكانته ومستقبل الدعوة ولذلك كان لابد من ضربة قوية وجريئة تعيد للمسلمين معنوياتهم وللاسلام هيبته ومكانته .

خروج المسلمين لمطاردة قريش :

فلما كان الغد من يوم أحد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالخروج لمطاردة قريش على ألا يخرج الا من حضر الغزوة بالأمس .

فخرج المسلمون حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة ، فلما علم أبو سفيان بخروجهم وقع فى روعه أن أعداءه جاءوا بمدد جديد من المدينة وأبلغه معبد بن أبى معبد الخزاعى ــ وكان قد مر بمعسكر المسلمين ــ « أن محمدا قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وكلهم أشد ما يكون عليكم حنقا ، ومنكم للثأر طلبا » .

فخاف أبو سفيان لقاء المسلمين ، لكنه فكر فيما يؤدى اليه فراره من آثار فلجأ الى الحيلة والى أسلوب التخويف والضغط النفسى ، فأرسل الى المسلمين من يبلغهم أنه قد أجمع السير ليستأصل بقيتهم لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغته رسالة أبى سفيان لم يتضعضع عزمه بل ظل فى مكانه يوقد النار طيلة الليل ثلاثة أيام متتابعة ليدل قريشا على أنه على عزمه وأنه منتظر رجعتهم،

---

(١) كان من رأى عبد الله بن أبى ، البقاء فى المدينة والقتال بداخلها فقال : « يارسول الله لقد كنا نقاتل منها ونجعل النساء والاطفال فى هذه الصياصى ونجعل معهم الحجارة ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية فاذا أقبل العدو رمته النسوة والاطفال بالحجارة وقاتلناه بأسيافنا فى السكك . ان مدينتنا يا رسول عذراء ما فضت علينا قط وما دخل علينا عدو فيها الا أصبناه وما خرجنا الى عدو قط منها الا أصاب منا ، فدعهم يا رسول الله واطعنى فى الامر فانى ورثت هذا الرأى من أكابر قومى وأهل الرأى معهم » .

غزوة حمراء الأسد

فأصاب ذلك الموقف من همة أبى سفيان وقريش ففترت همتهم وعادوا أدراجهم الى مكة مسرعين ورجع المسلمون الى المدينة وقد استردوا هيبتهم ومعنوياتهم •

الدروس المستفادة ومبادىء العسكرية الاسلامية :

١ ــ الروح المعنوية هدف استراتيجى » •

ان الدرس الأساسى الذى يستخلص من غزوة حمراء الأسد هو أن الروح المعنوية وارادة القتال لها شأن خطير فى تقدير الاسلام الى حد اعتبارها (هدفا استراتيجيا) فى حد ذاتها بحيث تجرى العمليات الحربية فى سبيلها اذا اقتضى الأمر ••

وهذا الدرس ينطوى على أحد المبادىء البارزة فى العسكرية الاسلامية وهو « أن فرصة النجاح فى معركة قد تضيع وان الرجال قد يسقطون شهداء ولكن ارادة القتال لا تضيع ولا تسقط » •

فلقد رأينا كيف قرر الرسول صلى الله عليه وسلم ــ فى سرعة مذهلة ــ الخروج لمطاردة العدو •• فمعركة أحد انتهت على موعد للقاء بين الطرفين مرة أخرى بعد عام (١) ، فاذا به صلى الله عليه وسلم يأمر بالخروج فى أقل من أربع وعشرين ساعة ، وهذا أبلغ الدليل على حرصه عليه الصلاة والسلام على الروح المعنوية •

٢ ــ استعادة الثقة بالنفس :

الثقة بالنفس من أقوى دعائم الروح المعنوية والقائد الناجح هو الذى يحرص على بناء هذه الثقة فى رجاله وتنميتها واستعادتها بسرعة اذا ما تعرضت للاهتزاز •

ولو تأملنا قرار الرسول القائد صلى الله عليه وسلم بألا يخرج معه الا من حضر أحد بالأمس لتكشفت لنا حكمته البالغة ، فلقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يشعر المسلمين بأنهم مازالوا موضع ثقته وان ما حدث بالأمس لم يؤثر فى تلك الثقة ، ولا يقدح فى كفاءتهم القتالية وانهم قادرون ــ وحدهم وبغير مدد من الرجال ــ على مطاردة العدو • ولو كان عليه الصلاة والسلام قد سمح بالخروج معه لمن لم يحضروا معركة أحد لما تحقق له ما أراد من أن يستعيد المسلمون ثقتهم فى أنفسهم •

ولقد أقبل المسلمون على الخروج بروح قوية وعزم صادق رغم أن فيهم من كانت به بضع وسبعون جراحة ••

روى ابن اسحق أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا واخ لى ، فرجعنا جريحين فلما أذن المؤذن بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى وقال لى : أتفوتنا غزوة

---

(١) لما انصرف أبو سفيان بعد المعركة نادى: « وان موعدكم بدر للعام القابل » فقال الرسول ﷺ لرجل من أصحابه « قل نعم » « هو بيننا وبينكم موعد » .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها وما هنا الا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أعسر جرحا فكان اذا غلب (أى أشتد تعبه لم يقو على السير) حمله عقبة (١) ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون ..

أما أم عمارة نسيبة بنت كعب التى جرحت يوم أحد ثلاثة عشر جرحا ، فانها لما سمعت النداء بالخروج شدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم ، قال حمزة : لقد مكثنا ليلتنا نضمد الجرح حتى أصبحنا فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من حمراء الأسد لم يصل الى بيته حتى أرسل اليها عبد الله بن كعب المازنى يسأل عنها فرجع اليه فأخبره بسلامتها فسر بذلك ..

٣ – تطهير الجيش من دعاة التخذيل :

وقد رمى الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء الاكتفاء بمن شهد غزوة أحد الى أمر فى غاية الأهمية لصالح الجيش ومعاركه المقبلة وهو ألا يخرج « المنافقون » بعد أن انكشف أمرهم وما تحمل قلوبهم من أضغان وأحقاد تجعل خروجهم خطرا على الجيش وعلى ارادة رجاله القتالية لأنهم سوف يضعفون من شوكتهم ويعرقلون أعمالهم .

ومن الأمثلة التى أوردها القرآن الكريم فى هذه الحال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين – عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاعداد لغزوة تبوك – الى أن يتخلفوا عن الرسول ولا ينفروا فى لظى الشمس ووهج الحر فجاءت الآية الكريمة تحذر من اتباعهم وتنبئهم أن جهنم أشد حرا وتطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يستعين بهم فى غزوة أخرى قال تعالى : « **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ** » (التوبة ٨١ – ٨٣) .

فالاسلام لا يحذر المسلمين من الاستجابة لمحاولات تثبيط العزائم فحسب بل يقرر أيضا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه .

٤ – قوة الايمان حصن منيع ضد الحرب النفسية :

ومن دروس حمراء الأسد أن العقيدة الراسخة القائمة على الايمان القوى هى

(١) عقبه : بضم العين من الاعتقاب فى الركوب أى بالتناوب .

الركيزة العظمى لتحصين المجاهدين ضد الحرب النفسية وهى بالنسبة للأعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين •

فقد رأينا كيف حاول أبو سفيان – لاخفاء خزيه من عدم مواجهة المسلمين – أن يضغط على المسلمين نفسياً بأن بعث اليهم من يقول لهم أن المشركين قد جمعوا لكم جموعا كثيرة فاخشوهم وخافوهم فانه لا طاقة لكم بهم • ورغم أن ذلك كان فى ظروف تعد فى نظر الخبراء من أفضل الظروف لحملات الحرب النفسية الا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** » ولم تنجح « مناورة » العدو فى زعزعة معنويات المسلمين بل زادتهم يقينا فى دينهم وقوة وجرأة على مواجهة اعدائهم •

ولذلك أعطاهم الله النعمة والفضل وصرف عنهم السوء ورضى عنهم كما يشير قوله تعالى : « **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ • فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** » (آل عمران ١٧٣ – ١٧٤) •

٥ – منع العدو من استغلال نجاحه :

وقد أدت غزوة حمراء الأسد الى منع قريش من تحويل النصر الذى أحرزته فى أحد الى « نصر استراتيجى » ساحق يحقق لها غاياتها العليا وذلك بغزو المدينة قاعدة الاسلام التى تصورت أن الطريق اليها قد أصبح مفتوحا وهذا هو ما عبر عنه قولهم :

« أصبنا أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ •• لنكرن عليهم فلنفزعنه منهم » •

٦ – استخدام الشعر فى الحرب النفسية والدعاية المضادة :

كان شعراء المشركين من أمثال أبى سفيان الحارث وعبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب وغيرهم ينظمون القصائد فى هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وهجاء المسلمين ومحاولة التهوين من انتصاراتهم والتأثير فى معنوياتهم وكان يقف الى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة من شعراء المدينة ينافحون عنه هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكانت مهمة أولئك الشعراء لا تقتصر على هجاء الاعداء أو دعوتهم الى الله بل كانت تشمل أيضا الرد على ما يقوله شعراء المشركين وهو ما يطلق عليه فى العصر الحديث « الدعاية المضادة » •

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم

ينصب لحسان بن ثابت منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عنه صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول : « ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان : « أهجهم أو هاجهم وجبريل معك » (رواه الشيخان) .

ويعد استخدام الشعر على هذا النحو من باب « الجهاد باللسان » الذى ورد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (رواه أحمد وغيره عن انس بن مالك رضى الله عنه) .

ومن الأمثلة على استخدام الطرفين للشعر يوم أحد ما يلى :

(أ) من شعر حسان ردا على هجاء أبى سفيان بن الحارث للرسول صلى الله عليه وسلم :

هجوت محمدا فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء

(رواه مسلم)

(ب) وقال شاعر المشركين عبد الله بن الزبعرى يوم أحد :

أبلغن حسان عنى آية
فقريض الشعر يشفى ذا الغلل (٢)
كم قتلنا من كريم سيد
ما جد الجدين مقدام بطل
فقتلنا الضعف من اشرافهم
وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس الا أننا
لو كررنا لفطنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم
عللا تعلوهم بعد نهل (٣)

فأجابه حسان بن ثابت قال :

ذهبت يابن الزبعرى دمعة
كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم
وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الاسياف فى أكتافكم
حيث تهوى عللا بعد نهل
وعلونا يوم بدر بالتقى
طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم
وقتلنا كل جحجاح رفل (٤)
وتركنا فى قريش عورة
يوم بدر وأحاديث المثل

محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) أسد الغابة جـ٢ ص ٥ باب الحاء والسين .
(٢) الغلل : بضم الغين وفتح اللام جمع غلة وهى حرارة العطش .
(٣) عللا بعد نهل : بمعنى الضرب بعد الضرب .
(٤) الجحجاح : السيد ـ والرفل « بكسر الراء

الإسلام

وحقوق المرأة

٣

انتهينا فى المقالين السابقين الى أن الشريعة الاسلامية قد كفلت للمرأة كل اسباب الرقى والنهوض ، من خلال تشريع محكم ، يأخذ بيدها على طريق الخير فى الحياة ، ويفتح امامها أبواب الأمل ، لتكون كما أرادها الله عز وجل مدرسة لتخريج جيل قوى يؤمن بربه ، ويتحمل مسئولية وطنه بصدق ورجولة.

وذلك من خلال الأحكام الشرعية التى تنطق للمرأة بحقوق كثيرة ، حرمت منها فى تشريعات أكثر بقاع الأرض تمدينا ، وأعظمها حضارة ، بما يفصح عن سمو مبادىء تلك الشريعة الغراء وصلاحيتها لمواكبة طموحات الفكر الانسانى ، والتفوق عليه فى مجال تحقيق الخير المقصود ، والأمل المنشود ، للناس أجمعين على اختلاف ألوانهم وتباين أجناسهم .

ومن هذا المنطلق قرر الاسلام للمرأة حق المساواة مع الرجل ، ولم يشأ أن يجعل من تلك القضية الخطيرة مجرد شعار يردد ، دون أن تقوم على أساس ثابت يقتضيه الطبع ، وتحتمه الحكمة (١) ، ودون أن يتجاهل ما فطرت عليه طبيعة المرأة ، أو يتناسى ما هيأها الله لها فى الحياة ، ومن ثم جاءت تلك المساواة مؤسسة على التساوى فى أصل الخلقة بما لا يدع مجالا لتميز أى منهما على صاحبه بسببها ، وبما يحكم على الأفكار التى حاولت النيل من المرأة فيها بالضعف والسفه ، فلم تخلق المرأة من جوهر غير ما خلق منه الرجل ، بل ان آيات الكتاب الكريم لتنطق

---

(١) راجع مقالنا بمجلة الازهر ـ عدد جمادى الاخرة ١٤٠٥ هـ ـ ص ٨٨١ وما بعدها

للدكتور عبد الله مبروك النجار

بما يبرز وحدة الأصل الذى خلقا منه ، قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً** » (١) •

وقد أدى تساويهما فى هذا الأصل الهام ، الى التساوى بينهما فى أساس المسئولية أمام الله عز وجل عن ما كلفهما به من أحكام شرعية تتعلق بالأوامر والنواهى ، أو تدخل فى اطار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بما تستلزمه تلك المسئولية من جزاء بالثواب أو العقاب ، قال تعالى : « **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** » (٢) •

وقال عز من قائل : « **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » (٣) حيث دلت هاتان الآيتان الكريمتان وغيرهما ، على أن كلا من الرجل والمرأة مجزى بعمله ، وعلى هذا النحو يتأصل مبدأ المساواة بينهما •

وعلى ضوء مساواة المرأة للرجل فى أساس المسئولية ، أثبت الاسلام لها حقوقا كثيرة ، فلها حقوق المدنية ، ولها حق التعليم ، ولها فى نظر الاسلام رأى تبديه وتدافع عنه ، وتشير به (٤) •

والاسلام حين كفل للمرأة كل تلك الحقوق وغيرها ، لم يقصد أن ينال منها أو يمس بكيانها حين جعلها على النصف من الرجل فى الشهادة والميراث ، لأن الحكم فى هذين الأمرين ، قد جاء على وفق الحكمة ومتمشيا مع المصلحة رحمة بها وتخفيفا عليها (٥) ، وبما لا يدع مجالا لخصوم الاسلام بالتقول عليه ، واتهامه بمحاباة الرجل على حساب المرأة ، حقدا عليه وتأليبا للمرأة على أحكامه ، حتى يوقعوا بينها وبين أحكام ربها ، ومن ثم يصلون من خلالها الى ما يقصدون اليه من تطاول على شرع الله وتهجم على أحكامه •

كما أن الاسلام لم يقصد أن يطعن المرأة فى مشاعرها أو يهضم حقا من حقوقها ، حين أباح تعدد الزوجات ، كما يزعم خصوم الاسلام ، وكما يتقول المتظاهرون بنصرة المرأة والدفاع عن حقوقها ، ممن لا يريدون

(١) سورة النساء ــ الآية الاولى •
(٢) سورة آل عمران ــ آية ١٩٥ •
(٣) سورة النحل ــ آية ٩٧ •

(٤) راجع فى بيان تلك الحقوق ، ونطاقها : مقالنا السابق ص ٨٨٥ وما بعدها •
(٥) مقالنا السابق ــ ص ٨٩١ وما بعدها •

أن يفتحوا قلوبهم له ، ولا يحبون الكلام فيه الا هجوما عليه ، وغيرهم من المبشرين الذين يعتبرون تعدد الزوجات فرصة ينتقدون فيها مسلك الاسلام ، وهم حين يستهدفون تلك الغاية الرخيصة لايهمهم مصلحة المرأة فهى لا تعنيهم ، بل هى آخر ما يفكرون فيه ، وانما الذى يعنيهم هو التهجم على الاسلام وتوجيه النقد الى أحكامه ، ولا مانع عندهم والهدف كذلك ، أن تكون المرأة وحقوقها هى وسيلتهم فى الهجوم ، على اعتبار أنه يمس شئونها ويتصل بقضاياها ، وما أسهل اثارة مشاعر النساء ، واستجلاب صراخهن على مسألة قد لا يكون للحق فيها نصيب ، من أناس لا يعنيهم الا التظاهر بالتقرب من المرأة والتودد اليها ، ومناصرة قضاياها على حساب الحق والشرع والفضيلة .

وقد رأينا أن الاسلام حين أباح للرجل أن يعدد زوجاته قيدها بالعدل وربطها بالقدرة ، ليؤدى التعدد رسالة اجتماعية فى الحياة تشعر كل امرأة من خلالها بكامل كيانها والأهم من ذلك كله ، كامل ايمانها بالله عز وجل الذى ما شرع حكما الا وفيه عين المصلحة لخلقه رجالا ونساء ، وليكون أداة تقويم لمسيرة المرأة على طريق الحياة الفاضلة ، وتصحيح مسلكها مع الرجل على أساس الطهر والعفة والمشروعية ، فجاءت مشروعيته متمشية مع الحكمة ، ومتوائمة مع المصلحة التى لم تقتصر على المرأة وحدها ، بل شملت الرجل والمجتمع الانسانى كله لتقيه شر الاختلاط المريب والتسيب القاتل بين الرجال والنساء (١) ، بينما ينجم عنهما من هلاك الحرث وضياع النسل ، والله لا يحب الفساد ، ومن العجيب أن الذين يعانون من مآسى الاختلاط المحرم بين الرجل والمرأة فى بلادهم هم الذين ينتقدون مسلك الاسلام فى اباحة تعدد الزوجات .

خصوم الإسلام ومشروعية الطلاق :

على أن مزاعم هؤلاء الذين ينتقدون الاسلام فى تشريع الأسرة ، من المبشرين ، وغيرهم ممن يرفعون شعارات باسم حقوق المرأة ، لم تنته بعد ولم تقف عند محاولة التهجم على الاسلام من خلال مشروعية تعدد الزوجات فيه ، رغم أنه موجود فى كثير من الشرائع قبله ، ورغم أن ما وجه اليه من نقد لم ينل منه ، ولا يعد شيئا يمكن أن يحجب عن القارىء المسلم جزءا — ولو يسيرا — من الفوائد التى تعود بالخير على الفرد وعلى المجتمع من ورائه ، بل تعدت ذلك الموضوع الى موضوعات أخرى ، منها اباحة الاسلام للطلاق ، حيث ارتفعت أصواتهم بالنقد ، كما ارتفع صراخهم بالتهجم من قبل فى تعدد الزوجات ، بل ربطوا بين اباحة الاسلام لتعدد الزوجات ، واباحته للطلاق ،

(١) راجع مقالنا الثانى فى سلسلة الاسلام وحقوق المرأة — منشور بمجلة الازهر — عدد رجب سنة ١٤٠٥ — ص ١١٠٦ — ١١١٧

ربطا يتوخى تضخيم المسائل أمام المرأة ، وايهامها بأن الاسلام لا يساعدها على استقرار الحياة ، دون أن يروعها بألم الفراق ، ويبعث فى وجودها الخوف من شبح الطلاق ، فحياتها مهددة به ، واستقرارها مرهون بوقوعه ، ومن ثم أصبح الطلاق كتعدد الزوجات — فى زعمهم — يهدر كرامة المرأة ، أو كما يقولون : « انه انتهاك للرباط الزوجى المقدس ، واهانة للمرأة التى كرامتها من كرامة زوجها ، وامتهان لحقوق الأمومة وحقوق البنوة الصحيحة ، فالأبوة ليست عملا شهوانيا • بل هى قيمة معنوية انسانية تفقد معناها فى الطلاق ، والأمومة ليست حاجة بشرية لا غير عند المرأة ، بل هى قيمة انسانية ترفع المرأة الى سمو « الام » وتفقد معناها بالطلاق ، والزوجة ليست معاشرة عابرة ، وانما هى وحدة الجسدين التى هى سبيل ودليل على وحدة القلبين والنفسين ، وتفقد هذه الوحدة الجسدية والروحية كل معناها فى الطلاق ، والبنوة حرمة مقدسة يطعنها الطلاق وتعدد الزوجات فى الصميم ، فتفكيك العائلة بالطلاق وتعدد الزوجات تضييع لكل هذه الحرمات والقيم الانسانية التى أرادها كتاب الخلق ..... الخ » •

تلك هى عباراتهم فى نقد مسلك الاسلام فى اباحة الطلاق ، أنقلها أمام القارىء بنصها — كما جاءت فى كتاباتهم — ليقف معى على ما تنطوى عليه تلك العبارات من افكار تتجاهل الواقع ، ولا تصلح لحياة الناس ، وهى لا تعدو أن تكون تعبيرا عن تصور مأمول لا يقوم الا فى ذهن أصحابها ، ولا يجد فى الطبيعة البشرية ، ولا فى سلوك الناس ما يؤيده ، والا فما قيمة كل تلك الكلمات حين يحتدم النزاع ، ويستبد الخلاف وتتفشى الكراهية بين الرجل والمرأة ؟ • ثم ما هى الفائدة التى يمكن أن تعود على المرأة أو الرجل أو الأولاد فى ظل علاقة استشرت فيها نيران الحقد ، وبين جدران بيت يتربص فيه كل من الرجل والمرأة للآخر ، ليكيد له وينال منه ، على نحو ما هو مشاهد فى دنيا الناس ؟ • ثم ألا يكون من الأنفع لكل منهما وللأبناء جميعا بعد استنفاد وسائل الاصلاح بين الزوجين ، وفشل كل محاولات التوفيق بينهما ، أن يفترقا ، ليكون ذلك الافتراق خير علاج لتصحيح مسيرتهما فى الحياة على ضوء تلك الظروف الاليمة ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا » (١) •

أبغض الحلال عند الله :

لقد شرع الطلاق فى الاسلام ليكون أداة للاصلاح ، ووسيلة للتقويم ، حتى لا تظل العلاقة بين الرجل والمرأة على ما هى عليه من شقاق لا يثمر ، وكره لا ينفع ، ومثله فى تلك

---

(١) سورة النساء — آية ١٣٠ ، وراجع فى هذا المعنى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى — « المرأة كما أرادها الله » — ص ٥٥ — مكتبة القرآن •

الحالة كالدواء ، فى مرارة الطعم وتحقيق الشفاء ، حين لا يجدى الاصلاح ولا يمكن الوفاق •

والاسلام حين شرع الطلاق ، أحاطه بالضوابط الشرعية ، التى تهذب طبيعته ، وتخفف من حدته ، ليكون صداه على الأسرة وعلى المجتمع متمشيا مع سمو التشريع الذى ما قرره الا ليصحح به وضعا يحتم وجوده ، ويصلح به آثارا تنجم عن وقوعه ، حتى لا تضار الزوجة منه ، ولا يضيع الأولاد بسببه ، ونظرا لما ينطوى عليه من آثار تبرر قيامه ، وترفع عن الناس العنت والمشقة لغيابه ، شرعه الله عز وجل ليحقق تلك المقاصد التى تمثل عند وجودها ضرورة لا ينبغى لتشريع محكم أن يتناساها ، ولا يليق بشريعة جاءت لتحقق مصالح الناس فى كل زمان ومكان أن تتجاهلها •

وهو حين شرعه لم يهمل علاج ما يترتب عليه من آثار وصولا بالأسرة الى بر الأمان ، وأخذا بيد الأولاد ــ اذا وجدوا ــ على طريق السلامة ، ومع ذلك قدر الشارع أثره على النفس ، ووقعه على المسامع • فجعله أبغض الحلال عنده ، وضمن من خلاله رعاية حق الأمومة وحرمة البنوة ، بما لا يجعل لخصوم الاسلام فرصة للتهجم عليه ، وبما يجعل كل كلام يستهدف التشهير بالاسلام أمام منهجه القويم فيه غير ذى قيمة •

تشريع يتواءم مع الحكمة :

شرع الله الطلاق ليرفع بـه العنت عن خلقه ، وليكون وسيلة لتحقيق العديد من المصالح فى حياة الناس ، وجعله من أبغض الأمور اليه ، لما فيه من حل الوثاق وألم الفراق •

فقد روى ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » (١) حيث دل هذا الحديث الشريف على أنه يحسن تجنب ايقاعه ما وجد عنه مندوحة (٢) ، وكلما استطاع الانسان الى ذلك سبيلا ، الا أن ظروف الحياة قد لا تأتى على هذا النحو ، فكثيرا ما تطرأ عليهما أمور تجعل من الطلاق ضرورة لازمة بل قد يتعين وسيلة للاستقرار العائلى نفسه •

فقد يصل الشقاق بين الزوجين الى حد يستحيل عنده الصلح • وتصبح الحياة الزوجية جحيما لا يطاق ، ويصبح أفراد الأسرة جميعا ذكورهم واناثهم ، صغارهم وكبارهم مهددين من جراء ذلك بأسوأ النتائج ، وشر الكوارث فى مختلف فروع حياتهم المادية والمعنوية والخلقية (٣) •

وقد تتنافر طباع الزوجين كل التنافر ، أو

---

(١) راجع « سبل السلام » ــ للصنعانى ــ جـ ٣ ــ ص ١٦٨ الطبعة الرابعة •

(٢) المرجع والمكان السابقين •

(٣) دكتور على عبد الواحد وافى ــ « المرأة فى الاسلام » ــ ص ٧٨ ــ الطبعة الثانية •

يلقى فى نفس أحدهما أو كليهما كراهية شديدة للآخر ، وتعجز جميع الوسائل الانسانية عن علاج هذا الحال لأن القلوب بيد الله الذى يقلبها كيف يشاء ٠

وقد يتطرق الفساد الى حياة أحد الزوجين، فلا يرعى لعقد الزواج عهدا ولا يحفظ له حرمة ، ويندفع فى تيار الفسق والفجور ، حتى يصبح الانتماء اليه عارا ، وينقلب الى شر وبيل لكل من يتصل به ، وتعجز جميع وسائل التقويم عن اصلاحه ورده الى الطريق المستقيم ، وقد يجن أحد الزوجين جنونا مطبقا ٠ فيفقد جميع مميزات الانسانية فيه ، ويصبح مصدر خطر على كل من يعاشره ٠

وقد يصاب بمرض خطير لا يرجى برؤه ، وقد يفقد مقومات جنسه ، كما قد يكون عقيما لا يلد فلا يحقق أهم غرض من اغراض الزواج ، وقد يغيب غيبة طويلة ولا يعرف أحى هو أم ميت ٠ وقد يحكم عليه بالسجن المؤبد ، وقد يرى الزوجان ان استمرار الحياة بينهما متعذر من جميع الوجوه ويريد كلاهما أن يفارق الآخر بالمعروف ، ليغنى الله كلا من سعته (١) ٠

وتلك الحالات ليست من ضروب الخيال ، ولكنها كثيرا ما تقع فى دنيا الناس ، ولا شك أن تحريم الطلاق مع وجودها يوقع الناس فى أشد مظاهر الحرج والضيق ، ويكون القول بتحريمه هو الذى يستوجب النقد ، ويستحق النظر ، ولما كان الاسلام دينا عاما يشرع لجميع الامم والعصور ، وينظم للحياة الطبيعية الواقعية ، فقد حرص على وقاية الفرد والأسرة والمجتمع من كل ما يؤدى الى العنت والضرر ، وأباح الطلاق مع شدة تقديسه للزواج ، والنظر اليه على أنه اعقد أبدى لا ينبغى فصمه بحسب الاصل ، وذلك أمر ينطق بوضوح على أنه ينبغى ان يحسب للتشريع الاسلامى لا أن يؤخذ علية ٠

ضمانات الاباحة فى الطلاق :

لم يشأ الشارع أن يكون أمر الطلاق مباحا على الاطلاق ، بل قيده بعدد من الضمانات التى تقلل وقوعه وأحاطه بمجموعة من الاحكام التى تهذب آثاره ، وتجعل وجوده عند الضرورة خطوة نحو مصلحة الاسرة والمجتمع ، وقد جاءت تلك الضمانات تقنينا منظما للحديث الشريف الذى يدل على أن الطلاق أبغض الحلال عند الله ، وهذه الضمانات يمكن ارجاعها الى حالتين :

الأولى : قبل وقوع الطلاق ٠

والثانية : حال وقوعه ٠ وينبغى بيان ذلك بشىء من التفصيل الذى يرد عن شريعة الله ما أثير من مزاعم حول اباحة الطلاق فيها ، وبيان مدى حفظ الاسلام لحقوق المرأة ، وصيانته لكرامتها من خلاله وذلك على النحو التالى :

أولا ــ الضمانات التى تسبق الطلاق :

وحتى لا يطل شبح الطلاق فى حياة الأسرة

(١) المرجع السابق ــ ص ٧٩ ٠

الأسباب قد لا تتبصر عواقبه ، ولظروف قد لا تتدبر ما يترتب عليه من آثار تعصف بحياة الأسرة ، وتحدث فى كيان الأبناء جرحا لا يلتئم ، وصدعا لا يرأب ، أرشد الشارع الى عدد من المسائل التى لواتبعها الزوجان ، وتمسك بها المجتمع ، لأدت الى التقليل من وقوعه ، ومنها :

١ ــ حسن العشرة والصبر على المرأة :

وفى هذا الصدد أحاط الاسلام عقد الزواج بسياج من القدسية والجلال بما يجعله متميزا عن سائر العقود ، وينزله فى النفوس منزلة المهابة والاكبار ، ولذلك وصفه القرآن الكريم بما لم يصف به أى عقد آخر ، قال تعالى : **« وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا » (١) .**

وليس بخاف ما يرشد اليه ذلك القول الكريم من نظرة الاسلام الى النكاح ، ولا يعقل أن يعتبره ميثاقا غليظا ، ثم يجعل فصمه بعد ذلك من الهنات الهينات ، ولهذا بغض الاسلام فى الطلاق ، وحث المسلمين على اتقائه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وعلى هذا النحو أمر الشارع سبحانه بالصبر على المرأة وحسن عشرتها .

ومن مقتضى حسن العشرة أنه لا ينبغى السير الى الطلاق لأسباب يمكن علاجها ، أو لأمور موقتة يمكن أن تتغير فى المستقبل ، ومنها : تقلب العاطفة .

فالاسلام يقرر أنه لا ينبغى أن يفكر الزوج فى الطلاق لمجرد تغير عاطفته نحو زوجته ، أو لمجرد عدم ارتياحه الى بعض أحوالها وأخلاقها ، والتى ليس فيها ما يمس الدين أو الشرف (٢) ، لأن العواطف متقلبة ، ولا يصح أن تبنى عليها أمور خطيرة تتعلق بكيان الأسرة ، فبغيض الانسان اليوم قد يكون حبيبه غدا ، والزوج ان كره من زوجته خلقا قد يجد فيها خلقا آخر يرتضيه ، وفى هذا يقول الله تعالى : **« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » (٣) .**

وقد روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لايفرك مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضى منها آخر » (٤) ، أى لا ينبغى للمؤمن أن يكره زوجته لخلق واحد لا يعجبه منها ، ويتغاضى عما بها من أخلاق أخرى فاضلة تعجبه .

وجاء رجل الى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه يستشيره فى طلاق امرأته فقال

(١) سورة النساء ــ آية ٢١ .
(٢) دكتور على عبد الواحد وافى ــ نفس المرجع ــ ص ٨١ .
(٣) سورة النساء ــ آية ١٩ .
(٤) رواه مسلم ، ومعنى « يفرك » « بفتح الياء واسكان الفاء وفتح الراء : يبغض ، راجع : « رياض الصالحين » للنووى ــ ص ١٤١ ــ دار الحديث .

له عمر : لا تفعل فقال ولكنى لا أحبها ، فقال له عمر ويحك ... ألم تبن البيوت الا على الحب ؟ . فأين الرعاية وأين التذمم ؟ » . وهو يقصد أن البيوت اذ عز عليها أن تبنى على الحب .. فهى خليقة أن تبنى على ركنين آخرين شديدين .

أحدهما : الرعاية التى تبث الرحمة فى جوانبها ، ويتكافل بها أهل البيت فى معرفة مالهم وما عليهم من الحقوق والواجبات .

وثانيهما : التذمم والتحرج من أن يصبح الرجل مصدرا لتفريق الشمل ، وتقويض البيت . وشقوة الأولاد ، وما قد يأتى من وراء هذه السيئات من نكد العيش وسوء المصير (١) .

واحسان العشرة من الزوج واجب عليه ، يقابله حق له على زوجته بحسن عشرته ، وهى من الزوج ليست خاصة بكفاية الزوجة من الطعام والشراب وصنوف الزينة ، كما أنها من الزوجة ليست قاصرة على اجابتها الزوج اذا دعاها . ولا أن تهيىء له طعام الغذاء والعشاء فقط ، وانما هى معنى ينبعث من قلب أحدهما الى قلب صاحبه ، مدفوعا بروح المحبة والمودة ، وروح الايمان بالمهمة المشتركة بينهما . والملقاة على عاتقهما فى تذليل سبل الحياة وتربية الأولاد وتدبير المنزل بما يضفى على الجميع متعة المادة ، وسعادة الروح(٢) .

٢ ــ وضع الأسس لحل مشاكل الأسرة :

ولم يترك الشارع سبحانه الأسرة المسلمة حتى تقع فريسة الشقاق لتنتهى الى الطلاق ، فأمر الزوجين عندما يحدث بينهما شقاق أو نفور أن يعملا على ازالته باثارة دواعى الرحمة والوئام ، وفى هذا يقول الله تعالى :

« وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (٣) .

حيث أرشد المرأة اذا خافت من زوجها فتورا فى العلاقة الزوجية ، وما تقتضيه من راحة واطمئنان أن تعمل على كسب قلبه بما تقدر عليه من وسائل الترضية المشروعة التى لا تمس خلقا ولا دينا ، وأن تتنازل فى سبيل ذلك عما جرت عادة الزوجات بالتمسك به من الرغبات ، وأن تحس بقدر ما تستطيع معاملتها له ، وتتقى تفاقم الشر بينهما ، وكم من كلمة طيبة أو اشراقة فى وجه أو ابتسامة فى مقابلة أو عدول عن رغبة يكون له الاثر الحسن فى عودة النفس الى صفائها ، والقلوب الى تلاقيها (٤) .

---

(١) دكتور على عبد الواحد وافى ــ نفس المرجع ــ ص ٨٢ .
(٢) « الاسلام عقيدة وشريعة » للامام الاكبر محمود شلتوت ص ١٧٩ ــ دار القلم .
(٣) سورة النساء ــ آية ١٢٨ .
(٤) « الاسلام عقيدة وشريعة » ــ ص ١٨٤ .

الاسلام وحقوق المرأة

تلك هى حالة خوف المرأة من نشوز زوجها ، وذلك هو توجيه الاسلام لعلاجها : أما اذا تطرق الشقاق الى قلب المرأة ودفعها للنشوز ، هنا أرشد القرآن الكريم الى أن النساء — أمام قوامة الرجال عليهن — منهن صالحات شأنهن القنوت ، وهو السكون والطاعة لله فيما أمر به ، ومن القيام بحقوق الزوجية ، والخضوع لارشاد الرجل ورياسته البيتية فيما جعلت له فيه الرياسة ، والاحتفاظ بالأسرار الزوجية والمنزلية ، التى لا تطيب الحياة الا ببقائها مصونة محترمة ، وهذا الصنف من الزوجات ، ليس للأزواج عليهن شىء من سلطان ، قال تعالى : « **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** » (١) .

اما غيرهن وهن اللاتى يحاولن الخروج على حقوق الزوجية ، ويحاولن الترفع عن مركز الرياسة البيتية ، بل على ما تقتضيه الفطرة النسائية السليمة ، فيعرضن الحياة الزوجية للتدهور والانحلال .

فقد وضع القرآن الكريم لردعهن ، واصلاحهن وردهن الى مكانتهن الطبيعية والمنزلية طريقين واضحين ، مألوفين فى حياة التأديب والاصلاح ، وكل أحدهما الى الرجل بحكم الاشراف والرياسة ، وصونا لما بينهما من الذيوع والانتشار حتى يسوى ما بين الزوجين من المشاكل أن يتسمع الناس (٢) .

ذلكم الطريق هو أن يعالجها بالنصح والارشاد عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، ثم بالهجر اذا لم يثمر الوعظ ، ثم بقليل من الايذاء البدنى اذا اشتد بها الصلف ، وأسرفت فى الطغيان ، وفى ذلك يقول الحق سبحانه : « **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** » (٣) .

حدود حق الزوج فى التأديب :

وينبغى أن يكون معلوما أن حق الزوج فى تأديب زوجته بهذا النوع من الايذاء البدنى الخفيف ، لم يكن هو كل ما شرعه الاسلام من علاج ، ولا هو أول ما شرع الاسلام من علاج ، وانما هو واحد من أنواع ثلاثة ، جاء آخرها فى الذكر ، كما هو آخرها فى الالتجاء ، فالتى يكفيها الوعظ بالقول لا يتخذ معها سواه ، والتى يصلحها الهجر نقف بها عند حده ، وهناك صنف من النساء معروف فى بعض البيئات لا تنفع فيه موعظة ، ولا يكترث بهجر ، وفى هذا الصنف أبيح للرجل نوع من التأديب المادى ، وجعله القرآن آخر الوسائل الاصلاحية التى يملكها الرجل ، وبذلك كان كالدواء الاخير الذى يلجأ اليه عند الضرورة .

كما أن الاسلام يستلفت نظر الرجل حين تضطره الظروف الى اللجوء لهذا النوع من

---

(١) سورة النساء — آية ٣٤ .

(٢) « الاسلام عقيدة وشريعة » — ص ١٨٢ .

(٣) سورة النساء — آية ٣٤ .

التأديب • أن يكون حكيما فى تصرفه ، حتى لا يفلت الزمام من يده ، ليعلم أنه وسيلة للاصلاح وليس أداة للهدم وأنه كالدواء الذى يشفى ، وليس كالسم الذى يقتل ، ومن ثم ينبغى أن يكون هينا لينا لا يصل الى حد ايذاء المرأة فى مشاعرها ، أو طعنها فى كرامتها ، والا فانه قد يدفع المراة الى زيادة التمرد وشدة النشوز •

وصدق رسول الله اذ يعلم الرجال حدود استعمال تلك الرخصة بقوله الكريم ، فيما رواه البخارى عن عبد الله بن زمعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ولعله أن يضاجعها » (١) • فقد دل هذا الحديث على جواز الضرب الخفيف الذى لا يصل الى حد الايذاء •

كما دل الحديث على علة النهى ، وهى أن ذلك لا يستحسنه العقلاء من الرجال فى مجرى تعاملهم مع زوجاتهم ، لأن الجماع لا يأتى الا مع ميل النفس وحسن العشرة ، والمضروب ضربا شديدا ينفر عمن ضربه ، بخلاف التأديب المستحسن فانه لا ينفر الطبع ولا يفسد الزوجة ، كما أنه يبنى ولا يهدم (٢) •

وفى هذا الصدد يقول صاحب سبل السلام : « ولا ريب أن عدم الضرب والاغتفار والسماحة أشرف من ذلك ، كما هو اخلاق رسول الله — صلى الله عليه وسلم •

وقد أخرج النسائى من حديث عائشة ، « ما ضرب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — امرأة له ولاخادما قط ، ولاضرببيده قط الا فى سبيل الله ، أو تنتهك محارم الله فينتقم لله » (٣) •

مزاعم خصوم الاسلام مستمرة :

ورغم أن التأديب المادى لأرباب الشذوذ والانحراف الذين لا تنفع فيهم الموعظة ولا يجدى فيهم الهجر ، أمر تدعو اليه الفطرة ويقضى به النظر السليم •

وقد جاء كما أرشد الهادى البشير — صلى الله عليه وسلم — ، على النحو الذى لا يجرح المرأة ولا يدمى مشاعرها ، على أساس أنه للبناء وليس للهدم ، ليكون هو البديل لتصرفات كثيرة غيره تطعن كرامة المرأة فى الصميم ، وجدير بالنظر العاقل أن يتدبر أن الامرين أحفظ لكرامة المرأة ، أن يهرع زوجها كلما وقعت فى شىء من المخالفة الى أبيها ، أو الى الحاكم ويفشى أسرار بيته ، وينشر ثوبها أمامه ؟ •

أتقبل أن تترك تسترسل فى نشوزها فتهدم بيتها وتشرد أطفالها أم تقبل بهدوء واطمئنان أن ترد الى رشدها بشىء من التأديب

(١) « سبل السلام » للصنعانى — ج ٣ ص١٦٥
(٢) « سبل السلام » — ج٣ — ص ١٦٥ وما بعدها •
(٣) المرجع السابق — ١٦٦ •

الاسلام وحقوق المرأة

المادى الذى لا يؤذى ولا يخرج عن المألوف فى اطار الاصلاح ؟ ومع وضوح الحق فى جانب الاسلام الا أن خصومه كعادتهم يرفعون عقيرتهم بالاسفاف والصراخ ، مهونين من مسلكه ، زاعمين أنه لا يتفق وطبيعة التحضر القاضى بتكريم الزوجة واعزازها (١) •

ويبدو من خلال ما أبدوه من ملاحظات أنهم قد انحرفوا فى فهم التأديب وأساءوا العلم به ، ولو أنهم نظروا اليه بعين الانصاف، لوجدوا أنه ينطوى على خير كثير للمرأة قد لا يتحقق الا به ، كما غاب عن ذهن هؤلاء أن الاسلام لم يكن لجيل خاص ، ولا لأقليم بعينه ، ولا لبيئة معينة ، وانما هو تشريع وارشاد لكل الأجيال ولكل الأقاليم ولكل للبيئات ولم ينظر الى هذا العلاج الأخير الا كما وضعه بعد الوعظ والهجر (٢) •

وقد أبرز القرآن الكريم الصنف المهذب من النساء اللاتى يترفعن بخلقهن ، وتربيتهن وايمانهن ، عن النزول الى درك المستحقات للهجر فضلا عن منزلة المستحقات للضرب ، وأفرغ عليهن من صفات الاجلال والتكريم ما يجدر بكل زوجة أن تعمل على التحلى بها والانطباع عليها ، ومن المؤكد أن كل تلك المعانى لا يرقى الى النيل منها لجاج خصم ، أو اسفاف حاقد على الاسلام •

وعلى المرأة التى أنصفها الاسلام ، والحق أن هؤلاء المتأففين من تشريع القرآن فى هذا المقام ليسوا الامتملقين لعواطف بيئة خاصة معروفة من النساء ، يتظاهرون أمامها بالحرص على كرامتها وعزتها ، وعلى أن تكون فى مستوى لا تعلق به الأبصار الا على نحو خاص (٣) •

فاذا ما اشتد الخلاف وتفاقم الامر بين الزوجين ، ولم يجد أحدهما سبيلا لاصلاح ما بينهما ، فمن واجبهما أن يقفا كل من الآخر على الحياد لا يشتط أحدهما فى ايذاء صاحبه ، ولا يتغالى فى اهانته وقهره ، ذلك واجبهما اذا لم يقدرا على غسل ما بينهما ، وتلافى ما فى نفوسهما ، وهناك واجب آخر على جماعة المسلمين ، هو حق للزوجين ، أو حق لأسرتهما ، وبالتالى حق للأمة على الجماعة التى تعمل فى سبيل الخير والاصلاح بين الناس •

وقال تعالى : « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا »(٤) ، والآية الكريمة ترشد الى أن الاصلاح بين الزوجين وان كان واجبا بوجه أخص على المسلمين ، فان وجوبه على

« البقية ص ١٣٤٤ »

(١) « الاسلام عقيدة وشريعة » ــ ص ١٨٢
(٢) المرجع والمكان السابقين •
(٣) « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ١٨٤ •
(٤) سورة النساء ــ آية ٣٥ •

ابن مسكويه

فيلسوف إسلامى يتحدث عن الموت

للدكتور محمد رجب البيومى

يعرف دارسو الفلسفة الأخلاقية فى الاسلام ، مكانة الأخلاقى المنطقى المفكر أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه أحد أعلام القرن الرابع الهجرى ، وهو قرن رزق الحظوة فى أبنائه النوابغ ، وأعلامه المشاهير ، اذ بلغ العقل الاسلامى فيه ذروة عالية ينبىء عنها ما ترك مفكروه من آثار رصينة فى الأدب والعلم والفلسفة والشعر .

وكان ابن مسكويه أحد هؤلاء العباقرة لأن انتاجه الفلسفى والتاريخى كان من نسق خاص يتميز به وحده ، فنظراته التاريخية فى كتابه الشهير (تجارب الامم) تدل على عمق وغور واتساع ، أما نظرياته الأخلاقية فى كتاب (تهذيب الأخلاق) فقد دلت على شخصيته أبلغ الدلالات ، واذا وجد بعض الغموض فى تعبيره فهذا شىء لا ينجو منه من يتعاطى المنطق ويكتب فى فلسفة الأخلاق، ولاندعى أن الرجل كان أديبا من الطراز الاول حتى نجعل أسلوبه نمطا للتعبير البليغ ، وحسبه أن أفصح عن ذات نفسه ، وذخيرة علمه فى آثار تعبق بأريج الفلسفة ، وهو أريج من نوع خاص لا يقدر على استنشاقه غير الفاقهين .

وقد جمع الرجل فى حياته الخصيبة الممتدة بين العلم والعمل ، اذ كان سلوكه نمطا فريدا لدارس الأخلاق الذى يحرص على نزاهة السلوك ، واستقامة السيرة ، ولابد أنه قد كابد كثيرا فى سبيل هذه الاستقامة ، اذ أن عصره السياسى كان مثار اضطرابات هائلة ، بين الحكام والوزراء وأرباب الحل والعقد ، فقد يلى الامر فجأة من كان خاملا مغمورا لينهج نهجا مخالفا لسابقه ، وليعصف بمن كانوا موضع استشارته وتنفيذه وأداة حكمه، ولابد لمن اتصل بهؤلاء السياسيين كابن مسكويه أن يحذر العواقب ، وأن يقدر لرجله موضعها قبل الخطو ، واذا استطاع النجاة فى هذا الخضم المضطرب فهو على حذق بصير !

ابن مسكويه

عهد أخلاقى

ومن أنفس آثار ابن مسكويه ما التزم به خلقيا فى سيرته المعيشية ، اذ كتب عهدا لنفسه يجعله نبراسا يهتدى به فى ظلمات عصره المتناقض الجياش ، وقد كان كثير المعاودة له ليطمئن على تنفيذ أوامره ونواهيه وتلك احدى الحيل الناجحة التى يقوم بها السلوكيون حين يلتزمون وجهة صعبة يخافون أن يحيدوا عنها، فهم يرجعون الى دستورهم الخلقى بين الفينة والفينة ليتأكدوا من نزاهة السير ، وسلامة الاتجاه وقد قال الفيلسوف فى مطلع عهده :

(هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد ربه وهو يومئذ آمن فى سربه ، معافى فى جسمه ، عنده قوت يومه ، لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ، ولا يريد بها مراءاة مخلوق ، ولا استجلاب منفعة ولادفع مضرة، عاهد على أن يجاهد نفسه ، ويتفقد أمره ، فيعف ويحكم وعلامة عفته أن يقتصد فى مآرب بدنه حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته ، وعلامة شجاعته أن يحارب دواعى النفس الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب فى غير موضعه ، وعلامة حكمته أن يستبصر فى اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شىء من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح نفسه أولا ، ويحصل من هذه المجاهدة ثمرتها التى هى العدالة).

ثم مضى العهد يتحدث عن ايثار الحق على الباطل والصدق على الكذب ، والخير على الشر ، والجهاد النفسى الدائم للبعد عن الشهوات ، ومحبة الجميل لأنه جميل والحرص على الزمن والاشفاق من الخطيئة وترك الخوف من الموت ، الى غير ذلك مما يستلزم ايضاحه كتابا مستقلا برأسه ، وبمراجعة حياته الطويلة كما كتبها مؤرخوه نجد أنه استطاع أن يلتزم بما قال قدر الطاقة فلم يؤاخذه أحد بزلة أو ريبة ، ولم يشتهر بغير ما دعا اليه من مسلك خلقى فى كتابه (تهذيب الأخلاق) ولم نر أحدا من الكاتبين حاول انتقاصه غير أبى حيان التوحيدى .

(رأى أبى حيان التوحيدى)

كان أبو حيان التوحيدى أبلغ كتاب عصره على الاطلاق ، وقد ظهرت كتبه الحافلة فى هذا العصر فأشارت الى قيمته الأدبية بما لا يقبل الانتقاص ، واذا كان قد عاش فى عصر ابن العميد والصاحب والخوارزمى والصابى والهمذانى وأضرابهم من أئمة البيان قد كان أحسنهم بيانا وأطبعهم أسلوبا ، وأعرقهم غوصا ، ولكنه لم يأخذ مكانه المطمئن فى حياته لأخلاق ترجع الى طبيعة التسرع والانفعال والمواجهة فى مسلكه : أو قد تحدث عن أكثر معاصريه لينتقصهم ، وكان ابن مسكويه بين هؤلاء الذين قسا عليهم أبو حيان حين قال عنه (انه فقير بين أغنياء ، وعيبى بين أبيناء وأنه بخيل شحيح) وهى صفات لا تصدق من طرف واحد ، وبخاصة اذا اشتهر قائلها بالتزيد المنفعل ، وقد يكون قوله (عيبى بين أبيناء) مما يرجع الى تعاطيه الفلسفة والتزامه بقيود المنطق ، لأن صاحب المنطق شحيح اللفظ كز التعبير ولا حيلة له فى ذلك حين يخضع

لظروف ثقافته وأذكر أن هذه العبارة (عيبى بين أبيناء) قد خفيت على الأستاذ حسن السندوبى فيما كتبه عنه فى كتاب المقايسات الذى قام بنشره منذ عهد بعيد فجعلها (غبى بين أبيناء) والصواب ما ذكرناه نقلا عن تصويب أحمد الزين •

الخوف من الموت

عرفنا أن ابن مسكوية قد عاهد نفسه أن يترك الخوف من الموت ، مع أن خشية الموت كالأمر الغريزى الذى لا حيلة فى دفعه ، ولاشك أن الرجل قد وقف طويلا عند هذا الحدث الهائل المخوف ، وأمعن فى تحليله منطقيا ووجدانيا حتى اهتدى الى أمور هامة عن الموت ، تحدث عنها باشباع وافاضة فى كتابه القيم (تهذيب الأخلاق) وسنحاول أن نجمل رأيه لنرى كيف استطاع أن يملأ قلوب الناس بالطمأنينة ، وكيف حاول أن يجعل هذا الحدث الهائل شيئا طبيعيا لا خشية منه ! والافاضة هنا أمر نسبى بالقياس الى فيلسوف كابن مسكويه ، لأن مثله فى التزامه بالتعبير المنطقى يحسب عباراته بالمليمتر والسنتيمتر ، وليس ممن يستفيض ويمتد ويجيش ويهدر كما نرى لدى فريق من معاصريه ،ولكل وجهة هو موليها •

يقول ابن مسكويه :

ان الخوف من الموت ليس يعرض الا لمن لايدرى ما الموت على الحقيقة •

أولا يعرف الى أين تصير نفسه •

أو لأنه يظن أن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور ، وأن العالم سيبقى موجودا وليس هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد •

أو أنه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى ربما تقدمته وأدت اليه ، وكانت سبب حلوله •

أو لأنه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت •

أو لأنه متحير لا يدرى على أى شىء يقدم بعد الموت •

أو لأنه يأسف على مايترك من المال والقنيات •

وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها) •

تلك هى الأسباب التى تجعل الانسان يخاف من الموت فى رأى الفيلسوف المفكر ، وهى أسباب حقيقية تجد مرآتها الصادقة فى نفوس الكثرة الكاثرة من الناس ، وقد أحسن الرجل احصاءها وسردها فى وضوح وتحديد ، وكان له أن يأخذ فى تحليلها تحليلا منطقيا ليرد عليها أبلغ رد بما وصل اليه من حل علاجى دقيق وهذا ما وفق اليه حين وقف وقفة موضوعية أمام كل سبب رآه ، وسنلقى بعض الضوء على ما اهتدى اليه من تشريح دقيق •

حلول ابن مسكويه :

يرى ابن مسكويه :

أن من يخاف الموت لأنه يجهل حقيقته عليه أن يعلم أن الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال أعضائها كما يترك الصانع استعمال أدواته ثم يذهب خارج المصنع ، فكذلك تترك الروح الجسم وتذهب لتعيش فى مكان آخر ، والروح جوهر لا عرض فهى غير قابلة للفساد كما يفسد الجسم بل انها تتخلص من كدر الطبيعة وتستعد للهناءة

ابن مسكويه

الدائمة فى عالم الخلود اذا قدمت الصالحات.

والذى يخاف الموت لأنه لا يعلم الى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه فهذا انسان لا يخاف الموت على حقيقته ، وانما يجهل ما ينبغى عليه أن يعلمه ، فالجهل اذن داعية الخوف ، ولابد أن يداوى الجهل بالعلم، والعلم يقول ان الانسان فى تعريفه الحقيقى حيوان حى ناطق ميت ، فالموت تمامه وكماله ، وبه تتحقق رسالته النهائية وهى الالتحاق بالرفيق الأعلى ، ومن علم أن كل مركب من جنس وفصل لابد أن يتحلل الى جنسه وفصله وأن جنس الانسان هو الحيوان الحى ، وفصله هو الناطق الميت علم — اذن — أنه لابد أن ينحل بعد التركيب ، وهذه حقيقة لابد أن يعرفها كل انسان وليس فى الدنيا أجهل ممن يخاف تمام ذاته وحصول كماله وذلك أن الناقص اذا خاف التمام فقد دل على جهله اذ كل عاقل يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله .

وأما الذى ظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى تتقدم الموت عادة فعليه أن يعلم أن الألم للحى فقط وهو الجسم أما المقابل وهو الروح فلا ألم له بعد فراق الجسم .

فاذا ذهبت الى الذى يخاف الموت من أجل ما يتوقع من عقاب على ما قدم فى الحياة من أخطاء فاننا نجده لا يخاف الموت فى حقيقته بل يخاف ما بعده ، وعليه أن يمتنع عما يغضب الله من ذنوب ، وأن يواصل ما يرضيه من حسنات وحينئذ يكون الموت مأمون العاقبة لدى نفسه، بل هو مما يشتهى لدى الصالحين من ذوى الاحسان والمروءات .

وأما الذى يخاف الموت لأنه يفقده ما ترك من الثروات والأهل والولد فعليه أن يعلم أن كل كائن زائل ، وأن الذى تركه لن يبقى أبدا.

هذه هى الردود التى أقنع بها الفيلسوف نفسه حين واجه الخشية من الموت مواجهة منطقية ، وقد شفع هذا التحليل بآراء فلسفية تنتهى الى أن الانسان كائن من الكائنات فهو فاسد لامحالة لأن كل كائن لابد أن يفسد ، ومن أحب ألا يفسد فقد أحب ألا يكون أصلا ، فاذا كان موجودا على الحقيقة فلابد أن ينتهى الى حده المعلوم ، ثم ختم الفيلسوف تحليله بقوله ملخصا :

(لقد ظهر ظهورا حسيا أن الموت ليس بردىء كما يظنه جمهور الناس ، وانما الردىء هو الخوف من الموت ، وأن الذى يخاف منه هو الجاهل به وبذاته ، أما الروح فجوهر لاعرض وهى باقية بعد الانتقال) .

هذا شىء من منطق الفيلسوف نجده مع أشياء كثيرة فى كتابه القيم (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) وهو كتاب يقرن بما كتب كبار الفلاسفة من آثار ، وقد عقدت مقارنات كثيرة بينه وبين ما كتب أفلاطون وأرسطو فى باب الأخلاقيات وهو بعد : تراث اسلامى حفيل .

د / محمد رجب البيومى

شعر وشاعر

يا أيها النبي

أنا مسلم

نجوى القمر

ألوان من الأدب النسائي

إطلالة على ديوان إشراقة

القبلة ونصف شعبان

يا أيها النبى

ما بال وجهك فى السماء يتقلب ... ولحاظك اليقظى تجىء وتذهب
هل فى فضاء الكون ترصد آتيا ... أم فى فؤادك عند ربك مطلب ؟
أهناك موعدة وعدت بها فأنت لها على أبوابه تترقب ؟
ماذا أهمك ياحبيب الله من ... أمر ، وان لك الخوارق توهب ؟
ان الذى أوحى اليك بدينه ... لهو الكفيل بما تحب وترغب
ما جال فى أحناء صدرك خاطر ... الا وكان به لدينك مأرب
وخواطر الرسل الكرام من الحقيقة ومضها ، ليست بروقا تخلب
أتريد يانور البصائر قبلة ... وسطا لأوسط أمة تتحزب ؟
فى الخير تجمع أمرها لا تعتدى ... لكن تصد المعتدين وترهب
وتقوم شاهدة على أمم الورى ... بالعدل والقسطاس لا تتنكب
فرسالة الاسلام توجب قبلة ... مخصوصة تعزى اليه وتنسب
يهفو اليها قلب كل موحد ... ان مشرق قد ضمه أو مغرب
تتعانق الأرواح عند رحابها ... وتعب من نبع الصفاء وتشرب
الله فى كل الجهات سبيله ... لكن توحيد التوجه مذهب

للاستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

لك يامحمد ما تشاء فانه الهام ربك فى فؤادك يسكب
فالكعبة الغراء منذ اليوم قبلتك التى هى للحنيفة أنسب
أرسى قواعدها الخليل بأمر ربك والذبيح وانه نعم الأب
لتكون مأمن خائف وملاذ عبد قانت من ربه يتقرب
وتكون قبلة أمة قد أخرجت للناس نورا شمسه لا تغرب
ورثت رسالات السماء فدينها من كل أديان البرية أرحب
أشفى على الدنيا بأحكم شرعة للعالمين معينها لا ينضب
تهدى السعادة والرشاد لعالم يشقى بما شرع الهوى ويعذب
فى ظلها يجد السكينة مخبت ويبوء مزدجر النوازغ مذنب
فهى الجديرة بالتميز مثلما يمتاز فى داجى الظلام الكوكب
ياليت من جنحت به أهواؤه عن نهج ملته يفىء ويقرب
ليحس عند القيظ أن مظلة الاسلام كم تحنو عليه وتحدب
هل كان الا رحمة قدسية للناس ان لاذوا به وتأدبوا

أنا مسلم

للأستاذ أبو زيد ابراهيم سيد

قلها فأنت ـ مدى الزمان ـ الأعظم ... واملأ بها سمع الورى أنا مسلم
أنا قمة شماء لاترقى لها ... شمس السماء مكانة والأنجم

أنا غصن زيتون ونبع سماحة ... بالحب والايمان قلبى مفعم
أنا مورق بالنور قلبى ما رأى ... للحقد ظلا فهو سم أرقم

أنا لم أرم يوما عداء أو أكن ... أشدو على سيل الدماء وابسم
كنت الصباح بشرعتى وعقيدتى ... وهدى النبى بمهجتى يتجسم

والغرب يشهد كيف كنت صباحه ... وحياته الصماء ليل مظلم
وسكبت أنوار المعارف باعثا ... عقلا له فى جهله يتألم

وفرشت بالنور الوضىء دروبه ... فصحا لأضواء العلوم يلملم
وبنيت جامعة المعارف والنهى ... والغرب تلميذ بها يتعلم

فسل الذين تشدقوا بحضارة ... فى عصرنا الذرى هذا : من هم ؟
صاغوا عيون الأبرياء تمائما ... وشدوا على سيل الدماء ورنموا

واذا رأوا نور الصباح بأمة ... خنقوا بنيها بالدمار وكمموا
قتل الشعوب لديهم حرية ... واذا صحا شعب فهذا مجرم

وتفننوا فى المهلكات كأنما ... لهم النعيم وللشعوب جهنم
الوحش فى الغابات يرحم جنسه ... أما بنو الانسان لما يرحموا

ان الحضارة لم تعد فى عرفهم ... الا الدمار لكل شعب ينعم
الله أكبر لا نجاة ولا هدى ... الا بشرع الله فهو الأعظم

نجوى القمر

للدكتور عزت شندى موسى

كم دار حولك مجلس السمار — وسمت اليك مسارح الأفكار
ورنت لنورك فى الظلام محاجر — وهفت اليك لواحظ النظار
وسرى بهديك فى الفلاة مسافر — فبقيت هدى الرحل فى الأسفار

* * *

يا بدر قد آذوك حين تطاولوا — وسموا الى مسراك فى اصرار
فجعوا الألىعشقوا سناك وشوهوا — مذكى الخيال ومنبع الاشعار
بل دنسوا طهر الفضاء وعكروا — صفو الضياء ومرتع الأطيار

* * *

يا أيها الرواد كيف لحقتمو — قمر السما ٠٠ فى ليـة ونهار ؟!
بل كيف حلقت (السفينة) مثلما — نسر يحلق دون أى عثار
ماذا سمعتم عنده ٠٠ هل أطربت — أسماعكم ورق وشدو هزار
ولى زمان العير دون توقف — وبآثره ٠٠ ولى زمان بخار
وستسرع الدنيا على عهد بها — وسينقضى منها زمان قطار
ونرى محطات الفضاء كأنها — فى الجو قد حلت محل مطار

* * *

هل آمن الرواد لما شاهدوا — صورا بدت من قدرة الجبار
الله رائدهم ونبع علومهم — ونجاحهم قدر من الأقدار
لو شاء لم تثبت بغير حواجز — بين الرياح الهوج والاعصار
آمنت أن الكون دان لخالق — رب الشموس ومبدع الأقمار

* * *

يا أيها القمى خذ لى ملجأ — بذراك ٠٠ ينجينى من الأكدار !

موكب الربيع

ملأ الأفق بهجة وبهاءا — وكسا الأرض زينة ورواءا
موكب ضاحك المباسم طلق — يتهادى من حسنه خيلاء
طاب اصباحه فراق صباحا — وصفا ليله فرق مساء
باكرت راحه الطيور فراحت — تفعم الدوح فرحة وغناء
وتناجت به الخمائل سكرى — شربت من رحيقه الأنداء
وكأن الربا عرائس هبت — من كراها تطارد الاغفاء
فتنة تجتلى ، وظل ظليل — وعبير يعطر الأرجاء

***

موعد للمنى يفيض رغابا — وشباب يجدد الأحقابا
كلما روع الزمان متشيب — عاد فى ظله الزمان شبابا
هو روح تنساب فى كل شىء — نفسا عاطرا ولحنا مذابا
وحياة تدب فى الأرض حتى — كاد أن يفصح الجماد الخطابا
لبست من بروده حالى الوشى — وحاكت خميلة جلبابا

للدكتور حسن جاد

روضـــة للأرواح تســـتاف رياها   وســـــاق يشـــعشع الأكـــوابا

***

عـــاد آذار كالضـــحى اشـــراقا   يتـــرع الكأس للنـــدامى دهاقا

عبقـــر الفن يلهم الشـــعر علويا   فيطـــوى خيـــاله الآفـــاقـــا

ولقـــد أيقظ المشـــاعر حبـــا   وحنينـــا ، وجـــدد الأشـــواقا

يســـكر الروح والنواظـــر مـــرآه   كما أســـكر النـــدى الأوراقا

هام قلبى فى أفقـــه الطلق نشـــوان   يبـــارى طـــير الروابى انطـــلاقا

***

لا أحس الربيـــــع الا بنفسى   مجتلى بهجـــة وجـــلوة عـــرس

وبـــروحى أراه لا بعيـــونى   مطلعـــا للمنى ومشـــرق شـــمس

ما الربيـــع الضـــحوك الا أمـــان   مشـــرقات تجـــلو غيـــاهب يأسى

وعبـــير تهفـــو به نســـمات   ان ســـرت فتحت مغـــالق نفسى

ألوان من الأدب النسائي

الشاعرة روحية القليني

٢

بقلم: ...

ولنأت اليوم الى الشعر الوطني عند الشاعرة الراحلة روحية القليني .. حقا ان الشاعرة كثيرا ما عبرت بأصالة عن أحاسيسها الوجدانية ، وترجمت عواطفها الذاتية ، وانشغلت بأمور دنياها الخاصة في أحزان وحدتها ، ولكنها أبدا لم تنس أنها مواطنة مصرية صميمة ، تحيا فوق أرض عزيزة غالية ، تتأثر بأحداثها ، وتشعر بآلامها وآمالها ، وتحارب بالكلمة الضعف اذا وجد ، والتردد ان بدا ..

شعرها في هذا المجال يعد رسالة هادفة أمينة ، تهدى الى كل مواطنة عربية في شتى أنحاء العالم العربي .

ولم يخل ديوانها من القصائد الوطنية ، متفانية في نظمها للتعبير عن مشاعرها الفياضة ، لوطنها : مصر الخالدة .

فكتبت عن عيد الجلاء ، وقد تحررت مصر من نير الاستعمار ، ونظمت مشيدة بالسد العالي ، ولهجت بالثناء على (بورسعيد) في وقفتها البطولية ابان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ .

واتسع شعرها حتى شمل الأمة العربية كلها ، بأحداثها الجسام ، خلال مذابح الجزائر ، ونضالها المستميت .. وأرادت أن تضمد بكلماتها الرقيقة جراح فلسطين الطيبة وكانت حين ترى المحتل الغاصب يدوس بقدمه أرض مصر ، وطنها الطاهر ، تسرى في عروقها دماء الوطنية المقدسة صارخة مدوية ، فتعبر عن انفعالاتها بعمق وصدق احساس ، فتستشعر عاطفة الأمومة — التى حرمت منها ولم تذق بشرياتها — فتهتف في قصيدة : « الى الميدان ياولدى » من ديوانها « لك أنت » (١) :

(١) ص ١٠ .

بقلم الشاعرة جليلة رضا

الى الميـــدان يا ولـــدى
الـى الميدان يا ولـــدى
فمـن لـلأرض يحميهـــا
ســوى الأبطــال والأسد
ومـن أغلى لـــدى هنـــا
لأهـــديه الـى بلـــدى
اليـك اليك يـا وطنـــى
أقـــدم كـل مـا بيـــدى

ثم تقول ، وقـد تملكهـــا احســـاس حقيقى ، أن لها ابنا بالفعل ، تناجيه ، وتقول :

ســأطوى الشــوق فى قلبى
ومـــا قلبـى لـك الســالى
ودمعـــاتى أهـــد هدهـــا
بببيتى المـــوحش الخـــالى
وادعـــو اللـــه لى صـــبرا
علـى همـــى وبلبـــالى
برغم الحب يـــا ولـــدى
وهبتـك للحمـــى الغـــالى

ويشطح خيـــالها ، فتتفرس فى نجلها الذى يسوقه اليها الخيال الجامح ، فتقـــول :

رعـــاك اللـــه فى دنيـــاك
يـــا ســـر ابتســـاماتى
قضـــيت العمـــر ، كـل العمـر
، أحـــلم باســـمك الآتى :
طبيـــب أو محـــام أو
... وتغمـــرنى خيـــالاتى
فأذكـــر أن لـــى وطنـــا
ينـــادينى داعيا : هات

وفى قصيدة « الأم العربية » من ديـــوان « أنغام حالمة » (١) تقـــول الشاعرة ، عـلى لسان أم مصرية قد أعدت أبناءها للذود عـن الوطن :

أحب بـلادى ملء قلبى وخـــاطرى
ومن أجل حبى كم سهرت الليـــاليا
ســهرت أعـد الجيـلَ بأســا وقـــوة
أعد رجـــالا .. كى يصـــونوا تراثيـــا

وترى المستعمر الغاشم وهو يستمتع بخيرات مصر وأرضها الغنية .

بينما الشعب ينضور جوعا وبؤسا ،فتحتج رافضة مستنكرة على لسان الوطن .

حرام ســـمائى أن تظــل أعـــاديا
حـــرام عليهم ماؤنـــا العذب راويـــا
وقـــومى جيـــاع رغم خـــيرى ونعمتى
وأعـــداء قـــومى يســـتغلون زاديـــا

ثم لا تلبث أن تقـــارن بين ذاك المـــاضى المظلم ، والحاضر المشرق ، والمستقبل المأمول، بعد استقلال الوطن :

لقـــد كنت أمشى والجنـــاح محطم
وقد مـــلأ الـــدمع السخين المآقيـــا

(١) ص ٨٩ .

وأبعث آهاتي فتحرق أضلعي
وأطرق من ذل وقد جل مابيا
سأبني حياتي من جديد كجنة
تظل بأفنان الجنان « عياليا »
أعيد لعشي دفئه وحنانه
وأبعث فيه نغمة الحب شاديا

وتترك الشاعرة وطنها يخاطب الجزائر — الوطن الشقيق — في محنته القاسية ابان كفاحة للاستعمار الفرنسي . مشيدة ببطولته ، في قصيدة : (بنت الجزائر) بديوان « أنغام حالمة » تقول :

أنت الشقيقة ملء قلبي حبها
فاذا ألم السوء هز خيانها

وتقول :

واذا سعدت تفتحت نفسي رضا
حالي وحالك في الأسى سيان
عربية قومية وطنية
قاسيت ، ما قاسيت ، من عدوان

بنت الجزائر قاتلت مثل الفتى
وتذرعت بالصبر والايمان
و « جميلة » مثل البطولة والفدا
فاقت بطولتها قوى الشجعان

كم عذبوها كي تبوح بسرها
فأبت وظل السر في الكتمان
قالت لهم — مهما يطل تعذيبكم
سر البلاد أصونه بجناني

من يبغ سوءا .. سوف يلقي حتفه
بيد الأباة محرري الأوطان

وروحية التي لم تنجب أبناء قط ، ولم تكن يوما ما أما ، اكتوت بنيران الحرب ، وفقدت ابن شقيقتها الأثير لديها ، وكانت تعتز به وتعده ابنا لها ، بل وأكثر من الابن ..

ولذلك عاشت من بعده بقية حياتها لا تكف عن ذكراه والبكاء عليه .

المناسبات

وقد نظمت الشاعرة روحية القليني الكثير من قصائد المناسبات ، ولكنها في كل قصيدة من هذا النوع كانت جادة صادقة ، مع نفسها ومشاعرها .. ولست أنسى مطلقا عندما كانت تكرر على سمعي هذين البيتين من الشعر ، وهي تتمثل بقول الشاعر الراحل (محمد الأسمر) :

أراني حينما أدعى لمدح
كمن يدعى ليوضع في القيود
لعمرو أبيك لست مع القوافي
أُلَعِّبُهـا كتلعيب القرود !

ولذا اقتصر شعر المناسبات عند روحية على أفراد محدودين . ومناسبات خاصة . وظروف قاهرة .

فكتبت ترثي الناقد الدكتور محمد مندور ، موجهة شعرها عنه الى السيدة الشاعرة ملك عبد العزيز زوجته . وهي صديقة حميمة لروحية القليني :

« مندور » هل ودعتها قبل السفر
وهل استعدت للفجيعة والقدر
هل قلت : يامـلك العزيزة كفكفى
دمع الشجون ، فلا سبيل الى الحذر
أنا راحل فاطوى جناحى رقة
حول الصغار وكفكفى تلك الدرر
أنا قد تركتهم حديثا لم يزل
يسرى بسمع الكتب كالدرر انتثر
قد عشت فى دنيا النهى لرسالة
سيرى على نهجى مباركة الأثر

وحينما انتقلت والدة الشاعرة الى رحمة الله . فى وقت كانت روحية فيه فى أشد الحاجة اليها .

فهى أولا : أمها الغالية الحبيبة ، التى تضفى عليها من معين الحب والحنان والأمومة، ما يعوض الشاعرة عن وحدتها القاسية .

وهى ثانيا ، مؤنستها الوحيدة بعد أن تفرق الأشقاء كل فى سبيل. فبكتها روحية وحزنت عليها حزنا قاسيا ، ولولا ايمانها الراسخ ، لفقدت كل أمل لها فى الحياة .

والشاعرة فى قصيدتها (أمى) (٢) تسرد كل خطوة ونبضة وكلمة حدثت ليلة الفجيعة ، ثم تعود فتتساءل : كيف تحتمل العيش بدونها ؟! ذاكرة أعواما مضت كانت جوارها آمنة مطمئنة تحت جناح الأمومة الوارف .

والقصيدة — وان طالت — تستحق أن نقف عند بعض أبياتها ، وخاصة فى البدء ، حيث تذكر ليلة المصاب ، وتتساءل : كيف تنسى هذه اللحظات الرهيبة ، وكيف غابت هذه الروح الطيبة ، وكيف لن تعود ..

من ذا سيؤنس وحدتى
من بعد فرقتك السريعه
ويضمنى بالساعدين
بنظرة الأم الوديعه
من ذا سينزع منخيا
لى ليلة الموت المريعة

يوم استرد الله جل
جلاله أغلى وديعه
كم من ليال حالكا
تٍ كنت فى ليلى .. شموعه

رُدِّى .. أهنت عليـ
ـك يا أمى فآثرت القطيعه ؟

ومن منا لا ينفطر قلبه حزنا ، حينما تنساب عبراتها شعرا ، فتقول :

ودخلت حجرتك الحبيبة
علنى أحظى بكلمه

لم ألق الا وحشة
لم ألق فيها غير ظلمه

وبقية من عطر رُو
حِك هدهدت فى القلب همه

◄

---

(١) كتاب العقاد عن اللغة العربية الذى يحمل عنوان اللغة الشاعرة .

(٢) ديوان (لك أنت) ص ٨٩ .

فســـــألتها أين الحبيـــــــــــ
ـــــة هـل قضـت دينـا وذمـة

قــالت : أجـل بعـد الصـلا
ة ٠٠ وقـد قضـــت لله صــومه

راحت بشـهر الصـوم والـــد
عوات ٠٠ للرحمـــن حكمـــه

راحت أعـــز عـلى مـــن
نفسى ، قضـى الخلاق حكمـه

وتغرينا روعة هذه القصيدة الطويلة ، على قطف المزيد من جمالها ، وخاصة حين تقول فى المقطع التالى :

كـم كنت أهـــوى البيت ،
أسرع – يا الهى – كى أراهـــا
فى كـل ركـن كـان نبـــع
عطائهـــا ونـــدى نـــداها
أعبــــــاء يـــومى كلهـــا
كـم هدهدتهـــا راحتـــاها
ودمــــــوع عـينى ثـــرة
بالعطف كـم مسـحت يـــداها
أنــــــا لا أطيـــق البيت
أدخله ٠٠ ولا ألقى سناهـــــا

وفى اعتقادى أن هذه القصيدة من أجمل ما نظمت الشاعرة ، وربما تكون أجمل قصائدها وغرة شعرها كله ، فهى واضحة كل الوضوح، صادقة كل الصدق ، معبرة كل التعبير ٠٠ وهى أرق قصائد الشاعرة رغم ما بها من حزن وشجن ، نبعت من أعماق القلب ، على أحن قلب ٠٠ واستطاعت بها الشاعرة أن تكشف عن أدق خلجاتها ومشاعرها ، ببراعة واتقان ٠ رحمهما الله ٠

(يتبع)

(جليلة رضـا)

اطلالة على ديوان اشراقة

للتيجانى يوسف بشير
شاعر السودان

بقلم : أحمد مصطفى حافظ

وقعت لى نسخة من ديوان (اشراقة) ، اثناء تنقيبى بمجموعة من ذخائر الكتب الأدبية القديمة لدى أحد الوراقين .. فأحسست بفرحة غامرة ، للعثور على هذا الكنز الأدبى الثمين ، الذى يحوى بين دفتيه طاقة من أعذب الشعر الجمالى وأرقه، لشاعر شاب ، اخترمته المنية وهو فى عمر الزهور ، بعد أن تجاوز عامه الخامس والعشرين بقليل كأنداده الأفذاذ : أبى القاسم الشابى ، وكيتس وطرفة بن العبد .

كان شاعر السويس الراحل ، السودانى الأصل ، « محمد فضل اسماعيل » ، قد حدثنى مرارا عنه .. وكان يروى الكثير من شعره ، باعجاب واكبار ، اذ كان يعتبره شاعر السودان الأكبر ، والمجدد الأول فى أخيلة الشعر السودانى وصياغته فى الثلاثينيات » .

وراعنى هذا الاهداء البليغ الذى خطه يراع التاجر السودانى الأديب على البربر ، الذى تولى طبع الديوان على نفقته الخاصة ، عام ١٩٤٢ ، وفيه يقول :

« الى شعره الخالد ، وليس كل الشعر ترويه القرون .

الى روحه الطيب الطاهر ، وهو بين حنايا الخلد ، ومسارب النعيم .

الى نفسه الكبيرة النبيلة ، أهدى اليها خلجاتها ، ونفثاتها ، وعبيرها ورفيقها : (اشراقة) ..

كالبحر يمطره السحاب .. وماله
فضل عليه .. لأنه .. من مائه

وكان الأستاذ الأديب محمد محمود جلال، نائب بنى مزار ، قد زار والد الشاعر بالسودان ، بعد سنوات من وفاته ، ورجاه أن يأذن له بطبع الديوان ، فأجابه الى طلبه وكان الشاعر قد قام بجمع قصائده ودونها بخط يده فى كراسة صغيرة ، الا أن شظف

إطلالة على ديوان إشراقة

العيش حال دون تحقيق أمنيته بطبع ديوانه (اشراقة) فى حياته ، فتركه مخطوطا ، بعد أن قضى نحبه مصدورا عام ١٩٧٣ .

وكان الشاعر السودانى الكبير الأستاذ مبارك ابراهيم قد قام بنسخ صورة من الديوان ، باذن من والد الشاعر الراحل أيضا ، وتدمها الى الدكتور ابراهيم ناجى ، ليقوم بقراءتها واعداد مقدمة للديوان .. وعلى الرغم من شدة اعجاب ناجى بشعر التيجانى ،وتسلمه نسخة الديوان المخطوط عام ١٩٣٦ من الشاعر المبارك — أى قبيل عام من وفاة التيجانى ، الا أن الدكتور ناجى لم يقم بكتابة المقدمة .

وفى حديث للدكتور ناجى فى حفل احياء ذكرى التيجانى يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٦ ، يقول :

« منذ بضع سنوات زارنى أحد أصدقائى الشعراء الممتازين « أى الأستاذ المبارك ابراهيم » ومال على وسلم الى كراسة صغيرة فيها شعر مخطوط ، وهمس فى أذنى أن فى الكراسة شعرا نادرا فأخذتها منه ، وفى نفسى ارتياب .. ولكننى ماكدت أقرأ بيتين ، حتى أغلقتها باحترام أغلقتها الى حين ، منتظرا أن أخلو بها ، وليس بيننا ثالث . وفعلا خلوت بها ذات ليلة الى مطلع الفجر .. وتكررت هاته الليلة .. أجل أو تكررت .. والشعر العبقرى كالغانية العبقرية الجمال ، متعة وسحر ، ودوار وخيال ، وظمأ ثم رى ، ثم ظمأ .. وسفر مع النجوم ، وانتقال الى اللانهاية ، ورحيق لا ينسى ، وعبق ينصب فى ذاكرة الروح » الى أن يختتم كلمته بقوله : « وصدر ديوان اشراقة ، ثم بزغ ، ثم اختفى وتخاطفته أيد قليلة ، ثم لم يعد له أثر .. (١) » .

هذا ولا شك أن التيجانى قد تأثر فى نشأته الأولى بالدعوة التجديدية التى دعا اليها الشاعر السودانى « حمزة الملك طنبل » ، نائب مأمور مركز بارا بمديرية سنار بالسودان ، الذى يكبر التيجانى بخمسة عشر عاما ، وقد بدأ فى أواخر العشرينيات يدعو الى نبذ التقليد ، والصدور عن عمق التجربة .. وذلك بالمقالات التى كان ينشرها بجريدة (الحضارة الخرطومية ، سنة ١٩٢٧ ، وأتبع القول بالعمل ، اذ أصدر ديوانه :

(الطبيعة) عام ١٩٣١ ، الذى يشتمل على ما نظمه خلال الفترة من ١٩١٦ حتى ١٩٣٠ ، ويقول فى مقدمته انه « مجموعة صور ، لا مجموعة قصائد ، بعضها لما تقع عليه العين فى الأرض والسموات ، وبعضها لما تختلج به النفس من مختلف الاحساسات » .

وعلى الرغم من أن « حمزة الملك طنبل » قد عاش ٦٣ عاما ، اذ توفى بأسوان عام ١٩٦٠ ، الا أن موهبته الشعرية كانت دون موهبة التيجانى ، فقد خلصه حدسه الفنى —

---

(١) أنظر مجلة الخرطوم عدد يوليو ١٩٦٧ مقالا بعنوان (ديوان اشراقة) للأستاذ سليمان الكشة .

أى التيجانى – من ركاكة التجربة عند الرائد الأول ، حمزة الملك طنبل ، كما تقول الدكتورة سلمى الخضراء فى مقالها « تطور الشعر العربى فى السودان » بعدد ابريل سنة ١٩٤٦ من مجلة (الخرطوم) .

وصفوة القول أن قارىء ديوان التيجانى يجد نفسه ازاء عالم حافل بالنزعات النفسية الجياشة المتدفقة ، ولا يملك الا أن يتجاوب مع شعره الرقيق ، ونفسيته القلقة المعذبة .

واذا أردنا أن نستخلص ظروف التيجانى المعيشية ، نجد أنه لم يكن على نصيب كاف من الثراء ، وربما كان الأدنى الى الصواب أن نسلكه فى عداد الفقراء ، أو فى عداد أوساط الناس ويتضح ذلك من قوله :

مابى ثراؤك من ذخر ولا مال
فاستبق دنياك حسبى كنز آمالى
مابى شقيت ومابى أن نعمت وما
بالقلب زهو الغنى .. أورقة الحال

الا أنه ما يلبث أن يفىء الى نفسه معتدا بها ، فيقول :

دنياى – وهى من الدنيا على نفسى
أثرى من التبر أو أسمى من المال

ويستعطف الناس أن يدعوه وشأنه ، لعالمه الخاص ، الذى يلتمس فى رحابه العزاء :

فليتركوا الى أحلامى وما نسجت
حولى من الضنك ان لم يرضهم حالى

بل انه يصرح بفقره ، حينما يقول فى قصيدة أخرى :

سما بالهوى فقرى ، ومن لك بالهوى
سماوى معنى .. كله أبدا نبل (١)

وبمناسبة حديثه عن الحب ، نلاحظ فى شعره أنه لم يتحدث عن حبيبة بعينها يناجيها ويبثها هواه ، وانما كان حديثه كليا شاملا الحب كرمز ، بشتى أسراره وأغواره ، أى أنه كان يحب الحب للجمال على اطلاقه ..

ونراه فى قصيدة (نفسى) – يختتمها بمخاطبة (الشمس) بقوله :

قلت : سيرى على أسرة قومى
واستحرى على مضاجع رهطى
أنا جراءهم سهرت ليستغشوا
ومن أجلهم أصيب وأخطى

أى أنه فى عزلته عن قومه كان لا يزال مشغولا بهم ، لا يكف عن التفكير فيهم ، وشأنه فى ذلك كشأن الدكتور ناجى حينما جرب الوحدة ، واذا به يهتف ملتاعا :

ياوحدتى جئت كى أنسى وهنذا
مازلت أسمع أصداء وأصواتا
مهما تصامت عنها فهى هاتفة :
يا أيها الهارب المسكين : هيهاتا

ومهما يكن من أمر ، فان التيجانى لم يكن مقلدا لغيره ، أو مزيفا لأحاسيسه ، وانما كان ذا شخصية واضحة مستقلة ، بارزة القسمات والملامح .

والشاعر العبقرى هو الذى يعطينا خير

◄

(١) البيت من الطويل . (مجله الازهر) .

◀ إطلالة على ديوان إشراقة

ما عنده ، ويعبر عن أصرح وأدق ما يتراءى له ، بصدق وعمق .. فهو – أى الشاعر – اذا أتيح لسائر أفراد المجتمع الذى يعيش فيه (منظار) عادى ، كان هو وحده الذى يملك « الميكروسكوب » ! .

والتيجانى ، بقصر عمره ونباهة شأنه ، يؤكد لنا صدق المثل الانجليزى القديم :

A Poet is born and not made

(يولد الشاعر ولا يصنع) ..

وقد وفق التيجانى الى تصوير العواطف الانسانية ، التى تنتظم الانسان فى كل زمان ومكان ، بشاعرية فذة تتخطى العصور والدهور ، لتبقى دائما باهرة متألقة ، ممهورة بالخلود ! .

ونشأة الشاعر موجزة للغاية ، اذ لم يتح لنا قراءة ترجمة شافية لحياته ، فقد ولد فى أم (درمان عام ١٩١٢ فى أسرة دينية تنتمى الى الطريقة التيجانية ، وتلقى تعليمه بخلوة الكنانى ، ثم بالمعهد العلمى بأم درمان .

**

ويصور فى قصيدة (الخلوة) ما عاناه من عنت وتزمت ، عاقا انطلاق الطفولة وسرائها ، يقول :

هب من نومه يدغدغ عينيه
مشيحا بوجهه فى الصباح
حنقت نفسه وضاقت به الجلة
واهتاجه بغيض الرواح
وأهابت به الظلال وقد نشرن
فى جلوة القرى والبطاح

الى أن يقول متحسرا :

طوفت فى خياله ذكريات الرو
ع ، واعتاده مطيف الجماح
ومشى بارما يدفع رجليه
ويبكى بقلبه الملتاح
ضمخت ثوبه الدواة وروت
رأسه ، من عبيرها الفياح !

ثم يصف موقفه من (شيخه) ، بقوله :

ورمى نظرة الى شيخه الجبا
ر مستبطئا خفى المناحى
نظرة فسرت منازع
عينيه ونمت عما به من جراح

الا أن الأمر يختلف بالنسبة لفترة طلب العلم بالمعهد العلمى ، اذ يذكرها بكل خير ، فيقول :

اليوم يدفعنى الحنين فأنثنى
ولهان مضطربا الى أعتابه

سبق الهوى عينى فى مضماره
وجرى وأجفل خاطرى من بابه
ودعت غض صباى تحت ظلاله
ودفنت بيض سنى فى محرابه

الا أن ما حصله من تعليم منظم ، ليس هو الذى صاغه وأعده ليقفز بالشعر السودانى تلك القفزة الرائعة بين سائر أقطار العروبة ، وانما الفضل الأول يعود الى اطلاعه الواعى الواسع ، على أرقى النماذج الشعرية الرومانتيكية والكلاسيكية ، المؤلفة والمترجمة فى مصر والشام والمهجر العربى .. واستعداده الفطرى لاستيعابها وتمثلها .. بالاضافة الى الموهبة الممتازة التى أنعم الله بها عليه وعلى وطنه الحبيب السودان .. فكما أنه لكل روضة معطارة ، بلبلها الصداح ،

ولكل زمان دولة وأفذاذ ، فكذلك بيئة السودان الساحرة أوحت لشاعرها التيجاني من صور التعبير ما أهله لكي يأخذ مكانه بين كبار شعراء العربية المعاصرين ، بسائر أقطارها ، وخاصة بشعره الجمالي الذي صور به مجالي الطبيعة الساحرة من حوله ، كما جاء بقصيدته (قطرات) :

قطرات من الندى رقراقة
يصفق البشر دونها والطلاقه
ضمنتها من بهجة الورد أفوا
ف ، ومن زهرة القرنفل باقه
نثرت عقدها أصابع من نو
ر ، ترسلن خفة وأناقه

أما النيل العظيم فقد وقف الشاعر أمام عظمته خاشع الطرف والقلب ، ولم يملك الا أن يخاطبه بقوله :

أنت يانيل ياسليل الفرا
ديس نبيل موفق فى مسابك
ملء أوفاضك الجلال فمرحى
بالجلال المفيض من أنسابك
حضنتك الاملاك فى جنة
الخلد ورقت على وضىء عبابك

الى أن تتفق له هذه الصورة الحية ، بقوله :

مخرتك القرون تشمر عن سا
ق بعيد الخطى .. قوى السنابك
يتوثبن فى الضفاف خفافا
ثم يركضن فى ممر شبابك

وكذلك شانه حينما يتحدث عن عاصمة بلاده الخرطوم :

مدينة السحر مراح العجب
ومغتدى الأعين الساحره
تنام فيها حجرات الذهب
على رياض نضرة زاهرة
أضاءها الفجر .. فلما غرب
أضاءها بالأنفس الناضرة

وقد كان لمصر لديه منزلة خاصة ، لمساندتها للسودان أثناء كفاحه الطويل ضد الاستعمار ، ولوجود مناهل العلم والثقافة بها ، التى كان يطمح الى أن يعب منها حتى يرتوى ، ولكن الاستعمار حال دونه ودون الكثيرين من مثقفى أبناء وطنه ، من السفر اليها ، مما جعله يطلق هذه الزفرة الحارة :

عادنى من حديثك يامصر
رؤى وطوفت بى ذكرى
وهفا باسمك الفؤاد ولجت
بسمات على الخواطر سكرى
من أتى صخرة الوجود ففرا
ها ، وأجرى منها الذى كان أجرى
سلسبيلا عذب المشارع ثرا
را رويا جم الأواذى غمرا

الى أن يقول مشيدا وداعيا الى (وحدة وادى النيل) :

انما مصر والشقيق الأخ السودا
ن كانا لخافق النيل صدرا

ثم يتحدث عن أثر ثقافة مصر على وجدانه :

كلما أنكروا ثقافة مصر
كنت من صنعها : يراعا وفكرا

« البقية ص ١٣٥٢ »

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ

محمد محمد المدنى

الشيخ محمد محمد المدنى .. اسم نبض بالحياة فى سماء العلم والعلماء بين الثلاثينيات الى نهاية الستينيات من القرن الميلادى المعاصر ، وتبوأ مكانته العلمية ومكانه الأسمى فى محاريب الأدب والعلم ،وأخذت شمائله الطيبة بمجامع القلوب .

***

كان رحمه الله يفنى زهرة عمره فى التحقيق والتدقيق ، ويضرب فى طلب العلم كما يضرب المجاهدون فى سبيل الله ، حتى صارت آثاره مقصد الدارسين ، وسند المحققين .

كان صاحب نظرات متدبرة فى علوم القرآن ، اذ ألهمه الله بخدمة كتابه — أستاذا فى الجامعات ، ومتحدثا فى أجهزة الاعلام مسموعها ومرئيها ، وكاتبا ألمعيا ذا قلم رفيع يعطى لكل مجال من هذه المجالى ما يناسبه من وضوح العرض ، ورصين الرأى وسليم الفهم .

درس علوم القرآن ، وأصول الفقه ، والفقه المقارن ، فى كليات الشريعة ، ودار العلوم ، بأدوات العلماء الراسخين ، وحاضر فى اعجاز القرآن وبلاغته فى المحافل والمجامع ، وفسر آيات الكتاب الكريم بأساليب متعددة ، أخذت بألباب أهل العلم ، فى كلياتهم وجامعاتهم ، وجذبت أوساط الناس وعامتهم الى بساطة عرضه وتوضيحه .

لابس — رحمه الله — القديم والحديث فتى ناشئا ، ثم لابسهما كهلا فتيا ، مكتمل الفهم والرشاد ، خراجا ولاجا ، طلعة ذواقا ، فكان بهما جد خبير « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

ومن ثم جاءت مؤلفاته كنوزا لا يزيدها الانفاق الا زكاة نماء ، وسمت آراؤه الى مستوى المجتهدين فى الفقه والشريعة بما خرج من أقوال ، وجلى من غوامض ، وفصل من مجمل وهذب وركب من مسائل ، سبيله فى ذلك ما وهبه الله من قدرة الادراك وحسن المأخذ والاقتباس ، وما تيسر له من طبع

للدكتور عبد المجيد وافى

موات وعقل نافذ وبصر ثاقب ، وما أطل عليه من سماء النبوغ .

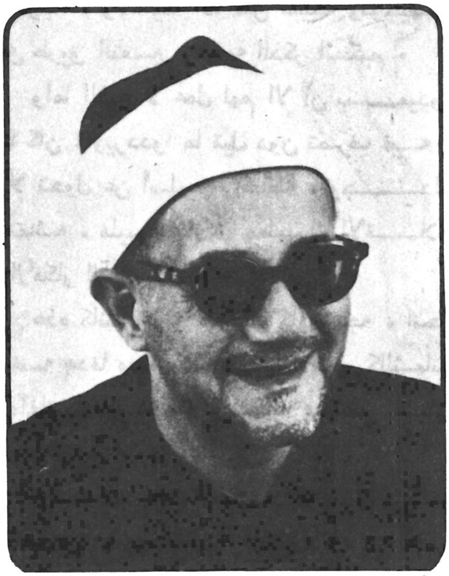
وكما أن الحضارة مدينة لهؤلاء المخترعين بالفضل العظيم ، فان المدنيـة العلميـة والعقلية مدينة للمؤلفين المحققين .

هكذا أدى « المدنى » رحمه الله أمانة: العلماء ، وبلغ رسالة الفقهاء كأحسن ما تكون التأدية ، وأعظم ما يكون التبليغ ، اذ كان شعاره فى منهاج حياته العلمية والعمليـة ، ما رسمه لنفسه ولطلاب الهداية والمعـرفة فى حديثه : « ان الفقه الاسلامى هو فكرتنا ومنهاجنا فى الحيـاة ، ولكل أمة نظام ونهج ، وفكـرة تدعو اليها وتحاول جمع الناس عليها ، فليجمع المسلمون أمرهم على هـذا التراث المجيـد ، وليجعلوه منهاجهم الذى عليه يسيرون واليـه يدعون .. » .

وكان ــ رحمه الله ــ لا يألو جهدا فى اسداء النصح الخالص ، وبيان ما يجب أن يسـير عليه الباحثون والدارسون عامة ، والمهتمـون بالدراسات الاسلامية خاصة والقرآنية بوجه أخص .

ويقول ــ رحمه الله ــ ، فى مقدمة كتابه : «المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء» .

« ان ميدان التفكير فى القرآن واسـع ، وهو كميدان التصوف والتفكير فى الله ، فيجب أن يسلكه كل كفء له ،ولكن على وتيرته الخاصة وبطابعه الخاص ، كمـا أن لكـل متصـوف



طريقته وأسلوبه فى معرفه الله ، والتفكير فى عظمته واجتلاء صفات جلاله وجماله ، فقـد ينكشف للمتأخر ما لم ينكشف للمتقدم ، وقـد يؤثر فى المعاصرين أسلوب جديد فى العـرض أضعاف ما يؤثر فيهم أسلوب قـديم ، ومن عاش فى زمان لابد أن يتعامل بأسلوب هـذا الزمان ، وأن يحسب حساب أفكاره وأحواله ومقاصده ومراميه وآماله وآلامه ولغته وطريقة عرضه ، وما فيه من نقط ضعف ونقط قـوة ، وما له من نواحى استقامة ونواحى اعوجاج .

كل ذلك يجب أن يدخل فى حساب من يتناول

من أعلام الأزهر

القلم ليكتب ، ومن يجلس مجلس المؤلف والموجه ، ولاسيما اذا كان تأليفه وتوجيهه عن طريق التفسير وخدمة الذكر الحكيم .

وأما الذين لا عمل لهم الا أن يستعيدوا ما كان ، ويرددوا ما قيل دون تصرف فيه ، ولا تحول عن أسلوبه وألفاظه ، وجدله ونقاشه ، فليس لهم فى معترك الاقلام والأفكار الآن مجال » .

هذه كانت همته ، وذلك كان نهجه ، اتخذ لنفسه هدفا منذ نعومة أظفاره ، فلمع كالشهاب فى آفاق العلم مضيئا لمن حوله ، يقطع آفاق العلم بخطوات واسعة .

ولد عليه — رحمة الله — فى مركز المحمودية ، بمحافظة البحيرة فى ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٠٧ م ، وحفظ القرآن الكريم صبيا قبل أن يبلغ العاشرة ، وبعد انتظامه فترة فى تلقى العلم عن شيوخ عصره ، أحس فى نفسه القدرة على تخطى مراحل الدراسة النظامية ، وتلك هبة الله ، فترك الانتظام فى الصفوف الدراسية وحصل على الشهادة الثانوية فى ابريل ١٩٢٧ ، وعلى هذا النحو أيضا تقدم للحصول على الشهادة العالمية ، التى حصل عليها بتفوق فى أكتوبر ١٩٢٧ ، أى بعد أقل من سنة دراسية .. وهو ما لم يتحقق لغيره .

تخرج من الجامع الأزهر « جامعة الأزهر الآن » فى مطلع العشرين من سنى حياته ، فقد حصل على العالمية من درجة استاذ — ما يعادل الدكتوراه الآن (١) — من قسم التخصص بالأزهر فى علوم البلاغة والأدب بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف سنة ١٩٣٠ .

ثم عين رحمة الله عليه مدرسا فى معهد الاسكندرية .. ثم تنقل وترقى فى المراتب العلمية الأزهرية والمناصب الادارية .

وتقدم رحمة الله عليه بانتاجه العلمى « دراسة عن القصص الهادف فى القرآن الكريم » من سورة الكهف ، للانضمام الى هيئة كبار العلماء ، وهى أكبر هيئة علمية فى مصر والعالم الاسلامى يومئذ ، فقبل انتاجه وتمت الموافقة على انضمامه للجماعة .

ولما كان قانون الجماعة يشترط للعضوية بلوغ سن الأربعين .. فقد أجل الانضمام الى حين بلوغه سن الأربعين ، وكانت سنه أقل من ذلك .

ثم لم تلبث الجماعة أن أوقف الانضمام اليها بقرار عال .. فحيل بينه وبين شرف كان يستحقه علما وعملا .

وقد شارك — رحمه الله — بقلمه فى القضايا الاسلامية العامة والخاصة ، وقد حملت اعداد مجلة « الرسالة » الصادرة فى الثلاثينيات والأربعينيات ، مقالات له عديدة، مسجلا بها صفحات مجيدة فى تاريخ الدعوة لاصلاح الأزهر ، والجهاد فى سبيله .

عرفها الناس ، وعرفوا بها الشيخ المدنى

---

(١) وهكذا — فعلا — كان قرار مجلس كلية دار العلوم عندما طلبته أستاذا بها . « مجلة الأزهر »

فى العالم الاسلامى ، شابا فى سنه ، شيخا فى علمه .

ثم كان — رحمه الله — أول عالم أزهرى يشغل وظيفة مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر فى عهد المغفور له فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر فى نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات .

ثم اختير — رحمه الله — رئيسا لقسم العلوم الاسلامية وأستاذا للشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

وفى مارس ١٩٥٩ عين عميدا لكلية الشريعة بجامعة الأزهر ، ويومئذ أدخل الدراسات القانونية فى كلية الشريعة ، على نحو يخدم الفقه الاسلامى ويعين على المقارنة بينه وبين غيره ويبرز مزاياه .

كما أدخل دراسة فقه الشيعة ، مستوفيا بذلك أركان المقارنة فى دراسات الفقه المقارن بين المذاهب الاسلامية — وهو المنهاج الذى قام بتدريسه سنوات قبل انتقاله لكلية دار العلوم — ففتح للناظر فى الفقه الاسلامى آفاقا أعانت الدارسين ، وأتاحت الماما واضحا للتفكير الفقهى ، وما يدور حوله من تيارات ملائمة ومعارضة .

وكان — رحمه الله — من أول المتحدثين فى الاذاعة صباحا لجماهير المسلمين مقدما زبدة الفكر الاسلامى فى صورة رشيقة محببة ، أثبتت بعد ذلك فى كتاب « أحاديث الصباح فى المذياع » الذى ضم بعضا من انتاجه المشترك مع المغفور له الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت « رحمه الله » .

وكان — رحمه الله — أول المتحدثين فى البرنامج « التليفزيونى » : « نور على نور » وظلّ فارسا من فرسانه ، وعلما من أعلام البرامج « التليفزيونية » .. حتى لقى ربه راضيا مرضيا .

وقام — رحمه الله — على رياسة تحرير مجلة « رسالة الاسلام » التى أصدرتها جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية بالقاهرة ..

تلك الجماعة التى شارك فى تأسيسها والكتابة فى مجلتها .. صفوة العلماء والمفكرين الذين يمثلون المذاهب الاسلامية فى مصر والعالم الاسلامى .

ولما أنشىء المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، تولى — رحمه الله — رياسة لجنة « القرآن والسنة » ، ولجنة « التعريف بالاسلام » .

وأصدرت اللجنة الأولى « المنتخب فى تفسير القرآن الكريم » ، « والمنتخب من السنة » .. ، كما كان عضوا فى لجنة « الموسوعة العامة للفقه الاسلامية » .

وكان وفيا لمبدئه فى الحفاظ على الأزهر واصلاحه ، فكانت له فى الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات مواقف لانصاف العلماء واقرار أوضاعهم بين العاملين فى الدولة .

وكان أظهر مواقفه يوم جابه قانون تطوير الأزهر فى ١٩٦١ ، وما حواه من تعديلات فى مناهج الدراسة بمعاهد الأزهر وكلياته .. وكان صريحا فى أن الذى كان يجدر أن يكون :

من أعلام الأزهر

التطوير اسلاميا فى مناهج التعليم الثانوى العام والجامعات بدلا من الحيف بالأزهر ومناهجه لصالح المناهج المدرسية والجامعية التى لا تقوم على أساس من الاسلام ومنهاجه مما كان له الاثر فى محاولة ابعاده عن التأثير من خلال المناصب العلمية والقيادية عندما تصدى للتعديلات التى أدخلت على كلية الشريعة ١٩٦٣ ، ولكن العالم الاسلامى لم ينس فضله رحمه الله فاختارته جامعة الكويت أستاذا ورئيسا لقسم الشريعة بها عام ١٩٦٧ وظل بها حتى لقى ربه فى مايو ١٩٦٨ .

ومن مؤلفاته :

١ ــ المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء .

٢ ــ سورة الأنعام والأهداف الأولى للقرآن .

٣ ــ التعريف بسورة آل عمران .

٤ ــ القصص الهادف للقرآن الكريم كما نراه فى سورة الكهف .. وهو الدراسة التى تقدم بها لنيل عضوية جماعة كبار العلماء .

٥ ــ وسطية الاسلام .

٦ ــ مناهج التفكير فى الشريعة الاسلامية .

٧ ــ رأى جديد فى تعدد الزوجات .

٨ ــ السلطة التشريعية فى الاسلام .

٩ ــ خصائص القرآن الكريم .

١٠ ــ فقه عمر بن الخطاب .

١١ ــ الزواج والطلاق فى الاسلام .

١٢ ــ عدالة الاسلام .

١٣ ــ الجوانب التوجيهية للعقائد والعبادات فى الاسلام .

١٤ ــ دعائم الاستقرار فى التشريع الاسلامى .

١٥ ــ محاضرات فى التعريف بالقرآن الكريم .

أجزل الله مثوبته فى دار البقاء مع الصديقين والشهداء والنبيين وحسن أولئك رفيقا .. على ما قدم للاسلام وخدمة القرآن الكريم .

د. عبد المجيد وافى

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

التأثير التدميري للانفجار الذري

بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية

دورة بخار الماء في الجو

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

تقـــديم

١ — لم يتركنا الله تعالى حيارى فى بيداء حياتنا الدنيا ، ولكن تجلى لنا فى كتـــابين خالدين : كتاب نقرؤه ونرتل آياته هو الكتاب المسطور هو « القرآن الكـــريم » ، وكتـــاب نعيش فيه ونلمس آياته هو الكتاب المنظـــور أو الكون .

٢ — كان من الطبيعى أن يستمد الكتـــاب المسطور كثيرا من آياته وحكمه من الكتـــاب المنظور . وعلى هذا النحو تحـدث القـــرآن الكريم عن السماء ، والهـــواء ، والمـــاء ، والأحياء ... الخ . فقال تعـــالى « إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَـــاتٍ لِلْمُـــؤْمِنِينَ ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَـــارِ وَمَا أَنـــزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَـــا بِـــهِ الْأَرْضَ بَعْـــدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ » (١) .

هذا هو أساس سلسلة حديثنا عن الاعجاز العلمى فى القـــرآن الكـــريم ، فالعلم انمـــا تستنبط حقائقه بالرصد والقياس والتتبـــع لما فى الكون من ظواهر ونظام رائع (آيـــات وسنن) عام وشامل وثابت معا :

« .... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَـــن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً » (٢) .

وبطبيعـــة الحـــال لا يمكن أن يتم هـــذا الشمول وهذا الثبوت للنظام الكونى بمجـــرد الصدفة ، تلك التى ينفيها القرآن الكريم فى كثير من آياته ويحتكم فى ذلك الى العقل الذى ميز الله به الانسان .

٣ — ومما يؤسف له أن فريقـــا من غـــير العلميين خاضوا بأقلامهم فى موضوع الاعجاز العلمى فى القرآن ، فارتكبوا من الاخطـــاء العلمية ما يبرأ منه الدين ، أو حملوا الآيـــات من المعانى مالا طاقة لها به .

إننا — أولا وقبل كل شىء — إنما نلتزم — فى تفسيرنا أو شرحنـــا — بحقـــائق العلم المستمدة بالرصـــد والتتبع لظواهر الكـــون ، ولا نلجأ الى النظريات العلمية المتطورة التى يستنتجها العلميون باستخدام قوى العقل من

(١) الجاثية ٣ـ٦

(٢) فاطر ٤٣

بقلم
أ. د. محمد جمال الدين الفندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية

أجل الربط بين بعض الحقائق المتصلة بظاهرة معينة ، مثل قول ((ان الضوء موجات أثيرية)) (هذه مجرد نظرية) ، لنربط بين حقيقة أن الضوء ينعكس وينكسر كما أنه يتشتت أو يتناثر وكلها من صفات الأمواج .

٤ — هناك أعماق للاعجاز العلمى فى كتاب الله بما يثيره من قضايا علمية تكون فى مجموعها موضوع ما سنكتب عنه فى باب العلم والايمان تحت عنوان :

((الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم))

العُمْق الأول :

مضمون هذا العمق العلمى أن القرآن الكريم هضم كافة مفاهيم البشر العلمية السليمة منذ نزل . وهذه صفة من صفات المعجزة الخالدة التى لا يقف اعجازها عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات . وسوف تلازم تلك الصفة القرآن الكريم الى يوم الدين . بوصفه المعجزة الخالدة .

((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ....)) (١) .

والامثلة على ذلك عديدة ، مثل تفسير كلمة (لموسعون) فى قوله تعالى :

١ — ((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)) (٢) .

ومثل تفسير كلمة (لواقح فى قوله تعالى :

٢ — ((وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ....)) (٣) .

وسوف نقصر الكلام هذه المرة على المعانى المختلفة السليمة المفسرة لقوله تعالى (لموسعون) .

١ — قال فريق من الأقدمين ان تفسير الآية هو : والسماء أحكمناها بقوة وانا لقادرون على أكثر من ذلك .

وهذا كلام سليم .

٢ — وقال فريق آخر ان (موسعون) اشارة الى الثراء والغنى ، بمعنى أنه رغم ما أودعناه فى الكون من مواد فان لدينا المزيد .

وهو كلام سليم كذلك .

(١) فصلت — ٥٣
(٢) الذاريات ٤٧
(٣) الحجر — ٢٢

٣ ــ قال فريق فى هذا العصر ــ كاتب هذه السطور :

ان (**موسعون**) اشارة الى اتساع آفاق الكون أمامنا بتقدم عمليات الرصد وتطورها بمعنى الوقت . وهذا عين ما حدث . فعندما نزل القرآن الكريم كان الناس يعتبرون الأرض مركزا للمجموعة الشمسية . وكانوا يعرفون من هذه المجموعة خمسة كواكب فقط هى عطارد ، والزهرة ، والمريخ ، والمشترى ، ثم زحل .

وفى عصر العلم تم اكتشاف أربعة كواكب أخرى على التوالى ، هى : أورانوس ، ونبتون ، وبلوتو ، ثم كوكب رابع .

وباكتشاف بلوتو بلغ قطر المجموعة الشمسية نحو خمس ساعات ضوئية ، علما بأن الساعة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى ساعة كاملة بسرعته البالغة ٣٠٠ر٠٠٠ كليو متر فى الثانية ! ثم قيست أبعاد مجرتنا المعروفة باسم الطريق اللبنى أو طريق التبانة فوجد أن قطرها ١٠٠ الف سنة ضوئية ، ثم تم قياس بعد أقرب المجرات فى السماء الى الطريق اللبنى وهى « سديم » المرأة المسلسلة التى وجد أنها تبعد عنا بمقدار ٧٥٠ ألف سنة ضوئية . ثم أمكن التعرف على مجرات فى أعماق الفضاء باستخدام أحدث المناظير الفلكية ، وهى المعروفة باسم « المناظير الراديوية » ، فوجد أنها تبعد عنا بأكثر من عشرة آلاف مليون سنة ضوئية !! وانها لفرط بعدها عنا تبدو الواحدة منها كنقطة مضيئة فى السماء رغم أن الواحدة منها تضم ملايين النجوم ، ولهذا تعرف علميا باسم أشباه النجوم أو (الكوازار) ، والله تعالى يقول : « **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** » (١) .

ولقد دلت أرصاد المجرات أخيرا على أنها تتباعد بسرعات متزايدة ، ولذلك فان الكون يتمدد وتتسع السماء . وهذا المعنى الجديد أيضا دلت عليه معادلات النسبية الرياضية .

اكتشاف الكواكب الأربعة الأخيرة :

فى خلال القرنين الأخيرين اتسعت مجموعتنا الشمسية اتساعا كبيرا أربع مرات :

الأولى عندما اكتشف أورانوس عام ١٧٨١ .

والثانية عندما اكتشف نبتون عام ١٨٦٤ .

والثالثة عندما اكتشف بلوتو عام ١٩٣٠ .

والرابعة فى أثر التعرف على معالم كوكب عاشر عام ١٩٧٢ .

وابتدأت الدراسات النظرية الخاصة ببلوتو عام ١٩٢٧ لما لوحظ من اضطرابات أو خلل فى مسار نبتون يحدثها ذلك الكوكب بلوتو كلما اقترب من نبتون ، وذلك قبل ثبوت وجوده

(١) الواقعة ــ ٧٥

بالرصد الفعلى • وهكذا قدر العلماء وجود كوكب تاسع ، فراحت المراصد تجمع له الصور الفوتوغرافية ، واشترك فى ذلك مرصد حلوان الذى أدى دورا هاما فى هذا الشأن •

و « بلوتو » كوكب صغير طول قطره نحو ٣٦٠٠ ميل فقط ، الا أنه عظيم الكثافة وله جاذبية فعاله على نبتون ، خصوصا عندما يقترب منه • وفى هذه الحالة يقترب بلوتو من حضيض مساره ، ويقطع مسار نبتون ، ويصير أقرب الى الشمس من نبتون ، وسوف يصل الى أقل بعد له عن الشمس عام ١٩٨٩ •

وحتى نهاية القرن العشرين سوف يظل بلوتو أقرب الى الشمس من نبتون ، ثم ينطلق الى ما وراء مسار نبتون متقدما الى أوج مساره ليصله عام ٢١١٣ م •

وهذا التعاقب بالقرب والبعد بين الكوكبين يجعل قوى التجاذب المتبادلة بين الكوكبين تختلف ، ومن ثم فان نبتون ينطلق فى مسار مضطرب • وعن طريق قياس تلك الاضطرابات الطارئة على المسار يتوقع الفلكيون وجود كوكب قريب نسبيا تؤثر جاذبيته على نبتون • والذى يحول دون تصادم الكوكبين هو أن مسار بلوتو يميل ميلا كبيرا على مستوى الدائرة الكسوفية •

وهناك قانون يعرف باسم (قانون بود) يرجع أساسه الى عام ١٧٦٦ م عندما أعلن الفلكى الالمانى جوهان تيتس نظاما لبعد الكواكب عن الشمس على هيئة متوالية من الأعداد هى : ٤ — ٧ — ١٠ — ١٦ — ٢٨ — ٥٢ — ١٠٠ الخ واستخدام الفلكى الالمانى (جوهان بود) هذه المتوالية بصفة أعم لكل كوكب ، ومن ذلك الحين عرف هذا التطبيق باسم (قانون بود) •

ومن الواضح أننا اذا افترضنا أن بعد الأرض عن الشمس هو (١٠) وحدات ، يكون بعد عطارد (٤) والزهرة (٧) والمريخ (١٦) ولا يوجد كوكب على بعد (٢٨) وربما يكون قد تفتت وتناثر فى القدم ، ويكون بعد المشترى (٥٢) وبعد زحل (١٠٠) وأورانوس (١٩٦) ونبتون (٣٨٨) وبلوتو (٧٦٨) ، والكوكب العاشر (١٥٤٠) وحدة •

والابعاد الحقيقية لتلك الكواكب بنفس الوحدة هى على التوالى (٣ر٩) بدلا من (٤) ، و (٢ر٧) بدلا من (٧) و (٢ر١٥) بدلا من (١٦) ، و (٥٢) كما هى ، و (٤ر٩٥) بدلا من (١٠٠) ، و (٣٠١) بدلا من (٣٨٨) ، ثم يعظم الاختلاف •

وعلى ذلك فان (قانون بود) لم يستخدم فى التعرف على كل من (بلوتو) والكوكب العاشر ، ولكن الحسابات الفلكية الخاصة باضطرابات مسار نبتون هى التى قادت الى التعرف على بلوتو حتى تم تصويره • وكذلك فان الاضطرابات المرصودة فى مسار

٥

المذنب (هالى) الذى ظهر عام ١٩١٠ وينتظر أن يعود الى الظهور عام ١٩٨٥ ، هى التى قادت الى التعرف على الكوكب العاشر . والغالب أن هذا هو (نفس) المذنب الذى ظهر أيام الخليفة المعتصم .

على هذا النحو يتضح أن قوله تعالى (**لموسعون**) أخذت عدة معان سليمة علميا تطورت بتطور معرفة البشر واتساع آفاق المعرفة ، وبذلك هضمت كافة المعلومات السليمة المتصلة بموضوع تفسيرها .

والآيات الكريمة المتصلة بهذا العمق من أعماق الاعجاز العلمى فى القرآن ، الا أننا سوف نكتفى بهذا القدر هذه المرة ، على أن نعود باذن الله تعالى الى الكتابة عن نفس العمق العلمى المتضمن فى كلمة (لواقح) فى قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » ..

د/ محمد جمال الدين الفندى

الاسلام وحقوق المرأة - بقية

أهل الزوجين وأقاربهما يكون فى أقصى مراتب الوجوب ، لأنهم يسعدون بسعادتهما ، ويشقون بشقائهما ، وتلفح وجوههم نار الخلاف بينهما ، ومن ثم كان الصلح بين الزوجين ، واجبا عينيا أولا ، وبالذات عليهم ، ولا ترفع عنهم مسئولية التدهور العائلى الناشىء عن الشقاق بين الزوجين الا بعد عجزهم عن ازالة أسبابه ، وهنا ينتقل الوجوب الى القادرين عليه من المسلمين (١) .

وقد ذكر القرآن الكريم الأهل ، لأنهم أشد الناس حرصا على سعادة الأسرة بمقتضى صلات القرابة التى توجد بين الجميع ، لأنهم أشد الناس حرصا على حفظ ما قد يكون فى أسباب الشقاق من شئون يجب أن تكتم وتخفى حتى لا تشيع بين الناس وهى مما تتأثر به كرامة الجميع .

على هذا الوضع جاءت الآية الكريمة لترسم العلاج فى حالة التفاقم وشدة الخلاف وعجز الزوجين بأنفسهما عن ازالته .

ونستكمل فى العدد القادم بمشيئة الله بيان الضمانات التى تصاحب وقوع الطلاق ، بما يحفظ حقوق المرأة ، ويرد عن دين الله مزاعم الذين يريدون أن ينالوا منه والله الموفق المستعان ..

دكتور عبد الله مبروك النجار

(١) راجع فى هذا المعنى : « الاسلام عقيدة وشريعة » للامام محمود شلتوت ـ ص ١٨٦ ، ودكتور على عبد الواحد وافى ـ المرجع السابق ص ٨٣ .

التأثير التدميرى للانفجار الذرى

للمهندس محمد ابراهيم حسين عبد المطلب

« وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » ٦٠ الأنفال ٠

القنبلة الذرية :

نشأت فكرة القنبلة الذرية من معلومة أن ذرات العناصر المختلفة تربطها داخل الذرة الواحدة طاقة ربط معينة بين مكونات الذرة فاذا عرضنا هذه الذرة لما يجعلها تنقسم الى ذرات عناصر أصغر فانها تعطى كمية من الطاقة نتيجة لفقدها طاقة ربطها ٠

فاذا عرضنا مثلا ذرات بعض العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم أو البلوتونيوم الى (نيوترونات) منشطة ، فان ذرة اليورانيوم تنقسم الى ذرتين لعناصر أخرى وعدد آخر من (النيوترونات) وكمية من الطاقة وتستمر هذه العملية فيما يسمى بالتفاعل الانشطارى منتجة بذلك حوالى ثمانين ناتجا انشطاريا مختلفا طبقا للاحتمالات المختلفة للانشطار ٠

وباستخدام معادلات الربط بين الطاقة والكتلة فانا نجد أن واحد كيلو جرام من اليورانيوم ينتج كمية من الطاقة حوالى (عشرة مليون مليون جول) وهو ما يساوى ثلاثة آلاف طن من الفحم عند حرقه أو عشرين ألف طن من المتفجرات التقليدية المسماة ت ٠ ن ٠ ت » وهذا يدلنا على مدى خطورة هذا السلاح الفتاك فيما ينتجه من طاقة ٠ وتتوزع هذه الكمية من الطاقة بنسب مختلفة على ما ينتج من مواد مشعة ومن أشعه نووية ومن جسيمات نووية جديدة ٠

وللقنابل الذرية المختلفة أعيرة مختلفة لكل

عيار كتلة حرجة معينة توضع فى التصميم بطريقة هندسية معينة بحيث يحافظ عليها أثناء فترة التخزين ، فاذا أردنا تفجيرها فانه يستخدم لذلك مفجر تقليدى يقوم بتجميع الكتلة الحرجة فيبدأ التفاعل الانشطارى باطلاق أول (نيوترون) منه حيث يبدأ فى سلسلة التفاعلات الانشطارية منتجا هذه الكمية الهائلة من الطاقة .

النواتج التدميرية للانفجار الذرى :

وباختصار شديد نوضح فيما يلى هذه النواتج :

١ ــ موجة الضغط :

وهى عبارة عن موجة أوموجات متلاحقة من الضغط الرهيب القوة الذى يحدث التدمير لكل ما يقابله من منشآت وأفراد وعربات تدميرا كاملا لا يبقى على شىء ، وذلك فى دائرة قطرها حوالى خمسة كيلو مترات مركزها هو مركز الانفجار .

٢ ــ الأشعة الحارقة :

وهى عبارة عن موجات مستمرة من الاشعة ذات الحرارة المرتفعة جدا التى تصل حرارتها الى حوالى ثلاثة آلاف درجة مئوية وهى التى تؤدى الى احداث الحرائق فى المنشآت والانصهار والتدمير لكافة الاجسام المعدنية والاحتراق الكامل للأفراد .

٣ ــ الأشعة النووية :

مثل (أشعة جاما) النووية وهى عبارة عن موجات (كهرومغناطيسية) تحدث (تأين) للخلايا الحية التى تخترقها بسهولة مما يصيب الافراد المعرضين لها بمرض الاعياء الذرى الذى يعتبر أقل ما فيه من اعراض هو تغير الصورة التركيبية لدم الانسان ، وأكبر ما فيه هو الوفاة الفورية حيث يكتسب الأفراد جرعات اشعاعية قاتلة تصل الى حوالى ٣٠٠ رونتجن دفعة واحدة « الجرعة غير المؤثرة تأثيرا ضارا على الانسان حوالى ٥ رونتجن فى العام » ومن هذا يتضح مدى خطورة هذه الاشعة النووية الخارقة لجسم الانسان .

وهذه الثلاثة نواتج الأولى تحدث فى الثوانى العشرة الاولى من الانفجار الذرى وهذا أخطر ما فى الامر حيث لا يجد الانسان مفرا من الموت الحتمى . أما الناتج الاخير من الآثار التدميرية للانفجار الذرى فهو الناتج المتأخر قليلا عما سبقه من نواتج ولكنه يستمر طويلا فى تأثيره الخطير والقاتل فى المكان الذى يقع فيه ألا وهو :

٤ ــ المواد المشعة الصلبة :

حيث تبدأ السحابة الكثيفة الناتجة من الانفجار الذرى بماتحمله من مواد مشعة صلبة فى الارتفاع الى مدى كبير حوالى عدة كيلو مترات وعند ارتفاع معين تبدأ فى التحرك

الأفقى فى اتجاه وبسرعة الرياح السائدة حاملة فى طريقها الموت البطىء لجميع المناطق التى تتعرض لسريانها فهى بتعبير أدق — سحابة الموت تبدأ بمجرد تحركها فى اسقاط المواد المشعة المحملة بها على طبقات الارض أسفل منها وما بها من منشآت وأفراد ومركبات وأراض ومياه ومزروعات فى مخروط يصل عمقه الى حوالى ثمانين كيلو مترا وعرضه حوالى عشرة كيلو مترات ملوثا كل ما يسقط عليه فى طريقه وبالتالى معرضا كل الكائنات الحية الموجودة فى هذه المساحة الشاسعة للتعرض لمرض الاشعاع الذرى القاتل ولفترات زمنية طويلة تقدر بالسنوات !!!

يحدث هذا كله من تأثير قنبلة واحدة ذات عيار من أصغر الأعيرة كالتى ألقيت مثلا فى اليابان فى الحرب العالمية الثانية حيث تم قتل ثمانين ألف نسمة من ثلاثمائة ألف نسمة هم سكان « هيروشيما » وتم جرح حوالى سبعين ألف نسمة ، وذلك بمعدل قتل حوالى ستة آلاف نسمة فى الكيلو متر المربع الواحد من انفجار قنبلة ذرية واحدة من أصغر الأعيرة !!!

وهذه القنبلة تعتبر — الآن — سلاحا تدميريا بدائيا فقد تطور هذا السلاح — حاليا الى القنبلة الهيدروجينية وقنبلة « الكوبالت » وقنابل « النيوترون » والأسلحة الكيمائية والبيولوجية وكلها أنواع من السلاح التدميرى الأكثر فتكا وتدميرا وبأعداد وكميات كبيرة فان المخازن — لهذه الاسلحة — أصبحت تنوء بما تحمل مما أدى بالدول المنتجة لها الى احداث أساليب للتخلص منها من كثرة ما تنتج أو لتطوير مصانع انتاجها بحيث انها يمكنها الجمع بين هذا الانتاج للأسلحة المدمرة وانتاج أنواع أخرى من الصناعات المدنية .

لقد أعدوا كل هذا ... ؟ فماذا أعددنا نحن المسلمون ؟

ألم يأن لنا أن نمارس اسلامنا بحق فنكون خير الناس : قوة وعلما وعملا .

اللهم ارحم أمة محمد ﷺ رحمة عامة .

دورة بخار الماء

فى الجو

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ • يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » ٤٣ — ٤٤ — النور •

مقدمة :

من المعروف أن الماء يلعب دورا هاما فى حياة الانسان والكائنات الحية الأخرى ، اذ لا يستطيع الانسان البقاء بضعة أيام بلا ماء ، ولذلك كان من الضرورى اجراء الدراسات والبحوث على الماء الذى بدونه تتوقف الحياة — بصورها المختلفة — على سطح الكرة الأرضية •

ومن الموضوعات التى تتجلى فيها قدرة الخالق سبحانه وتعالى — موضوع « دورة بخار الماء فى الجو » ، وملخص هذه الدورة هو أن بخار الماء يتواجد فى الغلاف الجوى — من مصادر مختلفة — ثم يتكثف تحت ظروف جوية معينة ليعطى سحابا (مجموعات ضخمة من نقط الماء مختلفة الحجم أو من بللورات الجليد أو من الاثنين معا) •

ثم يسقط من قاعدة بعض السحب على هيئة نقط ماء أو بللورات ثلج أو الاثنين معا اذا كبر حجم البللورات وازداد وزنها وتكاثر داخل السحب ، ويشتد سقوط المطر خاصة فى مناطق ضعف تيارات الهواء الصاعدة أو مناطق تيارات الهواء الهابطة •

وهكذا تتكرر دورة بخار الماء فى الجو . لولا تكرار هذه الدورة لنفذت كميات المياه الهائلة الموجودة فى المحيطات والبحار والأنهار ولما استمرت الحياة — بصورها المختلفة — على سطح الأرض ، وهذا من فضل الله تعالى علينا •

ومن ذلك يتضح أن الماء يوجد بصوره الثلاث فى الغلاف الجوى ، فيوجد الماء فى الحالة الغازية على هيئة بخار الماء فى الجو •

ويوجد فى الحالة السائلة على هيئة نقط الماء المختلفة الحجم داخل السحب •

بقلم الدكتور
ربيع سيد فولى

ويوجد فى الحالة الصلبة على هيئة بللورات ثلج داخل السحب أيضا ٠

ونوضح ذلك :

الحالة الصلبة للمياه (الثلج) :

يوجد الثلج فى صور متعددة اما على هيئة (بللورات) موجودة داخل بعض أنواع السحب ، أو على هيئة هطول(١)صلبة من هذه السحب وتصل الى سطح الأرض ، أو طبقات الجليد التى تتكون فوق أسطح المحيطات والبحار والأنهار عندما تقل درجة الحرارة عن الصفر المئوى ، ونذكر الخصائص التالية للثلج :

– كثافة الثلج تساوى ٩١٧ر٠ جم/سم٣ (عند درجة حرارة الصفر المئوى) ٠ –

– الحرارة الكامنة لانصهار الجليد تساوى تقريبا ٨٠ سعر / جم(٧٣سعر/سم٣)

– الحرارة الكامنة لبخر الجليد (التسامى) تساوى تقريبا ٧٠٠ سعر / جم ٠

– عند درجة حرارة – ١°م يتحول الجليد الى ماء تحت ضغط حوالى ١٣٠كجم/سم٢ ٠

– تزداد صلابة الجليد بشدة مع نقصان درجة الحرارة ٠

الحالة السائلة (الماء) :

– تحت ضغط جوى ٧٦٠مم/ زئبق يتحول الماء الى ثلج عند درجة حرارة الصفر المئوى ، ويغلى الماء عند درجة حرارة ١٠٠م°، وعند انخفاض الضغط تقل درجة غليان الماء فمثلا تقل الى ٨٠°م عند ضغط ٣٥٥مم/زئبق ، وتقل الى درجة ٤٠°م عند ضغط ٥٥مم/زئبق٠

– معامل الانكسار فى الماء يساوى ١٫٣٣٤ ٠

– يوجد الماء فى حالته السائلة فى المحيطات والبحار والأنهار والمياه الجوفية ٠

– الحرارة الكامنة للبحر تساوى تقريبا ٥٩٧٫٣ سعر/جم ٠

– تتضاعف قيمة الحرارة النوعية للماء عند تحوله من الحالة الصلبة الى الحالة السائلة عند درجة حرارة الصفر المئوى : من ٥ر٠ الى ١٫٠٠٥ سعر / جم درجة ٠

– أكبر كثافة للماء هى ١جم/سم٣ وتصل هذه القيمة عند درجة حرارة ٤°م :

من فضل الله تعالى علينا أيضا أن جعل القيمة العظمى لكثافة المياه (١جم / سم٣) تحدث عند درجة حرارة ٤°م ، واذا

---

(١) كذا ، ولم نعثر على (هطول) بزنة : فعول فى لسان العرب٠٠

دورة بخار الماء فى الجو

ما زادت درجة الحرارة لمقدار معين من الماء عن ٤°م فان حجمه يزداد وتقل كثافته ، وكذلك عندما تقل درجة حرارته عن ٤°م الى الصفر المئوى أيضا يزداد حجمه وتقل كثافته . وعندما يتجمد الماء مكونا الجليد الذى يطفو على سطح الماء لأن كثافته أقل من كثافة الماء عند درجة حرارة الجليد (الصفر المئوى) كما سبق ذكره .

وهذه الخاصية فى منتهى الأهمية بالنسبة لحياة الأسماك والحيوانات المائية الأخرى — عند درجة حرارة ٤°م — فى المياه المغطاة بطبقة من الجليد فى المناطق الباردة أو المناطق القطبية ، فان الجليد الذى يطفو فوق الأسطح المائية للمحيطات والبحار والأنهار يعتبر طبقة عازلة تمنع (الفقد) الزائد من حرارة المياه الموجودة تحتها ، وتبقى المياه هذه فى حالتها السائلة عند درجة حرارة ٤°م . وبذلك تستمر حياة الأسماك والحيوانات الأخرى وبعض النباتات وكلها تعتبر غذاء للانسان — وفى ذلك دلالة واضحة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى .

الحالة الغازية — بخار الماء :

يوجد بخار الماء فى الجو بصفة دائمة نتيجة لعمليات البخر المستمرة من أسطح المحيطات والبحار والأنهار ومن التربة الرطبة وكذلك عن طريق نتح النباتات ويؤدى الضغط الجزئى لبخار الماء دورا هاما فى عمليتى : التكثف والتسامى .

أى تكثف بخار الماء فى قطرات ماء مكونا السحاب أو الضباب أو (الشابورة) المائية .

والتسامى هو تحول الجليد الى بخار ماء دون المرور بالحالة السائلة .

ولذلك فان نسبة وجود بخار الماء فى الجو تكون متغيرة (بتغير المكان والزمان) .

ويحمل بخار الماء ، الذى يتكون فى المناطق الحارة ، الحرارة الكامنة للبخر عندما ينتقل بواسطة الرياح الى المناطق المعتدلة ليتكاثف وتنطلق منه هذه الحرارة ، وبذلك يعمل بخار الماء على تلطيف المناخ وتوزيع الحرارة بصورة مناسبة على المناطق المختلفة .

أى أن بخار الماء يعمل على التوازن الحرارى فى الغلاف الجوى ، وبدون ذلك أيضا لا يمكن أن تستمر الحياة — بصورها المختلفة — على سطح الأرض .

ومن خصائص بخار الماء أن حرارته النوعية تساوى ٤٨٧ر٠ سعر/ جم درجة (عند درجة حرارة ١٠٠°م وتحت ضغط ٧٦٠مم/زئبق) ، والنسبة بين كثافة بخار الماء وكثافة الهواء عند نفس درجة الحرارة والضغط تساوى ٦٢٣ر٠ ، ومن أهم خصائص بخار الماء أيضا أنه يمتص الاشعاع الشمسى بشدة فى طيف الأشعة الحمراء وتحت الحمراء ، وأيضا الاشعاع طويل الموجة ، وهذا يوضح ماذكرناه من أن بخار الماء يعمل على تلطيف المناخ والتوازن الحرارى للغلاف الجوى مما يؤدى الى بقاء الحياة على كوكب الأرض ، واذا حدث خلل فى هذه النسب أو هذه الخصائص الهامة لا يكون هناك هذا التوازن المحكم الدقيق الذى يدل على عظمة الخالق وقدرته سبحانه وتعالى .

بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية في مصر

للأستاذ عبد المنعم حافظ فودة

خفض الانفاق الحكومى :

قرر مجلس الوزراء خفض الانفاق الحكومى ٥٠٠ مليون جنيه فى الموازنة الجديدة للدولة ٨٤/٨٥ أى ما وازى ١٠٪ من حجمها وذلك لخفض العجز بالموازنة العامة الذى أعلنه الدكتور / صلاح حامد والبالغ ١٢٠٠ مليون جنيه ، على أن تعد الوزارات والهيئات نفسها لهذا الخفض وتلتزم به فى كافة مجالات استخدامات الباب الثانى للموازنة والخاص بالاعتمادات المالية لنفقات مستلزمات الصيانة والتشغيل والتجهيزات السلعية والمكتبية وبدلات السفر النقدية للعاملين والنفقات الجارية لاستهلاك المياه من الكهرباء والوقود وغيرها .

والخوف كل الخوف أن تستمر بعض الادارات بالدولة فى اختيار الطريق السهل وقصر الخفض فى النفقات على وسائل التشغيل والصيانة والأدوات المكتبية وهو ما يعوق عملية التنمية فى كافة صورها . فالاسراف فى الانفاق الحكومى المؤثر يتعدى هذه المسائل الحيوية لسداد نفقات لاداعى اطلاقا لها من موائد وحفلات وهدايا واستعمال خاطىء ومسرف ومغرض للسيارات وأدوات الانتاج وغيرها .

ان احدى المشاكل الأساسية للاقتصاد المصرى هى الزيادة السريعة والمستمرة فى النفقات الحكومية وعدم تمتع موارد الموازنة العامة بالقدر الكافى من المرونة لمواجهة هذه الزيادة فى تلك النفقات .

ولو افترضنا أننا قمنا بكل الجهود المطلوبة لترشيد الانفاق الحكومى والحد من البذخ والحد من الاسراف وكل مظاهر التزايد فى الانفاق . فهناك العوامل الطبيعية وغير الطبيعية المبررة التى لابد أن تؤدى الى زيادة الانفاق الحكومى من سنة الى اخرى فهناك :

بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية

أ ــ زيادة فى عدد موظفى الدولة تطبيقا للسياسة الاجتماعية القاضية بتشغيل الخريجين •

ب ــ زيادة البدلات والعلاوات والمكا. والحوافز الى آخره ، وهناك الزيادة فى تكاليف الدين العام الداخلى والخارجى من فوائد وأقساط استهلاك على الأقل فى السنين القليلة القادمة الى حين تسديد هذه الديون أو على الأقل الى حين التخفيض من حجمها •

ولقد التزمت الدولة بتنفيذ الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ١٩٨٣/٨٢ ، ١٩٨٧/٨٦ كبرنامج لاصلاح الأوضاع الاقتصادية فى مصر ومنها العمل على تخفيض العجز فى ميزان المدفوعات من ٢٠٣٠ مليون جنيه فى عام ٨٢/٨١ الى ١٥٨٠ مليون جنيه فى عام ١٩٨٣/٨٢ الى ١٢٠٠ مليون جنيه فى ميزانية هذا العام •

ولا شك أن من وسائل تخفيض العجز العمل على تدعيم الوسائل التى تؤدى الى زيادة قيمة المتحصلات الجارية من الصادرات السلعية خاصة الصناعية والزراعية وذلك لتحقيق معدلات عالية فى الانتاج الزراعى والصناعى •

فأما عن «ميزانية التقشف» التى نادت بها بعض الأحزاب السياسية فى مصر فانها ــ على الرغم من وجاهتها ، فان تطبيقها لا يؤدى الى تأثير عام بها ، فضلا عن أن بعض المشكلات الاجتماعية التى توليها الدولة اصلاحا سريعا يحول دون تطبيق هذه النظرية عموما •

كذلك فاننا ننشد زيادة الانتاج وجودته ، ومن المعلوم أن تحقيق هذا الذى ننشده يتطلب مصروفات ، ولو أننا تقشفنا لتوقفنا عن الاصلاح فيما هو ضرورى ، وخطط زيادة الانتاج •

لذلك فحاجتنا الى « الترشيد » أكثر من حاجتنا الى « التقشف » وان « الترشيد » ليدعونا ــ فى مقدمة ما يدعونا اليه أن نتوجه بكل وسيلة الى القضاء على الفساد والمفسدين حتى تقوم لنا قاعدة ، أخلاقية تكون سندا للقاعدة القانونية فى تنظيمنا الاجتماعى •

أن مظاهر الفساد من رشوة وهدايا وعمولات واكرامات ، (بقشيش) تكون مجرمة بقدر ما ينطوى عليه النظام القانونى والخلقى فى المجتمع من تجريم لها ، وحيث يكون فى هذا النظام القانونى والخلقى معايير سلوكية تجرم وتحرم الاتجار بالوظيفة العامة هذه الوظيفة التى جعلت أداة لخدمة المجتمع لا وسيلة للاثراء المادى عن طريقها •

إن معالجة مشكلة الفساد نتأتى عن دراسة مستفيضة تلم بكل دروبه ومساربه ، ومتابعة هذه الدروب والمسارب للحد من تسلط كل نهاز للفرص مفسد للذمم يتمسح فى الحرية والديمقراطية مستهدفا الانتفاع الشخصى على حساب الفضيلة والمصلحة الوطنية • وتدفعنا هذه الدراسة الى القاء نظرة على خصائص التجارة الدولية فى وقتنا الحاضر : اصطحب النمو الاقتصادى العالمى السريع من عام ٥٠

الى عام ١٩٨٣ نموا أسرع فى التجارة الدولية ففى الفترة من ٦٥ ـ ١٩٧٣ وهى فترة الذروة عندما زاد الناتج القومى الاجمالى العالمى بنحو ٦٪ سنويا كان لزاما على التجارة الدولية وحركات رأس المال أن تجعل الحكومات تخفض من القيود بدرجة أكبر أمام نمو الانتاجية والدخل • وبعد حرب ١٩٧٣ اصطحب النمو الابطأ فى الاقتصاديات الصناعية نموا أيضا فى التجارة الدولية ، وهبط النمو الى المستوى المتوسط حيث وصل حجم الصادرات العالمية من الوقود من ٩٪ فى ٦٥ ـ ١٩٧٣ الى ٥ر٪ فى أعوام ٧٣ ـ ١٩٨٠ • وهبط نمو منتجات الصناعة التحويلية من ٧ر١٠٪ الى ١ر٦٪ ، وعموما تباطأ النمو فى الصادرات نحو ٥٪ سنويا فى ٧٣ـ ٨٠ ولكن فى الوقت نفسه أصبحت البلدان النامية سوقا هامة بدرجة متزايدة للبلدان المتقدمة •

إن التدهور الذى حدث بعد ارتفاع سعر النفط ٧٣ ـ ٧٤ والذى زاد بعد الارتفاع الثانى ٧٩ ـ ١٩٨٠ دفع البلدان الصناعية الى الرغبة فى المحافظة على الدخول الزراعية والصناعية مما دعاها الى الاستمرار فى توفير الحماية الزراعية والصناعية لهذه الدول على الوجه الاتى :

ـ الارتفاع المستمر فى أسعار المنتجات الزراعية والصناعية والغذائية مقابل الارتفاع فى أسعار النفط مما أثر فى المقابل على الدول النامية وعلى الاخص الدول غير المنتجة للنفط•

ـ اعتبار سوق الدول النامية سوقا من الدرجة الثانية أو الثالثة ، وعملوا على تصريف منتجاتهم بها بصرف النظر عن درجة تفاوتها أو كفاءتها أو جودتها ، وأصبحت البضائع تتدرج الى رتب ودرجات تستخدم الدول المتقدمة منها الدرجات الأولى أما ما بقى منها فهو المنتج المناسب للدول النامية •

ـ ربط الدول النامية بالتكتلات الاقتصادية والمعاهدات ومنحها القروض المشروطة التى تقيد من حركتها وتضمن بذلك تصريف منتجاتها بصورة مستمرة مع المحافظة فى الوقت نفسه على سداد هذه القروض وفوائدها بالدرجة التى تضاعف هذا الدين وفوائده عشرات المرات على أن يكون استهلاك هذه القروض فى البضائع الاستهلاكية دون البضائع ذات الانتاج حتى لا تخلق الدول المتقدمة قاعدة انتاجية بهذه الدول •

وهناك اجماع على أن السوق الحرة العالمية انما هى سوق تحركها مصالح الدول الصناعية ضد مصالح الدول النامية ، وتقدر خسائر الدول النامية من التعامل خلال هذه السوق « الحرة » بحوالى ٧٥ ـ الى ـ ١٠٠ بليون دولار سنويا •

لذا كانت التجارة الدولية ذات سياسة اقتصادية تناسب مصالحها الوطنية وما ارتباطها بالحكومات الغربية باستمرار وخضوعها لسياستها الا وسيلة أولية لمكاسبها من جهة واحتكارها لأسواق الدول النامية من جهة أخرى تلك الدول التى تحملت الاضافات المتزايدة على السلع المصدرة اليها ، مهما كانت تلك السلع فى مقاييس الجودة •

وقد استمر دور شركات التجارة الدولية فى

بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية

الاقتصاد العالمى حتى بلغ انتاج هذه الشركات نحو ٢٠ ٪ من اجمالى انتاج الدول الغربية المتقدمة عام ١٩٧١ ، كذلك فان رقم مبيعات بعض هذه الشركات يفوق حجم الناتج القومى للعديد من الدول مجتمعة .

ولقد نجحت هذه الشركات فى ايجاد أكثر من شكل مريب من التوكيلات داخل البلدان النامية أدى دوره الأليم فى تمرير أكبر كمية من صفقات تجارية مخالفة للصفات الاساسية الى درجة الصفر حتى كان منها صفقات لحوم ودواجن طلب اعدامها بمواطنها الأصلية .

وهذه التوكيلات هى التى أدت الى نشاط ما يعرف باقتصاد تحت الأرض أو الاقتصاد الخفى .

من وسائل العلاج :

يمكن أن يكون التفتيش والمراجعة المحايدين حلا جذريا ناجعا تماما فى القضاء على الفساد بكل ضروبه داخليا وخارجيا اذا صاحب عملية الانتاج فى الداخل والاستيراد فى الخارج .

ان المهمة الكبرى للسياسة الاقتصادية تكمن فى النفاذ الى مواطن الاقتصاد الخفى والقضاء عليه ويعتبر التفتيش والمراجعة المحايدين شرطى المرور الساهر على حركة العبور لانطلاق العمليات الاقتصادية فى أمان ضاربا بيد من حديد على كل من تسول له نفسه المضاربة باقتصاد البلاد .

وبالنسبة للخارج ترى غرفة التجارة الدولية فى باريس ، ونشرة معهد الأمم المتحدة للتدريب والبحوث عام ١٩٧٦ أن التفتيش والمراجعة المحايدين يجنب طرفى التعاقد كثيرا من المشاكل وفيهما ضمان الأمن والأمان للعملية الاقتصادية .

عن دراسة لـ « كومبيصل »

عبد المنعم حافظ فودة

إطلالة على ديوان اشراقة - بقية

وللتيجانى أبيات ايمانية حارة تذهب بكل شك ومن انتفاضاته الايمانية أبيات تقطر بالعذوبة والجمال قال فى قصيدته التى نظمها فى ذات الله العلية :

هذه الذرة كم تحمل فى العالم سرا (١)
قف لديها وامتزج فى ذاتها عمقا وغورا

وفى فلذة أخرى من ذات القصيدة يقول :

رب فى الاشراقة الأولى على طينة آدم
أمم تزخر فى الغيب ، وفى الطينة عالم
ونفوس تزحم الماء ، وأرواح تحاوم
سبح الخلق وسبحت وآمنت وآمن

أحمد مصطفى حافظ

(١) قصيدة الصوفى المغرب بديوانه (اشراقة) ص ٦ ، ٧

* * انه لأمر مستبعد أن يكون تطبيق الشريعة الاسلامية سببا فى حدوث توتر فى المجتمع السودانى باعتبار أن السودان شعب مسلم أصلا يؤدى فرائض الله ويخضع لحكم الله واذا كانت قد وقعت هناك بعض الأحداث فلعل ذلك ناتج عما يساق الى هذا الشعب من دعوات واردة اليه من خارج حدوده والتى ترمى الى اشاعة الفتن واثارة الطوائف هناك هذا من ناحية — من ناحية أخرى أقول لماذا نأخذ ما حدث فى السودان دليلا على أن تطبيق الشريعة الاسلامية غير مجد وغير مفيد ؟ لم نذهب الى هذا وتجربة السودان ما تزال وليدة عمرها أقل من عامين — لم لا نذهب الى تطبيق أحكام الشريعة فى السعودية — وهى تجربة تسير عليها منذ زمن بعيد — والتى نرى ثمارها أمنا واستقرارا ، ان تجربة السعودية ان دلت على شىء فهى تدل على مدى ما تحققه الشريعة من فوائد وخير اذا ما طبقت أحكامها واستقر التطبيق على منوال صحيح من أحكام الله .

*** سؤال : معنى هذا أن مصر مهيأة لها اليوم ؟**

* * نحن مهيأون لها تماما يكفى أن ننزل الى الشارع المصرى اليوم لنسمع رغبة الناس فى الأخذ بها — بل ترد الى مكتبى بالأزهر العديد من الكتابات من أفراد الشعب يلحون ويطلبون ويستعجلون ويستفسرون عن الاسباب الداعية الى تأخير اصدار القوانين المأخوذة من الشريعة ولعل مجلس الشعب يجيب على ذلك .

استئصال التطرف

***سؤال : على حين ظهرت مخاوف لدى البعض من أن تبنى الشريعة الاسلامية قد يخلف ردود فعل التطبيق تنعكس فى ظهور جماعات سياسية تقليدية ذات طابع دينى متطرف — رأى آخرون أن تطبيق الشريعة هو أجدى سبيل لقطع الطريق على المتطرفين ، ما هى وجهة نظركم ؟**

* * اننى أرى أن تطبيق الشريعة هو أجدى سبيل بالفعل لقطع الطريق على كل متطرف ذى نزوة فتطبيق أحكام الشريعة كاملة من شأنه أن يقف فى وجه كل دعى يتخذ الاسلام ستارا لعمل يريده لنفسه أو ليشكل بمقتضاه حزبا علينا أو سريا ان تطبيق الأحكام الشرعية سيقضى على كل هذه النوازع والنوايا غير الحسنة ، فالتطبيق لن يخلق أى جماعات أو تجمعات متطرفة بل سيستأصلها ويقضى عليها جميعا بحيث لا تقوم لها قائمة .

سناء السعيد

طرائف

المرء على دين خليله

قال – عليه الصلاة والسلام – :

« المرء مع من أحب » .

وقال عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – : « ما من شىء أدل على شىء ، ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب » .

وقال بعض الأدباء : « يظن بالمرء ما يظن بقرينه » .

وقال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عباد الرحمن

ينسب الى الامام على – كرم الله وجهه – أنه قال :

الناس سبع طبقات :

فالطبقة الأولى : الفراعنة .

يدعون الناس الى عبادتهم ، أما أنهم لا يؤمرونهم أن يصلوا لهم ، ولا يصوموا ولكنما يأمرونهم بطاعتهم فيطيعونهم ، فبطاعتهم لهم فى معصية الله – جل ثناوه – قد اتخذوهم أربابا من دون الله !!

والطبقة الثانية : جبابرة أكل الربا ، وبيعهم السحت .

والطبقة الثالثة : فساق قد تشردوا من الدين كما ينشرد الشارد من الابل .

والطبقة الرابعة : أصحاب الرياء ليسوا يعبدون الا الدينار والدرهم .

والطبقة الخامسة : مخادعون يطلبون الدنيا بزى الصالحين .

والطبقة السادسة : فقراء انما هم أحدهم أن يشبع شبعة من الطعام ،لا يبالى أحلالا أخذها أم حراما .

والطبقة السابعة : الذين أثنى الله – عز وجل – عليهم ، فقال : **« وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا**

مواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » .

البلاغة حد الاعتدال فى الكلام

قال جعفر بن يحيى : اذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا .

واذا كان الاكثار واجبا كان التقصير عجزا .

نصيحة

قال رجل لعمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ :

اجعل كبير المسلمين عندك أبا .

وصغيرهم ابنا .

وأوسطهم أخا .

فأى أولئك تحب أن تسىء اليه ؟! .

ما أعجب

سأل سليمان بن عبد الملك الأموى عمر بن عبد العزيز يوما ما تقول فى الدنيا ؟ .

فقال له : أرى دنيا يأكل بعضها بعضا .

فنظر اليه سليمان ، وقال : ما أعجبك ؟ .

فقال عمر : بل ما أعجب من عرف الله فعصاه وعرف الشيطان فأطاعه ، وعرف الدنيا فركن اليها .

سؤال وجواب

سأل السلطان عليا بن الحسين النيسابورى :

لم لا تجىء الىّ ؟ .

فأجابه : أردت أن تكون خير الملوك اذ تزور العلماء .

ولا أكون شر العلماء فأزور الملوك !!

لست أهلا لها

دعى أبو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ ليكون قاضيا فقال : لست أهلا لها !!!

فقيل له : لابد من ذلك .

فقال : قد قلت لست أهلا لها ، فان كنت فى ذلك صادقا عذرتنى .

طرائف ومواقف

وان كنت كاذبا فيكذبى هذا قد تحقق أنى لست أهلا لها .

عظة بالغة

قال الأصمعى :صنع الرشيد يوما طعاما فاخرا ، وزخرف مجالسه ، ثم أحضر أبا العتاهية الشاعر .

فقال له : صف ما نحن فيه من نعيم الدنيا ، فأنشد :

عش ما بدا لك سالما
فى ظل شاهقة القصور

فقال : أحسنت ثم ماذا ؟ فأنشد :

يسعى اليك وما اشتهيـ
ـت لدى العشية والبكور

فقال : أحسنت أحسنت ، ثم ماذا ؟

فأنشد :

واذا النفوس تغرغرت
بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا
ما كنت الا فى غرور

فبكى الرشيد بكاء شديدا .

فقال بعض الحاضرين : لأبى العتاهية . بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته ؟ .

فقال الرشيد : دعه فانه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا منه .

دعاء

اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا .

تصحيح

ورد بالسطر الثانى عشر بالعمود الثانى بالصفحة ١٠٧٧ بالجزء السابع من مقال (المسيح عيسى بن مريم عليه السلام) خطأ فى اسم المدينة بأنه مدينة (صدر) وصحته مدينة (صور).

كما ورد بالفقرة ٣ من العمود الثانى ومن نفس المقال فى الجزء المشار اليه بالصفحة ١٠٨٠ أن ما رواه يوحنا فى انجيله هو فى الاصحاح الحادى عشر عدد ٣١ وما بعده وصحته (فى الاصحاح العاشر عدد ٣١ وما بعده) .

ورد ص ١١٣٢ من عدد رجب ١٤٠٥ بمقال : من أعلام الأزهر : الشيخ صالح موسى شرف ــ السطر الخامس بشأن تاريخ ميلاد الشيخ أنه فى ١٨/٧/١٩٨٤ وصحته ١٨/٧/١٨٩٤ م .

ونزيد أن الشيخ ــ رحمه الله ــ نال شهادة (العالمية) عام ١٣٤١ هـ ــ ١٩٢٤ م .

في اللغة والأدب والنقد

الوقف على المهموز

في ذمة الله يا أحمد

مع رسالة الأدب والنقد

الوقف على المهموز الآخر

الهمزة أبعد الحروف وأخفاها ، لأنها من أقصى الحلق ــ والوقف عليها يزيدها خفاء ، لذهاب الحركة المبينة للحرف ــ ولذلك احتاجوا الى بيانها عند الوقف ــ ان وجدت ، وللعرب عند الوقف عليها مذهبان :

١ ــ التخفيف بالحذف أو القلب ٠

٢ ــ التحقيق ٠

فالأول مذهب الحجازيين ، واليك مسلكهم فى التخفيف ٠

فان كان ما قبلها متحركا قلبت الهمزة حرفا مجانسا للحركة التى قبلها فى جميع أحوال الاعراب ، فتقلب ألفا فى نحو الرشأ ، وواوا فى نحو أكمؤ ، وياء فى نحو مستهزىء فيصبح الآخر حرف لين فلا يجوز فيه عند الوقف الا الاسكان دون الروم والاشمام والتضعيف والنقل ــ كما عرفنا سابقا ٠

فتقول : هذا رشا ، ومن رشا ، ورأيت رشا ــ بالألف فى الجميع وكذلك تقول : أكمو بقلب الهزة واوا ــ وتقول : مستهزى بقلب الهمزة ياء فى جميع أحوال الاعراب ٠

وان كان ما قبلها ساكنا ــ نقلوا حركتها الى الساكن قبلها وحذفوها ثم حذفوا الحركة للوقف ٠ فاذا وقفوا على نحو الخبء والردء والبطاء ــ وقفوا بالسكون على الباء والدال والطاء ، ويجوز أيضا مع الاسكان الروم والاشمام : والتضعيف ٠

واذا كان بعد التخفيف منونا قلبنا النون ألفا ، نحو رأيت ردا ٠ وبطا ٠ وخبا ــ واليك ما قاله فى هذا الموضع امام هذه الصناعة ٠

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٦) فأما الذين لا يحققون الهمزة من أهل الحجاز ــ فقولهم : هذا الحبا فى كل حال لأنها همزة ساكنة قبلها فتحة فانما هى كألف رأس اذا خففت ولا تشم لأنها ألف كألف مثنى ، ولو كان ما قبلها مضموما لزمها الواو نحو أكمو ، ولو كان مكسورا ألزمت الياء نحو أهنى وتقديرها أهنع فانما هذا بمنزلة جونة وذيب ولا اشمام فى هذه الواو لأنها كواو يغزو واذا كانت الهمزة قبلها ساكن فخففت فالحذف لازم ، ويلزم الذى ألقيت عليه الحركة ما يلزم سائر الحروف غير المعتلة من الاشمام واجراء الجزم وروم الحركة والتضعيف أ هـ ٠

للدكتور عبد العظيم على الشناوى

والثانى : مذهب المحققين واليك مسلكهم عند الوقف .

فان سكن ما قبل الهمزة وقفوا عليها بحذف حركتها فقط فى الرفع والجر والمنصوب غير المنون (١) كما تقف على بكر ، وخالد ويجوز فيها مع الاسكان الروم والاشمام ولا يجوز التضعيف (٢) — كما ذكرنا قبل .

قال سيبويه :أما كل همزة قبلها حرف ساكن فانه يلزمها فى الرفع والنصب والجر ما يلزم الفرع من هذه المواضع التى ذكرت لك من الاشمام وروم الحركة ومن اجراء الساكن (٣) أ هـ .

وبعض العرب يلقى حركتها على الساكن الذى قبلها ولا يحذفها لأن الحركة قبلها تزيدها بيانا — والهمزة لفرط خفائها أحوج الى تحريك ما قبلها من سائر الحروف — ولذلك ألقوا حركتها مطلقا على ما قبلها — فتحة كانت أو ضمة أو كسرة — وقد عرفت سابقا أن الكثير يمنع نقل الفتحة فى غير المهموز .

وأيضا ألقوا ضم الهمزة الى ما قبلها فى الثلاثى المكسور الفاء نحو هذا الردء — بكسر فضم وألقوا كسرها الى ما قبلها فى الثلاثى المضموم الفاء نحو من البطء — بضم فكسر وان انتقل اللفظان بهذا النقل الى وزن مرفوض ولم يفعلوا ذلك فى غير الهمزة — كما تقدم — خصوا الهمزة بما ذكرنا لكراهيتهم وقوعها ساكنة بعد ساكن لخفائها .

ولا يجىء فى المنقول اعرابها الى ما قبلها الروم والاشمام ، لأنهما لبيان الحركة ، وقد حصل ذلك بالنقل .

قال سيبويه : واعلم أن ناسا من العرب كثيرا يلقون على الساكن الذى قبل الهمزة حركة الهمزة .

سمعنا ذلك من تميم وأسد يريدون بذلك بيان الهمزة ، وهو أبين لها اذا وليت صوتا (٤) ، والساكن لا ترفع لسانك عنه بصوت ، لو رفعت بصوت حركته (٥) : فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها فى الوقف حركوا ما قبلها ليكون أبين لها وذلك قولك :

---

(١) أما المنون فلا تحذف حركته على المشهور بل يقلب التنوين ألفا بعد الفتحة فحكم الهمزة — هنا كحكم الحرف الصحيح الموقوف عليه تماما .

(٢) قال سيبويه جـ ٢ ص ٨٦ ولم نسمعهم ضاعفوا لأنهم لا يضاعفون الهمزة فى آخر الحروف فى الكلام (الوصل) — أ هـ .

(٣) جـ ٢ ص ٢٨٥ .

(٤) أى والصوت لا يكون الا مع الحركة .

(٥) أى لو رفعت لسانك عن السكون بصوت لتحرك .

الوقف على المهموز الآخر

هو الوثؤ ومن الوثىء ورأيت الوثأ الخ الأمثلة التى ذكرها ـ ج ٢ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

وبعض بنى تميم لا ينقل فى نحو (هذا الردء) ولا من البطء ـ تجنبا لما يؤدى اليه النقل من الوزنين المرفوضين وهما فعل ـ بضم فكسر ـ وفعل ـ بكسر فضم (٣) ـ وانما يتبع العين ألفا فى حركتها .

قال الرضى ج ٢ ص ٣١٢ ـ : وذلك أنهم لما رأوا أنه يؤدى النقل فى البطء فى حال الجر ، وفى الردىء فى حال الرفع الى الوزنين المرفوضين أتبعوا العين الفاء فى حال الجر فى البطؤ ، وفى حال الرفع فى الردىء فتساوى الرفع والجر فيهما فكرهوا مخالفة النصب اياهما ، فأتبعوا العين ألفا فى الأحوال الثلاث .

قال سيبويه : وأما ناس من بنى تميم فيقولون : هو الردىء ـ بكسرتين كرهوا الضمة بعد الكسرة : لأنه ليس فى الكلام فعل ـ بكسر فضم ـ فتنكبوا هذا اللفظ لاستنكار هذا فى كلامهم . وقالوا : رأيت الردىء ـ بكسرتين ـ ففعلوا هذا فى النصب كما فعلوا فى الرفع أرادوا أن يسووا بينهما . وقالوا من البطؤ ـ بضمتين ـ لأنه ليس فى الأسماء فعل ـ بضم فكسر ـ وقالوا : رأيت البطؤ أرادوا أن يسووا بينهما أ هـ .

وبعض العرب يحذف حركة الهمزة ويقلبها حرفا مجانسا للحركة المحذوفة : فيقول : هذا الوثو ، والبطو . والردو ، ومررت بالوثى ، والبطى ، والردى ، بسكون العين فى الجميع ، وأما فى حالة النصب فلا يمكنه تسكين ما قبل الألف اذ الألف لا تجىء الا بعد فتحه ، فيقول : رأيت الوثا والبطا والردا ، بالنقل والقلب .

قال سيبويه : ومن العرب من يقول : هو الوثو ـ بسكون الثاء فيجعلها (أى الهمزة بعد حذف حركتها) واوا حرصا على البيان ، ويقول : من الوثى فيجعلها ياء ، ورأيت الوثا بسكون الثاء فى الرفع والجر ، وهو فى النصب مثل القفا ـ أ هـ (ج ٢ ص ٢٨٦) .

واعلم أن الذين تجنبوا ـ عند وجود الهمزة ـ الوزن ـ المرفوض فى النقل فأتبعوا العين الفاء فى حركاتها . تجنبوا أيضا هذا الوزن المرفوض عند قلب الهمزة . فقالوا : هذا البطو ، ومررت بالبطو ، ورأيت البطو ، وهذا الردى ، ومررت بالردى ، ورأيت الردى ـ باتباع العين للفاء فى الجميع ـ ولزم من ذلك بقاء الواو فى البطو لضم ما قبلها فى جميع الأحوال ـ وبقاء الياء فى الردى لكسر ما قبلها فى جميع الأحوال .

قال سيبويه : وأما من لم يقل : من البطىء

---

(١) أى أنك لو قلت : هذا الردؤ . بنقل حركة الهمزة الى الدال لصار وزنه فعل : بضم فكسر : ولو قلت : من البطىء . بنقل حركة الهمزة الى الطاء لصار وزنه فعل . بضم فكسر : والوزنان مرفوضان ففرارا من هذا أتبعوا العين الفاء فى حركتها فكسروا العين ان كانت الفاء مكسورة وضموها اذا كانت الفاء مضمومة .

ــ بضم فكسر ــ ولا هو الردؤ ــ بكسر فضم فانه ينبغى لمن اتقى ما اتقوا (وهو الـــوزن المرفوض) أن يلزم الواو والياء (١) أهـ جـ ٢ ص ٢٨٦ ٠

هذه اللهجات التى ذكرناها اذا كان ما قبل الهمزة ساكنا ــ عنـــد أهـــل التحقيق فان كان ما قبلها متحركا ، نحو الرشأ ، وأكمؤ ٠ وأهنىء فانك تقف عليه كما تقف على المنتهى بحرف صحيح كجمل ورجل وكبد ، لأن حركة ما قبلها تبينها فيجرى فيه جميع وجوه الوقف الا التضعيف لما عرفنا والا النقل لأن ، ماقبلها متحرك ٠

قال سيبويه :واذا كان الحرف قبل الهمزة متحركا لزم الهمزة ما يلزم القطع من الاشمام واجراء المجزوم وروم الحركة أ هـ جـ ٢ ص ٢٨٦ ٠

وبعض العرب : من الذين يحققون الهمزة ــ يقلب الهمزة حرفا مجانسا لحركتها ان كان ما قبلها مفتوحا ــ فيقول : هـــذا الكلـــو ٠ ومررت بالكلى ورأيت الكلا يقلبون المضمومة واوا ، والمكسورة ياء ، والمفتـــوحة ألفـــا ــ وانما فعلوا ذلك حرصا على البيان لأن الفتحة عندهم كالعـــدم لخفتهـــا فأعطـــوها حـــكم السكون (٢) ٠ ولأنها لا يستثقل بعدها حـــرف العلة ــ بخلاف الضم والكسر ٠

قال سيبويه : ومن العرب من يقول : هو الكلو ، حرصا على البيان كما قالوا هو الوثو ــ بقلبها بعد الفاء الساكنة ــ ويقول : مـــن الكلى بجعلها ياء كما قالوا : مـــن الـــوثى ، ويقول : رأيت الكلا ورأيت الحبـــا بجعلهـــا ألفا ، كما جعلها فى الرفع واوا ، وفى الجرياء ، وكما قالوا : الوثا ، وحركت الثاء لأن الألف لابد لها من حرف قبلها مفتوح أ هـ جـ ٢ ص ٢٨٦ ٠

عبد العظيم على الشناوى

---

(١) اى يلزم ضم الطاء فى البطو تبعا لحـــركة العين فتلزم الواو لضم ما قبلها ــ وأن يلزم الكسر فى دال الردى تبعا لحركة العين فتلزم الياء لكسر ما قبلها .

(٢) اى انهم اعطوا الفتحة التى قبل الهمـــــزة حكم السكون الذى قبلها ٠

فى ذمة الله يا أحمد

حين نعى الى صديق الصبا الأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى انبعثت مع الحزن عليه ذكريات عزيزة مازالت تعيش فى صدرى غضة كأنها من مواليد أمس ، وانبعاث الذكريات وتحركها مصحوبة بالنعى تكون أشد ايلاما وأقوى وقعا على النفس ، اذ يتلاقى الأمل واليأس معا ويدوران فى فلك واحد من لحم ودم .

وهذه الذكريات تمثل عهدا بالحمى : حمى معهد أسيوط حين دخلنا مع المستجدين لنتلقى العلم ونستقبل الحياة على نهج يخالف ما كنا فيه فى قرانا ، ومنا من شدا شيئا من القراءة والكتابة وحفظ القرآن فى الكتاتيب ومنا من نال حظه من المدارس الالزامية .

ومن « بنى زيد مركز أبنوب مديرية أسيوط » (المحافظة الآن) قدم الطالب أحمد حسن عبد العواض الى معهد أسيوط لينتظم طالبا مع زملائه ، وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره ، فقريته قريبة من المعهد ، فلو ضاقت به الحال كانت له مندوحة فى الذهاب الى أهله فى بنى زيد ، وقد زرت تلك القرية ومكثت فيها يوما وليلة مع جماعة كلهم من قريتى « تونس سوهاج » فوجدناها خصبة يعيش أهلها فى سماحة على عكس القرى المجاورة لها ، وأقاموا لنا حفلا فيه الطبل ورقص الخيل والتحطيب ، وكانت وسيلتنا فى الذهاب والعودة الخيل والحمير .

فالأستاذ أحمد جاء من قرية هادئة ليطلب العلم فى معهد قائم على التقوى ورعاية الطلاب ، وكان من حظنا الحسن أن المعهد عين له طائفةمن الخريجين الجددعلى قدر من العلم والحلم لا نظير له منهم الشيوخ أمثال :

الشيخ عبد الرحمن تاج (شيخ الأزهر فيما بعد) والشيخ محمد على السنوسى المرجع فى فقه الامام مالك ، والشيخ قطب وبراعته فى تدريس النحو ، والشيخ شبل يحيى شاعر الأزهر ، وغيرهم .

ومنهم (الأفندية) من المعلمين العليا الأساتذة :

عبد العزيز عبد الحق للتاريخ ، وعبد الخالق سليمان للجغرافية ، والرخاوى للرياضيات .

وشيوخ المعهد ممنتعطر المجالس بذكرهم منهم .

الشيخ عبد الحكيم عطا صاحب المقولة

---

١ — فى هذا الباب جادت قريحة الاستاذ رحمه الله بمقالاته فى العربية وفى نفس المقام نسجل كلمة زميله الفاضل الاستاذ السيد حسن قرون .

للأستاذ السيد حسن قرون

« لو ضاع مذهب الامام مالك لجمعتــه مــن صدرى » والشيخ ابراهيم حمروش صــاحب النظام والانضباط (شيخ الأزهر فى المستقبل) والشيخ محمود الدينارى العــالم المتفتح لشئون الدين والدنيا .

وفى هذا الجو المشرق والرعــاية الحانيـــة وجد الطالب النجيب أحمد بغيته ، وكان لــه ذكاء عرف به وأشير اليه من مدرسيه وزملائه .. وكانت لى معه زمالة وصحبة لم تنقطع حتى حين نفترق ، وقد افترقنــا كثيرا واجتمعنــا كثيرا أيضا ، وضمنا مع الدرس حبنا للصحف والمجلات فكانت الهواية ، فكنا نقرأ صــحف ذلك الزمان ، ومنها الجهاد وكــوكب الشرق والبلاغ والأهرام والمقطم ، والهلال والمقتطف والمصور واللطائف المصورة الى كثير من تــلك الأنواع وكأنها مقررة وننتظر صدورها بفارغ الصبر ولاسيما يوم الاثنين ومجلة الرسالة .

ولقد أعطاه الله عقلا متفتحا وحافظة لاقطة لا يضيع منها شىء اذا حل فيها وهو فى هــذا أقرب الى البداءة منه الى الحضارة ، فالمتحضر يعتمد على الكتابة أما المبتدى فيعتمــد عــلى الرواية ، من ذلك ما حدث منه سنة ١٩٣٢ فقد كنا زمرة نسير نحو خزان أسيوط ومعنا جريدة الجهاد ، وفيها خطبة للزعيم مصطفى النحاس بمناسبة « عيد الجهاد الوطنى » وقرأ أحــدنا الخطبة ، وأغلب الظن أنهــا مبــدوءة بتــلك الفقرة :



« خمس سنوات مضت وهم يحاربون سعدا فى مماته كما كانوا يحاربونه فى حيــــاته ، فما نالوا منــه منــالا لا فى الحيــاة ولا فى الممات » .

وفى العودة أخذ (أحمد حسن) يسمع لنــا الخطبة من ذاكرته .. ألا تراه جديرا بلقب (الراوية) ، وهى ميزة تحسب له ، وقد أفادته فى تحصيل العلوم والمعارف ، وأن يطلب العلم فى المعهد ويتقدم لنيل « شهادة كفاءة المعلمين

في ذمة الله يا أحمد

الأولية » وقد كان ، وبها فارقنا ليكـــون فى القاهرة يتلقى العلم فى « دار العلوم » •

ومما يدل على تميـزه أيضــا أن مفتش الجغرافية دخل علينا الفصل والمدرس يشرح الرياح الموسمية وكان المدرس عبـد الخـالق سليمان •• وبعد قليل أشار المفتش الى طالب يجلس فى آخر الفصل فكان الطالب هو « أحمد حسن » وطلب اليه أن يعيد ما شرحه المدرس ، وكانت الاجابة سديدة ، فطلب اليه أن يخرج ليرسم خريطة الدرس على السبورة •• وفى دقائق تم الرسم والكتابة على الرسم فما كان من المفتش الا الثناء على الطالب والمدرس •• وقال يكفى هذا وخرج ، وعلق أحد الطـلاب بما يفيد أننا جميعا لو سئلنا لكان مالا تحمد عقباه • كنا يؤمئذ فى السنة الثانية من القسم الثانوى ، ونرجو أن ننجح لنستقبل شـهادة الكفاءة الأزهرية •• أما هو فيحمل كفـــاءة المعلمين التى تخول لصاحبها أن يكون مدرســا بالمدارس الالزامية •• ولم يقبـل وتعجـل بدار العلوم كما قلت سابقا • وحين افترقنــا كانت الرسائل بيننا نصف المشـاهدة ــ كمـا يقولون ــ •

والتقيت به سنة ١٩٣٧ أول عهدى بكليـة اللغة العربية وآخر سنة له بدار العلوم ، وكانت مدة الدراسة فى دار العلوم أربع سـنوات على حين أن مدة الدراسة فى كلية اللغة سـت سنوات وكان تخـرجه سـنة ١٩٣٨ • وحين التقيت به فى القاهرة لم أحس بالزمن الذى مضى ، وكأننا لم نفترق ، وكأن سبقه اياى فى الدراسة لم يغير من الأمر شـيئا ، فكـان حديثنا عن الأدب والكتب والصحف كما هو ، وننظر الى الكتاب والشعراء نظرة واحـدة لا تعصب لأحد ولا استهانة بنتاج أحد •

وحزنت حين لم أره فى العام التالى وهون وجدى أنه عين بسوهاج بمدرسة « بسـطا » فكنت أزوره وأدعوه الى زيارة قريتى واستجاب فكان يحل بأسرتى من حين الى آخر وأنا غائب بالقاهرة ••

وشغلتنا حياتنا ، وأفنينا سنوات العمر فى التدريس والتنقلات •• وعلى حين غفلة زرت مدرسة كنت أعمل بها مدرسا أول ، فوجـدته حل مكانى ، وعجبت أن يكون مدرســا أول وزملاؤه مفتشون ويتحكمون فى ترقيـــات المدرسين •• وغضبت له •• وتذكروه فكان من المفتشين (الموجهين) وكنت فى الفينة بعـد الفينة أقابله فى صلاة الجمعة بالأزهر الشريف•

وأراد الله لى الخير لأحظى بأحادثيه كمـا كنت أحظى بها فى الشباب المولى ، واذ بمجلة الأزهر تنشر له بحوثا نحوية •

ورجعت الى الصبا قرير العين بما أقـرأ من بحوثه وتحليلاته وتعليلاته ، وفيها عـلم غزير ودقة متناهية فى لغوياته واعـرابه •• راجع ما كتبه عن « تعدى الفعـل ولزومه » و « صيغ المبالغة » وأخيرا « حكم الاسـم الفضلة بعد الوصف » انك ستجد ما نوهت به ، وحبذا لو جمعت بحوثه فى كتيب •

ومن غريب أمره أنه فى مقاله الأخير أتى بشاهدين من الشعر على بعض مسائله ، يدل أحدهما على خلقه الطيب ، والآخر على حسن

رجائه فى لقاء ربه . أما الأول فهو :

مـا الراحم القلب ظلاما وان ظلمـا
ولا الكريم بمنـاع وان حـرما

فهو رحيم القلب لا يظلم وان ظلم ، وهـو كريم لا يمنع خيره عمن حرمه ، وقد كان كذلك لم أره يميل الى الأذى حتى الحديث عن زملائه يتسم بالثناء عليهم وان كانوا غير ذلك ، فلـه من وفائه للأزهر ما يمنعه من ركوب الخطـر واقتراف المنكر .

أما البيت الآخر الذى جاء شـاهدا عـلى قاعدة نحوية وفى الوقت نفسه يدل على حسن رجائه فى لقاء ربه فهو :

فيـارب انى من عـذابك خـائف
وانى اليـك تـائب النفس باخـع

فلقد كان منذ صـغره لا يعرف ما يشـين الطالب ولا ما يؤذى الصاحب ، فكيف بـه وقد صار من رجال التربية والتعليم والقـدوة للتلميذ والمدرس ؟ فهو رجل مفطور على الخير ، منذور للدرس ، كل همه فى أداء الواجب وترك أمره للمقادير فلم أره شاكيا كما كنا نفعـل اذا لم نأخذ حقنا فى الترقية أو المكان المرغوب فيه ، وحسبك أنه أمسك الطباشير طـويلا قبل أن يكون الموجه والمشير .

وأرانى كلما ذكرته وجدت نفسى معـه فى ربوع أسيوط ومساجدها وعلى جسر الابراهيمية وعلى هضابها ومعنا الكتاب والورقة والقلم ، وكانت ليلـة الاسراء والمعـراج عيـدا لنـا نحضرها لنسمع القصة من أحد شيوخ المعهد ، وحين ننتهى من السماع نخرج فنعلق عـلى القصة ونمثل صوت الشيخ وهو يلقى ، حياة بعيدة عن مطامح الدنيا ، وأظنه بقى على نهجه فى الكهولة والشيخوخة ، عرف الزهد وعـرف طريق الصالحين فهو عند مـا نقله النووى فى مقدمة كتابه :

« رياض الصـالحين من كلام سيد المرسلين »

ان للـه عبـادا فطنـا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنـا
نظروا فيهـا فلمـا علموا
أنها ليست لحـى سـكنا
جعلوها لجـة واتخـذوا
صالح الأعمال فيهـا سفنا

وقد توفى .. فى الثامن عشر من جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ المـوافق ٨ من فبراير ١٩٨٥ م ــ رحمه الله رحمة واسـعة ونفعنا بسيرته ..

السـيد حسـن قرون

مع رسالة الأدب الصوفى

الزهاد المتأدبون

ما يزال الأدب الصوفى يرد على معين القرآن الكريم والحديث الشريف ويصدر عنه وقد ارتوى من بيانهما الرائع وأخذ من أسلوبهما الناصع ما يرتفع به الى أعلى قمة وأرفع ذروة .

ومن ذلك تعبيرات أدباء الصوفية حول الزهد وآدابه وأذواقه .

وليس بعد بيان القرآن بيان فى تصوير حال الدنيا والتنفير من التهالك عليها وفى دعوته الى وجوب الاقبال على الآخرة والتزود لها .

من ذلك قوله تعالى : « اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ـ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ـ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ـ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » الحديد ٢٠ : ٢٣ .

وصور لنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حال الدنيا تصويرا عمليا .

فمن ذلك ما رواه الامام مسلم فى صحيحه فى باب الزهد مرويا عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفتيه ، فمر بجدى أسك ميت فتناوله فأخذ باذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشىء وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت ؟ فقال : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم .

والأسك : صغير الأذنين .

وكان الزهد شعار النبى صلى الله عليه

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

وسلم وللترغيب فيه كان يدعو ربه قائلا — فيما رواه مسلم — :

اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية أخرى كفافا ، وهما بمعنى الكفاية من غير اسراف .

مفهوم الزهد :

والزهد بمنطق الدين والعقل والتجربة يعلم الانسان كيف يعمل على تعمير أخراه حتى يقدم على ربه وهو طامع فيما هو أبقى وأفضل ، ومؤثره على ما هو أدنى وأسفل ، وكيف يعلو بهمته فوق ما يتطلع اليه الناس ، وكيف يرفع منزلته بينهم وينجو من شرورهم، فهو بزهده فيما فى أيديهم يبعد عن ميدان تصارعهم وتنافسهم ويتحرر بذلك من قيود الاذلال ويظفر بحريته بينهم . وقديما قال الحكيم الصوفى « ابن عطاء الله السكندرى »: ما بسقت أغصان ذل على بذر طمع .

وهو تصوير جميل لحال الأطماع التى تورق الذل وتثمر الضياع فى النهاية .

وأراد الامام « ابراهم بن عباد الرندى » شارح حكم « ابن عطاء الله » أن يعلق على هذه الحكمة المتقدمة بما يزيدها وضوحا فاستشهد على صحتها بما قاله « أبو الحسن الوراق » : من أشعر فى نفسه محبة شىء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ، ومن طمع فى شىء ذل وبذله هلك .

وقد قيل فى اهلاك المطامع لأصحابها :

أتطمع فى ليلى وتعلم أنما
تقطع أعناق الرجال المطامع

ولا نذهب بعيدا فالحكمة الذائعة تقول : أذل الحرص أعناق الرجال .

ويقص « الرندى » هذه القصة :

قدم أمير المؤمنين « على بن أبى طالب » رضى الله عنه البصرة ، فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم — بمعنى أمرهم بالقيام من مجالسهم — حتى جاء الى « الحسن البصرى » رضى الله عنه — فقال : يافتى انى سائلك عن أمر فان أجبتنى عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك .

— وكان قد رأى عليه سمتا وهديا — .

فقال « الحسن » سل عما شئت قال : ماملاك : الدين ؟ قال : الورع ، قال : فما فساد الدين ؟ قال : الطمع . قال : اجلس فمثلك من يتكلم على الناس .

ولعله لا يفهم من الزهد ترك الأسباب والتخلى عن العمل والقعود عن الطموح المباح ، فذلك مفهوم الجاهلية المتواكلين .

ولكن الزهد معناه عند الصوفية المتحققين : « عدم الركون الى الدنيا اذا هى أقبلت أو الوقوف عندها والافتتان بها ان هى أزهرت ، هى فى اليد لا فى القلب هى للانفاق لا للجمع هى وسيلة وليست هدفا .

◄

الزهـــاد المتأدبون

الزهد كما قال « رويم بن أحمد » وهو من أئمة الصوفية ـ فيما يرويه كتاب اللمع للطوسى :

الزهد هو ترك خطوط النفس من جميع ما فى الدنيا •

وحين سئل « الجنيد » عن الزهد قال فيما قال : هو تخلى القلوب عن الطمع •

أما « الشبلى » فهو يتقدم خطـوة أكبر فيقول : الزهدغفلة لأن الدنيا لا شىء والزهد فى لا شىء غفلة •

التصوف يدعو أهله الى العمل وينفرهم من الكسل ، وحكوا عن « عبد الله بن المبارك » قوله : لا خير فيمن لا يذوق ذل المكاسب ، وفى رواية : لذة المكاسب •

ويقول أيضا : مكاسبك لا تمنعك مـن التفويض والتوكل اذا لم تضيعهما فى كسبك•

والزهد والتوكل بينهما عـلاقة وثيقـة ، فالزاهد متوكل لأنه يرمى بقصـده الى الله تعالى ويعتمد عليه ولا يلجأ الا اليه وكلاهما من معين واحد ولهما هـدف واحـد ، هـو الارتفاع بالانسان الى منزلـة عليا تربطـه بخالقه وتحرره من قيود المادة وأوضار الطمع وتحلق به فى سماء الروح حيث يوقن المـرء أنه لا رازق الا الله ولا قادر سواه ولا معطى الا هو ولا مانع لما يعطى ولا ضار لمن ينفع ولا حول ولا قوة الا به سبحانه •

والعاقل فى حاجة الى هذا اليقين العاصم من الفتن ، وهو منحـة مـن الله قـد تأتى بالاجتهاد العلمى والعملى ، وتكتسب بالسلوك الصالح الذى يأخذ به شـيوخ الصـوفية مريديهم من تدريب على ألوان من الطاعات وأنماط من المجاهدات ترفع الغشـاوة عن العيون وتنير الطريق أمـام السـعداء والمحظوظين •

الزهـد والأدب :

وأصبح الزهد قيثارة يشـدو على أوتارها الشعراء حتى أولئك الذين لم يكن لهم حظ من التصوف ، وكان فى مقـدمتهم أبو العتـاهية الذى اشتهر عنه التفنن فى التعبير عن الزهد حتى نسب اليه أنه رائد شعر الزهد فى العصر العباسى •

ومن أمثلة شعره فى ذلك :

اذا المرء لم يعتـق من المـال نفسـه
تملكه المـال الـذى هـو مالكـه
ألا انمـا مـالى الـذى أنـا منفق
وليس لى المـال الـذى أنا تاركـه
اذا كنت ذا مـال فبادر به الـذى
يحق والا اسـتهلكته مهالكـه

يقول الأستاذ محمود مصطفى صـاحب كتاب الأدب العربى وتاريخه : لما أنشـد « أبو العتاهية » هذه الأبيات قيل له : من أين قضيت بهذا ؟ قال : من قول رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : انما لك من مـالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت •

أمـا « الحسـن بن هـانىء » المعـروف « بأبى نواس » فمن شعره فى الزهد قـوله

الذى أورده « الجاحظ فى كتابه « البيان والتبين » :

آية نار قدح القادح
وأى جد بلغ المازح
لله در الشيب من واعظ
وناصح لو حظى الناصح
يأبى الفتى الا اتباع الهوى
ومنهج الحق له واضح

فاسم بعينيك الى نسوة
مهورهن العمل الصالح
لا يجتلى العذراء من خدرها
الا امرؤ ميزانه راجح
من اتقى الله فذاك الذى
سيق اليه المتجر الرابح

واذا كان أبو نواس له حظ فى شعر الزهد فقد قال « بشار بن برد » قبله :

كيف يبكى لمحبس فى طلول
من سيقضى لحبس يوم طويل
ان فى البعث والحساب لشغلا
عن وقوف بكل رسم محيل ..

هذه أمثلة من أشعار الذين عزفوا على قيثارة الزهد ــ بعد أن أدركوا أن هذا اللون من الأدب له صدى فى النفوس لأنه يخاطب العواطف المستكنة والضمائر المستترة ويحرك الايمان الذى حجبته زخارف المدنية الزاحفة من أطراف البلاد المفتوحة ، ولعلهم هم أنفسهم بدءوا يسأمون اللذات التى استهلكتهم وأخذوا يثورون على الشهوات التى استعمرتهم ..

من قصص الزهد :

وهناك شعراء وقفوا أنفسهم على الزهد وعرف عنهم التحقق بمقامه فلم يكن تعبيرهم عنه تقليدا أو تصنعا ، ومنهم « عروة بن أذينة » وقد أثر عنه فى مطلع حياته شعر غزل يأخذ بمجامع القلوب ، ولكنه تحول عنه الى الزهد ، ويعده النقاد من العلماء الزهاد ومن أقواله :

نراع اذا الجنائز قابلتنا
ويحزننا بكاء الباكيات
كروعة ثلة لمغار ذئب
فلما غاب عادت راتعات

وهو تصوير جميل لواقع الناس الذين تردهم المصائب الى الله قليلا ثم لم يلبثوا بعد قليل أن يعودوا كما كانوا الى لهوهم وعبثهم وغفلتهم .

حدث كتاب « مهذب الأغانى » عن « عروة ابن أذينة » القصة الآتية :

وفد « عروة » على « هشام بن عبد الملك » فى جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف « عروة » فقال له : ألست القائل :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى
أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه
ولو قعدت أتانى لا يعنينى ؟

وأراك تضرب من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق ؟

فقال له : لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت فى الوعظ وأذكرت ما أنسانيه الدهر ، وخرج الى راحلته ــ من فوره ــ فركبها وسار راجعا الى الحجاز ، فمكث « هشام » يومه غافلا عنه ، فلما كان فى الليل تعار

الزهـاد المتأدبون

على فراشه فذكره ، وقال فى نفسه : رجل من قريش قال حكمة ووفد الى فجبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن مايقول .

فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفى دينار وقال : الحق بهذه « ابن أذينة » فأعطه اياها ، فسار اليه فلم يدركه الا وقد دخل بيته فقرع عليه الباب فخرج فأعطاه المال . فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له : كيف رأيت قولى ؟ سعيت فأكديت ورجعت الى بيتى فآتانى فيه الرزق .

وساق « الحريرى » هذه القصة فى كتابه « درة الغواص » بعد أن ذكر البيت الأول وقد قدم لقصته بقوله : ولهذا البيت حكاية تحث على استشعار اليقين واعلان الأمل بالخالق دون المخلوقين فجنحته بها تحلية لعاطله ومنبهة على صدق قائله .

كما علق « الشهاب الخفاجى » شارح « درة الغواص » على هذه القصة بقوله : وفى معنى ذلك قول بعضهم : —

مثل الظل الذى تطلبه
مثل الظل الذى يمشى معك

أنت لا تدركه متبعا
واذا وليت عنه تبعك

ثم أورد « الخفاجى » حكاية أخرى رواها عن « ابن أبى الدنيا » وهو عبيد الله بن محمد ابن عبيد المتوفى سنة ٢٨١ هـ . قال : قدم البصرة رجلان يسترفدان « عبيد الله بن عامر » خال « عثمان بن عفان » : — رضى الله عنه ، وكان «عبيدالله» هذا واليا على البصرة وكان جوادا ممدحا ، وأحد الرجلين ابن جابر بن عبد الله الأنصارى ، والآخر ينتمى الى قبيلة ثقيف ، فلما قربا من البصرة نزلا ، فصلى ابن جابر ركعتين ، وقال للثقفى : ما رأيك فى الرجوع ؟ فقال الثقفى : أتعبت نفسى وأكللت مطيتى ثم أرجع بغير شىء ؟ .

فقال « ابن جابر » : انى قد ندمت على قصده واستحييت من ربى أن يرانى طالبا رزقا من غيره . ثم قال : اللهم رازق ابن عامر ارزقنى من فضلك ، ثم قفل راجعا الى المدينة

وكان ابن عامر قد أخبر بمسيرهما ، فلما دخل الثقفى على ابن عامر قال له : أين صاحبك ؟ فأخبره بحاله ، فبكى وقال : والله ما قالها أشرا ولا بطرا ولكن قالها حقا ، فلا جرم أنى أضاعف جائزته ، فأمر للثقفى بأربعة آلاف درهم وكسوة ، وبعث لابن جابر يضعفها ، فخرج الثقفى وهو يقول :

أمامة ما حرص الحريص بزائد
فتيلا ولا زهد المقيم بضائر

خرجنا جميعا من مساقط رؤسنا
على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما أنخنا الماعجات بابه
تخلف عنى الخزرجى ابن جابر
وقال : ستكفينى عطية قادر
على ما أراد اليوم لليأس قاهر

وقال : الذى اعطى العراق ابن عامر
لربى الذى أرجو لسد مفاقرى
فقلت : خلالى وجهه ولطفه
يوجه لى حظ الفتى المتآخر
فلما رآنى سال عنه مبالغا
وحن كما حنت طراب الأباعر
وأضعف من حظ له فى عطائه
على حظ لهفان من الحرص فاغر
فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعى
ولا ضائرى شىء خلاف المقادر

تعليلات طريفة للزهد :

ولأدباء الصوفية تعليلات طريفة للزهد ولكنها منطقية :

فالسكندرى يقول : ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه ٠

وشرح ذلك كما يقول « الرندى » ينظر الى القضية الفقهية العامة التى تقول : درء المفاسد أهم من جلب المصالح ٠ فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضى بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لأنه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيده حصول مصلحة الفرح الذى يزول عن قرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة مصداقا لقول الشاعر الحكيم : :

ومن سره ألا يرى ما يسوؤه
فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله
فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

قيل لبعض الصوفية — وكان دائم الانشراح — : لم لا تغتم ؟

فقال : لأنى لا أقتنى ما يعمنى فقده ، فالمحزون عليه هو المفروح به ، كل على قدره ٠٠ كما قالوا :

على قدر ما أولعت بالشىء حزنه
ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

ومن تعليلاتهم أيضا قولهم : ان الله جعل الدنيا محلا للأكدار ومنزلا للأحزان وموطنا للتقلبات والتغيرات فهى لا تدوم على حال، كل ذلك تزهيدا لنا فيها ٠

والقرآن الكريم يعلمنا ذلك فيقول لنا : **وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** ، ويقول لنا : **وأن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كان يعلمون** ٠

وقد أشار الصوفية الأدباد الى تقلبات الدنيا بقولهم :

ان الليالى لم تحسن الى أحد
الا أساءت اليه بعد احسان

وقال أبو منصور الثعالبى :

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها
ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجوها بمخوفها
ومكروها اما تأملت راجح

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

من قضايا الأدب والنقد

شعراء النقائض

وخصومات جادة

النقائض فن شعرى ازدهر فى عهد الأمويين لأسباب عديدة يذكرها دارسو الأدب ومؤرخوه .

وفى اللغة :

نقض : النون والقاف والضاد أصل صحيح يدل على نكث شئ وربما دل على معنى من المعانى على جنس من الصوت .

ونقضت الحبل والبناء والنقيض : المنقوض ولذلك يقال للبعير المهزول نقض كأن الاسفار نقضته ، وجمعه أنقاض ، والمناقضة فى الشعر من هذا كأنه يريد أن ينقض ما أَرَبَهُ صاحبه (١)

والنقائض فى عرف مؤرخى الأدب لا تبعد عن هذا المعنى اللغوى اذ هى : أشعار يرد بها قائلوها على غيرهم من الشعراء ، وتكون على وزن القصيدة السابقة ورويها فهى نوع من الهجاء وان روعى فيها شرط الوزن والروى .

وأشهر شعراء النقائض فى دولة الأمويين جرير بن عطية الخطفى بن كليب بن يربوع (٢) الذى شهد له الشاهدون بأنه كان يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق .

وقال ابن سلام : وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب وسئل عنه الأخطل فقال :

دعوا جريرا أخزاه الله فانه كان بلاء على من صب عليه (٣) وثانى شعراء النقائض الفرزدق واسمه همام بن غالب بن صعصعة وينتهى نسبه الى مجاشع بن دارم من تميم (٤) .

وَجَدُّهُ : صعصعة يلقب بمحيى الموءودات اذ طالما فدى البنات من القتل،وكان يدفع لآبائهن الابل ثمنا لحياتهن ووفد على النبى — ﷺ — وأخبره بفعله فى الموءودات فاستحسنه وسأله هل له فى ذلك من أجر ؟ قال : نعم فأسلم (٥) .

سمع الحطيئة شعره فى سعيد بن العاص —

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس حـ ٥ مادة نقض وأرب أى شدد ووثق .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى السفر الاول ص ٢٩٧

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٥

(٤) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٢٩

(٥) الاغانى جزء ٢٥ طبعة دار الشعب

للدكتور محمد عرفة العزبي

وهو على المدينة ــ فقال :

* هذا والله هو الشعر ، لا ما نعلل به منذ اليوم أيها الأمير ، فقال له كعب بن جعيل : فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك ، فقال الحطيئة : بل والله أفضله على نفسي وعلى غيري (١) .

أما الأخطل فاسمه غياث بن غوث ينتهي نسبه الى تغلب تلك القبيلة ذات البأس والتاريخ في الجاهلية والاسلام ولقب بالأخطل لقول كعب ابن جعيل له : انك لأخطل ياغلام يرميه بالسفه وفحش القول (٢) .

ومن شعراء النقائض الراعي النميري .

وهو عبيد بن حصين ... من نمير لقب راعي الابل لكثرة صفته للابل وحسن نعته لها .

وقد هجا فأوجع حيث قال :

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم
يابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا
وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

ولكن بعد هجاء جرير له صار مغليا فتيل عنه كأنه فحل مضر حتى ضغمه الليث (٣)

وقد جعلهم ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى من الاسلاميين ولو أغفلنا الراعي النميري ثم نظرنا الى الشعراء الثلاثة لوجدنا لكل منهم اجادات جعلت النقاد يختلفون في تفضيل أحدهم على الآخرين .

يقول أبو الفرج عنهم :

وهم المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ، ومختلف في أيهم المتقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم الا تعرض لهم فافتضح وسقط ، وبقوا يتصاولون على أن الاخطل انما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسن ونفد أكثر عمره وهو ــ وان كان له فضله وتقدمه ــ فليس نجره من نجار هذين في شيء (٤)

وهناك عشرات الشعراء غير هؤلاء .

قال الأصمعي وذكر جريرا :

كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحدا واحدا ... وثبت له الفرزدق والأخطل (٥) وقد قدمنا أن الأخطل كان « قد أسن ونفد أكثر عمره » فأكثر الهجاء كان بين جرير والفرزدق بلا مراء .

يقول ابن سلام :

لج الهجاء نحوا من أربعين سنة ، ولم يغلب واحد منهما على صاحبه ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ولا الاسلام بمثل ما تهاجيا به (٦) .

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٢٢ بتصرف
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٨ ، ص ٤٦٢
(٣) المصدر السابق ص ٥٠٢
(٤) الاغاني حـ ٨ ص ٢٧٥٠ طبعة دار الشعب
(٥) الاغاني حـ ٨ ص ٢٧٥٤ طبعة دار الشعب
(٦) الطبقات ص ٣٨٩

من قضايا الأدب

وبلغ كلف الناس فى الكوفة والبصرة وغيرهما من مدن العراق بالنقائض مبلغا كبيرا ، وصارت المجالس تعقد للشعراء فى مربد البصرة ينشدوا أشعارهم فى النقائض وصار الناس يلتفون حول الشعراء الذين يذهبون الى تلك المجالس فى زى وهيئة تثير الأنظار ، وتلفت العقول والنفوس جميعا .

وتورد مصادر الأدب قصة طريفة فى هذا المجال فيقول :

كان راعى الابل يقضى للفرزدق على جرير ويفضله وقال فى ذلك :

يا صاحبى دنا الأصيل فسيرا
غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

فلما أكثر من ذلك خرج جرير الى رجال من قومه فقال :

هلا تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق على وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم ! ثم خرج جرير ذات يوم يتعرض للراعى اذا انصرف من مجلسه فى المربد ، وكان له وللفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها فلقيه فقال له جرير :

يا أبا جندل أنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحا وهو ابن عمى ويكفيك من ذلك هين : اذا ذكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه لائمة .

قال : فبينا أنا وهو كذلك واقفا ومارد على بذلك شيئا حتى لحقه ابنه جندل فرفع سوطه فضرب به عجز دابته ثم قال لأبيه :

لا أراك واقفا على كلب من بنى كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو خيرا ، وضرب البغلة: ضربة فرمحتنى رمحة وقعت منها قلنسوتى .

فوالله لو يعوج على الراعى لقلت سفيه غوى — يعنى جندلا ابنه — ولكن لا والله ما عاج على فأخذت قلنسوتى فمسحتها ثم أعدتها على رأسى .. وانصرف جرير حتى اذا صلى العشاء قال : أسرجوا لى فجعل يهمهم فسمعت صوته عجوز فى الدار فاطلعت فى الدرجة حتى نظرت اليه فاذا هو يجبو على الفراش لما هو فيه .. فمازال كذلك حتى كان السحر كبر ثم قال : أخزيته ورب الكعبة . ثم أصبح حتى اذا عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فأدهن وكف رأسه — وكان حسن الشعر — ثم قال : ياغلام أسرج لى فأسرج حصانا ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان بموضع السلام قال : ياغلام قل لعبيد — يعنى الراعى — أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق أما والذى نفس جرير بيده لترجعن اليهن بما يسؤهن ولا يسرهن ثم اندفع فانشدها .

فنكس الفرزدق وراعى الابل ثم ترحل قائلا لأصحابه : ركابكم ركابكم فليس لكم ها هنا مقام فضحكم والله جرير والقصيدة رواها صاحب النقائض وفيها :

ولو وزنت حلوم بنى نمير
على الميزان ما وزنت ذبابا

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا (١)

ونقف وقفة متأنية عند هذا النص لنلاحظ بعض الأمور :

١ ــ أن الخصومة كانت عنيفة بين شعراء النقائض ، وكان كثير من شعراء العصر يقفون مع هذا أو مع ذاك حسب ما يعن لهم مرجحين أحد الشاعرين على صاحبه ، وقد يقولون فى ذلك الشعر تأكيدا لمايذهبون اليه من ترجيح أو تأييد ، ويدلنا على عنف الخصومة ما كان من سعى جرير ومحاولته ابعاد الراعى عن تلك الخصومة بالحسنى فى أول الأمر ثم ما كان منه من جدة وعنف وهو يعد قصيدته فى الراعى والفرزدق بعد أن خاب مسعاه .

٢ ــ أن شعراء النقائض كانت لهم مجالس معروفة معينة فى المربد يقصدها الناس مستمعين مستجيبين ، وكان الشعراء يحاولون جذب هؤلاء الى حلقاتهم حتى يفخروا بكثرة مستمعيهم والمعجبين بشعرهم من أعراب ، وفى ذلك حكم لهم بالسبق فى هذا المضمار .

وكان الشعراء يذهبون الى تلك المجالس فى زى وهيئة حسنة كما فعل جرير بعد أن عزم عزمه على هجاء الراعى والفرزدق والنيل منهما جميعا .

٣ ــ أن الشعراء كانوا يبالغون فى النيل من خصومهم كما فعل جرير اذ أنه اتهم عرادة النميرى الذى ظن أنه حرض الراعى ونال منهما ومن الفرزدق ، أيما منال ، حتى أنه اتهم المحصنات مثل جعثن أخت الفرزدق ، وكانت امرأة مسلمة صالحة (٢) ولكن جريرا اتهمها فى عفتها وذكرها بالسوء ادعاء وزورا لينال من خصومه وينتصر على مناوئيه .

وهكذا تجنبت النقائض هدى الاسلام ، ودعوته الى عفة اللسان ، والقصد فى الخصومة والتزام الصدق فى كل حال .

لقد رأينا أن النقائض كانت أوضح ما تكون، وأشد ما تمثلت بين جرير والفرزدق ، وان أحدهما كان يأخذه الهم المقعد المقيم حينما يعتزم بناء قصيدة يرد بها على خصمه،وينقض بها ما ذهب اليه أو ادعاه ، كما فعل جرير عندما أجمع أمره على مناجزة الراعى ومن شايعه فى مربد البصرة .

ولكنا نجد بعض الباحثين يذهبون الى أن ما بين جرير والفرزدق كان نوعا من التسلية والترفيه ، وأنها لم تأخذ شكلا من أشكال الهجاء المعروفة عند العرب ، ولنقرأ بعض ما قالوه :

ولعل فى هذا ما يدل أكبر الدلالة على أن النقائض عند الشاعرين الكبيرين جرير والفرزدق انما كان يقصد بها قبل كل شىء ألى تسلية الجماعة العاطلة التى تكونت فى المدينتين الكبيرتين البصرة والكوفة ، وقد بدأت بأسباب قبلية ، ولكنها تطورت الى مناظرة يراد بها ملء أوقات العاطلين ، وهى مناظرة كانت تقاطع بالتهليل والتصفيق ، ومن ثم لم تأخذ شكلا جادا من أشكال الهجاء المعروفة عند العرب ، ◄

(١) الاغانى حـ ٨ ص ٢٧٧٥ وما بعدها بتصرف وكذلك النقائض بين جرير والفرزدق لابى عبيدة ص ١٣٢ حـ ٢ وما بعدها بتصرف

(٢) النقائض ص ٢٠٩ حـ ١

ولو أنها أخذت شكلا من هذه الاشكال لشهرت معها السيوف ، وخاصة عندما يأخذ جرير والفرزدق فى قذف نساء العشائر والامهات والأخوات ... وكل الاخبار تؤكد أن جريرا والفرزدق كانا متصافيين متوادين لا متخاصمين

متباغضين فهما يجتمعان سويا عند الخلفاء والولاة ، وهما يرحلان الى دمشق سويا ، واذا نزلت بأحدهما شدة أو حزبه أمر وقف الآخر معه يمد له يد العون ، فاذا طلب جرير لحرب الأزارقة تشفع له الفرزدق ، واذا هجا الفرزدق خالدا القسرى وحبسه شفع له جرير عنده ... ونراه حين يأبى القدر قبله يرثيه رثاء حارا ، فلم تكن المسألة مسألة هجاء جاد ، انما كانت مسألة مناظرة فنية بالشعر فى عصبيات القبائل والعشائر (١) .

تلك حجج القائلين بهذا الرأى الذى لا نرتضيه وهو أن ما بين الشاعرين لم يكن هجاء وخصومة جادة ، وانما كان مجرد تسلية وترفيه .

والكاتب يشير الى وجود بعض أبيات تثير الضحك فى شعر جرير مثل قوله :

وانك لو تعطى الفرزدق درهما

على دين نصرانية لتنصرا

محاولا أن يثير السخرية عليه لانضمامه الى الاخطل النصرانى ضده . وواضح أن ورود بيت أو أبيات تثير الضحك لا يقلل من جد الشاعرين ، ولا يجعلنا نحكم بأن التسلية والترفيه هى المقصد عندهما قبل كل شىء .

ثم نقف عندما أورده بعد ذلك من أدلة على ماذهب اليه وادعاه أما مسألة الذهاب الى دمشق فصاحب الأغانى ينقل رواية تؤكد أنهما لم يرحلا سويا ، وأنهما لم يرضيا باجتماعهما فى دمشق يقول :

« قدم الفرزدق الشام وبها جرير الخطفى فقال جرير :

ما ظننت أنك تقدم بلدا أنا فيه .

فقال له الفرزدق :

انى طالما أخلفت ظن العاجز .

وواضح أنهما لم يرحلا سويا ، ولم يجتمعا فى الشام عن قصد ولم يسعدا باللقاء الذى وقع ، وانما تعجب منه جرير ، ورآه الفرزدق بابا لذم خصمه والتشهير به ووصفه بالعجز والنكول .

أما مسألة شفاعة جرير للفرزدق وهو فى سجن خالد القسرى فقد قالوا :

حبسه أسد ووافق عنده جريرا فوثب ليشفع له وقال :

ان رأى الأمير أن يهبه لى ، فقال أسد : أتشفع له ياجرير فقال : ان ذلك أذل له أصلح الله الأمير .

وعندما خلى سبيله قال جرير :

وهل لك فى عان وليس بشاكر

فتطلق عنه عض مس الحدائد

يعود وكان الحنث فيه سجية

وان قال انى منته غير عائد

(١) تاريخ الادب العربى : العصر الاسلامى ص ٢٥١ وما قبلها بتصرف للاستاذ الدكتور شوقى ضيف ، وراجع أيضا رحلة الشعر من الاموية الى العباسية الدكتور : مصطفى الشكعة

فهو يشفع له حتى يستذله فلا يرفع رأسه بفخر ، ثم هو يذمه ويحقره بعد ذلك وليس هذا فعل المتحابين بأى حال ، فأين التصافى والمودة من هذا القصد الوخيم وأغلب الظن أن شفاعة الفرزدق لجرير لا تخرج عن هذا القصد الذى صرح به جرير لمن تعجب من شفاعته فيه.

أما مسألة رثاء جرير للفرزدق فلا تنهض دليلا على محبة ولا صداقة واليك تلك الحادثة كما ساقها أبو الفرج :

نعى الفرزدق لجرير وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة فقال :

مات الفرزدق بعد ما جدعته
ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئس ما قلت ، أتهجو ابن عمك بعد ما مات ! لو رثيته كان أحسن بك فقال : والله انى لأعلم أن بقائى بعده قليل ، وان كان نجمى موافقا لنجمه فلأرثينه ، قال المهاجر : أبعد ما قيل لك ، لو كنت بكيته ما نسيتك العرب .. ثم رثاه بأبيات منها :

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل
ولا ذات بعل من نفاس تعلت
هو الوافد المأمون والراتق الثأى
إذا النعل يوما بالعشيرة زلت

وروى أنه قام وبكى وندم وقال .

ما تقارب رجلان فى أمر قط فمات أحدهما الا وأوشك صاحبه أن يتبعه (١) .

والقصة توضح ما يلى :

ان جريرا أعلن الشماتة عندما بلغه موت الفرزدق وأن المهاجر ابن عبد الله أمير اليمامة لامه على تلك الشماتة ، لأنها ليست من أخلاق الكرام ولاسيما عند الموت ونحوه من الملمات فكان غير جميل أن يعلن جرير الشماته بمن مات ، لولا أنه يضمر موجدة وعداوة بالغبن لخصمه العتيد .

ثم ان رثاء جرير له بعد ذلك كان استجابة لنصح من أشار عليه ولامه على ما بدر منه . ولم يكن رثاء نابعا من النفس ولا خالصا من الخصومة ، وهو خال من العاطفة الصادقة والاحساس القلبى . كما أنه لا ينبىء عن حزن ولا أسى وأين تلك العاطفة فى البيتين ؟ انك لا ترى لها أثرا فيها اذ هو شعر مبعثه التجمل والمداراه .

واذا كان قد بكى وندم فانه قد استشعر ساعة الموت نفسه وحياته وما يتهدده من أجل محتوم ، لقد ودع الحياة خصمه اللدود ، وعدوه الذى طالما ناصبه العداء ، ومنافسه الذى أوجعه بقوارع الأبيات وموجع التهم وقواصم المعانى فما الذى يضمن له ألا يلحق به عن قريب ؟ ان الموت ماثل أمامه يتهدده ويتمثل له بعد أن ألم بعدوه القديم الذى هاجاه نحوا من أربعين سنة كما يقول الجمحى فهو يتخيله مقدما نحوه بخطاه الوئيدة ذات صباح أو ذات مساء ، فليتذكر أجله ولبيك على ما ينتظره وليس ثم على الفرزدق أدنى بكاء أو عويل .

(يتبع)

دكتور محمد عرفه العزبى

(١) الاغانى ص ٨٦٤٩ ـ طبعة دار الشعب

نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى (٢)

تأليف الأستاذ :
عمر عبيد حسنة

فى عدد ((جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ)) وقفنا عند بعض موضوعات هذا الكتاب ، التى تناولت مسئولية الداعين الى الله سبحانه وتعالى مع ضرورة الالتزام بالمنهج ، وتطوير وسائل الدعوة ، وعدم الجمود على وسائل بعينها ، لأن الوسائل اجتهادية ، وقابلة للتغير حسب مقتضيات الزمان والمكان ، أما الأهداف والغايات الاسلامية فهى التى تتصف بالثبات وعدم قابليتها للتغير .

وقد ذكرنا فى ختام هذا المقال السالف ، أن فى الكتاب مقالات أخرى ، تعرض فيها الكاتب لبعض جوانب القصور التى يقع فيها من يتصدرون للدعوة الى الله ، ولبعض العقبات التى تصادفهم أو توضع فى طريقهم .. وهنا نعرض لهذا الجانب من حديث الكاتب :

— ١ —

أما الجوانب التى رأى الكاتب أن فيها قصورا ، قد يعوق حركة العاملين فى حقل الدعوة الى الله ، فان من ذلك ما يلى :

* عدم علم الداعية بأحوال الأمم وعاداتها وعقائدها ، وهوقصور مبنى على قصور سابق عليه ، يتمثل فى الجهل بلغات هذه الأمم ، واللغة من غير شك هى النافذة التى يطل منها الانسان على فكر وثقافة الآخرين بطريق مباشر ، وكذلك فانها الوسيلة المباشرة لتوصيل الفكر والثقافة الى المتكلمين بها .

وفى هذا المجال يذكر الكاتب أن عالم اليوم بثقافاته وأفكاره ومعارفه وعقائده ، أصبح وكأنه دولة واحدة ، وساحة صراع فكرى وحوار عقائدى ، بعد أن اختصر الزمان ، وانتقص المكان ، وأصبح الانسان يرى العالم من خلال ما قدمته المدنية الحديثة من وسائل اعلام مرئية أو مسموعة أو مقروءة ، أو من خلال وسائل النقل المتقدمة ، وأدوات الاتصال العجيبة .

ومن خلال هذا الواقع المعاش ، يمكن

مجلة الازهر : تعيد نشر المقال لما حدث فيه من اضطراب فى الضبط .

عرض وتعليق:
ا.د. طه مصطفى أبوكريشة

القول بأن الذى يرضى لنفسه أن يعيش بعيدا عن ادراك الصورة العالمية، يكون قد رضى لها فى الوقت ذاته أن يعيش على هوامش الحياة فى عالمه الصغير، الذى قد يراه كل شىء.

وليس هذا بالوضع الذى يرضاه لنفسه من يدعو الى الله، فاذا كان الانسان المسلم مكلفا بواجب التبليغ والدعوة الى الله، فان ذلك لن يمكن بحال، اذا رضى لنفسه بأن تنحصر فى عالم صغير، هو عالم لغته الخاصة فحسب.

ان الانسان المسلم لا يمكنه أن يوصل خطاب التكليف الى البشرية جمعاء، وهو على جهل بلسانهم، يعقبه جهل بعاداتهم وعباداتهم وعقائدهم.

واذا كان الله تعالى قال فى شأن الرسل « **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** » ابراهيم ٤ ـ فان الدعاة الى الله فى كل عصر، هم ورثة الأنبياء، وعليهم أن يتعلموا لسان من يوجهون اليهم الدعوة، لأن ايضاح الاسلام لهم لا يمكن أن يتم الا بلسانهم (١٠٠ ـ ١٠٢).

** ويتصل بهذا القصور قصور آخر، ولكن ليس فى جانب المتكلمين بالعربية مع جهلهم باللغات الأخرى، وانما فى جانب المتكلمين بغير اللغة العربية من دعاة الاسلام فى بلاد ليست العربية لسانا لها، وقصورهم يكمن فى أنهم يتعرفون على الاسلام من خلال المترجمات، ويكتفون بذلك دون محاولة تعلم العربية ومعرفة الاسلام معرفة حقيقية عن طريقها.

والمنزلق الخطير الذى قد ينزلق اليه هؤلاء الدعاة مع حسن النية، هو تسليمهم التسليم المطلق بما تقدمه لهم هذه المترجمات وفيها ما فيها مما قد يسيىء الى الاسلام، أو يعطى صورة مشوهة له، ذلك لأن الترجمة مهما كانت دقيقة لا يمكن أن تعطى الصورة الدقيقة لمدلولات الألفاظ فى لغة أخرى، لها اصطلاحاتها، ولها استعمالاتها، ولها مجازاتها وكناياتها، هذا فضلا عن مقدار ثقافة المترجم، ومدى فهمه لمدلولات الخطاب الالهى.

وليس فى هذا تقليل من شأن الترجمة ودورها، ودور من قاموا بجهود مشكورة فى هذا المجال، خاصة فى مرحلة التعريف بالاسلام.

وانما الهدف من ذلك هو التأكيد على أن فهم الاسلام فهما صحيحا، لا يتم فى نهاية المطاف الا من خلال لغة القرآن، وليس مع استدامة « وسيط » لغوى، قد يقبل ويؤخذ عنه مرحليا، حتى يتم الاتصال بالأصل المباشر.

نظرات في مسيرة

ولقد أدرك هذا أوائل المسلمين من غير العرب ، حيث لم يـر الواحد منهم أن في امكانه الاستغناء بلغته عن العربية ، بل كانت العربية أملا ، يعمل جاهدا من أجل تحقيقه والوصول اليه ، ومن هنا كانت الثمرة التي قدمت في حقل الفكر الاسلامي الكثير من العلماء المفسرين واللغويين والأصوليين والمحدثين والمؤرخين ، وكثير منهم وصل الى مرتبة الامامة التي لا تتوافر الا لمن أتقن العربية وعلومها (١٠٣ ــ ١٠٥) .

** ومن جوانب القصور لدى الدعاة ، الوقوف عند حدود الرفض والادانة لواقع الأمة ، والاكتفاء بالخطب الرنانة الطنانة ، لأن ذلك لن يغير شيئا من الواقع ، وانما ينقلب الى حالة سلبية ، لا يحسن صاحبها غيرها ، وقد تؤدى به الى الانعزال بعيدا عن المجتمع ، وعدم مواجهة ما فيه من أدواء مواجهة عملية ، تؤدى الى كشف العلاج الذى يقضى على الداء ، أو يحاصره حتى لا يستشرى في جسم الأمة ، ويكون عاملا من عوامل القضاء عليها .

ولتلافي هذا القصور ، ولضمان عدم الانزلاق نحوه ، والانسياق اليه ، فان من أوجب الواجبات على العاملين للاسلام ، امتلاك القدرة على فقه التعامل مع المجتمعات ، والانفتاح أكثر ، وفتح منافذ جديدة للدعوة الاسلامية ، وامتلاك قدر أكبر من المرونة ، مع الابصار الكامل والدقيق والأمين للأهداف ، والتقدير للامكانات ، وبذلك يكون الخروج من عزلة الرفض والادانة ، الى ميدان التشخيص والعلاج والاصلاح ، من خلال وعى وفهم الداء والعلاج في آن واحد (١١٦ ــ ١١٧) .

** ومن جوانب القصور ما قد ينادى به بعض الدعاة في أماكن متفرقة في العالم الاسلامى ، من ضرورة الانسحاب والانعزال عن المجتمع ، الذى يختلط فيه العمل الصالح بالعمل السيىء ، مؤكدين أن هذا الانسحاب هو نوع من الهجرة المطلوبة في تلك المجتمعات.

ويذكر المؤلف أن هناك مفاهيم مغلوطة حول الهجرة ، وقع فيها كثير من المنادين بها ممن تصدوا للدعوة الاسلامية ، اذ أن منهم من خلا لنفسه وتصوراته الخاصة الناشئة من النظر في بعض الجزئيات بعيدا عن الواقع ، واعتمد مقدمات خاطئة ، وصل من خلالها الى نتيجة جعلت بلاد المسلمين اليوم غير دار اسلام بشروطها المعروفة .

ومن ثم استباح هؤلاء لأنفسهم أن يمارسوا في مجتمعاتهم أنماطا من السلوك ، وأنواعا من المعاملات ، هى محل نظر من الناحية الشرعية ، وقد يتطور الأمر عندهم أكثر فيعلنون الحرب على هذه المجتمعات .

وقد فات من يصل الى مثل هذه النتيجة أن الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم ــ كان يطلق عليه في المجتمع غير الاسلامى قبل البعثة (الأمين) وأنه بعد البعثة عندما اضطر الى الهجرة وقد ائتمر به المشركون ، استخلف عليا ليؤدى الأمانات الى أهلها ، على الرغم من أن ذلك كان خطرا على حياته .

ان الهجرة بالمفهوم الاسلامى ليست حركة سلبية انسحابية من المعركة ولا هروبا من الموقع ، وانما هى جهاد قد يكون من أعلى أنواع الجهاد ، وهو جهاد يدفع الى الفاعلية وتلمس وسائل التغيير المشروعة والمجدية •

ان الهجرة فى الاسلام حركة ايجابية على أرض المعركة بين الاسلام الذى موطنه الدنيا كلها وبين الكفر والانحراف عن صراط الله المستقيم ومن ثم فان ذلك يتطلب معرفة الحق ، والالتزام به والثبات عليه والدعوة اليه من خلال المنهج الايجابى لا المنهج السلبى (١٢٨ — ١٣٦) •

— ٢ —

أما الجوانب الأخرى التى تمثل عقبات قد تصادف الدعاة أو توضع فى طريقهم ، فان من ذلك ما يلى :

** عقبات يصنعها الأعداء صنعا ، ويصدرونها للعالم الاسلامى كى يشغل المسلمون بها أو يشغل بها الدعاة على وجه الخصوص ، من منطلق الدفاع عن الاسلام ، وهذه العقبات تتمثل فى قضايا عامة طرحت من قبل ، وفى أزمنة وأماكن أخرى ، ومع ذلك يريد الأعداء بعثها من جديد ، أو اعادتها جذعة كما يقال ، وذلك لكى يضعوا الاسلام فى موقف دفاعى ، يكتفى فيه بالتحصن بدلا من التقدم والانطلاق •

ويؤكد الكاتب أن المشكلة كل المشكلة ، تكمن الآن فى محاولة ارجاع المسلمين الى مواقع الفكر الدفاعى ، من قبل خصوم الاسلام مجتمعين ، على ما بينهم من تناقض، أما السبب فى ذلك ، فهو احساسهم بأن الجسم الاسلامى قد بدأ يتحرك من جديد ، بعد السبات الطويل ، وأنه بدأ يخرج عن وصايتهم ، ويهدد مصالحهم •

ومن أمثلة القضايا التى يقذف بها العالم الاسلامى ليشغل بها عن صحوته ، قضية المرأة وحقوقها وعملها والطلاق وتعدد الزوجات وقضية اللغة الفصحى والعامية والحجاب والسفور ، هذا الى جانب ما يقذفه الاعداء من قضايا أخرى فى مجالات سياسية واقتصادية ، وعلى رأسها قضايا القومية وقضايا المال ، وما يترتب على ذلك من عصبيات ومذاهب ، وكل هذا من غير شك يؤثر على جهد الأمة وطاقاتها ، ويبعثر قواها فى أهداف جانبية •

ان مراكز صناعة الاهتمامات للعالم الاسلامى مستمرة فى عملها ، وان التحذير من الصورة الاسلامية والصحوة الاسلامية ، أصبح ظاهرة لافتة للنظر ، وذلك لاعادة المسلمين الى مواقع الفكر الدفاعى ، التى تقف عند هدف « درء المفاسد » دون أن تجمع اليه الهدف الآخر « جلب المصالح » لكى يحكموا الحلقة حول الاسلام ، ويمنعوه من الانطلاق •

وواضح أن دعاة الاسلام هم المستهدفون أولا بقضية اعادة طرح القضايا القديمة ، حتى يشغلوا بها من واقع غيرتهم الدينية ، وتتبدد جهودهم بالتالى قبل أن تقوم بواجب الابلاغ والانذار ونشر كلمة الاسلام ، وحتى لا تتابع بشائر الصحوة وترعاها لكى تصل

الى درجة التيقظ الكامل ، والتنبه الواعى البصير (٦١ — ٦٨) .

* ومن العقبات التى توضع أمام الدعاة محاولة التنفير من اللغة العربية ، والغض من شأنها ، واتهامها بالقصور فى التعبير ، وهذا أمر يجعل مهمة الداعية — وهو يقوم بعمله — شاقة عسيرة ، اذ أنه لن يستطيع من خلال تمسكه باللغة الفصحى أن يصل الى ما يريد من أقرب طريق ، مادام أولئك الذين يدعوهم ، بمعزل عنه لسانا وفكرا وثقافة .

وقبل هذا فان هؤلاء سوف ينعزلون تلقائيا عن مصادر اسلامهم ، ماداموا لا يملكون اللسان الصحيح الذى يصلهم بها ، ويعرفهم بما فيها ، ويزودهم بثمراتها ..

ان الهجوم على العربية فى المجتمع العربى والاسلامى ، أمر استهدف به الدين فى الواقع ، وذلك حتى تضعف الصلة أو تزول بالقرآن الكريم وهنا يمكن ادراك حجم هذه العقبة التى يصادفها الدعاة ، أو يجدونها موضوعة بين أيديهم عن قصد وارادة ، من جانب أعداء الاسلام ، أو من جانب أولئك الذين انساقوا لهم ، وجاز عليهم منطقهم (١٠٦) .

* ومن هذه العقبات ما يحاول أن يبذره المتشككون ، من بذور التشكيك فى طريق الدعاة الى الله والى تطبيق شريعته .

فاذا كان من الأهداف الكبرى التى يسعى اليها الداعون ، أن يصلوا بدعوتهم ، الى مرحلة التطبيق العملى لشريعة الاسلام فى دنيا الناس وواقع حياتهم ، فان هذه الدعوة لم تخل من محاربة قامت على أساس التشكيك والتنفير ، مما مثل — ولا يزال — عقبة تحتاج الى جهد حتى تزاح عن الطريق ، ويبقى خالصا لمنهج الله وصراطه المستقيم .

ويذكر المؤلف أنه من الطبيعى جدا أن تتزامن المطالبة بتطبيق شريعة الله فى عالم المسلمين بكل جوانبها ، السياسية والاجتماعية والثقافية والقضائية والأخلاقية ، مع حركة المد الاسلامى بعد هذه السنوات الطويلة ، من التجارب المريرة والغربة الموحشة ، وبعد أن حكم على اسلامهم بعدم الصلاحية وطرح جانبا وأقصى عن مجالات الحياة .

ووقوفا عند هذه العقبة التى توضع أمام الداعين الى التطبيق ، يناقش المؤلف أولئك المتشككين والمتخوفين مبينا أن تطبيق الشريعة ، أو المطالبة بتطبيقها لا يعنى أبدا اقامة الحدود فقط ، ذلك أن الحدود لم تشرع لاقامة المجتمع المسلم ، وأن الاقتصاد عليها لا يقيم المجتمع الاسلامى ، وانما شرعت لحماية المجتمع الإسلامى ووقايته .

فالمطالبة بتطبيق الشريعة تعنى أول ما تعنى : التربية الاسلامية للفرد ، والشورى فى الحكم والطاعة فى غير معصية ، والعدل والمساواة فى القضاء وتحريم الربا والميسر والاحتكار ، وسريان روح الجهاد والاستشهاد ، والاعداد والاستعداد قدر الطاقة فى الدفاع عن الأمة ، وحماية

الفضيلة من الاعتداء عليها .

أما الفهم المبتور الذى يجعل صورة المجتمع الاسلامى مقصورة على ايقاع العقوبات ، ومن ثم لا يحكم الاسلام بعد ذلك أمور الحياة ولا ينظمها ، فهذه قضية على غاية من الخطورة والاساءة للاسلام نفسه .. وهذا ما يجب أن يتنبه له الدعاة ، وينبهوا غيرهم اليه ، ليستقيم الفهم الراشد للاسلام ولرسالته .

** وبعد . فتلك أمثلة من جوانب القصور وجوانب العقبات ، وهى وغيرها الى جانب ما أشرنا اليه فى المقال السابق ، تمثل رؤية المؤلف لما يدور فى أفق العمل الاسلامى ، ولما يعكسه هذا الأفق من رؤى متعددة للعاملين فى هذا الميدان ، الذى يشهد صحوة ملموسة فى كل مكان فى الأمة الاسلامية .

واذا كان لنا من تعقيب على تأملات المؤلف ، أو نظراته فى مسيرة العمل الاسلامى ، فان ذلك يتمثل فى تأكيد الدعوة الى أن يلتقى الداعون الى الله ، على كلمة سواء ، وأن يؤثروا أسلوب الحوار والمناصحة فى قضايا الخلاف ، وأن ينبذوا أسلوب المخاصمة والمجادلة الخشنة الحادة ، ذلك لأنه ليس هناك من شىء يسعد أعداء الاسلام اليوم ، من أن يروا دعاة المسلمين وقد شغلوا بأنفسهم ، متنابذين متخاصمين ، مع ادعاء كل فريق العصمة لمنهجه والخطأ لمنهج آخر .

ثم يستمرون فى اقتتالهم ، دون أن تمتد أبصارهم خارج جدران خصامهم ، لترى واقع المسلمين ، الذى يحتاج الى انقاذ سريع وعاجل ، من وهاد يوشك أن يتردى فيها ، دون أن يدرى عنها الدعاة المتخاصمون شيئا .. « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » آل عمران ١٠٣ .

أ.د طه مصطفى أبو كريشة

فضيلة الدكتور الحسينى وكيلا للأزهر

*** أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك قرارا جمهوريا بتعيين فضيلة الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم وكيلا للأزهر الشريف .**

صدر القرار بتاريخ ٢٣ من رجب ١٤٠٥هـ ١٣/٤/١٩٨٥ م .

ولا يسع المجلة ــ وهى ماثلة للطبع ــ الا أن تهنىء فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى داعية المولى ــ عز وجل ــ لنا وله بالتوفيق والسداد .

أنباء وآراء

الى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف :
ما رأيها ...... ؟

محكمة الاحوال الشخصية :
شهادة الميلاد لا تعتبر دليلا
على نسب الابن الى ابويه

قالت محكمة القاهرة للأحوال الشخصية فى حكم حديث لها ان شهادة الميلاد غير كافية بل ولا تصلح دليلا لاثبات النسب .

وكانت حكيمة بأحد المستشفيات العامة قد أقامت دعوى ضد زوجها ضمنتها أنها تزوجته بعقد عرفى منذ أكثر من ٥ سنوات ورزقت منه على فراش الزوجية بطفلة فى الثانية من عمرها ثم دب الخلاف بينها وبين الزوج المدعى عليه وأخذ ينكر أبوته للصغيرة .

وقالت الأم أن خير دليل على صحة ما تدعيه هو قيد الطفلة الصغيرة منسوبا الى اسم والدها المدعى عليه بشهادة ميلادها الصادرة من الجهات الرسمية وقدمت للمحكمة شهادة ميلاد ابنتها ثابت منها ان والدها هو المدعى عليه وأن والدتها هى المدعية .

أحالت المحكمة أوراق القضية الى النيابة العامة لابداء الرأى القانونى فيها حيث أعد مصطفى كمال مدير نيابة القاهرة للأحوال الشخصية مذكرة برأى النيابة العامة فى الدعوى تحت اشراف المستشار أحمد عبد الجليل المحامى العام لنيابات الأحوال الشخصية انتهى فيها الى رفض الاستناد الى شهادة الميلاد المقدمة من المدعية كدليل على نسب الطفلة الى أبيها وقال فى أسباب رفضه أن هذه الورقة وان كانت تعد من الأوراق الرسمية الا أنها تقوم على تبليغ أحد الأشخاص بواقعة الميلاد دون أن يضع القانون الضمانات الكافية للتحقق من صدق وصحة ما يدلى به المبلغ فى هذا الشأن الأمر الذى استقر معه قضاء محكمة النقض على عدم الاعتداد بتلك الورقة رغم أهميتها فى نظر العامة كدليل على اثبات نسب الابن لأبويه وصحته الأمر الذى لا يكون معه أمام المدعية سوى اقامة دليل آخر معتبر قانونا على صحة ما تدعيه وهو ما رأتمعه النيابة العامة احالة الدعوى الى التحقيق لتقدم المدعية شهودا على ذلك . وقد وافقت المحكمة على ما انتهى اليه رأى النيابة العامة فى

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
أبو المجد شبيب مكى

الدعوى وقضت برئاسة الدكتور حسنى عبد الواحد وعضوية أشرف نعيم رئيس المحكمة والقاضى محب منير وأمانة سر شوقى يوسف باحالة الدعوى الى التحقيق لتقيم المدعية الدليل بغير شهادة الميلاد المقدمة منها على صحة نسب ابنتها الى المدعى عليه .

نداء من شيخ الأزهر لمساعدة منكوبى الجفاف فى افريقيا

الحمد لله الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو الغنى الحميد ، سبحانه لا مانع لما يعطى ، ولا معطى لما يمنع ، وقد أعطى ، وأرضى .

والصلاة والسلام على رسول الله محمد الجواد الكريم .

وبعد

فقد حملت الأنباء أخبار الجفاف والمجاعة التى وقعت فى كثير من البلاد الافريقية ، وان الآلاف من الرجال والنساء والأطفال قد ماتوا ويموتون فريسة الجوع . وان مصر التى حباها الله بالخيرات وحماها من هول المجاعات ، كانت – ودائما – تسارع الى نجدة الملهوف واطعام الجائع وكساء العارى ، ان مصر كانت وستظل بحول الله سباقة الى الخير مستجيبة لقول الله سبحانه :

« آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ » ..

ولقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » ..

ولقوله تعالى :

« وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » ..

آيات كثيرة فى القرآن وأحاديث وغيرة فى

أنباء وآراء

السنة الشريفة تأمر المسلمين ، بل كل بنى الانسان بأن يؤدوا حقوق الفقراء والمنكوبين، وأن يهبوا الى غوث الجائعين واطعامهم ، ورفع ما وقع عليهم من قحط .

ان الله سبحانه فرض فى أموالنا حقوقا فقال :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » ..

وقال :

« وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ..

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشح والبخل فقال : « واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » ..

أو ليس الجائع محروما تجب اغاثته حفاظا على حياته ؟ .

أيها المواطنون :

« .. وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا » ..

فقدموا ما يدخر لكم عند ربكم ، ويعين اخوانكم فى الانسانية ويحفظ عليهم حياتهم ، ويضع عنهم اصرهم .

ان على كل منا أن يقدم ولو طعام يوم واحد ، اغاثة لهؤلاء الذين نزل بهم القحط والجدب لنحفظ عليهم حياتهم .

واننى لأدعو وزارة الشئون الاجتماعية ، أن تقود حملة لجمع وتلقى التبرعات العينية والنقدية وأن توجه كافة الجهات الخيرية والجمعيات لهذه المهمة العاجلة الانسانية بالاعتبار العام ، فهؤلاء الجوعى اخوتنا وجيراننا ، حتم علينا ألا نتركهم أرضا خصبة لأفكار وافدة عليهم يفقدون بها دينهم وأوطانهم .

كما أدعو وسائل الاعلام المختلفة الى دعوة مستمرة للمواطنين خاصة وسائر الناس كافة فى أنحاء العالم للاسهام فى اغاثة هؤلاء المنكوبين .

كونوا أيها المواطنون ممن قال الله فيهم :

« .. وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ..

شيخ الأزهر يرفض دعوى تدويل القدس

أكد فضيلة الامام الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر : أن القدس عربية تحمى وتحوى جميع الأديان ، وأن تدويلها أمر لا تقره الأمة الاسلامية . وقال فى رده على دعوة بابا الفاتيكان لتدويل القدس : « اننا نرفض دعوة بابا الفاتيكان ونطالب العالم أجمع بأن يقف ضد الذين لا يكفون عن العدوان على المسجد الأقصى وعلى المقدسات المسيحية » ..

موقف الأزهر من تنظيم الأسرة

طلب وفد سنغالى زار مصر مؤخرا من فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . بيان موقف الأزهر من تنظيم الأسرة . أوضح فضيلة الامام

الأكبر : أن ما اتفق عليه الرأى من خلال ما أقره مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف هو أن تنظيم الأسرة لا يجوز شرعا أن يكون خاضعا لقوانين أو قرارات من جانب السلطة ٠ وانما يكون خاضعا لظروف الأسرة تبعا لحالة المرأة الصحية وأن الاسلام لا يبيح تحديد النسل بمعنى القضاء على أسباب التناسل عند الرجل أو المرأة ٠

انشاء مجلس افريقى للتعليم الخاص

قرر مجلس أمناء منظمة الدعوة الاسلامية انشاء المجلس الافريقى للتعليم الخاص يتولى مهمة انشاء المدارس والتخطيط لمناهجها بما يمكن معه توفير التعليم الجيد باختيار خيرة المعلمين المؤهلين من ذوى الخبرة والتخصص فى مجالات التربية وطرق التدريس ٠ مع توفير المناخ التربوى الاسلامى اللازم لخلق المواطن المسلم ٠ وقد بدأ المجلس أعماله كمرحلة أولى بانشاء روضة للأطفال ومدرسة ابتدائية بالخرطوم ٠ وبعد نجاح التجربة يتم تطبيقها فى البلاد الافريقية الأخرى ٠٠

مجمع البحوث انتهى من تقنين الشريعة

صرح فضيلة الشيخ عبد اللطيف حمزة مفتى الجمهورية بأن تطبيق الشريعة الاسلامية فى مصر لا يحتاج الى تمهيد ٠ بل يجب أن يتم هذا التطبيق بشكل فورى قال فضيلته : ان تطبيق الشريعة فيه حماية للحاكم وللمحكومين على حد سواء وأنه سيحقق الأمن والاستقرار للمجتمع المصرى٠

وأضاف فضيلة المفتى : أن حجة تهيئة المناخ لتطبيق الشريعة حجة واهية لا يقرها الاسلام ٠ وأشار الى أن السودان أقبل على تطبيق الشريعة دون تمهيد أو تهيئة المناخ ٠

وقال فضيلته : ان مجمع البحوث الاسلامية قد انتهى من تقنين الشريعة الاسلامة على المذاهب الأربعة ، كل على حدة ٠ ولم يتبق الا أن يناقشها مجلس الشعب مناقشة جادة ومتأنية لتطبيقها ٠

وحول مناهج التعليم فى الجامعات : صرح فضيلته : أن مناهج التدريس فى جميع المراحل التعليمية يجب أن تكون نابعة من الاسلام ومنهاجه الرشيد ٠و قال فضيلته انه لو طبقت الشريعة الاسلامية ستكون كل نواحى الحياة فى مصر اسلامية من حيث وسائلها وغاياتها المرجوة ٠٠

تطبيق الشريعة الاسلامية

أعلن اسحاق خان وزير المالية الباكستانى أنه سيحظر من الآن فصاعدا فى باكستان الحصول على فائدة على الأموال المودعة فى المصارف تطبيقا للشريعة الاسلامية ٠ وأن جميع المصارف الباكستانية ستطبق نظام المشاركة فى الأرباح والخسائر الذى يجرى تجربته منذ ثلاث سنوات ٠ ويشمل هذا القرار المصارف الأجنبية العاملة فى باكستان وعددها عشرون مصرفا ٠

اعادة افتتاح أربعمائة مسجد فى وسط الصين

ذكرت المصادر الرسمية فى الصين أنه تم

أنبـاء وآراء

اعادة افتتاح أربعمائة مسجد بعد ترميمها خلال السنوات الست الماضية فى اقليم « هنيان » بوسط الصين التى يقطنها مليون مسلم وقد أنفقت الحكومة الصينية فى الاقليم ثلاثة ملايين ونصف المليون من الدولارات خلال هذه الفترة من أجل اصلاح وترميم هذه المساجد التى تصدعت أو كانت مهملة خلال سنوات الثورة الثقافية الصينية • ويضم هذا الأقليم أكثر من مائة مدرسة اسلامية • ويتلقى الأئمة فيها دروسا فى اللغة العربية • ومن المقرر أن يتم انشاء معهد للدراسات القرآنية فى الاقليم يمكنه استيعاب مائة وعشرين دارسا سنويا ، ويقدر عدد المسلمين فى الصين بحوالى عشرين مليون شخص •

مجلة الأزهر : نأمل أن يكون هذا العمل نابعا من واجب الدولة نحو رعاياها أكثر منه عملا سياحيا أو اعلاما دعائيا •

صدور مجلة البلد الاسلامى

صدرت فى غرناطة أشهر مدن أسبانيا مجلة « البلد الاسلامى » بهدف ابلاغ رسالة الاسلام الى المجتمع الاسبانى ، سعيا وراء تكوين رأى عام لصالح الاسلام ونقل رسالته •

ثلاثة أطباء يشهرون اسلامهم

أعلن ثلاثة أطباء أسبان اعتناقهم للدين الاسلامى عقب زيارة عمل قاموا بها مؤخرا للملكة العربية السعودية • الأطباء الثلاثة هم : « اورجيروا » أخصائى الأمراض الصدرية و « اسكوديروا » اخصائى الطب النفسى • و « يحن » اخصائى طب الأطفال • وصرح الأطباء الثلاثة للصحف الاسلامية : أنهم سيبدأون فى نشر الدعوة الاسلامية فى اسبانيا التى يصل عدد المسلمين فيها الى مائة ألف مسلم •

ويقول الدكتور محمد عبد الرحيم « اروجيروا » أنه رغم ولادته وسط عائلة كاثوليكية فقد ظل يبحث عن الحقيقة التى وجدها فى الاسلام • وأضاف :

« أن أهم أمنياتى الآن أن أكون مسلما حقا وداعية لهذا الدين الحنيف ، ومن أجل ذلك فاننى أهتم الآن باصلاح نفسى وسلوكى حتى أكون مثالا صادقا لدعوتى ، ولا يكون هناك تناقض بين قولى وعملى • فيكون أجدى وأنجح لدعوتى » •

وقال الدكتور : منصور عبد السلام « اسكوديروا » : « مهمتنا الآن أن ندعو بلاد الأندلس لدينها الاسلامى الذى فقدته • ولابد من تذكير أبناء هذه البلاد • أنهم كانوا مسلمين » • وأضاف : « أن هناك مجالا واسعا لانتشار الاسلام فى أمريكا اللاتينية • ولابد من تحرك العرب والمسلمين لضم هذه المنطقة الى دائرة الاسلام » •

عملة فضية تحمل صورة الكعبة المشرفة

تقرر اصدار عملات فضية تذكارية تحمل صورة الكعبة المشرفة • يتم توزيعها فى جميع أنحاء العالم خلال مواسم الحج سنويا •

وتتولى مصلحة سك العملة المصرية تصنيع هذه العملات التذكارية بعد أن تعاقد معها أحد موردى العملات العالميين على اصدارها •

صرح رئيس مصلحة سك العملة المصرية المهندس عبد الرحمن النوتى بأنه سيتم اصدار مائتين وخمسين ألف قطعة من هذه العملات على خمس سنوات بحيث يتم اصدار خمسين ألف قطعة فى موسم الحج من كل عام • وستكون العملة من فئة خمسة جنيهات وغير قابلة للتداول •

توصيات

ملتقى الاسماعيلية الثالث للفكر الاسلامى المنعقد خلال الفترة من ١٦ الى ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هجرية

الموافق من ٨ الى ١١ مارس سنة ١٩٨٥ ميلادية

محافظة الاسماعلية :

لما كان الدين الاسلامى هو الدين الخاتم الذى بعث الله به الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل هداية الناس « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ... صدق الله العظيم •

ولما كان المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها هم جنود الاسلام ، وهم الذين يحملون شهادة التوحيد فى المشارق والمغارب •

يوصى الملتقى بالتالى :

أولا : ــ

١ ــ مناشدة المسلمين فى العالم وضع حد لمأساة الصراع الدامى فى الحرب العراقية الايرانية التى شغلت المسلمين عما يجرى فى أفغانستان وفلسطين وغيرها من البلاد الاسلامية •

٢ ــ العمل على نشر التوعية الدينية بصفة مستمرة بين المسلمين بما يبصرهم بدينهم الصحيح وقيمه الخالدة •

٣ ــ الاهتمام بالجاليات الاسلامية فى البلاد غير المسلمة ، وتيسير اعداد الداعية الملم باللغات التى يسهل بها شرح أبعاد الاسلام لهم ولغيرهم ممن لا يعرفون شيئا عنه •

٤ ــ يوصى المؤتمر الشعوب والحكومات الاسلامية بمساندة المسلمين أمام الاضطهاد الملحد الذى يبغى سلخهم عن عقيدة الاسلام •

٥ ــ العمل المستمر على اتاحة سبل التعارف بين المسلمين فى خلال المؤتمرات واللقاءات تحقيقا لقول الله تعالى **« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »** .. صدق الله العظيم •

ثانيا : ــ

لما كان الاسلام يهتم اهتماما كبيرا بالانسان فى مختلف مراحل عمره ، خاصة فى مرحلة الطفولة ــ **لذلك يوصى الملتقى بالتالى :**

١ ــ الاهتمام بالطفولة ورعايتها رعاية تتفق مع تنشئة أجيال اسلامية قوية •

٢ ــ التأكيد على القدوة فى السلوك أمام الأطفال ليتعرفوا السلوك الصحيح من خلال من يحتكون بهم •

٣ ــ مناشدة الكتاب والمؤلفين المسلمين تبسيط أخلاقيات وقواعد الاسلام فى كتب

متطورة تتناسب مع مرحلة الطفولة •

٤ ـ التركيز على الأجيال الناشئة ـ أطفالا وشبابا ـ لاحترام الوالدين وأعطائهما مكانتهما التى دعانا اليها الاسلام •

ثالثا : ـ

لما كان الشباب هو عدة المستقبل ـ وهو الطاقة الاسلامية الفعالة •

يوصى الملتقى بالتالى :

١ ـ العناية الروحية بالشباب وتبصيره بدينه لمقاومة الانحرافات الفكرية.

٢ ـ مواصلة الحوار الفكرى والدينى مع الشباب فى شتى صوره : المسجد ـ المدرسة الجامعة ـ النشاطات العامة •

٣ ـ اتاحة الفرص الواسعة أمامه لممارسة الرياضة التى دعا اليها الاسلام

رابعا : ـ

لما كان الاسلام الدين الذى يقوم على العقل ، ويدعو الى احترام (١) الرأى ـ فان **الملتقى يوصى بالتالى :**

١ ـ تأكيد قيمة الرأى وحريته فى اطار من الفهم الصحيح الذى دعانا اليه الاسلام •

٢ ـ الالتزام بالحرية المسئولة التى تقدس حقوق الغير

٣ ـ العمل على تعويد الأجيال الناشئة على أسلوب الحوار الذى يأخذ ويعطى فى اطار من الأدب الاسلامى •

خامسا : ـ

ولما كان الاسلام الحنيف يدعو الى العلم **فإن الملتقى يوصى بالتالى : ـ**

١ ـ كشف دعوة الاسلام للعلم بكافة فروعه سواء منه الدينى أو التجريبى ـ وصولا بالأمة الاسلامية الى نهضتها وتقدمها •

٢ ـ غرس حب التجارب العلمية والأسلوب العلمى فى نفوس الناشئة والشباب لأنهم الذين سيحملون المسئولية ويقومون بأداء رسالتهم .وفق ما شبوا عليه •

٣ ـ حفز العلماء المسلمين الى العمل من أجل التوصل الى استخدام امكانات التكنولوجيا الحديثة،

سادسا : ـ

لما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الهداه الذين قبسوا من أنوار النبوة ، وحملوا مشاعل الهداية من المشارق الى المغارب •

فان الملتقى يوصى بالتالى :

١ ـ العمل على تعريف المسلمين بسيرتهم،

٢ ـ العمل على التعريف بالصحابة الذين لم تلق عليهم الاضواء الكافية بين أجيالنا المعاصرة •

٣ ـ التأكيد على الاحترام الكامل لهم جميعا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم ، اهتديتم » ••

---

(١) مجلة الأزهر :
وددنا لو أن الملتقى حدد هذا « الرأى » الذى يحترمه الاسلام ، فانا نعلم ويعلم كل دارس أصيل أن سماع الرأى شىء واحترامه ـ بعدئذ ـ بشىء آخر وهذه العبارات العامة كثيرا ما ادت الى غموض مكن للتلاعب والانحراف والتطرف .

من خير ما كتب

الأستاذ عصام عبد المنعم ..

الرعب الواجب ....

من المؤكد أن أحدا منا لا يود أن يصبح شاهدا ، متواطئا بالسلبية . على عملية تغيير الملامح الأصيلة لمجتمعنا الى الأسوأ .. وان الرعب هو الشعور الطبيعى — بداية — فى مواجهة ارهاصات هذا التغيير المتمثلة فى « الخط الجديد » من جرائم الشباب ..

ثم بعد أن يصيبنا هذا « الرعب الواجب » علينا أن نبدأ على الفور فى اعداد العدة للحرب الطويلة .. وتوفير المناعة أو الدروع الواقية لشبابنا من تلك التيارات الغربية التى تحدثنا عنها السبت الماضى ..

قلنا ان القاء التبعة على الظروف الاقتصادية ، العالمية والمحلية ، وانعكاساتها النفسية .. أو على محاولات الغزو الفكرى من جهات خارجية معادية سياسيا أو دينيا .. « والاقتناع » ان هذه الأسباب «وحدها» هى التى تكمن وراء تصاعد الانحرافات ، بداية من تعاطى السموم البيضاء وانتهاء بقتل أقرب الأقربين مرورا بالاغتصاب والسرقة بالاكراه، لا يصيب من الحقيقة سوى بعضها .. فضلا عن أنه لا يقدم حلولا ملموسة أو قريبة !!

فما هو الحل اذن .. ومن هو المسئول عنه ؟

الحل .. أو الدرع الواقية من كل هذه الانحرافات .. وما يستجد على شاكلتها — ينحصر فى اتجاهين متوازيين لا ثالث لهما ..

الأول .. هو « ترويض » النفس باتباع تعاليم الدين « الاسلامى » .

والثانى .. هو «ترويض» الجسم بممارسة « الرياضة البدنية » .

والمسئول عن اعمال هذا الحل .. فهو أنت وأنا وهو وهى .. وليس أبدا الحكومة أو المسئولين أو رجال الدين !!

فعندما يدخل كل منا داره ويغلق بابه خلفه .. تبدأ مسئوليته الكبرى مع أسرته وأبنائه ، وعندما يغادره يكون قد وضع بذورا تثمر ، اما شبابا صالحا أو منحرفا ! ..

ولأن كلنا راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته ، فعليه أن « يتابع ماذا تقرأ هذه الرعية ، وماذا تشاهد فى التليفزيون أو الفيديو — قبل أن نطالب المسئولين بترشيد أو تقييد هذه الوسائل الاعلامية — ثم عليه أن ينتبه الى أهمية تصرفاته التى هى بمثابة التوجيه غير المباشر ، الأقوى أثرا من النصائح المباشرة .. وأخيرا من هم « أصدقاء » هذه الرعية !! .

ويقينا أنه اذا تمت هذه المتابعة و « كتاب الله ، دستور القائم بها فان البذور سوف تنبت نبتا طيبا ، يستعصى على كل أنواع الآفات — المحلية والمستوردة — وسيتهذب فكر الشباب ويقوى « بالحقيقة » فلا يعود نهبا للغث من العادات والرغبات .

أما الاتجاه الثانى المتوازى فى الطريق الى الحل ، هو ترويض جسم الشباب المتفجر بالطاقات عن طريق « ممارسة » الرياضة لا مشاهدتها !! .

أنباء وآراء

الأستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى ..

خواطر حرة

ليتك ياسيدتى أو يا ابنتى سامية صادق تنقذين مشاعر المشاهدين مما يستفزها .
وتنقذين سمعة العاملات فى التليفزيون .
وسمعه المرأة المصرية نفسها من ثلاث أو أربع مذيعات تثور حولهن الشبهات وتحاصرهن الهمهمات فى مصر وفى بلاد البترول شرقا وغربا .
لا تظلمى واحدة .
ولكن حسبك سوء السمعة لكى تمنعى هذه المرأة أو تلك من الظهور على الشاشة .

وسيساعدك على اتخاذ هذا القرار آن التليفزيون والمشاهدين والسمعة المصرية وكل ما نحرص عليه سيكسب من اختفائهن ، فما منهن واحدة ذات كفاءة !!

وشكرا لك أنك وعدت بأن تتاومى التكتلات التى تفرض البرامج المستفزة أو الهابطة ..
وليتك تنقذين المشاهدين من ابتذال بعض الاعلانات .

ولا أحد يفهم كيف لا تكون مادة الاعلانات خاضعة للمسئولين عن التليفزيون .. ما شأن القطاع الاقتصادى بالمضمون ؟ .
ان اذاعة هذا الابتذال وهذه الحركات الرقيعة لجريمة فى حق المشاهدين يجب أن يكافحها المسئولون عن مضمون ما يذاع .

الأستاذ / صلاح منتصر ..

المعادلة الصعبة

اننا لا نريد أن نطفىء الابتسامة على شفاه الناس ولكننا أيضا لا نريد ان نفقد القيم . هذه هى المعادلة الصعبة التى آثارها السيد / صفوت الشريف وزير الاعلام فى رده هذا الاسبوع فى مجلس الشعب حول الاسئلة التى وجهت اليه حول تجاوز بعض الاعلانات التليفزيونية القيم ودخولها دائرة الابتذال أو التلاعب بالألفاظ والاسقاطات .

والاعلانات التليفزيونية هى البرامج المفضلة لكل الأطفال بل لعلى أتحدى أن طفلا واحدا لا يعطى كل اهتمامه وانتباهه لهذه الاعلانات ويقوم بتقليدها ومحاكاتها بنفس الطريقة التى يراها ويسمعها بها . واذا كان من حق وزير الاعلام أن نحييه على قراره الجرىء باستبعاد أكثر من ٣٠ اعلانا كان المفروض أن يقبض التليفزيون أجرا لها أكثر من مليون جنيه فى أسبوع ، فان الذى يستحق التحية أكثر هو اعلانه ان القيم الأخلاقية أغلى من أى مادة أو أى دخل ووعد أن تتم عملية تنقية مستمرة للاعلانات وبنفس طريقة نقاوة (لطع الدودة) من أوراق القطن الخضراء .. ومع ذلك تبقى المعادلة التى أثارها الوزير وهى : كيف نحافظ على الابتسامة فوق شفاه المصريين ولكن بغير أن يكون سبب هذه الابتسامة تعليقا جنسيا أو جملة مبتذلة أو عبارة تخرق قوانين الأخلاق ؟ .

كيف يمكن أن نضحك فى أفلامنا دون أن نسخر من الأب أو نهزأ من مدرسينا،أو يصور لنا جو الحشيش والمخدرات وكأنه الدواء السحرى للانتعاش ونسمع الاسقاطات

الجنسية الغربية التى أصبحت تجرى على ألسنة ممثلين كبار مفروض أنهم قدوة فى الفن أو أن نرى المرأة المفروض أنها تمثل القيم الحلوة وقد أصبحت منافسة للرجال فى سباق الافساد والانحلال الذى يجرى باسم الفن ؟ ٠

كيف يمكن ألا نجد ممثلا كبيرا يقول فى أحد أفلامه : (قال بتقول اننى باتاجر فى (الوساخة) هو الانبساط والهدايا تبقى وساخه) ؟ ٠

كيف يمكن الا يوضع أول فيلم تكتب قصته وتخرجه امرأة فى مصر فى قائمة الأفلام المسموح عرضها (للكبار فقط) بسبب مشاهد وألفاظ الجنس الصارخة الجارحة التى فيه ؟٠

كيف يمكن أن ننقذ أولادنا وقيمهم وأخلاقهم من هذه السكين الحادة التى تذبح باسم الفن كل ما هو فاضل فى نظرهم دون أن نصيبهم بالكآبة واليأس ؟ ٠

كلمة لمجلة الأزهر :

فى أواخر الخمسينيات ، وبالتحديد عندما أعلن الرئيس عبد الناصر عزمه على تأميم الصحافة ، قال ــ بالحرف الواحد : أى رجل كريم يرضى لنفسه أن يدخل بيته مجلة فيها ٠٠ وفيها وتأممت الصحافة ٠٠٠ وما هو الا قليل حتى زادت نسبة ما صرخ منه الزعيم من الفساد على صفحات كثير من المجلات ، وسمح لمجلات خبيثة أن تطأ أرضنا الطيبة ٠

كم نرجو من السيد الوزير صفوت الشريف فقط متابعة ما تقززت منه نفسه حتى تتنفس الثقافة فى جو طيب طاهر ٠

● ● ●

الى القراء ٠٠٠٠

كتبت السيدة وفيقة عواد سلامة كلمة (حول شاعرية روحية القلينى) والمجلة قد أبلغت السيدة : الشاعرة جليلة رضا بمضمونها ٠

ونأمل أن تستجيب ٠٠٠٠ مجلة الأزهر ٠

فهرس العدد

truth, honesty, kindness and genuine love. This authentic attitude attains reality when all human conduct and action is related directly to Allah, and therefore must be genuine and faithful. Brotherhood bonds are established irrespective of race, language, skin colour, social rank, or material possessions. The practice of such trends materializes in the excution of prayers, fasting, and the other disciplines of worship. The teachings of Islam urge people to lead a polite conduct in life with no infamy disrepute or disgrace, and uphold respect honour and regard to each other. Hostility, belligerence and injustice are ruled out and forbidden.

These are the highlights of the essential features that govern the Islamic social code and human relations. The total integrity of any individual; the sacredness of personal property, possession, social rights; the absolute freedom and independence; the faith and confidence of being attached only to Allah; the security of family structure; the prevailance of love and fraternity in the society; all function as necessary facets for a progressing healthy society.

How much human societies suffer both in physical and mental health and how disrupted they are ? How much societies are in need of these remedial essentials to attain the health, peace, order and harmony befitting human existance. Let us all kneel and pray that the human society at large will recover from the degrading abyss it has reached; and to recognise the cures essential for its salvation and survival.

consistant with human prosperity, opulence, and health. The directives advocated by Islam to antagonise the devil; are strict adherence to the doctrines of the faith, and close observance of one's individual conduct and practice in life. The concept of a perpetual continuous struggle against the influence of the devil, should be a fundamental understanding in the mind of every muslim.

Another essential of Islam is the maintainance of solid coherent family structure. This is achieved by a proper mutual respectful loving husband-wife relationship. The doctrines of Islam dictates that men must treat their wives with best care and sincere loving affection. The Prophet (prayers and peace be upon him) highly praised the Muslim who best treats his wife; and highly advocates honouring affectionate respectable and tender association with women. In marriage, the husband pledges to fear Allah in the treatment of his wife, with the understanding that he married her with the security of God. Islamic teaching place women in a high rank of respected esteem, and secures her from wanton avarice and degrading lust. Marriage should be highly cherished and guarded by preservation of feminine chastity and purity. Wives should be gentle and sincere in their devotion to their husbands, they are guardians of family peace and prosperity, they guide and instruct children to the elements of proper principles and ethics. Mothers in the structure of the Islamic family hold the highest rank of dignity honour and respect.

The Islamic law is very particular and specific as regards the subject of inheritance. The holy Quran documents the share of every individual in precise calculated amounts . It is absolutely unlawful and forbidden for anyone to take more than his rightful share. The wealth of orphans is strictly guarded by a very meticulous system.

One of the important concerns of Islam is to establish strong bonds of fraternity and brotherhood between Muslims based on reality,

are upon him, and a dreadful penalty is prepared for him. These are the consequences in the Hereafter, the legal legislative consequences were previously mentioned.

Islamic legislation also provides to safeguard the property of Muslims. This is attained by strict prohibition of usury, falsely devouring the property of people, theft robbery or gambling. Any form of exploitation or illicit transactions are rejected and condemned as illegal. All actions of greed, lust or covetousness and wanton desire are denounced and precluded. The Quranic text forbides "Riba" which is defined as any increase in capital through illegal means as usury, bribary, unorthodox profiteering, and all means of unlawful gain of wealth at other people's expense.

> "Those who devour usury will not stand except as stands one whom the Evil one by his touch hath driven to madness. That is because they say:
> "Trade is like usury", but Allah has permitted trade and and forbidden usury.
> Those who after receiving direction from their Lord, desist, shall be pardoned for the past; their case is for God (to judge). But those who repeat (the offence) are companions of the fire; they will abide therein (for ever). Allah will deprive usury of all blessing but will give increase for deeds of charity:" for he loveth not creatures ungrateful and wicked.
>
> (Surat Al-Baqara II; 275,276)

The Prophet (prayers and peace be upon him) distinctly directs mankind to be cautious and watchful against evil action. This is the influence of the devil (Satan); whose ultimate objective desire is to gear all human behaviour and action in a direction opposite that

" O ye who believe ! The law of equality and retaliation is prescribed to you. In case of murder: The free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman.
But if any remission is made by the brother of the slain, then grant any reasonable demand, and compensate him with handsome gratitude. This is a concession and a mercy from your Lord. After this whoever exceeds the limits shall be in grave penalty. In the law of equality, there is saving of life to you, O ye men of understanding that ye may restrain yourselves."

(Surat Al-Baqara, II; 178,179)

It is made clear that Islam mitigates the horrors of the pre-Islamic custom of retaliation. In order to meet the strict claim justice, equality is prescribed with strong recommendation for mercy and forgiveness. The claims of justice dictate: free for free, slave for slave, woman for woman. There is no discrimination for wealth, high birth, or social influence; among free men and women, all are equal. This law is carefully laid down refering to murder only, and is not applicable to manslaughter due to mistake or accident; for this there is no capital punishment. However, the family of the deceased is entilted to compensation unless freely and willingly remitted. It is also indicated that the mistaken man should free a believing slave, and in case he has no means of compensation and freeing a slave, he must by act of self denial fast for two consequetive months to show that he is cognizant of the grave nature of his deed, and is repentant. The Quranic text in Surat Al-Nisaa (The woman)manifestly describes the law governing manslaughter by mistake. In this connection, differentiation is made in three cases as mentioned (1) when the deceased belongs to same community as you (2) belongs to a community at war with you (3) belongs to a community in alliance with you. However, if a man kills a believer intentionally, his recompense is hell to abide therein forever; and the curse of Allah

vance for your religion. O people, you have rights over wives, and they have rights over you. You must treat them with loving kindness; you have married them on the security of God. Everyone will have his share of inheritance. O People; listen to my words and understand, realize and know well that every Muslim is a brother to the other Muslim, and that all Muslims are brothers. Nothing which belongs to one is lawful unto his brother unless freely given out of goodwill. Guard yourselves against all sorts of injustice. I have left between your hand the book of Allah and the Tradition of his Prophet, therefore endure to them in adherent conforming observance, and you shall never go astray. Let him who is present relate these words to those who are absent."

In this communal speech on the sacred day after pilgrimage, the Prophet (prayers and peace be upon him) decreed the essential concepts that are recognised necessary for the security and affluence of the Islamic community and humanity at large. Such concepts constitute the social code of practice as prescribed by the Holy Quran. All muslims are obliged through their faith and belief to comprehend these fundamental concepts and practice them with willingness and devotion to maintain them as a way of life.

With these short specific statements declared in a public announcement, the Prophet (prayers and peace be upon him) formulated the basic elements of the code of Islamic social life. The substances of these elements are dealt with in elaborate precision in Quranic text and the Honourable Hadith.

One aspect is the sacredness of human life in general, and Muslim lives in particular . Absolute prohibition of murder is a landmark in Islamic legislation. In this particular connection, the Quran specifically describes the details of this aspect in meticulous analysis.

THE CODES OF ISLAMIC SOCIAL LIFE

BY NASR ELDIEN ABDEL-FATTAH SHOLKAMY

Praise be to Allah, and prayers and peace by upon the Imam of the pious our Prophet Mohammad, and on his Kins, companions, followers, and callers for his message till the day of judgement.

The Prophet (prayers and peace be upon him) in his last public address after his farewell pilgrimage indicated the basic concepts that should regulate and normalise the social structure of the Islamic community. In his words he said: "O People; listen to my words, for I may not be with you after this year in this place. Your lives and property are sacred and inviolable to each other. Sacred as this day and this month are sacred to all. Let it be well known that you will appear before God to account for all your actions. Anyone in possession of anything belonging to another must return it to him, and be faithful to any trust placed in you. Usury is prohibited, the debtor will return the capital only and none will be injustified".

"O People ; the devil (Satan) is desperate of being worshipped, but will be content with your faults; beware of him and have obser-

the scoraching heat; Al-hawiya, i.e. the deep abyss; and Al-hutama, i.e. the smashing one.

In contrast with the sublimity, bliss and fertility of life in Paradise, Hell is associated with sinking, tormentation and sterility in the Fire wholly enshrouded in black smoke. In vain will its inmates cry for succour or exodus.

However, like Paradise, Hell too has a living aim. It is not merely a place of unending chastisement; rather, it is the harder purgatory of sinners. Therein, they are fitted in unparallelled temperatures for spiritual advancement until, out of Divine mercy and justice, they are ordained to quit Hell and go to Paradise.

A question arises here concerning the eternity of the sinners' chastisement in Hell. It is noteworthy that the Arabic words "Khulud" and "abad" both indicate eternity in the sense of endlessness, but also bear the significance of very long durations of time - as if metaphorically likened to eternity. A Qur'anic equivalent to them in the last sense is "ahqab", i.e. very long terms of years. However, one can safely conclude from both the Holy Qur'an and the Honourable Traditions that it is to Paradise that endlessness pertains. As to Hell, however vast extends the span of its existence, it is making for its own destruction.

Traditions, the balances are palpable and absolutely accurate, while the weighed acts are records on pages.

The Arabic name in the Holy Qur'an for the abode of bliss in the Hereafter, i.e. Janna, is an eloquent nomination. At root, "Janna" - the verb - implies concealment which agrees with the concept of the unseen, on one hand; and on the other allows for discovery over and over of new unprecedented or unexpected delights.

In its portrayal of paradise, the Holy Qur'an strikes notes of sensual perceptions. It speaks of gardens with flowing rivers, shade, fruit, milk and honey. It promises the faithful the happy company of their righteous kinsfolk and offspring. Men of faith and true belief are associated with female partners who are described as pure, highly virtuous, perfect in elegance, beauty and virginity.

The loftiest blessing Allah grants the Blessed in the Abode of peace shall be His meeting them and communicating with them. They deserve the immeasurable joy of it, having so patiently worked on, in this life, to attain it. Then follows further advancement into Eternity. Blissful as it surely will be, however, man's existence in Paradise cannot end in rest. Indeed, not only will all traces of evil and shortcomings be stamped out from the dwellers of Paradise; still, the desire implanted in man to advance further and further in this life will aspire higher and higher in spiritual eternity. Not a single desire shall be checked. Nor shall man grow weary of the sublimities of immortality.

Hell, on the other hand, is the Abode of Chastisement. The Holy Qur'an gives it names, all synonymous with fire, abyss, deep fall and tormentation. They are: Jahannam, as it were its proper name, which means tremendous Hell-fire; Jaheem, i.e. the burning of fire, and the burning of vehement passions; Sa'ir, i.e. the raging fire; Saqar, i.e.

Life after death

(II)

By Soliman Barakat

It is not expressly stated in the Holy Qur'an whether man will be raised in body and soul or in soul alone. Indeed, mention of the unseen in the Qur'an is usually an admonitory or promisory reminder of the end that awaits man, rather than an interpretation of it.

Faith that is the light-in-the heart in this life will in the life beyond a peculiar light that runs before and after each believer; good deeds will bear their fruit. With all the unrealizable differences between this and the next world, however, there is a striking sort of parallelism between them. It is not therefore required of a believer to concern himslef with such enigmatic mysteries of the unseen as have not been revealed to him. However, according to the Traditions of the Prophet, be upon him peace and blessing from Allah, man will be raised in both body and soul, his individuality undoubtedly preserved but his appearance otherwise.

Deeds being recorded in this life by unseen angels and weighed by others in the Hereafter is oft-repeated in the Holy Qur'an and the Honourable Traditions. The balance has always been the symbol of justice. Still, it signifies the perfect order in which Allah has caused the whole creation to be integrated. Never-the-less, the weighing on the Doomsday of men's deeds must be taken as a reality and not a metaphor. For according both to the Holy Qur'an and the Honourable

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th., Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Yahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa , Beirut

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

The judgement of Saad Ibn Muaz on Bani Quraiza was in accordance with the Jewish Law of the old testment in the treatment of enemies after a seige. Further, it must be comprehended that the treacherous act of Bani Quariza during the battle of Al-Ahzab would have been highly detrimental to the Muslims. Again the dominant prestige of the Muslims among the Arab tribes must be well established and preserved. This is attained by capital punishment for those who act in treachery and fraudulence. It was imperative that this action be taken against Bani Quraiza. Chroniclers state that the Jews faced the excution of their death with great courage.

The Vanquish of Bani Quraiza resulted in the clearance of Al-Madinah from the last pockets of Jewish presence. This in reality meant that the strong hand of the hypocrites has weakened. As to the Muslims, the outcome of the battle of Al-Ahzab and the decision taken against Bani Quraiza certainly established their power and superiority. They remained constant and consistent in the summons and call for the truth , to establish the word of Allah as supreme.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
3rd Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Heddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo printed 1980

For Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful".
(Surat Al-Tauba, IX, 192).

When the redemption of Abu Lubanah was finally declared, Muslims hurried to inform him and release his chains, but he refused saying that he will remain chained till the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) released him.

Bani Quraiza submitted to accept any decision to be taken. At this stage, a group of Muslims from the Arab clan of Aws, previous associates of Bani Quraiza, came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and appealed that Bani Quraiza be treated as Bani Qainuqua who were associates of the other Arab clan of Khazraj. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) answered that a man from the Aws will give the final decision and judgement on how to deal with Bani Quraiza. That man was Saad Ibn Muaz the chieftain of the Aws. That famous Sahabi was brought wounded during the battle of Al-Ahzab by a stray arrow. Saad Ibn Muaz passed the judgement that all able males should be killed , women and children taken as prisoners, and possessions and property confiscated into muslims ownership. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) commented that the judgement passed by Saad Ibn Muaz was the judgement of Allah on Bani Quraiza.

> "And those of the people of the Book. who aided them-God did take them down from their strongholds, and cast terror into their hearts (that) Some Ye slew, and some Ye made prisoners. And He made you heirs of their lands, their houses, and their goods, and of a land which Ye had not frequented before. And Allah Has power over all things.
>
> (Surat Al-Ahzab XXXIII, 26-27)

for he is the promised messenger as indicated in the true Jewish doctrines. The second was to kill all their wives and children, and to face him in battle after that with no fear of leaving anyone behind. The third was to fight the Muslims tonight being a Saturday, in the hope that may be a surprise attack which may succeed. Bani Quraiza refused all suggestions presenting several antagonistic arguments. They also recognised that they were involved in a loosing battle, and that utter defeat was their destiny. They asked to be treated in a similar manner as Bani Al-Nadhir, to evacuate with possessions leaving behind their arms. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did not accept, and also refused the suggestion that they depart without possessions, and insisted that Bani Quraiza must succumb to whatever decision there was regarding their fate, because of their ignominious act of treachery.

Bani Quraiza requested to meet with Abu Lubanah Ibn Abdel-Munther for consultation with him regarding their situation. Abu Lubanah advised them to accept the decision of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) whatever it may be, and made a sign with his hand across his throat, meaning that the decision will be death. By doing that Abu Lubanah felt that he was not truely faithful to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and with a guilty conscious, left directly to the Mosque at Al-Madinah and chained himself to one of the pillars in repentance and penitence. There he remained tied for twenty nights, and his wife came to unchain him at every prayer time and rechain him again. This continued till the Divine Revelation redeemed Abu Lubanah by the Quranic text.

> "Others (there are who) have Acknowledged
> their wrong-doings; They have mixed an act
> that was good with another that was evil.
> Perhaps Allah will turn unto them(in mercy):

confederates and Bani Quraiza. The Muslim - Bani Quraiza dispute was to be settled soon; yet none could predict how soon it would be. On the same day the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Al-Madinah, he marched to Bani Quraiza. According to most authoritative chroniclers, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched to Bani Quraiza by Divine order received through the Archangel Gebriel. Whether this be the case or otherwise, the fact is that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched to Bani Quraiza on the same day after the return from the battle of "Al-Ahzab". The Muslims were summoned to march to Bani Quraiza and perform afternoon prayer there. Some performed the prayer on the way, others waited to reach the dwellings of Bani Quraiza and performed the prayer after the prescribed time. Both parties believed that their action was correct; and as a matter of fact both actions were sanctioned by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The banner of Muslims marching to Bani Quraiza was trusted to Ali Ibn Abi Taleb; and Al-Madinah was left to the ministership of Abdullah Ibn Um Maktoom. The number of Muslims that marched out to Bani Quraiza was three thousand. Bani Quraiza realised the purpose of this march, and recognised the disgrace and infamy they incurred, and all the consequential implications pertaining to that act of uncanny betrayal.

The Jews of Bani Quraiza took refuge in their well defended forts and bastions, and the Muslims started to prepare for a long siege of Bani Quraiza. Huaii Ibn Akhtab from Bani Al-Nadhir who raised the confederates to march against the Muslims, joined Bani Quraiza inside their fortresses after the retreat of Koraysh and Ghatafan. The siege lasted for twenty five days, and Bani Quraiza became certain that the Muslims seriously intended to defeat them. Kaab Ibn Assad the leader and chieftain of Bani Quraiza declared to Bani Quraiza three choices to decide upon to solve the distressing situation they faced. One was to proclaim the prophethood of Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) and to declare acceptance of his message,

and the confederate forces. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) at this stage announced that Kuraysh will not attempt to face the Muslims again, but it will be for the Muslim to go out to face Kuraysh.

The Muslims returned from the grounds of the trench to their homes at Al-Madinah tired and exhausted ready to recline to rest. According to most chroniclers, there were six casualties from the Muslims; and three from the confederate forces. These few numbers of casualties indicates the nature of the confrontation as being devoid of armed combat. However, it was characterised by much suffering, hunger, cold, dispair and distress, unceasing showers of arrows and various individual surprise assaults. The battle of "Al-Ahzab" was also highly notable for its complicated challenging political intrigue and diplomatic strategy. As a matter of fact, the build up of the confederate forces "Al-Ahzab" was initiated originally by a political rally set up by the Jews in order to defeat the Muslims in a final massive confrontation. Yet, the divine powers interfered in overwhelming devastation of the confederate forces, and to establish the promoting elements of Islam as supreme, for the Right and Virtue they stand for.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslims returned to Al-Madinah with the intention of getting ready to prepare for another round with Bani Quraiza. This Jewish clan resident at Al-Madinah were committed to a state of neutrality with Muslims according to previously signed agreement. During the attack of the confederate forces, they broke their neutrality and declared their full support and alliance to the confederates. This act of treacherous betrayal came at a very critical time and placed the Muslims in a position of great danger. However, that alliance ended in utter failure and disappointing frustrations to both the

THE VANQUISH OF BANI QURAIZA

By Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR MD. Ph.D.

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

The confederate forces retreated completely to the last man. The forces of divine function and providence interfered to defeat the invading masses without battle inspite of the might and power they exhibited. The Muslims were saved the ordeal of actual armed combat; for which they were very thankful and grateful to Allah for His divine support. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) went in prayers,and received the Quranic Revelation:-

> "And Allah turned back the unbelievers for
> (all) their fury: no advantage did they
> gain; and enough is Allah for the believers
> in their fight. And Allah is full of strength,
> able to enforce his will.
>
> (Surat Al-Ahzab, xxx III,25)

This indicates that Allah deviated the forces of evil by causing the winds to blow, and by providing angelic support. This prevented the necessity of armed confrontation between the Muslims

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان: إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إلى المسلمين في مستهل

شهر رمضان

هذا موسم الإصلاح والصلح مع الله فأقبلوا :

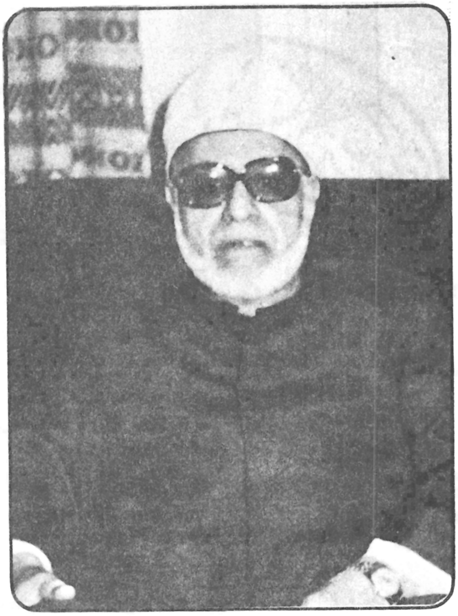
قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ من قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »

افتتح الله آيات الصوم (١٨٣ ــ ١٨٥) من سورة البقرة بهذه الآية يمهد بها نفوس المسلمين لفريضة الصوم ، ويدعوهم ألى الإقبال على أدائها باعتبار أن الصوم أقوى العبادات تأثيرا على الإنسان قلبه وقالبه ومعلنا لهم أن تقرير هذه الفريضة عليهم ليس بدعا أو أمرا خاصا بهم ، وإنما هى ركن من أركان كل دين ، وذلك أدعى للإذعان .

الجزء التاسع * السنة السابعة والخمسون

* رمضان ١٤٠٥ هجرية * مايو ، يونيه ١٩٨٥ ميلادية *

كلمة فضيلة
الإمام الأكبر
شيخ الأزهر



إلى المسلمين فى مستهل

شهر رمضان

والصوم فى اللغة: الإمساك والكف عن الشيء .

أو هو: الإمساك عما تنزع اليه النفس

وفى الشرع: الامتناع عن الأكل والشرب والمخالطة الزوجية من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس احتسابا لله تعالى وإعدادا للنفس وإمدادا لها . بما يعينها على تقوى الله ومراقبته وتربية إرادة الصائم ليقوى بذلك على ترك المحرمات وكبح الشهوات :

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) بيان وتعليل لفرض الصوم وابراز للغاية من فرضه وتحريض على الإقدام على أدائه ، حتى يعد الصائم نفسه لتقوى الله ورضوانه بترك المباح من الشهوات الميسورة امتثالا لأمر الله . واحتسابا للأجر عنده .

ومتى درب المسلم النفس وكفها عن المباحات ملك زمامها وحال بينها وبين المحرمات ، وتربت عنده ملكة الصبر على ما يشير اليه قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – (الصيام نصف الصبر) .

(ولعل) فى تلك الآية للترجى .

والرجاء إنما يكون فيما وقعت أسبابه ، وموضعه هنا المؤمنون المخاطبون بالآية ، ومن ثم كان من لم يصم بالنية وقصد التقرب الى الله بعيدا عن أن تتربى عنده ملكة ترك المحرمات ، ولم ترج له ومنه التقوى ، فليس الصيام فى الإسلام لتعذيب النفس ، بل لتربيتها وتزكيتها .

ثم إن إعداد الصيام نفوس الصائمين ، وتوجيهها الى تقوى الله يظهر من وجوه أعظمها أنه أمر موكول الى ذات الصائم ، فالصوم سر بين العبد الصائم وبين ربه لا يطلع عليه الا الله سبحانه اذ لولا اخلاصه ومراقبته لله ومعرفته اطلاع ربه عليه لما كان له اصطبار عن تناول ماصام عنه ، وفى تكرار الصوم تنمية وتقوية لملكة المراقبة لله والحياء منه أن يراه حيث نهاه ، وهذه الملكة هى التى استبدلنا بها ما شاع على الألسنة فى عصرنا وسميناه (الضمير) •

هذه المراقبة لله وخشيته وحده متى استقرت عليها الأنفس الصائمة لله ترقبا لسعادة الآخرة ، تؤهل أيضا لسعادة الدنيا ، فمن راقب الله وصام ايمانا واحتسابا عمر قلبه بخشية ربه ، فلم يقدم على غش الناس وخداعهم ، ولم يأكل الأموال بالباطل ، ولم يحتل على الله لمنع الزكاة أو لأكل الربا ، وأموال اليتامى ، ولم يقترف المنكرات سرا وعلانية وبالجملة اكتسب صفات الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم •

ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل فى المعاصى ، ولا تطول غفلته عن الله وطاعته واذا نسى أو استهواه الشيطان فاقترف السيئات ، كان سريع التذكر والرجوع بالتوبة الى ربه •

« **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** »

فالصيام سر بين الصائم وربه ، وأعظم مرب لملكة المراقبة والارادة وأقوم طريق للتقوى •

والصوم يجعل الصائم رءوفا رحيما بالفقراء سخيا بالصدقات مؤديا الزكوات ، اذ عندما يجوع يتذكر من لا يجد القوت •

ثم أليس من الصفات المحمودة للمسلمين أن يكونوا رحماء بينهم ؟

لقد وصف الله بهذا السابقين الأولين الى الاسلام ، ونحن من هذه الأمة ينبغى ألا ينفك عنا هذا الوصف الربانى المحمود •

ولابد للصائم أن يحفظ جوارحه عن الآثام فلا غيبة ولا نميمة ولا غضب ولا قول زور والا كان بهذه المعاصى ، وهو صائم كمن يبنى قصرا ويهدم مصرا •

ان على المسلمين أن يتخذوا من صوم رمضان زادا للتقوى ، والتقرب الى الله ، وألا يصوموا جوعا وعطشا ، ثم هم من وراء ذلك لا يرعون الله فى أعمالهم

وتجاراتهم وذوى أرحامهم وجيرانهم وأوطانهم ، بل عليهم أن يصوموا لله قانتين، حتى لا يدخلوا فى نطاق ما حذر منه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش) •

فلنلتزم بالصوم الموصل الى التقوى ايمانا واحتسابا لربنا ولنلجأ اليـــه فى شــهرنا المبارك أملا فى معونة الله ومدده لأمة القرآن حتى نكون خير أمة أخرجت للنـــاس •

ولا ينبغى أن ننتقم بالليل من النهار فنقضى نهارنا نعد لموائد الليل الطعام والشراب ونتمادى فى الاسراف غافلين عن حكمة الصوم وفوائده ، وعن قول الله فى محــكم كتــابه :

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُــونَ)

انه شهر فى العام ــ **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ٠٠)** أقام اللــه فيه مدرسة للصوم ، فيها نعتاد الطاعة لربنا ، وبه تقوى عزائمنــا ونراقب اللــه ونخشاه ، ونرجو ثوابه فيه تصح أجسادنا ، كما تطهر قلوبنا • بهذا أخبر الصادق الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى قوله (صوموا تصحوا) وقوله : (من لم يغفر له فى رمضان فمتى ؟) هــذا الصوم متى التزمناه صــحيحا كان الوازع الدينى وكانت الأمانة • وفى الحديث الشريف : (ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانتـــــه) •

ان مدرسة الصوم مدرسة اصلاح نفسى وجسدى واقتصــادى أســتاذها الوازع الدينى ، ودوام المراقبة لله سبحانه ، والامتثال لأمره ، به ترقى الأخلاق اذا اصطلحنا فيها مع الله ، فأعلنا التوبة اليه والأوبة الى كتابه وســنة رســوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، نحتكم اليهما فى كل أمورنا دون أن نلتفت الى أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، يضلون الناس ، وما يضلون الا أنفسهم تخلوا عن أمانة الكلمة فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين •

تعالوا أيها المسلمون نتخذ شهر رمضان موسما نتخفف فيــه من أعبائنــا الاقتصادية التى أثقلت كواهلنا أفرادا وجماعات وحكومات •

تعالوا الى صوم نتقرب به الى الله ، لا رياضة نفسدها بالليل بكثرة ما نعد من ألوان الطعام والشراب واللهو ، جربوا أيها المســلمون الاعتدال فى أموركم ، والاستغناء عما لا ضرورة له ، فلا تثقلوا كاهل الدولة باستيراد ما تعجز مواردها

عن تدبيره من الكماليات الموسمية التى لا تدخل فى فروض الدين ، وليست من لوازم الصوم خذوا من مدرسة الصوم ما تستطيعون من فضل وفضـائل أقيموا حلقات القرآن التى استبدلتم بها ندوات الشيطان ، فنزع الله البركة من أموالكم بالرغم من كثرتها ووفرتها • وبخلتم وأمسكتم عن أداء ما فرض الله عليكم فكانت الآفات والأمراض والأوجاع التى لم تكن فيمن كانوا قبلكم ، كان سـلفنا يتجمعـون فى القرى والأمصار حول القراء يتلون عليهم القرآن ، ومع العلماء يجلون لهم آيات الله ، فكانت البركات والرحمات ونعمة الرضا تحوطهم فضلا من الله ونعمة ، وكانت القلوب مطمئنة ، والنفوس راضية مرضية ، والرحمة سائدة والمودة غامرة ، والتعاون على البر شعارهم ودثارهم فلما صرفكم عن القرآن الصارفون وقالوا لكم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، استجبتم وانصرفتم عن كتاب ربكم ، فأنساكم الشيطان صالحكم وأضلكم عن سبيل الله ، وتفرقت بكم السبل ، حتى صرتم شيعا يقاتل بعضكم بعضا •

أقول وأكرر: أيها المسلمون إن سلفكم الصالح ما عالجوا ضائقة اقتصـادية ألمت بهم بالاغداق والاسراف والاستدانة ومزيد من انفاق الأموال فى غير محلها ، وانما بالاقتصاد وبالاستغناء عما فى أيدى الغير •

فلنحزم أمرنا ، ولنجرب ما نجح به سلفنا ، ولنتخذ من شهر رمضان مدرسة نعدل بها عاداتنا التى أسرعت بنا الى هذا الغلاء الذى ناءت به دخولنا ، والتى أثقلت كاهل الدولة بالاستدانة والقروض بالربا ، الذى ما دخل فى تعامل الا كان معه الخراب والدمار ونزع البركة ذلك وعيد الله وقوله فى شأن تحريم الربا :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ • فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ »

هذا موسم الطاعة لله فأقبلوا عليه ، واصطلحوا مع ربكم يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم • اعقدوا فيه ندوات القرآن والسنة وأغلقوا مزامير الشيطان ووسائل الفساد • أولى بالمؤمنين أن يكونوا مع الله فى شهر رمضان فانه سبحانه قال على لسان رسوله — ﷺ — (الصوم لى وأنا أجزى به) •

اصطلحوا مع الله بطاعته فى رمضان ، لتصير الطاعة لكم عادة تستقيم عليها حياتكم اصطلحوا مع أنفسكم ،مع الوالدين مع الجيران مع المجتمع كله •

البقية ص ١٤٣١

٢

لله وللرسول

ولأئمة المسلمين وعامتهم

لا مفر من حديث « الدعوة » حتى النهاية لله وللرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم !!

وحسبى أن أتحدث من منطلق « البدهيات » :

... من حيث التحام الداعية بالجماهير ، وشعور الجماهير أن الداعية انما هو « استجابة » مباشرة لشئونهم الدينية ، ولا أحسب معارضا — فى ذلك — الا منكرا لواقع يلمسه ، أو متغاضيا عن حق ينفر منه لسبب يعلمه الله .

... ثم من حيث شعور المسلمين بأن الداعية الذى أمامهم هو « داعية الاسلام » وليس داعية فئة من الناس تحت أى شعار .

أى أن الداعية — باختصار — ينبغى أن يكون فقيها فيكون استجابة لجماهيره ، وأن يكون ولاؤه للمسلمين أجمعين فلا تنوشه الظنون .

فإن فقد الداعية الفقه فقد التقى بفصاحته ... لا بالجماهير وإن تحدث باسم فئة فولاؤه لها ... لا لله .. ولا للمسلمين .

كذا ميراثنا عن رسول الله — ﷺ .

وهكذا ميراثنا من قاعات الدرس بالأزهر الشريف .

تعلمنا ألا يكون الاخلاص إلا لله ، وألا نعمل لغرض نتسلق له — باسم الدين — أكتاف المسلمين .

للدكتور على أحمد الخطيب

ولا — والله — مَا تَحَزَّبَ رجـــل الدين لحزب ، أو أَرَزَ الى فئة الا استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ولا عاد بعدها سالما قط .

وإنمـا المسلمون لُحْمَـة ، والدين عـام .

على هذا ترك رسول الله — ﷺ — الأمة ، وحرص الراشدون — من بعده — على هـذه المسكة .

عندما تنادى بَطْنٌ من قُضَـاعةَ — أثنـاء المعركة مع الروم بقيادة أبى عبيدة أمين الأمة — بدعوى الجاهلية ، فصـاح بعضـهم : يالقضاعة يريد جمع قبيلته لانصافه عصبية ، وعلم عمر فأمر بنفيهم جميعا فاذا هذا البطن من قضاعة هو « بَلِيّ » .. نفاهم عمر جميعا الى مصر فلم يطأوا ديارهم بعدها .

وأراد بعض الأعراب — عن حسن نية — أن يتجمع وعشيرته ، فيضربون فى « البادية » يسكنونها فنهاهم عمر .

كل ذلك ليلتحم المسلمون على اخاء ومودة ، ويمتزجون على تقى وعفاف .

فما بالك بمن ينحاز بالدين الى فئـة ... وهو الذى للناس كافة .

كيف يكون هـذا ...؟!!

ثم انْظُرْ بعد الى أى خلل فى الدعـوة تَـطَرَّقَ الى المحزنـات فانك واجد سببه أحد أمرين :

إما دعوة بـلا فقه .

أو داعية ليس للمسلمين .

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد .

٢

من علوم القرآن

الإعجاز

ما يطلق عليه لفظ « القرآن »

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المقام أن لفظ « القرآن » يطلق على القرآن بتمامه كما يطلق على كل جزء منه ، والذى يشهد بذلك آيات القرآن نفسه :

فنحن نعرف أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تلقى القرآن نجوما وعلى فترات فى مدة طالت منذ بدء الوحى وسنه أربعون سنة الى قبيل وفاته بعد ثلاثة وعشرين عاما .

فأول الوحى كان فى مكة وظل ينزل طيلة وجود الرسول فيها ، وبقيته كان فى المدينة بعد هجرة الرسول اليها .فاذا قرأنا من سورة الرحمن ــ وهى مكية (١) ــ قول الله تعالى :

« الرحمن ، علم القرآن »

كان لزاما علينا أن نفسر القرآن فى هذه الآية بما أنزل منه حينئذ ، لأنه هو المعروف فى الساحة . وذلك بعض القرآن .

واذا قرأنا قول الله عز وجل :

« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ إِنِّى أَخَافُ إِن عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (٢) .

يكون من الخطأ أن نفهم أن لفظ « قرآن » فى هذا النص الكريم كتاب الله بتمامه ، لأن الآية نزلت فى مكة وقبل أن يهاجر الرسول الى المدينة ، وما كان القرآن قد تم نزولا

(١) لم نستطع الاتصال بالكاتب الفاضل لمعرفة رأيه فى قوله : مكية وهى ــ فى المصاحف ــ « مدنية » فلعله سبق قلم ... مجلة الازهر

(٢) سورة يونس الآية رقم ١٥

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

يومذاك •

وعندما نأخذ أنفسنا بما أدبنا الله بـه فى قوله سبحانه :

« وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (١) • فمن الحتم أن نفهم أن المراد هنا أى جزء من أجزاء كتاب الله •

وقد رأينا — فيما سبق — أن منزل القرآن سبحانه قد تحدى من رموا رسوله بالافتراء والكذب أن يأتوا بحديث مثله ، أو يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، أو يأتوا بسورة من مثله. ومما لا خلاف فيه أن التحدى العام الشـامل لهؤلاء ومن عداهم من أفـراد الانس والجن جميعا والذى تنطق به الاية الكريمة : « قُـلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُـهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (٢) •

هذا التحدى العام يحمل فى طياته التحدى بأن يأتوا بسورة واحدة ، ومن هنـا يطلـق عليها لفظ « القرآن » •

ولأن لفظ « القرآن » يطلق على الكتـاب بتمامه كما يطلق على كل جزء منه كان حديث العلماء فى « القدر المعجز من القرآن »•

القدر المعجز من القرآن

وقد عنى العلماء بهذا الأمر عناية كبيرة :

ففى كتاب « الاتقان فى علـوم القـرآن » « لجلال الدين السـيوطى نجـد « فصـل فى قدر المعجز من القرآن » جاء فية :

« الذى ذهب اليه عامة أصحابنا . وهـو قول أبى الحسن الأشعرى فى كتبه . أن أقـل ما يعجز من القرآن السورة . قصيرة كـانت أو طويلـة أو ما كان بقدرها •

قال : فاذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك معجز •

قـال : ولم يقم دليـل على عجـزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة الى أن كل سورة برأسها فهى معجزة •

وقد حكى عنهم نحو قولنا . الا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة . بـل شرط الآيات الكثيرة » (٣) •

وفى كتاب «منـاهل العـرفان فى علـوم القرآن » لفضيلة الشيخ محمد عبـد العظيم الزرقانى نجد :

« ••• ووجوه اعجـازه (أى القـرآن)

(١) سورة الاعراف : الآية ٢٠٤ •

(٢) سورة الاسراء : الآية ٨٨ •

(٣) ص ١٥١ من الجزء الثانى طبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م

كثيرة .. لأن كل مقدار ثلاث آيات قصار معجز ، ولو كان هذا المقدار من آية واحدة طويلة ، فقد تحدى الله أئمة البيان أن يأتوا بسورة من مثله وأقصر سورة هى سورة الكوثر ، وآياتها ثلاث قصار » (١) .

وواضح مما جاء فى الكتابين أن هناك من يقول : ان كل مقدار ثلاث آيات قصار معجز ولو كان هذا المقدار من آية واحدة طويلة .

وأعتقد أن هذا القول يحتاج الى وقفة ، فالمتحدى به فى القرآن كان حده الادنى سورة .

والسورة — كما هو معلوم — لها بدء ، ولها نهاية ، ولها موضوع واضح . ولها هدف ، ويندر أن يوجد ذلك فى مقدار ثلاث آيات قصار خاصة اذا كان هذا المقدار من آية واحدة .

وما اعتبره فضيلة الشيخ الزرقانى دليلا على صحة هذا القول لا يسعفه فى نظرنا ، فهو يقول مدللا على ما قرر :

« فقد تحدى الله أئمة البيان أن يأتوا بسورة من مثله ، وأقصر سورة هى سورة الكوثر وآياتها ثلاث قصار » .

فاذا كان التحدى — كما قرر هو وكما هو الواقع — بالاتيان بسورة فلابد أن يكون أقل مقدار معجز له من الصفات ما يكون للسورة من بدء ونهاية وموضوع وهدف . أى أن يكون حديثا تاما فى مدلوله . فلو قيل :

أن كل مقطع من آيات القرآن يفيد معنى متكاملا واضحا ، معجزا لكان مستساغا .

وقد يكون هذا هو ملحظ من قال من المعتزلة : يشترط فى القول باعجاز ما ليس بسورة أن يكون آيات كثيرة ، كما جاء فيما نقلنا عن السيوطى فى الاتقان .

الى من وجه التحدى ؟

ونجد لبعض العلماء كلاما حول من وجه التحدى اليه :

فالسيوطى يذكر بعض تنبيهات ويقول فى التنبيه الخامس : « هل التحدى للجن والانس أو للانس فحسب ؟ » (٢) .

وللامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى فى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » كلام حول الموضوع نفسه ، يقول : « مسألة فى أن التحدى انما وقع للانس دون الجن :

التحدى انما وقع للانس دون الجن ، « **لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربى الذى** جاء القرآن على أساليبه » .

وانما ذكروا فى قوله « **لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ** » تعظيما لاعجازه .

فاذا فرض اجتماع جميع الانس والجن وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز ... » (٣) .

(١) ص ١٢٨ من الجزء الثانى الطبعة الثالثة (مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه)

(٢) ص ١١١ من الجزء الثانى من الاتقان .

(٣) ص ١١١ من الجزء الثانى من البرهان تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية . دار المعرفة — بيروت .

وما كنا نود أن نقرأ مثل هذا بعد النص الكريم :

« **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** » (١) .

والذى حاول الزركشى ومن وافقه أن يخرجوه عن ظاهره لا لشىء الا لأنهم قرروا أن وجه الاعجاز فى القرآن هو علو درجته فى بلاغة أسلوبه وسمو بيانه بالنسبة للسان العرب .

ولو وافقنا الزركشى فى رأيه والذى علل له بقوله : « لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربى » للزم أن غير العرب من الانس لا يشملهم التحدى ، ويكون لفظ « الانس » فى الآية خاصا بالعرب وحدهم ، وهذا يخالف اصطلاح القرآن فى اطلاق لفظ الانس على كل بنى آدم من عرب وغير عرب ، وهل من المقبول أن نخصص الانس بالعرب فى قول الله تبارك وتعالى :

« **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ..** » (٢) .

أو فى قوله عز وجل :

« **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ** (٣) » .

ولو قيل أن التخصيص هنا له ما يبرره وهو لسان العرب الذى نزل به القرآن كما هو واضح من كلام الزركشى ، لقلنا أن هذا بعينه هو الذى يوجب علينا البحث عن وجه الاعجاز فى التحدى الذى تنطق به آيات الله وأنه شىء أوسع وأشمل من هذا القول الملزم بتخصيص مالا ضرورة الى تخصيصه .

والذى يقرأ كتب علوم القرآن وما كتب حول « الاعجاز » تتجسم أمامه مشكلة أوقع بعض العلماء أنفسهم فيها عندما قالوا : ان أسلوب القرآن العربى هو أساس اعجازه ، فقد تبين لهم القصور فيما قرروا ، واتضح لهم أن غير العرب — على هذا القول — لا يندرجون تحت التحدى الذى تنطق به كلمات الله ، بل لا يعرف اعجاز القرآن — تبعا لذلك — الا الصفوة من أهل اللسان العربى ، ومن هنا حاولوا الخروج من المأزق فقال بعضهم : « وقامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا أرباب الفصاحة وفطنة المعارضة » .

وقال بعضهم :

« الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكير فى علم البيان ... فعلى اعجازه دليل اجمالى وهو : أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أعجز » (٤) .

◄

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٨٨

(٢) سورة الأنعام : الآية رقم ١٣٠ .

(٣) سورة الرحمن : الآية رقم ٣٣ .

(٤) أنظر الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١١٩ .

وفى كتاب « اعجاز القرآن » لأبى بكر الباقلانى (١) كلام كثير حول هذا الموضوع ، فهو يقول :

« ... الأعجمى لا يعلم أنه (أى القرآن) معجز الا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج فى معرفة ذلك الى أمور لا يحتاج اليها من كان من أهل صفة الفصاحة ، فاذا عرف عجز أهل الصنعة حل محلهم وجرى مجراهم فى توجه الحجة عليه » (ص ٣٦) .

ويقول :

« وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالى فى هذه الصنعة ، فربما حل فى ذلك محل الأعجمى فى ألا يتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المتناهى فى الصنعة عنه » (ص ٣٧) .

ويقول :

« فصل فى كيفية الوقوف على إعجاز القرآن » .

قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن الا أن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك ، فاذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تحدوا على أن يأتوا بمثله وقرعوا على ترك الاتيان بمثله ، ولم يأتوا به تبينوا أنهم عاجزون عنه .

واذا عجز أهل ذلك اللسان فهم عنه أعجز وكذلك نقول ان من كان من أهل اللسان العربى الا أنه ليس يبلغ فى الفصاحة الحد الذى يتناهى الى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعدونه فصيحا بارعا من غيره فهو كالأعجمى فى أنه لا يمكنه أن يعرف اعجاز القرآن الا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسى الذى بدأنا بذكره ، وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء .

فأما من كان قد تناهى فى معرفة اللسان العربى ووقف على طرقها ومذاهبها فهو يعرف القدر الذى ينتهى اليه وسع المتكلم من الفصاحة ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدرة فليس يخفى عليه اعجاز القرآن » ص ١٥١ .

ولعل هذا الموقف الذى جعل أصحابه يحسون بخطورته هو الذى دعا الى التوسع فى القول بوجوه متعددة للاعجاز بحيث تتسع الدائرة فتشمل بجانب الأسلوب البيانى للقرآن جوانب أخرى بل نجد من الأقوال فى ذلك ما يتناسى الاسلوب العربى كلية ، ويكفى أن نضع بين يدى القارىء بعض ما جاء فى كتاب الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ليتضح له الى أى حد تعددت الأقوال وتضاربت .

يقول السيوطى فى ص ١١٨ من الجزء الثانى :

« (فصل) لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا — صلى الله عليه وسلم — وجب الاهتمام بمعرفة وجه الاعجاز ، وقد خاض الناس فى ذلك كثيرا فبين محسن ومسىء .

فزعم قوم أن التحدى وقع بالكلام القديم

---

(١) كل ما نقل هنا عن الباقلانى اخذ من المطبوع على هامش الاتقان للسيوطى طبعة دار الفكر بيروت .

الذى هو صفة الذات ، وأن العــرب كافت فى ذلك مالا يطاق ، به وقع عجزها ، **وهو مردود لأن مالا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدى بـــه » (١) •**

ويقــول فى ص ١٢١ ـــ ١٢٢ من الجـزء الثانى كذلك :

« وقال ابن سراقة : اختلف أهل العلم فى وجه اعجاز القرآن ، فذكروا وجوها كلها حكمة وصواب . وما بلغوا فى وجوه اعجازه واحد من عشر معاشره :

فقال قوم : هو الايجاز والبلاغة •

وقال آخرون : هو البيان والفصاحة •

وقال آخرون : هو كونه خارجا عن جنس كـلام العرب مـن النظم والنثـر والخطب والشعر مع كون حروفه فى كلامهم ومعانيه فى خطابهم •

وقال آخرون : هو كون قـارئه لا يكـل وسامعه لا يمـل وان تكررت عليه تلاوته •

وقال آخرون : هو ما فيه من عـلم الغيب والحكم على الأمور بالقطع •

وقال آخرون : هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرهـا وقــال الزركشى فى البرهان :

أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكـل واحـد عـلى انفراد ••• » •

هذا التعميم فى أن الاعجـاز وقـع بجميـع ما سبق من الأقوال ، ما يتصل منها باللسـان العربى ومالا صلة له به ، والذى عبر عنـه الزركشى بأنه رأى أهل التحقيـق • نجـده غير مقبول عند بعض من كتبوا حول اعجـاز القرآن •

ويقولون : ان الاعجاز بالبيان العربى قائم وخاص بالعرب منذ نزل القرآن ، والاعجاز بالوجوه الأخرى قائم بالنسبة لهم ولغـيرهم وان كان جاء متأخرا فى بعض الوجوه •

من أصحاب هذا الرأى أسـتاذنا الشـيخ محمد أبو زهرة ـــ يرحمه الله ـــ اذ نجـده يقول فى كتابه « المعجزة الكبرى ـــ القـرآن الكريم » :

« ••• نرى أن الله تعالى تحدى العـرب أن يأتوا بمثله ولو مفترى . فكان التحـدى للعرب ابتداء بالمنهج البيانى القرآنى وهـو الذى استرعى ألبابهم ، ولعله لم تكن بلغت مداركهم العقلية والقانونية أن يعرفوا مـدى مافى أحكام القرآن من تنظيم سليم للمجتمع فيه المصلحة الانسانية العالية التى تعلو عـلى تفكير البشر وان كان فيهم ذوق بيـــانى يذوقون به الألفاظ فى الفخمـة القـوية فى رتبتهـا •• » ص ٩٥ •

ويقول :

« وان القرآن فيه الشريعة الباقية الخالدة، وهو يخاطب الأجيال كلهـا العـرب والعجم والبيض والسود والأحمر والأصفر ، فليس ما فيه من اعجاز خاصـا بالعـرب ، وانمـا اعجازه يعم الجنس البشرى كلـه . لأنـه يخاطب الجميع ويطالب النـاس قاطبـة ، بأحكامه ، وفيه البينات المثبتة لكـل جنس »

الحـديث موصـول ••

د• أحمد ابراهيم مهنا

(١) وبهذا يرد على من قال : ان التحـدى بالأسلوب والبلاغة العربية بالنسبة لمن ليس لسانه عربيا •

تناسق سور القرآن الكريم

وترتيبها

ان الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه ، لا انقطاع لراتبه ، ولا اقلاع لسحائبه . والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، صاحب المقام المحمود ، واللواء المرفوع ، والحوض المورود ، صاحب الشفاعة العظمى ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وبعد :

فقد أراد الله العزة لدينه وملة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ، فقيض له طرازا من العلماء والأئمة الذين أعزوا الدين ، وجددوا أمره ، ونافحوا عنه ، وذبوا عن محارم الله .

ومن هؤلاء الصفوة التى رزق الله بها الانسانية ، فشدت أطناب الدين الحنيف الامام الجليل وشيخ الاسلام .

العلامة عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

ولا يطاوعنى قلمى أن أكتب عن هذا الكتاب من غير أن أترجم للمؤلف الكريم — رحمه الله — .

فلقد نشأ فى القاهرة يتيما ، وقد حفظ القرآن وله تسع سنين .

ومات أبوه وعمره خمس سنوات ، وكان أديبا حافظا مؤرخا ،تربو مؤلفاته على ستمائة مجلد ، وقد انفرد بمصنفات قيمة غير مسبوق فيها .

فلما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، وخلا بنفسه فى (روضة المقياس) بالقاهرة على النيل منزويا عن أصحابه جميعا ، ومن ثم هيأ لنفسه مناخا ملائما ، وفرصة مواتية لاخراج هذا الرصيد الضخم من المصنفات القيمة التى تذخر بها المكتبة الاسلامية ، ولا تزال تجنى غراسها حتى الآن .

راجع شذرات الذهب (٥١/٨) وآداب اللغة (٣ / ٢٢٨) ومعجم المطبوعات (١٠٧٣) وابن اياس (٤ / ٨٣) ومخطوطات الظاهرية (٣٥٥) والخزانة التيمورية (٣ /١٥١) .

وقد هجر التدريس والفتيا بعد أن استقر رأيه على أن العمل بالتدريس والفتيا وغيرهما من الأسباب التى تثنى العمل فى مجال البحث

للدكتور السيد الجميلى

والتأليف فلابد للبحث والتأليف من تفرغ وهذا ما كان يراه الأستاذ عباس العقاد ، وفى هذا المهجر والعزلة عن المجتمع ألف كتابه القيم « النفيس فى الاعتذار عن الفتيا والتدريس » .

وقد التقى بالامام الصوفى الكبير الشعرانى قبيل وفاته .

***

وفى المكتبة السيوطية كتاب قيم توجد منه فى مصر نسخة واحدة ضمن مجموعة رقم (٤١٩) تفسير — تيمور — بدار الكتب المصرية .

وهذا الكتاب مكتوب بخط بين النسخ والفارسى ، ولم يرد ذكر تاريخ النسخ مع بعض الأخطاء اليسيرة ، ويقع فى اثنتين وثلاثين ورقة ، ويختلف فيه عدد سطور الصفحة ما بين ثمانية وعشرين سطرا ، واثنين وثلاثين سطرا ، وأغلب الظن أن هذه النسخة مكتوبة فى عصر المؤلف والكتاب اسمه : —

« تناسق الدرر فى تناسب السور »

والمعروف أن ترتيب سور القرآن فى المصحف يختلف تماما عن ترتيب النزول ولعل ذلك مرجعه الى اختلاف شأن حادثة التنزيل عن الحكمة من الترتيب للكتاب العزيز كله مع حفاظ الترتيب على حكمة التنزيل اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونحن نعرف أن الفترة المكية كانت أحوج الى تمكين العقيدة فى نفوس الناس وهم قريبو عهد بالوثنية الأولى ، والجاهلية الجهلاء ، ولم يشرع الله سبحانه وتعالى فى مكة الا الصلاة .

وقد كانت السورة تنزل فى مكة أو المدينة الا آيات معلومات منها . مثلا سورة « الحج » مدنية . الا أربع آيات منها نزلت بين مكة والمدينة هى الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ .

وسورة « السجدة » أيضا نزلت بمكة الا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة وهى (**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ..**) الآيات الثلاث .

أيضا سورة « الزمر » بمكة الا الآيات الثلاث اللائى نزلن بالمدينة فى وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب وهذه الآيات هى (**قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ...**) الآيات الثلاث

وقد حدث هذا التفريق بين السور فى النزول باستثناء آية وآيات لتنزل بعد نزول أجزاء تلك السور بسنوات بعيدة كما فى سورة (البقرة) و (الأنعام) و (الأعراف) و (الأنفال) و (يونس) و (هود) و (يوسف) وأربعين سورة أخرى .

ومع ذلك فقد وضعت الآيات المتأخرة فى نزولها من تلك السور فى أماكنها متوافقة منسجمة مع سابقتها والتالية لها من غير تنافر أو قلق ، متصلة غير منفصلة .

◄

ونحن بإزاء ترتيبين لسور القرآن :
ترتيب النزول ، وترتيب المصحف .

وهذا ينجلى من سورة « المدثر » حيث ورد فى مفتتح الترتيب النزولى الحديث عن القرآن الكريم والذود عن حوزته ، والتنديد بمن أعرض عنه فى قوله تعالى —

« **ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ** » المدثر (٧٤/٢٣ — ٢٥) .

ثم قوله عز من قائل :

« **كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ . وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** » .

« المدثر » (٧٤/٥٤ — ٥٦) .

راجع الفخر الرازى فى التفسير الكبير (٣٠ / ٢١٣) .

ثم يصور القرآن الكريم صُدُوفَ الكفار وإرجافهم وعنادهم وعزوفهم عن دعوة الحق بقوله الكريم : —

« **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ . فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ** » المدثر (٧٤ / ٤٩ — ٥١) .

راجع تفسير البحر المحيط لأبى حيان (٨ / ٣٨٠) فى تفسير هذه الآيات .

ثم يأتى فى سورة « القلم » ثانية سور القرآن الحكيم حسب الترتيب النزولى فيمضى الحديث عن الوليد بن المغيرة فى قوله تعالى « **عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ** » القلم (٦٨ / ١٣) وما بعدها .

يقول الشيخ الصاوى — رحمه الله — فى حاشيته (٤ / ٢٣٣) : —

« لم يكن الوليد يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية الشريفة بقوله تعالى فى وصفه « زنيم » ، حيث اعترفت له أمه أن أباه كان "عنينا" فمكنت راعيا منها فوقع عليها ، فلما تغشاها حملت به » أهـ . بتصرف

وفى نهاية السورة يقول الحق — تبارك وتعالى — : « **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ . وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** » القلم (٦٨/٥١ ، ٥٢) .

وهنا تبرز العظمة الالهية فى التنسيق والابداع القرآنى الذى يثبت للأفهام أن هذا القرآن معجزة الحق الكبرى وحجة السماء على أهل الأرض أجمعين ، وكلمته هى العليا وكلمة الباطل مدحوضة ذميمة مردودة .

وتأخذ العقل الحيرة عندما يجد السورة الحادية والخمسين فى ترتيب النزول قد تصدرت المصحف ، وهى سورة « البقرة » ..

وحيثما دققت النظر وأعملت الفكر والفهم والخاطر ، استبنت معنى جديدا من معانى الترتيب ، فما يصح فى منطق القول أن نحدد مرادات الله سبحانه وتعالى ، وهو المطلق على الاطلاق .

يقول الامام السيوطى – رحمه الله – ونفعنا بعلمه وبركاته آمين : – « قال تعالى فى سورة البقرة ٢١ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ » فالعبادة هنا معناها التوحيد ، وهذا ما يلزم المسلم أن يعرفه حتما بادىء ذى بدء ، ثم يؤكد هذا المعنى بالسورة نفسها فى قوله تعالى :

« وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ » .

وهو (علم الكمال) بالحق سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته .

وهذه الآية – بمعانيها الواضحة فى صدر المصحف مع أنها مدنية وليست مكية – دليل جلى وبرهان واضح على أن هذا الترتيب توقيفى من الوحى .

ثم يدل على ذلك قوله تعالى فى سورة « هود » « **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ** » الآية ١٣ .

وسورة « هود » مكية وترتيب هود فى المصحف يجعلها الحادية عشرة ومن ثم فان آية هود مستقيمة المعنى على ترتيب النزول ،

ومن دلائل الترتيب وحكمته واتقانه أيضا قوله تعالى : « **إِلَّا إِبْلِيس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ** » (البقرة ٣٤) والعادة التى جرى عليها القرآن أن يجمل مسائل العقيدة ثم يفصلها فيما تلاها من آيات ، وهذا هو الثابت فى ترتيب المصحف .

واباء ابليس كان بيانا للعقيدة باظهار موانع الايمان بها فالضد يظهر شأنه الضد ، ثم فصلت بعد ذلك .

ثم أتى فى سورة « الحجر » فبين موضع الإباء بقوله تعالى : « **إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ** » (الحجر ٣١) .

ثم يقول فى سورة « **الاسراء** » : « **قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** » وهو بيان لعلة الاباء .

ثم يقول فى سورة « ص » « **إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** » (ص ٧٤) وفيها علة أخرى وهى من علل الاباء ، وهى الكبر مع تفصيل نتائجها .

***

قال تعالى فى سورة البقرة : (**رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا**) البقرة .

ثم يقول فى سورة ابراهيم : (**رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا**) ابراهيم ٣٥ .

فكلمة (بلدا) جاءت نكرة فى البقرة ومعرفة فى ابراهيم . لأن دعاءه على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى البقرة كان قبل بناء الكعبة . وذلك مشار اليه فى قوله تعالى (بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ).

فلما بنيت الكعبة واستقر الناس حولها جاء الدعاء للمعرفة . وهى الحاضرة المعروفة المحددة المعالم .

ثم قال تعالى فى سورة « البقرة » (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) الآية — ١٩٣ .

ثم يقول سبحانه وتعالى فى الأنفال : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) الآية ٣٩ .

وهذا النسق انما جاء لترتيب القتال داخل الجزيرة العربية فى الأولى وخارجها فى الثانية . فورد فى الأنفال (كله) .

***

ويأتى القرآن الكريم فى مخاطبة منكرى القرآن الكريم فى سورة « البقرة » فيقول :

« وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم ... » الآية ٢٣ .

ثم يأتى فى سورة « يونس » فيقول — عز من قائل :

« وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم » آية ٣٨ .

ثم يتدرج التحدى شيئا فشيئا مع الترتيب المصحفى مسايرا للملابسات حتى سورة « الاسراء » حيث وقع التحدى صراحة على جميع القرآن . فوجه الكلام الى الثقلين ، الانس والجن جميعا : —

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » الآية ٨٨ .

***

هذه الأمثلة المضروبة التى أوردناها ونقلناها بتصرف فى بعض الأحيان من هذا الكتاب القيم (تناسق الدرر فى تناسب السور) للامام العلامة السيوطى — رحمه الله — ، ونور قبره ، انما تبين لنا أن فى ترتيب المصحف واختلافه عن ترتيب النزول حكمة بالغة العظمة ، لا يفطن اليها الا اللبيب الحصيف ، وهذه ناحية من نواحى اعجاز القرآن الكريم التى تسيطر على ملكات الجسم . وتحتوى جوانب النفس فتملؤها بالعظمة والاجلال لقدرة الخالق جل شأنه ، وهذا مما يؤكد لنا أن القرآن الكريم ليس من قول بشر كما توهم الكفار وأرجف المشركون .

وفى القرآن اعجاز لا ينضب معينه ، لا يرقى ولا يسمو ولا يتسور الى استيعابه والاستمتاع بروعته الا من يتدبر

هذه الآيات ويقارن بين هـذه وتلك ، وهـذه الفضيلة محروم منها كثير من الناس •

ولذلك أمرنا بتدبر آيات الله واستقصاء معانيها والبحث فيها قال تعالى : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) النساء ٤/٨٢ •

نسأل الله أن يزيدنا فقها وعلما وتدبرا فى آياته •

وأن ينفعنا بما علمنا •

وأن يرحم مؤلف هذا الكتاب ومشايخنا وأن يثبتنا على جادة السواء والاستقامة •

يتبع

السيد الجميلى

إلى المسلمين فى مستهل شهر رمضان - بقية

ان كل أب وكل أم وكل رئيس فى عمل مسئول عما ولاه الله عليه فاحملوا المسئولية وأحسنوا القيام بها وخذوا من الصوم حكمته ، ولتكن مصاحبة لكم فى سركم وعلنكم ، وخذوا على أيدى المجاهرين بالفطر فى نهار رمضان حتى لا يزيد المجتمع فسادا واستهتارا ، وعلى أصحاب الأعذار أن يستتروا حتى لا يساء الظن بهم واعلموا أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع •

اصطلحوا مع الله يصلح لكم نفوسكم ويغفر لكم ذنوبكم ويرفع عنكم اصركم والتزموا الطاعة فى شهر رمضان تتغير به عاداتكم وتقلعوا عن أهوائكم ويكن الوسيلة الى تغيير الحال وصدق الله :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ »

أيها المسلمون : أهنئكم ببدء الصوم فى شهر رمضان حكاما ومحكومين وأدعو الله أن يصلح به نفوسنا ويجمع فيه كلمتنا ، ويرفع الخلاف من بيننا وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون •

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

حول مقال نهاية العالم

المنشور بمجلة روز اليوسف

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا. إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا »

سـورة النازعات .

نشرت مجلة روز اليوسف بحثا للدكتور رشاد خليفة امام مسجد (توسان) بالولايات المتحدة عن الاعجاز الذى تصوره فى الحروف التى افتتح بها بعض سور القرآن ، وتغالى فى ذلك ، حتى حدد بها عمر الاسلام ، ووقت قيام الساعة ، فاقتضى الأمر بيان خروجه عن دائرة الحق وتجاوزه وجه الصواب ، وجرأته على الله تعالى ، ومعارضته لصريح القرآن ، واليكم البيان .

جاء بصدر المقال قوله تعالى : « **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** » .

وعلق عليه بقوله : تعلمنا هذه الآية أن الله سبحانه قد أخفى عن كل نفس العلم بما تكسب غدا ، وأخفى عن كل نفس العلم بأى أرض تموت ، ولكنه سبحانه لم ينف امكان معرفة موعد الساعة . ولم ينف امكان معرفة مكان وموعد نزول الغيث ، ولم ينف امكان معرفة مافى الارحام .

وعقب ذلك بقوله : ونحن الآن نتنبأ بموعد ومكان نزول الغيث ، كما أننا نعرف بالضبط مافى الارحام من ذكر أو أنثى . بل ونعرف ان كان الجنين صحيحا أو مريضا وبأى مرض .. كذلك قال .

والواقع أن هذه الأمور الخمسة مما استأثر الله بعلمه أزلا . وقبل أن تكون ، ولا سبيل الى علم بعضها الا بتعليم الله وابراز أماراتها عند ظهورها أو قبيله وحينئذ يخرج عن نطاق الغيب ، ويبقى قصر معرفة الغيب على الله تعالى معرفة ذاتية بما فيه هذه الخمسة ، روى الامام البخارى بسنده فى كتاب الاستسقاء من صحيحه . عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مفاتيح الغيب خمس ، ثم قرأ »

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

« إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ .. » الى آخر الآية .

أما قول الدكتور رشاد : ان اللــه لم ينف امكان معرفة موعد الساعة ، فهو قول واضح الخطأ من عدة وجوه .

أولا : أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر ـ كما هو معروف عند أهل العلم ـ وقد تقدم ـ فى الآية لفظ (عنده) وهو خبر على لفظ (علم الساعة) وهو مبتدأ فالمعنى : ما علم الساعة الا عند الله تعالى .

ثانيا : أن الله تعالى قال فى سورة الأعراف « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (١٨٧) .

أى يسألونك يامحمد عن الساعة متى تجىء قل للسائلين : ما علمها الا عند الله تعالى ، لا يظهرها لوقتها ولا يأتى بها الا الله ، لا تأتيكم الساعة الا بغتة دون سابق علم ـ يسألونك عنها كأنك عليم بها ، وهم مخطئون فى تقدير أنك محيط بوقتها ، قل لهم مرة أخرى ما علمها الا عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، أنها مما استأثر الله بعلمه ، فلذلك سألوك عنها .

ويقول سبحانه فى سورة الأحزاب « يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا » أى قل للسائلين : ما علم الساعة الا عند الله ، وما يدريك أيها الرسول لعل الساعة تكون قريبا . فأنت مع قربها لا تعلمها . لأنك لا سبيل لك الى درايتها .

والقرب الذى تشير اليه الآية . انما هو بالنسبة الى عمر البشر فى الدنيا ، وهو ملايين من السنين لا يعلمها سوى الله تعالى . واذا كان الأمر كذلك ، فان من تجاوز الحق تحديد هذا القرب بثلثمائة وتسع سنين ، كما جنح اليه الدكتور رشاد ، وسنبين فيما يلى فساد استنتاجه ان شاء الله تعالى :

ويقول سبحانه فى سورة فصلت « إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ .. »

من الآية ٤٧ • أى الى الله وحده يرجع علم الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها وظروفها ، وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه •

ثالثا : أن السنة بينت أن هذه الخمسة هى مفاتيح الغيب ولا يعلمها الا هو سبحانه ، فقد جاء فى شأن الساعة أن جبريل سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قائلا :

« يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أماراتها : اذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها ، واذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس ، فذاك من أشراطها . فى خمس لا يعلمهن الا الله « **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ** •• » الآية . رواه البخارى بسنده فى تفسير سورة لقمان كما رواه أصحاب السنن •

فها هو ذا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول بصراحة : انه لا يعلم الساعة لا هو ولا من سأله عنها ، وهو جبريل عليه السلام ، وانها فى جملة خمس لا يعلمها الا الله وتلا الآية •

وقال ابن مسعود : كل شىء أوتى نبيكم — صلى الله عليه وسلم — غير خمس « **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** •• » الآية •

وقال ابن عباس : هذه لا يعلمها الا الله تعالى ، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مرسل ، فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه •

ثم انا نسأل الدكتور رشاد : هل من الحكمة أن يعلم الله أحدا من الناس متى يخرب العالم ويجىء وقت الحساب ، وهل سياسة الكون العليا يليق بالبشر أن يعرفوها ، هذا خطأ فى التفكير ، ونزعة غير مستقيمة فى معرفة أهم سر من أسرار الكون لا يصح أن يعرفه سوى مبدئه جل وعلا •

« متى يكون نزول الغيث من الغيبيات »

يقول الدكتور رشاد انه أمكن معرفة مكان وموعد نزول الغيث ، ونحن نقول : ان الغيث يكون غيبا قبل أن يوجد أو تظهر أماراته وأما ما يحدث من توقعات خبراء الأرصاد من نزول المطر . فذلك لا يكون منهم الا بعد رصد الرياح وتحرك السحب نحو اتجاهات شاءها الله تعالى لها . أما قبل ذلك فانهم لا يعرفون متى ينزل ؟ فهم يعتمدون على أمارات تفيد الظن وقد تتخلف آثارها . ولهذا تراهم فى أحيان كثيرة يخطئون . اذا أخلف الله الاتجاهات فجأة فيوجد صحو مكان الغيم المتوقع . أو غيم بدون المطر المنتظر ، لكن الله تعالى يعلم الغيب أزلا علما ذاتيا ويحدثه لعباده بمقتضى تدبيره فيعرفونه بمعاينته . أو يتوقعونه قبل حدوثه بأماراته ، وليس لهم به علم ذاتى . فهم متعلمون من الأمارات وليسوا بعالمين . ومتعرفون وليسوا بعارفين •

« معرفة الجنين »

وكذلك معرفة الجنين ونوعه حين يكون فى بطن أمه وقد تخلق . باستعمال الأشعة أو بالأمارات . فليست من باب علم الغيب ذاتيا .

ولذلك لا يستطيعون الاخبار به قبل حدوثه ولا قبل تخلقه فى بطن أمه ، أما الله تعالى فيعلمه أزلا ماذا سيكون ، لانه مدبره وخالقه ، وهذا العلم الذاتى هو الذى اختص الله به ، أما التعرف بالأمارات أو بالأشعة لجنين تخلق فهو تعرف لأمر موجود . بأسباب من صنع الله وتمكينه ، وبهذا علم وجه استئثار الله تعالى بعلم نزول الغيث وعلم مافى الأرحام .

« جرأة الدكتور رشاد على الباطل »

وانك لتجد الدكتور رشاد متناقضا مع نفسه ومع الحق وجريئا على الباطل اذ يقول : (ويدل التعبير القرآنى على أن الله سبحانه قد جعل الكشف عن موعد نهاية العالم صعبا بل مستحيلا على أجيال قبل الكمبيوتر ، الى أن يحين الموعد المحدد الذى يشاء الله سبحانه أن يكشف فيه عن موعد نهاية العالم ، وقد تضافرت مجموعة كبيرة من البراهين للكشف عن نهاية العالم ، بحيث لا يبقى أى شك أو ريبة فى قلب أى أنسان) .

هذا كلامه . وهو يعترف فيه بأن الله قد جعل الكشف عن موعد نهاية العالم مستحيلا ، وينقض اعترافه هذا بالكذب على الله وعلى القرآن اذ يقول : ان هذه الاستحالة موقوتة بما قبل أجيال الكمبيوتر ، فأين نجد هذا التوقيت فى كتاب الله أو فى سنة رسوله ، ان الله يقول « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** » فالله تعالى يخبرنا أن نبيه محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يعلمها بقوله : « **فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا** » وأن منتهى الساعة علما وايجادا الى الله تعالى بقوله : « **إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا** » ويخبرنا بأن وظيفة رسوله أن ينذر بقدومها دون أن يعلم بوقتها بقوله : « **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** » فكيف زعم أن الله وقت استحالة العلم بها بوقت ما قبل ظهور الكمبيوتر ــ وأنى له ذلك ــ أما البراهين التى ادعاها فهى فى مقابلة حقائق القرآن أوهام لا يعول عليها كما سنبينه .

يقول الدكتور رشاد : ان القرآن تولى الرد على الطاعنين فيه بأنه من قول البشر برقم ١٩ . ، وذلك فى قوله تعالى : « **ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** » فبمجرد اكتشاف هذا الرقم اتضح أنه سر القرآن ، فهو مساو لكلمة (واحد) من الله واحد الى آخر ما قال . وهذا الذى قاله من لغو القول ، فأن عدد ١٩ فى الآية لا علاقة له باثبات كون القرآن من عند الله ، بل جاء ليبين حقيقة عدد الملائكة الذين يقومون على تدبير النار وتعذيب أهلها ، أما كون القرآن من عند الله فقد تولى الله اثباته بأفصح بيان كقوله تعالى : « **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** » وكقوله :

◄

« فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ » وقوله : « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » وقد ثبت عجز البشر عن الاتيان بما تحداهم به ، ولو كانوا صادقين لأتوا به ليبطلوا حجته عبر هذه القرون •

وليس اثبات حجيته محتاجا الى هذا التكلف الفاسد ، أما أن يجعل بيانا للسر فى قوله تعالى : « قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » فذلك محض افتراء لا أساس له من الصحة . فمعنى الآية : قل أيها الرسول لمن يقولون عن القرآن : « هذا افك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون — قل لهم — أنزله الله الذى يعلم السر فى السموات والأرض . وليس فى قدرة البشر أن يأتوا بمثله » •

أما جعل السر هو رقم ١٩ فذلك جرأة على الله تعالى ، واستساغة للباطل . فان سر السموات والأرض . كل ما ستر الله علمه عن خلقه فيهما ، بل ان الغيب والسر فى كل جزء منهما يحير الأفكار وتدهش له العقول . فكيف يحدده الدكتور رشاد فى رقم ١٩ الذى بنى عليه حساباته الخاطئة . فالحق أنه لا دخل له فى بيان الغيب فى السموات والأرض •

« الدكتور رشاد وقيام الساعة »

يقول الدكتور رشاد : (ففى تفسير البيضاوى يقول فى تفسير الحروف (الم) أن هذه الحروف نزلت فى أول سورة البقرة بالمدينة المنورة ، فجاء رجال من يهود المدينة الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وقالوا له : كيف نتوقع منا أن نؤمن لك ودينك سيعيش واحدا وسبعين سنة ، وقال الدكتور رشاد عقب ذلك : ولابد لنا أن نتوقف هنا لشرح مصدر هذا العدد ٧١ فمن المعروف أن القيمة الأبجدية للحرف (أ) هى ١ ، وللحرف (ل) هى ٣٠ وقيمة الحرف (م) هى ٤٠ ، ومجموع ذلك ٧١ ، وذكر الدكتور رشاد أن النبى لم يعترض على طريقتهم هذه ، بل ذكر حروفا أخرى ابتدأت بها السور غير (ألم) فدل ذلك على أن حسابهم صحيح ، وأن ذلك دعاه الى حصر تلك الحروف التى بدئت بها السور . فوجد أن حسابها يؤدى الى أن يكون عمر الرسالة المحمدية بحساب الجمل ١٧٠٩ ، وبناء على ذلك تكون نهاية العالم فى أوائل سنة ١٧١٠ ه الموافق سنة ٢٢٨٠ ميلادية . ثم لخص كلامه بهذا الصدد فقال :

أولا : أن الرسول هو أول من أشار الى أن حروف فواتح السور تحدد عمر الرسالة المحمدية •

ثانيا : ان الآية ١٥ فى سورة طه « إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ » تدل على أن موعد نهاية العالم لن يبقى خافيا ... الى آخر ما قال •

« ردنا عليه »

وردا لذلك نقول :

أولا : انما ذكره من حضور اليهود للرسول وقولهم له : كيف نؤمن بك وعمر رسالتك ٧١ سنة لم يثبت من طريق صحيح ، فلا يعول على الاستدلال به •

ثانيا : لو حضر اليهود وقالوا له ذلك لكذبهم ، لأنها لو كان من شأنها أن تعلم لما قال له ربه » **« إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا »** •

ثالثا : كيف يصح فى نظرك يادكتور رشاد أن يعرف اليهود طريقة الوصول الى معرفة موعد قيام الساعة ، ويحرم الله رسوله من معرفتها أو معرفة طريقة الوصول اليها ، ويقول له : « **فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا** » الى غير ذلك من الآيات •

رابعا : على فرض حدوث ذلك من اليهود ، فان الرسول — كما ورد فى الخبر المذكور — تبسم مستخفا باليهود ومستنكرا حين قالوا له ذلك ، فقالوا : فهل غيره ، فقال : (المص) و (الر) و (المر) فقالوا : خلطت علينا ، فلا ندرى بأيها نأخذ وتركوه وتركهم ، فالرسول دفع اليهم بهذه الثلاثة وعنده غيرها مما نزل فى العهد المكى ، ليلقمهم حجرا ويسكتهم فحسب ، ولو كان يوافق على نظريتهم لذكر جميع ما نزل بمكة وهو أكثرها ، مثل (كهيعص) و (طه) و (يس) و (الحواميم) و (ص) و (ق) و (ن) وحيث أنه لم يفعل فان ذلك يدل على أنه لم يوافق على رأيهم ، فذكر نماذج أخرى لتسفيه رأيهم •

خامسا : يستحيل أن يوافق الرسول على رأيهم ، ويدع قول الله له : « **فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** » وقوله : « **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ** »

سادسا : ان توقيتك لعمر الرسالة المحمدية سنة ١٧٠٩ هـ — كما زعمت يادكتور رشاد — اعتمدت فيه على أن بدء الرسالة من الهجرة ، وتركت عشر سنين كانت فى العهد المكى لها وزنها وأهميتها فى الاسلام ، وذلك ليتسنى لك قسمة هذا التوقيت على عدد ١٩ المزعوم ، باضافة سنة الى هذا الرقم ، وهى التى زعمت أن الساعة تقوم فيها ليصبح ١٧١٠ وذلك أعظم مكذب لزعمك •

سابعا : كيف استسغت يادكتور رشاد أن تجعل نفسك مع اليهود أصحاب حظوة عند الله تعالى ، جعلته يؤثركم على نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — بأخباركم بغيب الساعة وعمر الاسلام دونه ، مع أنه خاتم النبيين وهو بهذه المزية أجدر •

ثامنا : ما هى الحكمة فى أن يلقن الله سره الأعظم لمن يذيعه على الناس ولا يكتمه ، بل كيف يمنحه الله ذلك ، وهو يقول لرسوله « **إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا** » فهل يكذب الله نفسه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

وبعد فأنت يادكتور رشاد فيما أذعته على الناس بعيد عن الحكمة وعن الحق ، فدع الحديث عن فواتح السور بمثل ما تقول ، وارجع فيها الى ما قاله السلف تكن من الراشدين ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

مصطفى محمد الحديدى الطير

مع إبراهيم الخليل

في محكم التنزيل

نحمدك اللهم على جلائل نعمائك التى غمرت حياة البشرية ، وأصلى وأسلم على خاتم الرسل الذى أنزل عليه ربه القرآن ، وجعله المعجزة الخالدة على حين انتهت معجزات الرسل جميعا بانتهاء حياتهم فى هذا الوجود ، وبعد :

فانى — حين أقدم للمكتبتين الاسلامية والعربية أبا الأنبياء خليل الرحمن كما جاء فى رحاب القرآن أسأل الله أن يجعله لى ذخرا وهو حسبى .

وقد جاء ذكر ابراهيم عليه السلام فى كتاب الله الكريم تسعا وستين مرة كان منها ثنتان وثلاثون فى آيات مكية وسبع وثلاثون فى آيات مدنية .

وكان ذكره منثورا فى السور القرآنية على النحو التالى :

فكان خمس عشرة مرة فى سورة البقرة ، وسبع مرات فى سورة آل عمران وأربع مرات فى سورة النساء ، وأربع مرات فى سورة الأنعام ، وثلاث مرات فى التوبة ، وأربع مرات فى هود ومرتين فى يوسف ، ومرة فى ابراهيم ومرة فى الحجر ، ومرتين فى النحل ، وثلاث مرات فى مريم ، وأربع مرات فى الانبياء وثلاث مرات فى الحج ، ومرة فى الشعراء ، ومرتين فى العنكبوت ، ومرة فى الأحزاب وثلاث مرات فى الصافات ، ومرة فى ص ، ومرة فى الشورى ، ومرة فى الزخرف ومرة فى الذاريات ، ومرة فى النجم ، ومرة فى الحديد ، ومرتين فى الممتحنة ، ومرة فى الأعلى .

وقد حملت سورة من القرآن اسم ابراهيم ، وليس ابراهيم عليه السلام وحده الذى سميت باسمه سورة قرآنية ، بل : يونس وهود ويوسف ونوح سميت سور بأسمائهم ، وسميت سورة باسم لقمان الحكيم .

للدكتور محمد محمد خليفة

أما نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد سميت باسمه سورة محمد ، وسميت سورة بوصفين لحالتين من حالاته فى مشرق عهد النبوة وهما : المزمل ، والمدثر وسورة واحدة حملت اسم امرأة طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين وهى مريم .

وقد آثرت أن أقدم الآيات التى ورد فيها ذكر ابراهيم عليه السلام فى القرآن حسب ترتيب المصحف لا على حسب التقدم التاريخى ، لأن ذلك التقدم غير مقطوع به بل وقع فيه خلاف يدعونا الى البعد عنه وذلك نحو قوله تعالى :

« **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** » .

حيث قيل : ان قول الله له أسلم .

انما كان قبل البلوغ وقبل النبوة ، وذلك عندما نظر فى الكواكب والقمر والشمس مما حكاه القرآن فى سورة الأنعام من قوله تعالى : « **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا** » الى أن انتهى الى قوله تعالى : « **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** » .

وقيل : انما كان قول الله له : « **أسلم** » انما كان بعد النبوة .

وفرارا من هذه الخلافات آثرت أن أقدم الآيات التى ذكر فيها ابراهيم ــ عليه السلام ــ حسب ورودها فى المصحف ، وان تكررت الآيات فى أكثر من سورة مع اختلاف قليل فى الصيغة . وذلك فى نحو قوله تعالى :

« **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** » من سورة البقرة .

ونحو قوله : « **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** » من سوزة آل عمران .

ففى الآية الأولى ، جاءت الصيغة : (قولوا) وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم ... وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون .

أما الثانية فكانت الصيغة (قل) ، وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم ... ولم يكرر

ما أوتى النبيون قبل قوله : والنبيون كما فى الآية الأولى واتفاق الآيتين فيما عدا ذلك كان يدعو الى تناولهما معا فى موضع واحد ولكنى كما قلت آثرت أن أقدم كل آية حسب ترتيب ورودها فى المصحف والهدى هدى الله وما توفيقى الا بالله عليه توكلت .

الاسلام دين ابراهيم :

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ .

والاسلام : ملة ابراهيم – عليه السلام –

« **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** » .

ودعوى الكتابيين أنهم على ملة ابراهيم دعوى ينقضها عدم اقرارهم بالاسلام الذى هو ملة ابراهيم عليه السلام .

وذلك الاسلام هو الذى جاء به رسول الاسلام محمد – عليه الصلاة والسلام – ، وبه حقق الله رجاء ابراهيم عليه السلام ، فبعث من ولده فى البلد الحرام رسولا يتلو عليهم آيات الله .

ومن عجب أن يتفق المشركون والكتابيون على شرف ابراهيم – عليه السلام – وفضله : فالمشركون يتشرفون بالانتماء اليه بأنهم من أولاده وساكنى حرمه وخادمى بيته ، والكتابيون من اليهود والنصارى يقرون بفضله ، ويتشرفون بأنهم من نسله وهم جميعا حين يتفقون على شرف ابراهيم – عليه السلام – يختلفون حول الايمان بملته فالمشركون جذبتهم الوثنية الى تمريغ جباههم تحت أقدام أرباب من صنع أيديهم . والكتابيون يدعون أنهم على ملة ابراهيم على حين طعن أنصار كل ملة ملة الآخر « **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ** » .

ابتلاء ابراهيم وامامته .

قال تعالى « **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** » البقرة ١٢٤ مدنية .

وموضع (اذ) فى قوله تعالى : واذ ابتلى اما أن يكون :

١ – منصوبا على المفعولية بفعل مضمر مقدم على (اذ) خوطب به النبى – صلى الله عليه وسلم – تقديره واذكر لبنى اسرائيل وللمشركين وقت ابتلاء الله لابراهيم ليتذكروا فينتزعوا أنفسهم من أغلال الأباطيل والضلالات التى طال عليهم الاستسلام لها .

٢ – أو منصوبا على الظرفية بفعل مؤخر ، وتقدير الكلام : واذ ابتلاه كان كذا ، أو واذا ابتلاه قال : « **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** » .

٣ – ويصح أن ينصب بفعل مضمر معطوف على اذكروا فى الآيات السابقة : يابنى

اسرائيل اذكروا ثم عطف عليه الفعل المقدر : واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه ليتدبروا قصة ابراهيم الذى يدعون أنهم على ملته وأنهم من أبنائه الذين يدعون الاقتداء به وانتهاج سيرته •

والابتلاء : الاختبار بمعنى أن الله اختبر ابراهيم بأوامر ونواه ، وامتحنه ليجازيه على ما يكون منه •

وقد كان ابتلاء الله لابراهيم — عليه السلام — ترشيحا لما سينعم به عليه ويحمله اياه من أعباء الامامة والرسالة بعد أن كلفه بما كلفه به من الأوامر والنواهى ، ومعنى ذلك أن الابتلاء وقع قبل النبوة ، وقيل وقع بعدها والظاهر أنه قبلها ومطلق الوحى لا يستلزم البعثة الى الخلق •

ويحتمل أن الله أوحى اليه على لسان جبريل بتلك التكاليف الشاقة ، فلما أتم ما كلف به جعله الله نبيا مبعوثا الى الخلق ، وقد أوحى الله الى يوسف حين ذهب به اخوته وأجمعوا أمرهم على أن يجعلوه فى غيابة الجب • فأوحى الله اليه وهو صبى : « **لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا** » •

وأوحى الى أم موسى كما ذكر فى سورة القصص : « **أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ** » •

والقراءة المشهورة فى قوله تعالى : « **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ** » نصب ابراهيم ورفع ربه على أنه فاعل ابتلى •

وقرأ ابن عباس بنصب ربه ورفع ابراهيم على أن يكون معنى ابتلاه : دعاه أى أن ابراهيم دعاه بكلمات من الدعاء كفعل المختبر هل يجيبه اليهن أولا أما معنى (فأتمهن) فى القراءة الأولى : أن ابراهيم أدى تلك الكلمات بلا توان أو تفريط وفى القراءة الثانية يكون معنى (فأتمهن) أن الله أعطاه ما طلب فلم ينقص مما طلب شيئا حين ابتلى ابراهيم ربه على معنى أنه دعاه •

ويؤيد هذا المعنى تفسير مقاتل للكلمات بأنها ما ورد فى دعاء ابراهيم من قوله : « **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا** » — « **وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ** » و « **وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ** » — « **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا** » وكثرت آراء المفسرين فى تفسير الكلمات غير ما ذكره مقاتل فقيل :

١ — الكلمات : هى الاسلام ، والامامة ، وتطهير البيت ، ورفع قواعده •

٢ — الكلمات : هى مناسك الحج : كالطواف ، والسعى ، والرمى ، والاحرام •

٣ — الكلمات : هى الكوكب والقمر والشمس التى وردت فى سورة الانعام من قوله « **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ** » الى قوله : « **وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** » يضاف الى ذلك النار ، ورؤياه فى ذبح ابنه •

٤ — وقيل : ابتلاه الله من شرائع الاسلام بما جاء فى التوبة : « التائبون » الخ الآية وفى الأحزاب : « **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ** » الخ الآية •

(وفى المؤمنون) من أول السورة الى قوله : « **أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ** » •

وفى سأل من قوله : « إِلاَّ الْمُصَلِّينَ » الى قوله : « وَالَّذِينَ هُم عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ » .

بهذا أخبر عكرمة عن ابن عباس وقال : لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله الا ابراهيم .

٥ — وقيل فى تفسير الكلمات : هى محاجته قومه فى عبادة التماثيل التى ذكرت فى سورة الأنبياء فى قوله تعالى : « إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِى أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ » الى آخر موقف المحاجة ويضاف الى ذلك : الصلاة والزكاة والصوم والضيافة والصبر .

٦ — وقيل فى تفسير الكلمات : ما ذكره القرآن فى قوله : « الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ » الى آخر الآيات .

٧ — وقيل : ان الكلمات التى ابتلاه الله بها : هى المناظرات التى دارت حول التوحيد مع أبيه وقومه ومع نمروذ .

وابراهيم : اسم أعجمى فسره السهيلى بأن معناه (أب راحم) .

وقيل : انه سيكفل فى الجنة هو وزوجته أطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا .

وذكر البخارى فى حديث الرؤيا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — رأى فى الروضة ابراهيم وحوله أولاد الناس .

(قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) .

هذه جملة مستأنفة جاءت جوابا لسؤال نشأ بعد قصة الابتلاء ، وكأن سائلا سأل : ماذا كان من الله بعد ذلك الابتلاء ؟ وجاء الجواب : قال : « إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » .

وقد تكون جملة : « إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » بيانا لقوله تعالى : « وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ » اذا فسرت الكلمات بالامامة وتطهير البيت .

والجعل فى قوله : « إِنِّى جَاعِلُكَ » بمعنى التصيير ، أى أنى مصيرك للناس اماما .

واسم الفاعل جاعل بمعنى المضارع الذى يدل على الاستمرار واسم الفاعل يدل على الدوام أى انى جاعلك اماما فلا يصرف صارف عن ذلك الجعل الذى جعله الله لأجل الناس ، والمراد بالامامة فى قوله : « جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » النبوة ، وهذا يدل على أن ابراهيم — عليه السلام — أرسل للناس كافة رسولا من عند الله .

وكل رسل الله وأنبيائه أئمة « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا » .

وكل من يتبع فى قول أو عمل فهو امام .

فاسم الامام يطلق على من يقتدى به فى حق أو باطل ، فالآية السابقة « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا » الى طريق الحق .

وقال تعالى فى قصة فرعون وقومه : « وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ . فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ . وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ » وقد امتدت امامة ابراهيم وستمتد على الزمن الى قيام

الســاعة ، فأتباع الأديان ينتسبون اليه نسبا أو دينا أو تشريعا .

وفى هذه الآية ثلاث جمل استئنافية جــاءت أجوبة لأسئلة مقدرة :

الأولى : قال « **إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** » وقعت جوابا لسؤال مقدر هو :

مــاذا كان بعــد أن ابتلى ابراهيم ربــه بكلمات ؟ .

وكان الجواب : قال « **إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّــاسِ إِمَامًا** » .

الثانية : قــال « **وَمِن ذُرِّيَّتِى** » ، جــاءت جوابا لسؤال مقدر : فماذا قــال ابراهيم ؟
وكان الجواب : قال « **وَمِن ذُرِّيَّتِى** » على تقدير استفهام : أو من ذريتى ؟ .

الثالثة : قال « **لَا يَنَالُ عَهْــدِى الظَّــالِمِينَ** » جاءت جوابا لسؤال مقدر ، فماذا قــال الله ؟
وكان الجواب : « **قَالَ لَا يَنَــالُ عَهْــدِى الظَّــالِمِينَ** » .

(**وَمِن**) فى قــوله ومن ذريتى للتبعيض ، والــذرية : الأولاد ، وأولاد الأولاد وتقدير الكلام : وجاعل بعض ذريتى مــع تقــدير الاستفهام ، ورد الله على استفهام ابراهيم — عليه السلام — : ان النبوة لا ينالها ظالم .

وقــد حقــق الله رجــاء ابراهيم — عليه الســلام — فى المؤمنين من ذريته فجعل منهم أنبياء كاسماعيل ، واسحاق ، ويعقــوب ، ويوســف ، وموسى ، وهــارون ، وداود ، وســليمان ، وأيــوب ويونس ، وزكــريا ، ويحيى ، وعيسى .

وقد ختم الأنبياء من ذرية ابراهيم بمحمد عليــه صــلوات الله وعلى ابراهيم والأنبياء من أبنائه الســـلام .
والعهد فى قوله : « لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ » يراد به الامامة ويراد بالامامة النبوة .
وقد يراد به : الرحمة أو الطاعة .

يتبــع

د. محمد محمد خليفة

التعريف بالإمام الحافظ

أبو عمرو الداني

مصنف "البيان في عد آى القرآن"

نشأته - ثقافته - مؤلفاته

هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموى المعروف بابن الصيرفى ، ويكنى أبا عمرو • وهو من أهل قرطبة من (ربض قوته راشة) منها (١) •

قال ابو عمرو الدانى فى مولده : « سمعت أبى ، رحمه الله ، غير مرة ، يقول : انى ولدت سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (٢) • وفى معجم الأدباء : « أخبرنى أبى أنى ولدت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة » (٣) •

وقد بدأ أبو عمرو فى طلب العلم وهو لم يزل صبيا • ويقول عن نفسه : « وابتدأت أنا بطلب العلم بعد سنة خمس وثمانين (أى بعد الثلاثمائة) ، وأنا ابن أربع عشرة سنة (٤)» • وفى معجم الأدباء أنه بدأ بطلب العلم سنة ست وثمانين (٥) •

روى أبو عمرو أول الأمر فى قرطبة عن شيوخها • وقد ذكر ابن بشكوال أسماء بعض هؤلاء الشيوخ ، وهم كثر (٦) •

وسمع من أبى عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبى زمنين الفقيه الالبيرى كثيرا من روايته وتأليفه (٧) • وسمع باستجة وتجانة (٩) وسرقسطة (١٠) ، وغيرها من بلاد الثغر ، من شيوخها كثيرا •

---

(١) الصلة ١ / ٣٩٨ •
(٢) الصلة ١ / ٣٩٩ •
(٣) معجم الادباء ١٢/ ١٢٥ •
(٤) الصلة ١ / ٣٩٩ •
(٥) معجم الادباء ١٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦ وفى نفح الطيب (١/ ٣٦٨) أنه ابتدأ بطلب العلم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة •
(٦) الصلة ١/ ٣٩٨ •
(٧) بغية الملتمس ٣٩٩ ، والصلة ١/ ٣٩٩ •
(٨) استجة : اسم كورة بالاندلس ، بين القبلة والمعرب من قرطبة ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ • وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة • (معجم البلدان ١/ ٢٤٢) •
(٩) بجانة : مدينة بالاندلس من أعمال كورة البيرة • بينها وبين المرية فرسخان ، وبينها وبين غرناطة ثلاثة وثلاثون فرسخا (معجم البلدان ١/ ٤٩٤) •
(١٠) سرقطة : بلدة مشهورة فى الاندلس فى شرقى قرطبة (معجم البلدان ١/ ٨٥٣) •

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

توفى أبوه فى جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة (١) وهو ام يكد يجاوز العشرين من عمره • فلم يفت ذلك فى عضده ، ولم يثبط من همته فى طلب العلم •

وكأن أنحاء الاندلس قد ضاقت بهمته وشغفه بالعلم ، وكأنه قد استنفذ ما عند شيوخها وعلمائها ، فبدأ يفكر فى الرحلة الى المشرق والاستزادة من العلم هناك • وكانت الرحلات العلمية اليه فى تلك الأزمان خطة متبعة عند أهل الأندلس ، اذ كانت الحضارة فى المشرق أعرق ، وقواعد العلم أرسخ ، والعلماء أشهر ، والشيوخ أكبر وأكثر •

وقد قص أبو عمرو خبر رحلته الى المشرق، وأوردها ياقوت الحموى باختصار (٢) • يقول أبو عمرو فى رحلته : « فرحلت الى المشرق فى اليوم الثانى من المحرم ، يوم الأحد ، فى سنة سبع وتسعين • ومكثت بالقيروان أربعة أشهر • ولقيت جماعة ، وكتبت عنهم » •

« ثم توجهت الى مصر • ودخلتها اليوم الثانى من الفطر ، من العام المؤرخ • ومكثت بها باقى العام ، والعام الثانى ، وهو عام ثمانية ، الى حين خروج الناس الى مكة • وقرأت بها القرآن ، وكتبت الحديث والفقه والقراءات ، وغير ذلك ، من جماعة من المصريين والبغداديين والشاميين وغيرهم »•

« ثم توجهت الى مكة ، وحججت • وكتبت بها عن أبى العباس أحمد البخارى (٣) ، وعن أبى الحسن بن فراس (٤) » •

« ثم انصرفت الى مصر ، ومكثت بها شهرا • ثم انصرفت الى المغرب ، ومكثت بالقيروان أشهرا » •

« ووصلت الى الأندلس أول الفتنة الكبرى التى كانت بالأندلس (٥) ، فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين » •

عاد أبو عمرو الدانى الى الأندلس من رحلته العلمية الى المشرق ، وقد تمكن من العلم ، واستوى شيخا من الشيوخ • فتصدر للقراءات خاصة ، يقرىء ويؤلف فيها • وأقام فى بلده (قرطبة) مدة من الزمن الى سنة ثلاث وأربعمائة (٦) •

على أن أبا عمرو لم تطب له الاقامة ببلدة قرطبة • فقد كانت أمور هذه المدينة قد

---

(١) معجم الادباء ١٢/١٢٦ •
(٢) أنظر معجم الادباء ١٢/١٢٥ ـ ١٢٦ •
(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن بدر القاضى (بغية الملتمس ١/٣٩٩) •
(٤) هو أبوالحسن أحمد بن فراس المكى العبقى (بغية الملتمس ١/٣٩٩) •
(٥) بريد الفتنة المعروفة بالفتنة البربرية ، وهى قيام البرابر على محمد بن هشام بن عبد الجبار الاموى الملقب بالمهدى •
(٦) معجم الادباء ١٢/١٢٧

اضطربت فى هذه الآونة ، واحتل فيها النظام السياسى بانقضاء الدولة العامرية ، وعودة المروانية من بنى أمية الى الحكم ، ووقوع أحداث كبيرة فى أثناء هذا التعيير (١) • ثم وقعت فى قرطبة الفتنة الكبرى المعروفة بالفتنة البربرية بين أهل قرطبة من العامة الذين كانوا مع المروانية وبين أهل افريقية الذين كانوا أجناد العامريين (٢) •

واستمرت هذه الأحداث كالحريق الكبير اذا انطفأ منه جانب ارتفعت النيران فى جوانبه الأخرى •

لذلك كله لم تعد قرطبة موطن أبى عمرو دار سكن وأمان • فتركها ، وخرج منها الى شرقى الأندلس ، وهو المعروف بالثغر ، سنة ثلاث وأربعمائة • وفى ذلك يقول : « ومكثت بقرطبة (أى بعد عودته من المشرق) الى سنة ثلاث وأربعمائة • وخرجت منها الى الثغر • فسكنت سرقسطه سبعة أعوام • ثم خرجت منها ••• ودخلت دانيا (٣) سنة تسع وأربعمائة • ومضيت منها الى ميورقة (٤) فى تلك السنة نفسها ، فسكنتها ثمانية أعوام • ثم انصرفت الى (دانية) سنة سبع عشرة وأربعمائة » (٥) •

ويبدو أن أباعمرو أقام فى المرية (٦) مدة من الزمن ، فى هذه الأثناء ، وأقرأ فيها • وكانت ريحانة الأندلسية) قد قرأت عليه القرآن هناك وأجازها (٧) •

وقد استوطن أبو عمرو (دانية) ، واتخذها دار سكن واقامة له • ولم يفارقها بعد ذلك • وقد عرف بعد استقراره فى دانية بالدانى (٨) وكان يعرف قبل ذلك (بابن الصيرفى) (٩) •

والسبب فى اختيار أبى عمرو دانية ، دون غيرها من بلدان الأندلس هو أن سوق القراءة والمقرئين كانت نافقة فى دانية بصورة خاصة من بين بلدان الأندلس الأخرى ، فى هذا الزمن وذلك أن (مجاهد) صاحب دانية (١٠) وهو من موالى العامريين « كان معتنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن ، لما أخذه ابن مولاه المنصور بن أبى عامر ، واجتهد فى تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته

(١) البيان المعرب ٣/٥٠ ـ ٦٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٤/١٤٩ ـ ١٥٠ •

(٢) البيان المغرب ٣/٨٧ ـ ١١٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٤/١٥٠ ـ ١٥١ •

(٣) مدينة بالاندلس من أعمال (بلنسية) على ضفه البحر شرقا (معجم البلدان ٢/٥٤٠ ، وصفة جزيرة الاندلس ٧٦) •

(٤) جزيرة فى شرقى الاندلس ، بالقرب منها جزيره صغرى يقال لها منورقة (معجم البلدان ٤/٧٢٠ ، وصفة جزيرة الاندلس ١٨٨) •

(٥) معجم الادباء ١٢/١٢٧ •

(٦) مدينة فى شرقى الاندلس على ضفة البحر من اعمال كورة البيرة (معجم البلدان ٤/٥١٧ وصفة جزيرة الاندلس ١٨٣ ـ ١٨٤) •

(٧) بغية الملتمس ٣٣٩ ـ ٤٠٠ •

(٨) الصلة ١/٣٩٩ وتذكرة الحافظ ٣/٢٩٨ نفح الطيب ١/٣٦٨ ، والنجوم الزاهرة ٥/٥٤ •

(٩) مفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، والنجوم الزاهرة ٥/٥٤ •

(١٠) هو أبو الحسن مجاهد بن يوسف بن على من فحول الموالى العامريين • وكان المنصور ابن على بن أبى عامر قد رباه وعلمه مع مواليه القراءات والحديث والعربية ، فكان مجيدا فى ذلك • وخرج من قرطبة يوم مقتل المهدى سنة أربعمائة ••• وسار مجاهد الى طرطوشة فملكها ثم تركها وانتقل الى دانية ، واستقل بها ، وولى ابنه على وتسمى اقبال الدولة • (أنظر تاريخ ابن خلدون ٤/١٦٤) •

فكان سهمه فى ذلك وافرا • واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية والجزائر الشرقيـة • فنفقت بها سوق القراءة ، لما كان هو من أئمتها ، وبما كان له من العناية بسائر العلـوم عمومـا ، وبالقراءات خصوصا ، فظهر لعهده أبو عمرو الدانى ، وبلغ الغاية فيها ، ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته أسانيدها » (١) •

قضى أبو عمرو الدانى سنواته الأخيرة فى دانية ،حيث وافته منيته •

قال تلميذه أبو داود سليمان بن نجـاح : « توفى ، رضى الله عنه ، يوم الاثنين للنصف من شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة • ودفن بالمقبرة عند باب (اندارة) • وقد بلـغ اثنين وسبعين سنة (٢) » • ومشى السلطان صاحب دانية أمام نعشه • وكان الجمع فى جنازتـه عظيما (٣) •

ثقافته :

عرفنا فيما سبق من القول أن أبـا عمـرو الدانى قد بدأ بطلب العلم صغيرا فى قرطبة •

وعرفنا أيضا أنه رحل الى المشرق فى طلب العلم ، وأنه لقى الشـيوخ فى أثنـاء رحلتـه وكان يسعف أبا عمرو الـدانى فى طلب العلم وتحصيله أنه كان كما قال ابن بشكوال : « من الخط والضبط ، من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم (٤) » • وكان أبو عمرو يقول عن نفسه: « ما رأيت شيئا قط الا كتبته ، ولا كتبتـه الا حفظته ، ولا حفظته فنسيته (٥) » •

وقد ذكر ابن بشكوال فى معرض كلامه على شغف الدانى بالعلم أنه كان « مفتتنا بالعلوم ، جامعا لها ، معتنيا بها (٦) » •

ومن الطبيعى أن يكون أبو عمرو الدانى بعد ذلك على ثقافة عميقة واسعة • كانت حصيلـة طبيعية لطلبه العلم وسعيه الحثيث فى سبيله•

وكانت ثقافة الرجل تتمثل فى الدرجة الاولى فى القرآن وعلومه • قال ابن بشكوال عنه فى هذا الصدد :

« كان أحد الأئمة فى علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه (٧) » •

وكانت ثقافته تمتد وراء ذلك الى الحديث وعلومه • قال ابن بشكوال عنه فى هذا المجال أيضا : « وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته (٨) » • وقال عنـه الحميـدى « محدث مكثر (٩) » •

وقد ذكر أبو عمرو نفسه أنه كتب الحديث فيما كتب من العلوم • (١٠) •

وكان الى ذلك واقفا على أسرار العربيـة ، متمكنا من أساليبها ، عارفا بالنحـو ومذاهب

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٣٦٥ ، ومعجم البلدان (دانية) •
(٢) معجـم الادباء ١٢/١٢٧ ـ ١٢٨ ، وفى شذرات الذهب أنه بلغ ثلاثا وسبعين سـنة (٣/٢٧٢) •
(٣) الصلة ١/٤٠٠ ومفتاح السعادة ١/٣٨٧ •
(٤) الصلة ١/٣٩٩ •
(٥) تذكرة الحافظ ٣/٢٢٩ ، طبقات القـراء ١/٥٠٤ ومفتاح السعادة ١/٣٨٧ •
(٦) الصلة ١/٣٩٩ •
(٧) الصلة ١/٣٩٩ ، وأنظر تذكرة الحـافظ ٣/٢٩٩ •
(٨) المصدران السابقان •
(٩) جذوة المقتبس ٢٨٦ •
(١٠) معجم الادباء ١٢/١٢٧ •

النحويين • وهـو القـائل فى مستهل كتـابه « المحكم فى نقط المصاحف » :

« هذا كتاب علم نقط المصاحف ، وكيفيته على صيغ التلاوة ، ومذاهب القراءة ومايوجبه قياس العربية ، وتحقيقه طريق اللغة ، مشروحا ذلك بأصوله، وفروعه،مبينا بعلله ووجوهه (١)

وقد ذكر أبو عمرو نفسه أنه كتب الفقـه أيضا فيما كتب من العلوم • قال :

« وكتبت الحديث والفقه والقراءات ، وغـير ذلك (٢) • وقوله : « غير ذلك » ينبىء بأنه شارك فى علوم أخرى أيضا •

وقد عرف الأقدمون قدر أبى عمرو الدانى وأكبروا علمه وتحقيقه • ذكر ابن الجزرى فى ترجمته طبقات القراء نقلا عن المقامى •

« قرأت بخط شيخنا الحافظ عبد الله بـن محمد بن خليل ، رحمـه اللـه ، قـال بعض الشيوخ : لم يكن فى عصره (أى عصر الدانى)، ولا بعد عصره بمدة أحد يضاهيه فى حفظـه وتحقيقه •

وقد أضاف ابن الجزرى الى ذلك قوله :

« ومن نظر كتبه علم مقدار الرجل ، ومـا وهبه الله تعالى فيه ، فسبحان الفتاح العليم : ولا سيما كتاب « جامع البيان » فيما رواه فى القراءات السبع (١)» •

اشتغاله بالتـأليف :

لم يقتصر أبـو عمرو الـدانى على الاقراء والتعليم بل اشتغل الى جانب ذلك بالتأليف فى أكثر علوم القرآن ، ووضع فى كل منها تأليفـا واحدا أو أكثر • قال ابن بشكوال :

« وكان أحد الأئمة فى علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه • جمع فى معنى ذلك كله تواليف حسـانا مفيـدة ، يكثر تعدادها ويطول ايرادها (٤) •

وقد أكثر أبو عمرو فى التأليف ، حتى بلغ عدد تآليفه المائة أو اكثر • قال الضبى فى ذلك :

« فتصدر بالقراءات وألف فيها ، وفى طبقات رجالها تواليف مشهورة كثـيرة • رأيت بعض أشياخى قد جمع ذكر تواليفه فى جزء نحو مائة تأليف (٥) » •

وقـال الذهبى : « ولـه مائـة وعشرون مصنفا (٦) » •

وقال السـيوطى : « بلغنى أن لـه مـائة وعشرين مصـنفا • ثم وقفت عـلى أسـماء مصنفاته فى تاريخ الأدباء ليـاقوت الحموى • فاذا فيها كتاب « التمهيد لاختلاف قراءة نافع» عشرين جزءا ••• ثم عـامة تواليفـه جـزءا جزءا (٧) •

وقد ذكر الزركلى فى الأعلام أن فى مكتبة الجامع الأزهر نسخة مخطوطة مـن « فهرس تصانيف الدانى (٨) » •

---

(١) المحكم ص

(٢) معجم الادباء ١٢/١٢٨

(٣) الصله ١/٦٦ •

(٤) الصلة ١/٣٩٩ •

(٥) بغية الملتمس ٣٣٩ ، وأنظر معجم الادباء ٢٢/١٢٢ ـ ١٢٣ •

(٦) تذكرة الحفاظ ٣/٢٩٩ ـ ٣٠٠ ، وانظر نفح الطيب ١/٣٦٨ •

(٧) معجم الادباء ١٢/١٢٢ (فى الحاشية نقلا عن طبقات المفسرين للسيوطى) •

(٨) الاحلام ٤/٣٦٧ •

على أن أبا عمرو كان الى جانب اكثاره من التأليف متقنا مجودا فيه .

قال الذهبى فى طبقات القراء .

« وكتبه فى غاية الحسن والاتقان (١) ».

وقال أيضا فى تذكره الحفاظ :

« الى أبى عمرو المنتهى فى اتقان القراءات . والقراء خاضعون لتصانيفه ، واثقون بنقله فى القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك (٢) » .

وقال ابن خلدون عنه فى المقدمة : « وتعددت تآليفه فيها (أى فى القراءات) ، وعول الناس عليها ، وعدلوا عن غيرها ، واعتمدوا من بينها كتاب (التيسير) له (٣) » .

وقد ذكر المقرى أن أبا عمرو الدانى « خلف كتبه بالحجاز ومصروالمغرب والأندلس (٤) ».

وقد ذكرت أكثر المصادر التى ترجمت لأبى عمرو الدانى عددا من تآليفه . ويبدولى أن هذه التأليف المذكورة فى هذه المصادر هى أشهر كتبه وأكبرها . ويبدو أن ماعداها من سائر تآليفه رسائل وكتب صغيرة لا تبلغ مبلغ كتبه الكبيرة .

وفيما يلى جدول مرتب على حروف المعجم بأسماء أشهر كتب أبى عمرو الدانى :

كتاب الادغام الكبير :

(برو كلمان الذيل ١/٧٢٠)

كتاب الأرجوزة فى أصول السنة :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥)

كتاب الأرجوزة المنبهة على اسماء القراء والرواة وأصول القراءات :

ذكره ياقوت الحموى فقال : « ونظمها (أى القراءات) فى أرجوزة مشهورة (٥) » (مفتاح السعادة ١/٣٨٦ ،وفهرس المخطوطات المصورة ٢/١٠) .

كتاب اختلاف القراء فى الباء :

وهو مجلد (طبقات القراء ١/٥٠٥) .

كتاب الاقتصاد فى رسم المصحف :

وهو أرجوزة فى مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ وكشف الظنون ١/١٣٥ ، ومفتاح السعادة ١/٣٦٨ ، وهداية العارفين ١/٦٥٣) .

كتاب الامالات :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١ / ٥٠٥).

كتاب الامالة :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥) .

كتاب الاهتداء فى الوقف والأبتداء :

(الأعلام ٤/٣٦٧)

كتاب ايجاز البيان فى قراءة ورش عن نافع :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وبروكلمان ١/٤٠٧ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧).

كتاب تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى :

وهو فى القراءات (مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٦١٧١) .

كتاب التحديد فى صناعة الاتقان والتجويد :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ وكشف الظنون ١/٣٥٥ ، وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠ ، والأعلام ٤/٣٦٧).

(١) معجم الادباء ١٢/١٢٢ (فى الحاشية نقلا عن طبقات المفسرين للسيوطى) .
(٢) مقدمة ابن خلدون ٣٦٥ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ٣٦٥ .
(٤) نفح الطيب ١/٣٦٨ .
(٥) معجم الادباء ١٢/١٢٣ .

كتاب التعريف فى القراءات الشواذ :

(بروكمان ١/٤٠٧ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧) .

كتاب التنبيه على النقط والشكل :

(صبح الأعشى ٣/١٢ ، ١٤ ، وكشف الظنون ١/٤٩٣ ، وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٧٤) .

كتاب التيسير فى القراءات السبع :

وهو أشهر كتبه (١) (طبقات القراء ١/٥٠٥، كشف الظنون ١/٥٢٠ وهدية العارفين ١/٦٥٣ ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، وبروكلمان الذيل ١/٧١٩ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧ ، والاعلام ٤/٣٦٧) .

وقد طبعه المستشرق (أوتو برتزل) فى سلسلة النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية فى استانبول سنة ١٩٣٠ .

كتاب جامع البيان فى عدد آى القرآن :

هدية العارفين ١/٦٥٣ وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠ ، والاعلام ٤/٣٦٧) .

كتاب جامع البيان فى القراءات السبع :

وقد أثنى عليه ابن الجزرى . وقال عنه (حاجى خليفه) صاحب كشف الظنون : «أحسن مصنفاته » ، وكذلك قال طاشكبرى زاده صاحب مفتاح السعادة .(طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ١/٥٣٨ ، ٢/١٣١٩ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ وبروكلمان الذيل ١/٧١٩ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧ ، والاعلام ٤/٣٦٧) .

كتاب شرح قصيدة الخاقانى فى التجويد :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ٢/١٣٣٧ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠) .

كتاب طبقات القراء :

وهو فى أربعة أسفار . قال عنه ابن الجزرى: « وهو عظيم فى بابه» . (طبقات القراء ١/٥٠٥ وكشف الظنون ٢/١١٠٥ ، وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، والاعلام ٤/٣٦٧) .

كتاب الفتن والملاحم :

وهو مجلد (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ٢/١٤٤٥ وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦) .

كتاب المحتوى فى القراءات الشواذ :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ٢/١٦١٢ وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦) .

كتاب مفردات القراء السبعة :

وهو مجلد كبير . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وبروكلمان ١/٤٠٧ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧).

كتاب مفردات يعقوب فى القراءة :

(كشف الظنون ٢/١٣٢١ ، ١٧٧٣ ، وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠).

كتاب المقنع فى رسم مصاحف الأمصار :

وهو مجلد . قال عنه حاجى خليفة صاحب

البقية ص ١٤٩٣

---

(١) مفتاح السعادة ١/٣٨٦ .

أضواء على منهج

تبليغ الدعوة في عهدها المدني

للدكتور رءوف شلبي

الدعوة الاسلامية هى منهج حياة فاضلة تبتغى رقى الانسان فى عقله وعواطفه ، ومعيشته فى الدنيا ، وخلوده فى الآخرة .

فهى دعوة للخير ، والحرية ، والنقاء الوجدانى ، والسمو الأخلاقى ، والعلاقات الرفيعة .

وطبيعة الدعوة خيرة :

انها رحمة ، ومودة ، واحسان وعطف وبر ، وصلة رحم ، وبشاشة ومعروف ، وتعاون على البر والطاعة والتقوى ، والفلاح .

وتبليغ الدعوة :

ينبغى أن يهدف الى نقلة الانسان من الظلمات الى النور بهذه الطبيعة الخيرة .

ولقد حرصت الدعوة الاسلامية منذ العهد المكى على نقلة الناس من الظلمات الى النور بأسلوب كريم يظهر طبيعتها الخيرة ، وهدهدتها العباد ، وينئيها عن كل شبهة يتهمها بها الخصوم الألداء .

ففى زحمة العراك بين الدعوة والقرشيين لم يستطيعوا اتهام الدعوة بشبهة يقوم عليها دليل فى ذوات أنفسهم ، فكان موقفهم عبارة عن عناد شخصى لحماية أهداف شخصية فردية بدليل أن كبار المعاندين لها لما أسلموا كانوا هم من كبار المجاهدين فى سبيل نشر لوائها وأن أولاد الكبار فى الكفر لما آمنوا لم يجدوا للدعوة فى صحائف عائلاتهم الا الخير والمودة والبر والمعروف وأن الصحائف السود

انما كانت من أفاعيل آبائهم الذين هلكوا على الكفر والضلال •

لذلك كانت الدعوة فى العهد المدنى حريصة كل الحرص على أن تبدو طبيعتها مشرقة وضاءة ، تحرص على كل خير للانسان فى ذاته وفى أسرته وفى المجتمع الذى يعيش فيه والدولة التى ترعى شئونه ، والدار الآخرة التى تنتظر مقدمه •

تحرص الدعوة على أن التبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن (١) •

والحكمة :

هى : استخدام الشىء فى موضعه الطبيعى وقد يكون من الحكمة أن تؤدب •• الأحمق بما يصلح حاله حتى يصير معتدلا ، وقد تحجر على السفيه حتى لا يضيع ماله ويصبح عالة ، وقد تقطع الأطراف المريضة ليبقى الجسم معافى من الآلام ، فاستخدمت الدعوة فى العهد المدنى الحكمة التى كانت فى العهد المكى بأساليب تتفق مع تطورات الأحداث فى العهد المدنى وأيضا فى الاطار الذى يظهرطبيعة الدعوة : انها تريد الخير والبر والمعروف للبشرية جميعا •

فالدعوة الاسلامية فى العهد المدنى كانت تخاطب أنماطا شتى من الناس : مختلفين فى الثقافة ، وفى التقاليد والعادات ، وهم كذلك مختلفون فى البيئة الجغرافية ، فكان على الدعوة أن تلاحظ فى عملية الاتصال والتبليغ هذه الملكات النفسية والفوارق الاجتماعية ولذا فقد كان منهج التبليغ واسعا متعدد المسالك والوسائل ، والأساليب •

والذين يطالعون السيرة النبوية العطرة فى ظلال العهد المدنى ، ويترسمون خطى العمل النبوى الشريف فى عملية الاتصال أو التبليغ يجدون خصائص « المنهجية فى تبليغ الدعوة وهى تقوم على ست ركائز أو ست دعائم : —

* **الرفق والعطاء •**
* **تصحيح اخطاء أهل الكتاب •**
* **الدبلوماسية •**
* **المعلمون والعمال (المتابعة) •**
* **القتال •**
* **الدعاية والاعلام •**

وبيان ذلك :

أولا : الرفق والعطاء

أن النبى — صلى الله عليه وسلم — بعث وهو مشهود له بمكارم الأخلاق •

وقد وصفه الله الذى اصطفاه بأنه على خلق عظيم ، ووصفه نبيا بأنه بعث رحمة للعالمين •

ووصف القرآن بأنه يهدى للتى هى أقوم ، وفيه شفاء ورحمة للمؤمنين •

ومع ضخامة الاجراءات التى أقدمت عليها جحافل المعاندين للدعوة الاسلامية فان النبى — صلى الله عليه وسلم — لم يكن سبابا

(١) راجع كتابنا : « الدعوة الاسلامية فىعهدها المكى ص ٣٤١ وما بعدها جـ١ دار القلم •

ولا لعانا بل كان يقول « انما أنا رحمه مهداة » .

والوقائع العملية فى حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يبلغ الدعوة أو وهو يقوم بعملية الاتصال لتوصيل الرسالة الى الناس كانت تتسم بطابع الرفق والمودة والعطاء ، ويظهر ذلك فى الوقائع التالية :

كان سهيل بن عمرو فظا غليظا على الدعوة وعلى اتباع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تعدى اجرامه الى ولده أبى جندل الذى صفده فى الاغلال وكان سهيل هجاء للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان فصيحا بيغا فاستخدم نعمة الله هذه فى هجاء الدعوة ورسولها ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

فلما وقع أسيرا يوم بدر قال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، انزع ثنيته يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا ، ولعله يقوم مقاما لا تكرهه » .

* * *

قال فى « السيرة الحلبية » : ـ .. فكان كذلك : لما مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام حتى خافهم أمير مكة : عتاب بن أسيد ـ رضى الله عنه ـ فقام سهيل بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ خطيبا ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : أيها الناس من كان يعبد محمدا ، فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، ألم تعلموا أن الله تعالى قال

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) وقال : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ..) .

وتلا آيات أخر ، ثم قال : والله انى أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها .

وان الله ناصر من نصره ومقو دينه ، وقد جمعكم الله على خيركم ـ يعنى أبا بكر ـ رضى الله عنه ، وقال : ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه ... فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وعند ذلك ظهر عتاب بن أسيد رضى الله عنه وكان من قبل خائفا حتى توارى وهرب (١) .

فالرفق الذى استخدمته الدعوة الاسلامية مع سهيل بن عمرو الذى كان من قبل كافرا ..وأسيرا يوم بدر أصبح فى مستقبل الدعوة ذو رسالة جد خطيرة ، فقد توهم الناس انتهاء الرسالة الاسلامية بعد أن صعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الرفيق الاعلى ، وظن كل واحد من أهل مكة حسبما زين له هواه أن يعبد الاله الذى يهواه .. وكانت فتنة كبيرة هرب من هولها أمير مكة ولم ينه هذه الفتنة الا بلاغة سهيل بن عمرو ـ رضى الله عنه فلو أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قد استجاب لاقتراح سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ فكيف

(١) بتصرف راجع السيرة الحلبيه جـ٢ ص ١٩٦ .

كان لسهيل بن عمرو بعد أن يسلم أن يقف هذا الموقف وقد دلع لسانه وسقط واسترخى بين شفتيه ؟ .

انها رأفة النبى — صلى الله عليه وسلم — التى استخدمها كمنهج فى التبليغ ثم هى واحدة من علامات النبوة التى تعلم النـــاس بعد رحيله الى الرفيق الأعلى — عليه أفضل الصلاة والسلام — أنه حقا رسـول الله وخاتم الانبياء والمرسلين .

وكان عمير بن وهب بن خلف بن وهب الجمحى أجيرا عند صفوان بن أمية ابن خلف وقد وعده صفوان أن يتحمل دينه ، وينفق على عياله ان هو قتل رسـول الله — صلى الله عليه وسلم — ثائرا لوالده أمية بن خلف الذى قتل يوم بدر .. وذهب عمير بن وهب الى المدينة متوشحا سيفه ودخل المسجد يريد قتل النبى — صلى الله عليه وسلم — فلما رآه النبى عليه أفضـــل الصـــلاة والسـلام قال :

ما أقدمك ياعمير ؟ .

قال : قدمت فى أسير عندكم .

قال : فما بال السيف ؟ .

قال : قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا من شىء ؟ انما أنسيته حين نـزلت وهـو فى رقبتى .

فقال : أصدق ؟ ما أقدمك ؟ .

قال : ما قدمت الا فى أسيرى .

قال : فما شرطت لصفوان بن أميـــة فى الحجر ؟ .

ففزع عمير فقال : ماذا شرطت له ؟ .

قال : تحملت له بقتلى ، على أن يقضى دينك ويعول عيالك ، والله حائل بينك وبين ذلك .

قال عمير : أشـهد أنك رسـول الله وأنك صادق ، وأسلم ، فقال — صـلى الله عليـه وسلم : « علموا أخاكم القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ، فعاد عمير يدعو الناس الى الاسلام فأسلم معه بشر كثير (١) .

أبو عامر العباس بن مرداس بن أبى عامر ابن حارثة بن عبـد بن عبسى بن رفاعـة بن الحارث أعطاه رسول الله — صلى الله عليـه وسلم — نصيبا من الابل كـان دون المائـة وكانت نفسه شوافة الى نصيب أكبر فعاتب أبو عامر سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى شعر له فلم يواجه رسول الله — صلى الله عليه وسـلم — هـذا الاستشراف بالرفض ولا بالزجر بل قال : صلى الله عليـه وسلم : « اقطعوا لسانه فأعطوه مائة » .

والمحدثون وأصحاب السير يروون عن النبى — صلى الله عليه وسلم — كثيرا من تقـديم العطايا فى سبيل تثبيت الايمان فى القلـوب ففى الامتاع للمقريزى : عن سـعد بن أبى وقاص قال : يارسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضـمرى : قال — صـلى الله عليه وسلم : « أما والذى نفسى بيـده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهـا مثل عيينة والاقرع ، ولكنى أتألفهما ليسلما » ،

(١) راجع الامتاع جـ١ ص ١٠٠ .

ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه (١) .

وفى البخارى بسنده عن الزهرى قال أخبرنى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن سعد — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلا هو أعجبهم الى ، فقلت : يارسول الله : مالك عن فلان ، فوالله انى لأراه مؤمنا .

فقال : « أو مسلما » ، فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم عنه فعدت لمقالتى وعاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم قال : « ياسعد انى لأعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكبه الله فى النار » (٢) .

كان مالك بن عوف واحدا من الوفد الذى جاء الى النبى — عليه أفضل الصلاة والسلام — من هوازن ثم فر فلحق بحصن مع ثقيف فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : « انه ان يأتى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » .

يقول الكاتبون فى « السيرة النبوية » العطرة فلما بلغ ذلك مالكا فر من ثقيف ليلا وقدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأعطاه أهله وماله واستعمله على قومه . وعقد له لواء فقاتل أهل الشرك وأغار على ثقيف وقاتلهم (٣) .

وسفانة بنت حاتم الطائى وقعت أسيرة فى سرية كان لواؤها لسيدنا على بن أبى طالب — رضى الله عنه — كانت مهمتها تحطيم الصنم (الفلس) وكانت سفانة امرأة جذلة ذات وقار وعقل وحكمة وكان أخوها عدى قد هرب عندما سمع بخيل المسلمين فعاملها رسول الله — صلى الله عليه وسلم بالحسنى مراعاة لمستواها الاجتماعى فأنزلها فى دار (رملة بنت الحرث) فلما مر بها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جعلت تكلمه :

(يامحمد أرأيت ان تخلى عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ، ويشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويقرى الضيف ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى فقال لها النبى — صلى الله عليه وسلم — : « يا جارية : هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلو عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق » (٤) .

قال الكاتبون فى « السيرة » على لسان سفانة : فكسانى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى (٥) .

قال فى الامتاع : فأتت أخاها عدى بن حاتم فحسنت له أن يأتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ويسلم فقدم المدينة وأسلم (٦) .

قال فى « السيرة الحلبية » : على لسان عدى وهو يخاطب أخته سفانة وهى تدعوه

◄

---

(١) الامتاع ج ١ ص ٤٢٥ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الايمان .

(٣) الامتاع ج ١ ص ٤٣٠ .

(٤) راجع الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٥) الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥ ، ٢٣٢ .

(٦) الامتاع ج ١ ص ٤٤٥ .

الى الاسلام وأن يلحق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ماذا ترين فى أمر الرجل ؟ .

قالت : رأيى والله أن تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضل ، وان يكن ملكا فأنت أنت .

فقال : « من الرجل » ؟ .

فقلت : والله ان هذا للرأى .. فخرجت حتى جئته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة فدخلت عليه .

فقلت : عدى بن حاتم ، فقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانطلق بى الى بيته فوالله انه لقائدى اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها .

فقلت : ما هو بملك ، ثم مضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أم محشوة ليفا فقدمها الى .

وقال : « اجلس على هذه » ؟ .

فقلت : بل أنت فاجلس عليها قال : بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأرض .

فقلت والله « ما هذا بأمر » ملك ، ثم قال ى ما معناه : ياعدى بن حاتم : أسلم تسلم .. قالها ثلاثا .

فقلت : انى على دين .

قال : « أنا أعلم بدينك منك » .

فقلت أنت أعلم بدينى » ؟ .

قال « نعم » ألست من الركوسية ، ألست من القوم الذين لهم دين » ؟ .

فقلت : بلى .

فقال : « ألم تكن تسير فى قومك بالمرباع كما هو شأن الاشراف » .

قلت : بلى ، فان ذلك لم يحل لك فى دينك ، فقلت : أجل والله،وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل ، ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم .

« لعلك ياعدى انما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى ، تقول : انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذه .

ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، أتعرف » الحيرة

قلت : لم أرها وقد سمعت بها ، قـــال : « فوالله ليظهرن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد .

ولعلك يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم . وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قــد فتحت عليهم » .

قال عدى : وقد رأيت المرأة تخــرج مــن القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وأيم الله لتكونن الثانية (١) .

قال ابن سعد فى « الطبقات » : وعــرض عليه الاسلام فأسلم عدى واستعمله رســول الله صــلى الله عليه وسلم على صــدقات قومه (٢) .

هكذا كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعمل مع أصناف الناس ليبلغهم الاسلام .

لقد كان الرفق ، والعطـــاء ، والعفــو واحترام مقادير الناس ، وتكريم فضــائل أخلاقهم القديمة وتحبيب الاســلام الى نفوسهم ، وازالة الريب والعلل التى تعتمــل فى صدورهم بالهدهدة الرفيقة والمناقشــة الوديعة ، والمنطق السليم والســماحة فى العطاء والضيافة ونبل الأخلاق .

فتلكم أساسيات فى منهجية الدعوة الى الله على بصيرة .

فهل لمن يتصدى للدعوة الاسلامية فى العصر الحديث أن يستوعب أخلاقيا وسلوكيا هــذا الركن الركين فى عمل الداعية المعاصر فى تبليغ الدعــوة لأصناف الناس حسب منازلهم ؟ .

دكتور / رءوف شــلبى

---

(١) الحلبية جـ ٣ ص ٢٢٦ .
(٢) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٣٢ ـ راجع تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٤٨ .

رائد فقهاء القانون الدولى

الامام محمد بن الحسن الشيبانى

فقيه دقيق وعالم اسلامى كبير تبحر فى الفقه الحنفى على أئمة ذلك المذهب فى العراق كما تبحر فى الفقه المالكى على امام ذلك المذهب فى دار الهجرة النبوية ببلاد الحجاز حين صاحبه ثلاث سنين فأسمعه فقهه ، ثم أكمل شوطه العلمى بتجويده فقه بلاد الشام حينما جلس الى امامه وأخذ عنه ، وهو الى ذلك من أكرم الناس ومن أفضلهم ٠

حليم الطبع هادىء النفس واسع الصدر

ذلك هو الامام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى أحد التلامذة النابهين الذين اصطفاهم الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان ٠

يصفه الامام محمد بن ادريس الشافعى فيقول عن رحابة صدره فى العلم والحوار والمناقشة (ما رأيت أحدا يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة فى وجهه الا محمد ابن الحسن) ٠

أما عن فصاحته وسعة أفقه فيقول (لو أشاء أن أقول ان القرآن نزل بلغة محمد بن الحسن لقلته لفصاحته ، واذا أخذ فى المسألة فكأنه قرآن ينزل عليه لا يقدم حرفا ولا يؤخر) (١) ٠

مولده ونشأته :

ولد محمد بن الحسن فى مدينة واسط بأرض العراق سنة ١٣٢ هجرية بعد أن نزح اليها أبو الحسن بن فرقد من قرية (حرستا) على باب دمشق فى وسط الغوطة عندما كان من جند الشام أيام الأمويين ثم كانت نشأة محمد بالكوفة وفيها تتلمذ على الامام أبى حنيفة النعمان فاغترف من علمه وفضله وخلقه

(١) كتاب « وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان » لابى العباس شمس الدين بن خلكان الجزء الثالث ٠

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

ما قد وسعه أن يغترف وعندما توفى أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ جلس الى تلميذيه زفر وأبى يوسف ، ولما كان يؤمن بالتفرغ للعلم والانفاق فى سبيل الدرس كما وصاه أستاذه أبو حنيفة - رحمه الله - أنفق نصف ميراثه وقدره خمسة عشر ألفا على النحو والشعر وأنفق النصف الباقى على الحديث والفقه (٢) .

رحلاته فى طلب العلم :

لما أتم محمد بن الحسن دراسة الفقه على الامام أبى حنيفة النعمان ثم على تلميذيه زفر وأبى يوسف أخذ يرحل فى طلب العلم فرحل الى الامام أبى عمرو الأوزاعى عالم بلاد الشام ثم الى سفيان بن عيينة فى مكة والى عبد الله بن المبارك فى خراسان والى مالك بن أنس فى المدينة حيث سمع منه كتاب « الموطأ » عدة مرات فجمع بذلك طريقة علماء الكوفة وهم أهل الرأى والاستنباط مع طريقة أهل الحجاز وبلاد الشام وهم أهل فقه سنة ورواية (٣) .

بيان عن بعض تلاميذه :

بعد عودته من رحلاته العلمية الى بلاد العراق ذاع صيته وشهر علمه فأقبل عليه طلاب العلم من كل مكان ، وقصده كثيرون من بلدان بعيدة نذكر منهم : أبا حفص الكبير الذى أخذ عنه البخارى فقه أهل الرأى ، وأبا سليمان الجوزجانى الذى انتشرت به الكتب الستة ، وأبا عبيد القاسم بن سلام صاحب كتاب « الأموال » ويحيى بن أكثم واسماعيل بن توبة ، وأسد بن الفرات المشهور بفاتح صقلية ومحمد بن ادريس الشافعى صاحب المذهب الذى لازمه واستنسخ مصنفاته وأغدق عليه محمد بن الحسن الكثير من علمه وماله (٤) .

ومما يحكيه عنه الربيع بن سليمان المرادى فيقول : كتب الشافعى الى محمد بن الحسن من مجزوء الرجز وقد طلب منه كتبا له لينسخها وتأخرت عنه :

وقل لمن لم ترعـ
ين من رآه مثله
ومن كأن من رآ
ه قد رأى من قبله

---

(٢) كتاب « الائمة الاربعة » تأليف الدكتور مصطفى الشكعة .
(٣) المرجع السابق .
(٤) شرح كتاب « السير الكبير » لمحمد بن الحسن الشيبانى ، املاء محمد بن أحمد السرخسى الجزء الاول معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

العــلم ينهــى أهلــه
أن يمنعـــوه أهلــه
لعلــه يبـــذله
لأهلــه لعلــه

فأنفذ محمد بن الحسن الكتب اليه من وقته (١) .

توليه ولاية القضاء :

لما أتيح لمحمد بن الحسن الشيباني الاتصال بالخليفة هارون الرشيد ولاه قضاء الرقة ثم عزله بعد فتياه لصالح أحد أبناء الطالبيين أحفاد الامام على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — مما يشير الى أنه لم يداهن الخليفة فتعرض لغضبه وفتشت كتبه خوفا من أن يكون فيها شيء مما يحض الطالبيين فى الخروج على سلطان العباسيين ثم أصلحت بينهما زوجة الخليفة السيدة زبيدة بنت جعفر فعاد الى مكانة عنده ، وقد ولى منصب قاضى القضاة بعد وفاة أبى يوسف (٢) يعقوب بن ابراهيم .

شهادته لصالح الإمام الشافعي :

عندما كان الامام الشافعي باليمن اتهم بالتآمر على دولة الخلافة العباسية فقبض عليه وأرسل الى بغداد ومثل بين يدى هارون الرشيد تمهيدا لقتله الا أن محمد بن الحسن الشيباني شهد شهادة منصفة عادلة لصالح الشافعي أنقذته من هلاك محقق فسلم من القتل وبرئت ساحته (٣) .

احترامه لكرامة العلم فى نفسه :

كان محمد بن الحسن يحترم كرامته بوصفه حاملا للعلم ، تلك الكرامة التى تتأتى أن تخفض هامة صاحبها حتى فى بلاد الرشيد ، ومما يحكيه عنه فى ذلك أبو عبيد فيقول : كنا مع محمد بن الحسن اذ أقبل الرشيد فقام اليه الناس كلهم الا محمد بن الحسن فانه لم يقم . ودخل الناس من أصحاب الخليفة فأمهل الرشيد يسيرا ثم خرج الآذن فقال محمد بن الحسن فجزع أصحابه له فأدخل ثم خرج طيب النفس مسرورا .

فقال : .. قال لى الرشيد : مالك لم تقم مع الناس ؟ .

فقلت كرهت أن أخرج عن الطبقة التى جعلتنى فيها . انك أهلتنى للعلم فكرهت أن أخرج منه الى طبقة الخدمة التى هى خارجة منه وان ابن عمك — صلى الله عليه وسلم — قال : (من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار) (٤) وانه انما أراد بذلك العلماء فمن قام بحق الخدمة

(١) كتاب « وفيات الاعيان » لابى العباس شمس الدين بن خلكان — الجزء الثالث .
(٢) كتاب شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني الجزء الاول — املاء السرخسي .
(٣) كتاب « الائمة الاربعة » تأليف الدكتور مصطفى الشكعة .
(٤) رواه أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن .

واعزاز الملك فهو هيبة للعدو ، ومن قعد اتبع السنة التى عنكم أخذت فهو زين لكم .

قال الرشيد صدقت يامحمد (١)

الكتب التى ألفها ممد بن الحسن :

الف الامام محمد بن الحسن عددا من الكتب الأصيلة ، وان الفقه الحنفى يدين بتسجيله أول ما يدين اليه فقد ترهب فى محراب هذا الفقه مسجلا ومقررا وشارحا ومخرجا ومستنبطا حتى غدت كتبه هى المراجع الأولى لهذا الفقه ، ولقد قسم فقهاء الاحناف تلك الكتب الى قسمين : —

القسم الأول : مؤلفات أطلقوا عليها اسم (كتب ظاهر الرواية) وهى الكتب التى رويت عنه برواية الرواة الثقاة ومن ثم فانه لا شك فى كونها ثابتة النسبة اليه بالتواتر والشهرة وتسمى هذه الكتب أيضا بالاصول وهى حسبما أوردها ابن عابدين فى رسالته الكتب الآتية : —

١ — المبسوط .
٢ — والزيادات .
٣ — والسير الصغيرة .
٤ — والجامع الكبير .
٥ — والسير الكبير .
٦ — كتاب الآثار وهو خلاف كتاب الآثار المنسوب لأبى يوسف .
٧ — وكتاب الرد على أهل المدينة أى على فقهاء أهل المدينة ، وكتاب الجامع الصغير وقد رواه عن أبى يوسف وقرأه عليه .

والقسم الثانى : من كتب ذلك الامام يقال عنها (كتب غير ظاهرة الرواية) ليس لأن نسبتها اليه غير ثابتة ولكن لأن روايتها غير ظاهرة الاسناد ومن ثم كانت درجة ثبوتها أقل من درجة ثبوت القسم الاول التى هى كتب ظاهر الرواية وتلك هى ١ — الكيسانيات ٢— الهارونيات ٣— الجرجانيات ٤— الرقيات ٥ — وزيادة الزيادات (٢) .

لمحة عن كتاب « السير الكبير » أول كتاب فى القانون الدولى وسبب تأليفه .

هذا الكتاب هو آخر الكتب التى الفها الامام محمد بن الحسن الشيبانى .

وسبب قيامه بتأليف هذا الكتاب كان ضربا من المنافسة بين علماء العراق وعلماء الشام ويذكر السرخسى أنه لما وقع كتاب « السير الصغير » فى يد الامام الأوزاعى فقيه أهل الشام سأل عن مؤلفه فقيل هو لمحمد العراقى (أى لمحمد بن الحسن) .

فقال : الأوزاعى (ما لأهل العراق والتصنيف فى هذا الباب ، فانه لا علم لهم

◄

(١) كتاب « الائمة الاربعة » تأليف الدكتور مصطفى الشكعة نقلا عن كتاب « تاريخ بغداد » الجزء الثانى .

(٢) كتاب « الائمة الاربعة » تأليف الدكتور مصطفى الشكعة .

بالسير) والمقصود بكلمة السير المغازى وان كان الامام السرخسى يقول فى شرحه لكتاب السير الصغير ان السير جمع سيرة فالكتاب يبين سيرة المسلمين فى المعاملة مع غيرهم ويوضح السرخسى قول الأوزاعى بأن مغازى الرسول كانت من جانب الحجاز والشام دون العراق فأهل الحجاز والشام أعلم بهذه المغازى بها .

فلما بلغ محمد بن الحسن قول الأوزاعى انصرف الى تأليف كتاب « السير الكبير » وجعله فى ستين دفترا ، وتشاء المقادير أن يطلع الامام الأوزاعى على هذا الكتاب كما اطلع على كتاب السير الصغير من قبل فلم يملك الا أن يبدى اعجابه بالكتاب .

وقال : (لولا ما تضمنه الكتاب من الأحاديث لقلت إنه يضع العم — أى يزيفه — واستطرد قائلا — وان الله تعالى عين اصابة الجواب فى رأيه وفوق كل ذى علم عليم) (١)

موضوع كتاب « السير الكبير »

يدور موضوع هذا الكتاب حول جميع الأمور المتعلقة بالحرب وعلاقتها بالمشركين وأحكامها : — فتكلم الامام محمد بن الحسن عن أهل الاسلام وأهل الحرب المشركين وبين أحكام الأسارى من الفريقين سواء أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا . واسلام المشركين والأمان على اختلاف ضروبه وألفاظه والمستأمنين والرسل الذين يفدون الى دار الاسلام من دار الحرب . والحصانات التى يتمتعون بها والغنائم والصلح والتحكيم والفداء وأحكام السلاح والرقيق والكراع والأراضى التى يستولى عليها أهل الحرب فى الحرب وأهل الاسلام فى دار الحرب ونقض المعاهدات وجرائم الحرب . هذا الى مئات من المسائل المتعلقة بأهل الحرب وصلاتهم بالمسلمين فى أيام الحرب والسلم معا (٢) والكراع هى أطراف الأرض القاصية كما ورد فى لسان العرب لابن منظور بالجزء العاشر .

الأسس التى اعتمد عليها الامام محمد بن الحسن فى تأليف هذا الكتاب :

اعتمد الامام محمد بن الحسن فى تأليفه للكتاب المذكور على القرآن الكريم وعلى الأحاديث النبوية التى قيلت فى مغازى الرسول على أثر حوادث معينة وقعت ، وعلى الأحكام التى وقعت أثناء حروب المسلمين وفتوحهم . كما أعمل القياس فى أحايين كثيرة ووصل فى ذلك الى أحكام جيدة وبشرح الامام السرخسى له أصبح الكتاب موسوعة فقهية اسلامية فى العلاقات الدولية .

كيف استقبل الرشيد كتاب « السير الكبير »

لما أرسل الامام محمد بن الحسن كتاب

---

(١) المرجع السابق .

(٢) شرح كتاب « السير الكبير » لمحمد بن الحسن الشيبانى املاء السرخسى — الجزء الاول .

« السير الكبير » الى الخليفة هارون الرشيد أعجب به وعده من مفاخر أيامه لأنه وضع أحكام العلاقات بين دولة الاسلام التى كان الرشيد حاكما لها وباقى دول ذلك الزمان ومن هنا يبدو شأنه فى ناحية القانون الدولى الاسلامى ما يعد عملا فريدا فى بابه ولأهمية المادة التى عالجها هذا الكتاب أرسل الرشيد ابنيه الأثيرين الأمين والمأمون يستمعانه على مؤلفه .

ولقد زاد الاهتمام بالكتاب المذكور أيام الدولة العثمانية فترجم الى اللغة التركية فى أيام السلطان محمود خان سنة ١٨٢٥ م واتخذ أساسا لأحكام المجاهدين العثمانيين فى حروبهم مع الدول الأوروبية (١) .

وفاة الامام محمد بن الحسن الشيبانى :

فى سنة ١٨٩ هجريه خرج الخليفة هارون الرشيد الى الرى واصطحب معه الامام محمد ابن الحسن الشيبانى والكسائى امام اللغة فماتا فى يوم واحد فحزن الرشيد عليهما وكان يقول دفنت الفقه والعربية بالرى (٢) .

ويبدو أن الرشيد يقصد بقوله هذا مايشير اليه الحديث الذى رواه ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ اذ يقول: (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء (٣)

الامام محمد بن الحسن كان أسبق من فقهاء النهضة الأوروبية بهذا التأليف

يعتبر الامام محمد بن الحسن الشيبانى بتأليفه كتاب « السير الكبير » أسبق من غروسيوس الهولاندى Grotius الذى عاش فى القرن السابع عشر ويسمونه هناك أبا القانون الدولى لأنه بحث فى بعض الأمور الخاصة بذلك القانون بل وسبق من سبق غروسيوس أو عاصروه مثل فاسكوز Vosguez وسيوارز Suorez ، وفيتوريا Vitoria من الفقهاء النصارى (٤) .

مكانة الامام محمد بن الحسن الدولية فى زماننا المعاصر .

يكفى للتدليل على المكانة السامية لذلك العلامة الاسلامى الكبير بين فقهاء القانون الدولى أن علماء هذا الفن والمشتغلين به فى مختلف بلاد العالم فى زماننا المعاصر احتفوا به وعملوا على تخليد ذكراه : ــ كل على طريقته .

١ ــ ففى فرنسا

أنشأ الفقهاء هناك سنة ١٩٣٢ جمعية الشيبانى للقانون الدولى .

(١) المرجع السابق .

(٢) كتاب « وفيات الاعيان » لابى العباس شمس الدين بن خلكان ــ الجزء الثالث .

(٣) أخرجه الشيخان والترمذى كما ذكره العلامة المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن البديع الشيبانى فى كتاب تيسير الوصول الى جامع الاصول ــ الجزء الثالث .

(٤) شرح كتاب « السير الكبير » لمحمد بن الحسن الشيبانى املاء السرخسى ، الجزء الاول .

٢ ـ وفى المـــانيا

أسس فقهاؤها فى غوتنجن جمعية الشيبانى للحقوق الدولية وضمت هذه الجمعية علمـاء القانون الدولى والمشتغلين به فى مختلف أنحاء العالم وانتخب لرئاستها بوقته الفقيه المصرى الكبير المرحوم الدكتور عبد الحميد باشا بدوى والذى كان عضوا بمحكمة العدل الدولية ، كما أنتخب الدكتور صلاح الدين المنجـد محقق الكتاب المشار اليه نائبا للرئيس وتهدف هذه الجمعية الى التعـريف بالامـام محمـد بن الحسن الشيبانى واظهار آرائه ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولى الاسلامى .

٣ ـ وفى النمسا

لم يتردد المؤرخ النمسوى ذائع الصـيت (هامرفون برجستال) أن يلقب ذلك الفقيـه الاسلامى باسم **(هوجو جروتيوس المسلمين)**

٤ ـ وفى الامم المتحدة

أدركت الامم المتحدة أخيرا قيمة ماكتبـه وأبدعه هذا العالم الاسلامى الكبير فى فقـه القانون الدولى فقامت بترجمته منظمـــة اليونسكو الى اللغة الفرنسية ، وبهذا يمكـن القول بأن كتاب السير الكبير أصبح كتابـــا عالميا وأنه نبه فقهاء العالم الى فضل الفقهـاء المسلمين فى مجال الكتابة فى العلاقات الدولية وسبقهم فى هـذا الميـدان منـذ مئـــات السنين (١) .

محمد عزت الطهطاوى

---

(١) مجلة منار الاسلام ربيع الاول سنـــة ١٤٠٥ هـ ديسمبر سنة ١٩٨٤ بحث المســلمون والقانون الدولى للدكتور محمد الدسوقى .

٤

الاسلام وحقوق المرأة

دكتور عبد الله مبروك النجار

.. توقفنا فى المقال السابق ، عند بيان مدى حرص الشريعة الاسلامية الغراء على حقوق المرأة ، وان ما كفلته لها من مبادىء ـ تحفظ كيانها ، وترشد مسيرتها فى الحياة نحو الافضل دائما ـ لم يصل الى مثلها أى فكر وضعى ينشد تحقيق ذلك الهدف الجليل .

ومازالت الحقوق التى قررها الاسلام للمرأة متفردة فى سمو مرماها ، ومتفوقة فى بعد نظرتها ، حيث لا يقتصر الأمر فيها على حفظ حقوقها من الضياع ، وانما تمتد آثارها لتشمل كل جوانب حياتها ، فتضفى عليها جوا من الهيبة والجمال ، وتعصم وجودها مما قد يشوبه من تمزق واضمحلال ، كما تصوغ نشاطها مع الرجل فى اطار من العفة والجلال.

وتلك المقاصد السامية تمثل أمنية من أغلى أمنيات الانسانية الراقية ، التى تحلم بالوصول اليها ، والفوز حتى ولو ببعض ثمارها .

وقد كفلتها شريعة الله للمجتمعات الانسانية عامة ، وللمرأة خاصة .

.. ويبدو أن خصوم الاسلام قد عز عليهم أن يكون انصاف المرأة على يديه ، وحفظ كيانها من المبادىء التى صاغها تشريعه ، ونطقت به أحكامه ، فراحوا يتبارون فى التطاول عليه ، والتماس الحيل للنيل منه ، ولا مانع عندهم وهم يستهدفون ذلك المرمى الخبيث أن يحيدوا عن الحق فى ادراك حكمته ، ويبتعدوا عن الصواب فى الوقوف على مرماه ، ليجىء فهمهم لحقائقه ملتويا ، وادراكهم لجانب الخير فيه منعدما ، ومن

ثم أخذوا فى تزييف الحقائق أمام المرأة ، ليباعدوا بينها وبين أحكام الاسلام التى حققت لها كل ذلك الخير ، ويمنعوها من التمسك به ، والاعتصام بحبله المتين ، على نحو ما رأينا فيما زعموه حول موقف الشريعة من تعدد الزوجات ، وما تقولوا به على الاسلام فى مشروعية الطلاق .

حيث ارتفعت أصواتهم بالصراخ زاعمين أن الاسلام ينال من الحقوق التى قررها للمرأة ، من خلال فهمهم الخبيث لأحكامه ، كأنهم يريدون أن يفهموها أنه يعطيها بيد ، ويأخذ منها بالأخرى ، مع أن كل ما جاء فى نقدهم للاسلام لا يقوى على حجب النور الذى يشع من أحكامه بالخير والرحمة والحكمة والحق والسعادة للمرأة ، بل وللمجتمع الانسانى كله .

•• وقد جاء تشريع الطلاق فى الاسلام لا ليكون وسيلة لهدم بيتها ، وتدمير حياتها ، فما لبيت شبت فيه نيران الحقد ، وعصفت به رياح الكراهية من وجود يخشى عليه ، وما لحياة دبت فى أوصالها عوامل الوهن ، وضاع منها الأمل مع شخص مقيت من قيمة يحرص عليها .

وفى مثل هذا الوضع يكون وجوده فى حياة الأسرة أمرا لابد منه ، ووسيلة لا مندوحة عنها ، فى تصحيح تلك العلاقات التى باتت تؤرق وجود الزوجين ،وتحول بينهما وبين حياة هانئة هادئة ترفرف عليها أعلام السعادة ، ويحفظ للمرأة حقها ، حتى لا يقدم عليه الرجل لمجرد أسباب واهية أو تصورات شخصية خاطئة ، ويكون قرار اتخاذه قد توفر له الجو الذى يمنع وجود التهور فيه والتسرع فى اصداره ، وفى ذلك مالا يخفى من المصلحة للمرأة وللمجتمع معا .

•• وقد جاء الاسلام ليشرع للدين والدنيا ، وكان طبيعيا وأمره كذلك أن ينظر الى طبائع الرجال والنساء ، ويتجنب التشديد الذى لا يجدى شيئا فى المحافظة على قداسة الزواج ، ولكنه يلجىء الزوجين الى الحيلة للتخلص منه ، فيسمح بالطلاق ، ليكون فى الاطار الذى رسمه له الشارع ، قسوة مكروهة ، تدفع هذه القسوة بما يستطاع من عمل الزوج والزوجة وعمل الأسرة والقادرين فى هذا الامر على الاصلاح والهداية ، فاذا ما كان وجوده لازما بعد استنفاد الوسائل المستطاعة ، فما من حل آخر يغنى عنه ، وما من تحريم له الا وهو أشد قسوة ، وأقل نفعا من التحليل (١) .

•• والحق سبحانه حين أباح الطلاق . لم يشأ أن يترك الاباحة على الاطلاق ، بل قيدها بعدد من الضمانات التى تقلل وقوعه ، كما أحاطه بمجموعة من الاحكام التى تهذب آثاره ، وتجعل وجوده عند الضرورة خطوة نحو مصلحة الأسرة والمجتمع .

(١) راجع فى هذا المعنى : عباس محمود العقاد « المرأة فى القرآن » ص٩٦ ــ دار نهضة مصر ــ بالفجالة .

وقد جاءت تلك الضمانات تقنينا منظما للحديث الشريف الذى يدل على أن الطلاق أبغض الحلال الى الله ، وهذه الضمانات يمكن ارجاعها على نحو ما استبان لنا الى حالتين :

أولاهما : قبل وقوع الطلاق .

وثانيهما : حال وقوعه ، وقد تكلمنا أولا : عن الضمانات التى تسبق الطلاق ، حفظا لحقوق المرأة ، وصيانة لكرامتها من خلاله ، وهى تبرز من خلال المبادىء الشرعية ، التى تأمر بحسن عشرة المرأة ، والصبر عليها ، وتضع الاسس القويمة لحل المشاكل التى تعترض حياة الزوجين وقد تؤدى بهما الى الطلاق ، وتلقى بأعباء المسئولية فى علاج تلك المشاكل على الزوج والزوجة معا ، ثم على أقاربهما الذين يسعدون بسعادتهما ، وتلفح وجوههم نار الخلاف بينهما ، وهم أشد الناس حرصا على حفظ ما قد يكون فى أسباب الشقاق من شئون يجب أن تكتم ، وسر ينبغى أن يخفى ، حتى لا تشيع أسرارهما بين الناس ، فتضيع كرامتهما ، ويهتز وجودهما ، كما أن الاصلاح بين الزوجين قد يكون واجبا على جماعة المسلمين التى تعمل فى سبيل الخير والاصلاح بين الناس (١) ، وفى هذا المقال نثنى ببيان الضمانات التى تصاحب وقوع الطلاق بشىء من التفصيل الذى يرد عن شريعة الله ما أثير من مزاعم حول اباحته وذلك على النحو التالى :

ثانيا ــ الضمانات التى تصاحب الطلاق :

.. ولا يقتصر الامر فى الاسلام على تلك الضمانات التى تسبق وقوع الطلاق ، وتستهدف التقليل من وقوعه ، حفاظا على الأسرة ورعاية لجانب الأبناء ، ولكنه يتعداها الى عدد آخر من الضمانات التى تصاحب وقوعه ، فتهدىء من حدته وتخفف من آثاره . وترشد مسيرته فى حياة الأسرة على النحو الذى يتوخى صالح كل فرد فيها ، حتى لا يضيع حق أو تهدر كرامة ، ومن الأمور التى توصل الى تلك الغاية ، ان الشارع قد جعل الطلاق بيد الرجل ، كما جعله متعددا لتسنى المراجعة ، وطالب أن يتم فى طهر لم يجامعها فيه ، ثم فى النهاية وعندما يقع ، فانه تترتب عليه حقوق متعددة للمرأة تمثل التزامات مالية على الرجل يلتزم بها للمرأة دون مقابل لها فى ذمتها ، وينبغى بيان ذلك بشىء من التفصيل :

١ ــ جعل الشارع الطلاق بيد الرجل :

.. وتمشيا مع منهج الاسلام فى التقليل من وقوع الطلاق والتخفيف من آثاره ، فقد جعل الشارع الطلاق بيد الرجل فى الأصل ، مراعاة منه سبحانه لجانب المصلحة،لأن المرأة فى الغالب بحسب الفطرة عاطفية ، سريعة التأثر

◄

(١) راجع فى بيان الضمانات التى تسبق الطلاق : الحلقة الثالثة من هذا الموضوع ــ بمجلة الازهر عدد شعبان ــ ١٤٠٥ هـ .

والانفعال فاقتضت الحكمة أن لا تتفرد هى بأمر الطلاق وجعله بيد الرجل لأنه فى الغالب أقدر على ضبط النفس ، كما أن الطلاق تترتب عليه آثار ، منها المادى الذى يلتزم به الرجل نفسه ، من وجوب مؤخر الصداق ، ونفقة العدة ونفقة الأولاد الصغار ، وأجور حضانتهم وخدمتهم ان كان له أولاد منها فى سن الحضانة ، فوق ما يبذله من مال لزواج جديد لا تدرى نتيجته ، وفضلا عن الآثار الأخرى التى تترتب عليه من هدم بيت الزوجية الذى هو عماده ، وبعد أولاده عنه ان كانوا فى سن حضانة النساء ، ان هذه الآثار العاجلة يضعها الرجل غالبا نصب عينيه عند وجود النزاع مما يدفعه الى معالجة الامر بالحكمة والعمل على تهدئة الموقف دون وصول الى طلاق (١) .

•• وحتى لا يتقول خصوم الاسلام عليه بأنه قد جعل العصمة بيد الرجل ليسىء استعمالها ضد المرأة ، ويستبد بتحديد مستقبلها ، فان المشرع الاسلامى وان جعل الطلاق حقا للرجل يملك ان ينفرد به ، فانه لم يحرم المرأة من هذا الحق ، فأجاز لها أن تشترط لنفسها عند العقد أن يكون لها حق طلاقها منه ، كما جعل لها حق طلب التطليق منه بناء على رغبتها هى ، وسواء رضى بذلك أم لم يرض لأسباب كثيرة مختلفة كتضررها لايذائه لها ، أو هجره اياها ، (٢) على نحو ما هو وارد فى كتب الفروع .

٢ ــ تعدد الطلاق لتتسنى المراجعة :

•• ولما كان وقوع الطلاق غالبا ما يأتى بعد انفعال وعدم تريث ، ثم لا يلبث الزوجان أن يفيقا ، ويشعر المخطىء منهما بخطئه ويعلن عن رغبته فى استئناف الحياة الزوجية مع صاحبه على أساس سليم ، بعد أن مرا بهذه التجربة وتعرفا أسباب الشقاق بينهما ، فشرع الشارع فرصة اعادة الحياة الزوجية بينهما مرة ومرة فى فترة العدة مراعاة لذلك ، اما بعد الطلقة الثالثة فانها تكون دليلا على ان كلا منهما لا يصلح للآخر ، ومن الخير لكل منهما أن يختار طريقا آخر فى الحياة ، فقد تكون فيه السعادة .

•• وبهذا يكون الشارع قد أعطى للزوج فرصتين للمراجعة ، وفى ثبوت التحريم بينهما بالطلقة الثالثة ما يجعل الزوجين يحرصان كل الحرص على البعد عن أسباب الشقاق المؤدى الى الطلاق فتهدأ الحياة بينهما ، ويستقر الأمر ، خاصة بعد أن مرا بتجربة الحياة فى ظل الطلاق مرتين ، وهذب ذلك من نفسيهما ومن لا تفلح معهم هذه التجارب ، ولا تجعل

(١) دكتور محمد سلام مدكور ــ « الوجيز فى احكام الاسرة فى الاسلام » ص ٢١٨ ــ دار النهضة العربية .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٩ .

الحياة بينهم سعيدة ، يكونون غير صالحين للمعاشرة على نحو ما ذكرنا (١).

٣ ـ وقوع الطلاق فى طهر دون جماع :

•• نظرا لأن فترة الطهر هى فترة كمال الرغبة فى المرأة والشوق اليها ، حيث لا يوجد ما ينفر منها ، ويجعل الرجل يعرض عنها ،الامر الذى يبرهن على ان الرجل ما أقدم على طلاق امرأته الا لحاجة شديدة الى الفرقة ، وفى ذلك ما يدل على قيام حالة خطيرة تستدعى الطلاق ، وفى هذا يقول الله تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** » (٢) ، ومن ثم رسم الاسلام أن يتم الطلاق فى طهر لم يجامعها فيه ، لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه طلق امرأته وهى حائض فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ـ فسأل عمر رسول الله فقال له :

« مره فليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهر ،ثم تحيض ثم تطهر ، ثم ان شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء • » (٣) •

•• فقد دل هذا الحديث على أنه اذا طلق فى غير طهر أو فى الطهر بعد المس ، يكون طلاقه بدعيا محرما ، وبذلك صرح الجمهور (٤) •

وقد أمر الشارع الزوج أن لا يخرج المرأة من بيتها قبل وفاء العدة ، ليكون فى وجودها ببيته ، وأما نظره ، وقربها من قلبه ، ما قد يدفعه لمراجعتها ، ومن يدرى ؟ • لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا •

٤ ـ حماية حقوق المرأة بعد الطلاق :

•• ومتى تم الفراق الذى لا حيلة فيه ، تكفلت الشريعة للزوجة المطلقة بكل ما يلزم الرجل من حقوقها ومصالحها ، ومن حقوق أبنائها المولودين له ، وألقت على كاهل الزوج أعباء ثقيلة ، ومن شأن اثبات تلك الحقوق للمرأة ، وتحمل الزوج لهذه الاعباء ، أن يتريث الزوج ويتدبر الأمر قبل وقوعه ، فقد قرر الشارع أنه اذا طلق زوجته فعليه أن يوفيها مهرها ، ويقوم بنفقتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن مادامت فى العدة ، هذا فضلا عن نفقة أولاده منها ، وأجور حضانتهم ورضاعتهم فى مرحلة الحضانة •

قال تعالى : « **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** » (٥) •

(١) نفس المرجع ـ ص ٢٢٠ ، والدكتور على عبد الواحد وافى ـ نفس المرجع ص ٨٨ •
(٢) سورة الطلاق ـ الآية الاولى •
(٣) « سبل السلام » للصنعانى ـ جـ ٣ ـ ص ١٦٩
(٤) المرجع والمكان السابقين •
(٥) سورة البقرة ـ آية ٢٣٣ •

وعلى هذا النحو يحرص الاسلام على حقوق المرأة وكرامتها ، فى الوقت الذى ينظم فيه الطلاق ويحد من الدائرة التى يقع فيها ، ولم تخل آية عرضت للطلاق من توكيد الامر بالمعروف ، والنهى عن الاساءة والايذاء ، والحث على مغالبة الشح والتقتير وهى الحيطة التى لا مقترح وراءها على الشريعة وأحكامها •

وانما يكون الاقتراح على أخلاق الناس وعواطفهم وأدائهم ، وليست هى مما تتولاه الشريعة بقوة الأحكام •

ومن الحسن أن يفرض على الناس طلب الكمال ، ولكنه الامل المنظور غير الواقع ، وغير مافى الامكان بين مختلف الامم والعصور ، والشريعة الاسلامية لا تصد الناس عن المثل الأعلى من الكمال المقدور لبنى آدم وحواء ، ولكنهم — الى أن يدركوا شأوهم من كمالهم — لا ينبغى أن يجنى أحدهم على غيره بجريرة تقصيره ، بل جريرة التقصير الملازم لبنى الناس أجمعين (١) •

حكمة التشريع وموقف خصومه :

•• ذلك هو منهج الاسلام فى تلك القضية الانسانيه الخطيرة ، تشريع ينطق بالحق ، ويتواءم مع الحكمة ، ويتفق مع المصلحة المنشودة لكل من الرجل والمرأة فى كل زمان ومكان ، دون تجاهل لما فطرت عليه النفوس البشرية ودون اهمال لما يحفظ حقوق المرأة والأولاد والأسرة ، ومن ثم جاء كاملا متكاملا •

وكانت محاولة النيل منه واهية ، بل ان هؤلاء الذين أمعنوا فى الهجوم عليه ، وتفننوا فى التطاول على أحكامه ، لم يقدروا على تجاهل ما وضعه الاسلام من حلول فى هذا الصدد ، ولم يستطيعوا ان يوطنوا انفسهم على ما يخالف منهجه فى تلك المسألة ، رغم ما ينطوى عليه ذلك التصرف منهم من خروج صارخ على الاحكام التى يدينون لها ، ومخالفة لنصوص الكتب التى يؤمنون بها •

واذا أردنا ان نضرب مثلا على ذلك ، لوجدنا أن المسيحية على اختلاف مذاهبها تحرم الطلاق ، فالمذهب الكاثوليكى يحرم الطلاق تحريما باتا ، ولا يبيح فصم الزواج لأى سبب مهما عظم شأنه ، حتى ولو وصل الامر الى حد الخيانة الزوجية فانها لا تعتبر سببا للطلاق •

وكل ما تؤدى اليه هو التفرقة الجسمية بين شخص الزوجين مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية ، وذلك أخذا من النص الوارد فى الانجيل على لسان المسيح حيث يقول : « من بدء الخليقة ذكرا وأنثى

(١) عباس محمود العقاد — المرجع السابق — ص ٩٩ ومابعدها .

خلقهما الله من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان » (١) ٠

وأما المذهبان الآخران الارثوذكسى والبروتستانتى ، فانهما يحرمان الطلاق بحسب الاصل ولكنهما يبيحانه فى حالات محددة أهمها الخيانة الزوجية ، ثم يحرمان على الرجل والمرأة كليهما أن يتزوجا بعد ذلك ، اعتمادا على ما ورد فى انجيل متى على لسان المسيح اذ يقول : « ومن طلق امرأته الا بسبب الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة يزنى » (٢) ٠

ثم كانت النتيجة أن وقع الناس فى حرج عظيم ، ومشقة لا قبل للنفس البشرية بها ، فراحوا يتلمسون الحيل لمخالفة تلك الأحكام والوصول الى ما ينشدونه ، واتخذت هذه الحيل أشكالا تكشف عن تمرد الناس على العنت الكامن بين طيات تلك النصوص المجافية لواقع الحياة ٠

وكان الامر كما يقول العقاد : « أن تحول كثير من المسيحيين فى القارتين الاوربية والامريكية الى نظام قانونى يجيز ثلاثة أحوال فى حكم الطلاق ، وهى الغاء عقد الزواج ، والتفرقة بين الزوجين والفصل بينهما مع بقاء الصفة الشرعية للزواج باتفاق الرجل مع المرأة » (٣) ، كما أكثرت بعض الولايات مع ايقاع الطلاق للزنى ، فوسعت من مفهومه ، وتساهلت فى اثباته ، فلا يلزم تقديم الشهود على وقوعه أمام أعينهم ، بل يكفى اثبات السلوك الذى يترجح معه وجوده ٠

وقد يضطر الزوج الى الاعتراف بالتهمة ليحصل على حكم الطلاق ، وفقا لما يعرف بقضايا التواطؤ أو التراضى (٤) ، وكثيرا ما تصل الحيلة الى حد الخروج من الديانة كلية للوصول الى هذا الحكم ٠ ولعل فى اضطراد سلوك الناس على هذا المنوال ما يشهد للتشريع الاسلامى بالسمو والرحمة، ويكشف عن صلاحيته لحكم تصرفات الناس أجمعين فى كل زمان ومكان ٠

ولقد شهد للاسلام بالفضل والحكمة فى هذا المنهج العظيم كثير ممن لا يؤمنون به ، كالمفكر الانجليزى « جون ملتون » ، الذى ألف كتابا أعلن فى مقدمته أن العاطفة الانسانية نحو الرجل من المرأة ، ونحو المرأة من الرجل، من الامور المشروعة التى وضعها الله فى

◄

---

(١) راجع كتاب العهد الجديد — انجيل مرقس — الاصحاح العاشر — الفقرات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ — ص ٩٦ — نشر جمعيات الكتاب المقدس فى الشرق الادنى سنة ١٩٧٤ م ٠

(٢) المرجع السابق — انجيل متى — الاصحاح الخامس — فقرة ٣٢ — ص ١١ ٠

(٣) عباس محمود العقاد — المرجع السابق — ص ٩٣ ٠

(٤) راجع فى هذا المعنى : عباس العقاد — نفس المرجع — ص ٩٤ ٠

التركيب الانسانى ، واذا لم تنطو هذه العاطفة المشروعة على خطأ ، فالزواج أمر سعيد ، لأنه حينئذ التقاء موفق لعاطفتين متجانستين ، فاذا وقع خطأ ما فى اتجاه هاتين العاطفتين بأن كان الزواج مجرد متعة جسدية، أو دافعا لحرص مادى ، أو وجاهة مظهرية ، فان علائقه ستقطع فى القلبين ، ليحل محلها سور حديدى غليظ تفرضه الكنيسة اجباريا دون مبرر .

وقد يخدع الانسان فيمن يتخذها زوجة ، كما قد تخدع المرأة فيمن ترحب به زوجا لها . ثم تكشف الايام عن اختلاف المشاعر وتنابذ الأهواء ، فماذا يكون الحل ازاء ذلك كله ؟ . لا شىء غير الطلاق ، لأن الحل بدونه جحيم لا يطاق (١) .

.. هذا ما افتتح به « ملتون » كتابه الذى سماه « قانون الطلاق ونظامه » والذى يقول فى طبعته الثانية : « كيف يتسنى الاختلاط الجسدى الوثيق بين زوجين يكره أحدهما الآخر كرها شديدا ، ويود أن يعتزله أبد الدهر ؟ . وهل فتح الله باب الزواج ليغلقه من ورائنا نهائيا كما يغلق باب المقبرة على الميت الدفين ؟ .

وهل يأمن عاقل أن يزل فى الخطيئة حين يجد متنفسا آخر مع خليلة تشاركه العاطفة عن محبة وانجذاب .

وقد تكون هذه الخليلة زوجة بغيضة لقرين تعيس يكن لها ما تكن من العداوة والشحناء ؟ .

وما صورة مجتمع تتعدد فيه هذه الفظائع الدامية ، دون أن يستطيع رجاله حلا لما يوثق أعناقهم من الاغلال ، ولو فعلوا ذلك لانقذوا الآلاف المؤلفة من الازواج .

ولساعدوا على طهارة النسل ، ورفعوا كثيرا من قذارات المضاجع ، حين يبتعدون بنفر من الاشقياء عن مهاوى الاباحية البائسة » (٢) ، ولعل فى هذا القدر من البيان ما يكشف عن سمو التشريع الاسلامى ، ويدفع عنه ما يريد به خصومه أن ينالوا منه ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

د. عبد الله مبروك النجار

(١) راجع : مقال الدكتور محمد رجب البيومى — مبدأ اسلامى يدعو اليه شاعر انجليزى — المنشور بمجلة الازهر — عدد رجب سنة ١٤٠٥ هـ — ص ١١٤٠ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق — ص ١١٤١ ، وقد صدر فى ايطاليا وهى معقل الكاثوليكية ومقر البابوية فى اول ديسمبر ١٩٧٠ قانون باباحة الطلاق — دكتور على عبد الواحد — المرجع السابق ص ١٠٦ وهامش ١٠٨ ص ١٠٧ .

زرين تاج

فينوس

Venus

البابيين والبهائيين

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

امرأة (١) فتية من « قزوين » بايران كانت تعد من أقوى دعائم البابية ، وأجل زعمائها قدرا بعد « الباب » ميرزا على محمد ابن ميرزا رضا البزاز الشيرازى مؤسس هذه الدعوة ، والقائل بنسخ القرآن واحكامه ، وأنه « المهدى المنتظر » القائم من آل محمد ـ ﷺ .

ويقال أنها كانت تسمى « أم سلمة » ، والصحيح أن اسمها « زرين (١) تاج » ومعناه بالعربية : « ذات التاج الذهبى » .

---

(١) اعتمدنا فى هذا البحث على المصادر التالية :

(أ ، ب) تاريخ ومبادىء البهائية من محادثات عبد البهاء فى لندن وباريس وأمريكا ، ويقع فى جزأين ، مترجم عن الانجليزية رمز مترجمه لنفسه بالحرفين (ع ، ج) ، وطبعتهما مطبعة رعمسيس بالفجالة ، ولم تذكر سنة الطبع ، لكن يقول مترجمه ص ٦ من الجزء الثانى : « وكان دولة البرنس محمد على فى أمريكا اذ ذاك » والامير المشار اليه هو ولى عهد الملك فاروق فيما بعد . ولعل العبارة تقرب تاريخ الطبع ، والكاتب بهائى متعصب ، أثار فى الجزء الاول ثمانية مبادىء للبهائية ، وذكر فى الثانى شيئا من تاريخها وتاريخ قرة العين فينوس البهائية والبابية .

(ج) « مفتاح باب الابواب » لمؤلفه د. ميرزا محمد مهدى خان ، والكاتب يكاد يعاصر الاحداث الاولى للباب واشترك والده وجده لوالده فى محاكمة الباب ، ود. ميرزا محمد هذا هو الذى زود الامام محمد عبده بالكثير من وثائق البابية ، ومُؤَلَّفُهُ هذا مختصر لمؤلف أكبر منه هو « باب الابواب » ويعتبر هذا المصدر مرجعا فذا فى هذا الموضوع اعتمده معظم الكتاب عن تاريخ البابية داخل ايران ـ طبعة أولى مطبعة مجلة المنار سنة ١٣٢١ هجرية .

(د) « الحراب فى صدر البهاء والباب لمؤلفه الاستاذ محمد فاضل ، وهو معاصر للمؤلف السابق ، ويعتمد عليه فى بعض فصوله ، ويمتاز ببيان مناحى الشطط والخروج فى هذه العقيدة الفاسدة عن طريق بيان أصل العقيدة الاسلامية كتابا وسنة ، والطبعة الاولى من هذا الكتاب هى التى اعتمدنا عليها ـ طبع دار التقدم بمصر عام ١٣٢٩ .

رزين تاج ڤينوس

وكان البابيون أول الأمر يلقبونها « ببدر الدجى وشمس الضحى » ، ثم بعد ذلك لقبها « الباب » (بقرة العين) فعلق بها هذا اللقب

وتتفق المراجع على أنها كانت ذات حسن باهر ، وجمال ساحر ، طلقة اللسان ، وضيحة البيان ، شاعرة ، وخطيبة ، ومحدثة ، حافظة للقرآن ، عالمة بالتفسير والتأويل عارفة بأسرار التنزيل ، فانها كانت من أسرة اشتهرت بالعلم والتقوى : أبوها « الملاصالح القزوينى ، كان من أجل فقهاء عصره فى ايران وعمها « الملا محمد تقى » الملقب (بالشهيد) كان مجتهدا وعلما فى الاصول والفقه والالهيات ،ويعتقد أهل قزوين فيه الولاية ، ويتحدثون بكراماته أما زوجها فهو ابن ذاك العم وكان بدوره معدودا من زمرة الادباء والفضلاء والفقهاء .

وكان الأحرى بها وقد اجتمعت فيها صفات الجمال والكمال ، أن تركن الى علمها وتعمل به الا آن طبيعتها الملتوية ونزوعها الشرير شاءا لها أن تتأثر بما سمعت من أخبار الباب ، وبما قرأته من أقواله ،فمالت اليه بكل جوارحها ، وكانت تكاتبه ويكاتبها ، فلما أمرها بتبليغ دعوته ، هبت لذلك ساعية مهتمة ، تعقد الندوات ، وتخطب الناس فى الخلوات ، وتناظر العلماء وتمهد الطرق لاظهار أمر (الباب).

« ولما كانت تنادى بوجوب رفع الحجاب ، وترى تزويج تسعة رجال من امرأة واحدة من وسائل الاستحباب ، غضب منها الأهل ، وذوو العلم والفضل ، وكلما بذلوا النصح لها ازدادت صلفا واصرارا على السير فى غيها يغريها بذلك التفاف عدد غير قليل من الناس حولها كان يجذبهم اليها حسن عارضتها ، وقوة معارضتها .

فلما زاد الاقبال عليها ورأت الاذعان لأقوالها أتت بما تمجه النفوس ، فخرجت على عصمة بعلها بغير فسخ عقد ولا طلاق ، وحكمت بوجوب قتل الزوج والأب والعم والفقهاء والعلماء الذين يردون أقوالها ، ويستنكرون أفعالها حتى يخلو لها الجو من المعارضين وتخلص طريق دعوتها من العقبات ».

وهام مريدوها بتنفيذ الامر ، فتمكنوا من عمها وبعض الفقهاء والمصلين وقت صلاة الفجر فقتلوهم ونجا الزوج والأب .

ازاء ذلك لم ير المسلمون بدا من القضاء عليها والخلاص منها فجدوا فى طلبها الا أنها استطاعت الهرب بأن سلكت السبل المتروكة ، والطرق غير المسلوكة ، واتجهت واتباعها الى « حراسان » وعند قرية « بدشت » التقت « بالملا محمد على البار فروش » وكتيبة من (البابيين) كانوا قادمين من « خراسان » فألقيا عصا ترحالهما فى تلك القرية وبقيا بها أياما تكررت فيها خلوتها بالبار فروش المشار اليه ، ويتدبران امرهما فى نصرة « الباب » بعد أن قررت الحكومة نقله من « أصفهان » الى أحد القلاع الحصينة بأذربيجان المسماة

---

(١) الحراب ص ١٩٢ .

« قلعة جهريق » حتى تمنع الاتصال بـه ، وتقطع عليه سبل الهرب .

وانتهت مداولتهما الى اتفاق « قـرة العين » فى الناس لضم أتباع يمكن بواسطتهم الضغط على الحكومة والتأثير فى قرارها وكان أن أرسلا مناديا ينادى : أن هلموا أيها الناس الى رسول المهدى المنتظر . فتدافعت الحشود الى المجمع الكبير الذى أعدوه لهذا الغرض ومن فوق المنبر المهيب الذى يتوسطه وقفت قرة العين سافرة لتقول للناس :

« أيها » الأحباب (تقصد البابيين) والأغيار (تقصد غير المؤمنين بالبابية) اسمعوا وعـوا ان أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت بظهور « الباب » وان أحكام الشريعة الجديدة لـم تصل الينا بعد ، فكل عمل الآن بما جاء بـه محمد هو لغو باطل لايأتيه الا غر جاهل . ان الباب سيفتح البلاد ويوحد الأديان ، فـلا يبقى الا دينه القويم ، وصراطـه المستقيم ، وشرعه الذى لم يبلغنا منه الا النذر اليسير ، فلا أمـر اليـوم ولا تكليف ، ولا نهى ولا تصنيف ، فنحن الآن فى زمن الفترة ،فاخرجوا من الوحدة الى الكثرة .

ومزقوا هذا الحجاب الـذى بينكم وبين النساء ، وأخرجوهن من الخلوة الى الجلـوة وواصلوهن بعد تلك الجفـوة ، فمـاهن الا رياحين خلقن للشم ، وتصاوير جعلـن للثم والضم ، ولابد من قطف الريحانة وشمها ، ولثم صورة الحبيب وضمها ، دون أن يحدد عدد الشامّ ، أو يكيف كم اللاثم والضـامّ ، فالريحانة تجنى وتقطف ، وصـورة الحبيب تهدى وتتحف (١) .

أما المال فمشاع غير مقسوم ، جعل للناس سواء بسواء فساووا فى ذلك بـين فقيركم وغنيكم ، ولا ترددوا من يطلب التمتع بحلائلكم أو بناتكم فلا حد اليوم ولا زجـر ، وخذوا حظكم من هذه الحيـاة ، فـلا شىء بعـد الممات »(٢) .

ولما كانت قد نطقت فحشا ، وقالت نكرا ، سخط عليها المسلمون وانفضوا مـن حولها ، بينما البابيون يمسحون وجـوههم بأذيالها ، ويقبلون بأفواههم أرجلها ومواطىء أقدامها .

فلما رأت اعراض الناس عنها قررت مغادرة هذه القرية الى « مازندران » لأنها معقـل « للشيخية » من الشيعة ومذهبهم قريب مما تنادى به وسارت فى صحبة (البار فروش) وفى هودج واحد معه ، فلما وصلا الى قريـة قرية من أعمالها بالقرب مـن «هزارجريبه» وحطوا فيها رحالهم ، اذا بأهل القرية وقـد سمعوا بماهم عليه ، يقومون عليهم قومة رجل واحد ، يعملون فيهم سـيوفهم ، ويسلبونهم

---

(١) أنظر لـ : محمد فاضل ـ الحـراب فى صدر البهاء والباب ص ١٩٤ مطبعة التقـدم ١٩٢٩ هـ ـ ١٩١١ م ـ والمفتاح ص (١٨٠) وعزا د. ميرزا محمد مهدى هذا النص الى كتـاب « ناسخ التواريخ » أنظر ص ١٧٩ .

(٢) يلاحظ أن هذا النص الاباحى تلاعبت به نصوص البهائية لكنها لم تستطـع أن تخفى معناه فقد جاء فى « تاريخ بهاء الله » اشـارة صريحة الى هذه الخطبة ص ٢١ قال : « ثم بعد ذلك صاحت قرة العين وخلعت برقعها وقالت : إن الصور الذى تنتظرونه فى اليوم الاخير هو أنا ، والصافور الذى تسمعونه هو أنا ، أنفخ الان فى الصور ، فالعوائد القديمة قد مضـت وانتهت ... الخ .

زرين تاج فينوس

أموالهم وأمتعتهم ولم يتركوهم الا حفاة عراة فاستبد بهم الذعر وتشتتت جمعهم فولى البار فروش هاربا الى بلدته « بار فروش » بينما واصلت « قرة العين » مسيرتها الى « مازندران » تنتقل من قرية الى أخرى ، تبشر الناس بظهور المهدى وتستقطب المزيد من الأتباع ، فقويت عصبيتها ، وصار لها جيش من عوام الناس شديد البأس ، مرهوب الجانب ، عاثت به فى الارض فسادا ، وملأت به قلوب الناس رعبا .

وقد ساعدها على ذلك اختلال نظام الملك بسبب ثورة الأفغان للخروج من سيطرة الدولة الفارسية ، ومرض « الشاه » ، وعدم انقياد الوزراء لمن ولاه ادارة المملكة وانقسامهم الى حزبين : أحدهما يعمل لحساب الانجليز والآخر لحساب الروس ، كما أن البابيين أشعلوا الثورات فى أماكن عدة فى وقت واحد ليزيدوا من ارباك الحكومة ، وزعزعة أركان السلطنة ، وضياع رونقها الاسلامى .

غير أن الامور لم تستمر على هذه الحال طويلا ، اذ توفى « الشاه » وخلفه أكبر أبنائه « ناصر الدين شاه » فأخذ على عاتقه قطع دابر البابيين واستئصال شأفتهم لكى يعود النظام ويستتب الأمن وتستقر الامور فى المملكة .

ولكى يثبت لقواده اصراره على هذا الامر وعدم السماح بأى تهاون فيه قدم بعضهم ممن تربطه بهم صلة القرابة الشديدة الى المحاكمة فى « ديوان الحرب » لتخاذلهم أمام « الملاحسين الخراسانى » الملقب بـ « باب الباب » .

فكان أن عادت الحمية الى القواد ، ودبت الغيرة فى الجنود فأخذ الجميع على أنفسهم ألا يسمعوه الا الفوز والنصر ، وقد تحقق له ذلك فبعد عدة مقاومات شديدة ، بدأت رءوسهم تتساقط فقتل « الخراسانى » فى احدى غاراته على معسكر للحكومة ، واستسلم « البار فروش » فأرسل الى علماء بلده ليروا ما يتخذ فى شأنه فأفتوا بقتله ومن معه من المتشبسين بدينهم الجديد ، فأنقذ فيهم الحكم طلبة العلم ، كما هلك « الزنجانى » فطرح رفاته للضوارى والكواسر ، ونفذ الاعدام رميا بالرصاص فى « الباب » وواحد من أتباعه باحدى الثكنات العسكرية الموجودة « بأذربيجان » .

أما قرة العين « فما أن ظهر البهاء » بعد مقتل « الباب » حتى أسرعت فتتلمذت عليه وتنتقل الى مضارب خيامه التى نصبها وأتباعه فى ميدان خارج طهران ولما كانت الأوضاع قد هدأت وكان « البهاء » قد خدع أولى الامر بالغاء بعض ما سمى بـ « شرائع الباب » لم تتعرض لهم الحكومة فى بادىء أمرهم ولكنها فى نفس الوقت لم تكن تغفل عن مراقبة تحركاتهم وأفعالهم غير انه حدث أن ادعى البهاء المرض ونقل خيمته الى الساحل وطلب من « قرة العين » الحضور اليه فلما وصلت خيمته أمرها أن تخطب فى الناس فقالت : « أنا الصور الذى تنتظرونه ، وأنا الصافور الذى تسمعون ، لقد مضت العوائد القديمة (١) وانتهت وظهر الحق ، ثم أمرتهم

---

(١) أى أحكام الشريعة الاسلامية .

أن يقرأوا سورة القيامة مـن القـرآن (١) .

بعدها قام « البهاء » ينصح الناس بالوفاء له والاستعداد للتضحية من أجله واذا بالبلد يعود الى حالة الثورة مرة أخرى وتحدث المذابح فنصح العلماء الحكومة بأن تقبض على « البهاء » و « قرة العين » وانصاعت الحكومة لرأيهم فوضع « البهاء » فى سجن بطهران وحبست « قرة العين » فى منزل والى المدينة . الا أنها انتهزت حفل عرس أقيم فى البيت فحولته الى مجلس للدعوة لمبادئها وأفكارها فأمر « الشاه » بقتلها .

وقد اختلفت الروايات فى الأسلوب الذى تم بـه تنفيذ حكم الشاه فيها فهناك من يقول بأنها خنقت ثم طرح شلوها على النار بينما يقول آخرون بأنها خنقت وطرحت فى بئر بحديقة المنزل (٣) .

وأيا كان المصير الذى لقيته فان السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو كيف انتهى بها الحال الى هذا المآل ؟

ووجه الفرضية هنا ينبع من أنها كانت حافظة للقرآن ومتمكنة من علومه ، ونصوصه ونحن نعلم أن نصوص الاسلام حاسمة فى تقرير وتأكيد الحقائق التالية :

١ ــ (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران آية ١٩ » .

٢ ــ (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) (آل عمران آية ٨٥) .

٣ ــ « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » (الاحزاب آية ٤١) .

كما أنها كانت محدثة والحديث قد حذر من ادعاء النبوة وأكد ختم الرسالات بمحمد ﷺ وقد روى أبو داود فى صحيحه أن الرسول ﷺ قال : « سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبى وأنه خاتم الانبياء ، لا نبى بعدى » .

ومما لا شك فيه أن معرفتها بهذين الركنين فى الاسلام ، أو بأحدهما كان كافيا لأن يعصمها من الزلل الذى وقعت فيه فاذا افترضنا أنها كانت على مذهب أهل « التشيع » فاننا سنواجه معضلة أخرى اذ المعروف عندهم أن « القائم المنتظر من آل محمد » لا يأتى بما يخالف دين جده رسول الله ﷺ وانما سيزيل البدع ويصلح من الدين ما فسد ويرجع بالشريعة الى ما كانت عليه فى عهد صاحب الرسالة كما أنهم يستدلون عليه بأمارات هى :

أن اسمه « محمد » واسم أبيه « الحسن » واسم أمه «نرجس» ومسقط رأسه « سر من رأى » وقد مر علينا فى بداية المقال أن اسم « الباب » على محمد واسم أبيه رضا البزاز ومسقط رأس « الباب » « شيراز » وفى ذلك كله ما يخالف امارات « القائم »فضلا عن المنكر القائم فى كونه يقرر النسخ فى شريعة المصطفى ، ويدخل عليها من البدع ما نعدده فى :

١ ــ جانب العقائد :

١ ــ اذ ادعى « الباب » أنه خالق الحق وأنه

(١) وذلك للتخليط عليهم ، لاسيما وهم عامة فيرون بتلك الخديعة أنهم لم يخرجوا على الاسلام وهذا النص مثبت فى تاريخ عبد البهاء ص ٢١ .

زرين تاج ڤينوس

« مشخص المولى » وادعى البهاء من بعده انه « مظهر الله فنسب كلاهما لنفسه الألوهية أو حلول الله فيهما — وان اختلفا فى وحدة اللاهوت اذ هى عند « الباب » مؤلفه من تسعة عشر أقنوم : الباب (الرئيس) ودعاته الثمانية عشر الملقبون (بأصحاب حى) فى حين نجدها عند « البهاء » مؤلفة من ثلاثةأقانيم البهاء (الرئيس) ، وابنه (غصن الله) ، والباب .

ويزعم « البهاء » أنهم المعبر عنهم فى الانجيل (بالأب والابن والروح القدس) وفى القرآن فى (بسم الله الرحمن الرحيم) .

٢ — أما عن الرسل فهم يقولون بأن لكل نبىدورة زمنية ويرتبون على ذلك استمرار النبوة بعد سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه وفى هذا انكار صريح لنص القرآن كذلك يقولون بنبوة « زرادشت » و «بوذا» (١) ويدعى الباب علو منزلته على رسولنا محمد اذ يقول « أول من آمن بى نور محمد وعلى » .

٣ — وعن البعث والثواب والعقاب يقولون :

ان — جميعا — للارواح دون الابدان ، فتلتذ النفوس الطيبة بأخلاقها ومعلوماتها ، وتألم النفوس الخبيثة بملكاتها الرديئة وجهالاتها الى أن تزول هذه الملكات عنها فتعود الى عالم الاجسام مرة ثانية (١) .

ب — جانب العبادات

وهذه أيضا لم تسلم من عبثهم على نحو ما نرى فى :

١ — **الصلاة** : وقصرت على ثلاث : صلاة الصبح (ركعتان) .

وصلاة (الوضع) ويصليها الابوان حين نزول الجنين (٢) وهى ذات خمس تكبيرات يتلى فيها من أقواله (٣):(انا بكل موقنون) (١٩) (٤) مرة فى التكبيرة الأولى ثم (انا بكل مؤمنون) (١٩) مرة فى التكبيرة الثانية واقوال أخرى على هذا المنوال وبنفس العدد فى بقية التكبيرات .

أما الصلاة الثالثة فهى صلاة الجنازة وجعلوا لها ست تكبيرات يقول فى الأولى(انا كل لله عابدون) وفى الثانية (انا كل لله ساجدون)(١٩) مرة .. الخ .

وصلاة الجنازة هى المسموح فيها فقط بأن تؤدى جماعة ولا يشترط فى الصلاة عندهم التقييد بوضوء أو طهر من طمث أو جنابة .

٢ — **الصوم** : ومدة شهر الصوم عندهم(١٩) يوما حسب التقويم الذى اخترعوه وحددوا فيه

---

(١) أنظر سفر « ول ديورانت » قصة الحضارة فيما كتبه عن الهند فصل بوذا حيث قرر أن « بوذا » ملحد جعله أتباعه الها ، وهذه الفلسفة قمة التناقض عند البوذيين ، وهو نفس ما وقع فيه البهائيون . « مجلة الازهر »

(١) ويبدو فى هذا الفكر تناقض غريب ، اذ جعل النفوس الطيبة غير الخبيثة ، فالخبيثة فقط تعود الى عالم الاجسام — أى عن طريق التناسخ ، وفى الايمان بالتناسخ ايمان مباشر بعدم عدل الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

« مجلة الازهر »

(٢) ، والمراة نفساء عليها دم النفاس .

(٣) البهاء ، أو الباب .

(٤) يلاحظ أن رقم (١٩) يلعب دورا فى كثيرا من الافكار المنحرفة التى لاتزال تؤدى دورها لدى كثير من الكاتبين فى أيامنا هذه .

« مجلة الازهر »

لكل شهر ألا يزيد عن هذه الايام وجعلوه يقع فى الاعتدال الربيعى فاذا انتهت أيامه يليها ــ عندهم (عيد الفطر) الذى سموه : بعيد رضوان واختاروا له هذا التوقيت ليقع عيد فطرهم مع (عيد النيروز) .

وحد الصوم من شروق الشمس الى غروبها وجعل قبل الدخول فى شهر الصوم خمس أيام سميت (الخمسة المباحة) خصصت لاشباع الشهوات والملذات .

٣ ــ **الزكاة** وجعلوها (٥٠٠) دينار على كل مثقال من الذهب ، و (٥٠) على كل مثقال من الفضة متى مر الحول على النصاب الذى قدروه بـ (٥٤١) مثقالا أو يماثله من الفضة أما المهم فيها فهو وجوب حملها الى « الباب والبهاء » فى حياتهما ثم الى باقى الزعماء بعد هلاكهما (١) .

٤ ــ **الحج** : وجعل الى « شيراز » موطن « الباب » وهو فرض على الرجال دون النساء باستثناء نسوة « شيراز » اذ هو محتم عليهن أما كعبتهم فهى (عكا) وتفسد الصلاة بالانحراف عنها .

(جـ) جانب العلاقات والمعاملات :

وقد امتدت أيديهم اليه لتلمس نواحى عدة فيه بالتبديل على نحو يخالف الشريعة الاسلامية مثل :

١ ــ **الزواج** : جعلوه رهنا برضى الزوجين دون ولى أمر أو وكيل وقصروا العقد على اثنين فقط .

٢ ــ **الطلاق** : ويكون يهجر الزوجة (سنة) فان لم يندم الزوج على فراقها طوال هذه المدة يطلقها ولا تحل له مطلقا اذا أوقع عليها ١٩ طلقة .

٣ ــ **القصاص** : وقد حرموه واقتصر على دفع « دية » أو غرامة مالية مقدارها ١٠٫٠٠٠ مثقال ذهب بالاضافة الى عدم مباشرة القاتل لزوجته مدة تسعة عشر عاما .

٤ ــ **عقوبة الزنا** : وجعلوها « دية » تسلم الى « بيت العدل » مقدارها تسعة مثاقيل من الذهب تضاعف فى المرة الثانية .

فاذا كانت عقائد الشيعة فى « المهدى المنتظر » ــ كما قدمت ــ تبين أن المهدى لن ينسخ شريعة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانما يزيل عنها البدع ، ويعود بها الى نقائها الأول ، ولديها ما تقدمه من دليل على ذلك ، فان الأمر يصبح أكثر صعوبة فى تعليل انقياد قرة العين للباب أو للبهاء بخاصة ، وانها على علم بالشريعة ، فلابد ــ اذا ــ من البحث عن سبب آخر يكون أكثر اقناعا لانحرافها ويكون ملائما لما عرفنا من أوصافها .

وهنا تحضرنا عبارة وردت عرضا فى أحد مصادرنا المذكورة مؤداها أنها مصابة « بالسوداء » قال صاحب الحراب ص ١٩١ : « قرة العين فتاة فتانة مصابة بالسوداء ، ذات

---

(١) هنا تلاحظ اتحاد « الباطنية » فى هذا الامر فطائفة الاسماعيلية اختطت وزن زعيمها ذهبا أو « بلاتين » .. ثم اهداء (الزنة) كلها له .

زرين تاج فينوس

حسن باهر وجمال ساحر ، تسمى « زرين تاج » .. الخ .

وهذه العبارة على قدر كبير من الأهمية ، فقد كان النهم الجنسى يشيع فى أسلوب « زرين » حديثا وحياة بعد خروجها السافر على دينها ، وتقلبها مع بعض رجال هذه الدعوة بما يؤكد عمق رغباتها الجنسية الى غور فى نفسها بعيد .

ولما كان الباب فى بداية دعوته قد نادى بنسخ الشريعة وتعطيل الحدود ، وألغى الأمر والنهى والتكليف بقصد استهواء ذوى النفوس المريضة والأهواء الوضيعة بحجة أنهم فى زمن الفترة الانتقالية حيث لم تصل شريعته الى تمامها بعد ، يكون سر اقبالها على دعوته قد صار واضحا ، فهو قد فتح لها الباب على مصراعيه لتنطلق مدفوعة بشهواتها ، ملبية نداء جسدها فى المتعة الحرام ، دون خوف أو وجل ، كاشفة عن مكنون رغباتها بدون حياء أو خجل ، لذا رأيناها فى خطبها تهاجم تقاليد الاسلام وتلح فى الاختلاط والسفور وتوحى لغيرها بالفسق والفجور وبأن « لا يردوا من يريد التمتع بحلائلهم أو بناتهم » وتجيز تزويج تسعة رجال من امرأة واحدة فيكون الأمر شيوعية جنسية .

ولم يكن البهاء « أقل تحفظا من صاحبه فالآخر ألغى الحجاب ومنع النقاب وأحل زواج المتعة .

ولعلنا لا نكون مبالغين اذا قلنا : ان كلا من « الباب » و « البهاء » كانا على علم بدائها ، وكلاهما حاول استغلال امكانياتها فى التأثير على الغير ، بسبب جمالها وفصاحتها فى مقابل اعفائها من عبء « الشعور بالذنب » ويؤكد ذلك اسناد أمر الاقناع بدعوتهم والدفاع عنها اليها فهى دائما كما يلاحظ التى تناظر وتعظ وتخطب .

النقطة الأخيرة : التى نريد أن نبرزها هنا هو أن أصحاب الاتجاهات المضادة للاسلام وشريعته ــ كما يتبين لنا من عرضنا لسيرة « قرة العين » ــ هما أحد اثنين » .

(أ) شخصية غير سوية أو على أقل تقدير تستهويها الاهواء والأغراض .

(ب) شخصية جاهلة تعتقد أنها بتكوين (خلطة) من الأديان يمكن أن تصمد أمام الاسلام .. أو تتغلب عليه .. ولكن الله بالغ أمره .. والنصر لدينه .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

من أعلام الأزهر

عبد الحميد ربيع

محمد أحمد هاشم

عبد الحميد ربيع

١٩١٦/٢/١٧ - ١٩٧٨/٧/٢٧

نجلته أسرة «كريمة طيبة الأعراق»، باحدى قرى اقليم بنى سويف، وهى قرية «قمبيش الحمراء» الواقعة على ضفاف النيل، فى منطقة تزخر بأروع مرائى الحسن فى الوجود، صورها الشاعر أبدع تصوير، فى قوله :

شهدت نعيم طفولتى وهنائى
بلد (١)، مزجت وفاءها بدمائى
ملكت فؤادى، فهى فى حباته
وسرت حميا الحب فى أحشائى
وأنا الطروب بها، فما من لمحة
الا وأذكر عهدها · بثناء
ياطيب ذكرك حين رن بمسمعى
صوت يشيد بـ «قمبيش الحمراء»

ونستشف من البيتين : الثالث والرابع، أنه أمضى بقريته تلك طفولة سعيدة، رتع خلالها بين أفاويق بها الفراشات والزهور، وأفراح الربيع ومروجه وعرائسه، المتمثلة فى الخضرة والنضرة، والأدواح والأطيار، التى يفيض بذكرها شعره، يشقشق بينها منتشيا طروبا، حين تشجيه بالسناء، فيتجاوب معها بالشدو والغناء ·· ثم نرى الشاعر يسترسل فى مناجاة قريته ومسقط رأسه، متمنيا أن يراها فى جمال وروعة مدينة (الزهراء) الأندلسية، لتوافقها معها فى كونها، مثلها، درة من درر الطبيعة الفينانة، يقول :

وأنا الذى لهواك أستبق الخطا
لبراك وادى النيل ·· كالزهراء
فهناك، فى شط الجداول، صبية
هم فى صفاء نفوسهم ·· كالماء
تخذوا مروجك، فى العراء، ملاعبا
ان المروج ملاعب النجباء

ثم ينطلق مترنما بقصيدته «نسوة الروح» :

اسقنى بين الروابى
فتنة الحسن المذاب

---

(١) جاء فى لسان العرب فصل الباء واللام : قال سيبويه : هذه الدار نعمت البلد فأنث حيث كان الدار والشاعر هنا يطلق لفظ (البلد) ويريد: «قملبيش الحمراء» ·

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ



وارو ســـمعى بالربـــاب
تلقنـــى بين التصـــابى
تفتـــدى فى يـــدى
كل آمـــال الشـــباب

ثم يصف نشوته ازاء النيل الخالد ، الذى يمخر عبر الزهور ، بقوله :

من رحيـــق النيـــل أروى
ولزهـــر النيـــل اهـــوى
تفتـــدى روحى نشـــوى
حينمـــا أســـمع نجـوى
مـــن خـــرير فى الغـــدير
هامســـا ٠٠ بين الروابى

وكيف لا ؟ وهو الشـاعر (الرومـانسى) الحالم ،الذى يصور لنا أحاسيسه ومشـاعره بعفوية آسرة ، حين يقول :

جنـــة الحســـن لقلبى
فـــوق شـــط النيـــل تسبى
أنا فيهـــا لحـــن صـــب
ينشـــد الأيـــام حبى
والنـــداء بالوفـــاء
نشـــوتى بين الـــروابى

وحتى حينما يستفيق من سبات أحـلامه الوردية ، على لأواء الحياة وبأسائها ، نـراه لا يرتمى فى أحضان الألم متجرعا غصصه ، وأنما ينتفض قائلا بإباء (١) :

انـــا ســـأودع الألمـــا
أنـــا ســـأحيله نغمـــا
وأحيـــا بين آمـــالى
ســـعيد الروح مبتســـما

ثم يبلغ تفـاؤله وائتناسـه بالحيـاه أقصى مـداه ، حين يقول (٢) :

ان رأيت الفجـــر بِســـاما
فهـــذا الفجـــر ٠٠ فجرى
أو رأيت الزهـــور رفـــافا
فهـــذا الزهـــر ٠٠ زهرى

---

(١) بقصيدة : « تخفر وأمل » ٠
(٢) بقصيدة « همسات » ٠

أو رأيت النسّـم يسرى
عاطـرا .. فالعطـر عطرى
أو سـمعت اللحن خفـاقا
فمـن أنغـام سـحرى

***

ورحلة عمر الشاعر ، التى أتيح لنا أن نقف على جل مراحلها ،تنبئنا أن الشاعر تعلم فى كتاب القرية ، وأتم حفظ القرآن الكـريم فى سن العاشرة ، فتأدب فى ريعـان طفـولته بآدابه ، ثم أمضى فترة تعليمه بالمدرســـة الأولية ، والتحق عقب ذلك بالمعهـد الـدينى بالقاهرة ، وفى تلك الأثناء انكب على قـراءة دواوين فحول الشعراء الأقـدمين ، كـابن الرومى والشريف الرضى والمتنبى ومهيـار الديلمى والمعـرى والبحترى وأبى العتاهـية وصـفى الدين الحلى وغيرهم .

وقد أتاح له ذلك أن يترنم ببواكير شـعره فى ريق عمره ، فشدا الشـعر فى حـداثته ، واستكمل أداته اللغوية بعد التحـاقه بالأزهر الشريف ، وتخرجه فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٢ ، واستيعابه لكثير من أشعار عمـر بن أبى ربيعة ، وجميل بثينـة ، وعبـاس بن الأحنف ،وابن المعتز ومسـلم بن الوليـد وغيرهم .

هذا فضـلا عن شـغفه بالأدب الأندلسى ومطالعتـه لاثار أعـلامه ، كـابن زيـدون وابن خفـاجة الأندلسى وغيرهمـا ، وكـان لذلك أثره فى اتجاه الشاعر الى اللون الغنائى فى كثير من نتاجه الشعرى ، الـذى مـلأ به الاذاعات المختلفه فى مصر والمملكة العربيـة السعودية وصوت الهند ، كمـا يذكـر ذلك صديقنا الكبير الدكتور محمـد عبـد المنعم خفاجة . فى نبذته عن الشاعر بكتابه « الشعر والتجديد » (١) .

ثم حصل على شهادة العالميـة مـع اجـازة التدريس سنة ١٩٤٤ ، وعمل مدرسـا منـذ التخرج ، ثم مديرا بالمـدارس الثـانوية بالقاهرة ، ثم موجها أول للغـة العربيـة . والتحق بمعهد الدراسات العليا وكان ترتيبـه أول دبلوم هذا المعهد بدرجة امتياز سـنة ١٩٥٣ .

وقدم بحثين أدبيين :

أحدهما : عن (الشاعر البائس عبد الحميد الديب ، شاعر الحرمـان) .

والآخر : عن (المرأة فى العصر العباسى) ، ونال فيهما درجة الامتياز سنة ١٩٥٤ ، كمـا حصل على دبلوم معهد البحوث والدراسـات العالية من الجامعة العربية ، قسم اللغـويات والنقد ، سنة ١٩٦٤ .

وكان عضوا عاملا فى جمعيـة المـؤلفين والناشرين بباريس ، اعتبارا من عام ١٩٥٦ ،

---

(١) ص ٤١١ .

كما عمل سكرتيرا نشـــطا لرابطـة الأدب الحديث بالقاهرة ، التى يقول عنها :

« كنا نلتقى مســاء كل ثلاثاء ، فنمـــلا الليل جنانا وأمانا ، وننثر فيه نجـــوما من أدبنا : بين القصيدة ، التى يتحرك فى داخلها خفق الوجود آمالا ونضالا ، وبين القصـــة التى ينبض معها قطاع من حياتنا ، بتطلعاتنا وتوقعاتنا •• » •

الى أن يقول :

« ومن محاضرة تنســاب فيها عـــذوبة الأسلوب ، الذى يحتوى أفكار الأســتاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى دقة وعمقا ، وتكاد تلمس فيه الكلمات الوادعة وهى تقدم اليك القضايا الأدبية ، فى تواضع وحياء ••

ومن بحث يقوم به الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة ، فتحس أنك أمام مكتبة كاملـة مـن المراجع والموسوعات ، التى تمتد بك وتمتد ، فى فكر العالم الذى يحرص على أن يعطيك كل شىء ، فى موضوع لطيف طريف •• » (١) •

وحينما التحق بالعمـل بالمملكـة العربيـة السعودية ، مارس نشـاطه الأدبى أثنـــاء عضويته فى نادى (المدينة المنورة) الأدبى •• ولم يتح للشاعر نشر نتاجه الأدبى كلـه فى ديوان يلم شعثه ، واقتصر الأمـر على نشـر مجموعة من شعره الذى نظمه أثناء اقامتـه واشتغاله بالتدريس بالسعودية ، بين دفتـى ديوان أنيق ، يحمل عنوان : (الفيصليات) •

ويستوقفنا بهذا الديوان حديث الشـاعر الهام فى تقديم الديوان ، لأنه يوضـح فيـه اتجاهه الفنى ، ومذهبه الشعرى ، بقوله :

« أنا لا أقول الشعر ، وانما الشعر هو الذى يقولنى •• ويفرض نفسه على : واقعا حيا ، وأحداثا نابضـة ، ووجـودا محسوســا ملموسا » (٢) •

ثم يصف عملية الابداع الشـــعرى أدق وصف فيرى أن التجربة الشـعورية حينمـا تتكامل وتتحرك أجزاؤها فى انفعالات متتابعة وأحـــداث متـداخلة متناضلـة فى داخـل الوجدان ، ثم منصهرة متبلرة فى وقـــدة العاطفة ، ثم متكاملة فى خلقها وصدقها •• عند ذلك تؤذن بمولدها ، وتفرض وجودها عمـلا فنيا متألقا مشرقا ، يتآلف فى النغم ، ويتعاطف فى الكلم •• حتى يصير لوحات شـعورية ، ومواقف وجدانية ، تدعـو عينيك وعاطفتك ، وفكرك •• للقاء معها ، تأثرا وانفعـــالا ، وانطلاقا مع النغم : فرحا وألما ••

ونتاج هذا الديوان يشتمل على عدد وافر من القصائد التى جادت بها قريحته ، بعـد التقائه بالعاهل السعودى الكبير الراحـل ،

(١) أنظر مقدمة ديوانه (الفيصليـــات) ص ٢٢ •
(٢) المصدر السابق ص ٩ •

الملك فيصل رحمه الله ، أثناء عمل الشاعر بمعهد علمي بمدينة الطائف ..

وتجددت لقاءات الشاعر مع العاهل السعودي وتعددت ، وكان منها لقاء على العمل والبناء ، في مشروع تجميل مدينة الطائف ، مصيف الحجاز ومنتزهه ، التي قال فيها الشاعر :

تشتو بمكة نعمة
ومصيفها بالطائف

وهكذا نجد الشاعر يشارك مشاركة حميمة فعالة ، في بيئته الجديدة ، أثناء العمل بالسعودية ، فلم يكن مجرد مبعوث أو وافد يؤدي عمله في التدريس ، الذي يؤجر عليه فحسب ، بل كان عاملا مؤثرا ، غائصا في مجتمعه الجديد مختلطا بشتى فئاته ، ومشاركا في أوجه نشاطه المختلفة .. باعتبار أن كل ديار العروبة داره ومناط رجائه ، لا فرق عنده بين الطائف والاسكندرية ، لأن دم العروبة الخالص يسري في عروقه نقيا خالصا. كما يقول باحدى قصائده :

وأينما سرت بين الشرق ، لي وطن
فلن تضم بلاد العرب أغرابا
وأننا ــ العرب ــ في الدنيا ذوو رحم
الشرق جمعنا أهلا وأحبابا

ويحرك شاعرية شاعرنا هواه القديم المقيم بالريف وأهله ، وروعة مناظره .. حينما قام برحلة الى جبل « الهدى » الذي ترتفع قمته عن سطح البحر بما يقرب من تسعة آلاف قدم ، وتلقاك المناظر الخلابة الجذابة وأنت تنظر الى الكون من عل فالمياه تنطلق من النبع صافية متألقة . ثم تنحدر على الصخور منكسرة هامسة ، والزهور على جانبيها تدعو عينيك أن تقوما برحلة بين مباهجها ومعارجها .

ويترجم شاعرنا كل ذلك عن الطبيعة بأبيات رقيقة ، غناها المنشدون في الاذاعة السعودية ، واختار لها عنوان (روابي الهدى) ، وفيها يقول :

دعونا الصفاء .. فلبى الندا
وسار بنا .. لروابي الهدى (١)
وجاء لنا بشهي الحديث
ترقرقه ضحكات الندى
وتنقله خفقات الخرير
الى أذنينا .. حبيب الصدى
عيون على الزهر تهفو لنا
بأفراحها .. مسبلات الردا (٢)
كأن بها خفرات العذارى
اذا مد خاطبهن اليدا

ويشف شاعرنا ويرف ، حينما ينطلق مأخوذا بين مشاهد الكون الناضرة المتألقة بين أحضان الطبيعة ، حينما يقف في حضرة

(١) الهدى ــ بفتح الهاء .

(٢) الردا مقصور الرداء .. مجلة الازهر .

(الورود) ، (١) ويناجيها بتدله صـــادق عميق ، وكأنه كان يصغى ، أثناء تأملاته ، الى حديثها الفاغم الناعم :

مر فى خـــاطرى حـديث الــورود
حين مـالت بغصـــتها الأملـــود
يتبســـمن فى الخميـل نشــاوى
ويبـــاركن صـــــدحة التغــريد
ويــــداعبن بالحنـــــان فـؤادا
رقــرق اللحن بين زهـــر وعـــود
قــائلات — فى كـل نفحـة عطـر —
اننى صــــفت للأحبـة عيــــدى
ونشرت الجمـــــال فى كــل قــلب
يعشــــق الصفو فى رحاب الوجود
وعشقت الانسـان يقطــر عطفـــا
فى لقـــاء مــع الاخـــاء الســعيد

****

وشاعرنا ، قبل هذا وبعد هذا داعيــة كبير للوحدة العربية لاينى يدعــو لتثبيت دعائمها ، بقوله :

لغـة المشـاعر وحـدت احســاسنا
ألمـــا وآلامـا غـــدت ايثـــارا
واذا توحـدت المشــاعر لم تجـد
حـــدا يمـزق شـملها أشطـــارا
ان الذى خلـق الـروابط فى الـــورى
قـــد شـــاءها فى شـــعبنا اصرارا

فاذا الـوداد بأفقنـــــا متـــألق
يجـرى الصــفاء بروحنــــا أنهارا
لا نعـــرف الا ظـــلام بين قلوبنا
والله فجـــر بينهـــا الأنـــوار

ثم يذكر المتخـــاذلين بماضيهم المجيد ، فيقول :

أرض العروبة ما أقــرت غاصـبا
يوما ، وكم سحقت بها استعمارا
لا عذر للوانين عـن انقـــاذها
ان المعـارك ترفض الأعـــذار
حتى يعود الى العــروبة فجـرها
فتعــز بين العـــالمين ديـارا

****

وحينما يستقر بشاعرنا المقام بين ظهرانى رفقتــه الجديدة بالسعودية ويأتى عليه شهر الصيام ، وحيدا مغتربا ، نراه يتذكر أصدقاءه بندوة رابطة الأدب الحـديث بالقـــاهرة ، وتنهمر عبراته فى ثنايا قوله :

رمضان جئت وقد ودعت أحبـــابا
لكن لى فيـك اخـوانا وأصـحابا
ودعت فى مصر أرواحــا مرفـرفة
مثل الملائك صــفوا .. أنسه طابا

(١) يقول الاســـتاذ / سيد محمـد ابراهيم بالمصدر السابق : « كما اشتهرت الطائف بنوع خـــاص من الورد ، يقتطف فى زمن الربيـــع ، ويعتصره البعض ، ويخرجون منه عطـــرا زكى الرائحة ، نادر الوجود » . ص ١٢٠ .

الا أنه سرعان ما يتأقلم وينسجم مع المجتمع الجديد ، ويكون فيه صداقات جديدة يعتز بها كل الاعتزاز ، ويصف اندماجه هذا ، بقوله :

فلست تبصرنا الا ذوى مرح
يشع بين حنايا القلب منسابا
من نكتة كصفاء الماء تسمعها
فتبصر الهم ، بين الصدر ، قد ذابا
ومن دعابة خل فى براعتها
تحرك الضحك فى الأفواه صخابا !

الى أن يقول :

ونملأ الليل بالأسمار نطلقها
فتبصر الليل بالأسمار جوابا

ثم يلتفت مرة أخرى الى (رمضان) ليقول متأسيا :

أقولها الآن فى حب وفى طرب
رمضان جئت ، وما ودعت٠٠أحبابا(١)

وكيف لا وقد ظفر شاعرنا فى الطائف بنخبة من الشعراء الأصفياء ، من حفدة شعرائها القدامى : غيلان بن سلمة ، وكنانة ابن عبد ياليل وغيرهم ٠

***

ويضم ديوان (الفيصليات) بين صفحاته مسرحيتين شعريتين ، أولاهما مسرحية تحمل عنوان : « مسرحية الشاعر والسلطان العادل » فى فصل واحد ، يتكون من منظرين ٠ وثانيتهما من فصل واحد أيضا ٠

والمسرحيتان تشيان بتضلع الشاعر وقدرته على ابداع الشعر الدرامى ٠

وقد مثلت المسرحية الأولى ثلاث ليال متتابعة على مسرح المدرسة النموذجية بالطائف ٠ وكان لها الأثر البعيد ٠ اذ كان الذين يقومون بالتمثيل هم الأمراء ، وأكثرهم الآن يشغلون المناصب الرئاسية فى المملكة ولعل بعض مشاهدها تطوف بالأذهان والوجدان ، كما يقول الشاعر فى تقدمتها ٠

ويدور موضوع المسرحية ، كما يستدل على ذلك من عنوانها ٠ على ما يتعين أن يتحلى به السلطان من عدالة ورعاية للشعب ، وبعد عن الدجاجلة والمداحين المتملقين ، حتى ليجعل (السلطان) يجأر باللوم والتثريب بعد استماعه لهراء الثناء المصطنع من المرتزقة ، قائلا :

كذب يجىء به الغداة مهرج
ومع العشية خادع مخلوب

من قال انى للوجود مملك
من قال : انى فى الورى مرهوب ؟

حتى متى أجد الأناة لزيفهم
يا قوم ٠٠ انى بينكم (أيوب) !

(١) بضم التاء ٠

ثم يحدثه قومه بمرارة وأسى :

هـل فيكمـو من ناصـح أو مخلص
ياقـــوم أين الصـادق الموهوب ؟
انى أريـد فتى يقـول صراحـة
فأنا ، وأنتم ، والأنـام ٠٠ عيـوب

وحين يظفر السلطان بالناصح المنشود ، فى شخص شاعر فقير ، ولكنـه أبى عيـوف ، يطرب السلطان العـادل غـاية الطـرب ، ولا يستاء حين يخاطبه الشـاعر بصراحـة وشجاعة ، قائلا ، بما يصح أن يكون نبراسا لجميع الحكام :

من يتـق الـرحمن ،فهـو حبيبـه
أحبب بأرضـك مـن أحب اللـه
مـن عـز فى تعليمـه ، فأعـزه
فالله يعلى عـالما بهـــداه
من كــان يعمـل للبلاد بقوه
شـجعه ٠٠ بـارك ما بنتـه يداه
من كـان يسـعى فى الحيـاة لرزقه
فامدد له الأسـباب كى يلقـاه
٠٠ الشعب أجمعـه لديك أمـانة
اطعـامه ٠٠ الباسـه ٠٠ مأواه
والله فى يـوم القيـامة سـائل
راعى الأمـانة ٠٠ حـق مـاأداه

ثم يضرب الشاعر الأمثال من أعلام تاريخنا الاسلامى المجيد ، فيقول :

سر فى الطريق مع الليـالى واستمع
أنات لهفـان أضىء مثـواه
فلقد غـدا (عمر) الخليفة قـدوة
للعـدل ٠٠ ينشر فى الزمان سـناه
فاختـر ولاتـك فى الرعيـة مثلـه
دينا ، واخلاصـا سـمت عقباه
واجعـل لأهـل العلم حسن مشورة
فى الحـكم ، يظفـر بالأمـان علاه
هذا الطـريق ، فان تسر فى ضـوئه
فالعـدل والاسـعاد بين خطـاه

وما يكون من السلطان العادل ، حين سماعه لهذه الأبيات العامرة بالتشريـع الحـكيم وعلامات الطريق المستقيم ، ما يكـون مـن السلطان الا أن يشد على يد الشاعر مغتبطـا ومؤمنا ، وهو يقول لحاشيته :

هذا فقير فى الحيـــاة ، وانــه
لهـو الغنـى بقـوة الايمـان

ويستجيب السلطان لـ (طلبات) الشاعر ، بقوله :

سأجوس بين ديـارهم حتـى أرى
دمعـا أكفكفـه عن الهمـلان
سـأجوب كل ربـوعهم فى رحمـة
عمريـة ٠٠ فى العـدل والبرهان

ويبلغ العنصر الدرامى ذروته ، حينمـا حاول (سـلام) ـ أحد أفراد الحاشـية ـ أن (يرشـو) الشاعر ، بقوله (هامسا) :

اسـمع كـلامى ، لا تعش
بين الـورى مغمـورا
امـدح ونـافق واغـتنم
تلـق النعيم بحـورا

فيقول الشاعر فى ألم عميق :

ما جئت أبغي ستر ما هو عار
عرى الفتى بتفاهة المقدار
كلا ، ولم أنسج غنائى مرة
من ريقى المتحلب المدرار
والشعر إن خطب المكارم والعلا
لم يتخذ لشفاعة الفجار

ثم ينفجر الشاعر قائلا فى وجوه كافة المنافقين الذين حاولوا (شراءه) :

أيها الهاتف انى
للعلا والحق أبنى
سئمت روحى لحنى
وتأبت أن تغنى
حينما روع أذنى
أن أبيع اليوم فنى
وبماذا ؟ أبجاه ؟
ليس هذا الجاه أعنى
أننى أبغيه حرا
ملء ذاتى ، ملء ردنى
وبمال ؟ ياالشعرى
انها صفقة غبن
اننى لن أرتضيه
.. قيد احسان ، ومن

ولكن لماذا يسترسل فى سرد ذلك كله ، انه يوضح لنا حقيقة الأمر الذى كان البعض يحاول أن يستدرجه اليه ، بقوله :

اننى ما كنت بوقا
للذى يبغيه منى
اننى أهوى سمائى
نح — أغوارك — عنى

وهنا تتبين لنا بعض ملامح شاعرنا النفسية الشامخة ، التى تنأى عن الصغار ، فيما أجراه على لسان أحد شخوصه ، بهذه المسرحية .

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام

فهو — وان تأبى على النضار والجاه ، نجده يفىء ويخضع لسلطان الجمال .. حينما يواصل « ثورته » قائلا :

أنا صداح ، وقلبى
لم يهم الا بحسن
لست أبغى من غنائى
غير أزهار وغصن
خلنى للفقر حرا
لا تهب لى .. لا يعنى
لا أريد المجد الا
من يمينى .. حين تبنى

ويزيد الأمر ايضاحا ، بقوله :

اننى ثورة حق
قد حطمت اليوم سجنى
فدعوا قلبى طليقا
عند ذا .. أرسل لحنى

ويقول لا نسى البشر الموسوس :

أيها الهاتف بالقيد وبالأموال .. دعنى
اننى أحطم قيثا
رى ، اذا أخلفت ظنى

ألا حياك الله أيها الشاعر الأبى الأنوف ، الذى يعتز بفنه اعتزازه بكرامته ، فنحن معك حين تقول بعد ذلك :

ليس للراكع عند البا
ب أن يحظى باذن
انما من دقه فى
عنفه .. من راح يجنى

ويتوج ذلك كله ، حينما يسمو بنا الى عليين . الى رواويق الصفاء والنقاء ، فى رحاب الدين . وحمى الايمان الراسخ ، فيقول :

اننى جربت ايما
نى .. ويوما .. لم يخننى
فتعالوا فى حمى الايما
ن بالله ، وبالفن .. نغنى
حيث يحيا الروح والالها
م فى أقدس حصن
ونغنى للوجود الحر
من أرفع ركن

وليت أدباءنا وفنانينا جميعا ، سواء بسواء ، يمعنون النظر فى هذه الأبيات ، ليجعلوها دليل عمل وشعار مرشد لهم فيما يبدعون ،من آداب وفنون ، اذن لسموا بالأذواق والعقول ، الى أشرف الغايات .

واذا رأيت الحق يرفع صوته
فجميع أسماع البلاد قلوب

كما يقول شاعرنا فى قصيدة أخرى (١) .

***

وفى مسرحيته الشعرية الأخرى التى أنشأها للأطفال العرب عامة ، بعنوان : « مسرحية الشمس » — التى حضر تمثيلها الفيصل العظيم ، وكان بجواره سمو الأمير فهد بن عبد العزيز (ملك السعودية الحالى) ، أثناء تمثيلها على مسرح مدرسة الثغر النموذجية بجدة — فى هذه المسرحية يقدم الشاعر « أوبريت الشمس » التى مثلها الأطفال غنائيا أمام الفيصل ، وكان الملك خالد موجودا ، وقد تعلقت عيون المشاهدين بالمسرح ، وركزت نظراتها على الطفل الذى يمثل الشمس ، وهو ينشد :

أنا الشمس أنا الشمس
بأفقى للورى عرس
تعالى الله .. أرسلنى
ليحيا الناس بالفرس
أعيش الدهر جاهدة
يسير بضوئى الأنس
فهل ترضون أن أبقى
وبين قلوبكم رجس
دعونى أرحل الآنا
ففى الأسفار ما يأسو
ظلام العيش فى الدنيا
لمن ضلوا .. بها درس

والمسرحية تتحدث عن الوجود المنافق ، الذى يتعامل بالبغض والحقد ، ويعيش على ادعاء الاخلاص والوفاء ، بكلام منمق مزوق ، يرفضه الواقع ويلفظه ، وتأباه (الشمس) التى توشك على الغروب عن هذا الوجود الأسحم ، قائلة :

وداعا يابنى البشر
فأنتم زائفو الصور

---

(١) قصيدة (الوثبة الكبرى) .

دعـونى أرحـل الآنـا
فلسـت أريـد بهتـانا

وتغيب الشمس ، كما يقول الشاعر ، ويغمر الصقيع الكون ، ويهـدد الوجـود بالدمـار والانهيار ، فيتعاهد النـاس على النقـاء والصفاء ، ويقدمون قلوبهم خالصـة لله ، وهم يناجون الشمس منشدين :

بربك ياشـمس عودى لنـا
وجودى علينـا بحلو السنا
فعزم الأيـادى وحب العباد
غـدا يملأ الآن أوطاننـا

وذلك بعد أن كانت :

الريـح تصـفر
والجـو يـزأر
والبـرد يسـتبد
والقلب يرتعـد
والزرع يحصـد
والقـوت ينفـد
وموكب الظـلام
يهـدد الأنـام
وعاصـف الفنـاء
ينفـذ القضـاء

وترق الشمس لحـالهم ، عسى أن تكـون توبتهم صـادقة ، فتقول :

رجـاء ربـى
يعيـد ركبـى
فقـد تبـدت
ظـلال حب
سـيروا جميعـا
وامضـوا جموعا
وابنـوا منيعـا
حصـون عـرب

***

وفى ختام هذا البحث المـوجز ، كم نتمنى على المخلصين من أخدان الشـاعر ، ومـن الغيورين ، أو المسئولين عن جمع تراث الأفذاذ من أبناء هذه الأمة ، أن يعملوا على جمع مالم يطبع من أعمال الشاعر الأدبية ، التى خلفهـا وراءه ، بعد أن قعدت به موارده الماليـة عن طبعها على نفقته الخاصة ومنها :

أولا : مجموعة من القصص القصيرة دبجها يراعه ، بعد أن صـدر فيهـا عن مشـكلات الشعب المصرى خاصة ، والشعب العـربى عامة ..

ثانيا : كتابه الذى يتناول فيـه بالدراسة الجانب العاطفى ومؤثراته فى حيـاة كثير من الشعراء المعاصرين .

ثالثا : بحوثه ودراساته المسـتفيضة عن كثير من الأعـلام ، ومنها ، على سبيل المثال ، دراساته عن (المرأة فى حيـاة أبى نواس) و (شاعر الحرمان عبـد الحميد الـديب) و (أثر الدعابة فى أدب الجاحظ) ..

رابعا : قصائد الشاعر المتناثرة فى بطون الصحف والمجلات الأدبية ، وهى التى اختارها المجلس الأعلى للفنون والآداب ، للشـاعر ، ونشرها فى كتب تضم مختـارات عـديدة ، لأعـلام الشعر المعاصرين ، فى مصر وسائر شعراء الأقطار العربية ، وقصائده التى تغنى فى الاذاعة ، والتى فاز عنها بعدة جـوائز ،

والقصائد التى أذيعت فى المناسبات العامة ، وما أكثرها ، فضلا عن عشرات ، بل مئات القصائد التى نظمها ولم تر النور بعد ، ومازالت تقبع بين أوراقه الخاصة لدى ذويه .

خامسا : الرسالة الجامعية التى أعدها الشاعر عن الشاعر العربى الكبير (فؤاد الخطيب) ،وقد حدثنا عنها الأستاذ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر ، .. وقد قمت بالاتصال بذوى قرابة الشاعر ، وأكدوا لى أن الرسالة المذكورة لديهم ، وأنها لم تطبع بعد بالفعل ، وأن الشاعر لقى وجه ربه بالمدينة المنورة قبيل مناقشتها بأيام قلائل ..

والأمل كبير فى أن يقوم المجلس الأعلى للثقافة ، أو الهيئة المصرية العامة للكتاب ، باصدار هذه الرسالة الجامعية ، تحقيقا للفائدة العلمية التى توخاها شاعرنا ، باعداده لها .. وذلك بعد أن يقوم ورثة الشاعر بتسليمها لأى من هاتين الجهتين المتخصصتين فى طبع مثل هذه الدراسات الجادة الرصينة ونشرها . والله ولى التوفيق ..

أحمد مصطفى حافظ

أبو عمرو الداني - بقية

كشف الظنون : « وهو مختصر » . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ٢/١٣٣٢ ، ١٨٠٩ ،وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، وبروكلمان الذيل ١/٧١٩ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧ ، والاعلام ٤/٣٦٧). وقد طبع هذا الكتاب (انظر ص ١٥١ فى الحاشية ٢) .

كتاب المكتفى فى الوقت والابتدا :

(كشف الظنون ٢/١٤٧١ ، ١٨١٢ وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧).

كتاب الموضح فى الفتح والامالة :

(كشف الظنون ٢/١٩٠٤ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠).

كتاب الموضح لمذاهب القراء :

قال عنه الزركلى صاحب الاعلام : « صغير» (الاعلام ٤/٣٦٧) .

كتاب النقط :

وهو مختصر فى النقط والشكل ، ملحق بكتاب « المقنع فى رسم مصاحف الأمصار » . (كشف الظنون ٢/١٣٣٢ ، ١٨٠٩) . وقد طبع مع « المقنع » فى كلا طبعتيه .

كتاب الوقف التام والوقف الكافى والحسن:

(مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٥٨٠٤) .

وبعد

فهذا قل من كثر ولله در الامام أبى عمرو عالما ومقرئا وحافظا ومحدثا ومؤلفا ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ابراهيم عطوه عوض

فقيد الأزهر والصوفية

محمود أحمد هاشم

لم تشهد الشرقية مأتما يغص بآلاف المشيعين عن حسرة كاوية ، وفجيعة كارثة كما شهدت مأتم فقيد الانسانية ورجل المروءة ، وخادم الاسلام فضيلة العارف بالله الأستاذ محمود أحمد هاشم .

فقد ترامت الجموع الغفيرة الى قريته (بنى عامر) حتى امتلأت الدروب ، واكتظت الشوارع ، وشرد المتزاحمون الى الأراضى الزراعية يلتمسون فيها مواضع لأقدامهم ، بعد أن ضاقت بهم القرية الحزينة ، وماتزاحمت الجموع منقادة وراء داع خارجى يدفعها للمشاركة اضطرارا ، كما نشهد فى بعض الجنازات الرسمية التى تعبأ الجهود ساعات وأياما لتكون بحشودها المتراصة دليل الوفاء .

وقد سيق اليها الناس سوقا بشتى المغريات ، وأعدت السيارات والقطارات لتجبر من لا يريد التشييع على أن ينهض .

لم تتزاحم الجموع فى توديع الراحل النبيل وراء داع خارجى بل ساقها سائق اللوعة الجارفة ،والتقدير الحار لانسان بذل حياته فى اغاثة الملهوف ، وعون السائل وتضميد الجراح تقديرا لمسئولية اسلامية ، يعرفها حق معرفتها من قدر رسالة العالم فى الاسلام تقديرها الصائب .

فهو مشعل هداية ، وطريق عون ورعاية ، وموضع آمال ورغائب ، ينادى فيسمع ، ويدعى فيجيب ، وقد لخص السيدمحافظ الشرقية مآثر الراحل الكريم فى بيان موجز نشره بالأهرام عقب رحيله ناعيا مؤبنا فقال صادقا غير مبالغ :

« ان الفقيد لقى ربه بعد حياة حافلة لخدمة الاسلام ، والأزهر فقد تمثلت فيه القيم العليا فى الايمان بالله اذ كان مثلا للكرم والمروءة والوفاء ، فتح قلبه الكبير ، وبيته العامر بالمحبة للغريب والقريب ، كما أسهم بجهود جليلة فى خدمة العلم والدعوة الاسلامية ، ورعاية مصالح المواطنين .

وقد كان قدوة يحتذى بها فى العلاقات الاجتماعية ، وفى التعبير عن كرامة العلم والعلماء فاحتل فى قلوب أبناء الشرقية ، ومحبيه من سائر البلاد المكانة السامية .

واستطاع بجهوده ومثابرته واخلاصه وتواضعه أن يعبر أكرم تعبير عن كر...

للدكتور محمد رجب البيومى



العلماء ، وبلاغة الفصحاء وشـــهامة الأوفياء •

وهذا بعض مايؤدى جانبا من حقيقة هذا الانسان الكبير ، لأن عارفيه وأصـــدقاءه ومريديه يعرفون من مآثره ما يجب أن يدون ويذيع ليكون القدوة الحسنة لرجل العلم والتصوف ، قدوة يراها الناس كتابا حيا عامر الصفحات بالمآثر ، وهو بعد أصدق من كل كتاب يمتلىء بالحكم والمواعظ دون أن يعطى المثل المشاهد ، ويقدم الدليل المتحرك ، أى كتاب يستطيع أن يقدم فى مضمار المروءة والهمة والمشاركة الوجدانية ما تقدمه سيرة الأستاذ محمود أحمد هاشم رضى الله عنه •

وقد تسعل حياته بنفع قاصديه وكان فى طوقه أن يصبح من أصحاب الثروات لو منع يده عن البذل الدافق ، والعطاء المدرار ، فاذا أعوزه المال فى بعض مواقف المروءة استدان واقترض ليأسو جراح محتاج ، ويمسح دمعة مسكين •

لقد خصص الفقيد يوم الجمعة للقاء كل وافد يؤم ساحته العامرة ، فما تحين الساعة التاسعة حتى يجلس مجلسه بين أتباعه ومريديه ، وتنظر فتجد عشرات الراجين فى انتظاره ، فصاحب المطلب النقدى يجد الاسعاف لوقته دون انتظار ، وقد تأهب الشيخ للموقف ، فأحضر معه من المال ما يظن به سدادا من عوز ، واشباعا من جوع ، وبرءا من فاقة ، ويعجب زائره المتابع لمواقف الشيخ أسبوعا بعد أسبوع ، كيف يجد من أبواب المال ما يعينه على مروءات تتوالى وتتتابع •

أما أصحاب المآرب الأخرى فما أكثر ، وما أغزر ، هذا فقير يطلب التعيين فى عمل حكومى ، وهذا مريض يريد الالتحاق

فقيد الأزهر والصوفية
محمود أحمد هاشم

بمستشفى مجانى ، وهذا طالب يتلمس موضعا فى المدينة الجامعية اذ عز عليه أن يعيش فى منزل مستقل دون مورد ، وهذا متهم ينشد محاميا يترافع عنه ، وليس فى طوقه أن يدفع المال ، وهذا وفد من قرية يسأل المعونة فى بناء مسجد أو انشاء مدرسة ، أو ترميم مستشفى .

وهذه أرملة ستعقد قران ابنتها ويشرفها أن يتولى الشيخ كتابة العقد لتسمو به بين الناس ، حين عدمت الأب والعم ، وهذا موظف أرهقه رئيسه ، ودفعه الى تحقيق قضائى لهفوة هفاها دون قصد ، ويطلب من الأستاذ أن يزيل ما بنفس الرئيس ! كل هذه وأكثر الحاجات منها تعرض أمام الشيخ الرحيم فى مجلسه وهو يفحصها حالة حالة ليحدد لكل طالب ساعة من يوم فى الأسبوع القادم يلقاه فيها بادارة الأزهر بالزقازيق لينهض معه حيث يريد .

وقد ألفت الزقازيق أن ترى الشيخ على رأس وفد من طالبى الحاجات يتقدمهم الى المصالح الحكومية رائحا غاديا ، وقد يكون مريضا يعانى من خبيث الداء مالا طاقة له به ، ولكنه يستجيب الى هواتف الأريحية ، ودواعى المروءة فينهض متحاملا على نفسه ، سائلا الله العون ، ولابد من يوم أو يومين فى الأسبوع للقاهرة كى يقضى مصالح من تتم مسائلهم فى العاصمة الكبرى ، ثم عليه أن يزور فى المساء من دعوه الى قراهم فى شتى المناسبات الاجتماعية ، دون أن يكسر خاطر امرأة ضعيفة أرادت أن تتباهى بمقدمه ، كما عليه أن يمد يده بالعطاء لتلك التى دعته عن قصد لتسعد بوجوده الشخصى وخيره المادى .

وهكذا يعود الرجل الى منزله بعد طواف متواصل ، وقد يكون الرجوع فى منتصف الليل مرهقا مكدودا متعبا ، لا يقدر على الكلام ، وعليه أن يستيقظ فى الفجر ليؤم أهله فى الصلاة ، ويعد واجبات عمله الادارى والعلمى بالأزهر ، فاذا خرج من عتبة داره ، وجد شرات السائلين فى انتظاره ، ونحن فى مصر وفى غيرها من البلدان النامية . لا نرحم رجلا من رجال الخير حين نلح عليه بما يرهق ، لأن ندرة هذا المعدن النفيس تجعل الاقبال عليه فى تحقيق المآرب ، واجابة المطالب ضرورة لابد منها ! وكم يتحمل صاحب المروءة فى بلد قلت فيه المروءات ، اذ يكون هدفا لشاق لا تنقطع ولا تبيد .

أجل ، يجلس الاستاذ فى مجلسه الاسبوعى يوم الجمعة ناظرا فى شئون الناس ، حتى يحين موعد الصلاه ، فينتقل الى مسجده الكبير وقد زحر بجموع المصلين ، فتؤدى الصلاة وتسمع الخطبة فى خشوع ، ثم تقام حلقة الذكر مدوية بالصلوات ، رنانة بالتسابيح فاذا فرغ الذاكرون جلسوا يستمعون الى آيات من كتاب الله فى هيبة وخشوع ، وعيونهم للأستاذ متطلعة وامقة ، ولا تشبع من رؤية وجهه السمح ، ومشهده المهيب ، ثم ينهض المصلون جميعا الى الغداء مهما كثف

العدد فتتجدد الموائد كلها دون انقطاع ويلتقى عليها أكثر من ستمائة طاعم يتوالى ذلك وكأنه شىء هين لا يكلف شيئا !!

لو كنت سمعت ما رأيت — والله — ما صدقت ، ولكنى أرى وأشهد وأطعم ، وليس الخبر كالعيان !

أذكر أن الكاتب السورى الأستاذ محمد كرد على نشر بحثا فى كتابه (أقوالنا وأفعالنا) يقول فيه : ان الكرم المفرط ليس ممدوحا ، وان الجود السخى من أخلاق البادية ، ولا محل له الآن ، لأنه يودى بالبيوت ويدكها دكا ، ولا يوجبه شرع أو عقل ، ذكر الأستاذ محمد كرد على فى كتابه هذا الرأى ، فوقفت عنده طويلا ، وكتبت تعقيبا عليه بالجزء الرابع من كتابى (النهضة الاسلامية ص ١١٢) أقول ، ملما ببعض مآثر الأستاذ محمود هاشم :

ان قول الأستاذ محمد كرد على يتجاهل أن وجود الكرماء ضرورة محتومة ليصونوا وجوه المحتاجين ، واذا قلت مظاهر الكرم اليوم ، فليس المراد أنه انقطع عن الناس نهائيا ، فأنا أعرف فى هذه الشدة التى أخذت بأكظام الناس رجالا يبذلون عن سعة لا تعرف الضيق ، وليسوا من ذوى اليسار المفرط الذى يدعوهم الى الاتساع الممتد دون حرج ، فهم مستورون أووا الى كرم الله ورحمته فأمدهم بالنفس الخيرة ، وسهل لهم سبل الكرم .

وقد يكون من باب الاعتراف بالحق أن أذكر من بين هؤلاء أخى البر العارف بالله الأستاذ محمود هاشم اذ أن جميع المصلين يوم الجمعة بمسجده فى قرية (بنى عامر) لابد أن يتناولوا طعام الغداء لديه ، وقد يتجاوزون المائة والمائتين فتتسع لهم المآدب الحافلة دون ضيق ، وهذا ما أعجب له ، وأراه لغرابته الزائدة فوق التعليل .

هذا ما قلته من قبل ، وأنا أكرره لأؤكد أن تسجيل المآثر الانسانية فى الصحف والكتب ، يدعو الى احتذائها وتقديرها .

وفى كتب التراث روائع خارقة للأجواد من الأسخياء ، فلماذا لا نسجل فى كتبنا المعاصرة أمثال هذه الروائع كيلا يظن ظان أن الانسانية فقدت أمثلتها الصادقة فى عصر المادة الذى سيطرت فيه الأنانية والأثرة ، وكادت تمحى المروءة والأريحية ! لولا أن ذرارى حاتم طيىء ، ومعن بن زائدة وأبى دلف العجلى وعبد الله بن جعفر لا يزالون يتناسلون ، ولن أسكت عن بعض مافى نفسى جبنا من قوم يولعون بتكذيب الأحاديث اذا اتصلت بكرامات الملهمين ، ويعدون ما يذكر فى هذا النطاق حديث خرافة ، وهو أمر واقع نلمسه باليد .

فقد شوهد الأستاذ يحادث من يفد اليه من المرضى حديث المشجع المستبشر ، فيدعوهم الى الصبر ، ويعدهم بالشفاء ، لأن رحمة الله قريب من المحسنين ، ثم يقرأ الفاتحة

فقيد الأزهر والصوفية
محمود أحمد هاشم

داعيا آملا ، ويرجع المريض من ساحته وقد هدأت نفسه ، وانفرج باب الأمل لعينه فترتفع روحه المعنوية ويتعاطى الدواء فى ثقة وبشر ، ويجد من القوة ما يساعده على تحمل الصعاب .

ويكون من أثر ذلك كله أن يأذن الله بالشفاء فى كثير من الحالات ! فكان لقاء الشيخ قوة دافعة ، وحافزا موجها ، وبه اعتصم المريض بالصبر مكافحا حتى بلغ ساحل الشفاء .

وهذا بعض ما رأيناه عن مشاهدة ، وما شهدنا الا بما علمنا ، فليهزأ من يهزأ بما نقول وان أراد ، ولكن عليه ألا ينسى أن ارتفاع الروح المعنوية للمريض سلم للشفاء ، ودواء ناجع يسعف بالعلاج .

لقد زاملت الشيخ محمود هاشم ابتداء من عهد الطلب بمعهد الزقازيق ، فكان منذ نشأته الغضة كريم النفس ، مبتسم الثغر ، يدعو زملاءه يومى الخميس والجمعة الى قريته ، فيشملهم والده الكبير مولانا الشيخ أحمد هاشم — رضى الله عنه بكرمه الغامر فهو يوقظهم فى الفجر لأداء الصلاة ثم يدير عليهم أكواب اللبن الواسعة بيده ، فيخدمهم بنفسه وهو سيد ، ولا يزال يرعاهم ويخصهم بما لديه من المآكل والفواكه متسائلا عن أحوالهم .

وقد ورث الابن عن أبيه هذه المزايا ، فمما أعرفه أن أحد الطلاب لم يستطع أن يكمل التعليم بالقاهرة لضيق ذات اليد ، وآثر الاكتفاء بالشهادة الثانوية ، فعز ذلك على الشيخ محمود ، وألح على زميله الحاحا متواصلا كى يسافر معه ويسكنا فى منزل واحد ليتولى هو عنه ما يلزم من النفقات ،

وهكذا وفى محمود بعهده لصاحبه ، فتخرجا معا فى كلية الشريعة الاسلامية بعد الانتهاء من سنواتها الاربع ، ثم عين الأستاذ محمود هاشم مدرسا بالمعاهد فكان يختص الطلبة باهتمام غير عادى ، يتساءل عن أحوالهم المعيشية ، ويقدم للمحتاج ما يريد من النفقات والكتب عن سماحة لا تعرف الحدود .

واذا توسم صفاء الروح فى بعض الطلاب ، قدم اليه كتب التصوف وحثه على العبادة والخشية ، ودفعه الى الجد فى المذاكرة ليكون فيما بعد عالما عاملا يجمع بين العبادة والعلم فيعطى المثل الحى لرجل التصوف الصحيح !

ولا أجد أفسح رحابة من صدر الراحل الكبير ، فقد طبع على أن يبتهج عند الاساءة المقصودة كاظما غيظه ، اذ يمر باللغو مر الكرام ، كنا فى مجلس يعمر بالتسبيح والذكر ، فشذ زميل متسرع ، وانطلق يسب الذاكرين ويقول : انهم أعباء على المجتمع ، وتهور الزميل اللجوج فقدح فى كبار الصوفية من أمثال الغزالى وابن عطاء وابن الفارض ، فسكت الشيخ محمود طويلا ، فلما لم يجد صاحبنا ردا يتيح له أن يشقق الحديث ، تخاذل وأقبل يسأل الشيخ محمودا عن رأيه فى من ذكر من الصوفيين ، فقال محمود فى تواضع ،

أنا أقل من أن أفيهم حقهم من التقـــدير ، وانك لا تهدى من أحببت !

فشرد الزميل قائلا ، وهل نسيت خرافات الشعرانى ؟ فابتسم الشيخ وقال انى أؤلف عنه كتابا ، وسأهديه اليك عند طبعه ؛ ومع عزوف الشيخ عن التأليف الا فيما ندر حيث تتناهب أوقاته شواغل الناس — فقد صمم على أن يكتب عن الشعرانى ، كتابة من يتكلم عن التصوف الصادق فى سيرة بعض أقطابه ! فأخذ يتحدث عن الارتباط بالشريعة ، والقيام بفرائض الله ومسنونات العبادة ليكون العمل بالشريعة سلما للحقيقة ! مؤكدا أن التصـوف سعى فى الأرض وخدمة للناس وكدح للرزق وليس اتكالا وانعزالا •

وقد جاء الشعرانى فى كتابه صورة صحيحة لامام متصوف مكتمل تمثلت فيه خصـائص الزعامة الروحية والقدوة الشعبية ، اذ أعطى الحياة مثلا للمتصوف العامل الذى يشـارك ايجابيا فى ازدهار الحياة ، ونفع الناس دون أن يلجأ الى الانزواء •

كما كتب فصلا ممتعا تحت عنوان (رسالة الشعرانى) جعله تفسيرا واقعيـا لقـــول الشعرانى (حاولت المطابقة بين عقـائد أهل الكشـف ، وعقائد أهل الفكر حسب طاقتى) وأهل الكشف هم المتصوفة وأهل الفكر عنده هم الفقهاء •

وللفقيد مقالات سهلة نشرها تباعا بمجلـة منبر الاسلام ، وهى تخاطب الوجدان بنفحات من قصص القرآن وتحليـل لبعض الآثـار النبوية ، تعمد كاتبها أن يصل بها الى قلـوب العـــامة دون ارهاق بكد عقلى ، أو تخريج فلسفى ، كما أن له أشعارا تنحو هذا المنحى الدمث جمع بعضـــها فى ديـوان ســماه (الهاشميات) وكتب مقدمته الامام الاكبـر عبد الحليم محمود — رحمه الله — ، وما قاله فى ديوانه من الشعر شبيه بما يقوله مـولانا الشيخ على عقل ومولانا الشيخ صـــالح الجعفرى ممن يرتجلون الشـعر فى مجالس الذكر على ايقاع النغم ، وأستاذهم السباق فى هذا المجال هو العارف بالله عبد الـرحيم البرعى ! ولهؤلاء المتصوفة مشاعر رقيقة تتأثر بالشعر الواضح تأثرا تجرى به الدموع •

لقد أنشدت الشيخ صالح الجعفرى ذات مرة قول الشـاعر :

فيـا نجد لو كـان النــوى منـك مرة
صـبرنا ولكن النــوى منـك دائـم

◀

فقيد الأزهر والصوفية محمود أحمد هاشم

فردده باكيا ، وصادف أن أنشدته الشيخ محمود هاشم فطرب وتواجد ، وأوصى أن أجمع له ما ينحو نحوه من هذه (النفحات) كما سماها ، والتعبير بالنفحات له رمزه الدال ، وفحواه الرقيق .

ان مشيئة الله فوق كل مشيئة ، وقد اصطفى محمودا الى جواره بعد مرض ضاعف من حسناته ومحا من سيئاته ، واذا كانت ألسنة الخلق أقلام الحق فان ما شوهد من حسرة الآلاف على رحيله ، وما سمع من بكاء عارفيه ، وتفجعهم على فقده ، ينطق بما كان له من مكانة قد احتلها بسلوكه الممتاز ، وسعيه الحميد .

فهؤلاء الريفيون الذين بكوا حول نعشه يذكرون زياراته المتصلة للقرى ، وقيامه بالصلح بين الأسر المتنازعة حين يستفحل الشر ، وتطول جلسات المحاكم فى ساحات القضاء دون جدوى ! واذ ذاك يحضر الأستاذ فى ملء من صحابته ، ويجلس بين المتنازعين مستمعا الى كل فريق ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ، ويشير بما يرأب الصدع ، ويجمع الشمل ، فاذا نشز فريق ترضاه الشيخ بابتسامته ودعائه بالرحمة والخير فيتحول النشوز الى طاعة وقبول .

ويعود الرجل الكبير وقد عصم دماء كادت تراق ، وبقلبه فرحة مبتهجة أن أطفأ النار وحال دون اندلاع الحريق ، هذا بعض جهده فلم لا يأسف المحزونون ، تلهفا على فقده .

ولعل مما يهدىء من شجونهم أنه انتقل الى جوار رب كريم ، أخبر عباده بأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ولن يضيع أجر المحسنين .

د. محمد رجب البيومى

الشعر والشعراء

إشراف د. حسن جاد

أنت المعين

محمد بكر الهدى

في استقبال رمضان

الجانب الروحي في شعر لبيد

أنت المعين

للأستاذ عبد العليم القبانى

الهى أنت لى عون ونعم العون لى أنت
اذا ما شئت كان الخير فيما شئته أنت
فأنت الواهب النعمى وأنت البارىء الأسمى
وأنت المرتجى حلما وأنت المرتضى حكما
الهى فى دجى ليلى وفى اشراقة الصبح
وفى تغريدة العصفور حول الجدول السمح
رأيت الحسن والحسنى وسر الكائن الأسنى
وما فى الكون من معنى عميق يغمر الكونا
أنا يارب بين يديك فى بعدى وفى قربى
وبين يديك مهما كنت فى شرق وفى غرب
فيا رب السموات ويا سر الهدايات
لك الماضى لك الآتى فهبنى خير غاياتى
الهى أنت لى عون ونعم العون لى أنت
اذا ما شئت كان الخير يا الله ما شئت

القرآن

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

اجعل رياضك روضة « القرآن » ... وأملأ فؤادك بالهدى الربانى
واجهر بصوتك حين تتلو آيه ... يصغى اليك ويسمع الثقلان
قول من الله الحكيم بقدرة ... تعنو لديها قدرة الانسان
ان شئت نبراس البلاغة تلقه ... فيه بأوضح صورة وبيان
أو رمت منه تعلما وتأدبا ... فانهل وعل فما له من ثانى
طورا يرق ففيه نغمة عازف ... تحيى وتبعث ميت الوجدان
واذا غلا فى العنف فاشهد ثورة ... تعلو وتغلب ثورة البركان

* * *

قد أعجز البلغاء سحر بيانه ... حتى غدوا فى العى كالخرسان
وأبان عن غيب فجاء مطابقا ... ما قال منكره سوى هذيان

* * *

فيه شفاء المؤمنين ورحمة ... الروح يصلحها وللأبدان
يأتيك دوما بالجديد فانه ... بحر بلا قاع ولا شطآن

* * *

هذا كتاب فيه سر سعادة ... للعالمين ... لمبتغى الايمان
فلنتخذه مدى العصور امامنا ... دستورنا ... ننعم بكل أمان

محمد بحر الهدى

للأستاذ خالد محمود إبراهيم

ياسيدا لم ألق مثلك سيداً — هذى يدى مدت فمد لها يدا
مدت تروم نوالكم ومن الذى — يرجى اذا لم يرج مثلك للندى ؟
أشرقت فى بطحاء مكة فانمحت — ظلماؤها من فيض نورك اذ بدا
وكأنما الدنيا تنادى أن لى — مع سيد الثقلين فيكم موعدا
من فاق كل العالمين كرامة — وسما على الدنيا جميعا محتدا
ومن ادعى لله ندا رده — بالمنطق الحسن القويم مفندا
ومن استبد به الهوى عبد الهوى — ومن استجاب لمنطق الحق اهتدى
قد جاء بالاسلام دينا قيما — ثبت المعالم لم يزل متجددا
دستوره وسط فلم يك هينا — يغرى السفيه ولم يكن متشددا
هو شرعة المولى الحكيم لخلقه — أوصى بها خير البرية أحمدا
فأتى بها سمحاء أشرق نورها — فمحت ظلاما دامسا متلبدا
يهب البصائر نورها ورشادها — أنعم به نورا وأكرم مرشدا
يشفى صدور المؤمنين فيجتلى — صدأ القلوب لتطمئن فتسعدا
يهديك للسنن القويم مرغبا — ويريك كيف تسير فيه ممهدا
هذا نبى الله خاتم رسله — من أوتى الكلم الجوامع مفردا
من بين خلق الله كان المجتبى — وبنور آى الله عاش مزودا
والله أكرمه وأسبغ فضله — وله بكل المكرمات تعهدا
فعليك خير صلاتنا وسلامنا — يا سيدا لم ألق مثلك سيدا

في استقبال رمضان

بقلم السيد محمد الداودى

أقبل «فدينك» ساطعا لألاء … واملأ ربوع المشرقين ضياء
واملأ قلوب العالمين محبة … ومودة ومسرة واخاء
وضع المعالم للطريق هداية … للحائرين وضاعف الأضواء
وأنر طريق المدلجين ليأمنوا … غلس الظلام ويأمنوا الوعثاء
وافتح مغاليق الوجود بحكمة … يهب القلوب العاصيات شفاء
والق العباد (كما عهدنا) بالمنى … وأفض عليهم من نداك ثراء
واستنزل الرحمات تترى اننا … كدنا لعمرك نفقد الرحماء
وأعد اليهم عزة مأمولة … واجنبهم البأساء واللأواء
أقبل وأحى نفوسنا بتميمة … تمسى لأدواء النفوس دواء
أقبلت بالنور السماوى الذى … بهر الوجود وعطر الأرجاء
أسهرت ليل الصائمين تعبدا … وتهجدا وتلاوة ودعاء
فهجرت نومى فى هواك توسلا … لله كى أزداد فيك صفاء
ووقفت بين يدى الهى خاشعا … متبتلا متذللا بكاء
رمضان كن للمذنبين شفيعهم … وسل الاله لعابديه عطاء
رمضان كم لك من يد أسديتها … ووهبتها للصائمين جزاء
منن يضيق الحصر عن تعدادها … أيقظت فيها الشعر والشعراء
نصران فى «بدر» وفى «سيناء» لم … نغفل حديثهما صباح مساء

الجانب الروحى

فى شعر لبيد

عن أبى هريرة — رضى الله عنه ، عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد » :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل

متفق عليه ، ومعناه :أنه من رواية البخارى ومسلم ، فهو من الأحاديث الصحيحة ، وبهذا الاعتبار دخل فكر لبيد فى الأحاديث النبوية الشريفة .

ومن هذا المنطلق نتحدث عن شعره الروحى الذى يمثل الحكمة ويدعو الى مكارم الأخلاق . .

ومن جانب آخر نرى السيرة النبوية حفلت بذلك الشعر وأرخت له .

فلقد كان لبيد شاعرا كبيرا من أصحاب « المعلقات » وله وزنه وشأنه فى الجاهلية والاسلام لشخصيته الموهوبة المرهوبة وعراقة محتدة ومنزلة قبيلته بين قبائل العرب وسأذكر شيئا من ذلك فيما بعد . بيد أنى أتحدث عنه كرجل دخل فى السيرة النبوية وروى أحداثه ابن هشام فى السيرة النبوية ، وبيان ذلك — كما هو معروف — أن قريشا بمكة كانت مقصد العرب فى جميع الأوقات لمكان الكعبة بين ظهرانيها ولمكانتها فى جزيرة العرب والشعوب الأخرى .

ورجل مثل لبيد لابد له من زيارتها وعرض فكره على ندواتها ومجالسها ، ودخل مكة فى الوقت الذى رجع اليها بعض من هاجر الى الحبشة من أصحاب محمد — صلى الله عليه وسلم — حين سمعوا أن قريشا هادنت رسول الله ودخلت فى الاسلام فاذا بهم يفاجئون بأنها زادت عتوا ونفورا وقسوة على الداخلين فى الاسلام ، فدخل بعضهم مستخفيا ، ودخل بعضهم فى جوار سيد من سادات قريش . وكان من نصيب الصحابى الجليل « عثمان بن مظعون الجمحى » أنه دخل فى جوار « الوليد بن المغيرة المخزومى » ثم كان ما حدث به ابن اسحاق ونقله الينا ابن هشام فى السيرة النبوية . والرواية عن « صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف » .

قال . لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد ابن المغيرة قال : والله ان غدوى ورواحى آمنا

للأستاذ السيد حسن قرون

بجوار رجل مشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله مالا يصيبني لنقص كبير في نفسي ، فمشى الى الوليد ابن المغيرة .

فقال له : ياأبا عبد شمس وفت ذمتك ، قد رددت اليك جوارك .

فقال له : يابن أخي ، لعله آذاك أحد من قومي — يقصد بني مخزوم .

قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره .

قال : فانطلق الى المسجد فاردد على جواري علانية كما أجرتك علانية ، فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد .

فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد على جواري . قال : صدق . قد وجدته وفيا كريم الجوار . ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله . فقد رددت عليه جواره : فماذا كان ؟ انصرف عثمان بن مظعون « ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب » في مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس عثمان فقال لبيد :

« ألا كل شيء ما خلا الله باطل »

قال عثمان : صدقت .

فقال لبيد :

« وكل نعيم — لا محالة — زائل »

فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول .

قال لبيد : يامعشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم ؟ .

فقال رجل من القوم : ان هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله . فرد عليه عثمان حتى شَرِىَ أمرهما : أي زاد وكثر ، فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما حدث لعثمان .

فقال : أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة .

قال عثمان : بل والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله ، وانى لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس .

فقال له الوليد ، هلم يا ابن أخي ان شئت فعد . وبهذه الرواية دخل لبيد في السيرة النبوية وفي تاريخ الدعوة الاسلامية ، كان يومئذ كافرا يتلمس مجالس قريش لينشدهم شعره ، وشعره الذي يعتز به ، ويرى مكانه في أندية قريش ، وهو شعر الروح والحكمة والموعظة الحسنة على حسب اعتقاده حين زار قريشا وألقى هذا الشعر ، وهو من قصيدة يرثى بها النعمان بن المنذر ملك « الحيرة » رضى عثمان بن مظعون بالشطر الأول من البيت

◄

وهو : « **ألا كل شىء ما خلا الله باطل** » ، لأنه يحمل الحقيقة الثابتة والواجب الوجود ، وفى القرآن الكريم : « **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ • وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** » ٢٦ ، ٢٧ سورة الرحمن •

وسخط على الشطر الثانى : « وكل نعيم — لا محالة — زائل » لأنه يراه لا يفى بالمعنى الايمانى ، ولأن الشاعر جعل كل نعيم زائلا ، ولم ينظر الى النعيم الدائم وهو الجنة • ونحن نرى أن الشاعر لم يخطىء وان كان لم يدخل الاسلام بعد ، فهو يتحدث عن الدنيا وتقلباتها ، وأنها لا تدوم على حال ، فكل شىء متغير ، شباب وشيخوخة ، غنى وفقر ، صحة ومرض ، نصر وهزيمة ، رضا وسخط ، سرور وحزن الى آخر ما يلاقيه البشر ، حظى الشطر الأول برضا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجعله أصدق كلمة قالها شاعر كما حظى بتصديق عثمان ، وسكت الرسول عن الشطر الثانى ، وكذبه عثمان رضى الله عنه • وقد جاء هذا البيت — كما قلنا — فى رثاء النعمان بن المنذر وهو شعر جاهلى • يقول لبيد من تلك القصيدة :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول
أنحب (١) فيقضى أم ضلال وباطل ؟
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
بلى ، كل ذى لب الى الله واسل (٢)
ألا كل شىء ما خلا الله باطل
وكل نعيم — لا محالة — زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم
دويهية (٣) تصفر منها الأنامل

الى أن يقول على هذا النهج مبينا مصير كل انسان وهو الفناء :

فان أنت لم ينفعك علمك فانتسب
لعلك تهديك القرون الأوائل
فأن لم تجد من دون عدنان والدا
ودون معد فلتزعك (٤) العواذل (٥)

وهذا الشعر فى منتهى العمق فى وصف حال الانسان وغروره ، وما يعتريه فى حياته •

فتراه فى البيت الأول يقول :

أسألوا الحريص على الدنيا عما هو فيه ، أهو نذر على نفسه نذرا فلابد من القيام به أم هو ضلال وباطل من أمره ؟ •

والبيت الثانى : يريك أن الناس لا يعرفون أمر الدنيا وزوالها فذو العقل من يفعل الخير متوسلا بـه الى خالقه •

والبيت الثالث : يرينا أن كل شىء غير الله زائل وليس له دوام •

والبيت الرابع : يدخل فى معنى قوله تعالى « **كل نفس ذائقة الموت** » (١٨٥ سورة آل عمران) •

---

(١) نحب : نذر •
(٢) واسل : طالب وراغب •
(٣) دويهية : التصغير للتعظيم المراد الموت •
(٤) فلتزعك : فلتكفك وتمنعك •
(٥) العوازل : المراد هنا الحوادث •

ومعنى البيتين الأخيرين جمعه أبو نـــواس فى بيت واحد فقال :

ألا كلنـــا هـــالك وابن هـــــالك

وذو نســـب فى الهـالكين عـــريق

وكلمة « واســـل » فى أغلب الظن أن لبيدا هو الذى استخدمها فى شعره ولم أرهـــــا فى شعر غيره وهى بمعنى واصـــل تمامـــا وفى القرآن الكريم : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُــوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » (٣٥ سورة المائدة) .

وواســـل ووسيلة مـــن الكلمـــات الجميلـــة ، وما أجمـــل ما نـــردد : « اللهم أعط محـــمدا الوسيلة والفضيلة » .

وقد عبر عن هلاك الأحياء من البشر واحدا بعد واحد بذكر من ماتوا من جيله الى جيـــل معد وعدنان ، ولم يجعل الكلام عاما ، وان كان لا بأس من التمثل به ، لأنه كان شاعرا قبليـــا يعتز بأرومته ومنزلة قبيلته ، فالنسب الى معد ابن عدنان ــ فى نظره ــ هـــو النســـب ، ولا تكون العظة عظة الا بهم ، ولا الأمثـــال السائرة الا بالحديث عن فقدهم . وســـتراه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يمجـــد بنى « أم البنين » الذين سنعرفهم فى نسبه .

ومن هنا أحدثك عن ذلك النسب وفخره به ، واعتزازه بمكانتهم فى نجد ، ثم نعـــــود الى توضيح الجانب الروحى من شعره وان كـــان جل شعره لا يخلو منه .

ذكر ابن هشام فى السيرة النبـــــوية أن اسمه : « لبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب » وينتهى هذا النسب الى « عامر بن صعصعة » وعامر من هوازن ، وهوازن من « قيس بن عيـلان بن مضر » والجد الأعلى معـــد بن عدنـــــان ، وفى مضر يلتقى نسبه مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبنو جعفـــر بن كلاب هم سرة قبيلة بنى عامر ، وأم لبيـــد من بنى عبس احدى بنـــات « جـذيمة بن رواحة » وكـــانت لخاله زهـــير بن جـــذيمة الرياسة على كل قبائل هوازن ومنها قبيلة بنى عامر ، فعتا عليهم وظلمهم وأكثر من فـــرض الاتاوات على رجالهم ونســـائهم ، فلم يجد بنو عامر بدا من قتله ، ومن ثم كانت العداوة لداء بين عامر وعبس ، ويتحدث الرواة عن أبيه وأعمامه فيصفون أباه ربيعة بأنه « ربيعة المعترين » أى ربيع المحتاجين لكرمه ونجدته، ويصفون أعمامه لكل واحد منهم وصف خاص ، مغامر لبطولته « ملاعب الأسنة » ، والطفيـــل فارس قرزل ، وقرزل اسم فرس له ، ومعاوية معوذ الحكماء ، أولئك هم بنو أم البنين احدى المنجبات من نساء الجاهلية ،وكانت لبنى عامر مكانتهم المرموقة فى الجزيرة العربية ، فلهم أيامهم وغاراتهم وانتصـــــاراتهم وثـــاراتهم واتصالاتهم بملوك الحيرة وملوك الشام .

ولما كانت العداوة متفاقمة بين عامر وعبس، وكان الربيع بن زياد العبسى من جلســــاء النعمان بن المنذر ملك الحيرة لقى بنو عامـــر منه الأمرين ، فكان دأب الربيع الدائب الغض منهم والانتقاص من أقدارهم ، فكـــان الملك النعمان يستجيب لقوله ولا يحسن وفادتهم ، فاتفق أن بنى عامر وعلى رأسهم مـــلاعب الأسنة عادوا ليلـــة من عنده غضـــابا الى رحالهم ، وجلســـوا يتحدثون فيما جرى لهم ،

ولبيد معهم فسألهم عما بهم ، وكان صغيرا فلم يأبهوا لسؤاله ، فغضب وحلف ألا يقوم بأمرهم فى غيابهم ، فعرفوه ما كان من الملك ، وأن الأمر يرجع الى خاله الربيع بن زياد . فقال : خذونى معكم وأنا له ، فعقدوا له امتحانا ، وكان الامتحان هجاء « بقلة » من النبات عينوها له فهجاها بقول رائع .

وفى الصباح حلقوا شعر رأسه وألبسوه حلة جديدة ، وانطلقوا الى باب الملك ، وكان القصر غاصا بالوفود وجماعات الناس ، ودخل العامريون وكان الربيع مع الملك يطاعمه ويحادثه ، فلما كان لبيد بحيث يسمعه الملك رجز بالربيع بهجاء مقذع جاء فيه : « مهلا — أبيت اللعن — لا تأكل معه » وذكر أشياء تنفر الملك من مجالسته ومؤاكلته لمرض معد بالربيع ، فصرف الملك وجهه عنه وأقبل على بنى عامر فأكرم وفادتهم وقضى حوائجهم . وكان هذا أول بزوغ شمسه وأول ما سمع من شعره . والرواة يعدونه من الشعراء الأشراف والفتاك والمعمرين .

ومن حوادث فتكه أن « الحارث الأعرج الغسانى » ملك الشام انتدب مائة من الفتيان الفتاك على رأسهم لبيد ليغتالوا « المنذر بن ماء السماء » ملك الحيرة ، فذهبوا اليه ، وأظهروا له الطاعة فأدناهم منه ، فلما صادفوا منه غرة قتلوه ، وهربوا ، فتبعهم جند المنذر فقتلوا كثيرا منهم ونجا لبيد . ومن هذا السياق نعلم أن لبيدا مارس الشعر والفروسية من صغره ، وأن حياته مع أعمامه تدل على أن أباه تركه صغيرا ، وكان له أخ لأمه يسمى « أربد بن قيس » وسترى شعرا فى هذا الأخ .

وجاء الاسلام ولبيد له سن وبيان ومقام ، وكانت قبيلة بنى عامر احدى القبائل التى التقى بها النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — ، فماذا كان موقفها من الدين الجديد وصاحب الرسالة ؟ .

يقول ابن هشام فى السيرة النبوية . قال ابن اسحاق : وحدثنى الزهرى أنه أتى عامر ابن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه .

فقال رجل منهم : أرأيت (١) ان نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ .

قال : الأمر الى الله يضعه حيث يشاء .

قال العامرى : أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك ،فأبوا عليه .

فلما رجع بنو عامر من الموسم الى نجد حيث منازلهم التقوا بشيخ لهم كبرت سنه فلا يقدر أن يوافى معهم الموسم . فكانوا اذا رجعوا يحدثونه بما كان فى سوق عكاظ ، فسألهم كعادته .

فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبى ، يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ، نخرج به الى بلادنا . فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال :

---

(١) أرأيت : اخبرنى .

يابنى عامر : هل لها من تلاف ؟ هل لذنابها من مطلب ؟ والذى نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيل قط ، وانها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم ؟ .

وقد غاب رأيهم عنهم كثيرا ، ففى السنة الرابعة للهجرة جاء الى النبى - صلى الله عليه وسلم - عامر ملاعب الأسنة الى النبى - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة وعرض عليه أن يرسل بعض أصحابه الى نجد ليدعو قومه الى الاسلام وقال النبى له أخشى مكر العرب .

فقال هم فى جوارى ، فلما ذهب أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - مكر بهم عامر بن الطفيل فاستعدى عليهم قبائل من سليم وغيرها فقتلوا جميعا فى « بئر معونة » . وغاب عنهم عقلهم فى عام الوفود حين جاء عامر بن الطفيل ومعه أربد وأراد اغتيال الرسول فدعا عليه وعلى صاحبه ، فطعن عامر ، وأرسل الله صاعقة قتلت أربد .

قال الرواة : ثم ان بنى عامر بعد ذلك أرسلوا لبيدا الى رسول الله فأسلم وحسن اسلامه ، وعاد الى قومه يذكر لهم البعث والجنة والنار ، ويقرأ لهم القرآن ، وأقام بالبادية على اسلامه حتى مَصَّر عمر - رضى الله عنه الكوفة فنزلها ، وبها أقام الى أن مات فى صدر خلافة معاوية سنة ٤١ هـ وعمره نحو مائة وثلاثين سنة .

موقفه من الشعر

أسلم لبيد فترك كل ما كان فى الجاهلية وكان فى مقدمة ذلك كله تركه الشعر ، فتنسك وحفظ القرآن كله ، فلم يرو له الرواة الا بيتا أو بيتين هما من الحكمة والتوجيه النافع بمكان . قال لبيد :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

قال بعضهم ليس له الا هذا البيت فى الاسلام وقال آخر البيت الذى قاله فى الاسلام هو :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى
حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وليس بمانع أن يكون قد قال البيت الأخير عقب اسلامه مباشرة ، وأن يكون الأول قاله بعد أن حفظ القرآن وعرف السنة فالجليس الصالح له حديث مشهور . رواه أبو موسى الأشعرى أن النبى - صلى الله عليه وسلم قال :

« انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة . ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا منتنة » متفق عليه . « يحذيك » يعطيك .

ولأنه لم يقل شعرا فى الاسلام عد من شعراء الجاهلية ، لأن كل ما نظمه من شعر فى الأغراض المختلفة وفى مقدمته « المعلقة » ولقد عرضها على النابغة الذبيانى فاستحسنها قائلا : اذهب فأنت أشعر قيس كلها أو قال هوازن وفى بعض الروايات قال له : أنت أشعر العرب .. وأنا لا أريد أن أتناول شعره كله بالنقد والتحليل انما يعنينى كما قلت فى بدء الكلام

أن أتناول ما نبغ فيه ، واعتز به وهو شعر الحكمة الذى كان يجىء فى المراثى التى برز فيها لأنه كان ينظر الى الدنيا وحال الناس فيها بعقل مفتوح وقلب سليم ، فهو رجل مفطور على الشمائل الكريمة ويحب أن يراها فى غيره ، ويلح فى الدعاء اليها ، والتنويه بفضلها ، وأنها المسلك الذى يجعل الانسان انسانا .

ومن الطرائف ما رواه أبو الفرج فى كتابه « الأغانى » .

قال : جلس المعتصم ـ الخليفة العباسى الثامن فى مجلس سار ، فغناه بعض المغنين :

وبنو العباس لا يأتون لا
وعلى ألسنتهم خفت نعم
زينت أحلامهم احسابهم
وكذاك الحلم زين للكرم

فقال المعتصم : ما أعرف هذا الشعر فلمن هو ؟

قيل للبيد .

فقال : وما للبيد وبنى العباس ؟

قال المغنى : انما قال « وبنو الريان » لا يأتون لا . فاستحسن فعله ووصله . وكان يعجب بشعر لبيد ، فاستنشدهم قوله : « بلينا وما تبلى النجوم الطوالع » وهى مرثية للبيد فى أخيه لأمه أربد من خير مراثيه ، فأنشدوه اياها ، فجعل يبكى ويذكر المأمون ويترحم عليه ، ويقول هكذا كان رحمة الله عليه . وهذا الشعر الذى غنى فيه عاطفة لبيد وعقله . فالحلم والكرم هما سبيله فى الجاهلية والاسلام ومن هذا أنه نذر ألا تهب الصبا الا نحر وأطعم . وأنها هبت يوما وهو بالكوفة مقتر مملق ، فعلم بذلك الوليد بن عقبة الأموى وكان أميرا عليها لأخيه لأمه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فخطب الناس فقال : انكم قد عرفتم نذر أبى عقيل وما وكده على نفسه ، فأعينوا أخاكم ، ثم نزل فبعث اليه مائة ناقة وبعث الناس اليه فقضى نذره ، وكتب اليه الوليد وكان شاعرا :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه
اذا هبت رياح أبى عقيل
أغر الوجه أبيض عامرى
طويل الباع كالسيف الصقيل
وَفَىَ ابن الجعفرى بحلفتيه
على العلات والمال القليل
بنحر الكوم اذ سحبت عليه
ذيول صبا تجاوب بالأصيل

ولبيد لا يقول الشعر فقال لابنته : أجيبيه ، فقد رأيتنى وما أعيا بجواب شاعر ، فقالت :

اذا هبت رياح أبى عقيل
دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أصيد (١) عبشميا (٢)
أعان على مروته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا
عليها من بنى حام قعودا

(١) أصيد : المراد به عزة الملوك (٢) عبشميا ـ ينسب الى عبد شمس بن عبد مناف .

أبـاوهب جـزاك الله خـيرا
نحـرناها وأطعمنـا الشريـدا
فعـد ان الكـريم له معـاد
وظنى بابن أروى (١) أن يعـودا

فقال لها أبوهـا : أحسـنت لولا أنـك استردته ، فقـالت : يا أبت ، ان الملـوك لا يستحيا من مسألتهم . فقال لهـا :

وأنت فى هذا أشعر .

كانت عزيمته قوية ، فلم يعد الى الشعر وهو القادر على النظم والبراعة فيه.

وشبيه بهذا المسلك الحميـد مسلكـه مع عمر بن الخطاب . قالوا :كتب عمـر الى عامله « المغيرة بن شعبة » بالكوفة أن استنشد من عندك من شعراء مصرك مـا قالـوه فى الاسلام ، فأرسل الى « الأغلب العجلى » أن أنشدنى . فقال :

أرجـزا تريـد أم قصـيدا ؟
لقـد طلبت هينـا موجـودا

ثم أرسل الى لبيد أن أنشدنى ، فقـال : « ان شئت ما عفى عنـه » يعنى شـعر الجاهلية . قال : لا ، ما قلت فى الاسـلام . فانطلق لبيد الى بيته ، فكتب سورة البقرة فى صحيفة ، ثم أتى بها ، فقال :أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر

رثاؤه وحكمه

وسأختـار لك ما يمثل مذهبه الشعرى فى العظة والاعتبار ، ولنقرأ بعض القصيدة التى أبكت المعتصم فكـل من الشـاعر والخليفة يبكى أخـاه ، ويتعزى بالقول المصيب ، والنظرة الثاقبـة .

قال لبيد يرثى أربد :

بلينـا وما تبلى النجـوم الطـوالع
وتبقـى الديـار بعـدنا والمصـانع
وقـد كنت فى أكنـاف جـار مضـنة
ففـارقنى جار بأربـد نـافع
فـلا جـزع ان فرق الـدهر بيننـا
وكـل فتـى بـه الـدهر فـاجع
وما النـاس الا كالديـار وأهلهـا
بهـا يـوم حلـوها وغـدوا بلاقـع
وما المـرء الا كالشـهاب وضـوئه
يحـور رمـادا بعد اذ هو سـاطع
وما المـال والأهلـون الا ودائـع
ولابـد يـوما أن تـرد الودائـع

الى أن يقول :

أليس ورائـى ان تـراخت منيتـى
لـزوم العصـا تحنى عليها الأصابع ؟
أخبـر أخبـار القـرون التى مضت
أدب كـأنى قمت اذ أنـا راكـع
لعمـرك ما تدرى الضـوارب بالحصى
ولا زاجرات الطـير ما الله صـانع ؟

فاذا تركت البيت الثـانى : « وقـد كنت ... » فأنت واجد حكمة فى كل بيت ، ومن عجيب أمره أنه لا يؤمـن بضرب الحصى ولا زجر الطير ويجعل الغيب كله لله على أن بعض المؤمنين فى زماننا هـذا يذهبـون الى المشعوزين ويعتقدون فى ترهاتهم .

البقية ص ١٥٣٣ ـ

(١) أروى : اسم أمه وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب ، فهو كريم الاب والام .

كلمة لا بد منها

سررت غاية السرور بابلاغ الشاعرة المبدعة ، جليلة رضا ، بمضمون كلمتى :

(حول شاعرية روحية القلينى) ، ابنة دسوق البارة .. الا أن هناك بعض الحقائق التى أود اضافتها عن الشاعرة الراحلة ، تتعلق بمرحلة باكورة عمرها .. وقد حازت روحية القلينى الميدالية الذهبية فى مهرجان الشعر ، الذى أقامته كلية الآداب بجامعة (فؤاد) — جامعة القاهرة حاليا .. وكانت ضمن طلبة هذه الكلية فى عقد الثلاثينيات ، واستحقت أن يطلق عليها بجدارة لقب : (أميرة الشعر) بالجامعة بأسرها ، وهو لقب لم يظفر به أحد سواها ، لا قبلها ، ولا بعدها. (١)

وكانت ، بموهبتها وحسن استعدادها ، تعد بمثابة امتداد رصين متطور للشاعرتين الراحلتين : ملك حفنى ناصف (باحثة البادية) ، وعائشة التيمورية ، وغيرهما من شواعر الرعيل الأول فى مستهل القرن الحالى — وقد صدرت لها دراسة مستفيضة عنهما فيما بعد ، وعن غيرهما من شهيرات أديبات النساء وشواعرهن فى الشرق والغرب .

أسلوبها وشخصيتها :

واذا أردنا أن نقف على أسلوبها ومقومات تكوين شخصيتها ، والرسالة التى أخذت على عاتقها أداءها فى الحياة والمجتمع ، يتبين لنا ذلك بوضوح وجلاء ، فى قولها بحرارة وأصالة : (أنا أفهم الفن على أنه احتراق وسهر ، وكد وتعب .. وليس مجالا للظهور والصيت ، فالصيت يأتى طيعا ، لمن وقف ثابتا فى الميدان ، بعد عرق وكفاح) .

والشاعرة روحية القلينى ، تعتمد بعد اعتمادها على الله — تعتمد على « ثقتها بنفسها وسلاحها » كما تقول ، والسلاح الذى تعنيه الشاعرة هو — بلا شك — حسن الاعداد والاستعداد ، واستكمال الأداة اللغوية والبيانية ، والا أصبح الانسان ، كما يقول شاعرنا العربى القديم ، :

(١) مثل هذه الواقعة تتحمل تأريخها الكاتبة وحدها ... مجلة الازهر .

بقلم : وفيقة عواد سلامة

كساع الى الهيجا بغير سلاح .

وما يهمنى ذكره ، أيضا ، فى هذه الكلمة العجلى ، هو أن شاعرتنا الراحلة روحية القلينى ، على الرغم مما لقيته فى حياتها من

عسف الأيام وذلك بعض ، ما أشارت اليه أستاذتنا الشاعرة الكبيرة جليلة رضا — فان روحية القلينى لم تستسلم لمصيرها ، أو تجأر بالشكوى باكية مستبكية وانما كانت تلوذ دائما بايمانها ويقينها بالله عز وجل ورحمته ، التى وسعت كل شىء ، كمستريح يأوى لحزنه: بصبر جميل ، كما يتجلى ذلك فى شعرها الصوفى ، الصادر عن ذات نفسها الخاشعة كما يبدو فى أبياتها التالية ، التى تنفس فيها عما يحتمل فى أعماقها ، بقولها :

آهة حرى بصدرى
ودموع حائرة

آه لو ينطق دمعى
وجراحى الفائرة

أنا لا أشكو على رغم الليالى الجائرة

أتعالى .. وأحيل الدمع : نجوى .. شاعره

أما موقفها ازاء ما أثير فى مستهل حياتها ، حول جدوى تعليم المرأة تعليما عاليا ، لتكون أقدر على أداء رسالتها فى الحياة ، بحنكة واقتدار ، فيتجلى فى قولها :

لا يصلح الوطن الكبير بنصفه
فتعاون الجنسين سر علاه

وأخيرا ، وليس آخرا كم سرنى العدد الأخير من مجلة الأزهر الغراء ، لاحتفائه بالأدب والشعر ، وفى ذلك ملء للفراغ الذى خلفه اختفاء الكثير من المجلات الأدبية ، كالجديد ، والثقافة ، والعروة الوثقى وغيرها ، تلك المجلات التى كنا نجد فيها زادا فكريا وروحيا ، أى زاد .

ونود أن تستوفى جليلة رضا بحث شتى جوانب شاعرية روحية القلينى ، ولن تعوزها الشواهد الكثيرة ، كما أن رصيد الذكريات لديها عن صديقتها الحميمة الشاعرة الراحلة ، تجعلنا نتوقع من يراعها أن يفيض بالشىء الكثير .

وبالله التوفيق .

وفيقة عواد سلامة

ألوان من الأدب النسائي

الشاعرة روحية القليني ٣

وطنياتها وعروبتها :

ظلت الشاعرة روحية القليني تتغنى بذكريات بغداد ، وتحن اليها والى الأيام الجميلة التى عاشتها هناك ، مستأنسة بأهلها الكرام .

وفى ديوانها : « عبير قلب » تقول فى قصيدة « حنين الى بغداد » .

نادى لهيف الجوى بغداد نادينى
من ماء دجلة يابغداد روينى
انى ظمئت لماء الخلد فى بلد
أفدى ثراه بعمرى وهو يسقينى
فى مطلع العمر ضمنتنى سواعده
لقيا الأحبة فى دنياه تغنينى
مع الصديقات كم باتت مشاعرنا
سهرانة الوجد فى ودتنا جينى
فكم سهرنا وكم غنت مرابعنا
كم قلت للفجر : لا تطلع الى حين

وتذكر الشاعر كيف أن الدخيل أراد أن يفرق بين بلدينا رغم الوحدة العربية المحتومة ..

انى أحبك يابغداد فاستمعى
دقات قلبى الى مغناك تدعونى
أقول يارب انا أمة خلقت
للمجد والعز لا للذل والهون
يد الدخيل أرادت أن تفرقنا
لكن وحدتنا شيدت بتمكين
العرب كلهم أهل ورابطة
لا فرق بين عراق أو فلسطين

الطبيعة فى شعرها :

ان الطبيعة فى شعر روحية القلينى تأخذ ركنا كبيرا من تفكيرها وأحاسيسها وأحلامها ، فهى تمتزج بأشياء عظيمة ، تعيش الشاعرة لها وبها .

انها وهى تعلم أن الطبيعة من صنع الخالق ، لا يسعها الا الانبهار أولا بعظمته سبحانه ، ثم بمدى جمال صنعه المتمثل فى الطبيعة . وهى حين ترى الطبيعة أداة لتفجير المشاعر

الوجدانية فتتذكر آنذاك نفسـها وحظها وقدرها . ومن ثم تتوغل فى دروب المشاعر الذاتية ، كاشفة النقاب عن كثير من أسرارها الدفينة .

وهى عندما تتكلم مع الطبيعة عن مشاعرها الخفية ، لا تخاطب الا كل جليل وثمين يكمن فى الطبيعة .

لا تناجى الا ما يستأهل أن يكون أمينا على مناجاتها ، ولا تخاطب الا ما كان جديرا بالاستماع اليها كائنا من كان .

فالليل عند « روحية » يأخذ مدى أرحب فى أشعارها السارية المجنحة ، كما أن لشمس الأصيل ونسمة الربيع مكانا كبيرا لديها ، أما الربيع نفسه ، فهى تسميه « ملهمها » ، ولذلك نراها كثيرا ما تستكن لديه ، وتشكو وتصب فى سمعه أدق وأعمق الاسرار . فتقول فى قصيدتها « الربيع » .

يا ربيع السحر ياحلو الصدى
انت لحن عبقرى لم تزل
عاد للطير ربيع حافل
وانا مذغاب عنى .. ما حفل
عشت بين الناس فكرا حائرا
وطيوفا تتراءى فى المقل
اننى قيثارة أوتارها
عازف اللحن طواها .. وارتحل
وقصيد شاعر الصفو بها
ترك الأبيات لما تكتمل ؟
عاد للناس ربيع حافل
وربيعى بالأمانى لم يطل

أجل ، ان روحية كما ذكرت فى شعرها للطبيعة تميل الى التطلع الى كل ما هو عال أشم عزيز كامل .

وهى تخاطب البدر فى قصيدة من أجود قصائدها ، فالخيال فيها مجنح ، والمعنى انسانى نبيل ، تقول فى قصيدة (البدر الحزين) (١) .

يابدر لم أعهدك الا باسما
واليوم يابدرى أراك حزينا

لك بسمة يابدر فى صمت الدجى
توحى الى قلبى شجى وحنينا

يا بدر حدث اننى لأمينة
سيظل سرك فى الفؤاد مصونا

حدث فؤادى عن أساك فربما
بالعطف أنسيه عذابك حينا

(١) بديوانها همسة الروح ص ٢٤ .

الى أن تقول :

لا تحسبن شكواك ضعفا ، انها
لحن حزين من شجى الموحينا
فأنا وأنت على الاباء تآلفا
ليست شكايتنا لضعف فينا
لا النجم ترضينى ابتسامته ولا
أرضى سواك مواسيا يهدينا
يا بدر مالى غير ضوئك موحيا
حتى ولو كان الضياء حزينا

وفى قصيدة (شمس الأصيل) بنفس الديوان ، تبث الشاعرة شكواها .

شمس الأصيل تمهلى فكلانا
قد فارق الأحباب والخلانا
عما قليل تطلعين على الورى
وأنا أعذب بالنوى ألوانا
شمس الأصيل تمهلى وابقى معى
حتى أبث شكايتى أشجانا
عانيت أيامى أسى وقضيتها
شكوى وذبت على الوفاء حنانا

**

وهكذا تتخذ الشاعرة من الطبيعة صديقة خالدة وفيه ، تسرد لها آلامها وآمالها ، (كنسمة الفجر) ، و (أيها الليل) و (شجرة الصفصاف) .. ولم تنس البحر ، فقد استعطفته حيث تقول :

أقضى الشتاء بعيدة لمآرب
وأعود بعد تشوق وحنين
لأبثك اشكوى وأنشد راحتى
فبموجك الحانى تخف شجونى

ولكن الشاعرة فى قصيدة (الزورق الحائر) ، خالفت طريقها المعهود فى بث الشكوى الى الطبيعة ، فقد تركت الزورق نفسه يبث شكواه ، الى الكون ، ناعيا حظه العاثر ، فكانت موفقة كل التوفيق حيث أجادت التعبير عن نفسها ، على لسان « الزورق الحائر » وأجد من الضرورى أن أفسح مكانا ، كى أعطى الفرصة لتدبر هذه القصيدة الفريدة ، تقول الشاعرة بلسان زورقها :

أنا حائر والريح تعصف
بى بلا رفق ولين
والموج يعبث بى هنا
وهناك فى طيش الجنون
وأنا على الحالين فى شوق
الى الشط الأمين

***

أنا حائر حار الزمان
على حياتى المستقرة ؟
جمحت بى الأنواء
فاستسلمت للأمواج مدة
وتبعتها كالطفل أسلم
للذى أغراه .. أمره
فاذا أنا بين العواصف
والرياح المستمرة
حيران .. روحى كم
تحن لربوة كانت مقره

وبعد ، انها قصيدة تعد من القصائد القوية فى شعر الشاعرة ، ان هذا اللون من الشعر الرمزى الخفيف لم تكن روحية تميل اليه

أو تنظمه ، لذلك جاءت هذه القصيدة اليتيمة كالثمرة النادرة الغالية .

خصائص شعرها :

عندما نريد أن نحدد خصائص شعرها نستطيع أن نقول :

ان شعرها ينتمى الى المدرسة الكلاسيكية المعاصرة .

لقد كان رأى روحية احترام الماضى وتقاليده الفنية وأصوله الراسخة عبر الأجيال ، حتى نقيم عليه بنيانا جديرا يكون سببا فى اهمال الضرورات الشعرية ، وأن يحطم حواجزه .

وعندما نتبين مذهبها الشعرى ، يبدو لنا ما فيه من نزعة واقعية ، وان كان للرومانسية دور كبير فيه ، وسلطان قوى عليه .

والمذاهب الأدبية كثيرا ما تتداخل ، فالرمزية قد تستعير بعض المشاعر الرومانسية ، وهكذا .. ومن ثم فان روحية القلينى تأخذ بطرف من المذهبين ، دون أن تقترب من غيرهما .

فهى واقعية حين تصور المجتمع الذى تعيش فيه ، وهى واقعية حين تتحدث عن تجاربها الشعورية الخاصة ، وتسردها قصصا ملموسة .

وهى « رومانسية » حين تصور الطبيعة والأمانى والمثل العليا والقارىء لشعرها فى مجموعه يلاحظ أنه لم يتطور أو يتغير مدرسة ومذهبا ومضمونا وشكلا ، منذ بدايته حتى نهايته ، ذلك لأن الشاعرة اعتنقت أسلوبا خاصا بها ، وظلت على عقيدتها وفية له متشبثة به ، حتى أصبح القارىء يدرك من أول بيت للقصيدة ،أنه شعر روحية فهى اذن صوت مستقل ، وشخصية قائمة بذاتها ، لها مميزاتها الخاصة .

ان روحية تعد من الشعراء المجددين ، رغم شعرها العمودى ، وقوافيها الملتزمة الوحدة .

ان شعرها يقف فى منتصف الطريق الذى مر به ، ولازال يمر به عديد من شعرائنا المعاصرين .

وكما أننا لا نستطيع أن نقول ان شعرها تقليدى ، وان نظمت عددا وفيرا من القصائد الطوال والقافية الواحدة ، كذلك لا يمكننا القول ان شعرها هو الشعر الحديث ، أو الحر .. الذى يتغاضى عن عدد التفاعيل وتكرار القافية ، وعدم الالتزام بها ، والذى يعتمد كل الاعتماد على الواقع والمضمون والفكرة .

وروحية فى شعرها تميل الى القصص الشعرى ، فنرى فى دواوينها الكثير من القصائد التى تبدأ بالحدث ، وتنتهى بنهايته .

وقد نظمت من بحور معينة أحبتها ومالت اليها ، فأكثرت منها وأهملت غيرها .

وهذا أيضا لا يعيب الفنان ، فهو لا يختار ، بل يوحى اليه فينهج السبل فى صدق وأمانة وحرية .

وشعر روحية القلينى يخاطب النفوس فى بساطة ورقة وعفوية . فلا تأنق فى الألفاظ، ولا تعصب فى الكلمات .

◄

ليس فيه بحث ولا جهد ، ولماذا البحث والجهد .. وهو شعر الأحاسيس السمحة النية والقصد ، ومنبع الخواطر السانحة فى لحظة الوحى والتجلى .

انه النبع الذى يسرى بين الحقول ، ليروى ما يقابله من نبات وزرع ، فى صفاء وتفان وتضحية .

وهو لذلك لا يعترف بالنزعة العقلية الفلسفية ، ولا يدين الا للشعور الصادق .

لذلك نراه عديم الاشارة والتلميح ، قريب الرؤى والأخيلة ، يميل الى الوضوح كل الميل ، ويتجنب الرمزية والغموض يمتاز بالتعبير المباشر والجرس الغنائى .

سلس الألفاظ ، محدود الصور والتشبيهات ، وان كان غزير المناجاة ، فياض المشاعر .

انه شعر يخرج من القلب ، الى القلب .
يخرج مشبوبا عارما ، يموج وجدانا واحساسا .

يخرج كما هو ، وكما تحس به الشاعرة ، بلا تكلف أو تصنع ، وبغير تعقيد أو تقليد .

انها تحس فتكتب فتقول ما يتوارد فى ذهنها :

مالى أنها والسهد فى عينى يعزف ألف آه الخ .

***

خلاصة القول ، نستطيع أن نقول ان شعر روحية القلينى هو السهل الممتنع .
فالقارىء العادى يحس أن هذا ما يريد أن يقول ، ولا يستطيع قوله .

انه شعر تميز بالصدق ، لذلك أحبه الكثيرون ، واعترفوا لصاحبته بالشاعرية والاقتدار .

لقد أخذت روحية الشعر فى بادىء الأمر كهواية جميلة ، ولكنها درست وثقفت نفسها بنفسها وربت ملكاتها ، وأقبلت على القارىء بعد ذلك بتذوق وفن .

ومهما يكن من أمر ، فان شعرها يعتبر فتحا جديدا فى عالم الشعر النسائى فى جيلنا الحاضر .

لقد كشفت عن شاعرية المرأة فى عصرنا الحديث ، وأصبح ذا قيمة أدبية ، فى زمن نهضت فيه المرأة وانطلقت بخطى سريعة فى طريق الخير والحق والايمان .

يتبع

جليلة رضا

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

كيميائية الماء

الاعجاز العلمى

فى القرآن الكريم (٢)

تقديم

ليس من العسير أن يسلم الناس فى ضوء خبراتهم العادية أن أول شروط بقاء الاشياء على الارض هو عدم خروجها على الناموس أو النظام الطبيعى .

فمثلا اذا ما ولد طفل برأسين فأنه سريعا ما يموت ، أما الطفل الطبيعى فهو غالبا ما يعيش .

وبالمثل نجد ان أول شروط المعجزة الخالدة مسايرتها للناموس الطبيعى ، او لسنة الخالق سبحانه وتعالى ، أو النظام الذى سنه لهذا الوجود .

ولهذا السبب انتهت كل معجزات الرسل الخارقة للقانون الطبيعى وضاعت معالمها .

مثل : هدهد سليمان ، وعصى موسى وناقة صالح ....

على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

أما ثانى شروط المعجزة الخالدة فهو ان لا يقف اعجازها عند عصر معين ، ولا يحد بثقافة أو علم بالذات .

وعلى هذا النحو كان من الطبيعى أن نكون المعجزة الخالدة كتابا يتجدد اعجازه على مر العصور هو القرآن الكريم الذى يخاطب العقل ويوجه الحديث الى أهل العلم والمعرفة ، ويوقظ الضمير ، ويحرك الوجدان .

وفى هذا العصر (عصر العلم) عندما اتسعت أمامنا آفاق الكون المرئى ، وعرفنا كثيرا من نظمه وسننه التى بنى عليها ، استطاع الانسان أن يرسى قواعد العلم التجريبى الذى أتى بما يشبه المعجزات ، وبهر عقول الناس .

وأساس العلم التجريبى هو تلمس آيات الخالق وسننه فى عالم الحس ، وهى آيات

بقلم الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

شاملة وسنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير :

« وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً » الاحـزاب الآية (٦٢) •

ولم يكن عجيبا اذن ان يسخر القرآن الكريم من الجاحدين عندما جاءوا الى الرسول الكريم يطلبون منه عمل الخـوارق ، وهو يخـاطب عقولهم ، ويعجزهم بفصاحته ومعانيه :

وَقَالُـوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِـنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا • أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّـن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا • أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّـهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً • أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً » الاسراء الآيات (٩٠ ـ ٩٢)

قضايا علمية :

والحق ـ أيها المسلم الكريم ـ أن الخالق المبدع جل شأنه شاءت ارادته، لحكم وأسباب عديدة جوهرية ، ألا تدركه الحواس ، وهـو يدرك الحواس ، وأولها البصر :

« لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَـارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » الانعام الآية (١٠٣) •

ولكن رحمة بنا (كما قلنا فى مقالنا السابق رقم ـ ١ ـ) ، لم يتركنا هكـذا حيارى فى بيداء هذه الحياة الدنيـا ، اذ تجلى لنـا فى كتابين خالدين •

كتاب نقرؤه ليكون معجزة خالدة ناطقـة بوجوده سبحانه وتعالى وبصدق رسالة نبيـه الكريم ، وهو القرآن الكريم ، أو كتاب اللـه المسطور •

وكتاب نراه ، وندركه بحواسنا ، وندرسه ، هو كتاب الله المنظور •

وعندما تكلم الخالق بالقرآن الكريم كـان من الطبيعى ان يستمد كثيرا من آياته وحكمه من الكتاب المنظور ، وهو الكون • وعلى هـذا النحو تحدث عن السماء ، والهواء ، والمـاء ، والاحياء ، فقال ـ مثلا ـ فى سورة الجاثية :

« إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَـوْمٍ يُوقِنُونَ • وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ

مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ • » ؟ الآيات ٣ — ٦ •

على هذا النحو أثار القرآن الكريم العديد من القضايا العلمية ، فى نحو ٨٠٠ (ثمانمائة آية) عرفنا جانبا من أعماق اعجازها فى ضوء تلك الآفاق الواسعة التى فتحها امامنا عصر العلم •

ومن واجبنا ، ونحن نعيش عصر العلم ، أن نظهر تلك الأعماق المعجزة الأخاذة فى ظل الثابت من الحقائق العلمية ، من غير أن نكلف الآيات الكريمة ما لا طاقة لها به من الاستعارات أو الكناية •

ونحن عندما نفعل ذلك لا ندعى أن ما نقوله هو نهاية المطاف ، لان كتاب الله سوف يبقى معجزا الى يوم الدين •

العمق الأول للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم :

ولعل أول ما يلفت أنظارنا من اعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم انه هضم معلومات البشر العلمية الصحيحة منذ نزل •

وفى معنى آخر تمشت معلومات البشر العلمية الصحيحة (قديمها وحديثها) مع ما أثاره القرآن الكريم من قضايا العلم •

ولقد ضربنا مثلا لذلك فى مقالنا السابق (١) بشرح كلمة (لموسعون) فى قوله تعالى :

« وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » سورة الذاريات الآية (٤٧) وفى هذا المقال سوف نلتقى بمثل آخر نشرح فيه كلمة (لواقح) فى قوله تعالى : **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ »** سورة الحجر الآية (٢٢) •

قال بعض الاقدمين فى تفسير كلمة (لواقح) انها تعنى تلقيح الرياح لبعض النباتات بحمل ونقل حبوب اللقاح كما هو معروف • وهذه حقيقة علمية ثابتة لا تزال قائمة لأنها مستمدة مما نرصده فى الكون •

وفى هذا العصر — وفى ضوء علم الارصاد الجوية — وفقنى الله ففسرت كلمة (لواقح) على انها انما تعنى تلقيح الرياح للسحاب بعد أن تثيره ، وذلك لكى يجود بالمطر •

والمعنى العلمى السليم لتلقيح الرياح للسحاب المثار هو انها تمده بجسيمات صغيرة من الأملاح أو الأحماض تعرف علميا باسم (نوى التكاثف) •

وهذه الجسيمات المجهرية هى التى تتجمع عليها جزيئات بخار الماء العالق فى الجو والذى تحمله الرياح أيضا ويسمى التكاثف ، وبهذا التكاثف تتكون قطرات الماء داخل السحب، ثم تنمو وتسقط على هيئة مطر •

وجدير بالذكر أن أول كتاب يقرر حقيقه ان السحب تكونها أو تثيرها الرياح — ومنها الهواء الصاعد — هو القرآن الكريم ، وذلك فى العديد من الآيات ، مثل قوله تعالى فى سورة الروم .

« اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا »، الآية (٤٨) ، ولا يقف القرآن الكريم عند هذا الحد ، بل يفرق بين السحابة التى تمطر وغيرها من السحب التى لا تمطر ، فيبين ويقرر أن سبب الامطار هو تلقيح الرياح للسحاب أو امداده ببخار الماء وبنوى التكاثف اللازمين وتخاطب الناس فى هذا العصر بلغة العصر ،

وهكذا يتبين لنا — ان الآية الكريمة انما تثير ثلاث قضايا علمية رئيسية تظهر اعجاز القرآن الكريم فى عصر العلم بكل جلاء ووضوع ، وتقيم الحجة على كل مكابر ، وتخاطب الناس فى هذا العصر بلغة العصر أى لغة العلم .

اما القضية الأولى : فهى أن كلمة (لواقح) **تهضم** : حقيقة أن الرياح تلقح النبات كما قيل من قبل .

كما تهضم حقيقه أن الرياح تلقح السحاب بنوى التكاثف وببخار الماء لكى يجود بالمطر كما ثبت فى هذا العصر .

والقضية الثانية : أن هذا التفسير الحديث الذى تكشف لنا فى عصر العلم يجعل من الفاء فى قوله تعالى (فأنزلنا) (فاء) السببية وهذا يربط بين شطرى الآية برباط سليم فى قوله تعالى :

« وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... » .

أى أن نزول المطر انما ينجم عن تلقيح الرياح للسحاب كما قدمنا .

وتتضمن القضية الثالثة تقرير حقيقة الدورة المائية ما بين السماء والأرض فى قوله تعالى :

« ... وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ » .

فكلمة (ما) هنا ناقية ، تعنى أن الماء العذب ، أو ماء المطر ، ليس مخزونا فى مكان معين ، ولكنه دورة مستمرة ، قوامها — كما نعلم — أن الشمس تبخر بعض ماء البحار والمحيطات ، وتحمل الرياح تلك الأبخرة وتصعد بها الى مناطق اثارة السحب ، ثم تدأب على تلقيح تلك السحب بنوى التكاثف وببخار الماء لكى تجود بالمطر الذى لا يلبث أن يعود ماؤه الى البحر من جديد عن طريق المياه الجوفية أو الأنهار ليعيد الكرة من جديد .

وعلى ذلك فان مصدر المياه العذبة على الأرض كلها وبدون استثناء هو المطر) سواء أخذناه . من الآبار ، أو من العيون أو من الأنهار ، أو من النافورات . ويقرر القرآن الكريم تلك الحقيقة فيقول فى بساطة لفظية واعجاز علمى مبين فى سورة الواقعة :

« أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ » **الآية (٦٩)** .

والمزن هو السحاب الممطر ، والله تعالى أعلم .

للبحث بقية

د. محمد جمال الدين الفندى

كيميائية الماء

« أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » .

صدق الله العظيم

وردت كلمة الماء فى كتاب الله العزيز فى بضع وستين آية وفى أكثر من ثلاثين سورة يمتد بساطها من « البقرة » حتى « النازعات » .

من هذه الآيات ما يشير الى مصدر الماء .

ومنها ما يشير الى أهميته للحياة .
ومنها ما يبين منافعه المختلفة .
ومنها ما يدعو للتدبر .
ومنها ما يحث على الشكر .

ومن الامور المسلم بها أن جميع الكائنات الحية على اختلاف أنواعها وفصائلها لاتحتمل البقاء بدون الماء .

ويعرف الماء عند العلماء بأنه ذلك : « السائل الشفاف الذى يسمح للضوء بالنفاذ من خلاله » . فتنبعث بذلك الحياة فى الكائنات النباتية التى تعج بها مياه البحار والمحيطات ونستطيع الجزم بأن السواد الأعظم (ان لم يكن الكل) من التفاعلات الكيميائية لا يمكن أن تتم بدون الماء فى احدى حالاته .

والماء هو السائل الوحيد المتواجد فى الأحوال العادية فى حالاته الثلاثة المعروفة وهى الصلابة (الجليد الذى يغطى قمم الجبال) والسيولة (كمياه الأنهار والبحار) والغازية (بخار الماء المتصاعد فى الجو) .

الخواص الطبيعية :

وللماء بوجه عام خواص طبيعية قلما تتوافر فى أى سائل آخر من السوائل المعروفة مثل قدرته على اذابة كثير من العناصر والغازات والمركبات ومن بينها صخور القشرة الأرضية ومعادنها والغازات الموجودة فى الغلاف الجوى ويندر وجود مادة لاتذوب فى الماء ولو بقدر ضئيل .

ومن هنا تتضح أهمية الماء أيضا كعامل من عوامل التعرية .

بقلم : الكيميائى
منير عبد الفتاح عبد الحميد

ويتميز الماء أيضا بشدة توتره السطحى بمعنى أن جزيئات الماء تميل الى التماسك مع بعضها على السطح ، ولهذه الخاصية أهمية فى تكوين قطرات الندى والرذاذ وفى احداث الأمواج .

وللماء قدرة كبيرة على اختزان الحرارة، فهو يمتص الحرارة ببطء ويفقدها أيضا ببطء، ولذا كانت البحار والمحيطات ، بمثابة المنظم الفائق لدرجات الحرارة على الارض وتشغل مياه البحار والمحيطات ما يقرب من ثلاثة أرباع مسطح الأرض وتشغل اليابسة الربع الباقى .

ولحكمة الهية بالغة وجب أن تكون المساحة المغطاة بالماء أكبر من مساحة اليابسة وقدتبين من الحسابات الدقيقة الدور الهام الذى تقوم به البحار والمحيطات فى تلطيف مناخ الأرض عامة ، وفى توزيع درجات الحرارة على سطحها توزيعا عادلا . ولو خلا كوكبنا هذا من هذا القدر الهائل من الماء لصار كوكبا تسوده فروق هائلة من درجات الحرارة لا تساعد على قيام الحياة .

وقد تبين أن القمر لا يوجد على سطحه ماء على هيئة بحار أو محيطات (انما يوجد صقيع دائم التجمد على عمق ١٥٠ م من سطح القمر وتحته ماء) ولذا كانت درجات الحرارة فوق سطح القمر بالنهار تفوق درجة غليان الماء ، كما أنها تهبط فى الليل الى ما تحت الصفر بكثير .

ويحير الماء فى معظم سلوكياته الطبيعية عن القوانين المتعارفة بين علماء الكيمياء والطبيعة مما حير العلماء قديما وحديثا وأثار دهشتهم ، الامر الذى دفع ذوى البصائر منهم الى الايمان بوجود مبدع ومتقن لهذا الكون « صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ » .

وليتسنى لنا توضيح بعض السلوكيات الشاذة للماء نذكر نبذة عن تركيب جزىء الماء .

جزىء الماء :

يعرف الجزىء عموما بأنه أصغر جزء فى المادة يظل محتفظا بنفس خواص المادة . وكل جزىء عبارة عن ذرتين أو أكثر مرتبط بعضها ببعض بطريقة معينة . وما يهمنا ها هنا هو التحدث عن بنية الذرة المكونه لجزىء الماء .

ذرة الهيدروجين :

الذرة هى جسيم متناهى فى الصغر تحده أفلاك دوارة ناشئة عن دوران شحنات سالبة (الكترونات) والجسيم الصغير المستقر فى قلب الذرة يسمى بـ « النواة » ويحمل

شحنة واحدة موجبة فى حالة ذرة الهيدروجين وتوجد شحنة واحدة سالبة (الكترون) تدور حول هذه النواة فى مدارات خاصة •

ولنفسح مجالا صغيرا للأرقام نستطيع تخيل مدى صغر الذرة فنقول اننا اذا استطعنا حشد عشرة ملايين ذرة متلاصقة الواحدة بجوار الأخرى فانها لا تشغل فى الطول سوى ملليمتر واحد ، اذ يبلغ قطر الذرة فى المتوسط حوالى $\frac{1}{100\ 000\ 000}$ (واحد على مائة مليون) من السنتيمتر •

ذرة الأكسجين :

تحوى ذرة الأكسجين فى قلبها (كأى ذرة أخرى) شحنة موجبة ذات قدرة على جذب ثمانية شحنات سالبة (الكترونات) وبالتالى وجد أن مدارات (افلاك) • هذه النواة ذات الشحنة الموجبةتحتوى علىثمانية (الكترونات) تسبح فى المدارات بسرعات متفاوته وبدقة متناهية ثابتة •

ويتكون كل جزىء من جزيئات الماء من ذرتين من الهيدروجين مترابطتين بقوى تجاذبية مع ذرة واحدة من الأكسجين وهذه الجزيئات تتجاذب أيضا فيما بينها مكونة الحالة السائلة •

الخواص الطبيعية للماء •

١ ــ درجة غليان الماء •

تعرف درجة الغليان بأنها الطاقة (الحرارة فى هذه الحالة) اللازمة لفك قوى التجاذب الرابطة للجزيئات فيتحول الماء من الحالة السائلة الى بخار الماء المكون من جزيئات مفككة عن بعضها ،وهذه الطاقة الحرارية تعادل ١٠٠°م (مائة درجة مئوية) وتسمى درجة غليان الماء •

وبمقارنة بسيطة بين درجة غليان الماء ودرجة غليان بعض السوائل الأخرى المتشابهة فى تركيبها مع الماء نلحظ حيدة (١) الماء عن تلك السوائل الأخرى فمثلا : بينما تبلغ درجة غليان الماء مائة درجة مئوية نجد أن درجة غليان (النوشادر) السائل تساوى ــ ٣٣°م (ثلاثة وثلاثون درجة مؤية تحت الصفر) بينما نجد أن سائل « كبريتيد الهيدروجين » = ــ ٥٩°م (تسعة وخمسون درجة تحت الصفر) وسائل (الميثان) = ــ ١٦١° م (مائة وواحد وستون درجة مؤية تحت الصفر) ، وذلك نتيجة لعظم قوى بين جزيئات الماء اذا ما قورنت بجزيئات السوائل الأخرى •

ب ــ درجة تجمد الماء وكثافته :

ان خفض درجة حرارة الماء يؤدى الى زيادة التقارب بين جزيئات الماء وبالتالى تناقص

(١) بزنة نبضة بمعنى حياد والفعل حاد يحيد

حجم الماء أى زيادة كثافته فيهبط الى القاع حتى اذا أخذت درجة الحرارة فى التناقص عن ٤° م أربع درجات مئوية) يبدأ الماء فى التجمد ويزداد حجمه تدريجيا وبالتالى تقل كثافته فيبدأ فى الصعود الى سطح الماء ويظهر على شكل طبقة جليدية فوق سطح الماء واذا لا نجد جليدا فى قاع المحيطات والبحار فى المناطق الباردة والا هلكت جميع الكائنات الحية التى تعيش فى الماء • هذا بخلاف السوائل الأخرى التى تظل تتناقص فى حجمها عند خفض درجة الحرارة وتكون طبقة متجمدة فى القاع •

أنواع المياه :

١ ـ مياه الأمطار

« وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا » الفرقان (٤٨ ، ٤٩) •

يكاد يؤدى بخار الماء العالق فى الجو أهم ركن فى تكوين كافة ظواهر الجو باستثناء عواصف الرمال ، فعندما يتكاثف بخار الماء نتيجة تبريد الهواء (بالانتشار والتمدد مثلا) ويتحول الى نقط من الماء ، يمكن أن تتكون السحب المختلفة ، وعند ظروف جوية معينة يتم تكاثف بخار الماء المتصاعد تحت درجة الصفر المئوية مكونا سحبا مختلفة ، وأهم هذه السحب ما يسمى بالسحب الركامية التى تبدو فى السماء ذات قمة (أطراف) ناصعة البياض لتوافر بللورات الثلج فيها والمنطقة الوسطى منها تحوى نقطا مائية تسمى بـ (الماء فوق المبرد) واذا تعرضت هذه السحب للرياح المحملة بجسيمات صلبة فان ذلك يساعد على تحول نقط الماء فوق المبرد الى بللورات ثلجية فتنشط عمليات التكاثف وتزداد بازدياد البللورات الثلجية التى تتلاحم مع بعضها حتى تصل السحابة الى حالة « فوق التشبع » فتبدأ الأمطار فى الهطول • فالرياح اذن ذات دور هام فى هطول الأمطار ، وقد تمكن العلماء (بمحاكاة الطبيعة) من تغذية السحب الركامية المحملة بنقط الماء فوق المبرد بجسيمات مثل تلك الجسيمات التى تحملها الرياح مثل مسحوق أو أبخرة من ملح كلوريد الصوديوم أو ملح معين من أملاح الفضة أو بللورات ثلجية مما يساعد على زيادة التكاثف وهطول الامطار (الامطار الصناعية) •

وتسقط الامطار مارة بهواء الغلاف الجوى الخارجى الذى يحتوى على الغازات القابلة للذوبان ، ولذلك يلاحظ أن مياه الامطار تحتوى على نسب ملحوظة من عنصرى الأكسجين والنيتروجين ، كما تحتوى مياه الأمطار أيضا على ثانى اكسيد الكربون الذى يعتبر وجوده ذو أهمية للنباتات كما سنذكر بعون الله •

وقد وجد أن سقوط الأمطار فى المدن الصناعية التى تنتشر فيها الابخرة

والغازات الضارة يذيب معظمهـــا مثـــل الكبريت الذى يتحول الى حمض الكبريتيك حيث يتعادل الأخيـر مـع أمـلاح (الكالسيوم) و (الماغنسيوم) الذائبين فى الماء فيفقد فاعليته ويعتبر ذلك من عوامل الوقاية من تلوث البيئة الناتج عن (تكنولوجيا) الصناعات الحديثة • ومن الناحية الكيميائية تعتبر مياه الامطار على درجة عالية من النقاوة على الرغم مما تقابله من أبخرة وغازات فى الهواء الجوى •

٢ ــ مياه الأنهـار :

هى مياه أمطـار تجمعت ــ على سـطح الأرض ــ فى بقاع معينة بنظرية جيولوجيـة معينة • وقد لوحظ وجود مواد عضوية عالقة بمياه الانهار كما لوحظ وجود مواد عضـوية أخرى فى قيعان الأنهار ، وهى ناشئة عن تحلل نباتات وحيوانات قديمة كانت مدفونة فى باطن الأرض وحملتها المياه •

وهذه المواد العضوية تتغذى عليها أنواع من البكتريا وتنتج ثانى أكسيد الكربون الذى يحتاجه النبات والذى يذوب فى مياه الانهـار مكونا (حمض الكربونيك) فيـذيب أمـلاح (الكالسـيوم) و (الماغنسيوم) الموجودة فى طبقات القشرة الأرضـية ، كمـا أن هذه المخلوقات الضـئيلة الحجم التى تسـمى (بالبكتريا) تعتبر مصـدرا هـاما لانتـاج (النوشادر) و (النيترات) و (النتـرات) التى تذوب أيضا فى مياه الانهـار ، وتعتبر مصدرا غذائيا هاما لنمو النباتات الزراعيـة أثناء عمليات الرى بمياه الأنهار •

٣ ــ مياه الآبار :

« وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءِ » صـدق لله العظيم •

تشكل مياه الآبـار مستودعا عظيما للماء • وتتكون مياه الأبار نتيجـة تسرب بعض مياه الانهار والبحيرات من خلال بعض الصـخور المسامية والتصدعات الصـخرية • فيتغلغـل الماء خلال هذه المسام والشقوق الصخرية الى الاعماق الأرضية فى حركة بطيئة وتبعا لنظرية علمية دقيقة ، وقد تستغرق مسـيرته بعض المئات من السنين الى آن تتلاقى هذه المياه فى منطقة فى باطن الأرض محاطة بصخور صماء ولا تسمح للماء بالنفاذ من خلاله فتستودع فيهـا مكونة بئرا •

وتتفاوت أعماق الآبار من منطقة الى أخرى فهناك آبار يبلغ عمقها ٨٠٠ م (ثمانمائـــة متر) ويبلغ عمرها ١٦٠ « مائة وستون » عاما ، وهناك آبار عمقها ٢٢ كم (اثنـان وعشرون كيلو مترا) ويصل عمرها الى ٥٠٠٠ (خمسـة الاف) علم ، وقـد يصـل عمق البئر الى ٦٦ (سته وستين) كيلو مترا كما فى الولايـات المتحـدة الأمريكية ويبلغ عمرها ٣٠٫٠٠٠ (ثلاثون ألف) عـــام • وقـد تمكن العلماء من تتبع مسار المياه من خلال معرفتهم لساميـة الصخور •

ونتيجة لمرور المياه خلال مسام الصخور • يتم ترشيح الماء من المواد العالقة به ، ومـن بعض المعادن والأملاح الضارة ، مما يجعله فى

أغلب الاحيان صالحا للشرب ، ويسميه العلماء بالماء الصافى •

ومما تجدر الاشارة اليه أن مياه الآبار فى جنوب أفريقيا تتواجد (فى أغلب الاحيان) على أعماق قريبة جدا من سطح الأرض الا أن أحدا من تلك الدول التى يطلق عليها (الدول المتحضرة) ، لم يكلف نفسه بامداد هذه الدويلات البائسة بوسائل ضخ المياه على الرغم من ضآلة تكاليفها اذا قورنت بتلك المعونات التى تقدم اليها •

والجدول التالى يوضح أهم العناصر الضارة المحتمل تواجدها فى الماء والنسبة التى لا ينبغى أن تزيد عنها حتى يكون الماء صالحا للشرب •

العنصر	النسبة المسموح بها مقدرة بالملليجرام / اللتر
الحديد	٣ر٠
المنجنيز	٥ر٠
الكبريتات	٢٥٠
الفلور	١٠٤
الزرنيخ	٠١ر
النحاس	١
السيانيد	٠١ر
الرصاص	٠٥ر
الزنك	٥
السكادميوم	٠١ر
الكروم	٠٥ر
الزئبق	٠٠٢ر
الزنك	٥
السيلينيم	٠١ر
اليورانيوم	—
العناصر المشعة الأخرى	—

وقد وجد أن هناك بعض مياه الآبار تحتوى على نسبة ملحوظة من العناصر المشعة ويرجح أن السبب فى ذلك يعود الى تجارب التفجيرات النووية المتعددة التى يجريها الانسان •

الملليجرام / اللتر = $\frac{١}{١٠٠٠}$ (واحدعلى الألف) من الجرام فى كل لتر من الماء •

٤ ــ ماء البحار

يختلف ماء البحر عن الماء العذب فى كثير من الخصائص التى أهمها أن ماء البحر أكبر كثافة من الماء العذب وذلك بالنظر لوجود كثير من الاملاح الذائبة فى ماء البحر •

ثم ان ماء البحر لا يتجمد فى درجة الصفر المئوى كالماء العذب • كما يختلف سلوك ماء البحر عن الماء العذب عند التبريد فماء البحر يظل ينكمش بانتظام ــ أى تزداد كثافته بالتدريج حتى يصل الى درجة التجمد •

ويحتوى ماء البحر على كثير من العناصر والمركبات الذائبة فيه • ومن أهمها الاملاح المعروفة التى توجد بتركيز ثابت فى جميع المحيطات •

بيد أن الجانب الأكبر منها هو ملح الطعام المعروف (بكلوريد الصوديوم) ولو أخذنا لترا من ماء البحروسخناه حتى يتبخر الماء تماما فانه سوف يبقى فى الاناء قدر معلوم من

كيميائية المـاء

الاملاح • وفيما يلى تركيب هـذه الامـلاح الموجودة فى لتر واحد من ماء البحر •

كلوريد الصوديوم	=	٢١٣ر٢٧ جرام
كلوريد الماغنسيوم	=	٨٠٧ر٣ جرام
سلفات الماغنسيوم	=	٦٥٨ر١ جرام
سلفات الكالسيوم	=	٢٦٠ر١ جرام
سلفات البوتاسيوم	=	٨٦٣ر٠ جرام
برميد المغنسيوم	=	٠٧٦ر ٠ جرام
كربونات الكالسيوم	=	١٢٣ر٠ جرام

المـــاء الثقيل :

إن الحديث عن انواع المياه لابد أن يدفع بنا الى التحدث ــ ولو بايجاز شديد ــ عمـا يسمى بالماء الثقيل فنقول وبالله التوفيق :

يختلف جزىء الماء الثقيل عن جزىء المـاء العادى (الخفيف) فى أن جزىء الماء الثقيل يحتوى على ذرتين تشابهان ذرتى الهيدروجين الا أن الذرة منهما تتكون نواتها من (بروتون) و (نيوترون) (أى شحنة موجبة وأخـــرى متعادلة) •

وتسـمى ذرة «الديوتريوم » أو نظـــير الهيدروجين وتبلغ كتلته ضعفكتلة الهيدروجين العادى • ونقطة تجمد الماء الثقيل هى ٨٢ر٣°م (ثلاثة واثنتان وثمانون درجة مئويـــة) وتزيد نقطة الغليانبمقدار درجة واحدة ونصفالدرجة المئوية عن الماء الخفيف •

ويمكن الحصول على الماء الثقيل بواسطـة التحليل الكهربائى (تحت ظروف خاصة) للماء الخفيف •

والواقع أن هذا الماء الثقيل يوجد كشوائب فى الماء العادى • وقد وجد أنه بتحليل ستة أطنان من الماء العادى يمكن الحصول على كيلو واحد من الماء الثقيل (بواسطة طريقة الفصل الكيميائى) •

ويؤثر الماء الثقيل على الكائنات الحيــة تأثيرا شديدا • واذا ما أخذ بكميات كبيرة فانه يكون ساما جـدا • فقـد وجـد أن البذور المنقوعة فى الماء الثقيل لا تنمو ، والحيوانات والأسماك التى توضع فى الماء الثقيل تموت ــ كذلك ــ بعد فترة من الوقت •

أما استخداماته فهو يستخدم أساسا كمبطىء (مهدىء) لنشاط النيوترونات الرهيب فى داخل المفاعلات الذريه كما يمكن القــول أنه أيضا يسـتغل كمبرد لبعض المفاعلات الذرية اذ تبلغ درجات الحرارة أحيانا حوالى مليون درجة مئوية فى بعض التفاعلات النووية •

منير عبد الفتاح عبد الحميد

ومن العجيب أيضا ما روى من أن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كانت تتمثل بقول لبيد :

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وتقول : رحم الله لبيدا ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟

ومما يتمثل به منه أيضا قوله من قصيدة له طويلة مطلعها : « ان تقوى ربنا خير نفل »

واكذب النفس اذا حدثتها
ان صدق النفس يزرى بالأمل

وقد ذكرت لك سابقا قوله :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

وصاياه عند موته

لم يكن للبيد ولد ذكر ، وله ابنتان ، فلما حضرته الوفاة أوصى ابن أخيه أن يصنع صنيعه مع قومه ، فقد كانت له جفنتان يغدو بهما ويروح على مسجد قومه بالكوفة ليطعمهم ، وأوصاه أن يحمل الطعام فاذا سلم الامام قدم الجفنتين للمصلين فإذا طعموا دعاهم لحضور جنازته . وهنا قال شعرا منه :

أبنى لو أبصرت أعما
مى بنى أم البنينا
وأبى الذى كان الأرا
مل فى الشتاء له قطينا (١)
ما أن رأيت ولا سمعت بمثلهم فى العالمينا
فبقيت بعدهم وكنت بطول صحبتهم ضنينا

دعنى وما ملكت يمينى
ان شددت بها الشئونا
وافعل بمالك ما بدا
لك مستعينا أو معينا

وبهذه الأبيات وغيرها يعتبر ممن رثى نفسه قبل موته ، ومثله فى ذلك مثل مالك بن الريب المازنى وقال لابنتيه وهو يحتضر :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما
وهل أنا الا من ربيعة (٢) أو مضر ؟
فان حان يوما آن يموت أبوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا حليفه
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقد نفذت البنتان تلك الوصية .

واذا كانت معلقته التى وصفها نقاد الشعر بأنها أجمل وثيقة تدل على صدق الأدب الجاهلى فان شعره الروحى بما حوى من نظرات صائبة ومنهج كريم ودعوة الى الشمائل الرفيعة والأخلاق الكريمة أجل شاهد على عقلية العربى التى تجعل فن القول لبناء المجتمع الناهض الكريم ، فلقد كان قدوة اقتدى بقدوة ، وما أصدق قوله فى معلقته :

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها

رحم الله لبيدا ، وجعل أعماله الصالحة نورا يسعى بين يديه يوم يكون القرآن شاهدا له لا عليه .

السيد حسن قرون

---

(١) قطينا : المراد كن فى رعايته .

(٢) ربيعة : يقصد أباه وقد مات مثل مضر .

طرائف

أخلاق أمراء الصحابة

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين فى فتح الشام ، وبين أحد قواد الروم ، جاءه أمير الروم بطعام فاخر وقال له :

هذا طعام الأمير :

فقال له أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟ .

قال : لم يتيسر مثله للجند .

فقال أبو عبيدة : لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام ، وبئس المرء أبو عبيدة ان صحب جندا من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشىء يصيبه ، لا والله لانأكل الا مما يأكلون .

يمين لا يحلف بها أعرابى أبدًا

قال الهيثم بن عدى : يمين لا يحلف بها أعرابى أبدا « لا أورد الله لك صادرة ، ولا أصدر لك واردة ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك » .

حكم عربية

* لا سلامة لامرىء فى خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

* ينصب لكل غادر لواء يعرف به .

* لا خير فى فقه الا بورع .

* رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه .

* الأعمى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه .

* ملاك الدين الورع ، وفساد الدين الطمع .

* الوفاء ضالة ناشدها كثير ، وواجدها قليل .

* يبصر القلب ما يعمى عنه البصر .

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

* من كشف حجاب غيره ، انكشفت عورات بيته .

إنى أخاف عليك

دخل السدى على عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – بعد أن تولى الخلافة .

فقال له عمر – رضى الله عنه – : أسرك ما وليت أم أساءك ؟ .

فقال له السدى : سرنى للناس ، وساءنى لك .

فقال عمر – رضى الله عنه – : انى أخاف أن أكون قد أوبقت نفسى .

فقال السدى : ما أحسن حالك ان كنت تخاف ، انى أخاف عليك أن لا تخاف .

اسم الذئب

قال دحية القاضى ، وكان من مجانين القصاص :

كان اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا .

فقالوا له : ان الذئب لم يأكل سيدنا يوسف .

فقال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف .

أصناف الإخوان

قال العتابى : الاخوان ثلاثة أصناف :

فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل .

فأما الفرع البائن من أصله ، فاخاء بنى على مودة ثم انقطعت فحافظ على زمام الصحبة .

وأما الأصل المتصل بفرعه : فاخاء أصله الكرم ، وأغصانه التقوى .

طرائف .. ومواقف

وأما الفرع الذى لا أصل له : فالمموه الظاهر الذى ليس له باطن .

هكذا الحظ

قال الامام الشافعى ـ رحمه الله ـ :

تموت الأسد فى الغابات جوعا
ولحم الضأن تأكله الكلاب

وعبد قد ينام على حرير
وذو نسب مفارشه التراب

أدب الشعر

قال معاوية ـ رضى الله عنه ـ لعبد الرحمن ابن الحكم :

انك قد لهجت بالشعر ، فاياك والتشبيب بالنساء فتعر شريفة .

والهجاء فتهجن كريما ، أو تثير لئيما .

واياك والمدح فهو كسب الانذال .

ولكن افخر بمآثر قومك ، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك ، وتؤدب به غيرك ، وأن لم تجد من المدح بدا فكن كالملك المرادى حين مدح فجمع فى المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحل رحلى فى بنى ثعل
ان الكريم لكريم محل

عيادة المريض

مرض يوما أبو عمرو بن العلاء ، فعاده بعض أصحابه .

وقال له : أريد أن أساهرك الليلة ، فأجابه :

أنت معافى ، وأنا مبتلى .

فالعافية لا تدعك أن تسهر ، والبلاء لا يدعنى أن أنام .

وأسأل الله أن يهب لأهل العافية الشكر ، ولأهل البلاء الصبر .

دعاء

« ربنا أتمم لنا نورنا وأغفر لنا انك على كل شىء قدير » .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

لغة وأدب ونقد

من روائع تراثنا المخطوط

الدلالة في اللغة

الأدب السواحيلي

قضية البعث الإسلامي

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

للحافظ ابن حجر العسقلاني

علماؤنا الأقدمون – رحمهم الله تعالى – أدوا واجبهم نحو دينهم ، وأسهموا فى بناء صرح الحضارة الانسانية ، ابتغاء وجه الله تعالى .

وجانب من ذلك يمتثل فى مخطوطاتنا العربية الكثيرة والقيمة ، والباقية الى اليوم شامخة برغم الاعتداء على مكتباتنا بسبب الاعتداء الهمجى ، أو كوارث الطبيعة أو الجهل .

وبهذا الجانب نثبت للدنيا أننا أصلا فى معارفنا وتفكيرنا وقد أثرنا فى حضارة غيرنا . كما شهد بذلك الفضلاء . ولم نكن نقلة بريد ولا مقلدين وحسب .

وتفكير علمائنا وتأليفهم كان على أسس سليمة وقويمة على نحو ما شهد به المنصفون .

وقد أحيا الغرب على يد المستشرقين روائع من تراثنا ، فكان عملهم ريادة ، وكان منهم ولهم افادة واستفادة . وبقى أن ننهض لبعث وكشف وتجلية الكنوز المدفونة فى الظلام ، لتشرق نورا فى دنيا النور .

ومخطوطة (غراس الأساس) التى نحن بصدد تحقيقها والتقديم لها احدى روائع مخطوطاتنا ، ومن أغلى (المخطوطات) لأنها حملت عنوانها ، واسم مؤلفها ، والاشارة الى انتهاء الكتاب ، والنسخة الأصلية للمؤلف التى نقل عنها .

وموضوعها جليل ، لأنه يتناول عملا قاموسيا معجميا لخدمة لغة الضاد الخالدة : توثيقا واستدراكا لامام علامة هو : الحافظ ابن حجز العسقلانى ، على قاموس فذ لامام ألمعى هو العلامة الزمخشرى الذى فصل فيه لأول مرة بين الحقيقة والمجاز ، وله فى دنيا العلم والعلماء مكانة مرموقة وتبع ترتيبه الأبجدى بعده أصحاب قواميس كثيرة .

والحافظ بن حجر ولد بمصر سنة ٧٧٣ هـ فنبغ فى علوم الحديث والدين والقراءات ، أصبح ولا يزال ملء السمع والبصر وبلغت تآليفه مائة وخمسين مصنفا أعظمها : فتح البارى فى شرح صحيح البخارى رضى الله

للدكتور توفيق محمد شاهين

عنه • وله ديوان شعر وديوان خطب • والغراس الذى نحن بصدد الحديث عنه •

ولا عجب أن ينبغ فى اللغة وقد أخذها عن مجد الدين صاحب القاموس المحيط ، وتوفى الى رحمة الله فى ذى الحجة سنة ٨٥٢ هـ •

ويوجد من المخطوطة — على حسب علمنا ، وبعد سؤالنا فى الداخل والخارج — نسختان بخطين مختلفين ، رمزنا لأولاهما فى التحقيق بحرف (أ) ورمزنا للثانية بحرف (ب) للاستئناس بها فى التحقيق فقط •

وقد بين ابن حجر رحمه الله فى مقدمته منهجه فى التأليف ، والغرض من هذا الكتاب كما سنرى فى مقدمته • وفى أدب العلماء والفضلاء أشار الى أن ما يشير اليه فى (الغراس) هو من باب (المجاز) ، ومالم يسطره فى الغراس فهو من باب (الحقيقة)•

وبهذا ،ومن خلال قراءتنا وتفهمنا ونقلنا للغراس — نرى أنه سيخالف الامام الزمخشرى فى كلمات ، سواء كانت من الحقيقة أو المجاز فى معجم (أسا س البلاغة) للامام الزمخشرى •

وقد وافقه فى كثير من الحقيقة ، وخالفه فى قلة من ألفاظها كما وافقه فى بعض ألفاظ المجاز ولم يوافقه فى بعضها الآخر •

فما وافقه فيه من الحقيقة أو المجاز فهى علامة صحة للاساس ، وما خالفه فيهما فهى شهادة لابن حجر بطول الباع والبصر باللغة العربية ، بسبب التنقيب فى بطون المعاجم وأمهات الكتب اللغوية والادبية ،كما أشارت مقدمة الغراس الى ذلك •

(والغراس) يعتبر مختصرا لمجاز الأساس ، ويعتبر بالتالى امتحانا واختبارا للأساس يعلى من شأنه ، ويتدارك ماند منه أو ما فاته ، ولا يغض من شأنه •

وهو يشهد بروعة بلاغة ابن حجر وتميز أسلوبه الأدبى ،وبعده عن القراءات الشاذة، وما يجرح من لفظ ، أو يوهم بجرح ، على ما سنرى •

(والغراس والأساس) اذن علامتان شامختان للأدباء والعلماء والمتعلمين تهديان الى الأسلوب الرائق ودقة اللفظ وذروة البلاغة •

وعملى فيه : هو النسخ من الألف الى الياء للنسخة (أ) ، لصعوبة قراءة خطها ،ولخلوها من النقط ، على خلاف النسخة (ب) •

ولم أتدخل بالاضافة الى النص الا لضرورة قصوى ، وجعلت الاضافة بين معقوفتين • وشرحت الغامض والمبهم فى ايجاز فى الهامش ، ونبهت على التصحيف والتحريف ، وسبق القلم فى الهامش أيضا ، مستعينا بالله

تعالى ، ثم بالقواميس المعتبرة وفى مقدمتها الأساس ، وكذلك الكتب اللغوية • وكان نسخى وتعليقى فى كتابة املائية حديثة •

وقد كتبت — قبل ذلك — مقدمة للغراس طويلة وضافية فيها بيان وتفصيل •

وبينت أن المخالفة يشكر عليها ابن حجر لبيان الحقيقة ،ويرضى عنها الزمخشرى ، لأنه طالب حقيقة ومرسى دعائم • وفى ايجاز للحكم على الموافقة والمخالفة ، نجد ابن حجر قد خالف الزمخشرى فيما عده من الحقيقة فى هذه الكلمات :

(اخوان ، أف ، أفق ، أهل ، وبتر ، وبَشّ، ودحو ، ودد ، ودرق ، وداخ ، وربت ورمن) كما اعتبر من المجاز : (برطل ، وبرة وبزّ ، ودسر ، ودغدغ ، وذرف ، ورال ، ورغف ، وركو ، ورمس ورمع ، ورهياً) •

وهذا وذاك فى أبواب : الهمزة ، والباء والدال ، والذال ، والراء فقط •

ومن ذلك ندرك أهمية المخطوطة ••

وما كان من حكم فمرجعه الى المعاجم ، وتتبع الاستعمال ، وتأريخ الحياة للألفاظ اللغوية • وفى هذه المقدمة موضوع الكتاب المخطوط ، والاشادة بالأساس ، ومنهج ابن حجر فى الكتابة والترتيب ، ونماذج لأول الكتاب تتلو بعضها ان شاء الله ، يقول رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم — وبه ثقتى

الحمد لله الذى من على عباده البلغا بانطلاق ألسنتهم بوضع اللغا والصلاة والسلام على محمد أفصح من نطق ، وأبلغ من بلغ فبلغ ما ابتغى ، وعلى آل محمد وصحبه صلاة وسلاما ما هدر فحل ورغا ، وبر حالف ورغا • أما بعد :

فقد وقفت على كتاب أساس البلاغة للعلامة أبى القاسم : جار الله فوجدته كتابا نفيسا : اشتمل على الكلمات الظاهرة ، والأمثال السايرة ، واقتصر على الألفاظ المستعملة ، وتجنب المشكلة والمهملة •

وصدر ما وضع بازاء الحقيقة ، وتلى بما استعمل بطريقة المجاز ، وفصل كلا منهما بأوضح امتياز ، فجاء كتابا حافلا وجامعا كاملا •

فرأيت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة فى اللغة من تبيين الحقيقة من المجاز والتمكن من اجتناب الاسهاب ، وارتكاب الايجاز • فرأيت الاقتصار منه على ما جزم بأنه وضع على طريق سبيل المجاز ، مكتفيا بالكتب المصنفة فى اللغة ، فانها أوعب لها من هذا الأساس • فمن لم يجد فى هذا المختصر شيئا فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة ، وسميت هذا المختصر : (غراس الأساس)

وطريقتى فيه :

أن أذكر بعد كل حرف مفرد ما يثنيه وأسلك، طريق الترتيب حتى فيما يثلثه ويربعه :

فأترجم مثلا « الباء » ثم أقول : (با) ، فأورد ما أوله (با) ، ثم أنتقل الى ما بعدها مثل (بب) وهلم جرا •

وأراعى الترتيب بما ذكرت : فأقدم (باب) على (باس) ، وكذا أصنع فى كل حرف طلبا للايجاز ، ورغبة فى النجاز .
والله أسأل أن ينفع به ، انه سميع مجيب.

بـاب الألف :

* (أبد) : قوله : بأوابد الكلام أى غرائبه ، وبأوابد الشعر ،وهى التى لا تشاكل مفرده (١) ،
وأنشد الفرزدق :

لن تدركوا كرمى بلؤم أبيكم
وأوابدى بتنحل الأشعار (٢)

* (أبر) القرن طرفه ، وكذا ابرة المرفق، وابرة العقرب والنحلة : شوكتها .
قال الشاعر (٣)
لابد مع الرطب من سلاء النخل ، ومع الشهد من ابر النحل .
ولدغته العقرب بمئبرها والجمع مآبر ، وانه لذو مأبر فى الناس .
ويقال : خبثت منه المخابر فمشت بينهم المآبر . وأبر فلان فلانا : اغتابه وآذاه .
ومنه قول النابغة :
ومن دس أعداء اليك المآبرا (٤).

* (إبط) : الرمل : مسقطه ، وابط الجبل سفحه ، ضرب آباط الامور :أى معانيها .
وضرب آباط المغازة : جازها .
* (أبل) فلان اذا ترك الجماع .
ومنه قيل للراهب : الأبيل .
وتقول : فلانة لورآها الأبيل لضاق (٦) به السبيل .
* (أبن) العداوات (٧) والعيوب ، ومنه لا يؤبن له الحرم (٨) .
يقال : أبنه بالتخفيف اذا عابه ، وبالتشديد اذا مدحه ، ولكنه غلب فى مدح النادب ،
ويقال : قرظ (٩) أحياهم وأبن موتاهم .
* (أبى) لا أبا لك ، ولا أبا لغيرك ، ولا لشانئيك (١٠) .

يقولونه فى الحب .

ويقال : لعمر أبيك ، ولعمر سواك (١١) ، وأبو الأضياف ، ومن أبو مثواك وهو أبو الرؤيس ، اذا كان كبير الرأس ، وأبو العمامة كذلك .
* (أتى) (١٢) تأتى له أمره : اذا تسهلت له طريقه ، قال الشاعر : تأتى له الأمر حتى

(١) فى (ب) لا تشاكل جودة
(٢) المادة وشاهد الفرزدق فى الاساس .
(٣) فى الأساس : وتقول بدلا من قال الشاعر ، لأن ما بعد ذلك مثل لاشعر .
(٤) فى النسختين (المآبر) ، وما ذكرناه فى الأساس ص ١٠ ، وصدر البيت : وذلك من أتاك أقوله .
(٥) ما بين المعوفتين زيادة من الاساس .
(٦) النسخة (أ) الغساق بدلا من لضاق .
(٧) فى الأصل : العدادات .
(٨) فى الأساس : ومنه الحديث « لاتؤبن فيه الحرام »
(٩) فى الأصل : قرط بالطاء
(١٠) فى الأساس : ولا أبا بالشانئك .
(١١) فى الاساس : والعمر أبى سواك ، وأنشد قول الكميت : انى لعمر أبى سواك من الصمائع والذخائر .
(١٢) لم يذكر الأساس مجازا فى ذلك .

انجبر ، وأدى أتاوة أرضه : أى خراجها .
وضرب عليهم الاتاوة : أى المجباية .

* (أثف) تأثفوه : اجتمعوا له حوله .
قال النابغة يخاطب النعمان ... .
وان تأثفك الأعداء بالرفد (١) .

وتأثفنا بالمكان : ألفناه فلم نبرح منه (٢) .
وتآثف القوم على الأمر : تألبوا عليه .
وفلان مرجوم بأثافى الشرور وبثالثة الأثافى
وبقيت منهم أثفية خشناء : أى جماعة كثيفة
ورجل مثفى : مات له ثلاثة أزواج .
وامرأة مثفاة ، قال (٣) .

نكحت مثفاة شهيرا جمالها
وأعلم أن الموت لا بدواقع (٤)

ويقال : لا تثف قدرك لهذا الامر : أى لا تنتدب له .

ولا يثفى لهذا الامر قدرى ، أى لا أندب لمثله .

وثفيت قدره لكذا : اذا جعلته عدة له .

* (أثل) نحت أثلته اذا انتقصه ، قال الأعشى :

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا .. .. .. (٥)
ولفلان أثلة مال : أى أصل مال . وشرف مؤثل وأثيل .
والأثال : المجد .

* (أجج) مرّ يؤجُّ فى مسيرِهِ : اذا كان له حفيف .

وقد أج أَجَّة الظليم .
ومنه ، أجَّة القوم : حفيف مشيهم .

* (احن) (٦) بينهم مؤاحنه قديمة ، من الإحن وهى العداوة .

* (أخر) أبعد الله الآخر ، أى من غاب وبعد .
والغرض الدعاء لمن حضر (٧) .

* (أخ) أخ الوداد أقرب من الأخ الولاد (٨) .

بين السماحة والحماسة تآخ (٩) .
وشد الله بينكما أواخى (١٠) الاخاء (جمع آخية) ، وهى ما يربط به الفرس .

* (أدب) جاش أدب البحر. اذا كثر ماؤه .

---

(١) وأول البيت : لا تقذفنى بركن لا كِفاءله .
(٢) فى الأساس : فلم نبرحه .
(٣) أنشد اليزيدى : الأساس .
(٤) وبعد هذا البيت قوله : وكنت مثفى ليت شعرى من الذى .. هو اليوم مضجوع ومن هو فاجع .
(٥) وعجز البيت : ولست ضائرها ما أطَّت الابل . الأساس .
(٦) اعتبرها الأساس حقيقة
(٧) وعبارة الأساس : ومن الكفاية:ابعد الله الآخر ، أى من غاب عنا وبعد .
(٨) فى الأساس : اخوان الوداد أقرب من اخوة الولاد .
(٩) فى (الاصل أ) آخ .
(١٠) زيادة فى الأساس .

❋ (أدم) فلان مؤدم منشر (١) :اذا كان لينا فى خشونة .

وليس تحت أديم السماء أكرم منه .

وأتيته أديم الضحى ، ورأد الضحى بمعنى وظل أديم النهار صائما ، وأديم الليل قائما أى كله .

وفلان إدام قومه ، وأُدُمُ بنى أبيه لثمالهم (٢) ومن يصلح أمورهم .

وفلان أدمة قومه : أى سيدهم . وائتدم العود : جرى فيه الماء .

ومن الكناية : ليس بين الدراهم والأدم مثله يريدون بين العراق واليمن ، لأن التبايع فيهما بالدراهم والأدم .

❋ (أدى) (٣) وشاك مؤد للكامل الأداة . والأداوى : الحواصل .

❋ (أذن) فلان أذن : اذا كان سمعه ، وهى أذن ، وهما أذن .

وأذن الكوز : عروته .

ومضت فيه أذنا السهم .

وفلان ناشر أذنيه : أى طامع .

وجاء لابسا أذنيه : أى متغافلا .

وفى المثل ، أَعْرِفُ الأرنب وأذنيها : أى لا يخفى علىّ .

وتقول سيماه بالخير مؤذنة .

وقد آذن النبات : اذا أراد أن يهيج .

❋ (أرب) فلان تأرب علينا :أى تغير (٤)

❋ (أَرَزَ) بتنا بليلة يأرِز من فيها :لشدة بردها .

يقال : أرزت أصابعه من البرد .

❋ (أرض) (٥) فرس بعيد ما بين سمائه وأرضه اذا كان نهدا (٦) .

ومن أطاعنى كنت له أرضا : يريد التواضع

وفلان ان خيرت فأرض : أى لايبالى بالضرب .

أرى الجدب أرض المصر : أى العداوة تتولد (٧) من الشر .

❋ (أزر)آزر بعض الزرع بعضا : اذا تلاحق ، وتآزر النبات .

وشد للأمر مئزره : اذا شمر له .

وعم المطر فتآزرت به الأهضام ، وتعممت به الأكام .

وفلان عفيف المئزر والازار ، ومنه قوله : **الطيبون معاقد الأزر** (٨) .

ويقال : عفيف الأزر خفيف الأوزار ..

---

(١) مبشر بالباء فى الأساس .
(٢) فى الأصل لتماثلهم .
(٣) لم يذكر أصل المادة فى الأصل .
(٤) فى الأساس : فلان تأرب علينا : فلان تعسر .
(٥) لم يذكر أصل المادة فى الاصل .
(٦) زيادة من الأساس .
(٧) فى الأصل : ما تتولد من الشر .
(٨) القائلة هى : خِرْنِق . ومعاقد فى الاصل ساقطة القاف والدال ، الاساس .

من روائع تراثنا المخطوط

وفى الحديث القدسى : « الكبرياء ازارى » . وتآزر الحائط (١) : قويته بحائط (٢) يلزق به ، ويسمى أيضا الازار .

وآزر الكتاب تأزيرا . وكتب لى كتابا مؤزرا بكذا .

وشاة مؤزرة كأنما أزرت بسواد (٣)

وفرس آزر : أبيض العجز ، وخيل آزر (٤) ونصره نصرا مؤزرا .

* (أزز) لجوفه أزيز : هو فى الأصل صوت القدر اذا غلت .

* (أزف) فى عينيه أزف : أى ضيق (٥)

* (أزم) أزم علينا الدهر : اذا عض . وسنة أزمة وأزوم والجمع أوزام ، وأصابتهم أزمة ، وتتابعت الأزمات . وأزم بالقضية (٦) وعليها : اذا حافظ . والتقينا فى مأزم الطريق (٧) : أى فى مضيقه .

* (أزى) (٨) يقال : بنو فلان يؤازون بنى فلان : أى يقاومونهم فى كونهم ازاءً للحرب (٩) .

وفلان لايؤازيه أحد ، وكله من الازا : أى الحذا .

* (أسد) استأسد الرجل : صار كالأسد فى جرأته . واستأسد النبات : طال وعظم .

وآسد الكلاب بالصيد أغراه به وآسد بين الكلاب : هارش بينهما : وبين القوم حرش (١٠)

* (أسر) (١١) شد الله أسره : أى قوى احكام خلقه .

* (أسس) فلان أساس أمره الكذب .

* (أسف) أرض أسيفة : لا تمرح (١١) بالنبات .

* (أسو) أسوت بين القوم : أصلحت ، وملك ثابت الأواسى ، وهى الأساطين الواحدة آسية (١٢) .

يتبع

د/ توفيق محمد شاهين

---

(١) فى الأصل (تاثر) .
(٢) فى الأساس : بحويط .
(٣) الشرح من الأساس .
(٤) فى الأصل (جبل أزر) .
(٥) كذا فى الاصل ، وفى الأساس : فى عيشه أزف : أى ضيق .
(٦) كذا فى الاصل ، وفى الأساس : أزم بالضيعة
(٧) فى الاصل : مأزم الطرى : اى فى مضيقه .
(٨) أزى ، لم يذكر المادة فى الأصل .
(٩) الشرح فى الأساس .
(١٠) فى الأساس ، وبين القوم : أفسد .
(١١) فى الاساس ، لاتموج بالنبات .
(١٢) الجمع من الأساس .

الدلالة في اللغة

دكتور فتحي أنور عبد المجيد

١ ـ تمهيد

يخلط أصحاب المعاجم وكثير من الخاصة والعامة بين مدلول ومعنى كثير من الكلمات وكثيرا ما يجعلونها من المترادفات ويطلقون بعضها على بعض مثل :

الكلام واللغة ، الكلام والقول ، الألفاظ والكلمات ، الأصوات والكتابة ، الأصوات والحروف (١) .

ولكن المتخصصين فى الدراسات اللغوية والمدققين فى فروعها يفرقون بين دلالة كل لفظ من هذه الألفاظ .

فالنحويون يفرقون بين الكلمات والألفاظ والكلمة عندهم : لفظ دل على معنى أى أن اللفظ ينطق به فاذا دل على معنى فهو الكلمة فالكلمة أخص من اللفظ (٢) .

كما يفرق النحويون بين الكلام والقول فالكلام : لفظ مفيد وهو ما نسميه بالجملة كما فى : قام محمد .

والقول : هو اللفظ مطلقا مفيدا أو غير مفيد فكل كلام قول وليس كل قول كلاما (٣) .

واللغويون يفرقون بين الكلام واللغة واللغة عندهم ذات مصدرين :

(أ) المصدر الذهنى ويطلق عليه مصطلح : اللغة

ب ـ المصدر الواقعى ويطلق عليه مصطلح: الكلام

فاللغة (أى لغة) **هى صور ذهنية فى عقل** المتكلمين **بها وحين استعمالها على لسان أى** فرد من المتكلمين **بها تكون كلاما .**

وقيل : الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل والكلام سلوك واللغة : معايير هذا السلوك والكلام : نشاط واللغة قواعد هذا النشاط ، والكلام : حركة واللغة نظام هذه الحركة ، واللغة تفهم بالتأمل فى الكلام .

(١) القاموس (لفظ ، كلم) .

(٢) حاشية الصبان ١ ـ ١٩ وما بعدها ودلالة الالفاظ د. أنيس ـ ٣٨ .

(٣) الخصائص ١ ـ ١٧ .

الدلالة فى اللغة

والكلام يحسن بالسمع نطقا والبصر كتابة فالكلام هو : المنطوق والمكتوب ٠

واللغة هى : الموصوفة فى كتب اللغة والقواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها (١) ٠

ويفرق علماء الأصوات بين : الأصوات والكتابة : فاللغة التى يستعملها الناس هى أصوات يعبرون بها عن أغراضهم واذا دونت هذه الأصوات فتلك هى الكتابة ٠

فالكتابة هى : التعبير عن اللغة المنطوقة (٢)

كما يفرق علماء الأصوات بين الصوت والحرف :

فالصوت هو ذلك العرض الذى يصحب النفس أثناء النطق فاذا انتهى الصوت تكون الحرف وبعبارة أخرى : الحرف المكتوب رمز للصوت المنطوق (٣) ٠

٢ ــ المقصود بالدلالة

اذا كانت الكلمة تتكون من أصوات أو حروف فلا تسمى كلمة فى اللغة الا اذا حملت هذه الأصوات ــ التى تتكون منها الكلمة ــ معنى ودلت على شىء وعلى هذا فالمقصود بالدلالة فى اللغة هو : دلالة اللفظ على معنى وعلم الدلالة هو « العلم الخاص بدراسة معانى الكلمات والضمائم (أجزاء الجمل) والجمل » (٤) ٠

٣ ــ تطور الدراسة الدلالية :

والدراسة الدلالية أى دلالة اللفظ على المعنى جعلت اللغويين يهتمون بدراسة المعنى مثل اهتمامهم بدراسة اللفظ ودراسة المعنى اللغوى ــ هو المسمى عند علماء اللغة باسم الدلالة ــ دراسة قديمة لم يهتم بها العلماء الا فى العصر الحديث على يد « بريال » Breal عالم اللغة الفرنسى واليه يرجع الفضل الأول فى تسمية هذه الدراسات باسم الدلالة Semantic

وفى عام ١٩٣١ ظهر عملان جليلان كان لهما أكبر الأثر فى النهوض بدراسة المعنى وهما : كتاب « المعنى وتغير المعنى » لشترن Stern وكتاب « ترير » Trier حيث تناول فيه نظرية الحقل اللغوى من أهم نظريات التحليل اللغوى على المستوى الدلالى (٥) ٠

هذا ٠ودراسة الدلالة شائعة فى كل اللغات ٠ ولم تقتصر على علماء اللغة وحدهم بل تناولها بالدراسة الفلاسفة والمناطقة والبلاغيون والأصوليون وعلماء النفس وغيرهم (٦) ٠

٤ ــ المعنى اللغوى للكلمة وأنواعه ٠

معنى الكلمة فى اللغة هو مقصودها والمراد

---

(١) اللغة العربية ــ مبناها ومعناها ــ د٠ تمام حسان ــ ٣٢ ومابعدها ، علم اللغة العام ــ أسسه ومناهجه ــ ٤٠ وما بعدها ٠

(٢) مدخل الى علم اللغة ٣١ ٠

(٣) سر الصناعة ــ ابن جنى ١ ــ ٦

(٤) ينظر علم اللغة العام ١٨٦ ٠ نفسه ــ ١٨٥ بتصرف ٠

(٥) نفسه وقارن بدور الكلمة فى اللغة ترجمة د٠ بشر ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٦) ينظر مدخل الى علم اللغة ــ ٧٤ واللغة العربية ــ مبناها ومعناها ــ ١٧ ومابعدها ٠

منها من عنى يعنى اذا أراد وقصد .

ويختلف علماء اللغة فى تحديد المقصود من المعنى اللغوى فيذهب البعض الى أن المعنى : هو العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمدلول ويقصد باللفظ الصيغة الخارجية وبالمدلول الفكرة التى يستدعيها اللفظ ، وقيل : معنى اللفظ : هو الموقف الذى يقال فيه والآثار التى يحدثها لدى السامع .

وقيل المعنى : هو مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس ، وأحدث الآراء فى تعريف المعنى هو تعريف «كيسلنج» Keseling وفيجا Wiegai الذى يفرق بين معنى الكلمة والجملة ويرى أن المعنى هو المفهوم الذى يرتبط بالكلمة (١) .

وعلى ضوء هذه التعريفات لمعنى الكلمة فاما أن تكون هذه الكلمة مكونة من أجزاء وكل جزء دال على معنى أو تكون مجردة من السياق أو موجودة فى سياق جملة .

ومن هنا فالمعنى اللغوى يمكن تقسيمه الى أنواع ثلاثة :

١ ــ المعنى الوظيفى : وهو ما تؤديه عناصر الكلمة المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية) من تحديد لمدلول الكلمة .

فمثلا كلمة « ضربته » : ض . ر . ب هى الوحدات الصوتية الأساسية (الأصوات الساكنة) تدل على الحدث نفسه وهو : الضرب فاذا شكلت هذه الوحدات بالحركات (الأصوات المتحركة القصيرة) الثلاث المفتوحة دلت على حدوث الضرب فى زمن مضى .

وضمير « التاء » دل على التكلم ، وضمة التاء دلت على الفاعلية وضمير « الهاء » دل على المفعولية وهكذا . وقد اشتركت كل هذه العناصر المكونة للكلمة فى أداء المعنى الوظيفى (٢) .

٢ ــ المعنى المعجمى وهو ما تؤديه الكلمة من معنى مجردة عن السياق وهو ذلك المعنى الموجود فى معاجم اللغة كدلالة لفظ لقط : الطود على : الجبل أو عظيمه والمشرف من الرمل واطلاقه علم على جبل مشرف على عرفة وعلى رجل الخ (٣) .

سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية .

٣ ــ المعنى الدلالى أو الاجتماعى . وهو ما تؤديه الكلمة من معنى فى ضوء السياق العام للكلمات المجاورة لها .

ويقصد بالسياق العام السابق الظروف والملابسات التى تحيط بكل من المتكلم والسامع أثناء القاء الكلام (٤) وهى التى تشمل المقام الذى قيل فيه الحدث اللغوى والمقال الذى قيل به ذلك الحدث .

وفكرة « المقام » هى المركز الذى يدور حول علم الدلالة الوصفية فى الوقت الحاضر وهو الأساس لوجوه المعانى السابقة

(١) راجع علم اللغة العام ١٨٦ وقارن باللغة العربية ــ مبناها ومعناها ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) أنظر دلالة الالفاظ د. أنيس ٤٦ ــ ٤٨ وقارن بعلم اللغة العام ١٨٦ ، ١٨٧ واللغة العربية مبناها ومعناها ٣٤١ ودور الكلمة فى اللغة ترجمة د. بشر ٦٥ ــ ٦٧ .

(٣) القاموس (طود) وأنظر دلالة الالفاظ ٤٨ وعلم اللغة العام ١٨٧ .

(٤) أنظر دلالة الالفاظ ٥١ وما بعدها .

الدلالة فى اللغة

(الوظيفى ، المعجمى ، الدلالى) وعلى هذا فالمعنى الدلالى يتكون من عنصرين أساسيين هما :

المقال (ويشتمل على المعنى الوظيفى والمعجمى والسياقى) والمقام (ويشتمل على ظروف أداء المقال والقرائن الحالية) .

ومن هنا يتم فهم النص أو المقال تبعا للقرائن والملابسات والظروف التى تحيط بالمعنى وتحدده (١) .

وانظر معى الى الامام : على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — فى رده على كلمة الخوارج « لاحكم الا لله » بقوله « كلمة حق أريد بها باطل » .

لا شك فى أن الامام كان يفهم جيدا مقصود الخوارج بهذه الكلمة والظروف التى جعلتهم ينطقون بها فلو قنع الناس بالنص الحرفى لكلمة الخوارج لصدقوا أن الخوارج أصحاب حق ويدافعون عنه لكن مقصود الخوارج بهذا المقال : التستر وراء الدين فالمقال دينى والمقام سياسى فرد الامام على مفهما الناس المقال فى ضوء المقام (٢) .

٥ — أنواع التطور الدلالى :

ان المعنى الدلالى للكلمه يتطور من عصر الى عصر آخر وتلك ظاهرة طبيعية تنادى بها سنة الحياة فى التطور والارتقاء كما أن اللغة مرآة للمجتمع ينعكس عليها كل ما يدور فيه من تطور اجتماعى أو تغير نفسى أو تقدم حضارى (٣) .

ويمكن تقسيم مظاهر التطور الدلالى الى الأنواع الآتية :

١ — التعميم أو التخصيص .

وهو تطور يلحق معنى الكلمة نفسه كأن يخصص معناها العام أو يعمم معناها الخاص وان كان تخصيص العام أكثر شيوعا فى اللغات من تعميم الخاص .

ومن أمثلة النوع الأول قولنا « شجرة البرتقال » فقد تخصص هنا مدلول كلمة « شجرة » التى هى اسم لجنس الشجر كله فى الكون ولكنها تخصصت باضافتها الى البرتقال ويمكن تخصيص الدلالة أكثر بأن نقول « شجرة البرتقال المصرية » فاستبعد ذلك أن نقول شجر البرتقال غير المصرى وهكذا .

و « الطهارة » كلمة عامة ولكنها تخصصت فى أذهان الناس لمعنى « الختان » .

و « العيش » كذلك كلمة عامة وتخصصت فى أذهان الناس بمعنى « الخبز » .

ومن أمثلة النوع الثانى ما يحدث للأطفال فى بداية تعلمهم للغة حيث تكون الدلالات عامة عندهم ثم تتخصص بعد ذلك بمرور الزمن فالطفل يطلق لفظ « أب » أولا على

(١) اللغة العربية — مبناها ومعناها ٣٧ ، ٥٢ و ٣٥٣ وقارن بعلم اللغة العام ١٨٧ ومدخل الى علم اللغة ٧٥ .

(٢) راجع لحن العامة د. عبد العزيز مطر ٢٧٩ و ٢٨٠ ودلالة الالفاظ ١٢٣ بتصرف .

(٣) أنظر التطور اللغوى د. رمضان عبدالتواب ١١٤ — ١١٧ ودلالة الالفاظ ١٥٢ .

كل رجل يشبه أباه فى طوله أو شكله أو ملابسه ويطلق الطفل كذلك لفظ « دجاجة » أولا على كل طائر وهكذا وبعد مدة نرى الطفل بعد ذلك يقف فى اطلاق هذه الألفاظ عند مدلولاتها الحقيقية .

ومن أمثلة هذا النوع كذلك لفظ « البأس » فهو فى الأصل خاص بالحرب ثم أطلق على كل شدة (١) .

٢ — انتقال الدلالة .

أى أن الكلمة تدل فى الأصل على معنى ثم تنتقل الى معنى آخر تربطه بالمعنى الأول علاقة وقد تصبح حقيقة فى المعنى الثانى بعد أن كانت مجازا فيه (٢) .

فمن ذلك استعمال كلمة « الشجرة » بمعنى « النخلة » و « الوغى » بمعنى « الحرب » وأصلها « اختلاط الأصوات ، وقولهم فى الكنايات الأدبية « فلان كثير الرماد » كناية عن الكرم و «فلان يريق ماء وجهه» كناية عن « التذلل » وهكذا .

ومن ذلك النوع الألفاظ الاسلامية والشرعية التى تحول مدلولها اللغوى الى معنى اصطلاحى شرعى بظهور الاسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها .

فالصلاة كان معناها فى الأصل « الدعاء » ثم تحول مدلولها الى المعنى الاصطلاحى وهو « الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم وهكذا .

وكثيرا ما حولت العامية ألفاظا كثيرة من معناها اللغوى الأصيل الى معان أخرى .

فلفظ « البغددة » بمعنى « التدلل » — يكاد يقصر استعمالها الآن على وصف المرأة — جاءت الينا من الاستعمال القديم « تبغدد الرجل أى انتسب الى بغداد وأهلها » .

وقد يؤدى انتقال المعنى للكلمة الواحدة الى انحطاط المعنى الثانى مثل كلمة «الكرسى» فقد استعملت فى القرآن الكريم بمعنى « العرش » فى قوله تعالى « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » (٣) .

وهى تطلق الآن على الكرسى الذى نجلس عليه — ولا ريب — فى أن المعنى الأول أسمى من المعنى الثانى .

كما قد يؤدى انتقال المعنى للكلمة الواحدة الى رقى المعنى الثانى ورفعته فمن ذلك كلمة « رسول » كانت تطلق فى وقت ما على الشخص الذى يرسله المرء فى مهمة أيا كان شأنها ولكنه أصبح بعد ذلك يطلق على رسل الله — عليهم السلام (٤) .

٣ — تطور فى الأساليب :

ويتحقق ذلك فى الأساليب العامية التى ترجع الى أصل عربى فصيح فنلاحظ اختلافا واضحا بين الأسلوبين مرده الى تطور دلالى ناتج عن تطور الحياة ورقى التفكير واختلاف مناحيه

(١) دلالة الالفاظ ١٥٤ — ١٥٦ والتطور اللغوى ١١٧ ، ١١٨ وقارن بعلم اللغة ٣١٤ ولحن العامة ٢٨٢ — ٢٨٥ .

(٢) وتسمى حينئذ العلاقة بين المدلولين هى علاقة المشابهة راجع فى توضيح ذلك لحن العامة د٠ مطر ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٤) أنظر دلالة الالفاظ ١٥٦ ومابعدها والتطور اللغوى ١١٨ وعلم اللغة ٣١٤ ولحن العامة ٢٨٨ .

فمثلا « حرم الشخص » تعبير كان يستخدم فى القديم لكل ما يملكه الشخص ويحرم على غيره مسه ثم تطور فى لهجات الخطاب الآن واختص اطلاقه على امرأة الرجل .

وتعبير « طول اليد » كان وصفا للسخاء والجود فأصبح الآن وصفا للسارق . وأسلوب « بنى الرجل بامرأته كانت تستخدم كناية عن دخوله بها لأن الشاب البدوى كان اذا تزوج يبنى له ولأهله خباء جديدا ولا تزال تستخدم هذه العبارة كناية عن المعنى نفسه مع أن الزفاف لا علاقة له فى نظمنا الحاضرة بالبناء (١) .

٤ ــ تطور فى القواعد النحوية والصرفية وتركيب الجمل والتنظيم وغير ذلك .

وهذا متحقق أيضا فى العامية المتشعبة من العربية الفصيحة ومن ذلك التزام المتكلم بالعامية بالتسكين فتتجرد بذلك الكلمات من علامات الاعراب والتزام الافراد والتثنية والجمع فى مواضعها . فمثلا يقال فى العامية « سلم لى على أخوك » ، « ضربت أخوك » وهكذا أضيفت كلمة « لى » على الترتيب وجر الاسم ونصب بعلامة الرفع ، ومن ذلك : تذكير كلمة « ولد » فى قولنا : « ولد صغير » قد جعل معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر حتى أصبحت الآن لا تطلق فى كثير من اللهجات العامية الا على الولد من الذكور (٣) .

٦ ــ عوامل التطور الدلالى :

رأينا ــ فيما سبق ــ أنواع التطور الدلالى ونماذج متعددة لكل نوع منها ونريد آن نوضح الآن ــ أسباب هذا التطور وعوامله ويمكن تقسيم عوامل التطور الدلالى الى قسمين :

القسم الأول : يرجع الى عوامل متعمدة مقصودة ويقوم به المتخصصون فى هذا الفن أو المجامع اللغوية والهيئات العلمية وذلك للحاجة الضرورية فى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ واستحداث دلالات أخرى للتعبير عن التطورات المختلفة فى الحياة من سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية .

ونلاحظ على هذه العوامل المتعمدة أنها أقل أثرا فى اللغات كما أنها لا تهمنا فى هذا المجال (١) .

القسم الثانى : يرجع الى عوامل لا شعورية طبيعية تحدث فى كل لغة وفى كل بيئة وهذا النوع هو المقصود هنا ويمكن ارجاع عوامل التطور الدلالى فيه الى أمور أهمها :

١ ــ كثرة استخدام الكلمة :

وذلك أن كثرة دوران الكلمة على الألسنة يجعلها عرضة للتغيير والتطور وكلما كان استخدام الكلمة أكثر كان تطورها أسرع من غيرها . وكثرة استخدام اللفظ يجعله عرضة

(١) دلالة الالفاظ ١٢٦ وعلم اللغة ٣١٤ ، ٣٢٤ .
(٢) علم اللغة ٣١٣ ، ٣٢٢ .
(٣) راجع دلالة الالفاظ ١٤٥ وما بعدها .

لتخصيص معناه وتحديده • ومن ذلك الألفاظ الشرعية المتعلقة بالعقائد أو الشعائر أو النظم الدينية كالصلاة والصيام والحج والزكاة والمؤمن والكافر والمنافق الخ فقد كان مدلول هذه الألفاظ عاما فى الجاهلية ثم تخصص بشيوع هذه الألفاظ فى ظل الاسلام •

فالصلاة كان معناها فى الأصل : الدعاء ومنهقوله تعالى « وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ » (١) شاع استعمالها فى الاسلام بالمعنى الشرعى الاصطلاحى وهو أنها « أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم » وأصبحت لا تطلق الا على هذا المعنى الاصطلاحى •

وقد تؤدى كثرة استخدام الكلمة الى تعميم معناها الخاص • ومن ذلك لفظ « البأس » وهو خاص فى الأصل بالحرب ثم كثر استخدامه فى كل شدة •

كما تؤدى كثرة استخدام الكلمة الى انقراض معناها الحقيقى وحلول المعنى المجازى مكانه • فمن ذلك لفظ « الوغى » كان يدل فى الأصل على اختلاط الأصوات فى الحرب ثم أطلق مجازا على « الحرب » نفسها ثم كثر استعماله فى المعنى المجازى حتى انقرض المعنى الحقيقى •

وكثر استخدام الكلمة أيضا فى فن خاص قد يجردها من معناها اللغوى الى المعنى الاصطلاحى الجديد فالكلمة قد تطلق فى الشعر على معنى وفى الصحافة على معنى وفى القاموس على معنى وفى السياسة على معنى وفى الحرب على معنى وغير ذلك • ومن هنا نقول : لغة الأدب ، لغة الصحافة ، لغة القانون وهكذا (٢) •

٢ ـ سوء الفهم :

أى سوء فهم القارىء أو المستمع لمعنى كلمة فيفهمها خطأ ويكون ذلك عادة حين قراءة الكلمة أو سماعها الأول مرة وقد يشيع هذا الاستعمال الخطأ فيترتب عليه تطور دلالى للكلمة •

وسوء الفهم لمعنى كلمة هو ما يسميه اللغويون بالقياس الخاطىء فالانسان يقيس مالم يعرف على ما عرف من قبل •

ويحدث ذلك ـ غالبا ـ فى البيئات البدائية وفى حالات الانعزال بين أفراد الجيل الناشىء وجيل الكبار وفى حالات استنباط القارىء لمعانى بعض الألفاظ التى لم يعرفها من قبل وهو حينئذ قد يصيب وقد يخطىء فى المعنى الجديد وقد يسود المعنى الخاطىء ويظل يستعمل مع المعنى الجديد ومن هنا ينشأ ما قد نسميه بالمشترك اللفظى •

فحين تروى لنا المعاجم أن من معانى كلمة « الأرض » : الزكام (٣) نجد أنه لا صلة فى الدلالة بين « الأرض » بمعنى : الكوكب المعروف وبين الزكام الا على أساس هذا التفسير الخاطىء •

ومن أمثلة القياس الخاطىء ما نجده بين

---

(١) التوبة من الآية ١٠٣ •
(٢) أنظر علم اللغة ٣١٩ ـ ٣٢١ •
(٣) القاموس (أرض) •

الدلالة فى اللغة

الطلاب حين يحرفون معنى كلمة « عتيد الى عتيق » أو « عنيد » وهكذا .

وقد تشيع هذه الظاهرة بين الأطفال حين يضعون اسما لشىء ما ولم يسمعوه من قبل قياسا على ما سمع فيضعون لفظ « الفرملة » مثلا « للوقافة » الخ (١) .

٣ ـ تطور المدلول :

وكثيرا ما تتغير المدلولات نتيجة لتغير الشىء نفسه لتغيير طبيعته أو عناصره . أو ظروفه أو ما الى ذلك .

فكلمة « الريشة » مثلا كانت تطلق فى الأصل على آلة الكتابة حينما كانت تتخذ من ريش الطيور ثم تطور مدلولها الأصلى الآن عندما تغيرت المادة المتخذة منها آلة الكتابة فأصبحت الريشة تطلق الآن على قطعة المعدن المعروفة .

ولفظ « الخاتم » كان يستخدم فى الأصل فى ختم الرسائل والوثائق والصكوك وكان ينقش عليه اسم صاحبه ولكن هذا المدلول قد تغير نتيجة لتطور الاستخدام كما هو معروف (٢) .

٤ ـ تطور أصوات الكلمة :

ومن عوامل التطور الدلالى أن تتطور بعض أصوات الكلمة فيتغير لذلك المدلول .

فمثلا كلمة « كماش » الفارسية بمعنى نسيج من قطن خشن تطورت فيها الكاف فأصبحت قافا وبذلك شابهت الكلمة العربية « قماش » بمعنى أراذل الناس وما وقع على الأرض من فتات الأشياء ومتاع البيت فأصبحت الكلمة العربية ذات دلالة جديدة على المنسوجات (٣) .

٥ ـ الابتذال :

قد تتطور بعض المدلولات نتيجة لابتذال الألفاظ الدالة عليها واستعمال ألفاظ بدلا منها لتغيير الظروف المختلفة التى يعيش فيها المتكلمون وهذه الظروف المختلفة منها .. السياسى ومنها النفسى العاطفى ومنها الاجتماعى .

(أ) فقد تبتذل بعض الألفاظ نتيجة لتغيير الظروف السياسية فتتطور بذلك المدلولات .

فكلمة « حاجب » كانت تعنى فى دولة الأندلس « رئيس الوزراء » ثم تطورت الى مدلولها الآن .

ومن ذلك انزواء الألفاظ التى تدل على الألقاب والرتب فى مصر فى وقت ما مثل : (باشا ، بك ، أفندم) .

أصبحت هذه الألقاب أقل الرتب بعد أن

---

(١) دلالة الالفاظ ١٣٥ ـ ١٣٨ وقارن بعلم اللغة ٣٢٣ .

(٢) التطور اللغوى ١١٢ وقارن بعلم اللغة ٣٢٤

(٣) التطور اللغوى ١١٢ ، ١١٣ وعلم اللغة ٣٢٢

كان لها خلال القرن التاسع عشر مركز هـــام ومكان مرموق (١) •

(ب) وهنـــاك ظروف عاطفية ونفســـية تكون سببا فى ابتذال المدلولات وتطورهـــا كأن يكون اللفظ قبيحـــا فيســـتبدل بمـــدلول مستساغ يقبله الذوق •

ومن ذلك كلمة « البربور » أصبحت الآن قبيحة مبتذلة الا فى حـــالات خاصـــة مـــع اشتقاقها من أصل عربى فصيح (٢) •

ومن ذلك وجود كلمتين عربيتين وشـــيوع أحدهما عن الآخـــر (كالمدة والصديد) فقد أنزوت الكلمـــة الأولى لابتـــذالها وشـــاعت الثانية (٣) •

(جـ) وتلعب الناحية الاجتمـــاعية دورا هـــاما فى ابتـــذال بعض الألفـــاظ وتطـــور مدلولاتها •

فاختلاف الناس فى طبقاتهم وفئـــاتهم كثيرا ما يؤدى الى تطور المدلولات وخـــروج بعضها من معانيها الأولى •

واختلاف الناس كذلك فى الظروف الطبيعية والجغرافية ومستوى المعيشـــة والتقـــاليد والعادات ومستوى التفكير والثقافة وغيرهـــا يؤدى الى تطور دلالى (٤) •

ففى البيئات البدائية تظهـــر بصـــورة واضحة ظاهرة التشاؤم والتفاؤل وان وجدت كذلك فى البيئات الأخرى وينعكس أثر ذلك تماما على اللغة •

فكلمة « الهلاك » تدل فى الأصل السامى القديم على مجرد الذهاب تطورت هذه الدلالة فى اللغة العربية وحل محلها لفظ « المـــوت » وأصبحت كلمة الذهاب يكنى بها عن الموت ثم وجدت ألفاظ أخرى للتعبير عن « المـــوت » كقولنا « توفى » أو « فاضت روحه » •

وقد يتغير مدلول اللفظ نتيجة لما يثيره هذا المدلول فى النفس من ألم وخوف ونفور •

ومن ذلك التكنية عن أســـماء الأمـــراض والحشرات والحيـــات وغيرها بألفاظ تكـــون مدلولاتها أخف على السمع وأكثر قبولا •

فلفظ « الحمى » فى الأرياف قـــد يطلقون عليها « المبروكة » و « الملدوغ » يطلق عليـــه « السليم » تفاؤلا بسلامته •

كما تؤدى شدة الاحترام والهيبة لـــدى البعض الى عـــدم ذكـــر الاســـم الحقيقى للشـــخص •

ومن ذلك ما يفعلـــه التلميـــذ حـــين يتحاشى ذكـــر اسم معلمه أو رئيســـه ويكنى عنه بكلمة أخرى مثل : الأستاذ وهكذا (٥) •

د• فتحى أنور الدابولى

---

(١) دلالة الالفاظ ١٣٩ ، ١٤٠ •
(٢) القاموس (بربر) •
(٣) دلالة الالفاظ ١٤٠ ـ ١٤٢ •
(٤) علم اللغة ٣٢٥ •
(٥) دلالة الالفاظ ١٤٢ ـ ١٤٥ •

الأدب السواحيلي

أدب إسلامي

من أعجب الظواهر فى تاريخ اللغات ، ظهور اللغة السواحيلية كلغـة اسلامية فى منطقـة شرق افريقية بأسرها ، وقيامها كوسـيط ثقافى بين شعوب عدة للتعبير عن الحضـارة الاسلامية والمبادىء الأساسية فى الثقـافة الاسلامية العالمية .

الشـعب البانتوى :

واللغة السواحيلية هى فى أصلها لهجـة أو لغة من لغات الشعب البانتوى العظيم ، الذى تمتد أوطانه الآن على رقعـة فسـيحة من افريقية من مصب نهر « ريودلرى » الـذى يفصل جنوب (نيجيريا) عن (الكاميرون) ، ثم يسير بشكل متعرج حتى يصل الى بحيرة « البرت » ثم يدور حول بحيرة « فيكتوريا » من الشرق ويرسم نصف دائرة فى تنزانيـا ، وينحرف شمالا متحاشيا « ممباسا » وساحلها حتى نهر « جوبا » ، وتشمل هـذه الرقعـة الفسيحة جنوب افريقيا وشرقيهـا والجـزء الأعظم من وسطها تقريبا .

اللغة السواحيلية :

أما اللغة السواحيلية ، وهى تسمية عربية فقد تهيأ لها ما لم يتهيأ لشقيقاتها البانتويات الأُخَر حيث التقت باللغة العربية والثقـافة العربية الوافدة من شبه الجزيرة العربيـة ، وقد أدى هذا الى النهـل مـن معين العربية والأخذ منها لكـل ما يـلائم البيئـة الجديدة حتى أصبحت أكثر قدرة على التعبير والافصاح والربط بين مختلف الشعوب فى المنطقة ، بل أصبحت لغة المسلمين الأساسية على طول سـاحل شرق افريقيـة مـن « كيسيمايو » فى جنوب الصومال الى مدينة « ايبو » فى الجنوب ، مارة بسـاحل « كينيا و « تنزانيا » والجزء الأعظم مـن « موزمبيق » ، ليس ذلك فحسب ، بل أصبحت أيضـا لغة سـكان الجزر المجاورة للساحل ، ولغة التعامل والتفاهم فى كثير مـن المـدن والمناطق الداخلية فى « أوغندا » و « مالاوى » و « رواندا » و « بورندى » و « الكونغو »

وغيرها . بل امتد نفوذها الى « مدغشقر » و « جزر القمر » والموانىء الجنوبية للبحر الأحمر وعلى طول السواحل الجنوبية للجزيرة العربية والخليج العربى والسواحل الغربية « لباكستان » و « الهنغال » .

كتابة اللغة السواحيلية :

ولقد كتب المسلمون من العرب والافارقة اللغة السواحيلية بالحروف العربية ، التى ظلوا يستخدمونها حتى بداية القرن التاسع عشر تقريبا ، ولكن الاستعمار الاوربى كان حريصا على فصل الثقافة الوليدة عن جذورها العربية الأصيلة ، فعمل على كتابة السواحلية بالحروف اللاتينية ، وعمل أيضا على قطع الوشائج والصلات بينها وبين العربية ، ولكن هيهات أن يتم له ما أراد ، فالمسلمون اليوم فى طول البلاد وعرضها يتطلعون من جديد الى الاستمداد من روافد العربية والثقافة الاسلامية

الأدب السواحيلى :

أما الأدب السواحيلى ، فينقسم منهجيا الى ثلاثة أقسام :

١ ــ أدب شعبى .
٢ ــ أدب تقليدى .
٣ ــ أدب حديث .

الأدب الشعبى :

وهو ما عبر به القوم عن ثقافتهم وأفكارهم وأحاسيسهم فى مأثور القول من شعر ونثر ولكنهم لم يدونوه ، ولم يحرصوا على كتابته كدأب الامم من قبلهم ، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى اهتمامهم بالثقافة العربية الأصلية ، أو قلة الكتابة والكتابيين بينهم ، أو غير ذلك من الأسباب ، ومع ذلك فقد حرص العلماء على جمع هذا التراث الضخم وتدوينه ودراسته والوقوف على مضامينه ، وهم يرون فى تلك الآداب الوجه الحقيقى والسمات الاصيلة للثقافة الافريقية .

ومن فنون الأدب الشعبى :

١ ــ الحكايات والاساطير .
٢ ــ الامثال والألغاز والأحاجى .
٣ ــ الاغانى بمختلف أنواعها .

أما الحكايات ، فقد وجد منها عدد كبير ، مثل حكاية ، « الواكاماى » « أهل اللبن » و « منيرى » و « الرجل الفقير وابنه » و « الثعبان والكتكوت » و « ليونجو » و « قصة المعلم جوسو » و « السلطان المجنون » وغيرها .

ومن الحكايات ذات الشخوص الحيوانية ، والحكايات المتأثرة بالأدب العربى وجدت أعداد كبيرة ، سنذكر بعضها فى هذا المقال .

هذه الحكايات تعرض كثيرا من مظاهر الثقافة الافريقية من خلال البيئة المحلية الممثلة فى الغابة بما فيها من وحوش مفترسة ، وحيات فاتكة وما كان يقوم به الناس من تقديم القرابين البشرية لأربابهم حتى تجنبهم الشر ، ففى حكاية « منيرى » أن الناس كانوا يقدمون للحية طفلا تأكله كل عام حتى تسمح لهم بمرور الماء ، وكذلك فى حكاية « الرجل الفقير » يقدم الناس القرابين على قبر الميت .

دور الأديان السماوية :

بعد ذلك يأتى دور على الناس يتأثرون فيه بالأديان السماوية ، فمنيرى فى القصة رمز لهذا التأثر وهو يستطيع بالكلمة الربانية أن يخلص السكان مما هم فيه من هوان العقيدة والضلال فترفعه الجماعة الى مرتبة الزعامة ، وهذا رمز لما حل فى وجدانها من قبول للعقيدة الجديدة .

وتلاقينا كثيرا فى الأدب السواحيلى الشعبى شخصية (الفقيه) التى تعبر فى مضمونها عن الوسيط الذى يدعو المقيمين من الافريقيين الى دين الوافدين من العرب المسلمين فيعتنقونه ، ويخلصهم من عقائدهم القديمة بما فيها من شرك وكهانة ووثنية .

مضمون بعض الحكايات :

حكاية الرجل الفقير وابنه ، تمثل مسألة تربوية فالتسرع فيها ، يمثل العائد الذى يجنيه الابن كنتيجة لاتباع نصيحة والده ، مهما بدت غير معقولة ، لأن الحكمة لا تكتسب بالذكاء فحسب ، بل باتباع الاوامر ، ومجانبة النواهى ، اما العائد على السلطان الذى يعتريه الحسد فهو العقوبة والنقمة ، وهذا مما لا يخفى أثره التعليمى ، وثمة نقطة أخرى ، يمكن أن نستنتجها من هذه الحكاية وهى ارتباط الحكاية ببعض المظاهر الشعائرية القديمة ، فزراعة "القرع" على القبر ، تتفق مع طقوس جنائزية لدى بعض القبائل ، ومنها قبيلة « الالك » فى « أوغندا » ، فهؤلاء عادة ، يبذرون نباتا ما ، على قبر الميت ، ويتعهدونه بالرعاية ويقدمون القرابين والأضحيات ، حتى يحل موسم الحصاد ، فيجمعون البذور الناضجة من هذا النبات ، ويذرونها مع الرياح ، وبذلك تتجدد للميت حياته فى أماكن أخرى كما يرون .

وفى حكاية « الثعبان والكتكوت » الثعبان كما هو واضح رمز للشر ، وربما ربط السواحيلى بينه وبين الحية التى أخرجت آدم من الجنة ، فالمنطقة فى هذه الفترة ، كانت فى دور التأثر كما هى موجودة بالاديان السماوية ، وفكرة الحية كرمز للشر موجودة بسفر « التكوين » كما هى أيضا فى مناطق أخرى من أفريقيا

وهذا المعنى ، وان كان عاما لدى العدد الأكبر من الشعوب ، الا أنه فى الثقافات الشعبية

الافريقية يحتل قيمة أكبر ، نظرا لما تعوده الافريقى من أذى الحية وقدرتها على الفتك والشر ، حتى كانت رمزا له ، ومثلا على السحر والكهانة .

وثمة عدد آخر من الحكايات السواحلية ، تقوم فيها الحيوانات بأدوار مرسومة ، مثل حكاية « الأسد والضبع والارنب » « وحكاية » سلطان داراى وغيرها .

والواقع أن من يقرأ هذه الحكايات ، يخرج بعدة نتائج أهمها أن التوجيه عن طريق السماع ، كان أداة التعليم للصغار فى المجتمع السواحيلى ، وربما كان ذلك نتيجة لنقص التعليم الكتابى ، وهذا السماع لم يكن يفقد الحكاية رونقها ومقدرتها على الامتاع والترفيه ، بل على العكس ، كان القصّاص يصبغ الحكاية بلون من تجاربه وخبرته ، يعلم بها الصغار كيفية التعايش فى المجتمع ومراعاة مبادئه ، وفى نفس الوقت يمتعهم ويسليهم ، فكأن السبب والغرض يجتمعان فى الحكاية الشعبية دائما .

ويلاحظ أيضا أن الخرافات الحيوانية السواحلية بعيدة عن شئون المعتقدات الدينية ، وهى غالبا اما تعليل ساذج للظواهر الكونية والدينوية ، كما فى قصة « المعلم جوسو » التى تسير بالقارىء من سبب الى سبب حتى يصل الانسان فى النهاية الى السبب الحقيقى ، وتأتى النتيجة فى النهاية لتقول : على المرء ألا يأخذ بالاسباب الظاهرة ، بل عليه أن يتحقق من جوهر المسائل وأسبابها ، أو هى مسرودات يمتزج فيها الامتاع والمؤانسة بالموعظة والتأديب ، كما فى حكاية « سلطان داراى » وهى قصة طويلة تحتوى على عدد من الحكم والأمثال مثل : « العمل السىء ليس شيئا محمودا »؟.

وهناك عدد كبير من الحكايات ، مستمد من أصول عربية .

أشهر هذه الحكايات حكاية « الغشاش والحمال » وحكاية "حسيبو كريم الدين وملك الثعابين" الاولى تشبه قصة عربية موجودة فى مكتبة الدير بزنجبار .

أما الثانية فثمة مخطوطة عربية تحمل نفس الاسم ، وهى موجودة أيضا بمكتبة الدير بزنجبار ، ومن الملاحظ أن القصتين السواحيليتين تختلفان عن نظيرتيهما العربيتين ، فقد أدخل الراوى عليهما شيئا من ملامح البيئة الافريقية ، وبدل أسماء الشخصيات وظروف الاحداث بما يتلاءم مع هذه البيئة .

ويوجد عدد آخر من فن الحكايات المستمدة من قصص ألف ليلة .

كذلك يلاحظ فى القصة السواحيلية أيضا أنها تسجل بعض مظاهر الحياة فى المجتمع السواحيلى من ذلك تلك الصورة التى يصور بها القصاص ما يصنعه التاجر عند العودة الى منزله ، فيشعل النار فى كانونه كما هى عادة السواحيلين حتى اليوم ، وخاصة فى ميناء زنجبار ، وليس لهذه العادة أثر فى الأصل العربى من قصص ألف ليلة ، كما يلاحظ أيضا أن هذه القصة تحتوى على كلمات عربية أكثر من غيرها .

كذلك يوجد عدد من القصص المأخوذة من « كليله ودمنه » منها قصة "القرد والغيلم" التى نقلوها تحت اسم « قصة حمار الغال » وهنا نلاحظ أن مضمونها هو نفسه مضمون القصة العربية ، ولكن القصاص السواحيلى حور فى القصة الأصلية لتلائم البيئة الافريقية • مثل استبدال شجرة التين لشجرة افريقية ومن هذه القصص أيضا قصة الغربان والبوم •

وهذه القصص لها أمثال أخرى ، مأخوذة أيضا من قصص كليلة ودمنة أو غيرها ، مثل قصة "القاضى والحمار" ، وهى مأخوذة من كتاب عربى مطبوع فى الهند ، وكذلك قصة "الحمامة والنسر" ، وهى مقتبسة من "قصة سيدنا موسى" ، وقصة "الغربان والبوم" وقصة الأسد والثعبان وغيرها •

ويلاحظ فى معظم هذه الحكايات ، الهدف التعليمى ، كما يلاحظ أيضا أن الارنب قد أخذ مكان الثعلب فى حيازة الذكاء والفطنة والحيلة •

وتوجد عدة حكايات تصور هذا المعنى ، ومنها أيضا حكاية « الأسد والضبع والارنب الوحش » التى يستطيع فيها الارنب أيضا أن يخدع الأسد والضبع ، والأثر العربى واضح فى هذه القصص سواء فى المضمون أم فى الالفاظ ، اذ نجد بها كلمات عربية كثيرة مثل :

معلم — شيخ — الطبيب — البخ •• مساء الخير •

كانت هذه الحكايات الشعبية ، تشكل مصدر التسلية الاساسى لكثير من الطبقات التى قل حظها من التعليم ، وخاصة الطبقات الفقيرة ، كما أصبحت جزءا من مكونات الثقافة والفكر وكان القصاصون يتوجهون بها الى الجمهور الذى يعايشونه معايشة يومية مستمرة ، مما جعل منها أحد الجوانب المهمة للواقع الحضارى والثقاف فى تلك الفترة •

ولعل أهم خصائص الأدب الشعبى السواحيلى ، هى اعراضه الاعراض كله عن التقيد بالزمان والمكان ، ولذلك سوف نرى أن « ليونجو » كان بطلا عاما ، كما أن جميع الحكايات المروية ، ملك لجميع القبائل فى المنطقة ، ومن الصعب تحديد منبعها أو نسبتها الى قبيلة بعينها ، أو عصر بعينه •

ويلاحظ الأستاذ « ستير » أن بعض الأشعار التى تروى وتغنى فى أعقاب رواية هذه القصص غير مفهومة ، وحتى هؤلاء الذين يروونها لا يستطيعون شرح معناها ، لأنهم نسوا لغتهم القديمة على الرغم من حفظهم للشعر القديم دون أن يفهموه •

ونفس مالاحظه الأستاذ « ستير » يمكن أن نلاحظه أيضا فى عدد من القصص مثل قصة « السلطان المخبون » التى تنتهى روايتها الشفوية بقصيدة شعرية تغنى بصورة جماعية ، على الرغم من أن بها كلمات ليست فى السواحيلية الجارية •

د• عبد الله نجيب
معهد البحوث والدراسات الافريقية

قضية البعث الاسلامي

المنهج والشروط

تأليف وحيد الدين خان
ترجمة محسن عثمان الندوى

عرض وتعليق
د. طه مصطفى أبو كريشة

قضية البعث الاسلامى ــ المنهج والشروط عنوان الترجمة العربية للكتاب الذى يضم مجموعة من المحاضرات ، كان قد أعدها المؤلف : وحيد الدين خان ، لالقائها فى المركز الثقافى الاسلامى ، الذى أقيم قرب نيروبى بأفريقيا الوسطى .

ومع أن الكتاب مجموعة من المحاضرات فى مؤتمر للشباب العرب المثقفين ، حول الدعوة الاسلامية ، وكيف ينهض المسلمون باسلامهم .

ومع أن الكتاب مجموعة من المحاضرات فى أصله ، الا أنه كما يقول المؤلف : « يدور حول محور واحد ، هو أن البعث الاسلامى الجديد ، يقتضى منا الآن العقل المفكر ، والتخطيط الصائب ، والعمل الجاد ، وليس الأعمال التافهة ، ولا مجرد الآمال العريضة ، والأمانى الفارغة » (٨) .

وهذا هو ما حاول المؤلف أن يجعله غايته وراء كل موضوع تضمنته هذه المحاضرات ، على النحو الذى سنبينه فيما يلى ..

ــ ١ ــ

** فى اطار الحديث عن الفكر ، وكيف يكون منهجيا ، يذكر المؤلف أن المسلمين يواجهون فى هذا الزمان ، بعديد من الأعاصير ، وأنواع من الطوفان ، تتمثل فى القوى التى لا تدين بالاسلام ، والتى تحاول دائما أن تصب عليها أحقادها ، وتنفث فيها سمومها .

وهنا يأتى السؤال : كيف يرى المسلمون

اليوم هذه النوائب والخطوب المحيطة بهم ؟.

ويجيب عن ذلك مبينا أن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يتحدثون علنا ، ويطنبون فى أحاديثهم بأن هذه الأمور كلها ، انما هى دسائس ضد المسلمين.

وينكر المؤلف على المسلمين هذه الرؤية ، ويعدها نوعا من القصور الفكرى ، الذى يحصر ما يحيط بالمسلمين من شدائد ، داخل مثل هذا الاطار ، دون أن يراه نوعا من الابتلاء الالهى ، حين ابتعد المسلمون فى واقعهم العملى عن دينهم .

وموطن الانكار يعود على الأثر المترتب على هذه الرؤية القاصرة ، اذ أن رد الفعل من المسلمين كان مقصورا على مواجهة المتآمرين فحسب وعلى محاولة الثأر منهم ، والحقد عليهم ، دون أن يعملوا على أن يصلحوا من أنفسهم ، ويعودوا الى ربهم منيبين اليه تائبين . لكنهم لو أيقنوا من أول الأمر أن ، الذى نزل بهم انما هو نتيجة حتمية لبعدهم عن منهج الله ، لرجعوا الى ربهم وأنابوا ، ونشأت فيهم فكرة اصلاح النفس وتزكية القلب وتنمية العقل .

ويرتب المؤلف على ذلك أن هناك خسارة فادحة نتجت عن هذه الفكرة الخاطئة ، وهذه الخسارة تبدو فى أن المسلمين تخلوا عن فكرة الدعوة التى هى مقصد وجودهم ، وحلت فى نفوسهم من أجل مواجهة الآخرين فكرة الحقد وأخذ الثأر ، ثم يعقب على ذلك قائلا « فاذا كان هذا حالهم فكيف يمكن لهم أن يقوموا بعمل الدعوة باخلاص وجدية .. أجل كيف يمكن للقلب الحاقد نشر الحب ، وللعقل المظلم نشر النور ؟ » (١٧ — ٢٣) .

ونرى أن المؤلف قد جانبه الصواب هنا ، ذلك لأن الذى يقوم بصد هجوم مسلط عليه لا يسمى حاقدا ، ومن يدفع عن نفسه تآمرا مبيتا ضده لا يكون قلبه مجردا من الحب ، ومن الجور أن نصف العقول الذائدة عن نفسها عداوة أعدائها بأنها عقول مظلمة !! ان موطن المؤاخذة ينبغى أن يكون منصبا على عدم متابعة منهج اصلاح النفس واحسان الصلة بالله مع القيام بصد الهجوم ورد الاعتداء .

اذ لو كان الأمر مقصورا على جانب الاصلاح فحسب ، لما كان لكل آيات الجهاد فيما يتعلق بالاعداد وقتال المعتدين معنى ، ان نشر الحب ونشر النور من غايات الدعوة ومن غايات الجهاد فى سبيل الله أيضا ، ومن هنا كان المؤلف مصيبا فى مقدمته وليس فيما انتهى اليه من نتيجة ..

** وحول « الوعى الفكرى الصحيح » يورد المؤلف قول الله تعالى « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » الأعراف ٩٦ .

وقوله سبحانه « وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم » المائدة ٦٦ .

ويتساءل المؤلف عن الايمان المقصود فى

الآية ، وينفى أن يكون المراد به مجرد كلمة ينطق بها اللسان ، فما أكثر اللاهجين بكلمة الايمان ولكنهم مع ذلك لا يجدون سبيلا الى بركات السماء ولا الى بركات الأرض .

ومن واقع الاستشهاد من حياة المسلمين العملية ، يذكر المؤلف أن الذين آمنوا بمحمد — صلى الله عليه وسلم — من القرون الأولى . كانوا يعرفون أن الايمان فى الواقع ارادة فكرية وعزم صميم مصدره الشعور ، فلم يكن ايمانهم به أمرا بسيطا ميسورا ، وانما كان خروجا عن دين استقرت دعائمه ، ودخولا فى دين جديد لا يعبأ به أحد .

لقد كان الأمر تخليا عن صداقة تتذرع بالمصالح ، الى صداقة لا علاقة لها بالمصالح والمنافع ، ولقد كانت هذه الخطوة مغامرة كبيرة ، هى أقرب الى أن تكون انقلابا فى التفكير يترتب عليه أن ينبذ الانسان شيئا بارادته ، ويمسك شيئا آخر بارادته أيضا .

وعلى هذا الأساس فان اعادة ذلك الواقع الذى كان فيما يتصل بجوهر الايمان ، انما هو التجديد الحقيقى للدين فى زماننا ، ودين الله فى هذا الزمان يحتاج الى شخص يهضمه روحا وقلبا ، ويتمثله حياة وسلوكا وفى هذا الايمان يكمن حل أكبر معضلة تواجه المسلمين فى الوقت الحاضر ، وهى المعضلة التى جعلت الاسلام يبدو جزءا من حركات قومية يقوم بها المسلمون لأغراض مادية

اننا أحوج ما نكون الى هذا الوعى الفكرى أو الثورة فى التفكير ، حتى يحدث شعور ربانى وسلوك الهى ، فاذا ما تحقق ذلك فسوف تنفجر ينابيع الرزق من الأرض ، وتنهمر أمطار الفضل من السماء ويكتب الله لهذه الأمة السيادة فى الدنيا ، كما يكتب لها الفوز فى الآخرة ، والخلود فى الجنة (٢٤ — ٣٢) .

— ٢ —

وفى اطار الحديث عن الدعوة الاسلامية يعرض المؤلف لأمرين :

** ✻ أولهما التعريف بالاسلام وبيان سره ،** وفى ذلك يذكر أن سر الاسلام يكمن فى كلمة التوحيد ، والتوحيد فى حقيقته ليس مسألة تنتمى الى باب العدد والحساب ، وانما هو بالنسبة للانسان أثبات ذات الله تعالى ، ومعرفة ربه ومعرفة نفسه ، والايمان بأن الله قادر مطلق ، والعبد بالنسبة ، لله عاجز مطلق ، وعندما يعرف الانسان حقيقة هذه العلاقة بالله تبارك وتعالى فسوف يدرك حقيقة التوحيد ، فالتوحيد والايمان بالله ارادة واعية من الانسان ، تعنى الاستسلام أمام الحق مع القدرة على الادراك ، فاذا كان القرآن يعلمنا أن الأرض والسماء وما بينهما يسجد لله تعالى ، فان الانسان عندما يضع جبهته على الأرض ساجدا لله ، فان هذا العمل بنفسه عمل جد غريب لا غرابة بعدة على ظهر الأرض ، لأن الأشياء كلها تسجد لله بدون قصد وارادة ، والانسان يسجد لله عن عمد وبقصد وبدون اكراه ولا اجبار .

✻ وثانيهما التعريف بالحياة الايمانية

وفى هذا يبين المؤلف أن المؤمن شخص دخل قلبه الاسلام على هيئة طوفان نفسى ، جعله يجد ربه أقرب اليه من حبل الوريد ، واذا دخل الايمان قلب الانسان ، فلابد أن يظهر

◄

أثره فى الخارج فى صورة دعوة الى الاسلام.

ويرى المؤلف أن الدعوة الاسلامية تتوخى ايجاد تغيير فى الفرد لا ايجاد زعزعة فى الكيان القومى أو الدولى ، وأن التغيير الاسلامى بمثابة ثورة نفسية أصلا ، وبما أن الثورة النفسية لا تحدث الا فى نفس الانسان ، فكذلك يتركز تأثير الاسلام أولا فى الفرد .

وهنا يقع المؤلف فى نفس المحظور الذى وقع فيه من قبل ، حين يريد أن ينحى عن الانسان مجاهدته للجماعة ، وحين يجعل محاولات الاصلاح والتغيير محصورة فى داخل نفس الفرد دون أن تمتد الى الوسط الذى يعيش فيه ، مع النظرة الى كل عمل يتجه الى الجماعة بعين الشبهة والشك.

وفى قوله « انطلق المسلمون فى صراعهم مع العدو منطلقا قوميا ،لكنهم عبروا عنه بكلمة (الجهاد) لكن هذا التفسير أو الشرح لا يمتان بصلة الى الاسلام ، ويكون تسمية ذلك اسلاما تسمية غير حقيقية ، وهذا يستوجب العقاب ، ولا يستوجب الرحمة أو النعمة ... والحق أن كثيرا من هذه الحركات مجرد قلاقل واضطرابات وطنية لا علاقة لها بالاسلام الحقيقى » (٣٧ — ٤٢) .

وهذا تعميم فى الأحكام ، وهو تعميم ظالم ، يظلم أولئك الذين يجاهدون أعداءهم ، اذ ليس من اللازم أن يكون كل جهاد مؤسسا على القومية ، ولم لا يكون من واقع الاحساس بالخطر على الدين ؟ ولو حدث سكوت وتفريط فى مثل هذه الأحوال ، أليس هناك ضرر محقق يعود على الدين ؟ فبماذا نسمى مثل هذا السكوت من واقع الاحكام الشرعية ؟ ان الجواب هنا واضح لا يحتاج الى بيان ، اذ ليس أكثر تفريطا فى دين الله أكثر من مثل هذا التفريط .

— ٣ —

وفى اطار الحديث عن دور الاسلام فى ظهور الحضارة الأوربية يذكر المؤلف أن الثورة العلمية أو الانقلاب الغربى الجديد كان وليد الانقلاب الاسلامى ، وكانت نتائج هذا الانقلاب هامة جدا من الناحية الاسلامية .

** فقد كان الملوك فى قديم الزمان يحكمون الناس بحجة أنهم من سلالة الآلهة ، ولذلك ظلت دعوة التوحيد فى قديم الزمان معارضة للحكم السياسى ، فكانت تتعرض للمقاومة والخطر ، الى أن قامت الثورة الفرنسية نتيجة للثورة الفكرية الاسلامية ، التى قضت على عقيدة تأليه الملوك الى أبد الآبدين ، فظهرت فى التاريخ لأول مرة امكانية نشر التوحيد والدعوة اليه بدون خشية الاضطهاد .

والأمر بالمثل فيما يتصل بعبادة مظاهر الطبيعة وتقديسها ، فبتأثير الاسلام أصبحت المظاهر الكونية موضوعا للبحث والتنقيب والتحليل لا موضوعا للعبادة والتقديس ، وكان ذلك فاتحة عصر العلم ، حيث تمكن الانسان من اختراع وسائل المواصلات والاتصال الحديثة وبذلك أمكن نشر الدين على صعيد دولى .

ونتيجة لهذا الانقلاب الجديد أصبحت حقائق الكون مكشوفة ، وصارت هذه الحقائق

ذات دلالة علمية على صحة مبدأ التوحيد والمعتقدات المتعلقة به .

** وحين انتصر العالم الاسلامى فى الحروب الصليبية على أوربا المسيحية ، فانه بعد هذا الانتصار بدأ الوضع ينقلب تدريجيا، اذ أدركت أوربا النصرانية أن سبب الهزيمة هو تخلفها عن العالم الاسلامى فى الميدان العلمى والفكرى ، فعكفت على تعلم العلوم الاسلامية واللغة العربية وقد سار الركب العلمى فى أوربا سيرا حثيثا ، حتى سبقت أوربا المسلمين فى جميع مناحى العلم والعمل .

ومن ثم بدأت تتوغل فى البلدان الاسلامية حتى تم لها استعمار أكثر البلدان الاسلامية .

وكان رد الفعل لدى المسلمين بعد ذلك هو القيام بالنضال السياسى ضد هؤلاء المستعمرين ، وأصبح ذلك شغلهم الشاغل ،

ويذكر المؤلف أنه فى ظل هذه البيئة السياسية لم يكن يسمح لأحد أن يبحث عن امكانات جديدة فى العالم الجديد تضمن أو تتكفل بنجاح الدعوة الاسلامية ، ويستطرد المؤلف من ذلك الى بيان موقف الاسلام من النضال السياسى من خلال مفهومه ، اذ يذكر أن النضال السياسى فى نظر الاسلام هو سيطرة أهل الحق على أهل الباطل ، ولقد صرح القرآن الكريم بأن هذه السيطرة تتحقق بنصرة الله وتوفيقه « وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ » الانفال ١٠ .

ولكن لمن يعطى هذا النصر ؟ يذكر المؤلف أن الشرط الاساسى لاستحقاق النصرة الالهية « هو القيام بواجب الدعوة فعندما يقوم أهل الحق بمهمة الدعوة مستوفين جميع الشروط اللازمة ، ويصلون الى درجة التأهيل الكامل فانهم يستحقون لقيامهم بحق الدعوة جائزة من الله – كما يستحق أهل الباطل برفضهم هذه الدعوة عقابا من الله – فينزل الله نصره وتنقشع سحب الظلم عن المسلمين ... فاذا لم نقم بواجب الدعوة الى الله ، فليس لنا أن نتوقع انتصار المسلمين على غير المسلمين » (٤٧ – ٥٠) .

ومرة أخرى يعود المؤلف ليقع كذلك فى نفس المحظور الذى وقع فيه من قبل ، اذ أنه يقصر نصر الله على من يقومون بواجب الدعوة الى الله ، أما أولئك الذين يجاهدون ويناضلون فهم خارج ذلك ، وكأنه – كما مر من قبل – يعد الجهاد والمقاومة للمنكر أمرا خارج اطار الدعوة ، ولا ندرى من أين أتى بهذا التخصيص بنصر الله ؟ ولعلنا نرده الى صواب حين تذكره بقول الله تعالى « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » الحج ٣٩ – ٤٠ .

ففى هذه الآيات بيان لمن يكون له نصر الله ، انه من ينصر الله ، و فىمقدمة الآيات توجيه واضح لعلامة من ينصر الله وكيف أذن له فيها ... ولنا مع الكتاب عودة ان شاء الله

– يتبع –

أ. د طه مصطفى أبو كريشة

الفتاوى

س : من السيد / شعبان أحمد عفيفى .

نحن أبناء بلدة البتانون فى حاجة شديدة لبناء مدرسة ابتدائية نظرا لتعدادها الضخم ، وفى بلدتنا أرض مقبرة مهجورة قد اندثرت من زمن طويل يتوسطها ضريح وهى ملك للحكومة ومساحتها حوالى ثمانية قراريط وقد بدأ الأهالى الاعتداء عليها .. ونحن أبناء الأزهر ومعنا أهل القرية حرصا منا على هذه الأرض والانتفاع بها للصالح العام نريد أن نبنى عليها مدرسة ابتدائية .. فهل يجوز لنا إزالة الضريح علما بأنه بتوسطه المكان يقف حائلا دون تنفيذ ذلك المشروع الذى يستفيد منه الآلاف ؟ .

ج : يجوز نقل رفات الضريح من مكانه الى مكان على حدود المساحة التى ستبنى عليها المدرسة لصالح أبناء القرية ، ويفتح للضريح باب خارجى ، وتبقى المساحة على سعتها دون عائق فيها ، تحقيقا للنفع العام لأهل القرية .

« كفارة اليمين »

س : من السيد / على ابراهيم الصالحى .

حلف رجل لأحد زملائه : والله ما حصل الشىء الفلانى ، وعندما اشتد الجدل غضب غضبا شديدا وقال : علىّ اليمين ما حصل هذا ، وبعد أن هدأ تذكر أنه حصل منه . فما الحكم ؟ .

ج : مادام المحلوف عليه قد حصل منه فيجب عليه كفارة يمين بالله وهى : إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام .. كما ورد فى الآية ٨٩ من سورة المائدة .

س : من السيدة س . ح .

باعت والدتى أرضا زراعية ملكها ومصاغها وأعطتها لزوجها لعمل مشروع ، وكان والدى له منزل خاص به فباعه لوالدتى ولبناتها ابراء لذمته ولم يسجل عقد البيع . وعقود الإيجار باسم والدتى ... والعقد بتاريخ ١٩٦٣ ثم توفى عام ١٩٨٣ .. وقد ترك مائة جنيه .

فهل لأولاد أخيه أن ينازعوا زوجة عمهم وبناتها فى هذا المنزل مع العلم بأن ورثته هم : الزوجة ، أربع بنات ، أولاد أخ .. ؟

ج : هذا البيع بيع منجز لقاء ما لزوجته

للأستاذ عبد الحميد شاهين

من مال ، وهو بيع صحيح للزوجة وبناتها ، ولا يصح لأولاد الأخ أن ينازعوا فى هذا المنزل حيث قد أصبح ملكا للزوجة وبناتها ، ولهم حقهم فى المائة جنيه فتوزع كالآتى : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للذكور من أولاد الأخ تعصيبا ، ولا شىء للإناث منهم لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفرض والعصبات .

« خدمة الأم ونفقتها »

س : من السيد / ى محمد عبد العال .

امرأة كبيرة فى السن ومريضة وتحتاج الى من ينفق عليها ، وإلى من يقوم على خدمتها ، ولها ولد موسر وولدان معسران ، ولها بنت متزوجة فما الحكم .. ؟ وهل تلزم زوجة الابن بخدمتها ؟ .

ج : نفقة الأم تجب على أولادها الذكور ، وحيث كان أحد الأبناء موسرا فإن النفقة تجب عليه .

أما القيام على خدمتها فإن بنتها تقوم على خدمتها إذا وافق زوجها فذلك حقه ، فإذا لم يوافق على خدمتها كان على كل من أولادها أن يقوم على خدمتها إذا كان ذلك ممكنا ، وإلا وجب على الموسر أن يأتى لها بخادمة بالأجرة تقوم بخدمتها ورعايتها ... ولا تلزم زوجة الابن بخدمتها لأنها أجنبية عنها .

تصويب فتوى

نشر سهوا فى عدد رجب ١٤٠٥ هـ .. أن نصيب الأب الباقى والصحيح أنه السدس وذلك فى المسألة التالية التى نعيد نشرها بعد التصحيح والله الهادى الى سواء السبيل

س : من السيد / حسن على خضرى .

توفيت امرأة عن زوج ، بنت ، أم ، أب — علما بأن للزوجة المتوفاة مؤخر صداق ، ومنقولات ، ومصاغا .. فمن يرث وما نصيبه ؟ ولمن تكون الحضانة والوصاية ؟

ج : على الزوج أن يدفع مؤخر الصداق ، ويضاف الى المنقولات والمصاغ ويعد تركة : للزوج منها الربع فرضا ، وللبنت النصف فرضا لعدم وجود من يعصبها ، وللأم السدس فرضا ، وللأب السدس فرضا .

والمسألة من (١٢ جزءا) وتعول الى (١٣ جزءا) :

للزوج ثلاثة أجزاء ، وللبنت ستة أجزاء ، وللأب جزءان ، وللأم جزءان من ثلاثة عشر جزءا .

والله أعلم ..

مِن خير ما كُتب

صرح فضيلة الامام الأكبر قال :

ان الأزهر طالب ويطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية كقانون حاكم .. لأن مصر بوضعها لابد أن تكون اماما ورائدا للعالم الاسلامى .. والشريعة تمثل الجانب العملى فى الاسلام .. منذ أن سارت الأمة الاسلامية فى أزهى عصورها ..

فلم لا يستعيد المسلمون جميعا عصورهم الزاهية الزاهرة بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم ؟ .

ان الأزهر بدأ من أكثر من عشرين عاما يقنن أحكام الشريعة الاسلامية بحيث تصير فى صورة القوانين المعهودة التى يجرى عليها العمل تيسيرا للقاضى والمتقاضى والتى اتخذ مجلس الشعب الخطوات لتشكيل اللجان التى عهد اليها بتقنين الفروع المختلفة من القوانين آخذاً من الفقه الاسلامى . والأزهر شارك فى كل ذلك بعلمائه ، ولقد انتهت اللجان من عملها وقدمت مشروعات القوانين لمجلس الشعب . وكان المأمول أن تأخذ دورها التشريعى وفقا للقواعد القانونية المعمول بها لاستصدارها .

وهى الآن أمانة فى عنق مجلس الشعب بوصفه وكيلا عن الأمة فقد اختار الشعب اعضاء المجلس ليقوموا بما كلفهم به بما فيه مصلحته . والشعب لا يكف عن المناداة بوجوب جعل الشريعة الاسلامية قانونا حاكما .

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا »واذا فطى مجلس الشعب أن يؤدى ما أؤتمن عليه .

وبشأن التربية الدينية قال فضيلة الامام :

مما لا شك فيه ان التربية الدينية عنصرا أساسيا فى تكوين المسلم وأنه بعد أن صار التعليم — كما قيل — كالماء والهواء وأصبح لزاما على أولادنا أن يذهبوا للمدارس للتعليم فأنه ينبغى أن تكون التربية الدينية سائدة فى جميع مراحل التعليم وأن اختلفت مادتها وعناصرها من مرحلة الى أخرى وفقا لمستويات الطلاب العقلية والعلمية وذلك بقدر كاف لتعريف أولادنا بالاسلام ، وأن يحفظوا قدرا

أحمد عبد الرحيم السايح • محمد صلاح الدين حيدر
عبد الفتاح السيد عبد السلام • إبراهيم حنفى أحمد

كبيرا من القرآن الكريم •• ولابد أن يعرفوا شيئا من عموميات علوم القرآن الكريم وأن يعرفوا أيضا حقيقة العقيدة الاسلامية والأسس العلمية التى فرضت على المسلمين •

فلابد أن يتعلم الأولاد الصلاة فى مدارسهم وفى الجامعة وان يتعلموا الصوم والزكاة •

واذا انتقلنا الى اخلاقيات الاسلام كان لابد أن يتدارسها الابناء وان يجدوا النموذج الصالح من المدرسين بحيث يكونوا قدوة لتلاميذهم •

ان القدر الذى يدرس الآن فى المدارس ليس كافيا لاعداد الفرد المسلم وهو مادة أساسية أى مادة رسوب ونجاح لكن الاهتمام العملى فى الدراسة والمتابعة يعتورها القصور - انه يتحتم على أولى الأمر المسئولين عن التعليم أن يسارعوا الى تعديل مناهج التربية الدينية فى المدارس بحيث تكون وافية كافية وبحيث تنشىء أولادنا على وعى وعلم :

لا أقول بالضروريات من الدين ، بل بما هو فوق الضروريات وعلينا أن ندخل مادة الثقافة الاسلامية والنظم التى صاغها الاسلام فى قواعد عامة أو مفصلة • وذلك فى الحكم والاقتصاد والعقيدة والشريعة وغيرها •• •• اننا ان فعلنا ذلك لن نجد بين شبابنا هذه الأفكار التى تظهر بين حين وآخر باسم الاسلام ، والتى ستظل فى جوهرها بعيدة عن مفهوم الاسلام الصحيح •

وعن الفكر العلمانى قال فضيلته :

ان الأمور قد اختلطت على شبابنا وأنا أقول دائما : ان شعبنا فى مصر والمسلمون جميعا متدينون ، وأنهم مستعدون لأن يثوبوا ويعودوا للاسلام الكامل •

ولكن غلبت علينا شقوتنا •• اذ استوردنا معارف وعلوم لم نبلورها لتكون فى حضانة الاسلام ولم ننقها مما علق بها من الشوائب تزيغ عقل وقلب المسلم عن الاسلام انه لأمر عجيب أن نحظر تداول الأدوية الا بترخيص وبعد الكشف والفحص عن صلاحيتها وانها ليست ضارة بالجسد ، ثم نترك عقولنا نهبا لأفكار وفلسفات تزيغ عقول وقلوب أولادنا •• وتباعد من هدى الاسلام دون ان نقابلها بما يفسد فاعليتها ونبين وجه الحق الذى يقول به الاسلام •

وسائل الاعلام .

وهذه وسائل أعلامنا :

أين المساحة التى تقدمها صحافتنا مثلا لتثقيف الشعب الاسلامى •

من خير ما كتب

هذه اذاعتنا ، مسموعة ومرئية •
أين موقف البرامج الاسلامية من خريطتها، وأين مساحتها •• وأنها تذاع ــ كما يقال ــ فى أوقات معينة •

أنها لا تواجه قضايا مثارة ولا تعلم جديدا •• انها كما يقول الناس فى لغتهم الدارجة ، مجرد « روتين » •

لو أردنا أن نصلح من أنفسنا ومن شبابنا لأوقفنا الكثير مما يذاع على الناس من برامج تدعو الى الانحراف ونحن نعيش الآن فى عصر جرائم لم تكن معروفة فى بلادنا والاعتذار بأنها قليلة أمر مرفوض •

فاذا أردنا أن نصلح من حالنا وشبابنا وأولادنا فان علينا أن نعيد النظر فى وسائل أعلامنا وما نقدمه للناس •• والله تعالى يقول : « **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً** » •

رسالة المسجد :

منذ صدر الاسلام كانت رسالة المسجد تقوم على تربية المسلمين وتعليمهم أحكام الاسلام وكان مقرا للفتوى والقضاء والحكم وعندما كثر تعداد المسلمين وامتدت رقعة الاسلام وبحكم مصنفات العصر خرجت قضية المهام المذكورة عن نطاق المسجد فى الدعوة •• اذ لا شك أن الاسلام وقد فرض على المسلمين خمس صلوات فى اليوم والليلة وسن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ صلاة الجماعة فى هذه الفروض كما فرضت عليهم الجمعة كل أسبوع لا شك أن ذلك يشير الى أن المسجد هو ناد أو منتدى للمسلمين يتشاورون فيه ويتدارسون أمورهم وما يصلح مجتمعهم وفيه يقفون صفوفا بين يدى الله فى هذه الصلوات وفيه يرتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم « فليس المسجد ، كما هو واقع الآن ، مجرد مكان للصلاة وانما رسالة عامة شاملة لأمور المسلمين جميعا •

الأستاذ / مصطفى أمين

قلبى يتمزق عندما أرى مظلوما • عرفت الظلم وذقته أشكالا وألوانا انه أشبه بالسياط تنهال على برىء ينزف منه الدم ، وهو أحيانا أشبه بالصواعق تنهال بلا حساب • وأكثر ما يؤلم المظلوم أن يكمم فلا يستطيع أن يدافع عن نفسه ، وأن يقيد فيعجز عن رد الاعتداء •

وعزائى أننى رأيت دائما مصارع الظالمين ونهايات الطغاة •

المهم عندما يحيط بك الظلم من كل جانب ألا تيأس ولا تنهار • ولا تتوهم أن الدنيا دامت لظالم فما دامت الدنيا لأحد •

وكم رأيت من طغاة ظنوا أنهم سيحتفظون بعروشهم الى الأبد • فاذا بالتأييد ينتهى بعد ٢٤ ساعة • ويتلفت الظالم فلا يجد الكرسى المسحور الذى كان يجلس فيه ، وينظر حوله فلا يجد المصفقين والهاتفين • ويصبح كالأجرب يخاف الناس من الاقتراب منه • فاذا ظهر اختفوا • واذا مشى على الرصيف

الأيسر مشـــوا هم على الرصـيف الأيمن ٠ هذه الوحدة القاتلة وهذه المقاطعة الاجماعية هى أقسى عذاب يصيب الظالم ، وهو يتضاءل من أسد جسور الى برغوث ٠ بل أقل شـأنا من البرغوث ، لأن البرغوث يلسع ، والطاغية السابق لا حول له ولا قوة ولا قدرة له عـلى القمع والانتقام ٠ وهو يوم يفقـــد السلطة يصبح كالمروحة الكهربائية عندما تنزع منهـا سلك الكهرباء ٠ وبعض الطغـاة لا يعـرفون النـدم ، ويتمنون أن تعـود اليهم السـلطة ليضـــاعفوا مــن طغيانهم وليزيــدوا من استبدادهم ، وليعاقبوا المظلومين الذين شكوا من ظلمهم واحتجوا على طغيانهم ٠ ويقولوا :

ان البلد ليس فيه أخلاق لأن المكممين نزعـوا كماماتهم ، ولأن المقيدين كسروا سلاسلهم ، ولأن المسحوقين رفعوا أصواتهم بالأنين ٠ كأن الأخـلاق الكريمة توجب علينا أن نشكر الذين أذلونا ونحمد الذين داسوا علينا بالأقـدام ٠

من حـق المظلـوم أن يلعن الظـــالم ، وأن يقاومه فاذا عجز عن المقـاومة ، لا يستسـلم ولا ييأس ٠ فنهاية الظالم مؤكدة ، لأن لكـل ظالم نهاية ٠ وهى نهاية تأتى فجـأة فى وقت يتصور فيه الظالم أنه فى قمة سلطته ، وأنـه أصبح أقوى الأقوياء فاذا رأيت ظالمك تنتفـخ أوداجه غرورا بسلطانه فلا تجزع فهـذه هى احدى علامات الساعة ٠ هى صحوة المـوت ٠ هى دليل النهاية ٠

وعندما أقف أمام أى مظلوم شاعرًا بالعجز عن أن أساعده وأن أمد يدى اليه أشـعر بهوان عجيب كأننى أموت وأنا على قيـد الحياة ٠ أحس أننى شريك الظالم فى ظلمه واستبداده ٠ وأحاول أن أطلب من المظلوم أن يصمد ، وأن يتأكد أن السياط تسقط دائمـــا من حـامل السياط ، وتقع فى يد من يلهب ظهورهم ٠

أحاول أن أقنعه أن الحقيقـة لا يمكن أن تهزم الى الأبد وأن الباطل لا يمكن أن ينتهى الى الأبد ٠

أحاول أن أقـول له اننى رأيت الشـمس تشرق فى منتصف الليـل ، وأن الله لا يتخلى عن مظلوم حتى لو حاصرته كل قـوى البغى والطغيان ٠ ولكن المظلوم لا يريد أن ينتظـر العدل البطىء ٠ وهو معذور لأن عذاب الظلم شىء لا يطيقه بشر ! ٠

اللهم أسرع بنجدة كل مظلوم ٠

الدكتور / أحمد عمر هاشم

علاج الظواهر الخارجة عن الاسلام

فى هذه الآونة الأخيرة ظهرت بعض الظواهر الغريبة على مجتمعنا وأمتنا ٠٠ من بين هـذه الظواهر : الاغتصاب وخطف البنات ، وقتـل أحد الأبناء لأبويه وادعاء النبـوة والبهـائية والرجوع عن الحجاب وغير ذلك من الظواهر التى تتنافى مع ديننا وعقيدتنا وتقاليد أمتنا ٠

وليس الذين يدعون ذلك أو يقـومون بـه جماعة جهلوا أمر الدين أو أنهم بعيـدون عن الثقافة أو العلماء حتى يعذروا ٠

من خير ما كتب

ويبقى أن نتساءل ٠ ما الذى كان وراء هذه الظواهر وغيرها ، وهى تدل على الخروج عن الدين وقيمه ؟ ٠

لقد كانت احدى هذه الظواهر تحمل مؤشرا له خطره ، وهو أن الولد الذى قتل والديه كان يقرأ كتب الفلسفة الوجودية ٠٠ وهنا نقف على بعض الخيوط التى تؤدى الى أهم الأسباب التى تدفع الى اللا مبالاة والتى تدل على عدم وجود الايمان فى قلوب أصحاب هذه الظواهر ٠

ولا علاج لهذه الظواهر الخارجة عن الاسلام الا بالعودة الى كتاب الله وسنة رسوله وتطبيق شرعه ونشر الثقافة الاسلامية الأصيلة ورد سماسرة الغزو الفكرى الذين يحاولون التشكيك فى هذا الدين ، وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » ٠

الأخبار

من الأنباء الطبية :

باحث أمريكى يعتنق الاسلام فى القاهرة

أشهر باحث أمريكى فى علم الحشرات اسلامه فى الشهر الماضى ٠

ويعتبر الباحث من العلماء الشبان وقد سمى نفسه يحيى وكان اسمه (جون سن باير) أمريكى الجنسية باحث فى علم الحشرات الطبية ويعمل مستشارا علميا لوزارة الصحة الأمريكية وممثلا لها فى المشروع البحثى بينها وبين جامعة عين شمس بالقاهرة ٠

ويبلغ من العمر ٣٧ عاما ٠

وقد تزوج من مسلمة مصرية كانت تعمل فى نفس المجال ٠

كان نصرانيا كاثوليكيا ٠

وبسؤاله عن مدى معرفته بالاسلام قبل اشهار اسلامه ؟

قال : لم يكن حدود علمى بالاسلام أكثر من تراث الشرق الذى يضفى على الجو الشرقى عبق التاريخ وسحر الآثار ٠

وعن سبب تحوله الى الاسلام ٠

قال : عندما زرت مصر واستوطنت بها لظروف عملى لأكثر من عامين أحسست بأن هناك روابط تنسج مجتمعا له سمات الطيبة والألفة والمودة ٠٠ بين أفراده ٠٠ وأن الناس متحابين ومتعاطفين ويسارع بعضهم لنجدة البعض ، وأن الأسرة المسلمة والمصرية لها روابط تفتقدها الأسرة الامريكية فأحسست بالدفء بين المصريين ٠

ومن خلال عملى مع قطاع من المصريين على مستويات مختلفة وبخاصة أثناء الرحلات القومية التى تستغرق أكثر من يوم كنت أرقب بعضهم وبخاصة المتمسكين منهم بالدين وهم

يؤدون الصلاة وخلال شهر رمضـان كنت ألحظ جدهم وتعبهم واصرارهم على انهـاء العمل كاملا وهم صائمون وأحيانا كانوا يفطرون بعد الموعد (آذان المغرب) بساعتين فأحسست بسكينة وطمأنينة غريبة لا أدرى لها سرا .. فكانت البداية .

ومنذ بدأت أبحث وأفكر وأسأل وأتحاور مع أصدقائى المصريين حيث أننى لا أجيد العربية والمطبوعات باللغة الانجليزية بمصر فى هذا الشأن قليلة - ساعدنى أكثر من صديق مسلم فى توضيح بعض الاسئلة التى كانت تثور فى ذهنى .

وعن هذه الاسئلة وماهيتها ؟ .

أجـاب .

كلها كانت تدور حول المقارنة بين ما ورد فى الأناجيل والقرآن وبخاصة قصص الأنبياء وخاصة قصة المسيح والعذراء .

وكذلك موضوع الزواج والطلاق فى الاسلام والعلاقة بين الرجل والمرأة ؟ .

وماذا كانت الصورة بعد ذلك ؟ .

قال : شعرت أن الاسلام نظام اجتماعى كامل وضع حدودا أو اطارا لحماية الفرد والمجتمع وصيانة الانسان من عبث الأفكار والتشريعات الوضعية .. وأجمل مافى الاسلام هو انقياد المسلم وتوجهه كلية الى الله وحده الذى يملك كل مقدرات الحياة .

كذلك فالاسلام ينبذ القـوة والعنف ويرفض الحرب والتدمير ويحث على السلام .. ويهتم بالانسان أيما اهتمام ويسعى لجعله رسول اعمار وحارسا لمقومات الحياة على الأرض . كما فهمت الكثير من القضايا العلمية التى كان للقرآن فيها السبق وذكر العديد منها .. وأجمل صور التعاطف والرحمة والصور الكريمة فى خلق علاقة طيبة بين أفراد المجتمع غنيه وفقيره .

وعن شعوره الحالى يقول :

السعادة والراحة والطمأنينة لقد وجدت ما كنت أبحث عنه وأفتقده فى نفسى وأحاول فهم الكثير من خلال ترجمة معانى القرآن الكريم وبعض الكتب التى أهدانيها بعض الزملاء بالانجليزية ، وكذلك أحاول تعلم العربية لأستطيع اقامة تعاليم الاسلام كاملة ان شاء الله .

وماذا تقول للمجتمع الذى فيه نشأت واليه ستعود ؟ .

ان المجتمع الامريكى مجتمع حر مفتوح .. لكل انسان حرية الرأى والعقيدة لكنى سأحاول دعوة أصدقائى وأسرتى للاسلام وأسرتى أول من علم بنيتى فى الدخول فى الاسلام وذلك فى زيارتى الأخيرة لهم بأمريكا منذ حوالى ثلاثة أشهر وكان تعليقهم : هذه حريتك .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة

The superb and splendid experience tangible during sincere proper truthful fasting is in true reality beyond description. Only when honest faith subdues the body to obey the commands of the Creator, that the mind and spirit will taste the nectar splendor of fasting. The dainty airiness and satisfied self,the unburdened mind and free spirit , the humbleness and piety are all but a few of the majestic superb and splendid experience.

Let us all pray to Allah to grant us power to fast and accept our fasting in obedience of his commandement, and redemtion of ourselves.

Allah prescribed fasting for leaving food and drink only, but also for abandoning slander lying and keeping out of transgression.The Prophet (prayers and peace be upon him)clearly shows the true aim of fasting by saying "He who renounces not falshood in speech and work , Allah does not need from him to leave his food and drink ". He also said " Fasting is a shield against one to indulge in foul speech." The manners of fasting should agree with the teachings of Allah and His Prophet to ward off evil, and that is the actual benefit for fasting correctly. The Prophet said in his tradition " If it is the fasting day for one of you, he should not be agitated or excited, and if he were insulted or offensed by anyone, he would have to say by Allah I am fasting ".

Since the Qur'an was initially revealed in Ramadan, Muslims are asked to recite and think over it day and night, teach it to renew their activity.

As the night of power is in Ramadan, Muslims are asked to strive and do their best for seeking the pleasure of Allah by meditating in the mosques performing all kinds of worship and multiply and increase their efforts in search of Allah's satisfaction.

Inspite of the fact that fasting Ramadan is a prescribed worship to all Muslims who witness the month, however, certain exemptions are sanctioned. These exemptions are specified in the Qur'an as illness (including menestruating females), travel, in which cases fasting should be performed on other days. Those individuals who find it very hard and cannot tolerate to fast, may compensate by feeding a poor man. However, this class is advised that fasting is certainly more to their advantage and good, if they realise. Matrimonial relations are sanctioned during non-fasting hours.

ctions aimed at purifying man and directing him to the proper path. If man fails to achieve these results, his worship becomes meaningless and not conforming with the real purpose of fasting. The important thing is that in performing fasting, man must do so with sincere intention and dedication.

The Prophet (prayers and peace be upon him) said " Actions will be judged according to intentions and it is only man's intention that counts". So man must perform fasting willingly and yearningly. In doing so with faith and sincerity, people will be influenced with benefit as long as they observe it.

Islam expounds the true meaning of fasting as the spiritual discipline which purifies the soul and protects man against evil and abomination. Fasting has social morals and physical values because its practice attains social equality in its most effective and superior forms . All men are equal under the supression of hunger, and the other limitations imposed.

Fasting therefore removes the self built social barriers existing between the various human classes. With this experience and aptitude, charity and good will for helping the needy is especially enjoined in the month of Ramadan following the best example the Prophet (prayers and peace be upon him).

Fasting creates honesty and self censorship in man's conscious. It elevates the soul and prevents it from stress or agitation. With this attained spiritual elevation, the sense of nearness to Allah and his universal presence is deeply experienced. A keeper of the fast abstains from food and drink simply because he believes that it is the commandment of Allah that he should. An inner voice is deepended in the heart that Allah is with him and observes him.

Fasting of Ramadan and its morals

By:
Nasr Aldien Abdelfattah Sholkamy

Fasting Ramadan is one of the worships prescribed by Islam. It was dictated by Divine authority in Sha'ban of the second year after Hijrah. It was made obligatory, and the month of Ramadan was chosen for this purpose. Allah indicates in the Holy Qur'an; " The month of Ramadan in which was sent down the Qur'an as guidance to mankind and clear proofs of the guidance and the criterion (of right and wrong). Whosoever of you is present, let him fast the month" (Surat Al-Baqara, II; 185).

The practice of fasting has been recognised in all religions but the forms and motives vary. Allah states in the Holy Qur'an " O ye who believe: Fasting is prescribed to you as it was prescribed for those before you, that ye may learn self restraint (Surat Al-Baqara, II, 183).

The Prophet (prayers and peace be upon him) defined that fasting starts with the appearance of the crescent signifying the beginning of the month, and ends with its total disappearance. Ramadan is therefore a lunar month not a solar one, which indicates a mass movement of rotation of its time along the months of the solar year. This affects a changing course in the Muslims' daily life. The daily period of fasting is prescribed to start at dawn and lasts till sunset.

Fasting is not an exercise which is practised automatically only to express obedience and submission, but it is a discipline for instru-

Each chapter being introduced with holy verses from the Glorious Qur'an, declension marks, enlightening paraphrase, and precious instructions will be observed whenever advisable. A Hadith appendixed with " Agreed upon " is one present both in Sahih Al-Bukhary and in Sahih Muslim.

I hope, should the book happen to be finished, that it will be an incentive to good and a barrier against the ill-fate of sinning; and I pray whosoever gains a benefit from it to call on Allah invoking His mercy on me, my parents, my tutors, the rest of our dear folk, and all Muslims.

In Allah I repose trust, and to Him I commit my cause. On His support I lean, and with His protection I suffice myself, for it is to Allah that might and power belong.

THE ENGLISH SECTION OF AL-AZHAR MAGAZINE PLANS TO PRODUCE A FULL TRANSLATION OF " RIYAD AL-SALEHEEN ". THIS WILL BE PUBLISHED IN SEQUENT ISSUES. MAY ALLAH PROVIDE US WITH KNOWLEDGE, SUPPORT, AND SUSTENANCE.

mown, as though it has not flourished only the day before. Thus we expound signs for those who will ponder ".

(Surat Younus, X , 24).

Other verses to the same effect are many in the Qur'an. Such as is the world with its attributes, and man with his duty. Every accountable human must take it upon himself to abide by the spotless paths of goodness and follow the clear ways of piety, in earnest and with due heed. There can be nothing for him to do better than behave himself with the verities of the noble conduct of the Prophet, be upon him and the rest of apostles blessing and peace from Allah; for he is admittedly the master of creatures, past, present and future, and the best example for both the departed and the living.

Allah says, exalted be He: " Help one another in righteousness and piety ". (Surat Al-Maidah, V, 2). It is also reported with full confidence that the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, has said: "Allah will help a man so long as he is helping his brother", (Muslim) "Whoever points to a piece of good shall deserve a reward equal to that of him who does it", (Muslim), and "Whoever calls to a piece of guidance shall have an equal requital to that of its doers, not reducing a bit of them." (Muslim). He is also reported to have said to Ali Ibn Abi Talib, " By Allah, it avails you more good than cattle of distinction that Allah guides a man through you". (Bukhary).

It, therefore, dawned upon me to make a concise compilation of Genuine Hadiths which embraces in one tenor the road to the other life, and the guide to inward and outward virtues of the moral man. There is in it persuasion to do good and forewarning against the outcome of evil, pointing out the merits of austerity and self-discipline and the remedy for the ills of mind and soul, and the like. I intend to abide striclty by authentic and luminous Hadiths derived from the reputed Genuine compilations.

everlasting abode; averting all that calls forth His wrath and-inevitably - results in banishment to the abode of perdition.

Him I give due thanks, most sincere, far-aspiring, plentiful, and ever growing. And I witness that He alone, Allah , God , the All-Benign, Bountiful, Compassionate and Merciful. I also witness that our Master, Mohammad, is His servant and apostle, and His favourite and intimate. He has guided us to the straight path and called us to the right faith, blessing and peace from Allah be upon him and all the other apostles, their worthy kinsfolk and the line of righteous followers.

Allah, exalted be He, says: " It is but that they may serve Me that I have created jinn and men. I do not require of them sustenance, or want them to feed me."

(Surat Al-Thariat, L I, 56)

It is, therefore, incumbent on them to heed the message which they have been sent into being to carry out, and to turn backs on the lures of the world. This life is sure to pass and expire, and their stay in it cannot last without end. Rather than an oasis for settlement, it is indeed a vehicle to that which is beyond. A time must come for them to part with it who have long inclined their hearts to it. As a matter of fact, the righteous are only the awake, and the wisest are those with the least requirements.

Allah, exalted be He, says: " The likeness of the life of the present is as water which we send down from the skies, so with it mingles the produce of earth which man and animal eat. Then, when the earth is clad with its ornaments and decked out in beauty, and the folks on it think they have all powers of disposal over it, our command befalls it, by night or day, to render it like a harvest-clean

RIYAD AL-SALEHEEN *

BY

IMAM YEHIA IBN SHARAF AL -NAWAWY AL-DEMASHQI.

TRANSLATED BY
SOLIMAN BARAKAT

Written almost eight hundred years ago, this invaluable text is still an acknowledged fountain of guidance to the standards of conduct for Muslims the world over. It is a goal-directed compilation of strictly authentic and approved Hadiths derived from first rate sources, mainly Sahih Al-Bukhary and Sahih Muslim.

The author of this famous text is Imam Abi Zakaria Yehia Ibn Sharaf Al-Nawawy Al-Demashqi, who was born in 631 Hijri and died 676 Hijri. He interpreted Sahih Muslim. May Allah pardon him with mercy and blessings.

The Author's Introduction:

Praise be to Allah, the One, Supreme and Irresistible God, who causes night to overtake day as a reminder to those possessed of vision and an insight to those capable of thinking. He awakes from among His creation whomsoever He chooses to inspire in them disinclination for the pleasures of this life and busy them with regarding Him and pondering His signs and admonitions. He guides them to diligently obey Him and to be ready in all states and stages for departure to the

---

* Paradises for the Righteous.

months of the fifth year after Hijrah. The march of time was continuing and the promotion of Islam was promising in confident progress. The revelation was continuing to direct, instruct, and provide the intricate lacework and infrastructure of knowldge and code of the rapidly spreading creed. The road was still arduous.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

References

1. Alsira Alnabawiah
   3rd, Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo printed 1980

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and commentary
   Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramadan Albooty
   7th., Edition, 1977
   Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
   Imam Ismail Ibn Katheer
   Revised by Mustafa Abdel-Wahid
   Dar Al-Maarifa, Beirut

8. Zaad Almaad
   Ibn Qayem Al-Gouziah
   Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
   and Abdel-Quader Al-Arnaoot
   Mouassasa Al-Risalah
   Beirut, 1981.

with them. And the command of Allah must be fulfilled.

(Surat Al-Ahzab, XXXIII, 38)

took pride in the fact that her marriage to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was ordained by Divine directions . This marriage took place in the latter months of the fifth year after Hijrah. Many tales of slander are related concerning this marriage by non-muslim authors. Such, however, are incompatible with truth and not consistant with the characters of the man selected by Allah's divine choice to be the Messenger of the Qur'an. Zainab Bent Gahsh Al-Kurashiah daughter of Umaymah Bent Abdel Mutaleb, was an early emigrant to Al-Madinah and accepted Islam in Mecca during the early years. She was reputed for her piety and benevolence.

Following the marriage of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Zainab Bent Gahsh, the Divine order of the women's veil came about by Quranic revelation to the female kins of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and all women believers in general.

"O Prophet I Tell thy wives and daughters, and the believing women that they should cast their outer garments over their persons. That is most convenient, that they should be known (as such) and not molested; and Allah is oft forgiving most merciful.

(Surat Al-Ahzab, XXXIII, 59)

The object was not to restrict the liberty of women, but to safeguard their honour, purity and distinction.

These were the final events that took place during the last few

fifth year of Hijrah. These events were more concerned with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in person; others were concerned with the Muslims creed and its legislations as revealed by Qur'an revelation.

The Prohpet (prayers and peace from Allah upon him) sent Amre Ibn Umayah Al-Dhamri to Al -Nagashi king of Ethiópia asking him to marry Um Habibah daughter of Abu Sufyan, widow after the death of her husband Ubied Allah Ibn Gahsh. Al-Nagashi informed Um Habibah of the request of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

She accepted and deputised Khalid Ibn Said Ibn Al-As to act on her behalf being her cousin. She accepted, and King Al-Nagashi declared that in a gathering of all Muslims resident at Ethiopia at the time. The exact year of the marraige of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Um Habibah is disputed among chroniclers. However, circumstanial evidence given by many, points to the marriage taking place during the latter months of the fifth year. However, other evidence may point to the fact that the marriage was in the sixth year.

All chroniclers agree that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married Zainab Bent Gahsh daughter of his aunt Umaymah, after she was divorced from Zayed Ibn Harithah. He married her according to divine directions through Quranic revelation. Zainab Bent Gahsh

> "Then when Zayd had dissolved his marriage with her with the necessary formality, We joined her to thee in marriage. In order that in future , there may be no difficulty to the believers in the matter of marriage with the wives of their adopted sons, when the latter have dissolved with the necessary formality their marriage

The Khazraj were now eager to equalise the credit , and took permission of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to kill Ibn Abi Al-Huqayq. Five men from the Khazraj all from Bani Salamah went out to Khaybar seeking the man to kill him. The five men were Abdullah Ibn Ateek, Massoud Ibn Senan, Abdullah Ibn Unyis, Abu Qatadah Al-Harith Ibn Ribie, and Khuzaii Ibn Asswad; and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) appointed Abdullah Ibn Ateek as their ameer; and forbid the killing of children and women. The five men planned the strategy to enter the house of Ibn Abi Al-Huqayq, inside a settlement, and succeeded to work their swords in his body as he lay recumbent in his room. The man died, and the whole household was up with lanterns searching for the men who killed Ibn Abi Al-Huqayq. On their way out, Abdullah Ibn Ateek sprained his ankle severely. The group of five men safely returned to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and informed him of the death of Ibn Abi Al-Huqayq.

Another man was Khalid Ibn Sufyan Ibn Nubayh Al-Hathli who was known to gather troops and raise armies to fight the Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Abdullah Ibn Unyis and directed him to go to Khalid Ibn Sufyan and kill him; the man is characterised by his tremors and shivers. Abdullah Ibn Unyis went out to seek Khalid Ibn Sufyan. He found him in one of his dwellings with some of his women. When Ibn Unyis approached Ibn Sufyan, the latter asked who the stranger was. Ibn Unyis replied that he was an Arab who heard of Ibn Sufyan gathering to march against the Muslims. They walked together away from the women, and when it was possible, Ibn Unyis took his sword and killed Ibn Sufyan. Ibn Unyis returned and reported the events to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Certainly with the death of these two men Ibn Abi Al-Huqayq and Khalid Ibn Sufyan, the Muslims were saved the outcomes and disasters of their actions, intrigue and hatred against Islam.

Several other events took place during the latter months of the

THE END OF THE FIFTH YEAR

BY:
Dr. Anas Moustafa El-Naggar.MD, PhD.

In the name of Allah, most Gracious, most Merciful.

The confrontation with the confederate forces (The battle of the Trench) and the vanquish of the Jews of Bani Quraiza was in the month of Shawal in the fifth year after the Hijrah. These critical events in the history of Islam established an unprecedented superior prestige and mastery of the Muslim community over all other Arab tribes. However, the cumulative overall domination of Islam in the Arab peninsula was still to be achieved. Most Arab tribes remained alien to the growing powers of the new creed. Several of these tribes provoked enmity and opposition towards Muslims, and many of their leaders prepared to wage war against the forces of Islam. Some sporadic cases of individuals of high rank among their people, retained within themselves a perpetual hideous hatred to Islam and the person of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Some of these men were already killed such as Kaab Ibn Al-Ashraf, and others remained alive to plot and contrive with indignity and insolent audacity.

Among such men was Abi Rafei Sallam Ibn Abi Al-Huqayq the famous Jewish merchant living in Khaybar. The muslim clans of Aws and Khazraj of Al-Ansar were in continuous competition to serve the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The Aws had previously arranged and excuted the killing of Kaab Ibn Al-Ashraaf.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



مسجد ابى العباس المرسى

بسم الله الرحمن الرحيم

عود حميد أيها العيد السعيد

يا بهجة الأرض ، ورحمة السماء ، وريح الجنة دنوت بالغبطة ، وسرت بالأمل ، فتفاءل بك الكبير ، ومرح فيك الصغير ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وكسا الغفران نفوس المؤمنين .

تَلَوْتَ رمضانَ ، شهر الصبر والقرآن ، فختمتَه خيرا ورحمة ،وبرا وبركة ، وسَخَوْتَ فى نفوس المؤمنين ، فعرفوا نعمة الله لأكف البائسين .

* الجزء العاشر * السنة السابعة والخمسون *

* شوال ١٤٠٥ هجرية * يونيه - يوليه ١٩٨٥ ميلادية *

عود حميد أيها العيد السعيد

تلوت رمضان شهر الضمائر الحية ، والسرائر النقية ، والأنامل السخية •

رمضان الذى أَمَّ المؤمنين على رحمة ثم مغفرة الى براءة وعتق من النار حتى اذا انتهى بهم اليك فَأَطْلَلْتَ عليهم كنت مشرق زَكاتهم ومغرب ذنوبهم ، وكنتَ الرضا من ربهم •

فيا لسمو الروح وجمال اليقين !!

عيد :

وسام الطهر والجلال وعظمة الانسان الذى عرف ربه ، فعرف نفسه عبدا خالصا •

لله منه كل شيء ، وليس له من الأمر شيء •

وهنا عظمة الانسان •

فكم يكون عظيما فريدا اذا آمن بأن كيانه لا يسمح له بالكبرياء •

وأجمل من ذلك وأروع أن يلتقى بانسانيته ، فلا يندفع الى تمزيق الأبرياء ، وتقطيب وجه الأرض بالدماء ، فلا يَعْرِف عِيدًا ولا يعرفه عيد !

وهل تكونُ عيدا لأمثال هؤلاء ؟!!

إنما العيد لمن سلمت يداه ، وطهر قلبه ، وآمن برحمة الله فسلم المسلمون من لسانه ويده ، وسار بين الناس بهدى وسلام •

لست عيدا لأقطاب النار والدمار ، والثكل واليتم والحرام •

لست عيدا لأقطاب تتصافح من الشرق الى الغرب بالصواريخ •

ولست عيدا لأقطاب تتراشق من الغرب الى الشرق بالقنابل •

وبينهم — على الشاطئين — صرعى المسلمين •• آلاف •• وآلاف لا يملكون من أمرهم شيئا الا أن يموتوا أشلاء ممزقة لحرب — عرفت لأول مرة — كيف يُهَرَّبُ الطفل من وطن لآخر يستجدى الأمومة فى مصيبة تجل عن العزاء •

وأين •• ومتى •• وكيف تدرك الأم ، وتتعرف هذا الوليد ان قدر لها أن تعيش وتنجو من براثن الأقطاب الذين تَدِنَتْ لُحومُهم وتَوَدَّنَتْ عقولُهم ، وتدلت أنيابهم فى لهث الذئاب ، وحال بينهم وبين الرحمة والحب غلظ الأكباد ، وخرس الفؤاد ، والفرحة بالدماء •

لسوف يذكرك المستضعفون — يا عيد — بدمع الشقاء ، فاذكرهم بالعزاء ، ورحمة السماء •

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

كلمة العيد

تخلف المسلمون الآن بعد أن تخلوا عن مبادئ الإسلام

فتوى الأزهر بشأن الماسونية والليونز والروتاري

كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين فى عيد الفطر

العيد فى الاسلام

شكر وذكر ومودة ورحمة

ينفرد العيد فى الاسلام بما يضفى عليه سمات العلو والسمو ، لانه من أجل فكرة مجيدة ولتحقيق هدف نبيل .

فالأعياد فى شريعة الاسلام الغراء ليست فصلية أو كونية أو وطنية أو شخصية ، وانما هى أعياد تدور مع السنة القمرية وتأتى فى كافة الفصول ، وتعقب جهدا فى العبادة والطاعة فهى روح وايمان ..

والأعياد فى الاسلام أيام شكر وذكر ..

انها تلى عبادة من أسس هذا الدين ومن ثم كان بدؤها بالتهليل والتكبير ويبدأ المسلمون يوم العيد بالصلاة التى تنتظم فيها الصفوف ، وتندمج فيها كل الطبقات من الأمة سمة من سمات المساواة بينهم وآية على وحدة العقيدة .

وفى العيد تأصيل وتجديد الصلات الاجتماعية بين المسلمين من تواصل واخاء وتعاون ومحبة .

فها هى صدقة الفطر التى سنها الاسلام طهرة للصائم ومعونة للمحتاج واغناء له فى يوم العيد واسعادا لأهله وغيره من ذوى الحاجات هذا يوم عيد الفطر ، يوم كرم الله فيه المسلمين بعد أن أتموا صوم رمضان فزكت به نفوسهم ، وترفعت عن دنس البخل ، فجادوا بالأموال عطاء فى سبيل الله :

« قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ » .

هؤلاء الصوم القوم فى شهر رمضان عليهم أن يستمروا فيما ألفوا فيه من ذكر لله وطاعة له وبذل فى سبيله .



« فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى » ٠

هذا يوم يعلو فيه هتاف المسلمين الله أكبر مستظلين بلا اله الا الله محمد رسول الله أمرنا بالجهر بها تثبيتا لقلوبنا وجمعا لصفوفنا ، ورجوعا الى ربنا ، فهى نداؤنا ننطق بها جهرا ونفى بها عملا ٠

لا اله الا الله والله أكبر : علمنا الذى نتجمع عنده اذا انفرط منا العقد ،وهى رباط قلوبنا اذا عز الصبر أو اهتز ، هى التى تذكرنا بأن الهنا واحد وكتابنا القرآن ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والكعبة قبلتنا فى الصلاة ، ورمضان شهر صومنا الذى أديناه ٠

هذا يوم الفطر تقرب فيه القرابة ، وتوصل فيه الأرحام يلتقى فيه المسلمون صافية قلوبهم نقية ضمائرهم ٠

هذا يوم نرجو أن يكون فاصلا فى حياة المسلمين ، فتوقف الحروب فيما بينهم ، تلك التى قطعت أوصال الأمة وقتلت شبابها وهدمت ديارها وبددت أموالها وأصبحت تسام الخسف بيد أبنائها وبأسلحة عدوها ٠

هؤلاء المسلمون فى أفغانستان يقاومون قوات عاتية بغت وعاثت فسادا فى الأرض ، وهؤلاء اخوتنا فى لبنان استهوتهم الفتن فراحوا يقتتلون دون أن يرحموا

الامهات الثكلى والأطفال ، يتصارعون فيما بينهم والعدو من خلفهم وعن أيمانهم وشمائلهم يسومهم الخسف والدمار ويسلب من تحت أقدامهم الديار ، اذكرهم بحق وطنهم فى الوحدة والصفاء ويحرمه هـذه الدماء وبأن ما هم عليه من خلف وشقاق انما هو من فعل الأعداء . وأدعوهم الى الوفاق .

وهذه الحرب المستعرة بين ايران والعراق ، قد انعقدت من أجل انهائهـا المؤتمرات وجرت الوساطات ، أكرر النداء الى أولى النهى والأمر فيهم أن يتخلوا عن الاستمرار فى هذه الحرب المدمرة للبلدين فقد أهلكت الشباب وأكلت الأخضر واليابس .

لقد صدق الله « **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ».فاحزموا الأمر أيها المسلمون حكاما ومحكومين وأظهروا أنكم غير راضين عن هذه الحروب الضروس وتوجهوا الى الله فى الصلاة أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات وأن يرد عنهم كيد أعدائهم وأن يجمع كلمتهم على الأخوة وأن يأخذ بأيديهم الـى سبل الأمن ، فيشفى القلوب من الفرقة التى أضاعتهم وأغرت بهم الأعداء .

فى هذا اليوم ــ عيد الفطر المبارك ــ أهنىء أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء البلاد العربية والاسلامية وأهنىء الشعوب الاسلامية بهذا العيد وأدعو الجميع كافة أن يفيئوا الى أمر الله ويحتكموا الى كتابه حتى تجتمع كلمتهم ويرد العدوان عن أمتهم .

« **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ».

باسم الأزهر استنهض الملوك والرؤساء المسلمين ليلتقوا لاصلاح ذات البين وليوقفوا هذه الانفجارات المتتالية بين صفوف المسلمين ، وهذه الحوادث التى تدبر للاضرار بالمنشآت والبلاد ، والاعتداءات التى توجه الى القادة والأفراد ان نفع هذا البلاء انما هو للأعداء .

يناشد الأزهر جامعة الدول العربية أن تتحرك فى جد وحزم ومنظمة المؤتمر الاسلامى أن يكون لها حركة ذاتية بين الشعوب الاسلامية المتصارعة والمتحاربة، نعم على هذه وتلك ان تزاول مهامها ولتستمع الى قول اللـه « **فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً** » .

توجهوا جميعا الى الله صافية قلوبكم أن يجعل هذا العيد تعلو فيه المودة والمحبة والرحمة حتى تجتمع الكلمة ، وتتم النعمة ويصدق علينا قول الله سبحانه فى محكم كتابه .

« **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ** » .

حديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تخلف المسلمون

لأنهم تخلوا عن مبادئ الإسلام

أجرى الحديث : سناء السعيد

* « العقيدة الاسلامية هى أم الأديان السماوية وآخرها ·· قال الله سبحانه وتعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » · فالاسلام هو دين الله الخالص الواحد الذى انتهى الى الانسانية ليكون دينا الى يوم القيامة ·· فالاسلام كعقيدة لا يتغير ولا يتزعزع والاسلام كعقيدة لا ينفصل عن العلم بل يؤكده ·· والاسلام كعقيدة كرم الانسان ومنحه الحرية ·· والاسلام كعقيدة لا ينتسب الى افــراط ولا تفريط حيث لا تشدد ولا قسر ولا ارهاب · والاسلام كعقيــدة دين ودولـــة ·· ويتحدث فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحــق عن هذا كله ··· عن الاســلام كعقيدة ·

* سؤال : مادمنا نتحدث عن الاسلام كعقيدة هناك تساؤل قــد يبدو ساذجا ولكن من الضرورى طرحه ومؤداه هل يمكــن أن يتعرض الاسلام كعقيدة لأية هزات أو فترات ضعف ·· أو بالأحرى هل يمكن لدرجة التشبع بكل ما فى العقيدة الاسلامية من صلات أن تخف حدتها مع مرور الأيام فتهن أو تخفت ·· أو تتقلب أو تتعرض لهوى النفس البشرية ؟

** **الشيخ جاد الحق** : ما تعرضين له الآن هو ظواهر تمس العقيدة التى نشأت عن أفكار انسانية ـ أما العقيدة التى جاء بها الاسلام فتختلف فالاسلام لا يتغير وعقيدته لا تتزعزع ـ وان كان المسلمون معرضون لأن تطرأ عليهم نوبات الضعف والقوة على السواء شأن البشر فى كل زمان ومكان .

* **أمن أجل هذا عدت القرون الخمسة الأولى من الاسلام أقوى من الفترات التى جاءت بعدها ؟**

** نعم .. لأن هذه القرون وبترتيبها فيما بينها كانت أقرب الى عهد الرسالة وأوثق صلة بالاسلام .. ولم يكن قد دخل عليها الغريب العجيب من عادات وأعراف الشعوب التى دخلت فى الاسلام اما صادقة واما لقصد افساد المسلمين كما تقول حركة التاريخ .

* **قد يستدعى البعض نظرية فى علم النفس يطلق عليها ، الحتمية الطبقية ، تقرن بين تصرفات وسلوكيات الفرد وبين انتمائه الى طبقة معينة ـ لتحليل وتفسير سلوكيات بعض المسلمين . فغالبا ما تعقد المقارنة بين المجتمعات الأوربية وبين المجتمعات الاسلامية ليقال بأن الأخيرة غارقة فى كم من الاهمال والفوضى واللامبالاة والسطحية . كيف نفسر الفجوة الواسعة بين العقيدة الاسلامية وتخلف المسلمين ؟**

** لا شك أن الاسلام كدين الله قد عنى بتنظيم حياة الانسان بوصفه انسانا .. بتنظيم صلته بالله .. ثم بتنظيم صلة بنى الانسان بعضهم ببعض من بدء الاسرة الى المجتمع الصغير الى المجتمع الانسانى الكبير .. فلم يترك ناحية الا ونظمها ووضع لها القوانين سواء المحددة تحديدا نهائيا أو القواعد التى يدور فى نطاقها الاصلاح والتنظيم . وعليه فان نسبة ضعف المسلمين أو تفككهم الى الاسلام نسبة غير صحيحة .. فلا دخل للعقيدة الاسلامية فى تخلف المسلمين .. ذلك أن تخلفهم نجم فى الأصل عن تخليهم عن مبادىء الاسلام وانحرافهم عن الجادة ، ان ما يعين هنا على التدليل والاستشهاد بدورات التاريخ . فحين كان المسلمون ملتزمين بدينهم كانوا أقوياء وكان العلم بينهم رائدا وسائدا . ولكن حين تخلوا وابتعدوا عن مبادئهم الاسلامية ضعفوا وتفرقوا وانتهبتهم الأمور . فانفراط العقد والتراخى والاهمال وعدم الأمانة صفات تنجم عن ضعف الوازع الدينى وتنجم عن بعد المسلمين عن أحكام الاسلام الذى يحض اساسا على الالتزام والنظام وأداء الواجب وكل الأخلاق الراقية .

*** هناك من يعزو هذا الى المتربصين بالاسلام الذين أغرقونا عن عمد فى هذه المتاهة السلوكية عندما وردوا لنا تيارات غربية لم تسفر الا عن وقوعنا فى التخبط والضلالة ؟ .**

** ان الغزو الفكرى والاعلامى الموجه للأمة الاسلامية الآن قد أعان بالفعل على ذلك . ويكفى أن ننظر الى نوعية ما يصدر الينا من اعلام لنرى هل هو بالنافع الداعى الى التماسك والقوة؟بالطبع لا..فهو يوجه الى الامة الاسلامية ليسوق لها كل عوامل التخريب — ولا شك أن لذلك تأثيرا ضارا لاسيما فى نفوس الشباب والنشء . ونحن بوسائلنا الاعلامية نساعد بالتالى على هذا الهدم لأنه ليس لنا ذاتية اعلامية تنبع من قوميتنا وديننا وبيئتنا . فنحن دائما نستورد الأفكار والتيارات الضالة التى تغرر بشبابنا وتبعدهم حتى عن التمسك أو الانتماء لبلدهم الذى يعيشون فيه . وواقع الحال فان المسلمين معرضون الآن لغزوات مؤثرة اذا لم يتداركوا أنفسهم ويوحدوا ثقافتهم ومصادرهم . اننى أدعو المسلمين الى توحيد الثقافة ، والمصادر لنعود الى مصادرنا الاساسية — ويجب ألا يفهم هذا على أنه دعوة للانغلاق حيال أى تفكير جديد يمكن أن نستفيد منه وانما هو فقط تحذير من أن تكون الثقافة الوافدة مدمرة كما هو الواقع الآن . ونحن لا ننسى سياسة دانلوب التى استهدفت فى المقام الأول الغاء الكتاتيب ومكاتب تحفيظ القرآن وصرف التعليم عن أن ينتسب أو يأخذ من الاسلام شيئا ينفع .

*** ما هو كم الحرية الذى منحته العقيدة الاسلامية بالنسبة للدعوة لما يسمى التزاما وجوديا بالحرية الانسانية هل العقيدة الاسلامية منحى ومبنى آثرت منح الانسان الحرية المطلقة ؟**

** لقد كرم الاسلام الانسان أيما تكريم فهو يضع أمامه المعايير السليمة الصحيحة المدعمة بالمنطق والدليل والحجة ثم يقول بعد ذلك « **لا اكراه فى الدين** » يضع أمامه كل المعايير ثم يقول له فكر واعتقد — ثم لابد أن يكون الاعتقاد قلبيا أساسيا . حتى فى الأعمال التى تخفى فيها النوايا وتستتر أسند المثوبة والعقوبة فيها الى النية — تماما كما قال الرسول الكريم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » فهذا هو الأساس الذى قام عليه الاسلام ولا نجد دينا سابقا فى الأديان السماوية — أو حتى دينا من تلك التى انتحلها البشر . قد ترك للانسان هذه الحرية . وهذا لأن الاسلام أراد لايمان الانسان أن يكون ذاتيا نابعا من

نفسه . وأن يكون أقدامه على أى عمل اقداما تلقائيا بحيث لا يكون مدفوعا بأى مؤثر خارجي على الاطلاق .

*** فى الاسلام كعقيدة يسود التبسيط والتيسير لا التعقيد والتهويل وأتساءل فى ظل هذا هل نفر الاسلام كعقيدة سمحة غراء من الحركات الاسلامية المتشددة التى تجسد التعصب وتنحى التسامح وتستخدم الدين وسيلة لسفك الدماء وازهاق الأرواح ؟ .**

** لا شك أن الاسلام لا ينتسب الى افراط ولا تفريط.. « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** » هكذا قال القرآن ووصف المسلمين .. .. فالاسلام دين التزم بتعاليمه الوسيطة فلم يفرط ولم يتشدد اطلاقا . وانما وضع للمسلمين نظم حياتهم ميسرة بحيث لا يكون هناك تشدد أو قسر أو ارهاب وان كان هذا لم يمنع من ظهور الفئات المتسيبة أو المتشددة على حد سواء بين المسلمين كبشر ـ فهذا أمر لا تخلو منه المجتمعات أيا كانت هويتها أو ـ دينها . ولكن يجب ألا تؤخذ هذه الطوائف التى تنتسب الى الاسلام ولكنها لا تعمل به أو تخرج عنه سواء افراط أو تفريط ـ على أنها صورة حقيقية للاسلام . فهى صورة مشوشة الاسلام منها براء . ان للاسلام مصدرين أساسيين القرآن والسنة ـ كما قال رسول صلى الله عليه وسلم . « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » .. وعليه يجب أن نعود الى هذين المصدرين لنحكم على أية فئة أو حركة تنتسب الى الاسلام لنرى هل هى فى نطاق الاسلام الصحيح أم أنها أفرطت أو تغالت فيما تقول وتدعو اليه . ويجب أن يكون المعيار فى هذا هو ما قضى الله به فى كتابه الكريم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

*** تمذهب المسلمين وتفرقهم الى شيع متحاربة متنافسة أظهر الاسلام كما لو أنه ساحة تتنازعها بعض المذاهب للتفرد بها دون غيرها فكل يحاول أن يثبت نفسه ككيان أوحد يستظل بعقيدة الاسلام ويمارسها وفق فكره ومذهبه وتجلى هذا مؤخرا فى لبنان الى حد رأينا فيه التقاتل على أشده بين الشيعة والسنة والدروز وكأنها لا تنضوى تحت عقيدة واحدة هى الاسلام ؟**

** لاشك أن تمذهب المسلمين بمذاهب مختلفة أمر غير مرغوب فيه ولا هو من طبيعة الاسلام .. قال تعالى : « **ان هذه أمتكم أمة واحدة** » ـولم نجد فى صور الاسلام هذه المذاهب المتقاتلة كان هناك اختلاف فى الاجتهاد بين فئات ولكنها

لم ترق الى أن تكون مذاهب متقاتلة أو متخاذلة • ولكن هذه المذاهب انما ــ نشأت أو تحولت من مذاهب فكر واجتهاد فى استنباط الاحكام الاسلامية على وجــه صحيح -الى مذاهب سياسية تتقاتل على أسـلاب وأعمال الحكم والادارة • فلم تعد تدل على جوهر أساسى لها كفكر اسلامى ــ وانما أصبحت كما قلت مذاهب سياسية أو أحزابا للحكم اذا شاء المرء تسميتها بالاحزاب • وهذه للأسـف هى الصورة المؤلمة التى تبدو الآن على واجهة العالم الاسلامى ولعل المثل الذى ورد فى المناقشة وهو لبنان لابد أن يدل على سوء ما وصلنا اليه فالتقاتل بين المسلمين ــ شيعة وسنة ودروز ــ يبعد بهم عن حقيقة الاسلام سواء فى سياسته العامــة للمجتمع أو فى سياسته وتعاليمه الخاصة للانسـان كانسـان •

*** ولكن كعقيدة هل ثمة تعـارض بين الاسـلام كـدين وبين السياسة أو ما اصطلح على تسميته بالحكم خاصة وأن هناك من ذهب الى تغليف القوانين بحصانة دينية أمر قد يعرضها ويعـرض سمعـة الدين معها للخطــر ؟**

** الاسلام كما قلت ، وكما هو واقع فى مصادره نظم أمـور الانســان كلها فى أسرته •• فى ذاته •• فى مجتمعه ، نظم الحكم كدولة وأمة •• وحينمـــا اجتمعت للمسلمين دولة فى المدينة أقام الرسول صلى الله عليه وسلم نظام الحكم• وجاء بعده الخلفاء الراشدون فساروا على منهجه وكونوا الحكومة وامتدت رقعة الدولة • وكل ذلك كان يجرى فى نطاق الاسلام • لم يقل أحد إن الدين فى جـانب والسياسة فى جانب آخر • وانما كانت ــ السياسة تأخذ نظمها وطرقها وأحكامها من مصادر الاسلام لأن القرآن والسنة نظما كل أمور الانسان • فما يقال عن أن الحكومة الدينية أو اصطباغ القوانين بصبغة دينية أمر يجعلها متحيزة أو منحازة أو غير صالحة من الوجهة الاسلامية • قـول غير صحيح وغير رشيد ــ ولربمـا عَنَّ هذا للبعض من جـراء اختلاط وخلط فى الفكر بين ما عرف فى العصور القديمة فى أوربا من سيطرة رجال الدين الكنسى عامة على الدولـة هناك فكـان النفـور الذى امتد حتى قامت الثورات هناك وانزوى سلطان الكنيسة عن الحكم •• أمـا الاسلام فليس هكذا ولأنه كما أقول دائما ليس فيه رجـال ديـن وانمـا علمـاء متخصصون للدين ••••• قال تعالى : « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » • فهذا ليس سلطة •• لأن الاسلام ليس فيه السلطة الزمنية فرجل الدين كغيره من المواطنين • عليــه

◄

واجبات لله وواجبات تجاه الناس ووطنه . فاذن ليس هناك مدعاة على الاطلاق لأن يتردد دائما فى بلاد المسلمين قول مؤداه بأن الدين شىء والدولة شىء آخر — بل يجب أن نستمد قوانينا من أصول الاسلام الأساسية ففيها ضمان حياتنا وسعادتنا .

*** الاسلام كعقيدة على حين نجده أنه قد طور نفسه مجموعة من القوانين إلا أن هناك بعض الحكام فى المنطقة لم يطبقوا فى العادة بعض المثل الدينية العليا ؟**

** ذلك من أسباب عدم الارتباط بين الجمهور وبين حكامهم — أو ، عدم ارتباط الجمهور الاسلامى بوجه عام بجميع ما يقضى به الاسلام فالاسلام يجعل من الحاكم اماما ويطلق عليه لفظ الامام — وهذا يعنى القدوة الحسنة لشعبه ولمن يقودهم .. ومن هنا كان على الحكام المسلمين أن يكونوا قدوة بالفعل فى الالتزام بالاسلام عقيدة وشريعة والا كان هذا الواقع الذى يعيشه المسلمون فى الأمة اليوم — عندما ينظرون الى حكامهم فيجدونهم غير مرتبطين ارتباطا وثيقا بأحكام الاسلام . وكما يقال فالناس على دين ملوكهم .

*** فى معرض تسليط الضوء على العلاقة بين الاسلام كعقيدة والنظريات الاقتصادية هناك نظرية لماكسيم روبنسون يقول فيها ان الاسلام كعقيدة لم يمنع تطور الرأسمالية . وأسألك :هل يعطينا الاسلام القواعد الرئيسية الواضحة لتنظيم الاقتصاد ؟ .**

** الاسلام لا ينتسب الى الرأسمالية أو الاشتراكية أو غيرها من المذاهب والنظريات التى شاعت فى هذ العصر . ولكن الاسلام هو الاسلام . نظم الأمور المالية والحياة الاجتماعية بمعيار وارد فى مصدريه الرئيسيين — القرآن والسنة — فالاسلام لم يتعرض للملكية الخاصة ولم يحاربها ولكنه أوجب فيها الحقوق لكل من يسعى ويكسب شريطة أن يتم هذا بالطرق المشروعة فلقد ألزم كل مسلم بالتزامات ليس له فيها خيار . ففرض الزكاة مثلا فرض دينى .. ليس فيها خيار . والزكاة لها أبواب ثمانية للمصارف حددها القرآن الكريم . ثم بعد ذلك راعى الترابط الأسرى — فأوجب على المسلم الموسر أن يعول المحتاجين من أقاربه بدرجات متفاوتة أوضحها المجتهدون فى استنباط الاحكام كل هذا يعطينا المؤشر

أو القواعد الرئيسية التى نظم بها الاسلام الاقتصاد • لأن أهم ما يكون فى النظام الاقتصادى هو الكسب والاستثمار • والاسلام لم يمنع ذلك ولم يحرم أحدا من أن يكسب ويستثمر كسبه ـ شريطة أن يتم هذا فى نطاق مشروع وبطرق مشروعة • فهناك محرمات مثل السرقة والنصب والتحايل والقمار • ولكن خلافا لهذا فقد حث الاسلام على العمل والسعى • يقول القرآن : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله »** • فهذا أمر بالعمل • بل إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما جاءه أحد الناس يسأله صدقة عدة مرات • فكان أن أعطاه الرسول وأعطاه • ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم :(لأن يحمل أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)• فهذا هو الاسلام دين يدعو الى العمل والى الاستثمار • فلا ينبغى أن تنسب قواعده الى الرأسمالية أو الاشتراكية أو الشيوعية وانما هو بعيد عن كل هذا لأنه هو الاسلام •

*** هل يعنى هذا أنه يمكن التعويل عليه اليوم فى ايجاد حل حاسم وجذرى لأزماتنا الاقتصادية ـ هل من وجهة نظركم يمكن لنا اللجوء اليه لنستقى منه قراراتنا الاقتصادية ؟ •**

** اننى بداية لا أود أن أستخدم مصطلح القرارات الاقتصادية بعد أن تداوله الكثيرون • ولكنى أود أن أقول كم عانى المسلمون من أزمات فى حياتهم وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فبماذا كانوا يواجهونها ؟ هل كانوا يواجهونها باطلاق أيديهم فى الاستدانة والانفاق ؟ أم بالاستهلاك المتزايد ؟ هل كانوا يواجهونها بما نواجهها به نحن الآن ؟ بالطبع لا •• وانما كانوا يواجهونها بالعلاج الحاسم •• كانوا يمتنعون عن الطعام حين المرض اراحة للجهاز الهضمى •• وكانوا يمتنعون ، عن كل المسببات التى تؤدى الى زيادة الانفاق • ان هذا هو معيار الاسلام وهو ما يجب ان نعالج أمورنا به ان وضعيتنا اليوم يرثى لها ذلك أننا أصبحنا عالة على غيرنا فى كل ما نحتاج اليه من طعام وكساء •• هذا يحدث بكل الأسف رغم أننا بلد زراعى علينا اذن أن نتعاهد وان نقود الدولة الى حملة نوقف بواسطتها هذا النزيف المستمر لاقتصادنا • حتى ندخر أموالنا التى تذهب الى الخارج فى الاستيراد • فالأولى أن نعمر بها بلادنا •

تخلف المسلمون ...

اننى أدعو اليوم ونحن مع بداية شهر رمضان أن نوقف الاسراف وألا نكلف الدولة باستيراد الأنواع الكثيرة التى تستدين من أجلها العملات الأجنبية وتزداد معها ديونها • وأتساءل •• ماذا لو ألغينا كل الكماليات ؟ علينا أن نصوم حقا — وأن نوفر لمجموعنا كدولة ما نسدد به هذه الديون المتراكمة لكى نخفف بذلك عن كاهلنا كأفراد ودولة كل هذه الالتزامات التى لا مبرر لانفاقها • لو عدنا الى الوراء ورأينا كيف عالج المسلمون منذ — أوائل الاسلام فى عصوره الرشيدة الأزمات الاقتصادية •••• لوجدناه علاجا جذريا نابعا من عقيدتهم ومن أنفسهم • ولعلنا نذكر أن المسلمين كانوا يجاهدون فى سبيل الله وهم جياع • كانوا يربطون الحجارة على بطونهم ولم يمدوا أيديهم لأعدائهم ان سياسة جوع كلبك يتبعك هى التى تتبعها تلك الدولة التى تمدنا بالطعام والمال •• تمنحه باليسار وتأخذه باليمين ••• اننا نرى أن كل القروض التى تأتى يأتى وراءها موظفوها وخبراؤها ليأخذوها ويأخذوا فوقها أرباحا — وهكذا نظل نحن مدينين وغير قادرين على رفع رءوسنا — وبالتالى غير قادرين على التحرك والمطالبة والدفاع عن حقوقنا •

*** أين الخلاص اذن ؟ •**

** الخلاص فى أن يكون اقتصادنا اسلاميا ومصريا — الخلاص فى أن نشرع بعلاج أمراضنا الاقتصادية بواقعنا ومن خلاله • الخلاص فى أن يكشف المسئولون الأوراق كاملة وبوضوح للشعب ويقولوا لهم ليس من المصلحة أن نستدين من أجل استيراد ما نستطيع الاستغناء عنه •

*** كيف يمكن لنا أن ندحض المزاعم التى تروج ما مفاده أن اشتراكية العقيدة الاسلامية لم تسفر عن شىء يذكر حتى الآن — فليس لها أية انعكاسات ؟ •**

** أولا أنا لا أوافق اطلاقا على تعبير اشتراكية اسلامية — فما أعرفه هو الاسلام فقط اما أن ننسب الاسلام الى الاشتراكية أو الاشتراكية الى الاسلام فهذا لا أوافق عليه اطلاقا — لأن الاسلام هو الاسلام لا يتمذهب بأى اصطلاح وافد أو شائع فى هذا العصر •

*** يقولون اشتراكية اسلامية لتمييزها عن الاشتراكية الشيوعية ؟ .**

** هذا ليس تمييزا وانما تمييعا للفهم الاسلامى الصحيح — فالاسلام هو الاسلام بكل مقوماته وتعاليمه — فهو ليس بنظرية وانما دين له أسسه الالهية الثابتة — وعليه لا يمكن أن ننسبه الى أية نظرية تقبل الجدل أو الخطأ وتقبل امكانية التراجع عنها .

*** لتفسير المنحى أو التوجه الاسلامى بالنسبة للمال كان لابد من استخدام مصطلح معين — ومن ثم استعيرت الاشتراكية ونسبت الى الاسلام ؟ .**

**ولم لا نقول الاقتصاد الاسلامى والعادات والعرف الاسلامى ولا ننسبها الى هذه المصطلحات التى وفدت على بلادنا وفكرنا — والتى بكل أسف انتمينا اليها وجربناها فلم تفلح معنا ولم نفلح معها .

*** أيا كان الأمر .. هل أسفر الاقتصاد الاسلامى عن شىء ما فى التطبيق بالفعل بالنسبة لمجتمعاتنا ؟ .**

** أسألك بدورى سؤالا — منذ متى لم يطبق الاقتصاد الاسلامى ؟ . بالطبع لم يطبق منذ فترة طويلة للأسف . ولا شك أن مجتمعاتنا نسيت ما يقال عن الاقتصاد الاسلامى والعلوم الاجتماعية الاسلامية ونسيت أن مابالاسلام يفوق ويطغى على النظريات والمصطلحات التى استعارتها والتى نحن بصدد الحديث عنها الآن ... وعليه لا يمكن أن أقول بأن الموجود الآن على الساحة العربية الاسلامية هو اقتصاد اسلامى لأننا استعرنا ثياب غيرنا فلم تستر أجسادنا بل على العكس ظللنا عرايا كما نحن .

أعده للطبع

مصطفى عبد السلام عفيفى

بيان للمسلمين من لجنة الفتوى بالازهر الشريف بشأن

الماسونية والأندية التابعة لها

مثل الليونز والروتارى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد ٠٠

فان الاسلام والمسلمين يحاربهم الاعداء العديدون من كل جانب وبكل الاسلحة من مادية وأدبية يريدون بذلك الكيد للاسلام والمسلمين ولكن الله ناصرهم ومعزهم ٠

قال الله تعالى :

« إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » (١) ٠

ومن بين هذه الوسائل التى يحاربون بها الاسلام وسيلة الأندية التى ينشئونها باسم الاخاء والانسانية ولهم غاياتهم واهدافهم الخفية وراء ذلك ، وأن من بين هذه الاندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها الليونز والروتارى ، وتلك من أخطر المنظمات الهدامة التى يسيطر عليها اليهود والصهيونية ستفهن بذلك البسطة على العالم عن طريق القضاء على الاديان وأشاعة الـ [illegible] خلاقية وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطنهم باسم الانسانية ٠

ويحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها ، وواجب المسلم ألا يكون امعة يسير وراء كل داع وناد ، بل واجبه ان يمتثل لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

(لا يكن أحدكم إِمَّعَة يقول : إِنْ أحسنَ الناسُ أحسنتُ وإِنْ أساءوا أسأتُ ولكن وَطِّنُوا أنفسَكم إن أحسنَ الناسُ أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم)٠

وواجب المسلم أن يكون يقظا لا يغرر به وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم ولها مقاصدها وغاياتها العلنية فليس فى الاسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم ٠

رئيس لجنة الفتوى عبد الله المشد

(١) سورة غافر (٥١) ٠

دراسات إسلامية

وتعاونوا على البر والتقوى

فتنة المال

فقه آية كريمة

هاروت وماروت

الإسلام وحقوق المرأة

دراسة قرآنية

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

"سورة المائدة"

« عام الرمادة والتعاون فى الاسلام »

ورثنا الاسلام العظيم من قوانين التعاون والتراحم ، ما كان له أعظم الأثر فى قوة المسلمين وانتشار الاسلام ، واقبال الناس فى بقاع الأرض على معينه العذب ليرووا منه ظمأهم ، وعلى ظله الظليل ليتفيئوا من ظله ،وعلى حصنه الحصين ليمتنعوا به من أهل البغى والعدوان .

تأمل معى قوله تعالى « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » وقوله جل وعلا « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » .

واقرأ معى قوله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر » .

وقوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » الى غير ذلك من دساتيره وقوانينه التى بنى عليها المجتمع الاسلامى الثابت الدعائم ، فلما انحرفوا عنه خروا سجدا وبكيا وقد تجلى التعاون فى الاسلام فى عام الرمادة ، حيث استجابت البلاد الخصبة الى نداء الأخوة الاسلامية ، فبعثت بأقواتها الى البلاد التى حدثت فيها المجاعة .

ففى سنة ثمانى عشرة من الهجرة النبوية، وفى عهد عمر بن الخطاب ، أصاب الناس قحط شديد ، ومسغبة قاسية،بسبب احتباس المطر ، وفقدان الكلأ والطعام ، وكانت الريح تسفى رمادة ـ أى ترابا ـ وسميت هذه السنة عام الرمادة من أجل ذلك .

وقد اشتد الجوع بالانسان والحيوان ، حتى أضعف الشراسة فى الحيوانات المفترسة ، فكانت تأوى فى ذلة الى الناس ، لعلها تجد لديهم ما يرد عنها الجوع والظمأ .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وقد أصيبت الحيوانات الأليفة بالهزال الشديد ، حتى كان الرجل يذبح الشاة فيعافها لقبح منظرها بعد سلخها ، بسبب تجردها من اللحم والشحم •

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد التأثر بما يصيب المسلمين ، عظيم الخوف من الله تعالى ، فلذا كان يشاركهم فيما يصابون به من المحن ، فلا يعيش فى رغد وهم فى شدة وعناء ، فلهذا أقسم أن لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى تنتهى المجاعة ويعود الرغد والسعة الى الناس •

ومن عجيب شفقته على الناس ومشاركته لهم فى ضرائهم ، أنه نزل بسوق المدينة وعاء من جلد ملىء بالسمن ، وآخر مثله ملىء باللبن ، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهما ، وجاء بهما فرحا الى عمر فقال : يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وأعظم أجرك ، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن اشتريتهما بأربعين درهما ، فقال عمر لغلامه : أغليت بهما — أى اشتريتهما غال بسبب المجاعة — ثم أمره أن يتصدق بهما ، وقال : انى أكره أن آكل اسرافا، وكيف يعنينى — أى يهمنى — شأن الرعية اذا لم يصبنى ما أصابهم •

طريقة عمر فى علاج المجاعة

لما حدثت المجاعة كتب عمر الى أمراء الأمصار ، يطلب منهم اسعاف أهل المدينة ومن حولها بالأزواد فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة عامر بن الجراح أمير الشام ، وقد جاءه بأربعة آلاف راحلة من طعام ، فعهد له بقسمتها فيمن حول المدينة ، فنفذ أبو عبيدة أمر عمر ، ولما عاد اليه بعد التقسيم أمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال : لا حاجة لى بها يا أمير المؤمنين ، انما أردت وجه الله ، وادخرت عملى عنده ، فلا تدخل على الدنيا ،فقال خذها فانك لم تطلبها ، ولا بأس عليك فى تناولها ،فأبى أبو عبيدة أن يقبلها تورعا ، ولكن عمر ألح عليه حتى قبلها وانصرف الى عمله •

فانظر الى ورع أبى عبيدة وزهده فى مال الأمة ، وقارن بينه وبين غيره من حكام المسلمين الذين لا يتورعون عن أكل أممهم بغير حق ، وتأمل حرص عمر على حسن مكافأة أبى عبيدة ، ليفتح بذلك باب الجزاء على احسان العمل ، حفزا للهمم ، وتنشيطا لدواعى الخير فى نفوس الولاة ، ثم تتابع أمراء الأمصار باحضار الطعام الى المدينة ، وأصلح عمرو بن العاص ميناء بحر القلزم وأرسل منه الطعام الى المدينة فكثرت الأرزاق هناك ، وأضحى سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر •

أحداث فى عام الرمـادة

قد عرفت أنباء المجاعة التى حدثت بالحجاز ، وكيف عالجها عمر — رضى الله عنه — ، والآن أحدثك عن حادث جلل فى بلاد الشام عـام المجاعة ، فقد شرب نفر من المسلمين الخمر بها ، وخرقوا بذلك ما أجمع عليـه المسلمون مـن تحريمها والامتناع عن شربهـا ، وكـان منهم ضرار وأبو جندل ، فلما علم بهم أمير الشام أبو عبيدة بن الجراح ، بعث اليهم وسألهم :

كيف شربتم الخمر مع تحريم الله تعالى لها ، فأجابوه بأن الله لم يحرمها عليهم ، بل خيرهم بين الانتهاء عن شربها وبين شربهـا بقـوله سبحانه « فَهَلْ أَنتُمْ مُنتَهُونَ » فكتب أبو عبيدة الى أمـير المؤمنين عمـر يخبره بخبـرهم ، ويستفتيه فى أمرهم ، ومما قاله فى كتابه لعمر بعد أن ذكر لـه أمر الشـاربين وأسماءهم :

« سألناهم فتأولوا وقالوا : خيرنا فاخترنـا ، قال : « فَهَلْ أَنتُم مُنتَهُونَ » ولم يعزم علينا أى لم يوجب علينا الامتناع عنها على القطع ، كذلك زعموا .

فكتب عمر الى أبى عبيدة كتابا جاء فيـه (ادعهم على رءوس الناس وسلهم ، أحـلال الخمر أم حرام ؟ فان قالوا حرام فاجلـدهم ثمانين ثمانين ، وان قالوا حلال فاضرب أعناقهم فسألهم فقـالوا بـل هى حـرام ، فجلـدهم أبو عبيدة وندمـوا على لجاجتهم ، وقـال : ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث ، فحـدث الطاعون .

والواقع أن قوله تعالى « فَهَلْ أَنتُمْ مُنتَهُونَ » أمر بالانتهاء ، فهو فى قوة وانتهوا ، ولكنه جاء بهذا الاسلوب ليقولوا انتهينا يا ربنا ، كمـا حدث من الصحابة فى عهـده — صـلى الله عليه وسلم — .

وذكر الطبرى أن هؤلاء الشاربين بعـد أن جلدوا لزموا البيوت حيـاء وخزيـا ، فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك ، وطلب اليه أن يكتب اليهم وينصحهم ، فكتب عمر الى أبى جنـدل قائلا :

(من عمر الى أبى جندل « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَـاءُ » فتب وارفع رأسك ، وابرز ولا تقنط ، فان الله عز وجل يقول « يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » فلمـا قرأ عليه أبو عبيدة تطلق وأسفر عنه أى ضحك وأشرق وجهه .

وكتب عمر الى الآخرين الذين شـاركوه فى الشراب ولزوم البيوت بعد اقامة الحد عليهم ، فبرزوا وخرجوا من بيوتهم ، وكتب الى الناس (عليكم أنفسكم ، ومـن استوجب التغيـير فغيروا عليه ، ولا تعيروا أحدا فيفشـو فيكم البلاء) .

طاعون الشام وموقف أبى عبيدة وعمر منه

فى عام الرمادة أصيب المسلمون فى الشام بمحنة كبرى هى محنة الطاعون ،وأول ظهوره كان فى قرية عمواس الغربية من بيت المقدس ، ثم انتشر حولها ، وكان أبو عبيدة عامر بن الجراح أمير الشام — كما تقدم — فلما علم عمر بما أصاب الناس منه ، أراد أن ينقذ منه أبا عبيدة ، لأنه صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وأمين هذه الأمة ، وأحد عظماء قادتها وأصحاب الرأى فيها •

فكتب اليه (سلام عليك — أما بعد فقد عرضت لى اليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك اذا أنت نظرت فى كتابى هذا ، أن لا تضعه من يدك حتى تقبل الى) فعرف أبو عبيدة ما أراده عمر فكتب اليه (يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتك الى ، وانى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فى وفيهم أمره وقضاءه ، فحللنى من عزيمتك •

فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس : يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ قال لا وكأن قد — يعنى أنه فى حكم الأموات لاحاطة الوباء به ، وكتب اليه عمر أن يرتاد للجند منزلا يبعدون به عن هذا الوباء ، فعهد أبو عبيدة بذلك الى أبى موسى ، فسار بهم الى الجباية ، ولكن الطاعون قتل أبا موسى وقتل أبا عبيدة ، وقد استخلف على المسلمين قبل موته معاذ بن جبل فأصابه الطاعون ، فاستخلف بعده عمرو ابن العاص ، فخطب فى الناس قائلا :

ان هذا الوجع اذا وقع فانما يشتعل بالناس اشتعال النار ، فتجبلوا منه فى الجبال ، فعارضه أبو وائلة الهذلى ، فأصر عمرو بن العاص على رأيه ،وخرج بالناس الى الجبال، فرفعه الله عنهم — تلك احدى روايتين فى قصة وباء عمواس بالشام •

وهناك رواية أخرى خلاصتها أن عمر بن الخطاب قدم الشام ، فلما كان بسرغ (١) لقيه أمراء الاجناد وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ، فأخبروه بالوباء وشدته ، وكان معه المهاجرون والأنصار ، فاستشارهم فاختلفوا عليه •

فمنهم من قال : خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا ، ومنهم من قال : انه بلاء وفناء نرى أن تتقدم عليه ، فقال لهم : قوموا عنى ، ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش ، فلم يختلفوا عليه ، وأشاروا بالعودة الى المدينة •

فقال أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ، فقال عمر : نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان (٢) ، احداهما مخصبة والأخرى مجدبة أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ،

◄

(١) سرغ منزل من منازل الحاج الشامى ، بين المدينة وتبوك •

(٢) تثنية عدوة وهى جانب الوادى •

وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ فبينما الناس على ذلك اذ أتى عبد الرحمن بن عوف — وكان متخلفا عن الناس — فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبر الخبر ، فقال : عندى من هذا علم ، فقال عمر : فأنت عندنا الأمين المصدق ، فماذا عندك ؟

قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، واذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه » ، وهذه الرواية أصح من سابقتها ، فان البخاري ومسلما خرجاها فى صحيحيهما ، ولأن أبا موسى كان فى هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام •

ولما سمع عمر — رضى الله عنه — ماحدث به عبد الرحمن بن عوف ، انصرف بالناس عائدا الى المدينة •

وقد فتك الطاعون فى هذا العام بأهل الشام فتكا ذريعا ، ولكن الله حفظ منه سائر البلاد الاسلامية،بمنع الخروج من الشام الى غيرها، ومنع الوصول اليها من سواها بتطبيق الحديث النبوى الشريف ، الذى يعتبر أول قانون للحجر الصحى يطبق على البشرية لمنع سريان الوباء•

وبذلك يعتبر الرسول — صلى الله عليه وسلم — أول واضع لنظام الحجر الصحى بالحديث الشريف الذى رواه عبد الرحمن بن عوف ، كما يعتبر المسلمون أول من طبقوه ونفذوه •

الاستسقاء بالعباس فى عام الرمادة

قد علمت أن الطعام كثر بالمدينة ، ولكن توالى الأيام كفيل بانتهائه ، فما لم ينزل الله المطر فتخضر الأرض وتكثر المراعى والأقوات فان الأمر سيعود الى المجاعة ثانيا •

وقد حدث أن أهل بيت من مزينة قالوا لصاحبهم بلال بن الحرث : قد هلكنا فاذبح لنا شاة ، فأخبرهم أنه ليس فى الشياه لحم ، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة ، فسلخها عن عظم أحمر ، فنادى : يا محمداه ، فرأى هذا الرجل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى النوم يقول له : أبشر بالحياة ، ائت عمر فاقرأ عليه منى السلام وقل له : انى عهدتك وأنت وفى بالعهد ، شديد العقد ، فالكيس الكيس (١) ياعمر ،فجاء حتى أتى باب عمر ، فقال لغلامه : استأذن لرسول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فأتى عمر فأخبره ففزع ، وظن أن بالرجل مسا من الجنون ، فان الرسول — صلى الله عليه وسلم — انتقل الى الرفيق الأعلى ، فكيف يكون هذا الرجل رسولا له ، فلهذا سأل عمر غلامه قائلا : هل رأيت بالرجل مسا ؟ قال لا ، قال فأدخله ، فدخل وأخبره الخبر • فخرج عمر فنادى فى الناس وصعد المنبر وقال : نشدتكم الله الذى هداكم•

(١) الكَيْسُ ضد الحُمْق،ويطلق على العقل

هل رأيتم منى شيئا تكرهونه ؟ قالوا : اللهم لا ولم ذاك فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر ، فقالوا : انما استبطأك فى الاستسقاء ،فاستسق بنا ، فنادى فى الناس وخرج معه العباس ماشيا ، فخطب وأوجز وصلى بالناس ، ثم جثا على ركبتيه وقال : اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة الا بك ، اللهم فاسقنا الغيث وأحى العباد والبلاد .

وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وان دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال : اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبقية آبائه وأكبر رجاله ، فانك تقول : وقولك الحق « **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة** » فحفظتهما لصلاح أبائهما ،فاحفظ اللهم نبيك فى عمه ، فقد دكونا ــ أى توسلنا ــ به اليك مستشفعين مستغفرين ، ثم أقبل على الناس فقال « **استغفروا ربكم انه كان غفارا** » .

وكان العباس قد طال عمره وعيناه تذرفان ، ولحيته تجدل على صدره ، وهو يقول :

اللهم أنت الراعى فلا تهمل الضالة ، ولاتدع الكسير بدار مضيعة ، فقد صرخ الصغير ، ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغنهم بغناك قبل أن يقنطوا فيهلكوا (فانه لاييأس الا القوم الكافرون) فنشأت طريزة(١)من السحاب ، فقال الناس:

ترون ترون ؟ ثم التامت (٢) ، ومشت فيها الريح ثم هدأت ودرت (٣) فوالله ما تروحوا حتى اعتنقوا الجدار ، وقلصوا المآزر (٤) ، فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيئا لك ياساقى الحرمين ، فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

بعمى سقى الله الحجاز وأهله
عشية يستسقى بشيبته عمر

توجه بالعباس فى الجدب راغبا
اليه فما ان رام حتى أتى المطر

ومنا رسول الله فينا تراثه
فهل فوق هذا للمفاخر مفخر

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

(١) الطريرة هى الطريقة المتشعبة من السحاب
(٢) أى اجتمعت بعد تفرق .
(٣) أى أمطرت مطرا غزيرا .
(٤) (ما تروحوا) أى ما عادوا الى بيوتهم اخر النهار (واعتنقوا الجدار) أى امسكوا به خشية الانزلاق من كثرة المطر (وقلصوا المآزر) أى رفعوها الى أعلى حتى لا يصيبها الوحل ، والمآزر جمع مئزر ، وهو ما يستر اسفل الجسد.

من علوم القرآن

الإعجاز ٣

وعلى ذلك نقسم وجوه الاعجاز الى قسمين :

أولهما : ما يتعلق بالمنهج البيانى ، وهذا النوع أول من يخاطب به العرب لما ذكرنا فى صدر كلامنا من أنه جاء بلغتهم.

القسم الثانى : الاعجاز بما اشتمل عليه من ذكر لأخبار السابقين ولأخبار مستقبلة وقعت كما ذكر ، واشتماله على علوم كونية وحقائق لم تكن معروفة فى عصر محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وكذلك ما اشتمل عليه من شرائع أثبت الوجود الانسانى أنها أصلح من غيرها وأنها وحدها العادلة ، وأن هذا النوع معجزة للأجيال كلها وهو يحتاج الى مجلدات ضخام ..)) .

وبعد هذه الجولة فيما كتب حول وجوه اعجاز القرآن نستطيع أن نلخصها فى الآتى :

(أ) هناك من يحصر ذلك فى البيان القرآنى ، والقرآن نزل بلغة العرب ، فالتحدى عند هؤلاء موجه للعرب ، بل لمن بلغ منهم منتهى البلاغة والفصاحة بحيث يرى وجه الاعجاز ويحسه ، أما غيرهم من الجماهير العربية ومن الأعاجم الذين لا علم لهم بلغة القرآن فعجزهم تابع لعجز من تحدوا ، لأنهم اذ عجزوا فغيرهم أعجز .

(ب) وهناك من يرى تعدد وجوه الاعجاز ، اذ تشمل البيان وغيره من اخبار بالغيب ماضيه ومستقبله ، ومن اشتماله على أنواع العلوم والمعارف والتشريعات الصالحة الدائمة .. الخ والتحدى عند هؤلاء موجه للعرب ولغيرهم على سواء .

ولا ندرى كيف يكون غير العرب ممن وجه لهم التحدى بالنسبة للبيان القرآنى العربى .

(ج) وهناك من يرى تعدد وجوه الاعجاز ولكن على التقسيم ، فما يتصل بالبيان واللسان العربى التحدى فيه موجه الى العرب ، وما يتصل بالوجوه الأخرى يشملهم ويشمل غيرهم .

ونحب أن نتساءل :

هل فى هذه الأقوال ، مفرقة أو مجتمعة ، ما يتفق مع نص القرآن الكريم فى آية التحدى العام ؟ .

وقبل محاولة الاجابة عن هذا السؤال لابد من أن نشير الى أمرين :

للدكتور أحمد ابراهيم مهنا

أولهما :

ان اعجاز القرآن الكريم لأصحاب اللسان العربى من جهة سموه فى البلاغة والفصاحة والبيان أمر لا يمكن انكاره ولا ينبغى أن يدور حوله خلاف ، لأن الله تبارك وتعالى عبر عنه بأنه نزل « بلسان عربى مبين » وليس بعد قول الله بيان ، ولأن كتب التاريخ الاسلامى والسيرة النبوية مليئة بالأخبار التى تتحدث عن شدة اعجاب كفار مكة — وهم صفوة أهل اللسان العربى حينذاك بما كانوا يسمعون من آيات القرآن حتى ان كثيرا من رؤسائهم وأولى الأمر فيهم رغم عداوتهم الضارية لرسول الله وكتاب الله كانوا يتسللون لواذا متسترين بظلام الليل ليسمعوا رسول الله وهو يردد كتاب الله .

وقصة الوليد بن المغيرة وما قاله فى وصف القرآن وأنه لا يمكن أن يكون من الشعر أو من السحر أو من الكهانة ... الى آخر ما قال مشهور معروف .

وقد أشار القرآن اليها فى قول الله تبارك وتعالى :

« **ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ... » (١) .

وثانيهما :

أن بعض الكاتبين خلط بين التحدى الذى تنطق به آية سورة الاسراء والتحدى الذى وجهه الله لبعض الناس فى أمر معين ، فنجد أستاذنا الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى — أجزل الله له الثواب — يقول فى كتابه « مناهل العرفان » :

« قال الله تعالى فى موقف من مواقف الخصومة والمحاجة بين الرسول وبين أعدائه اليهود :

« **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** » .

« **وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ . وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** » (١) وهذا من أبرز شواهد

(١) سورة المدثر : الايات ١١ — ٢٦ .

(١) سورة البقرة : الايتان ٩٤ ، ٩٥

الاعجاز والتحدى ، اذ كيف يتسنى لرجل عظيم فى موقف من المواقف الفاصلة بينه وبين أعدائه أن يجرؤ على تحديهم بشىء هو من شأنهم وحدهم ، وكان فى استطاعتهم عادة ، بل فى استطاعة أقل واحد منهم أن يقول ولو ظاهرا : « اننى أتمنى الموت » ليظفروا بذلك التمنى على محمد — صلى الله عليه وسلم — ويبطلوا به دعوته ويستريحوا منه على زعمهم ، ولكن كل ذلك لم يكن ، فما تمنى أحد منهم الموت ، بل صرفوا ومازالوا مصروفين عنه أبدا ، ثم سجل القرآن عليهم ما هو أبعد من ذلك اذ قال عقيب تلك الآية :

« وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » (١) .

اننا لا ننكر أن التحدى هنا قائم ، وما قاله فضيلة أستاذنا الزرقانى صحيح ، ولكن هذا هو التحدى الشامل الذى نتحدث عنه ، وهو الحكم بعجز الانس والجن عن الاتيان بمثل القرآن الكريم ؟ .

لقد بينا — فيما سبق — أن آية التحدى العام الشامل هى قول الله تبارك وتعالى فى الآية الثامنة والثمانين من سورة الاسراء :

«قُلْ: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » .

وان قواعد اللغة العربية تقرر وجوب حمل النص على ظاهره الا اذا تعذر ذلك .

واعمالا لهذه القاعدة نرى :

أن التحدى موجه الى جميع أفراد الانس بأجناسهم المختلفة وألوانهم المتباينة وألسنتهم المتعددة .

وأن هذا التحدى بدأ منذ نزول القرآن الكريم وممتد الى أن يأذن الله بفناء هذا العالم .

وكما أن التحدى موجه الى جميع أفراد الانس فهو موجه كذلك الى جميع أفراد الجن ، أى موجه الى كل من ينطبق عليه لفظ الجن فى علم الله ،وليس لنا أن نذهب أبعد من هذا ، فالجن من عالم الغيب وعلمنا بأحواله وما يتعلق به يتوقف على ما يأتينا به المعصوم **صلى الله عليه وسلم** .

ومحاولة تخصيص التحدى للانس فقط دون الجن كما قال البعض ، أو تخصيص الانس بالعرب وحدهم وغيرهم تبع لهم كما يقول آخرون ، لا يمكن قبولها لأنه ليس هناك ما يمنع من ابقاء النص على ظاهره .

والذين قالوا بهذا التخصيص أو ذاك اضطروا اليه عندما حددوا وجه الاعجاز فى البيان العربى للقرآن وسموه ، وهو — فيما نرى — عكس لما ينبغى أن يكون ، لأنه يجعل الفهم

---

(١) انظر مناهل العرفان الجزء الاول ص ٨٣ (مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه) .

الانسانى أصلا والنص القرآنى فرعا ، وكم عانينا من ذلك فى تراثنا عندما جعل أصحاب المذاهب ـ سواء أكانت عَقَدِية أم فقهية ـ ما يقولون به من آراء أصلا ، وحاول كل فريق أن ينزل النص على ما يقول :

واذا كان النص يوجه التحدى الى جميع أفراد الانس والجن فمن الحتم أن يكون فى القرآن ما يعجز هؤلاء جميعا حتى يتحقق الاعجاز .

ومن الحتم كذلك أن يكون واضح المعنى بحيث يفهمه كل فرد ممن وجه اليهم التحدى .

ومن الحتم أيضا أن يكون مستمرا منذ كان التحدى والى نهاية هذا العالم .

ومن هنا نرى أن كثيرا من وجوه الاعجاز التى عددها العلماء لا يحقق ذلك :

فمثلا القول بأن وجه الاعجاز هو ماقى أسلوب القرآن من سمو فى البيان وان صدق على العرب فانه لا يصدق على غيرهم .

والقول بأن وجه الاعجاز هو ما اشتمل عليه القرآن من أخبار السابقين وان نهض دليلا على أن القرآن ليس من تأليف محمد لأنه أمى لم يقرأ شيئا عن هذه الأخبار فى نطاقها فانه ينقصه عنصر العموم اذ لا يعلم ذلك الا هؤلاء الذين علموا حقيقة هذه الأخبار من أصحاب الكتب السابقة وهم لا شك أفراد قلائل .

والقول بأن وجه الاعجاز هو ما جاء فى القرآن من أخبار مستقبلة وقعت كما ذكر لا ينهض دليلا على الاعجاز وقت توجيه التحدى ، اذ يحتاج لاثبات أحقيته الانتظار الى أن يقع ، ومع ذلك فهو تحد مؤقت ينتهى بوقوع الحدث ، وهذا لا يمنع من القول بأنه عند وقوعه يضيف دليلا جديدا على صدق رسول الله فيما بلغ لأنه وقع كما قال مع تأكيده على أنه صلوات الله عليه وسلامه لا يعلم الغيب .

والقول بأن وجه الاعجاز هو اشتماله على علوم كونية وحقائق لم تكن معروفة فى عصر محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يؤدى الى أن تظل الآيات التى تحدثت عن هذه العلوم غامضة مبهمة غير مفهومة حتى يأذن الله بظهورها ، ويؤدى ـ كذلك ـ الى أن التحدى يكون مقصورا على من يفهم هذه العلوم ، ولم يكن أحد من هؤلاء موجودا فى عصر نزول القرآن وبعد ذلك بوقت طويل ، وعند ظهورها فقط يمكن ربطها بالاعجاز فى الحدود الضيقة التى ذكرنا .

ثم : هل هناك اتفاق بين علماء المسلمين على أن القرآن كتاب علم بالمعنى الذى يفهم مما يقال فى هذا المجال ؟ .

أن الكثرة الغالبة من العلماء يرون خطورة كبيرة فى ربط القرآن بالنظريات العلمية أو تفسير آياته تبعا لما يظهر فى مجال العلم ، لأنه متغير ويقررون أن الصواب أن يقال :

ان القرآن لم يصادم حقيقة علمية أو قانونا علميا توصل اليه العلماء وصار غير قابل للنقض منذ أنزل من لدن الله الى يوم الناس هذا ، وليس يصادم شيئا من ذلك فيما يعتقدون لأن القرآن كلام الله والعالم كله من خلق الله .

٥

ونخلص من ذلك الى أن وجه الاعجاز فى القرآن هو شىء آخر غير ما قيل.ولابد وأن يكون أمرا موجودا فى القرآن نفسه •

وان يكون واضحا يفهمه كل فرد سليم العقل ، نال شيئا من العلم أو حرمته ظروف الحياة من ذلك •

وأن يكون هذا الأمر الذى يعجز الانس والجن قائما فى كل وقت ، ولا يمكن أن يكون فى متناول أحد ممن وجه اليهم التحدى بأى حال من الأحوال حتى لو ظاهر بعضهم بعضا •

هذا — فى رأينا — هو ما يفهم من النص الكريم «قل:

لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » •

فما هو ؟

ان الدارس لكتاب الله يجد أن الله عبر عنه — فى كثير من آياته أنه « الحق » نقرأ ذلك فى قول الله تبارك وتعالى :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ » (١) •

وفى قوله جل شأنه :

« المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ » (٢)

وفى قوله عز وجل :

« وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ » (٣) •

وكون القرآن هو الحق يلزم منه أن يكون كل جزء من أجزائه حقا كذلك ، وهذا ما نجده فى مواضع كثيرة من الكتاب الكريم :

يكرم الله مريم وابنها عيسى فيبين أنهما ممن اصطفى من عباده ويفند كل ما دار حولهما من أباطيل ثم يقول :

« إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ... » (٤) •

ويقص الله على رسوله أخبار عدد ممن سبقه من اخوانه المرسلين ثم يقول :

« وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ » (٥) •

ويحكى الله اعتراض الكافرين على تنجيم القرآن وعدم نزوله جملة واحدة فى قوله تعالى :

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً » ثم يجيب سبحانه بقوله :

« كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا •

---

(١) سورة يونس : الاية ١٠٨
(٢) سورة الرعد الاية ١
(٣) سورة فاطر : الاية ٣١
(٤) سورة ال عمران الاية ٦٢
(٥) سورة هود : الاية ١٢٠

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » (١) .

ويعنى القرآن ببيان بعض ما يميز المؤمنين عن الكافرين فنقرأ من ذلك قول الله تبارك وتعالى:

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا .. » (٢).

وقوله سبحانه :

« الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ . ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ » (٣) . وقوله جل شأنه :

« وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ .

أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ... » (٤)

ويستنكر القرآن التسوية بين المؤمن والكافر فيقول :

« أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » (٥).

وفى الحديث عمن آمن من أهل الكتاب بما جاء به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نقرأ قول الله سبحانه :

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ »(٦) .

وهكذا نجد الوصف بالحق ملازما للقرآن فى جملته وفى كل جزء من أجزائه ، وفى التعليل للايمان به .

والحق هو الثابت الذى لا يقرب من ساحته شك ولا ارتياب .

وكما عبر الله عن كتابه بأنه الحق أخبر — فى بيان واضح — أنه أنزل الى رسوله بالحق، فهو صحيح ثابت فى ذاته ، وأنزل بطريق مأمون ووصل الى الرسول كما هو فى صحته وثبوته .

نقرأ فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

« وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » (٧) .

---

(١) سورة الفرقان الاية ٣٢ ، ٣٣
(٢) سورة البقرة : الاية ٢٦
(٣) سورة محمد : الايات ١ — ٣
(٤) سورة سبأ : الايات ٦ — ٨
(٥) سورة الرعد : الاية ١٩
(٦) سورة القصص : الاية ٥٢ ، ٥٣
(٧) سورة الاسراء : الاية ١٠٥

وقوله سبحانه :

« ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ .. » (١)

وقوله عز وجل :

« إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ .. » (٢)

ومن هنا كان رد القرآن على من رموا رسول الله بالافتراء فى نسبة القرآن الى الله بالتأكيد على أنه الحق الذى لم يقرب الافتراء من ساحته لا فى أصله ولا فى ايحائه الى من اصطفاه الله لتلقيه وتبليغه ، يقول الله فى بيان واضح :

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » (٣) .

ويقول :

« بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ . وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ » (٤) .

ويقول :

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » (٥) .

وكما نجد التركيز على أن القرآن هو الحق فى الرد على من رموا رسول الله بالكذب نجد نفس الشىء فى الرد على من رمى رسول الله بالجنون ، يقول الله جل شأنه :

« أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ، بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ... » (٦)

هذا الذى ذكرناه ــ مستندين الى آيات الكتاب الكريم من :

تعبير الله سبحانه عن كتابه بأنه الحق ، وعن كل جزء من أجزائه كذلك ومن أن المؤمنين اتبعوه لأنهم علموا أنه الحق ، وأن الكافرين اتبعوا الباطل فضلوا الطريق .

ومن أن رد الله على من رمى رسوله بالافتراء أو قالوا عنه انه مجنون كان عماده أن الرسول قد جاء بالحق ، ومن يفترى لا يصدر عنه الا الباطل ، والمجنون لا يفرق بين الحق والباطل .

كل ذلك يجعلنا مطمئنين الى القول بأن وجه الاعجاز فى القرآن الكريم هو تركيزه على الحق فى كل أشكاله وفى جميع صوره ، فقد جاء الحق فى كل قضية عالجها ، وذلك يستلزم العلم الشامل والهيمنة التامة وأنى للمخلوق أن يكون كذلك ؟؟

يتبع

د . أحمد ابراهيم مهنا

(١) سورة البقرة : الاية ١٧٦
(٢) سورة النساء : الاية ١٠٥
(٣) سورة السجدة : الاية ٣
(٤) سورة الزخرف : اية ٢٩ ، ٣٠
(٥) سورة الشورى : اية ٢٣
(٦) سورة المؤمنون : اية ٧٠ ، ٧١

فقه آية كريمة

من كتاب الله
سحر بابل

للدكتور عبد الباقى أحمد سلامه

هاروت وماروت

اسمان أعجميان كطالوت وجالوت .

قيل : هما ملكان (١) .. وقيل ملكان (٢) .. وقيل : هما من الجن .. وقيل : من الانس .

ويؤيد الرأى الأول : ما روى عن على وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار والسدى والكلبى . ما معناه : أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم عليه السلام . وذلك فى زمن ادريس عليه السلام . عيرتهم الملائكة . فقال الله تعالى : أما انكم لو كنتم مكانهم . وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعملتم مثل أعمالهم . فقالوا : سبحانك . ما كان ينبغى لنا ذلك . قال فاختاروا ملكين من خياركم . فاختاروا هاروت وماروت فأنزلهما الى الأرض فركب فيهما الشهوة فما مر بهما شهر حتى فتنا بامرأة اسمها بالنبطية (بيدخت) وبالفارسية (ناهيل) وبالعربية (الزهرة) اختصمت اليهما . وراوداها عن نفسها . فأبت الا أن يدخلا فى دينها . ويشربا الخمر . ويقتلا النفس التى حرم الله . فأجاباها وشربا الخمر وألما بها . فرآهما رجل فقتلاه. وسألتهما عن الاسم الذى يصعدان به الى السماء . فعلماها . فتكلمت به فعرجت . فمسخت كوكبا . وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . فاختارا عذاب الدنيا . فهما يعذبان ببابل . فى سرب من الأرض . وقيل : معلقان بين السماء والأرض . يعلمان الناس السحر .

قال الفخر الرازى : لهم فى الزهرة قولان :

(١) بفتح الاول والثانى .

(٢) بفتح الاول وكسر الثانى .

الاول : لما ابتلى الله الملكين بشهوة بنى آدم . أمر الله الكوكب الذى يقال له (الزهرة) وفلكها أن اهبطا الى الأرض فكان ما كان . ثم ارتفعت الزهرة وفلكها الى موضعهما من السماء . موبخين لهما على ما شاهداه منهما .

الثانى : أن المرأة فاجرة من أهل الأرض واقعاها وعلماها الاسم الأعظم وعرجت الى السماء . ونسخت كوكبا .

وهذه الرواية : يقول عنها الفخر الرازى : فاسدة غير مقبولة لأنه ليس فى كتاب الله ما يدل على ذلك .

ولأن الأدلة قائمة على عصمة الملائكة . وتخييرهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاسد . والأولى تخييرهم بين التوبة والعذاب .

ومن العجب أنهم يعلمون السحر وهم يعذبون .

ثم يقول : والسبب فى انزالهما وجوه : كثرت السحرة فى ذلك الزمان . وادعوا النبوة وعلم الغيب فبعث الله الملكين ليعلما الناس السحر ليتمكنوا من معارضة مدعى النبوة .

العلم بكون المعجزة مخالفة للسحر يتوقف على العلم بماهية المعجزة وبماهية السحر . فبعث الله الملكين لتعريف ماهية السحر لتظهر حقيقة المعجزة .

أن الله بعثهما ليعلموا السحر الذى يفرق بين أعداء الله . ويؤلف بين أوليائه .

أن تحصيل العلم بكل شيء حسن . ولما كان السحر منهيا عنه وجب أن يكون متصورا

كان عند الجن أنواع من السحر لا يعرفها البشر . فلا بد أن يتعلمها البشر ليعارضوها . قد يكون ذلك تشديدا فى التكليف . فاذا تعلموه . ثم منعوه . استوجب ذلك الثواب الزائد . كما ابتلى قوم طالوت بالنهر « **إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ...** » (١)

فهذه وجوه لا يبعد أن ينزل الله الملكين من أجلها ، والله أعلم (٢) .

ويقول الفخر أيضا :

اعلم أنه تعالى شرح حالهما « **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** » أى هذا الذى نصفه لك . وان كان الغرض منه تمييز الفرق بين السحر والمعجز . لكنه يمكنك أن تتوصل به الى المفاسد والمعاصى . ونحن بعثنا فتنة . ليتميز المطيع من العاصى . فاياك

(١) سورة البقرة ٢٤٩ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ٢٢٠

بعد الوقوف عليه أن تستعملـه فيمـا نهيت عنه (١)٠

ويقول القرطبى : هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره « يشير الى أن ما روى عن الزهرة صاحبة هاروت وماروت) لا يصح منه شىء ٠ فتدفعه الأصول فى الملائكة الذين هم أمنـاء الله على وحيـه ٠ وسـفراؤه الى رسـله

« **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** »(٢)٠

« **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ٠ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** » (٣)

« **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** » (٤)٠

وأما العقل فلا ينكر وقوع المعصية مـن الملائكة ٠ ويخلق فيهم الشهوات ٠ اذ فى قدرة الله تعالى كل موهوم ٠ لكن وقـوع هـذا الجائز لا يدرك الا بالسمع ٠ ولم يصـح ٠ ومما يدل على عدم صحته : أن اللـه خلـق النجوم وهذه الكواكب ــ ومنها الزهرة ــ حين خلق السماء ٠ ففى الخبر (ان السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوارة : زحل والمشترى وبهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر) فثبت بهذا أن الزهرة كانت قبل خلق آدم(٥)٠

ويرجح القرطبى أن « ما » فى قولة تعالى « **وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ** » نافية ٠ وليست مفعولة معطوفة على السحر ٠ فتقدير المعنى : وما كفر سليمان ٠ وما أنزل على الملكين ٠أى على لسـان الملكين جبريل وميكائيل ٠ من أمر السحر شىء ٠ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ٠فهاروت وماروت بدل من الشياطين فى قوله « **وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** » وخص هاروت ومـاروت بالذكر ٠ بعد دخولهما فى عمـوم الشـياطين لزيادة تمردهما ٠

وقال : هذا أولى ما حملت عليه الآية مـن التأويل ٠ وأصح ما قيل فيها ٠ ولا يلتفت الى سواه ٠ وذلك أن اليهود قالوا : ان الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر ٠ فنفى الله ذلك (٦)

وروى ابن جرير عن ابن عباس من طريق العوفى ٠ فى قوله تعالى « **وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** » يقول : لم ينزل الله السحر ٠

وعن الربيع بن أنس : ما أنزل الله عليهما السحر ٠

وأول ابن جرير الآية كتأويل القرطبى ٠ الا أنه قال ــ بعد ما ذكر أن جبريل وميكائيل

---

(١) المصدر السابق ٠
(٢) سورة التحريم ٦ ٠
(٣) سورة الأنبياء ٢٦ ، ٢٧ ٠
(٤) سورة الأنبياء ٢٠ ٠

(٥) ،(٦) تفسير القرطبى ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٠ بتصرف ٠

فقه آية كريمة

لم ينزلا بسحر ، وأن الله برأ سليمان منه ، وأخبر أن السحر من عمل الشيطان ــ قال :

ان الذين يعلمونهم ذلك رجلان ، همــا هاروت وماروت ، فهما على هذا التأويــل ترجمة عن الناس .

وروى ابن أبى حاتم : أن الآيــة قــرئت « ومــا أنزل على المَلِكين داود وسليمان » قال أبو العالية : لم ينزل عليهما الســحر ، أى أن « ما » نافية هنا أيضا .

وشرع ابن جرير فى رد هذا القول ، وأن « مــا » بمعنى الذى ، وادعى أن هــاروت وماروت ملكان أنزلهما الله الى الأرض ، وأذن لهما فى تعليم السحر ، اختبــارا لعباده ، وامتحانا ، بعد أن بين لهم النهى عنه عــلى ألسنة الرسل ، وادعى أن هاروت ومــاروت مطيعان فى تعليم ذلك .

وروى ابن أبى حاتم عن الضحاك : أنهما علجان من أهل بابل ، وجعــل الانزال بمعنى الخلق ، لا بمعنى الايحاء ، مثل « **وَأَنزَلْنَــا الْحَدِيدَ** » (١) « **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** » (٢) .

وذهب كثير من السلف الى أنهما كانا مَلَكين من السماء ، أنزلهما الله الى الأرض ، وكــان من أمرهما ما كان ، وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع ، رواه أحمد فى مسنده ، وقد سبق فى علم الله لهما ذلك ، فيكون تخصيصا لهما ، فلا تعارض ، كما سبق فى علمه من أمر ابليس ما سبق .

روى الامام أحمد فى مسنده ، عن نافــع عن ابن عمر ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان آدم لما أهبط الى الأرض ، قالت الملائكة : أى رب ، « **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا .. قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** »(٣)

قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم ، قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهمــا الى الأرض ، فننظــر كيف يعملان ، قالوا : ربنا ، هــاروت وماروت .

فأهبطا الى الأرض ، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ... الى آخر ما مر ذكره ، مع اختلاف فى اللفظ وزيادة ونقص .

وعن سالم أنه سمع ابن عمر يحدث عــن كعب الأحبار ، به ، واسناده أصح (٤).

والآثار الواردة بمثل ذلك عن الصحابــة والتابعين كثيرة .

---

(١) سورة الحديد ٢٥

(٢) سورة الزمر ٦

(٣) سورة البقرة ٣٠

(٤) يراجع تفسير ابن كثــير ج ١ ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

ومن ذلك مارواه ابن أبى حاتم عن ابن عمر باسناد جيد ٠ وفيه : أنهما أقرا لها بدينها المجوسية وأتياها ٠ وصعدا بها الى السماء حسب شرطها ٠ وهناك اختطفت منهما ٠

وقطعت أجنحتهما ٠ وسقطا نادمين يبكيان ٠ وفى الأرض نبى (لعله ادريس) فأتياه ليطلب لهما التوبة ٠ فأجيب بتخييرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ٠ فاختارا عذاب الدنيا فجعلا فى بكرات من حديد فى قليب مملوءة بالنار ٠ عاليهما سافلهما ٠

قال ابن كثير (١) : بعد أن ذكر عديدا من الأحاديث والآثار :

وقد رى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدى والحسن وقتادة وأبى العالية والزهرى والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم ٠

وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين ٠

وحاصلها راجع فى تفصيلها الى أخبار بنى اسرائيل ٠ اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم ٠ وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب ٠ فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن الكريم على ما أراده الله تعالى ٠ والله أعلم بحقيقة الحال ٠ اهـ

وقد ذكر الفخر الرازى (٢) أن الحسن والضحاك وابن عباس قرأوا « ملكين » بالكسر ٠ واحتج هؤلاء بوجوه ٠

١ ــ لا يليق بالملائكة تعليم السحر ٠

٢ ــ كيف يجوز انزال ملكين مع قوله تعالى « وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ » (٣) ٠

٣ ــ لو أنزل ملكين فاما أن ينزلا فى صورة البشر فيحصل التلبيس على الناس ٠ واما فى صورة الملك ٠ فيقدح فى قوله تعالى « وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ » (٤) ٠

وأجاب الفخر : بما تقدم فى سبب انزالهما (٥) وبأن قراءة ملكين (بفتح اللام) متواترة ٠ ونزلا فى صورة رجلين ٠ ولم يحصل لبس ٠ كما كان ينزل جبريل فى صورة دحية الكلبى (٦) ٠

يتبع

د / عبد الباقى أحمد سلامه

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤١
(٢) تفسير الفخر جـ ٣ ص ٢١٨ ، ٢١٩
(٣) سورة الانعام ٨
(٤) سورة الأنعام ٩
(٥) قبل ثلاث صفحات
(٦) يلاحظ ان الايتين رقم ٣ ، ٤ ذكرهما الفخر هكذا ٠ ولكنهما يحتاجان لاعادة ترتيبهما ٠

هاروت وماروت

فصل من تفسير

صفوة البيان لمعاني القرآن

قال فضيلته فى الآية الكريمة :

« واتبعوا ما تتلو الشياطين ... » الآية قال:

« ولتبعوا ما تتلوا » .

أقبل اليهود لما نبذوا التوراة على كتب السحرة من أهل بابل ، التى كانت تخبر بها الشياطين والكهنة فى عهد سليمان ، وزعموا أنها علم سليمان ، وأنه كان ساحرا ولم يتم له الملك والسلطان على الانس والجن والطير والريح الا به ، فأكذبهم الله بهذه الآية . فالتلاوة بمعنى الاخبار والتحديث . ولتضمن الفعل معنى الكذب عدى بعلى .

« يعلمون الناس السحر » .

الضمير للشياطين أو لليهود . وقد ذكر **العلامة ابن خلدون فى مقدمته : أن السحر** والطلمسات علوم بكيفية استعدادات ، تقتدر النفوس البشرية بها على التأثير فى عالم العناصر بغير آلة ولا معين ، أو بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد وبعض الموجودات . فالنفوس الساحرة تؤثر بالهمة والتوجه فى الأشياء ، فان كان بغير معين وآله فهو السحر ، وان كان بمعين فهو الطلسم .

وأن هذه العلوم كانت شائعة فى أهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفى أهل مصر من القبط وغيرهم قبل بعثة موسى عليه السلام وكان لها فى زمن بعثته أسواق نافقة ، ولهذا كانت معجزته من جنس ما يدعون ويتناغون فيه . وهناك نوع ثالث من التأثير ، وهو تأثير النفوس فى القوى المتخيلة بالقاء أنواع من الخيالات والمحاكاة والصور فيها ، حيث ترى كأنها واقعية وليست الا خيالا ، وهو المسمى بالشعوذة . وأن خلاف العلماء فى أن السحر حقيقة أو تخييل خلاف لفظى . فالقائلون بأن له حقيقة نظروا الى النوعين الأولين .

والقائلون بأنه تخييل نظروا الى النوع الثالث . والشريعة لم تفرق بين السحر والطلمسات ، وحرمتها جميعا لما فيها من الضرر . وأما النوع الثالث فقد قال ابن خلدون انه ملحق بهذين النوعين فى التحريم ، لما فيه من الضرر .

والحق أنه لا يحرم منه الا ما فيه مضرة ، وأما ما ليس فيه مضرة فلا يحرم ، وانما ينبغى تركه لأنه لا يعنى الجادين ، و (من حسن

(١) رواه الترمذى .

للاستاذ محمد حسنين مخلوف

اسلام المرء تركه مالا يعنيه » (١) •

وما جاء فى الحديث من عد السحر من الكبائر ، وعده كفرا ، اذا كان الساحر يتجه فى رياضته بالتعظيم والعبادة والتذلل لغير الله تعالى ، فهو محمول على النوعين الأولين • ثم ذكر الفرق بين المعجزة والسحر بأنه راجع الى التحدى ، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما ادعاه ، وأن الساحر مصروف عن مثل هذا التحدى ، فلا يصح منه • ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور ، فراجعه • وفى الآية اشارة الى أن تعليم السحر موجب للكفر •

« وما أنزل على الملكين ببابل » •

أى ويعلمون ما أنزل على الملكين : هاروت وماروت ، ببابل : أى ما ألهماه وعلماه وهو السحر • وعطفه على ما قبله لتنزيل تغاير المفهوم منزلة تغاير الذات ، وكان نزولهما لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى وامتحانا للناس • فمن تعلمه وعمل به كفر ، ومن تعلمه وتوقى العمل به ثبت على الايمان ، ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء ، كما امتحن قوم طالوت بالنهر • وكانا يحذران الناس أشد التحذير من العمل به ، فلا يصفانه لأحد ، ولا يكشفان له وجوه الاحتيال فيه حتى يبذلا له النصيحة ، فيقولا له :

« انما نحن فتنة فلا تكفر » • وكذلك كان للتمييز بين السحر والمعجزة ، حيث كثر السحر فى ذلك الزمان ، وأظهر السحرة من الأمور الغريبة ما يوقع الشك فى النبوة ، فبعث الله تعالى هذين الملكين لتعليم أبواب السحر ، حتى يزيلا الشبه ، ويميطا الأذى عن الطريق • والظاهر أنهما نزلا بصورة آدمية ، ولا بعد فى ذلك ، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بصورة دحية الكلبى وغيره • وما يرويه المفسرون فى قصة هاروت وماروت لا أصل له ، وهو من أكاذيب الاسرائيليين فلا يعول عليه • وقد أنكره من الأئمة : القاضى عياض والامام الرازى والشهاب العراقى وابن كثير والآلوسى •

« أنما نحن فتنة »

ابتلاء من الله ، واختبار للناس ، أيتبعون النصح ولا يعملون السحر ، أم يخالفونه ويعملون السحر • من الفتن ، وأصله ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته • ثم استعمل فى الاختبار والامتحان بالمحن والشدائد ، وبالمنح واللطائف ، لما فيه من اظهار الحال والحقيقة • وأكثر ما تستعمل فيه الفتنة: الامتحان بالمحن • وعليه يحمل تفسير بعضهم الفتنة بالمحنة • وابتلاء الله العباد ، ليس ليعلم أحوالهم ، لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل ، ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة ، وهى الأحوال التى يعلمها الله تعالى أزلا •

« خلاق » نصيب من الخير ، هو ما اكتسبه الانسان من الفضيلة وتخلق به • وفسر الخلاق: بالقوام وبالقدر ، والمعانى متقاربة •

« شروا به أنفسهم » باعوا به أنفسهم •

« لمثوبة » لأجر وجزاء • وسمى بذلك لأن المحسن يثوب اليه ويرجع •

٢

مع إبراهيم الخليل في محكم التنزيل

وقال تعالى :

« وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »

البقرة ١٢٥ والآية مدنية .

المراد بالبيت : البيت الحرام ، ولا يراد به الكعبة وحدها فى هذه الآية ، لأن الله وصفه بكونه أمنا ، والأمن وصف للحرم كله لا للكعبة فقط ويجوز اطلاق الكعبة وارادة الحرم .

ويؤيد هذا قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد : الحرم كله ، لأنه لا يذبح فى الكعبة ، ولا فى المسجد الحرام .

وكذلك قال الله تعالى فى أمر المشركين : فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، والمراد بهذا منعهم من الحج وأداء النسك فى الحرم كله وهم على الشرك والعامل فى (اذ) من قوله تعالى : (واذ جعلنا) مقدر تقديره : واذكر اذ جعلنا ، وهو معطوف على واذ ابتلى . والجعل : بمعنى التصيير .

والمثابة : المرجع الذى يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه من ثاب الماء اذا رجع الى النهر بعد انقطاع ، ومثاب ومثابة لغتان ، وقيل الهاء فى مثابة للمبالغة .

وقيل : المثابة : موضع ثواب ، لأنهم يثوبون اليه فى كل عام وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — : انه لا ينصرف عنه أحد الا وهو يتمنى العود اليه (وللناس) متعلق بمحذوف صفة لمثابة أى مثابة كائنة .

(وأمنا) بمعنى آمنا وقع المصدر موقع اسم الفاعل مبالغة ، أو على تقدير مضاف أى ذا أمن ، أو آمن كل من حجه مخلصا صادقا من عذاب الآخرة حيث ان الحج المبرور هو الذى يمحو ما قبله من السيئات .

وقد فسر الأمن فى قوله : « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا » انه أمن من القحط

والجدب قال تعالى : « أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَهُم حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَات كُل شَيْءٍ » •

أو المراد : أن الله أمر الناس بأن يجعلوا ذلك الموضع أمنا من الغارة والقتل ، وقد أخبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتحريم مكة فقال : ان الله حرم مكة ، وانها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ، وانما أحلت لى ساعة من نهار •

وقد عادت حرمتها كما كانت ، وقد أحلت لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ساعة عام الفتح ومن وجب عليه حد ضيق عليه حتى يخرج من الحرم ، فاذا خرج أقيم عليه الحد وان لم يخرج حتى قتل فى الحرم جاز ، ومن قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه « وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » •

هنالك قراءة : واتخذوا بصيغة الماضى ، وهذا عطف على جعلنا البيت ، وهو اخبار عن أولاد ابراهيم عليه السلام على معنى أنهم اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •

ويجوز العطف على واذ جعلنا بتقدير : واذ جعلنا البيت مثابة واذ اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •

أما قراءة : واتخذوا من مقام ابراهيم بصيغة الأمر فاما :

١ ــ أن يكون العطف على اذكروا نعمتى أى واذكروا نعمتى واتخذوا •

٢ ــ أن يكون عطف على انى جاعلك والمعنى أن الله لما ابتلاه بكلمات فأتمهن قال له : جزاء ما فعلت انى جاعلك للناس اماما وقال : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •

٣ ــ أو هذا أمر لأمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقع اعتراضا فى قصة ابراهيم •

٤ ــ أو على ارادة القول أى وقلنا اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •

والأمر فى واتخذوا على الاختيار لا على الوجوب •

وكثرت الأقوال حول مقام ابراهيم الذى جاء الأمر باتخاذه مصلى فقيل :

١ ــ هو موضع الحجر الذى قام عليه ابراهيم عليه السلام •

وفى بيانه قال الحسن وقتادة والربيع : انه الحجر الذى وضعته زوجة اسماعيل تحت قدم ابراهيم عليهما السلام حين غسلت لابراهيم شق رأسه فوضع ابراهيم رجله عليه وهو راكب فغاصت فيه قدمه ، ثم نقلته تحت الرجل الأخرى وهى تغسل الشق الآخر من رأسه ، فغاصت كذلك رجله الثانية فى الحجر •

وقد جعل الله غوص قدم ابراهيم عليه

السلام على ذلك الحجر معجزة له

أما ابن عباس فيقول : كان ابراهيم عليه السلام يبنى البيت واسماعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان ، وضعف ابراهيم عن عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم ويؤيد هذا القول ما رواه جابر أن النبى — صلى الله عليه وسلم — لما فرغ من الطواف أتى المقام وتلا قوله تعالى : **«وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى »** وقراءة هذه الآية عند ذلك الموضع يدل على أنه المقام الذى وردت فيه الآية .

وكذلك ما روى من أنه — عليه الصلاة والسلام — مر بالمقام ومعه عمر ، فسأله عمر : أليس هذا مقام ابراهيم ؟ قال : بلى ، قال عمر :أفلا نتخذه مصلى ؟ قال عليه الصلاة والسلام : لم أومر بذلك ، ولم تغب شمس اليوم حتى نزلت الآية : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .

٢ — وقيل : ان مقام ابراهيم الحرم كله ، وذلك ما يراه مجاهد .

٣ — وقيل : هو عرفة والمزدلفة والجمار ، وذلك قول عطاء. ٤ — وقيل : هو الحج كله .

أما ما يراد بالمصلى فى قوله « **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** » فاما .

١ — أن يراد به مكانا للدعاء على معنى أن الصلاة فى اللغة : هى الدعاء ، وهذا يؤيد أن الحرم كله مقام ابراهيم لأنه مكان للدعاء .

٢ — أن يراد به القبلة أى اتخذوا من مقام ابراهيم قبلة ومكانا للصلاة ، ويدل على ذلك فعله — عليه الصلاة والسلام — حيث صلى هناك بعد أن تلا الآية .

وحول الأمر فى قراءة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، على أنه فعل أمر اختلف هل الأمر للوجوب ، ومعنى ذلك أن أداء ركعتى الطواف فرض اذا كان الطواف فرضا .

وقيل : الأمر ليس للوجوب ، فأداء ركعتى الطواف سنة وذلك اذا كان الطواف سنة والطواف الفرض : طواف الافاضة ، والطواف السنة : طواف القدوم وطواف الوداع .

فضل البيت وخلقه :

سأل أبو ذر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أى مسجد وضع على الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام .

قال : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى وسأل أبو ذر : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : خلق البيت قبل الأرض بألفى عام ثم دحيت الأرض منه ، وروى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : أول بقعة وضعت فى الأرض موضع البيت ، ثم مدت منها الأرض .

وأول جبل وضعه الله على الأرض : أبو قبيس ثم مدت منه الجبال .

(وأثبت العلم حديثا صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حيث قال العلم : أن الكرة الأرضية دائرة مركزها مكة ومن أربعة عشر قرنا قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — : أول بقعة وضعت فى الأرض موضع البيت ثم منها مدت الأرض — ما أصدق ما أخبرت به يارسول الله ؟!) .

(وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود) (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ) أى ألزمناهما وأمرناهما بتطهير البيت بعد بنائه وتأسيسه على التقوى والمراد بالتطهير : تطهيره من الشرك أو أمرهما أن يعرفا الناس أن البيت الحرام طهرة لهم يحجونه •

أو أمرهما الله بعد بنائه أن يحولا بين أهل الشرك وبين مزاحمة الطائفين والعاكفين والركع السجود •

أو أن الله أمرهما أن يطهراه من الأوثان وكل ما يدل على الاشراك ومن الأنجاس ومن طواف الجنب والحائض •

ثم قدم أصنافا ثلاثة يتمتعون بذلك التطهير وهم :

الطائفون : وهم الذين يطوفون حول البيت أو يقصدونه للحج والاعتمار •

العاكفون : من يقيمون هنالك أو من يجلسون فى البيت الحرام •

الركع السجود : هم الذين يصلون فى البيت الحرام •

دعاء ابراهيم للمؤمنين من سكان مكة :

قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » البقرة ١٢٦ والآية مدنية •

ان مكة محصورة بين سلاسل من الجبال لا تصلح للزرع ولا للغرس ، وانه ليتعذر العيش فيها الا مع الصبر ، وهذه البيئة الصحراوية يكشف عنها القرآن فى آية أخرى يناد فيها ابراهيم عليه السلام ربه : « رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ » •

والآية : واذ قال ابراهيم ، معطوفة على قوله : واذ جعلنا البيت مثابة ، والعامل فى (واذ) مقدر بقوله : واذكر ، ثم عطف على ما سبق •

وهنالك تأخير فى التلاوة وتقدم فى المعنى بين هذه الآية وبين آية : واذ يرفع ابراهيم القواعد وهى الآية التالية لهذه ، لأن هذا البلد وهو مكة لم يكن قد وجد الا بعد رفع قواعد البيت وبنائه ، فالبيت بُنِيَ أولا ثم وجد البلد ، وكأنه يريد بالدعاء : اللهم هذا الوادى من البلاد الآمنة أو من الوديان أو الأرض الآمنة ، وروى ابن عباس — رضى الله عنهما : أن ابراهيم عليه السلام لما أسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متجها الى الشام تبعته هاجر وهى تقول : الى من تكلنا فى هذا البلقع ، وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت : آلله أمرك بهذا •

فقال : نعم •

قالت اذا لا يضيعنا ، ورضيت ، ومضى حتى صعد ثنية كدآء وأقبل على الوادى ، ونادى ربه الذى لن يضيع اسماعيل وهاجر : ربنا انى أسكنت من ذريتى الآية •

وقد استجاب الله دعاء ابراهيم — عليه السلام — فجعل هذا البلد آمنا من كل جبار وقد فعل بأصحاب الفيل الأفاعيل ، وحملت سورة الفيل من كتاب الله الكريم أنباء الطير الأبابيل التى حملت حجارة من سجيل ، فجعلتهم كعصف مأكول ، أما عدوان الحجاج على الكعبة فلم يكن يقصد تخريبها ، وانما كان يريد الوصول الى ابن الزبير •

والمراد بالبلد الآمن : المأمون فيه ، أو الآمن أهله •

وقد اختلف المفسرون حول الأمن،

١ — فقال بعضهم : الأمن من القحط ، لأنه ترك أهله بواد غير ذى ذرع •

٢ — وقال بعضهم : الأمن من الخسف والزلازل والبراكين •

٣ — وقال البعض : الأمن من القتل •

أما المطلب الثانى لابراهيم — عليه السلام — فهو أن يرزق المؤمنين من ساكنى مكة بأقواتهم •

وقد استجاب الله دعاءه فأتتها ثمرات كل شىء •

وقيد ابراهيم عليه السلام طلب الرزق بأن يكون للمؤمنين من سكان مكة وذلك فى قوله : « وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ » ولكن الله (قال ومن كفر) سأرزقه ، لأن الذى خلق لابد أن يصل رزقه الى المطيع والعاصى ، والمؤمن والكافر ، فمن أطاع وآمن فله رزق الدنيا وثواب الآخرة فرزقه موصول فيهما •

وأما من عصى وكفر فيمتعه فى الدنيا ومثواه النار فى الآخرة (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ. وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) •

فمتاعه الدنيوى منقطع بانقطاع حياته ولا يظلم ربك أحدا حين يقول :

« وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) فالى مصير الطغاة يحمله الله ويدفعه الى حيث الجحيم •

يتبع

د• محمد محمد خليفة

٢

تناسق سور القرآن الكريم وترتيبها

للدكتور السيد الجميلى

افتتح الحق سبحانه وتعالى كتابه الكريم بسورة الفاتحة ، يقول - عنها - الامام السيوطى (رضى الله عنه) : « قد جمعت مقاصد القرآن ، ولذلك كان من أسمائها : أم القرآن ، وأم الكتاب ، والأساس فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال » •
(راجع الزمخشرى فى الكشاف ٤/١) ط • بولاق والاتقان (١/١٨٩) •

ويقول الامام الحسن البصرى : ان الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ، ثم أودع علوم القرآن فى المفصل ، ثم أودع علوم المفصل فى الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة •

وبيان اشتمال سورة الفاتحة على علوم القرآن ، قد قرره الامام الزمخشرى فى كشافه (٤/١ ط • بولاق) باشتمالها على الثناء على الحق سبحانه وتعالى بما هو أهله ، وعلى التعبد له جل شأنه ، وعلى الأمر والنهى ، وعلى الوعد والوعيد ، ومجمل آيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور •

يقول الامام الفخر الرازى:

ان المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الالهيات ، والمعاد ، والنبوات ،واثبات القضاء والقدر :

فقوله : « **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » يدل على الالهيات •

وقوله : « **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** » يدل على نفى الجبر ، وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله وقدره

وقوله : « **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** » الى آخر السورة ، يدل على اثبات قضاء الله ، وعلى النبوات ، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة ، التى هى المقصد الأعظم من القرآن •

راجع تفسير الفخر الرازى الكبير (٦٥/١) بتصرف

ونقل السيوطى عن الامام الطيبى قوله : هى مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التى هى مناط الدين أهمها اثنان •

◄

أحدها : علم الأصول ، ومعاقده معرفة الله عز وجل وصفاته ، واليها الاشارة بقوله (**رَبِّ الْعَالَمِينَ • الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) ، ومعرفة المعاد ، وهو المومأ اليه بقوله (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) • راجع تفسير غريب القرآن ص٣٨•

وثانيها : علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق ، والتزام طريق الاستقامة واليه الاشارة بقوله تعالى : (**أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**) وجميع القرآن كما يقول الطيبى تفصيل لما أجملته الفاتحة ، لأنها بينت اجمال ما يحويه القرآن مفصلا •

وهذا هو كلام الطيبى فى شرحه للكشاف ، ١/ ٢٩ أ • مخطوط بالأزهرية

قال بعض الأئمة عن سورة البقرة أنها قد تضمنت قواعد الدين ، وآل عمران مكملة لمقصودها ، وهذه وتلك امتداد لسورة الفاتحة حيث تضمنت سورة الفاتحة الاقرار بالربوبية والاعتصام بالدين القيم ، دين الاسلام ، والاحتراز من دين اليهود والنصارى •

يقول السيوطى رحمه الله (فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولذلك ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى(١))

وقد أوجب الحق تبارك وتعالى الحج فى آل عمران ، وأما فى البقرة فقد ذكر أنه مشروع ، وأمر باتمامه بعد الشروع فيه لقوله تعالى (**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**) الآية ١٩٦ من سورة البقرة •

« راجع القرطبى (٢ / ٣٧١ ، ٣٧٢) والطبرى (٣/ ٣٥) والبحر المحيط (٢/ ٦٠)»

يقول السيوطى رحمه الله « وكان خطاب النصارى فى آل عمران كثيرا كما أن خطاب اليهود فى البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل ، والانجيل فرع لها ، والنبى — صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى فى آخر الأمر ، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذى اتفق عليه الأنبياء ، فخوطب به جميع الناس ، والسور المدنية ، فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ، فخوطبوا بـ (**يا أهل الكتاب**) ، (**يابنى اسرائيل**) ، (**يا أيها الذين آمنوا**) •

وقد قال بعض العلماء : افتتحت البقرة بقوله تعالى : « **الٓمٓ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ** » فانه اشارة الى الصراط المستقيم فى قوله فى الفاتحة « **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** » •

وقد قال امام المفسرين الشيخ محمد بن جرير الطبرى وغيره من حديث على رضى الله عنه مرفوعا : « الصراط المستقيم كتاب الله » جامع البيان للطبرى (١/ ١٧٣) ولكن الحاكم أخرجه عن ابن مسعود موقوفا ، فأرجو مراجعة المستدرك (٤/ ٨٣) •

وهذا من أجمل وأحسن المعانى الرقيقة التى تشير الى ارتباط البقرة بالفاتحة •

وقال أحد العلماء : ان أوائل سورة البقرة

---

(١) أتممنا هذا اللفظ حتى يتم المعنى (الكاتب)

مناسب لأواخر سورة الفاتحة ، لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى ، قال قد أعطيتكم ما طلبتم هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه ، وقد اهتديتم الى الصراط المستقيم المطلوب المسئول (٤) .

ويقول السيوطى فى مجمل العبارة ما أراه استنباطا رائعا جميلا : —

(ان كل سورة تفصيل لاجمال ما قبلها ، وشرح له ، واطناب لا يجازه ، وقد استقر معى ذلك فى غالب سور القرآن ، طويلها وقصيرها ، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل مجملات الفاتحة) أهـ .

ويشرح لنا ذلك بقوله رضى الله عنه :

فقوله (الحمد لله) تفصيله ، ما وقع فيها من الأمر بالذكر فى عدة آيات ومن الدعاء فى قوله (**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**) الآية ١٨٦ .

وفى قوله تعالى (**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**) الآية ٢٨٦ راجع القرطبى ٤٠٥/٣ والطبرى (١٣٧/٦) .

وبالشكر فى قوله « **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** » الآية ١٥٢ .

وقوله تعالى : « **رَبِّ الْعَالَمِينَ** » تفصيل قوله « **اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** » ٢١ ، ٢٢ .

وقوله — عز من قائل « **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** » الآية ٢٩ .

ولذلك افتتحها بقصة خلق آدم الذى هو مبدأ البشر ، وهو أشرف الأنواع من العالمين .

وذلك شرح لاجمال (**رَبِّ الْعَالَمِينَ**) ١٠هـ سيوطى

قال تعالى (**الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**) قد أشار اليه بقوله فى أمر سيدنا آدم عليه السلام (**فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) الآية ٥٤ . راجع الطبرى (٧٩/٢) .

وفى قصة سيدنا ابراهيم لما سأل الرزق للمؤمنين خاصة بقوله : —

« **وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ** » الآية ١٢٦ .

فقال « **وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا** » ١٢٦ .

وذلك لكونه سبحانه وتعالى رَحْمَٰنًا .

وما وقع أيضا فى قصة (بنى اسرائيل) (**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم**) الآية ٥٢ الى أن أعاد الآية بجملتها فى قوله « **لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ** » الآية ١٦٣ .

وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى آية الدين ارشادا للطالبين من العباد ورحمة بهم ، وقد رفع عنهم الخطأ والنسيان والاصر ، وما استكرهوا عليه ، ومالا يطيقونه ، ثم ختم

تناسق سور القرآن الكريم

بقوله عز من قائل : « وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا » الآية ٢٨٦ .

وذلك شرح قوله « الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ » .

وقوله تعالى « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » انما هى تفصيله ما وقع من ذكر يوم القيامة فى عدة مواضع ومنها قوله تعالى « وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ » الآية ٢٨٤ .

والدين فى « الفاتحة » : الحساب فى « البقرة » وقوله : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » مجمل شامل لجميع مقصود الشريعة وأنواعها المتفرعة ، وقد فصلت فى البقرة أبلغ وأجمل تفصيل ، فقد ذكر فيها « الطهارة » ثم الحيض والصلاة والاستقبال وطهارة المكان والجماعة ، وصلاة الخوف ، وصلاة الجمع ، والعيد ، والزكاة بأنواعها ، وأنواع البر المختلفة وغير هذا من مسائل الفقه الاسلامى وأصوله .

ولاجرم أن أبواب الشريعة كلها مذكورة فى هذه السورة ، وقوله : « وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » انما هو شامل جامع لعلم الأخلاق وقد ذكر منها فى هذه السورة الجم الغفير ، من التوبة والذكر والصبر والشكر والتفويض والمراقبة والخشية والاخبات .

وقوله تعالى : « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » الى آخره ، تفصيله ما وقع فى السورة من ذكر طريق الأنبياء ، ومن حاد عنهم من النصارى ، ولذا فلقد ذكر فى الكعبة أنها قبلة ابراهيم فهى من صراط الذين أنعم الله عليهم وقد حاد عنها اليهود والنصارى معا ، ولذلك قال فى قصتها « يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » ١٤٢ تنبيها على أنها الصراط الذى سألوا الهداية اليه .

وكذلك فقد ذكر « وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ » ١٤٥

وهم المغضوب عليهم ، والضالون هم الذين جنفوا عن طريقه ، ونكبوا عنه .

ثم أخبر سبحانه وتعالى بهداية الذين آمنوا الى طريقهم ثم قال : « وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » ٢١٣ ، فكانت هاتان الآيتان تفصيل اجمال « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » الى آخر السورة .

والذى يتدبر تسلسل النظم القرآنى وانسجام البعض مع البعض الآخر ، فهذا يفصل ذاك ، وهذا يقيد ذاك ، ومع التدبر المتأنى والتأمل الفاحص والنظر العميق المدرك تنجلى روعة الجلال ، وجلال الروعة ، وقدسية البيان القرآنى المعجز الذى يثبت للفطرة والجبلة الانسانية أنه تنزيل من رب العالمين ، رب الملك والملكوت ، وان الشعور بالمتعة المتصلة المضاعفة ، والارتياح النفسى ، والطمأنينة الروحية لقراءة القرآن كل ذلك دليل على أن خالق الانسان وفاطره هو الذى يخاطب ملكاته وهذا هو سر البهجة والسكينة .

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد .

السيد الجميلى

فتنة المال

لفضيلة الشيخ
عبد الحكم عبد القوى حسن

عن عياض بن عبد الله أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال : « لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس الا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا فقال له رجل : يارسول الله أيأتى الخير بالشر ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال : كيف قلت ؟ قال : قلت وهل يأتى الخير بالشر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الخير لا يأتى الا بخير . أو خير هو ؟ ان كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أويلم الا آكلة الخضر . أكلت حتى اذا امتلأت (امتدت) خاصرتاها استقبلت الشمس فثلطت وبالت ثم اجترت فعادت فأكلت فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له ومن يأخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذى يأكل ولا يشبع » رواه ابن ماجه.

معانى بعض الجمل والمفردات

« ما أخشى عليكم .. الخ » أى ما أخاف عليكم الفقر وانما أخاف عليكم الغنى .

« زهرة الدنيا » حسنها وبهجتها .

« أيأتى الخير بالشر ؟ » أى المال الخير لقوله تعالى: «ان ترك خيرا» فكيف يترتب عليه الشر حتى يخاف منه ؟

« ان الخير » أى الخير المطلق « ان الخير لا يأتى الا بخير » يعنى أن الخير الحقيقى لا يأتى الا بالخير لكن هذا ليس خيرا حقيقيا لما فيه من الفتنة والاشتغال عن الاقبال على الله .

« أو خير هو ؟ » استفهام انكارى أى انكار كل الزهرة خيرا بل فيها ما يؤدى إلى الفتن .

« الربيع » قيل هو الفصل المشهور بالانبات من فصول السنة الاربعة وهى الربيع والصيف والخريف والشتاء .

وقيل الربيع هو النهر الصغير المتفجر من النهر الكبير — أى مثل ترعة تتفرع من النيل

« الحَبَط » انتفاخ البطن من الامتلاء وهى التخمة . « أو يلم » أى يقرب من القتل .

« الخضر » نوع من البقول ليس من جيدها وأحرارها .

« الا آكلة الخضر » الاستثناء هنا منقطع والمعنى لكن آكلة الخضر « امتدت خاصرتاها» أى شبعت .

« ثلطت » ثلط البعير . اذا ألقى رجيعه سهلا رقيقا .

الحـــديث

ان الحديث الذى نتناوله بالشرح لهو حديث ممتع حقا لمن يتدبر ما جاء فيه من عظات وحكم وأمثال فهو جامع لمعان يحتاج اليها كل مسلم يرعى حقوق الله ويخاف سلطانه ولا تغره الدنيا بحلاوتها فالدنيا فانية وما الحياة الدنيا الا معبر لحياة دائمة كاملة بلا متاعب وهى الحياة الأخرى . وليس معنى ذلك أن يترك المسلم الدنيا ولا ينعم بطيباتها بل عليه أن يأخذ منها ما يكفيه ولا يجرى وراءها متسابقا مع غيره حبا فى الجمع ويترك أمر الآخرة بل يجب على المسلم أن يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته حتى يفوز بالدارين وجمع المال الحلال وتأدية حق الله والتصدق على الفقراء والمحتاجين منه لابأس به فى الاسلام . أما جمع المال من حرام فأمره ظاهر ولست أعتقد أن المسلم الحقيقى يسمح لنفسه أن يجمعه كما هو واضح فى هذا الحديث لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث مثلين كما جاء فى النهاية .

أحدهما : للمفرط فى جمع الدنيا والمنع من حقها .

والآخر : للمقتصد فى أخذها والنفع بها .

فقوله : « ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أويلم ، فانه مثل للمفرط الذى يأخذ الدنيا بغير حقها وذلك أن الربيع ينبت أحرار البقول فتكثر الماشية منه لاستطابتها اياه حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاحتمال فتنشق أمعاؤها من ذلك فتهلك أو تقارب الهلاك . وكذلك الذى يجمع الدنيا من غير حلها ويمنعها مستحقيها قد تعرض للهلاك فى الآخرة بدخول النار وفى الدنيا بأذى الناس وحسدهم

وأما قوله « الا آكلة الخضر » فانه مثل للمتصدق . وذلك أن الخضر ليس من أحرار البقول وجيدها التى ينبتهما الربيع بتوالى أمطاره فتحسن وتنعم ولكنه من البقول التى ترعاها الماشية بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها وتسميها العرب الجنبة فلا ترى الماشية تكثر من أكلها ولا تستمر يها . فضرب آكلة الخضر من المواشى مثلا لمن يقتصد فى أخذ الدنيا وجمعها ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها فهو بنجوة من وبالها كما نجت آكلة الخضر .

ألا تراه قال : أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت .

أراد أنها اذا شبعت منها بركت مستقبلة عين الشمس تستمرىء بذلك ما أكلت وتجتر وتثلط فاذا ثلطت فقد زال عنها الحبط . وانما تحبط الماشية لأنها تمتلىء بطونها فتنتفخ أجوافها فيعرض لها المرض فتهلك .

وأراد بزهرة الدنيا حسنها وبهجتها وببركات الأرض نماءها وما يخرج من نباتها ٠

وبعد ٠

فاذا قرأنا الحديث وتدبرناه فاننا نرى أن رسول الله ﷺ لا يخاف على أمته الا من فتنة الغنى فكثيرا ما يذهب الغنى بالناس بعيدا عن الدين والاخلاق فهو سبيل التكبر والعجرفة واحتقار ضعاف النفوس من الأغنياء لمن هم دونهم ٠

يقول الله جل وعلا « **كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ** » وفى هذا اجتراء على الله وكفر بالنعم التى أنعم الله بها على الأغنياء فمن واجبهم أن يشكروا الله على هذه النعمة ويسخروا مالهم لخدمة الدين والمجتمع ويساعدوا المحتاج ويقيموا المشروعات التى تعود على الأمة بالخير.

وفى هذه الحال يأتى الخير بالخير فزهرة الدنيا ليست خيرا كلها بل تأتى زهرة الدنيا بالشر أيضا وذلك عندما تستعمل فى غير ما هو مفروض فيها كاستغلال المال فى القهر والظلم واحتقار الناس وعدم أداء حق الله من هذا المال وفى تلك الحال تكون الزهرة قد أتت بالشر مع اعتقاد الناس أن الغنى المطلق خير وعندما أجاب الرسول ﷺ السائل الذى سأله وهل يأتى الخير بالشر ؟ فقال الرسول ﷺ ! « ان الخير لا يأتى الا بخير ٠ أو خير هو ؟ » انكار أن يكون كل الزهرة خيرا بل فيها ما يؤدى الى الفتن ٠

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح الى البحرين ليأتى بمال منها فقدم أبو عبيدة من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع رسول ﷺ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله حين رآهم ثم قال :

« **أظنكم سمعتم ان أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين ؟** » ٠

قالوا : أجل يا رسول الله قال : « أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » ٠

أخى المسلم ٠

خذ الدنيا بحقها ولا تنس نصيبك منها ولكن خذه بالحلال يثمره الله لك ، ولا تتكالب عليه فلن تأخذ الا ما قسم الله لك ٠

وأذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من دنياك الا ثلاث مالبست فأبليت وما أكلت فأفنيت وما تصدقت فأبقيت » ٠

ما يؤخذ من الحديث

١ ــ عدم السعى وراء جمع المال من حرام

٢ ــ الاقتصاد فى جمع المال الحلال وتأدية حق الله منه ٠

٣ ــ الانذار لمن يجمع المال من حرام بأن مصيره الى النار ٠

٤ ــ البشرى لمن يجمع المال من حلال ويؤدى حق الله منه فان مصيره النجاة من النار ودخول الجنة ان شاء الله ٠

٥ ــ القناعة فى جمع المال من الحلال ٠

هذا وبالله التوفيق

عبد الحكم عبد القوى حسن

أضواء على منهج

تبليغ الدعوة

فى عهدها المدنى

٢

« ثانيا : تصحيح أخطاء أهل الكتاب »

الدين الاسلامى هو رسالة الانبياء جميعا تختلف شرائعهم ومللهم حسب الزمن والبيئة التى أرسلوا اليها ، لكن الاطار العام الذى جاءت فيه هذه الملل هو الدين الاسلامى الذى ارتضاه الله للناس كافة وبلغه الأنبياء جميعا ، ثم كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو العاقب الذى جاء ليصحح ما وقع فيه الاتباع السابقون من تحريف أبعدهم عما أوصله اليهم الانبياء (١)

وتصحيح أخطاء أهل الكتاب ليس أمرا **مستحدثا فى** العهد المدنى بل هو أمر أساسى **منذ العهد** المكى •

ففى سورة الكهف ، وسورة مريم ، والزخرف والأعراف وآيات كثيرة فى سورة يونس والأحقاف والصافات والأنبياء ليعالج قضية « دفع أن الله له ولد » ـ أستغفر الله ـ ولقد عالجت الموضوع فى العهد المكى من حيث :

تصحيح فكرة أن الله له ولد ، وعالمية الدين الاسلامى ومفهوم التدين (٢) •

اما العهد المدنى فقد امتاز بأمرين :

الاول : أنه حدد أنماط الكفر والضلال التى وقع فيها أهل الكتاب يهودا أو نصارى •

الثانى : أنه استنطق أهل الكتاب صحة ما جاء به سيدنا محمد ﷺ •

* **أما الاول** : فان القرآن الكريم ناقش

(١) راجع الموضوع بتمامه فى كتابنا : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء •

(٢) راجع الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ص ٤٥٨ : ٤٧٢ •

للدكتور رءوف شلبى

أفكار الذين قالوا عزير ابن الله ، والمسيح ابن الله .

يقول الله تعالى :

« وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ » (٣٠ ـ التوبة) .

فهذا رد على واحد من افتراءات اليهود وهو قولهم (عزير ابن الله) وهناك آيات أخر ترد على افتراءاتهم على عيسى ابن مريم وقتلهم الأنبياء ذكرتها آيات النساء وسورة مريم وسورة البقرة .

وهى كذلك رد على نوع من افتراءات النصارى فيما يتعلق بسيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وهناك ردود على من قال ان عيسى اله أو أنه واحد فى أقنوم ثالوثى يقول الله تعالى :

« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ » (٧٣ ـ ٧٥ ـ المائدة) .

« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

(١٧ ـ المائدة)

والله سبحانه وتعالى يقول للنصارى :

« إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ »

(٥٩ ـ آل عمران) .

فلا داعى للاسراف فى التأويل لأمر هو من خلق الله سبحانه وتعالى الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ومنذ العهد المكى والله سبحانه وتعالى يعلم البشرية لماذا جاء عيسى الى الدنيا بهذا الأسلوب الخاص .

قال الله تعالى :

« وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » (٥٧ ــ ٦٠ الزخرف) .

على أن القرآن الكريم منذ العهد المكى قد وضع قاعدتين فيما يتعلق بمروق أهل الكتاب وكل من يدعى أن الله له ولد .

القاعدة الأولى :

« لَوْ أَرَدْنَا أَن نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِن لَدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ » (١٧ ــ الأنبياء).

القاعدة الثانية :

« قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ » (٨١ ــ الزخرف)

وفى كلتا الحالتين يرد القرآن قائلا :

« سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ » (٨٢ ــ الزخرف) .

« فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ » (٨٣ ــ الزخرف).

« وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ » (٨٤ ــ الزخرف) .

ولقد كانت سورة الكهف فيصلا تاما منذ العهد المكى بين حقيقة التوحيد التى جاء بها الاسلام وأباطيل الأديان قديمها وحديثها التى صنعها الحاخامات والقساوسة والبراهمة والوجوديون والفلاسفة الباقون ، يقول الله تعالى :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا . قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » (١ ــ ٥ الكهف)

فلم يكن هناك بعد هذه التصحيحات الا أن يستنطق أهل الكتاب بالحق الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ .

الثانى : استنطاق أهل الكتاب بالحق الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ •

لم يكن أهل الكتاب يجهلون بعث سيدنا محمد ﷺ بل كانوا على ذكر منه ، وكان بعضهم على أحر من الجمر ينتظر مقدمه فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة وهو آخذ بجدية تامة فى نقلة الناس من الضلال الى الهدى ، ومن الظلمات الى النور ومن الجور الى العدل ومن مملكة الانسان الباغى الى حكومة الاسلام العادلة •

استنطق أهل الكتاب بالحق الذى جاء به من عند الله •

* أما النصارى فقد باهلهم ، يقول الكاتبون فى السيرة النبوية : وأرسل نصارى نجران العاقب والسيد فى نفر فأرادوا مباهلة رسول الله ﷺ ، فخرج ومعه فاطمة وعلى والحسن والحسين عليهم السلام فلما رأوهم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ، ولم يباهلوا وصالحوا على ألفى حلة ، ثمن كل حلة أربعون درهما ، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ ، وجعل لهم عليه الصلاة والسلام ذمة الله وعهده على ألا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا ولا يحشروا ، ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به (١) •

* وأما اليهود فقد أقر سيد بنى قريظة الحاخام الأعظم كعب بن أسد بصحة الاسلام وصدق سيدنا محمد ﷺ يوم حربهم وخيبتهم فى يوم الأحزاب •

يقول الكاتبون فى السيرة النبوية :

فأبى رسول الله ﷺ أن ينزلوا على حكمه وعاد نباش اليهم بذلك ، فأشار عليهم كعب بن أسد :

ـ بأن يدخلوا فى الاسلام وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوته فلم يقبلوا رأيه •

ـ فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا فيقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفروا فأبوا ذلك •

ـ فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيبيتونهم فقالوا : لا نحل السبت ـ •• واختلفوا •• (١)

والشاهد هو فى قول كعب بن أسد : انهم يعرفون صدق نبوته وأشار عليهم بناء على ذلك بالدخول فى الاسلام •• فلم يقبلوا لعلة اليهودية •

« يتبع »

رءوف شلبى

---

(١) راجع الامتاع ج ١ ص ٥٠٢ •

النظرية الإسلامية

فى استعادة الهيبة والروح المعنوية

هيبة المسلمين

تناولنا فى مقال سابق غزوة حمراء الأسد التى وقعت فى اليوم التالى مباشرة لغزوة أحد (أى يوم ١٦ شوال عام ٣ هجرية) وبينا كيف أن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أدرك بثاقب بصره ما تركت « أحد » من آثار على الروح المعنوية للمسلمين ، وما سوف يتعرض له المسلمون من استخفاف المشركين بهم والاستهزاء بهم فى أنحاء شبه الجزيرة ، وأن القضية قد أصبحت قضية هيبة الاسلام ومكانته ومستقبل الدعوة ، ومن أجل ذلك كان قراره الحاسم السريع بالخروج فى اليوم التالى مباشرة (لغزوة أحد) لمطاردة المشركين فكان ذلك عملا قويا وجريئا استعاد به للمسلمين معنوياتهم ، وللاسلام هيبته ومكانته .

نظرية اسلامية محكمة

غير أن الباحث المدقق فى أحداث « غزوتى أحد » و « حمراء الاسد » وما ترتب عليهما من آثار ، يستطيع أن يستخلص نظرية محكمة فى عبور النكسات (١) وازالة آثارها واستعادة الهيبة والروح المعنوية وارادة القتال ينبغى أن ندرسها ونتدبرها ..

ان من طبيعة الحرب وقوانينها أنها سجال بين الأطراف المتحاربة ، وتبادل وتعاقب بين الضرب وتلقى الضربات ، وبين الكسب والخسارة فى نتائج المعارك ، والأمم الحية هى التى تدرك هذه القوانين ادراكا واعيا ورشيدا حتى اذا ما تعرضت لهزيمة فى معركة لاتستسلم ولا تيأس ، بل تحمل أحزانها فى صبر وعزة ، وتعبر الجسر من الهزيمة الى العمل الايجابى لمحو آثارها والاعداد المادى والمعنوى لانتزاع النصر فى معركة أخرى .

---

(١) نص سيدنا ابن كثير – رضوان الله عليه – على أنه لايجوز أن تنسب هزيمة الى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهذا هو الواقع فان ثبوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل موقعة حرب أمر لاشك فيه .

اللواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

وتقرر العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية لمثل هذا الموقف الأسس والمبادىء التى تحفظ للأمة الاسلامية أعلامها مرفوعة على الدوام مهما قست التحديات ومهما اشتدت المواقف وهذه المبادىء نجملها فيما يلى : —

١ — تحديد الأهداف « الاستراتيجية » .
٢ — استيعاب دروس الهزيمة .
٣ — الوقاية من أساليب التدمير الذاتى .
٤ — اليقظة والحذر ومنع العدو من استغلال الموقف .
٥ — القضاء على محاولات تدمير المعنويات أو تفتيت وحدة الأمة .
٦ — التحذير من مهادنة العدو .
٧ — المعركة مستمرة حتى النصر .

المبدأ الاول : تحديد الاهداف الاستراتيجية .

ان أول مهمة على القيادة أن تباشرها هى تحديد الأهداف الاستراتيجية التى فى ضوئها تعمل الأمة كلها جيشا وشعبا وقيادة ، فان تحديد هذه الاهداف بجلاء يحقق وضوحا فى الرؤية ووحدة فى الاتجاه والفكر والعمل ، وكلها من أسس النجاح فى انجاز المهام بسرعة وكفاية .

* أهداف العدو

ولكى يأتى تحديد الأهداف الاستراتيجية دقيقا ووافيا فلابد من اجراء تصور شامل للأهداف التى يتوخاها العدو بعد أن كسب المعركة والتى يمكن أن يكون من بينها ما يلى :

(أ) السعى الى تحويل النصر الذى أحرزه الى « نصر استراتيجى » ساحق يحقق له غاياته السياسية العليا مثل السيطرة أو الاستعمار بأى شكل من أشكاله .

ب — الدعوة الى الاستسلام واشاعة روح اليأس وفقد الثقة والتشكيك فى امكانية الحصول على النصر فى معركة أخرى .

جـ — بث الفرقة بين طوائف الأمة وتفتيت وحدتها وتماسكها .

د — اجهاض محاولات اعادة البناء للقوة العسكرية ماديا ومعنويا .

هـ — محاولة فرض الحصار الاقتصادى لاعاقة عملية الاعداد والبناء .

و — محاولة التأثير على الرأى العام العالمى لكسبه فى جانبه .

* أهداف الأمة

وفى ضوء هذا التصور لأهداف العدو بالاضافة الى الأهداف المبدئية التى تقدم عليها

النظـريـة الاسـلامية

سياسة الأمة واستراتيجيتها العليا (١) ، تصبح الأهداف الاستراتيجية للأمة كما يلى :

أ ــ ازالة الآثار النفسية والمعنوية للهزيمة ٠

ب ــ اعادة بناء المعنويات واستعادة الارادة القتالية ٠

حـ ــ اعادة بناء القوة الحربية وما يساندها من قوى اقتصادية واجتماعية وسياسية ٠

د ــ كسب الرأى العــــام العالمى وفرض العزلة على العدو ٠

هـ ــ تحقيق النصر على العدو فى معركــة قادمة «باسترداد الأرض التى اغتصبها مثلا» وازالة آثار العدوان ٠

المبدأ الثانى : استيعاب دروس الهزيمة

يقضى الفكر العلمى ــ قبل اتخاذ خطوات العلاج ــ بتحليل الأسباب والعوامل التى أدت الى الهزيمــة ، « فــالتحليل » وسـيلة الى « التشخيص » السليم الذى هو المدخل العلمى الى العلاج السليم لأية مشكلة من جهة ، والى الوقاية من الوقوع فى الأخطاء فى المستقبل من جهة أخرى « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ٠ وتقدم لنا الاستراتيجية العسكرية الاسلامية هذا الأسلوب بطريقة عملية على أمثل وجه فى غزوة أحد وغزوة حنين ، وقد احتوى هــذا الأسلوب على العناصر الآتية : ــ

١ ــ النظرية الشاملة للموضوع

أن الفكر العلمى يقضى بألا تنظر الى أية مشكلة من زاوية واحدة فقط ، بل يفرض ــ لكى يأتى الحل سليما ــ أن ننظر اليها نظرة شاملة تحيط بكل جوانبها ٠

وهذا هو ما يوجه اليه الاسلام وما يشكل جوهر منهجه العلمى منذ أربعة عشر قرنا والذى سبق بــه نظريــات العصر الحــديث فى بحث المشكلات وآخرها وأحــدثها نظرية بحــوث العمليات (٢) ، فان من أبرز خصائص هــذه النظرية ما يطلق عليه علماء الادارة « المدخل الشمولى المتكامل » الذى يقــوم على احتواء المشكلة ــ التى يراد تحليلها ــ بجميع جوانبها وأبعادها ، ويتخذ مــن ذلك أساسا لوصــف الظواهر والعوامل والأسباب لكى يصل مــن خلال ذلك ، ومن خلال تحليل علاقات التفاعل بين هذه العناصر كلها الى « التشخيص » الذى يساعد على اكتشاف الحل السليم ٠

فالقرآن الكريم قد خص غزوة أحد بستين

---

(١) الاستراتيجية العليــا أو الكبــرى أو الشاملة (Grand strategy) اصــطلاح يعنى تنسيق وتوجيه جميع امكانيات الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغيرها نحو تحقيق الغاية السياسية للحــرب ، ولا يقتصر اهتمام الاستراتيجية العليا على حالة الحــرب فقط ، بل يمتد ليشمل حالة ما بعد الحرب ، لذلك فان هدفها البعيد هو تحقيق الســلام الدائم والمستقر ٠

(٢) نظرية بحوث العمليات Operations Research ظهرت فى الاربعينيات من القــرن العشرين ، وهى تقوم على أساس تطبيق الطريقة العلميــة لتحليل المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها ٠

آية من آيات سورة آل عمران وهى الآيات ابتداء من

قوله تعالى : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .. الى قوله تعالى : « فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ » .

، وقد احتوت هذه الآيات غزوة أحد احتواء كاملا وافيا ووضعتها فى اطارها التاريخى الشامل ولم تعاملها كظاهرة منعزلة عن بقية التفاعلات الاجتماعية التى حدثت فى مجتمع المدينة أو أى مجتمع انسانى (٢) ، كما ربط القرآن الكريم غزوة حنين بما قبلها من غزوات كتب فيها الله تبارك وتعالى النصر للمؤمنين تعميقا للعبرة والدرس .

٢ ــ الاستعانة بالخبراء والمتخصصين

ويتصل بالدراسة الشاملة ويكملها أن يشترك فى بحثها أصحاب الرأى من الخبراء والمتخصصين ومن عاشوا التجربة وعاصروها، فلا شك فى أن ذلك يحقق أعظم النتائج فى حل المشكلات وفى وضع الخطط لأعمال المستقبل على أساس سليم . وقد وجه الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد الى أن يستشير أصحابه فقال جل شأنه :

« فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ »

(آل عمران ١٥٩) ، ويفهم من ذلك ما يلى :

* أن المشورة واجبة .
* وأنه ليس معنى الهزيمة أن يفقد الذين عاشوها أو كانوا سببا لها حقهم فى ابداء الرأى .

٣ ــ التعرف على أسباب الهزيمة :

ولكى يتسنى فحص الموضوع وتحليله فى اطار النظرة الشاملة فلابد من التعرف على أسباب الهزيمة وهذا ما عرضه القرآن كمايلى :

* فى غزوة أحد

كان سبب الهزيمة مخالفة الرماة الذين عينهم الرسول ﷺ على الممر لحماية ظهر الجيش لأوامره لهم بألا يتركوا أماكنهم سواء رأوا المسلمين منتصرين أو منهزمين ، الا أنهم تركوا مواقعهم وراء الغنائم فانقلب ميزان المعركة ، قال تعالى : « حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ».

* وفى غزوة حنين

كان سبب الهزيمة استهانة المسلمين بعدوهم فقالوا : «لن نهزم اليوم من قلة (٣) وقد دفعهم اعتمادهم على كثرة عددهم واستهانتهم بقوة

---

(٢) انظر « دروس من غزوة أحد » للدكتور عبدالعزيز كامل ففيه دراسة وافية لهذا الموضوع .

(٣) كانت قوة المسلمين ١٢٫٠٠٠ مقاتل بين راكب وراجل وهو اكبر عدد بلغه جيش المسلمين حتى ذلك الحين .

عدوهم الى اهمال دراسة ميدان المعركة بدقة واهمال استطلاع مواقع العدو والتعرف على أوضاعه ونواياه وتوزيع قواته وأسلحته الى غير ذلك من اجراءات الاستطلاع التكتيكى (١) ففاجأهم العدو بهجوم عنيف مركز فانقلبوا راجعين لا يلوى أحد على أحد ، واضطرب الجيش ، وفر من فر ، ولم يثبت حول الرسول ﷺ الا القليل وكادت أن تتكرر هزيمة أحد لولا القيادة الفذة للرسول ﷺ الذى استطاع اعادة تجميع جيشه وقام بهجوم مضاد قوى لم يملك معه العدو الا الانسحاب من الميدان ، وقد عبر القرآن عما وقع فى غزوة حنين فى قوله تعالى :

« لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۰ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ » ۰

٤ ـ استعراض وتحليل الجوانب المختلفة للمعركة

وقد ورد فى القرآن فيما يتعلق بغزوة أحد استعراض وتحليل للجوانب المختلفة للمعركة نذكر منها ما يلى :

أ ـ تحديد المسئولية :

لقد كان من الطبيعى أن يدور التساؤل بعد المعركة عما حدث ، وكيف حدث ، ولماذا ؟

بل ان الصحابة تساءلوا كيف حدث والرسول بينهم ؟

فجاءت آيات الله موضحة هذا التساؤل مجيبة عليه :

« أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ۰

ب ـ تحليل سير المعركة

قال تعالى : **« سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ۰ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم (٢) بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۰**

وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۰ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا

(١) الاستطلاع التكتيكى هو الذى يجرى « قبل المعركة مباشرة » وخلالها فى نطاق مكانى محدود ۰

(٢) تحسونهم : أى تقتلونهم قتلا ذريعا ۰

تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

فى هذه الآيات دراسة موضوعية وتحليل دقيق لسير المعركة تمكن الباحث عن الحقائق والأسباب من الاحاطة الكاملة بجوانب المعركة وتطورها وأسباب الهزيمة تفصيلا :

* ففى المرحلة الأولى من المعركة كان ميزان المعركة فى جانب المسلمين مع قلة عددهم وتفوق عدوهم (١) .

* وفى المرحلة الثانية انقلب ميزان المعركة ودارت الدائرة على المسلمين بسبب مخالفة الرماة لتعليمات الرسول ﷺ بألا يتركوا أماكنهم على الممر لحماية ظهر الجيش .

٥ ـ المقارنة بمعارك النصر

ومن المفيد فى مجال استيعاب دروس الهزيمة أن تجرى دراسة مقارنة بين المعركة التى هزم فيها الجيش وبين معركة أخرى انتصر فيها ، فمن خلال هذا الربط بين أسباب الهزيمة هنا وأسباب النصر هناك يعمق الدرس ويرسخ وتزيد الرؤية وضوحا ويستبين الطريق نحو المستقبل وهذا بالضبط ما تقرره النظرية الاسلامية ويتضح من ذكر « غزوة بدر » ونصر الله المسلمين فيها ضمن الآيات المتعلقة بغزوة أحد فى سورة آل عمران اذ يقول الله تعالى :

« وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

فالله تعالى يذكر المسلمين بنصره سبحانه لهم ببدر لصدق ايمانهم وحسن طاعتهم وكانوا أذلة لقلتهم وكثرة عدوهم (٢) ، وقد وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم خير وصف فى دعائه لهم : « اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك » .

كذلك وردت المقارنة والربط بين أسباب الهزيمة وأسباب النصر فى قول الله تعالى فى غزوة حنين : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ » .

فالله تعالى يقول مخاطبا المؤمنين :

« ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة من مواطن القتال مع قلة عددكم وعدتكم كيوم بدر والأحزاب وخيبر وفتح مكة وقتال يهود بنى قريظة والنضير وغير ذلك ، وخص يوم حنين بالذكر لما فيه من العبر الكثيرة فقال : « ويوم حنين » أى اذكروا يوم حنين حين أعجبتكم كثرتكم .

◄

(١) كان عدد المسلمين ٧٠٠ رجل بينما كان عدد المشركين ٢٩٠٠ رجل .

(٢) كان عدد المسلمين فى بدر ٣١٥ رجلا بينما كان عدد المشركين ٩٥٠ رجلا .

المبدأ الثالث : الوقاية من أساليب التدمير الذاتى

تنتاب أبناء الأمة التى تخسر المعركة — عادة صور شتى من الضغط النفسى الذى ينشأ فى داخلهم وفيما بينهم مثل الهم والحزن ولوم النفس والآخرين وتبادل الاتهامات الى غير ذلك من أساليب التدمير الذاتى التى تؤدى — اذا لم توقف أو يتغلب عليها — الى الضعف واليأس والسلبية وتدهور المعنويات وارادة القتال، فتشكل بذلك أخطر عقبة فى سبيل اعادة بناء القوة والاعداد للنصر فى المستقبل .

ثم ان هذه الجوانب لا تخفى على العدو الفطن الذى يستغل الموقف أفضل استغلال بتغذية تلك الأحاسيس المدمرة فيميل على الأمة بكل أساليب الدعاية والحرب النفسية قاصدا الاجهاز التام على قوتها وارادتها .

وتقدم لنا توجيهات الاسلام خير منهج لوقاية الأمة من أساليب التدمير الذاتى ، وقد امتحن المؤمنون وامتحن أنبياء الله اليهم ، فكانوا بايمانهم أقوى من الأحداث التى واجهتهم كما يقول الله تعالى :

« فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » (١)

وهذه الأساليب نذكر منها ما يلى : —

١ — الصبر

فالصبر فى الشدائد من أقوى أساليب الوقاية والعلاج معا لازالة تلك الضغوط النفسية ،يقول الله تعالى : **« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ . وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » .**

«لَتُبْلَوُنَّ فِى أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » .

« أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ : مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » .

ويقول الرسول ﷺ : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر

البقية ص ١٦٨٩

(١) أى ماضعفت عقيدتهم ولا ضعفوا ولا فتروا عن القتال وما خضعوا لعدوهم .

الإسلام وحقوق المرأة

للدكتور عبد الله مبروك النجار

خصوم الاسلام ونظام التسرى :

ومن المسائل التى استجلبت صراخ خصوم الاسلام بالنقد لنظمه الاجتماعية مسألة اباحته للرجل أن يتسرب بجواريه اللائى يملكهن ويعتبرن فى عداد رقيقه بدون تقيد بعدد ولا بعقد زواج .

وقد وردت هذه الرخصة فى قول الله تعالى : وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ . فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

(١) وملك اليمين هو الرقيق ، كما ورد فى آيات أخرى كثيرة منها قوله تعالى فى وصف المؤمنين : **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** (١) أى لا يقربون سوى أزواجهم التى أحلها الله لهم ، أو ما ملكت أيمانهم من السرارى ، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ، ولهذا قال : فانهم غير ملومين (٣) ، وواضح أن هاتين الآيتين تدلان على جواز التمتع بالاماء ومن ثم راح خصوم الاسلام يقررون أن اباحته للسيد أن يستمتع بجواريه بدون عقد زواج ، أو اكتفاء بملك اليمين ، تنطوى على

◄

(١) سورة النساء ـ اية ٣ .

(٢) سورة المؤمنون ـ الايتان : ٥ ، ٦ .

(٣) راجع : مختصر تفسير ابن كثير ـ ج ٢ ص ٥٥٩ .

اهدار لكرامة الانسان بصفة عامة ، وكرامة المرأة بصفة خاصة ، لأن الجارية تعامل معاملة السلعة يتصرف فيها المالك كيف يشاء ، وكما تسمح له أهواؤه ، بدون رعاية لحرمة انسانيتها وبدون ارتباط معها بعقد ولا ميثاق ، كما يقولون ان فى اباحة الاسلام لهذا النوع من الاستمتاع بالاماء ، دون تقيد بعدد معين تيسيرا لانطلاق الغرائز الحيوانية من عقالها ، وتحريرا لها من القيود التى قيدتها بها الحضارة (١) .

خلط بعيد عن الصواب :

•• ويظهر من خلال ما أبداه خصوم الاسلام من زعم يتعلق بهذه المسألة ، أن الامور قد اختلطت عليهم ، أو انهم لا يعلمون عن أصل المسألة شيئا ، وكل ما يهدفون اليه هو الهجوم على الاسلام بمحاولة الباس الحق ثوب الباطل ، حقدا وحسدا ، أو جهلا بأحكامه ، والواقع وكما يقرر العقاد : أن قضية الاماء والسرارى تعتبر جزءا من قضية الرق على عمومه ، لولا أن المرأة المستعبدة تنفرد بمشكلاتها التى سبقت مشكلات الرق فى المجتمعات البدائية ، لأن سبى النساء أقدم من تسخير الرجال فى العبودية ، ولأن مشكلات الاماء على اتصال وثيق بمشكلة المرأة فى بيتها وفى بيئتها الاجتماعية ، ولم تكن حقوق الزوجات الحرائر فى القدم تفضل كثيرا نصيب الاماء المستعبدات (٢) وعلى هذا النحو فالموضوع قد اختلط فى نظر الزاعمين ، بالرق ، وجاء التجنى على الاسلام فيه ، متناسين موقف الاسلام الحضارى من قضية الرق ، وتشريعه القويم لمعالجتها ، على النحو الذى يحفظ للانسان كرامته ، ويحمى آدميته ذكرا كان أو أنثى ، وبما يعتبر مفخرة لهذا التشريع العظيم .

الاسلام لم يشرع الرق :

•• لقد تناسى هؤلاء الزاعمون أن الاسلام قد شرع العتق ولم يشرع الرق وأنه بهذا المسلك الرفيع يعتبر مفخرة للبشرية كلها ، لان الرق كان مشروعا فيها قبل الاسلام وكان يمثل دعامة من الدعامات التى يقوم عليها كيان المجتمع فى كثير من الحضارات ، وفى العديد من الفلسفات ، كان الرق معروفا قبل الاسلام فى القوانين الوضعية ، بل وفى الشرائع السماوية بجميع أنواعه : رق الاسر فى الحروب ، ورق السبى فى غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء ، ورق الاستدانة أو الوفاء بالديون (٣) . وكانت هذه الانواع من الرق معروفة فى فلسفة أرسطو ، كما أقره افلاطون فى جمهوريته الفاضلة ، وعرفته الحضارة اليونانية وتفننت فى تنويعه الى رق عام للخدمة والحراسة ، ورق خاص لتسخير العبد فى خدمة البيوت والافراد ، عرفته البادية كما عرفه الحضر ، وعرفته اليهودية كما أقرته المسيحية

(١) دكتور على عبد الواحد وافى ـ المرجع السابق ـ ص ١٦٥ .

(٢) عباس محمود العقاد ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٣ .

(٣) عباس محمود العقاد ـ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ـ ص ١٨٩ ـ دار نهضة مصر .

وشرعته ، وصاغت له فلسفة وجوده ، واعتبرته حالة من الحالات التى خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية وليس مما يناقض الايمان أن يقنع الانسان من الدنيا بأهون نصيب • (١) وقد جاء فى رسالة بولس الرسول الى أهل افسس أيها العبيد !! أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح ، ولا بخدمة العين كمن يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح ، عاملين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عالمين أن مهما عمل لكل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان أم حرا ، وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور تاركين التهديد عالمين أن سيدكم أنتم أيضا فى السموات وليس عنده محاباه (٢) ، على هذه الحالة كان العالم كله يوم مبعث الدعوة الاسلامية وعلى هذا النحو كان وضع القضية قبل الاسلام ، فماذا كان موقفه منها ؟ •

علاج الاسلام لقضية الرق :

•• جاء الاسلام والعالم ينوء بوزر تلك القضية الشائكة ، فنحى بالانسانية منحى كريما لائقا يتواءم مع الكرامة الانسانية التى خلق الله الناس عليها ، فلم ينهج مسلك تلك الفلسفات التى أقرته ، والديانات التى شرعته وانما اختط الوسائل لتصفيته والقضاء عليه والاخذ بيد الارقاء على طريق الحياة الحرة الكريمة ، فشرع للعتق ، ولم يشرع للرق ، وصاغ منهجا يعالج مشاكله ، اتسم بالدقة والسمو ، وينطق بعظمة التشريع الذى جاء به وهذا المنهج الاسلامى يستهدف سد منافذ الاسترقاق ، والتدرج بالرقيق نحو الحرية ، ثم تصفية بقاياه بكثير من القنوات الشرعية المتعددة ، ونود أن نشير الى ذلك بشىء من التفصيل :

أولا : سد منافذ الاسترقاق :

•• كان أول ما صنعه الاسلام فى مشكلة الرق ، أن نظر الى منافذها ، والروافد التى تغذيها ، فسد تلك المنافذ ، وحرم استرقاق الانسان لأى سبب • فاذا كانت الانسانية قد عرفت قبله ، ومازالت تعرف أسبابا متعددة للاسترقاق ، فان الاسلام قد صادر تلك الاسباب ، ولم يبق منها غير سبب واحد يتيم ، اقتضت الطبيعة البشرية وجوده ، وهو رق الأسر فى الحروب ، ثم تركه للقنوات الشرعية لتتولى تصفيته والقضاء عليه ، وفحوى ذلك كما يقرر العقاد : انه قد صنع خير ما يطلب منه أن يصنع ، ولم تأت الأمم الانسانية بجديد فى هذه المسألة بعد الذى تقدم به الاسلام فيها قبل الف واربعمائة عام (٢) ، فالسبب الذى ابقاه الاسلام للرق مباح اليوم فى أمم الحضارة التى تعاهدت بشأنه ، منذ القرن الثامن عشر الى الآن ، لأن هذه الامم قد اتفقت ◄

(١) عباس محمود العقاد ـ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ـ ص ١٨٩ ـ دار نهضة مصر •
(٢) العهد الجديد ـ رسالة أهل اقسس ـ الاصحاح السادس ـ الفقرات من ٥ ـ ٩ ـ ص ٤١٥ ـ الطبعة المشار اليها •
(٢) عباس محمود العقاد ـ المرجع السابق ص ١٩١ •

على معاهدات الرق ، تبيح الاسر واستبقاء الاسير الى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى . أو التعويض عنهم بالفداء والغرامة . هذا كل ما تركه الاسلام من أسباب الرق . أو الأسر بعد أن كفل له العلاج ، ولم يعرف لمثل هذا المنهج الاسلامى نظير فى غيره من المجتمعات الانسانية التى تزعم التحضر ، وترفع شعار حق الانسان فى الحرية والمساواة، ثم تتسابق فيما بينها بشتى الطرق ، ومختلف الاساليب من أجل اذلاله وقهره ، والسيطرة عليه واستعباده .

ثانيا : التدرج بالرقيق نحو الحرية :

.. والاسلام حين أباح السبب الوحيد للرق على مضض كما رأينا ، لم يشأ أن يجعل من الرقيق كما مهملا ، بل قدر فيه جانب الانسانية ونظر له بما سوف يؤول حاله اليه ، فأمر بالرفق به والاحسان اليه ، وشرع التسرى على نحو ما سبق ، لا ليكون وسيلة لاشباع شهوة ، أو اداة لتحقيق نزوة ، بل شرعه ليكون طريقا لعلاج الفساد الاجتماعى فى مجتمع العدو وعقب الحرب المشروعة بين المسلمين وأعدائهم ذلك أن قهر العدو والتغلب عليه ، يستتبع علاج أحواله ، وأهمها تلك الكثرة الهائلة من نساء العدو بعد مقتل كثير من أزواجهن وآبائهن بسبب الحرب ، وهذه الكثرة من النساء تكون بعد الهزيمة مشتتة الفكر ضائعة المستقبل فمن مصلحتها أن يتم توزيعها على بيوت المسلمين وهى بيوت يذكر فيها اسم الله كثيرا مما يسرع بتغيير المجتمع القديم الى مجتمع اسلامى جديد ، فضلا عن أن هذا التوزيع من شأنه أن يعلم نساء العدو عادات المسلمين وطباعهم ، فتسود فى المجتمع الجديد كلمة الحق التى يتواصى بها المسلمون . (١)

.. الى جانب ذلك ، نجد فى الاسلام قواعد لتطوير نظام التسرى تطويرا من شأنه أن يقضى عليه بالتدريج ، حتى لايكون عامل هدم فى حياة الاسرة المسلمة ، من ذلك أن الأمة المتزوجة برجل حر وبعبد ولو كان رجلا من العدو ، لا يحل التسرى بها لأنها زوجة لرجل آخر وان كانت مملوكة ، وزوجة الغير لا تحل لغير زوجها فى الاسلام ، سواء كان هذا الغير عبدا أم حرا كافرا أم مسلما ، أما اذا كانت الأمة غير متزوجة فيحل لسيدها أن يجامعها بعدة قيود : منها أنه لا يحل له أن يجامع أختين مثلا ، واذا جامع السيد أمته غير المتزوجة فحملت منه ثم ولدت له ، كانت أم ولد (٢) ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع أمهات الاولاد وقال : لا يبعن ولا يوهبن ولا يورثن ، يستمتع بها السيد مادام حيا ، واذا مات فهى حرة (٣)

---

(١) دكتور عبد الناصر العطار — تعدد الزوجات — ص ١٧٤ — مجمع البحوث الاسلامية — مارس ١٩٧٢ م .

(٢) المرجع السابق والمكان .

(٣) نيل الاوطار للشوكانى — جـ ٦ ص ١٠٣ وما بعدها .

•• وكذلك يعتبر ولدها حرا ، هكذا يضيق الاسلام عليه تدريجيا حتى ينتهى ، كما أنهى الفساد الاجتماعى عقب الحرب بنظام التسرى ذاته ، وقد أسند الله ملك الاماء الى اليمين ، وهى صفة مدح ، لأن اليمين مخصوص بالمحاسن لاستعمال الانسان اياها فى معظم الاحيان ، فهى المعاهدة المبايعة المؤكلة المسلمة المنفقة وفى ذلك ما يشعر بمراعاة آدمية الرقيق وانسانيته ، والاحسان اليه والرفق به والى هذا المعنى يشير قول الله تعالى ، **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** (*) .

ثالثا : تصفية بقايا الرق .

•• ولم يقتصر الامر فى الاسلام على ذلك بل شرع من الوسائل ما يتحرى به تعميم العتق وتحرير الرقاب ، وتعجيل فكاك الاسرى ، فجعل العتق شريعة خاطب بها المسلمين على المستويين الفردى والجماعى :

١ ــ على المستوى الفردى :

•• ندب الشارع الى تحرير الرقاب ، وجعل العتق كفارة عن كثير من الذنوب ، كالقتل الخطأ والحنث فى اليمين ، ومخالفة قسم الظهار ، والفطر المتعمد بالجماع ، كما جعله واجبا بالنذر ونطقت بكل تلك الوسائل للعتق آيات الكتاب الكريم ، قال تعالى : **وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا** (١) وقال تعالى : **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** (٢) ، وقال تعالى : **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا** (٣) ويحسن تحرير الرقاب فى غير ما ورد النص عليه ، حيثما وجب الشكر على النعمة والتوبة من الذنب ، وحسن الجزاء على الولاء ، قال تعالى : **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ** (٤) ، وهكذا شرع الاسلام العتق وخاطب به المسلمين .

٢ ــ وعلى المستوى الجماعى :

•• لم يقتصر مسلك الاسلام فى تصفية الرق على تلك السياسة التى تنتهج الوصول الى سد منافذه ، والتدرج بالرقيق نحو الحرية ثم

(*) سورة الانسان ــ اية ٨ ، والاسير هو العبد كما قال عكرمة وابن جرير ، راجع مختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ٣ ــ ص ٥٨٢ .
(١) سورة النساء ــ آية ٩٢ .
(٢) سورة المائدة ــ اية ٨٩ .
(٣) سورة المجادلة ــ اية ٣ .
(٤) سورة البلد الايات : ١١ : ١٥ .

تصـــفية بقاياه عن طريق الخطاب الموجه الى الافراد ، بل جعل العتق واجبا على الدولة ، وخصص شريحة فى المال العام تنفق فى سبيل تحرير الرقاب ، وهكذا أضاف الاســـلام الى شريعته فى الرق نوافل وشروطا تسبق الشريعة الدولية بأكثر من ألف سنة ، فاذا كانت الشريعة الدولية لم تعرف الدولة فيها فكاك رعاياها من الأسر فقد سبق الاسلام الى فـــرض هـــذا الـــواجب عـــلى الـــدولة فجعـــل ، من مصـــارف الزكـــــاة انفاقهـــــا فى الرقاب ، أى فكاك الأسرى ، وان يحسب للأسرى حق فى الفىء والغنيمة كحق غيرهم من المقاتلين ، قال تعالى : **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّـهِ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (١)

واذا كان ارتباط الأسرى ضربة لازب فى الحروب الحديثة ، فان الاسلام لم يجعله حتما مقضيا فى جميع الحروب ، بل حرص على التخفيف من شدته ما تيسر التخفيف منه ، وجعل المـــن فى التشريح أفضل الخطتين (٢) ، قـــال تعالى : « **فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** » (٣) ، وحث المسلمين على قبول الفدية من الاسير أو من أوليائه ، قال تعالى : « **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ** (٤) ، وعلى هذا المنوال كثرت وصـــايا النبى صلى الله عليه وسلم بالارقاء والدعوة الى تحرير رقابهم (٥) .

..وبعد ، فتلك هى بعض الســمات التى تحدد ملامح التشريع الاسلامى فى أخطر قضية انسانية ، وهذه بعض أحكامه التى تتعلق بوجود الانسان فى الحيـاة عزيزا مكرما ، ذكرا كان أو أنثى ، والتى حاول خصومه أن يهاجموه من خلالهـا فكشفوا عن حقدهم الدفين عليه ، وعلى الانسانية التى أنصفها وكرمها وشرفها ، وكان مثلهم كمثل الذبابة التى حاولت ان تحجب الشـــمس بجنـــاحها ، فـــاحترق الجناح وضاع منها الأمل ، حيث شـــاء الله أن يتم نوره ولو كره الحـــاقدون ، هذا وبالله التوفيق .

تم البحث

دكتور عبد الله مبروك النجـــار

---

(١) سورة التوبة ـ اية ٦٠ .
(٢) عباس محمود العقاد ـ المرجع والمكـــان السابقين .
(٣) سورة محمد ـ اية ٤ .
(٤) سورة النور ـ اية ٣٣ .
(٥) وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الارقاء ، حتى كان اخر ما أوصى به قوله : الصلاة وما ملكت ايمانكم ، راجـــع: ابن كثير ـ المرجع والمكان السابقين .

الشعر والشعراء

يشرف عليه
د. حسن جاد

بفضلك يا الله

عظمة الخالق

في رحاب المصطفى

الشاعرة روحية القليني

بفضلك يا الله

للأستاذ عبد العليم القبانى

بفضلك يا إله الكائناتِ — سَرَتْ فى الكون أنسامُ الحياةِ
وأشرقت النجومُ هدى ونورا — ولاح الصبح فضى السماتِ

* * *

بفضلك يا إله العالمينا — أنَرْتَ سبيلنا دنيا ودينا
ومهدتَ الطريق لكل حىّ — وألهمت الرشادَ المؤمنينا

* * *

بفضلك يا إلهى كُن نصيرى — وخذ بيدى اذا ضاقت أمورى
وكن — يارب — فى الأخرى مجيرى — فمالى غير عطفك من مجير

* * *

إلهى . أنت ربى ، لا سواكا — وليس لمن خلقتَ سوى رضاكا
وكيف أفى بحمدك طول عمرى — وعمرى بعض ما صنعت يداكا

عظمة الخالق

للشاعرة جليلة رضا

النمل يمشى فى رضا وسلام
ويدب فوق الأرض فى استسلام
يجرى ـ كمن يخشى فوات أوانه
متعثر الخطوات ... دون نظام
وأنا على « الافريز » أرقب سيره
حيرى ينازعنى شعور دام
أمشى مقيدة الخطا ... هيابة
حتى أجنبه أذى أقدامى
يانمل .. يانمل اتئد .. أقلقتنى
أخشى انطواءك فى عباب زحامى

* * *

أنا ! من أنا ؟ انى أدين لنملة
ببساطتى ... وتواضعى المتسامى
وبذلك الثوب الربيعى الذى
أكسو به جدبى وبرد عظامى
يا أيها النمل الأصيل ... أهجتنى
وبعثت فى طرائف الأحلام

* * *

انى أرى « الخلاق » (١) جل صنيعه
فى نملة .... تطوى الطريق أمامى

---

(١) التعبير على حذف مضاف

فى رحاب المصطفى

شعر د. مختار الوكيل

الكـــون نـــور بالبشير الهــادى   والفجــر أطلــق ضحكة الاســعاد
والـــدوح غازلـه النسيم مداعبـا   فى نشــوة النســاك والعبـــاد
وأنا أســير الى رحـــاب المصطفى   نشـــوان مــن نــور هنالك بــادى
فهنـــا التقى نــور السماء وفيضها   بالأرض ،فى ركــن من الأمجــاد !
فى روضـــة الهادى الحبيب ، ومن ترى   غـــير الحبيب ٠٠ رنــا اليه فؤادى
فمتى دنوت حسوت من ضــوء الهــدى   وسـلبت كــل عزيمــة ورشـــاد
وظللت نشـــوان الفــؤاد متيمـــا   متدفــق العبــرات والانشــــاد

* * *

فــاذا قــدمت الى حمـــاه كـزائر   صــار التزود مــن ســناه ٠٠ زادى
ومكثت أصـــغى للحديث مطهـــرا   يــدعو الأنـــام الى الهدى وينــادى
الحـــق فيـــه رائـــع ٠٠ لا ينثنى   يهمى بآيـــات مــن الارشــــاد
صــحراء (طيبــة) تيمت قلبى الذى   هــو فى الدجى يحيــا مــع الزهــاد
فى رملهـــا الذهبى هـــامت مهجتى   وجعلت فى ظل النخيــل مهــادى !

* * *

المسلمون أتـــوا لروضــك خشـــعا   وأتيت أبكى ٠٠ والــدموع مـــدادى
ياســـيدى دعنى أبثــك شـــكوتى   دعنى أبثك دامـــع الانشـــاد
أسرى بك الله العزيز لقدســـــه   فســـمت مكانتهـــا على الأطـــواد
القبلة الأولى ٠٠ غـــدت نهب العــدا   وبها أباح الظلم عهـــد فســاد
أحفاد (أحمد) ساهرون عــلى الطوى   أنقــذ بفضـــلك عثرة الأحفـــاد

المنبع

للأستاذ
محمد عبد المنعم ابراهيم

عينى لنـور المصطفى تتطلـــع — وتفيض مـن توق اليـه وتـــدمع
وصــلاح أمـرى أن أفيىء ليثرب — فأنـــا المتيم والشــجى المولـــع
قرب الثمانين التى مــرت سدى — ما عـــاد لى عمـر أروح أضـيع
أغلى الأمانى أن أمــر بقربـــه — فلــه بـــ « أخرانا » المقام الأرفع

* * *

يا ايهــا الهادى البشــير تحيـــة — تسـمو الى القـدر السنى وترفــع
تلك الصحارى قد عمـرت بيابهـــا — وأحلتهــا نبتـــا وغـرسا يـونع
لولاك مــا ســطعت شموس للتقى — كـــلا ولا فيهـــا نجيم يطلــع
شــعب الجزيرة كان شعبــا سادرا — بالجـاهلية ــ فى الغـواية ــ يرتع
وغدا بفضـــلك خير شعب قدتــه — فى نشر ديـن اللـــه لا يتضعضــع

* * *

أنـــا مــن غزا حب الرسول جوانحى — فوجدتنى روحــا تشــف وتسطع
ووجدت أندى الشــعر فى اشـعاعه — بالصـفو والاشراق فهـــو المنيـع
ان جاء يوم لست أذكـره بــــه — فهـــو النهاية لى وبئس المصــرع
مـــا جـاء الا للظـلام مبــددا — اذ جـــاء بالحق الذى لا يــدفع
صـلى عليك اللـــه فى (قــرآنه) — صــلى وسـلم كـل عبـد يركــع

الشاعرة

روحية القليني

ذكريات ودراسة

كتب الكثيرون عن شاعراتنا فى الأجيال الماضية ، ولكن الفارق كبير بينهن وبين شواعرنا فى وقتنا الحاضر ، فقد كانت الشاعرات من أمثال : عائشة التيمورية وملك حنفى ناصف ووردة اليازجى ٠٠ لا يبدين عواطفهن ، مراعاة لظروف البيئة السائدة فى ذلك الزمان ٠

فلم نظفر منهن بشعر الوجدان المشبوب ، بل كثر نظمهن فى فن الرثاء بلوعة صادقة ،كما كثر أيضا فى الاخوانيات ، والتودد الى الأهل والأصدقاء ، فى مواقف اللقاء والوداع ٠٠ وان كانت باحثة البادية « ملك حفنى ناصف » قد قالت الشعر فى مناسبات كثيرة ٠٠ ومن ذلك ردها على قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقى، حين قال :

صداح يا « ملك الكنا
ر ويا أمير البلبل

حيث ردت عليه قائلة :

سميتنى ملك الكنا
ر وأنت رب المنزل
وجعلتنى رهنا لأقفا
ص الحديد المقفل
ان لم تكن لى حارسا
من كل عاد مقبل
فالحصن والبيداء يستو
يان عند الأعزل
لو كان حبك صادقا
لفككتنى من معقلى

ومهما يكن من قيمة هذا الشعر وما يشابهه، فانه يأتى فى درجة أدنى بكثير مما تجود به قرائح شواعرنا المعاصرات ، فهن عادة أحرص على التعبير عن تجاربهن الوجدانية الشعورية وعلى ابداء آرائهن فى الحياة والناس ، والوجود عامة بل انهن اليوم يزاحمن الشعراء الرجال فى المهرجانات والندوات الشعرية ، وينافسنهم فى الاجادة والابداع وعمق التأثير ٠

وقد قدمت الشاعرة الراحلة (روحية القلينى) الكثير فى ضروب الشعر المختلفة ، فهى مثال بارز حقا للمرأة العربية الشاعرة ، التى تعبر بصدق وأصالة عما يجول بخاطرها ، وتنقل ــ بأمانة وابداع ــ مشاعرها العاطفية. ولابد لنا ، قبل الحديث عن شعرها العاطفى ، أن نلم ببعض المعلومات عن (صفاتها وعاداتها)

لأن ذلك قد يساعد كثيرا على تفهم الاطـار الصحيح لشعرها العاطفى ، الذى يمكننا أن نتفهمه جيدا على ضوئه •

وفى عامها الأخير ،وقد لازمتها يوميـا خلاله ــ كنا نخرج نمارس رياضة المشى على الاقدام بحكم قرب مسكنينا ، فكانت تهمس لى ــ فى حسرة بالغة وأسى ساخر بضـعف بصرها •

وفى الحقيقة أن أكثر ما كانت تفكر فيـه « روحية » وأشقى ماكنت ــ أنا ــ على علم به هو افتقادها ــ تدريجيا ــ نعمة الابصار ، فطبيبها اخصائى العيون « الدكتور أحمـد أيوب » صارحنى ــ ذات مـرة ــ فى حـزن وأسى باستحالة علاج بصرها حتى فى الخارج وكانت من فرط شعورها بجميله ــ وقـد أولاها عنايته الخاصة الفائقة ــ قد نظمت فيه قصيدة رائعة ، ظلت ، وستظل ، معلقة فوق جدار حجرة المرضى بعيادته •

وفى عامها الأخير ، شغلت نفسها فى تعلم الطهى ، وكانت تستشـيرنى فى أمـور كثيرة تتعلق به •

ذلك أن الوحدة كانت تكاد تقتلها ، ولم تكن مكالماتها « التليفونية » المستمرة طوال اليوم بكافية لملء فراغهـا العميـق •• ولما كنـا متجاورتين فى السكن ، لا يفرق بيننا غـير منزلين فى الحى ، فقد اتفقنا على أن تمـر احدانا على الأخرى كل صباح ، لقضـاء حوائجنا المنزلية سويا ، وللترفيه عن النفس•

وعندما كنا نجلس ساعة الأصيل فى شرفة دارها المطلة على حديقة عامة واسعة جميلـة يسمونها بمصر الجديدة : (الغابة)• كنت أتأمل جمال الكون وخضرة الاشجار الباسقة النامية ، واتساع المدى وصفاء الأفق ، وأشعر بالحزن العميق يجثم فوق صدرى ، وأنا أرى روحية لا تكاد تتبين ببصرها الضعيف ، هـذا الجمال الرائع •

وكـان من صـفات روحيـة الاسـهاب فى التحدث مع أى انسان ، وبلهجة سريعة منفعلة فلم تكن تترك لمستمعها فرصة الرد عليها ، أو مناقشتها وكان حديثها عنيفا صاخبا ، تردده عاليا فى عصبية ظاهرة كأن أمامهااناء فارغا ، تود لو تصب فيه جـام ما تشـعر بـه مـن انفعالات محمومة ! ••

وكم نجد لها العذر فى ذلك ، كلما فكـرنا فى أنها فى أعوامها الأخيرة ، لـم تكـن تتمتع بلذة القراءة ، وفى القراءة ما يدفع الانسـان بالقاء كل متاعبه خلف الظهر ، ومن ثم فلم تكن تطيق أن يجادلها أحد فى رأى اتخذتـه ، أو منهج سارت عليه كانت معتدة بنفسها كـل الاعتداد ، محبة فى إصرار للحرية والانطلاق وربما كان ذلك ، بل هو فعلا ، أهم الأسباب

الشاعرة روحية القلينى

الرئيسية التى منعتها من الزواج ، الا قبيل ختام حياتها .

ومن أسباب احجامها عن الزواج أيضا خوفها من الخضوع لانسان ما ، قد يتحكم بطريقة أو بأخرى فى هذه الحرية التى تعتز بها وهى التى تعودت أن تبدى الرأى ، وتأمر من حولها فى عزة وكرامة تقول :

اذا أذل سوى النفس فى طلب
فصون نفسى عندى.. غاية الطلب
فلى إباء به أزهى ولا عجب
فتلك عادة أجدادى وطبع أبى

ومع ذلك .. فقد تزوجت الشاعرة خلال عاميها الأخيرين من رجل مثقف ، متقدم فى السن ، توفيت زوجته تاركة له أبناءه الكبار .

وعاشت معه ثمانية أشهر لا غير ، وانتهت تلك الزيجة ، بانتهاء حياة الزوج ، وأسدل الستار .

ومن صفات الشاعرة ، التى تعين على تفهم شعرها الواجدانى وبواعثه ، أنها كانت تتسم بصراحة غير عادية ، فلا تجد مثلا غضاضة فى ابداء رأيها ، فيمن تخاطبه ، سواء كان فى اعتقادها منافقا ، أو ظالما ، مما يثير دهشة من حولها .

تلك الصراحة المتناهية فى الاسراف ، أوقعتها فى كثير من الأحيان ، فى مواقف صعبة عسيرة وبقدر ما كان لها من أوفياء خاصاء مقدرون لها ، بقدر ما كان هناك أيضا من يضمر لها العداء ، ولكن ... فى تكتم وخفاء.

ومع ذلك ، فانه يمكننى القول أن روحية كانت ذات خلق عظيم ووفاء نادر ، وفى أعماقها معين من الحنان الذى لا ينضب .

وأكثر من ذلك كله ، ايمان راسخ بالله عز وجل ، يدفعها الى الرضا وان كثرت الشكوى ، والى الصبر .. وما أندر الصبر فى رحلة الشقاء والألم التى قطعتها الشاعرة .

تقول فى قصيدتها (صفاء) من ديوان « همسة الروح » :

أحب العيش خلوا من رياء
وأجهر بالحقيقة .. كالضياء
ولا أخشى من الانسان لوما
وهل أخشى .. سوى رب السماء ؟

ولعلى — الآن — لا أذيع سرا اذا شرعت فى وصف الشاعرة « روحية القلينى » من الناحية الشكلية .

كانت — رحمها الله — بدينة الجسم ، متوسطة الطول ، ذات وجه عربى أصيل لم يغيره الزمن ، أو يشق فيه أخاديده وغضونه، برغم بلوغها الستين ، وكانت تلبس دائما (نظارة) سوداء حتى لا تكشف عن عينيها ،وقد داهمهما المرض . ذات سمرة محبوبة تستعمل لشعرها « الباروكة » .

وقد تعددت أشكالها كانت أنيقة الملبس تميل الى اللون الداكن فتبدو أقل بدانة ، وتلبس الحذاء العالى وتعشق تناول الفاكهة ، وعلى الأخص « التفاح » تحرص كثيرا على تناول الـ « جريب فروت » الذى يقلل من نسبة السكر فى الدم ،فقد كانت — رحمها الله — مصابة — به .

هذه عجالة عن الجوانب « الحياتية » عند

روحية تناولتها فى ايجاز وتركيز ، ولست أعدها عيوبا عند الشاعرة ، فنحن ـ جميعا ـ بشر ، لا نخلو من ميول وأهواء •

« دواوين روحية »

يبلغ عدد الدواوين التى أصدرتها الشاعرة روحية القلينى فى حياتها ثمانية دواوين ، هى حسب الترتيب الزمنى •

١ ـ همسة الروح •
٢ ـ ابتهالات قلب •
٣ ـ أنغام حالمة •
٤ ـ عبير قلب •
٥ ـ لك أنت •
٦ ـ حنين الى ••
٧ ـ عطر الايمان •
٨ ـ رحيق الذكريات •

مضافا الى ذلك كتابها « نساء عربيات » •

وعندما أصدرت أول ديوان لها فى فبراير عام ١٩٦١ ، كانت قد سبقته الى القاء الشعر فى الجمعيات النسائية ، وعلى منبر الجامعة ، وفى المجتمعات الأدبية ،والنوادى الشعرية • والى الكتابة فى الصحف والمجلات الأدبية ، وبالتالى •• كان اسمها قد ذاع وانتشر •• فاستقبل الديوان استقبالا رائعا ، وكتبت جريدة الجمهورية يوم ٥/٨ ١٩٦١ تقول : « همسة الروح ـ الديوان الأول للشاعرة المصرية روحية القلينى ، حديث الأوساط الأدبية منذ صدوره • ينتظر النقاد أن يصدر بعده ديوان ثان للشاعرة ، وهى أول فتاة تخرج من دسوق وتنهى دراستها الجامعية ، ويتردد اسمها فى الأوساط الأدبية » •

وكتب الشاعر الراحل « خالد الجرنوسى » عن هذا الديوان يقول فى صفحات الديوان الأخيرة ـ التذييل •

« ان روحية القلينى تعد نسيجا وحدها فيما أخذت نفسها به من اتجاهات أدبية ، فلا هى مقلدة لأحد ، ولا هى متأثرة بأحد •• ومهما يكن شعرها مزيجا من "الرومانسية" والواقعية ، فهى فى "رومانسيتها" أو واقعيتها، فى سمت النساك ، تنشد المجهول فى غيبوبة حالمة ، كصلوات العارفين • »

أما الشاعر الراحل عبد الله شمس الدين ، فقد وفاها حقها ، بقوله :

من كل معنى فيها
جاءت معانيها
بوفائها بصفائها
فاضت مآقيها
وبحبها وبخوفها
صلت أغانيها
وبطيبها وبنشرها
رفت أمانيها
أنفاسا عربية
عزت قوافيها

وحينما صدر ديوانها الثانى عام ١٩٦٤ (أنغام حالمة) ، أهدته الى أمها ، قائلة تناجى الله عز وجل •

يا من وهبت لنا الحياة أمومة
ممزوجة بالعطف والرحمات
وبمحكم القرآن توصى دائما
بالأم •• أفديها وأبذل ذاتى

وفى هذا الديوان كتبت المقدمة « الأميرة

الشاعرة روحية القليني

دينا عبد الحميد » ، تقول : « ما أكبر الفرق بين أحاسيس وخلجات الفنان الصادق ، الذى يشركنا فى أعمق تجاربه ، وبين كلمات الناقد أو القارىء العاجز ، حينما يحاول أن يترجم انعكاسات تلك الأحاسيس فى نفسه » •

خصائص شعرها :

وتوالت بعد ذلك دواوين الشاعرة فى فترات متقاربة ، فقد كانت رحمها الله ، غزيرة الانتاج مشبوبة الانفعال ، سريعة الكتابة • وحينما نحاول أن نحدد خصائص شعرها ، نستطيع أن نقول :

انه ينتمى الى المدرسة الكلاسيكية المعاصرة• لقد كان من رأى روحية احترام الماضى وتقاليده الفنية ، وأصوله الراسخة عبر الأجيال ، حتى لا نقيم عليه بنيانا جديدا ، يكون سببا فى اهمال الضروريات الشعرية ، وأن يحطم حواجزه •

وعندما نريد أن نتبين المذهب الشعرى عند روحية تبدو لنا ما فيه من نزعة واقعية ، وان كان للرومانسية دور كبير فيه ، وسلطان قوى عليه •

فالشاعرة ، مع ميلها الى الرومانسية ، تستخدم الواقعية فى كثير من الأحيان ولا يعد هذا عيبا ذلك أن المذاهب كثيرا ما تتداخل ولا تستقل ، فقد تأخذ الرومانسية من الواقعية ، وقد تستعير الرمزية بعض المشاعر الرومانسية ، وهكذا وان غلب مذهب على آخر •

والشاعرة روحية تأخذ بطرف من المذهبين ، دون أن تقترب من غيرهما •

فهى واقعية حين تصور المجتمع الذى تعيش فيه •

وهى واقعية حين تتحدث عن تجاربها الخاصة ، وتسردها قصصا ملموسة •

وهى رومانسية حينما تصور الطبيعة والأمانى والحب والجمال •

والقارىء لشعرها ، فى مجموعه الكلى ، يلمس أنه لم يتطور أو يتغير مدرسة ومذهبا ومضمونا وشكلا ، منذ بدايته حتى نهايته •

ذلك لأن الشاعرة اعتنقت أسلوبا خاصا بها ، وظلت على عقيدتها •• وفية له ، متشبثة به حتى أصبح القارىء يدرك من أول بيت للقصيدة أنه من شعر روحية •• فهى اذن صوت مستقل وشخصية قائمة بذاتها ، لها مميزاتها الخاصة•

وعن ذكرياته مع الشاعرة روحية القلينى ، كتب الأستاذ عبد المنعم شميس عنها غداة رحيلها فقال (١) : « عرفت روحية القلينى فى مقاعد الدرس بكلية الآداب ، جامعة القاهرة وهى تترنم بالشعر مع زميلتها السيدة الشاعرة ملك عبد العزيز ، وكان ذلك فى أواخر الثلاثينيات ، وأوائل الأربعينيات • » ثم يستطرد قائلا : « تعلمت روحية القلينى فى المدرسة العظيمة ، التى اجتمع فى رواقها بكلية الآداب طه حسين وأمين الخولى وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ومصطفى عبد الرازق ، ومن كان معهم من أساتذة الطبقة الثانية من المدرسين • وكان تأثر روحية ، مثل أبناء جيلنا،

(١) مجلة الجديد عدد ١٥ نوفمبر سنة ١٩٨٠

يرتبط بطه حسين وأمين الخولى ــ وهمـــا فرسا رهان فى النهضة الأدبية الحديثة ــ وكانا يلتقيان عند فكرة التجـديد ، ويختلفـــان فى مناهج التجديد . » وكانت الفتاة الريفيـــة القادمة من مدينة دسوق الى رحاب الجامعة فى القاهرة لا تكاد تدرك معنى هذه الفلسفـــات المنهجية ، التى جعلت من غرفة المدرســين فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، قاعة ملتهبة بالنار والأفكار .

ويستطرد الأستاذ شميس :« ولازلت أذكر ما جرى بين أمين الخولى وبين روحية القلينى ، عندما بدأنا الدراسة فى الشهور الأولى مـــن حياتنا الجامعية ، فقد عجزت الفتاة الريفيـــة الساذجة عن المناقشة ، بل عجزت عن الاجابة على أسئلة الأستاذ ، فصاح بها : ــ عـودى الى البلد ، واجلسى أمام الفرن ، واخبزى لك فطيرة ! .. هذا خير لك من الجلوس هنـــا فى الجامعة .. »

ولكن البنت الصغيرة بكت بكاء مـــرا ، ولم يسأل عنها أحد ، واستمرت المحاضرة ، وعـــلى شفتى الشيخ ابتسامة .

ومنذ تلك اللحظة تعلمت روحية القلينى أنه يجب عليها أن تقرأ لتتعلم ، وأدرك جميع زملائها هذه الحقيقة من لا يقرأ ، لا يتعلم .. والدرس القاسى يعلمنا كيف نتعلم .. أمـــا الصحفى الراحل «محمد زكى عبد القادر ، فكتب عنهـــا يقول بصحيفة الأخبار ــ : « .. جاء شعرهـــا رقيقا سهلا ، فيه بعض الحنين وصفاء الايمان، وكأنها استبدلت به كل ما تمنت ، ولم يتح لها ، فلجأت الى الله تبثه هواها ونجواها ، ووجدت كل المنى والرغبات قد ارتفعت عن المادة التى تفنى ، الى الروح التى لا تفنى .. »

وكان للشاعرة عمل بالسياسة الى جانب خبرة ببلادها العربية ، فقــد عملت بالتــدريس فى العراق ، واستقرت ببغداد فترة . وعن عملها بها قالت :

نادِى لهيفَ الهوى « بغدادُ » نادينى
من مـــاء دجلـــة يا بغـــداد روينى
انى ظمئت لمـــاء الخلد فى .... بلد
أفدى ثراه بعمرى وهو يســقينى
فى مطلع العمر ضمنتى ســـــواعده
لقيا الأحبة فى دنيـــــاه تغنينى
مع الصـــديقات كم باتت مشاعرنا
سهرانة ، وكم باتت تنـــــاجينى
فكم سهرنـــا وكم غنت مرابُعنـــــا
كم قُلت للفجـــر : لا تطلع الى حين

وبعـــــد :

فمازال بالجعبة الكثير مما يمكننى قوله عن « روحية الشاعرة » الكبيرة ، وأكتفى ــ اليوم ــ بما أوردته عنها ، وما ألقيت من ضوء على شاعريتها عسى أن يحفز ذلك الدارسين الى الاهتمام بحياتها وفنهـــا فيوفـــونه حقـــه داخـــل أطـــروحاتهم ورسائلهم الجامعية ، وحبذا لو أسرعوا ولازال معاصروها من العارفين بها أحياء حتى يمكن توفيتها حقها فلا يصدق عليها قول الزهاوى :

قلت للشـــاعر والشـــا
عـــر ذوســـهم يطيش :
أنت إن عشـــــت تمت
أنتَ إنْ مُـتَّ تعـــيش

جليلـــة رضـــا

من شعراء الأزهر

محمد عبد الرحمن صان الدين

من نبت أرض مصر الطيبة ، وفى ركن قصى بأعماق الصعيد ، ببلدة ((برديس)) - مركز البلينا بمحافظة سوهاج ، ولد الشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين فى الثالث من يناير سنة ١٩٢٣ ، ولم يرزق والداه بمولود ذكر سواه .. ومن ثم كان حرصهما على تزويده بالقدر الممكن من التعليم النظامى ، خاصة وأن والده كان يمتلك عشرة أفدنة ، تغل ريعا مناسبا ، يتيح للأسرة أن تحيا حياة ميسورة وتعفى الغلام البازغ من مشقة العمل فى الحقل كلداته من أبناء البلدة ، فى سن مبكرة ..

وبدأ الفتى اليافع (محمد) رحلته مع الأيام ، بالالتحاق بالمدرسة الأولية وبعد اتمام حفظ القرآن الكريم بكتاب البلدة ، التحق بالأزهر الشريف ، بالقسم العام ، وبعد سنوات ، تحول الى معهد قنا الدينى وكان يرأسه الشيخ عبد السلام العسكرى ، ثم عاد فانتقل الى معهد القاهرة الدينى ، حيث استمر به الى الصف الثالث الثانوى ، ورجع الى بلدته ((برديس)) ليعمل مأذونا شرعيا بها لمدة ثلاث سنوات ، وخطيبا بمسجدها الكبير لمدة عشر سنوات ، بمكافأة رمزية قدرها جنيهان شهريا .. وفى أثناء هذه الفترة حصل على الشهادة الأهلية الأزهرية القديمة عام ١٩٥١ م وعين مدرسا للغة العربية والدين بالمدارس الابتدائية القديمة التى حولت الى ابتدائى واعدادى فيما بعد ثم حصل على دبلوم الدراسات التكميلية التربوية التى جعلته مؤهلا للتدريس وظل يعمل بالتدريس فى مدارس بلدته الابتدائية والاعدادية رافضا الترقية الى الوظائف الأعلى الى ان استقر به المقام عام ١٩٧١ بالنقل للعمل بالقاهرة ، ليكون قريبا من المحافل الأدبية ، والمكتبات العامة ، كدار الكتب بباب الخلق التى كان يرتادها حينما كان طالبا وقضى فترة عامين فى العمل وكيلا لمدرسة محمد فريد بعابدين ، ثم أعير للعمل بالكفرة بليبيا لمدة أربع سنوات ، فعمل مدرسا بمدرسة الكسانى القرآنية ، ومدرسة المعلمات .. وبعد انتهاء فترة الاعارة عمل بادارة التخطيط والتنسيق بديوان عام وزارة التربية والتعليم بالقاهرة ، الى أن خرج الى المعاش المبكر ، مختارا ، عام ١٩٨١ للتخلص من قيود الوظيفة ، والتفرغ للابداع الأدبى الذى ملك عليه لبه .. والطريف فى الأمر ، أنه بدأ فى نشر شعره ، لأول مرة فى حياته ، منذ ذلك التاريخ فقط ! .. حينما ((وجد نفسه)) كما يقول ، واستطاع أن يلتقط أنفاسه ، فى خضم الحياة .. كما أنه

بقلم الأستاذ
احمد مصطفى حافظ

كان منطويا على نفسه دائما ، عازفا عن النشر لاشفاقه من عرض انتاجه الشعرى على من قد لا يقدره حق قدره .. ولاعتقاده الراسخ أن الشعر تعبير ذاتى ممتاز ، مثل شاذة القاعدة والقانون ، تعبير غير مضطرد ، عارض غير مستديم ، ومن ثم فهو أسمى ضروب فن القول ، لأنه موهبة سامية يتعين صيانتها عن الابتذال . فالشعر ، والحالة هذه ، ما هو الا التعبير الخالص من الشوائب ، عن أعمق وأرق المشاعر والأحاسيس الانسانية ، التى يصوغها الشاعر فى أبياته بصدق انفعال ، وليس كتكليف بعمل ، أو كوظيفة تؤدى ..

كما أن شاعرنا يميل الى العزلة والانفراد ، ويشعر بأنه غريب فى دنياه ، حتى بين أهله وعشيرته وأترابه .. على الرغم مما كان يلاقيه من احترام واجلال أينما حل .

وكما يعبر هو نفسه عن ذلك ، بقوله بقصيدة (الجمرة) :

صرت أمشى فى طـريق
موحش .. فرداً شجيا
كالذى يمشى بقفـر
لا يرى فيه .. نجيا

وقوله بقصيدة (حائر) :

يا أولى الألباب انى
حائر قد ند حلمى
واختفى عنى طريقى
فى غيابات الخضم



أين شرقى ؟ أين غربى ؟
والسوافى الهوج تعمى
خبرونى كيف أخطو
فى ضباب تحت غيم
فوق أشواك وصخر
فى طريق العيش تدمى

كما أن تمسكه بأهداب الدين والفضيلة ، جعله لا يجنح الى نظم الشعر الغزلى ، حتى لا يتطرق اليه (شيطان) الشعر ، فيعمد من حيث لا يشعر الى وصف مفاتن المرأة .. وفى هذا ما فيه من غواية وتضليل ، يحترز منهما الفطن اللبيب ، حتى لا يدون مثل هذا الشعر فى سجل سيئاته ، ويحاسب عليه حسابا عسيرا (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) .

قال تعالى « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » فهو يريد للمرأة أن تكون دائما

٥

من شعراء الأزهر

عزيزة الجانب ، بمنأى عن الأقاويل والتخرصات والتهويمات .. ويقول فى ذلك ، بقصيدته المتنوعة القوافى : (أنت منى .. ولكن) ، بالمقطع الثالث منها .

هل أنت ياحواء مخلوق يعد من الضعاف ؟!
أم أن أعتى الناس طفل فى أناملك اللطاف ..؟
كم راض دمعك ، بل دلالك ، دون قهر .. كل جاف
فغدا اليك – وان تظاهر بالتجهم – فى انعطاف
ما أنت الا لجة البحر العميق .. بلا ضفاف

ويضيف ، بالمقطع الرابع من نفس القصيدة ، ما يعد فصل الخطاب بالنسبة لرأيه فى المرأة ، وشعوره الصادق نحوها :

لا تحسبى حواء أنى
عنك مشغول الجنان
هل أنت الا قطعة
منى استقلت عن كيانى ؟
مازلت أبحث عنك
فى كل الأماكن والزمان
لا يعرف القلب السكينة
.. ان نأيت عن العيان
لكننى أبغيك يا
حواء .. عالية المكان

ويغلى من قيمتها بعد ذلك ، ويحاول أن ينأى بها عن زحام الحياة ومعتركها الخانق ، فيقول بالمقطع التاسع :

انى رأيت مليكة النحل الحكيمة فى الخليه
قبعت جلالتها تدبر أمر هاتيك الرعيه
وتظل فى كوارة الصلصال هانئة رضيه
لا تشتكى مللا وضيقا فى الغداة أو العشيه
وهى التى بجناحها تطوى المسافات القصيه

ويختتم هذه القصيدة الفريدة حقا ، بقوله:

ورأيت أن الله زود كل جنس فى الخليقه
بخصائص فطرية ليشق فى الدنيا طريقه
لو غوصت فى البحر أحياء الثرى صارت غريقه
أو ناءت الحيتان عن لجاتها .. ماتت خنيقه
كل معد فى الحياة لدوره .. وهى الحقيقه

وبعد هذه الترجمة الموجزة لحياته العملية ، وسماته العامة ، يتعين أن نلقى الضوء على الجانب الآخر من سيرة الشاعر الأدبية ، التى تتعلق بحياته الوجدانية .. فقد شغف منذ نعومة أظفاره بقراءة القصص والسير والملاحم الشعبية والتاريخية ، وكان من أسباب تكوين شاعريته المبكرة ، التفاته الى الشعر الذى ورد فى ثناياها ، وهو لايزال دون الثالثة عشرة ، واستظهاره لهذا الشعر ، خاصة وأن بعضه كان يفيض باللوعة والحنين الى الأحباب ، كما يبدو ذلك واضحا فى قصة (معاذ بن جبل) الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، ليعلم الناس هنالك أحكام الدين الحنيف ، بعد اسلامهم .

وقد زخرت قصة معاذ بمقطوعات وحواريات شعرية بينه وبين والدته ، التى كانت تقرض الشعر بدورها . (١)

---

(١) يلاحظ ان الاخبار الصادقة للقوم صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا تقدمها عادة كتب الاخبار والسير ، وانما المستند فى صحتها ثقة مخبريها عن الثقات مثلهم ....
مجلة الازهر

وبدأ شاعرنا بدوره ينظم الشعر ـ شعر الحنين أيضا فى هذه السن الغضة ـ محتذيا شعر والدة سيدنا معاذ(١) بصفة خاصة لتأثره الشديد به بما يفيض به من مشاعر الشوق الجياشة نحو ولدها .

وشاء له قدره أن يعانى بعد ذلك بحوالى نصف قرن من الزمان ، من آلام الغربة ولأوائها ، بعيدا عن أرض الوطن ، أثناء اعارته للعمل بليبيا ، ففاضت عبراته مع أبياته التالية بقصيدة (حنين) :

تعج بقلبى ضروب الجوى
ويهفو بروحى حنين النوى
كأنى فطيم قبيل الأوان
جفته المراضع حتى ذوى

الى أن يقول مخاطبا وطنه المفدى (مصر) :

فأنعم بأرضك يامصر حتى
ولوغالنى فيك ناب الطوى !

ويحدث بعد ذلك أن يقوم أحد الليبيين بزيارة لمصر ، ثم يعود بعدها ليتحدث ، مبهورا ، عما شاهده فيها .. بمسمع من الشاعر ، فيثير لديه كوامن الذكريات والحنين وينطلق قائلا ـ فى قصيدة أخرى بعنوان : (أشواق مغترب) :

يا قادما من أرض مصر بلادى
حياك قلب فى الجوانح صاد
فتدان منى ـ قد فديتك ـ اننى
أستاف منك أريج عرف بلادى

الى أن يقول :

هل زرت قاهرة المعز وجلت فى
أنحائها .. فى دهشة المرتاد ؟

ثم يطلق بعد ذلك هذه الزفرة اللهيفة :

أواه يا مصر الحبيبة اننى
مذ بنت عنك .. حُرِمْتُ طِيبَ رقادى
تا الله ما فتر الحنين بمهجتى
كلا .. ولا أغفت عيون فؤادى
هل كنتُ الا قطعة من تربها
أبدا .. تحن لأصلها .. وتنادى

وتأتى الطامة الكبرى ، وهو فى غربته تلك ، حينما يأتيه خير نعى والدته الحبيبة ، بعد اصابتها بداء الفالج ، فتنساب هذه العبرات المنظومة :

قد كنت يا أماه تشكين الجوى
لوحيدك النائى بواد مغلق
وتصارعين الداء فى غلوائه
وتغالبين يد الحمام المحدق

الى أن يقول بالتياع مذيب :

ورحلت يا أماه ظمأى مهجة
عن هذه الدنيا .. ولما نلتقى
وبقيت مشبوب الأسى فى غربتى
أبكى بقلب فى الأضالع موثق
لا أرتجى رؤياك الا حالما
مسترجعا صورا لماض مشرق

واذا أردنا أن نزداد تعمقا فى سبر أغوار الشاعر ، واستكناه مراحل تكوينه الأدبى ، والوصول الى الجذور الاولى لروافد ومنابع تثقيفه الذاتى ، فيتعين أن نتابع التنقيب فى رحلة حياته فى مراحلها الأولى ، لنجده يعكف فى صباه الباكر على نظرات المنفلوطى ، وعبراته و (مجدو لينه) ووحى قلم الرافعى وسائر نفثاته فى : (اعجاز القرآن) و : (أوراق الورد) و : (حديث القمر) و : (السحاب

من شعراء الأزهر

الأحمر) .. كما يصاحب السباعى فى ترجمته لرباعيات الخيام ، والزيات فى نفثات قلمه وترجماته لعيون الشعر والقصص الفرنسى الى العربية ، كما يطيل الوقوف لدى المتنبى فى حكمه وروائعه ، والمعرى فى فلسفته وتطيره ، وابن الرومى وبشار فى صورهما البيانية وبراعتهما الفكرية .. وتظل هذه الآثار الأدبية الشامخة ، وغيرها ، تعمل عملها السحرى فى تعميق ثقافته ، وتكوين أدواته التعبيرية ،وصقل موهبته الشعرية ، فنراه ـ وهو لايزال صبيا بالصف الثالث الابتدائى ـ يجيد النظم ، لدرجة أن قصيدته التى نظمها فى المولد النبوى الشريف فى ذلك الحين ، يتم اختيارها بمعرفة هيئة التدريس بمعهد قنا الدينى ، لتلقى أمام مدير المديرية بقنا ، بعد كلمات أساتذة المعهد مباشرة،

ومن عجب أن هذه القصيدة نفسها، هى التى نشرت بعد ذلك بزهاء نصف قرن من الزمان ، بعد تعديل طفيف ، بمجلة الأزهر ،فى ذات المناسبة العطرة ومطلعها :

نور يشع على الدنا وضياء
لا الشمس تبلغه ولا الجوزاء

والأمر الأعجب أن الشاعر « محمد صان الدين » لم يمض قدما على الدرب فى نظم الشعر فقد مزق كل ما تجمع لديه من شعر ، فى لحظة يأس ، وانقطع تماما عن نظمه لفترة طويلة تقرب من عشرين عاما ، كانت كفيلة بانضاب ينابيع الشعر فى مخيلته ، بعد مالاقى من المثبطات ، ومن عنت الحياة .. بسبب مشاكل أسرية واجتماعية عويصة ، وما لاقى من انكار وجحود واحباط ، يتمثل فى الحط من قدر الشعر ، ممن ليسوا بأهل للحكم عليه وتذوقه .

الا أن شاعرنا ،على الرغم من ذلك كله ، اندفع مترنما فجأة بعد طول الصمت والاحتباس ، وكأنه النهر الذى يتدفق مزبدا ، ليكتسح ما يعترض طريقه من صخور وجنادل ليقول بقصيدته (سأشدو) :

أؤفصح أم أموت بما أعانى
وأمضى بين تيار الزمان
وفى قلبى أنا شيد عذاب
وفى الوجدان أبكار المعانى
وأطمر تحت أنقاض الليالى
عديم الذكر مجهول المكان ؟

كلالن يحدث ذلك ، وملكة الشعر القوية لديه ، لازالت تعتمل فى كيانه وتمور فى وجدانه ، وان بدا (السطح) ساكنا هادئا .. ويستطرد بعد ذلك قائلا :

وكم فى القاع من دُرّيتيم
خفى .. لم تلامسه يدان
كتمت روائع الأنغام دهرا
وقيدت الشوارد فى جنانى
وعشت ، كما يعيش الغمر فدما
حليف الصمت معتقل اللسان
فلم تنبس بأفكار شفاهى
ولم يخطر على طرس بنانى

ياللخسارة ! ويا للمأساة الداوية التى يصورها قوله بعد ذلك ، بطواعية واقتدار ، لما ضيع وأضاع :

تقضى من حياتى ما تقضى
وموج الشعر يهدر فى كيانى

واقران الخواطر فى اقتتـــــال
كأن القلب ميدان الطعــــان

ويختتم قصيدته تلك ، بهذا البيت الفريد :

أنافى دوحـــة الدنيـــا هزار
وهل يحيا الهزار ٠٠ بلا أغان ؟ !

لا وربى ! ٠٠ والا فما الفرق بين الهزار والبوم !؟ومن العجيب حقا،أن شاعر السويس الراحل محمد فضل اسماعيل ، صادف فى حياته فترة انقطاع طويلة أيضا ، عن نظم الشعر ، وحينما فتح الله عليه ، نظم قصيدة من نفس البحر والقافية فى الثلاثينيات فى نفس الغرض ، استهلها بقوله :

أطلت الصمت فـاتهموا بيانى
وعفت اللغو فـاتهموا لسانى
وغالبت الشجون فقيل ماتت
عواطفه ٠٠ وعاش بلا جنان
وكم فى الصمت من آى فصاح
وكم فى الصمت من بكر المعانى

اذن من أنت ؟!٠

يجيبنا الشاعر بعد ذلك عن تساؤلنا هذا ، حين يستتلى قائلا :

ولكن عـــازف لم يلق عـودا
يهيج رنينــه طــرف البنــان
وشـاعر أمـة لم يلـق فيهـا
سوى غصص وأحداث روانى

ويخلص بعد ذلك الى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، بقوله :

فيا قلمى عـدمتك يـوم تلهـو
ويا شـعرى اطـرح ذكر الحسان
وهزا هـذه الدنيـا وصـوغا
تحياتى قـلائد مـن جمـان
وخصـا خـير مبعـوث بـآى
يرددهـا المدى والخافقـان
فباسم (محمد)بسمت ليـال
وباسم (محمد) ٠ صفت الأمـانى

وقد اتفق مثل ذلك من قبل ، لشيخ الشعراء (اسماعيل صبرى) ، فى قصيدته عن (الدواة) التى انتهى فى ختام مناجاته لها ، الى قوله مادحا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فـــاذا لم يكـن بقلبـك الا
ما أعـد الاخلاص للمخلصينا
فاجعليـه (١) حظى لأكتب منـه
شرح حالى ٠٠ لسـيد المرسلينا

وفى قصيدة (صمت الطيور) نجد الشاعر محمد صان الدين وكأنه كان يخاطب بنات أفكاره هو التى لم تعد تواتيه بأبيات الشعر ، حينما يقول متعجبا ومتحسرا :

لـم لا تغنى يـــا طيـور
لم لا تطـيرى فى البكـور
مـالى أراك قـد انطـوي
ت فـلا رفيف ولا حبـور
وركنت للصـمت الحـزين
وأنـه القلب الحسـير

وكأنه يتذكر ماضيه المنصرم فى قرض الشعر الذى مزقه وأنكره من قبل حينيقول :

انـى عهـدتك تصـد حين
بكـل ألحـان السـرور

(١) اى المداد ٠

من شعراء الازهر

وترفرفين علـى الخمـا
ئل والجـداول والجسـور
حيث الوداعة والأمـا
ن ودفء مضجعك الوثـير

الى أن يقول :

مـاذا دهـاك فصـرت دا
ميـة المدامـع والشعور
وتحول المـرح الجميـ
ـل .. الى أنين أو زفـير

ويتولى هو الاجابة بنفسه عن هذه التساؤلات ، التى تضع النقاط على الحروف ، بقوله :

الروض صوح أيكـه
والمـاء غاض من الغـدير
والأرض قد غصت بفتـاك
الأفـاعي والنمـور
والجـو قد ملكته أسـ
ـراب الجوارح والصقـور
والعيش تحكمه قـوا
نين المخـالب .. والغـرور

وفى هذه الأبيات الرمزية افصاح عما لاقى الشاعر من المصاعب والمنغصات فى حياته الحافلة .. ولم يقتصر عطاء الشاعر على الابداع الشعرى فحسب ، بل نراه يتجه مؤخرا الى القصة القصيرة ، بوحى سليقته لتتاح له حرية الحركة للتعبير عن بعض الافكار والخواطر ، التى تعن له ، ولا ينصاع لها الشعر فى قيوده ، قدر انصياع النثر بترسله وانطلاقه .. وكان من نتاج ذلك قصصه التى تحمل عناوين : (المرآة) (١) ، و (العقدة)(٢) و (خنس الأحول) (٣) و (فى البرزخ)(٤) وغيرها .. والتى أفسحت لها كثير من المجلات الأدبية والدينية صدرها ، بمصر ودول العالم العربى .

ومهما يكن من أمر ، فان الشاعر (صان الدين) لا يبدع شعرا أو نثرا ، الا من منطلق عقيدته الدينية الاسلامية الراسخة فى وجدانه منذ طفولته ، والتى جعلته يجأر بالابتهال الى مولاه ، بقصيدته (ياربـاه) قائلا :

أتغسل كل أخطائى الـدموع
ويمحوها التبتل والخشوع ؟
اذا مـا الليل فاض علـى الروابى
وغاصت فى دياجره الـربوع
ولف الصـمت حولى كـل شىء
وغشى أعين النـاس الهجوع

الى أن يقول بخشية واجلال :

أتحرقنى بنارك يـا الهى
وضعفى عند بابك لـى شفيع
فمـن بالعفو والغفران يحظى
اذا ما فـاز بالخلد المطيع ؟

ولقد يعجب القارىء اذا علم أن هذا الشاعر المجيد لم يصدر له ديوان بعد ، ولذا كم نهفو الى رؤية نتاجه الشعرى بين دفتى ديوان ، يصونه ويستنقذه من يد التشتت والضياع .
والله ولى التوفيق .. يتبع

(١) بمجلة الوعى الاسلامى عدد ربيـع الاول سنة ١٤٥٣ هـ
(٢) بمجلة الوعى الاسلامى عدد جمادى الاخرة سنة ١٤٥٣ هـ .
(٣) مجلة الوعى الاسلامى عدد رجب سنة ١٤٠٤ هـ .
(٤) بمجلة منار الاسلام عدد جمـادى الاولى سنة ١٤٠٤ هـ

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

البحوث المدنية في ميزان الإسلام

الدين والدنيا معا

٣

الإعجاز العلمى

فى القرآن الكريم

فى سورة الطور يقسم رب العالمين بالسقف المرفوع فيقول :

« وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ » الآية (٥) ، ويقول فى سورة الرعد الآية (٢) :

« اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا » ، ويذكر هذا السقف المرفوع ويلفت الأنظار الى خدماته التى يؤديها لأهل الارض فيقول فى سورة الانبياء الآية (٣٢) :

« وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ » •

فما هو ذلك السقف المرفوع والمحفوظ ؟ ومن هم الذين يعرضون عن تدبر آياته وعدم التفكير فى خدماته ؟ هذا هو مجمل موضوع هذا المقال نبين فيه بايجاز كيف يستبعد القرآن الكريم عنصر (الصدفة) الذى ينادى بـه الكافرون والمكابرون فى تفسير نشأة الكون وماحوى من آيات بينات ونظام شامل لا يتغير بتغير الزمان أو المكان ، ويحتكم القرآن فى كل ذلك الى العقل السليم ، ويلقى اللوم على مَن لا يسمع أولا يعقل ، فيقول فى سورة (الملك) الآية (١٠) :

« وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ » •

وهذا هو العمق الثالث للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم •

اننا سوف نقصر الحديث على الثابت من حقائق العلم ، من غير أن نحمل الآيات ما لا طاقة لها به :

والسماء فى اللغة اسم لكل ما ارتفع فوق رؤوسنا وعلانا ، وعلى هذا النحو يعنى لفظ السماء هنا غلاف الأرض الجوى الذى يرتفع الى نحو ١٠٠٠ كيلو متر فوق رؤوسنا •

ثم الفضاء الكونى الذى تسبح فيه أجرام السماء من شهب ، ونيازك ، وكواكب ، وأقمار ، ونجوم ، وسدم ، ومجرات •

ولا تقع أجرام السماء هذه على سطح أو سقف واحد • فمواقع النجوم يختلف بعدها عنا

بقلم أ. د.
محمد جمال الدين الفندى

بمسافات تفوق حدود الوصف والخيال ، حتى ان منها مجموعات تكون مجرات يبلغ بعدهـا عنا آلاف ملايين السنين الضوئية بحيث تبدو الواحدة من تلك المجرات النائية كأنها مجـرد نقطة ضوء (أو نجم واحد) ، وهكذا تعـرف علميا باسم أشباه النجوم (أو الكوازار) .

ومن المعجز حقا أن يقسم الخالق جل وعلا بمواقع النجوم فى (سورة الواقعة) الآية (٧٥) والآية (٧٦) فيقول :

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » .

والخلاصة أن نجوم السماء وسائر أجرامها لا تقع على سطح واحد أو قبة بالذات .

وأن القبة السماوية التى تبدو ليلا مرصعة بالنجوم هى مجرد صورة ظاهرية فقط لا تمثل الحقيقة والواقع من حيث مواقع النجوم .

أما القبة الزرقاء التى نراها فوق رؤوسنـا أثناء النهار فهى مجرد ظاهرة ضوئية تحدث فى هواء الارض أو غلافها الجوى السفلى الذى يرتفع الى علو نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط فـوق سطح الأرض ، وذلك بسبب وفـرة وغزارة تشتت أو تناثر أشـعة الشـمس الزرقاء التى ترسلها الشمس مع سائر أشعتها أثناء النهار .

ومعنى ذلك أن ارتفاع القبة الزرقاء فـوق رؤوسنا لا يزيد على نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط ، وعندما يصعد رجال الفضاء فوقها بالصواريخ ، أو بالأقمار الصناعية ، يرونها من تحتهم بينما يبدو الفضاء الكونى على حقيقته مظلما حالك الاظلام ، ويزداد عدد النجوم بسبب ظهـور تلك التى يحـول دون رؤيتها غـلاف الارض الجوى ويحجب اضواءها الخافتة . كل ذلك كما تبدو الشمس متوهجة جنبا الى جنب مـع سائر نجوم السماء ، حتى ليخيل لرجل الفضاء لأول وهلة كأنما قد سـحر بصره أو أصـيب بمرض عصبى . ولعله فى هـذا المعنى يقـول القرآن الكريم فى سورة الحجر الآيـة (١٤) مثلا :

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ » .

ومهما يكن من شىء فانه من وجهة نظـر العلم — على الأقل — ليس للارض من سقف سوى غلافها الجوى الذى يتكون معظمه مـن غازى « الأزوت والأوكسيجين » بنسبة ٩٩ فى المائة تقريبا ، بالاضافة الى بعض غازات اخرى نادرة ومقادير مختلفة من بخار الماء .

ولعل أهم ما يثير عجب القارىء الكريم فى أمر هذا السقف أنه ليس من مادة صلبة على

غرار كل الأسقف التى نألفها • وأعجب من ذلك أننا اذا جمعنا أمهر مهندسى الأرض ليصمموا لها سقفا تتوفر فيه بعض المزايا والخدمات التى يؤديها الغلاف الهوائى لأهل الأرض ما استطاعوا الى ذلك سبيلا !

ان هذا السقف مرفوع الى علو ألف كيلو متر فوق سطح الارض بقوة اندفاع الهواء الى الفضاء الكونى ، أو الفضاء الذى تسبح فيه الأرض ، فمن أهم خصائص الغازات — ومنها الهواء — شدة ميلها للانطلاق الى الفضاء « أو الفراغ تجاوزا » الذى تعرض له • وعلى هذا النحو توجد قوة تدفع الهواء الى أعلى ، الا أن الارض بدورها انما تمسكه بقوة جاذبيتها وتحول دون تسربه الى الفضاء الكونى • وتتعادل القوتان فيظل الغلاف الجوى مرفوعا بغير عمد نراها ، كما يظل محفوظا بأكمله أبد الدهر ولا ينساب الى الفضاء الكونى كما حدث على القمر نظرا لضعف جاذبيته فأصبح القمر عالما بلا سقف وهكذا تسرب ماؤه أيضا وصار غير صالح للحياة • وهذه الحقائق العلمية المشاهدة انما تفسر لنا ببساطة قوله تعالى :

« وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ••• »

أما قوله تعالى :

« وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ » •

فهى قبل كل شىء اشارة صريحة الى استبعاد عنصر الصدفة عندما ندرس وننظر الى الخدمات والمنافع التى يوفرها لنا هذا السقف ، ذلك لأن الصدفة لا يمكن أن توفر لأى شىء العديد من الفوائد ولا يمكن أن تجعلها مستمرة أبد الدهر • والحقيقة العلمية التى لا جدال فيها هى أن الصدفة التى ينادى بها الكافرون ويركن اليها الجاحدون لا يمكن بأى حال أن توفر لسقف الأرض من الفوائد والخدمات عشر معشار ما يوفره غلاف الارض الجوى وهو السقف الذى صنعه الله تعالى • ويقيم القرآن الكريم الحجة على الكافرين وكأنه يقول : أن مجرد دراسة خدمات سقف الارض المرفوع بغير عمد نراها يجعلهم يستبعدون عنصر الصدفة ويؤمنون بالخالق المدبر القدير •

والآن دعنى ألخص لك أيها القارىء بعض تلك الخدمات أو الآيات فى ظل الثابت من حقائق العلم •

فأولا — وقبل كل شىء : لو أن سقف الأرض كان جسما صلبا لجعل من أهل الأرض كائنات داخل أشبه شىء بالصندوق المقفل الذى يحجب ضوء الشمس والقمر والنجوم ، ويحول دون مشاهدة الكون الفسيح المترامى الاطراف • ومعنى ذلك فى واقع الامر انعدام مقومات الحياة على الأرض ، وانتشار الجليد الدائم •

ولولا سقف الأرض الذى خلقه الله تعالى بحكمته وعلمه لتبخرت المحيطات وتسربت أبخرتها الى الفضاء الكونى ، وصارت الأرض عالما ميتا خربا على غرار القمر ، والمعروف أن الماء هو أساس الحياة :

« وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ » •

سورة الانبياء الآية (٣٠)

ثانيا : فى سقف الارض يوجد غاز الاوكسيجين اللازم لحياة كل الكائنات على الأرض ، حتى الكائنات البحرية انما تعيش على حساب الأوكسيجين المذاب فى الماء • ويدخل

الاوكسيجين الى الرئتين مع هواء الشهيق ليجدد نقاء الدم ويكسبنا القدرة على العمل • وتقل مقادير الأوكسيجين « وضغط الهواء الجوى بصفة عامة وتتناقص سريعا بالارتفاع فوق سطح الارض ، كما يحدث عند تسلق الجبال العالية ، أو عند التحليق بالطائرات أو بالصواريخ أو بالأقمار الصناعية بعيدا عن سطح الأرض • وعند ذلك يشعر المرء بالحاجة الى مقادير اكبر من الهواء الذى يستنشقه ، أو فى معنى آخر هو يشعر بضيق الصدر ، حتى يحدث الاختناق على ارتفاعات تتجاوز ١٢ كيلو مترا مثلا ، ما لم يكن داخل غرفة أو حلة مكيفة محكمة الاغلاق تتوفر داخلها نفس الظروف الطبيعية التى على سطح الارض • ونحن نجد الاشارة الى هذه الحقيقة الكونية فى قوله تعالى :

« **وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ** » سورة الأنعام الآية (١٢٥) •

ثالثا : يحتوى سقف الارض أيضا على غاز ثانى أوكسيد الكربون الذى يخرج مع هواء الزفير وكافة عمليات الاحتراق •• وفى ضوء الشمس تأخذ النباتات هذا الغاز لتستخلص منه عنصر الكربون ولكى تحوله الى خشب ، أو الى سكر ، أو الى نشا ، أو زيوت •• وذلك بتدخل المادة الخضراء التى فى الأوراق ، والتى تعرف علميا باسم (الخضر) ، أو (اليخضور) ، أو (الكلوروفيل) • ونحن نجد فى سورة الانعام الآية (٩٩) مثلا اشارة صريحة « ومعجزة علمية » الى كل ذلك :

« **وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا** » •

رابعا : يحتوى هذا السقف الذى تتعدد آياته على بخار الماء الذى تحمله الرياح وتثير به السحب عندما تصعد :

« **اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا** •• » سورة الروم الآية (٤٨) ، وعندما تستمر الرياح الصاعدة فى تلقيح السحب أو امدادها ببخار الماء ونوى التكاثف اللازمين للأمطار فان السحاب يجود بالمطر :

« **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ** » سورة الحجر الآية (٢٢) •

خامسا : يحدث ضوء النهار فى الطبقة الرقيقة من هذا السقف (أو طبقة الغلاف الجوى) التى تعلو سطح الأرض مباشرة ، والتى يعيش فيها الانسان ويمارس نشاطه — ••• يحدث ضوء النهار نتيجة تشتت أو تناثر ضوء الشمس فى تلك الطبقة لأن كثافتها عالية نسبيا •

وتنسلخ تلك الطبقة ، ومن ثم ينسلخ النهار من الظلام الذى يخيم على الأرض وباقى الغلاف الجوى والفضاء الكونى ، بدوران الارض حولمحورها أمام الشمس بحيث تظل تواجه الشمس دائما :

« وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ » • يس الآية (٣٧) •

ولا يتسع المقام للكتابة عن تفاصيل المزيد من الآيات الأخرى التى يؤديها سقف الأرض لأهل الارض ، ولكن يمكن ذكر أعمها فائدة مثل :

١ — فى الغلاف الجوى يسرى الصوت وبذلك يمكن أن يسمع بعضنا بعضا ، مما لا يتوافر على القمر •

٢ — يحمينا هذا السقف من أهوال الفضاء مثل درجات الحرارة المنخفضة جدا ، مثل (٢٧٠) درجة سنتجراد تحت نقطة تجمد الماء •

٣ — يحرق الشهب فى أعالى الجو ، وتكون أكاسيدها الناجمة عن الاحتراق نوى تكاثف جيدة عندما تروح متساقطة الى مناطق اثارة السحب • ولهذا يقال ان السنين التى تمر فيها الأرض بأسراب وفيرة من الشهب تعقبها فى العادة سنين مطيرة •

٤ — يفتت النيازك قبل أن ترتطم بالأرض وما عليها فيحول دون حدوث دمار واسع النطاق فى حالة نزول النيازك •

٥ — تعمل الرياح على توزيع الطاقة الحرارية فى جو الارض بحيث تنقلها من مناطق وفرتها بين المدارين الى مناطق شحنتها عند القطبين ، وتعرف التيارات الرئيسية للهواء باسم (الدورة العامة للرياح) •

٦ — فى الجو يطير الطير •

٧ — كانت للرياح أهميتها فى دفع السفن الشراعية قبل عصر التكنولوجيا •

للبحث بقية

ا • د • محمد جمال الدين الفندى

العلوم الكونية والبحوث المدنية في ميزان الاسلام

للأستاذ كارم السيد غنيم

انه لمن الواضح الجلى أن العلم نور يضىء للانسان ظلمات حياته ويمحو ظلامها ، وهو المحرر لعقله من القيود التى أثقلته والأصفاد التى أعيته عبر حقب من مسيرته منذ هبط الى عالم الأرض ليحقق الخلافة التى أرادها الله منه فى حياته الدنيا .

وان الناظر فى آيات كتاب الاسلام الخالد « القرآن » ليجد العديد منها يدعو بكل قوة الى حرية العلم وانطلاق الفكر واتساع التأمل والبحث والتقصى واعمال العقل فى النظر والتدبر والفحص والسعى فى سبيل تقدم مقرون بايمان وعبادة لله الواحد القهار .

بل ان الاسلام بأساسيه : القرآن والسنة يدعو المسلمين الى الأخذ بكل وسائل التحضر والمدنية الرشيدة النقية من أدرانها وأدوائها .

وكانت نقطة البداية فى هذه الدعوة الكريمة هى آيات تدعو الى ما أسلفناه ، تلك هى :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق ١ — ٥) .

ولقد أنزل الله خاتم الكتب السماوية وجعله مميزا وجعله :

معجزا فى بلاغة أسلوبه وسمو معانيه وجوامع كلمه .

معجزا بما قصه من سير الأولين .

معجزا بما تضمنه من تشريعات حكيمة .

معجزا بما حواه من مثل عليا تتفق وطبائع البشر السوية وتكمل فطرهم وتضمن سعادتهم .

معجزا بما احتوى عليه من آيات العلم والمعرفة الصحيحة فى مجالات العلوم المادية وأنواع المعارف الكونية حتى أعجز علماء الحضارة المعاصرة ناهيك برجال القرون الأولى

◄

الذين لا مجهر لهم ولا سفينة فضاء .

جاء هذا الدستور الحكيم والكتاب القيم بعلوم ومعارف تقطع بالحق اليقين أنه منزل من لدن حكيم عليم ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

« الر كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » (ابراهيم ١) .

« كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » (ص ٢٩) .

« أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (الشعراء ٨) .

« أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (الاعراف ١٨٥) .

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب »

(الزمر ٢١) .

وحينما دعا القرآن الى وحدانية الله والى أحديته ، فانه عمد فى ذلك بالدعوة الى استعراض آفاق الدنيا والتفكر فى جوانب الكون والتدبر فى ظواهر الحياة حتى تنبعث فى النفوس بواعث التسليم بوحدانية الخالق ، وحتى تذعن العقول بمطلق القوة والحكمة والعظمة له سبحانه وتعالى ، وحتى توقن القلوب بأحدية ربوبيته ومطلق قيوميته على سائر خلقه وكافة مخلوقاته ، ولنذكر على على ما ذهبنا اليه من الكتاب العزيز آيات بينات تدعو الانسان الى التقلب فى علوم الكون وجوانب الطبيعة حتى يخلص من ذلك الى الايمان والاذعان لله بالالوهية المطلقة والربوبية المحضة ، حيث يقول الحق جل وعلا :

« إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم

لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ... ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ . لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » (الانعام ٩٥ — ١٠٣) .

ميادين العلوم الكونية :

حينما نتكلم عن الكونيات وعلومها وجوانبها ومجالات النظر فيها ودعوة الاسلام الى ذلك فان من الجدير معرفته معانى الكون ومقاصده وأنواع علومه ومعارفه فالكون كل ما يحيط بالانسان من أرض وسماء ونبات وحيوان وجماد وماء وهواء ، ويطلق عليه أحيانا مصطلح « الطبيعة » (Nature) الا أنه فى قليل من الأحيان يعبر عنه بلفظ « البيئة » (Environment) وعلماء العرب يستعملون الآن كلمة « الطبيعة » استعمالا غير الذى كان مستعملا عندنا فى كتب الفلسفة القديمة التى كانت عند المسلمين والمأخوذة عن اليونان فكلمة « طبيعة » بالعربية — وكذلك فى مختلف اللغات — يقصد بها حاليا كل ما فى هذا الكون الفسيح ، كما أننا من الممكن بل من الأفضل أن نطلق على مقصود الطبيعة مصطلح « عالم الشهادة » ذلك الذى نصل اليه بحواسنا المجردة أو المستعينة بوسائل (تقنية) وأساليب علمية . وكلمة « الكون » (Ecosystem) استخدمت قديما أيضا وفى القرآن اشارة اليها حيث يقول الحق جل وعلا « **انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون** » (النحل ٤٠) فالكون هو الذى كونه الله وخلقه (١) .

والقرآن الكريم حينما يتعرض لمسائل كونية فانه يتميز فى تعرضه هذا بخصائص يمكن اجمالها فيما يلى :

(أ) الدعوة الى الاهتمام بالكونيات نظرا وبحثا وتدبرا ورؤية لآثار الخالق العظيم ودلائل قدرته فى مخلوقاته ومر معنا بعضا من الآيات الداعية الى ذلك .

(ب) **الشمول** : حيث أن تناول القرآن للأشياء يأتى شموليا ، فتناوله للنباتات أو الحيوانات أو الافلاك أو البحار أو طبقات الأرض أو غير ذلك يأتى بطريقة العموم وهذا لا ينفى التفصيل أحيانا ، وقد تضم الآية القرآنية تفصيلا لأنواع مخلوقات ثم تعقبها بتعميم أو العكس حسب هدف الآية وما تدعو اليه ، ومن النماذج الدالة على ذلك قول الله تعالى :

« **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** » (النحل — ١٠) .

◄

(١) لذا يأخذ تعريفه فى العقيدة بانه .. اى الكون : ماسوى الله ... مجلة الأزهر .

« وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ » (النحل ٨) .

(جـ) **الديناميكية** : كل شيء تناوله القرآن من المحتويات الكونية انما يدل على استمرارية الحركة فيه ، حتى لنجد أن الاشارة الى (ديناميكية) الكونيات والظواهر الكونية قد امتدت الى الوحدات البنائية فى الكون والتى اكتشف العلم الحديث أنها أجزاء من الذرة التى أعتقد قديما انها أدق مافى الوجود ، ومن النماذج القرآنية فى هذا الصدد قول الله تعالى « وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » يس ٤٠ .

« وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ » (الحج ٥) .

« وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ » (النمل ٨٨) .

(د) **السببية** : يشير القرآن الى توالى حوادث الكون واستمرارها تبعا لنواميس وضعها الله سبحانه وتعالى لتسير عليها ظواهر الوجود ، وكل حادثة فى الكون تتلوها أخرى وتترتب عليها ثالثة ، وهكذا لنرى الكون كله أجزاء مترابطة لا انفصال بينها ولا تعارض أو تفكك وذلك دال دلالة واضحة على ترابط كتاب الله المسطور وتكامل أجزائه وانسجام آياته ذلك أن الكون كتاب الله المنظور والنواميس التى تسير عليها الأحداث والظواهر الكونية هى ما نسميه « سنن الله الكونية » والتى يطلق عليها أحيانا « قوانين الطبيعة » .

(هـ) تهذيب نظرة الانسان الى ظواهر الكون : ذلك أن الاسلام حارب أمور الكهانة والخرافات والاساطير التى حيكت عبر الأزمنة حول ظواهر فلكية أو احداث كونية ، حتى اعتبر أن الكهانة والعرافة والتمائم وما شاكلها ضروبا من الشرك .

لقد دعانا الاسلام الحنيف بأن نأخذ بأسباب القوة والمنعة وأن نسلك كل سبل العلوم وميادين البحوث التى من شأنها تسهيل حياة الانسان على هذا الكوكب الأرضى وتذليل وتسخير كل مكونات الوجود التى خلقها الله ، فاذا كان الله قد سخرها طوع ارادة الانسان فان من هذا التسخير أيضا أن وهبه آلة التفكير فى توسيع مجالات التسخير ألا وهى العقل ، وما من علم الا وجدنا له أصل فى كتاب الاسلام الخالد تصريحا أو تلميحا، ولا نود عقد سباق بين القرآن والعلوم الحديثة ، وان ما نريد قوله هو أن الفاهم للقرآن فهما رشيدا يجد لكل مسألة فى الكون ما يهديه الى التفكير فيها أو يرشد مسلكه خلال بحثه لها ، وأمام علماء الكونيات المسلمين نشير الى قضايا هامة :

اولها : استمرارية التقدم العلمى وعدم ثبات الكشوف العلمية :

من المعلوم أن الوصول الى القانون العلمى يستلزم أمرين :

أولهما : الحصول على الحقائق ، وهذا لايتأتى الا بالوسائل الحسية .

والامر الثانى : هو الاستنتاج . ولما كان الامر كذلك فاننا لا نتوقع أن يكون أى قانون علمى نهائيا ،ولا يحتمل التغيير أو التبديل ، اذ أن وسائل المشاهدة وجمع البيانات تتطور باستمرار مع ازدياد المعلومات التى تتوافر لدينا ويؤدى هذا التطور الى تحسين يكشف عن تفاصيل أغفلتها الوسائل الأولى ، ولم تدخل فى الحسبان عند التفكير فى الاستنتاج .

كذلك فان الافكار والمقومات التى يبنى عليها الاستنتاج تتطور بازدياد الخبرة البشرية ويتسع أفقها بازدياد المعرفة . فاذا كان شخص ما يرى منظرا طبيعيا بعينه المجردة من مسافة بعيدة عنه ، فانه تتكون لديه صورة عنه تختلف عنها اذا استخدم فى ذلك منظارا مكبرا ، ففى الحالة الاخيرة يمكنه أن يصف لنا أنواع الاشجار ومحتويات المنظر غابة كان أو حقلا أو حديقة ، واذا كان هذا الشخص متخصصا فى علوم الحياة (Biology) استطاع أن يمدنا بتفاصيل أخرى دقيقة ، وهكذا نجد ان الحالات الثلاث صادقة ولكن كلعلى حسب وسائلهوامكانياته المتوفرة لديه.

ولكن هناك نظريات لاقت من الترويج المغرض أيام ظهورها (كما سنوضح بعد) ما يمكن لها من الانتشار وزيوع الصيت على الرغم من نقض الكشوف العلمية الحديثة لجوانب أو نصوص منها ، فمثلا نظرية التطور المطلق (Theorem of Absolute Evolution) التى سرت فى آفاق العالم حتى اعتبر كلام داروين ولامارك وهكسلى (Darwin, Lamark and Huxley) من المسلمات العلمية وما توصلوا اليه يعد من الحقائق الثابتة ، أظهرت البحوث العلمية الحديثة بوسائلها المتقدمة وبآراء العلماء المنصفة المحايدة تصدعا كبيرا فى جدران نظرياتهم ، وليس هنا محل التفصيل فى ذلك .

ثم من النظريات أيضا التى اكتشف العلم الحديث خطأها نظرية التضاد بين المادة والطاقة (Antagonism between matter and energy) حيث توصلنا الى أن المادة والطاقة شكلان لشىء واحد ، التحول بينهما مستمر وخاضع لقانون ثابت ، وأن الاصل فى الشكلين هو الاشعاع (Radiation) ، وحيث ان الاشعاع أحد عناصر الضوء ، اذا فالضوء هو نقطة البدء فى الموضوع كله . وهدم نظريات أو نقض بنائها أو اكتشاف أخطاء فيها ينفى كمال العلم .

يقول العالم ول ديورانت (Wel Deurant) (أين ذهبت اليوم قوانين نيوتن (Newoton) العظيم حيث قلب اينشتين (Einstein) وغيره الكون رأسا على عقب ، وأين مكان نظرية عدم فناء المادة وبقاء الطاقة فى الميتافيزيقا (Metaphysics) المعاصرة وما يكتنفها من فوضى وتنازع مما أصاب علومنا ، وهل فقدت فجأة قداستها وما فيها من حقائق أزلية ؟ !!!

أيمكن أن تكون قوانين الطبيعة سوى فروض انسانية ، هذه الحقيقة الناصعة التى يجهلها الكثيرون : وهى أن القواعد العلمية الحديثة ليست سوى فروض قام الانسان بوضعها لتفسير الغوامض التى تحيط به من كل جانب ، وقد يكون نصيبها النجاح أو الفشل ، واذا أصابها النجاح فالى أى مدى وزمن مقدر عندما ظهرت النظريات الجديدة التى أثبت العلم وجودها ببراهين رآها العلماء مقنعة ونسخت النظريات القديمة وحلت محلها ، فاذا بالجديدة تعجز عن تعليل بعض الظواهر !!!) .

ومن هنا علينا أن نستخدم تعابير كحقيقة علمية (Fact) مثلا، فى حدود ضيقة وليست بالمعنى الذى يفهمه عامة الناس ، **اذ ليس هناك ما يسمى حقيقة علمية مطلقة ،** حيث أكد ذلك العالم الكونت دى نواى (Cont de Nouy) الذى يقرر (أن التغيير لا الثبوت هو الطابع الذى يتميز به العلم ــ اليوم ــ وأن أبحاث العلماء وأقوالهم تؤكد نقص العلم البشرى وأن هذه النظرية الجديدة هى الصحيحة ــ هذه جديدة على فكر ذلك العالم أما بالنسبة للانسان المسلم فهو يعلم يقينا قول الله عز وجل « **وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً** » ــ التى تعبر عن الحقيقة والواقع ، وتساهم بدفع العلم الى الأمام بعكس النظرية القديمة التى تشكل أكبر عقبة فى طريق ازدهار العلم وقطف ثماره) .

ثانيا : وجود بعض القوى العالمية وراء ترويج المذاهب والنظريات :

لقد عرف العالم الحديث الآن أن ما اكتشف خطأ فى دائرة المعارف البيولوجية قد كشف القناع عن ظاهرة مرة اذ ما كان لهذه المذاهب أو النظريات أن تحظى بما نالته من الشهرة والانتشار لولا تبنى جهات عالمية ذات أهداف معينة ، ولولا دفع هذه المذاهب والنظريات بما يحقق النفع لهذه الجهات أو الفئات فى النهاية فى تدبير خبيث مبيت فى ليل بهيم ولعل ما يوضح ذلك ويفصله هو كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » الذى ترجمه الى العربية محمد خليفة التونسى .

يتبع

كارم السيد غنيم

الدين والدنيا معا

للأستاذ محمد فريد وجدى

إعداد:
الأستاذ عبد الفتاح الزيات

الاسلام : بما شرع الله فيه من أحكام ، وسن فيه من قوانين وبما هيأ لاتباعه من اسباب البحث والسعى ،وحث على الحركة ، نجده فى ذات الوقت ينهى عن الكسل والتواكل . ذلك لان شرع الله جعل الايمان والعمل قرينين متلازمين . بل انه جعل العمل من كمال الايمان .

والشريعة الاسلامية شريعة حياة . ولا حياة بدون حركة . ولكن ينبغى أن تكون حركة واعية منتجة . مثمرة لا حركة تخبط وتخليط .

جميل أن يبذل المرء ـ المؤمن ـ وسعه فى العبادة . ولكن الأجمل أن يقرن العبادة بالعمل . لان الانقطاع للعبادة بالكلية انقطاع تبتل وترهب يضاد ناموس الحياة .

لقد خلق الله الانسان . وجعله خليفته فى عمارة الكون بالسعى والكفاح وعمارة الأرض . والعيش فى الدنيا بما أحل الله فيها من الطيبات من الرزق فيذوق ثمرة كفاحه وعمله فيذكر نعمة الله عليه .

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم . المسجد يوما فاذا رجل متعبد فى مكانه لا يبرحه ليلا أو نهارا . فقال : من هذا ؟ قالوا : عابد منقطع . فقال : فمن

ينفق عليه ؟ قالوا : أخوه • فقال عليه الصلاة والسلام « أخوه أعبد منه »• أو كما قال ــ صلى الله عليه وسلم

وفى هذا أبلغ توجيه لأولئك الذين يتركون السعى والضرب فى الارض ناسين قوله تعالى : « وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » زاعمين أن كمال الايمان لا يتحقق الا بالجلوس فى صومعة أو مسجد قعود تبتل وترهب والدين الاسلامى لا يقر هذا ولا يرضاه • قال تعالى : « هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »

قال الاستاذ الكاتب ــ رحمه الله

الدين والدنيا معا

« رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً »

مما يأخذه علماء الاجتماع على أكثر المتدينين أنهم يقصرون فى التبسط فى الماديات ، ولا يتناولون منها ما به استصلاح معيشتهم • واستكمال حاجاتهم • بل من الأديان ما صرف الناس عن الماديات جملة ، اما ذهابا منها الى الطرف المناقض لما عليه المترفون ، ليثوب الناس الى اعتدال ، كما يعالج الأخلاقيون المصاب بالسرف بلزوم الامساك المطلق،لتتذوق النفوس فضيلة الاعتدال فتعول عليها ، واما تضليلا من قادة الأديان للناس ، ليتركوا ما بأيديهم ليستأثروا هم به ، وفى تاريخ الأديان أمثلة كثيرة لهذين الأمرين•

ولاننسى أن التدين فى ذاته يحبب فى الزهد فى الدنيا ، والانصراف لأمور الآخرة ايثارا لما هو خير وأبقى • ولقد كان لتغالى بعض الأمم فى هذه النزعة أثر كبير فى تأخير النهضات الاجتماعية ، وخاصة بعد أن تخلصت أوروبا من الوصاية الكنسية ، واندفعت فى طريق استكمال الوسائل العلمية والاقتصادية ، فزاحمت الأمم المقصرة فيها على ما بيدها ، فكان ذلك موجدا لعوامل جديدة فى جمودها •

فان كانت توجد أمة يقيها دينها من مثل هذا الجمود المادى ، فهى الامة الاسلامية ، لأن دينها يدعوها للاهتمام بحاجاتها المادية ، ويحثها على العمل لدنياها ، استكمالا لوجودها العالمى الذى يستدعى أن تكون منها مثلا أعلى للامم فى الأرض فقال تعالى : « **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** » •

وأمر المسلم أن يقول فى دعائه : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » وقال تعالى : « **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ** » •

وحثت السنة النبوية على استغلال الارض واحياء مواتها ، وعلى السعى على المعاش من جميع الوجوه المشروعة وصرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ادخار المال ليس فيه بأس فقال : « ما أديت زكاته فليس بكنز » أى اذا أديت زكاة مالديك من الذهب والفضة ، فلا يعتبر ادخارك لهما كنزا ينطبق عليه قوله تعالى:

« وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »٠

وكان أبو ذر الغفارى قد رأى أن ادخار المال غير جائز شرعا ، وأشاع ذلك فى المؤمنين ، فشكاه معاوية الى عثمان رضى الله عنهما ، فنفاه الى الربذة يقيم فيها بعيدا عن الناس ، حتى لا يفتتن بمذهبه المسلمون ، فيقصروا فى أمور دنياهم ٠

ولسنا نكتفى بهذه الأدلة النقلية وان كانت بالغة أقصى غايات التدليل العلمى ، فان أمامنا دلائل عملية ليس فى وسع أى مكابر أن يتردد فى قبولها ، وهى ما بلغته الأمة الاسلامية من تأسيس مدنية حاصلة على جميع المقومات الروحية والمادية ، فأقامت بازاء كل أصل قيم بثته فى الأرض صرحا عاليا من صروح التكمل المادى : من تمصير الأمصار ، واقامة المبانى ، والذهاب فى استخراج كنوز الأرض الى أقصى ما تبلغه القارة البشرية ، حتى ان كتبهم فى الزراعة واستخراج المعادن والانتفاع بها تعتبر الى اليوم من أنفع الكتب وأولاها بالعناية ٠

قال العلامة (درابر) فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨) ميلادية ، أى بعد موت محمد ﷺ بست سنين ، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى كانوا مستأنسين بجميع الكتب العلمية اليونانية ، ومقدريها قدرها الصحيح » ٠

الى أن قال : « ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » ٠

ثم قال : « الفلكيون العرب قد اهتموا أيضا بتحسين آلات الأرصاد وتهذيبها ، وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الأشكال ، والساعات المائية ، والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض ٠

« أما فى العلوم التجريبية ٠ فقد اكتشفوا الكيمياء ، وبعضا من محللاتها الشهيرة : حمض الكبريتيك ، وحمض النيتريك ، والكحول ٠

« استخدم العرب علم الكيمياء فى الطب ، لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات ، والأقرباذينات ، واستخراج الجواهر المعدنية٠

« أما فى علم الميكانيكا ، فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة ٠

الدين والدنيا معا

الى أن قال : « ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر (تأمل) الذى نالته الصنائع على عهدهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد ، وتربية الحيوانات ، وسن النظامات الزراعية الحكيمة ، وادخال زراعة الأرز والسكر والبن . وقد انتشرت المعامل والمصانع (تأمل) لكل أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المعادن ، ويجرون فى عملها على ا حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها » .

وقال العلامة (سديو) فى كتابه (تاريخ العرب) : « كان المسلمون فى القرون الوسطى متفردين فى العلم والفلسفة والفنون والصنائع . وقد نشروها أينما حلت أقدامهم، وتسربت عنهم الى أوربا ، فكانوا سببا لنهضتها وارتقائها » .

وقال العلامة (درابر) المتقدم ذكره :

« أول مدرسة أنشئت للطب فى أوربا هى المدرسة التى أسسها العرب فى (بالرم) (عاصمة سيسيليا) من ايطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون فى أشبيلية بأسبانيا . ولو أردنا أن نستقصى نتائج كل هذه الحركة العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم » .

يرى القارئون من كل ما مر أن العرب الأولون قد اتجهوا بحافز من دينهم الى طلب العلم ، منذ احتلالهم الاسكندرية ، تحت قيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وأنهم اندفعوا فى هذا التيار لا توفية لشهوات عقولهم فحسب ، ولكن ليطبقوه على العمل ، ويزيدوا به مادة المدنية الفاضلة التى تقتضيها خلافة الله فى الأرض ، مصداقا لقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) وقد وفوا بما ندبهم الله اليه من الاضطلاع بهذه المهمة ، فأسسوا ملكا لم ينبغ 'مة قبلهم ولا بعدهم الى اليوم ، وانتهت م الزعامة العامة فى كل ماله صلة بالانسانية ه 'خص نواحيها وأعمها .

محمد فريد وجدى

النظرية الإسلامية بقية

بسرا ، كما يقول فى وصف المؤمن : « وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

٢ ــ تجنب الضعف النفسى والاستسلام للحزن

يدعو الله تعالى المؤمنين الى تجنب الضعف النفسى (الوهن) الذى لو أصابهم ضاعت قوتهم وأصبحوا غثاء كغثاء السيل ، كما يدعوهم جل شأنه الى عدم الاستسلام للحزن لكى يستعيدوا قوتهم ، ويبقوا على روحهم المعنوية وارادتهم القتالية القوية ، ويذكرهم بحقهم الذى يجاهدون من أجله وبعدالة قضيتهم وبالايمان الذى يملأ قلوبهم فيقول سبحانه :

« وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ » .

٣ ــ ملء النفس بالثقة والأمل .

من أروع صور الارتفاع فوق الأحزان والآلام النفسية وملء النفس بالثقة والأمل فى أحلك الأوقات أن النبى ﷺ قال لأصحابه بعد معركة أحد : « اصطفوا نثنى على الله » فاصطف الرجال صفين خلفهم النساء وتوجه الرسول الى الله بالدعاء :

« اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ، ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت ، انى أسالك من بركتك ورحمتك وفضلك وعافيتك ، اللهم انى أسالك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول ، اللهم انى أسالك الأمن يوم الخوف ، والغنى يوم الفاقة ، عائذا بك من شر ما أنطيتنا (أعطيتنا وهى لغة يمنية) وشر ما منعت منا ، اللهم توفنا مسلمين ، اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا ، وكره الينا الكفر والعصيان واجعلنا من الراشدين » .

لقد استطاع ايمان الصحابة أن ينتزع من النكسة أروع معانى القوة والثبات والثقة والأمل والايجابية التى تتكافأ مع دعاء الرسول: صلى الله عليه وسلم .

« اللهم لك الحمد كله » !

للبحث بقية

محمد جمال الدين محفوظ

طرائف

علاج

جاء رجل الى أبى حازم القاضى .

فقال له : ان الشيطان يأتينى ، فيقول : انك قد طلقت امرأتك فيشككنى !!

فقال له : أو ليس قد طلقتها ؟ .

قال : لا

قال له : ألم تأتنى أمس فتطلقها عندى ؟ .

فقال : والله ما جئتك الا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه .

فقال له : فاحلف للشيطان كما حلفت لى وأنت فى عافية .

ابن المقفع يصف صديقا له

وصف ابن المقفع صديقا له ، فكان مما وصفه به قوله : كان لى أخ أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه .

وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجا من سلطان لسانه فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم .

وكان أكثر دهره صامتا ، فاذا قال بز القائلين وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحبا الا أن يرجو عنده النصيحة .

وكان لا يتبرم ولا يتسخط ،ولا يشتكى ولا يشتهى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يغفل عن الولى ، ولا يختص نفسه بشىء دون اخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته .

فعليك بهذه الأخلاق ان أطقتها ولن تطيق، أخذ القليل خير من ترك الجميع .

مواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أبواب الملوك

كتب بعض ملوك فارس على بابه :
تحتاج أبواب الملوك الى : عقل ، ومال ، وصبر .

فكتب بعض الحكماء تحته من كان عنده واحدة من هذه الثلاث ، لم يحتج الى أبواب الملوك !! .

فأمر الملك باجازته ومحو الكتابة .

ليس لثلاث

قال حكيم : ليس لثلاث حيلة :
فقر يخالطه كسل .
وخصومة يخامرها حسد .
ومرض يمازجه هرم .

عند الهرم

قال عبد الملك بن مروان للعريان بن الهيثم كيف تجدك ؟

قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما أحب أن يلين ، وقال :

سلنى أنبئك بآيات الكبر
نوم العشاء وسعال بالسحر

وقلة النوم اذا الليل اعتكر
وقلة الطعم اذا الزاد حضر

وسرعة الطرف وتحميج النظر
والناس يبلون كما يبلى الشجر

طرائف .. ومواقف

أفضل وقت للطعام

قيل لبعض الحكماء : أى وقت أفضل للطعام ؟

قال : أما لمن قدر فاذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فاذا وجد ٠

حمقا

قال محمد بن يزيد النحوى : أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة ، فوسع لى ، وكرهت أن أضيق عليه ، فانقبضت ، فأخذ بعضدى وقربنى الى نفسه ٠

وقال : انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين ٠

دعاء

« رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » ٠

اللهم انى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه محمد نبيك صلى الله عليه وسلم ٠

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من أعلام الأزهر

يوسف الدجوى

فقيه بحاثة داعية

للدكتور محمد رجب البيومى

قضى يوسف الدجوى خمسين عاما من عمره الذى شارف الثمانين ، وله فى كل يوم مجلس علم فى الصباح وندوة دينية فى المساء ، هذا الى مقالاته التى ظلت تملأ الصحف والمجلات دون انقطاع ، اذ كان أحد الكبار فى الأزهر ممن يستمع الى آرائهم حين تشتبه الأمور فى قضية من قضايا العلم والدين ، كما كان موضع الثقة فى الفتوى الدينية ، تأتيه الأسئلة من شتى بلاد الاسلام فى تتابع لا ينقطع .

فيؤدى أمانة العلم مجيبا فى تدفق واسهاب ، ولم يلتفت الى نفسه فيجمع مئات المقالات ، ومئات الفتاوى فى كتب يسهل تداولها بين الناس ، ولكنه ترك الكثير من آثاره فى أنهار الصحف متفرقا غير مجموع ، حتى نهض مجمع البحوث الاسلامية فجمع بعض بحوثه فى مجلدين كبيرين تقرب صفحاتهما من ألف وستمائة صفحة . وقد راجعت ما جمع ، فعرفت أن الكثير من آثاره لم يجمع بعد ، ولكن ما قام المجمع بنشره يعطى فكرة صادقة عن منحاه العلمى فى التفسير والفتوى والبحث الدينى . هذا الى ما تعورف من كتبه المتداولة مثل : رسائل السلام ، وسبيل السعادة والرد على مدعى التحريف فى القرآن ، وسنلم ببعض مسائلها فى هذا النطاق الوجيز .

ولد رحمه الله فى قرية (دجوة) من أعمال محافظة القليوبية سنة ١٢٨٧ هـ ، فى بيت علم وفضل ووجاهة اذ كان والده رئيس قريته ، ومنزله محط الغادين والرائحين ، ومثابة من يفد على القرية من العلماء والأعيان وله مكتبة عامرة بكتب الفقه والأدب والتاريخ ، وقد دفع بولده الصغير الى من يحفظه كتاب

من أعلام الأزهر "يوسف الدجوى"

الله فبدت دلائل النبوغ على الطفل الناشىء اذ تمتع بذاكرة حافظة تستوعب ما يراد استيعابه دون أدنى جهد ، وكان يسمع الحوار العلمى فى منزل والده فيعيه على حداثة سنه ، فاتجهت الرغبة الى الحاقه بالأزهر الشريف بعد أن درس فى القرية مبادىء الفقه والتجويد والنحو والسيرة النبوية المطهرة كاد وما كاد ينتظم فى دروسه حتى برز بين أقرانه لأن ما درسه فى القرية من مبادىء العلوم كان سلما الى ارتقاء ذهنه ، وقد أوتى جلدا على الدرس ، فكان لا ينقطع عن حلقات الدروس بالأزهر فهو دائم التردد على مجالس الأساتذة ، حتى أصبح موضع الثقة بين زملائه ، يفزعون اليه حين يحتاجونه الى استعادة ما قال الأستاذ فى درسه ، ويذهبون فى المساء الى منزله ليتذاكروا معا مسائل العلم ، وما مر زمن حتى أخذ يدرس لاخوانه كتب الأزهر قبل أن ينال درجة العالمية ، فيجتمع حوله الطلاب واثقين بعلمه ، مع أنهم يأبون الجلوس لحديثى العهد من حملة العالمية ظانين أنهم لم يتمرسوا بعد بدقائق التدريس ، فما بالهم يرحبون بمجالس الطالب الناشىء قبل أن يمنح الدرجة ، لم يكن ذلك الا لما لمسوه من فضله وتبريزه ، وكان امتحانه النهائى يوما مشهودا اذ اجتمع له الأفذاذ من علماء الأزهر مقدرين مكانته ، وفى مقدمتهم : شيخ الأزهر العلامة الشيخ سليم البشرى ، فأطالوا نقاش الطالب ليكتشفوا عن معدنه النفيس ، ومنحوه أعلى الدرجات ، وسارع بعضهم الى زيارة منزله مهنئين واثقين بما سيجرى على يده من خير للعلم ، ورأت المشيخة أن تسند اليه تدريس الكتب العويصة على غير عادتها مع زملائه . فالتف حوله الطلاب ، وشهدوا باحاطته الشاملة ، وبصره النافذ فى الدقائق المشتبهة ، وقد تنوعت دروسه ، فلم تقتصر على فن واحد ، حتى رئى أن يقتصر على تدريس مادة (الأصول) حين احتيج اليه فى هذا العلم الدقيق ، وكان رواده من النجباء ، ولكن الشيخ أراد أن يتسع بعلمه الى أرحب مجال ، فدعا الى دروس عامة فى التفسير يلقيها بالرواق العباسى تشبها بالأستاذ الامام محمد عبده رحمه الله ، فاتسعت حلقة درسه ، وحضر الطلاب بأوراقهم ليسجلوا ما يفتح الله به على الشيخ من آيات ، وقد جمع ابن أخيه الشيخ عبد الرافع الدجوى نحوا من أربعين كراسة تمتلىء بشروح الأستاذ لآيات الكتاب مما قاله فى عام واحد ! وقد حاول طبعها بعد وفاته فلم يتيسر من يساعد على ذلك ، على أن جهد الشيخ يوسف لم يقتصر على الطلاب ، اذ رأى أن تكون الصحافة بعض ميادينه العلمية ، وكانت شبهات الضالين من الكتاب تتردد فى بعض المجلات متسترة وراء الحرية العقلية ، ومتجهة الى رمى العلماء بالجمود والرجعية ، فكان الدجوى يتعقب هذه الشبهات ليرد عليها ، ثم رأى أن يؤلف جمعية أسماها (جمعية النهضة الاسلامية) يكون مجالها مقاومة الالحاد فى شتى مظاهره ، واختار لها ذوى الغيرة الدينية من رجالات مصر ،

فكانت الجمعية الدينية الثانية فى مصر ، اذ سبقتها (جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية) التى أنشأها الأستاذ زكى سند لهذا الغرض بعينه ، وقد بذلت الجمعيتان جهدا ذاتيا ملحا فى مقاومة الجمعيات التبشرية ، دون أن تجدا النصير ، الا من قلة أخلصت لله وثابرت على النضال ، وكان من أشبال (جمعية النهضة الاسلامية) الأساتذة محمود أبو العيون ومصطفى القاياتى ، والزنكلونى وعبد الباقى سرور نعيم وعبد الله عفيفى ، وما منهم الا [illegible]ام محمود ، اذ واصلوا الجهاد [illegible] السياسى ، وحين شبت ثورة سنة ١٩١٩ ، كانوا ألسنتها الناطقة فى المنابر ، وأقلامها المدوية فى الصحف ، كما كان الشيخ يوسف أحد المدافعين عمن اعتقلوا من الشباب فى انتفاضات الحرية ، وقد وجه خطابا الى ملك انجلترا جورج الخامس حين حكم الانجليز بالاعدام على الشيخ الأزهرى محمد الشافعى البنا مطالبا بانقاذ الطالب المجاهد ، وكان لخطاب الدجوى تأثيره فخفف الحكم .

وواصل الشيخ مسعاه لدى المسئولين حتى أفرج عن الكثير ، وتلك مواقف لم تجد من يسجلها فى تاريخ الكفاح السياسى ، اذ جبل نفر من محترفى الكتابة على هضم نضال العلماء ، وفيهم من يكتب عن ثورة سنة ١٩١٩ مجلدا ضخما ثم يتحاشى أن يذكر كفاح الأزهريين ، ومنبر الأزهر لا يزال قائما يذكر الناس بمارن فوقه من صيحات تزلزل الاستعمار ، وبما دفع من مظاهرات قوبلت بالرصاص ، وجرى الدم بسببها فى أنحاء القاهرة مدرارا ، حتى تبدل الوضع من حال الى حال .



فضيلة الشيخ يوسف الدجوى

لقد كان الأستاذ الدجوى لسانا فصيحا من ألسنة الأزهر فى عهده ، وكانت ثقة الكبار من رجاله فى علمه وفضله ، تكافىء ثقة المستنيرين من غير الأزهريين ، فما يوجه للأزهر من سؤال عويص فى أمر دينى الا وكان الدجوى فى طليعة المجيبين ، وقد يكتفى بقوله عن قول سواه ، لقد أرسل باحث أمريكى هو (ايفان م . وى) خطابا الى شيخ الأزهر الأستاذ الأكبر سليم البشرى يذكر فيه أنه اعتنق الاسلام كما اعتنقه ألوف « من أبناء أمريكا الجنوبية لأسباب نبيلة دعته الى ذلك » ويريد أن يكون داعية لهذا الدين ، ولكن معلوماته عنه لا تكفى لتصدره فى الحديث عن الاسلام فى وسط يناقش الحجة بالحجة ويدحض الدليل بالدليل ، ويرجو من مشيخة

من أعلام الأزهر "يوسف الدجوى"

الأزهر أن تدله على كتاب ينقع الغلة ، ويشفى الأوام (١) ، فعهدت المشيخة الى الأستاذ يوسف الدجوى فقام فى أيام معدوددة بتأليف كتابه (رسائل السلام) وبدأه بالحديث عن عالمية هذا الدين ، وكيف جاء ليكون هداية للانسان فى كل زمان ومكان حاملا عناصر بقائه الموائمة للفطرة الانسانية ، واتسع المجال فى الباب الأول لحديث شاف عن أوامر الاسلام ونواهيه ، وخص الجانب الأخلاقى بتفصيل واضح لأنه أساس السلوك الناجح فى المجتمع ، كما تحدث عن مزايا التشريع باسهاب يعتمد على الدليل ، وقد تكون هذه المسائل الآن من الوضوح بحيث لا تتطلب الافاضة والاشباع ولكنها كانت منذ ثمانين عاما فى حاجة لمن يعرضها فى قوة ووضوح .

أما الباب الثانى فقد تحدث عن رسول الله الله — صلى الله عليه وسلم — ملما بالظواهر البارزة فى حياته ، ودلائل نبوته ، وبشائر الكتب القديمة بمقدمه وصفاته النفسية التى أهلته لحمل الرسالة العالمية .

وجاء الباب الثالث خاصا بالقرآن الكريم ، وما تضمنه من قواعد تشريعية ، واصلاحات اجتماعية ، وارشادات نفسية .

وكل ما كتبه الأستاذ مفيد سديد ، ولكنى — من وجهة نظرى الخاصة — أرى أن حديث الأستاذ فى هذا الكتاب بالذات (وقد وجه الى المسلمين وغير المسلمين فى أمريكا الجنوبية) عن المعجزات الحسية لنبى الاسلام — صلى الله عليه وسلم — كتكليم الجمادات ، وتكثير الماء والطعام ، واجابة الدعاء ليس مما يناسب مقتضى الحال لأننا نتجه بالحديث الى أناس يريدون الأدلة العقلية وحدها ليهتدوا الى الاسلام بوحى من التفكير المنطقى الخالص ، وحين يشرق عليهم نوره يسهل تصديقهم بالمعجزات الحسية ، ومهما يكن من شىء ، فقد أحسن الأستاذ فيما كتب وأفاد .

وقارىء مقالات الدجوى يرى فيها اختلافا واضحا من حيث الدقة والتعمق فى بعضها ، والاستطراد والسرعة فى بعضها الآخر ، وذلك لاختلاف المقام الداعى للقول ، فقد يدعى العالم الكبير الى القاء محاضرة فى جمعية تضم الفئة المثقفة من المستمعين ، فيختار الموضوع الدقيق ، ويلتزم المنطق الجاد الأصيل ، وقد يلقى درسا للعامة فى مسجد فيتحدث بما يناسب الحاضرين ، ومريدوه دائما يتبعون أحاديثه فيسجلونها بأقلامهم فى أوراق يعدونها من قبل ، ثم ينشرونها فى الصحف ، كما قالها دون رجوع اليه ، والرجل لا يبغى غير النفع فيما يقول ، فهو لا يقصد المباهاة بالغوص والتدقيق ، بل يقدم لكل قارىء أو سامع ما يسمح به الموقف ، وفى محاضراته الثقافية اشباع وامتاع ، كما تسطع بها روح الهداية والايمان، وسأتناول بعضها بايجاز يبرز منحاها الأصيل.

حين راجت فى مصر الأسطورة الدروانية ، وتلقفها دعاة الالحاد دليلا على بطلان

(١) ... العطش ..

الاديان ، دعت (جمعية الشبان المسلمين) جمهور المثقفين الى سماع محاضرة يلقيها الأستاذ يوسف الدجوى عن علم الطبيعة وصلته بالالحاد ، فابتدأ المحاضر الكبير يحلل قول العلامة الانجليزى سبنسر « ليس الغرض من تعلم الطبيعة معرفة الظواهر ولكن الغرض هو الوصول الى الأسرار الباهرة التى تفسر بها هذه الظواهر ، مع صعوبة هذا الوصول واستحالته فى كثير من المسائل » والالحاد لا يجتمع مع التعمق فى الدراسات الكونية ، لأن نسقها المحكم الدقيق يدل على وجود اله مدبر يدير الكون ! وتابع الشيخ يقول مستشهدا بأقوال العلماء : ان ما حصل من الاكتشافات العلمية يدل على أن الكثير منها لا يزال طى الخفاء ، لأن العلماء يكشفون فى اليوم ما كان مجهولا بالأمس ، ولو سلمنا جدلا أنهم عرفوا كل النواميس الطبيعية ، فان ما عرفوه ينحصر فى مشاهد الأرض وحدها ، فلهم أن يقولوا انا عرفنا عناصرها وتركيبها ، ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا انهم عرفوا ما اشتملت عليه العوالم الفسيحة من أسرار ، فليست أرضنا الا ذرة صغيرة بازائها ، ويكفى أن تعلم أن الأرض جزء من ألف ألف وثلثمائة جزء من الشمس ، وليست الشمس الا شيئا صغيرا بجانب غيرها ؟ ونحن لا نجد الدليل على هذا المجهول ، وعدم الدليل لا يدل على عدم المدلول ، أما كنا نجهل الميكروبات والكهرباء آلاف السنين ثم كشف العلم عنها ؟ أيكون جهل الأقدمين بهما دليلا على عدم الوجود ، واذا كان العلم ينقض فى غده ما أثبته فى أمسه فكيف يكون حجة قاهرة على ما جاء به القرآن من أسرار ، وكيف تبجح من يعلم القليل فينكر وجود خالق السموات والأرض ، واذا كانت الافتراضات غالبة فى تعليل العلماء فكيف يكون الفرض الاحتمالى يقينا لا جدل فيه •

وبعد افاضة مشبعة تملأ عدة صفحات (١) ينقل المحاضر قول العلامة (كامبل فلامريون) •

ان من الضلال أن نصدق كل ما يقال ، ويساويه فى البطلان ألا نعتقد شيئا أصلا » •

ويمضى فى تفسير هذا القول ليؤكد قصور الملحدين وأخذهم بالقشور دون اللباب •

وواضح أن الشيخ قد افترض أن بعض سامعيه لا يعترف بالأدلة النقلية من القرآن الكريم والحديث الشريف فرأى أن يترك الأدلة النقلية ليأتى بالبراهين العقلية مؤيدة بأقوال الكبار من أساتذة أوربا ، ومقتضى الحال يوجب ذلك لأن المفتونين بالغرب ، يؤيدون الحادهم بقول من شايعوهم فى أوربا، اعتقادا منهم أن هؤلاء هم وحدهم فى الميدان، فاذا أثبت الأستاذ الدجوى أن أكثر علماء الطبيعة فى أوربا مؤمنون ، وأن وقوفهم على بعض الأسراء الكونية فى اختلاف الليل والنهار ومشاهد السموات والأرض قد دفعهم الى الايمان بوجود الخالق •

(١) المنتقى من محاضرات جمعية الشبان المسلمين ما بين ص ٣٥ ، ص ٥١ ط المكتبة السلفية جـ ١ •

اذا أثبت الدجوى ذلك فقد أتى الشىء من بابه الصحيح ، وهذا ما أشار اليه العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى فى رثائه للعلامة الدجوى بمجلة الأزهر حين قال :

« ومن مميزات الفقيد — رضى الله عنه — أنه يأنس الى البحوث النفسية الحديثة فى أوربا ويراها خير أداة لكسر شوكة الماديين ، فاعتمد فى بحوثه على ما حققوه منها ، وكان لا يخشى فى مجاهرته بذلك لومة لائم » (١).

وفى محاضرة تالية ألقيت بجمعية الشبان المسلمين حول اثبات الروح ، استجابة لاقتراح بعض المتشككين سلك الشيخ مسلكه السابق فى الاستعانة بالأدلة المنطقية ، وقد ركزها فى نقاط مرقمة ، وقسمها بادىء ذى بدء الى أدلة عقلية ، وأدلة حسية :

فمن الأدلة الأولى أن المشاعر الانسانية والعواطف الشريفة من ود واخلاص وايثار لا يصح فى منطق العقل أن تكون من أوصاف المادة الصماء ، ولكنها أوصاف لشىء آخر تنضح به الروح ، كما أن الجسم فى تغير دائم تتبدل خلاياه وتتجدد ، فكان من الحتم حينئذ أن تضيع المعارف بتبدد الجسم ، ولكنها تبقى لأن الروح بمنجاة عن التبديل ، واذا كان لكل عضو فى البدن وظيفة خاصة به ، فاننا نلحظ أن الغاضب والحزين لا يشتهيان طعاما أو شرابا مع وجود المعدة وجهازها الهضمى ، فلو كان الغاضب والمدرك شيئا واحدا ما وجد هذا العزوف فعرف أن الروح ذات كيان خاص ، واذا كان عمل المادة آليا كالهضم والتنفس فان الأعمال الفكرية ذات الارادة والتدبير والنظام لا تكون من وظائف المادة بحال .

هذا بعض ما أفاض فيه المحاضر من الأدلة العقلية ، أما الأدلة الحسية فقد ذكر منها مشاهد التنويم المغناطيسى نقلا من المترجمات الأوربية ، وقد كان رحمه الله مشتركا فى مجلة الحياة التى يصدرها الأستاذ فريد وجدى ، وهى مما وجهت لمحاربة المذهب المادى بأسلحة العلم ، فعرض وقائع مشهودة لعلماء ذوى سمعة طبية فى دوائرهم العلمية ، وكلها تؤكد انفصال الروح عن الجسم فى فترة معينة ، ثم عودتها الى الوضع الأول ، وقد أصبحت هذه الحوادث من الاشتهار بحيث لا نجد غناء فى سردها ، وقد رأى المحاضر بعد أن أشبع بأدلته الحاسمة أن ينقل مما رواه البخارى ومسلم والترمذى والحاكم والبيهقى من الأحاديث ، ما يؤكد بقاء الروح ، وقد كان لهذه المحاضرة صدى بعيد اذ تناولتها الجرائد اليومية بالتعليق اثباتا ومعارضة ، ووصل صداها الى بعض المقيمين فى أمريكا فكتبوا فى مجلة الفتح ما يؤكد الحقائق التى رواها الشيخ الدجوى ، وفى هؤلاء من كان موضع التنويم فشاهد عن ملاحظة وعيان .

كما انتشر صدى الاجابات العلمية للأستاذ لدى المثقفين من رجال التربية وعلماء النفس والاجتماع فأخذ طلاب البعثات الأوربية

البقية ص ١٧٣٤

(١) مقدمة الجزء الاول من كتاب (مقالات وفتاوى) — ٤ — .

اللغة والأدب والنقد

غراس الأساس

كيف يستقبل العارفون العيد

شعراء النقائض

٥

اجتلاب هاء السكت

من خصائص الوقف اجتلاب هاء السكت للتوصل الى بقاء الحركة فى الوقف وسميت هاء السكت لأنها يسكت عليها دون آخر الكلمة.

وتطرد زيادتها فى ثلاثة مواضع :

١ ـ الفعل المعل بحذف آخره .

٢ ـ « ما » الاستفهامية .

٣ ـ كل مبنى على حركة بناء دائما ولم يشبه المعرب ـ واليك الكلام عنها تفصيلا .

الموضع الأول « الفعل المعل الآخر » .

اذا أعل الفعل بحذف آخره ، وقد بقى على حرف واحد . وأريد الوقف عليه ـ وجب اجتلاب هاء السكت فتقول فى الأمر من وقى ومن رأى ، قه ، وره ـ عند الوقف وانما لزم اجتلاب الهاء ، لأن الوقف لا يكون الا على ساكن أو شبهه ، والا بتداء لا يكون الا بمتحرك فلابد من حرف بعد الابتداء يوقف عليه فجىء بالهاء لسهولة السكوت عليه اهـ رضى .

أما اذا بقى الفعل بعد حذف حرف العلة على أكثر من حرف نحو لم يق ولم ير ونحو لم يرم ولم يغز ، وارم ، واسع ، واغز . ونحو لم يهتد ، واهتد فهذا كله وأمثاله يجوز الوقف عليه بهاء السكت وهو الأجود وبعض العرب يقف بدونها .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٧٧) هذا باب ما تلحقه الهاء فى الوقف لتحرك آخر الحرف : وذلك قولك فى بنات الياء والواو التى الياء والواو فيهن لام فى حال الجزم ارمه ، ولم يغزه ، واخشه ، ولم يقضه ، ولم يرضه ، وذلك لأنهم كرهوا ذهاب اللامات والاسكان جميعا فلما كان ذلك اخلالا بالحرف كرهوا أن يسكنوا المتحرك ، فهذا تبيان أنه قد حذف آخر هذه الحروف وكذلك كل فعل كان آخره ياء أو واوا وان كانت الياء زائدة (١) لأنها تجزى مجرى ما هو من نفس الحرف ... ثم قال :

وقد يقول بعض العرب : ارم فى الوقف واغز ، واخش (باسكان الآخر) حدثنا بذلك عيسى بن عمر ويونس وهذه اللغة أقل اللغتين اهـ .

ويرى سيبويه ان بقى الفعل على حرفين أحدهما زائد ـ أى ذهب من أصله حرفان ـ مثل لم تع ، وان تف . يرى وجوب الحاق هاء السكت به عند الوقف .

(١) وذلك كالامر من سلقى بمعنى طعن ـ فانك تقول : سلقه عند الوقف ـ باجتلاب الهاء وان كان المحذوف زائدا .

للدكتور عبد العظيم الشناوى

قال سيبويه : وأما «لاتقه من وقيت ، وان تع أعه من وعيت فانه يلزمها الهاء فى الوقف من تركها فى : اخشى ، لأنه مجحف بها لأنها ذهبت منها الفاء واللام فكرهوا أن يسكنوا فى الوقف فيقولوا : ان تع أع فيسكنوا العين مع ذهاب حرفين من نفس الحرف (الكلمة) وانما ذهب من نفس الحرف الأول (اخش) حرف واحد وفيه ألف الوصل فهو على ثلاثة أحرف وهذا على حرفين وقد ذهب من نفسه حرفان ــ ا هـ جـ ٢ ص ٢٧٧ وقد أخذ بهذا الرأى ابن مالك فقال :

وليس حتما فى سوى ماكع أو
وكيع مجزوما فراع مارعوا

يعنى أن الوقف بهاء السكت على الفعل المعل بحذف الآخر ليس واجبا فى غير ما بقى على حرف واحد مثل « عه » أو حرفين أحدهما زائد مثل : لم يعه • فزيادة هاء السكت فيهما واجبة ولكن ابن هشام قال فى التوضيح وهذا ــ أى اجتلاب هاء السكت وجوبا فى مثل لم يع ــ مردود باجماع المسلمين على وجوب الوقف على « لم أك » (١) و « ومن تق » (٢) بترك الهاء ــ ا هـ •

ولقد كثر الجدل حول هذا الموضوع تأييدا ورفضا ــ راجع الصبان ، والتصريح •

وخير ما قيل فى هذا ــ ما قاله السيرافى بعد أن وضح رأى سيبويه ــ قال : ومن العرب من لا يثبت الهاء فى ذلك أيضا ، لأنه على حرفين الأول منهما متحرك فيبتدأ به ، والثانى ساكن ــ ا هـ •

وبعض العرب يكسر ما قبل هاء السكت فى نحو : ادعه ، واغزه مع أنه فى الأصل مضموم ــ وكأنهم قدروا سكون ما قبل الهاء فحركوه بحركة التخلص من التقاء الساكنين والأصل فى هذه الحركة الكسر •

قال سيبويه : وزعم أبو الخطاب (الأخفش الأكبر) أن ناسا من العرب يقولون :ادعه من دعوت فيكسرون العين كأنها لما كانت فى موضع الجزم (٣) توهموا أنها ساكنة اذ كانت آخر شىء فى الكلمة فى موضع الجزم فكسروا حيث كانت الدال ساكنة لأنه لا يلتقى ساكنان كما قالوا : رد يافتى ــ بكسر الدال وهذه لغة رديئة وانما هو غلط كما قال زهير :

(١) من قوله تعالى ــ ولم اك بغيا ــ الآية ٢٠ من مريم •

(٢) من قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) الآية ٩ من غافر •

(٣) أى لما كانت العين فى موضع الجزم توهموا سكونها فحركوها لوجود الساكن قبلها وهو الدال ــ كما تخلصوا من التقاء الساكنين فى رد بالكسر ــ واعتبر سيبويه توهم سكون العين غلطا ــ كما غلط زهير اذ عطف كلمة « سابق » بالجر على خبر ليس المنصوب توهما منه أنه مجرور بالباء الزائدة فكأن الكلام ــ لست بمدرك ــ ولا سابق وقد ذهب الرضى الى أن الساكنين فى نحو : أدعه العين وهاء السكت وهو مخالف لما ذكره سيبويه •

بدالى أنى لست مدرك ما مضى
ولاسابق شيئا اذا كان جائيا

الموضع الثانى : « ما الاستفهامية المجرورة » .

وذلك أنه تحذف ألفها اذا جرت ولم تركب مع « ذا » فان جرت بالحرف كان حذف الألف واجبا نحو عم ، ولم ، وفيم ؟

قال الرضى : وبعض العرب لا يحذف الألف من « ما الاستفهامية المجرورة كقوله (١) :

على ما قام يشتمنى لئيم
كخنزير تمرغ فى رماد

وان جرت بالاسم كان حذف الألف جائزا . نحو مجىء م جئت — باثبات الألف وحذفها — والأجود الحذف وبعضهم أوجبه .

فاذا وقفت عليها محذوفة الألف ألحقتها هاء السكت حفظا للفتحة الدالة على الألف المحذوفة .

وان بقيت الألف فلا يجوز الاتيان بهاء السكت .

ويكون الوقف بالهاء جائزا ان جرت (ما) بحرف نحو لم ، وعم ؟ فان وقفت جاز لك الاتيان بالهاء فتقول : لمه ، وعمه ؟ وجاز عدم الاتيان فتقول : لم وعم ؟ فان جرت (ما) باسم وجب الاتيان بهاء السكت عند الوقف وذلك لأن المضاف مستقل بفائدته فى مدلوله الافرادى . فلفظ (ما) معه كالمنفصل وهو على حرف واحد فوجبت معه هاء السكت .

أما حرف الجر فلا يستقل بمعناه فكأنه مع (ما) كالكلمة الواحدة وهى كجزء منه فجازت معها الهاء .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٠) : وأما قولهم : علامه ، وفيمه ، ولمه ، وبمه ؛ وحتامه ؟ فالهاء فى هذه الحروف أجود اذا وقفت لأنك حذفت الألف من (ما) فصار آخر ارمه ، واغزه . وقد قال قوم : فيم ، وعلام ، وبم ، ولم ؟ باسكان الميم — كما قالوا : اخش وأما قولهم : مجىء م جئت ، ومثل م أنت ، فانك اذا وقفت ألزمتها الهاء ولم يكن فيه الا ثبات الهاء ، لأن مجىء ، ومثل يستعملان فى الكلام مفردين لأنهما اسمان ، وأما الحروف الأول (١) فانها لا يتكلم بها مفردة من (ما) لأنها ليست بأسماء فصار الأول والآخر بمنزلة حرف واحد لذلك ا هـ .

الموضع الثالث : كل مبنى على حركة بناء دائما ولم يشبه المعرب .

وقد أفاض سيبويه فى هذا الموضع حتى أوفى على الغاية — فقال :

(فمن ذلك النونات التى ليست بحروف اعراب ولكنها نون الاثنين والجميع ، وكان هذا أجدر أن تبين حركته حيث كان من كلامهم أن يبينوا حركة ما كان قبله متحركا مما لم يحذف

---

(١) هذا البيت لحسان بن ثابت رضى الله عنه يقول فى رفيع بن صيفى بن عابد وكان قد قتل يوم بدر كافرا . والاستشهاد بالبيت على ان من العرب من يثبت ألف « ما » الاستفهامية المجرورة غير مبال بالالباس وقد قرىء قوله تعالى «عم يتساءلون» بالالف . قال ابن جنى : واثبات الالف اضعف اللغتين .

(٢) أى الحروف الداخلة على «ما» الاستفهامية .

منه شيء (١) ، لأن (٢) ما قبله مسكن فكرهوا أن يسكن ويسكن ما قبله وذلك اخلال به وذلك هما ضاربانه ، وهم مسلمونه ، وهم قائلونه •
ومثل ذلك : هنه وضربتنه ، وذهبتنه فعلوا ذلك لما ذكرت لك ومع ذلك أيضا أن النون خفية (٣) فذلك أيضا مما يؤكد التحريك اذ كان يحرك ما هو أبين منها ••• ومثل ذلك : أينه ، تريد أين ، لأنها نون قبلها ساكن وليست بنون تغير للاعراب ولكنها مفتوحة على كل حال فأجريت ذلك المجرى ، ومثل ذلك قولهم : ثمة ، لأن فى هذا الحرف ما فى أين أن ما قبله ساكن وهى (٤) خفية كالنون وهى أشبه الحروف بها فى الصوت ، فلذلك كانت مثلها فى الخفاء — ومثل ذلك قولهم : هلمه قال الراجز •

*** يا أيها الناس ألا هلمه * (٥)**

وانما يريد هلم

وغير هؤلاء من العرب وهم كثير لا يلحقون الهاء فى الوقف ولا يبينون الحركة ، لأنهم لم يحذفوا شيئا يلزم هذا الاسم فى كلامهم فى هذا الموضع كما فعلوا ذلك فى بنات الياء والواو •

قال السيرافى : يريد أن قوما يدخلون الهاء فى (ارمه) و (لم يغزه) وما أشبه ذلك مما ذهب منه حرف أو حرفان ولا يدخلونها فيما ذكره فى هذا الباب لأنهم قدروا ادخالها عوضا من الذاهب فى (ارمه) ونحوه ولم يذهب من هذا الباب شيء يجعل الهاء عوضا عنه ا ه •

ومثل ما ذكرت لك قول العرب : (انه) وهم يريدون (ان) ومعناها أجل • وقال (٦) •

ويقلن شيب قد علا

ك وقد كبرت فقلت انه

ومثل نون الجمع قولهم « اعلمنه (٧) ، لأنها نون زائدة وليست بحرف اعراب وقبلها حرف ساكن فصار هذا الحرف بمنزلة هن • وقالوا فى الوقف • كيفه ، وليته ، ولعله فى كيف وليت ولعل لما لم يكن حرفا يتصرف للاعراب وكان ما قبلها ساكنا جعلوها بمنزلة ما ذكرنا وزعم الخليل : أنهم يقولون : انطلقته يريدون انطلقت لأنها ليست بتاء اعراب وما قبلها ساكن •

ومما أجرى مجرى مسلمونه : علامة المضمر التى هى ياء وقبلها ألف أو ياء ، لأنها جمعت أنها خفية وأن قبلها ساكنا فأجريت مجرى مسلمانه ومسلمونه (٨) ونعلينه ، وذلك قولك : غلامايه ، وغلاميه (٩) ، وعصاية ، وبشرايه ،

---

(١) يريد أنه لما كان من كلام العرب ان يبينوا حركة ما قبله متحرك بالحاقه هاء السكت عند الوقف مثل هو وهى — كان هذا أجدر ان تلحقه هاء السكت لبيان حركته عند الوقف لان ما قبله ساكن فاذا لم تلحقه الهاء لبيان الحركة وقفنا عليه بالسكون وقبله ساكن وهم يكرهون التقاء الساكنين •

(٢) تعليل لكونه أجدر بالهاء لبيان الحركة •

(٣) تعليل ثان لكونه أجدر ببيان الحركة المقتضية لاجتلاب هاء السكت •

(٤) أى الميم •

(٥) قال الأعلم : الشاهد فيه تبيين حركة الميم فى الوقف بهاء السكت ، لانها حركة بناء لا تتغير لاعراب فكرهوا تسكينها ، لانها حركة مبنى لازمة •

(٦) البيت لابن الرقيات — وقال الأعلم : الشاهد فيه تبيين حركة النون بالهاء • ومعنى : ان — ههنا نعم •

(٧) تمثيل لنون التوكيد •

(٨) تثنية نعل •

(٩) مثال للمثنى المضاف لياء المتكلم فى غير الرفع — والمثال الذى قبله تمثيل للمثنى المرفوع المضاف لياء المتكلم ، وعصايه ، وبشرايه تمثيل للمقصور المضاف لياء المتكلم ، وقاضيه ، تمثيل للمنقوص المضاف اليها — وكلها قد سكن ما قبل الياء فيها •

اجتلاب هاء السكت

وتاضيه ثم قال :

« هذا باب ما يبينون حركته وما قبله متحرك »

فمن ذلك الياء التى تكون علامة المضمر المجرور ، أو تكون علامة المضمر المنصوب وذلك قولك : هذا غلاميه ، وجاء من بعديه ، وانه ضربنيه كرهوا أن يسكنوها اذا لم تكن حرف الاعراب وكانت خفية فبينوها .

وقالوا : (هيه) وهم يريدون (هى) فشبهوها بياء بعدى ، وقالوا : (هوه) ، لما كانت الواو لا تصرف للاعراب كرهوا أن يلزموها الاسكان فى الوقف فجعلوها بمنزلة الياء كما جعلوا : كيفه ، بمنزلة مسلمونه . ومثل ذلك قولهم : خذه بحكمكه (أراد بحكمك) ومن لم يلحق هناك الهاء (أى فى الذى قبل آخره ساكن) فى الوقف لم يلحقها هنا وقد قال فى أثناء ذلك — (وجميع هذا اذا كان بعده كلام ذهبت منه الهاء ، لأنه قد استغنى عنها وانما احتاج اليها فى الوقف لأنه لا يستطيع أن يحرك ما يسكت عنده — اهـ (يريد أن هاء السكت تذهب فى الوصل) .

١ — فعلم مما تقدم أن هاء السكت لا تلحق المعرب فى الوقف سواء كان اسما نحو هذا خالد ، أم فعلا نحو على يحضر . وذلك لأن حركة الاعراب تعرف بالعامل فلا تحتاج الى بيان بهاء السكت — وشذ أعطنى أبيضه .

قال سيبويه : وحدثنى من أثق به أنه سمع أعرابيا يقول : أعطنى أبيضه — بتشديد الضاد والحاق هاء السكت — يريد أبيض وألحق الهاء كما ألحقها فى هنه وهو يريد : هن — اهـ ج ٢ ص ٢٨٣ .

٢ — ولا تلحق المبنى على السكون ، لأن هاء السكت لبيان الحركة . فلا يجوز الحاقها فى نحو أكرم . ومن لعدم الحركة .

٣ — ولا تلحق ما كان بناؤه عارضا (غير دائم) نحو : لا رجل ، ويا غلام . ومن قبل ، لأن بناءهن عارض غير دائم فالحركة فيهن شبيهة بحركة الاعراب لعروضها بسبب شىء يشبه العامل .

٤ — ولا تلحق الفعل الماضى : كضرب ، وقعد لمشابهته للمضارع المعرب فى وقوعه صفة وصلة وحالا وخبرا وشرطا — وهذا رأى سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٠) .

وذهب بعضهم الى جواز الحاق هاء السكت به عند الوقف مطلقا (لازما ، ومتعديا) ، لأن حركته لازمة — وذهب آخرون الى أنها تلحقه اذا لم يخف اللبس كأن تدخل على الفعل اللازم نحو : ذهب فان خيف اللبس فلا تلحقه كالوقوف على الفعل المتعدى نحو ضرب لالتباسه بالمفعول .

هذا ، واعلم أن كل ما لحقه هاء السكت على سبيل الجواز . فان كان محذوفا منه شىء نحو: لم يخش ، ولم يغز ، ولم يرم ، وعلام ، وحتام ، فالهاء به أولى منها بما لحقته ولم يحذف منه شىء نحو : هى وكتابى — وكلمتك .

وان لم يحذف منه شىء فانه بما قبل آخره ساكن نحو : ليته ، وكيفه أولى منه بما قبل آخره متحرك نحو هوه ، وهيه ، وغلاميه ، لأنك ان لم تلحق هاء السكت فيما قبله ساكن ، سكنت المتحرك الأخير فيلتقى ساكنان ، وعدم التقائهما أولى وان كان ذلك مغتفرا فى الوقف.

يتبع

د. / عبد العظيم الشناوى

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

تحقيق الدكتور
توفيق محمد شاهين

* « أشب » عدد آشِبٌ : أى مختلط وفى المثل : منك عيصك وان كان أَشِبًا(١) وتأشبوا [وائتشبوا : تجمعوا من هنا وها هنا] (٢) : تجمعوا • وجمع مؤتشب (٣) غير صريح ، وعنده أشابة من الناس : جمع مختلط • وأشابة من المال : تخاليط من حلال وحرام • وهم أشابات وأشائب •

* « أشر » برق أشر : متردد فى لمعانه ، ونبت أشر : اذا علا ونما ، قال نصيب (٤) :

ان العروق اذا استسر بها الثرى
أشرالنبات بها وطاب المزرع

* « أصّ » : فلان لا أصل له ولا فصل « أى » : لا نسب ولا لسان • ولفلان أصيلة: أى أرض تليدة يعيش بها • وجاءوا بأصلهم : أى بأجمعهم •

* « أضّ » : عليه درع كالإضاة (٥) : أى كالغدير •

* « أطر » أطرت فلانا على مودتك ، وبنو فلان إطار(٦)لبنى فلان اذا نزلوا حولهم•

* « أط ط » يقال : أطت بك الرحم : أى رقت وحنت • هم أهل أطيط وصهيل : أى أهل إبل وخيل •

* « أطم » يقال : تأطم السيل : ارتفعت أمواجه ، والنار : ارتفع لهبها ، و (تأطم) على فلان : تطاول فى غضبه •

◄

---

(١) فى الاساس عيصك منك وان كان أشبا •
(٢) زيادة من الاساس •
(٣) وفى الاصل : موشب •
(٤) هو نصيب الاصغر ، كما فى الاساس .
(٥) فى الاصل كالاضاءة
(٦) فى الاصل إطاو بالواو •

* « أف » : ركب يافوخ فلان : اذا غلبه، وضرب يافوخ الليل : اذا سار فى أوله .

* « أفق » يقال : فلان فائق آفق (١) : أى غالب فى فضله، وقد أفق على غيره . وفرس آفق : رائع، وشربت الابل حتى امتدت أفقتها : أى جلودها .

* « أفك » أرض مأفوكة مجدودة من المطر والنبات . وسنة أفكة : أى مجدبة .

* « أك » فلان أكل غنمى وشربها ، وكذا مالى : أى فرقه (٢) .

وجرح بآكلة اللحم : أى السكين . وأكلت أظفاره الحجارة . وفلان ذو أُكلة وهى الغيبة وآكل بين القوم : أفسد . وأكلت النار الحطب: أفنته . واستأكلت النار : اشتد التهابها (٣) وتأكل السيف : توهج من البريق . وكذا تأكل الاثمد والفضة المذابة وكل ماله بصيص. وفى المثل : مأكول حِمْير خير من آكلها : أى رعيتها خير من واليها . وفلان من ذوى الآكال : أى من أهل المرباع (٤) وَأَكّلتك فلانا : أمكنتك منه قال الشاعر

فان كنت مأكولا فكن خير آكل (٥)

وقال آخر :(٦)

[فى المثل] : لا آكلك ولا أؤكلك غيرى .. وفلان يستأكل القوم: يأكل أموالهم، وحديث يأكل الأحاديث . وَتَأَكّل جسده : به أكلة . وهم أكلة رأس : أى قليل . وانقطع أكله : مات . وثوب ذو أكل : صفيق . وفلان كثير الأكل من الدنيا: أى كثير الحظ . وأكل البعير روقه (٧) : اذا هرم وتحاتت أسنانه .

* « أكم » لاتَبُلْ على أَكَمَة : أى لا تنشر سرك .

* « أمر » مُهرة مأمورة : أى كثيرة النتاج وما فى الركيّة تامور : أى ماء.

* « أمّ » تقول : من أم مثواك : أى صاحبة منزلك . وبلغت الشجة أمّ الدماغ

وهى الجلدة التى تجمعه . وشجة آمّة ومأمومة (٨) . ورجل أميم ، وقد أمّه بالعصا. ويقال للمجرة : أمّ النجوم . وفلان من أمهات الخير : أى أصوله .

* « أمن » ويقال : فرس أمين القوى ، وناقة أمون : أى قوية مأمون فتورها

أعطيت فلانا من آمن مالى : أى من نفيسه . جعلنا حَرَمًا آمِنًا : ذا أمن .

---

(١) فى الاصل آنق آفق ، وفى الاساس فائق آفق .

(٢) فى الاساس : أى أطعمه الناس .

(٣) فى الاساس : اشتد لهبها .

(٤) من أهل المرباع أى من السادات .

(٥) القائل هو الممزق ، وعجز البيت : وإلا فأدركنى ولما أُمَزّق .

(٦) القائل هو النعمان .

(٧) فى الاساس ، الاكمة : المكان المرتفع ، وتمام المثل : ولا تفش سرك الى آمَة .

(٨) أنكر ذلك على بن حمزة ، وقال : انما الامة الشجة ، والمأمومة : أم الدماغ المشجوجة ، كما فى لسان العرب ، وراجع الاساس ص ٢١ هامش .

* « أنث » فلان مخنث مؤنث ، وسيف أنيث ومئنات ومئناثة (١) ويقال : أَنَّثْتَ فى أمرك تأنيثا : أى لان • وأرض أنيثة : رخوة •

* « أنس » يقال ، جارية أنيسة : طيبة النفس والحديث ، وفلان ابن أنس فلان : أى خليله الخاص به • ويطلق ابن الأنس على النفس • وباتت (٢) الأنيسة أنيسة : أى النار وهى المؤنسة • والمؤنسات : للسلاح (٣) وكتب بإنسيّ القلم • وإنسِيّ الدابة ضد وحشيها (٤) •

* « أنف » هو أَنف قومه ، وأنف الجبل ، وأنف اللحية ، وأنف عمله • وسار فى أنف الذ وكان ذلك على أنف الدهر •

ويقال : (٥) كأس أُنُف ، روض أنف ، وجارية أنف : لم تحض (٦) • وأتيته آنفا • ومضت آنفة الشباب • وفلان يتأنف الاخوان : أى يطلبهم [آنفين] لم يعاشروا أحدا • واستأنف الشىء وأتنفه • ونصل مؤنف : محدد • وفلان يتبع أنفه : أى يتشمم •

* « أنق » هو يتأنق فى عمله وفى كلامه : أى يتبع الأينق وهو الأحسن •

* « أود » آدنى (٧) هذا الأمر : بلغ منى الجهد • وآد الفىء : انثنى ، وآد العشىّ (٨)

* « أور » كاد يغشى عليه من الأوار : أى العطش ، وبالمطى أوار ، ورجل أوارىّ : شديد العطش •

* « أول » فلان يؤول الى كرم ، ومَالَكَ يؤول الى كفيل (٩) : اذا انضم واجتمع • وأحسن تأويلا : أى عاقبة • وتأولت فيه الخير: توسمته • والآلة الحدباء : النعش : (١٠) ••

* « أهل » فلان أهل لكذا • وقد استأهل له ، وهو مستأهل له • وسمعت أهل الحجاز يستعملونه كثيرا •

* « أيد » انه لأيِّدُ الغَداء والعشاء: اذا كان يكثر • وقد آدت ضيافته (١١) •

انتهى حرف الالف

توفيق محمد شاهين

---

(١) فى الاصل : وميتايف وميتاشه •
(٢) فى الاصل : وبانت الاتية أنيسة ، وهو تحريف •
(٣) أى لبس السلاح ، لانه يؤنس بحملة •
(٤) فى الاصل : ضد وحشتها •
(٥) عد هذا فى الاساس من المشتق من المجاز •
(٦) فى الاساس : لم تطمث • وفى القاموس المحيط : أنفت المرأة : حملت فلم تشته شيئا •
(٧) فى الاصل : أودى هذا الامر •
(٨) أى انثنى ورجع •
(٩) فى الاساس ومالك تؤول الى كتفيك اذا انضم اليها واجتمع •
(١٠) فى الاصل : النعس بالسين •
(١١) فى الاصل : وقد آديه ضيافته •

كيف يستقبل العارفون العيد ؟

وردت كلمة العيد فى القرآن الكريم مرة واحدة ، فى قوله تعالى فى سورة المائدة على لسان عيسى بن مريم – عليه السلام – : « اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

وألقى اللغويون الضوء على معنى كلمة العيد ، ومنهم أخذ المفسرون ، فقد جاء فى تفسير القرطبى :

قال الجوهرى : العيد أصله من عاد يعود أى رجع ، فهوعود بالواو ،فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وقيل ليوم الفطر والأضحى عيدا لأنهما يعودان كل سنة .

وقال الخليل : العيد كل يوم يجمع الناس كأنهم عادوا اليه .

وقال ابن الأنبارى : سمى العيد عيدا للعود فى المرح والفرح ، فهو يوم سرور الخلق كلهم ألا ترى أن المسجونين فى ذلك اليوم لا يطالبون ولا يعاقبون ولايصاد الوحش ولا الطير ، ولاتنفذ الصبيان الى المكاتب ؟

وقيل : سمى عيدا لان كل انسان يعود الى قدر منزلته ، ألاترى الى اختلاف ملابسهم وهيئاتهم ومآكلهم ، فمنهم من يضيف ومنهم من يضاف ، ومنهم من يَرحم ومنهم من يُرْحَم .

وقيل : سمى بذلك لأنه يوم شريف تشبيها « بالعيد » وهو فحل كريم مشهور عند العرب وينسبون اليه ، فيقال : ابل عيدية ، قال الشاعر وهو رذاذ الكلبى :

ظلت تجوب بها البلدان ناجية
عيديّة أُرهنت فيها الدنانير

قال ابن منظور فى اللسان : وبنو العيد حى تنسب اليه هذه النوق العيدية . وفى اللسان كذلك : العيد – أيضا – شجر جبلى ينبت عيدانا نحو الذراع ، أغبر لاورق له ولا نَوْر ، كثير اللحاء والعقد ، يضمد بلحائه الجرح الطرى فيلتئم ، ووجه الشبه هنا أن العيد يكفكف دموع المحزون ، ويلأم جراح المنكوب ، ويرسم البسمة على الشفاه ، ويضع الفرحة فى القلوب ، ويفرج كربة المكروب .

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

ويجمع العيد على أعياد لا أعواد ، مخالفة للقياس ، وهو فى ذلك ليس مثل ريح التى تجمع على أرواح ومخالفة القياس فيه مراعاة للبدل لا الأصل ، وللتفرقة بين جمع عيد وجمع عود الخشب •

وقد يكون اشتقاق العيد من العادة لاعتياد الناس له ، والعادة فيها معنى العود أيضا ، لأن الانسان يعود الى ما اعتاده دائما •

الفرح والعيد :

والفرح يصحب العيد كما فهم من التفسيرات السابقة ، وان كان ابن منظور يعزو الى الأزهرى : أن العيد عند العرب الوقت الذى يعود فيه الفرح والحزن — على السواء • الا أن الناس جروا من قديم الزمان على أن يجتمعوا فى العيد للفرح والمرح واللعب ، وعلى أن يجتمعوا فى المأتم للحزن واجترار الآلام •

وربما جرى تناوب فى الألفاظ ، فقد يستعمل المأتم فى اجتماع مفرح كما قال أبوحية النمرى :

رمته أناة من ربيعة عامر
نؤوم الضحا فى مأتم أى مأتم

-سياق يقتضى هنا أن المأتم يسوده الفرح لا الحزن •

وارتباط العيد بالفرح فى اذهان الناس خاصتهم وعامتهم ، هو الذى يلزمهم بالاستعداد لاستقباله استعدادا اجتماعيا يظهر فى اعداد ما يليق به من زينة ومتاع وتوسعة على الأهل والولد والأقربين ، واستعدادا نفسيا يبدو فى التخفف من المتاعب والأعباء ومحاولة نسيان الآلام والأحزان • حتى اننا نرى شاعرا مبدعا كالمتنبى يئس لأنه لم يستطع أن يعد نفسه لاستقبال العيد فى مصر بما ينبغى له من بشر وتفاؤل ، فقد حالت همومه التى ناء بها بينه وبين رؤية العيد على حقيقته ، فكتب قصيدته المشهورة التى هجا فيها كافورا الاخشيدى ونجا بنفسه

عيد بأية حال عدت ياعيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم
فليت دونك بيدا دونها بيد
لم يترك الدهر من قلبى ولا كبدى
شيئا تتيمه عين ولا جيد

لقد امتلأ قلبه بالحزن وانشغل عقله بالهم فلم يعد يخرجه منهما تلك الاستعدادات الضخمه التى تموج بها البلاد وتضطرب بها الأنحاء — ومصر منذ قديم الزمان تجرى فى احتفالاتها بالمناسبات المختلفة على غير قياس فحق له أن يقول :

اصخرة انا مالى لا تحركنى
هذى المدام ولا هذى الأغاريد ؟

مشروعية الاحتفال بالعيد

أما احتفال المسلمين بالعيد فأمر شرعه الله تعالى ، وأوجبه على نحو يربط الانسان بخالقه ويذكره بنعمته ،ويجعله ينساق مع فطرته الانسانية مع تعديل طيب لمسيرتها ، فقد أوجب عليه الفرح والابتهاج فى هذا اليوم وأوجب عليه أن يشرك معه غيره فيه دون افراط أو اسراف.

ومشروعية الابتهاج بالعيد يترجمها الحديث الشريف الذى ورد فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، ورواه ابو داود عن أنس — رضى الله عنه — قال : « قدم رسول ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : ان الله قد أبدلكما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر ».

وجاء فى صحيح مسلم عن أم عطية — رضى الله عنها — قالت : « أَمَرَ — تعنى رسول الله ﷺ أن تخرج فى العيد العواتق وذوات الخدور ، وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين » .

وروى مسلم عنها أيضا . قالت : « أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن فى الفطر والأضحى ، العواتق والحيض وذوات الخدور فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين . قلت : يارسول الله ، إحدانا لا يكون لها جلباب ،قال : لتلبسها أختها جلبابها » .

ان ذلك يدل على حرص النبى ﷺ على ألا يحرم أحد حقه فى الاحتفال بالعيد وشهود بهجته والمشاركة فى وجوه البر ونفحات الخير التى يفيضها الله على عباده فى هذا اليوم المشهود .

وأعظم احتفال بالعيد فى شريعة الاسلام الاجتماعية والانسانية والروحية يكون بصلاة العيد فى مكان جامع ، يحتشد فيه المسلمون، ويلتقون مع اشراقة اليوم بوجوه مشرقة وقلوب مبتهجة وآمال متفتحة ، يكبرون ويهللون ، ويشهدون الصلاة ويستمعون الى خطبة تذكرهم وتعظهم وتوقظ وجدانهم وتحيى نفوسهم ، ثم ينصرفون من طريق غير الذى جاءوا منه لتشهد لهم الطرق وتسعد بهم الأماكن .

وفى هذا اليوم المشهود يسعد الناس بعضهم ببعض . ويتناسون الاحقاد ويجددون الصلات ويصلون الارحام ويتزأورون ويتهادون.

اللهو البرىء :

واللهو البرىء مباح فى هذا اليوم طالما لايجر الى منكر ولا يتعدى الى قبيح .

روى مسلم فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث . قالت : وليستا بمغنيتين . فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ . وذلك فى يوم عيد — فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا »

وروى عنها أيضا قال : قالت عائشة — رضى الله عنها — : جاء حبش يزفنون — يرقصون —

فى يوم عيد فى المسجد ، فدعانى النبى ﷺ ، فوضعت رأسى على منكبه ، فجعلت أنظر الى لعبهم ، حتى كنت أنا التى أنصرف عن النظر اليهم » .

وأخرج عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : « بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم ، اذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى الى الحصباء يحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ : دعهم ياعمر . »

ابتهاج الصوفية بالعيد :

والصوفية يبتهجون بالعيد شأنهم فى ذلك شأن الصادقين من المسلمين ، وهم ينظرون فى هذا الابتهاج الى قوله تعالى « **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** » يونس ٥٨ ، وهم يقفون فى مقام الاحسان الذى ورد تفسيره فى الحديث المشهور « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

انهم يرون فى العيد معنى تجلى الله سبحانه وتعالى على عباده بالرحمة السابغة والفضل العميم ، وهم فى عبادتهم يفطنون الى أسرارها العميقة التى تكمن فيها ، فاذا كان الصوم لله — كما يقول الحديث القدسى — وهو يجزى به ، فمقتضى ذلك عندهم شهود الاخلاص فيه وقطع العلائق النفسية ومراعاة حق العبودية فاذا جاء العيد بعده شهدوا معه قبول صومهم عند الله ، فكان فرحهم بذلك القبول واجتيازهم اختبار الله اياهم بالنجاح .

وكذلك الامر بالنسبة للعيد الأكبر ، فالحج عندهم حسن القصد والالتجاء وصدق النية فى التلبية والتجرد والتضحية وأداء المناسك المختلفة فى الحج .فاذا تحقق ذلك من العبد **فمن حقه أن يفرح بقربه من ربه وفوزه بما صح له من قبول نسكه وصدق قصده وشعوره** بجمال القرب وحنان الرب ، اليس هو ضيف الله وفى جوار بيته الذى من دخله كان آمنا ؟ وهو اذا لم يكن حاجا فانه مستشعر — بمشاركته الوجدانية الصادقة وتعاطفه مع اخوانه المؤمنين — فيض الرحمة الالهية التى يلمسها المخلصون من عباد الله ، فيفرح بنعمة الله ويسعد بالفوز برضاه .

ان العيد الحقيقى فى نظر هؤلاء العارفين يكون فى التيقن برضاء الله عنهم وتوفيقه لهم، يروى السلمى فى طبقات الصوفية أن أبا بكر الشبلى — وهو من أئمة الصوفية توفى سنة ٣٣٤ هـ **رئى فى يوم عيد خارجا من المصلى وهو يقول :**

اذا ماكنت لى عيدا
فما أصنع بالعيد ؟
جرى حبك فى قلبى
كمجرى الماء فى العود

ان ما يشغله هو معرفة الله ، وشعوره بقربه هو ذلك العيد الذى يملأ كيانه ويشغل وجدانه ، ومظهر فرحه بالعيد لم يكن فى اعداد الطعام والشراب وزينة الثياب (١) — كما

---

(١) وهى أمور مرغوب فيها شرعا أيضا اذا تمت بحسن قصد دون اسراف أو مخيلة .

كيف يستقبل العارفون العيد

يفعل سواد الناس ، ولكن فرحه أكبر من ذلك كله ، ولذلك حق له أن يقول :

فذكرك — سيدى — أكلى وشربى
ووجهك — ان رأيت — شفاء دائى

فاستقبال العارفين للعيد يحكمه معرفتهم بالله وشوقهم اليه واجتهادهم فى تحقيق رضاه همهم كله تحرى رضا الله فى أوامره ونواهيه ، والركون الي حكمه فى الاعطاء والمنع والسعة والضيق . وفى رسالة القشيرى أبيات للأديب الصوفى «ابى على الروذبارى» المتوفى بمصر سنة ٣٢٢ تشير الى هذا المعنى الذى يعيشون فى ظله .

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه
فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما
قلب يرى الفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به
يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت يا أملى
والعيد ماكنت لى مرأى ومستمعا

ان فرحهم الحقيقى فى طاعة الله وسعادتهم العظمى فى سكونهم لحكم القضاء.

أما فرحهم بالطاعة فله معنى دقيق وفهم عميق ، يترجمه « ابن عطاء الله السكندرى » فى حكمة من حكمه حيث يقول : « لاتفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك » ان هذه الحكمة ترجمة صادقة لقوله تعالى : « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا .. »

والذائقون يفرحون بالطاعات من ثلاثة أوجه — كما يقول الشيخ زروق شارح الحكم — :

فرح بها من حيث ما يرجى من ثوابها أو يخشى من عقاب فواتها .

وفرح بها من حيث وجودها وظهورها على يديه لتزكيته بها .

وفرح بها من حيث ان الحق ذكره بالتوفيق لها ومن عليه بوجود تحصيلها مع تحصيل العبودية وامتثال الأمر بها .

وهذا الوجه الأخير أفضل مما سبقه ، وما سبقه أفضل مما قبله ، لأن الوجه الأول فيه رائحة الاعتماد على العمل ، وهو من أصول الغلل — أى الاعتماد على العمل وحده دون نظر الى فضل الله ورحمته —

لقد أدرك الصوفية حسن توفيق الله لهم حيث وجههم الى سلوك الطريق المؤدى الى معرفته ، وفطنهم الى التمرس بما يؤدى الى فهم اسرار ما تعبدهم به ، فكان حقا عليهم أن يشتد فرحهم بنفحات الله التى ينثرها الله على عباده فى الأيام المباركات ، وليس عجيبا بعد ذلك أن نسمع أحدهم يقول :

نحن فى لذة لو أدركها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

٤

أبو حيان التوحيدي

رجل جنى عليه فكره

للدكتور حامد إبراهيم الخطيب

لقد أنهينا مقالنا السابق بتساؤل ، يقول : أكان التوحيدى حقودا ؟

وهل الحقد يكون محمودا ؟ .

ونجيب عن **الأول بأنـا لم نر ــ نحن ــ** أبا حيان كذلك أبداً ، **وإن أكد وصفه بالحقد** غيرنا من القدماء والمحدثين (١) ، **ولئن لمح** فيه شىء من ذلك لقد خلقه لديه **المتعنتون خلقا** ، وحملوه عليه حملا ، **ويمكنك أن تستشف** ذلك من خلال ما رأيت من **مواقفه مع الصاحب** ابن عباد ، وما سوف ترى **لـه من مـواقف أخرى مع الصاحب أيضا وابنى العميد .**

ونجيب عن الثانى بالمأثور عن القدماء ، وما ساق التوحيدى فى كتابه « مثالب الوزيرين » .

أراد يحى بن خالد أن يضع من عبد الملك ليرضى الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك ، بلغنى أنك حقود ! فقال عبد الملك : أيها الوزير ، ان كان الحقد هو بقاء الشر والخير ، انهما لباقيان فى قلبى : فقال الرشيد : تالله ما رأيت أحدا احتج للحقد بأحسن مما احتج به عبد الملك .

وقد مدح ابن الرومى الحقد ، وأخذ هذا المعنى من قول عبد الملك ، وزاد فيه ، فقال لعائب عابه بذلك :

لئن كنت فى حفظى لما هو مودع
من الخير والشر انتحيت على عرضى

◄

(١) انظر ما كتبه ياقوت الحموى نقلا عمن وصفوه بذلك ، وطبقات السبكى ، والسندوبى فى المقابسات و د . بدوى طبانه فى الصاحب بن عباد ، د. زكى مبارك فى النثر الفنى . وغيرهم.

لما عبتني الا بفضل ابانة
وَرُبَّ امرىء يزرى على خلق محض

ولا عيب أن تجزى القروض بمثلها
بل العيب أن تدان دينا ولا تقضى

وخير سجيات الرجال سجية
توفيك ما تسدى من القرض بالقرض

اذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع
من البذر فيها فهى ناهيك من أرض

ولولا الحقود المستكنات لم يكن
لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض

وما الحقد الا توأم الشكر فى الفتى
وبعض السجايا ينتمين الى بعض

فحيث ترى حقدا على ذى اساءة
فثم ترى شكوا على حسن القرض (١)

وقال يحيى بن خالد لعبد الملك أيضا : ان خصالك كاملة سوى حقد فيك ، فقال : أنا خزانة تحفظ الخير والشر (١) .

وروى الصولى عن أبى العيناء ، قال : لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته ، فاستحسن خطابى ، وقال : يامحمد ، بلغنى أن فيك شرا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه ، والمسىء باساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية « نعم العبد انه أواب » وقال فى الذم : « هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم » فذمه الله تعالى حتى قذفه ، وقد قال الشاعر :

اذا أنا بالمعروف لم أثن دائبا
ولم أذمم الجبس (٢) اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق لى الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب ، يلسع النبى والذمى بطبع لا يتميز ، فقد صان الله عبدك عن ذلك (٣) .

وهذه المعانى برمتها لم تغب عن ذاكرة التوحيدى ، فقد سجل منها كثيرا فى كتابه « مثالب الوزيرين » ، ومنه قوله :

« ولم صنف الناس المناقب والمثالب ؟ ولم نشروا أحاديث الكرام واللئام ؟ » .

وكثير من الناس ــ عافاك الله ــ لا غيبة لهم ، أوفى غيبتهم أجر ، وقد وقع فى الخبر عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذره الناس .

وحدثنا بركان الصوفى ، قال : ذم بشر الحافى بخيلا ثم قال : ان البخيل لاغيبة له ، قيل : وكيف ؟ قال : لقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : يابنى سلمة ، من سيدكم؟ قالوا : الحبر بن قيس على بخل فيه . قال : فأى داء أدوى من البخل ؟ فذكره وليس هو بالحضرة (٤) .

ثم قال : من لم يذمم المسىء لم يحمد المحسن ، ومن لم يعرف للاساءة مضضا لم تجد عنده للاحسان موقعا (٤) .

---

(١) الحصرى ــ زهر الآداب ٣/٦٧٩ ، ٦٨٠ ط السعادة ، ١/٢٩٠ من أمالى المرتضى ط الحلبى .
(٢) الجبس : الجبان الفدم .
(٣) ١/٢٩٩ أمالى المرتضى .
(٤) مثالب الوزيرين ٣٣ ، ٣٧ .

..وبعد فحمد المحسن وذم المسىء أمران جاريان على مر الزمان منذ خلق الله الخلق ، وعلى ذلك يجرى الى أن يأذن بفنائه ، وهو — عز وجل — أول من حمد وذم ، وشكر ولام ألا تراه كيف وصف بعض عباده عند رضاه عنه ، فقال : **نعم العبد انه أواب** (١) وقال فى آخر : « **انه كان صادق الوعد** » (٢) وعلى هذا فانه أكثر من أن نبلغ آخره ، ثم انظر كيف وصف آخر عند سخطه عليه وكراهته لما كان منه فقال : « **هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم** » (٣) وهذا فوق ما يقول مخلوق فى مخلوق (٤) . وفى الجملة . من جهل حقك فليس يلزمك أن تعترف له بحقه ، ومن لم ينظر فيما لك عليه لم يجب عليك أن تنظر فيما له عليك ، وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا خير لك فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

ولكن . كيف اتصل بابنى العميد والصاحب ؟

ولم وضع كتابا مستقلا فى ثلبهم ؟

لقد عرفت أن التوحيدى كان ضنك العيش ضيق اليد ،مظلوما محارفا (٦) ، والانسان — لا شك — مطبوع على أن يستشرف أفقا أرحب ، وعيشا أهنأ ، وصاحبنا انسان ، دفعه تطلعه يوما الى أن يذهب الى الوزير المهلبى (٧) ، ولكن الوزير هذا لم ترقه أفكار أبى حيان الجريئة ، والتى وصلته مزيدة ومشوهة ، فغضب عليه بشدة ونفاه (٨) ، رغم أنه كان يشرب ويتماجن (٩) ، لكنه رغم ذلك — كان قاسيا عنيفا على ذوى البدع والانحرافات (١٠) ، ورغم أن التوحيدى يكثر من ذكر المهلبى ، فان حقيقة صلته به ، ومدتها وكيفية انتهائها ينتابها غموض كثيف (١١) .

ومهما يكن ، فقد خلص نجيا ، ولم ييأس من ان ينال حظا خيرا مما هو فيه ، وفى تلك الآونة كان ابن العميد : أبو الفضل عين المشرق ، ولسان الجبل ، ..فانتجعه الشعراء والأدباء من كل صوب ، وساقوا اليه جياد المدائح ، وورد عليه أبو الطيب المتنبى ، ومدحه بغرر القصيد (١٢) . وبعد الغضبة المهلبية التى خالها أخذت عليه أقطار الحياة ، وجعلته متوجسا يتوقع الموت بين الفينة والفينة ، تراءى له أن يذهب الى الرى ، يطلب

---

(١) ص ٤٤ .

(٢) مريم ٥٤ .

(٣) القلم ١٣ .

(٤) ٤٧ مثالب الوزيرين .

(٥) ٦٥ مثالب الوزيرين .

* من حقك أيها القارىء أن ترى هذا نقلا مطولا ، ومن حقنا أن نقول : لقد أردنا أن نزيدك من نفحات التراث ، عساك تقرأ وتتصل .

(٦) المحارف : المحدود المحروم .

(٧) هو الحسن بن محمد الوزير المهلبى من ولد المهلب بن أبى صفرة ولد سنة ٢٩١ وتوفى سنة ٣٥٢ هـ ١١٨/١ معجم الادباء .

(٨) ٢٨٧/٥ طبقات الشافعية الكبرى ، ٢٦٩/٦ لسان الميزان .

(٩) ٣٢/١ الاغانى ط الهيئة سنة ١٩٧٠ .

(١٠) ص ١٨ ، ١٩ أبو حيان للدكتور الكيلانى .

(١١) المرجع والصفحة .

(١٢) ٦٠/٤ النجوم الزاهرة ١٧٧/٣ يتيمة الدهر ، ١٩٧/٤ وفيات الاعيان .

رفد ابن العميد ، ولا غرو ، فقد تسمع أنباءه وأغرى بأخباره التى كانت فى أوجها وهو فى أوجه ، فوصل اليه ، وصدم بما لم يكن يتحسبه ، فقد شاهد رجلا غريبا صائما فى عشية من عشايا رمضان وقت الافطار يخرجه أعوان أبى الفضل (١) ، كذلك شاهد محنة شاعر مجيد يمدحه أمام الحضور ، ويبثه حاله البائس وينظم ذلك فى رائعة ، يقول فيها :

برح اشتياق وادكار
ولهيب انفاس حرار
ومدامع عبراتها
ترفض عن نوم مطار
لم يبق لى عيش يلذ سوى معاقرة العقار
أحيا بألحان قمرت بهن ألحان القمارى
واذا استهل ابن العميد تضاءلت ديم القطار
فكأنما زفت مواهبه بأمواج البحار
وكأننا مما تفرق راحتاه فى نثار
ان الكبار من الامور تنال بالهمم الكبار

والى أبى الفضل اتبعت هواجس النفس السوارى •

ولكن صلة ابن العميد تأخرت ، فشفع الشاعر هذى القصيدة بقصيدة أخرى وأتبعها برقعة فلم يزدد الا اهمالا ، ثم أدخل عليه يوم خميس ، وهو فى مجلس حافل بأعيان الدولة ، ثم وقف بين يديه ، وقال : أيها الرئيس انى لزمتك لزوم الظل ، وذللت لك ذل النعل ، وأكلت النوى المحرق ، انتظارا لصلتك ، والله ما بى من الحرمان ، ولكن شماتة الأعداء ، وهم قوم نصحونى فأغششتهم ، وصدقونى فاتهمتهم ، فبأى وجه ألقاهم ، وبأى حجة أقاومهم ، ولم احصل من مديح بعد مديح ، ومن نثر بعد نظم ، الا على ندم مؤلم ، ويأس مسقم ، فان كان للنجاح علامة فأين هى ؟ وما هى الا أن الذين تجسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك ، وأن الذين هجوا كانوا مثلك ، فزاحم بمناكبك أعظمهم شأنا ، وأنورهم شعاعا ، وأمدهم باعا ، وأشرفهم بقاعا •

فحار رشد ابن العميد ، ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه ، وقال : هذا وقت يضيق عن الاطالة منك فى الاستزادة ، وعن الاطالة منى فى المعذرة ، واذا تواهبنا مادفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه ••(٢) وخرج الشاعر بعد أن حدث ما استثار ابن العميد ، حتى قال له : لست ولى نعمتى فأحتملك ، ولا صنيعتى فأغضى عنك •• (٢) ، فلما سكت عن ابن العميد الغضب ، التمسه ليعتذر اليه ، فانما غاض فى سمع الأرض وبصرها ، فكانت حسرة فى قلب ابن العميد الى أن مات (٢) •

---

(١) ٢٣٨ مثالب الوزيرين ، ٢/ ١٥٤ معاهد التنصيص •

(٢) ٤/١٩٧ وما بعدها من وفيات الاعيان ، ١٩٦/٢ وما بعدها من النثر الفنى ، ص ٣٣٤ من مثالب الوزيرين ، ١٥٦ : ١٥٩ من الصبح المبنى للبديعى ــ ومعنى قول ابن العميد : واذا تواهبنا ••• الخ : ان ابن العميد اذا تنازل عن موقفه من ابن نباتة وحرمانه ، وتنازل ابن نباتة عن الحاحه ، فى الطلب ، استأنف كل منهما ما يجعل الموقف محمودا ، فيعطى ابن العميد ، ويرضى ابن نباتة ــ ص ١٥٨ هامش الصبح المنبى •

ولقد عرض الدكتور « زكى مبارك » لهذه القصة ،وذكر ما قاله ابن خلكان من أن التوحيدى نسب القصيدة والحوار الى شاعر من الكرخ ، وأن غيره نسبها لابن نباتة .
والذى يهمنا تعليق الدكتور الذى يقول فيه : اننا نجزم جزما قاطعا بأن هذا المجلس الذى نقلناه آنفا من صنع التوحيدى ، ولا يضيرنا أن النسبة لم تصح بطريقة علمية ، فاننا نعرف التوحيدى معرفة قوية ، لطول ما صحبناه (١) وعاشرناه ، ولو ألقيت جملة من كلامه فى أكداس من الأوراق لميزناها لأول نظرة ، فليكن الشاعر من يكون ،وليكن المخاطب من يكون ، فان واضع المجلس هو التوحيدى على كل حال ، ولا يبقى الا أن نرجح انه أداره على ابن العميد لا على غيره ، لأن هذه الحفيظة من التوحيدى ما كانت لتثور فى هذه القوة على رئيس غير ابن العميد الذى شغل بثلبه وتجريحه حينا من الزمان (٢) .

وهذا كلام يصدق بعضه ، وينهار بعضه الآخر !

أما الصادق ، فكون كلام أبى حيان يميز من بين الأكداس ، لأنه — كما قلنا — له سماته التى تجعله متميزا ومتفردا .

وأما ما ينهار فما عدا ذلك ، لأن القصة لا تعدو أن تكون اتهاما بالبخل والشح لابن العميد ، وليس من الصواب أن تكذب تكذيبا مطلقا ،فقد يكون ابن العميد على جانب من ذلك ، بل ثبت أنه كذلك ، وقد يعتريه ما يعترى الانسان من تقلب المزاج ، وهذا الخبر الذى ساقه التوحيدى له نظائر ، ولم يشر اليها أبو حيان، ولكن الفكرة المسبقة ، والمتأثرة باتهامات معاصرى التوحيدى — والمعاصرة حجاب أو حرمان — من أنه وضاع مختلق ، وكذاب ملفق ، وليس هو كذلك فى الحقيقة ، ذلك التأثر بما قيل ، وتلك الفكرة المكونة سلفا ، هى هى ما جعلت كل شىء يصدره الرجل محل شك وتردد ، والا ، فلم لم يكن للدكتور زكى مبارك مثل ذلك الرأى فيما أورده الثعالبى المعاصر للتوحيدى وابن العميد ونقله الدكتور نصا فى نثره الفنى ؟ . قال الثعالبى : « وحدثنى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسى النحوى ، قال : سمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا اذ ذاك فى ريعان الشباب ، فلما تقوض المجلس ، وانصرف القوم ، وقد حل الافطار ، نكرت ذلك فيما بينى وبين نفسى ، واستقبحت اغفاله الأمر بتفطير الحاضرين ، مع وفور رياسته ، واتساع حاله ، واعتقدت أن لا أخل به اذا قمت يوما مقامه (٣) . فمضمون قول

---

(١) نسوق هنا تعليقا طريفا لاستاذنا الشيخ عبد الظاهر — عافاه الله — على كلمة مبارك : لا أنازعك فى ادعاء صحبته ومعاشرته طويلا ، ولكن لا أستطيع ارغام نفسى على تصديقك فى أنك تعرفه ، وأنك قادر على تمييز كلامه لاول نظرة ، لان الرجل لم يكن يقرض الشعر ، ولم يرو له شىء منه فى أى كتاب من كتبه أو كتب سواه ، فماذا أجدت عليك صحبته ومعاشرته ؟

(٢) ٢/ ١٩٦ ، ١٩٩ النثر الفنى .

(٣) ١٧٢/٣ من يتيمة الدهر ، ٢٤٣/٢ النثر الفنى .

الصاحب هذا ، هو مضمون ما قرره التوحيدى ولكن الأمر على حد قول عبد الله بن معاوية ابن جعفر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدى المساويا

أما أنا فمازلت أقول : ان الرجل قد ظلم بشدة فى كثير من الامور ، وان فكرة الغرام بثلب الكرام ربما أتى بها التنافس والصراع بين النظراء ، فألصقت به الصاقا ، وربما أتى بها احساسه الدائم بأنه محسود محارف منكود .

ومهما يكن فقد رأى التوحيدى بخلا فى ابن العميد لم يكن يتوقعه ، فتركه موليا ، ثم أخذ يترصد أخباره ،ويضم ما يسمع الى ما رأى عيانا ، ومن خلال هذا وذاك تكون عنده ما حدابه أن يسلكه فى سلك الصاحب ، وأن يثلبه معه فى « مثالب الوزيرين » وأن يصوب اليه مقذع الهجو ، ومؤلم الكلام .

وكان التوحيدى فى تلك الأثناء يعرف ابن العميد أبا الفتح قبل أن يتقلد الوزارة ، وحين « كان مقتبل الشباب ، قليل التجارب ، غير مفكر فى العواقب » (١) وعرفه بعد تقلد الوزارة ، اذ « كان شابا ذكيا متحركا ،حسن الشعر ، مليح الكتابة ، كثير المحاسن ، ولم يظهر كل ما فى نفسه ، لقصر أيامه ،واشتعال دولته ، وطفوها بسرعة (٢) . ولأن التوحيدى قد ألم الماما بسيرة ذى الكفايتين وأخباره ، لم يجد ياقوت الحموى مايترجم به أوفى مما سجله أبو حيان حيث وجد فى ذلك وصفا ضافيا لأبى الفتح بن العميد .

ولقد مدح التوحيدى فيه ذكاءه وكرمه ، وحسن تأتيه فى المنادمة ، ثم عاد فوضعه مع أبيه فى قرن ، فذم فيه السفه والطيش وقلة التجارب ، والفقر فى الكياسة ، وسياسة الكبار من الامور ، وذلك ما أودى بحياته ، وحياة كثير من المقربين . ،

واذا اتسم اتصال التوحيدى بأبى الفضل ابن العميد بقصر المدة ، وقلة الاختبار عن كثب ، فقد كان اتصاله بأبى الفتح — فيما يبدو — طويل الأمد ، قصير الأمل ، فقد قدم اتصاله هذا برسالة مطولة كثرت الأقوال حولها ، وكانت سببا — كما ألمعنا — فى تنكر الصاحب وقلب ظهر المجن له ، وقد نشرت هذه الرسالة مرة على أنها مثال للأدب العالى ، والنسج الرفيع (٣) ووضعت مرة أخرى ضمن ما وصم به من الخسة والدناءة ، ومن التملق والتهافت المقيت (٤) .

ومهما يكن من شىء ، فقد كان حظه كما عهده ، ضد ورد ،وخيبة وحرمان ، ورغم أن هذه الرسالة قد أجراها على نمط أساليب عصره السائدة المدوحة — رغم بغضه وكرهه

(١) ١٩١/١٤ وما بعدها . معجم الادباء
(٢) ٢٣/١٤ المرجع ، ٦ ، ٤ اخلاق الوزيرين .
(٣) ص ٣٣٤ من دائرة المعارف الاسلامية ، ص ٤٦٢ من عصر الدول د. شوقى ضيف ، ص ١٧٧ من . أبو حيان د . عبد الواحد الشيخ .
(٤) ص ٢٦ من أبو حيان د . محيى الدين ، ص ١٠٨ مقدمة المقابسات للسندوبى .

لها ــ فقد أثارت حوله زوابع مآخذ ، ولنا على ذلك تحليل ورد ، ليس هنا موطنه ، ولكن نسوق أنموذجا ، قال فى افتتاحها :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم هيء لى من أمرى رشدا ، ووفقنى لمرضاتك أبدا ، ولا تجعل الحرمان على رصدا، وأقول : ــ وخير القول ما انعقد بالصواب ، وخير الصواب ما تضمن الصدق ، وخير الصدق ما جلب النفع ، وخير النفع ما تعلق بالمزيد ••• ، ثم أخذ فى وصف أبى الفتح وامتداحه •

وقد عقب السندوبى على الرسالة بقوله : « ما أشبه هذه الرسالة الا بالرقى والتمائم، وهى بالخب والاستغفال أشبه منها بالجد فى حسن السؤال ••• » (١)

ووافقه الدكتور عبد الرزاق محيى الدين ، مع تخالف فى التعبير ، فقال : « وأقول : ان أبا الفتح ما انخدع ، ولا استغفل بهذه الرسالة ،وقد بدت له ناحية الضعف فى نفس منشئها ، فكانت من بواعث خيبته وحرمانه ، حتى حرم عليه الأجر والشكر » (٢) •

ولكن لعلك على ذكر من الاسباب التى ارتأيناها ، وكانت هى أس الابعاد والحرمان، ونرجح مع الطنجى أن هذه الرسالة أبدت لابن العميد شخصية أديب واسع الثقافة ، أكسبته صلته بالناس ــ على اختلاف طبقاتهم ، ومشاركته لهم فى حياتهم ،يخبرها وينفذ الى أعماقها ــ تجربة واسعة ، ناقد مر، لا تكاد عينه تخطىء مواطن النقص ، ذى حس مرهف ، ينفعل لأخف المؤثرات ، ويسجل أسرع الحركات وأخفاها ، مع قدرة لغوية فائقة تسعفه على نقل أحاسيسه نحو الناس .ــ مهما دقت ــ فى غاية من الوضوح والصفاء ، ومثل ابن العميد فطنة وذكاء لا يخفى عليه شىء من ذلك ، ورجل تلك صفاته ــ كالتوحيدى ــ لو مكن لأمكنه أن يتصدر ،ويتأخر كثيرون • واذا ثبت حرمان التوحيدى من رفد ابنى العميد ، واذا تأكد لديه أنهما يضمران له كل ما يسد عليه طريق مكان يستأهله ، فقد استأهلا منه ما وصمهما به فى « أخلاق الوزيرين » •

واذ يئس من مكرمة ينالها من أبى الفضل العميد ، وكان على شاكلته ابنه، فقد سمع صاحبنا ــ كما سمع غيره ــ أنباء الصاحب بن عباد ، وكيف يهب ويعطى ، فذهب اليه وجميعه آمال ، وكان أمله الأكبر أن يترك عنده حرفة النسخ والكتابة ، تلك التى تقضى على البصر والعمر ، فماذا كان ؟؟

يتبع

د / حامد ابراهيم الخطيب

---

(١) ١٠٨ مقدمة المقابسات •

(٢) ٤١ أبو حيان التوحيدى •

٢

من قضايا الأدب والنقد

شعراء النقائض

وخصومات جادة

فى مقالى السابق عرفت بشعراء النقائض وعرضت رأى من يقول بأن النقائض لم تكن قائمة على خصومة جادة وانما كانت للترفيه والتسلية ، ثم نقدت ما روى من أن جريرا والفرزدق كانا متصافيين وأن جريرا رثى الفرزدق عندما مات رثاء حارا واستكمل الآن مناقشة تلك الدعاوى فأقول وبالله التوفيق :

أما القول بأن تلك الخصومة ليست جادة « لأنها لو كانت كذلك لشهرت معها السيوف وبخاصة عندما يأخذ جرير والفرزدق فى قذف نساء العشائر والأمهات والأخوات كما يقول الكاتب الكبير .

فليس الامر كذلك والحقيقة :

أن جريرا كان ينال من نساء مجاشع ويتهمهن بكل كبيرة ، كما كان الفرزدق يصنع نفس الصنيع ولا يتورع عن مأثمة أو كيد ، والمتتبع لقصائد الشاعرين الكبيرين يرى هذه الحقيقة دون أدنى عناء ، واذن فلا داعى لشهر السيوف مادام كل منهما يأتى ما يأتيه خصمه من قذف وافحاش .

وارجع ان شئت الى قصيدة جرير التى قدمت ذكرها قبل فستراه يذكر جعثن أخت الفرزدق كما يذكر الرباب احدى نساء مجاشع رهطه أيضا ويتهمها ويرميها زورا كما قدمت ، ويرد عليه الفرزدق فيعيره بأمه ويرميها كما يذكره بيوم (أراب) ، وما حل فيه منهزيمة على رهط جرير بنى يربوع ، وقسم نساء قومه بين فرسانتغلب الغازين .

ولن أستطيع الاستشهاد الا بالنزر اليسير مثل قوله :

عوانى فى بنى جشم بن بكر
فقسمهن اذ بلغ ألايابا
نساءكن يوم اراب خلت
بعولتهن تبتدر الشعابا

---

(١) النقائض ص ١٨٠ وما قبلها جـ ٢ .

للدكتور محمد عرفه المغربي

ثم يعيره بلؤم قومه وجبن عشيرته جميعاً.

ومادام كل من الشاعرين ينال من خصمه ويسقيه من نفس الكأس فلا داعي حينئذ لشهر السيوف أو حمل السلاح .

وبقيت مسألة هينة تتمثل فى قول كاتبنا الكبير :

أما العوامل الاجتماعية فمردها الى حاجة المجتمع العربى خاصة فى البصرة الى ضرب من الملاهى يقطع به الناس أوقاتهم الطويلة ودائما حين تنشأ المدن تنشأ معها أوقات فراغ تبعث أهلها على أن يملئوها اما بالدرس والنظر العقلى واما بلهو يختلفون اليه وفعلا نهضت دراسات دينية وعقلية مختلفة ، وكان لابد أن ينشأ بجانبها نوع من أنواع الملاهى يجد فيه الفارغون من العمل تسليتهم ... وكانت قبائل العراق شديدة الصلة بحياتها البدوية القديمة وأخذت نيران الهجاء تشتعل فيها اشتعالا شديدا (١) .

وهنا مسألتان :

الأولى : تتعلق بحياة المدن الجديدة التى نشأت فى الاسلام وما كان فيها من لهو وفراغ كان شعراء النقائض وسيلة القضاء عليه بشعرهم الذى لا يمثل جدا خالصا ، وانما هو وسيلة تسلية وترفيه — كما يقول الكاتب !!

ونحن نعلم من تاريخ البصرة والكوفة أنهما بنيتا فى عهد عمر رضى الله عنه وبأمره وأن الخليفة قصد ببناء البصرة فى ذلك الموضع أن تكون مركزا للجيش العربى لأنه وجدها بقعة غربية من النهر تشرف على السهول والوادى الخصيب وتقرب من المشارف والمراعى (٢).

ويروى الطبرى أن عمر رضى الله عنه قال لعتبة بن غزوان الذى قام بأمر بناء البصرة وكان اسمها أرض الهند :

ياعتبة انى استعملتك على أرض الهند وهى حومة من حومة العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها (٣) .

فلم يكن هناك كبير فراغ ، وكانت الحرب دائرة بين المسلمين وبين أعدائهم فى شرق الدولة وشمالها وغربها طيلة حكم الأمويين .

فلم يكن هناك ما ذكره الكاتب من فراغ وملاه وتسلية وترفيه .

أما الأخرى : فهى ما ذكره الكاتب من أن نيران الهجاء أخذت تشتعل فيها اشتعالا شديدا لشدة صلة قبائل العراق بحياتها البدوية القديمة .

وهذا كلام أرتضيه تماما اذ يتسق مع

(١) تاريخ الادب العربى — العصر الاسلامى ص ٢٤١ بتصرف يسير .

(٢) الحياة الادبية فى البصرة الى نهاية القرن الثانى الهجرى للدكتور أحمد كمال زكى ص ٢١ .

(٣) تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٥٩٣ .

ما أقوله من أن الهجاء بين شعراء النقائض يمثل خصومة جادة وليس ضربا من التسلية والترفيه فهو حجة لى كما أنه يتنافى مع ما يقوله كاتبه قبله تماما •

وتبقى دلائل الخصومة بين الشاعرين ولعل من أوضح الأدلة على أن ما بين الشاعرين كان خصومة جادة ولم يكن مجرد لهو وتسلية هذه التسمية نفسها •

أن تلك التسمية لما صدر عنهما من شعر لا تكون الا فى حال الخصومة الأصيلة والعداء الحقيقى ، فلم يسم الرواة وعلماء اللغة ما جمعوه من شعر فى هذا المجال هجاء مثل ما يكون عادة شعرا للتعبير عما فى النفس من غضب عارض أو خصومة وقتية سريعة ، وانما اختار أبو عبيدة لما جمعه من شعر جرير والفرزدق والأخطل والراعى ونحوهم اسم « النقائض » التى سبق أنها تدل على التقويض والهدم ، ونكث الأمر وذلك لا يكون الا فى الخصومة الشديدة ، ولا يكون من باب التسلية والترفيه •

وقد كانت الخصومة عنيفة بين مشركى مكة وبين الرسول الكريم وسائر المسلمين وبخاصة عندما بدأ القتال بين الفريقين بعد الهجرة ومن هنا كانت النقائض بين الفريقين تعبيرا عن تلك الخصومة الجادة العنيفة تلك التى أورد ابن هشام فى السيرة النبوية الكثير من أخبارها وما قيل فيها من كلا الفريقين •

وارجع الى سيرة ابن هشام لترى كثيرا من النقائض بين المسلمين والمشركين بسبب ذلك العداء بين الفريقين •

وعندما بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عبد المطلب فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، الا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم بينهم ، فكان أول سهم رمى به فى الاسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، وانحاز الى المسلمين المقداد ابن عمرو حليف بنى زهرة وعتبة بن غزوان المازنى وكانا مسلمين وكان على المشركين عكرمة بن أبى جهل •

حينئذ استشعر المسلمون القوة والحماسة وقال شاعرهم :

ترى من لؤى فرقة لا يصدها ... عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

رسول أتاهم صادق فتكذبوا ... عليه وقالوا : لست فينا بماكث

اذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا ... وهروا هرير المحجرات اللواهث

الى أن يقول :

لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم ... ولست اذا آليت قولا بحانث

ليبتدرنهم غارات ذات مصدق ... تحرم أطهار النساء الطوامث

ويجيبه عبد الله بن الزبعرى (١) فيقول :

ومن عجب الأيام والدهر كله ... له عجب ما سابقات وحادث

(١) بكسر الزاى وفتح الباء وتسكين العين وفتح الراء •

لجيش أتانا ذى عرام يقوده
عبيدة يدعى فى الهياج ابن حارث
لنترك أصناما بمكة عكفا
مواريث مورث كريم كوارث
فلما لقيناهم بسمر ردينة
وجرد عتاق فى العجاج لواهث
نقيم بها اصعار من كان مائلا
ونشفى الذحول عاجلا غير لابث
فكفوا على خوف شديد وهيبة
وأعجبهم أمر لهم أمر رائث (١)

فهذا الشعر الذى قيل والنفوس تتأجج بالكراهية بين المسلمين والمشركين هو النقائض وهى لا تكون الا فى مثل هذه الحالات التى تدفع الى قتال شديد كالذى كان بعدها فى بدر وما بعد بدر من غزوات •

ففى هذا دليل على أن النقائض لا تكون تسلية وملهاة للعاطلين فى البصرة أو فى الكوفة بحال من الأحوال •

ومما يؤكد أن النقائض كانت جدا خالصا وخصومة حقيقية موقف والى البصرة :خالد الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الذى وليها لابن الزبير من سنة ٦٥ : ٦٧ هـ وكان يلقب بالقباع وقد رأى فى تلك الخصومات سببا للشغب بين قبيلة (دارم) رهط جرير و «مجاشع » رهط الفرزدق والعجيب أن الأستاذ الدكتور عرض لشىء مما كان من هذا الوالى وذكر أنه كان يتوعد جريرا على الاستمرار فى الهجاء مع الفرزدق لما يثيران من عصبيات القبائل ، فالرواة يروون أنهما لما تواقفا بالمربد فى ولايته أرسل اليهما عباد بن الحصين فهدم دارهما وطلبهما وذكرا ذلك فى نقيضتين لهما يقول الفرزدق فى أولاهما :

أحارث دارى مرتين هدمتها
وكنت ابن أخت لا تخاف غوائله

ويقول جرير فى ثانيتهما :

وما فى كتاب الله هدم بيوتنا
كتهديم ماخور خبيث مداخله (٢)

ولم يذكر الأستاذ الدكتور أن هذا الوالى حبس جريرا وهرب منه الفرزدق بسبب تلك الخصومة المحتدمة •

يقول أبو عبيدة :

لما واقف جرير الفرزدق بالمربد طلبا ، فهرب الفرزدق وأخذ جرير فحبس وأخذت نوار بنت أعين امرأة الفرزدق فحبست كما حبس جرير فزاد جرير فى قصيدة له :

فباتت نوار القين وخوا حقابها
تنازع ساقى ساقها حلق الحجل
تقبح ريح القين لما تناولت
مقذ هجان اذ تساوفه فحل

فأقسمت ما لاقيت قبلى من الهوى
وأقسمت ما لاقيت من ذكر مثلى

أبا خالد أبليت حزما وسؤددا
وكل امرىء مثنى عليه بما يبلى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق د• محمد فهمى السرجانى ج ٢ ص ١٦٩ وما قبلها ولم أنسب القصيدة الاولى لانها نسبت الى أبى بكر رضى الله عنه ثم شكك المؤلف فى هذه النسبة •

(٢) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ط دار المعارف ص ١٧٦ •

أبا خالد لا تشمتن أعاديا
يودون لو زلت بمهلكة نعلى

وكان والى أهل البصرة (١)

والقدر الذى نقله الاستاذ الدكتور عن مصادره يدل قطعا على احساس الوالى وخوفه من فتنة عارمة بين بطون (تميم) فى البصرة قد تمتد الى غيرها من الامصار ولهذا أمر بهدم داريهما ، وليس هذا جزاء من يقصد الى التسلية والترفيه بلامراء •

وأما القدر الذى نقلته عن النقائض فانه يؤكد هذا المعنى والسجن رادع عن الاستمرار فى تلك الخصومة الجادة ، والوالى لم يسجن جريرا وحده بعد أن هرب الفرزدق وانما بالغ فسجن النوار زوجة الفرزدق وذلك أدل على ما نقول • ولو كانت الخصومة تمثيلا للتسلية لما تمادى جرير ونال من النوار فى قصيدته ورماها معيرا لها بالقيد والمبيت فى السجن واقبالها عليه بالهوى والمودة حيث لا مجال لهذا اللهو ، ولكنه يريد المبالغة فى الكيد لخصمه اللدود ثم أقبل على الوالى فى ضراعة حتى لا يشمت به خصومه والشامتين فيه ، وهم بلا شك من يذكرهم فى نقائضه وأهاجيه •

ولعل من أبلغ الأدلة على أن النقائض كانت عداء خالصا ما تناولته من موضوعات ، ذلك أنها بالغت أى مبالغة فى النيل من الخصوم ورميهم بكل قبيحة ، والصاق العورات بهم ان حقا وان باطلا •

وقد لا نستطيع الاستشهاد على ذلك فى يسر اذ أن كثيرا من الشعر فى هذا المجال لا يستسيغه ذوقنا المعاصر الذى ينفر من الفحش الى حد كبير ، وحسبك أن تعلم أن جريرا نال من جعثن أخت الفرزدق ورماها بالفاحشة وكرر هذا المعنى فى كثير من قصائده

وانظر أبياته التى ترد بعد هذا البيت فى ديوانه :

وما لاقيت ويلك من كريم
ينام كما تنام على التراب (٢)

لنتأكد من افحاش جرير الذى وصف بأنه كان عفا والحقيقة أنه من أبعد الناس عن العفة والاعتدال •

وهذا الغلو فى النيل من خصومه دليل قوى على أن الأمر جد محض لا تسلية فيه ولا ترفيه ، ولا سيما اذا قال جرير اليربوعى — فى الفرزدق المجاشعى وكلاهما — كما أسلفت — من تميم •

محمد عرفه المغربى

(١) النقائض بين جرير والفرزدق جـ ١ ص ١٥٣ وما قبلها •
الحجل : القيد ، والمقذ خلف الاذن ، والهجان الابيض ، تساوفه : تشامه وأراد بالفحل نفسه •
(٢) ديوان جرير ط دار المعارف جـ ٢ ص ٨٢٨ •

٤

الاعلام الاسلامى
الأسس والمبادئ

للاستاذ حسن على محمد العنبسى

* **عود على بدء : —**

قدمنا فى الحلقات الماضية عرضا لبحوث الاعلام الاسلامى ، وأسباب تأخر هذه الدراسات ، ثم قدمنا توضيحا لمفهوم الاعلام الاسلامى ، وفى الحلقة الثالثة قدمنا توضيحا لبعض الاستفهامات التى طرحها القراء ، ونأتى فى هذه الحلقة الى الأسس والمبادىء العامة فى الاعلام الاسلامى ، ونحن فى هذا الجانب لن نتحدث عن أخلاقيات العمل الاعلامى وانما سنركز الجهد حول العملية الاتصالية نفسها وفقا للقيم والمعايير والمبادىء الاسلامية وبما يخدم العمل الاعلامى نفسه .. !!

* وحسبنا أن نعلم أن الاعلام الاسلامى مثله الاعلى فى « التأثير » و « التوصيل » ، القرآن الكريم فانه رسالة اعلامية ، وان الاعلامى المسلم مثله الأعلى — فى عمله وفى أخلاقه — النبى — صلى الله عليه وسلم — ، فقد كان قرآنا يمشى على الأرض .

* والمتأمل للقرآن الكريم ، وللسيرة النبوية ، وسيرة التابعين ، سيقف على لباب النجاح فى الاتصال بالجماهير ، وعلى جوهر النجاح فى « التأثير » ، وهو الأساس فى أية رسالة اعلامية لذا نقول لرجل الاعلام .

اذا أردت النجاح — وهو حلم رجال الاعلام فى التوصل الى الجماهير — فعليك بالقرآن الكريم وبنهج محمد صلى الله عليه وسلم معلما وقدوة ونحن لن نزيد على أن نجلو لك ما تيسر لنا فهمه من حقائق اعلامية فى كتاب الله الكريم ثم نقدم لك هذا كله فى ضوء أحدث الدراسات الاعلامية وبحوث الاتصال ، وبهذا نقف معا على الخير هنا .. وهناك .

*** أسس ومبادىء اعلامية فى القرآن الكريم:**

١ ــ المكى والمدنى من آى القرآن فى ضوء المنطق الاعلامى العام والخاص فى بحوث الاعلام : ــ

القرآن الكريم يخاطب العامة من الناس ويخاطب الخاصة فيجد فيه كل بغيته ولقد كان بدء نزول القرآن بمكة ، ثم كانت الهجرة مع استمرار التنزيل المبارك ، أثناءها ومن بعدها بالمدينة . وكان من الطبيعى أن تكون بعض موضوعات القرآن بالمدينة غيرها فى مكة فقد كثر التشريع بالمدينة ، مع استمرار الاهتمام بأصول الرسالة .

كان القرآن الكريم ــ فى مكة ــ يركز على العقيدة الخالصة مبينا فساد غيرها من العقائد سواء : كانت دهرية تنكر الألوهية ، أو كانت مشركة تتدعى أكثر من اله ، أو كانت وثنية تعبد من دون الله زلفى اليه . وفساد هذه العقائد الثلاث يعنى التنديد بوسائلها أيضا ، ومن هنا كانت حملة القرآن الكريم على العادات السيئة والتقاليد الآثمة المنتشرة فى هذا الوسط .

ومع هذه القضايا الأساسية عنى القرآن ــ فى مكة أيضا ــ باهتمامات الناس وأسلوب معاشهم وتاريخهم فخاطبهم فى أمور حياتهم ، وحدثهم عن رحلتى : الشتاء والصيف ، وحادث الفيل ذكرا بنعمة الله عليهم .

ثم لنا أن نلحظ بعد ذلك « التكنيكات » التى استخدمها القرآن فى عرض هذه القضايا قضية « التوحيد » مثلا :

يقدمها القرآن الكريم مرة فى قالب قصصى أخاذ فى حديثه عن الأمم الغابرة وتكذيبها الرسل ، وجهاد أنبيائها بالاقناع فى أدب جم بالغ .

وتارة يقدمها فى شكل توجيه مباشر .

وثالثة بضرب الأمثال ... الى غير ذلك وكم يستحثهم عقليا ونفسيا بالقاء الأسئلة عليهم استحثاثا يملى عليهم وجوب التفكير حتى أبرز فى النهاية خلوهم من النصفة واستمساكهم بالعناد فحقت عليهم لعنة الله.

والاعلامى المسلم عليه أن يتأمل هذه الجوانب بعين الباحث ، فاذا كان طلاب الاعلام يدرسون « الحملات الاعلامية » لتقديم الموضوع الواحد فى أكثر من شكل اعلامى ، وبأكثر من وسيلة ،وفى أكثر من مناسبة ، فان مما يزيد من فاعلية الرسالة أن تقدم فى توقيتات معينة ، وأماكن بعينها .

ومن السيرة النبوية الشريفة نرى ذلك واضحا :

نرى كيف كانت « أيام الحج » فرصة ذهبية للدعوة ... وأتت بثمارها على سنواتها المتتاليات .. ألم تكن سببا فى انتشار الاسلام بالمدينة .. حتى قبل أن تأتيها أعداد المهاجرين ؟

وكان الحرم ، وبعض الأماكن العامة ، أماكن « استراتيجية » طرقها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاذا عدنا الى المكى والمدنى فى الكتاب العزيز ، وأمعنا النظر فى التعريفات الخاصة به أعطانا جوانب فى الاعلام ــ جديرة بالاهتمام من الباحث الاعلامى المسلم وما من شك أن وجهات النظر فى المكى والمدنى وما

وما يتصل بها من الاهتمام بالمكان من مكة الى المدينة ... كل ذلك له عطاؤه الذى يوضح لنا الى أى مدى يؤثر أحد أركان العملية الاتصالية فى تكوين الرسالة الاعلامية نفسها.

وليس من شك فى أن للمكان وهو — بيئة الاتصال — دورا أساسيا فى أسلوب العرض ، والموضوعات التى تثار فيه ، وأنت تجد أيضا جمهور « المدينة المنورة » غير جمهور مكة ، كل هذه أمور لها وزنها وقيمتها فيما نحن بصدده من دراسات الاعلام ،فليس من شك فى أن خصائص المكان والجمهور تستتبع اعداد اللون الاعلامى المعين بما تقتضيه هذه الأحوال .

ونلاحظ أن الكتاب العزيز خاطب العرب بلسان عربى مبين ، ومن رائع بيانه قوله — عز وجل: « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ » لذلك يطرق آذانهم بما علموه من أساليبهم فهو يعبر عن « العام » بالألفاظ التى وضعها العرب لافادة الشمول والاستغراق كلفظ « كل » و « جميع » و « كافة » .

وبالنكرة فى سياق النفى ... الخ

قال تعالى :

« كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ » البقرة ١١٦

« هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا » البقرة (٢٩)

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ » سبأ (٢٨)

« وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ » الحجر (٢١) .

وليس ذلك كل ما هنالك من أساليب ، فان القرآن أوعب وأشمل من ذلك ، انما أردت ذكر شىء يعين الباحث الاعلامى على فهم « المحتوى » من حيث هو « رسالة اعلامية » يرغب الباحث فى بناء رسائله على نسق يماثل هذا النسق القرآنى مع اختلاف الموضوع والظروف وهنا موطن الاستفادة .

* والمنطق الاعلامى يتحدد فى (المرتكزات الاعلامية) التى يضيفها الاعلام الاسلامى فى شكل رسائل اعلامية موجهة الى مستقبل الرسالة الاعلامية ، ولهذا أمكن التوصل الى المنطق الاعلامى الخاص بالمشركين أو غيرهم بالرجوع الى المرتكزات المنطقية الواردة فى سياق الآيات ولهذا تبدو أهمية معرفة المكى والمدنى فى القرآن ، فاذا كان من الواضح أن القرآن بهذا له منطق خاص بكل قطاع من الجماهير ، فانه كذلك لهمنطق عام ، وهذا المنطق نراه يتطور من وقت لآخر وفقا لمقتضيات الظروف ولأحوال الناس ، ولامتلاك زمام المبادرة من الاعلام المضاد .

كذلك تلاحظ أن القرآن الكريم اذا توجه الى الناس كان للجملة بناء معينا وللصياغة شكلا معينا ، واذا توجه الى المؤمنين كان له ايقاع وصور تختلف عن اللون السابق ، فان لكل مقام مقال .

— مصادر اسلامية :

١ — د. صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن (دار العلم للملايين — ط تاسعة) ١٦٧٧ .

٢ — الامام محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى (القرآن) دار الفكر العربى ط ١٩٧٧ .

٣ — د. أحمد بدوى : من بلاغة القرآن .

٤ — الشيخ محمود شلتوت : الى القرآن الكريم ، الهلال ، العدد ٢٩١ .

٥ — الشيخ محمد حسنين مخلوف : صفوة البيان لمعانى القرآن ، ط. الامارات .

٦ — محمد فريد وجدى : المصحف المفسر .

٧ — محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ط. المنار .

٨ — الامام السيوطى : أسباب النزول ، مطبعة نصير .

قضية البعث الإسلامي
المنهج والشروط

تأليف وحيد الدين خان
ترجمة محسن عثمان الندوى

فى عدد « شهر رمضان ١٤٠٥ هـ » عرضنا للمقالة الأولى عن هذا الكتاب الذى قلنا عنه : انه مجموعة من المحاضرات كان قد أعدها المؤلف لالقائها فى المركز الاسلامى الذى أقيم قرب نيروبى فى أفريقيا الوسطى .

وقد ذكرنا أنه على الرغم من أن الكتاب مجموعة من المحاضرات ، الا أنه كما قال مؤلفه يدور حول محور واحد ، هو أن البعث الاسلامى الجديد ، يقتضى منا الآن العقل المفكر ، والتخطيط الصائب ، والعمل الجاد ، وليس الأعمال التافهة ، ولا مجرد الآمال العريضة ، والأمانى الفارغة .

وقد عرض المقال السابق لموضوعين فى الكتاب هما : الفكر وكيف يكون واعيا ومنهجيا صحيحا . والدعوة الاسلامية وكيف ينبغى أن تقصر على التعريف بالاسلام والحياة الايمانية .

ومع بيان وجهة نظر المؤلف ، فقد أخذنا عليه تقليله من أهمية الجانب المادى الذى يصاحب الدعوة ، وبينا كيف جانبه الصواب حين أراد ان يقصر الدعوة على جانب الاصلاح فحسب ، دون أن تلجأ الى القوة اذا احتاجت اليها لرد غائلة المعتدين ، ظانا أن ذلك شأنه أن يجور على حقيقة الدعوة الى الله .. وفى هذا المقال نسير مع المؤلف فى موضوعات كتابه الباقية .

— ١ —

فى اطار الحديث عن الاسلام ، وتحت عنوان « الاسلام يغلب » يتابع المؤلف عرض فكرته ، التى كانت موضع مؤاخذة المقال السابق ، ونراه يلح الحاحا كثيرا فى سبيل تأكيدها وتأصيلها وترسيخ جذورها .

عرض وتعليق:
د. طه مصطفى أبو كريشة

** فى صدر هذا الموضوع يقول المؤلف ان البعث الاسلامى الجديد ليس أمرا هينا يحدث بحركات سياسية عشوائية طائشة، وانما هو قضية مقاومة لاستبداد الكفر وسيطرة الشرك، انه تحويل الحضارة الغالبة عن مكانها القيادى، واحلال حضارتنا الاسلامية (المغلوبة) فى مكان القيادة .. لكن كيف تتم المقاومة، وكيف يتم التحويل؟ هل باعداد وتخطيط يقوم به المسلمون، أو بأمر آخر؟

يجيب المؤلف عن هذا السؤال الوارد بقوله: «ان المسلمين لا يمكن أن يحققوا النصر فى هذا العصر، ومع هذا الوضع العالمى المعروف بجهودهم فقط، فمعونة الله هى الكفيلة بتحقيق النصر».

فما المعونة التى يعنيها هنا؟ يقول «ان خالق الأرض والسموات لن يتركنا وحدنا، ولسوف يعيننا اذا استحققنا نصره، بالرياح والعواصف التى تهب لتقتلع خيام الاعداء، وتمهد الطريق للملة الاسلامية. ولسوف ينزل الله المطر من السماء ليغمر الأرض بالخصوبة التى تيسر الوسائل الصحيحة للحياة فى جانب، بينما تحدث زلزلة تندثر بها مرتفعات، وترتفع منحدرات فى جانب آخر، ولسوف ينزل الله الأمن على جيشنا المسلم، وينزل رعبا على الجيش غير المسلم، عندما تدور رحى الحرب، وبهذه الأمداد الالهية بلغ الركب الاسلامى غاياته المنشودة فى عهده الأول، ولن يبلغها فى الوقت الحاضر الا بعودة هذه المعونة الالهية» (٦٠)

ومعونة الله تعالى بالصورة التى يشاؤها سبحانه، ليست موضع جدال أو مناقشة، لكن الذى نسأل عنه هو: لمن هذه المعونة الالهية؟ هل هى للذين يكتفون بجهاد الصمت؟

هل هى للذين يكتفون بالقعود والتقاعس عن جهاد القوة انتظارا للمعجزات وخوارق العادات؟

ان هذا هو ما يفيده كلام المؤلف فى قوله «ولاستحقاق هذا النصر من السماء يجب أن يتميز المسلمون بميزة واضحة هى القيام بالدعوة الاسلامية والاصلاح الذاتى وتزكية النفس» (٦٠)

ثم لا شىء وراء ذلك من القيام بما يتطلبه الأمر للمسلمين باعداد القوة ما استطاعوا، وبالجهاد فى الله حق جهاده، وبقتالهم فى سبيل الله من يقاتلونهم دون أن يعتدوا.

هذا الاتجاه فى المقاومة الصامتة، ينصح به المؤلف أولئك الذين ابتلوا فى حاضرهم اليوم من المسلمين، بتسلط الأعداء عليهم فى بلادهم، وفى سذاجة ظاهرة، وربما فى جرأة بالغة نراه

يقول : « ان المسلمين يعيشون اليوم وفى كل العصور مع شعوب أخرى ، حيث تنهب جماعة جماعة أخرى ••• وان هذا التصارع يخلق مشكلات للمسلمين ، وفى كثير من الأحيان يتعرضون لاعتداءات جماعة أخرى غير مسلمة وينتج عن ذلك أن ثائرة المسلمين تثور ضد شعوب أخرى عندما يجدون أنفسهم فى خطر ، ويريدون الجهاد ضدهم ، ولكن اذا تأملنا فى هذه المسألة من المنظور القرآنى فسوف نجد حلا مختلفا عن الحل الذى يطرحه دعاة الثورة (يقصد بدعاة الثورة من يريدون الجهاد)•

فان القرآن يعلمنا أن الازمة مهما كانت جسيمة أو تعود بخسارة كبيرة فى الأموال والأرواح فان حلها هو بالدعوة الى الله (٦١) ويستدل على ذلك بقول الله تعالى « **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** » (المائدة ٦٧) ومعقبا عليه بقوله : « ان سر العصمة من الناس كامن فى الدعوة الى الله » وقد نسى المؤلف أو تناسى ــ لخدمة فكرته ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد جاهد أعداءه جهادا عمليا مبنيا على الاستعانة بوسائل القوة المادية ، حين تألب المشركون وحشدوا حشودهم ضد المسلمين ، واذا كان المؤلف قد قرأ هذا النداء الموجه من الله سبحانه وتعالى الى نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهل فات عليه أن يقرأ نداء آخر معه ، يجده فى قول الله تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** » التحريم (٩) •

** وفى سبيل تثبيت هذه الفكرة ، يستدل المؤلف بأحداث بعينها من التاريخ ، غاضا الطرف عن أحداث أخرى ، تنقض عليه مقدماته ونتائجه ومما استدل به ما كان من أمر المسلمين فى المدينة المنورة ، بعد أن هاجروا اليها من مكة ، ونتركه يعرض علينا استدلاله ، يقول « ولئن كانت الهجرة قد وفرت للمسلمين منطقة خاصة لهم ، فان أعداء الاسلام قد أججوا نيران الحرب من جديد ، مما أحدث للمسلمين وضعا خطرا جديدا ، وأصبح الاسلام محفوفا بالخطر حتى كاد الأعداء يطفئون نور الله بأفواههم ، ولكن القيام بواجب الدعوة قد فتح أبوابا جديدة للاسلام مرة أخرى ، وهذه الأبواب تتمثل فى صلح الحديبية الذى كان له فضل انهاء التنازع والتصارع والمصادمة (٦٣) •

فماذا عن غير « صلح الحديبية » من الغزوات التى واجه فيها المسلمون قوى الكفر ؟ لا شىء وكأن عشرات الشهداء الذين سبقوا صلح الحديبية لم يكن لهم أثر فى تثبيت دعائم الدعوة وفى فتح أبواب جديدة امام الاسلام ، لكنه النسيان أو التناسى المقصود من أجل خدمة فكرة بعينها •

ومثل ثان يستدل به المؤلف وصولا الى تلك الغاية ، وهو استنتاج مأخوذ مما حدث بعد فتح مكة ، فيما عرف « بغزوة حنين » ، وان كان المؤلف لم يأت بكلمة « غزوة » فى حديثه ، يقول « ولقد ظهرت بعد فتح مكة مسألة أخرى ، وهى مسألة ثقيف ، فقد كانت هذه

القبيلة متمردة جدا ، وكانت تعيش فى مدينة الطائف التى كانت محاطة بالجبال ، ولذلك كان من الصعب شن الهجوم على هذه المدينة ، ولم يكن الطريق الذى أخضع قبيلة ثقيف فى هذه الآونة الا طريق الدعوة ، فدخلت قبيلة هوازن فى الاسلام ، وكانت حليفة لقبيلة ثقيف ، ولما اعتنق جميع أفراد قبيلة هوازن الاسلام ، أحست ثقيف بأن أجنحتها قد تكسرت ، ولم يبق أمام أهلها مجال الا أن يذهبوا الى المدينة ويعتنقوا الاسلام .. وهكذا كان باب الطائف مغلقا أمام الحملة العسكرية ، ولكنه أصبح مفتوحا أمام زحف الدعوة الاسلامية » (٦٤) .

ماذا يقصد المؤلف من وراء سياق هذا المثل ؟ هل يريد أن يقول : ان اعداد الجيش الاسلامى ، والتقدم بالألوف من المسلمين نحو الطائف لم يكن له معنى ؟

هل يرى أن سبب الهزيمة التى لحقت بالمسلمين فى بادىء الأمر ، مرده الى لجوئهم الى القوة وتخليهم عن الدعوة ؟ ان مثل هذا الفهم عبث بالتاريخ ، وتشويه للحقائق وطمس لصفحات ناصعة من الجهاد الاسلامى.

ان على المؤلف أن يعود الى سورة التوبة من كتاب الله ، وأن يقرأ حديث القرآن الكريم عن يوم حنين ، ليقف على السبب ، ويقف على النتائج ، ويعرف موطن اللوم ، وكيف تحولت الهزيمة الى نصر مبين ، يقول الله تعالى : **«لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ»** التوبة (٢٥ — ٢٦) .

ثم يبقى علينا بعد ذلك أن نفهم كيف تحول الحال من الزحف العسكرى الى زحف الدعوة فى وقت واحد ، وفى لحظات سريعة متتابعة ، ليتم بعد ذلك تعذيب الذين كفروا ، ولينالوا جزاء مكرهم وتآمرهم . أليس هذا تحريفا للكلم عن مواضعه ؟

ومثل ثالث يأخذه المؤلف من القرون التالية ، ذلك حين غزا التتار مقر الخلافة العباسية فى بغداد ، وكان ما كان مما هو معروف فى التاريخ ان المؤلف يتجاوز الوقوف عند وقت الهزيمة ، الى وقت آخر بعده ، دخل فيه التتار الاسلام، ومن ثم أخذ يلتمس التعليل لهذا التحول بقوله : «فى هذه اللحظة الحاسمة كانت قوة الدعوة الاسلامية هى التى أصبحت سدا ضد سيل التتار ، فبدأت قلوب التتار تتفتح على الاسلام بعد هزيمة المسلمين العسكرية ... فكيف تحقق هذا النصر ؟ .

ان التاريخ ليقدم لنا ما تطمئن به قلوبنا ، وما يدلنا على كثير من الجهود التى قام بها رجال الله الصالحون لجذب قلوب هؤلاء التتار الى دعوة الاسلام ، غير أن الذى لاجدال فيه أن الانتصار على التتار لم يتحقق بالقوة العسكرية بل بفضل قوة الدعوة الاسلامية » (٦٥) .

ونعود فنسأل لماذا وقف المؤلف ليعلل سبب دخول التتار الاسلام ، رادا ذلك الى قوة الدعوة الاسلامية التى وجهت اليهم ، وليس الى قوة عسكرية منظورة ؟ ولماذا لم يقف قبل ذلك ليعلل سبب هزيمة المسلمين وهل كان السبب لتقصير فى مجال الدعوة ، أو لتقصير فى مجال اعداد القوة التى أمر المسلمون أن يكونوا قائمين عليها دائما ، والا كانوا مقصرين فى جانب كبير من جوانب دينهم : اننا نعلم ونؤمن أن القوة العسكرية ليست هى وحدها التى تملك الكلمة الفاصلة ،ولكننا نؤمن كذلك بأن اغفال القوة العسكرية فى أى صراع هو تفريط ان لم يكن خيانة لأمانة المسئولية الملقاة على عاتق ولاة الأمر نحو دينهم وأوطانهم •

ثم بعد ذلك نسائل الكاتب ، وماذا تقول فى انتصار جيش المسلمين المصرى على التتار فى عين جالوت ؟ هل كان نصر مبرأ من حساب القوة العسكرية ، أليس هذا النصر هو الذى رد هؤلاء الغازين على أعقابهم ، ومن بعده تحللت قواهم وانكسرت شوكتهم ، ونتيجة لذلك أخذوا يدرسون الاسلام ويفسحون له مكانا فى نفوسهم حتى اعتنقوه ؟

ويستطرد المؤلف من البحث عن الأدلة فى التاريخ الماضى ، ليأخذ الشواهد من التاريخ الحديث ، وفى ايجاز سريع يذكر تلك الظاهرة التى يرصدها من يعيشون العصر ، وهم يرون بأعينهم تزايد عدد الداخلين فى الاسلام •

وعن ذلك يقول : « بدأ المنبوذون والطبقات المستضعفة فى الهند ، وكثير من المفكرين الأوربيين يعتنقون الاسلام ، وبدأت الطبقة المثقفة اليابانية تميل الى الاسلام بسرعة ، واتجه السود فى أمريكا الى اعتناق الاسلام ، وبدأت القبائل المختلفة فى أفريقيا تلتف حول راية الاسلام زرافات ووحدانا ، كما اعتنق كثير من المثقفين فى كل بلد تقريبا الدين الاسلامي ، وكل هذا دون أن يبذل المسلمون أقل الجهد وأقل المال » (٧٠) •

وهذا فضل نحمد الله تعالى عليه ، لكن المؤلف انما يسوق هذه الظاهرة لكى يؤكد رأيه فى أن الاسلام ليس فى حاجة الى الجانب المادى المتمثل فى القوة وما يدور حولها ، كما تشير الى ذلك كلماته فى آخر الاقتباس السابق لماذا ؟ لأن هذه القوة لم تصنع أثرا واضحا حين استخدمها الحركات الاسلامية المعاصرة ، كأنه ينتظر من القوة أن تكره الناس على الدخول فى دين الاسلام ، وغفل عن أن هذا ليس أمرا واردا فى مجال الدعوة وانما الوارد هو تأمين الدعوة ، وحماية أتباعها ، ورد غائلة المعتدين •

وفى مجال الاستدلال على اخفاق القوة فى احداث الأثر الناجح حين استخدمت يقول المؤلف : « ما ان برزت مسألة الاستيلاء الغربى على الشرق الاسلامى ، حتى ظهرت فى العالم الاسلامى حركات كثيرة للدفاع عن الاسلام ، ولا تزال هذه الحركات باقية » ثم يقول : « لقد ذهبت جهود هذه الحركات أدراج الرياح ، وبالرغم من التضحيات الجمة

بالأموال والأرواح ، فلم يتمكن المسلمون من تحقيق النجاح حتى فى المستوى السياسى وهو تحقيق الوحدة السياسية العالمية بين المسلمين ... وقد بذل المسلمون فى سبيل التخلص من الاستعمار السياسى الغربى دماءهم وأموالهم وأنفسهم ونفائسهم بسخاء ، ولكن الواقع المرير هو أن الغرب حقق سيطرته عليهم مرة أخرى بمكره ودهائه عن طريق العلم والتكنولوجيا » (٦٩) .

لكن اذا كان الواقع فى النهاية كذلك ، فماذا كان على المسلمين أن يصنعوه من البداية ؟ هل كان عليهم أن يسكتوا ، وأن يخفضوا الرأس والجبين للصليبية الحديثة الغازية ، مادامت الأسباب لم تحقق النتائج المطلوبة وهل يدرى السائر فى أول الطريق أن النهاية ستكون على هذا النحو المرير ؟ ربما يدرى اذا كان على بصر بما اتخذه من وسائل ، وحينئذ لا نلومه لأنه سار فى طريق لابد من السير فيه ، وانما يكون موطن اللوم لأنه لم يعد للأمر عدته ، ولم يقف على أنسب الوسائل ، ولم يعمل حساب ما يعترضه من عثرات فى الطريق .

ثم لنا أن نتساءل مع هذا عن تسلط شرس موجود الآن فى بقاع متعددة من بقاع الأمة الاسلامية ، وهو تسلط من أمم تكن الحقد على الاسلام وتريد القضاء عليه ، وتعمل على مطاردتة فى بلادها وخارج بلادها ، وليس ذلك بالأمر الذى يخفى على أحد ، هل من المقبول على رأى المؤلف أن نوجه نداء الى المجاهدين فى تلك البقاع والبلاد ، يدعوهم الى الكف عن المقاومة الحربية ، وأن يلتزموا الصمت والسكوت انتظارا للمعجزات وخوارق العادات ، لأن الطريق الذى سلكوه لن يصل بهم الى شيء ، ولهم فى حركات أخرى مماثلة عظة وعبرة اذا كان على بصر بما اتخذه من وسائل ما نظن أن ذلك بالمنطق الذى يقبله أحد ، ولو أنهم صنعوا ذلك لما وجد الأعداء غنيمة باردة مثل هذه الغنيمة التى تقدم لهم فى لفائف حريرية ناعمة من الخضوع والخنوع !! .

يتبع

طه مصطفى أبو كريشة

من أعلام الأزهر
بقية

يرجعون اليه حين يجدون بعض الشبهات فيما يدرسون بأوربا من مسائل العلم الحديث :

وأذكر أن الأستاذ الدكتور ابراهيم سلامة عميد كلية دار العلوم الأسبق كان ذا اتصال علمي بالشيخ الدجوى ، اذ راسله فى مسائل كثيرة ،نذكر منها ما يدور حول حديث (كل مولود يولد على الفطرة) حيث تساءل الدكتور سلامة عن المراد بالفطرة ؟ وهل يصل الانسان الى الاسلام وان نشأ بعيدا عن محيطه ،فرد الأستاذ ردا مبسطا ملأه بالوقائع المشاهدة لدى الطفل ،فهو يدرك بالفطرة أن الجزء أقل من الكل بدليل أنه يفضل التفاحة كاملة عن الاكتفاء بنصفها ، ويعترف بعجزه أمام مالا يستطيع أن يفعله لقصوره الذاتى ، ويفرق بين الكذب والصدق اذ يتحاشى بفطرته أن يظهر أمام والده فى مظهر الكاذب ، ويعرف القبيح من الحسن قبل أن يلج حجرات الدراسة ليتعلم ، وهو بذلك كله لابد أن يعتقد أن لكل فعل فاعلا ، وأن الانسان لا يستطيع أن يوجد نفسه فلا بد له من خالق : وبهذا الاحساس صار الانسان قابلا لأن يكون أرفع المخلوقات فاذا تلقى تعاليم الاسلام مع سلامة فطرته وجدها تسير مع اتجاهه فى تيار واحد .فالفطرة فى الحديث النبوى وفى قول الله عز وجل « **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** » معناها قبول الانسان للحق ، واستعداده للدين الصحيح اذا ترك لطبيعته النقية ، لأن الاسلام يوائم ميوله الأصيلة كل المواءمة .

يقول الزمخشرى فى تفسير قول الله : « **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** » : أى ألزموا فطرة الله القابلة للتوحيد ودين الاسلام .

ويقول القسطلانى فى شرح الحديث « ان الفطرة هى الجبلة السليمة والطبع المهيىء لقبول الدين فلو ترك الانسان عليها لاستمر على لزومه » ثم ختم الأستاذ بحثه قائلا .

« والخلاصة أن هناك أمورا عامة تكفى فى الوصول اليها سلامة الفطرة ، واستعدادها الذى خلقت عليه ، وأن ماعدا هذه الأصول لابد لها من تعليم وتهذيب .

هذا وقد كان الباحث الكبير الأستاذ محمد أحمد جاد المولى كثير الاستشهاد بآراء العلامة الدجوى فى مسائل الأخلاق ، وبحوث السيرة النبوية ، يذكرها مع ما يختاره من الآراء القيمة لكبار المفكرين فى القديم والحديث ، اذ يجد فيها ما يقنع ويفيد .

يتبع

د . محمد رجب البيومى

أنباء وآراء

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
فؤاد السيد
عبد الفتاح السيد عبد السلام

مشاكل الدراسة بالأزهر وقانون التطوير

ناقش مجلس الشورى التقرير الذى أعدته لجنة الخدمات بالمجلس حول التعليم الجامعى فى مصر .

طالبه أعضاء المجلس باتخاذ خطوات عاجلة للقيام باصلاح جذرى فى مناهج وخطط المعاهد الأزهرية وتوفير الامكانات المادية لها .

وضرورة وقف قبول طلاب التعليم العام بالمعاهد الأزهرية الا اذا اجتازوا امتحانا خاصا فى الدراسات العربية والاسلامية وفى حفظ القرآن الكريم كله .

كما أشاروا الى أهمية توسيع قاعدة التعليم الأزهرى بالتعاون مع وزارة التعليم لاستيعاب الملزمين بالمرحلة الأولى .

وتطرقت مناقشات الأعضاء الى قانون تطوير الأزهر الذى صدر عام ١٩٦١ وطالب الأعضاء بوقفة تقويم للنتائج التى أسفر عنها قيام كليات التجارة والهندسة والزراعة والطب بعد مضى ربع قرن على انشائها ومدى تأثير قانون التطوير على قيام الأزهر برسالته باعتباره جامعة نوعية متخصصة فى تدريس العلوم الدينية والعربية وتخريج العلماء المتخصصين فى الدعوة الاسلامية والحفاظ على التراث الاسلامى .

الغاء الربا فى البنوك الباكستانية

صرح الشيخ محمد عبد القادر أزاد رئيس مجلس العلماء الباكستانى أن باكستان تستكمل تطبيق الشريعة الاسلامية ، حيث أتمت تطبيق ألف ومائة وخمسة عشر قانونا

اسلاميا فى المجالات الاقتصادية والقضائية والتعليمية .

وقال ان الحكومة الباكستانية قد ألغت التعامل بالربا فى جميع البنوك بما فيها الأجنبية داخل الأراضى الباكستانية .

وقال : ان باكستان قد اتجهت لتعليم اللغة العربية تعليما اجباريا فى المدارس والجامعات ونشر دروس اللغة العربية لعامة الباكستانيين عبر أجهزة الاعلام .

نقابة الأطباء فى مصر والربا ..وأطباء التعذيب

قرر مجلس نقابة الأطباء تحويل أموال النقابة من البنوك الربوية الى البنوك الاسلامية كما قرر احالة الأطباء المسئولين أو المتسترين على عمليات التعذيب داخل السجون والمعتقلات المصرية الى مجالس تأديبية .

مركز اسلامى للمعلومات

افتتح فى الرباط مؤخرا مركز اسلامى للمعلومات فى مقر منظمة العلوم والثقافة والتربية الاسلامية . وصرح مسئول فى المركز بانه سيخدم جميع الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى والمسلمين فى جميع دول العالم ويضم المركز الجديد معلومات واحصاءات حول الدول الاسلامية .

سوق اسلامية مشتركة

طالب الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف بانشاء سوق اسلامية مشتركة على غرار السوق الأوربية المشتركة .

وقال : ان المجموعة الاسلامية ومعظمها دول تنتمى الى العالم الثالث تواجه صعوبات فى نمو اقتصادها مما يتطلب الاسراع بانشاء هذه السوق .

مركز دولى للسنة النبوية

تقرر انشاء مركز دولى للسيرة والسنة النبوية يتبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ويرأسه فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر السابق . سيتولى المركز تجميع وتصنيف المخطوطات الاسلامية لكل فرع من فروع السنة والسيرة .

أكبر مشروع اسلامى فى البحرين

بدأت وزارة الاسكان بالبحرين تنفيذ المرحلة الأولى من بناء أكبر مشروع اسلامى فى تاريخها .

المشروع الجديد اسمه « بيت القرآن » ويضم مسجداً كبيرا ومكتبة اسلامية جامعة تحفظ أكثر من أربعين ألف مجلد وعددا من الوثائق والمخطوطات ، ومتحفا يضم خمس صالات . ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وقاعة كبرى للاجتماعات والمحاضرات والندوات .

الغاء العادات المنافية للاسلام فى ماليزيا

قررت وزارة الدفاع الماليزية الغاء العادات التى غرسها الاستعمار البريطانى فى الجيش والتى تعتبر منافية لتعاليم الاسلام ، وأكد محمد يوسف سكرتير عام الوزارة : أن الأجراس التى تدق بمناسبة الحداد وطلقات التحية للميت فى مراسم دفن الجنود المسلمين . وقال ان هذه القرارات تندرج فى اطار مشروعات الحكومة الماليزية لادخال القيم الاسلامية فى ادارة القوات المسلحة .
وأضاف قائلا :

ان المشروبات الكحولية لن تقدم الآن فى الاستقبالات الرسمية وان مقصف الضباط والجنود على جميع الرتب سيغلق يوم الجمعة وطوال شهر رمضان .

منهج لتدريس الطب الاسلامى

يقوم مركز الطب الاسلامى فى السعودية باجراء دراسات لاعداد مناهج لتدريس الطب الاسلامى ليكون ضمن مقررات الطب بالجامعات السعودية .

مركز طبى اسلامى يعالج بالطب النبوى

افتتح فى مصر أول مركز طبى اسلامى أنشأته جمعية الشبان المسلمين.

يعتمد المركز الجديد فى علاجه على الطب النبوى الذى كان متبعا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

الرسالة الاسلامية

تعد جمعية « الاعلام الاسلامى » بالمملكة الاردنية الهاشمية اصدار نشرة باللغة الانجليزية موجهة لغير المسلمين لتوضيح مفهوم الرسالة الاسلامية ، وأركان الاسلام الأساسية .

دورة تدريبية للمدرسين بأمريكا الشمالية

أكد الاتحاد الاسلامى بأمريكا الشمالية ضرورة التركيز على القيام بحملة توعية بين صفوف الآباء والأمهات ليساهموا بقسط كبير فى برامج التربية الاسلامية .

وكان الاتحاد الاسلامى قد انتهى من دورة تربوية تدريبية استمرت يومين بمركز الجالية الاسلامية بمدينة « جاردن جرون » بمقاطعة « أورانج كاونتى » موضوعها : « نحو تربية اسلامية فى أمريكا الشمالية

من خير ما كتب :

الأستاذ / مصطفى أمين ..

فكرة

اننى أستمد صبرى وصمودى من ايمانى . هذا الايمان يقوينى اذا ضعفت ، ويشد عزيمتى اذا انهارت قواى . ويهدينى اذا ضللت الطريق وبفضل هذا الايمان احتملت كثيرا من الشدائد ونجوت من العديد من الأخطار وهذا سر تفاؤلى الدائم .

فما رأيت ضيقا حتى أعقبه الله بالفرج ولا صادفت أزمة الا دعوت الله أن يأخذ بيدى وأنا أعمل وأكافح لتتغلب عليها .

فالله لا يأخذ بيد الكسالى

اننى أومن بالله ، وبمحمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وأحترم جميع الأديان السماوية وأشفق على هؤلاء المساكين الملحدين الذين خلت قلوبهم من الايمان فعاشوا فى الحياة بلا عمود فقرى يسندهم ويصلب طولهم .

ولا أستطيع أن أتخيل عاقلا يعبد فردا ، فالذين يعبدون الأفراد كالذين يعبدون الشيطان .

وأضحك ساخرا من الذين يدعون النبوة ،

٥ من خير ما كتب

فالأنبياء يصنعهم الله ولا يصنعون أنفسهم ٠

وأسخر أكثر من الذين يلفقون كتبا سماوية ويدعون الناس للايمان بها ٠ وأعجب أن يجد هؤلاء الأفاقون سذجا يصدقون دعواهم ويؤمنون بأكاذيبهم ٠

وكما نقاوم الالحاد يجب أن نقاوم هذه الحركات الخارجة عن الدين ٠

ونحن عندما ندعو الى الديمقراطية انما ندعو الى الشورى وعندما نطالب بحقوق الانسان نطالب بما نصت عليه الأديان السماوية من حب واخاء ،

ولقد لعن الله الطغاة والمستبدين وتوعدهم بالحميم جزاء للنار التى أشعلوها فى شعوبهم، والعذاب الذى أنزلوه بمواطنيهم ٠

اننى أومن أن الانحلال الذى أصيب به عالمنا هو نتيجة لغياب الدين ، فالقلوب التى تخلو من الايمان تتجرد من الحب ومن الانسانية ٠

هذه الجرائم التى اشتدت موجتها فى أنحاء العالم سببها الاساسى أن الدين لم يعد يحظى بالاهتمام الذى كان يحظى به فى المدارس ٠ فيجب أن نغير ونبدل فى طريقة تعليمنا للدين فى مدارسنا ٠ بحيث يكون درسا أساسيا ، وفى الوقت نفسه يجب أن نعلم أولادنا أن الدين هو التسامح لا التعصب ٠ وهو الرحمة لا القسوة ، وهو العفو لا الانتقام

الأستاذ / أحمد بهجت ٠٠

الشريعة السمحة

اذا كنت راضيا عن الغاء التعديلات التى أدخلت على قانون الأحوال الشخصية ، فان هذا لا يعنى أن قانون الأحوال الشخصية كما هو قد بلغ حد الكمال ، ان القانون القديم قد يكون بحاجة الى تعديل مثلما أن تعديلاته كانت بحاجة الى الالغاء ٠

ونحن نحلم بقانون ينصف المرأة والرجل معا ، ويضع فى اعتباره حماية الأطفال ويكون منسقا مع الشريعة نابعا منها لا متصادما معها ولا متطاولا عليها ٠ ذلك أن الاسلام يرفض الضرر والضرار ويكره للرجل أن يظلم المرأة كما يكره للمرأة أن تظلم الرجل ٠

وفى الشريعة الاسلامية عدل يتجاوز آفاق أى عدل متصور ٠

من سوء الأدب مع الله أن يوصف أمر أباحه سبحانه بأنه اضرار اذا كنا نريد تعديل القانون فينبغى أن يتم هذا فى مجلس الشعب وأن يتوافر الوقت الكافى للدراسة والنقاش ان العودة الى الشريعة الاسلامية رغبة شعبية عامة ٠ والأصل أن القانون لا يكون قانونا الا اذا رضيه الناس ، والناس لا يرضون عن قانون الا اذا كان المشرع له أهلا للتشريع

اذا لم يقع هذا تحايل الناس على القانون واخترقوه من نقاط ضعفه فظل حبرا على ورق ٠

نحب أن نقول ـ للذين سوف ترتفع صيحاتهم : ان الشريعة الاسلامية لا تنتصر للرجل ولا تنتصر للمرأة على الرجل ،

ولا تسمح باعنات المرأة ولا تسمح بظلم الرجل ، وانما هى تنتصر للعدل والحق •

لا خوف اذن على حقوق المرأة ولا على حقوق الرجل ، ولا على حقوق الاطفال المهم أن ينبع القانون من الشريعة وأن يعبر عن روحها الكريمة السمحة •

الاستاذ / صلاح منتصر

اضطهاد المسلمين

فى عام ١٩٦٧ أصدر أنور خوجة ديكتاتور ألبانيا الذى مات قبل أسبوعين ـ وبعد فترة حكم طويلة وقياسية استمرت ٤٤ عاما ! قرارا بالغاء الدين فى بلاده وتحويل المساجد والكنائس الى مسارح ودور للسينما • وبسبب أوضاع العزلة الغريبة الفريدة التى أحاط بها أنور خوجة بلاده

أقول : بسبب هذه العزلة التى كانت فيها ألبانيا فى عام (٦٧) أو (النكسة) التى كان فيها العرب فى ذلك الوقت لم يبد أحد التفاتا الى ما جرى للمسلمين هناك فى ألبانيا •• ولكن شيئا مثل ذلك على ما يبدو يحدث الآن فى بلغاريا للمسلمين هناك :

فمسجد صوفيا الشهير قيل : انه تحول الى متحف !

وقد اختفى نداء (الله أكبر) من فوق مآذن المساجد الأخرى !

وأصبح من يحمل اسم (محمد) مطاردا من الدولة

والمسلمون فى بلغاريا يشكلون نسبة كبيرة ، وحتى اذا كانت نسبتهم قليلة أو محدودة فان تعرض فئة للاضطهاد والارهاب بسبب ديانتها أمر مرفوض وكلمة الرفض يجب أن تكون باجراء عملى تتخذه الدول الاسلامية ، والعربية ـ بالطبع ـ فى مقدمتها •• ولكى أكون محقا فاننى لم أسمع سوى صوت من الكويت التى اجتمع مجلس أمتها وأصدر بيانا أدان فيه التصرفات التى يواجهها مسلمو بلغاريا والصورة كما تتضح من بيان مجلس الأمة الكويتى لا يقبلها ولا يجب أن يقبلها مسلم •• وهناك وسائل عديدة يستطيع أن يتخذها المسلمون العرب أكثر من البيانات •

هناك المقاطعة الاقتصادية والسياحية والتجارية وغير ذلك من الوسائل المادية والعملية •

هذا اذا كنا فعلا غيورين على الاسلام حيثما كان •

الأستاذ / مرسى عطاالله

ما الذى جرى للمسلمين •

ما الذى جرى •• لقد تشابكت الأمور وتعقدت المسائل واختلطت القضايا وتاهت الحلول ، لا لشىء الا لأننا فى أحيان كثيرة نفعل عكس ما نقول ، ونتصرف بعيدا عن المنطق المقبول ، ونتصارع ونتناحر بأسماء غريبة ومسميات أغرب فنبعثر الجهود ، ونشتت الفكر ، وندوس المبادىء •

ثم بعد ذلك كله يدعى بعضنا أنهم مسلمون وتحت راية الاسلام يسيرون •

مسلمون ، أو هكذا يدعون ، أولئك الذين اختاروا غرة الشهر الكريم موعدا لهجومهم الغادر على النساء والاطفال والشيوخ فى مخيمات بيروت ، وكأنهم يختبرون فروسيتهم ضد صابرا وشاتيلا وبرج البراجنة •

من خير ما كتب

ومسلمون ، أو هكذا يتصايحون ، من يرفضون كل عروض السلم والسلام ويصرون على مواصلة القتال وسفك الدماء وتخريب المنشآت دون احترام لحرمة الشهر الفضيل .

أى ضمير ذلك الذى يتحرك بين الجوانح ويسمح بارتكاب كل هذه الجرائم .. أى قلوب تلك التى ماتت وتبلدت وفقدت كل احساس بالدين والدنيا على السواء .

نسألك يارب العزة أن تزيل عن أمة المسلمين كل هم وكرب فى هذا الشهر الكريم ، وأن تجنب الاسلام والمسلمين شرور من يتاجرون باسم الدين ، وأن تعيد الحب والوحدة والوئام والصفاء بين كل أقطار الاسلام فأنت وحدك الحق المجيب .

الأستاذ / مجدى عبد الحميد :

راحة البال أيام زمان

عشنا — فيما مضى من الزمان — دون عناء على الرغم من عدم وجود وسائل التكنولوجيا الحديثة .

عشنا — فى راحة — بلا « تليفزيون » ، وبلا « فيديو » ، وفى زمن لم يتقدم فيه الطب الحديث أو وسائل الاعلام ، أو يخطر فيه انسان بأرض القمر .

وجاءت المخترعات الحديثة التى أريد بها المتعة للانسان ، ففقدنا الاحساس بالراحة .. بسبب الصراع العجيب الذى يمارسه الانسان من أجل الحياة ، والذى لاتبدو — معه — نهاية فأسدل على المتعة بجمال الحياة حجابا كثيفا لا يخترقه انسان .

الغلاء سرى مرضا فى شرايين الحياة يدفع الى طلب المزيد والضغط على الانسان المنصب ضرب — وحده — فى الصراع ، وهدف يراه البعض ضروريا للحياة بينما هو ضرورى للتلف (طاحونة) التهمت أكثر المشاعر لتلفظ أسوأ الامراض ، ويكتشف الانسان فى لحظاته الاخيرة أنه انزلق اليها طواعية ، وليته عاد صفر اليدين ، انما عاد محملا بالامراض ، وذكرى من ظلمهم من الأحياء .

ليتنا نعيش كالأمس

ليس على حساب الأخلاق

وليس على حساب الأفراد

بل على بساطة النفس وضياء الضمير حتى نشعر بما أعطاه الله لنا من خيرات .

فهرس العدد

He said: "Let it be one-third. One-third, anyway, is plenty." And he went on to say:

"You would rather leave your heirs well-bequeathed than leave them indignent and reduced to beggary. "You will not expend in charity to content Allah but will have its proper requital, even that which you put in your wife's mouth."

I then said to him: Apostle of Allah, will I happen to be left in Mecca behind my friends? He said:

"Even though you had to stay behind, you shall but rise in rank and increase in dignity with every good seeking the pleasure of Allah. "Probably you will stay behind for the benefit of some people and to be detrimental to others. "Allah, achieve for my companions their emigration. Do not turn them back on their heels, as was fated of poor Saad Ibn Khawala." (Agreed upon).

The last plea was made by the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, in pity of the late Saad Ibn Khawala whose return to Medina was interrupted by death.

crossing the same vales as you, and deserving the requital you deserve. They have been immured by illness." (Muslim).

A very near report is also given on authority of Anas, may Allah be well pleased with him; said:

On our way back from the battle of Tabuk with the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah he said:

"There are behind us in Medina men who nevertheless have been traversing with us every mountain-path and every vale we have trodden. They are helplessly reduced to confinement." (Bukhary).

---

(5) On authority of Maan Ibn Yazid Ibn Al-Akhnas, companion and son and grandson of companions, may Allah be well pleased with them all; said: Having forgone a few dinars as free will charity, my father committed them to a man in the mosque. I called on that man and had the sum for myself. I then went to see my father who, on learning what had become of the money, said: By Allah, I would not mean you.

I argued with him before the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, who said :

"Acknowledged is your intention, Yazid; and yours is that you have got, Maan." (Bukhary).

---

(6) On authority of Saad Ibn Abi Waqqas, one of the ten men, assured the promise of Paradise; said: Once in the year of the Farewell pilgrimage. I fell very ill and the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, came to see me. I said: Apostle of Allah, disease has attacked me to the degree you see. I am quite well off and have no heir other than one daughter. May I forgo two-thirds of my wealth for charity?" "No" he said. I said: "Then one half Apostle of Allah". "No" he said I said; Then one-third, Apostle of Allah.

Allah, be upon him blessing and peace from Allah, say:
"Rather than actions, it is intentions that count. Indeed, everyone will be judged by his inner purpose. So, he is reckoned to be in the cause of Allah and His Apostle who has forsaken his home in the cause of Allah and His Apostle; and he is accorded his own choice who has gone out after a worldly gain or a woman to marry." (Agreed upon).

---

(2) On authority of Aisha, Mother of the Faithful, may Allah be well pleased with her; said: The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said:
"An army will attack the Kaaba. While they are on an open field, the earth will be caused to swallow them altogether, the first and the last."

Aisha said to him: How is that, Apostle of Allah? Shall the earth be caused to swallow them altogether, the first and the last, much as among them should be the subjected and the alien? He said in retort:
"The earth will be caused to swallow them without exception, the first and the last, and they will be raised each with his own intention."
(Agreed upon).

---

(3) On authority of Aisha, may Allah be well pleased with her; said: The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said:

"There shall be no emigration after the Victory. However, strife and watch over one's intention. And if you are called to battle, answer the call." (Agreed upon).

---

(4) On authority of Abi Abdullah Jaber Ibn Abd Allah, may Allah be well pleased with them; said:

We were in battle in company of the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah; He said:

"In Medina as they certainly are, there are men trooping with you,

RIYAD AL-SALEHEEN

BY

IMAM YEHIA IBN SHARAF AL-NAWAWY AL-DEMASHQI

Translated by: Soliman Barakat

CHAPTER I

Sincerity, Devotion and Presence of Wholehearted Intention in all one's actions, utterances and states both conspicuous and hidden.

Allah, glories and high exalted be He, says:
"It is but to serve Allah that they have been enjoined, in adherence to sincere devotion as men by nature upright, and to establish prayer and pay the alms-tax. That is Religion, right and true." (Surat 98,Al-Bayyina, 5).
"Neither the flesh nor the blood of them * will reach Allah; but piety on your part". (Surat 22, Al-Hajj, 37).
"Whether you conceal what is in your hearts or reveal it, Allah knows it." (Surat 3, Al Imran 29).
* The animals they sacrifice.

---

(1)On authority of Commander of the Faithful, Caliph Omar Ibn Al Khattab, may Allah be well pleased with him, said: I heard the Apostle of

mple, the teacher, the instructor, the leader, the friend, the mostly loved, and the highest esteemed. With Divine authority, he formulated the structure of Islamic legislation and way of life. The Divine Revelation of the Holy Quran was still continuing, and the road was still far beyond.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library-Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition.
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah.
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
Mouassasa Al-Risalah.
Beirut, 1981.

at Al-Gamoum, who had retreated and dispersed. The Muslims returned with spoils and captured two men as prisoners.

Zaid Ibn Harithah was also sent out in hundred and seventy men to intersect a camel convoy for Koraysh travelling south to Mecca. The whole convoy was captured. Among the men was Abu Al-As Ibn Al-Rabie husband of Zainab daughter of the Prophet (prayers and peace form Allah upon him Zainab was then a Muslim emigrant living at Al-Madinah. Abu Al-As asked his safeguard of his wife Zainab which she granted and was approved. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)freed him with all belongings. Later in Mecca, Abu Al-As announced his Islam and returned to Al-Madinah to join his wife Zainab after he has now become a Muslim.

During later months of the sixth year after Hijrah, several other deployments took place. In Rajab, Zaid Ibn Harithah went out to Bani Fazarah. In Shabaan, Abdel Rahman Ibn Aof was deployed in seven hundred men to subdue Bani Kalb in Dawmat Al-Gundel. They summoned them to Islam and some accepted including their chieftain Al-Asbagh Ibn Omar whose daughter married Abdel Rahman Ibn Aof. No armed combat took place.

Also in Shabaan, Aly Ibn Abi Taleb was deployed commanding hundred men to Bani Saad Ibn Bakre in Fadek near Khaibar who were arranging an alliance with the Jews at Khaibar. No armed combat took place, and t e Muslims returned with five hundred camels after Bani Saad dispersed.

All these sporadic engagements between Muslims and several Arab tribes, ascertained the confident mastery of Muslims and their ability to seek distant places from Al-Madinah and engage themselves in confrontation, and strategy. The summons to the creed of Islamic was their only objective, and to this understanding all their actions, conduct, behavior and mental attitudes were directed. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was the messenger of Quran, he was the exa-

ims had displayed their presence very close to Mecca for several days, without encountering any opposition, they returned to Al-Madinah.

Few days after the return of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Al-Madinah, Uyinah Ibn Hisn raided the outskirts of Al-Madinah at a forest place where some camels that belonged to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were gazing. The raiders killed the camel driver and carried away his wife, and drove with them the camels. The whole incident was witnessed by Salamah Ibn Amre Ibn Alakwaa Al-Aslami from the Ansars. He cried aloud for help and followed the raiders and when close enough, delivered showers of sling shots. His cries were heard at Al-Madinah, and several horsemen came out in pursuit of the raiders, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) at the head of a contingent marched out to reach a place at Zi Qard. Most of the camels were retrieved, two of the raiders were killed, and also one muslim. The raiders continued to escape towards Ghatafan in fear that Muslim horsemen pursuid them. The wife of the camel driver was also saved and reached Al-Madinah on one of the recaptured camels.

During the early months of the sixth year after Hihrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)sent out several contingents to establish security and authority of Muslims around Al-Madinah. Ukashah Ibn Muhson headed a group of forty men to Bani Assad to disband them, and drove hundred of their camels to Al-Madinah.

Mohammad Ibn Masslamah went out in ten men to Zi Al-Qissa. These men were killed during their sleep save Ibn Masslamah who returned to Al-Madinah. Abu Ubaidah Ibn AlGarah went out in forty ment to retaliate the death of the men.

Zaid Ibn Harithah was ordered out with a contingent to Bani Salim

rnal Truth. He returned to face the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and declare his confession into Islam. On his way home, he passed by Mecca to visit the Kaaba, and announced his Islam in Mecca Koraysh intended to harm him, but remembered that such action would severe their relations with Bani Hanifah who provided Koraysh with all their needs of grain. Once at Al-Yamamah, Thumamah prevented the supply of grain to Koraysh, who after distress had to seek the help of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Thumamah was instructed to supply Koraysh with their needs of grain. Thumamah proved truthful and genuine to Islam at the time when many of Bani Hanifah reverted from Islam to follow Mussailamah the Imposter after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Thumamah with the prestigious confidence of a genuine Muslim publicly expounded to men of Bani Hanifah to avoid dark trends that are devoid of light, where misery anguish and affliction were the ordained fate for those who follow. Several from Bani Hanifah remained steadfast and true to their faith.

The encounter with Bani Lihyan during which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) performed the prayer of fear at Ussafan, took place in Jumad Al-Awal of the sixth year. However, the exact time is disputed, and most authors agree that it took place during the fifth month of the sixth year. Bani Lihyan are those who in cold blood killed Assem Ibn Thabet and his companions at the famous incidence of Al-Ragiee in Safar of the fourth year. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) still felt grief and remorse for those killed treacherously at Al-Ragie. He marched in two hundred mounts concealing his real intentions, till they reached Bani Lihyan who had dispersed into the mountains. The Muslims reached the valley of Ussafan to demonstrate to Koraysh how close they came to Mecca. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) prayed the prayers of fear at both Ussafan and Bani Sullaym. The Archangel Gibriel instructed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) how to conduct the prayer of fear. After the Musl-

THE BEGINNING OF THE SIXTH YEAR

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD.

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

Several events took place between the distinguished victory of Muslims over the confederates and Bani Quraiza; and the challenging opposition between Muslims and Koraysh at Hudaybiah. Some of these events were recorded at the end of the fifth year after Hijrah; others took place during the early months of the sixth year.

During the first month of Moharram of the six year, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent thirty horsemen commanded by Mohammad Ibn Masslamah to raid the camps of Bani Bakre Ibn Kallab. After defeating them, Ibn Masslamah returned with his men to Al-Madinah. On their way, they met Thumamah Ibn Athal Al-Yamami, an outstanding personality of Bani Hanifah. Ignorant of his identity, they took him prisoner, and tied him to a pillar at the Mosque at Al-Madinah. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) saw him, he recognised him and tried to convince him of Islam, but Thumamah rejected; however, he was set free. Thumamah was blessed by Divine Light to conceive the Ete-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



مسجد الشهداء / العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ

أعنى بهم أهل الثالوث : الماسونية والشيوعية والبهائية وأشياعهم .

اقرأ – لهذا الثالوث ولأشياعه – ماشئت : حيث تتركز أفكارهم ، أو حيث تنتشر تفاسيرها بعباراتها الساحرة ، وأسلوبها المفتن ، وثيابه المسرحية ، فانك واجد ثلاثتها يشيع فيها مبدأ واحد رئيسى مشترك ، هو مَقْتُهَا « القومية » إِذِ القومية هى السد الذى تتحطم عليه أهدافها ، فلا عجب أن تلاقت فى العمل على القضاء عليها :

* الجزء الحادى عشر * السنة السابعة والخمسون *

* ذى القعدة ١٤٠٥ هـ * يولية – أغسطس ١٩٨٥ م *

يحكى الجنرال (جواد رفعت آتلخان) عن فرقة من الجيش التركى اعتنقت مبادىء «الماسونية » واحتل بعض أفرادها مراكز مرموقة فى الجيش وعندما أرسلت الفرقة للحرب ألقت السلاح معتصمة بمبادئها لا يعنيها أن تخون الواجب (١) .

وكتب التابعى ـ رحمه الله ـ مثل ذلك عن فرقة فرنسية اعتنقت الشيوعية ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ وفعلت ما فعلت الفرقة التركية بماسونيتها ، فألقت السلاح وامتنعت عن التصدى للأعداء .

ولما كانت قومية « العشيرة » ومثلها « القومية الوطنية » كلتاهما تأخذ ـ حتما ـ مدارها فى فلك الظواهر الاجتماعية من ناحية ، والسياسية من ناحية أخرى ، كان من الممكن أن يعتريهما التغيير من آن لآن .

ولست تشك فى أن أسلوب حياتنا فى القرن العشرين خلافه فى القرن الماضى حيث لم تكن كهرباء ، ولا مذياع ، ولا « تليفون » ولا صناعة متعددة أغرت الكثير بترك مسقط رءوسهم ، وتكوين أُسَر بأماكن مختلفة من أرض الوطن فَوَهَنَ شيئا فشيئا ارتباطها بالأسرة الأم، بل لم تكن ظاهرة « الهجرة » وترك الوطن كله قد بدت بعد فى حين أصبح لها اليوم جهاز يتولى أمرها ، وينظم شأنها .

وقل ـ فى التاريخ السياسى ـ ما قلت ـ فى الاجتماع ، وضع إصبعك حيث شئت من أرض على خريطة هذا العالم ، فانك لن تجد ـ الا فى النادر وَنَادِرِهِ ـ شعبا لم يحكم بغير أبنائه ، حيث النفوذ لمن غلب فقهر فاستبد بالحكم .

وليس كذلك « القومية الدينية » أو الرابطة الدينية ، فهى ـ وحدها ـ القومية التى لا تتفتت ، فليست سلعة قابلة للعرض والطلب ، أو رعية يمكن أن يتعاورها أكثر من حاكم فى أكثر من لون ، وأشد هذه القومية صلابة ـ لما تتمتع به من بساطة ووضوح ونهج سليم ـ « قومية الاسلام » فلا جرم أن كانت فى ميزان القوى أخطر أعداء الثالوث .

وبسياسة محكمة ـ الى جانب ظروف دولية ـ تمكنت الصهيونية من احتضان الثالوث :

فَقِبْلَةُ البهائيين فى « حيفا » وقد ساهمت الشيوعية فى دعم إقامة دولة إسرائيل ، وتقرأ « أسرار الماسونية » بين يديك لتجدها فى خدمة الصهيونية عن طواعية ، وهكذا تبلور الصراع ـ فى النهاية ، فاذا الثالوث فى مقابلة « القومية

---

(١) اقرا الحادث فى هدية العدد : اسرار الماسونية .

الاسلامية » واذا القومية الاسلامية فى مقابلة الثالوث،وزاد الصراع حـــدة مامَرَّ بالمسلمين من تجارب مريرة أشعلت نخوتهم فأصابتهم حساسية الحذر الذى شَكَّل وجودُهُ جدارا صلبا فى مقاومة الثالوث .

وسياسة الثالوث ألا يهاجم الاسلام فى سفور . فقد ترك المهاجمة السافرة ترمى بمقذوفها ــ على فترات متباعدة جدا ــ بقصد تحصيل معرفة دقيقة بمقدار تهاون المسلمين فى دينهم ، وهو أمر ــ بمشيئة الله ــ لن يكون .

ثم بقصد معرفة رءوس المتحدثين عن الاسلام ليكونوا هـدفا لهجومهم ، ومقاومة آثارهم بكل ما أعدت لذلك من وسائل .

فاذا تركنا الهجوم السافر المتباعد جدا ، وجدنا للثالوث « لوبيا » يعمـل لتحقيق أهدافه من وراء ستار ، وما أهدافه الا هز القيم الاسلامية فى النفـوس لتتهاوى كلية ، أو لتفقد الحماس لهـا ،فتكون أثرا تاريخيـا ، أو لا شىء عـلى الاطـلاق .

« وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » .

وتحليل كيان هذا « اللوبى » يسير :

فانما يمثله « مبهور » بالحضارة الغربية بهرا خلص الى كيانه بـ « إحباط » وشعور بالضعة ، فتقبل تلك الحضارة خير قبول ، وأنزلها من نفسه خير منزلـة فهولها داعية يسبح بحمدها ، ويستجيب لها فى نفسه وأهله وبيته فهو يدعو الى ما تدعو اليه ويرنو الى أهدافها آملا أن تكون .

« ومأجور » قدم امكانياته للهدف بمقابل سخى ، وشرٍّ ذكى وكان فيه مـن خَوَاء « القومية » وتفاهة الكيان ما جعله سلعة ، فاندفع ضد دينه وقوميته يذلل للهدف ما يملك من آلة وحيلة آملا أن يُرضِى وَيُرْضَى عنه .

عندما أتى الشيخ مصطفى صبرى شيخ الاسلام بتركيا فى زيارة الى مصر زار الأزهر الشريف فتجمع حوله بعض عارفى فضله من العلماء والطلبة ، وامتدح جهده فى كتاباته ضد الالحاد والملحدين ، والرجل الفاضل صامت حتى اذا أوعب المتحدثون قال :

« لو استقبلت من أمرى ما استدبرت مـا كتبت شـيئا ، ولجمعت هؤلاء الخصوم ، وبذلت لهم المال فكتبوا خيرا مما كتبت »

والتقى الجمعان : المبهور والمأجور ، وعملا فى أكثر من ميدان :

عملا فى « فن التمثيل » فاندمج فى الماسونية أقطـاب الممثلين المصريين ،

وجلسوا فى المحفل الماسونى وارتدوا شعارات الماسونية (١) وأخلصوا لهدفها العمل لا سيما فى جانب التمثيل « الكوميدى » .

وحسبك أن تراجع – ذاكرتك – فيما شهدت من أدوار لتجد أكثر من « اسم » من « أسماء الله الحسنى » اتخذ أداة للتلاعب به واثارة الضحك بواسطته ، ولعل أقرب ما شاهدت فى ذلك « شاهد ما شفش حاجة » فتذكر : ماذا حدث من تلاعب فى لسم الله « الشكور » فى المسمى « عبد الشكور » فى المحكمة ، وليست هذه هى المرة الأولى ، فقد سبق التلاعب بـ : « عبد الصمد » و « الحى » سبحانه ، وقد تعمد الممثل أن يجعل « الحاء » خاء ، لأنه يتحدث بهذا الاسم الجليل الى (خواجه) فى مسرحيته

واذا كان هذا مايحدث فى « أسماء الله » وهو الذات العلية سبحانه فما دونه كَلأٌ مباح ، فالعمامة ورداؤها وشخص الشيخ قلما يسلم من سخرية وهزؤ يحط من شأنه ، ويزعزع الثقة به ، ويجعله هدفا لكل نادرة لتكون الحصيلة فى النهاية « تفاهة شخصية رجل الدين المسلم والحط منه،وزعزعة القيم الدينية التى يمثلها هذا الشيخ » .

وأدلى بعض الصحفيين ، وبعض الصحافة ، بدلوه فى نفس المستنقع ، فنشط فى الكيل للدين فى الوجه الذى تيسر له مادام فى الأمر سعة ، وليس ثمة محذور .

ونشطت أقلام : بعضها صحفية ، والأخرى بَسَطتْ لها صحافةٌ معروفة صدرَ صفحاتها عن طيب خاطر ، وعملوا :

فكان لهم (زفة) فى كل عام اذا اقترب رمضان ، متخذين من رؤية الهلال أداة للتشنيع على القاعدة الشرعية :

« صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غُمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » مدعين أن الحساب الفلكى يغنينا ويكفينا .

ورحم الله الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، فقد دعا مرة – وأحسبه على براءة إن شاء الله-إلى بداية الصيام بيوم معين حدده الحساب الفلكى ، فشوهد القمر قبل تحديده فثبت أول رمضان قبل الحساب الفلكى بيوم ، فما عاد – رحمه الله – الى هذا الموضوع بعدها أبدًا يرحمه الله ، ويرحم الله – معه – قيما توارت ، فكم من خير نضح بـه .

(١) راجع هلال يونيو ١٩٧٧ ص ٢٨ – ٣٩ .

واعجب إذ تعلم أن أهل النصرانية ــ فى الغرب والشرق على سواء ــ يتبعون « نظاما » يحدد على ضوئه « أول الصيام الكبير » الذى ينتهى بعيد الفصح ، وموعده يتغير من عام لعام بحيث يدور العيد بين «ابريل ومايو » وليس له ثبات على يوم بعينه من كل عام ، وهم يحتفلون بالميلاد فى الغرب فى موعد يختلف عنه فى الشرق وما سمعنا « تابعا » ثار ولا سخط ولا تناول رجال دينه بالتهكم والسخرية بينما « تابع الزفة »يريد أن يفرض « خَوَاءه »على المسلمين .

فاذا انتهت « زفة القمر » فهناك ترتيب لغيرها ، وعادة ما يتمثل فى اصطياد أمر ما ترتفع بسببه للقوم صيحات الاستنكار والتنديد يليهما ما ينضح به داخل الكاتب من « مِعَاهُ » الى قلمه ولازالت فى الذاكرة كلمات رصفت بسخرية من رجال الدين والأزهر نذكر منها من عشرات السنين :

« لا ... ياشيخ أبو زهرة ... »

« ليس للأزهر ولاية على المسلمين »

ولا زال العهد قريبا بحملة مسعورة شنت على الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله .... الخ

وهنا يستثمر بعض الصحفيين ما عليه بعض القراء من ضحالة فى المعرفة الدينية بمستواها العلمى ليبث فكره واقرأ :

« قل (١) لى : واجب أن تحكم بلادنا بما جاء به القرآن أقول لك : ياليت..

ولكن بعد ذلك ، من حقى أن أقول لك :

ومن الذى يفسر أحكام القرآن ؟

ومن الذى يفتى بالرأى الصحيح الذى يجد الصيغة بين القرآن الذى نزل لكل زمان ومكان ، وبين التطبيق السليم له فى هذا الزمان وهذا المكان بالذات .

تلك هى القضية » .

ها أنت ترى الكاتب يعطى حكمه بالاستحالة فى قوله : «ياليت » ثم يمرق بعدها الى خلط « أحكام القرآن » بـ « تفسيره » ثم ينتهى الى نفى وجود الأشخاص الذين يمكنهم استخراج الصيغة للتطبيق السليم لأحكام الشريعة الاسلامية .

ولسنا على علم بمذهب الكاتب السياسى ، ولكنه يستخدم أسلوب « الشيوعية » فى « تمييع » أية قضية تطرح للمناقشة عن طريق « تفريعها »الى

(١) انظر الشرق الاوسط ١٢ المحرم ١٤٠٢ ص ٧ .

عدة فروع من جهة ، ثم إغراق المناقش فى تعميماتها من جهة أخرى ليخلص لـه بث سمومه ، يقول الكاتب :

« تلك هى القضية :

قضية عمرها من عمر مقتل عثمان بن عفان وخـلافة على بن أبى طـالب ــ رضى الله عنهما ... ثم اندلاع المذاهب الى سنة وشيعة ، وأموية ، وخوارج ، ومعتزلة ... » الخ

رأيت : كيف استهل الكاتب الكلمة ، ثم كيف شقق القضية امعانا فى تصوير « الاستحالة » التى جَمَعَ لها ذهنه وأَجْهَدَ لها قلمَه ولو أراد الحق لسأل أهل العلم إذًا لَعرَفَ أن « أحكام القرآن » من « محكم » القرآن ظاهرة للعيان حتى لاتحتاج الى تفسير ، وليس فى أمرها خلاف .

فأين وجدت الخلط ــ ياسيدى ــ وعدم بيان التفسير فى قوله تعالى :

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ »

« أَفِى اللَّهِ شَكٌّ » (١)

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (٢)

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » (٣)

« وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » (٤).

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » (٥) .

« وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (٦).

هذه آيات فى « العقيدة » وفى « الرسول صلوات الله وسلامه عليـه » وفى وجوب الطاعة ، والتزام المؤمنين بالشريعة ، ومروق المشـاقين فيهـا ، وتركهم

(١) ابراهيم ١٠ .
(٢) الشورى ١١ .
(٣) الفتح ٢٩ .
(٤) التغابن ١٢ .
(٥) التوبة ٧١
(٦) النسـاء ١١٥ .

ليكونوا أولياء لمبادئهم ومن ثم عبيدا لسادة هـذه المبـادىء ، ثم مأواهم جهنم فأين عسر الفهم فيها ؟ !

ثم لنخلص معك الى آيات أحكام الشريعة التى أجهدت نفسك فى صـدها ونسلم معك – ابتداء – بوجود هذه المذاهب ، ولابد أنك – يا سيدى – قارىء لها ، ملم بها ، قد اسـتوى لديك أطرافها ، هاتها جميعا – على اختلافها – ثم بين لنا – يا سيد – هل اختلفت فى : أن الله حق ، وأن المعتدى القاتل يقتل ، وأن الزانى يجلد ، وأن السارق يقطع .. الى آخر أحكام القانون الاسلامى ؟!

أين خلافها – فى هذا – يا سيد – ؟

ولماذا مزجت أسباب الخلاف ، وهى خارجة عـن دائرة أحكـام القـانون الاسلامى بالقانون الاسلامى وبنيت – عن قصد – أفكارك ؟!

دلنى – وأنت المسلم ، ودل المسلمين – على خلاف هذه المذاهب فى قـولـه تعـالى :

«يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى » (١)

وهى مبادىء – لسوء وضعك – ذُكِرَتْ أَحْكَامًا فى التوراة والإنجيل :

« وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَـا (٢) أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ » (٣).

وهى أحكام شرعية لاتزال مسطورة فى العهد القديم .. فانظر مادمت خضت هذا المضمار !!! فإنما القرآن « هدى للمتقين ».ولْنَخْلص الى ثالثهم . وثالثهم...

له بالسياسة عرق وثيق يمضى بالذاكرة إلى « الأربعينيات » حيث قرأنـا « أرقاما » لساسة بالمحفل الماسونى كانت علاقتها بالأحزاب « العلمانية » وثيقة كأقوى ما تكون الوثاقة يشهد بها « المنصف » من الأحياء .

ونذكر – حينئذ – ممثل مصر فى « لجنة حقوق الانسان » بالأمم المتحدة فى « الأربعينيات » ، وكانت – يومئذ – وليـدة النشـأة ، عاد ، وعادت معـه « حصانته » وما هو الا قليل حتى كان بمصر "تعداد للسـكان"، وكان من بداهة التعداد السؤال عن « أفراد الأسرة » و « دينهم » .

---

(١) البقرة ١٧٨ . (٣) المائـدة ٤٥ .

(٢) أى فى التوراة،و يعمل بها أهل الانجيل .

حدثنى شيخى مصطفى مجاهد عبد الرحمن رئيس قسم الفقه المقارن الأسبق بكلية الشريعة والقانون ــ جامعة الأزهر ــ رحمه الله ــ أن موظف التعداد طرق باب « ممثل حقوق الانسان » إياه ومضت الاجراءات حتى اذا سأله عن دينه ، سخر من السؤال ، ورمى الموظف ولمز « الدين » بما شاء هواه، والدين ــ كما نعلم ــ من حقوق الانسان ، سخر منه « ممثل حقوق الانسان »٠

وسوف تجد لأخى الدكتور محمد رجب البيومى حديثا عن هذا المندوب فى مقاله بهذا العدد ٠

وجاء الثالث ، جديدا على « الكار » ليس له دُرْبَةُ أسلافه ، فما أن طرق الميدان حتى ألقى بذخيرته دفعة واحدة ٠٠ ألقاها على « الدين » وعلى «الرسول» صلى الله عليه وسلم ، وعلى « الحجاب » فى مصر ٠

وطالب ــ وهو « المفكر الاسلامى المستنير » فى إحدى صحف الخليج باعادة النظر فى التشريع الاسلامى مستنكرا أن تُفْرَضَ فرائضه كالصيام مثلا فى القرن العشرين ، واعجب ــ اذ تعلم ــ أن عمله يحتم عليه أن يمثل مصر بقوميتها خالصة

هاهو أراد أن يسخر من رجال الدين فسخر من الدين ٠

وأراد أن يسخر من" أحكامه"فسخر من حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال صاحب الفكر المستنير :

« كيف يمكننا الآن أن نقول :

إن منأحكام الاسلام الدائمة والخالدة أبد الآبدين أن شهادة الرجل تعادل شهادة امرأتين ٠

هل يمكن أن تكون شهادة بواب عمارتنا تعادل شهادة أمينة السعيد وسهير القلماوى معا ، هل نستطيع الآن أن نقول هذا » ٠

نعم ، نحن نقوله ، ونؤمن به ، ونشهد الله ــ سبحانه ــ على الايمان به ، ولتكن المرأتان ما تكونان ، فالنص صريح :

« **فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء** » البقرة ــ ٢٨٢

ولقد قالتها امرأة من قبلك : كيف تكون شهادتى نصف شهادة « فراش مكتبى » فليتك سَلَّمتَ بالنص أو تَمَثَّلت بعزيز !

فأما السخرية بحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فإليكم هى بعد

أن نقرأ الحديث ، الذى أثار سخرية المفكر الاسلامى المستنير قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم:

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر يامسلم ، ياعبد الله ، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله ٠الا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود »

صدق رسول الله ﷺ وآمنا بما قال فما ينطق عن الهوى ، إنْ نطقه إلا وحى يوحى إليه من رب العالمين٠قال المفكر الاسلامى المستنير : (١)

« سوف أضرب لك مثلا واقعيا :

لقد جاءنى قريب شاب متخرج من كلية الهندسة ، وتلقى تعليمه فى مدارس أجنبية ، وسألنى قبل أسبوع واحد :

ــ أتعتقد ياعمى أن العداء بين اليهود والمسلمين سيظل إلى آخر الزمان ٠

أجبته قائلا : « ليس بالضرورة » ٠

قال معترضا : لا لأن هناك حديثا عن النبى ﷺ يقول : إن فى آخر الزمان سوف يجرى المسلمون وراء اليهود وسوف يختبىء اليهود منهم وراء الشجر ٠ وسوف ينطق نوع من الشجر ويقول : أيها المسلمون ان اليهود مختبئون خلفى ٠٠ تعالوا واقتلوهم فيذهب المسلمون الى قتلهم ٠ أما النوع الآخر من الشجر ٠فسوف يتستر عليهم ٠ ولن يُخْبِرَ المسلمين عنهم وسوف يتضح ان هذا النوع من الشجر هو يهودى ٠

نعم شجر يهودى !! هذا مهندس شاب ، يقول لى عن إيمان مثل هذا القول ٠

ولو أن فلاحة فى قريتنا سمعت هذا الحديث ما صدقت بصحته ، أليست كارثة كبرى !!

أنا لست أدرى : ممن سمع الحديث أو أين قرأه ؟ ولكن يخيل الى أحيانا كما لو أن هناك ميكروبا فى هذا الجو »(٢) اهـ

كذا ٠٠٠ شجر يهودى ٠٠٠ فلاحة لا تصدق بصحته،ثم ماهو هذا الميكروب فى الجو المصرى ؟ أهو حديث رسول الله ﷺ ؟

---

(١) صحيح مسلم ١٨٨/٨ كتاب التحرير القاهرة ١٣٨٤ ٠

(٢) روز اليوسف ــ العدد ٢٩٧٥ فى ١٩٨٥/٦/١٧ ص ٣٤ ، ٣٥ ٠

◀ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك

هذا ما نضح بـه المستنير بشأن هذا الحديث لرسول الله صلى الله عليـه وسلم • معترفا بأنه لا يدرى : ممن سَمِعَ مُخَاطِبُهُ هذا الحديث ، ولا أين قرأه ؟! أهذا سلوك علمى ؟! ••• وهو •• وهو المستنير •

سل ، أيها المستنير المنصفين : كم داءٍ ، وكم دواءٍ أطلق عليه اسم مكتشفه، فلم يثر ذلك سخرية أحد ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شىء نُسِبَ اليه •

على آية حال •• آمن « إلياهو بن أليزار » بما سخرتَ منه فامتلأت بالغرقد صحراءُ النقب •

ولاتظلم « فلاحة بلدكم » فإن ايمانها متين •

والحديث ـــ يا أيها المستنير ـــ بصحيح مسلم والبخارى بأكثر من نص (١) نسأل الله أن يعصمنا من « استنارتك » •

ثم بعـــــد

فلنا كلمة علمية محضة فى النظر الى نص الكتاب العزيز ، وحديث رســول الله ﷺ :

إنْ ير مجتمع ـــ أى مجتمع ـــ أن على علماء الدين أن يتجاوزوا أحكـــام النصوص بتأويل يتخطون به الكتاب العزيز ، والحديث الشريف فليس الى ذلك سبيل : آمَنَ مَنْ آمَنَ ورفض من رفض ، فإذا قالوا :

هؤلاء علماء الدين فى الغرب يفعلون ويفعلون ، قلنا : هنا ينبغى الفصـــل والتوضيح بأسانيد علمية :

لسنا على « كاثوليكية روما » التى تقرر :

« أن كتبها المقدسة لم تذكر كل شىء »

« وأن (البابا : رأس الفاتيكان) نائب المسيح فى الأرض ، وأنه معصوم من الخطأ فى أحكامه الدينية ، فكل ما يشرعه فى جانب الايمان ، وما يحـدده فى العقيدة يعتبر قضايا يقينية غير قابلة للتحوير أو التبديل ، كما أنها ـــ أيضـــا ـــ ليست بحاجة الى موافقة الكنيسة عليها •

البقية ص ١٧٨٥

(١) نفس المصدر ص ٣٤ عمود أول •

(١) أنظر صحيح مسلم فى الموطن المذكور ، وصحيح البخارى ـــ الجهاد ـــ قتـــال اليهـــود •

دراسات إسلامية

العقيدة والعقل

الإعجاز

تحت لواء القرآن العظيم

تقنين الشريعة الإسلامية

العقيدة والعقل

لاشك أننا أمة ذات تراث فكرى وحضارى عريق .

والمتأمل فى تراثنا الفكرى بوجه خاص يلاحظ ظاهرة حقيقية جديرة بالدراسة : وهى أن تراثنا الفكرى يتميز بالاصالة والعمق ، والثراء والتفتح ، عندما تكون ينابيعه وروافده مستمدة من القرآن والسنة .. بينما تقل أصالته ، وتبدو ضحالته ، وتظهر عليه أعراض الجمود والانغلاق ، عندما يجنح الى الابتعاد عن هذين المصدرين الخالدين ، ويتجه الى تقليد ثقافات وفلسفات « علمانية » بالغت فى تمجيد العقل البشرى ، بل تأليه هذا العقل ، والادعاء بأنه يستطيع أن يبحث كل شىء ، ويعرف كل شىء ، ويحل كل مشكلة ، وأن الانسان ـ لذلك ـ يكفيه عقله ، فلا يحتاج قط الى هدى الله .

ومن المعروف أن هذا الاتجاه « العلمانى » له جذوره العميقة فى الفلسفة اليونانية . التى تبالغ فى تمجيد العقل البشرى . والتنكر للوحى الالهى .

ثم ترعرع هذا الاتجاه فى أوروبا فى عصر النهضة . وذلك لأسباب تاريخية ودينية . ترجع الى اضطهاد رجال الكنيسة للعلم والعلماء ، ووقوفهم ضد حرية الفكر والضمير . وضد الصلة المباشرة بين الانسان وخالقه . وذلك حين انتحلوا لأنفسهم دور الوساطة بين العبد وربه وأنه عن طريقهم وحدهم يكون الغفران أو العقاب الالهى .

ولكن هـذا الاتجاه غريب كل الغربة عن الاسلام :

فليس فى الاسلام اضطهاد للعلم والعلماء .

وليس فى الاسلام وأد لحرية الفكر أو حرية الضمير .

وليس فى الاسلام كهانة ولا وساطة بين الانسان وخالقه .

والقرآن الكريم حافل بالآيات التى تكرم العقل . وتحث الانسان على التفكير فى كل المجالات الممكنة للعقل البشرى فى عالم الشهادة أى فى كل الظواهر الكونية والانسانية . وذلك بدراستها والاستفادة من هذه الدراسة فيما يعود بالخير على الانسانية جمعاء . ويجعل الحياة على هذه الارض حياة طيبة .

والقرآن كذلك حافل بالآيات التى تكرم العلم والعلماء .

ولكن العلم فى الاسلام هو العلم النافع

للدكتور أحمد عبد الحميد غراب

للناس ، المرتبط بالايمان بالله ، والمؤدى الى خشيته وتقواه : « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » (فاطر : ٢٨) ٠

ولذلك لا يستعمل العلم فى الاسلام للتخريب والتعذيب واهلاك الحرث والنسل والافساد فى الارض ، كما يستعمل اليوم فى الغرب الرأسمالى والشرق الشيوعى ٠

وانما يستعمل العلم فى الاسلام لتحقيق الخير للناس فى الدنيا والآخرة ، أى لتحقيق التقدم الشامل المتوازن ، الذى لايجعل الانتاج الكمى للمواد الاستهلاكية أكبر همه ، بل يشبع حاجات الانسان المادية والروحية بصورة متكاملة ، بلا اسراف ولا رهبانية ، ويسمو به — فى الوقت نفسه — عن الاخلاد الى الارض ، فيهيئه للمكانة الربانية التى كرمه الله بها حين نفخ فيه من روحه ، وجعله فى الأرض خليفة ٠

ويحفل القرآن كذلك بالآيات التى تقرر مسئولية الانسان عن أعماله ، تلك المسئولية التى تقوم على مقدرته على التمييز بين الخير والشر ، وحرية اختياره الهدى أو الضلال ، وانه على نفسه بصيرة ، وانه لا اكراه فى الدين ٠

وكذلك يؤكد القرآن الكريم الصله المباشرة بين الانسان وخالقه ، وأن الانسان لتوثيق هذه الصلة لايحتاج الى الوسطاء ، حتى من الرسل والأنبياء :

« **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** » (البقرة ٢ : ١٨٦) ٠

وبالرغم من هذا كله فقد تجمعت فى تراثنا الفكرى ، ولاسيما ذلك التراث الخاص بدراسة العقيدة ، بعض الرواسب التى انتقلت اليه عن طريق التقليد لتلك الثقافات والفلسفات ذات الطابع المادى الضيق المحصور فى حدود العاجلة ، والغريب عن توازن الاسلام ، وسعته للمادة والروح والفكر ، وجمعه بين خيرى الدنيا والآخرة ٠

هذه الرواسب ينبغى أن ننبه اليها ، ونسلك مسلك الحكمة فى التخلص منها ٠

وفيما يلى نشير الى بعضها على سبيل المثال :

فى دراسة العقيدة الاسلامية نواجه فى كثير من المؤلفات الكلامية والفلسفية القديمة ، وبعض المؤلفات الحديثة — نواجه تلك التفرقة المصطنعة بين العقل والنقل ، أو بين العقل والوحى ، والزعم بأن الاهتمام فى دراسة العقيدة الاسلامية يجب أن يوجه أولا للعقل وللأدلة العقلية التى تثبت وجوب وجود الله ووحدانيته وسائر صفاته تعالى واسمائه الحسنى ٠ وذلك — فيما يزعم أصحاب هذا الاتجاه — لسببين :

الاول : ان الوحى قضية ايمان ونقل ، لا قضية فهم وعقل ٠

العقيدة والعقل

والثانى : أن القرآن الكريم وحى من الله تعالى ، وهو دليل للمؤمنين به فقط ، فلا يصلح أن نستدل به خارج دائرة المؤمنين ، أى لا يصلح أن نخاطب به الكفار والملاحدة ، لأنهم ينكرونه ولا يؤمنون بأنه وحى من عند الله • فينبغى لذلك أن نخاطبهم بالعقل وحده ، ونحاول أن نقنعهم بالأدلة العقلية والفلسفة وحدها •

ويترتب على هذا الموقف أننا من أجل أن نبين عقيدتنا للناس ونقنعهم بصحتها – ينبغى أن نبدأ أولا بدراسة الفلسفة ، وبخاصة الفلسفة اليونانية القديمة ، والفلسفة الأوروبية الحديثة ، ونستشهد بوجه خاص بأولئك الفلاسفة اليونانيين والأوروبيين « المؤمنين بالله » •

والواقع أن تصور (الله) فى الفلسفة اليونانية بوجه عام ، وفلسفة أفلاطون وأرسطو بوجه خاص ، تصور خاطىء بل وثنى من أساسه • ولايحتوى على فكرة الوحدانية أو الخلق من العدم وهما صفتان من صفات الله تعالى •

وتصور (الله) فى الفلسفة الأوروبية المسيحية مختلط بعقيدة التثليث ، فالله عندهم يعنى غالبا الاله الاب ، أول الأقانيم الثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا •

ان استعمال هذه الأدلة الفلسفية لاثبات صحة الايمان بالله الواحد الأحد معناه – بوضوح – أن نثبت بالكفر صحة الايمان وبالشرك صحة التوحيد ، وبالعقل الانسانى المغرور ، المخلد الى الأرض ، المتمرد على وحى السماء – صحة هذا الوحى ، وأنه حق من عند الله •

ينبغى أن نؤكد أن معظم المفكرين المسلمين القدامى الذين اتخذوا هذا الموقف « العقلانى » قد اتخذوه بحسن نية ، وذلك لأنهم اتخذوه فى عصر احتكاك المسلمين بالشعوب المجاورة ذات الحضارات القديمة ، كالهند والفرس واليونان وكان هدف هؤلاء المفكرين المسلمين هو الدفاع عن الاسلام بسلاح الفلسفة ، فى عصر كانت فيه الفلسفة اليونانية بوجه خاص تشبه السحر أو الكهانة فى تأثيرها على العقول المفتونة بحضارة اليونان • كما أن لتقدم العلوم والتكنولوجيا فى عصرنا الحاضر تأثيرا يشبه السحر أو الكهانة على العقول المفتونة بحضارة الغرب •

ومع هذا فان حسن النية لم يمنع أولئك المفكرين المسلمين – ولاسيما المعتزلة – من التأثر بعقلية العدو الذى كانوا يحاربونه بأسلحة من صنعه هو • ولو كانت هذه الأسلحة مادية لهان الأمر ، ولكنها كانت أسلحة فكريه حضارية مستوردة ، أى ليست من الانتاج الذاتى المتميز لحضارتهم الاسلامية •

ومن المعروف أن المعتزلة قد تأثروا تأثرا واضحا بالفلسفة اليونانية ، والمنطق اليونانى ، وطريقة الجدل اليونانى •

بل ان مفكرا كبيرا من أهل السنة ، ومفسرا مشهورا من مفسرى القرآن الكريم ، وهو الفخر الرازى ، كان فى بعض مراحل حياته الفكرية لا يكتف بالتفرقة بين العقل والنقل ، بل يذهب الى حد القول بأن العقل أكثر يقينا

من النقل ، وأن « الدلائل النقلية ظنيـــة ، والعقلية قطعية » (معالم أصــول الدين ط ، القاهرة ص ٢٤) .

وقد أدى هذا الموقف الذى يقوم عــلى الثنائية بين الوحى والعقل . الى ظهور ذلـك التيار السائد فيما يسمى بالفلسفة الاسلامية . وهو التيار الذى يحاول التوفيق أو «التلفيق» بين الوحى والعقل . أو بين الدين والفلســفة. أو بين الشريعة والحكمة .

وقد انساق فى هذا التيار معظم من يسمون « فلاسفة الاسلام » : منذ الكندى فى القرن الثالث الهجرى حتى يبلغ التيار قمته عنــد ابن رشد فى القرن السادس . وذلك فى كتابه : **فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصــــال .**

وأنا لا أتهم هؤلاء الفلاسفة بالكفر ، بـل أفترض فيهم حســن النية . وأقدر جهودهم الفكرية والعلمية . ولكن هذه الجهــود هى « اجتهادات » بشرية تخطىء وتصيب !

المنهج الاسلامى :

ان فصل العقل عن الدين هو أمر قد يصح بالنسبة لدين كالمسيحية ، ولكنه لا يصــح مطلقا بالنسبة للاسلام .

ففى القــرآن الكــريم آيات لاتكاد تحصى عددا تطالب الناس جميعا (ولا سيما الكافرين منهم) بتنحية كل الحواجز التى تحــول بين الانسان وبين اكتشاف الحق والعمــل به ، وبخاصة فيما يتصل بالايمان بالله الواحــد الأحــد .

ومن أخطر هذه الحواجز : الاكراه فى الدين ، والتقليــد الأعمى للآباء والأجداد ، واتبــاع الهوى والظن ، واتخاذ الوســطاء بين اللــه والناس .

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليـــه وســـلم :

« أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »؟ (يونس ١٠ : ٩٩) . ويقول تعالى :

«لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ» (البقرة ٢ : ٢٥٦) .

وينعى القرآن على المشركين تقليدهم الأعمى لآبائهم وأجدادهم فى العقيدة والسلوك ، رغم جهل هؤلاء وضلالهم :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّــهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا ما وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ » (المائدة ٥ : ١٠٤) .

كما ينعى عليهم انهم لا يستجيبون لدعــوة الحق لأنهم يتبعون أهواءهم :

« فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَم أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ » (القصص ٢٨ : ٥٠) .

ويتبعون الظن :

« وما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّاظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » (يونس ١٠ : ٣٦) .

وكذلك ينعى على اليهود والنصارى أنهم :

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُــمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ » (التوبة ٩ : ٣١) .

العقيدة والعقل

وبعد استبعاد هذه الحواجز يدعو القرآن الناس جميعا الى التفكير فى خلق السموات والأرض ، وفى خلق الانسان ، أى فى جميع الظواهر الكونية والانسانية ، للاستدلال بدراستها واكتشاف ما فيها من القوانين والعلاقات ووحدة النظام والتدبير الحكيم — على وجود خالق واحد قادر مريد ، عليم حكيم ، رؤوف رحيم .. له الأسماء الحسنى .

فأى منهج أفضل من هذا المنهج علمية وموضوعية ، واتساعا على الكون والانسان ، وانفتاحا على البشرية فى كل مكان وزمان ؟!

ولا يقتصر التفكير على الطبيعة والانسان ، بل يمتد الى آيات القرآن :

فهذا الكتاب الكريم قد نزل للناس لا لمجرد أن يحفظوه بدون فهم ، أو يتغنوا به بدون عمل — كما نفعل نحن المسلمين اليوم — وانما نزل ليتدبروا آياته ويعملوا بها :

« كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ » (ص ٣٨ : ٢٩) .

ولكن القرآن الكريم لا يخاطب عقل الانسان وحده ، وانما يخاطب كيان الانسان كله :

يخطاب عقله وحسه وخياله ووجدانه وبصيرته .

أى يخاطب فطرته المتكاملة : **« فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ »** (الروم ٣٠ : ٣٠) .

ولعل هذا بعض ما يجعل للقرآن تأثيرا على النفس الانسانية لا يعادله تأثير أى كتاب آخر فى تاريخ البشرية على الاطلاق .

ومن المعروف أن كثيرا من المهتدين الى الاسلام — وبخاصة فى الغرب — قد توسعوا فى دراسة الفلسفة . ولكنهم غالبا لم يهتدوا الى الاسلام عن طريقها ، وانما عن طريق الكتاب العزيز ، أو السنة النبوية الشريفة ، التى هى فى حقيقتها تفسير وتطبيق حى للقرآن الكريم .

فكيف لا نخاطب بهذا القرآن جميع الناس وقد نزل لجميع الناس ؟

كيف لانخاطب به الا المؤمنين وقد خاطب الله به — صراحة أو ضمنا — المؤمنين والمنافقين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا ؟!

كيف لا نخاطب به الانسانية كلها وقد أرسل به الرسول صلى الله عليه وسلم رحمه للعالمين ؟!

وكيف لا نبينه وقد أمرنا بتبيينه للناس جميعا . وقد لعن الله كل من كتم هداه ، وحال بين نوره وبين الناس :

« إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا » (البقرة ٢ : ١٥٩ — ١٦٠).

وبعد هذا التبيين فليؤمن من يؤمن ، وليكفر من يكفر ، لأنه : « لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ » .

د. أحمد عبد الحميد غراب

٤

من علوم القرآن

الإعجاز

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

بيان ذلك :

ان أول سورة فى كتاب الله هى سورة الفاتحة وهى قول الحق تبارك وتعالى :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ . »

ومن اليسير على كل من يقرؤها أو يسمعها أن يدرك اشتمالها على طرفين ونوع الصلة التى تربط كلا منهما بالآخر .

أما الطرف الأول : فهو المعبر عنه بلفظ الجلالة « الله » و « الله » علم على الذات العلية المتصفة بكل كمال والمنزهة عن كل نقص ، الذات القائمة بنفسها ولا تحتاج الى سواها ، لا فى وجودها ، ولا فى دوامها ، فهى واجبة الوجود ، وواجبة البقاء ، لا أول لوجودها ولا نهاية له .

وأما الطرف الثانى : فهو المعبر عنه بـ « العالمين » وهو جمع عالم ، والعالم ما سوى الله تعالى ، وما سوى الله أنواع ، وهذا هو سر الجمع فيه .

ومن العوالم ما هو مكلف . ومنها ما هو غير مكلف . وكلها عاجزة عن أن توجد نفسها ، أو تقوم بما يحفظ عليها حياتها بعد أن توهب الوجود ، ووجودها محدود بما يأذن به الواهب من وقت ، ومن هنا كانت فى حاجة الى من يوجدها ، وفى حاجة دائمة الى من يرعاها طوال الفترة التى أذن لها بالحياة فيها .

و « الله » هو الذى وهب هذه العوالم كلها الوجود ، وهو الذى مدها ويمدها من العطاء ما تقيم به حياتها ، فهو مالكها ، وهو سيدها ، هو مربيها ، وهو مدبر أمورها بحكمته التى لا يعتريها خلل ولا اضطراب ... الى آخر ما

تشير اليه كلمة « الرب » فى لسان العرب الذى أنزل الله به القرآن ووصف نفسه فيه بأنــــه « رب العالمين الرحمن الرحيم » •

وكل من نعمة الخلق والايجاد ، ونعمة الامداد والعطاء ، ونعمة الرحمة والعطف تستوجب الثناء والحمد لواهبها ، فاذا جاءت كلها مــن مصدر واحد — ولا مصدر لها الا الله — وجب ألا يكون ثناء الا عليه ، وألا يكون شكر الا له وهذا معني قوله تعالى :

« ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ » •

واذا كان الله هو واهب النعم كان هو وحده الذى ينبغى أن يطاع ويعبد . واذ كان هــو « رَبِّ ٱلْعَـــٰلَمِينَ » فهـــــو الـــذى ينبغى أن يستعان عند الحاجة ، وهذا هو معنى قوله سبحانه :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » •

ولسنا فى حاجة الى القول بأن افراده تعالى بالعبادة والطاعة ، والاتجاه اليه وحده فى طلب العون والمدد انما يكون ممن خصه الله بالتكليف من خلقه ، فالمكلف هداه الله النجدين . واختياره لأحدهما مع احاطته بالمكاره والشــهوات ليس بالأمر الهين ، فهو فى حاجة الى من يأخذ بيده الى طريق الصواب ، ومن غير خالقه يضرع اليه أن يهديه الى الخير ؟ ، وهذا هو توجيه اللـــه لعباده فى سورة الفاتحة فى قوله تعالى :

« ٱهْـدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ • صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ »

ومادام هناك تكليف ، وهناك طاعة ومعصية ، فلابد من التفرقة بين من أطاع ومــن عصى ، فليس من الحكمة فى شىء أن يسوى بينهمـــا ، وقد حدد الله يوما للجـــزاء فيثيب مــن اتقى ويعاقب من فجر ، وسماه « يــوم الــدين » وأخبرنا فى سورة الفاتحة أنه وحده هو :

« مَٰلِكِ يَـوْمِ ٱلدِّينِ » •

هذه هى سورة الفاتحة وهى — كما يقــول أهل العلم — تلخيص لكل ما جاء فى القرآن كله:

ففيها الحديث عن « الله » وهو الحق •

وفيها الحديث عما سوى الله مــن عوالم ، ونحن — بنى الانسان — نوع منها وفيهــا الحديث عن صلة الله بالعوالم كلها وصلتها بـــه سبحانه •

وفيها الحديث عن « يوم الدين » وهو اليوم الذى يضع الله فيه الموازين القسط للتفرقة بين المتقين والفجار •

وكل ما جاء فى القرآن يدور حول أمر من هذه الأمور . اما لتقرير الأمر فى نفسه والاخبار بأحقيته . واما بشرح تفاصيله أو اقامة الدليل عليه للتوضيح والبيان •

وسنحاول أن نضع بين يدى القارىء بعض نماذج من آيات القرآن الكريم لكل من هـــذه الأمور التى عالجها لنبحث معا عما فيه ممــا يعجز الانس والجن وهو ما يعبر عنه بــــــ « وجه الاعجاز فى القرآن » •

الحديث عــن اللــه

ونبدأ بالحديث عن « الله » تبارك وتعالى ؛ ولقد أجمع أهل العلم عــلى أن لفظ الجـلالة «الله» علم على الذات العلية •

وأول ما يلفت نظر دارس القرآن أنه تعالى هو الذى ســمى — بهذا اللفظ — نفســه ولم يسمه سواه . نقرأ فى حديث الله تعالى لموسى عليه السلام :

« إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى » (١) .

وبجانب لفظ الجلالة هناك أسماء أخرى طلب الله منا أن ندعوه بها فى قوله سبحانه :

« وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا .. » (٢)

ولم يدع تحديد الأسماء الحسنى لسواه ، وانما تولى ذلك بنفسه وعددها فى آيات كتابه نقرأ من ذلك قوله تعالى :

« هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . » (٣)

وقوله جل شأنه :

« سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » (٤)

وقد نلاحظ — ونرجو ألا نبعد عن الحق — أن الأسماء الحسنى تحدد — فى مجموعها —

خصائص الألوهية :

من الوحدانية التى لا يشوبها تعدد فى أى ناحية من نواحيها ، لا فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال ، فهو سبحانه كما عبر عن نفسه

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ » (٥) .

ومن العلم الشامل الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ظهر ذلك أو خفى . وصدق الله حيث يقول :

« ... يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (٦)

وحيث يقول :

« قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . » (٧)

ومن القدرة النافذة التى عبر عنها فى قوله عز وجل :

« إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » (٨) .

ولا يخفى على أى دارس للقرآن الكريم أن الحديث عن خصائص الألوهية قد استوعب من الآيات مالا يتسع المقام هنا لحصره ، ويكفى أن نقتبس هنا بعض آيات تغنى عن مثيلاتها ،

---

(١) سورة طه : الآية ١٤ .
(٢) سورة الاعراف : الآية ١٨٠
(٣) سورة الحشر : الآيات ٢٢ — ٢٤
(٤) سورة الحديد : الآيات ١ — ٣
(٥) سورة الشورى : الآية ١١
(٦) سورة الحديد : الآية ٤
(٧) سورة آل عمران : ٢٩
(٨) سورة النحل الآية ٤٠

ومنها قول الله تبارك وتعالى :

« وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ .

« وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ . ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ » (١) .

وقوله سبحانه :

« اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ » (٢) .

وقوله جل شأنه :

« إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِى ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (٣) .

وقوله سبحانه :

« إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (٤) .

(١) سورة الانعام : الآيات ٥٩ ــ ٦٢
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٥
(٣) سورة الانعام : الآيات ٩٥ ــ ٩٩
(٤) سورة الاعراف : الآية ٥٤

وقولـــــه :

« اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (١) .

وقولـــــه :

« اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ . فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (٢) .

وقولـــــه :

« اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ... » (٣) .

وقولـــــه :

« خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ » (٤) .

وقولـــــه :

« إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » (٥) .

وقوله سبحانه :

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » (٦) .

تلك بعض آيات من كتاب الله — ومثلها فى القرآن كثير — ذكر فيها ما تفرد به سبحانه من صفات . وأسند فيها الى ذاته كثيرا من الأفعال التى لا تصدر الا عنه . وكلها جاءت بأسلوب التقرير والاخبار لأنها حقائق لا ينكرها أحد من أصحاب العقول السليمة أو يشكك فيها .

وهل يمكن لمخلوق — أيا كان هذا المخلوق — أن يصف نفسه بشىء منها أو يسند الى نفسه

---

(١) سورة الروم : الآية ٤٠

(٢) سورة الروم : الآيات ٤٨ ـ ٥٠

(٣) سورة ابراهيم : الآيات ٣٢ ـ ٣٤

(٤) سورة لقمان . الآية ١٠ . ١١

(٥) سورة فاطر : الآية ٤١

(٦) سورة الاخلاص

أى فعل من الأفعال التى ذكرت فيها . هـــل هناك ــ غير الله ــ من يمكن أن يقول « **عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ... الخ** » أو انه « **لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** » أو « **لَهُ مَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ** » أو « **لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** » أو أنـه « **الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ».

وهل هناك ــ غير الله ــ من يمكن أن ينسب الى نفسه أنه « **خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** » أو « **يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ... الخ** » أو « **سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** » أو أنه « **يُمْسِكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ...** »

وبجانب الآيات الكريمة التى تقرر الحقائق وتخبر بها نجد آيات تقدم الدليل العملى على أحقية ما تقرر ، وفى حديث القرآن عن المنافقين أكثر من دليل واقعى يؤكد أنه سبحانه « عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » وهو أخفى ما يكون من السر من ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** » (١) .

وقوله جل شأنه :

« **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** » (٢) .

ان نفى الايمان عن هـؤلاء الذين قالوا « **آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ** » والحكم عليهم وعلى من ذهبوا الى رسول الله وقالوا : « **نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ** » بأنهم كـاذبون لا يكون الا ممن اطلع على حقيقة ما فى أنفسهم مما لا دليل عليه فى الخارج . وهل هناك من المخلوقين من يستطيع ذلك ؟ ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ــ وهو أقرب عباد الله الى الله ــ لم يدع لنفسه هذا . ولم يقبل عذر من قتل رجلا بعد أن قال : « **لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ** » قال : « انه قالها تقية » . لقد قال له رسول الله « هلا شققت عن قلبه » ؟

ويقول الله تعالى فى صدد الحديث عن غزوة أحد وملابساتها :

« ... **وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِى أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ**

(١) سورة البقرة : الآيات ٨ ــ ١٠

(٢) سورة المنافقون : الآية ١

وَلِيَبْتَلِىَ اللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَـا فِى قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » (١) .

ونقرأ قوله سبحانه :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَـنِ النَّجْـوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَـا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْـلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (٢) .

فهل يمكن لغير منزل القرآن أن يفضح هؤلاء بكشف سترهم واظهـار ماأسروا فى أنفسهم ؟

ويفرق الله سبحانه بين من ينفق ما لـــه رئاء الناس ومن ينفقه ابتغاء مرضاة اللـــه وتثبيتا من نفسه فيقول :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَـدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَـهُ رِئَاءَ النَّـاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْـدِى الْقَـوْمَ الْكَافِرِينَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (٣) .

فهل يمكن لمخلوق ــ أيا كان هذا المخلوق ــ أن يفرق بين الاثنين وقد تساويا فى الانفاق ؟ ان التفرقة كانت لأمر لا يطلع عليه الا عــلام الغيوب . وصدق الله فى قوله : « وَاللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » .

وكما نطقت بعض الآيات بالدليل الواقعى على شمول علم الله ، فقد نطقت آيات أخرى بالدليل الواقعى على أن قدرته تعـالى نافذة لا يعجزها شىء ، وأن القوانين التى خلق الخلق عليها لا تقيد قدرته لأنه خالقها ، فان شـــاء أطلق تأثيرها ، وان شاء أوقفه .

نقرأ فى ذلك ما قصه الله فى القرآن عن رسوله زكريا عليه السلام عنـدما استبعـد تحقيق البشرى التى سمعها من الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب « أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًـا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُـورًا وَنَبِيًّـا مِـنَ الصَّالِحِينَ » « قَـالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُـلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ » وجاءه الرد : « كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ » (٤) وولد لـــه يحيى .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٤

(٢) سورة المجادلة : الآية ٨

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ ، ٢٦٥

(٤) سورة آل عمران : الآيتان ٣٩ ، ٤٠

من علوم القرآن «الإعجاز»

ونقرأ ما جاء فى حديث القرآن عن مريم عندما قالت لها الملائكة : « يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ »

وكان ذلك غريبا عليها ومستحيلا فيما ألف الناس فقالت :

« رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ »

وجاءها الرد الواضح :

« كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ » (١) .

وكان الحمل دون أن يمسها بشر وولد عيسى عليه السلام .

ومن هذا القبيل ما نقرؤه فى قصة موسى وفرعون عندما أسرى موسى بمن معه تنفيذا لأمر الله فأتبعهم فرعون بجنوده :

« فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ . فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » (٢) .

وما نقرؤه فى قصة ابراهيم عليه السلام وما دار بينه وبين أعداء الله من حوار بعد أن جعل أصنامهم جذاذا وانتهى أمرهم بأن : « قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ » . (٣)

وكان نصر الله لخليله المعبر عنه بقوله سبحانه :

« قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ » (٤) .

وتحقق قول الله تبارك وتعالى :

« وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ » (٥) .

الحديث موصول

د . أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) آل عمران : الآيات ٤٥ ــ ٤٧
(٢) سورة الشعراء : الآيات ٦١ ــ ٦٨
(٣) سورة الانبياء : الآية ٦٨
(٤) سورة الانبياء : الآية ٦٩
(٥) سورة الانبياء : الآية ٧٠

٣

فقه آية كريمة

سحر بابل

للدكتور عبد الباقى أحمد سلامة

إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ :

هذا هو الميثاق الذى أخذه الله على الملكين . عندما أنزلهما بالسحر ليعلما الناس البلاء الذى أراد الله أن يبتلى به الناس فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحدا حتى يقولا له .

« إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر » .

هذا قول الحسن . وقال قتادة مثله .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاذا أتاهما الآتى يريد السحر نهياه أشد النهى . وقالا له : « **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر** » وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والايمان . فعرفا أن السحر من الكفر . فاذا أبى عليهما أمراه أن يأتى مكان كذا وكذا . فاذا أباه عاين الشيطان . فعلمه . فاذا تعلمه خرج منه النور فنظر اليه ساطعا فى السماء فيقول: ياحسرتاه . ياويله . ماذا صنع ؟ ! .

وعن السدى : اذا أتاهما انسان يريد السحر وعظاه وقالا له : « **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر** » فاذا أبى قالا له : ائت هذا الرماد فبل عليه . فاذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الايمان وأقبل شىء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل فى مسامعه وكل شىء . وذلك غضب الله . فاذا أخبرهما بذلك علماه السحر ١ ــ (أعاذنا الله منه) .

تسمية السحر كفرا :

من السحر ما هو حرام وكبيرة وليس بكفر ومنه كفر .

فالكفر منه : ما يقوله الفلاسفة والصابئة . وما كان عليه الكلدانيون فى بابل من اعتقاد تأثير الكواكب . وتصرفها . وعبادة الناس لها . واتخاذ تماثيل لها .

أما ما كان على سبيل الشعوذة أو

◄

فقه آية كريمة

استخدام التراكيب الهندسية . أو الاستعانة بخواص الأطعمة أو ما شابه ذلك فليس بكفر.

وقد سمى الله تعالى السحر كفرا فى قوله: « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » بقول السحر . « وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا » به وبتعليمه . فالمراد نفى السحر عن سليمان واثباته للشياطين . ويكون المراد منه : السحر بمكفر. وهو الشائع فى بابل . وحرص عليه اليهود . وعلمته الشياطين للناس بقصد اضلالهم .

ومن هذا ماقيل : لا يجترىء على السحر الا كافر (عن ابن جريج) (١) وسيأتى تفصيل القول فى «حكم الساحر» ان شاء الله.

ماذا يتعلم الساحر ؟

يقول تعالى « فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ » هل هذا كل ما يتعلمون ؟ فلا يقدرون على شىء سواه ؟

قال القرطبى : ذهبت طائفة من العلماء الى أن الساحر ليس يقدر على أكثر مما أخبر الله عنه من التفرقة بين المرء وزوجه . لأن الله ذكر ذلك فى معرض الذم للسحر . والغاية فى تعلمه . فلو كان يقدر على أكثر من ذلك لذكره (٢) .

أو يتعلمون فنونا كثيرة . أقواها هو ما يستطيعون به التفريق بين المرء وزوجه ؟ فالعلاقة بين الزوجين أقوى العلاقات ثبوتا واستقرارا . وهى قائمة على السكن والمودة والرحمة . قال تعالى . « خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً » (٣) فاذا استطاع الساحر — تلميذ الشيطان — أن يفعل ذلك يكون قد أتى الأمر العظيم والدرجة العليا التى ينال بها تقدير الأب الأكبر عنده (ابليس اللعين) .

روى مسلم فى صحيحه عن جابر . عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : ان الشيطان ليضع عرشه على الماء . ثم يبعث سراياه فى الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم فتنة . يجىء أحدهم فيقول : مازلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا . فيقول ابليس : لا والله ما صنعت شيئا . ويجىء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله . قال : فيقر به ويدنيه ويلتزمه ويقول : نعم أنت (٤) .

قال الفخر الرازى (٥) : لم يذكر الله تعالى ذلك لأن الذى يتعلمون ليس الا هذا القدر . لكن ذكر هذه الصورة تنبيها على سائر الصور . فان استكانة المرء الى زوجته وركونه اليها معروف زائد على كل مودة . فنبه الله تعالى بذكر ذلك على أن السحر اذا أمكن به هذا الأمر على شدته فغيره به أولى . اه

ضرر السحر باذن الله

قال تعالى « وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ

---

١ — يراجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٣
٢ — تفسير القرطبى جـ٢ ص ٥٥
٣ — سورة الروم ٢١
٤ — تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٤٣
٥ — تفسير الفخر جـ٣ ص ٢٢١

« إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ » تحدثت الآية الكريمة عن ضررين يقعان بسبب السحر .

نوع يقع على الساحر « **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ** » وسيأتى .

ونوع يقع على المسحور « **وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** » فسرها سفيان الثورى : الا بقضاء الله .

وقال محمد بن اسحق : الا بتخلية الله بينه وبين ما أراد .

وقال الحسن البصرى : من شاء الله سلطهم عليه ومن لم يشأ لم يسلط (١) .

وقال القرطبى : (٢) ما هم : اشارة الى السحرة . وقيل : اليهود . وقيل : الشياطين وإذن الله : ارادته وقضاؤه . لا أمره . لأنه تعالى لا يأمر بالفحشاء .

وقال الزجاج : الا بعلم الله .

وقال النحاس : بعلم الله : غلط . لأنه يقال فى العلم : أذن « بفتح الأول والثانى » ولكن . لما لم يحل فيما بينهم وبينه وظلوا يفعلونه كان كأنه أباحه مجازا . اهـ

أما الفخر الرازى فقد جمع كل ذلك فقال (٣) .

اعلم أن الأذن حقيقة فى الأمر . والله لا يأمر بالسحر . ولأنه تعالى أراد عيبهم وذمهم ولو كان قد أمرهم به لما ذمهم . فلابد من التأويل . وفيه وجوه :

أحدها : قال الحسن : المراد منه التخلية يعنى الساحر اذا سحر انسانا . فان شاء الله منعه . وان شاء خلى بينه وبين ضرر السحر .

وثانيها : قال الأصم : المراد : الا بعلم الله . وقد سمى الأذان أذانا لأنه اعلام للناس . وسمى اذنا لأن بالحاسة القائمة به يدرك الاذن . ومنه « **وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ** » (٤) . « **آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ** » (٥) يعنى أعلمتكم .

وثالثها : أن الضرر الحاصل عند فعل السحر انما يحصل بخلق الله . وايجاده . فيصح أن يضاف الى اذن الله . كما قال « **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** » (٦)

ورابعها : أن يكون المراد بالاذن الأمر . بأن يفسر التفريق بين المرء وزجه . بأن يصير كافرا . والكفر يقتضى التفريق . فان هذا حكم شرعى . ولا يكون الحكم الا بأمر الله . اهـ

السحر يضر الساحر

أما الضرر الذى يقع على الساحر . فقد ذكره الله تعالى فى قوله « **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ** » .

---

١ ــ تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٤٣
٢ ــ تفسير القرطبى جـ٢ ص ٥٥
٣ ــ تفسير الفخر جـ٣ ص ٢٢١
٤ ــ سورة براءة ٣ ــ أى اعلام
٥ ــ سورة الأنبياء ١٠٩
٦ ــ سورة النحل ٤٠

فقه آية كريمة

قال ابن كثير (٢) : يضرهم فى دينهم . وليس لهم نفع يوازى ضرره . وليس لهم خلاق فى الآخرة . أى نصيب . كما قال ابن عباس ومجاهد والسدى .

وقال قتادة : من جهة عند الله .

وعن الحسن : ليس له دين .

وعن قتادة : عهد الله الى أهل الكتاب أن الساحر لا خلاق له فى الآخرة . ولقد علموا ذلك . اﻫ .

والقرطبى : يفسرها : بأن السحر يضر الساحر فى الآخرة وان أخذ به نفعا قليلا فى الدنيا .

وقيل : يضرهم فى الدنيا .لأن الساحر اذا عثر عليه يؤدب ويزجر ويلحقه شؤم السحر (٣) .

وقال الفخر الرازى : ذكر لفظ الشراء على سبيل الاستعارة — والشراء هو مبادلة — لوجوه :

أحدها : لأنهم نبذوا كتاب الله . وأقبلوا على ما تتلوه الشياطين من السحر . فهذه مبادلة .

الثانى : قصد الملكان بتعليم السحر الاحتراز عنه . ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة . فلما استعمل السحر . فكأنه باع منافع الآخرة . واشترى بها منافع الدنيا .

الثالث : لما استعمل السحر تكلف مشقة شديدة ليتمكن من هذا الاستعمال . فكأنه اشترى قدرته على هذا الاستعمال بالمحن والمشقات التى تحملها . اﻫ . بتصرف (٣).

ثم قال (٣) : أثبت الله لهم العلم ثم نفاه عنهم . فى قوله : « ولقد علموا ..... لو كانوا يعلمون » .

فكيف ذلك ؟

والجواب من وجوه :

أحدها : الذين علموا غير الذين لم يعلموا . فالذين علموا : هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه . وهم المقول فيهم « نبذ فريق » . أما الجهال الذين يرغبون فى تعلم السحر فهم الذين لا يعلمون . هذا جواب الأخفش وقطرب .

ثانيها : هم واحد . علموا شيئا . وهو : أنهم ليس لهم فى الآخرة خلاق . وجهلوا ولم يعلموا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة .

ثالثها : القوم واحد . والمعلوم واحد . ولكنهم لم ينتفعوا بعلمهم . بل أعرضوا عنه. فصار ذلك العلم كالعدم . كما سمى الله الكفار « **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ** » (٤) اذ لم ينتفعوا بهذه الحواس . اﻫ

الخير فى الايمان والتمسك بكلام الله

ختم الله تعالى هذه الآية الكريمة بقوله « **وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** » .

الضمير عائد الى اليهود . الذين نبذوا كتاب الله . واتبعوا ماتتلو الشياطين . ولما بين الله فيهم الوعيد بقوله « **وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا**

---

١ — تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٤٣ بتصرف
٢ — تفسير القرطبى جـ٢ ص ٥٥،٥٦ بتصرف
٣ — تفسير الفخر جـ٣ ص ٢٢٢ بتصرف
٤ — سورة البقرة ١٨ ، ١٧١

بِهِ أَنفُسَهُم» أتبعه بالوعد • جامعا بين الترهيب والترغيب • لأن الجمع بينهما أدعى الى قبول الطاعة • والعدول عن المعصية • وكان ذلك منه تعالى كرما بعباده ورحمة بهم •

فالمطلوب منهم — ان أرادوا الخير لأنفسهم أن يؤمنوا بما نبذوه • سواء كان هذا الذى نبذوه هو القرآن الكريم أو التوراة التى بشرت به • أو هما معا • كما تقدم (١) • وان يتركوا ما اتبعوه مما تلته شياطين الجن أو الانس افتراء على ملك سليمان • وتعليمهم الناس السحر • الذى تحقق ضرره بالمسحور ثم بالساحر فى الدنيا والآخرة •

انهم ان فعلوا ذلك : أثيبوا ثوابا عظيما من عند الله • وشتان بين ما ينتفع به الساحر فى الدنيا • وبين فضل الله وثوابه فى الدنيا والآخرة • فما عند الله خير وأبقى •

فهل يعلمون ؟ ومتى يتعقلون ؟

السحر وأنواعه :

قال الراغب : السحر يطلق على معان :

أحدها : ما لطف ودق • ومنه سحرت الصبى: خادعته واستملته • وكل من استمال شيئا فقد سحره • ومنه سحر العيون لاستمالتها النفوس • وقولهم الطبيعة ساحرة • ومنه قوله تعالى **« بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ »** (٢) ومنه حديث **(ان من البيان لسحرا)** •

الثانى : ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها • نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده • وذلك كالاشارة بقوله تعالى **« يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى »** (٣) وقوله تعالى **« سحروا أعين الناس »** (٤) ومن هناك سموا موسى عليه السلام ساحرا •

الثالث : ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب اليهم • والى ذلك الاشارة بقوله تعالى **« وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ••• »** •

الرابع : ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم • وقد يجمع بعضهم بين الآخيرين (٥) •

وقال أبو بكر الرازى فى الأحكام (٥) : كان أهل بابل قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة السيارة • ويسمونها آلهة • ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما فى العالم • وعملوا أوثانا على أسمائها ويتقربون اليها • وهم الذين بعث اليهم ابراهيم عليه السلام •

وكان السحرة منهم يستعملون كل أنواع السحر • وينسبونها الى فعل الكواكب • لئلا يبحث عنها • وينكشف تمويههم •

والسحر قد يطلق ويراد به الآلة • وهى قد تكون من المعانى كالرقى والنفث فى العقد • وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور • وتارة يجمع الأمرين (٦)

وذكر الرازى فى تفسيره (٦) : أن لفظ السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته • ويجرى

---

١ — تقدم مفصلا ص ٣ ، ٤
٢ — سورة الحجر ١٥
٣ — سورة طه ٦٦
٤ — سورة الاعراف ١١٦
٥ — فتح البارى جـ١٠ ص ٢٢٢ بتصرف
٦ — جـ٣ ص ٢٠٦ — ٢١٢ مع تصرف واختصار

فقه آية كريمة

مجرى التمويه والخداع .. ثم قال :

اعلم أن السحر على أقسام :

١ — **سحر الكلدانيين** : كانوا يعبدون الكواكب . ويزعمون أنها المدبرة . **وهم الذين** بعث اليهم ابراهيم عليه السلام — **فهم أهل** بابل — وقد استقصى الرازى **فى « كتاب** السر المكتوم فى مخاطبة **الشمس والنجوم)** المنسوب اليه . ويقال : انه تاب منه . **وقيل :** بل صنفه على وجه اظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد — وذكر فيه طريقهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة . وكيفية ما يفعلون . ويتنسكون به .

٢ — **سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية** : فالهمم والنفوس القوية أثر كبير . وللوهم تأثير بأن الانسان يمكنه أن يمشى على الجسر أو الجذع الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشى عليه اذا كان ممدودا على نهر ونحوه .

٣ — **الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن** : خلافا للفلاسفة والمعتزلة الذين ينكرون وجود الجن ... واتصال النفوس الناطقة بالأرواح الأرضية أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية لما بينها من المناسبة والقرب . والاتصال بها يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد . وهذا هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير .

٤ — **تخيلات وأخذ بالعيون وشعبذة :** ويكون بصرف البصر والخاطر عما يفعله المشعوذ .

وقال بعض المفسرين : ان سحر السحرة بين يدى فرعون كان من هذا النوع .

٥ — **الأعمال العجيبة** : التى تظهر من آلات مركبة على النسب الهندسية . كالصور التى يصورها الروم والهند . ولها وجوه ضاحكة وباكية . وكان سحرة فرعون من هذا القبيل . فقد قيل انهم عمدوا الى الحبال والعصى فحشوها زئبقا . فصارت تتلوى . بتأثير حرارة الشمس فى الزئبق .

٦ — **الاستعانة بخواص الأدوية فى الأطعمة والدهانات** : كأن يجعل فى طعامه بعض الأدوية المزيلة للعقل . والدخن المسكرة وذلك كأثر المغناطيس .

٧ — **تطليق القلب** . بأن يدعى الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه . فاذا كان السامع ضعيف العقل اعتقد أنه حق . وتعلق به قلبه . وحصل فى نفسه نوع من الرعب . فيؤثر فيه الساحر بسهولة .

٨ — **السعى بالنميمة والتقريب من وجوه خفيفة لطيفة . اهـ (١)**

وقال القرطبى (١) : السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعانى فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هى به . كالذى يرى السراب من بعيد فيخيل اليه انه ماء . وكراكب السفينة يخيل اليه أن ما يرى من الأشجار والجبال تسير معه . اهـ .

يتبع

١ — ويراجع أيضا تفسير ابن كثير جـ ١ من ص ١٤٤ الى ص ١٤٧ .

سماحة المؤمن فوق حقه

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

روى الامام أحمد فى سنده باسناد صحيح: حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا يونس يعنى ابن عبيد حدثنى عطاء بن فروخ مولى القرشيين : أن عثمان اشترى من رجل أرضا فأبطأ عليه فلقيه فقال له :

ما منعك من قبض مالك ؟

قال انك غبنتنى ، فما ألقى من الناس أحدا الا وهو يلومنى .

قال أو ذلك يمنعك ؟

قال : نعم .

قال : فاختر بين أرضك ومالك .

ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أدخل الله عز وجل الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا وقاضيا ومقتضيا »

ورواه أيضا من طريق محمد بن جعفر وحجاج عن شعبة عن عمر بن دينار عن عثمان ومن طريق حماد بن سلمة عن عثمان .

ورواه النسائى وابن ماجه .

وأخرج نحوه البخارى فى الوكالة ، والاستقراض .

ومسلم فى البيوع فى باب جواز اقراض الحيوان ، واستحباب توفيته خيرا مما عليه .

رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه فى الأحكام .

ومداره عندهم عن سلمة بن أبى سلمة عن أبى هريرة .

وأخرج البخارى مثله عن جابر بن عبد الله ◄

سماحة المؤمن فوق حقه

رضى الله عنه فى البيوع فى باب السهولة والسماحة فى البيع والشراء :

المفردات :

قال فى المصباح سمح بكذا يسمح جاد وأعطى أو وافق على ما أريد منه .

والسمح : الجواد ولفظ « السمح » صفة مشبهة تدل على الثبوت .

المعنى :

سبب الحديث يشرح المقصود منه . ويوضح ما جاء فى قوله تعالى « **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** (١) » فيجازيكم عليه قليلا كان أو كثيرا جليلا كان أو حقيرا .

وما جاء حكاية لما قال شعيب لقومه « **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ** (٢) » أى الكيل والوزن بالعدل والسوية ولا تنقصوا الناس أشياءهم .

وما جاء فى قوله تعالى : « **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** » (٣) .

أى حزن وهلاك ومشقة من العذاب للمطففين الباخسين الناقصين فى الكيل والوزن . الذين اذا اكتالوا على الناس حقهم منهم يستوفونه ويأخذونه وافيا واذ كالوا لهم أو وزنوا لهم ينقصون وهى عادتهم فى أخذ حقهم . وهذا يدل على أنهم لا يراقبون يوم البعث والحساب ولو فعلوا لارتدعوا عن نقص الكيل والوزن للناس .

والمراد من المساهلة فى الحديث أن يترك للمشترى فى الأول والبائع فى الثانى بعض الشىء أو يوافق فيهما صاحبه ، والأخذ والعطاء بغير عقد البيع والشراء .

وسهولة القضاء أن يؤدى الحق لصاحبه كاملا تاما .

وسهولة التقاضى بالعفو عن بعض ، وترك المضاجرة ونحوها فى المعاملة بين الناس .

وليس المراد من السهولة عدم المماكسة ، أى محاولة تخفيض السعر عما يقوله البائع فلا شىء فيه اذا جرى بالحسنى .

---

(١) البقرة ١٩٧ .
(٢) هود ٨٥ .
(٣) المطففين ١ ــ ٦ .

وتلك صورة قريبة لسيدنا عثمان ترينا ما عليه من فضل وورع وتناس لحقه استمساكـا بتعاليم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحبا فى المسلمين وهى ـ الى ذلك ـ تكشف لنا عن خلق من خاض فيه بغير علم ولا حياء رضى الله عن سيدنا عثمان وأرضاه ونفعنا به.

أحمد حسـن جابر

واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ـ بقيـة

وسلطة البابا تمتد الى كل ما فى الكنيسة من المقررات والشرائع اللازمة ، فله سن الشرائع الكنسية ، والتحريمات والتفسيحات (١) من شرائع أسلافه ، وله الحكم المطلق فى كل الكنيسة مباشرة ،وله أن ينشر تعليمـا ايمانيا ، ويحتم حفظه ، لأن فحص الآيات أمر خاص به منذ أجيال عديدة » (٢) .

فاذا قالوا :ان كتبهم المقدسة لم تذكر كل شىء

قلنا ـ نحن المسلمين ـ قال تعالى :

« مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ » (٣) .

واذا كان لهذا « البابا » سلطة التحريم والتفسيح وتمتد يده الى المقررات والشرائع بما يراه

قلنا ـ نحن المسلمين ـ قال تعالى :

« وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَمُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ » (٤) .

ثم لا علينا بعد من زئير أسود « السيرك » فانه يثير الشفقة ، ولا يبعث الرعب .

والقرآن الكريم ، والحديث الصحيح هما وحى الله المتين سبحانه وتعالى .

والناس صنفان : فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه .

ويتوب الله على من تاب ، وقد خاب من افترى .

د. على الخطيب

---

(١) التفسيحات ضد التحريمات .

(٢) راجع للقس الكاثوليكى : يوسف لويس ـ شرح التعليم المسيحى ١/١٤٧ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٩ ـ ١٧٦ مطبعة البرتيرى ١٩٣٩ .
وللأب نعمة الله العنذارى ـ المرسل اللبنانى ـ سلاحك ايها المسيحى ص ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ٢٢٢ .

(٣) سورة الانعام ٣٨ .

(٤) سورة الانعام ١١٥ .

تناسق سور القرآن

وترتيبها (٣)

ان الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه ، وأخلص الصلوات ، وأطيب التسليمات على حبيبنا وشفيعنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المبعوث بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ، وبعد .

فكلما تأملنا القرآن ، وتدبرنا التنزيل ، وجدنا كل ما يمتع العقل ، ويروق الخاطر ، ويطمئن النفس ، من اعجازات كتاب الله التي تملأ القلب خشوعا وخشية واخباتا للحق جل شأنه .

ومن روائع التنسيق القرآني الجميل أن يتصل مؤخر سورة بمقدمتاليتها ، وأن تتوافق نهاية هذه بصدر اللاحقة بها مما يبين لنا أن هذا الترابط العضوي واللغوي والبياني لم يأت عبثا ، ولم يرد عفوا ، انما هو تناسق وترابط وتوافق جميل لا يتذوقه الا من كان لديه علم وفهم وذوق ، فنسأل الله أن يرزقنا الفهم الذي يرقى بنا ويتسامى الى فهم معانيه الدقيقة ، واشاراته اللطيفة ، ومقاصده العظيمة ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يشرح صدورنا ببرد يقينه .

ومن دواعي الاعجاز أن توضع سورة الأعراف عقب سورة الأنعام وقبل الأنفال .

ان سورة الأنعام جاءت ببيان الخلق فقال تعالى فيها : « **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ** » (١) وفي بيان القرون « **كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ** » (٢) وقد أشير فيها الى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم ، وقد بسط فيها خلق آدم عليه السلام بسطا مستفيضا لم يحدث في سورة أخرى وقال تعالى أيضا في الأنعام « **كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** » (١٢) وهو سرد موجز ثم أتبع ذلك بسطا في الأعراف بقوله تعالى : « **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** » (١٥٦)

ثم نرى بين الأنفال والأعراف ترابطا يمتد في دقة واتقان ، وتتصل العلاقة فيه أيضا بين سورة براءة والأنفال ، ففي الأنفال قد تولى قسمة الغنائم ، وجعلها في قوله تعالى « **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**

---

(١) قبل الاحزاب : السجدة .. مجلة الازهر

(٢) أي الاحزاب .. مجلة الازهر

وَابْنِ السَّبِيلِ » (الآية ٤١) .

وفى براءة تولى قسمة الصدقات وجعلها لثمانية أصناف من الناس فى قوله تعالى :

« إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (الآية ٦٠) .

وقد حشد الامام السيوطى آراء كثيرة أضافها — من اجتهاده الشخصى — فى هذا الصدد لايتسع المقام لسردها جميعا انما نقتصر على شذرات منها ، ونسأل الله سبحانه وتعالى عموم النفع بها .

يقول السيوطى فى مناسبة سورة مريم لما قبلها وهى سورة الكهف : —

« أقول ظهر لى فى وجه مناسبتها لما قبلها : أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب : قصة أصحاب الكهف ، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب ، وقصة موسى مع الخضر ، وما فيها من الخوارق وقصة ذى القرنين . وهذه السورة فيها أعجوبتان .

الأولى : قصة ولادة يحيى بن زكريا على نبينا وعليهما أفضل الصلاة السلام —

والثانية : قصة ولادة عيسى ، فناسب تتاليهما » اه .

ثم يبين لنا السيوطى رحمه الله وجه اتصال سورة طه بما بعدها وهى سورة الأنبياء فيقول : —

للدكتور السيد الجميلى

أنه سبحانه وتعالى لما قال : « قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا » الآية (١٣٥) ، وقال قبله « وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى » الآية (١٢٩) قال فى مطلع هذه : « اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ » الآية (١) اشارة الى قرب الأجل ، ودنو الأمل المنتظر . اه .

ووجه اتصال سورة الأحزاب بما قبلها (١) : تشابه مطلع هذه ، ومقطع تلك ، فان تلك ختمت بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالاعراض عن الكافرين ، وانتظار عذابهم ، وذلك فى قوله تعالى : « فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ » الآية (٣٠) .

يقول السيوطى رحمه الله (ومطلع هذه (٢) الأمر بتقوى الله ، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين ، فصارت كالمتتمة ، لما ختمت به تلك حتى كأنهما سورة واحدة) اه .

ولعل السيوطى رحمه الله ، وطيب ثراه ، وسقاه من سحائب الرحمة والرضوان كان أول من لفت الأنظار الى هذه الناحية الحيوية من مناحى اعجاز الترتيب والتنسيق القرآنى ، ليثبت للدينا جميعا أن هذا القرآن ليس من قول بشر بل ليس فى مقدور مخلوق أن يرقى الى نبع بيانه السخى ، وفراته السائغ .

سبحانك ربى وسعت كل شىء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك .

تحت لواء القرآن العظيم

إنه لقول فصل وما هو بالهزل

أو لم يكن آية للناس ونعمة كبرى ما بقيت السموات والأرض ، أن يتفضل الله تعالى بانزال هذا الكتاب المعجز الجامع لمصالح الدنيا والدين ، والغنى بتشريعه القوى المحكم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . حقا انه لأعظم آية ومعجزة لأعظم نبى ، ولخير أمة أخرجت للناس (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) قال الله تعالى : (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

القرآن رسائل الهية ، يتحدث فيها الخالق الى خلقه ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ويبلغهم فيها عهوده ، ومواثيقه ، وأوامره ونواهيه . ولو أنزله غير معجز فى أسلوبه وعلومه وتشريعه وحديثه عن الغيبيات وغير ذلك ، لما ازداد اهتمام الباحثين به . ولهذا كان الخير كله فى دوام تلاوته وحسن تدبره ، والاصغاء اليه ، والأخذ عنه ، والاستمداد منه ، فانه حبل الله المتين ، وسراجه المنير ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم قال الله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) وقال تعالى : (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) .

وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأوا القرآن فانه يجىء يوم القيامة شفيعا لصاحبه » فما أعظم هذه الفوائد والمزايا الأخروية الى جانب الفوائد والمزايا الدنيوية .

وليس ما فى القرآن وتلاوته من جمال ونعيم روحى ، مقتصرا على القارىء وحده ، بل يشاركه فيه كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ورب مستمع أوعى من قارىء .

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

فقد أخرج البخارى ومسلم أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضى الله عنه اقرأ : فقال يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل؟ فقال انى أحب أن أسمعه من غيرى • فقرأ من أول سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا » فقال حسبك ، فالتفت فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان •

ومما تلزم مراعاته فى التلاوة ، أن يسأل الله عز وجل الرحمة • وأن يتعوذ من عذابه اذا مر بآية عذاب • يفعل ذلك القارىء والمستمع جميعا •

روى مسلم عن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ، ولا بآية رحمة الا سأل ، ولا بآية تنزيه الا سبح • وعلى القارىء أن يجلس للقراءة متواضعا خاشعا ، مستحضرا عظمة القرآن •• ومن أنزل القرآن تبارك وتعالى ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » •

التغنى بالقرآن الكريم

وقد اختلف العلماء فى جواز التغنى بالقرآن الكريم ، ونحن نبينه للناس فى اختصار واستيفاء •

الحق أن ما عليه كثير من القراء اليوم من التمطيط واضاعة صفات الحروف ، كالشدة ، والجهر فى الباء والدال وغير ذلك • واخراج الحروف من غير مخارجها ، والسكت على السواكن، وتوليد حروف زائدة فى القرآن ، واضعاف بعد الحروف وقتلها قتلا ، وقياس قراءة القرآن على القطع الموسيقية بادخال النغمات والأصوات المخزية المنكرة الى غير ذلك من الأصوات الرقيقة المخنثة التى لايحسن مثلها بعض النساء حياء وأدبا •• كل ذلك حرام واثم عظيم ، ولو نظر من أجاز التغنى كالامام الشافعى الى هذا — لم يتردد فى القول بتحريمه ونستطيع أن نلخص الموضوع فى كلمات :

الأولى : ترقيق الصوت بالقراءة وتحسينه مع الخشوع والخشية والتعظيم ، واعطاء الحروف حقها ومستحقها مستحب ومرغوب فيه

◄

شرعا . وهو من عمل فضلاء الصحابة ولا خلاف فيه لأحد .

الثانية : ما عليه كثير من القـراء اليوم مما وصفناه حرام أشد التحريم .

الثالثة : القراءة مع إعطاء الحروف ما تستحقه فى أداء حسن ونغمات فيها تطريب مختلف فيه .

ومعاذ الله أن يجيز الامام الشـافعى بعض ما عليه القراء اليوم . وقد قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، واياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فانه سيجىء أقوام من بعدى يرجعون القـرآن ترجيع الغنـاء والرهبانيـة والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم . روى صدره مالك فى الموطأ ، والنسائى فى سننه . وروى باقيه البيهقى فى شعب الايمان ، والطبرانى فى الأوسـط مـع اختلاف فى الألفاظ ، كلهم عن حذيفة رضى الله عنه . فمـا أعظم هذا الحـديث وما أدله على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام فقد تحقق ما جاء به كما تحقق أمثاله من المغيبـات التى أخبر عنها . وانا لله وانا اليه راجعون .

وقد ابتلينا بقـراء جاوزوا حـدود التجويد وأصـوله بالزيـادة فيهـا ، والنقص عنها ، واستحداث بدع دخيلة عليها كغـرائب الابل فيفرطون فى المد ويتجاوزون مقداره ، ويشبعون الحركات حتى يتولد منها أحرف لم ينزل بهـا القـرآن الكريم ، ويدغمون فى غير موضـع الادغام ، ويقصرون المد الطبيعى أو يسقطونه ، ويقضون على الحرف الأول فى ابتداء القراءة وعلى الحرف الأخير عند الوقف . فلا تسـمع لهما صـوتا . ويقرأون بالترقيص والترعيد والتخزين ، ويرومون السكت عـلى السواكن ، ثم يندفعـون فى عجلة وهرولة مع التطنين فى الغنات ، وترقيق المفخم لا سيما لفظ الجلالة المنصوص على تفخيمه وابدال حرف بحـرف آخر أو اخفاءه بحيث تنعدم صفاته .

ومن قبيح أعمالهم تخفيف الحرف المثقل ، وتحريك السواكن ، واسكان الحروف المتحركة مع التخنث والتكسر ، واجتـلاب الموسـيقى ودراستها ليطبقوها فى تلاوة القـرآن الكريم بأصوات خبيثـة آثمة . ولهذا حرموا بركات القرآن ، وبعدوا عن الوقار ، وسيما الصالحين كما حرموا من الانتفاع والاتعـاظ بما فيه . ومثلهم فى ذلك المستمعون الذين جعلوا القرآن متاعا ولهوا يتلهون به . وما هكذا كان السلف .

روى أن رجلا قرأ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرب فأنكر ذلك عليه القاسم ابن محمد . وقال يقول الله تعالى : (**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) .

وقال النووى فى زوائد الروضة الصحيح أن الافراط على الوجه المذكور حرام يفسق بـه القارىء ، ويأثم به المستمع لأنه عدل به عـن منهجه القويم . قال وهذا افراد الشـافعى بالكراهة (انتهى) .

نقول ولهذا صرحوا بأن من حلف أن ما يقرأ هؤلاء الآثمون الملحنون ليس بقرآن ، فهو بار

فى قسمه لأن الله تعالى يقول : « إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ »وقد كان السلف ينكرون على من فعل أقل من ذلك بمراحل ويأبونه كل الاباء .

روى الطبرانى فى معجمه الكبير بسند رجاله ثقات . أن ابن مسعود كان يقرأ ، فقرأ رجل (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) مرسله أى مقصورة . فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسـول الله ﷺ . فقـال كيف أقرأكهـا يا أبا عبد الرحمن . فقـال أقرأنيها (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) فمدها قـال الامام ابن الجزرى هذا حديث جليل .

ونص فى هذا الباب : وقد اشتدت حاجتك بعد هذا البيان الى ذكـر البراهين الدالة على أن تحسين الصوت بقراءة القرآن وتعمد تزيينه ، والتغنى به وابرازه فى صـورة قوية مؤثرة ، تسـتولى على القلوب وتأخذ بالألبـاب ، مع الخشوع والتعظيم والتوقير ، واستحضار من أنزله عز وجل ، ومع المحافظـة على حسـن الترتيل ، ورونق التلاوة ، وقـواعد التجويد والقـراءة من غير تفريط ولا افراط ، وأن هذا من عمل الرسول عليه الصلاة والسلام . ومن سننه وسنة أصـحابه والاعلام . فقـد روى البخـارى عن أبى هريرة رضى الله عنـه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » . والصحيح فى معناه أن المراد الغنـاء ، وهو مد الصـوت ، والجهر بالقـراءة ، كما يعين على ذلك كلام علمـاء اللغة .

وروى أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وصححه وابن حبان من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه عن رسـول الله ﷺ « زينـوا القرآن بأصواتكم » وفى البخارى ومسلم من حديث أبى موسى أنه عليه الصلاة والسـلام استمع الى قراءة أبى موسى . فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود .

وروى البخارى ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم . فاذا اختلفتم فقوموا عنه . وروى عبد الله الحاكم : لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى .

ولقد سمعنا فى أيامنا هذه ، القرآن من قوم قرأوا ليالى وأياما لم يسأمهم الناس لخشوعهم وحسن أدائهم مع اظهار معانيه وأغراضه فى قراءتهم . (وفى كتاب أسد الغابة لابن الاثير وغيره عن أبى سعيد الجزرى عن أسـيد بن حضير وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، قال : قرأت ليلة سورة البقرة وفرس لى مربوط ويحيى ابنى مضطجع قريب منى وهو غلام ، فجالت الفرس . فقمت وليس لى هم الا ابنى ثم قرأت : فجالت الفرس . فقمت وليس لى هم الا ابنى . ثم قرأت فجـالت الفرس فرفعت رأسى فاذا شىء كهيئة الظلة فى مثل المصابيح مقبل من السماء فهالنى ، فسكت ، فلما أصبحت

غدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : اقرأ أبا يحيى . فقلت قد قرأت ، فجالت . فقمت ليس لى هم الا ابنى فقال لى : اقرأ أبا يحيى فقلت : قد قرأت فجالت الفرس فقال : أقرأ أبا يحيى فقلت : قد قرأت فرفعت رأسى فاذا كهيئة الظلة فيها المصابيح فهالنى ، فقال : تلك الملائكة دنوا لصوتك ، ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون اليهم) .

ويستحب ترتيل القرآن أى قراءته قراءة مفسرة واضحة مبينة حرفا حرفا حتى لتكاد تعدها عدا . قال العلماء فى بيان معنى التحقيق ، وهو عند أهل هذا الفن عبارة عن اعطاء الحروف حقها من اشباع المد ، وتحقيق الهمز ، واتمام الحركات ، وتوفية الغنات ، وتفكيك الحروف وهو بيانها ، واخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل والتؤدة ، والوقوف على الوقوف الجائزة ، والايتان بالاظهار والادغام على وجه وهو الذى يستحسن الأخذ به للمعلمين من غير أن يتجاوز فيه الى حد الافراط من تحريك السواكن وتوليد الحروف من اشباع الحركات ، وتكرير الراءات ، وتطنين النونات بالمبالغة فى الغنات الى غير ذلك مما تنفر عنه الطباع وتمجه القلوب والأسماع .

نقول وهذه المرتبة من القراءة كما تسمى بالتحقيق ، تسمى بالترتيل . كما نص عليه المحققون ، وهو قول الأكثرين . وثوابها أجزل وأعظم ، والأجر فيها أتم ، لأن ذلك يعين على فهم القرآن وتدبر آياته ، والتلفظ به ، والانتفاع بما فيه من المواعظ والعلوم الكثيرة القيمة . والمقصود من التلاوة هو التدبر .

قال تعالى :(**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**)

ولحديث أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها نعتت قراءة النبى ﷺ . فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا . رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح . والترتيل مطلوب حتى ممن لا يستطيع التدبر والاستنباط من القرآن الكريم . وذلك لما فى الترتيل من تعظيم القرآن وتوقيره والعناية به ، وأدائه كما أنزل الينا . ولما يستدعيه من رياضة اللسان والاجتهاد . والتدريب توصلا لاتقان التلاوة .

قال تعالى : (**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**) . وقال علماؤنا رحمهم الله . قال تعالى :(**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**) (**وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**) .روى عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه . وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال :(**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**) .

قال ابن عباس : بينه . وقال مجاهد : تأن فيه . وقال الضحاك انبذه حرفا حرفا . كأن الله تعالى يقول : تثبت فى قراءتك وتمهل فيها وافصل الحرف من الحرف الذى بعده .

ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل ، حتى أكده بالمصدر اهتماما به وتعظيما له ليكون ذلك

عونا على تدبر القــرآن وتفهمه • وكذلك كان ﷺ يقرأ ، وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها •

ومن مراتب القــراءة (التدوير) وهى تلى (الترتيل) من حيث الأجر والثــواب • وهو الاسراع بالقراءة مع اعطــاء الحروف حقها ومستحقها طلبا لآخر السورة ، أو القدر الذى يراد قطع القراءة عنده •

ومن مراتب القــراءة الحــدر وهو : ادراج القــراءة والاسراع فيها أكثر من الاسراع فى التدوير الســابق ، مع اعطــاء الحروف جميع ما تستحقه ، فتراعى أحكام التجويد من اظهار وادغام ، وقصر ومد ، ووقف ووصل وغير ذلك والا كان القارىء مخطئا خارجا عنطباع العرب العرباء • ويجب أن يتجنب القارىء بالحدر ، بطل حروف المد ، وذهاب صــوت الغنــة ، واختلاس الحركات • وهذه المرتبة أقل أجـرا ومثوبة ، وان زادت بسببها القراءة • وهذا قول أكثر الســلف والخلف ، وان قلت القــراءة فى الترتيل • لأن المقصود من القراءة فهم القرآن للعمل به •

سئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة ، والآخر البقرة وآل عمران فى الصلاة ، وركوعهما وسجودهما واحد ، أيهما أفضل ؟ فقال : الذى قرأ البقرة وحدها أفضل •

ولكن نقول : سئل مالك رضى الله عنه عن الحدر فى القــرآن • فقال : من الناس من اذا حدر كان أخف عليه • واذا رتل أخطأ والناس فى ذلك على ما يخف وذلك واسع •

وقد بقى شىء يقال له الهذرمة وهى الاسراع فى القراءة أكثر من اسراع فى الحــدر حتــى يخطىء القارىء ويخالف أصول التلاوة ومايجب التزامه فيها وهى حرام واثم كبير •

والله نسأل أن يرزقنا حســن النظر فيمــا يرضيه •• انه نعم المولى ونعم النصير •

ابراهيم عطوة عوض

تصويب

وقع بعدد شوال ١٤٠٥ الأخطاء التالية ، والى القراء تصحيحها بالمقال •

« من روائع تراثنا المخطوط ص ١٧٠٥ »

« أص » ص ١٧٠٥ سطر ١٣ صوابه : « أ ص ل »

« أض » ص ١٧٠٥ سطر ٣ صوابه : « أضى »

« أف » ص ١٧٠٦ سطر ٢ صوابه : « أفخ »

« أك » ص ١٧٠٦ سطر ٩ صوابه : « أ ك ل »

« أم » ص ١٧٠٦ سطر ١٣ صوابه : « أمم »

« وسار فى أنف الذ » ص ١٧٠٧ سطر ١٢ صوابه : « وسار فى أنف النهار »

حرس رسول الله

« صلى الله عليه وسلم »

نزلت الرسالة المحمدية وجاء الوحى الكريم بكتاب الله العظيم ، وبلغه جبريل لرسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة ، وأعلن الوحى ، وتلا على الناس وعلى قريش كتاب الله فى محافلهم وأنديتهم وفى كل مكان يجتمعون فيه ، ويلتقون عنده ، وردد الرسول الأعظم آيات الوحى السماوى الكريم :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » (الاعراف ١٥٨) .

« يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا (٤٥ و ٤٦ و ٤٧ الأحزاب) .

شاهدا على أمته لنفسه بابلاغهم الرسالة ، ومبشرا لأهل طاعته ، ونذيرا لأهل معصيته ، وداعيا الى الله أى الى توحيده وطاعته وعبادته ، وسراجا منيرا أى يهتدى به الى الحق .

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا » (سبأ ٢٨) .

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ » (١٦٣ النساء) .

واستمعت قريش الى أنباء الرسالة ، وخبر الوحى ، فكذبت ولجت فى التكذيب ، وعاندت وطغت وأسرفت فى العناد والطغيان ، ومضى رسول الله ﷺ فى طريقه ، من تبليغ الرسالة ، والدعوة الى الدين ، وقريش ماضية فى طريقها سادرة فى خيلائها ، وفى غرورها وشركها ، وفى اضطهادها لكل من دخل فى دين الله .

وتفاقمت مؤامرات قريش على رسول الله ﷺ وعند كل عمل ، ولدى كل قول ، وحين يتم نصر أى نصر لرسول الله ولدين الله .. ترتفع كفة المؤامرات ، وتزيد حدة وعنفا .. وحيال ذلك كله كان لابد من حرس يحرس رسول الله ﷺ .

— ٢ —

قال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

قال عمرو بن العاص لابنه :

لقد حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل – يريدون محمدا صلوات الله وسلامه عليه – وقد سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم .

فبينما هم فى ذلك اذ طلع رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت .

فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، قال ابن العاص : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله .. ثم مضى .

فلما مر بهم فى طوافه المرة الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ، ثم مضى .

فلما مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : (أتسمعون يامعشر قريش ، أما والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح) ، أى ان تماديتم فى كفركم ومؤامراتكم ، فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم تحريضا عليه ، ووصاة بايزائه ، ليسكنه بأحسن ما يجد من القول ، ويقول له : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر ، وأنا – أى عمرو بن العاص – معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه .

فبيناهم فى ذلك طلع رسول الله ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقوله رسول الله من عيب آلهتهم ودينهم ، فيرد عليهم رسول الله : نعم أنا الذى أقول ذلك : فرأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداء رسول الله ، يكاد يخنقه فقام أبو بكر دونه ، وهو يبكى ، ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله .

فانصرفوا عن رسول الله .

قال عمرو بن العاص لابنه : فان ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا من رسول الله قط .

وتتابعت مواقف الدعوة وتبليغ الرسالة ، فى مكة ثم فى المدينة ، وكثرت الصفوف التى تعادى رسول الله ﷺ وكثرت معها مؤامراتهم على النبى – عليه الصلاة والسلام – ودخل اليهود فى المدينة فى زمرة الأعداء والمتآمرين على الرسالة والرسول ، وبلغ بهم الامر أن حاولوا قتل رسول الله ، لما خرج الى بنى النضير ، يستعينهم فى دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، فقال بعضهم لبعض : لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن ، فمن يظهر – يصعد – هذا البيت فيرميه بصخرة فيريحنا منه ، فقال رجل منهم : أنا . فنزل

الوحى على الرسول بالأمر والمؤامرة ، فانصرف عنهم ، فنزل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ » (١١ سورة المائدة).

٣

مواقف كثيرة تعرض لها الرسول ﷺ للمؤامرات مما حتم أتخاذ حرس لرسول الله ﷺ .

ولما قدم رسول الله المدينة كان سيد أهلها عبد الله بن أبى بن سلول ،لا يختلف عليه فى شرفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره حتى جاء الاسلام ، ومعه فى الأوس رجل هو فى قومه شريف مطاع ، هو أبو عامر عبد عمرو ابن صيفى ، وكان قد ترهب فى الجاهلية ، ولبس المسوح ، فكان يقال له الراهب ، فشقيا بشرفهما وحسدهما لرسول الله وبتآمرهما عليه .

فأما عبد الله بن أبى فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ، ثم يملكوه عليهم ، فلما انصرف قومه عنه الى الإسلام زاد حقده ورأى أن رسول الله ﷺ قد سلبه ملكا ، فلما رأى قومه قد أبوا الا الاسلام ، دخل فيه كارها على نفاق وحقد وضغينة .

وأما أبو عامر فأبى الا الكفر والفراق لقومه، فخرج من المدينة ، ومعه خمسون رجلا من أتباعه ، مفارقا للاسلام ولرسول الله، فقال رسول الله : لا تقولوا عنه : الراهب ولكن قولوا : الفاسق ، فكان أبو عامر وهو فى المدينة أتى رسول الله ﷺ فقال : ما هذا الدين الذى جئت به ؟ فقال له رسول الله : جئت بالحنيفية دين ابراهيم ، قال : فأنا عليها ، فرد عليه رسول الله : انك لست عليها قال : بلى ، انك يا محمد أدخلت فى الحنيفية ما ليس منها ، قال له رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ما فعلت ، ولكن جئتكم بها بيضاء نقية .

وهاجر أبو عامر الى مكة ليعيش مع المشركين فيها ليتآمروا على رسول الله ، ولقد كان أول المحاربين لرسول الله فى « أحد » .

وابن سلول كان فى « أحد » داعية الخيانة ، وكان ابو عامر بن صيفى فى مكة يقول لقريش : ان حربا لو قامت ورأى أهل المدينة من الأوس مكانه مع قريش ، فسوف يخرجون جميعا من صفوف محمد الى صفوف قريش ، ولن يبقى مع محمد أحد منهم ، فلما نشبت معركة أحد كان أبو عامر أول من برز لهم وأخذ ينادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، فردوا عليه : لا مرحبا بك ، ولا أنعم الله بك عينا يا فاسق، فلما سمع كلامهم ، قال : لقد أصاب قومى بعدى شر وأخذ يقاتلهم قتالا شديدا ، ويرميهم بالحجارة .

وكان هو وراء مؤامرة مسجد الضرار الذى دعا جماعة من المنافقين رسول الله ﷺ للصلاة فيه، بقصد اغتياله ، فحفظه الله ونجاه من شرهم .

ـ ٤ ـ

كان لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه جملة من الموالى ، منهم : ثوبان (ـ ٥٤ هـ)، ورويفع ابو رافع (ـ ٤٠ هـ) ، وشقران الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وأبو كبشة ،

وفضالة ، ومهران ، وكان أنس بن مالك خـادم رسول الله •

وكان لرسول الله كذلك خدم منهم أنس ، وبركة أم أيمن •

وكان يحرس رسول الله فى « بدر » : سعد ابن معاذ •

وفى « أحد » : محمد بن مسلمة •

وفى « غزوة الخندق » : الزبير •

وفى « الحديبية » : المغيرة بن شعبة •

ومن حراسه صلوات الله وسلامه عليه :

عباد بن بشر وكان قيس بن سـعد بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير (١/٦٥ زاد المعاد)

وكان أبو طلحة الأنصارى كذلك يقوم بمنزلة أعمال الحراسة بين يدى رسول الله صـلوات الله وسلامه عليه ، وقـد قام بذلك أيضـا فى غزوة أحد ، فكان يرمى ورسول الله يسوى له النصال ويجمع السهام ، وكانت زوجـة أبى طلحة هى أم سليم بنت ملحان ، وقداشتركت مع زوجها فى « غزوة حنين » وفى القتـال واسعاف الجرحى •

— ٥ —

وقصة اليهودية التى وضعت السم فى شاة مشوية قدمتها لرسول الله لتغتاله معروفة ،وقد أكل منها الرسول ، وأكل معه بشر بن البراء ، فمات بشر بالسم ، ولكن رسول الله لفظ ما أكل فمرض ، واستمر يعاوده المرض ، حتى ليروى أنه مات بسبب ذلك ، وحكى ابن اسـحاق أن المسلمين الأولين كانوا يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدا ، مع ما أكرمه الله به من النبـوة (٢٠٩ الشفاء للقاضى عياض) •

وقد حاول عمير بن وهب وصفوان بن أمية اغتيال رسول الله بعد « غزوة بدر » • وكان عميرشيطانا من شياطين قريش ، وممن كانوا يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منـه شدة ، وكان ابنه فى (بدر) من أسرى المعركة، فجلس عمير فى الحجر بعد (بدر) فى يـوم من الأيام ، فذكر مصاب أهل (بدر) من قريش ، فقال له صفوان : والله ما فى العيش بعدهم من خير •

فرد عليه عمير : صدقت والله : أما والله لولا دين على ليس عندى له قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت الى محمـد حتى اقتله •

فاغتنم صفوان الموقف ، وقال له : أنا عـلى دينك أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا •

عمير : اكتم على ذلك •

صفوان : أفعل ذلك •

عمير : يشحذ سيفه ويسقيه السم ، ويخرج الى المدينة •

فبينما عمر فى جماعة من المسلمين يذكرون ما أكرمهم الله به من النصر ، اذ نظر ، فرأى عميرا قد دخل المسجد النبوى متوشحا سيفه ، فقال : هذا عمير عدو الله ما جاء الا لشر وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا فاجلسوا عنـد رسول الله ، واحذروا عليه من هذا الخبيث أن ينال الرسول بشر ، فانه غير مأمون ، ودخل عمير على رسول الله مدعيا أنه جاء لفداء ابنه الأسير ، وعمر آخذ بحمالة سيف عمير فى عنقه،

فقال رسول الله لعمر : أرسله ياعمر ، ثم قال لعمير : ادن ياعمير منى ، فدنا ، فقال له الرسول : ما جاء بك ياعمير ؟ فقال : جئت فى الفداء ، فرد عليه الرسول : أصدقنى ياعمير ، ما الذى جئت له ؟ قال ما جئت الا لذلك ، قال له صلوات الله وسلامه عليه : بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر ، وتحاورتما فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت لصفوان لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ماتريد ، قال عمير : أشهد أنك رسول الله قد كنا يارسول الله كذلك ، وانى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى حتى أقدم مكة ، فأدعوهم الى الله عز وجل ، فأذن له الرسول ، فلحق بمكة .

وكان صفوان حين خرج عمير الى المدينة يقول لأهل مكة : أبشروا بواقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر ، يريد اغتيال رسول الله ﷺ وكان صفوان يخرج الى ضواحى مكة ، يسأل الركبان حتى قدم راكب، فأخبره عن اسلام عمير فحلف ألا يكلمه أبدا .

— ٦ —

وقال أنس : هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ، فأخذوا ، فعفا عنهم الرسول ﷺ

وعن فضالة بن عمرو قال : أردت قتل رسول الله عام الفتح ، وهو يطوف بالبيت ، فلما دنوت منه ، قال : أفضالة ؟ قلت : نعم ، قال رسول الله : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال فضالة : لاشىء ، فضحك الرسول واستغفرلى، ووضع يده على صدرى ، فسكن قلبى .

وعن الحكم بن أبى العاص ، قال : تواعدنا على قتل النبى ، فلما رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما سمعنا مثله فوقعنا مغشيا علينا ، فما أفقنا حتى قضى رسول الله صلاته ورجع الى أهله .

وحاول أبو جهل رمى رسول الله بصخرة شديدة اغتيالا له ، فنجاه الله من شره .

وحاول رجل من بنى المغيرة قتل رسول الله فطمس الله على بصره فلم ير رسول الله .

ومحاولات كثيرة أخرى ، وكل ذلك مما اقتضى حراسة رسول الله ﷺ وهذه الحراسة عامة يشترك فيها المسلمون جميعا ، وبخاصة كما رأينا فى وجود حراس مخصوصين لرسول الله يقومون بحراسته .

ولما نزل قوله تعالى :"والله يعصمك من الناس" (صرف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حراسه ، كما تذكر بعض الروايات .

وقيس بن سعد بن عبادة الأنصارى هذا الحارس الكبير لرسول الله ، نتركه لحديث آخر باذن الله .

د . محمد عبد المنعم خفاجى

تقنين الشريعة الإسلامية

رد من المستشار
السيد عبد العزيز هندى

على مقال المستشار/محمد سعيد العشماوى

اولا : فى العدد الصادر باسم الله ـ من مجلة اكتوبر الغراء بتاريخ ١٧ من رجب ١٤٠٥ ـ الموافق ٧ من أبريل ١٩٨٥ ـ مقال مستفيض فى باب « آمنت بالله » تحت عنوان : « حتى لانقع فى الخلط بين الشريعة والفقه » للسيد المستشار/محمد سعيد العشماوى .

ومن حق القراء علينا ـ ومن حقكم وحق السيد المستشار سعيد العشماوى ـ أن نناقش بعض ماجاء فيه ـ انطلاقا من المفهوم الذى تلقيناه عن الأصوليين من فقهاء المسلمين حين يقولون : رأينا هذا صواب يحتمل الخطأ . ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

وقد أسرف صاحب المقال المذكور على نفسه وعلى واضعى القانون المدنى المعمول به من ١٥ اكتوبر ١٩٤٩ وعلى واضعى الدستور المصرى سنة ١٩٧١ والتعديل الدستورى الذى ورد على المادة الثانية من الدستور فى سنة ١٩٨٠ اذ أصبح نصها : « مبادىء الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وذلك باضافة : « ال » للتعريف والتخصيص .

قولا منه بأن هذا الخلط بين الشريعة والفقه الذى وقع فيه المشرع المصرى قد أدى الى أوخم العواقب وأسوأ الآثار على الفكر القانونى من جانب ـ وعلى العمل السياسى من جانب آخر ـ لا فى مصر وحدها ـ بل ربما فى العالم الاسلامى بأسره .

وخلص المقال الى أن المشرع قد قسم الأحكام الشرعية الى أحكام قطعية الثبوت وأحكام اجتهادية تتغير بتغير الزمان والمكان ـ والأحكام القطعية ـ فيما يراه الكاتب ـ هى أحكام الشريعة فيما يتعلق بالعبادات . أما الأحكام الاجتهادية فهى آراء الفقه . وأن هناك فارقا كبيرا بين المبدأ الشرعى والمبدأ الفقهى . أو القاعدة الشرعية والقاعدة الفقهية . فالمبدأ أو القاعدة الشرعية . فيما يراه كاتب المقال

◄

– هى ما أخذ مباشرة من القرآن أو السنة – أما المبدأ أو القاعدة الفقهية فهى كل مبدأ أو قاعدة وضعها الفقهاء – حتى ولو كانت استلهاما لروح الدين أو الشريعة •

ولست أدرى أى مشرع قال بما يقوله الكاتب ••

ثم انتهى كاتب المقال من ذلك كله الى أن دعوى تقنين الفقه (المسمى خطأ بالشريعة) قد تكون دعوى سياسية أو حزبية أو قومية – أو فئوية – ولكنها على اليقين – فى نظره – ليست دعوى دينية وأن القول بغير ذلك يؤدى الى نتائج غريبة وشاذة •

وأن النص الدستورى يعتبر تحصيلا لأمر حاصل – وتقريرا لوضع قائم بالفعل فى النظام القانونى ولايعتبر عند الفحص والتحميص دعوة الى أى تغيير آخر أو أساسا لأى مطلب لتقنين جديد •

ثانيا : ونرى لزاما علينا – أن نرد على هذا المقال على هدى المبادىء المقررة التالية – وأن ندعو الله مخلصين له الدين – أن يجنب كاتب المقال – وسائر المشرعين – شر الخلط والشذوذ – الذى يصم به الكاتب كل من خالفه الرأى – دون تورع – وأن يهدينا جميعا – واياه • سواء السبيل ••

١ – ان قضاء محكمة النقض مستقر على أنه : « اذا خالف الحكم نصا من القرآن أو السنة أو خالف الاجماع – فانه يبطل – واذا عرض على من أصدره – أبطله – واذا عرض على غيره أهدره – ولم يعمله – لأنه لا يحوز قوة الأمر المقضى الا اذا اتصل به قضاء فى محل مجتهد فيه » •

(نقض مدنى – ٢٣ من يونيه سنة ١٩٧٥ – طعن رقم ٢٥٨ م ٤٠ ق – مجموعة الأحكام ٢٦ – ص ١٢٤١ – نقض مدنى – ١٣/١٢/١٩٧٢ – مجموعة ٢٣ – ص ١٣٧٧ •

٢ – ان معنى الشريعة الاسلامية – كما عرفها العلماء – هو : ماشرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من التكاليف والأحكام والآداب – على لسان خاتم أنبيائه ورسله – محمد صلى الله عليه وسلم •

وهى تشمل أقساما ثلاثة :

(أ) ما يتعلق بالعقائد – والعلم الذى يبحث فيه هو علم التوحيد أو الكلام •

(ب) ما يتعلق بالأخلاق والآداب – والعلم الذى يبحث فيه هو علم الأخلاق •

(حـ) ما يتعلق بأفعال المكلفين وتصرفاتهم – والعلم الذى يبحث فيه هو علم الفقه •

وعلم الفقه ينقسم بدوره الى عدة أقسام :

أ – فمنه مايقصد به التقرب الى الله تعالى وتزكية النفس وتطهيرها واصلاح المجتمعات الانسانية وهو فقه العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج – وهى ما تعرف بالعبادات •

(ب) ومنه مايتعلق بالبحث فى شئون الأسرة (الاحوال والتصرف فيها) ـ من زواج وطلاق ورجعة ونفقات وعدة ونسب وحضانة ونحوها ـ وتعرف بالأحوال الشخصية .

(حـ) ومنه ما يتعلق بالبحث فى الامـوال والتصرف فيها من بيوع واجارة ورهن وسلم ، وشركات وربا ـ ونحو ذلك ـ وهو مايسـمى « بفقه المعاملات » .

(د) ومنه ماكان متعلقا بالجرائم ، ومايترتب عليها من عقوبات وجزاءات ـ وهو مايسـمى بفقه الحدود والتعزيرات أو العقوبات .

(هـ) ومنه ماكان متعلقا بالقضاء والدعاوى وأدلة الاثبات ـ وهو ما يسمى بالمرافعات .

(و) ومنه ماكان متعلقا بالحروب والمعاهدات والصلح وعلاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم وهو ما يعرف بالجهاد والسير .

(نرجو التفضل بالرجوع الى ذلك تفصـيلا فى مذكراتنا ومحاضراتنا للسادة أعضاء النيابة العامة ـ فى المركز القومى للدراسات القضائية ـ بوزارة العدل ـ وشكرا) .

٣ ـ ولما كان ذلك ـ فان ماعهد اليه السـيد كاتب المقال من افتعال تناقض مزعوم بيـــن مفهوم كل من الشريعة والفقه يكون لا أساس له من الصحة فالشريعة عامة شاملة متكاملة ـ تشمل الاقسام الثلاثة التى سلف بيانها ـ فى البند السابق ومن بينها الفقه ـ فالفقه انمـا هو جزء منها ـ لاينفصل عنها ولا يتعـارض معها ـ وهو خـاص بالبحث فى أفعال المكلفين وتصرفاتهم ـ وينقسم بدوره الى تفريعات عدة على النحو الذى سلف بيانه .

٤ ـ والأحكام التى تعتبر من النظام العام ـ ولا يجوز مخالفتها بحال ـ هى تلك التـى لاتخالف نصا من القرآن الكريم أو السنة أو الاجماع ـ قطعى الثبوت قطعى الدلالة .

أما اذا كان متعلقا بأمر مجتهد فيه ـ فـلا حظر على مجتهد ـ فله أجران اذا أصاب ـ ولا يحرم أجره اذا أخطأ فى الاجتهاد .

ومن المتفق عليه عند فقهاء القـانون ـ أن المشرع لا ينبغى أن يورد تعريفات معينة لكل مايقننه ، بل ان ذلك متروك لفقهاء القانـون فى شروحهم المستفيضة ـ فاذا سكت المشرع عن ايراد تعريف للشريعة الاسلامية أو للقانون أو للدستور أو للعرف ـ فان ذلك موكول الى الشراح ـ شريطة ألا يخالف شرحهم نصـا صريحا قطعى الثبوت قطعى الدلالة فى هـذا المقام ـ على النحو الذى تواضع عليه العلماء.

ومن ثم فلا وجه لاعتراض كاتب المقال على عدم ايراد تعريف معين للشريعة الاســلامية فى الدستور أو فى القانون . فان ذلـك ليس موضعه ـ ولو أتى به لأخـذه بعض شراح القانون عليه .

٥ ـ أما ما ذهب اليه السيد كاتب المقـال من أن المشرع ولم يذكر الكاتب من هو هـذا المشرع قد قسم الاحكام الشرعية الى أحـكام قطعية الثبوت وأحكام اجتهادية ـ وأن المقصود

بأحكام الشريعة قاصر على العبادات — وأن الأحكام الاجتهادية هى آراء الفقه — فهو قول يبدو أنه مستورد من بيئة تفرق بين العلم والدين وبين الدولة والدين — وتجعل الدين بمعزل عن حياة الناس وتصرفاتهم •

وهى على أية حال — لاتمت الى هذا الوطن العزيز بأية صلة — وقد جاء فى بيان السمات التى تميز بها مشروع قانون العقوبات الذى أعدته لجنة خاصة بمجلس الشعب تضم صفوة ممتازة من علماء القانون وعلماء الشريعة الاسلامية :

« ان هذا التشريع يحمى القيم الأخلاقية الاسلامية أساسا — فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الاخلاق • وهذه احدى سمات التشريع الاسلامى والشرائع الدينية بوجه عام • ويبين أثر ذلك فى المشروع عن طريق حماية القيم الأخلاقية والانسانية بنصوص أكثر فعالية من النصوص الوضعية •

كما أوردت المذكرة الايضاحية للمشروع فى مقدمتها أن مصر ظلت أكثر من ألف عام تطبق الشريعة الاسلامية وحدها بحكم انتمائها الاسلامى وما توجبه قيمها ومصالحها الوطنية — وظل الأمر كذلك حتى نهاية القرن الماضى تقريبا حين تزايد النفوذ الاجنبى الذى استهدف القضاء على استقلال البلاد وافقادها ذاتيتها وشخصيتها القومية • وان تطبيق القوانين الأجنبية قد واكب جيوش الاحتلال منذ سنة ١٨٨٣ حتى انتهى الاحتلال الى غير رجعة•

وان ابقاء قانون العقوبات الحالى المستمد أصلا من القانون الفرنسى — كان مصدر ايلام نفسى ومشكلات اجتماعية — ومن ثم بدا التفكير الجدى فى بحث الأصول الحقيقية للمجتمع المصرى التى يجب أن يعكسها القانون ، وخاصة قانون العقوبات الذى يهدف الى ارضاء الشعور بالعدل والى حماية المصالح الاجتماعية •

وأن النص الدستورى الأخير سنة ١٩٨٠ بأن مبادىء الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع — لم يكن منشئا لحقيقة اجتماعية بقدر ما كان كاشفا لها • ذلك أن مصر دولة اسلامية عريقة بحكم الواقع • والاسلام دين الدولة الرسمى وفقا لكافة دساتير مصر المتعاقبة — وان الواقع الاجتماعى فى مصر يفرض علينا أن نتجه الى أصولنا الثابتة الممثلة فى الشريعة الاسلامية •

٦ — أما ما انتهى اليه السيد صاحب المقال من أنه لا حاجة الى تعديل فى القوانين القائمة•

فان حسبنا فى هذا المقام أن نورد ما أوضحناه فى المذكرة المقدمة منا الى فضيلة الامام الاكبر المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وقتئذ والمؤرخة ٦ من المحرم ١٣٩٦ هـ — الموافق ٧ من يناير سنة ١٩٧٦ عن خطة العمل فى اللجنة العليا لتعديل القوانين بما يطابق الشريعة الاسلامية — بالأزهر الشريف • وقد جاء فيها•

أنه لما كانت القوانين الوضعية المطبقة حاليا تتضمن أقساما ثلاثة :

(أ) قسم منها مصدره الشريعة الاسلامية الغراء — ومطابق لأحكامها — فلا حاجة بنا

حاليا لاعادة تقنينه •

(ب) قسم آخر — لا يخالف رأيا مقطوعا به يحكم فيها — ولا حاجة بنا بالتالى لاعادة تقنينه كذلك •

(ح) قسم ثالث وأخير — ينقسم بدوره الى فرعين :

أولهما : يقتضى الحكم بعدم مشروعيته مزيدا من البحث والتروى — فيجب بحثه بحثا مستفيضا قبل القطع فيه برأى •

وثانيهما : مقطوع بأنه مخالف مخالفة واضحة للقواعد الأساسية للشريعة الاسلامية — ويأتى فى مقدمتها الحدود الشرعية والربا وعقود الغرر •

واذا كان ذلك — وكان السكوت على العمل بالأحكام ، المخالفة للشريعة الاسلامية — مخالفة واضحة — والتى هى معروفة من الدين بالضرورة من أحكام الشريعة الغراء — ريثما تنتهى اللجان العديدة — من استعراض وبحث أحكام الفقه فى المذاهب الأربعة — ثم تقنينها وتوحيدها • يعتبر تعطيلا لحدود الله الواجبة النفاذ فورا وبدون معوقات • فقد أضحى لزاما أن نبدأ البحث فى القوانين القائمة — وذلك لحصر واستظهار ما يناقض الأحكام القطعية والقواعد الاساسية للشريعة الاسلامية — والعمل فورا على ازالة هذا التناقض باعداد تشريعات بديلة — موافقة للشريعة الاسلامية • أخذا من مختلف المذاهب — مع تخير أصلح الحلول لمعالجة المجتمع القائم • مما له أصل ثابت فى الفقه الاسلامى أو غير متعارض معه — وذلك ريثما تنتهى اللجان من أبحاثها المتكاملة — فيتم العمل بشريعة الله — فى كل شأن من شئون الحياة •

وقد وافق المرحوم الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وقتئذ على هذه الخطة — وأصدر القرار رقم ٣ لسنة ١٩٧٦ بتكوين لجنة عليا — لمراجعة التشريعات الوضعية وتعديلها بما يتفق مع المبادىء الأساسية للشريعة الاسلامية — مكونة من بعض علماء الأزهر الأجلاء وبعض المستشارين بوزارة العدل — وأتمت اللجنة — بحمد الله وتوفيقه — اعداد مشروع قانون الحدود الشرعية — وقدمته الى الجهات الدستورية المختصة باصداره — والتى شرعت بدورها فى دراسته مقارنا بمشروعات الحدود المقدمة من اللجنة العليا التى شكلتها وزارة العدل بمصر لهذا الغرض — وبمثيلاتها من المشروعات والقوانين الصادرة بهذا الخصوص من بعض البلاد الاسلامية الأخرى — وأعدت مشروع عقوبات اسلامى متكامل يكون من ٦٣٠ مادة — مستمدة من أحكام الشريعة الاسلامية الغراء — توطئة لاتخاذ الاجراءات الدستورية المشروعة لتقديمه واصداره بمشيئة الله فى الوقت المناسب •

٧ — ومن كل هذا يتبين أن التشريعات القائمة وان كانت صالحة فى بعض جوانبها لأن تكون بعض الركائز التى يقوم عليها قانون سليم غير مشوب بما يخالف شريعة الله — فانه يتعين من

ناحيــة أخرى المبــادرة الى تنقيتها من كــل ما يشوبها مما يتعارض مع شريعة الله ــ على النحو الذى سلف أن أوردناه •

ثالثا : وأخيرا وليس آخرا •

فانه اذا كنا لا تقبل للمرافعـــة أمام محكمة النقض الا فئة ممتازة من قدامى المحاميـــــن المؤهلين للمرافعة أمامها ــ من الراســخين فى العلم بالقانون واجراءات التقاضى ــ حتى تبرأ ساحتها من المهاترات ــ فهلا يوافقنى الأستاذ المستشار محمد سعيد العشماوى صاحب المقال ــ على أن أذكر نفسى وأذكره ــ بأنه يتعين على من يتصدى للمناقشة فى علوم القرآن ــ أن يكون على معرفة بالمكى والمدنى والمتقدم والمتــأخر فى النزول من السور والآيات ليعرف الحكمــة من التشريع ــ وأنه اذا كان هنــاك تعــارض فى الظاهر بين نصين ولم يمكن الجمع بينهمــا ــ حكم بالمتأخر فهو ناسخ لما قبله مع مراعاة أحكام العام والخاص فى هذا المقام ــ ومراعاة أن السورة قد تكون كلها مكية الا بعض آيات منها ــ وقد تكون مدنية الا بعض آيات منها •

وأنه لابد مــن الاطلاع على كل النصــوص الواردة فى الموضوع الواحد فى الكتاب والسنة ــ فالنصوص يفسر بعضها بعضا ــ ولابد من معرفة ــ أسباب النزول ومعرفة وجوه القراءات لاستنباط الحكم الشرعى ــ فقد يستفاد الحكم من قراءة دون أخرى ــ الى آخر تلك العلوم التى يتعين على من يتصدى للقول بالحــل والحرمة فى موضوع ما ان يستظهرها ويتمكن منهــا •

ويفتــح الله عليه بمكنون أسرارها ويشرح صدره لفهمها واقتباس أنوارها •

وليس فى هذا حجــر على حــرية النــاس فى فهم الدين ومعرفة أصوله ــ ولكنه دعــوة الى العلم بالدين لمعرفة أصوله ــ وعلينا أن نسأل أهل الذكر لنعلم ما لم نكن نعلم ــ وقد علمنا ربنا سبحانه حين أوحى الى رسوله الكريم أن يقول : « **وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا** »

كما وعد سبحانه ــ المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالخير العميم حيث يقول : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (الآية ٥٥ من سورة النور) •

وصدق الله العظيم •

هذا ــ وبالله التوفيق ••

المستشار السيد عبد العزيز هندى

ضوابط الشورى

فى الفقه الإسلامى

للدكتور عبد الله مبروك النجار

تعتبر الشورى واحدة من المبادىء الاسلامية التى أمر بها الشارع سبحانه فى كتابه ، لتكون أداة لتقويم الفكر ، وتدعيم الرأى ، ووسيلة لوحدة الصف من خلال احترام الطاقة العقلية التى أودعها الله فى الانسان ٠

ومن ثم كان دائم الحركة من أجل اظهارها لتتفاعل مع رأى الآخرين وأفكارهم ، فترتاح نفسه ، ويهدأ قلبه ، وتتاح الفرصة كاملة أمام المجتمع ليختار من بين تلك الآراء المجتمعة أقواها فكرا ، وأصوبها فهما ، ومن المؤكد أن تلك المصالح الجليلة لا يمكن الوصول اليها الا باحترام ضوابط الشورى ، والالتزام بحدودها على النحو الذى قررته الشريعة الاسلامية الغراء ٠

ولهذا أمر الله نبيه ـ ﷺ ـ بها فى قوله الكريم : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » (١) ٠

كما وصف الحق سبحانه أمة الاسلام بأنها هى التى تمارس الشورى ، وهى تحترم أحكام الله عز وجل فتطهر القلب من النفاق ، وتنزه الجوارح من الاثم والفواحش ، وتراقب الله فى أحكامه ، فتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، فجاء أمره عز وجل بها بين تلك الأحكام ذات الخطر فى قوله عز وجل : « وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٠ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا

◄

(١) سورة آل عمران ـ آية : ١٥٩ ٠

هُمْ يَغْفِرُونَ. وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » (١) .

ويظهر من هذا النص الكريم أن الشورى من الامور التى خاطب الله بها أمة الاسلام ، وأن اقترانها فيه بالصلاة والزكاة يشعر بأهمية الحرص عليها ، وجعلها عنصرا من العناصر التى تتميز بها الشخصية الايمانية الحقة اذ هى السبيل لتبيين الحق ومعرفة الآراء الناضجة ، كما حرص عليها النبى — صلى الله عليه وسلم — فى حياته (٢) ، وامر المسلمين بها فيما رواه على بن ابى طالب قال : سئل النبى — صلى الله عليه وسلم — عن العزم فقال : « شاور أهل الرأى » (٣) .

كما حرص عليها أصحابه — صلى الله عليه وسلم — ، بما يجعل أمر مشروعيتها قائما على الكتاب والسنة وعمل الصحابة والمعقول .

نظام أسلامى متميز :

والشورى فى الفقه الاسلامى تعتبر نظاما متميزا ، أودع الله فيه كل ما يحقق ملكة الفكر واعمال العقل ، دون أغفال للاحكام التى قررتها الشريعة الاسلامية الغراء ، فكفلت أحكامها للناس تحقيق ما يئشدونه من خير فى أمور حياتهم ، مع المحافظة على أحكام الله ، ومن خلال هذين الأمرين معا تتحدد معالم الشورى فى الاسلام ، ذلك أن تجاهل أى منهما يخرج بالشورى عن اطارها الاسلامى ، ويجعل منها فكرة مجردة قد لاتتفق مع أحكام الاسلام ويخطىء من ينظر الى الشورى فى الاسلام من خلال تصوره للنظم الوضعية التى قد تتفق معها فى بعض الصفات أو تشتبه بها فى الهدف ، ترديد الشعار يظنه فى صالح الاسلام ، وما هو كذلك ، فمصلحة المسلمين تتمثل أساسا فى احترام أحكام الله ، ولن يعدل هذه المصلحة أن يقال عليهم ممن فتنتهم المصطلحات الوضعية انهم « ديمقراطيون » ، والا فما قيمة هذه الديمقراطية او الشورى اذا جاءت على غير ما امر به الله ؟ وهل نتبع فى تلك الحالة ما امر به الله او ما أسفرت عنه الشورى ليقال عنا ذلك ؟

خلط جانبه الصواب :

نعم الاسلام يقرر الشورى ولكنه يوائم بين ذاتيتها الاسلاميه ، وبين أحكام الشريعه ، لتكون كما أراد الشارع سبحانه أداة بناء فى حياة المسلمين لا شعارا يتخذ دون تدبر لما قد يسفر عنه من نتائج قاسية ، جعلت بعض الذين التبس عليهم فهمه يقررون أمرا غريبا لا يقره الاسلام ولا يتفق مع ما شرعه الله من أحكام حين يندفع أحدهم فيقول ان العمل بالشورى

---

(١) سورة الشورى : الايات من ٣٦ الى ٣٨ .

(٢) راجع ما رواه البخارى فى أمر « هوازن » حيث طلب النبى — صلى الله عليه وسلم — مشورة اصحابه — صحيح البخارى — ج ٥ ص ١٥٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام — ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٣) راجع : مجمع الزوائد — كتاب العلم — ج ١ ص ١٧٨ .

ملزم حتى ولو تعارض مع نصوص الشريعه ، لان فيه مصلحة ، استقر معناها فى وعى الدول الأجنبية كبريطانيا ، والمصلحة فى نظر صاحب هذا الادعاء الباطل تقدم على النص (١) ، وهذه هى عبارته كما جاءت فى كتابه انقلهـا للقارىء بنصها ليقف معى على جسامة ما وقـع فيه من خطأ ، يقول . « أقول مهما يكن من رأى العلماء فى هذه المسألة ومن اختلافهم فى تقديم العمل بالنص كما يرى الجمهور ، أو العمل بمـا تقتضيه المصلحة كما يرى الطوفى ، فاننى أرى أن المسلمين كدولة لا يعيشون فى عزلة عـن العالم ، بل لابد أن تنشأ بينهم وبين العالـم الخارجى معاملات يتبادلون فيها ما يعود عـلى كل بالخير ، ومن الطبيعى أن تنظم الدولـة الاسلامية علاقاتها بالعالم الخارجى على أساس الاسلام ، ولكن فى بعض الأوقات تجد الأمـة الاسلامية نفسها فى حاجة حيوية الى نوع من التعامل ، وتشترط الدولة الأجنبيـة شروطـا لاتتمشى مع نظامنا الاسلامى كأن تشترط مثلا أن يكون تعاملنا المالى معها على اساس النظام الربوى ، والمسلمون كأفراد أيضا قد يتعرض احدهم لظرف قاهر يضـطره أن يخير بين التجاوز عن حكم اسلامى أو تتعرض حياته أو مصالحه لاضرار لا قبل له بها » (٢) ٠

ويتضح من هذه الفقرة ان الرجل يجيـز التحلل من أحكام الاسلام اذا تعارضت مـع مصالح الأنسان ورغباته ، أو كان فيها مايعرض حياته للخطر ، ولست أدرى ما هو الخطر الذى يمكن أن يحصل لانسان على حياته من أحكام الله ، وهى التى تقرر حمايه الحياة وحفظهـا بنصوص قاطعة ، وعقوبات رادعه ؟ ثم ما هى تلك المصلحة التى تجبر خسارة تنجم عن مخالفه حكم من أحكام الله ؟ ، ان متاع الدنيا بأسرها لا يعدل ذلك مهما بدا من وجوه المصلحه فيه ، وكيف يكون ذلك ، والله يقول : « **وَمَا كَـانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَامُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** » (٣) ٠ ثم يتبارى الرجل فى تقديم الحكمة على ما يزعمـه من تقولات فى شريعة الله فيقول : « ولما كـان الاسلام دينا واقعيا لايقف موقفا سـلبيا أمام وضع من الأوضاع فقد افترض وجـود مثل تلك الحـالات واعترف بهـا وأعطاها حقها فى الاعتبار » (٤) ٠

ثم يقول : « ومعنى ذلك أن الأمة اذا رأت مصلحتها فى أمر يتعارض مع نص شرعى وكانت هذه المصلحة ضرورية لها لا يمكنها بحـال الاستغناء عنها أو تأجيلها أو قضـاءها عن غير هذا الطريق المحرم ، ففى هذه الحالة يجوز أن يخالف النص وتقدم المصلحة نزولا على حكم الضرورة (٥) » ، ولايخفى على القارىء مـدى

---

(١) راجـع فى هذا المعنى : عبـد الغنى بركة ـ الشورى فى الاسلام ـ ص ٥١ ٠

(٢) عبد الغنى بركة : الشورى فى الاسـلام ـ دراسة فى النظم الاسلامية ـ ص ٥٢ ٠ ـ طبعة مجمع البحوث الاسلامية ـ السـنة العاشرة ـ الكتاب الخامس ـ مايو ١٩٧٨ ٠

(٣) سورة الاحزاب ـ آية : ٣٦ ٠

(٤) عبد الغنى بركة : الشورى فى الاسلام ـ ص ٥٣ ٠

(٥) المؤلف المذكور ـ ص ٥٣ ٠

ما تفصح عنه تلك العبارة من جهد خارق لصاحبها فى تجاهل احكام الله والتضحية بها فى سبيل النزوة والهوى ، وفى تصورى أن ذلك الخلط الواضح والفهم المشوه لم يأت الا من جراء عدم التروى فى ادراك ذلك الطابع المتميز للشورى فى الفقه الاسلامى ، مما جعل صاحبه يقع فريسة الافتتان بما يقترب منها فى النظم المدنيه ، وكانت النتيجة ما رأيناه من خطأ فى الفهم وخلط فى التعبير .

عناصر تحديد ضوابط الشورى :

ومن خلال تلك الذاتية المستقلة لنظام الشورى فى الاسلام تتحدد عناصر الموضوع فى بيان اهدافها ، ومجالها ، ومدى الزامها والعمل بها ، وسوف نقوم بتوضيح تلك المسائل على النحو الذى تستهدفه تلك الدراسة .

أولا : اهداف الشورى فى الاسلام :

— وعلى ضوء ما ورد بشأن الشورى فى الكتاب والسنة ، يمكن القول ان هدف الشورى على نحو ما قرره الفقهاء والمفسرون ، يمكن ارجاعه الى نقطتين هامتين لهما ابلغ الاثر فى حياة الناس على المستويين الفردى ، والجماعى هما :

احترام الطاقة الفكرية الخلاقة فى الانسان ، بالقدر الذى يضمن الوصول الى أقوى الآراء نضجا ، وأكثرها وعيا وفهما ، وأقربها للحق والصواب .

وكذلك المحافظة على وحدة الصف فى الامة وجمع شملها حتى تستطيع أن تشق طريقها فى الحياة وتحقق رسالتها على أكمل وجه ، فالوصول الى أحسن الآراء ، والمحافظة على وحدة الأمة هما الهدفان اللذان تقررت لهما الشورى وينبغى الاشارة اليهما بشىء من التفصيل .

١ — اختيار أقرب الآراء للحق :

من المؤكد أن الشورى قد تقررت فى الاسلام لتكون اداة للوصول الى احسن الآراء فهما ، وأقربها للحق والصواب ، ولاشك فى نظرنا أن الحكم على الرأى أيا كان صاحبه بالصواب أو القرب من الحق مقتصر على غير ما حكم به الشارع سبحانه ، أو ورد فيه نص فى الكتاب أو السنة ، فاذا كان الله قد حكم ، فلا مجال للرأى ، ولا محل للمشورة ، ومن ثم فأن أى رأى يخالف حكما من أحكام الله لا يعتد به مهما بدا من وجوه النفع والعبقرية للناس فيه ، اذ المصلحة الحقيقية تتمثل فى احترام ما جاء عن الله ، لأن ذلك هو الذى يكشف عن حسن القيام بواجب العبودية لخالق عظيم قادر ، خلق الانسان لمهمة حددها له تتمثل فى عبادة الله بالتزام ما جاء عنه ، وليس من واجبات العبودية لله ، بل ولا آدابها أن ينصب الانسان من نفسه حكما على الله فيقرر بعقله حكما على خلاف ما أمر به الله ، فذلك هو الضلال بعينه .

وقد حذر الحق سبحانه عباده من مغبة الوقوع

فى شرك تلك الرذيله ، وبين لهم ما تنطوى عليه من سفه وضلال رغم ما قد يظهر على أصحابها من نزعات التته والاعجاب .

قال تعالى : « أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » (١) ، والوصول الى أحسن الآراء وأقربها للحق والصواب لايتحقق الا من خلال العمل بالشورى ، لأنها هى التى تكفل لكل رأى أن يظهر ، وهى بهذا المعنى تتواءم مع سنة كونية فطر الله الناس عليها ، حيث خلقهم على درجات متفاوتة فى القدرة والملكات والادراك ، ومن ثم كان كل واحد منهم فى حاجة الى أخيه ، ليستعين بما تفوق فيه من خبرة ، وبما برز فيه من علم ، وكانت الشورى هى الأداة لتحقيق تلك الاستفادة على أحسن الوجوه ، وهذا المعنى يظهر من قول الله تعالى : « وشاورهم فى الأمر » (٢) ، ومما صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لعلى بن أبى طالب : « شاور أهل الرأى » (٣) ، ومن ثم يكون الوصول الى أحسن الآراء فى الأمور التى يكون للرأى فيها مجال ، هدفا من أهداف الشورى .

٢ ـ تحقيق وحدة الصف :

ومن الأهداف التى تضمن الشورى تحقيقها ، المحافظة على وحدة الصف فى الامة ، وجمع شمل أبنائها وتوجيه طاقتهم نحو العمل المثمر البناء ، وذلك من خلال ما يكفله التعبير عن الرأى من احساس صاحبه بالعزة والكرامه ، وتنمية قيم انسانية تنطلق فى ظلها الملكات الى أقصى غاياتها ، تفانيا فى سبيل الله والحرص على المصلحة العامة ، كما يتسنى من خلالها القضاء على عامل الفتنة والتمزق التى غالبا ما تظهر (٤) فى جو الكبت المسموم والتسلط القاتل قال تعالى : « وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » ، وفى هذا المعنى يقول الزمخشرى فى تفسيره : « خاطب الله المصطفى الأمين بقوله الكريم : « وشاورهم فى الامر » ، أى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى لتستظهر برأيهم ، ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم » (٥) ، هذا بالنسبة لأهداف الشورى فى الفقه الاسلامى ، أما مجالها ومدى الزام العمل بها ، فسوف نقوم ببيانه فى مقالنا القادم باذن الله والله المستعان .

دكتور عبد الله مبروك النجار

---

(١) سورة فاطر ـ آية : ٨

(٢) سبق تخريج الاية ، وراجع فى ادراك هذا المعنى منها : تفسير الرازى ـ جـ ٢ ص ١٢٠ ، وتفسير القرطبى ـ جـ ٤ ـ ص ٢٤٨ .

(٣) سبق تخريج الحديث .

(٤) سبق تخريج الاية .

(٥) راجع : تفسير الكشاف ـ جـ ١ ص ٢٢٦ ، وتفسير الرازى جـ ٣ ـ ص ١٢٠ ، وتفسير القرطبى ـ جـ ٤ ص ٢٤٨ .

الفتاوى

طلاق بالإكــراه

س : من السيدة / س٠ ح٠ ندا :

أقمت مع زوجى ما يقرب من ثلاث وثلاثين سنة حتى بلغ سن الشـيخوخة ومرض مرض الموت ، وكانت سنه ثمانين سنة ، وأصر أولاده على طلاقى حتى لاأرث من زوجى دون رضاى وجاء اشهار طلاقى بتـاريخ ١٩٨١/٥/٧ ثم توفى بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٩ بعد سـبعة أشهر من طلاقى تقريبا ٠٠ فما حـكم ميراثى منه مع العلم بـأن سنى عند الوفاة ثـلاث وخمسون سنة (تاريخ ميلادى ١٩٢٨/٢/١٦)٠

ج : الذى يطلق زوجته بعد الدخول بها فى مرض موته دون طلب ولا ابراء منها قصـد حرمانها من الميراث فانه يعامل بنقيض قصده ما دام أثر الزوجية قائمـا ، وذلك اذا كانت العدة باقية ، بهذا قال الاحناف وبهذا أخـذ القانون ٠

وما دامت الزوجة لم تبلغ سن اليأس وهو خمس وخمسون سنة فان عدتها تكون بالاقراء لا بالاشهر ، وتصدق الزوجة فى عـدم مجىء الحيض سنة كما نص القانون ٠

وبذلك فاذا ادعت هذه المطلقة أن عدتها لـم تنته خلال عام من طلاقها فانها ترث من زوجها الذى طلقها ٠ باعتباره فارا من المـيراث ٠٠٠ هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ٠

بنـاء المقـابر فـوق الأرض

س : من السيد / ع ــ ع ــ عيسى ٠

فى بلدتنا مقبرة للأموات تحيط بها الأراضى من كل ناحية ٠٠ وبذلك ترى المياه فى المقابر ٠ فهل لنا أن نبنى المقابر فوق الارض ونـدفن فيهـا ؟

ج : الدفن انما يكون فى الارض ، فاذا كان

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين

●●●

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

هناك ضرورة تمنع من الدفن فى الارض كما ذكر فى السؤال حيث توجد المياه فى المقابر .

فانه يجوز أن تبنى المقابر فوق الأرض ويوضع تراب أو غيرهحتى تبعد عن رشح المياه ، وعلى أهل القرية أو البلدة أن يحفروا مصرفا حول المقابر حفاظا على الأموات .

ميراث

س : من السيدة / ع . عبد القادر .

توفى رجل عن : زوجة ، أختين شقيقتين .. أولاد أخ شقيق ذكور وأناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللاختين الشقيقتين الثلثان فرضا لعدم من يعصبهما أو يحجبهما . يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء للاناث من أولاد الأخ الشقيق لأنهن من ذوات الأرحام المؤخرات فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س : من السيد / ع عبد الفتاح

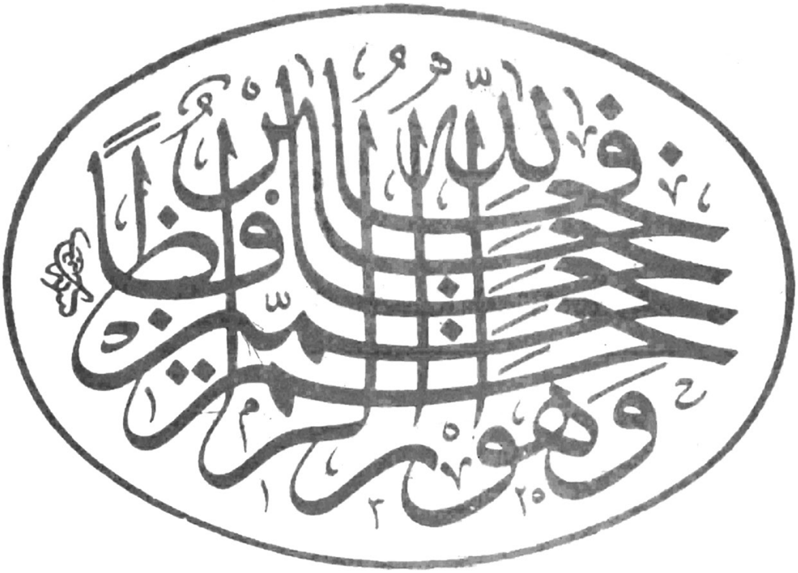
توفى رجل عن : زوجة ، بنت ، أولاد ابن ذكور وإناث .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنت النصف فرضا لعدم من يعصبها ، والباقى لأولاد الابن تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الانثى .

الطلاق والخمر

س : من السيد / س عبد الله .

١ ـ رجل اشترط على نفسه اذا تعاطى



الفتاوى

مشروبات روحية تكون زوجته طالقا طلاقا لا رجعة فيه ثم شرب .

٢ — وذهبت زوجته الى بيت أبيها فطلبها بالتليفون وقال لها : اذا لم تحضرى فى ظرف أربعة وعشرين ساعة الى بيت الزوجية تكونين طالقا .. طالقا .. طالقا .. ولم تحضر .

٣ — وأخيرا اشترط على نفسه بألا يضرب زوجته .. وفى حالة عصيانها سيرسلها الى بيت أهلها للتفاهم .. فما الحكم ؟

ج : **عن الاول** : ان قصد به منع نفسه عن الشرب لا يقع به طلاق ، وان قصد به طلاقها حين حصول المحلوف عليه وهو الشرب كان طلاقا .

وعن الثانى : ان كلمها بالتليفون وطلب منها الحضور الى منزله فى خلال أربع وعشرين ساعة والا تكون : طالقا : طالقا : طالقا .. هذا يمين معلق : فان قصد به التخويف والتهديد لأجل أن تحضر فى الوقت المحدد لا يقع به طلاق .

أما ان قصد به الانفصال عنها وطلاقها ان لم تحضر ... ولم تحضر : فانه يقع به طلقة واحدة رجعية يجوز له أن يراجعها مادامت فى عدتها ، فان انقضت عدتها لاتحل له الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، مالم يكن اليمين مسبوقا بطلقتين فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويطلقها أو يموت عنها وتنتهى عدتها منه .

وعن الثالث : لا يقع به طلاق لانه ليس صريحا ولا كناية عن طلاق ... والله أعلم ..

« عبد الحميد السيد شاهين »

الشعر والشعراء

يشرف عليه
د. حسن جاد

من آيات النبي
صلى الله عليه وسلم

المتسلقون

أزف الرحيل

الإمارة في دولة الشعر

من أيام النبيّ

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ عبد العليم القبانى

أسرى بى الوجد ؟ أم أغرانى الأمل ؟ ... أم هزنى الشوق ؟ أم طافت بى المثل ؟

سمعى غناء ، وعينى فرحـة ورؤى ... علوية ، وفؤادى هائم ثمــل

ماذا أرى ؟ والمساء السمح يجمعنا ... فى موكب ، حوله الأنوار تكتمـل ؟

ان الذى هـزت الدنيـا نضـارته ... عيد على شرفات الخلـد ينتقل

الله أكبر ، هـذا اليوم مبتسـم ... جلاله بهـدى المختـار متصـل

عجبت للبحـر رقراقا ، أسـرته ... سـمحاء ، موجاته لله تبتهـل

والنجـوم تبارت فى معارجهـا ... يزهو بها الحب أو يغفو بها الخجل

وللخمـائل ألقت من غلائلهـا ... وأقبلت بشـعاع الفجـر تغتسل

يا أيها الكون ، ته ماشئت وافض بما ... طـويت من صفحات خطهـا الأزل

ان اليتيم الذى ماذاق عطـف أب ... بعطفـه الآن أضحى يضرب المثل

ومن تولت على يأس مراضـعه ... أمسى ، وفى راحتيـه يورق الأمل

محمد ، خير خلق اللــه منزلة ... ومن به عقــد وحى اللــه يكتمل

المتسلقون

للأستاذ الدكتور حسن جاد

لا تهنىء من فــاز بالعليــــاء في زمان الأوغــاد والجهــلاء
أهزلتهــا فوضى التسلق حتى سامهــا كل مفلس عــداء
وتســاوى من ليس كفئــا بكفء في زحـام التجـار والوسطاء
يا صديقى هــذا زمان المداجى ليس هــذا الزمان للأكفــاء
لقــد اختلت المقاييس حتى غــام وجه الحقيقــة الغــراء
وجـرى الحظ فى المناصب كالنــاس جـزافا بالسـعد أو بالشــقاء
فتهنا حينــا بعذب الأغــانى وتعزى حينــا بندب الرثــاء
واذا ما العليــاء زفت لوغــد فالى القبــر زفهـا والفنــاء
ربمــا حــازها ملــح وصــولى أثيم الهــوى خبيث الدهــاء
أشــعبى الأطمــاع ينهب ما شــاء بــلا عفــة ولا اســتحياء
ويكيــل المنافقــون لــه المــدح على نبــل فضــله والذكــاء
وتزف (الشــيكات) زلفى اليــه وهى مدمــوغة بلعن الســماء
واذا من بالأمس كــان جهــولا صــار فى الحال أعظم العلماء
واذا المســتغل ســحتا غدا فى لمحــة الطرف أنبــل النبــلاء
كميــاء النفــاق أعجـزت السحـــر وأعيت تجــارب الكيميــاء
فــاذا لامســت من الحذق قردا حولتــه لغــادة حســناء
ليس من يعتلى المنــاصب عفــا مثــل من يستغلهــا للثراء

أزف الرحيل

أعنى أيهـــا الجســـم العليل
أعنى أيهـــا الفكـــر الكليـــل

وكن طـــوع الأنامل مســـتجيبا
لفكـــرى أيها القلم الكســـول

لأخـــرج ما بقلبى من كنـــوز
وأنغـــام فقد أزف الرحيـــل

وذا ضـــوء السراج الى خفـــوت
فمـــا فى زيتـــه الا القليـــل

وشمس العمر ترعش فى خطاها
وقـــد أوهى أشـــعتها الأصيل

سأقفل راجعـــا من حيث جئنـــا
وما مـــوت الفتى الا قفـــول

* * *

صحبت العيش لونا بعد لـــون
وأحـــوالا تبـــدل أو تحـــول

فمـــاذا غـــير أطيـــاف تراءى
وأشـــباح مقطبـــة تهـــول

وأوهام بهـــا يفتـــر ثغـــر
وأوهـــام بهـــا يعلو عـــويل

وشعوذة بهـــا يردى صـــحيح
وشـــعوذة بهـــا ايشفى عليل

وغـــاب فـــيه أطيـــار تغنى
وغيـــلان مزمجـــرة تغـــول

وســـاعات تمـــر مجنحـــات
وأيـــام لهـــا زحف ثقيـــل

وآمـــال ترعـــرع ثـــم تـــزوى
فتنثرهـــا دبـــور أو قبـــول

للاستاذ محمد عبد الرحمن صمان الدين

وقطعاً أن عشاوى هائمات بليل الجهل يحدوها ضليل
تغيرت المعالم يا الهى وضلت فى المتاهات العقول
فأصوات الهراء لها دوى وصوت العقل مخنوق هزيل
اذا نعب الغراب فقد تلاشى من الأيكات فى الروض الهديل
فأف للحياة اذا اكفهرت وعمى فى مجاهلها السبيل

* * *

سأرحل يابنى الدنيا وانى لتلك الرحلة الكبرى عجول
فما فى غاية الدنيا حقير به قلبى تعلق أو جليل
هناك على الحقيقة سوف أحيا حياة لم يدنسها جهول
وأسبح فى ضياء سرمدى فلا قيد يحد ولا سدول
وقد سطع الوجود أمام عينى بشمس ليس يعروها أفول
على شطآن نهر الخلد أخطو فيسكر خاطرى ظل ظليل
وداعاً أيها الناسوت انى سأرحل والفؤاد به غليل
فلم أحمد مقامى فيك يوماً وهل حمدت لدى حر كبول

جولة داخل النفس

كان الربيـــع يفيـض بالاشراق ... وييث نور الكون فى الأحـــداق
ووقفت فوق الدرب ثابتـة الخطى ... وأنـــا على صمتى وفى اطـراقى
ووقفت والذكرى تموج بخاطرى ... والذكريات هى الوجـود الباقى
عشر من الســنوات مرت هاهنا ... فى مســكن ولى بغـير تـلاق
قد هدمتــه يد البناء بقســوة ... وطـوت معالمــه بلا اشــفاق
وبدت على نفس المكان ٠٠ عمارة ... تعلــو المدى ٠٠ وتشب كالعملاق
ووقفت والأمس القريب يهـزنى ... ويشــد فى عنف القــوى وثاقى
أهفـو اليـه بحلوه وبمــره ... ما دام منتزعـا من الأعمـــاق
هى جـولة فى مسكنى قمنا بهـا ... أنـا والخيال ٠٠ ولوعة الأشواق

***

ومشت بى الذكرى أجول «بقبلتى» ... وأنـــا كطفل طائــع منســاق
وفتحت بابا للحـديقة واســعا ... وعبرت تحت ســقيفة ورواق
وعلوت ســلمها العتيق خفيفـة ... وأنا وظــلى فى مجــال سباق

للشاعرة جليلة رضا

فاذا الكلاب تحس دبة خطـــوتى ... وتنط فى لهث وتلعـق ســاقى

ودخلت تحمينى الديـــار بصمتها ... والصـــمت للعـــزلاء درع واقى

ودلفت نحو البهو أنشـــد مقعدا ... يا كم عليــه تنردت فى اســتغراق

فاذا النوافذ تســترد نفوذهــا ... وتفـــر من مزلاجهـــا الخفاق

واذا الســتار يرف حــولى راقصا ... واذا الأثـــاث يضمنى بعنـــاق

هى جـــولة فى مســكنى قمنا بها ... أنا والخيـــال ٠٠ ولوعة الأشواق

* * *

ومشت بى الذكرى أجول بمخدعى ... فى حـــيرة المتهيب المشـــتاق

فهنـــا اســتقر الكون فوق وسادة ... محمومة ٠٠ حملتــه فى ارهـــاق

وهنا غـــدوت بمخدعى روحا سرت ... من ســـجنها الأرضى للآفـــاق

وهنـــا التنـــاقض كله فى كائن ... لقى الأسى من قلبـــه الخفـــاق

وهنا فرحت٠٠هنا ضحكت٠٠وهاهنا ... مسحت دمـــوعى أســطر الأوراق

وهنا مللت ، هنـــا زهدت وهاهنا ... أج النـــوى والشوق فى أعراقى

وهنـــا نسجت من التوحد حلــة ... رصـــعتها بالدين والأخـــلاق

هى جـــولة فى مسكنى قمنا بهـــا ... أنا والخيـــال ٠٠ ولوعة الأشواق

* * *

رباعيات

للدكتور عزت شندى موسى

ذلك البدر نوره خلاب   جل من صور السنا الوهاب
فاهجر النوم وأرقب البدر تما   قبل أن يحجب الضياء سحاب
واجل عينيك بالبهاء مليا   وتأمله فالحياة سراب
انما النور ساعة ثم تمضى   وستتلوه فى الظلام حقاب

* * *

أنا ان جد بى هوى وذنوب   فرجائى فى الله ليس يخيب
يا قريب الدعاء عفوك سؤلى   أنت للسؤل سامع ومجيب
يا فسيح الجناب بابك قصدى   وعن الباب لا يرد منيب
يا كريم الجناب أنت ملاذى   أنت من صاحب الدعاء قريب

* * *

ان تكن قربتى اليك بيانى   فلكم جئت طالب الغفران
فاكشف الغمة الكثيفة عنى   وترفق بعثرتى وهوانى
وكفانى وخز الضمير ودمع   هو ذوب الشعور والوجدان
يا قديم الاحسان وجهك باق   وجميع الوجود دونك فان

* * *

يا بديع النجوم والآفاق   قد رفعت السماء سبع طباق
أنا فى جاه مصطفاك وحسبى   اننى بين زمرة العشاق
ولمن تطلب الشفاعة ان لم   تك للمستجير بالخلاق
فتقبل تضرعى ودعائى   يا عظيم الحنان والاشفاق

من شعراء الأزهر

محمد عبد الرحمن صان الدين

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

تتمة

اذا كان ثمة برج عاجى يتحرى فيه الأديب صفاء الفكر ونقاء الخلق ، وكان هذا البرج هو الصخرة التى ينبغى أن يعيش فوقها الكاتب مرتفعا عن بحر الدنايا الذى يغمر عصره ، ويعطى من شخصه مثلا لكل نبيل رفيع جميل ، فان هذا القول ، فى رأينا ، أكثر ما يكون انطباقا على شاعرنا (صان الدين) الذى عرفنا فيه انقباضا عن الناس .. لا تعاليا عليهم ، ولكن .. بحكم نشأته وتكوينه النفسى ، ومزاجه الشخصى . وان كان ذلك لم يمنع أن الناس ظلوا قابعين فى صميم وجدانه ، حتى النخاع ! فلا يكف عن التفكير فيهم ، حين يخلو الى نفسه وتأملاته ، فى معمله السحرى ، وعالمه الجمالى ، مستعرضا هموم عصره ، ومستغرقا فى دراسة مشكلات الحياة من حوله ، ومحاولته — فى ابداعه الشعرى السمو بهم الى آفاق السموق والرفعة ، فى اطار (الكتاب) و (السنة) .. لأن كمالات صان الدين — (وله من اسمه نصيب) — ومثله العليا ..



تهيب به دائما أن يكون من العاملين بما علموا ، الداعين الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة .. فان : من كتم علما عن أهله ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار ..

وقد ارتقى صان الدين منبر الخطابة بالمساجد فترة طويلة من الزمن ، داعيا الناس الى التحلى بمكارم الاخلاق ، ونبذ الخلافات والشقاق ، والبعد عن اقتراف الآثام والمعاصى . وفى ذات الوقت ، خلصت لنا من عصارة فكره ونبض

◄

من شعراء الأزهر

وجدانه حصيلة شعرية وافية ، سنحاول اليوم أن نقف قليلا أمام جزء هـام منها ، ألا وهو شعره الدينى ، الذى تتضح فيه — أكثر من سواه — سماته الفكرية البـارزة ، وموهبته الذهبية المتوهجة ، فى محيط الروابط الانسانية ، واستمدادها من فيوض الخالق عز وجـل ، بمنأى عن الزيف والضياع ٠٠

وشعره الدينى — الذى سداه (المضمون) ولحمته (الشكل) — يستقر كل منهما — أى الشكل والمضمون — فى الآخر ، حتى يصبح من المحال الفصل بينهما ٠٠ بحيث يخيل للمتدقق أن الشاعر لم يكن يملك الا أن يضع هذه التجربة فى هذا القالب ، بعينه ٠٠ الامر الذى جعـل شـعره الدينى ، بهذه الخاصـية ، يحتل مكان الصدارة فى نتاجه كله ، ومن هنا أصبح له مذاق خاص ، لا يذكرك بشـعر آخر لسـواه ٠٠ وصان الدين لا ينتمى الى مدرسة أدبية معينة ، وان غلب عليه الطابع الوجدانى المتقد ، لأن الشعر لديه ، يصدر عن احساسـه الخاص ، ورؤيته الذاتية ، وشـعوره الجياش ٠ وهو لا يشرع فى ابداعه الا بعد اختماره ، وتداعى صـوره ، وتكاثف معانيه وأخيلته ٠٠ بحيث لا يستطيع مدافعته أو التراخى فى تدوينه ٠٠ ويصبح فى حالة يملك الشعر عليه لبه ، ويموج أعماقه ، ويأخذ بتلابيبه ، فلا يجد مناصا من الاسـتجابة والاحتشـاد لـه ٠ ويكون مثله — فى تلك الاثنـاء — كمثل الينبـوع الصـافى الذى ينبثق فجأة ، وبلا مقدمات ، من أعماق الارض ، أو كالشـلال الذى ينحدر من عـل ، مكتسـحا ما قد يعترض طريقه من عوائق ٠٠ واذا كان بعض الشعر الدينى لديه ، أو جله ، يتعلق بمناسـبة ما ، فانه يخلص من شوائب الصنعة ، والحرص على النظم لمجرد الاستجابة لدواعى المناسبة ، حتى لا يرمى بالتقصير أو التقاعس ، كما هو الشأن مع شعراء المناسـبات — وما أكثـرهم ٠٠ وذلك لأن صان الدين يطلق العنان لشاعريته الفـذة فى لحظات التجلى ، كى تجود بمكنوناتها ، بتداع حر ، ليقول ما عنده ، وما يحرص على ابدائه من وجهة نظر خاصة ، أثناء الدفقة الشعورية ، مهتبلا فرصة امطارها ٠٠ خذ مثلا قصيدته التى كتبها من وحى ذكرى الهجرة النبوية العطرة ، بعنوان : (يا نسـمة الذكرى) التى لا يسرد فيها شيئا من وقائع الهجرة ، المعروفة للكافة ، وانما يستهل القصيدة بمناجاة للذكرى ، تبرز فيها ذاتيته وانفعاله الصادق العميق حين أظلته فيقول :

ردى الى الحيران نور صـوابه
واستنقذيه من ضنى أوصـابه
وتداركيـه من نداك بقطـرة
تروى أوام الـروح بين اهـابه

ثم يسلط أضواء شاعريته على مايدور فى عالم اليوم ، من احن وشحناء ومتاهات ، رغم الرفة المادى الذى يملأ وطابه ، وبخاصـة فى الدول المتقدمة : فى أوربا وأمريكا ٠٠ يقول :

العـالم المفتـون يركض لاهثا
فى القفز خلف مصـللات سرابه

المال ملك يمينـــه والعـــلم ملك
شـماله .. والجـاه تحت ركابه

ومع ذلك :

ياويحه ما باله يشـــكو الظمـــا
وكئوســـه ملأى بحلو شرابه ..

وهو يعنى بذلك : شكوى (الظمأ الروحى) ، بدليل تساؤله عنه بعد ذلك :

ما باله مستوحشـــا فى سربـــه
شـ قـــا يغص بريقه ولعـــابه ؟

ثم يشخص الداء ويشرح أسبابه ودواعيه ، بقوله :

ان الذى قد ند عن مدد السـما
ء وتاه فى الديجور عن أســـبابه
غول الشقاء ينوشـــه حتى ولو
كانت ملوك الجن .. من حجابه !

ثم يلتفت الى (نسمة الذكرى) ، متهدجا ، بقوله :

ردى الى الرحمن عبدا شــاردا
كالوحش يركض . فى مسارب غابه

وهو يعنى بالعبد هنا ، انسان القرن العشرين عامة ، وما أصابه من أوضار الحضارة الغربية الزائفة ، بعد ابتعاده عن منابع الدين الصافية .. ويتضح ذلك بجلاء ، بعد أن يستتلى قائلا :

فلعله بعـــد التمزيق والضـــنى
يجد الســـكينة فى ظلال رحابه

أى فى رحاب الهدى ودين الحق ، مشرئبا الى عظمة الرحمن الرحيم ورحمته وكيف لا ..؟

والله نور القلب فى ظُلَمِ الوجـــو
دفلا يحس ولا يـــرى الا .. به

ولا يلبث الشاعر أن يزيد الأمر ايضـــاحا ، مبديا وجهة نظره الخاصة ، بشىء من التفصيل بقوله :

الله رب الكون شـرع للحيـــا
ة سبيلها الباقى على أحقـــابه
دنيا ودين .. فى ظـــلال حكومة
محكومة ، من ربهـــا .. بكتـــابه

ألا ما أروع هذه (الحكومة المحكومة) ، التى تهدى اليها فكر الشاعر بثاقب رأيه ، ودقـــة صـــياغته وتراكيبـــه .. والتى اذا أتيح للأمة الوسط ــ الأمة المحمـــدية ــ أن تظفر بها ، لا نف جت فى التو أزماتها ومشـــكلاتها .. هذه الحكومة من سمات وجودها أن تكون : لا شرقية ولا غربية .. وذلك بأن :

تعنو الجبـــاه لحكمـــة منقـــادة
للـــــه .. لا لمدجج بحـــــرابه
لا الشرق باســـتبداده وجحـــوده
كـــلا ، ولا الغرب المدل بعـــابه

ولكن ، ما السبب فى رغبته فى الابتعاد عن المعسكرين المتطاحنين ؟ ان السريكمن فى أن :

هذا وذاك .. كلاهمـــا متحـــال
ركب الضـــلال وتاه بين ضـــبابه
وكلاهما ، فى ضـــــغفنه ودهـــائه
حرب على الاســـلام فى محرابه

أرأيت كيف تعامل الشاعر مع (موضوعه) ؟ وكيف جعل منه فرصة ســـانحة ، ليبدى رأيه الحر الصريح ، فيما ينبغى أن يكون عليه عالمنا الاسلامى اليوم ، وسط الكتل المتصارعة ، فلم يقتصر فى قصيدته على الجانب الدينى وحده ،

◄

بل انتقل منه الى منظور سياسى وطنى ، أراد به أن ينبه الغافلين ، ويرسم أمامهم سواء السبيل ، للعودة الى النبع الاسلامى الصافى ، الذى تنكبنا الطريق السوى الى موارده العذبة فحاق بنا ما حاق ، من الكوارث والمصائب .

وعسى ألا تكون قصيدته تلك : صيحة فى واد ! كالمعتاد .. ونأتى بعد ذلك الى قصيدة أخرى بعنوان : (من وحى أم القرى) ، أى مكة المكرمة ، حينما أتيح له زيارتها أثناء قيامه بأداء فريضة الحج ، اذ فوجىء هنالك بالحر اللافح ، والمشقة البالغة فى الانتقال بين الوعور وصلد الصخور ، فتعجب من أن مثل هذه البيئة بالذات هى التى خرج منها رسول الانسانية الرءوف الرحيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .. ويستهل قصيدته مشدوها ، بقوله :

هذى الصخور الصلدة الصماء ؟
هذى الجبال الوعرة الشماء ؟

ونتساءل : ما بالها يا شاعرنا ؟.. فيجيبنا :

من بين هاتيك الدياجرو
المجاهل أشرقت فى العالمين ذكاء (١)
وتفجرت فيها ينابيع الهدى
حتى ارتوت من فيضها البطحاء
وجرت بأنحاء الوجود جداولا
منها استمد الحكمة الحكماء

ونلاحظ هنا أن الصورة الشعرية فى ثنايا هذه الأبيات لم ترد عبثا ، أو رغبة فى اظهار المهارة والقدرة على التوليد والابتكار ، وانما أبدعها الشاعر للتأكيد على المعنى الذى يتوخاه .. كما يقول الشاعر الانجليزى المعاصر Louis macnice (لويس ماكنيس) عن الصورة الشعرية « من الخطأ أن ننظر الى صورة لشاعر ، على أنها زخرف فحسب .. صحيح أن ثمة صورا تبدو كأنها ألصقت على القصيدة من الخارج ، زائدة على معناها .. لكن الصورة فى الأغلب ، توجد فى القصيدة لتوضيح المعنى .. أو لتثبيته فى نفس المتلقى ، بقوة .. ثم انه فى قصائد كثيرة ، تنسج الصورة والمعنى ، (أو يلحمان) ، بشكل يستحيل معه فصلهما .. وقد جعل الرمزيون هذا مبدأ من مبادئهم (٢) » .

ثم ينتقل الشاعر « صان الدين » ليدلل على صدق الرسالة المحمدية ، بأمية السيد الرسول الأعظم ، التى حققت تمام المعجزة ، بقوله المفحم :

لله فرد من سلالة هاشم
تاهت على الدنيا به الصحراء
من صير الأمى بحرا زاخرا
بمعارف ضاقت بها الغبراء ؟
من ذا الذى أفضى اليه بما حوت
فى عمقها الأفلاك والأجواء ؟
كيف استقى نبأ الأوا
ئل والأواخر ، باليقين .. دون ذاك عماء

---

١ ــ ذكاء : الشمس ، وهو يعنى : شمس النبوة

٢ ــ انظر كتاب « جدلية الخفاء والتجلى » للدكتور كمال أبو ديب ص ٣٣ ، ٣٤ .

أبدا ٠٠ ولا جاب المدائن والقـــرو
ن فجمعت فى ذهنـه الأنبـــاء

الى أن يقول بسلاسة آسرة متدفقة :

ما ضمه فى شـــيبه وشـــبابه
الا الشعاب ، وداره ، وحــراء ٠٠

وهذه الابيـــات تذكرنا بأبيات من قصـــيدة صديقنا الشاعر الكبير الراحل محمود غنيم ، بعنوان (ميلاد رسول وأمة) ، يقول فيها :

النبى الامى جـــاء بـــآى
تركت ســادة البيان ٠٠ جمــودا
أخرســـت كل ناطق تركت كـــل
لســـان من عيــه معقـــودا
وألان القـــلوب وهى غـــلاظ
يشـــبه الصـــخر طبعهـــا والبيدا

الى أن يقول :

شرعـــة ظـلت بأدواحهـــا من
حل بيدا أو حل قصرا مشـــيدا
الحضـارات منــذ قمــن عــلى الار
ض تفيــان ظلها الممـــدودا (١)

وعندى أن أبيات صـــان الدين أكثر اقنـــاعا وأبعد مغزى من أبيات غنيم تلك ، وربمـــا كان السبب فى ذلك يعود الى أن صان الدين أمعن فى التفكير والتأمل ، ونأى عن الصنعة ، أو ترديد المعانى الشائعة ، بصياغة جديدة ٠٠ وأبى الا أن يقدم رؤيته الخاصة الخالصة التى تهـدى اليها بعد طول تدبر وامعان نظر ٠٠ دون أن يدع سبيلا لتحكم القافية أو جلجلة الألفاظ ، حتى لا يحيد عما يريد أن يعبر عنه ، بدقـــة وجلاء وتحديد ٠

ويمضى الأستاذ الشاعر « محمد عبد الرحمن صان الدين » يرش ، حيث يشاء ، أنوار فكره :

فتفور السفوح خصبا وتهمى
شرفات الغيـــوب بالالهـــام

حينما يتساءل ، فى احدى قصائده الايمانية ، وومضاته النورانية :

أيشرع الانســـان للانســـان ما
ينجى من العثرات والأخطـــار ؟

ثم يعطينا الدليل عـــلى خطل هــذا الرأى ، بقوله بعد أبيات :

لو كان فى الانسان عقل مجزىء
ما كان رســـل الله فى الأعصـــار
ولما مضى فى الأرض يسجد خاشعا
للنجم والحيوان والأحجـــار !
ولما اســـتبد بـــه الفـــرور فظن
أن يديـــه تملك قـــدرة الجبـــار
فمضى يبث قذائفـــا من صـــنعه
أدهى من البـــركان والاعصـــار

وهو يشير بلا شـــك فى البيت الأخير الى التدمير الرهيب الذى يحدثه تفجيـــر القنـــابل الذرية والهيدروجينية ٠

وأخيرا ، نصل الى قصيدته الآسية : (الى الشـــاطىء المحجب) وجلين ٠٠ ففى هـــذه القصيدة يودع ذات نفســـه وذوب فؤاده بين حروفها وثنـــاياها ، حينمـــا يخـــاطب (برزخ الأرواح) بقوله :

◄

---

١ ـ القصيدة منشورة بعدد مجـــلة « المجلة » الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٩ ٠

من شعراء الأزهر

يا برزخ الأرواح انى قـــادم
كدحا اليك .. وقد شددت رحالى
من غربة الدنيا التى قد أثخنت
قلبى ، وأوهت بـالأسى سربالى

ورغم أنه انسان فاضل ، شـديد التـدين ، يعرف ربه ، ويؤدى فرائضه .. الا أنـــه يفرق من ذنوبه وآثامه ، التى لا يعلمهـا الا الله .. وهو لا يخشى الموت ، ولكنه يخشى هذه الذنوب والآثام ، فيقول ملتاعا متحسرا :

ومعى حصاد العمر أحمل وزره
فأسـير فى وهن وفـرط كـلال
أواه من عمـر تسرب من يدى
أواه من وزرى ومن أحمـــالى

ويعود الى الاكثار من ذكر (هازم اللذات) ، بعد أن تقدم فى العمر ، ولم يعد فى الأجل مثل الذى انقضى ، ومن يمخر عباب الستينيات ، يحق له أن يقول فى خواتيمـه (واللـه يحسن ختامنا جميعا) :

وسفينة الموت المحتم قـد دنت
وشراعها المنشور .. صار حيالى

وقديم الموت غير قديم ، والتفكير فيه يصاحب المرء من البداية للنهاية .. الا أن شاعرنا يحدق فى وجه الموت كأمر واقع لا مفر منه ، أصبح يترقبه مع نفس يتردد فى صدره يقول :

فى غمضة أو شـهقة أغدو بهـا
فى الراحلين .. أجر فى أسمالى

ثم يتوجـه بالخطاب الى (وادى الموت) متسائلا بالتياع مذيب محير :

أترى مقرى فيك جـدب قـــائظ
أم أنه .. فى روضـة وظلال ؟
أيكون من فوق الأرائك مضـجعى
أم فوق جمر محرق وصـــلال ؟

ثم يطلق هذه الصيحة الرهيبة . مشـفقا من سوء المصير :

ويحى اذا دنت المنـــون وقصرت
بى عن صعود المرتقى .. أعمالى

ثم يخشع ويخضع أمام جلال ربـه . وقـد أوشك أن يلقى وجهه الكريم :

ربـاه انى من لقـائك مشـفق
وجل .. تكاد تخور بى أوصـــالى
ويكاد يسكتنى الحياء .. مصليا
ويتـوه عن بث الضراعـة بالى

ولأن قدر المؤمن عند الله باعتقـاده ، ان كان خيرا فخير .. فان شـاعرنا سرعان ما يسـدل ستار الختام فى هذه القصيدة الفريدة ، بهـذا البيت الفذ المتفائل :

وأنا ــ وان قصرت ــ عبـد مؤمن
بك .. تائب من سـورة الصلصال

وخلاصة القول ، أننا قد سعدنا غاية السعادة بهذه الجولة مع هذا الشـاعر الكبير المتنـوع المناحى ، فى دروب الفجر وأدغال السـهاد .. وعسى أن تظفر المكتبة العربية قريبـا منـه ، بديوان يجمع شمل ما تبدد من نتاجه الشعرى، بين بطون المجلات الأدبية والدينية .. وعـلى الله فليتوكل المتوكلون .

أحمد مصطفى حافظ

الإمارة في دولة الشعر

للأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم

أطلعت — فى عدد رمضان الماضى من مجلة الأزهر الغراء ، بتذييل ص ١٥١٤ — على العبارة التى وردت بالهامش من ادارة المجلة بتحميل الأستاذة الأديبة وغيقة عواد سلامة ، كاتبة مقال : (كلمة لابد منها) مسئولية تأريخ واقعة اطلاق لقب : (أميرة الشعر) ، بالجامعة بأسرها ، على الشاعرة الراحلة « روحية القلينى ، أثناء التحاقها بكلية الآداب فى الثلاثينيات (١) ...

وقد وقعت على مقال للأستاذ « محمد البكرى حبيب » ، عن الشاعرة روحية القلينى . بمجلة « الطالبة » عدد يناير سنة ١٩٦٥ ، وردت فى ثناياه العبارة التالية بالحرف الواحد :

« .. وعندما أقامت الجامعة مهرجانا للشعر حازت الشاعرة الطالبة روحية القلينى الميدالية الذهبية . اذ بزت الطالبات والطلبة من أقرانها فى فن الشعر . ولا غرابة اذا لقبت حينئذ ، بـ « أميرة الشعر » بالجامعة .. » .

وعندى أنه لا غرابة فى اطلاق ألقاب الامارة وغيرها على الشعراء . بل وعلى الشاعرات أيضا .. فقد اشتهر من الشاعرات ، كما يقول الرافعى (٢) : « الذلفاء . وعنان جارية الناطفى ، ويقولون : انها (أشعر الناس) وجنان صاحبة أبى نواس . وفضل الشاعرة ، جارية الخليفة المتوكل ، وكانت « أفصح أهل زمانها .. » .. ألخ ..

وقد زخر الشعر العربى فى شتى عصوره ، بأبيات رنانة فى فخر الشعراء واعتدادهم أنفسهم .. وقديما قيل : ذكاء المرء محسوب عليه .. ويحضرنى قول الطغرائى :

وما منصب الا وقدرى فوقه
ولو حط رحلى • بين نسر ، وفرقد!

◄

---

(١) لا تعنى عبارة المجلة اكثر من ان تضع الامانة بأيدى أصحابها مع كامل التقدير لهم والوفاء لحقوقهم وتقدير المجلة للسيدة الكاتبة هو الذى دفعها لتقرير واقعة اثارتها الكاتبة الفاضلة — مجلة الازهر .

(٢) بكتابه « أوراق الورد » تحت عنوان : (صدر من التاريخ) ص ١٤ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٠ .

الإمارة فى دولة الشعر

ولا شك أن القول القديم المأثور : (حيث الرجل ، تكون المرأة) ، لم يطلق عبثا .

فالرجل ــ وهو القوام على المرأة ، بنص التنزيل الحكيم ــ اذا أحسن قوامته ووجه المرأة الوجهة الصحيحة ، لتلقى العلم والمعرفة .. فسوف يجنى ثمرة ذلك تفوقا ونبوغا ، فى كثير من الأحيان ، لديها .. وهذا أمر طبيعى ، واذا كان :

عمر الرجال بالمجد الذى
شادوه لا بتقادم الميلاد .

فكذلك الشأن بالنسبة للمرأة .. والنساء شقائق الرجال ، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

* * *

ولم يعرف العرب فى تاريخهم الأدبى القديم ألقاب الامارة فى الشعر ، كما حدث فى العصور الحديثة ، واقتصر الأمر على وصفهم لشاعر كبير كحسان بن ثابت مثلا ، بأنه : (أشعر الناس) .

وكقول (أبى عبيدة) : ان العرب اتفقت على أن أشعر أهل المدر : (يثرب) ، ثم : « عبد القيس » ، ثم : « ثقيف » .. وأن أشعر أهل يثرب : « حسان بن ثابت » .

وقال أيضا : ففضل حسان الشعراء بثلاث فقد كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى النبوة ، وشاعر اليمن فى الاسلام .

* * *

وفى عصرنا الحديث ، نجد حافظ ابراهيم (شاعر النيل) يخاطب الرافعى مقرظا ، بقوله بمناسبة ظهور ديوان للرافعى :

أراك ــ وأنت نبت اليوم ــ تمشى
بشعرك فوق هام الأولينا
فزن تاج الرئاسة بعد «سامى» (٢)
كما زانت فرائده الجبينا

كما نجد صديقنا الشاعر الكبير الراحل « محمود غنيم » يقول بختام قصيدة له ، متبرما (٣) :

وانى لمغبون ، اذا صرت (قيصرا)
وتوج بالنعماء هامى منعم !

ولا غرابة فى قول غنيم هذا . لا سيما وأن « العقاد » يرتفع بمنزلة الشعراء الى منزلة الملوك . وليس ــ الى مرتبة الأمراء فحسب حين يقول :

ملوك .. فأما حالهم .. فعبيد
وطير .. ولكن الجدود قعود
أقاموا على متن السحاب ، فأرضهم
بعيد .. وأقطار السماء بعيد

ثم يتألم من أجلهم ، وهو منهم ومثلهم ، قائلا :

فوارحمتا للظالمين نفوسهم
وما أنصفتهم صحبة وجدود

---

(١) كنا نود أن يذكر الكاتب مرجع الحديث الشريف فهذا الامر مما تحرص عليه المجلة حرصا شديدا .. مجلة الازهر .

(٢) يقصد بـ (سامى) ــ رب السيف والقلم محمود سامى البارودى .

(٣) بقصيدته المشهورة (كأس تفيض) .

ويذرون من مس العذاب دموعهم
وينظم منها : جوهر وعقـود ..

بل نراه يتوجه بعد ذلك الى الناس جميعا ، فى شتى أنحاء العالم ، قائلا :

بنى الأرض ، كم منشاعر فى دياركم
غبين ، وغبن الشـاعرين شديد
بنى الأرض .. أولى بالحياة جميلة
محب ، عليها ، من حلاه .. نضود

وذلك ، لأن الشاعر ، أيضا :

مقيم على عرش الطبيعـة ، حاضر
ولكنه ، بين الأنـام ، فقيـد
اذا جال بالعينين .. فالكون بيتـه
فان مد بالكفين .. فهو طـريد
وأقصى مناه فى الحياة .. نهـاره
وأدنى مناه ، فى الممات .. خلود !
شقاوته فى الشعر ــ وهو هناؤه ــ
وليس له ــ عن حالتيه ــ محيد ..

* * *

وقد حفظ لنا تاريخ الأدب العربى الحديث ، فى أنصع صفحاته ، قصة المؤتمر المهيب الحافل الذى انعقد بدار الاوبرا بالقـاهرة ، تحت رئاسة سعد زغلول ، فى التاسع والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٢٧ ، وأمه عدد غفير من شعراء الأمة العربية ، وفدوا خصيصا من شتى أقطارها ، لمبايعة (شوقى) بامارة الشعر ... وتلا كل منهم قصيدته ، مشيدا بعبقرية شوقى وأصالته ، واقرار مبايعته أميرا الشعراء ... وتستوقفنا فى قصائد هـذا المهرجان الأدبى التاريخى ، قصيدة (شاعر النيـل) حافظ ابراهيم ، التى أنصف فيها شوقيا أيمـا انصاف ، وخاصة حين انتهى الى قوله :

تملكت من ملك القريض .. فسيحه
فلم تبق ياشوقى لنا .. قيد اصبع

وقوله :

أمير القـوافى ، قد أتيت مبايعـا
وهذى وفود الشرق قد بايعت .. معى

ويذكر الرواة من شهود الحفل ، أن شوقيا هب واقفا حينما استمع الى هذا البيت الفريد وأسرع الى معانقة حافظ ، مقدرا متأثرا .

وقد حفظ شوقى لحافظ ، نده ورصـيفه ، وفاءه وايثاره وصدقه مع نفسه ، بما أبـداه نحوه فى قصيدته العامرة تلك ، وتبدى ذلك فى مرثيته لحافظ ، بعدهذه الواقعة بأكثر منخمس سنوات ، فقال منوها :

بالأمس حليتنى بقصـيدة
غراء .. تحفظ كاليد البيضـاء
غيظ الحسود لها ، وقمت بشكرها
وكما علمت مـودتى ووفـائى
فى محفل بشرت آمـالى بـه
لما رفعت الى السـماء لوائى

وفى الحقيقة ، لقد كان شوقى بالفعل ، جديرا باطلاق هذا اللقب عليه ، فهو ــ كما قال بحق عن نفسه فى ختام هذا المهرجان ، شاكرا لوفود الشعراء اسهامهم فيه ، بتلقائية وحمـاس وطواعية :

يا عكاظا تألف الشـرق فيـه
من فلسطينه .. الى بغـدانه
موكب الشـعر حرك (المتنبى)
فى ثراه .. وهـز من حسانه
شرفت مصر بالشموس من الشر
ق : نجـوم البيان من أعيـانه

● الإمارة فى دولة الشعر

الى أن يقول بتواضع النوابغ :

لست أنسى يدا الاخوان صدق
منحونى جزاء مالم أعانه
رب سامى البيان .. نبه شأنى
أنا أسمو .. الى نباهة شانه
وهبونى : الحمام لذة سجع
أين فضل الحمام .. فى تحنانه ؟
وتر فى اللهاة .. ما للمغنى
من يد فى صفائه أو .. ليانه

ونحن لسنا مع شوقى فى بيته الأخير ، بحكم ما نلقى من عناء ، مستحب ، أثناء ممارستنا لنظم الشعر . ومعرفتنا : لشرود اللفظ عند الطلب .. كما يقول غنيم ، رحمه الله .

ومهما يكن من أمر ، فان زمام التواضع ، يفلت من شوقى ، بعد ذلك ، حين يقول البيت الفذ التالى ، الذى يصور بحق دور شوقى ومكانته فى عالم الشعر :

كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق .. وكان العزاء فى أحزانه

* * *

ومن عجائب المصادفات ، أن يقام فى نفس شهر أبريل ، وفى تاريخ يوم مقارب لتاريخ مهرجان شوقى — ولكن بعد مرور ثمانية عشر عاما ، على مهرجان شوقى — فى مساء يوم الجمعة الموافق ٢٧ من أبريل سنة ١٩٤٥ ، أن يقام حفل مماثل لتكريم (العقاد) ، بمناسبة نظمه للنشيد القومى ، برئاسة « مصطفى النحاس » . فى مسرح الأزبكية بالقاهرة ، شهده جمهور غفير ، وتحدث فيه نخبة من أعلام الأدب والفكر ، وأشادوا بموهبة العقاد الشعرية والفكرية ، وكان فى مقدمتهم : الدكتور طه حسين . الذى اختتم كلمته البليغة فى تكريم العقاد ، بالدعوة الى تنصيب « العقاد » أميرا للشعراء ، بقوله : « ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد ، وقولوا للأدباء والشعراء ، أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء ، فقد رفعه لكم صاحبه .. » .

* * *

وهناك قصة مشهورة ، لا بأس أن نختتم بها مقالنا هذا ، فحواها أن بديع الزمان الهمزانى حين أراد أن يلتحق بالعمل لدى الصاحب ابن عباد ، عمد الصاحب الى اختبار قدرة بديع الزمان على الترجمة ، بأن طلب منه ترجمة ثلاثة أبيات من الشعر الفارسى ، الى الشعر العربى .. فما كان من بديع الزمان ، الا أن سأل الصاحب : أى قافية تريد ؟

فاقترح عليه الصاحب قافية صعبة ، هى قافية الطاء .. وسأله بديع الزمان عن البحر الذى يريد نظم الترجمة فيه ، فقال الصاحب :

— اسرع يا بديع ، فى البحر السريع !

فارتجل البديع ترجمة وافية ، نصها :

سرقت من طرته شعرة
حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلجت بها مثقلا
تدلج النمل بحب الحناط
قال أبى : من ولدى منكما
كلاكما يدخل سم الخياط

وبذا أثبت بديع الزمان بحق ، أنه .. بديع الزمان .

محمد عبد المنعم ابراهيم

العلوم الكونية

والإعجاز العلمي في القرآن الكريم

تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوي

شهادة كبار الفلاسفة للإسلام

الإعجاز العلمى

فى القرآن الكريم ٤

العمق الثالث للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم على عكس ما يدعيه البعض من أن القرآن الكريم غير معجز علميا ، نجد أن هذا العمق انما يتصل مباشرة باثارة تفاصيل بعض ظواهر الكون ، وحقائق العلوم التى لا يعرفها غير المتخصصين فى هذا العصر . ومن أقرب الأمثلة على ذلك (آية الركام) فى سورة النور ــ الآية رقم ٤٣ ــ ونصها :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » .

وهناك أنواع عديدة من السحب ، تختلف من حيث تركيبها الرأسى ومن حيث ارتفاع قواعدها فوق سطح الارض ، ولكل منها اسم معين . ومن السحاب ما يجود بالمطر وبغير المطر مثل الثلج ، والبرد . كما أن منه ما يسبب عواصف الرعد أو تنقض منه الصواعق ، أو يصاحب الأعاصير .

و « الركام » أهم أنواع السحب ، اذ يعطى « رخات » المطر الشهيرة ، وهو وحده الذى يجود بالبرد ، ويحدث فيه البرق والرعد، أو قد تتنزل منه الصواعق ، مما جعل له أهمية علمية خاصة حمات العلماء على دراسته ورصده وتصويره فى كافة مراحل نشاطه .

وفى عالم الطبيعة تنقسم السحب من حيث تركيبها الرأسى ووسيلة نموها الى قسمين أساسيين هما :

السحب الركامية ، وتتميز بكونها تنمو رأسيا وتتراكم أجزاؤها فى طبقات بعضها فوق بعض حتى تصبح كالجبال العالية .

والسحاب الطبقى أو البساطى الذى ينمو وينتشر فى طبقة معينة حتى يصير أشبه شىء بالبساط .

والقرآن الكريم هو أول كتاب على الاطلاق بين للناس هذين النوعين بآيات معجزة أخاذة فى مثل قوله تعالى .

١ ـ « اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ٠٠٠٠ » ٠

سورة الروم الآية (٤٨) ٠

٢ ـ « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ٠٠٠ » سورة النور الآية (٤٣) ٠

والودق ما تجود به السحب الممطرة من ماء مختلف الصفات ٠

وهناك قانون طبيعى ـ أو سنة من سنن الخالق جل شأنه يقررها القرآن الكريم ويكشف لنا عنها فى الآية الأولى مجملها :

أن الرياح وهى الهواء المتحرك ، ومنها الهواء الصاعد الى أعلى هى التى تثير السحاب أو تكونه ، وذلك عندما تبرد فى طبقات الجو العليا ولا تقوى على حمل أبخرة المياه العالقة فيها ، فتتكاثف هذه الأبخرة أو هى تتحول الى نقط من الماء أو بلورات من الثلج حسب درجات حرارة الطبقات العليا التى تثار فيها السحب ٠ وهذه حقيقة علمية ثابتة لا مبدل لها الى يوم الدين ٠

ومن الحقائق العلمية الثابتة فى هذا المجال التى يقررها القرآن الكريم كذلك لأول مرة فى تاريخ الأرض ، يضع بذلك حدا لكثير من الأباطيل والخرافات فى موضوع المياه العذبة ومصادرها ما يذكره من أن المطر هو مصدر المياه العذبة كلها على الأرض ، سواء فى ذلك ما جرى منه فى الأنهار ، أو انبثق من العيون أو الينابيع كماء زمزم ، أو ما رفعناه من الآبار ٠٠ اذ نقرأ فى سورة الواقعة (٦٨ ـ ٦٩) قوله تعالى :

« أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ٠ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ » ٠

للاستاذ الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

والمزن هو السحاب الممطر ٠

وهناك المزن الطبقى أو البساطى ٠

كما أن هناك المزن الركامى ٠

وهذا هو عين التقسيم العلمى فى هذا العصر !

وعندما نفسر آية الركام علميا نجد أنها تتضمن أربع حقائق أو قضايا علمية هامة هى فى مجموعها مثل من أمثلة أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز التى تدخل فى صميم العلم الطبيعى على النحو الآتى :

الحقيقة العلمية الأولى تتضمن بيان خطوات تكوين المزن الركامى ـ الذى هو أهم أنواع السحب كمصدر للمياه العذبة أو مصاحب للأعاصير المطيرة ـ وذلك حسب ما تم الحصول عليه بالصور الفوتوغرافية أو بالرادار ، منذ الابتداء حتى يصير كالجبال الشامخة التى قد ترتفع قممها الى علو عشرين كيلو مترا أو أكثر عبر السماء ٠

تبدأ هذه السحب عادة على هيئة سحب صغيرة « أو خلايا » من الركام ، لا تلبث أن تتحد كل ثلاث خلايا منها أو أكثر مع بعضها البعض لكى تنمو سريعا مكونة المزن الركامى

النامى . ويصف القرآن الكريم هذه المرحلة التى تعرفنا عليها بالـ ـد ،والتصوير ، والمشاهدة الدقيقة فيقول :

((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ....))

ويستمر الآية الكريمة فتصف هذه السحب الممطرة بأنها كالجبال ، أى أنها تنمو رأسيا وهو مضمون الحقيقة العلمية الثانية حيث تقول :

((... وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ ....))

أما الحقيقة العلمية الثالثة فهى أن المزن الركامى وحده دون سائر أنواع السحب الأخرى هو الذى يجود بالبرد . وتقول الآية الكريمة :

((... مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ...))

والذى يتيح فرصة تكوين البرد فى هذه السحب المطيرة هو نموها الرأسى نموا عظيما بحيث تتكون داخلها طبقات متميزة من حيث درجات الحرارة ، ومن ثم من حيث مكوناتها الناجمة عن تكاثف بخار الماء فيها .

والبرد غير الثلج الذى يتساقط فى المناطق الباردة . ويكون البرد عادة كبير الحجم نسبيا، وقد تنمو حباته المتساقطة فى بعض العواصف حتى تصبح فى مثل حجم البرتقال الصغير ، وعندئذ يسبب تلفا كبيرا وضررا واسع النطاق ، خصوصا للنباتات وثمارها وكذلك المنشآت والأنعام .

ومنذ نحو ثلاثين عاما تساقط على القاهرة فى احدى عواصف الرعد فى الخريف برد كبير نجم عنه تلف واسع النطاق .

ولا يتساقط البرد فى المناطق القطبية ، ولكن الذى يتساقط هو الثلج الذى يتكون من بلورات دقيقة لها أشكال هندسية رائعة ، يلتصق بعضها ببعض فتتكون صفائح الثلج التى تصاحب تولد عواصف الثلج فى تلك المناطق على النحو الذى نشاهده فى الطبيعة .

وقد يذوب البرد وهو فى طريقه من قاعدة السحابة الى سطح الأرض وبذلك يتحول الى نقط نامية من المطر طول قطر النقطة نحو ربع سنتيمتر فى المتوسط تهطل على هيئة (رخات) شديدة ،أو هو قد يصل سطح الارض على هيئة حبات من الجليد مختلفة الحجم ، فيصيب به الخالق القدير من يشاء من الناس ويصرفه عن من يشاء .

والبرق لا يحدث الا فى المزن الركامى ، وهو عبارة عن تفريغات كهربائية بين أجزاء السحابة الواحدة بعضها يحمل شحنات موجبة ويحمل البعض الآخر شحنات سالبة . وقد يحدث البرق أيضا بين سحابتين متجاورتين من سحب المزن الركامى . وهذا يعنى أن البرق عبارة عن شرارات كهربائية هائلة ينجم عنها تسخين عظيم ومفاجىء لطبقات الهواء التى تنبعث فيها الشرارات ، فيتمدد هواء تلك الطبقات فجأة ثم ينكمش محدثا دوى الرعد . أما جلجلة الرعد أو هديره الذى يلى ذلك فانه ينتج عن انكسار الدوى الأول من قواعد السحب أو المرتفعات عامة (الصدى) . أما اذا حدث التفريغ الكهربائى بين أسفل السحابة الركامية المشحونة بالكهرباء وسطح الارض ، خصوصا ما عليه من مرتفعات ـ مثل المنازل

والشجر والأبراج — حدثت الصواعق منقضة على المرتفعات لكونهـا أقـرب الأشـيـاء الى السحابة ٠

ومنذ فجر عصر العلم حاول العلماء معرفـة الوسيلة التى بها يتم شـحن المـزن الركامى بالكهربائية ، وعمدوا الى اجراء العديد مـن التجارب المعملية ، الى جانب رصد وقيـاس تلك الشحنات داخل السحب بوسائل عديدة ، وظهرت عدة نظريات الى أن ثبت ابان الحرب العالمية الثانية وتقدم علوم وفنون الطيران فيها وتبين أن البـرد هـو الـذى يـؤدى الدور الرئيسى فى شحن المزن الركامى بالكهربائية ، وذلك خلال مراحل نموه ، ثم مراحل تحـول أجزاء منه الى مـاء سائل (تميعه) ، أو حتى تبخره فى أطراف السحابة تحت عامل اختلاف درجات الحرارة ٠

وقد تنشط تلك العمليـات كلهـا فى المـزن الركامى النامى الذى قد تصل قممه الى علـو نحو عشرين كيلو مترا فوق سطح الارض ، بينما يغطى قواعده العديد من الكيلو مترات ، حتى أن سحابة واحدة قد تغطى مدينة بأكملها وبذلك تكون أشـبه شىء بالمولـد الكهـربائى (أو الدينـامو) الذى يعمـل على شـحن السحابة بالكهربائية الموجبة فى مناطق نمـو البرد ، وبالكهربائية السالبة فى مناطق تميعـه أو تبخره على جوانب السـحابة ٠ وفى بعض عواصف الرعد الاستوائية قد يحدث الرعـد بمعدل نحو ٤٠ مرة فى الدقيقة الواحدة !

ومن أظهر وأعجب آيات الاعجـاز العلمى فى هذا المجال أن تربط الآية الكريمة بين البرد وحدوث البرق فتقول :

« وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَـاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » ٠

فالضمير هنا فى كلمة (برقه) انما يعود عـلى البرد ، وهـذا هو مضـمون الحقيقة العلمية الرابعة فى الآية الكريمة ٠ وجدير بالذكـر أن كثيرا من الناس يجهلون هـذه الحقيقـة حتى يومنا هذا ٠ بل ومازالت بعض الكتب والمؤلفات تعزو حدوث البرق الى أمور خيالية أو ظنيـة مثل التحدث عن احتكاك وهمى بين السحب على غرار دلك قطعة من (الكهرمان) بقطعة مـن لصوف ٠

وثمة حقيقة علمية خامسة تتعلق بتأثير البرق على البصر (أو العين) عندما يشاهده الانسان وبخاصة قريبا من مناطق انبعاثه ، كما هـو الحال فى أعالى الجبال أو فى الطائرات مثـلا ٠ عندئذ يصاب المرء بالعمى المؤقت أى أنـه ظل لا يبصر لفترة وجيزة من الزمن عندمـا رى مباشرة وميض البرق أو سنا البرق كمـا عبر القرآن الكريم اذ يقول :

« يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » ٠

ومعنى (يكاد) هنا أن الزمن الـذى يذهب خلاله البصر هو زمن قليل ، أو أن ذهاب البصر ظاهرة محدودة بفترة وجيزة من الزمن ٠

وعلى هذا النحو أيها القارىء نرى أن مـن آيات كتاب الله العزيز آيات تثير العديد مـن قضايا العلم ، وتدخل بنا فى جانب من تفاصيلها بطريقة موجزة ومعجـزة فى نفس الـوقت ، ولعمرى تلك صفة المعجزة الخالدة أبد الدهر ، والله أعلم ٠

للحديث بقية

ا ٠ د ٠ محمد جمال الدين الفندى

تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى

الطبقة الدنيا :

يقصد بالطبقة الدنيا (أو الطبقة الحدية) من الغلاف الجوى - طبقة الغلاف الجوى التى تبدأ من سطح الأرض ويصل سمكها الى حوالى ١٠٠٠ متر فى المتوسط ٠

وتتوقف خصائص الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى على التأثيرات الحرارية والتأثيرات (الديناميكية) لسطح الأرض وفى الحقيقة يتغير سمك هذه الطبقة من الغلاف الجوى مع تغير المكان ٠ والزمان وفى حالات الاستقرار الجوى الشديدة فان سمك هذه الطبقة يساوى (٣٠٠ ـ ٤٠٠ متر) بينما فى حالات عدم الاستقرار الجوى الشديدة يزداد سمك هذه الطبقة ليصل الى (١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠) متر ٠

وبصفة عامة يزداد سمك الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى بزيادة معامل خشونة سطح الأرض وبزيادة شدة الحركة الدوامية ، ولذلك فان سمك هذه الطبقة يزداد كلما زادت سرعة الرياح وكلما نقصت درجة استقرار الجو ٠

ونتيجة لنقصان قوة الاحتكاك كلما ابتعدنا عن سطح الأرض فان سرعة الرياح تزداد بزيادة الارتفاع فى الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى وتقترب من سرعة الرياح الانحدارية عند الحد العلوى لهذه الطبقة ، وفى هذه الحالة تقترب زاوية ميل اتجاه الرياح على خطوط تساوى الضغط الجوى « الأيزوبارز » من الصفر ٠

طبقة الهواء السطحية :

يسمى الجزء الأسفل من الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى بطبقة الهواء السطحية ، ويتغير سمك طبقة الهواء السطحية من « ٥٠ الى ١٠٠ متر » من سطح الأرض وقد يصل فى بعض الأحيان الى « ٢٠٠ ـ ٢٥٠ مترا » من سطح الأرض ٠

وتتميز طبقة الهواء السطحية بثبوت الفيض الدوامى لكل من كمية الحركة والحرارة وبخار الماء مع الارتفاع عن سطح الأرض ، وتكون التغيرات الرأسية التى تحدث فى سرعة الرياح

ودرجة الحرارة والرطوبة فى هذه الطبقة عشرات أضعاف (وأحيانا مئات أضعاف) تلك التغيرات الرأسية التى تحدث فى هذه العناصر الجوية فى الطبقات التى تعلو طبقة الهواء السطحية .

وتزداد سرعة الرياح بزيادة الارتفاع عن سطح الأرض فى هذه الطبقة طبقا للقانون (اللوغاريتمى) ، وعمليا لا يحدث تغير فى اتجاه الرياح فى هذه الطبقة مع الارتفاع .

وكثيرا ما يتطابق الحد العلوى لطبقة الهواء السطحية مع الحد العلوى للانقلاب الحرارى أو الضباب الاشعاعى أو الضباب الدخانى فى حالة وجود أى منها :

ويتوقف سمك طبقة الهواء السطحية عموما على سرعة الرياح ومعامل خشونة سطح الأرض ودرجة استقرار الجو .

ضرورة دراسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى :

نظرا لأن معظم الظواهر الجوية تحدث فى الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى ، ففيها تحدث العواصف الرملية أو العواصف الترابية ، وفيها يحدث الضباب أو (الشابورة) ، وتتكون السحب وتحدث الأمطار والعواصف الرعدية أحيانا ، ويتكون العجاج الترابى « الأتربة العالقة بالجو » وتنتشر فيها الملوثات الجوية بأنواعها المختلفة « سائلة أو صلبة أو غازية » تلك التى تلحق بالانسان والكائنات الحية

للدكتور ربيع سيد فولى

الأخرى التى تعيش فى هذه الطبقة من الغلاف الجوى أضرارا بالغة قد تؤدى الى الوفاة اذا توافرت شروط جوية معينة .

لذلك كان من الضرورى دراسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى لتجنب ما يمكن تجنبه من هذه الآثار السيئة .

فلسفة النماذج الرياضية لتركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى :

لو أدركنا أنه مهما أوتينا من امكانيات فلن نستطيع توفير أجهزة لقياس تركيز الملوثات الجوية على اختلاف أنواعها وبصفة مستمرة فى كل مكان ، وحتى اذا أمكننا مراقبة تركيز الملوثات الجوية فى أماكن كثيرة على سطح الأرض فلن يمكننا مراقبتها على ارتفاعات مختلفة من نفس السطح .

ولو أدركنا أن قيم تركيز الملوثات الجوية تتوقف — بطريقة معقدة جدا — على عوامل متعددة منها سرعة واتجاه الرياح ودرجة استقرار الجو ومواقع مصادر هذه الملوثات الجوية وارتفاع هذه المصادر عن سطح الأرض ومعدل انبعاث هذه الملوثات من مصادرها

تركيب الطبقة الدنيا

وفترات تشغيل هذه المصادر أيضا •

فانه يتضح لنا الأهمية العظمى للنماذج الرياضية لتركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى ، ودراسة هذه النماذج والعمل على تطويرها جنبا الى جنب مع مراقبة (قياس) تركيز هذه الملوثات الجوية فى مواقع متعددة للتأكد من دقة نتائج النماذج الرياضية عند حساب تركيز الملوثات الجوية على مسافات مختلفة من مصادرها ، وذلك بحل معادلة الانتشار الجوى مع معادلات تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى •

الفوائد العملية لدراسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى :

تؤدى نتائج دارسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى دورا هاماً فى معالجة عدد كبير من المشاكل التطبيقية لعلم الارصاد الجوية ، فمن الممكن استخدام هذه النتائج فى مجالات تخطيط المدن الجديدة ، والاختيار الأفضل لمواقع المشروعات الصناعية ، وتخطيط حركة مرور السيارات ••• الخ • على أساس سليم بحيث يكون تأثير الملوثات الجوية الناتجة من عوادم السيارات ومن المصانع المختلفة والناتجة عن أنشطة الانسان على اختلاف أنواع هذه الأنشطة أقل ما يمكن على صحة وسلامة الانسان والكائنات الحية الأخرى ، وللمحافظة على سلامة وجمال المناطق والمبانى ذات القيمة الأثرية •

وذلك بالاضافة الى الدور الهام الذى يلعبه تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى فى مجال الزراعة اذ أن العوامل الجوية فى هذه الطبقة تؤثر على مراحل نمو النبات المختلفة وكذلك على أمراض النبات وحشراته ، وعلى صحة حيوانات الزراعة وانتاجها ، وفى النهاية تؤثر العوامل الجوية على انتاجية الأرض الزراعية •

ومن ناحية أخرى نظرا للتفاعل المستمر بين الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى والمحيطات والبحار والأنهار فان تأثير تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى قد يصل الى الطبقة العليا من مياه المحيطات والبحار (٥٠ — ١٠٠ متر) وبذلك يمتد هذا التأثير الى الأسماك والكائنات البحرية الأخرى •

الخلاصة : يؤدى تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى دوراهاما فى شتى المجالات الصناعية والزراعية والصحية والتخطيطية والاقتصادية ••• الخ

وذلك يوضح الأهمية العظمى لدراسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى والنماذج الرياضية الخاصة بها •

وهكذا لا يقف العلم عند حد معين ، فعند الانتهاء من دراسة معينة تنتج مجموعة من الاستفسارات والتساؤلات التى تستلزم اجراء بحوث جديدة للاجابة عن كل منها ، وبلا نهاية ، وسبحان الخالق القائل :

« وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً »

د / ربيع سيد فولى

من أعلام الأزهر

٢

الشيخ يوسف الدجوى

فقيه - بحاثة - داعية

للدكتور محمد رجب البيومى

ترك الدجوى تراثا خصيبا فى الفتـــوى الشرعية ، اذ كان موضع الثقة العلمية لــدى المسلمين فى عالم الاسلام خارج مصر وداخلها فكانت الاسئلة تفد اليه دائما دون انقطاع ، وقد يجيب عنها بالبريد محتفلا فى الاجابة ، وقد يرد على صفحات المجلات الدينية ، وكان لــه مخالفون فى بعض ما يصدر من الاحكـــام ، واختلاف الفقهاء أمر طبيعى متكـــرر ، لا فى المذاهب المختلفة ، بل فى المذهب الواحد ولكن بعض المخالفين لم يقفوا فى جدلهم عنـــد آداب البحث والمناظرة ، وفيهم رءوس مرموقة ذات نباهة واشتهار ، بل أحاطوا ردودهم بما يشينها من أساليب التجريح ، وما كان أبعد ذوى الصدارة عن هذا الشطط ، لو اتســعت الصدور ، وهدأت النفوس !

أجل كان السيد محمد رشيد رضا رحمه الله احد هؤلاء المناوئين ، ومنزلته فى العلم ليست موضع خلاف ، ولكن حدته القلمية ، دفعت الشيخ الى مقابلة الاعصار باعصار ، فاذا تركنا السيد رشيد الى من دونه من شباب العلمـــاء



فضيلة الشيخ يوسف الدجوى

فاننا نجد العدوى قد امتدت ، حتى ألف بعضهم كتبا خاصة ، بتجريح الشيخ الكبير ، وقد نسى هؤلاء أن وجود المفتى المحـــافظ ضرورى كضرورة المفتى المجدد ، ليحـــدث التوازن الطبيعى فى الرأى اذ يحد المحافظ من وثبات الرأى ، كما يدفع المجدد زميله الى سعة التأمل،

وكلاهما صاحب نفع محقق وله أجره المشكور، على أن الشيخ يوسف لم يكن من ذوى التعصب لرأيه ، بل كان يقدم لفتاويه بأنهـــا محض اجتهاد وأن رأيه ليس الأوحد الذى لا محيد عنه وقد وضع الاستاذ فى هذا الباب من الحـدود الفقهية مايجب أن يكون موضع تدبر لمن يشارك فى بحوث التشريع الاسلامى ، فهو يقول عـن نفسه انه حين يسأل عن حكم فقهى يذكـــر ما يرجحه من آراء العلماء فى هذا الحكم ، وليس معنى ذلك أنه لا خلاف فيه، بل معناه أن المختار هو ما يتجه اليه وقلما نجد مسألة مما يسأل عنه لا خلاف فيها ، يقول الاستاذ ما نصه (١) .

ولهذا ننصح لكل مشفق على دينه محتاط فى أمره أن يكون أحد رجلين ، اما باحثا منقبا عن كل ما قال العلماء ، غير مقتصر عـــلى بعض الآراء ، ولا مغتر بما يزينه كثـير من أربـاب الأهواء ، ويكون مع ذلك ذا أهلية للمقارنة بين الأقوال ، والموازنة بين الأدلة ، قد جرد نفسه من النزعات الخفية قدر الاستطاعة ، بحيث يكون متهما لنفسه ، غير مسارع للحكم بما يراه أول وهلة ، شأن أئمة الهدى وعلماء السلف .

أما الرجل الثانى فهو رجل نظر لنفســـه بالانصاف ، فرآها قاصرة عن بلوغ هذا المدى، ورأى الادلة متشعبة ، والامر واسعا يحتاج الى فهم دقيق ، وعلم غزير بما يحيط بالأدلـة وما يعارضها وبالعمومات وما يخصـــها ، وبالمطلقات وما يقيدها ، وبالنصـــوص وما ينسخها ، وبالظواهر وما يقدم عليهـــا ، وبالضعيف وما يرجح عليه الى آخر ذلك البحر الزخار ، فعرف قدره ولم يتعد طوره ، فاختار ما عليه السواد الأعظم من المسلمين ، ولم يشذ عنهم فى قليل أو كثير ، عالما أن الذئب انمـا يأكل الشاة القاصية (١) .

والصنف الثانى : الذى تحدث عنه الاستاذ كان مصدر ضجة فارغة العاقبة بين القراء ، اذ تصدر بعض من لم يصلوا الى مرتبة الافتاء الحقيقى لمنازلة الشيخ ، معتمدين على ما فهموه من ظاهر آية ، أو منطوق حديث ، وقد أظهروا من الغطرسة والاستعلاء مارمى بهم الى تجريح الكبار من أئمة المذاهب ، أو التهوين من شأنهم اذ حكموا بأن كتب المذاهب ليست مرجـع الافتاء ، انما المرجع نصوص القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ، ناسين أن أئمة الفقهاء لم يبنوا أحكامهم على غير هذه النصوص ، وقد رزقوا من الكفاءة ما أعانهم على تسديد القول ، وصحة الرأى ! فما بال أشباه العامة يتصـــدرون للدعوى العريضة فى تهور يرثى له المشـفق النصيح ، يقول الشيخ الدجوى فى نصيحة هؤلاء (١) .

« ليعلم القارىء الكريم أن المجتهد للذى يأخذ من الكتاب والسنة » لابد أن يكون عارفا بمواقع العموم والخصوص والاطلاق والتقييد، عارفا درجة كل حديث ، باحثا عما عسى أن يكون فيه من علة خفية لا يعرفها الا حذاق

(١) مقالات وفتاوى ج ٢ ص ٤١٥ للاستاذ الدجوى .

الحفاظ ، عالما بطرق الترجيح حتى يقدم بعضها على بعض عند التعارض ، غير خاف عليه مواقع الاجماع والاختلاف ، وقد قالوا ان المحدث كالصيدلى ، والمجتهد كالطبيب ، ولاشك أن الصيدلى اذا جعل نفسه طبيبا قتل من المرضى أكثر ممن صادف دواؤه الداء فيهم ، فكأن هؤلاء الحفاظ ، هم المشار اليهم فى حديث البخارى بذكر الأجادب من الارض التى أمسكت الماء ، فانتفع الناس وسقوا وزرعوا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : رب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه ليس بفقيه (١) »٠

وقد أبرأ الاستاذ نفسه حين كرر مرارا أن المسائل الاجتهادية الفرعية (٢) ، يكفى فيها الظن ، ولا ينبغى فيها التنازع ، وكل من طلب فيها الدليل القطعى ، فهو اما جاهل لا ينبغى أن يكون فى عداد العلماء ، واما سىء القصد لا يريد الا الظهور بأى وسيلة ٠٠ وان من أكبر بلايانا التى نئن منها ولا ندرى منتهاها ، وجود طائفة بيننا لا تفهم ، ولا تقلد من يفهم ، ولو كان عندهم أدنى شفقة على المسلمين ، أو اخلاص لهم لعرفوا أن « الدين النصيحة » ، وأنه ليس من الدين ولا من العقل أن نعرض العامة للخوض فى الأدلة ، والموازنة بين المجتهدين ، فذلك ليس من شأنهم ، ولا هو فى متناول قدرتهم ، ولا نتيجة له غير ضعف الثقة بأئمتهم وتشكيكهم فى دينهم وعقيدتهم»٠

فقلت هذه الاراء لنفهم روح الشيخ فى فتواه ، ولنعرف ضيقة ممن يتصدرون للافتاء دون مقومات ، وقد يظن ظان أن « الدجوى » يجمد عند آراء السابقين دون أن يعمل فيها رأيه النافذ ، ولكن وأقع ما أصدره من الاحكام يدل على سعة النظر ، وثقوب الفكر ، وشمول الاطلاع ، ونستشهد بجواز تشريح الميت **عند الضرورة ، اذ اختلفت الانظار فى حكم التشريح منذ ستين عاما ، وأصدر المفتى الاكبر الاستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعى رحمه الله فتواه بعدم الجواز ، ولكن الشيخ الدجوى أباحة قائلا أن نصوص الفقهاء فى التراث القديم لم تتعرض له ، ولكن العارف بروح الشريعة وما تتوخاه من المصالح وترمى اليه من الغايات يعلم أنها توازن بين المصلحة والمفسدة ، فتجعل الحكم لأرجحهما على ما تقضيه الحكمة ، ويوجبه النظر الصحيح ، ومن نظر الى ضرورة التشريح فى بعض المواقف كما اذا اتهم شخص بجناية على الآخر ، وقد يبرأ من التهمة عندما يظهر التشريح ، أنه غير جان يجد أنه لا مفر منه ، وقد قرر الفقهاء أن الميت اذا ابتلع مالا جاز شق بطنه لاخراجه ولو كان مالا قليلا ، ويقدره بعضهم بنصاب السرقة ، فاذا قسنا ذلك المال الضئيل على ما نجنيه من فائدة التشريح ،وجدنا وجه الجواز واضحا ، على أن الواجب أن نقتصر فيه على قدر الضرورة فحسب ٠**

هذا لب الفتوى وقد عورضت بفتوى العلامة الشيخ محمد بخيت (١) اذ ذكر نصوصا لابن

---

(١) مقالات وفتاوى جـ ٢ ص ٤٣٥

(٢) مقالات وفتاوى جـ ٢ ٤٩٦

قدامة والشيرازى والرافعى والنووى ، وأسهب فى التحليل ينتهى الى قوله « ومن هذا يعلم أن التشريح الذى من لوازمه شق البطن لا يجوز ، نعم ان فتح البطن لاجل العلاج الطبى يجوز لانه محافظة على الحياة فلا اهانة فيه (١) » .

وقد اضطر الشيخ الدجوى الى أن يعيد الكلام فى مقال آخر تأييدا لفتواه ، فذكر من الأدلة القوية ما يؤكد منحاه فى جواز التشريح عند الضرورة ، وكان مخلصا للحق حين قال فى مطلع حديثه :

« على أننا صرحنا بأن ذلك (جواز التشريح) مبنى على قياسنا مسألة التشريح على مسألة المال الذى ابتلعه الميت فان كان ذلك القياس صحيحا فلله الحمد على توفيقة وان كان غير صحيح فهو مردود على مرتئيه ، ولا شىء علينا بعد أن تبين أن هذا هو رأينا الخاص ، ونرى من الاخلاص للدين والعلم أن نقول : ان مثل هذه المسألة محل اجتهاد يصح أن تختلف فيها الأنظار » .

وللأستاذ فتاوى مشتهرة فى الوصية والوقف والطلاق والبيع والقرض والربا والميراث ! وقد طال النزاع بينه وبين مخالفيه فى مسألة التوسل ، وهى احدى المسائل التى عارضها الشيخ محمد رشيد رضا معارضة ساخنة وانحاز اليه فريق هاجموا الشيخ فى ضراوة وظهرت كتب خاصة تقدح فى الشيخ الدجوى قدحا منكراً ، وكان الاولى أن يلتزم المناقشون بآداب الاسلام ، وحقوق المناظرة ، واذا كان الشيخ الدجوى قد أخطأ (على سبيل الفرض) فهو مجتهد له أجره ، ولن يلزم أحدا بما قال .

هذا وقد حرر الشيخ باب التفسير فى مجلة الأزهر حينا من الدهر ، وكان الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى يتولى تحريره من قبله ، ولكل من الشيخين الجليلين منحاه الخاص ، فللأستاذ الجبالى رحمه الله بيانه المشرق ، وسلاسته الطيعة ، وأحاطته الوافية ، ظهر ذلك جليا فيما تداوله من تفسير سور النور والحجرات والرعد ، ولقمان ، اذ جاء ما كتب آية من الآيات ، وليت أحد العلماء يقوم بجمعه محققا فى كتاب خاص .

وأظهر فارق بين تفسير الجبالى وتفسير الدجوى أن الاول يعيش فى نطاق النص القرآنى الذى يعالج تفسيره ، أما الشيخ الدجوى فقد تأثر بأبى حامد الغزالى رضى الله عنه اذ يقوم بأستطرادات وافية ، هى فى حد ذاتها رائعة قوية ، ولكنها لا تتصل بالنص القرآنى مباشرة ، ويجوز أن تقتطع لتكون عظة دينية شافية ، ولعل الرجل الكبير يميل الى التأثير الوجدانى بعد الشرح المنطقى ، ليجذب القراء الى صفاء نقى شفاف ، وقد تناول على صفحات مجلة الأزهر تفسير سور

(١) مجلة الازهر . المجلد السادس سنة ١٣٥٤ ص ٦٢٢

الأعلى والعصر والاخلاص والشمس ، والانشراح والزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر والهمزة وقريش والماعون والكافرون ! وفى بعضها قد أوجز ، وفى بعضها الآخر قد أطال مستطردا ، فقد احتل تفسير سورة الأعلى ما بين ص ١٢٠ الى ص ١٧٥ من مجموعة آثاره .

وقد بدأه بتحديد العناصر الاجمالية للسورة الكريمة فحصرها فى أربعة ، وشرع فى البيان التفصيلى آية آية ، وحين تحدث عن « العلو » المفهوم من قوله (الأعلى) اتسع المجال الى ايضاح مذهب السلف ومذهب الخلف ، وشرح أدق مسائل علم الكلام فى وضوح يناسب قارئى مجلة سيارة ، ثم لجأ الى الاستطراد معترفا بذلك لانه فى مقام تصحيح العقيدة فذكر الأدلة على وجود الله وتنزيهه ، وأنه لا شىء مثله وجال جولة موفقة ختمها بقوله (١)

« وقد شط بنا القلم ولكن الى مادعت اليه الحاجة ، وأوجبته الضرورة ، واقتضاه جهل كثير من الناس فى هذا العهد الذى تراكمت ظلماته ، وتعاظمت آفاته ، وتكاثر مدعوه ، وقل منصفوه ، فالى الله المشتكى ، وبه المستعان »

نذكر هذا القول لنؤكد أن المفسر الكبير كان يستطرد عن عمد ، اذا دعت الضرورة الى الاستطراد والذين يطلبون منه التركيز فى نقطة محددة ينسون أن الناس مشارب وأذواق ، وقارىء التفسير فى مجلة دينية يتطلب هدوءا واسترواحا ينعشان الوجدان ، وهذا ما يدعو الشيخ الى التكرار فى بعض المواقف فقد ألم فى تفسير سورة الاخلاص ببعض ما اتجه اليه فى تفسير سورة الأعلى ، لأن تطهير العقيدة فى رأيه فرض محتوم ، ومن استطراداته فى مجال هذه السورة ما كتبه عن محبة الله ، وتعداد نعمه الكثيرة ، والاستدلال ببدائع الصنعة على قدرة الصانع ، ناقلا من الأشعار الرائعة ، والحكم الفائقة ما يهز القارىء مستشهدا بمبدعات الكون من شمس وقمر وبحر وجبل ، وكل ذلك لا يتصل بتفسير السورة بسبب قريب ، ثم ختم التفسير بما سماه « داعى المقام » فنقل عن علماء أوروبا وفلاسفتهما ما يثبت عظمة الله وكماله ، وأطال فى ذلك ، وعذره أن بعض الناس حينئذ كانوا يؤمنون بمقدرة الأوربيين ، واهتدائهم الى الحق فى تؤدة ويقين ، فاذا أتوا بما يؤيد العقيدة فى القدرة والوجدانية فالاستئناس بأقوالهم سديد !

وقد دارت معارك فكرية فى النصف الاول من هذا القرن تعرضت للمأثور من كتاب الله ، وصحيح التشريع ، فكان للاستاذ يوسف الدجوى مقام كريم فى نصر الشريعة الاسلامية ، حيث خص كتاب (الاسلام وأصول الحكم) بمقالات رنانة نشرتها الصحف اليومية ، وجمعت عقب ذلك فى كتاب

(١) مقالات وفتاوى جـ ٢ ص ١٣٠

خاص وفى الطبعة الأخيرة من كتاب (رسائل السلام) ملحقان هامان لم يكونا بالطبعة الأولى ، اذ نشرت الصحف خلاصة لما كتبه الأديب الانجليزى (هـ ٠ ج ٠ ويلز) فى مؤلف تاريخى عن الاسلام ورسوله ﷺ وكلها تخرصات باطلة لم يوح بها اطلاع بسيط ولكنها آلمت كثيرا من النفوس بأوربا وبالشرق اذ أرسل دكتور « مصرى الى الاستاذ الدجوى ترجمة وافية لما قال ويلز ، ودعاه الى نقضها بالدليل فكتب الشيخ عدة مقالات تدحضها ، ونشرها بأعداد متوالية من جريدة المقطم سنة ١٩٢٣ ثم طبعها فى الملحق الأول بكتاب (رسائل السلام) (١)

وقارىء مقالات الدجوى يعجب لبحاثه انجليزى كبير يكتب عن الاسلام متشبعا بمصادر سيئة تحرف الكلم عن موضعه ، وتذكر عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم من الجهالات ما يختلق اختلاقا لحاجة فى النفس دون رجوع الى سند صحيح ! وصاحب الكتاب يتحدث عن موجز تاريخ العالم بأكمله ، فاذا كان ماكتبه عن الغابرين من أعلام التاريخ فى الشرق والغرب يشبه ماكتبه عن نبى الاسلام ، فقد ملأ كتابه الضخم بالأباطيل ، وقد تردد ماكتبه ويلز عن نشأة نبى الاسلام والاسراء وحادث الغرانيق، وزواج الرسول بصفية بنت حيى فى كتب كثيرة، لكتاب حاقدين ، ولكن الدجوى وأمثاله من المحققين ، قد كشفوا عن الحق زيف الباطل ، وطهروا تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم من شبهات المفترين ٠

أما الملحق الثانى فخاص بنقد الاستاذ ما كتبه الاستاذ محمود عزمى عن الشريعة الاسلامية، اذ كتب فى الاهرام مقالات يدعو فيها الى ترك الشريعة الاسلامية جانبا ، واتباع قوانين الغرب فى مسائل الطلاق والميراث وما يعرف بالأحوال الشخصية ، ووجد من فسح له مجال المحاضرة فيما ادعاه ، فكتب وحاضر وكاثر بشيعته التى له ، فنشر الشيخ الدجوى نقدا عاصفا بادعاءاته ، وبين أن الاستاذ محمود عزمى يتحدث عن الشريعة الاسلامية دون أن يدرى عنها شيئا ، وذكر موقف الاسلام من الربا والخمر والزنا، وكيف ينتظم مسائل الحياة ليرسم لها النهج الصحيح ، ثم دعا الى اقامة مناظرة فكرية بين مناوئى الشريعة وبينه فى مجلس حاشد يؤمه أرباب الفكر فى مصر ، ليدلى الاستاذ عزمى بآرائه ، وليستمع الرد عليها، ثم يصدر المستمعون حكمهم العادل وفق ما يقتنعون به ! وطبيعى أن يحجم الاستاذ عزمى عن مثل هذه المناظرة ، لانه ألف أن يتحدث فى وسط خاص يتابع هواه ، ويصفق له : أخطأ أم أصاب ٠

هذا بعض ما ناضل به الاستاذ الدجوى فى سبيل الله ، وقد نسيه أبناء اليوم فلم يرجعوا

(١) رسائل السلام ص ٢٣٣ وما بعدها ٠

الى صحائف علمه ، ومصادر نضاله ، وما أظن أحدا خصه بالتحليل الناقد منذ وفاته سنة ١٩٤٦ م وقد مضى على رحيله أربعون عاما ! وأذكر أن الدكتور زكى مبارك كتب عنه كلمة قصيرة فى كتاب (الاخلاق عند الغزالى) قال فيها (١) ٠

« الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى عالم من هيئة كبار العلماء ، وهو ذو نفوذ كبير فى الازهر والمعاهد الدينية ، وأكثر العلماء الممتازين اليوم من تلاميذه ، ومن الخطأ أن تعرفه من مؤلفاته، لأنها مع قلتها ضعيفة ، ولأن الفرق بعيد بين ما يقوله فى دروسه الخاصة ، وبين ما يدونه فى تلك المصنفات ، اذ كان يريد أن يصل بكتبه الى أفهام الجماهير ٠

ثم قال : ويكاد يعد الشيخ الدجوى خليفة للغزالى فى هذا العصر ، ففيه تقريبا كل خصائصة من القدرة والاخلاص ، وقوة النفوذ، ونبض الفلسفة ، والحذر من أن يتجاوز العقل ما له من حدود ٠

والدكتور — فى ظنى — يعنى بالمؤلفات الضعيفة ما نشره الاستاذ لهداية العامة من مباحث خفيفة تلائم وجهة أنظارهم ، وميدان العامة فسيح يجب الا نتركه لغير الفاقهين ، واذا كان الدكتور زكى مبارك يرى أن الدجوى يعد خليفة للامام الغزالى فى هذا العصر ، اذ فيه كل خصائصه من القدرة ، والاخلاص ، وقوة النفوذ ! فما أظن اطراء صادقا يبلغ هذا الاطراء ، ولعلى ذكرت أن استطرادات الدجوى ذات نفحة غزالية تذكرنا بكتاب احياء علوم الدين ، وهو ما يلمسه الدارس الحصيف ٠

د٠ محمد رجب البيومى

---

(١) الاخلاق عند الغزالى ص ٣١٩ ط دار الكاتب العربى ٠

شهادة كبار الفلاسفة للإسلام

برنارد شو يعتقد بأن أوربا ستدخل فيه

« الفضل ما شهدت به الأعداء » والعداوة هنا ليست عداوة حرب . ولكنها ..اوة فى العقيدة . ان جاز هذا اللفظ .

فقد يكون شخص ما . معاندا . أومكابرا ، اما بطبعه . أو بتأثير البيئة أو بحكم الظروف المحيطة . أو بتأثير عوامل خارجية أخرى .

وكلمة الحق ليس لها شخص معين . ذو مواصفات محددة . فقد يجريها الله على قلب شخص ما ولسانه اذا كان الغرض منها . اصلاح معوج أو تقويم مائل . أو هداية ضال أو اضاءة شمعة تبدد ظلام التيه الذى يتخبط فيه بعض الناس .

وكتاب الغرب وفلاسفته المنصفون عرفوا الكثير عن الاسلام ونبى الاسلام وذلك من خلال تعاليمه . وسننه . وشريعته . بعد بحث ودراسة وهداهم بحثهم . ودلتهم دراساتهم . على ما فى الاسلام من سمو . وعظمة . وخلود . ان صلاح العالم لن يكون الا بالدخول فى دين الاسلام .

« فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ » (١) .

قال الكاتب ــ رحمه الله :

برنارد شو الكاتب الفيلسوف الانجليزى لا يحتاج لتعريف ، فهو ليس برجل عظيم فحسب ، ولكنه طليعة الأفذاذ ، والعالم كله يهتم بقراءة أخباره . ومن أخص مميزاته آراء جريئة يبديها بصراحة لا يستطيعها غيره . وهو ممن يعتقد عقيدة راسخة بأن الأمة الانجليزية

---

١ ــ الانعام ١٢٥ ــ ١٢٦

للأستاذ محمد فريد وجدى

إعداد: الأستاذ عبد الفتاح الزيات

ستدخل فى الديانة الاسلامية قبل أن ينتهى هذا القرن •

ولقد وقفنا على حديث له فى رسالة انجليزية تحت عنوان « نداء للعمل » كشف فيها القناع عن عقيدته فى صلاحية الاسلام لجميع الأمم ، وفى كل الأطوار التى تدخل فيها فى أى مكان وزمان •

فقال فى ذلك الحديث أثناء سياحته فى بمباى:

[صلى الله عليه وسلم]

« لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس •

« لا مشاحة فى أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبواءت كبار الرجال • ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم • وقد صور أكليروس القرون الوسطى الاسلام بأحلك الألوان ، اما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم •

« ولقد كانوا فى الواقع يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح • ولقد درسته باعتباره رجلا مدهشا فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح ؛ بل يجب أن يدعى منقذ الانسانية • وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما • ولقد أدرك فى القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال (كارلايل) و (جوت) و (جيبون) القيمة الذاتية لدين محمد ﷺ ، وهكذا وجد تحول حسن فى موقف أوروبا من الاسلام ولكن أوروبا فى القرن الراهن تقدمت فى هذا السبيل كثيرا ، فبدأت تعشق عقيدة محمد • وفى القرن التالى ربما ذهبت الى أبعد من ذلك فتعترف بفائدة هذه العقيدة فى حل مشاكلها • فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتى • وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ومن أهل أوروبا قد دخلوا فى دين محمد ، حتى ليمكن أن يقال أن تحول أوروبا الى الاسلام قد بدأ » انتهى •

يرى القارىء مما مر أن الفيلسوف الانجليزى برنارد شو يعتقد عقيدة راسخة فى أن أوروبا قد بدأت تتعشق الاسلام ،وأن القرن الحادى والعشرين لن يمضى حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينا لها ، وعهدت اليه فى حل مشاكلها.

وأحسن ما قاله فى حديثه هذا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالتطورات المختلفة للحياة البشرية ، ويستطيع أن يكون جذابا لجميع أجيالها •

فهذه الأقوال لا تصدر الا من رجل يكون قد

عرف حقيقة الاسلام ، وشعر كيف يؤثر بجماله على القلب ، ويتسلط بجلاله على النفس .

وليس (برنارد شو) أول من شعر بهذا ، فقد سبقه كثيرون وعلى رأسهم « جوت » الفيلسوف الألمانى المشهور المتوفى سنة (١٨٣٢ م) وهو يعتبر من أكثر رجالات الألمان علما وعقلا وبعد نظر .يؤثر عنه أنه نظر فى الاسلام فأعجبه فقال : « اذا كان هذا هو الاسلام فنحن اذا فيه » . وليس يخفى أن الألمانيين فى ذلك العهد كانوا مظهر الثقافة العلمية بكل ما فيها من مفيد وطريف .

مما يلفت نظر الباحث الاجتماعى فى حديث الفيلسوف الانجليزى قوله : ان أوروبا ربما اعترفت بالعقيدة الاسلامية طلبا لحل مشاكلها ، وقوله قبل ذلك : انه لو تولى رجل على مثل صفات محمد ﷺ دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب اليه السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما ، فهذه الأقوال ليست ملقاة على عواهنها، ولكنها ثمرات بحث وتحليل وتفكير ، فان القرآن الكريم أرصد لكل مسألة من مسائل الاجتماع حلا معقولا لا يدع للافراط والتفريط سبيلا الى العبث بالمجتمع ، وقد قام النبى ﷺ بتطبيق ذلك النظام الالهى على الآحاد الذين اتبعوه ، فألف منهم أمة ما فتئت تنمو وتشتد وترقى الدرجات العلى فى كل مجال من مجالات النشاط العقلى والمادى ، حتى انتهت اليها زعامة العالم قرونا متوالية ، فكيف لا ينجح فى معالجة أدواء العالم الحديث رجل يقوم على قدم محمد ﷺ فيطبق عليها ما أرصده القرآن الكريم لكل منها من علاج حاسم ؟

هذا كلام لا غبار عليه ، وقد رددناه فى افتتاحياتنا هنا وقرناه بالأدلة العلمية المحسوسة فاذا صح هذا على الأمة الاسلامية الأولى وصح على الأمم الأوروبية الحديثة ، أفلا يكون أصح على الشعوب الاسلامية الراهنة ،فتسترد به مجدها الضائع ، وتستعيد فتاءها الزائل ، وتصبح جديرة بالانتساب لأسلافها الأولين ؟ وهذا ما رددناه كثيرا ونردده فى كل فرصة ، وبالله التوفيق .

ان أكبر المسائل الاجتماعية التى تهدد مدنية أوروبا فى العصر الراهن المسألة الاقتصادية ، فان النظام الرأسمالى المتطرف الذى يقوم عليه الغرب قد استدعى فى الأزمنة الأخيرة أن يتولد فى السواد الأعظم من شعوبه ميول ثورية لاتقف مطالبها عند حد ، وما نجمت المذاهب الاشتراكية التى تبنى نظرياتها على الأصول الاقتصادية الا لتترجم عن هذه الميول الثورية ، وقد نجحت هذه المذاهب فى جمع كلمة العمال والفقراء وتعبئتهم تعبئة صالحة للنضال والثبات ،مما كان أثره تحسين حالة المحرومين من المال بعض التحسين ، ولكن هؤلاء لا يزالون يرون أن لهم حقوقا على المجتمع أكبر مما رضخت لهم به تلك الحكومات .

ولما كان من شأن الأمراض الاجتماعية أن تستشرى وتعضل اذا لم تستأصل جراثيمها ، فان هذه المذاهب الاشتراكية بما تطرفت فى مزاعمها ، وتبسطت فى مدعياتها ، قد استحالت الى برامج انقلابات خطيرة تهدد وطائد المجتمعات بالدك عند سنوح أقرب الفرص ،

وقد أفضى التناهى ببعضها الى الشيوعية البحتة .

هذه حاله تعتبر على أقصى حد من الخطورة، وتؤدى الى تداعى بناء المدنية العربية وسقوطها عند أول صدمة ، فاذا لم تسعف بالعلاج الفعال السريع التأثير فقد لا تبقى ولا تذر .

وهل لهذه الحالة من علاج معقول غير النظام الذى أرصده الاسلام لمثلها منذ نحو أربعة عشر قرنا قبل أن توجد المجتمعات الأوروبية الحالية ، وقبل أن تستحيل المسألة الاقتصادية فيها الى هذه النتيجة المزعجة ؟

نعم : لقد شرع الاسلام للعالم نظاما تعاونيا حكيما فيه كل ما فى المبدأ الرأسمالى من حسن ونافع ، وكل ما فى المذاهب الاشتراكية من حق وواجب ، فجاء نظاما حاصلا على جميع مزايا المذهبين دون أن يلتاث بشىء من مساوئهما .

فاذا كان النظام الرأسمالى يغمط حق العمل فى الانتاج ، ويتجاهل حق الفقراء من المال الاجتماعى العام .

واذا كان المذهب الاشتراكى يتغابى عن مكان رءوس الأموال الفردية من بناء الصرح الاقتصادى للأمم ، ويرى أن من الواجب هدمه ، وبناء غيره على أساس رأس المال الاجتماعى العام ، مغضيا كلاهما عما يبتنى على تطرفهما من النتائج الخطيرة .

فان الاسلام لم يغفل ذلك أصلا ، فأتى بنظام حكيم يقر رءوس الأموال الفردية من ناحية ، ولا يغضى عن المحرومين منها ، فيفرض لهم حصة سنوية منها من ناحية أخرى . فكان هذا الحل كما ترى وسطا جامعا لمزايا كلا النظامين الاقتصاديين . وخالصامن عيوبهما ، تنحسم به مادة المتنازعين على الحياة ، ويبطل تناحرهما عليها ، ويحل محله تكافل ينتظم عليه أمر الجماعة ، ويسود بين فريقيها التحاب والتعاون فى الحياة الاجتماعية ، ذلك النظام هو الزكاة التى جعلها الاسلام ركنا من أركانه.

فماذا يريد المحروم أكثر من أن يكون له حق مفروض فى مجموع مال الأمة الموزع على أفراد منها ؟

وماذا يبغى صاحب رأس المال أكثر من أن يأمن على ماله فى مقابل حصة من ربحه يؤديها للحكومة تضعها مواضعها ، مما نص عليه الكتاب فى آية الزكاة المعروفة « **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ** (أى الزكاة المفروضة) **لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا** » الخ الآية الكرية ؟

هذا النظام لا يدع لأحد الفريقين المتنابذين سلاحا يشهره فى وجه مناظره ، ولا يترك له طريقا الى ملاحاته .

فهذه علة من العلل التى يعنيها الفيلسوف (برنارد شو) ويقول انها تشفيها متى أخذت أوربا بالاسلام وعملت به . وفيها علل أخرى لكل منها دواء خاص فى الاسلام لا يتسع المقام للكلام عنها فى عجالة واحدة ، فندخرها لفرص أخرى ان شاء الله .

وبعد : أفلا يعتبر هذا كله مصداقا لقوله تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

طرائف

خوف الله

قال أعرابى لسيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ يستعطفه :

يا عمر الخير جزيت الجنة
اكسُ بُنَيَّاتِي وَأُمَّهُنَّهْ
وكن لنا من الزمان جُنَّـةْ
أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر : واذا لم أفعل ؟

فقال : اذن أبا حفص لأذهبنه

فقال عمر : واذا ذهبت ؟

فقال :

يكون عن حالى لتسألنه
يوم تكون الأعطيات هنه
وموقف المسئول بينهنه
اما الى نار واما جنة

فبكى عمر .. ثم قال : ياغلام أعطه قميصى هذا .. لله لا لشعره،والله لا أملك غيره .

مؤهلات السيادة

قال أمير المؤمنين على ـ كرم الله وجهه :
انما يستحق السيادة من لا يصانع ولايخادع ولاتغره المطامع .

وقال معاوية ـ رضى الله عنه ـ لعرابة الأوسى : بم سدت قومك ؟

فقال : لست بسيدهم ، ولكنى رجل شددت على يد حليمهم ، وعطفت على ذى الخلة منهم، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن قصر عنى فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزنى فهو أفضل منى .

وقد مر رجل بأهل البصرة .

فقال : من سيدكم ؟

قالوا : الحسن .

قال : بم سادكم .

قالوا : احتاج الناس الى علمه ، واستغنى هو عن دنياهم .

مواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فى طلب الحاجة

كتب رجل من أهل البصرة الى أخ لـه ، أما بعد :

فـانه يسـهل على طلب الحـاجة أمران فيك ، وأمران لى ، وأمر من قبل الله وبـه تمامهما .

فأما اللذان فيك : فاجتهادك فى النجـح ، ومبالغتك فى الاعتذار .

وأما اللذان لى : فانى لا أضيق عليك بعذرى ولا أصون عنك شكرى .

وأما الذى من قبل الله ـ عز وجـل ـ فايمانى بأن كل مقدور كائن والسلام .

أمهات

يقال :

أُمّ الطعام للحنطة .

وأم الخل للخمر .

وأم شملة للشمس .

وأم الندامة للعجلة .

وأم عامر للضبع .

وأم الفضائل للعلم .

وأم الرذائل للجهل .

عشر خصال فى عشرة أصناف

عشر خصال فى عشرة أصناف من الناس أقبح منها فى غيرهم :

الضيق فى الملوك .

◄

طرائف

والغدر فى الأشراف •
والكذب فى القضاة •
والخديعة فى العلماء •
والغضب فى الأبرار •
والحرص فى الأغنياء •
والسفه عند الشيوخ •
والمرض فى الأطباء •
والزهو فى الفقراء •
والفخر فى السفراء •

حقيقة

نظر رجل من الحذاق الى رجل من جهال الناس عليه ثياب حسنة ،ويتكلم ويلحن •
فقال له : تكلم على قدر ثيابك ، أو البس على قدر كلامك •

حقا

عليك اذا ضاقت أمورك والتوت
بصبر فان الضيق مفتاحه الصبر

ولا تشكون الا الى اللـه وحده
فمن عنده تأتى الفوائد والنصر

من أشعر الناس ؟

قيل لبعض الشعراء : من أشعر الناس ؟

قال : النابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، وجرير اذا غضب ، وعنترة اذا ركب •

قال عبد الملك للفرزدق : من أشعر الناس فى الاسلام ؟

قال : كفاك بابن النصرانية اذا مدح (يريد الأخطل شاعر بنى أمية النصرانى)

دعاء

اللهم هب لى حقك ، وأرض عنى خلقك، وهب لى الاصلاح فى الولد ، والامن فى البلد ، والعافية فى الجسد ، انك سميع مجيب •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

اللغة والأدب والنقد

من روائع تراثنا المخطوط

الأدب السواحيلي أدب إسلامي

الغفران وتوظيف التراث

غراس الأساس

باب الباء — ٣ —

*** (بتر) ليتـه أعارنا أبتريه : عبده وحماره (١) .**

*** (بثّ) بثثتـه ما فى نفسى أبثـه وابتثثته اياه وباثثته سرى : أطلعتـه عليـه . وكانت بيننا مباثثة (٢) ، وبث الخبر (٣) : أشاعه .**

*** (بثق) انبثق عليهم بنوفلان : اذا أقبلوا بغتة . وانبثق بالشر (٤) .**

*** (بجّ) بج الكلأ الماشية : اذا فتق خواصرها سمنا .**

* **(بجد)** : فلان عالم ببجـدة أمرك : أى بحقيقته ، من بجد بالمكان اذا طالت اقامته به . ويقال بالعارف الأرض : هو ابن بجدتها (٥) .

* **(بجر)** : ألقيت اليه عجرى وبجرى : أى أطلعته على معايبى . وأصل العجر : ما تعقد من العروق الناتئة ، والبجر : ما تعقد منها على البطن خاصة .

* **(بحّ)** : فى صـوته بحة ، ورجـل أبح الصوت . واذا وصـف الجماد بذلك كان من المجاز : كالعود اذا غلظ صوته .

* **(بحر)** : استبحر المكان : اتسع وصـار كالبحر فى سـعته ، وتبحر فى العلم واستبحر فيه . واستبحر الخطيب : اتسـع له القول . ودم بحرانى : أسود ، نسب الى بحر الرحم وهو عمقه . وامرأة بحـرية : عظيمة البطن ، شبهت بأهل البحرين (٦) وهم مطاحيل .

* **(بخع)** بخعـه الوجد : اذا بلغ منـه المجهود ، قال الشاعر :

ألا أيها الباخع الوجد نفسه (٧) .

---

(١) هما أبتران : لقلة خيرهما .
(٢) فى الاساس : مباثة ومنافثة .
(٣) فى الاصل : الخير بالياء .
(٤) فى الأصل : بالسر .
(٥) عبارة الاساس ، يقال : أصبح فلان باجدا بأرضه : اذا كان لابدًا بها لايريم . ويقال للخريت : هو ابن بجدتها .
(٦) فى الأصل : شـبهت بأهـل البحـر . وفى الاساس : بأهل البحرين ، وهم مطاحيل عظـام البطون .
(٧) أنشده سيبويه ، والبيت لذى الرمة ، وتمام البيت : لشىء نحته عن يديه المقادر .

وبخعتله نفسي ونصحي : جهدتهما •وبخع بالحق : اذا أقر (١) •

* (بدّ) استبد الامر بفلان : اذا غلبه فلم يقدر على ضبطه • وقال بعضهم : (٢) خرجت أبدد : كنى بذلك عن البول •

* (بدع) : أبدعتْ حجتُك : اذا ضعفت • وأبدع بى فلان : اذا لم يكن عند ظنك به فى أمر وثقت به فى كفايته واصلاحه •

* (بذأ) : بذأت عينى فلانا : ازدرته ولم تقبله • ووصفت لى أرض فلان فما بذأتها عينى •

(بذر) ان هؤلاء لبذر سوء : أى نسل سوء • ومال مبذور : كثير وبذرت الارض : أخرجت نباتها متفرقا • وأرض أنبثة (٣) مبذار النبات : اذات الربع • ولو بذرت فلانا لوجدته رجلا : أى لو جربته وقسمت أحواله • وفلان من المذابيع البذر : جمع بذير (٤) . وهو الذى يفشى السر •

* (بذل) : يقال لهذا الفرس صون وبذل : أى يصون بعض جريه ، ويبذل جريه ، لا يخرجه دفعة ، وهذا وصف مدح • ويقال : صونه (٥) خير من بذله : أى باطنه خير من ظاهره •

تحقيق الدكتور
توفيق محمد شاهين

* (بذم) : ويقال ، فلان ماله بذم : أى حزم •

* (برح) هذه فعلة بارحة : لم تقع عن قصد • وقولهم ، برح الخفاء : أى وضح الامر وزال خفاؤه •

* (برد) : برد لى على فلان حق : أى وجب ومنه ، لا يبالون ما يبردوا عليك (٦) • وبرد فلان فى أيدى من أسره : اذا لم يفدوه • وضربته حتى برد (٧) • وبرّد ظهر فرسك ساعة : رفّهه عن الركوب • وبَرَدَ مصجعُهُ : اذا تركه • ولا تبرد عن ظالمك : لا تخفف عنه بدعائك عليه (٨) • وبردت عظامه : اذا هزل وضعف ومنه بارد العظام • وجاءنا فلان باردا مخه • ورعب فبرد مكانه : اذا دُهِش • وبرد عليه الموت : بان أثره (٩) • واستبرد (١٠) لسانى عليه : أرسلته كالمبرد • ووقع بينهما قد برود ثمينة (١١) : اذا تخاصما ، وهو مثل فى شدة الخصومة • وفلان يبرد به : أى يطيعه •

◄

(١) فى الاساس : اذا اقر قرار مذعن ، بالغ جهده فى الاذعان به .
(٢) القائل هو مرشد بن معضاد الخفاجى .
(٣) فى الأصل أنبته .
(٤) فى الاساس : جمع بذور .
(٥) فى الأصل : صوته بالتاء .
(٦) عبارة الأساس : ما برّدوا عليك : اى ما أوجبوا واثبتوا .
(٧) فى الأساس : حتى برد ، وحتى جمد .
(٨) ومنه الحديث الشريف : «لاتسبخى عنه» .
(٩) فى الاصل : بان أمره .
(١٠) فى الأساس : واستبرد عليه لسانى .
(١١) فى الأساس : برود يمنية : بمعنى غالية .

◀ غراس الاساس

* (برّ) : برت السلعه : اذا نفقت .

* (برز) : خرج الى البراز : أى الغائط .

* (برص) : أرض برصاء : عارية من النبات . وبرّص رأسه : حلقه .

* (برض) تبرّض فلان حاجته : أخذها شيئا بعد شىء . وفلان يتبرّض بالقليل : يتبلّغ به (١) .

* (برطل) : رأس مبرطل : طويل من البرطيل وهو الحجر المستطيل . وألقمه البرطيل : وهو الرشوة ، وفى المثل : البراطيلُ تنصر الأباطيل .

* (برق) : فلان يبرق لى ويرعد : اذا هدد . وأبرقت وأرعدت (٢) . اذا تزينت . ورأيت فى يده بارقة : أى سيفا . والجنة (٣) تحت البارقة أى تحت السيف وأرسل برقاويه أى عينيه اذا بكا (٤) وبرق عينيه : فتحهما (٥) جدا . وكله من اللمعان (٦) .

* (برك) : ابترك الفرس فى عدوه : اذا اجتهد . ومن المجاز : ابترك فى عرض فلان : اذا استغاث به (٧) . وابتركوا فى الحرب : اذا جثوا على الركب .

* (برم) : أبرم الأمر ، وأمر مبرم ، وبَرِمَ فلان بحجته : اذا لم تحضره . ويقال للعيى (٨) برم اللسان . وأمر سحيل ومبرم ، والأصل الخيط : فان كان طاقا واحدا فهو سحيل ، وان كانا طاقين فهو مبرم اذا فتلا حتى صارا واحدا .

* (بره) أقام عندنا بريه بريهة : أى ابراهيم (٩) .

* (برى) برى الناقة بالسير وبراها السفر وناقة ذات براية : فيها بقية بعد برى السفر لها . وانك لذو براية ، وفلان يبارى الريح كرما . وأعطته الدنيا بريها (١٠) : اذا تمكن منها وحظى بها .

* (بزخ) : تبازخ (١١) عن الامر : تقاعس .

* (بزر) : مثلى لا تخفى عليه أبازيرك : أى زيادة القول (١٢) . وقد برز فلان كلامه وتوبل . ويقال للرجل المريب : البازور .

* (بزّ) : بزه ثوبه : استلبه ، ومنه : من عز بز . وجىء به عزا وبزا : أى حزما لا محالة فيه . ورجعت الامارة بزّيزى : أى لا تؤخذ بالاستحقاق (١٣) .

* (بزل) : بزل الامر : استحكم . وأمر بازل ، ويقال ، خطب بازل : لا تلقيه الا الى قارح (١٤) . وتقول : نزلت بى نازلة ،

---

(١) فى الأصل يتبلغ فقط بدون الجار والمجرور .
(٢) فى الاساس : وأبرقت لى فلانة وأرعدت : اذا حسنت لك وتعرضت .
(٣) فى الأصل : الجبن تحت البارقة .
(٤) فى الأساس : أى عينيه لبرق لونيهما .
(٥) فى الأساس : فتحهما جدا ولمعهما .
(٦) زيادة ليست فى الأساس .
(٧) فى الاصل : اذا استغابه بدون الثاء .
(٨) فى الأصل : للعى .
(٩) فى الاساس : يريد مصغر ابراهيم على الترخيم حكى عن الفراء .
(١٠) فى الأساس : برتها .
(١١) فى الأصل : تبازح بالحاء .
(١٢) فى الأساس : أى زياداتك فى القول ووشاياتك .
(١٣) كل ما ذكر فى هذه المادة عده الاساس من الحقيقة لا المجاز ص ٣٨ ، بينما عده ابن حجر من المجاز .
(١٤) فى الأساس : خطب بازل لا يكفيه الا رأى قارح .

وما عندهم بازلة (١) : أى بلغة تبزل حاجتى أى تقضيها •

* (بسر) ابتسر الحاجة : طلبها قبل وقتها • وابتسر الفحل الناقة : ضربها من غير ضبعة وابتسر الجارية : افتضها قبل الادراك • وغلام بُسْرٌ : غض الشباب • والشمس بسرة : أى شديدة الحمرة والشعاع • وان خرجت فيك بثرة فلا تبطلها (٢) •

* (بسّ) : بس عليه عقاربه : اذا أرسل عليه نمائمه • والترهات البسابس : الأباطيل •

* (بسط) : انبسط وانقبض : اذا انشرح وحزن • وبسط عليهم العذاب : أى أوسعه • وزاده بسطة فى العلم : أى فضلا • وبسطنى الله عليه : فضلنى عليه • وبساط الارض : اتساعها • وفلان بسيط الباع واللسان • وحفر (٣) قامة باسطة وبسطة : وهو أن يمد يده • وفرش لى فرشا لا يبسطنى : أى لا يسعنى • وباسطه مباسطة • ويده بُسُطٌ بالعطا (٤) •

* (بسق) : بسق على أصحابه : طالهم بالعطاء (٥) • ولفلان سوابق وعُلاً بواسق • ويقال : لا تُبَسِّقْ علينا : أى لا تطول •

* (بسل) : نبيذ باسل : أى شديد • وغضب باسل (٦) •

* (بسم) : تبسم البرق ، وتبسم اطلع : تفلقت (٧) أطرافه • ويقال : ماتبسمت منه (٨) : أى ما ذقته •

* (بشر) : بَشَرَةُ الأرض : ما يخرج من نباتها فيلبسها • تباشير الصبح : أوائله • وفيه مخايل الرشد وتباشيره • وتباشير النخل : بواكيرها • وهبّت المبشرات وهى الرياح التى تبشر بالغيث • وباشر الامر : حضره بنفسه • وبأشر النعيم بشر فى فلان بخير : اذا أعطى •

* (بشع) رجل بشع الخلق والمنظر • وامرأة بشعة الفم : اذا تركت التخلل والاستياك • ونحت العمود (٩) حتى ذهب بشعه • وقد بشع الوادى بالناس : اذا ضاق بهم ، واستبشعوا المقام فيه •

* (بشم) : بشم من كذا : اذا سئم منه •

* (بصر) : آية مبصرة ، وأبصر الطريق : اذا بان ووضح • ورتب فى البستان مبصرا : أى ناظرا • وأريته لمحا باصرا (١٠) أى أمرا مفزعا ، وكذا أرانى الزمان لمحا باصرا • واجعلنى بصيرا عليهم : أى رقيبا • ومالك بصيرة فى الشىء : أى عبرة ؟ وله بصيرة : أى فراسة • والبصاير الظنون الصادقة • وذات البصائر • وأتيته بين سمع الأرض وبصرها : أى خلاء (١١) ، قال الشاعر :

(١) فى الأصل بذات بازلة .
(٢) فى الأساس : وان خرجت بك بثرة فلا تبسرها (لا تفقأها) •
(٣) فى الأصل وحز .
(٤) وفى الحديث الشريف : « يدا الله بسطان » .
(٥) فى الأساس : طالهم وفضلهم .
(٦) فى الاصل : غضب بالعين •

(٧) فى الأصل تعلقت بالعين .
(٨) أى اذا كان لايحلى بالعين .
(٩) فى الأساس : ونحت متن العمود .
(١٠) وفى الصحاح : اريته لمحا باصرا : اى نظرا بتحديق شديد .
(١١) فى الأساس : اى خلاء ما يبصرنى ولا يسمع بى الا هى .

غراس الأساس

أبصرته عني فأبصر قصده (١) .

* **(بصص)** : بصّصَ النور : اذا تفتح . وبصبص عندى بذنبه أي تملق . ما يبص حجره : لم ينبذ بخير . وما بصّ له بشىء من المعروف . وما عندى الا بصيصه .

* **(بضع)** من رضع منك رضعة فهو منك بضعة (٢) . وبضع المرأة وباضعها بضاعا ، وملك بُضْعَها : اذا عقد عليها . وبضعت من الماء حتى رويت ، لأنك تقطع الشرب عند الريّ . قالوا : حتى متى تكرع ولا تبضع . وبضعت هن فلان اذا سئمت من تكرار نصحه فقطعته .

* **(بطر)** : لا يبطرن جهل فلان حلمك : أى لا تجعله بطرا خفيفا . ولا تبطرنّ (٣) صاحبك ذرعه : أي لا تكلفه غيرما يطيقه . وذرعه : بدل اشتمال . وبطر فلان نعمة الله : استخفها فكفرها . ومنه : « **بطرت معيشتها** » (٤) . وذهب دمه بطرا : أي مبطورا مستخفا ، اذا لم يقتص به (٥) وفلان عالم بَيْطار : أى خبير بالأمر جدا .

* **(بطش)** : يبطش فى العلم بباع بسيط . وبطشت بهم أهوال الدنيا . وسلكوا أرضا بعيدة المسالك (٦) وُقِدُوا بمباطشها (٧) ، وما أُنقِذُوا من معاطشها . وجاءت الركاب تبطش بالأحمال : أى تزحف بها (٨) . وبطش من الحمى : أفاق منها .

* **(بطن)** : لا ترش سهمك ببطنان فرسه (٩)وبطنان الشباب : وسطه (٩) والبطين : بطن الحمل . واستبطن الشىء (١٠) دخل بطنه ، كما يستبطن العرق (١١) اللحم .

ونزلوا بطن الوادى ، وهم فى بطن مكة (١٢) . وبطون العرب . واستبطن الكلأ : توسطه . وتبطن الجارية : جعلها بطانة له . وفلان مجرب قد بطن الامور : أى عرف حقائقها . وأنت أبطن بهذا الامر : أى أكثر خبرة . وبطانة الرجل من يطلع على سرّه . وهم أهل بطانته . والبطانة : ما يجعل تحت العكم (١٣) من قربة ونحوها . وبرّت به البطنة : أى أبطره الغنى . وفلان عريض البطانة : أى غنى . وشأو بطين : بعيد وتباطن المكان : تباعد .

---

(١) فى الأساس : وبصرته بالسيف : ضربته فبصر بحاله وعرف قدره ، قال :

فلما التقينا بصر السيف رأسه
فأصبح منبوذا على ظهر صفصف

وهو من معنى قوله :

ارجاته عنى فأبصر قصده
وكويته فوق النواظر من عل

أ هـ الأساس ص ٤١ .

(٢) فى الأساس : من رضع معك .

(٣) فى الأصل : لا يبطرن .

(٤) القصص ٥٨ .

(٥) فى الأصل : اذا لم يفتحص .

(٦) فى الأساس : بعيدة المسالك قريبة المهالك .

(٧) فى الأصل : وفدوا لمباطشها

(٨) فى الأساس : أى ترجف بها .

(٩) عبارة الأساس : رش سهمك بظهران ولا ترشه ببطنان .

(١٠) فى الأصل : وسط .

(١١) فى الاصل : بياض مكان (الشىء) .

(١٢) فى الأصل : كما يستبطن العرب اللحم .

(١٣) فى الأصل : ومنه بطن بلدى اى الوادى .

٢

الأدبُ السواحيلى

أدب اسلامى

الأدبُ المكتوب

للأستاذ عبدالله نجيب محمد

ازدهر الادب السواحيلى ازدهارا لم يسبق له مثيل منذ النصف الاول من القرن الثامن عشر وأستمر فى ازدهاره وتطوره حتى نهاية القرن التاسع عشر تقريبـــا ، وتعتبر هذه الفترة بحـق العصر الذهبى للأدب السواحيلى .

١ ـ فى هذه الفترة ظهر عدد من الادبـاء الافذاذ على رأسهم «موياكا بن حاجى غسانى» « وسيد أبو بكر عبد الرحمن » المعروف باسـم منصب وسيد عيد روس وغيرهم قاد هـؤلاء الأدباء الحركة الادبية وبلغوا بها الغاية فى هذه الفترة كما بلغ الانتاج الادبى الذروة واستكمل أشكاله الفنية واتضحت الى جانب ذلك أساليبه وفنونه وهذه الفتره أيضا تعتبر من الناحيـة النظرية امتدادا طبيعيا للفترة السابقة والنتيجة المنطقية لما سبقها من الأحداث القومية فهـذه الفترة تواكب انحسار النفوذ البرتغالى حيث نشهد تغلب التيار الأسلامى على هذا النفوذ . وتهيأت الظروف التى مكنت الامارات الاسلامية الجنوبية من التحرر من ربقة الاحتلال البرتغالى ثم بدأ الاسلام يتوغل حقيقيا الى الداخل وبدأ الدعاه ينشرونه فى موزمبيق وسفالة (سوفاله) ونفذ الاسلام الى نيا سلاند كما نفذ الى هضبة البحيرات ودخل اوغندة وتجاوزها الى وسـط افريقيا .

◄

١ ـ بعد القرن التاسع عشر تقريبا كتب معظم الادباء انتاجهم باللغات الاوروبية مما دفع عددا من الكتاب الى أن يعيب عليهم هذا الاتجاه وينبههم الى خطورته « الباحث»

وفى خلال القرن الثامن عشر أنشئت المساجد فى القرى الواقعة على طول الطرق التجارية الموصلة الى بحيرات نياسا وتنجانيقا • ويذكر (هتشنز) أنه لا تكاد تخلو قرية فى قلب هذه المنطقة من مسجد للمسلمين ويبدو أن المحنة البرتغالية وما اعقبها من تحرر وانطلاق قد أنتجت نهضة أدبية شاملة وصلت الى غايتها فى هذين القرنين وفى هذه الفترة التاريخيه ايضا استكملت الثقافة السواحيلية شخصيتها وتطورت اللغة السواحيليه حتى بلغت مرتبة عالية من القوة والقدرة على التعبير بما تهيا لها فى العصور السابقة من شعراء وخطباء ومحدثين وغيرهم واكتسبت اعتراف الناس بها كوسيله للتفاهم والتخاطب والتكلم فكان ذلك عاملا من أهم العوامل التى أدت الى ازدهار الأدب فى فنونه وأشكاله وأساليبه المختلفة • والأدب تعبير ومادام الامر كذلك كان ثراء الأدب فى هذه الفترة دليلا على ما كان بها من ثراء ثقافى وحضارى وتلك هى الحقيقه بعينها •

ففترة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر علاوة على أنها قمة الامتزاج البشرى والثقافى كانت أيضا فترة الثراء فى المعارف والعلوم والحضارة ففيها افتتحت المدارس وكثر المحدثون والفقهاء والدارسون ورجال العلم وفيها أيضا التقى الأفارقة بالوافدين من الغربيين مما أثرى الحياة الأدبية والثقافية•

أغراض الادب السواحيلى الاسلامى :

تعددت أغراض الأدب السواحيلى فى هذه الفترة ومع ذلك ظلت متأثرة الى حد كبير بالأدب العربى ويمكن أن تقسم الاعمال الأدبية الصادرة عن تلك الفترة من حيث الاغراض الى :

١ ــ القصص والملاحم •
٢ ــ الشعر التعليمى الأخلاقى •
٣ ــ الشعر الغنائى •

مع ملاحظة أن الغرضين الأولين يدوران فى نطاق الدين فالشعر التعليمى والقصائد الحماسية والملاحم قد اتخذت موضوعاتها من الدين والثقافة الاسلامية بصفة عامة •

١ ــ القصص والملاحم :

وجد الأديب السواحيلى فى قصص القرآن الكريم مادة غنية استغلها فى أهم أغراضه فنجده يتخذ من قصص خلق الكون وخلق آدم وغيرها موضوعات لكثير من القصص والقصائد التى تهدف فى المقام الاول الى الوعظ والارشاد وبيان العلاقة التى تربط الانسان بخالقه •

وكذلك اتخذ الاديب السواحيلى من حياة الرسول الكريم ﷺ : مولده ونشأته وزواجه وبعثته ورسالته وغزواته والاسراء والمعراج موضوعات نظم فيها أروع قصائده وأبدع قصصه وخير الامثلة على هذا القصص قصة الاسراء والمعراج وقصة المقداد ومايسه وأما الملاحم فأشهرها ملحمة هرقل وملحمة رأس الغول وملحمة أحد وملحمة سيدنا الحسين ابن على رضى الله عنهما وملحمة هرقل وهى من أقدم ما عثر عليه من شعر الملاحم ، وتسمى أيضا « تبوك Tombuka » وقد كتبها « بوانا ويونجو بن عثمان » للسطان النبهانى «فومو لاييتى» سنة ١٧١١ م وهى تتكون من ١١٤٥ بيتا وهى تحكى قصة معركة « تبوك » ومعركة « مؤته » ومعركة « اليرموك » •

والقصة السواحيلية لا تفرق بين هـــذه المعارك وتصورها وكأنها حدثت فى عهـد النبى ﷺ كما أن شخصيات الملحمة تبدو فى صـور مختلفة عما نعرفه من الحقائق التاريخية •

أما ملحمة « رأس الغول » فقد كتبها «محمد ابن البوصيرى » وهى ملحمة ذات أصول عربية ولاتزال النسخ العربية منها تباع حتى الآن فى كثير من مكتبات « ممباسا » و« زنزبار » وغيرها من بلاد الساحل الافريقى •

والقصة السواحيليةلاتطابق الأصول العربية وهى قصة يمنية تصور مغامرة حربية قام بهـا بعض الصحابة لنصرة سيدة يمنية أسلمت ، واسمها « وافارى » قتل ابنها « سالم » على يد ملك يمنى كافر هو « المحرق » الـذى قتل روجها أيضا ثم خطف أحد أبنائها وأراد تحويلها عن الاسلام فاستغاثت بالنبى ﷺ الذى أرسل بعض الصحابة فخلصوها من هذا الملك وقتلوه •

قصة الاسراء والمعراج :

اهتم أدباء السواحيلية بهذه القصة اهتماما لانجد له مثيلا فى كافة الآداب الاسـلامية الأخرى فمن هذه القصة مالا يقـل عن عشرة منظومات لشعراء مختلفين ويلاحظ أن الاديب السواحيلى قد خرج كثيرا عما نعرفه من حقائق هذه القصة ، وخلط كثيرا من أحداث مختلفة ، وتغنى قصة الاسراء والمعراج فى كثـير من المناسبات والأعياد الاسلامية المختلفة •

ومن أشهر القصص الشعبية السواحيلية قصة « المقداد ومايسة » ولا يعرف الكثـير عن « المقداد » كشخصية تاريخية فيما عدا ماذكر من أنه اشترك فى غزوة بدر ، واختلفت الروايات العربية بشأن موته ، فقيل انه استشهد فى بدر وقيل فى صفين ، وهناك أسطورة فى العربيـة تصور المقدار كبطل حيث ظفر بالزواج من ابنة شيخ « كندة » واسمها « مايسة » التى رفضت الزواج الا بمن يتغلب عليها فى المبارزة ــ وكانت بطلة ــ فتغلب عليها المقداد ، وبعد عدة مغامرات وأسفار ومتاعب يتزوجها ويساعده فى الزواج بها الرسول ﷺ وهى قصة طويلة تقع فى ١٧٠ بيتا ومؤلفها مجهول وكانت مكتوبة بحروف عربية مما يدل على قدمها النسبى ، وهذه القصـة وان كانت عربية الأصل الا أنها تصور كثيرا من عواطف الشاعر السواحيلى وأحاسيسه وتصور شيئا من البيئة الافريقية والثقافة الافريقيـة بصفة عامة بعيدا عن واقع الأحداث المسجلة فى السيرة النبوية •

٢ ــ الشعر التعليمى :

يوجد لدينا عدد كبـير من المنظومـات السواحيلية التى اتخذت من تعليم الاخـلاق موضوعا لها ، وهى فى جملتها تصور لنا ما كان يدور بذهن السواحيلى المؤمن وما كان يرجوه من سمو العقيدة وحسن السيرة وشيوع لمبادىء الحق والخير والعدالة وأشهر المنظومات التى تدور حول الحض على مبادىء الاخلاق هى :

١ ــ الهمزية :

ألفها (السيد عيداروس الشيخ على) من أهل (لامو) واقدم نسخة منها مؤرخه ١٧٢٨ م ولغتها تدل على قدمها وفيها نزعة صوفية حيث يرى المؤلف أن التصوف هو جمال الفضائـل الخلقية وهو أيضا روح الايمان وجوهـر العقيدة •

٢ ــ منظومة القيامـة :

الفها على سالم زكوانى وييـدو من هـذه

المنظومة روح المبالغة والميل الى الترهيب والتخويف من عذاب النار وهى فى جملتها دعوة صريحة للتمسك بأهداب الدين والتخلص من العادات السيئة والمحافظة على أداء الواجبات الدينية والبعد عن المعاصى وكبائر الاثم وغير ذلك •

٣ ـ منظومة الانكشاف (الانكشافى) :

ألفها (عبد الله بن على) سنة ١٧٥٠ م على رأى المستشرق هاريس وسنة ١٨٠٠ م على رأى (جان كنابرت) وهى الفترة التى تلت سقوط مدينة باتا وخرابها وهى من أعظم القصائد التى نظمت فى هذا القرن يدل على ذلك اهتمام السواحيليين بها ووضعهم لها فى المقام الأول بين منظومات الشعر السواحيلى بل ان كثيرا منهم يحفظونها عن ظهر قلب ويحتفظون بنسخ منها لديهم ولذلك حفظت هذه المنظومة بأصول ثابتة رغم تعدد نسختها وقد اختار الشاعر لقصيدته وزنا طويلا حيث يحتوى السطر على أحد عشر قدما •

والشاعر يبدأ كما هى العادة بالثناء على الله ـ بما هو أهله ـ والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم ثم يتحدث عن قصيدته والغرض من نظمها ويسأل الله لنفسه المغفرة ويتضرع اليه ثم ينحدث بعد ذلك عن سقوط (باتا) ثم يتلو ذلك الغرض الاساسى وهو الارشاد والوعظ وهى تتكون من ٩٩ بيتا وهذا الرقم يماثل أسماء الله الحسنى •

والهدف الاساسى من المنظومات الخلقية هو التربية الدينية وترويد النشء بالقصص التى تنمى لديهم الوازع الدينى ، وتقدم لهم بعض الخبرات الأساسية للتعامل مع المجتمع •

وبعض هذه المنظومات لا تقف عند هذا الحد بل تتعداه فتقدم الأساس العلمى والمنطقى لهذه المبادىء فى صورة تجارب ونظريات مستمدة من واقع الحياة •

مثال ذلك ما جاء فى « الانكشاف » عن خراب مدينة « باتا » للتدليل على الفناء الدنيوى ، يقول الشاعر :

هذه الدنيا بحر عاصف
له صخور مرجانية وله تقلبات عظيمه
من يركبه يعرف أنه طاغيه
وأنه مسئول عن كل خساره

ويشبهها بعد ذلك بالسراب والغبار فى الشمس وغير ذلك من الصور ، ثم يقول عن حكام (باتا) الذين ذهبوا مع خرابها :

والآن يرقدون فى مدينة مساحتها أشبار
بلا ستائر رقيقة أو وسائد
وأجسادهم محطمة
فقد هجم عليهم جبروت المقابر
انفاسهم جاءت لها نهاية
يخرج منهم الصديد والتراب الناعم
والدود يمر من أنوفهم وافواههم
والجمال والوقار قد ارتحل عنهم

ثم يقول :

ان كنت لا تصدق وتقول ذلك افتراء
فاذهب الى منازلهم وأدر رقبتك
اذا دعوتهم لا يجيبوا مجرد صدى
صوت الرجال قد جاءت له نهاية
أين رجال سلطنة باتا الشجعان
رجال الشرف والرتب العاليه

لقد اضطروا لدخول قصور الرمال الأبدية
الملك والقدرة قـــد زالت عنهـــم

٤ ــ منظومة الشفقة :

ولا يعرف مؤلفها وهى مأخوذة من أصـــول عربية حسبما يذكره المؤلف فى مقدمتها ، وهى عبارة عن تعاليم خلقية للشباب وتحـــاول أن تغرس فى نفوسهم الايمان والهداية وحســن الخلق .

ــ منظومة العقيدة :

ألف هذه المنظومة عبد الله بن سعود بن سالم المزروعى الذى ولد سنة ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ وأشار فيها الى عدد من الاحداث التاريخية الهامة التى وقعت فى عصره وقد أكثر الناسخون من نسخ مخطوطاتها فتعددت صيغها باختلاف النسخ نتيجة لما حدث بها من تحريف وتصحيف ومنهـا الآن حوالى ٦٠ نسخة مختلفة .

٦ ــ منظومة موانا كوبونا :

ألفتها السيدة كوبونا قبل موتها ببضع سنين وقد عاشت « موانا كوبونا » خلال النصـــف الأول من القرن التاسع عشر وتوفيت حوالى ١٨٦٠ م وكان زوجها معروفا فى التـــاريخ السواحيلى وهو (بوانا « السيد » مكاتا) شيخ مدينة « سيو » وكان للسيدة كوبونا طفلان من زوجها أحدهم يدعى محمد والثانى بنت اسمها هاشيما واليها كتبت السيدة كوبونا هذه المنظومة فى القصيدة المسماة باسمها وكان ذلك قبل موتها ببضع سنين عندما أحست بدنو أجلها وكثير من مخطوطات هذه القصيدة لايزال موجودا فى مدينة (لامو) وفيما يلى بعض ما جاء فى هذه القصيدة :

(أ) **البداية :** تبدأ الشاعرة قصيدتها بداية مؤثرة فتطلب من ابنتها الاستماع اليها وفهم وصاياها لأن المرض قد تغلب عليهـا وأصبحت تتوقع الموت تقول :

اســـتمعى الى يـــا ابنتى
فأنا لا أســـتحق الحسنات
ما لــم تعقلى وصاياى الأخيرة
فــربما نفعت بهــا نفســك
لقــد تغلب عــلى المــرض
أســتمر عـــاما كامـــلا
ولم تعــد لى فرصـة لكى ابثك
كلمـــة تحمــل لك نصيحة طيبة
اقتــربى منــى واجلسى
بالحبــر والقـــرطاس
لـــدى فى قلبـــى أشـــياء
أشـتقت طـــويلا كى أقولها لك

٢ ــ قيمة النصيحة :

وخذى منى هذا الحرز الذى أعطيه لك
وأربطيــه جيـــدا عــلى حبـل
واعتبريه شـــيئا ثمينـــا
وعامليـــه بعنـــاية
ودعينى أصـــنع لــك عقـدا
من اللـــؤلؤ والمرجـــان
دعنى أزينك كامــرأة ذات شـأن
عندما نضع الحــلى عــلى رقبتك

٣ ــ النصيحة الاولى :

بعد ذلك تبدأ السيدة كوبونا نصيحتها الاولى وهى التمسك بالدين وحسن الخلق والصـــدق تقـــول :

فى المقام الأول تمسكى بالـــدين
لا تهمـــلى أداء الفـــروض

٥

والسنة ما أمكنك ذلك
وأدى ما عليك من واجب
والثانية كونى حسنة الأدب ...
ولسانك يجب ان يكون ثاقب الرأى
حتى تصيرى محبوبة
فى أى مكان تدخلين

* * *

والثانية كونى صادقة
ما عليك قومى به مهما شق عليك
الرجل الذى لايتمسك بالخلق
لاتتبعيه فى طريق

٤ ـ وعن معاملة العلية من القوم :

وعلاوة على ذلك ياطفلتى كيف تتصرفين
أمام ذوى الرتبة من الناس
عندما ما ترينهم فى مكان
اسرعى فى تحيتهم

* * *

عندما يدخلون قفى
وليفرح قلبك
ثم قوديهم الى الامام
عندما يرغبون فى الذهاب
اجعلى نفسك متحفظة
ولا تقولى نكتا سليطة
مما يكرهه الناس

* * *

تحدثى معهم بسرور
فيما يجلب لهم الفرح
واذا كانت الكلمات غير مريحة
فمن الخير السكوت
ولاتذكرى أراء غريبة
فى الأشياء التى لا تدرك بسهولة
الثرثرة وكثرة الكلام
ستكون على حسابك

٥ ـ وعن معاملة العبيد تقول :

لاتجتمعى مع العبيد
فيما عدا ما يختص بادارة المنزل
سوف يجرونك الى العار
هذا ما أقوله لك بالتأكيد

٦ ـ وعن معاملة الاغنياء تقول :

لا شأن لك بالاغنياء
الذين لا يعرفون التحكم فى أنفسهم
وايضا غير المتواضعين منهم
تجنبى أية علاقة بهم

٧ ـ اما عن معاملة الزوج فهى تحتل جزءا كبيرا من المنظومة من ذلك قولها :

أمى الصغيرة استمعى الى هذه النصيحة
توجد خمس نعم
بها يجلب المرء لنفسه السلام
فى الحياة الأخرى وفى الدنيا

* * *

محبة الله ونبيه

احتـــرام الأب والأم جيـــدا
والخامســـــة زوجـــك
تأكـــدى من هـــذا جيـــدا

* * *

عيشى معـــه بالأدب ......
ولا تضـــطريه الى الغضـــب
واذا زجـــــرك ......
لا تردى تحكمى فى لســـانك
احفظى الايمـــان معـــه
عنـــدما يرغب لا تنسـحبى
لا تتنـــازعا معـــا ......
الخـــلاف دائمـــا يضـــر

ثم تمضى السـيدة « كوبوتا » فتقـدم لها النصائح الواحدة تلو الأخرى ولا تترك صغيرة ولا كبيرة الا نبهتها اليها ، فالرجل كما تقول لها كالطفل ويجب أن تعامله على هذا الاساس ومن بين ما قالت .

* * *

افـرحى عنـدما يكـون فرحا
لا تعتـرضى عـلى أوامـره
اذا سـبب لـك ألمـا
اللـه سـيحميك

ثم نصحتها بالعناية بنفسها وزينتها وتوجهها الى خير السبل للعناية بمنزلها وما يجب أن تفعله للمحافظـة عليـه ، وتضرب لها مثلا بنفسها وكيف كانت تعامل زوجها حتى مـات راضيا عنها ، وتختم منظومتها بالدعاء لنفسها ولابنتها وللمسلمين وهذه المنظومة تذكرنابوصية « امامة بنت الحارث » لابنتها أم اياس بنت عوف بن محلم الشيبانى ، عنـد زواجهـا فالوصيتان متشابهتان فى كثير مما جاء بهما ، ولكن منظومة السـيدة كوبوتا أكثر تفصـيلا وشمولا كما أنها تحتوى على كثير من مبادىء الاخلاق الاسلامية ، لان الاولى قالتها أمامه فى العصر الجاهلى أما الثانية فقد نظمتها «كوبونا» فى ظل مبادىء الاسلام كما أنها بالشعر وليست بالنثر كالوصية الاولى .. ويلفت نظـرنا فى الوصيتين طريقة البدء التى تهيىء نفس ابنتها لتقبلها والاستجابة لها فتذكرها بمرضها وأنها على وشك الموت وهى لا تريد أن تموت قبـل أن تترك لها وصية تنفعها فى حياتها ، أو تتزين بها كالعقد الثمين أو هى لها بمثابة الحرز الشاق كما يلفت نظرنا فى هذه الوصية أيضا ما جـاء بها من صور بديعة توضح مدى ما عليه السيدة كوبونا من خبرة بالحياة ، ومـدى ما عليه من ثقافة وعلم وأدب وتدين .

وعلى أى حال فهذه المنظومة الرائعـة تبين بجلاء مدى ما وصلت اليه الحضارة السواحيلية من تقدم وازدهار ، ومدى ما بلغته اللغة الســواحيلية والأدب السواحيلى من قوة وقدرة على التعبير .

دكتور عبد الله نجيب محمد

أبو حيان التوحيدي

وحديث عن مؤلفاته

... وكما أغرى أبو حيان بما سمع عن ابنى العميد ، أغرى وأغرم بما سمع عن الصاحب بن عباد ، فرحل اليه ، يحدوه أمل عريض فى أن يقيله من « حرفة » النسخ والوراقة التى تقضى على البصر ، وتأتى على العمر (١) ، ولكنه آب بخفى حنين ، وفارقه سنة ٣٧٠ هـ صفر اليدين وقد عرضنا لك أطرافا من لقائه بالصاحب ، وبعضا من محاوراته ، وأن الكراهية بين الرجلين بدأت من أول لقاء ، وحول ذلك كثرت التفاسير ، وتعددت الآراء (٢) .

واذ يئس صاحبنا من رفد الصاحب الذى أمله ، كتب الى صديقه « أبى الوفاء المهندس (٣) » يقول :

« خلصنى أيها الرجل من التكفف ، أنقذنى من لبس الفقر ، أطلقنى من قيد الضر ، اشترنى بالاحسان ، اعتبدنى بالشكر ، استعمل لسانى بفنون المدح ، اكفنى مؤونة الغداء والعشاء ، الى متى الكسيرة اليابسة ، والبقلة الذاوية ، والقميص المرقع ؟ الى متى التأدم بالخبز والزيتون ، قد — والله — بح الحلق ، وتغير الخلق ، الله الله فى أمرى » (٣) . فاستجاب له هذا الصديق ، ورعى عهده وقدمه الى الوزير « ابن سعدان » (٤) .

وهذه الاتصالات على اختلافها فى اسعاده

---

١ — ١/١٣ ، ٢٨ معجم الادباء

٢ — ٦/١٨٦ معجم الادباء ، ١١/٣١٥ البداية والنهاية ، ٢/١٣٣ النثر الفنى ، ص ٢٣ من أبو حيان للكيلانى .

٢ — محمد بن محمد بن يحيى أبى العباس مولده ببوزجان من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨ هـ قرأ على جملة من العلماء ما كان من العدديات والحسابيات والهندسة والفلك ، وله مؤلفات ق فنون مختلفة — رحل الى العراق سنة ٣٤٨ ومات سنة ٣٨٨ — ٣٩٤ الفهرست ٢٨٧ ، ٢٨٨ تاريخ الحكماء

٣ — ٢/٢٢٦ : ٢٣٠ الامتاع والمؤانسة

٤ — أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، كان وزيرا لصمصام الدولة بن عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢ الى سنة ٣٧٥ هـ اذ تآمر عليه ابن يوسف حتى سجن ، ثم قتل ليتولى هو الوزارة بعده — ص ٢١٧ أبو حيان لمحيى الدين نقلا عن بيست مقالة ، ص ٤٥ من كتاب « المقابسات » .

للدكتور حامد الخطيب

أو اشتقائه ، كان لها نتائج باهرة ، حيث سجل عن كل لقاء كتابا ممتعا ، وفكرا رائعا .

فنتيجة لاتصاله الشمولى بالوراقة ، والنسخ والكتابة ، ومن مجالساته المختلفة نتج سفره الضخم « البصائر والذخائر » ، وبقى لنا منه ، أو فى أيدينا الآن منه سبعة أجزاء كبار ، وكل ما فيه يدل على ثقافة موسوعية ،ووعى بماضى تراث أمته وحاضره وقد قال هو عن هذا الكتاب :

« عند تصفح ما تضمن هذا الكتاب ، فانك مع النشاط والحرص ، ستشرف على رياض الأدب ، وقرائح العقول ، من لفظ مصون ، وكلام شريف ، ونثر مقبول ، ونظم لطيف ، ومثل سائر ، وبلاغة مختارة ، وخطبة محبرة ، وأدب حلو ، ومسألة دقيقة ، وجواب حاضر ، ومعارضة واقعة ، ودليل صائب ، وموعظة حسنة ، وحجة بليغة ، وفقرة مكنونة ، ولمعة ثاقبة ، ونصيحة كافية ، واقناع مؤنس ، ونادرة ملهية ، وعقل ملقح ، وقول منقح ، وهزل شيب بجد ، وجد عجن بهزل ، ورأى استنبط بعناية ، وأمر بيت بليل ، وسركتم على الزهد ، وحجة استخلصت من شوائب الشبه وشبهة أنشئت من فرط جهالة ، وبلادة طباع رويت بلسان عى ولفظ مرذول عن صدر حرج ، وفؤاد عبام (١)، جمعت ذلك كله فى هذه المدة الطويلة ، مع الشهوة التامة ، والحرص المتضاعف ، والدأب الشديد ، ولقاء الناس ، وفلى البلاد » (٢) ومن بعد ذلك يفصح عن مصادره التى استقى منها ، وفى مقدمتها يذكر « القرآن الكريم » و « الحديث الشريف » .

وعن الاتصال الشمولى أيضا والتجوال والحوار ، وضع كتابه «المقابسات» ، ومضمون الكتاب يؤكد المامه بالاتجاهات الفلسفية ، والالهيات والطبيعيات ، وغير ذلك مما تزاحم فى عصره من علوم وفنون ، حتى ليعد الكتاب « أقوم كتبه التى حفلت بمسائل الفلسفة والاجتماع ، وأدقها تصويرا لما كانت تعج به بغداد من البحوث المتنوعة » (٣) وقد أفصح هو عن سبب تأليفه ، فقال :

« واعلم أن الغرض كله من وضع هذا الكتاب وجميع ما أثبت عن هؤلاء الشيوخ ، انما هو ايقاظ النفس ، وتأييد العقل ، واصلاح المسيرة واعتياد الحسنة ، ومجانبة السيئة » (٤) .

ويذكر التوحيدى أنه حين كان فى مدينة

---

١ ـ العيى الثقيل .
٢ ـ ١ ، ٣ ، ٤ البصائر والذخائر
٣ ـ ١/٤ ! ٨ البصائر ، ١٣٨/٢ النثر الفنى
٤ ـ ص ٢٠٩ المقابسات

أبو حيان التوحيدى

السلام « بغداد » سمع منه كلام فى الصداقة والعشرة ، والمؤاخاة والألفة ، وما يلحق بذلك من الرعاية والحفاظ ، وسئل أن يقيد ذلك فاستجاب ، لكنه أغفل عما دَوّن حتى عام ٣٧١هـ اذ ذكر شيئا من ذلك « لزيد بن رفاعة » (١) الذى نماه الى ابن سعدان قبل تحمله الوزارة ، فأبدى ابن سعدان رغبة فى أن يدون التوحيدى ذلك ، فجمع من ثم كتابه « الصداقة والصديق » (٢) ولكن هذا الكتاب لم يأخذ سمته الذى هو عليه الآن الا فى رجب سنة ٤٠٠ هـ حين عثر على المسودة وبيضها (٣) •

فالبداية كانت حديث مشافهة ، ثم دونه بعد أن استحسن ورغبه فى ذلك الوزير ابن سعدان، ويفصح عن حالته حين كتبه ، أو حين كتب بعضه ، فيقول :

« ومن العجيب والبديع أنا كتبنا هذه الكلمات والحروف على ما فى النفس من الحرق والأسف ، والحسرة والغيظ ، والكمد والومد » (٤) ، ويفصح أيضا عن مضمونه فيقول :

« قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ، وما يتصل بالوفاق والخلاف ، والهجر والصلة والعتب والرضا ، والمذق والاخلاص ، والرثاء والنفاق ، والحيلة والخداع ، والاستقامة والالتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار »(٥) •

ومن ثم جاء الكتاب مرآة صادقة ، يمثل أفكار أربعة قرون فى هذا النوع الصغير من الأدب ، ويعالج الظاهرة الاجتماعية تلك ، بمعيار نفسى فلسفى (٦) • وبعد أن كتب التوحيدى الى صديقه « أبى الوفاء المهندس » ليخلصه من وهدته ، قدمه هذا ــ كما سلف ــ الى « ابن سعدان » ، فسامره أكثر من ثلاثين ليلة ، ولما أطلع أبو الوفاء على تلك المسامرات، ذكره بما قدمه له من أياد ، وسأله أن يدون تلك المسامرات الطريفة ، فجاء كتابه الممتع «الامتاع والمؤانسة » (٧) وكان مما قاله ابن سعدان :

« انك تعلم يا أباحيان أنك انكفأت من الرى الى بغداد فى آخر سنة ٤٧٠ هـ بعد فوت مأمولك من ذى الكفايتين ، عابسا على ابن عباد ، مغيظا منه ، مقروح الكبد لما نالك من الحرمان ، فأرعيتك بصرى ، ووعدتك صلاح الحال ، بأن أخطب لك قبول ابن سعدان ، أفكان من حقى عليك أنك تخلو بالوزير ليالى متتابعة فتحدثه بما تحب ويريد ؟ ••• وبعد ، هذا فراق بينى وبينك ، الا أن تُطْلِعَنِى طَلْعَ جميع ما تحاورتما وتجاذبتما هدب الحديث عليه » (٨) فلبى

---

٥ ــ انظر ٩ ، ١٠ من الصداقة والصديق

٢ ــ ١٥/٦ معجم الادباء ، وص ٦، ١٠ من الصداقة والصديق

٣ ــ ١٥/٧ معجم الادباء

(٤) ــ ص ٨ الصداقة والصديق ، والكمد : الحزن الشديد ، والومد : شدة الحر مع سكون الريح

(٥) ــ ٢٠١ ، ٢٠٢ الصداقة والصديق

(٦) ــ ٢/٥٢٧ ، ٥٢٨ أمراء البيان

(٧) ــ ص ٧٩٢ تراث الانسانية ،

(٨) ــ ١/٣ : ١٠ الامتاع والمؤانسة •

أبو حيان قائلا : « أنا سامع مطيع ، وخـادم شكور » (٢) ، لكنه طلب ألا يكتب على البديهة فأجابه الوزير ، ومضى التوحيـدى يسترجع ليالى المسامرة ، حتى سجل الامتاع فى ثلاثـة أجزاء • وهو كتاب يصور على الطبيعة كـل مناحى الحياة ، وقد كانت المسامرة تبدأ بسؤال من الوزير ، ثم ينطلق التوحيدى مجيبا ، وكل مسامرة كانت تنتهى بطرفة وداع •

• • •

وعود التوحيدى من لدن ابنى العميـد والصاحب بالخيبة ، كانت أجدى على الأدب من كل جدوى ، فهو من خلال قربه واحتكاكه بهم ، ومحاوراته الصاخبة مع الصـاحب نتج كتابه اللاذع « أخلاق الوزيرين » •

ولئن أبداه هذا الكتاب أهجى وأفحش مـن ابن الرومى بين الشـعراء ، ومـن شـعراء النقائض » (١) لقد أبان عن قلم ينسج مـن الحروف أروع ما عرفه النثر العربى من آيات البيان على مداه الطويل ، وكشف عن أبرع أديب ملهم متمرس مفطور ، يعبر عن النفس وأعماقها فى يسر وسمو بيان • وهذه التحفة « أخلاق الوزيرين » أو « مثالب الوزيرين » أكثره مسلط على الصاحب بن عباد ، وباقيـه موجه الى ثلب ابنى العميد ، وقد كشف عـن أسباب حنقه ، فقال :

انى رجل مظلوم من جهته ، وعاتب عليه فى معاملتى ، وشديد الغيظ لحرمانى ••• علـى أنى عملت رسالة فى أخلاقه وأخلاق ابن العميد أَبْ دَعْتُهَـا نَفَسِى الغـزير ، ولفظى الطـويل والقصير ، وهى فى المسودة ، ولا جسارة لى على تحريرها فان جانبه مهيب ، ولمكره دبيب وقد قال الشاعر :

الى أن يغيب المرء يـرجى ويتقى
ولا يعلم الانسان ما فى المغيب (٢)

وقد مر فى ثنايا كلامنا طرف مما برر بـه هجاؤه وثلبه للصاحب ، وكذلك ابنى العميد • وجمع رحم العلم بين التوحيدى و « ابـن مسكويه » خازن مكتبة ابن العميد ، ومكتبـة عضد الدولة البويهى ، وفى هذه الفترة توجه أبو حيان بعديد من الأسئلة العلمية المختلفـة الى صديقه ابن مسكويه ، صاحب الفلسفـة الأخلاقية ، وسميت الأسئلة « الهـوامل » ، وأجاب عنها ابن مسكويه ، تارة باسـهاب ، وأخرى باقتضاب ، وسميت « الشوامل » ومن تلك المحصلة التى بلغت مائة وخمسا وخمسين مسألة ، جمع صاحبنا « الهوامل والشوامل »•

وهذه المسائل التى تضمنها الكتاب تتفـرع منها مساءلات أدبية ، ولغوية وفلسفيـة وأخلاقية

وقد أثبت التوحيدى من خلال أسئلته انه استطاع رَبْط التفلسف بالتساؤل ، فجعل من الفلسفة نزعة تساؤلية ، تتولد عن الدهشـة ، وتقترن بالحيرة ، ولا تكاد تنفصل عن القلق ، فكان بحق فيلسـوف التسـاؤل » (٣) وأديب

١ ـ ٢/١٧٧ النثر الفنى ، ١٩٦ أبو حيـان لمحيى الدين
٢ ـ ١/٥٣،٥٤ الامتاع والمؤانسة •
٣ ـ مقدمة الهوامل والشوامل ، ٧٧١ عصر الدول د/شوقى ضيف

أبوحيان التوحيدى

المتسائلين • ويدلك ابن مسكويه على بساطته وعمق أبى حيان بقوله : « ارفق بنا أبا حيان — رفق الله بك — وأرخ من خناقنا ، وأسعفنا ريقنا ، ودعنا وما نعرفه من أنفسنا من النقص ، فانه عظيم •• ، ولا تبكتنا بجهل ما علمناه ، وفوت ما أدركناه (١) • وكان ابن مسكويه فطنا ذكيا ، لكنه — على مايبدو — كان كثير التقصير ، قليل التحصيل ولذا قال التوحيدى حين سئل عنه :

أنه « فقير بين أغنياء ، وعَيِيٌّ بين أَبْيِنَاء •• ولقد قطن العامرى •

[فيلسوف ومن أعلام عصره]•

الرى خمس سنين جُمْعَةً ، ودَرَسَ وَأَمْلَى ، وصنف وروى ، فما أخذ عنه مسكويه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه بينه وبينه سد » (٢) •

واذا كانت هذه الكتب التى ذكرت قد وضعها نتيجة اتصالاته وتطوافه ،ونتيجة اثارة أو استجابة لرغبة صديق ، ففى معتقدنا أن كتابه «الاشارات الالهية» « قد جاء بعد أن حلب من الزمن شطريه ، وذاق منه أفاويق الحلاوة والمرارة ، ألفه بعد أن آثر التقرب الى ربه ، ونفض يديه من طلب بهرج الحياة ، والكتاب ناطق بنضج فكره ، وقوة تعبيره وايحائه ولعله لم يبلغ فى كتاب من كتبه الأخرى ما بلغه فى هذا الكتاب سموا وحرارة ، وموسيقى ، وتمكنا من الأداء (٢) هذا مع الالحاح فى المناجيات والاغراق فى نشوة التجليات ، انه « كتاب غنى بما فيه من منهج فى المناجاة ، لا نكاد نجد له نظيرا قبل التوحيدى ، وبهذا يمكن أن يعد رائد نوعه ، والنموذج الأول لكتب المناجيات التى سنراها من بعد فى الأدب الصوفى » (٣) بوجه عام• وأكثر قصد التوحيدى ومراده فى الكتاب موجه الى تلاميذه ، وبخاصة المتصوفون منهم يدعوهم الى تهذيب النفوس ، وتعليتها بما يزيدها عرفا بالله ، « وليس فى الكتاب تصريح أو تعريض بأحد من الناس ، بل يبدو أبو حيان وكأنه يقف فى نقطة متوسطة مادا يده الى شخص مثله ، أو أدنى منه لينتشله مما ألم به من حيرة »(٤) وما اكتنف حياته من ويلات •

ولقد ربط الدكتور عبد الرحمن بدوى هذه المناجيات فى تقديمه للكتاب بمزامير داود ، وكان الأولى أن يربطها بنظائرها مما جاء فى المصادر الاسلامية • وسلف أن سقنا لك نموذجا من مناجياته ، ونحب أن نزودك بآخر يقول فيه :

« ••• ياهذا : ارفق قليلا ، والحق معنى جليلا : احتجب عن الجهل بالحلم ، وغض عن الفهم بالوهم ، وانثر الذكر بالفكر ،واطلب المزيد بالشكر ، وأخف المكر فى الأمر ، وافرج الصحو بالسكر ،وألف ما بين العذل والعذر وشرف القول بالفعل ، وتردد بين الفصل والوصل ، ثم رق على الكل فى الكل ، فان محقق الكل فوق الكل •

---

١ — الهوامل والشوامل
٢ — ١/٣٥،٣٦ الامتاع والمؤانسة •
٣ — مقدمة الاشارات الالهية د/عبد الرحمن بدوى
٤ — ١/١٢ الاشارات الالهية تحقيق دكتورة وداد القاضى •

أتدرى ما الذى وجدت فيما وجدت ممن أوجد كل واجد ما وجد ؟ وجدت الجملة العويصة على الجمهور هى التفصيل المشكل على الافراد ، والحال المفروضة بالكمال هى النهاية المنقوضة بالتحقيق عند الخواص ، فأنا عند العيان قائم مع البهت ، وعند الخبر واقف مع التهمة .. فأنا كما قال بعض العارفين :

عرفت الحب لما صار كلى
يدانى كله صبا عميدا
أشرت اليه من أمم لأنى
أمنت من الهوى فيه صدودا
فتهت به عليه اذ حبانى
بمعناه ، وصرت به وحيدا
انست به لبعد الخلق منى
فقد أصبحت موجودا فقيدا
معادى أنت فى وهمى وحسى
بأن أصبحت مبدئى المعيدا
وقالوا : قد وصلت ، فقلت قولا
أكون به غويا أو رشيدا
ظننتم أننى أدركت معنى
وأنى يدرك العدم الوجودا

ياهذا : هذا لسان التصوف ، والتصوف اسم يجمع أنواعا من الاشارة ، وضروبا من العبارة ، « وجملته التذلل للحق بالتعزز على الخلق » (١) هذا ، ولأبى حيان رسائل مختلفة فى فنون متعددة ، مثل رسالته فى فن الكتابة التى عرضنا لشىء منها سابقا ، وله غيرها أيضا .

تلك هى مؤلفاته الباقية ، أو التى هى بين أيدينا ، أما مؤلفاته التى لم يرد سوى ذكرها فقد أورد ياقوت الحموى ، وابن خلكان ، والصفدى ، وحاجى خليفة ، وغيرهم أوردوا له عددا مهولا منها ، نذكر منه :

١ ــ الحج العقلى اذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعى ، وهو الكتاب الذى قيل : انه أغضب عليه الوزير المهلبى ، حتى استتر منه ، ومات الوزير وهو فى الاستتار .

٢ ــ كتاب الرد على ابن جنى فى شعر المتنبى ، وهو الكتاب الذى به تنفى عنه شبهة تعصبه على الصاحب بن عباد ، لأن ابن جنى من محبى المتنبى والمتعصبين له ومادحيه ، وابن عباد من مبغضيه ومترصدى هفواته ، فلو كان أبو حيان ممن يتقول ويكذب ، لكان فى صف ابن جنى ضد من حرمه وهو ابن عباد ، فآية عدالته أن يقف فى صف شانئه ومعاديه .

٣ ــ كتاب تقريظ الجاحظ ، وقد نقل ياقوت جملة من نصوصه .

٤ ــ كتاب المحاضرات والمناظرات . ونقل ياقوت كثيرا منه أيضا .

٥ ــ كتاب الزلفة ، وقد نقل منه أبو شجاع قطوفا فى ذيل تجارب الأمم .

٦ ــ كتاب التذكرة التوحيدية ، وقد نقل منه طرفا صاحب غرر الخصائص الواضحة . وذكر منه المستشرق « مرجليوث » المجلد الثالث (١) ، مما يوحى بضخامة الكتاب وأهميته .

نتاجه الأدبى وتكوينه الفكرى

ومن هذه الكتب الباقية بين أيدينا ، ومما

١ ــ الاشارات الالهية ص ١١٢ تحقيق د/عبد الرحمن بدوى ، ص ١١٢،١١٣ تحقيق د/ وداد القاضى

١ ــ دائرة المعارف الاسلامية مادة « واحد »

أبوحيان التوحيدى

نقلته المصادر من كتبه التى أحرقها ، أو التى لم تزل فى طى الكتمان ، من هذا المتاح استقينا أفكاره وأدبه وعرفنا اتجاهه وآراءه ، وأمكن من خلالها معرفة أطوار تكوينه الفكرى ونتاجه الأدبى ، ورجح لدينا أنه مر بثلاثة أطوار .

الطور الأول : هو ما كان فيه معجبا بالجاحظ وكلامه ، حتى قال عنه : « ... وكتبه هى الدر النثير ، والنور المطير ، وكلامه الخمر الصرف ، والسحر الحلال ، وان رأيت ما رأيت رجلا أسبق منه فى ميدان البيان .. اذا جاء بيانه خجل وجه البليغ المشهور ، ومتى رأيت ديباجة كلامه رأيت حوكا كثير الوشى ، قليل الصنعة ، بعيد التكلف ، حلو المجنى ، فسبحان من سخر له البيان وعلمه » (١) .

ومن ثم رأيته يجرى على سننه فى كتابه « البصائر والذخائر » حيث لاتبويب ولا ترتيب ، ولا تصنيف لمعلومات .

الطور الثانى : وقد كان أرقى من سابقه ، سواء فى التنظيم وتناول الموضوعات ، أم فى سمو الفكرة ودقة التعبير عنها ، وبخاصة ما كان يعرض له من نقد الأعمال العلمية المختلفة ، وكذلك نقد الرجال ، وأوضح ما يكون ذلك فى « الامتاع والمؤانسة » و « أخلاق الوزيرين » و « المقايسات » .

الطور الثالث : وهو ما تتمثل فيه انابته وتقربه ، وخشوعه وخضوعه ، وقد ضمن كل ذلك كتابه « الاشارات الالهية » ؛ رجحنا ذلك من حيث انه بلغ فيه قمة الزهد والصفاء الروحى ، والتطهر الداخلى ، وفيه يتضح مدى هروبه من زخرف الحياة ، ولياذه بساح المخبتين .

أضف أنه « لم يسبق أن بلغ باسلوبه تلك الدرجة التى بلغها فى الاشارات ، سموا ، وحرارة ، وموسيقى ، وتمكنا من الأداء ، .. والموضوع هنا يهب الأسلوب بطبعه أجنحة وردية ، ترف فى نور الايمان المتقد ، كما أن نضوج الأسلوب بهذا المستوى يكشف عن تأخر العهد ، ويعبر عن نفس دلفت الى الايمان المستسلم ، بعد أن عانت من تجارب الحياة أهوالا طوالا » (٢) .

وأكبر ذلك دليلا على تأخر تأليف الكتاب ، وعلى أنه كان فى أواخر عمره ، قوله : « أنا نطقت بهذه الألغاز بعد تسعين سنة ، وقد تحطمت قناتى ، وتكمشت شواتى (٣) ، وتفللت صفاتى (٤) ، واضمحلت صفاتى ، وبليت لحمتى وسداتى ، وفقدت شهواتى ولذاتى ، ومنيت بموت أحبتى ولداتى » (٥)

والذى لا ريب فيه ، أن ذلك الفيض من النتاج ، هذا السمو فى التصوير والتعبير ، يقتضى أن يوازن بينه وبين نظرائه ، حتى تتضح ميزته على غيره ، أو ميزة غيره عليه ، وقد يقتضى تقسيم أدبه ونتاجه الى موضوعات ، وذلك من واقع أعماله ، واتجاهات أفكاره.

يتبع

١ ـ ١/٦٦ ، ٢/٢٧٩ الامتاع والمؤانسة .
٢ ـ مقدمة الاشارات د/عبد الرحمن بدوى
٣ ـ الشواة : جلدة الرأس
٤ ـ الصفاة : الصخرة ـ يكنى بها عن تحطم قوته .
٥ ـ ٢٢٦ الاشارات الالهية .

الغفران وتوظيف التراث

للأستاذ السيد حسن قرون

ما المراد بتوظيف التراث ؟
وكيف يكون التوظيف ؟
وهل يعتبر القائم به مبتكرا ؟
وما موقف النقاد منه ؟

أسئلة تدور فى خلدى كلما تناولت « رسالة الغفران » لفيلسوف الأدب العربى « أبى العلاء المعرى » .

المولود «بمعرة النعمان» بسورية سنة ٣٦٣ هـ والمتوفى بها سنة ٤٤٩ هـ بعد أن ألف الكتب والرسائل وقرض الشعر مجموعا فى ديوانين ، مازالا فى يد عشاق الأدب هما « سقط الزند » و « لزوم ما لا يلزم » .

وفى نهاية شبابه قام برحلة زار فيها بغداد ليعرض علمه وثقافته على المجتمع البغدادى فخاب أمله باهانته فى مجلس « الشريف المرتضى » كبير العلويين فى ذلك الزمان ، فرجع ليحبس نفسه فى داره فلا يغادرها ويسمى « رهين المحبسين » الدار والعمى ، فقد كف بصره فى الثالثة من عمره على أثر جدرى أصيب به .

وهو من أسرة عربية عريقة لها مجدها فى القضاء والوظائف الادارية ومات والده وهو فى الحادية عشرة من عمره ، فرثاه وهو فى تلك السن الصغيرة .

وعاش أبو العلاء المعرى على ما ورثه من أبيه وأمه وهو غير قليل على عكس ما تقول الرواية العربية ، وكان له تلاميذ كثيرون يتلقون عنه ويأخذون منه .. والأسئلة التى صدرناها فى أول المقال ستأتى الاجابة عنها أثناء عرضنا لصنيعه فى « رسالة الغفران » ففى تلك الرسالة وظف التراث العربى الذى درسه وعاش عمره الطويل يعالج لغته ونحوها وصرفها وبلاغتها وهو على علم بكل ما قال شعراؤها ونطق حكماؤها ، وطريقته فى التوظيف هنا أنه لا يأخذ الحدث ويصنفه من جديد على طريقة مؤلفى التاريخ الأدبى ، ولكنه يسلك به سبيل القصص مع استخدام الخيال وتسلسل المناظر ووضع الحبكة الفنية التى ننتظر حلا لها آخر الأمر .

٥

الغفران وتوظيف التراث

وقد هيأ له عصره هذا الأداء الفنى بظهور القصة القصيرة التى نسميها « المقامات » مثل مقامات « بديع الزمان الهمزانى » المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ومقامات الحريرى التى جاءت بعد ذلك وظهور القصة الطويلة مثل قصة « الانسان والحيوان أمام محكمة الجن » لاخوان الصفا ، و « التوابع والزوابع » لابن شهيد الأديب الأندلسى المتوفى سنة ٤٢٦ هـ ••• ويغلب على تلك القصص الطويلة أنها من نتاج المفكرين الاسلاميين ، ولم يشذ عن هذا الا ابن شهيد فقد كان أديبا من قمة رأسه الى أخمص قدمه•

وأبو العلاء يجمع بين الفلسفة والأدب ، ولئن وصفناه بالفلسفة أو الطابع الفكرى فى جل نتاجه فهو فى رسالة الغفران أديب وصاحب خيال ، وقد استمد نسيج قصته من موضوع التوبة والغفران وعالم الآخرة الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، واضعا نعيم الجنة فى أسلوب شائق رائق ، وعذاب النار فى أسلوب مروع مفزع •

وحين أخذ ابو العلاء المعرى فى تدبيج الغفران راعى ما حصله مما ذكرنا ولا سيما قصة الاسراء والمعرج ، وخلق بأدبه جنة ونارا ومنعمين ومعذبين من الناس والجن والحيوان أيضا وأرانا طوائف مختلفة من أوز وحيات وكلها تتكلم وتتحدث فى الأدب وغيره • ورسالة الغفران ليست كلها قصة ، انما القصة هى الجزء الأول منها ، لأن الرسالة كانت ردا على رسالة بعث بها اليه أديب حلب الشيخ « على بن منصور بن طالب » المعروف بابن القارح ، يذكر فيها أن اسمه ذكر فى مجلس أبى العلاء وقيل عنه : انه هجا « أبا القاسم المغربى » وفى الرسالة تناول ابن القارح قضايا عدة مثارة فى العالم الاسلامى وتحدث عن شئونه وشجونه وشكا وبكى من تنكر حلب حين رجع اليها بعد غياب طويل •

وابن القارح تلقى علومه على نابغى عصره فى حلب وبغداد ، فلما وثق بما نال من علم وأدب قصد الحواضر الاسلامية يتكسب بهذه المعارف والعلوم ، وأطال المكث فى القاهرة زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وكان مؤدب ولدى القائد « الحسين بن جوهر الصقلى » وطوف فى البلاد ، عرفته دمشق والموصل وبغداد وديار بكر •

قال ياقوت الحموى فى « معجم الأدباء » : انه ولد سنة ٣٥١ هـ وكان آخر العهد به فى تكريت سنة ٤٦١ هـ ولم يتزوج •ويؤخذ من رسالة الغفران أنه كان يكتب الرد على ابن القارح عام ٤٢٤ هـ ومعنى هذا أن ابن القارح قد نيف على السبعين من عمره فى ذلك الأوان• ومن ثم كان الجزء الثانى من الغفران يحتوى ردا موسعا على القضايا التى أثارها ابن القارح فى رسالة وتهوينا لما لقى من متاعب وأوجاع ، وان داعبه كما داعبه فى الجزء الأول القصصى •

ولندخل فى الجزء الأول وفى القصص ، ولابد للرواية من بطل ، والبطل فى « الغفران » هو ابن القارح فقد أدخله أبو العلاء الجنة بعد خطوب وخطوب ، وجعله محتفظا بما تلقى من أدب وعلم ، لأنه بمعونة آل البيت لم يطل مكثه بين أهوال الحشر ، وان ذاق منه مايشيب لهوله الولدان ــ حسب التعبير الدنيوى ــ ومن ثم لم يضع منه محصوله العلمى ولا محفوظه الأدبى •

وعلى ذلك ساربه فى الجنة يقابل الشعراء والنحاة ، ويعقد المجالس ، ويتناول ما لذ وطاب مما لم يخطر على قلب بشر ، ويقوم بنزهة فى الجنة ويزور جنة الجن ، ويحب أن يرى بعض الناس فى الجحيم فينال ما قصد ، وهو فى كل مجال لا يكف عن السؤال والحوار •

تقول القصة (١) : ثم انه — أدام الله تمكينه — « الحديث عن ابن القارح » يخطر له حديث شىء كان يسمى النزهة فى الدار الفانية فيركب نجيبا من نجب الجنة خلق من ياقوت ودر فى سجسج بعد عن الحر والقر ، ومعه اناء وفيهج (٢) ، فيسير فى الجنة على غير منهج ، ومعه شىء من طعام الخلود ذخر لوالد سعد أو مولود ، فلما رأى المناظر الخلابة وأنواع الأشجار والأزهار اليانعة رفع صوته متمثلا بقول الأعشى :

ليت شعرى متى تخب بنا النا
قة نحو العذيب فالصيبون ؟
محقبا زكرة وخبز رقاق
وحباقا وقطعة من نون

« العذيب والصيبون » مكانان للنزهة ، ومحقبا معلقا ، وزكرة وعاء من جلد للخمر ، وحباقا نبتا طيب الرائحة ، والنون الحوت • والمعنى يتمنى الشاعر الذى هو الأعشى فى دنياه أن تسرع به ناقته الى هذين المكانين معه أدوات النزهة من خمر وخبز رقاق ونبت ذى رائحة ذكية وبعض لحم الحوت ليقضى وقتا ممتعا •

وحين يرن صوت ابن القارح بهذا الشعر بين المروج والشجر يهتف هاتف : أيها العبد المغفور له لمن هذا الشعر ؟ فيقول ابن القارح : حدثنا (٣) أهل ثقتنا عن أهل ثقتهم يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى يصلوه بأبى عمرو بن العلاء ، فيرويه عن شيوخ العرب حرشة الضباب وجناة الكمأة أن هذا الشعر « لميمون ابن قيس بن جندل أخى بنى ربيعة بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على ابن بكر بن وائل » فيقول الهاتف : أنا ذلك الرجل من الله على بعد ما صرت من جهنم على شفير ، وسئمت من المغفرة والتكفير ، فيلتفت اليه الشيخ هاشاباشا مرتاحا ، فاذا هو بشاب جميل ، قدم متامة فى الظل الظليل ، وقد صار عشاه حورا ، ونقوس ظهره قواما معتدلا • يقول له ابن القارح : كيف كان خلاصك من النار وسلامتك من قبْيح الشنار ؟

يشير الى ولعه بالخمر » فيقول : سحبتنى الزبانية الى سقر ، فرأيت رجلا فى عرصات القيامة يتلألأ وجهه تلالؤ القمر والناس يهتفون به من كل أوب : يامحمد ، يامحمد ، الشفاعة الشفاعة ، نمت بكذا ونمت بكذا ، فصرخت فى أيدى الزبانية : يا محمد أغثنى ، فان لى بك حرمة • فقال : يا على ، بادره فانظر ما حرمته ؟ فجاءنى على ابن أبى طالب وأنا أعتل كى ألقى فى الدرك الأسفل من النار ، فزجرهم عنى • وقال : ما حرمتك ؟ فقلت : أنا القائل : (وذكر شعرا منه) :

ألا أيهذا السائلى أين يممت
فان لها فى أهل يثرب موعدا

(١) نختار بعض الحوادث لطول بالا فى ابن القارح •

(٢) مكيال الخمر •

(٣) صورة من طرق الرواية •

فآليت لا أرثى لهـــا مــن كلالة
ولا من حفى حتى تــلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشـم
تراحى وتلقى من فضــائله نــدى
نبى يــرى مـــا لا ترون وذكـره
أغار (١) لعمرى فى البلاد وأنجدا

وينشد شعرا آخر فيه معالم الايمان •

فذهب على الى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، هذا أعشى قيس ، قد روى مدحه فيك ، وشهد أنك نبى مرسل ، فقال : هلا جاءنى فى الدار السابقة ؟ فقال على :قد جاء ولكن صدته قريش وحبه للخمر ، فشفع لى فأدخلت الجنة على ألا أشرب فيها خمرا ، فقرت عيناى بذلك وان لى منادح فى العسل وماء الحيوان ، وكذلك من لم يتب من الخمر فى الدار الساخرة لـم يسقها فى الآخرة •

لقد استطاع أبو العلاء أن يدخل فى قصصه حكاية الأعشى متخيلا أنه يدخل الجنة ويلتقى بابن القارح الجذلان الذى يرفع صوته بشعره أثناء النزهة ويكون الهتاف والسؤال عن القائل، والسائل هــو القائل ، ويتعارفان ، ويتعجب كيف دخل الجنة ؟ ويقص الأعشى نجاته مــن النار بعد أن أشرف على سقر •

وفى القصص حوار وتشــويق وانتظار لما كان ، وفقه يتصل بحكم شارب الخمر • هنا أدخل أبو العلاء الأعشى الجنة •

أما فى الجزء الثانى عند الرد على ابن القارح فقد حكم بكفره لأنه لم يؤمن ولم يرحل الى النبى — ﷺ —

وقد صنع هذا الصنيع مع « عبيـد بـن الأبرص » وعبيد شاعر جاهلى عــاصر امــرأ القيس الكندى وله معه خطوب ، عمر عبيـد طويلا حتى قتله المنذر ابن ماء السـماء حين ورد عليه فى يوم بؤسه • وأبو العلاء يتصرف مع ابن القارح فى شأنه هكذا :

ثم ينصرف الى « عبيد » فاذا هو قد أعطى بقاء التأبيد • فيقول : السلام عليك يا أخــا بنى أسد ، فيقول : وعليك الســـلام ، وأهل الجنة أذكياء لا يخالطهم الأغبياء : لعلك تريد أن تسألنى : بم غفر لى ؟ فيقول : أجل ، وان فى ذلك لعجبا : أألفيت حكما للمغفرة موجبا ولم يكن عن الرحمة محجبا ؟ فيقول عبيــد : أخبرك أنى دخلت الهاوية ، وكنت قلت فى أيام الحياة الفانية :

من يســـأل الناس يحرموه
وســـائل اللـــه لا يخيب

وسار هذا البيت فى آفاق البلاد ، فلم يزل ينشد ويخف عنى العــذاب حتى أطلقت من القيود والأصفاد ، ثم كرر الى أن شــملتنى الرحمة ببركة ذلك البيت ، وان ربك لغفــور رحيم •

والتوظيف هنا هادف ولا ريب ، فقــراء العربية منذ عهد أبى العلاء الى اليــوم اذا وقع نظرهم الى ما سطر فى منزلة هذا البيت لا يسأمون التأمل فيه لا لخياله وبراعة لفظه ، وانما يرون فيه رسما بارزا ووصفا شــاهقا لعزة النفس ومطلب العفة ، والدعوة الى العمل

(١) أغار هنا بمعنى : غار التى معناها ضد أنجد ولا داعى للبحث الطويل فيها كما صنع أبو العلاء والشعر لشاعر جاهلى •

وكسب المعاش والاعتماد على الله ، فلا يركن الانسان الى سواه ، ولا يجعل غيره مسئولا ، فالخيبة فى سؤال الناس ، والظفر كل الظفر فى سؤال الله ، فمن يسأل ليعطى سائل ، ومن يتملق لينال مطالب النفس الأمارة بالسوء سائل ، ومن يقرض الشعر مادحا سائلا ، ومن ينم ليحظى سائل ، ومن يكتم الشهادة أو يزور سائل ، والسؤال مذلة وان كان تعريضا أو تلميحا • وأبو العلاء بهذا الطريق غير المباشر أدى حق الوعظ عليه ، وجلا معنى للبيت جديرا أن يلتفت اليه ، ويكون من المثل العليا لورثة قحطان وعدنان ومارسموا لأبنائهم من المثل العليا الى آخر الزمان ، وهذا البيت من الشعر الجاهلى لا يتجافى عن تعاليم الاسلام فالشاعر الاسلامى يقول :

الله يغضب أن تركت سؤاله

وبنى آدم حين يسأل يغضب

والقرآن الكريم يقول فى شأن الأعفاء **((لا يسألون الناس الحافا))** ٢٧٣ سورة البقرة

وشتان بين الموقفين ، وما أجمل حديث أبى العلاء عن بيت عبيد الذى بسببه نال النجاة والتخليد فى جنة أعدت للمتقين •

وأراد أن يمجد فضيلة الصدق وأن المرء يقول الصدق ولو على نفسه فكان صنيعه أن يدخل الحطيئة الجنة وهو رجل كان ينسب الى بنى عبس ويتكسب بالشعر ويكثر من الهجاء ، وأسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام حين أدب أبو بكر من ارتدوا عن الاسلام ، ثم حوكم فى عهد عمر لهجائه أحد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واسمه : « الزبرقان بن بدر » ثم عفا عنه عمر واشترى منه أعراض المسلمين •

وضعه أبو العلاء فى كوخ موقعه فى أقصى الجنة كأنه يبعده عن الناس ويبعد الناس منه تقول القصة والحديث مع ابن القارح ، فيذهب — عرفه الله الغبطة بكل سبيل — فاذا هو ببيت فى أقصى الجنة كأنه حفش ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بذلك • فيقول : ياعبد الله ، لقد رضيت بحقير قليل ، فيقول ، والله ما وصلت اليه الا بعد هياط ومياط « الهياط أشد السوق الى الورد ، والمياط أشده الى الصدر » « ويقال فى المثل هم فى هياط ومياط أى فى اضطراب ومجىء وذهاب » وعرق وشقاء وشفاعة من قريش وددت أنها لم تكن •• أنا « والحطيئة العبسى » فيقول : بم وصلت الى الشفاعة ؟ فيقول : بالصدق ، فيقول : فى أى شىء ؟ فيقول : فى قولى :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما

بهجر ، فما أدرى لمن أنا قائله ؟

أرى لى وجها قبح الله خلقه

فقبح من وجه وقبح حامله

والهجر القول الفاسد ، وواضح أنه يهجو نفسه ، فيقول ابن القارح ما بال قولك :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

لم يغفر لك به ؟ فيقول : سبقنى الى معناه الصالحون ، ونظمته ولم أعمل به فحرمت الأجر عليه ، فيقول : ما شأن « الزبرقان بن بدر » ؟ فيقول الحطيئة : هو رئيس فى الدنيا والآخرة ، انتفع بهجائى ولم ينتفع غيره بمديحى •

وقارىء هذا القصص تغلب عليه الابتسامة فقد اختار خيال المعرى أفقر المنازل فى الجنة ومنازل الجنة ليس فيها فقر ، وجعله نائيـــا لا يزور ولا يزار ، ومع ذلك لم يصل اليه الا بعد هياط ومياط وشفاعة لم يشكرها وكـأن عادة الدنيا من دناءة نفسه لم تفارقه لا يعترف بجميل •• وقد دخل الجنة بفضيلة واحـدة هى « الصدق » ولم يدخله بيته الرائع :

مـن يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

لأنه مسبوق فيه ولأنه لم يعمل بما قصـــد اليه •

ومعروف أن العمل ثمرة العلم ، فما نظمه شاهد عليه لا له ، وهو صادق فى هذا أيضا • فالصدق هنا هو هدف القصص • وفضيلـة أخرى نوه بها وصاغها صياغة فنية هى فضيلة « الوفاء » •

ويرجع عمله الأدبى هنا الى مثل عـربى قديم ، والأمثال كما تعرف نوعان : نوع من واقع الحياة ، ونوع من صنع الخيال نسميه « الفرضى » فمن النوع الأول : سبق السيف العذل ، وعلى نفسها أوقومها جنت براقش ، ومن النوع الثانى :

« كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟ »

وأصل المثل كما حكته العـرب أن أخوين أجدبت بلادهما ، وكان بالقـرب منهـا واد خصيب ، فيه حية تحميه ، فهبط أحدهمـا الوادى مخالفا نصيحة أخيه ، فرعى فيــه زمنا ، ثم نهشته الحية فقتلته ، فجاء أخـوه الوادى يطلب ثأره ، فقالت له الحية : هـل لك فى الصلح ؟ أدعك فى هذا الواذى وأعطيك كل يوم دينارا ما بقيت ،فحلف لها أن لايؤذيها ما وفت • فلما حسن حاله ذكر أخاه فأخـذ فأسا ثم تبعها وضربهـا فأخطأهـا ، وأثرت الفأس فى جحرها ، فقطعت عنـه الدينار ، فخاف شرها وندم • فقال لها : هل لك فى أن نتواثق ونعود كما كنا فقالت « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟ » يضرب لمن لا يفى بالعهد• فماذا صنع خيال المعرى فيه ؟ الجواب يأتيك من رسالة الغفران ، حيث سميت الحية باسم عرفه العـرب ودونـه أبو العـلاء : « ذات الصفا » واليك حكايتها :

ثم يضرب « ابن القـارح » ســائرا فى الفردوس فاذا هو بروضـة مونفـه ، واذا بحيات يلعبن ، يتمايلن ويتقابلن ، فيقـول : « لا اله الا الله » ، وماتصنع حية فى الجنة ، فينطقها الله — جلت قدرته — بعد ما ألهمها المعرفة بهاجس الخلد ، فتقول : أما سـمعت فى عمرك « بذات الصفا » الوافية لصـاحب ما وفى ؟ كانت تنزل بواد خصيب ، ما زمنهـا فى العيشـة بجديب وكانت تصنع اليـــه الجميل فتعطيه من الدنانير مايغنيه ويكفيـه فلما ثمر بودها ماله ، وأمل أن يجتذب آماله ذكر عندى ثاره وأراد أن يفتقر (١) آثاره ، وأكب على فأس معملة يحد غرابها للآملـه ، ووقف للساعية على صخرة ، وهم أن ينتقم منها بآخرة ، وكان أخوه ممن قتلته ، جاهرته فى الحادثة أو قيل ختلته ، فضربها ضربـة لوأصابها كانت نكبة فلما وقيت ضربة فأسـه

(١) يفتقر — يتتبع •

والحقد يمسك بأنفاسه ندم على ما صنع أشد الندم وسن له فى الجدة بالعدم ، فقال للحية مخادعا ولم يكن مماكتم صادعا : هل لك أن نكون خلين ، ونحفظ العهد البين « جـارين » ودعاها بالسفه الى حلف ، وقد سـقى مـن الغدر بخلف « الخلف حطمة ضرع الناقة » .

فقالت : لا أفعل وان طال الدهـر ، وكم فصم بالغير ظهر (الغير حوادث الدهر) انى أجدك فاجرا مسحورا « مخدوعا » لم تأل فى خايك حورا (الحور الهلاك) تأبى لى صـكة فوق الراس مارستها أبأس مراس ، ويمنعك من أربك قبر محفور ، والأعمال الصالحة لها وفور .. هكذا دخلتذات الصفا الجنة لوفائها والحفاظ على عهدها واخائها ، ويؤكد كلامـه بشعر النابغة الذبيانى ، ويهدنى من هذا الى غرس فضيلة الوفاء ، ونزع رذيلـة الغـدر وللعرب اشادة بتلك الفضيلة فى أشعارهـا وخطبها وأمثالها ومن ذلك قولهم : « أوفى من السموءل » والسموءل ضحى بابنه حتى لايقال غدر . وتقول حية أخرى وموجز ما قالت أنها كانت تسـكن فى دار « الحسـن البصرى » فسمعته يقرأ القرآن ، فكان يقرأ «فَالِقُ الإِصْبَاحِ » (١) بفتح الهزة ، كأنه جمع صبح وكذلك « بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ » (٢) كأنه على حد قولهم بكر وأبكار ، كما يقال جند وأجنـاد .

فلما توفى الحسـن البصرى انتقلت الى جدار فى دار « عمرو بن العلاء » فأنكرت منه فتح همزة الانجيل ، فلما توفى أبو عمـرو أقامت فى جوار « حمزة بن حبيب » فسمعته يقرأ بأشياء ينكرها عليه أصحاب العربيـة كخفض الأرحام فى قوله تعالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ » (٣) وكسر الياء فى قوله تعالى : « وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيِّ » (٤).

وقد ناقش أبو العـلاء هـذه القراءات ، ورضيها فى غير القرآن ، واستشهد على ذلك بالشعر — والمقال لا يتسع للتفصيل ،ويعجب ابن القارح بتلك الحية المتفقـة ، ويظهـر اعجابه ، فتقول له : الا تقيم عندنا برهـة من الدهر ؟ فانى اذا شئت انتفضت من اهابى فصرت مثل أحسن غوانى الجنة . لو ترشفت رضابى لعلمت أنه أفضل مـن الدرياقة التى ذكرها ابن مقبـل . ولو تنفسـت فى وجهك لأعلمتك أن صـاحبة عنترة تفله صـدوف ، والصدوف الكريهة رائحة الفم ، وهمت بـه فذعر .

يقول الراوى : ويذهب مهرولا فى الجنة ، فيقول فى نفسه : كيف يركن الى حية شرفهـا السم ولها بالفتكة هم ؟ فتناديه وبالشـعر تغريه وتناغيه .. لو أقمت عندنا الى أن تخبر ودنا وانصافنا لندمت انكنت فى الدار العاجلة قتلت حية أو ثعبانا .

فيقول وهو يجرى ويسمع خطابها الرائق : لقد ضيق الله على مراشف الحور الحسان ان رضيت بترشف هذه الحية .

بمثل هذا القصص الفنى ينوه أبو العـلاء بالفضائل مثل عفة النفس والصدق والوفاء ، ويعالج أثناء ذلك مسائل اللغةوالنحو والصرف والقراءات ويجعل بعض ذلك على لسان مالا يعقل ليمتع ويفيد .

---

(١) من الاية ٩٦ سورة الانعام .
(٢) من الاية ٤١ سورة آل عمران .
(٣) من الاية الاولى من سورة النساء .
(٤) سورة ابراهيم اية ٢٢ .

ملحوظة : تصرفنا فى أسلوب ابى العلاء بعض التصرف .

٣

قضية البعث الاسلامي

المنهج والشروط

تأليف وحيد الدين خان
ترجمة محسن عثمان الندوى

— ٢ —

وتحت عنوان « الاسلام والعلم الحديث » يتناول المؤلف موقف الاسلام من العلوم بصفة عامة ، متتبعا ذلك فى الماضى والحاضر ، موضحا كيف سارت العناية بالعلوم الطبيعية جنبا الى جنب مع الدعوة الى التوحيد ونبذ الشرك .

** وفى البداية يذكر المؤلف أثر الاسلام فى الاتجاه نحو الطبيعة لتسخيرها للانسان ، فالاسلام هو الذى جعل الطبيعة مادة مدروسة ، وليست مادة معبودة ، لا يستطيع أحد الاقتراب منها ، ويوضح ذلك فى قوله : « وما كان للعلوم الطبيعية أن تبرز الى حيز الوجود وتبلغ المستوى الذى بلغته الا باعتبار هذه المظاهر الطبيعية أولا مواضيع تدرس وتبحث فتسخر لخدمة الانسان ، فالانسان المشرك يعتبر القمر معبودا ، فكيف يجترىء على أن يطأه بقدميه .

والانسان المشرك ينظر الى السيول على أنها قوة تستحق العبادة ، فكيف له أن يفكر فى توليد الكهرباء منها بعد تسخيرها ، هذا هو الاسلام الذى أخضع الشرك ، وأعطى فكرة التوحيد مكانة أسمى » (٩١) .

ونتيجة لذلك فان المسلمين كانوا يسايرون موكب العلم ويحملون رايته حتى انقرض نظام الخلافة العربية بسبب خلافات سرت فى المجتمع الاسلامى فحمل راية الاسلام الأتراك العثمانيون ، فكان ذلك حدثا غير مجرى التاريخ ، وحول الأحداث الى نهج جديد .. ويبين المؤلف موقف الأتراك من العلم فيقول : « لقد كان الأتراك بواسل شجعانا وأصحاب عزيمة ، ولكن كانت تنقصهم

الميزة العلمية فلم يدركوا أهمية البحوث والدراسات العلمية ، بل كانوا يحسبونها خطرا عليهم ولذلك أصبحوا يعادون الأعمال العلمية » .

ثم يقول عن العلماء الذين نزحوا من بغداد الى الآستانة « بينما كان الخلفاء العباسيون يضعون العلماء موضع الاجلال والتقدير ويغدقون عليهم الأموال ، كان الأتراك على العكس ... ثبطوا هممهم وضيقوا الخناق عليهم ، ولم يجدوا بريق الأمل فى مستقبل كريم فنزحوا الى الديار الفرنسية والايطالية ، ومن ثم انتقلت الأعمال العلمية من عالم الاسلام الى الغرب » (٩٥) .

ويخلص المؤلف من ذلك الى بيان أن المسلمين احتلوا مكان الأستاذية فى العلم حتى القرن السادس عشر ، ثم أتى عليهم حين من الدهر لم يكونوا الا متطفلين على مائدة الغرب ، وسبقتهم أوربا بقرون فى ميدان التقدم والنهضة العلمية » .

ويستطرد من هذا الى توضيح الغاية التى يريد الوصول اليها ، وهى أنه كان من الواجب على المسلمين بعد هذا التراجع العلمى أن يستعيدوا مجدهم التليد ، لكنهم لم يفعلوا لسببين :

أولهما : ابتعاد المسلمين عن العلوم الطبيعية لعدة قرون .

للأستاذ الدكتور
طه مصطفى أبو كريشة

وثانيهما : وهو الأهم : أن الأشخاص الذين أفاقوا بعد سبات طويل ، ودعوا المسلمين الى الحصول على العلم ، لم يكونوا أكفاء ، ومن دلائل ذلك أنهم حاولوا انجاز هذا العمل الصحيح بطريقة خاطئة ، فلم ينالوا قبولا يستحقونه فى الحقيقة بين أوساط المسلمين ، وفى بيان ذلك يقول المؤلف : « فمثلا للتأكيد على العلم الجديد قالوا ان كلمة العلم أينما ذكرت فى القرآن ، انما تعنى العلوم الطبيعية ... وكان هذا برهانا خاطئا استغل لمقصد صحيح ، اذ أن الواقع هو أن العلم الذى ذكرت فضيلته فى القرآن والحديث انما هو علم الدين لا العلوم الطبيعية » .

ونحن نرى أن مدلول كلمة (العلم) أعم وأشمل ، ومن الجور قصر الكلمة على مفهوم واحد ، لكن المؤلف يريد أن يقصرها على العلوم الدينية فحسب .

أما العلوم الكونية فانه يريد أن يأخذها من آيات أخرى تتحدث عن القوة لا عن العلم ، على اعتبار أن علوم الكون سبب للقوة .

وبناء على هذا التحديد القاصر لمدلول الكلمة ، نرى المؤلف يفرق بين نظر رجل

العلم ، ونظر رجل الأيمان حين يفكر كل منهما فى خلق السموات والأرض — وكأنه يعتقد أنهما فى الواقع رجلان لا يمكن أن يلتقيا فى رجل واحد !! .

— اذ يقول « ينطوى مفهوم العلم على دراسة حقائق الكون ببساطة وهذه هى السمة التى وردت فى القرآن عن أهل الايمان ، انهم « يتفكرون فى خلق السموات والأرض » فرجل العلم يقوم بالعمل نفسه الذى يقوم به رجل الايمان ، ولكن مع فرق واحد ، هو أن العالم يقتصر فى بحثه على البحث العلمى ، بينما يهدف المؤمن بهذا العمل الى العبرة ، وبالتالى يطمئن العالم الى الكم الهائل فى المعلومات ، بينما يطمئن المؤمن الى ما يطمئن اليه قلبه وضميره وعقله المؤمن » (٩٨) .

ان هذا التفسير عجيب ، فما الذى يمنع الناظر فى الكون من أن يكون عالما مؤمنا ، يجمع بين عقل العالم وقلب المؤمن ؟ .

ان الاسلام لا يقيم حاجزا سميكا بين المؤمن والعالم ، وانما تمتزج الصفتان « الايمان والعلم » فى الاسلام فى شخصية واحدة تفهمها من قوله تعالى : « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » فاطر ٢٨ .

ثم لماذا نحجر على رجل الايمان — حسب تعبير المؤلف — أن لا يتجاوز حدود التأمل الى منطقة الفحص والدراسة وجمع المعلومات ؟ ان ذلك تضييق لما اتسع من أمور الدين والدنيا .

— ٣ —

ومن الحديث عن الاسلام والعلم ، ينتقل المؤلف الى موضوع آخر ، جعل عنوانه « علم الكلام الجديد » وهو يشير بهذا العنوان الى أن هناك من قبل « علم الكلام القديم » الذى نعرفه ، وهو العلم الذى يتخذ العقل والمنطق مصدرا للأدلة والبراهين التى يستدل بها على حقائق الدين .

** وفى صدر الحديث عن هذا الموضوع ، يفصح الكاتب عن مدلول هذا العنوان بقوله : « تتلخص حقيقة علم الكلام الجديد فى أنه استجلاء حقائق الدين بالأدلة التى تطمئن الذهن الجديد والعقلية الجديدة ، وتوصل التعاليم الاسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديد » (١٠٢) .

والجدة هنا ليست الا بالقياس الى ما كان من جهود العلماء ، أو من اتجاهاتهم العلمية السابقة ، لكنها ليست جديدة فى الاسلام ، كيف ذلك ؟ يبين المؤلف أن جوهر هذا العلم انما هو الاستدلال بالحقائق الطبيعية وصولا الى توضيح حقائق الدين ، وهذا هو ما نجده فى القرآن الكريم ، حين دعا الى التأمل فى آيات الكون ، ومن ذلك ما نراه فى قوله تعالى « **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** » الغاشية ١٧ — ٢٠ .

وعلى هذا فان « علم الكلام الجديد انما

هو علم الكلام القرآنى ، وليس علم الكلام الجديد الا العودة إلى (الكلاميات) القرآنية » (١٠٤) .

ويذكر المؤلف أن هذا المنهج فى الاستدلال كان سائدا فى الصدر الأول ، لكن لما بدأ تدوين العلوم الاسلامية فى القرن الثانى الهجرى ثم ترتيب علم الكلام الاسلامى على نسق من المنطق والفلسفة، وجرت الأمور التعليمية على هذا النحو قرونا طويلة دون انقطاع ، حتى غدا علم الكلام مرادفا لعلم المنطق ، وكان ذلك انحرافا عن منهج القرآن ، حين وضع علم الكلام أبنية الاستدلال الاسلامى على أساس المنطق القياسى ، بينما وضع القرآن أبنية الاستدلال الاسلامى على أساس الشواهد الطبيعية (١٠٥) .

فاذا كنا ندرك ذلك فان علينا أن ننحى تلك المناهج المنحرفة ، وعلينا أن نعود الى أسلوب القرآن القويم ، وفى الأمكان التعرف على علم الكلام القرآنى جملة وتفصيلا بتتبع آيات الكتاب ، على أن نعترف بأن هناك آيات لا يستطيع العقل الانسانى ادراك مراميها ، أو تفسيرها على وجه واحد معين ، ويستشهد المؤلف على قصور العقل الانسانى بقول الله تعالى : **« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً »** الاسراء ٨٥ .

ويأخذ المؤلف بعد ذلك فى عرض المبادىء العامة لاتجاهات هذا العلم الجديد ويذكر من بينها اتخاذ الأسلوب السلس الواضح للكلام ، لأنه هو الذى يسترعى طبيعة الانسان ، وينفذ فى أعماقه ، ويسيطر على وجوده ، بخلاف الكلام الصناعى المعقد الذى لا تتشربه طبيعة الانسان ولا يستطيع أن يهضمه هضما صحيحا ، واذا كان الأسلوب الأقوى فى عصرنا ، هو ما يعرف بالأسلوب العلمى الذى يقدم الكلام بصورة واقعية وحقيقية ، فان هذا الأسلوب هو أسلوب القرآن الكريم .

أما أسلوب المنطق والفلسفة فليس أسلوبا علميا ، لأنه أسلوب معقد وصناعى ، ولا يقدم الحقيقة فى وضوح وموضوعية ..

— ٤ —

وفى ختام الكتاب يأتى مقال بعنوان « مشروع البعث الاسلامى » وفيه يحدد المؤلف الوسائل التى تؤدى الى أن يعود الاسلام مهيمنا على الحياة ، وهى وسائل يحددها المؤلف من واقع نظريته العامة السائدة فى الكتاب كله .

** يذكر الكاتب أن الناس يتساءلون « ما المشروع الذى لديكم » ؟.

ويجيب عن ذلك قائلا « ان الضرورة لاتقتضى مشروعا ، بل يحتاج الأمر الى « قافلة مؤمنة » فقط » « ان قضية البعث الاسلامى تبحث عن انسان كمم فمه خوف الله بين الناس الصائمين الناطقين باسم الله ، وتبحث بين الذين يجرون

وراء الدنيا — عبيدا لها — عن انسان أقعدته الآخرة .. وتبحث عن انسان بين المتحاربين باسم الدين تخلى عن الصراع والتحارب .

ان الاسلام يحتاج الى رجال ينظرون الى الحقائق حتى لا تحجبهم مسألة لفظية عن الحقيقة ، ولا تشوبهم شائبة العواطف ، حتى لا ينحرفوا عن الحق بسبب النزاع أو الشجار ... هؤلاء هم قوام الاسلام فى عهده الأول ، وسيكونون لبنات الاسلام فى عهده الثانى ... والطريق الوحيد لاعداد الأفراد هو اثارة حركة خالصة على أساس الدين القويم تمس فطرة الانسان وتوقظه من منامه » (١٧٢) .

وينتهى المؤلف من ذلك الى أن الطريق الوحيد لبدء عمل اسلامى حقيقى فى القرن الخامس عشر الهجرى « هو القضاء على هذا الوضع الذى يسمى كل حركة سياسية فى العالم (حركة اسلامية) » (١٧٣) .

ثم يقول : « ان هذا العمل هو البدء الصادق (بالدعوة) فلعلنا نقهر عصر الشرك الجديد (الشيوعية والعلمانية) وأيضا لعلنا نمشى فى الطريق الذى تدفعنا اليه كل المؤشرات الكونية المترجمة للارادة العليا ، سائرين نحو بناء انسانية مؤمنة ، وحضارة تعمل للدنيا وترجو الآخرة فى سياق واحد » (١٧٦) .

وواضح من كلام المؤلف أنه لا حساب للقوة الى جانب القيام بالدعوة فى مجال العمل من أجل قهر الشرك الجديد وعلى رأسه الشيوعية .

ونقول : وهل الشيوعية — فى محاولة السيطرة على غيرها — تكتفى بالجانب السلمى فحسب ؟ وهل بقيت حبيسة عقر دارها ولم تقم بغزو غيرها من البلدان ؟ أو أن الواقع غير ذلك ، وفى بلدان اسلامية خير شاهد على ذلك الواقع ؟ وما قيمة الاكتفاء بجانب الدعوة فى وسط تفرض فيه الشيوعية مبادئها وتحميها بقوة السلاح ؟ ان هذا لهو الأمر العجاب .

— ٥ —

وبعد : فان هذا الكتاب قد يخدع فى مظهره كثيرا من القارئين المتعجلين ، الذين تخدعهم النظرة الأولى ، ذلك حين يرون المؤلف يولى — فى حماس ظاهر — جانب الدعوة الاسلامية كل هذا الاهتمام ، وحين يؤثرها لتكون طريقا وحيدا يبعث الاسلام فى نفوس المسلمين .

ونحن لا نريد أن نتعجل باتهام ما ، من شأنه أن يؤدى الى التشكيك فى صدق النوايا الحسنة الدافعة الى هذا الكتاب ، أو الكامنة فيه لكن الجوانب التى وقفنا فيها مع فكر المؤلف بالعرض والتعليق كافية لأن تبرز أمام أعيننا أكثر من علامة استفهام ، لأننا لو سلمنا بما يذهب اليه المؤلف لكان معنى ذلك أننا نعزل الاسلام عزلا كاملا عن توجيه الحياة ، مكتفين منه بأن يكون فقط وصايا حكماء ، أو توجيهات مرشدين ، أو عظات واعظين .

وبالاضافة الى ما قلناه فى تلك الجوانب التى وقفنا عندها نقول : ان بعث الاسلام فى نفوس المسلمين لا يكفى فيه أن يقوم به أفراد يعتلون المنابر ، ويرسلون عظاتهم معرفين بالاسلام .

ان الحكومات التى تدين بالاسلام مطالبة هى الأخرى قبل الأفراد أن تبعث الاسلام فى تشريعاتها وقوانينها وأحكامها ، وسياستها واقتصادها .

ان الاسلام قد اكتمل فى مصدريه : الكتاب والسنة ،وليست القضية الآن هى قضية الدعوة لكى يدخل مسلمون جدد فى الاسلام وانما القضية الملحة هى كيف نبعث الاسلام الحقيقى العملى فى نفوس المسلمين أنفسهم ، كيف ننقلهم من واقع التسمية الى واقع المضمون والجوهر . فهل يكفى أن تقوم مع هؤلاء بواجب الدعوة فحسب ثم لاشىء بعد ذلك ؟ .

كذلك نقول : ان الاسلام قد تجاوز دور المراحل بعد أن نزلت الآية الكريمة « **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** » المائدة ٤ . فلماذا يراد بنا استئناف المراحل من جديد ، ويطلب منا أن نكتفى الآن بالدور الذى كانت عليه الدعوة فى مكة قبل الهجرة ؟ وهل يكفى فى الانتساب الى الاسلام اليوم أن يعتصم به أناس يكممون أفواههم بالصمت أو يعتصمون به فى الصوامع، أو يهربون به فى رءوس الجبال ؟

ان الاسلام جاء ليخرج الناس من ظلمات العزلة ومن كهوف الصمت ، جاء ليخلق أمة حية متحركة ومحركة ، أمة من شأنها أن تقود العالم ، لأنها خير أمة أخرجت للناس ، ولن يحدث ذلك الا اذا توافر فى مفهوم (الأمة) وفى واقعها ما يجعلها جديرة بأن تكون فى موضع القيادة والقدوة .

فهل يعى ذلك من يريدون أن تكون الدعوة الاسلامية مقصورة على ميدان لا يغادر فيه القائمون عليها فراشهم الناعم الوثير ؟ ! « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » الذاريات ٥٥

تم

د . طه مصطفى أبو كريشة

تصويب

نأسف لوقوع خطأ فى عدد شوال ص ١٦١٧ سطر ١٨ اذ وقع ضبط كلمة « الحق » فى الآية السادسة من سورة سبأ بالضم ، وصحتها الفتح فلزم التنبيه مع رجاء التصحيح .

مع رسالة جامعية

المفاهيم الدينية اللازمة

لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسى

رسالة جامعية تناقش موضوع المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ مرحلة التعليم الاساسى .

تكونت لجنة المناقشة من الاساتذة :

الاستاذ الدكتور : الاحمدى ابو النور وزير الاوقاف .

الاستاذ الدكتور : حسن شحاته جامعة عين شمس .

الاستاذ الدكتور : حامد عبد العزيز العبد عميد كلية التربية .

الاستاذ الدكتور : محمد على نصر استاذ المناهج وطرق التدريس المساعد .

وقد منحت اللجنة الطالب : زين محمد شحاته درجة الماجستير بتقدير ممتاز وأوصت بطبع الرسالة وتوزيعها وتبادلها مع الجامعات المختلفة .

ناقشت كلية التربية بجامعة المنيا رسالة الماجستير المقدمة من الطالب/زين محمد شحاته وموضوعها (المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ مرحلة التعليم الاساسى) وتقديم محتوى المناهج الحالية فى ضوئها .

وتقوم فكرة الرسالة على أن الرسول ﷺ استطاع أن يحول أصحابها بالتربية الاسلامية الى صور حية من القرآن الكريم فصار كل رجل منهم قرآنا يمشى على الارض ونموذجا مجسما للاسلام ، يراه الناس فيرون الاسلام ولقد انتصر المسلمون يوم صاغوا من فكرة الاسلام رجالا وحولوا ايمانهم بالاسلام عملا وطبعوا من القرآن ألوفا بل مئات الألوف لم يطبعوها بالمداد على صحائف الورق وانما طبعوها بالنور على صحائف القلوب .

لقد أقاموا بالتربية الاسلامية القديمة المجتمع الفاضل ، الذى كان حلم المفكرين وأمنية الفلاسفة منذ القدم ، وكيف لا والقاضى يجنس بينهم سنتين لا يتخاصم اليه اثنان ؟

ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟

ولماذا يختلفون وهم يحبون لأنفسهم مايحبونه لغيرهم .

ولماذا يتباغضون والاسلام يأمرهم بالمحبة والاخاء ؟

صفوت عبد الجواد

ونمضى مع رسالة الطالب زين محمد شحاته حيث يوضح أن الاجيال المسلمة ظلت عبر القرون تستسقى من معين فضائلهم ، وتستضىء بنور مكارمهم ، وتنتهج فى التربية نهجهم ، الى أن جاء عصر استبدت بالمسلمين الأهواء وبدأوا يبتعدون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم فخبت منهم شعلة التربية الاسلامية فتحولوا من أمة عظيمة تخشى بأسها الأمم الى أمم متناحرة ودويلات متخاصمة تتقاذفهم الأهواء وتفرقهم المبادىء وينساقون وراء الشهوات والملذات ويسيرون بلا هدف ولا غاية يجتمعون على الفرقة ويتفرقون على الوحدة وانكمش دور التربية الاسلامية فبعد أن كانت روحا لكل ما يتعلمون وأساسا لكل ما يدرسون ، صارت مادة دراسية منفصلة عن بقية المواد .

والأمر لم يقتصر على ذلك بل صارت نافلة وفضلة ، حصصها قليلة جدا وقد يدرس المعلم مادة غيرها فى وقتها ودرجاتها لا تضاف لمجموع التلميذ فهى يتيمة لا كافل لها ومهضومة لامدافع عنها .

ويضيف الباحث قائلا :

ولا يستطيع الباحث ان ينكر أنه بدأت فى الآونة الأخيرة نداءات تدعو الى الاهتمام بها ومراجعة مناهجها واعداد معلمها ولكن هذه محاولات فردية ما تلبث ان تتبخر فى الهواء والأمر يحتاج الى تكاتف الجهود وتآزر الهمم من أجل تنشئة الأبناء تنشئة اسلامية قويمة .

وهذه الدراسة محاولة على هذا الطريق فهى تهدف الى معرفة المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ الحلقة الاولى من التعليم الأساسى وتقويم محتوى المناهج الحالية فى ضوئها وقد اختار الباحث الحلقة الاولى من التعليم الأساسى لأنها تمثل قاعدة للسلم التعليمى فى مصر وبالتالى فهى نقطة البدء فى تعليم أساسيات المعرفة .

وتتكون الدراسة من ستة فصول :

يتناول الفصل الاول : مشكلة البحث وأهميتها وحدود البحث والمصطلحات التى وردت فى البحث والخطوات التى اتبعها الباحث فى هذه الدراسة .

ويتناول الفصل الثانى : الاطار النظرى للدراسة .

ويتناول الفصل الثالث : البحوث والدراسات التى تمت فى مجال التربية الدينية بصورة عامة وفى مجال المفاهيم الدينية بصفة خاصة .

ويتناول الفصل الرابع : أدوات البحث التى استخدمها الباحث فى تعرف المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسى .

ويتناول الفصل الخامس : تحليل كتب

مع رسالة جامعية

التربية الدينية المقررة على الصفوف الدراسية من الفصل الأول حتى السادس فى مرحلة التعليم الأساسى •

ويـون الفصل السادس : تلخيصا للبحث بصورة عامة ونتائجه والتقدم ببعض التوصيات والمقترحات •

وفى التوصيات التالية توضيح لمفهوم الرسالة :

التوصيات :

يمكن التقدم بمجموعة من التوصيات التى تساعد فى الأخذ بنتائج هذا البحث الى حيز التطبيق ، وهذه التوصات هى :

أولا : بالنسبة لمناهج التربية الدينية :

١ ــ اعادة النظر فى مناهج التربية الدينية فى جميع المراحل التعليمية ، وبناء هذه المناهج على أساس المفاهيم الدينية اللازمة للتلاميذ فى كل مرحلة ، وهذا الامر يحتاج الى جهد جماعى تقوم به لجان من المتخصصين فى التربية وعلم النفس وعلوم الشريعة الاسلامية وتقوم هذه اللجان بالمهام التالية :

(أ) حصر المفاهيم الدينية وتحديدها فى كل المراحل الدراسية •

(ب) تصنيف هذه المفاهيم بحسب الصعوبة والسهولة والتبسيط والتركيب •

(ج) وضع تعريفات محددة لكل مفهوم بشكل متدرج من مرحلة التعليم الاساسى الى التعليم العالى •

(د) الاشراف على الأعمال التجريبية فى مجال بناء المفاهيم الدينية وتكوينها وفى طرق تدريسها •

٢ ــ ربط مادة التربية الدينية بالعلوم العصرية والمواد الدراسية المختلفة •

٣ ــ مراعاة مستوى نمو التلاميذ عند بناء مناهج التربية الدينية •

٤ ــ العناية بكتب التربية الدينية من حيث الطباعة والشكل والاطلاع على أحدث الأبحاث التربوية فى هذا المجال •

٥ ــ مراعاة عدم الحشو والتكرار فى محتوى مادة التربية الدينية •

٦ ــ مراعاة الترابط بين موضوعات المنهج •

٧ ــ زيادة حصص التربية الدينية الى خمس حصص أسبوعيا : حصتان للقرآن، وثلاث حصص للمادة العلمية •

ثانيا : بالنسبة لطرق التدريس والوسائل التعليمية :

١ ــ التنويع فى طرق التدريس فى مجالات التربية الدينية واختيار الطريقة التى تناسب كل مجال •

٢ ــ الاهتمام بالوسائل التعليمية وتنويعها فى تدريس التربية الدينية على أن تكون هذه الوسائل واضحة وذات ألوان متباينة وقادرة على مقابلة الفروق الفردية بين التلاميذ •

٣ ــ مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ فى تدريس وتحفيظ النصوص الدينية •

ثالثا : بالنسبة للنشاط الدينى :

١ ــ الاشراف على النشاط الدينى بالمدارس فى جميع المراحل التعليمية مع ربط النشاط الدينى بالمنهج المقرر •

٢ ـ الاشراف على انشاء المساجد فى جميع المدارس بحيث تكون مناسبة لعدد الطلاب وتمارس فيها جميع الأنشطة الدينية تحت مسئولية مدرس التربية الدينية .

٣ ـ اعداد مكتبة اسلامية كاملة تزود بالمصادر والكتب التى تنهض بالعلوم والثقافة الاسلامية ، بحيث تناسب جميع المستويات فى المدارس .

٤ ـ اصدار النشرات والتوجيهات الخاصة بمادة التربية الدينية وتنظيم اقامة الندوات الدينية فى المدارس .

٥ ـ انشاء الجماعات الدينية من التلاميذ لخدمة المدرسة والبيئة المحيطة .

٦ ـ التعاون بين المدرسة والمدرس والاسرة والمجتمع بالوسائل التثقيفية المختلفة وخاصة وسائل الاسلام المرئية والمسموعة لتربية الابناء تربية اسلامية سليمة . وبدون هذا التعاون نكون كالذى يحرث فى بحر ويحصد فى هشيم.

رابعا : بالنسبة لتقويم منهج التربية الدينية:

١ ـ الارتقاء بوضع مادة التربية الدينية ، وذلك بضم درجاتها الى المجموع الكلى للدرجات . فلا يعقل فى دولة مسلمة أن تكون التربية الدينية فى هامش شعور رجال التعليم فيها .

٢ ـ أن يتعدى التقويم الجانب التحصيلى لدى الطالب الى الجوانب الاخرى .

٣ ـ الاهتمام بتنويع وسائل التقويم فى التربية الدينية .

٤ ـ الاهتمام بصياغة الأسئلة صياغة دقيقة واضحة .

٥ ـ مراعاة توفير أسئلة عامة فى نهاية المنهج .

خامسا : بالنسبة لمعلم التربية الدينية :

١ ـ وضع الخطط اللازمة لتأهيل معلم التربية الدينية ثقافيا ودينيا وتدريبه على استخدام الطرق والأساليب الحديثة فى تدريس المفاهيم الدينية فى كل مجالات التربية الدينية واستخدام الوسائل التعليمية .

٢ ـ مراعاة أن يتوفر فى مدرس التربية الدينية القدوة الحسنة ففاقد الشىء لايعطيه .

٣ ـ أن يقدر معلم التربية الدينية دروس الدين ويعتنى باعدادها ويعمل على خلق جو من المهابة والتقديس فى حصة التربية الدينية مع الاهتمام بسلوك التلميذ وتقويمه .

٤ ـ ضرورة اطلاع معلم التربية الدينية على الأهداف العامة للمرحلة التعليمية والأهداف الخاصة بالمادة ، وربط الدروس بالحياة ، وتلاوة القرآن مع الخشوع ، والاهتمام بشرح المناسبات التى قيلت فيها الأحاديث النبوية .

٥ ـ جعل مدرس التربية الدينية من المتخصصين فى العلوم الاسلامية والشرعية .

٦ ـ أن يعمل مدرس التربية الدينية على تقوية ميول التلاميذ للمحافظة على شعائر الدين ومبادئه السامية من غير نفور أو تشدد متخذا من يسر الاسلام وسماحته ما يحمله على الاتزان فى جميع أعماله .

٧ ـ اصدار مرشد للمعلم توضح فيه مجموعة من الطرق وأساليب التدريس التى يمكن استخدامها ويتسلمه المعلم فى أول العام الدراسى .

أنباء وآراء

« انجازات اللجنة العليا للدعوة الاسلامية »
فى خمسة اجتماعات

تعرضت مصر فى أواخر سنة ١٩٨١ م ، ١٩٨٢ م لحملة تزعمها أدعياء الدين ومن هم على حرف فاشتبه الدين على العامة من شعب مصر الطيب فأخذ التنطع ينتشر والتشدد يسود ، ونظرا لأن العبء الأكبر من مسئولية الدعوة الاسلامية يتحمله الأزهر الشريف والأوقاف فان مسئوليتهما فى قيادة العمل مسئولية كبيرة بل لا أبالغ اذا قلت انها مسئولية قائدة ومؤثرة وتاريخية فى الوقت نفسه .

لهذا قررت الدولة انشاء لجنة عليا للدعوة الاسلامية تتبع الأزهر الشريف لتصحح مفهوم الناس عن الدعوة الاسلامية يقوم برياستها فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر ، ونائبا له فى حالة غيابه وزير الأوقاف .

وتضم فى عضويتها السادة نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالى ووزراء التربية والتعليم والاعلام والثقافة والمجلس الأعلى للشباب والرياضة ورئيس جامعة الأزهر وكبار الشخصيات المهتمة بشئون الدعوة الاسلامية فى مصر .

وفى مقدمة مهام اللجنة بحث شئون الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج وما تتعرض له من مشاكل ومن أهم ما تختص به اللجنة :

١ ــ اقتراح خطط وسياسات الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج .

٢ ــ دراسة وسائل الامكانيات التى تساعد على نشر الدعوة الاسلامية .

٣ ــ التنسيق بين الأجهزة المختلفة العاملة فى مجال الدعوة الاسلامية أو المتصلة بها .

٤ ــ اقتراح واعداد التشريعات واللوائح والقرارات المنظمة للدعوة الاسلامية .

٥ ــ دراسة المشكلات التى تواجه جهاز

تقديم: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
عبد المنعم حافظ فودة

الدعوة واقتراح الحلول الملائمة لها وكذلك التقارير التى تقدمها الأجهزة المختلفة العامله فى حقل الدعوة الاسلامية .

٦ ــ دراسة تقارير لجان التوعية الدينية بالمحافظات للوقوف على مسار الدعوة بالمحافظات والعقبات التى تعوقها لتذليلها وتوفير وسائل النهوض بها .

٧ ــ دراسة التقارير التى تقدمها لجان التوعية الدينية بالمحافظات عن نشاط مجالس ادارة المساجد التابعة لها .

٨ ــ المشاركة فى وضع منهج التوعية الدينية بين حجاج بيت الله الحرام وفى تنظيم أداء مناسك الحج والعمرة .

٩ ــ المشاركه فى وضع التخطيط الذى يدعم القيم الدينية فى اجهزة الاعلام المختلفه .

١٠ ــ دراسة أحوال الأقليات الاسلامية فى البلاد الأجنبية والعمل على مساعدتها ماديا ومعنويا فى ضوء التقارير الواردة من المبعوثين والمراكز الاسلامية بالاشتراك مع الجهات المعنية .

وقد اجتمعت اللجنة خمسة اجتماعات لبحث شئون الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج وكانت الجلستان الرابعة والخامسة للجنة على جانب كبير من الأهمية فكان من توصياتهما :

١ ــ انشاء صندوق تمويل الدعوة الاسلامية ودعمها لتحمل أعباء الدعوة فى الداخل والخارج . وقد تشكلت على وجه السرعة لجنة لدراسة انشاء الصندوق من السادة :

الاستاذ الدكتور/أبو الوفا التفتازانى
مقررا

الاستاذ المستشار / السيد عبد العزيز هندى
عضوا

المستشار الدكتور/جمال الدين محمود
عضوا

الاستاذ الدكتور/رؤوف شلبى
عضوا

الاستاذ الدكتور/عبد الودود شلبى
عضوا

◄

أنبـاء .. وآراء

واجتمعت اللجنة خمسة اجتماعات . وانتهت بوضع لائحة للصندوق سوف تعرض على اللجنة العليا للدعوة الاسلامية فى اجتماعها القادم لاقرارها . ثم رفعها للجهات المختصة لاستصدار قرار جمهورى بانشائها .

٢ ـ كما أوصت اللجنة فى جلستها الخامسة بالاستيثاق من موضوع مأساة المسلمين فى بلغاريا وتفويض فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر لاتخاذ مايلزم تجاهه .

٣ ـ أوصت اللجنة بتفويض فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر لمتابعة موضوع كتابة ـ آيات قرآنية على الملابس الداخلية التى تدخل الى بعض الدول العربية والاسلامية كما ورد فى مجلة أكتوبر . واتخاذ مايلزم تجاهه .

٤ ـ أوصت اللجنة بتشكيل لجنة لبحث موضوع تدريس مادة الثقافة الاسلامية بالجامعات المصرية من السادة الآتية أسماؤهم على أن تختار هذه اللجنة مقررها من بين أعضائها :

١ ـ صاحب الفضيلة الشيخ/عبد العزيز عيسى

٢ ـ الاستاذ الدكتور/أبو الوفا التفتازانى

٣ ـ الاستاذ الدكتور/جمال الدين محمود

٤ ـ الاستاذ الدكتور/رؤوف شلبى

٥ ـ الاستاذ الدكتور/محيى الدين الصافى

٦ ـ صاحب الفضيلة الشيخ/محمد عبد الواحد

٧ ـ الاستاذ الدكتور/عبد الودود شلبى

ومن يرى فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر ضمه للجنة الموقرة بناء على اقتراحها .

٥ ـ أوصت اللجنة بتخصيص جلسة خاصة لموضوع التبشير فى الداخل والخارج ، كما أوصت ببحث امكانية مزيد من التعاون بين وزارة الاعلام واللجنة العليا للدعوة الاسلامية .

٦ ـ كما أوصت اللجنة بالغاء المادة ٢٠١ من قانون العقوبات رقم ٢٩ لسنة ١٩٨٢ م والخاصة بتقييد مهمة الامام أو الواعظ . وفوضت فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر برفع مذكرة باسم اللجنة العليا للدعوة لاسلامية للجهات المختصة .

نسأل الله التوفيق والسداد فيما أسند الى اللجنة العليا للدعوة الاسلامية فى خدمة الاسلام والمسلمين فى أنحاء العالم .

تطبيق الشريعة الاسلامية

فى رأس الخيمة

اكد الشيخ صقر بن محمد حاكم امارة رأس الخيمة وعضو المجلس الأعلى للاتحاد بدولة الامارات العربية المتحدة : أن بلاده سوف تمضى قدما فى تطبيق الشريعة الاسلامية

٤

بهدف تحقيق مجتمع الكفاية والعدل والمساواة. وقال الشيخ صقر : أن شعب رأس الخيمة شعب مسلم يناصر ويؤيد كل دعوة من شأنها تحويل مسيرة المجتمع نحو شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

مؤتمر العقاد والدراسات الاسلامية

أوصى المؤتمر العلمى السنوى الثامن الذى عقد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى جامعة القاهرة ــ حيث ناقش السياسة فى اسلاميات العقاد ــ بتأسيس جمعية للمستشرقين لخدمة البحوث الاسلامية ، وتوثيق الصلات بين هؤلاء المستشرقين المهتمين بالدراسات الاسلامية فى سائر أنحاء العالم . وتعد هذه الطريقة طريقا جديدا أمام ترجمة مختلف الكتب الاستشراقية حتى تلك التى تعصبت وتميزت ضد الاسلام من أجل التعرف على خطط أعدائه . شارك فى المؤتمر لفيف من مفكرى العالم وأدبائه وبعض كبار الشخصيات الاسلامية والسياسية فى مصر والعالم .

تشكيل مجلس اسلامى للعمال فى أوربا

تم مؤخرا فى العاصمة الفرنسية ــ باريس ــ تشكيل المجلس الاسلامى للعمال المسلمين المهاجرين فى أوربا . يضم المجلس نخبة من العمال المسلمين العاملين فى أنحاء أوربا ، ويتولى الدفاع عن مصالحهم الدينية والثقافية والاجتماعية والتعليمية .

جامعة اسلامية للدعاة فى افغانستان

قام المجاهدون الأفغان ضد الغزاة السوفييت بتأسيس جامعة اسلامية للدعوة والجهاد الاسلامى .

الجامعة الجديدة قام بافتتاحها المجاهدون حديثا فى قرية (بيشاور) التى يهاجر اليها المجاهدون . وتهدف الجامعة الى اتاحة الفرصة أمام أبناء المجاهدين للدراسة الاسلامية والصمود امام عملية غزو الافكار الشيوعية التى يقوم بها السوفييت .

حملة تعريب شاملة فى الصومال

أدى نحو مائتى الف مواطن صومالى من بينهم خمسون ألفا من العاملين بالهيئات الحكومية امتحانات نهائية للمرحلة الثالثة لحملة التعريب فى الصومال . وكانت هذه المرحلة قد بدأت فى السابع عشر من شهر يوليو الماضى . وقد حشدت الحكومة الصومالية لهذه المرحلة خمسة آلاف معلم من ضمنهم عددا

أنبـــاء .. وآراء

من المعلمين التابعين لمنظمة التربية والثقافـة والعلوم العربية .

انتشار الحجاب الاسلامى

فى ماليزيا

نشرت صحيفة (الجارديان) البريطانيـة تقريرا اخباريا عن الصحوة الاسـلامية فى ماليزيا . قالت فيه : أهم ما يلفت الانتباه فى المدارس والجامعات الماليزية هـو انتشار الحجاب الاسلامى الذى ترتديه الفتيات .

وقالت الصحيفة : ((ان صيحة العودة الـى تطبيق الشريعة الاسلامية فى ماليزيا أصبحت تدوى فى أنحاء البلاد)) .

المركز الاسـلامى

الافريقى

اعد المركز الاسلامى الأفريقى بالخـرطوم خطة لتطوير مناهجه ومواده الدراسية بهـدف خدمة القضايا الاسلامية المعاصرة . قال مدير المركز : ان أهم ملامح الخطة ترتكز عـلى تدريس العلوم الاسلامية باللغات الاجنبيـة وخاصة الانجليزية والفرنسية والايطاليـة بهدف تخريج الداعية الذى يجيد حمل كلمـة الاسلام الى ربوع العالم . كما تهدف الخطة الى تدريس التيارات الفكـرية المناهضة للاسلام مثل الشيوعية والالحاد .

معهد اسلامى ومدينة

اسلامية

قامت جمعية الوحدة الاسلامية بجامبيا ببناء معهد اسلامى ومسكن للطلبة الوافدين بمدينة « شكر الله » . انتهت الجمعية من تأسـيس اثنى عشر فصلا . تقوم بتدريس مبادىء الدين الاسلامى .

صرح رئيس الجمعية . بأن الجمعيـة أسست لنشر الاسلام وتعليم اللغة العربيـة ومحاربة تيارات التبشير والمذاهب التى تعارض الاسلام .

قوانين الشريعة المعدة صالحة

للتطبيق فورا

صرح الدكتور عبد الغفار عزيز بأن فـؤاد سراج الدين : أعلن أنه تأكد بعـد قـراءته لقوانين الشريعة الاسلامية التى انتهى المجلس السابق من أعدادها . بأنها فعلا صـالحة للتطبيق فوراً ، وأنه لم يعد هناك داع لفكـرة تنقية القوانين التى أعلن عنها مجلس الشعب.

انشــاء مركز اسلامى

بلنــدن

يجرى العمل فى انشاء مركز إسلامى كبــير فى شرق لندن بانجلترا · يخدم المركز نحــو نصف مليون من الجاليات الاسلامية والعربية فى انجلترا ويضم مكتبة اسلامية ضــخمة ، وتسجيلات بالصوت والصورة لنــدوات ومؤتمرات اسلامية ، ودارا كبرى للتجمعات الاسلامية ·

التقويم الهجرى العمل به

بدولة الامارات

قرر مجلس وزراء دولة الامارات العربيــة المتحدة العمل بالتاريخ الهجرى فى جميــع مكاتب الدولة مقرونا بالتاريخ الميلادى ·

محطة تليفزيون

أشارت الانباء الى محطة تليفزيون بالولايات المتحدة ستكون اسلامية ، وسيغطى ارســالها كل الولايات المتحدة الامريكية حتى كنــدا ، استغرق اعدادها نحو عشر سنوات ·

تقدر تكاليف السنة الاولى للارسال بثلاثة ملايين دولار·نرجو أن تكون اسلامية ؟

من خير ما كتب :

الاستاذ/نجيب محفوظ

معركة الحرية والحضارة

اننا نخوض معركة ضارية ·علينــا أن نتأمل هذه الحقيقة وأن نؤمن بهــا رغم السلام المحدود المعلن ، رغــم السلام الذى نسعى بكل مثابرة واخلاص الى نشر الويته حتى يرفرف فــوق منطقتنا الممزقة بل فوق العالم الجريح كله من جنوب أفريقيا الى افغانستان ·

رغم ذلك كله فنحن نخوض معركة ضارية معركة الدفاع عن النفس ، الدفــاع عن الحضارة ، الدفاع عن التــراث والتاريخ والحاضر والغد ، معركة مشهرة ضد التخلــف والفقر واضطراب ميزان الحياة · ســمها معركة التخلف اذا شئت أو معركة النهضة ان

من خير ما كتب

احببت ، أو التنمية الشاملة كما تعـودنا أن نسميها • واستراتيجيتها تستهدف انتـزاع موضع لنا فى حضارة العصر ، و (تكتيكهـا) يقوم على العمل اليومى اليقظ يشترك فيه كل مواطن من عامل النظافة حتى رئيس الجمهورية وهى هدف وأى هدف لمن يفتقدون الهـدف ويؤكدون على ضرورته ، وهى « ايديولوجية » واسعة مرنة لمن يبحثون عن الانتماء ، ونحـو هذا الاتجاه يجب أن ترتفع الاصوات وتنطق الافلام وتهدر أجهزة الاعلام •

ومن حسن الحظ أنها معركة انسـانية مفتوحة ، لاتتخذ ذريعة الى كبت أو قهـر أو استبداد ، ولاتدعو الى الا يعلو صوت عـلى صوت المعركة • انها معركة لاتنتصر الا فى جو الحرية ولا تحقق انجازاتها الا تحت مظـلة الديموقراطية ،فالتخلف عدو الجميع والانتصار عليه هدف كل مواطن أمين • ولكنها أيضـا تحتاج الى الحرية المسئولة ، الحرية التـى تحترم النظام •

كما تحترم الرأى الآخر وتنزع الـى الاستقرار كما تنزع الى التعبير المطلق حرية الأحرار العاملين المجدين المجتهدين الساعين للخير بالقلب والارادة والعقل•

الاستاذ : محمود عبد المنعم مراد

كلمـات

ظاهرة تستحق أن نقف عندها • فقد صدرت فى السنوات الاخيرة أحـكام كثيرة بالادانة ، فى جرائم القذف والسب العلنى ، أدين فيها كثيرون من الكتـاب فى الصحف والمجلات ، كما أدين فيهـا بعض الوزراء أيضا •

ويرتبط بذلك ، مانسـمعه الآن فى المجالس والبيوت والشـوارع والأندية من ألفـاظ وعبارات تخدش الحياء ، وتخرج عن حـدود الآداب خروجا عنيفا ظاهرا ليس له حدود •

وكثيرا مايسمع المرء رغم أنفه ، معارك كلامية تدور بين الناس على مختلف أعمـارهم ومراكزهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية •

تقال فيها عبارات يعاقب عليها القانون ، وتتنافى مع الخلق وحسن التربية أو تؤكد الاسـتهتار العام بالحيـاء والأدب • وأمـا القراء الذين يرسلون بتعليقاتهم أو ردودهم أو انفعالاتهم لما يكتبه الكتاب فى الصحف ، فهؤلاء يستطيعون أن يأخذوا راحتهم على آخرها فيما يكتبـونه بغير توقيع ، أو بأسماء وهمية ، ويستخدمون ألفاظا نابية بذيئة فى أدنى درك الانحطاط ، ومعظم الكتاب ، ان لم يكن جميعهم بغـير استثناء ، يتلقون مثل هذه الخطابات بين وقت وآخر ، والقليلون هم الذين يناقشون الـرأى بالرأى وبالكلمة المهذبة الرقيقة ، مهما يكـن الخلاف حادا بين الكاتب وقارئه •

•••••••

والذى جرى • ان كثـيرين من الآبـاء والأمهـات ، والمدرسين والمدرسات ، يعجبون من قاموس الالفاظ المستخدمة الآن فى البيوت

والشوارع . هل تتحمل بعض أفلام السينما ومسلسلات التليفزيون قسطا من المسئولية عن هبوط مستوى الحديث فى بلادنا ؟ ربما .

الاستاذ/أنيس منصور

السيدة الباحثة الاسلامية أمينة الصاوى اجتهدت كثيرا جدا جدا فى مسلسل (لا اله الا الله) .. ومن آيات هذا الاجتهاد أنها جعلت الفراعنة يتحدثون « لغة المسلمين » . بل يكادون يكونون مسلمين .

ولذلك كنت أتوقع من حين الى حين أن أسمع صوت المؤذن .. فقد تكون لها رؤية (درامية) فى التاريخ الفرعونى معناها : ماذا لو عاش أحمس فى مكة والمدينة على أيام الرسول عليه الصلاة والسلام فكان واحدا من المهاجرين والأنصار .. ماذا لو احتفل الفراعنة بذكرى دنشواى .. ماذا لو كان رمسيس الثانى هو قائد العبور الى سيناء سنة ١٩٧٣ ؟ ممكن . ولكنها لم تفعل ذلك . ولم تعلن عن هذه المحاولة الجريئة فى التحدث والمعاصرة بين الفرعونى والاسلامى ؟.

الله أعلم ، ربما كانت السيدة أمينة الصاوى قد فسرت الآية الكريمة (**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**) بأن كل الأديان السابقة على الاسلام اسلامية الا قليلا .. وانها تتطور فى الطريق الى ذلك أو تعجز عن بلوغ الاسلام .. وعلى ذلك فالفراعنة ليسوا مسلمين تماما .. وانما هم مسلمون الى حد ما .

والمشكلة هى ماهى حدود اسلامهم .. والى درجة يساعدها الواقع التاريخى وأين يقف الواقع وأين يبدأ الاجتهاد .. ثم ماهى حدود هذا الاجتهاد وأين الحقيقة وأين الخيال فى النهاية .

صحيح لم نسمع أحدا قد أعلن اسلامه .

ولكن الجو العام يوحى بكل ذلك .. الا اذا كانت السيدة أمينة الصاوى تريد أن تدخل الفراعنة الجنة من أوسع أبوابها ، اعجابا بهم وطمعا فى رحمة الله . فجعلتهم يسلمون اسلاما اخناتونيا ، مغايرا للواقع ومخالفا لكل النظريات الدينية والفلسفية والتاريخية ... ولكن القرآن الكريم قد سبقها الى ذلك .

قال تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) . فلا عذاب للشعوب التى لم تر الرسول عليه الصلاة والسلام .

والسيدة أمينة الصاوى هكذا تتعسف فى تفسير القرآن الكريم وتتجنى على الواقع التاريخى — مهما كانت حسنة النية .

الى القراء ..

كتب الينا الاستاذ محمد نجيب لطفى محمد ، مدرس اللغة العربية والتربية الاسلامية بالعدوة — الفيوم — بملاحظات على قسم « الشعر والشعراء » .

الى الاستاذ محمد نجيب بالغ شكرنا ونرجو الله — سبحانه — أن يوفقنا الى العمل بملاحظاته .... مجلة الأزهر

فهرس العدد

الشعر والشعراء

العلوم الكونية

اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية
عبد المنعم ابراهيم مهنا

Indeed, a word against a man might bring ruin to him.

II- The delay of God's response to a prayer

I have contemplated a strange case. An adversity comes upon a believer, and so he prays and prays to Allah, but sees no trace of his prayer being heard. Then as he verges on despair, he searches his heart If he is content with his lot, undespairing of Allahs bounty, it is quite probable that his prayer is going to be answered. For it is then that faith is rectified, the Evil one defeated, and the magnitudes of men are distinguished. To this it refers in the Holy Qur'an: "... that even the Apostle and those of faith who were with him cried: When is the help of Allah to come ? " (Surat Al-Baqara, II, 214).

That was what befell Jacob, be upon him peace from Allah, He did lose a son; however, he did not lose faith in Allah's mercy. His next son was taken but he kept on believing in Allah's grace. He said:"Maybe God will bring them back all to me..." (Surat Youssuf,XII, 83). So did Zacharia say: "God, never am I unblest, in my prayer to you." (Surat Mariam,XIX, 4).

So, beware of protesting against Allah delaying His response to your prayers. Always remember He is the Owner and Wise Arranger who knows best what is best, He tests you to enveil your innermost self, and to see you supplication, and He wants to recompense you to the utmost of your patience. It is to cause you to fight evil whispers that He delays the answer to your prayer.

Each one of these, does strengthen faith in Allah's grace and cultivate in us a strong feeling of indebtedness to Him. He qualifies you with misfortune to deserve His hearing your requests. Indeed, such helplessness as pushes man into seeking His protection is perfect sufficiency.

EXCERPTS FROM SAYD --UL - KHATER

By Imam Ibn Al-Jawzy.

Translated by :

Sonia Hill

I- On screening one's affairs

Human tendency is world wide to make one's superiorities clear to and felt by others. However, the malice of envy is a reality which exists everywhere. So, one should exhibit only the least and most indespensible parts of the powers and graces Allah has endowed him with.

Man finds delight in being looked on with esteem and admiration. However, he can be eyed by a faithless friend whose fiery looks would aim untold grudge at the grace he is possessed of. From here I dare safely say it is a necessity to screen one's affairs, and that to conceal one's privacy is an act of wisdom. For it is pleasure that the envious take in one's misfortunes, and it is with malevolence that they watch ones joys.

One must not seek self assertion to the extent of endangering one's self through exposure to evil eyes and ill-wills. Or, in old age, they will deride him, while in young age they will despise him. Should be uncover his mind, his opponents will wage war against him. He will be scorned in poverty and envied in riches. So, one's age, mind and wealth must be one's most invaluable treasure which he must keep behind strong walls of reserve.

had to sleep the night in a cave. Hardly were they inside when a rock rolled down off the mountain to lock them in. They agreed that nothing would rescue them other than their supplicating Allah on account of their good deeds.

One of them said: Allah, my parents were advanced in years, and I used to give them their supper milk in precedence of any other person, wife or child. One day I sent cattle too far to grass, so that I was not able to be back until they had gone to sleep.

Hating to awake them or to give anybody else, wife or child, milk to drink before them, I kept waiting with the cup in my hand for them to wake up till dawn was bright, while at my feet, my children were bleating out their cries. My parents rose from sleep and had their milk. Allah, if it was for your sake that I so did, relieve the distress caused to us by this rock. The rock made too small a divergence to let them pass through.

The second man said: " Allah, I had a cousin whom I loved as ardently as it is in the power of a man to love a woman. I tried to seduce her but she would not yield to me. Then befell her a time of strait and dearth. She came to see me and I gave her a hundred and twenty dinars that she might surrender herself to me. She agreed this time, but I was no sooner between her legs than she said to me: Fear Allah and do not break the virgin save by its right. I turned away from her, even though she was then the dearest human to me, and I parted leaving the gold which I had given her " Allah, if this I did was for the sake of your favour, relieve the distress we are in." Again the rock diverged, but they still were not able to get through.

The third one said: "Allah, I hired a number of men for help and gave them their fares except a man who left his due and went away. I invested the sum until a good wealth came out of it. Some time later, he came to see me, and he said: Subject of Allah, concede my fare to me. I said: Here you are. All that you can see of cattle, cows, sheep and slaves are yours. He said: Subject of Allah, do not mock at me. I said: I am not mocking at you . He took them all and drove them before him, leaving nothing. "Allah, if I did so seeking Your pleasure, relieve the distress we are in.

The rock diverged so that they walked away " (Agreed upon).

I said to him; Apostle of Allah, the killer deserves it, but why the killed?" The Prophet, be upon him blessing and peace from Allah said: " He too was eager to slay the other man." (Agreed upon).

10- On authority of Abi Huraira, may Allah be pleased with him; said: The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said: "A man's prayer in congregation exceeds his prayer at home or in the market by more than twenty ranks. This is because if a man well preforms his ablutions and takes his way to the mosque, nothing inciting him from within or spurring him from without other than the intention to do his devotions - if so, then at each step he will rise a rank and get unburdened of a sin, until he walks into the mosque.

"Inside the mosque, so long as nothing but prayer is immuring him, he is reckoned to be at devotion." The angels invoke mercy and blessing on each of you throughout his stay in his praying-place. " They say: Allah, show mercy to him; Allah, forgive him his sins ; Allah, relent towards him - so long as his ablution remains unoffended." (Agreed upon).

11- On authority of Abd-Allah Ibn Abbas, may Allah be pleased with them, father and son: Relating about his God, glorified and high exalted be He, the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, said:

"Allah has made it clear that He has written down virtues and sins. However, He will reckon it with Him a whole righteous deed any good act a man was minded to do but did not carry out. Should he purpose it and then put it into effect, Allah will then reckon it with Him from ten to seven hundred folds and even more. On the other hand, once a man is about to do an evil but abstains, Allah will reckon it with Him a righteous deed; but if he actually does it, Allah will reckon it one sin".(Agreed upon).

12- On authority of Abd-Allah Ibn Omar Ibn-AlKhattab, may Allah be pleased with them, said: I listened to the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, when he said:

" Three people of former days happened to be so late out that they

RIYAD AL-SALEHEEN BY

IMAM YEHIA IBN SHARAF AL-NAWAWY AL-DEMASHQI

Translated by: Soliman Barakat

CHAPTER 1

Sincerity, Devotion and Presence of Wholehearted Intention in all one's actions ; utterances and states both conspicuous and hidden.

CONTINUED

7- On authority of Abu Huraira Abdul Rahman Ibn Sakhre blessed be he said:

The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said: " Allah does not look at the figure or form of the outer man; He looks at your hearts, and your deeds." (Muslim)

8- On authority of Abi Moussa Al-Ashaary, may Allah be pleased with him:

A question being put to the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, concerning men fighting bravely, out of zealotry, and for show: which is in the cause of Allah? He said:

" He is certainly in the way of Allah who fights so that the Word of Allah may by uppermost and supreme." (Agreed upon)

9- On authority of Abi Bakrah Ibn-Al-Harith Al-Thaqafy, may Allah be pleased with him:

The Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, said: "Should two Muslims encounter with the points of swords, then both the killer and the killed will go to Hellfire."

from Allah upon him) ordered Abd Allah the son to be good and kind to his father, for these are the teachings of Islam.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

The second of the two incidents will be discussed at length in the following issue In Sha Allah. That will be the incident of the Slander.

References:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library-Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition.
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah.
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
Mouassasa Al-Risalah.
Beirut, 1981.

Among the men with Ibn Salool was a youngester Zaid Ibn Al-Arqum who was a devout believer, and related the exact words of Ibn Salool (the Hypocrite) to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who repeatedly questioned Zaid to ascertain the accuracy and truth of his words. Omar Ibn Al-Khatab asked permission to kill Ibn Salool, and was absolutely denied it, with the wise reasoning that , how will it be accepted that Mohamad (prayers and peace from Allah upon him) kills his companions. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) was deeply discontent, aggrieved and repugnant to what he heard Ibn Salool had said. With intelligent foresight and astute sagacity, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced immediate departure at a time not customary for him to travel. This was to avoid the people to indulge in idle antagonistic prattle and chatter, they were better off being occupied actively and separately in the process of travel. The march continued at a steadfast pace for the rest of the day, all night,and the following day till noon. The men were so tired that they soon slept.

Abd Allah Ibn Salool came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to deny the words he had said, and disclaim them. At this stage, the Quranic revelation of Surat Al-Munafiqun was revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), to expose the evil intentions of the Hypocrites, and proclaim the truthfulness of the Youngester Zaid Ibn Al-Arqum.

It is related that Abd Allah son of Abd Allah Ibn Ubaii Ibn Salool stood on their return at the doors of Al-Madinah and prevented his father Abd Allah Ibn Ubaii from entering Al-Madinah without the approval of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who allowed and sanctioned. Abd Allah the son also asked that if the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had the intention to order the killing of the father Ibn Ubaii Ibn Salool;to grant him the duty to do that; fearing that if some other man did it, there will always remain a feud of revenge between the son and the other man. The Prophet (prayers and peace

Bani Ghafar of the Muhagereen crowded over the water with Senan Ibn Wabar Al-Gahney ally to Bani Aof from the Khazraj of Ansar, and fought in struggle together. Gahgah shouted for the supoort of the Muhagereen, and Senan shouted for the support of the Ansar. Several men from both parties came to the support of their man, and an outbreak of fighting was about to take place. On hearing the chaos and confusion, the Prohet(prayers and peace from Allah upon him) came out and said " what is that dark ignorance of chauvinism", and made peace and counsel between both men, and the dispute absolutely subsided. Abd Allah Ibn Ubaii Ibn Salool from the Khazraj and the vicious head of the Hypocrites, heard the details of the quarrel and said " I have not seen more degrading humility before this day, this is what you have done to yourselves,(addressing a group of Ansars from the Khazraj), accepted them in your land, shared with them your property. By God, if you prevent them your generosity, they will seek some other place to go. It is true that when you feed your dog it bites you (referring to the Muhagereen)".

Ibn Salool also made his famous statement that once they were back at Al-Madinah, the more honourable (referring to himself and his clique) will expell the meaner(referring to the Muhajereen). This particular statement was documented in the Holy Quran to expose the Vile and false intentions of the Hypocrites.

> "They are the ones who say "Spend nothing on those who are with the Apostle of Allah till they disperse and quit. But to Allah belong the treasures of the heavens and earth. But the Hypocrites understand not. They say: If we return to Medinah, surely the more honorable (element) will expel therefrom the meaner. But honour belongs to Allah and His Apostle and to the Believers; but the Hypocrites know not".

(Surat Al-Munafiqun, LXIII, 7-8)

Among the women prisoners was Guwairiah daughter of Al-Harith Ibn Dirar who was taken as a war slave by Qais Ibn Shamas. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) knowing her eminent rank among Banu Al-Mustaliq and their reputation for dignity and honour, paid her ransom and freed her from slavery. Later, the Prophet (prayer and peace from Allah upon him) asked the consent and approval of her father Al-Harith Ibn Dirar and married Guwairiah, who had embraced Islam. When it was announced that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married Guwairiah daughter of Al-Harith, all Muslim worriors refused to keep any from Banu Al-Mustaliq as prisoners and slaves of war, now being related to the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) through his marraige to Guwairiah.They were all freed completely with no ransom. As a consequence of all this, all the clan of Banu Al-Mustaliq announced their Islam, and became its champions and supporters instead of being enemies.

It is related that Guwairiah Bint Al-Harith had recognised in her dreams a few nights before the battle, that the moon approached from Al-Madinah and settled on her garment. She kept the dream to herself, and when she was taken prisoner, she wished that the dream may become reality. Guwairiah was reputed for her distinction of wisdom, honour, rank and benevolence.

At this stage, the events of the encounter with Banu Al-Mustaliq came to an end. However, two very important incidents took place that may have had deplorable and distressing repercussions on the Muslim society; was it not for the grand faculty of wisdom and dexterity of tactfulness of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The first of the two incidents was the dispute that started between the Muhagereen and Ansar. This dispute was heightened by hypocrites present at the time during the encounter with Banu Al-Mustaliq.The story goes that at one of the water wells some crowdness took place and one of the hired men for Omar Ibn Al-Khatab named Gahgah Ibn Massoud from

The Hostility with Banu Al-Mustaliq

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD.

In the Name of Allah most Merciful and Compassionate.

Most eminent chroniclers agree that the incident of Banu Al-Mustaliq took place in the month of Shabaan in the Sixth year after Hijrah. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) received news that Al-Harith Ibn Dirar, the head of Banu Al-Mustaliq from the tribe of Khuzaah, was gathering men to wage war on Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched out with seven hundred men, and left Al-Madinah under the ministership of Abu Zar Al-Ghaffary. The Muslims encountered Banu Al-Mustaliq at one of their water wells called Al-Merisie towards the coast. When both oponent parties were face to face, Omar Ibn Al-Khatab called them to Islam to save themselves and their property. Banu Al-Mustaliq refused, and both parties started actual fighting. Soon the Muslim carried a mass attack and Banu Al-Mustaliq were soon defeated and dispersed after the death of ten men, and several taken prisoners including many woman and children. The spoils of battle were two thousand camels and five thousand sheep.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

دائماً أبداً

في مركز الضوء سداد التوفيق

ذلكم هو محمد خاتم النبيين والمرسلين – صلوات الله وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته عليه دائما أبدا على خير ما يحب ربنا ويرضى لصفوة خلقه، وأحب عباده.

روى الامام ابن ماجه فى سننه قال:

عن القاسم بن محمد بن عباد المهلبى، حدثنا عبد الله بن داود، حدثنا سفيان قال:

« حج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثلاث حجات: حجتين قبل أن يهاجر، وحجة بعدما هاجر من المدينة ». (١)

* الجزء الثانى عشر * السنة السابعة والخمسون *

* ذى الحجة ١٤٠٥ * سبتمبر ١٩٨٥ *

والنص الكريم يحدثنا عن حَجتين لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل الهجرة وشأن هاتين الحَجتين يضعنا ــ فى نطاق البحث ــ أمام أمور تدفعنا الى التساؤل :

عن مقصود الراوى ــ رضوان الله عليه ــ بلفظ «قبل أن يهاجر»؟

أيعنى أن كلتا الحجتين وقعتا فى الفترة التى بدأت بالبعث وانتهت بالهجرة ؟

أم هو يعنى زمن ما قبل الهجرة كله . فيتناول سِنِى رسولِ الله ــ ﷺ ــ من عهد الصبا حتى الهجرة .. ؟

واذا كانت الحجتان وقعتا كلتاهما فى فترة البعث ــ قبل الهجرة ــ ففى أى السنوات الثلاث عشرة كانتا .. ؟ وكيف حج النبى ــ ﷺ ــ ؟

منذ بعث رسول الله ــ ﷺ ــ وأرسله الله ــ سبحانه ــ الى الناس كافة رحمة للعالمين ، وهو ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى كوكبة من الايمان تمثلها الجماعة المؤمنة : قَلَّتْ أم كَثُرتْ . كانت الدعوة سرا أم جهرا . فكان ــ ﷺ ــ فى دائرة الضوء وملتقى الابصار من هذه الفئة التى صَبَرَ نفسه عليها غدوا وعشيا لا يعدو عنها يعلمها دينها فتمارسه أمامه ، ويهديها من صراط ربها ما أذن بتنزيله ، فهم من خُطَاهُ على علم . ومن عمله على بينة ــ رضوان الله عليهم .

ولسنا نستطيع ــ بحال ــ أن نجزم بحجة لرسول الله ــ ﷺ ــ أو حجتين فى هذه الفترة كلها دون أن نكون مجاوزين لمنطق الاحداث مغامرين بأسلوب العلم ، فان حجا يقع منه ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى هذه الفترة ولا يعلم به أحد من هؤلاء القوم لضرب من سرحة الخيال .

والأمر عندى أن رسول الله ــ ﷺ ــ انما حج هاتين الحجتين ، وقد يكون غيرهما كثير قبل بعثته ــ ﷺ ــ وقد ذكر الامام البخارى إحدى حجاته هذه فى صحيحه عن جبير بن مطعم ــ رضى الله تعالى ــ عنه وسياقها يفيد أداءها قبل بعثته ــ ﷺ (١) .

وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يؤدى حجه هذا على إرث الخليل ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

فأما حجه بعد الهجرة فمعروف ، وبذلك نعلم أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما كان فى دائرة الضوء رسولا ، كان دائما فى سداد التوفيق من رب العالمين .

د/ على أحمد الخطيب

(١) سنن ابن ماجه القزوينى ٩٦٥/٢ دار احياء الكتب العربية .

(٢) انظر صحيح البخارى ــ باب الوقوف بعرفة ، وانظر مجلة الازهر ــ العدد الثانى عشر لعام ١٤٠٤ هجرية ص ١٩٩٢ .

مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تعالوا إلى كلمة سواء

بيان لفضيلة الإمام الأكبر

تعالوا إلى كلمة سواء

أثار موضوع تطبيق الشريعة الاسلامية حوارا ارتفع صـوته ، وعلا صراخه ، حتى جاز أن نسميه جدلا خرج عن الجادة ، وانحـرف عن الهدف ، فصار قضية ساخنة مثيرة ، تتصارع حولها الأقـلام ، وتجرى بها أنهار الصحف ، وبرز فى هذه الجولة حول الشريعة ، ــ ولا أقول عليها ــ من اخترعوا ألقابا ومسميات دخلوا بها على الناس حتى يصيخوا السمع لما يقولون ، أو ليقرءوا مايكتبون ٠

فهذا كاتب اسلامى ، وذاك مفكر اسلامى ، مسوغات ورخص اخترعوهـا لأنفسهم حتى يبيعوا مايخترعون من فكر وأوهام باسم الاسلام ، إحياء للجـدل حول العلمانية والإسلام ، وهل الاسلام دين ودولة ــ أو أنه دين فرض العبادة لله ولا شأن له بحياة عباد الله على هذه الأرض ؟

وخلط وبعد عن استيعاب أصول الاسلام وفروعه ومقاصده ، ودوامـات من الفكر يتوه فيها الحكماء والعلماء ، فما بالنا بهذا الجيل الذى انتبه بعـد الى العودة الى الذات ، ذات المسلمين وسماتهم وليس الا الاسلام سمة لهم ٠

الاسلام فى عدله ٠

الاسلام فى حرصه على العلم والتعليم

الاسلام فى حرصه على الترابط والتكافل الاجتماعى ٠

الاسلام فى تربيته للفرد وللجماعة وللأمـة ٠

الاسلام فى حرصه على السلام الاجتماعى والالفة بين طوائف الشـعوب والأمة فلا تفرقة بسـبب اللون ، أو الفقر ، أو الغنى ، ولا اضـطهاد بسبب الدين ٠

الاسلام الذى حرم الغش فى العقود وحمى من لايحسن التعاقد ٠

الاسلام الذى حث على عمارة الأرض ، واشاعة الحياة والأمن والأمان ٠

الاسلام الذى جاء بفروض محددة لاتقبل الاجتهاد فى صلة الانسان المسلم

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

بالله ، كما بين الحلال والحرام فى التعامل فى الحياة الاجتماعية بين بنى الانسان « وفصل لكم ماحرم عليكم » ـ لأنه أقل بكثير مما أحل وقال « **وأحل لكم ماوراء ذلكـــم** » .

الاسلام السماحة والتسامح .

الاسلام نظافة المظهر والمخبر .

هل الاسلام ـ وهو كما جاء فى القرآن الكريم وفى سنة رسول اللــه ﷺ نختلف كل هذا الاختلاف حوله ونتجادل ؟ لا بقصد الفهم وانما فى لجاجة وغلظــة ونمطر الاسلام وشريعته وابلا من السخط وكثيرا من النقد دون ان نســـتوعب هذه الشريعة بل حتى دون أن نفقه ما قرأنا . « **وَإِنَّ مِنهُم لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّــهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** » ..

هذا الجدل الصارخ الذى انعزل عن الطريق الحق عندما نحا بالقضية ، قضية تطبيق الشريعة الاسلامية الى سيل من الصد عن سبيل الله وعن الاستقامة ، الى تحريف متعمد للمفاهيم والقيم الاسلامية .

حتى لقد بلغ ببعض الكتاب أو المتحاورين التجاوز بأن قال : ان حـــدود الاسلام وأحكامه شرعت لتقعيد الاسلام ، وقد تجاوزته الحياة الحاضرة بمعضلاتها وحضــــارتها .

ولقد اشتجر الكاتبون فيما اذا كان تطبيق الشريعة فورا وبالمســـيرات والمظاهرات أو أنه ينبغى أن يتم فى تريث وعلى مهل ودون عنف .

وما كان الاسلام بالمظاهرات والمسيرات .

وما كان تطبيق شريعة الاسلام بالشعارات التى تلصق على المركبات أو ماكانت أحكام الاسلام موقوتة بعصر النبوة والخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ .

وانما هو الاسلام عقيدة وشريعة ، ودين ودنيا لكل العصـــور مابقى المسلمون قانتين لله ، حافظين لحرمات الله ، يتلون كتابه ويعملون به .

◄

تعالوا إلى كلمة سواء

حين بدأ مجلس الشعب فى دور سابق بحث (تنقية) القوانين القائمة لرفع مايكون منها مخالفا للشريعة ، وحين صرف أعضاؤه والمتعاونون معهم من العلماء:علماء الشريعة والقانون ، الوقت والجهد ، وأنفقت الأموال فى هذا الصدد، لم يكن ذلك مظاهرة أو مسيرة وانما كان عملا جادا انتهى الى نتاج طيب ، أرتضاه المخلصون لهذا الشعب الحريصون على استقلاله وذاته ، وعلى مستقبله كرائد وقائد لهذه الأمة العربية والاسلامية •

فاذا تأخر الاجراء الدستورى أو تباطأ ، فان ذلك على أى حال مسئولية **« مجلس الشعب » الذى انتخبه الشعب لولاية هذه السلطة ، يسائله الشعب حين يعود اليه عاجلا أو آجلا •**

ولا تكون المساءلة بهذه الطرق المعيبة التى قد تودى بسمعة البلاد واستقرارها وأمنها •

ولا يكون الرد على المطالبة الفورية لتطبيق الشريعة بهذه المقالات وذلك الجدل الذى أشبه الصراخ ونعت الشريعة بعدم الصلاحية للتطبيق ، وفقه فقهائها بأنه صار رثا باليا لاحياة فيه ولا يصلح لهذا الزمان ولحكم هذه الحضارة •

ان هؤلاء الذين علا صوتهم ، وارتفع صرير أقلامهم قد أساءوا الى مايطلبونه حين يمسون مشاعر المسلمين فى أقدس مايهمهم ، وأهاجوا كوامن نفوسهم ، حين يطلق هؤلاء القول على عواهنه لايرعون فى الله إلاًّ ولا ذمة ، ولا للوطن وللمواطنين حرمة ولا كرامة •

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتام ماجرح اللسان

نعم : « تعالوا الى كلمة سواء » : اجعلوا حديثكم الى هذا الشعب ومن ورائه الأمة العربية والاسلامية فى حتمية التطبيق للشريعة الاسلامية فورا أو أن الامر يحتاج الى تريث •• وضحوا فى أقوالكم التبزير لما تقولون ، دون أن تطعنوا الشريعة ذاتها أو تسيئوا الى السلف الصالح الذين بذلوا فى سبيل التأصيل والتفريع جهدا يذكر ويشكر ويحتذى •

وقد تكون تلك الطعون التى سالت بها أنهر الصحف والمجلات منذ ثارت هذه القضية ، عن سوء قصد كما قد تكون عن قصور فى الفهم والتحصيل وكلا الأمرين معيب •

وقد قيل قديما : الناس أعداء لما جهلوا :

قولوا للناس : لا نريد الربا ولكن نريد قبل أن تقرر الغاء التعامل بالربا تحديده فى المعاملات الجارية وايجاد البديل له ، حتى لاتضطرب أمورنا الاقتصادية المتشابكة مع غيرنا ، وأن نكون جادين فى القول الرشيد .

قولوا للناس : ان من تطبيقات الشريعة استقامة السلوك ، وان المسئول عن هذا كل فرد فى الأمة قبل الدولة .

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها » .

قولوا للناس : ان رسول الله ﷺ قال :«الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

فهل قام كل رب أسرة وكل ربة أسرة بذلك أم تريدون سلطة الدولة لتسيير أمور الأسرة فى المنزل بين أفرادها التى جعل الله المودة والرحمة هى الصلة التى تربط بينهم ؟

قولوا للناس : قاوموا الانحراف والسرقات وأدوا الأعمال بأمانة وهمة حتى تتوقف الرشوة والفساد . **« ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ » .**

نعم على الدولة واجب الحكم والردع لمن لايجدى معه النصح والارشاد .

ولاصلاح لهذه الأمة الا بما صلح به أولها:كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

والأمة جميعا حكاما ومحكومين مطالبون بذلك كل فى حدود مسئوليته .

نعم :

« تعالوا الى كلمة سواء » ياوسائل الاعلام وأخص الصحف والمجلات ..

هل راعيتم حق الله والوطن والمواطنين حين تثيرون هذه الحملة الظالمة على الشريعة وتطبيقها وتأخذون التطبيق أو انحرافه فى بعض البلاد مثلا على عدم صلاحيتها فذهبتم تحرفون الكلم عن مواضعه ، بعلم أو بغير علم ، وغاب عنكم أن هذا الشعب المتدين — المسلمين والمسيحيين — لا يرضى منكم ولا لكم هذا . بل انه يسوءه أن تهوى المعاول لهدم قيمه وشريعته ، بل ووحدته التى علت فى كل الأزمات والملمات .

لقد عاش هذا الشعب حينا من الدهر أكثر من عشرة قرون فى ظل الاسلام وشريعته عيشة راضية ، مستقرة ، مستنيرة كل يعرف حقه وما عليه من واجبات .

فأعيدوا الى هذا الشعب هدوءه النفسى وأوقفوا هذه الحملات على الشريعة الاسلامية وتطبيقها ، ووجهوا النصح فى أناة وروية وموضوعية لمن ترونهم قد

تعالوا إلى كلمة سواء

انتهجوا طريقا غير مشروع للمطالبة بالتطبيق الاسلامى ، دون أن تملأوا الصحف بهذه الأنهر من التجنى على الاسلام وشريعته ، وتوقيتها أو توقف صلاحيتها .

فان التاريخ سيحكم عليكم .

والأثر العاجل لما تتقولون : أنكم تضللون هذا الجيل الذى لم يدرس ولم يتعلم من الاسلام الا القليل .

نعـــم :

« تعالوا الى كلمة سواء » فقد هلع المثقفون على مستويات عالية من هذه الحملة ضد تطبيق الشريعة .

وحضرت الى « شيخ الأزهر » وفود من أساتذة الجامعات ورجال التعليم ووردت تعليقات وتعقيبات جزعة مما يكتب وتتناقله عنا وسائل الاعلام فى بـــلاد العرب والمسلمين التى نحن منها بمنزلة القلب ، واتخذتها بلاد أخرى وقـــودا لما تهدف من فتـــن .

اقترح على « نقابة الصحفيين » أن تبحث التصدى لهذه الظاهرة . ظاهرة التعدى على شرع الله ، والجرأة على الله ممن يقولون فى الاسلام بغير عـــلم أو عن هوى مضل ، فقد نشرت كلمات أقل ماتوصف به أنها « غير مسئولة » .

ان حرية الكلمة مكفولة بشرط ألا تضر بالقيم الأساسية للاسلام وللمجتمع الاســـــلامى .

وهل من حرية الكلمة أن نسخر من بناتنا وسيداتنا الملتزمات وأن نغريهـــن بالخروج عما التزمنه بدعوى أن لفظ الحجاب لم يرد فى القرآن ؟

أو أنهن انما لجأن الى هذا الالتزام لفقرهن وعجزهن عن مسايرة التطـــور الحضارى وكأن الحضارة ليست الا فى عرى النساء وتبذلهن .

أقترح على « **نقابة الصحفيين** » : أن تنشر الصحف بحوثا تعالج وتواجه الانحراف عن الاسلام وتبصر المسلمين رجالا ونساء بحقائق الاسلام وأباطيـــل خصــــــومه ، تقويما للسلوك وتبيانا للشريعة لمن غابت عنهم أحكامها وقصر فهمهم لهـــا .

ان الصحف والمجلات أصبحت مصدرا هاما للتثقيف والمعـــرفة ، فافتحوا صحفكم لما يصلح وزيدوا رقعة الثقافة الاســـلامية مرات ومرات فى الاسبوع لا فى يوم الجمعة فقط .

« وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » .

« وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ » .

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

صدق الله ، ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

جاد الحق على جاد الحق

بيان

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر

الى المسلمين .. عما سأل عنه ، سماحة الشيخ/أبو بكر نجار رئيس المجلس الاسلامى بجنوب أفريقيا ونصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فقد اطلعت على كتاب سماحة الشيخ أبو بكر نجار رئيس المجلس الاسلامى لجنوب افريقيا المؤرخ ٥ من شهر صفر سنة ١٤٠٢ هـ وقد جاء بـه :

أن أتباع مرزا غلام أحمد ، انقسموا الى طائفتين :

الاولى : القاديانية وهى التى تنكر صراحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

والأخرى : الأحمدية (لاهور) .

وهذه الطائفة تدعى أنه[1] نبى مجازى ، وأنه المسيح المنتظر ، وأنه المهدى والمصلح ، وأنه المجدد المبعوث على رأس القرن الرابع عشر الهجرى ، وان سيدنا عيسى عليه السلام هو (ابن يوسف النجار) وانهم لايؤمنون بمعجزات الأنبياء .

وقد طالب هؤلاء بنفس حقوق المسلمين ، وبالذات : حقهم فى الصلاة فى مساجد المسلمين ، ودفن موتاهم فى قبورهم — بدعوى أنهم يشهدون بوحدانية الله وبرسالة رسوله سيدنا محمد ﷺ .

وقد أقاموا دعوى — أمام محكمة (كيب تاون) (رأس الرجاء الصالح) بدولة جنوب أفريقيا ضد المجلس القضائى الاسلامى والجمعية الاسلامية والشيخ محمد صالح دين — طلبوا فيها الحكم لهم بنفس حقوق المسلمين ، وبالذات :

(١) أى ميرزا غلام أحمد

الصلاة فى مساجدهم ودفن موتاهم فى قبورهم بادعاء أنهم مثلهم ، يشـــهدون لله بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، وأنهم يصلون ويصومون ويزكـــون ٠

وقد أنكر عليهم المجلس القضائى الاسلامى والهيئات الاسلامية الأخرى أن يكون لهم حقوق المسلمين ٠

وقد انتهى سماحة الشيخ/أبو بكر نجار ــ رئيس المجلس الاســلامى لجنوب افريقيا ، ورئيس المجلس الشرعى لاقليم الكاب الى توجيه الأسئلة التاليـــة :

١ ــ هل تعتبر طائفة الأحمدية (لاهور) من المســلمين أم من غــير المســلمين ؟

٢ ــ هل لهم الحق ــ اذا لم يعتبروا مســلمين ــ أن يدخلوا مساجد المسلمين لأداء صلاتهم وأن يدفنوا موتاهم فى قبور المسلمين ؟

٣ ــ تحت أية ظروف يكون للمشرفين من المسلمين على المساجد الاسلامية أن يمنعوا أى شخص من الصلاة فيها ؟٠

ونفيـــد :

بأن فرقة الأحمدية فرع من القاديانية التى قال عنها المرحوم الدكتــور/ محمد اقبال أحد كبار المفكرين المسلمين فى البنجاب : (ان القاديانية ثورة على نبوة محمد ﷺ ومؤامرة ضد الاســلام وديانة مستقلة ، وان القاديانية وحدها ليست جزءا من الأمة الاسلامية العظيمة) ٠ ذلك لأن هذه الجماعة خالفت اجماع المسلمين واتفاقهم على أمور صارت معلومة من الاسلام بالضرورة ٠

من هذا ابتداعهم تفسيرا لقول الله سبحانه (٠٠ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ٠٠) (١)، مخالفا لما وقع عليه الاجماع من أن رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين فلا نبى ولا رسول بعده الى يوم القيامة ٠٠ اذ قال القاديانيون مفسرين قول الله تعالى :

(وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٢) لأول مرة فى تاريخ المسلمين بأن محمدا صلى اللــه عليه وســلم هو خاتم النبيين ٠٠ اى طابعهم فكل نبى يظهر الآن بعــده تكون نبوته مطبوعة بخاتم تصديقه ﷺ ، وهذا تفسير باطل يخرج به صــاحبه عــن اســـلامه ٠

وقد سارت فرقة الأحمديه فى عقيدتها وســلوكها الدينى على نهج أصــلها

(١) من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب . (٢) من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب .

(القاديانية) وانتسبت الأحمدية الى المرزا غلام أحمد الذى تواترت كتاباته : بادعائه النبوة ، يصرح بها ويكفر من لايتبعه وان حاول بعض اتباعه تفسير كتاباته بادعاء أنها مجاز وليست حقيقة .

وأطلقوا عليه اسم المسيح الموعود ، أو أن روح المسيح قد تقمصته وأن له معجزة هى تنبؤه بالخسوف والكسوف قبل وقوعهما .

واذا كانت عقيدة هذه الطائفة على هذا النحو كانوا على غير الاسلام . ولشعبة لاهور فوق هذا ضلالة قاصمة يبثونها فى كتبهم بلسان زعيمهم وهى : انكار أن يكون المسيح عليه السلام ولد من غير أب ، وقد صرح زعيمهم محمد على بأن عيسى عليه السلام ابن يوسف النجار وان مريم كانت متزوجة به وأن المسيح ولد بطريق عادى ، وقد حاول تحريف بعض الآيات لتوافق هذه العقيدة ، ويذكر أن عقيدة ولادة المسيح من غير أب ليست من عقائد الاسلام التى يجب الايمان بها ، وأنها من مبادىء المسيحية .

وهذا القول من مفتريات اليهود على رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام كما أخبر به القرآن فى قول الله سبحانه (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيمًا) (١) .

وطائفة الأحمدية هذه بهذا المتقدم وغيره وكذلك أصلها القاديانية كلتاهما فى مسلكهما وطرقهما المتشعبة بدءا واستمرارا بعيدتان عن الاسلام ، اذ لا شك أن عقيدتها فى كل أجزائها تخالف ما أجمع عليه المسلمون من عهد النبى ﷺ من أنه نبى ورسول من الله وأنه خاتم النبيين وما صرح به رسول الله ﷺ من أنه آخر الأنبياء ، وأن الله قد ختم به الرسل ، وأنه لا نبى بعده . وما نسبته هذه الطائفة لزعيمها من نبوءات ، كالتنبؤ بالكسوف للشمس والخسوف للقمر ، قبل وقوعهما ، لا يعد معجزة لانه يقع من علماء الارصاد ، والفلك ويتكرر وقوعه ، بناء على حسابات يجرونها ولم يدع واحد من هؤلاء العلماء أنه نبى أو رسول ، بل انه العلم والمعرفة التى نمت وتكاملت فى بنى الانسان على مدى حياته على الأرض ..

لما كان ذلك فاذا كانت معتقدات القاديانية والأحمدية على هذا النحو تكون قد خرجت بهم عن الاسلام ، حيث خالفوا عقيدته وشريعته فى كثير من الأمور المعلومة من الاسلام بالضرورة — على ما تقدمت الاشارة اليه — وكانت الاجابة على الاسئلة الموجهة من سماحة الشيخ أبو بكر نجار — رئيس المجلس الأعلى الاسلامى فى هذا الشأن على الوجه التالى :

(١) الآية ١٥٦ من سورة النساء .

السؤال الأول :

هل تعتبر طائفة الأحمدية (لاهـور) من المسلمين أم من غير المسـلمين .

والجـــواب

أنه اذا كانت المعتقدات المنوه عن بعضها آنفا لهم كانوا بها خارجيـن عن الاسلام باعتبارهم قد خالفوا فى كثير من الأمور المجمع عليها ، والتى صـارت معلومة من الدين بالضرورة ، فضلا عن أن فى بعض معتقداتهم تكذيبا لما ورد فى القرآن الكريم ، ولا مراء فى أن من كذب القرآن خارج عن الاسلام ولا يعـد من المسلمين .

السـؤال الثانى :

هل لهم الحق ـ اذا لم يعتبروا مسلمين ـ أن يدخلوا مساجد المسلمين لأداء صلاتهم وأن يدفنوا موتاهم فى قبور المسلمين ؟.

والجـــواب

أنه اذا كان هؤلاء ـ القاديانية والأحمدية ـ قد فارقوا الاسلام بتـلك المعتقدات وبرئت منهم عقيدته وشريعته صاروا مرتدين عن الاسلام وجـرت عليهم أحكام غير المسلمين فى شأن دخولهم المساجد . ذلك قول الله سبحانه : **« مَاكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ . إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ » (١) .**

فقد حرم الله فى الآية الأولى على غير المسلم دخول المساجد وذلك بأسلوب تقريرى ملزم للمؤمنين وهذا هو المفهوم من قول الله **« ما كـان للمشركين أن يعمروا مساجد الله »** . فالعبادة كما تطلق على بناء المساجد واصلاحها تطلق كذلك على لزومها والاقامة فيها لعبادة الله ، والمعنى على هذا : أنه لاينبغى للمشركين ، وليس من شأنهم أن يعمروا بيوت الله "المساجد" وهم على حالة الكفر والبعد عـن

البقية ص ٢٠٤٢

(١) سورة التوبة الآيتان ١٧ ، ١٨ .

دراسات اسلامية

الرد على رسالة الأب

مع إبراهيم الخليل

فقه آية كريمة

ضوابط الشورى فى الفقه الإسلامى

الرد على ماجاء بالرسالة الثانية

للأب أليزيو كاميروتا

السيد الأستاذ الأب اليزيو كاميروتا ..
تحية طيبة .. وبعد ..

فقد جاءنى كتابكم المؤرخ بتاريخ ١٥/٣/١٩٨٥ م منذ أسبوعين ، ردا على البيانات التى بعثت بها اليكم ، لكشف اللثام عما وراء العقيدة المسيحية من أخطار ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، حيث يعلم النصارى يومئذ أنهم أشركوا بالله بعض عباده ومخلوقاته «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا » واستحقوا عقاب المشركين ، ولقد أحسنت الظن بنيتكم فى ارسال خطابكم الأول الى فضيلة الامام الأكبر ، فقلت: لن الأستاذ أليزيو يبحث عن الحق فطلبه من جهته .

* لكن كتابكم الذى بعثتم به ردا على كتابى خالف ظنى ، فاسمحوا لى أن أسالكم ما هو الداعى الى ارسالكم الرسالة الأولى الى فضيلة الامام الأكبر ، مادمت لا تطلب بها معرفة الحق ، أتريد الطعن على دين الدولة فى شخص الامام الأكبر ، وهل هذا يتفق مع العرف السياسى أو مع حقوق الضيافة ، وهل مصر مستعمرة أفريقية بدائية حتى تحاول التبشير فيها ، وهل لم يبلغك شأن الأزهر وكلياته وعلومه ومنها المقارنة بين الأديان ، فظننت أنه يهتز من تشكيكاتك ، وهل الاسلام دين ناشىء لم تعرف مكانته ولم يقف على قدميه ، حتى أقدمت على النيل منه ، أفما علمت أنه دين العقل والعلم ؟ وأنه يدين به أكثر من ستمائة مليون نسمة على سطح الأرض ، وأن أمته نشرت العلوم والمعارف فى جميع الأمم فى أوج عزها ومجدها ، وأنه يزيد ولا ينقص ، وأن العباقرة من جميع الأديان يسرعون اليه مؤمنين ، بعد دراسة واعية ، برغم الحملات الصليبية ضده .

تعال معى الى كتابك الذى بعثت به الى ردا على إجابتى لكم :

(ا) لقد جاء فى الصفحة الأولى منه ـ ردا على قولنا : ان أناجيلكم من صنع البشر ـ جاء فيها أن المطبعة الكاثوليكية رأت اليوم أن تعيد النظر فى ترجمة هذه الأناجيل من اللغة اليونانية الى العربية ، لتكون أقرب الى الأصل اليونانى لهذه الأناجيل ، وقام بترجمتها صبحى حمدى ، ويوسف قوشاقجى ، وهذب عبارتها بطرس البستانى .

ولست أدرى ماذا تصنع هذه الترجمة فى الأصل اليونانى لهذه الأناجيل ، انها أناجيل كتبها أصحابها باللغة اليونانية فنسبت اليهم ،

لفضيلة الاستاذ الدكتور
مصطفى محمد الحديدى الطير

وأعيدت كتابتها ، وتحسينها قديما عدة مرات .
يقول (سلسوس) من علماء القرن الثانى الميلادى : ان المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أكثر ، ويعلل (سلسوس) ذلك بأن الكذب والخداع كان بمنزلة المستحبات الدينية وقتئذ ، بل ان (أرجن) كان من الذين أفتوا بجواز تأليف الكتب الكاذبة ونسبتها الى الحواريين أو القسيسين المشهورين ، وقد ذكر ذلك فى الباب الثالث من تاريخ « كليسيا » المطبوع سنة ١٨٤٨ م ، لوليم ميور باللغة الأوردية ، ويقول دكتور (بليس) من علماء البروستانت : ان جميع الكتب ماكانت واجبة التسليم الى عهد « بوسى بيوسى » ويقول القسيس « ميل » : انه لو أمعن النظر لوجد من الاختلافات بين نسخ العهد القديم والجديد ما يزيد على مائة وخمسين ألفا (١)

واذا كان الأمر كذلك ، فهل تريدون باعادة الترجمة الى العربية اضافات جديدة وتغييرات مستحدثة كما فعل الأقدمون ؟ .

* يقول هارون فى الباب الثانى من القسم الثانى من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ م ماذ.صه (الحالات التى وصلت الينا فى بادىء زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة بتراء وغير معينة على الوصول لأمر معين ، والمشايخ الأقدمون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم ، تعظيما لهم ، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب الى كاتب آخر ، وتعذر نقدها على المتأخرين .

* هذه تعليقات بعض كتابكم على كتبكم ، ومنها ترون أننى لم أتجاوز الحقيقة فى وصفى لهذه الأناجيل بأنها مصطنعة ، لما فيها من التناقض والتضاد وعدم التجانس .

* وانى أسالك ياأستاذ اليزيو : أين انجيل عيسى الذى أنزله الله عليه شريعة لأمته ، فأنه مرسل به اليها ، لو كان موجودا لما تعددت الأناجيل واختلفت ، واما نسب الانجيل الى كاتبه بل كان يقال : انجيل الله .

(ب) يقول الاستاذ (موريس فورن) ناظر مدرسة العلوم العليا بباريس : انه يشك فى

◄

---

(١) أنظر كتاب (محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن) للمستشار محمد عزت الطهطاوى ـ الفصل الثانى .

صحة نسبة الأناجيل الثلاثة (متى ومرقص ولوقا) الى من نسبت اليهم لدرجة تشبه الرفض ، وأما انجيل (يوحنا) فلاشك فى أنه مزور ، ولقد صدق على شهادته ٥٠٠ خمسمائة عالم فى جمعية دار المعارف الكبرى بباريس .

* ألم تعلم أن مجمع نيقية أحدث مجزرة رهيبة فى أناجيل كثيرة غير هذه الأربعة ، ومنها أناجيل ناطقة بالتوحيد ، فهل هذه المجزرة لم تنبهكم الى أن أصل ديانتكم مختلف فيه اختلاف هذه الأناجيل ، وأن محاولتكم تضييق هذا الخلاف بقصرها على أربعة لم تفدكم ، وقد رأيت ما قاله علماؤكم من أنها مزورة ، فما رأيك فى ذلك كله ؟

* اذا قرأت أى انجيل من الأناجيل المتداولة ، لاتشعر أنه كتاب الهى ، بل مذكرات كتبها أصحابها ، لتنقلات عيسى عليه السلام بين بنى اسرائيل ووعظه لهم ، ولقد اعترفت أنت فى ص ٢ بأن انجيل « متى » كتب باللغة الآرامية بعد عشر سنين من رفع المسيح ، ثم ترجم الى اللغة اليونانية وضاع الأصل الآرامى ، كما اعترفت بأن انجيل (مرقس) مأخوذ من بطرس وبولس ، حتى سماه الأقدمون مذكرات بطرس ، وأنه كتب فى رومية سنة ٦٤ ، وأن انجيل لوقا كتب سنة ٦٨ ، وأن انجيل « يوحنا » أنكره بعض المؤرخين فى القرن الماضى وفى عصرنا ، وأن عدد فصول مرقص ١٦ ومتى ٢٨ ولوقا ٢٤ ويوحنا ٢١ ، ونستنتج مما ذكرته أنت أن هذه الأناجيل لم تسجل فى عهد المسيح ، وأن أقربها اليه كتب بعد عشر سنين من رفعه ، وأن باقى الأناجيل كتب فى عهود متباعدة ، ونزيد على ذلك أنها روايات قصصية لرحلات عيسى وموقف بنى اسرائيل من مواعظه وليس فيها من الهدى الالهى شىء ، وأنها ليست متفقة الفصول والوقائع ، وهذا مما يقطع بأنها ليست انجيل السيد المسيح الذى أنزله الله اليه ، كما أنه لادليل على صحة نسبتها الى قائليها ، كما قاله الأستاذ موريس فورن ناظر مدرسة العلوم العليا ، ومعه خمسمائة عالم من جمعية دار المعارف بباريس .

(ج) جاء فى الصفحة الثالثة من كتابك ، أن لاتناقض بين التثليث والتوحيد ، وجئتم بنص ميثاق الايمان عندكم ، وسنتكلم معك على أساسه ، برغم أنه لا يمثل أصل ميثاق نيقية والقسطنطينية .

جاء فى الميثاق فى حق الله تعالى — حسب روايتك — نؤمن باله واحد ضابط الكل خالق السموات والأرض ، كل مايرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الدهور ، غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر الذى كان به كل شىء ، الذى من أجلنا نزل من السماء لخلاصنا — ثم قلت : وصعد الى السماء — أى بعد قيامه من الموت — وجلس على يمين أبيه ، وسيأتى بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات ، الذى لافناء لملكه ، ونؤمن بروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب والابن) وتلاحظ على هذا الميثاق ما يلى :

١ — أنه لا أصل له فى أناجيلكم ، بل هو من وضع دعاة التثليث فى مؤتمراتكم ، فهؤلاء

حاربوا الموحدين ووضعوه ليقيدوا حرية الفكر المسيحى حتى يقبل المتناقضات •

٢ — أن البنوة فى العهدين ليست قاصرة على عيسى ، ففى انجيل متى « طوبى لصانعى السلام لانهم أبناء الله يدعون » ص ٢ — ٩ •

٣ — وجاء فى انجيل لوقا أن آدم ابن الله ص ٣ — ٣٨ •

٤ — وجاء فى انجيل متى « سمعتم انه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك ، أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ص ٥ — ٤٣ •

٥ — وجاء فى سفر الخروج (فتقول لفرعون هكذا يقول الرب : اسرائيل ابنى البكر ص ٤ — ٢٢ ، ٢٣ •

٦ — وفى سفر أرميا (انى صرت لاسرائيل ابا ، وافرايم — أى ابراهيم — هو بكرى) ٣١ — ٩

٧ — وفى مزمور داود (انى أخبر من جهة قضاء الرب • قال لى : أنت ابنى) مزمور ٢ — ٧ •

٨ — هذه نصوص مراجعكم ، بالاضافة الى ما هو شائع — من أطاع الأب فهو ابنه ، ومن أطاع الشيطان فهو ابنه ، فلماذا اختصصتم بالنبوة عيسى وسميتموه الابن الوحيد مع أنها لغيره ، ومع أن بعضهم سمى عندكم بالابن البكر ، وهل من عصى الله هو ابن للشيطان حقيقة ، ومن أين جئتم فى ميثاقكم بأن عيسى من جوهر أبيه •

٩ — لقد قلتم ان الأب خالق كل شىء — السموات والأرض وما يرى وما لا يرى ، وقد دخل عيسى فيما يرى وما لا يرى ، فيكون مخلوقا للأب ، وهذا مناقض للميثاق نفسه من ادعائه أنه غير مخلوق •

١٠ — قلتم فى الميثاق : ان عيسى كان به كل شىء وهذا مناقض لما جاء عن الاب من أنه خالق كل شىء •

١١ — جاء فى الميثاق أن عيسى سيأتى بمجد عظيم ليدين الأحياء والاموات ، وهذا يناقض ما سبق فى الميثاق من أنه ضحى بنفسه لخلاص البشرية من الخطيئة كما أنه يهدم العقيدة المسيحية من أساسها فهى تقوم على أنه تجسد وصلب ليغسل خطايا البشر •

١٢ — جاء فى الميثاق أن روح القدس هو الرب المحيى ، المنبثق من الاب والابن ، فكيف يتفق هذا مع ما جاء فى الميثاق من أن المسيح تجسد بقوة الروح القدس ؟ كيف يكون منبثقا عنهما وأثرا لعيسى وأبيه ثم يؤثر فى عيسى فيجسد كما يزعمه ميثاقكم ومرجعكم • ولماذا لا يجسده أبوه الذى هو خالق كل شىء •

١٣ — ماذا صنع عيسى فى بنى اسرائيل اكثر من دعوتهم الى الله ، وهى مهمة الرسل من قبله ، وماذا كان أثرها فى قومه لقد كفر به معظمهم ولو كان ابن الله كما زعمتم لكان هداه لهم أبلغ تأثيرا من المرسلين قبله ، ولما كفر به أحد • لأنه كان به كل شىء — كما زعمتم —

١٤ — زعمتم أنه ضحى بنفسه لتخليص البشرية من خطاياها ، وهذا يناقض مازعمتموه من أنهم قتلوا ابن الله ، وارتكبوا بذلك خطيئة أكبر من جميع خطاياهم ، وهى قتلهم ابن الله

بزعمهم فيكون نزوله عبثا ، ولذلك زعمتم فى الميثاق أنه سيدين الأحياء والأموات •

١٥ — كيف قبلتم أن هؤلاء الثلاثة اله واحد مع أن كل واحد منهم اله فى زعمكم وأنه يسجد لكل واحد منهم ويمجد ، وأن لكل واحد منهم عملا أسنده له الميثاق ، وحينما قلت لكم : ان الأليق بعقيدتكم أن يسمى هؤلاء الأرباب المزعومون (شركة الأرباب المتحدة) قلتم : ليس من السداد أن يدعى الثالوث الأقدس « شركة الآلهة المتحدة » مع أن هذه التسمية هى المناسبة لواقعكم (١) •

١٦ — قلت لكم : ان الأبوة تسبق البنوة ، وهذا يقتضى حدوث الابن ، والحدوث من صفات المخلوق وليس من صفات الخالق ، وقد زعمتموه خالق كل شىء كأبيه ولم اجد لكم جوابا مقنعا عن ذلك ، ومن العجب أن أناجيلكم طافحة بأن التمجيد كله لله ، ووصف المسيح بأنه ابن الانسان وانه عبد ، وان الله له كل شىء فى الدنيا والآخرة ، ولكنكم تتركون كل ذلك ، وتؤثرون عليه ميثاقا وضعه بشر متأثرين بآراء فلاسفة اليونان وعقائد الهنود التى لا يقبلها منصف تحرر من ربقة التقليد ، وسوف أعقد لكم مقارنة بين عقيدتكم وعقيدة سواكم من أرباب التثليث بعد الفراغ من مناقشة رسالتكم •

١٧ — لماذا يحتاج الله الى ولد اسمه عيسى ، والى ملك اسمه روح القدس ، وقد خلق كل ما يرى وما لا يرى باعتراف ميثاقكم . وكلاهما مما يرى وما لا يرى ، فهما اذن مخلوقان لله . فهل أدركت الشيخوخة الله سبحانه . فاحتاج الى ولد ليعينه أو ليرثه . والى روح القدس لينفخ فيه روح الشباب ويمنحه القوة . تعالى الله عما تقولون علوا كبيرا •

عودة الى مناقشة رسالتيك

(د) قلت فى رسالتك الأولى ان الحق واحد ، والله واحد والله لايناقض نفسه . وان التوراة جاءت بالتوحيد ، ثم طور المسيح ذلك الوحى بأن كشف لكم التثليث فى التوحيد . ثم أتى القرآن وعاد الى فكرة التوحيد ، وقد رددنا فى كتابنا السابق بأنه ليس من حق المسيح أن يطور التوحيد ويجعله تثليثا ، وان التوراة والقرآن اتفقا على التوحيد وهو الحق ، لان الاله ليس مادة صالحة للتطوير ، ولكنك فى كتابك الثانى قلت فى (رابعا) انه لم يطور ولكنه كشف التثليث فى التوحيد ، فأنكرت كلمة التطوير التى كتبتها بيدك •

ونحن نقول : أيخفى التثليث فى شريعتى ابراهيم وموسى وسائر شرائع المرسلين ولا يكشف الا فى المسيحية ، ولا يقف عند ذلك الحد بل يسمى توحيدا ، انها فتنة مؤتمر نيقية ، والمسيح برىء من كل ذلك •

ولا وجود لهذا التثليث فى كتبكم كما سنبينه فى آخر كتابنا هذا ، وصدق الله اذ يقول عن السيد المسيح : « **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**

(١) وما رأيك فيما جاء فى سفر التثنية ٤ ، ٥ (اسمع يا اسرائيل ، الرب الهك رب واحد ، فتحب الرب الهك ، من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك) فكيف يتفق هذا مع تثليثكم ؟!

مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ » ٠

(هـ) جاء فى البند (خامسا) من كتابكم الثانى أنكم متحررون ، وأنك تود أن يحصل للقرآن ما حصل للانجيل من النقد والانكار والتكذيب ، ثم قلت : ان المسيحى ليس مقيدا برباط التقليد حتى يتحرر من سجن التقليد المظلم ، وذكرت من مظاهر انفتاح النصارى أنهم يطبعون الكتاب المقدس بصورة حديثة ، حسب متطلبات فنون الاخراج العصرية ، كما أن الفاتيكان فتح مكتبته ودائرة وثائقه ، كما فتح أبواب الكنائس لجميع الحجاج بلا استثناء لأن النور لا يخاف الظلام ، فى حين أن الظلام يخشى النور ، هل يسمح للنصارى مثلا بزيارة مكة والمدينة ، كما يسمح لغير النصارى بزيارة المسيح ، وقلت : ان النصارى يمتنعون عن دق أجراس الكنائس باكرا ، مراعاة لراحة البشر من الأطفال والمرضى وغيرهم ، وقلت : أين تلك المرونة ، وذلك الانفتاح على الغير فى المجتمع الاسلامى ، ثم قلت : أما ترون أن بعض التعديل يجب أن يجرى فى مظاهرنا الدينية الى آخر ما قلتم ٠

(وردا على ذلك نقول)

انكم خرجتم بهذا عن الموضوع الذى دعوناكم الى التحرر فيه من سجن التقليد المظلم فقد دعوناكم الى التوحيد الخالص وترك التثليث الذى تقلدون فيه أسلافكم ، وقلنا ان الثلاثة لا تكون واحدا ، وان قوانين الكون واحدة ، لأن مدبرها وخالقها واحد « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فما علاقة ذلك بما قلتموه لقد قلتم انكم متحررون ، فهل تحررتم من توحيد الآلهة والأرباب المتعددين ، كلا فلا زلتم عليه مقيمين وقلتم : ان الانجيل حصل له من النقد ما تود أن يحصل مثله للقرآن ، وردا عليه نقول : ان القرآن ظل مضطهدا فى مكة ثلاث عشرة سنة ، وظل موضع هجوم لجميع الأديان حتى الآن ، ولكنه ظل كالصخرة العاتية تحطمت على جنباته جميع المحاولات ، لانه كتاب الحق والفكر والبرهان ، ولا أدل على ذلك مما استشهدتم به فى ص ٥ من كتابكم « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ » ٦ — ٦٨ « وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » ٦ — ١٢١ ٠

وقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، ولو قدروا لجاءوا بذلك ليبطلوا حجته والواقع أن القرآن لا حتوائه على حقائق علوية وعقائد نظيفة ، وشرائع جليلة ، وعلوم نفيسة ، وأخبار المرسلين ، جاء به أمى لا يقرأ ولا يكتب ، بعث فى أمة أمية أول ما بعث وقد عرف بين قومه بالصدق والأمانة ، ولم يورث أهله درهما ولا دينارا ، مع أن الدنيا كانت ملك يديه ، كل ذلك شاهد على كونه من عند الله ، وأن محمدا صادق فى دعوته « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » فهذا هو الحق والحق لا يخشى الظلام ، لأنه

نور ساطع أما ماذكرته عن اجراس الكنائس وأصوات المآذن وانفتاح المكتبات وعدم وصول غير المسلمين لمكة وأمور أخرى ، فهى أمور بعيدة خارجة عن أصول الدين التى نتكلم فيها ، ولقد علمت أن المآذن تنادى (الله أكبر) وهذا أمر يطرب له المؤمنون ويكرهه سواهم ، ولو جعل مكانه باسم الأب والابن والروح القدس اله واحد ، لما انتقدته يا أستاذ أليزيو ، وأين الأذان المنادى بالدعوة الى الحق ، من ناقوس الكنائس المزعج ، فهل بينهما مجال للقياس ؟

ان أجراسكم بلا شك مزعجة لكم ولغيركم ، لأنها تحدث أصواتا وهزات مرعبة ، فهى حرية بالمنع فى الاوقات المبكرة ، وغيرها ، وقد أحسنت الكنائس فى منعها فى الصباح الباكر .

وليست مكتباتكم هى المفتوحة وحدها للقراء من جميع الملل ، فمكتباتنا كذلك . ومساجدنا مفتوحة للسائحين من جميع الأديان ، ولقد كان يدخلها المسيحيون ويخطبون فيها فوق المنابر فى ثورة ١٩١٩ ضد الانجليز مع علماء المسلمين ، كما كان علماء المسلمين يفعلون مثل ذلك فى كنائس المسيحيين ، أما دخول الحرمين الشريفين ، فمحظور دخولهما لاعتبارات دينية وسياسية لا مجال للحديث عنها فى هذه الرسالة .

أما قولكم انكم طبعتم كتبكم المقدسة أخيرا حسب أحدث طرق العصر ، تسهيلا للقارىء فنحن نرد عليه بأن هذا تعريض ببقاء القرآن على الرسم العثمانى ، وهذا من مفاخرنا فنحن نحافظ على كل شىء فى القرآن ، حتى على رسمه العثمانى الذى كتب به المصحف الامام ، ولحرصنا على ذلك حفظه الله من التغيير والتبديل عبر هذه القرون ، وما منع هذا أحدا من حفظه عن ظهر قلب ، وهو الكتاب الوحيد الذى تحفظه ذاكرة الناس ، أما كتبكم فلا نجد أحدا يحفظها ، وأنتم على الدوام تحدثون فيها من التغيير والتبديل باعترافكم واعتراف مؤرخيكم .

وأما حرية النقد لكتبكم ، فهى حديثة بعد الثورة ضد الكنيسة وسلطانها ، فقد كان لا يجرؤ أحد على مخالفة رأيها مهما كان باطلا ، والا تعرض للاعدام ، والشواهد كثيرة أنت على علم بها .

(و) قلتم فى كتابكم عند قولكم (سادسا) مستدلا على ألوهية المسيح : ان الشياطين يقرون بألوهيته حينما كان يعالج من به مس منهم ، وكانت الأرواح النجسة تسجد له وتصفه بأنه ابن الله ، وذكرتم أنه أقام الموتى واحيا نفسه ، واستدللت على ذلك بنصوص من انجيل مرقس ولا نجد ردا على ذلك أشد الزاما وافحاما مما جاء فى الأناجيل الأربعة من أنه استنجد بالله وهو على الصليب لكى ينقذه من العذاب الذى هو فيه ومن بصقهم فى وجهه ، ووضع الشوك على رأسه وتجريعه الخل ، فقد قال فى استنجاده ايلي . ايلى لما شبقتنى : أى الهى الهى لماذا تركتنى فى هذا العذاب والهوان فاذا كان عاجزا عن انقاذ نفسه واستنجد بأبيه فكيف يكون ربا كان به كل شىء ؟ وهو لا يستطيع أن ينجى نفسه

من القتل والصلب ؛ وما رأيك فى الشيطان الذى صحبه الى الجبل وأراه ملكوت السموات والارض ، وطلب منه ابليس أن يسجد له ليعطيه هذا الملكوت فنهره قائلا : لا سجود الا لله — وسيأتى بيان ذلك فى آخر الكتاب — فهل يصح أن يضحك الشيطان على ابن الله ، ويلاحظ أنه فى هذه القصة المهزوزة لم ينس أن يقول للشيطان لا سجود الا لله ، لكنكم تقولون انه يسجد له ولروح القدس لأنهما أرباب فما رأيك فى هذا التناقض ؟ .

على أن العلاج من مس الشياطين لا ينفرد به السيد المسيح ، ففى أوربا وأمريكا جمعيات وأطباء لعلاج تلك الحالة ولعلاج الأمراض المستعصية ، وقد كان بمصر جمعية يرأسها المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير تروى عنها العجائب فى علاج هذه الحالات ومن ذلك ما كتبه طبيب مسيحى فى صحيفة قديمة كانت تسمى (البلاغ) وصاحبها المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، حيث قال : انه كان مصابا بسرطان فى فقرات ظهره ، فشفى بعد جلسات روحية ثلاث وقد ملأبهذا المقال صحيفة كاملة ، فما رأيك فى هذا يا أستاذ أليزيو ؟

أما ما ذكرته عن شاول الذى كان ينكل بالمسيحيين ثم تنصر ، فأنت أعلم بما قيل عنه وعن افساده لدين عيسى ، بعد ادعائه الدخول فيه ، ومعظم ذلك بأقلام مسيحية .

ز . = قلت فى ص ٦ من رسالتك الثانية : (بالرغم من أن الوحى ختم بتعاليم يسوع ورسله يأتى فيما بعد فى مفتقد فئة أخرى من الناس ملك من السماء بتعليم يخالف التعاليم السابقة ، وهل يكفى القول بأن جميع الأناجيل والأسفار التى لا تتناسب والقرآن هى من وضع البشر ومحرفة ، ان هذه العبارة من نبوءات المسيح بالأنبياء الكذبة ، بعد تحذير بولس الرسول الواضح المكرر لا تقنع من تحرر من رباط التقليد وسجنه المظلم) وكل ذلك لا أساس له من الصحة ومحض افتراء واليك البيان .

(ردنا على تلك المفتريات

ان دعواك أن الوحى ختم بتعاليم يسوع ورسله ، دعوى مرفوضة وغير صحيحة ، ترفضها حتى كتبكم مع ماحدث فيها من التغيير ، ففى الاصحاح الأول من انجيل يوحنا سأل اليهود يوحنا قائلين فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبى فهذا يدل على أنهم يعرفون من كتبهم أنه سيأتى بعد ايليا والمسيح نبى وهو محمد — صلى الله عليه وسلم — .

وفى سفر التثنية « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار ، فى يمينه سنة من نار « فمجيئه من سيناء اعطاؤه التوراة لموسى ، ومجيئه من ساعير اعطاؤه الانجيل للمسيح ، واستعلاؤه من جبل فاران ، انزاله القرآن على محمد ، فان فاران هى أرض بالحجاز بين ثلاثة جبال بمكة ، هى : أبو قبيس وقيعان وحراء وفى سفر التثنية ص ١٨ قال لى

الرب : سوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيهم به ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى ، فأنا أكون المنتقم منه) أى أن الله قال لموسى : انه سوف يرسل لهم نبيا من بنى اسماعيل أخى اسحاق جد بنى اسرائيل ، وقوله (مثلك) معناه مماثل لك فى المجىء بشريعة كاملة ، تتحدث عن المبدأ والمعاد ، وتعطيهم من أحكام الدين والدنيا ما يلائم عصرهم ، ولم يأت بعد موسى نبى بشريعة جديدة لا من بنى اسحاق ولا من بنى اسماعيل سوى محمد — صلى الله عليه وسلم — ، ولا مجال للزعم بأن المقصود بقوله : (من بين اخوتهم) أنه من بنى اسرائيل ، فانه حينئذ يكون منهم ولا يقال فيه من بين اخوتهم ، ولا ينطبق على عيسى لأنه منهم وليس من اخوتهم ، ولأنه لم يأت بشريعة جديدة ، فشريعته هى شريعة موسى ، وهى ما تسمونه بالعهد القديم ومعنى : (وأجعل كلامى فى فمه) أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب .

والاشارات الى نبوته فى كتبكم كثيرة تحتاج الى كتاب مستقل .

ولقد قلت فى أواخر ص ٦ « لابد لنا أن نشير الى سورة الصف » ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وعلقت على ذلك بقولك : نتساءل فى أى انجيل وردت هذه الآية القرآنية ، ولو وردت فى الأناجيل فما قيمتها والأناجيل كلها محرفة ومن قول البشر) كذلك قلت يا أستاذ اليزيو .

ردا على ذلك نقول : انك على علم بأن انجيل عيسى لا وجود له ، ولهذا تعددت الاناجيل واختلفت كما تعلم المجزرة التى أحدثتها مجامعكم فى الأناجيل المخالفة لعقائدها ، ويشاء الله أن يبقى على انجيل واحد ناطق بانسانية عيسى ونبوة محمد ، ومكذب لفرية الصلب المزعومة لعيسى ، وأن يعثر على هذا الانجيل فى مكتبة بابا روما ، وقصته معروفة لديكم ، وقد جاء فيه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — بيانات وافية تحكى الهدى الذى جاء به ، مقرونة باسمه الشريف ، ومن ذلك ما ذكر فى الفصل ٣٦ رقم ٦ ونصه (وقد جاء الانبياء كلهم الا رسول الله الذى سيأتى بعدى ، لأن الله يريد ذلك ، حتى أهيىء طريقه) وهذا النص على لسان السيد المسيح وفى الفصل ٢٩ يقول المسيح : (فلما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتلألأ كالشمس : لا اله الا الله محمد رسول الله — ١٤ .

وفى الفصل السابع والتسعين ١٣ — ١٨ (أجاب يسوع ان مسيا عجيب ، لأن الله نفسه سماه : لما خلق روحه ووضعها فى بهاء سماوى قال الله : اصبر يا محمد لأنى لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجماعة كثيرة من الخلائق التى أهبها لك ، حتى أن من يباركك يكون مباركا ، ومن يلعنك يكون ملعونا ، ومتى أرسلتك الى العالم أجعلك رسولى للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة ،

حتى أن السموات والأرض تهنـــان ، ولكن ايمانك لا يهن أبدا ، ان اسمه المبارك محمد . حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قـائلين : ياالله أرسل لنا رسولك ، يامحمد تعـال سريعـا لخلاص العالم) .

وبعد فلو أن الأناجيل المخالفة لتسالوثكم بقيت . لرأيت الشهادة برسالة محمد وختـامه للمرسلين . ولقد اعترفت يا أستاذ أليزيو بأن أناجيلكم التى استبقيتموها لم تكتب فى عهـد المسيح . وانما كتبت بعده بمـدد مختلفة . أقلها عشر سنين ، وأكثرها ثمان وسـتون . وبعضها ١٦ فصلا وبعضها ٢٨ فصلا وبعضها ٢٤ . وبعضها ٢١ . ولو كانت انجيـل عيسى لما اختلفت الى حد قال عنه القسيس ميـل (انه لو أمعن النظر لوجد من الاختلافـــات ما يزيد على مائة وخمسين ألفا) .

« نبوة محمد ليست بحاجة الى كتبكم »

* ان اثبات نبوة محمد ليست بحاجة الى شهادة كتبكم . ولا الى شهادة المقلدين منكم ، ان نبوته ورسالته ، يشهد بها هذا الاصـلاح العالمى الذى تناول العقائد والفكر البشرى ، والسلوك الانسـانى ، والتشريع العـادل ، والحرية والمساواة فى الحقوق والواجبات ، والعمل على اصلاح شئون الدنيا والآخرة ، كما شهد به المنصفون منكم ، أولئك الذين لم يستول الحقد والكراهية على نفوسهم ، أولئك الذين أبصروا الأمور على حقائقها ، دون تأثر بزيف المزيفين ، وتقليد للشانئين المجازفين وكل ماجاء به الاسلام من أسس الاصلاح أساسه القرآن العظيم الذى « **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** » ومن بعده البيان النبوى الذى نطق به المعصـوم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرحا لمقاصد القرآن . حسبما أمره ربه بقوله « **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » وقـد أمرنا الله أن نأخذ ببيانه للقـرآن بقـوله : « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** » وذلك لأنه كما قال تعالى « **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ** » .

ولم تقتصر معجزاته ـ صـلى الله عليـه وسلم ـ على القرآن . فقد طلبت منه قريش أن يطلب من ربه شق القمر قطعتين . فدعـا الله تعالى فاستجاب له ، ورأوه منشـقا فى السماء . ولكنهم كشأن المعارضـين للرسـل كذبوا وقالوا سحر مستمر . وفى ذلك يقول الله تعالى : « **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ. وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ. حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ** » .

ومن معجزاته تسبيح الطعـام بين يديـه ومن حوله يسمعونه ، وتسليم الحجر والشجر عليه بالرسالة حينما يمر عليه ، أخرج الترمذى بسنده (كنت أمشى مـع النبى ـ صلى الله عليه وسـلم ـ بمكـة ، فخرجـنا فى بعض

الرد على ما جاء بالرسالة الثانية للأب اليزيو كاميروتا

نواحيها ، فما استقبله شجر ولا حجر الا قال : (السلام عليك يارسول الله) وذلك عقب ما أوحى الله اليه ، ومنها حنين الجذع الذى كان يخطب الى جواره بعد أن تركه الى منبر أعده له باقوم الرومى ، لكى يخطب من فوقه، ولم يسكن حنينه وجؤاره حتى نزل اليه النبى — صلى الله عليه وسلم — واحتضنه ، ويوم الحديبية عطش الناس عطشا شديدا ، ولم يوجد سوى ماء قليل بين يدى النبى — صلى الله عليه وسلم — فوضع يده فى الاناء ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه ، فسأل راويه جابرا : كم كنتم ، قال جابر : لو كنا مائة ألف لشربنا كنا خمس عشرة مائة •

❋ ومن معجزاته تكثير الطعام القليل وجعله كثيرا يكفى العشرات والمئات ، وشفاء عيون المرضى بريقه الشريف . وتنبؤه بهزيمة فارس فى بضع سنين ، وغير ذلك كثير مروى بصحاح الأحاديث ، ولو أحصيت معجزاته لاحتاجت الى كتاب مبسوط لايرادها وتحليل أسانيدها الصحيحة ، وبيان الغاية منها وكيف تتم والناس جلوس مشاهدون سامعون •

لا أقول ذلك لكى أحملك على الايمان يا أستاذ اليزيو ، فالمبدأ المقرر عندنا هو ما قاله الله : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** » ولا أقوله لأستزيد واحدا أو عشرات أو مئات من المؤمنين ، فالمفكرون يسعون اليه ، ورجال الدين الأحرار منكم يهرعون اليه ويؤمنون به ، والمؤمنون بحمد الله يزيدون ولا ينقصون •

❋ ولكن أقوله لأنك قلت : لا يكفى أن يقول بعض الناس جاءنى الوحى ، أو كلمنى الرب ، وقلت ان الوحى قد انقطع برسالة المسيح ، وقد بينا خطأ هذا القول من نصوصكم ، وأقوله أيضا لأنك قلت : ان المسيح تنبأ بالأنبياء الكذبة ، وبولس كرر التحذير منهم ، فهل محمد نبى كاذب يا أستاذ اليزيو ، وان كان نبيا كاذبا فمن سواه يكون صادقا . وهل يصح أن نقبل فى عيسى ما قالته اليهود فيه وفى أمه • وهم قومه •

❋ لقد كرر بولس التحذير من الانبياء الكذبة . لأنه كذاب أشر أفسد المسيحية وصدقتموه مع أنه كان يستر بمظاهره نواياه السيئة ضد المسيحية •

❋ نقول : ان المسيح تنبأ بالأنبياء الكذبة ، ويقول القرآن — وهو الحق — ان المسيح تنبأ برسالة محمد ، فلماذا لم تصدق نبوءة الحق ، وأسأت تأويل ما جاء فى انجيلكم من تنبئه بالأنبياء الكذبة ، فعرضت بذلك بنبوة محمد — صلى الله عليه وسلم •.

❋ فكيف تنزل بلادنا ، وتنكر نبوة نبينا بهذا الاسلوب الذى يأباه ما تلقاه فى بلادنا من كرم الضيافة وما يعلمه المنصفون من عظمة محمد ورسالته ، وما الذى دعاك الى هذا السلوك غير اللائق ، مع أكبر هيئة دينية فى البلاد ، حيث تبادئها بهذا التجنى ولم يتحرش بك أحد ، فمن أغراك بالحق ؟ من وراءك يا أستاذ اليزيو ؟ لقد رأيت أن أضبط عواطفى فى ردى عليك ، برغم ما بدأت به من عدوان مقصود •

وحسبى أن أقول : اذا كنت أنت ومن جعل الثلاثة واحدا لا يؤمنون بمحمد ولا بمعجزاته ، فقد كفر اليهود بعيسى وأمه . وقالوا فيهما ما تعلمون ، فكونوا أنتم مثلهم فى انكار الحق « كل امرىء بما كسب رهين » .

« الأمية والأناجيل »

* جاء فى البند (سابعا) بنص ٦ قولك : اذا صلحت الأمية لتثبيت معجزة القرآن . فلماذا لا تصلح لاثبات معجزة الأناجيل ، فان المسيح كان أميا .

* ونحن نقول : ان الأمية ليست معجزة ، ولكن مجىء العلم الفياض من الأمى والفصاحة والبلاغة التى تجاوزت قدرة البشر فى بيانه ، فذلك هو المعجزة ، ونحن المسلمين لا نحتاج فى اثبات نبوة عيسى الى أميته ، فقد جاءنا بنبئها القرآن العظيم ، وأثبت له معجزاته التى خصه الله بها ، كما أثبت نزول الانجيل عليه لا على أنه معجزة ، بل على أنه شريعة مصدقة للتوراة ، وليحل لهم بعض الذى حرم عليهم ، ولكن أين هذا الانجيل الذى أنزله الله على عيسى يا أستاذ أليزيو ، لقد فقد تماما ولا يستطيع أحد من النصارى أن يثبت وجوده . أما الأناجيل الحالية فدليل صنعها قائم فى اختلافها وتباينها وركاكة عباراتها وتفكك موضوعاتها . وغير ذلك مما شهد به باحثوكم وسبق بيانه . وقد اعترفت أنت بأن أناجيلكم كتبت فى أوقات متباعدة من عشر سنين الى ثمان وستين سنة ، ولم تكتب فى عهد المسيح ولا عقب وفاته ، ولم يقم دليل على حفظها فى الصدور ، ولقد شك المحققون منكم فى صحة نسبة هذه الأناجيل الى من نسبت اليهم .

« القرآن يتحدى »

* ذكرت فى ص ٧ بجانب قولك (ثامنا) أننى قلت فى الصفحة الثانية عشرة من رسالتى اليك (ولا يزال القرآن يتحدى كل المفكرين أن يأتوا بمثله) « **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ** » .

وعقبت على ذلك بقولك : ان الكلمة — تريد المسيح — لم يأت الى العالم ليخلصه بمظاهر الحكمة وبكلام رنان طنان على غرار قدامى الفلاسفة والمفكرين ، ولكن فى صورة وديعة متواضعة ، اذ قال : تتلمذوا لى أنا الوضيع المتواضع القلب ..) ثم قلت فى آخر هذا البند بآخر الصفحة : وبشأن الجن . كيف يستطيع الجن أن يأتى بمثله ، والجن ليس فى الوجود ينسب الى الأساطير اليونانية .

* وردا على ذلك نقول : ان كلامك يشعر بأن محمدا — صلى الله عليه وسلم — جاء الناس بكلام طنان رنان على غرار قدامى الفلاسفة ، وذلك بقوله : « **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ** » وذكرت أن فيه استعلاء من محمد مخالفا للتواضع الذى كان عليه عيسى — وهذا منك يا أستاذ اليزيو منتهى التجنى

والافتيات ، ألست تعلم أن لكل مقام كلاما يناسبه ، فمقام يقتضى لين القول ، وآخر يقتضى شدته ، فالنبى حين أمر بانذار عشيرته الأقربين يقول الله له : « **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** » نفذ هذا الأمر تماما فجمع عشيرته وقال لهم : ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا، وانها لجنة أبدا أو لنار أبدا « وكان جم التواضع ، فكان يسبق غيره فى الأعمال الجماعية ، وكان يقول : من تواضع لله رفعه ، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس ولذا قال الله فى شأنه « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** » ولو قرأت شمائله الشريفة لعرفعت منها أروع الأمثال فى مكارم الأخلاق . ولهذا خاطبه ربه بقوله « **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** » .

* وحين جاء أمته بمعجزة القرآن قالوا انه من كلامه ، فقال انه لاقدرة له ولا لغيره على أن يأتى بمثله ، ولاثبات كونه معجزة تحداهم أن يأتوا بمثله ، فلما عجزوا ، ظهر أنه فوق طاقة البشر ، وفوق طاقة محمد الأمى فهو مثلهم ، وأنه آية أيد الله بها نبيه . فلما أكثروا الجدال فى ذلك ، عرفهم حقيقة اعجازه وقوة تأييده لرسالته بقوله مبلغا عن الله :

« **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** » فهذا تقرير للواقع وبيان للاعجاز ، وليس فيه تكبر ولا استعلاء ، فقد ملأ القرآن دنيانا ايمانا بالواحد القهار ، وأنكر ألوهية سواه فهم خلقه وعباده ، كما ملأها علما وعرفانا ، فى وقت كانت البشرية فيه مغلفة بالجهالة ، والكنيسة تحرم العقول من الحرية ، وتبطش بأهل الفكر والرأى ، وأنت على علم بذلك .

* واذا كنت قد ذكرت فى هذا البند (ثامنا) أن عيسى رد على من قالوا له : يامعلم نريد أن نرى منك آية — رد عليهم قائلا : جيل فاسد فاسق يطلب آية)فكيف تعيب على محمد ان يعرف قومه حقيقة الاعجاز فى القرآن ومداه ، توضيحا لكونه آيته ومعجزته التى أيده الله بها ، حتى لا يطالبوه بآية سواها . على أنه بعد ذلك جاءهم بمعجزات كثيرة سبق بيان بعضها .

أما الجن فكيف تنكرهم وتدعى أنهم من أساطير اليونان ، مع اعترافك بهم فى ص ٧ فقد قلت : (حتى الأرواح النجسة يأمرها

فتطيعه) وقلت فى ص ٥ ان الشياطين كانوا يقرون بألوهية المسيح ، فما هذا التناقض فى الفكر والقول جميعا ، لاحول ولا قوة الا بالله .

تاسعا

❋ فى آخر ص ٧ وأول ص ٨ تحدثتم فى البند (تاسعا) فقلتم : انكم تعتمدون على نورين نور العقل ونور الايمان ، ثم قلتم ان الوحدة فى التثليث سر من أسرار الدين ، ونحن نسألك : ما هو الدليل العقلى على أن الثلاثة واحد ؟ وما هو الدليل النقلى ؟ لقد اعترفت أنت بأن الوحدة فى التثليث سر من أسرار الدين ، وبذلك أخرجتها عن المضمون العقلى ، وناقضت نفسك فى ادعاء اعتمادكم على العقل ثم ناقضت نفسك مرة أخرى حين قلت : ان هذا لا يناقض العقل البشرى . فالطبيعة الالهية واحدة والأشخاص متعددون فى تلك الطبيعة ــ وهذا معناه أن الآلهة ثلاثة اشخاص وطبيعتهم واحدة وهى الألوهية والربوبية ، أى : أن كل احد منهم له شخصية مستقلة فى الألوهية والربوبية ، وهذا عينمافى الميثاق من ان الأرباب ثلاثة ، وأن لكل منهم عمله المتعارض مع عمل الآخر ، وأنه يسجد لكل واحد منهم، فأين هذه الوحدة العقلانية فى هذا ؟

❋ أرأيت لو كنت أستاذا فى كلية ، ومعك فيها أستاذان آخران ، ولكل واحد منكم تخصص غير تخصص سواه أو مماثل له ، فهل اتحادكم فى الانسانية ينفى أنكم ثلاثة رجال أو ثلاثة أساتذة ، فكيف تكون أنت وزميلاك رجلا واحدا أو أستاذا واحدا ؟ وكيف تكون الوحدة بينكم عقلانية ؟

❋ أما قولكم ان الشمس واحدة ولها شعاع وحرارة ، ولاينافى هذا وحدتها ، فهو مغالطة مكشوفة ، ان أقنعتم بها أنفسكم ، فلا يقتنع بها تلميذ فى مدرسة ، فان كلا من الشعاع والحرارة لا يقال له شمس وانما هما صادران عن الشمس ، فهما أثران لامؤثران ، وهذا غير ماتدعون من أن كل اله مؤثر وموجد وغير ذلك من الاختصاصات ، وأن الابن اله يجلس على يمين أبيه ، وروح القدس يسجد له كما يسجد للأب والابن ، فأين التشابه المزعوم ياسيد أليزيو ، هل يعقل أحد أن الأثر عين المؤثر . لو قلتم ان عيسى وروح القدس اثران لقدرة الله وبعض مخلوقاته وعباده ، ولا ألوهية لهما على الاطلاق ، لكان التشبيه بالشمس وأثرها عقلانيا . ولكان قولكم حينئذ متفقا مع الواقع ، من أن عيسى عبد الله ورسوله فحسب ، وروح القدس ملك عظيم من ملائكة الله ولا ربوبية لهما .

❋ وكما أنه لا يوجد دليل عقلى على هذا التثليث ولا على وحدته . فانه لا يوجد دليل نقلى على أن الأناجيل التى بأيدكم جاءت بهذا التثليث ــ بصرف النظر عن رأينا فيها ــ انكم تبدءون كلامكم قائلين : باسم الأب والابن والروح القدس اله واحد آمين ، فأين هذه العبارة فى أناجيلكم ؟ انها من اختراع مجامعكم . كما أن التثليث كذلك .

لقد كانت فكرة المجمع الأول عندكم على تأليه عيسى . لكونه يعبر عنه بابن الله فى تلك

الأناجيل ، مع أنها نسبت البنوة لغيره كما تقدم ، وقد استبعد هذا المجمع الروح القدس من التأليه ، وفى المجمع الثانى اقترحت طائفة منكم ضمه الى الالهة ، فقبل هذا الاقتراح : ألم يكن الأمر كذلك ياسيد أليزيو – اشهدها للحق يارجل – فمجامعكم وبولس هما أصل هذا الانحراف بالمسيحية ، ألم تقرأ فى انجيل مرقس ص ١٢ جـ ٢٩ ما يلى (فأجابه يسوع : ان أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد) فأين أنتم من عشرات النصوص المشابهة التى تنادى بأن الرب واحد ، وأنه هو الذى يسجد له •

* ولما اختلط رجال دينكم بالأمم نقلوا اليكم ثالوث البوذيين وقدامى المصريين واليونانيين ، ان الأبوة والنبوة فى كتبكم مجازية مراد منها الانتماء والاعتزاز ، كما تقول لشخص أحببته أنت ابنى أو أبى ، مع أنه غريب ، وقد سبق من النصوص عندكم ما يشهد بذلك ، ومن ذلك ماجاء بانجيل متى (طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون) ص ٢ – ٩ ولكنكم حولتموها فى عيسى الى بنوة نسبية انشطارية من جوهر الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

« قضية الخلاص بالصلب »

* نقول لكم ان ذنب آدم هو الأكل من الشجرة ، فهل كان تجسيد (ابن الله بزعمكم) وقتله لتخليص آدم من خطيئته ، أم لتخليص البشر من خطاياهم ، لا يصح هذا ولا ذاك ، لأنه اله ورب بزعمكم ، وهو يملك الهداية ويملك العفو ، ويملك ارسال رسول لهدايتهم وارشادهم بدلا من أن يعرضهم لأكبر جريمة فى الأرض ، هى قتلهم ابن الله بزعمكم ، فأين هذا من أكل آدم من الشجرة ومن جميع خطايا ذريته أجمعين ، وقد أجبتم فى (عاشرا) بجوابين متعارضين « أحدهما » قولك : ان الأب شاء أن يتجسد ابنه الحبيب الوحيد ويموت من الصلب ، وعقبتم ذلك بقولكم :

أى نعم : ان هذا لشىء عجاب ، بل ضرب من الجنون ، ولايفسر العمل الجنونى الا الحب هذا هو الذى قلته ياسيد اليزيو ، وهو اعتراف منك بأن هذا التصرف من الأب عمل جنونى غير معقول ، أما تعليله بالحب فلا قيمة له ، لأن حب الله لعباده لا يكون بارتكابه أقبح القبائح التى لا يفعل مثلها شر المجانين ، وانما يكون بحسن التصرف معهم بهدايتهم لا بقتل ولده ، ثم انى أسألك فأجبنى بصراحة:

هل استفاد البشر من قصة صلب ابن الله المزعوم ؟ هل امتنعوا عن خطاياهم ؟ ألم يزدادوا اثما وقتلا وغصبا وفتكا وتدميرا ، وأنت على علم بما يحدث فى لبنان وفلسطين والأفغان ، وبما حدث فى الحربين العالميتين السابقتين ، وبما يجرى من المظالم فى شتى بقاع الأرض ، فهل رأيت مبلغ الفشل الذريع التى منيت به سياسة الأب فى قصة الصلب ، فكيف تجردون الله العلى العظيم عن الحكمة فى تصرفاته ، وتجعلونه شر المجانين ؟ وكيف

صدقتم هذا الزعم ؟ مع أن عيسى كان يشكو الى ربه ويعاتبه ويستغيث به ليخلصه من تعذيبهم — الهى الهى لماذا تركتنى ؟ أى أنه كان رافضا لما هو عليه ، فكيف زعمتم أنه فعل ذلك راضيا ليخلصهم ؟

* على أن هذا الزعم ينقضه ما جاء فى

ميثاقكم ، من أن عيسى سيدين الأحياء والاموات فى الآخرة ، أما العجيبة الثانية التى جاءت فى البند (عاشرا) فهى قولكم : ان الله ضحى بنفسه على الصليب لأجلكم . فهل الابن هو الأب . ما هذا التناقض ، ماهذا الاضطراب ، ماهذه الفوضى ؟ تارة تقولون ان الأب ضحى بابنه ، وأخرى تقولون انه ضحى بنفسه ألم تقولوا فى ميثاقكم انه بعد قيامه من الموت جلس على العرش على يمين أبيه ، صدقنى ياسيد أليزيو : أنتم تعيشون من عقائدكم فى دوامة لا نهاية لها ، ومع هذا تقولون انها عقلانية ، متى ترون شمس الحقيقة ؟

اليكم فيما يلى طائفة من

المتناقضات لديكم

* يتضمن العهد الجديد تناقضات ونقائص تمس السيد المسيح وتلاميذه ، وقد تقبلتموها ومنها :

١ — ورد بانجيل متى أن عيسى من نسل سليمان بن داود ، وأن جده فارص الذى هو من نسل الزنى من يهوذا بن يعقوب ص ١ — ١٠ .

٢ — وفى انجيل يوحنا أن يسوع أهان أمه فى جمع من الناس ص ٢ — ٤

٣ — وفى يوحنا أن أول آية صنعها يسوع تحويل الماء خمرا فى عرس فآمن به تلاميذه ص ٢ — ٧

٤ — وفى انجيل يوحنا : ان يسوع كذب على اخوته فقال لهم : أنا لا أصعد الى أورشليم فى هذا العيد فصعد خفية — يوحنا ص ٧ — ٦

٥ — وان يسوع نقض كلام نفسه مع اليهود ، فقال لهم مرة : ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا — يوحنا ص ٥ — ٣١ ، وقال لهم مرة أخرى : ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق — يوحنا . ص ٨ — ١٤ .

٦ — وأنه شهد بأن جميع الأنبياء الذين قاموا فى بنى اسرائيل هم سراق ولصوص — يوحنا ص ١٠ — ٨ .

٧ — وأن بطرس كبير تلاميذه ، أنكر علاقته بالهه على زعمكم ، وأقسم ولعن مؤكدا أنه لا يعرفه — متى ص ٢٦ — ٧٤ .

٨ — ان رئيس الكهنة (قيافا) الذى ثبتت نبوته فى نفس الاصحاح ، أفتى بتكذيب المسيح وحكم بقتله ، مع أنه الهه فى زعمكم — يوحنا ص ١١ — ٤٩ .

٩ — فى بعض اعيادكم يعجن القسيس دقيقا ، ويصنع منه فطيرة ، ويخاطبها بكلمات، ثم يخرلها ساجدا مخاطبا لها : أنت الله

السموات والأرض ، وانت ابن الله المولود قبل العوالم كلها ، أنت من أجل خلاصنا تمجدت فى بطن مريم ، أنت الذى فتحت للمؤمنين الجنة ، أنت الجالس على يمين أبيك فى السماء ، أسألك أن تغفر لى ولأمتك التى خلصتها بيدك ، فهذه وثنية الفطيرة .

« فى العهد القديم »

*** انكم تؤمنون بالعهد القديم كما تؤمنون بالعهد الجديد ، وقد جاء فى العهد القديم ما يلى :**

١ ــ نسب الى موسى عليه السلام أنه أوصى قومه ليلة خروجهم من مصر أن يسرقوا حلى المصريين وأمتعتهم ففعلوا ــ سفر الخروج ص ١٢ ــ ٣٥ .

٢ ــ ونسب الى هرون أخى موسى أنه صنع عجلا وعبده مع بنى اسرائيل ــ سفر الخروج ٣٢ ــ ١

٣ ــ وأن ابراهيم عليه السلام قدم أمرأته سارة الى فرعون لينال منه عطاياه ــ تكوين ١٢ ــ ١٤ .

٤ ــ وأن لوطا عليه السلام شرب خمرا حتى سكر ، وزنى بابنتيه ، واحدة بعد أخرى تكوين ١٩ ــ ٣٠ .

٥ ــ وان يعقوب ــ اسرائيل ــ عليه السلام سرق مواشى من حميه ، وخرج بأهله خلسة ــ تكوين ٣١ ــ ١٧ .

٦ ــ وأن راوبين زنى بزوجة أبيه يعقوب ، وأن يعقوب ــ اسرائيل ــ علم بهذه الكارثة وسكت ــ تكوين ٣٥ ــ ٣٢ .

٧ ــ وأن يهوذا بن يعقوب زنى بزوجة ابنه ، فحملت وولدت توأمين ، أحدهما فارض جد المسيح والثانى زارح ــ تكوين ٣٨ ــ ١ .

٨ ــ وأن داود عليه السلام زنى بزوجة أحد رجال جيشه ، ثم دبر حيلة لقتله فقتل فأخذ زوجته وضمها الى نسائه ــ صمويل الثانى ١١ ــ ١ .

٩ ــ وأن أمنون بن داود اغتصب أخته وافتض بكارتها ، وعلم داود بذلك وسكت ــ سفر صمويل الثانى ــ ١٣ ــ ١٤ .

١٠ ــ وان سليمان عليه السلام ، ارتد فى آخر عمره ، وعبد الأصنام وبنى لها معبدا ــ سفر الملوك الأول ١١ ــ ٥ .

* تلك نماذج من مراجعكم الدينية التى زعمتم اصالتها وصحتها ، وقد رأيت مافيها من التناقضات والنقائص ، منسوبة الى انبياء الله ورسله وأولادهم ، والى عيسى عليه السلام ، فهل بعد ذلك تصرون على أنها توراة الله وانجيله .

« التشابه بين ثالوثكم وثالوث البوذيين »

* قلت لكم : ان ثالوثكم انتقل اليكم من مخالطة أهل الثالوث بعد قيام النصرانية على التوحيد أول أمرها كسائر الأديان واليك مثلا لتشابه ثالوكم بثالوث البوذيين .

رأى الوثنيين فى بـوذا	رأى المسيحيين فى عيسى
١ ــ ولد بوذا من العذراء مايا من غــير مباشرة الرجال .	١ ــ ولد عيسى من العذراء مـريم بغـير مباشرة الرجال .
٢ ــ تجسد بوذا بحلول روح القدس على العذراء ((مايا)) .	٢ ــ تجسد عيسى بحلول الروح القـدس على العذراء ((مريم)) .
٣ ــ دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء يدعونه نجم المسيح .	٣ ــ دل على ولادة يسـوع نجم ظهر فى الشرق يدعى نجم المسيح .
٤ ــ لما نزل بوذا من مقعد الأرواح الـى رحم العذراء ((مايا)) صار رحمها كالبللور ، وظهر بوذا كزهرة جميلة .	٤ ــ لما نزل يسوع من مقعده السـماوى الى رحم مريم ، صار رحمها كالبللور الشفاف ويسوع فيه كزهرة جميلة .
٥ ــ ولد بوذا يوم عيد الميلاد فى ٢٥ كانون الأول .	٥ ــ ولد يسوع فى ٢٥ كانون الأول .
٦ ــ لما ولد بوذا فرح اهل السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد قائلين : ولد اليوم بوذا على الأرض كى يعطى الناس المسرات والسلام ويرسل النور الى الأماكن المظلمـة ، ويهب بصرا للعمى .	٦ ــ لما ولد يسوع فرحت مـلائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد ، قائلين : المجــد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة .
٧ ــ عرف الحكماء بوذا وأدركوا لاهوته ، ولم يمض يوم على ولادته ، حتى جاء الناس ودعوه اله الآلهة .	٧ ــ زار الحكماء يسوع ، وأدركوا أسرار لاهوتــه ، ولم يمض يوم حتى دعـوه اله الآلة .
٨ ــ وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا مـن المجوهرات والأشياء الثمينة .	٨ ــ وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا مـن ذهب وطيب ومر .
٩ ــ لما كان بوذا طفلا قال لأمه (مايا) انه أعظم الناس جميعا .	٩ ــ لما كان يسوع طفلا قال لأمه : أنا ابن اللــه .
١٠ ــ كان بوذا ولدا مخيفا ، وقد سـعى الملك جمارا لقتله لما أخبروه أنه سينزع منـه الملك ان بقى حيا .	١٠ ــ كان يسوع ولدا مخيفا ، وسعى الملك هيرودوس لقتله حتى لا ينتزع الملك منه .
١١ ــ بوذا هو الابن الوحيد للأب ، وتجسد فى السلسوت وقدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ، ولهـذا يسـمونه المسيح والمخلص والابن .	١١ ــ الابن يسوع هو الكلمة التى تجسدت فى المسيح ، وقد صلب تكفيرا لخطيئـة آدم الأزلية ، التى انتقلت الى ذريته حتى خلصهم المسيح منها بقتله وصلبه

◀ البريد كاميروتا

* وبعد فهذا البيان والذى قبله اقتضاهما واجب الرد على رسالتيك اللتين بعثت بهما الى فضيلة الامام الأكبر والى باعتبارى عضوا بمجمع البحوث الاسلامية . لأنك هاجمت بهما مقدسات الاسلام دون مبرر يقتضيه . وكأنك مدفوع من هيئة تبشيرية وادى كتاب الفقه الأستاذ محمد بكير الأمين . المحامى بالاستئناف العالى ومجلس الدولة . عنوانه (مائة دليل على أن المسيح عبد الله ورسوله . استقاها من أناجيلكم الأربعة . بدها بتجربة ابليس له . تلك التجربة المقررة فى أناجيلكم . والتى تعصف بدعواكم ألوهيته . فلعلك تحصل على نسخة منه .لترى التناقضات المروعة فى عقائدكم . حتى لاتهاجم الحق بالباطل . ولست أرى بعد هذا النقاش خيرا من أن أقول لك ما قاله الله فى سورة آل عمران «**خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**» ٥٩ . وما قاله فى سورة المائدة « **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** »٧٥ . وما قاله فى سورة آل عمران : « **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** » ٧٩ ، ٨٠ ، وقوله فى سورة النساء : «**لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا**» ١٧٢ ، ١٧٣ وفى سورة المائدة : « **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** » ١٥ — ١٧ .

وفيها أيضا « **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ**

ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ » ٧٧ .

وأختم رسالتى هذه بما دعا به رسول الله قيصر ملك الروم ، والمقوقس ملك القبط « يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » آل عمران ٦٤ .

وبقوله تعالى لرسوله — صلى الله عليه وسلم — « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ » سورة القصص — ٥٦ .

والله تعالى ولى التوفيق .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« تصويب »

ورد فى مقال « الامارة فى دولة الشعر » فى العدد الحادى عشر ص ١٨٣٠ أن العقاد أقيم له حفل تكريم بمناسبة نظمه للنشيد القومى فى مساء يوم الجمعة الموافق ٢٧ من أبريل سنة ١٩٤٥ والصحيح أن حفل التكريم للعقاد كان فى عام ١٩٣٤ ورأس الحفل الزعيم مصطفى النحاس ، وأعلن الدكتور طه حسين امارة الشعر للعقاد .

وغير معقول أن يكرم العقاد ، وقد فصل من الهيئة الوفدية عام ١٩٣٥ ، ولم يعد العقاد للوفد بعد فصله .

« السيد حسن قرون »

صورة من رسالة الأب اليزيو كاميروتا

إلى مجمع البحوث الإسلامية - جامعة الأزهر - القاهرة .

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير أدامه الله

سلام الله عليكم أجمعين . وأما بعد فإني تلقيت في ٤/٢٠/١٩٨٥ كتابكم الكريم المؤرخ ١٤/٣/١٩٨٥ الصادر من الأمانة الفنية لمجمع البحوث الإسلامية ملحقًا به تعليقكم الطويل وكان بحثكم مستوفيًا دقيقًا مما أفاد حوارنا الأخوي إفادة لا يستهان بها وفتح أمامنا آفاقًا واسعة.

لقد تأملت في بحثكم مليًا واتضح لي من خلال سطوره ما بحثتم من حقائق غالية وما يفرق بيننا من وجهات نظر سائلًا المولى تعالى تسليط شعاع من نور السنى على عباده العطاشى.

كانت أسانيدكم قيمة إجمالًا وهي ترجع كثيرًا إلى التوراة والإنجيل وكان سعيكم في الانتفاع بها جادًا حميدًا. بيد أني وددت لو كان انطلاقكم في إبداء الرأي من إحدى الجامعات الدينية الشهيرة طبقًا القول المأثور : «« أذّر دقيقك للغربان ولو أكل نصفه ! »» ... وهل لجأت أنا في بحثي الديني إلى غير جامعة الأزهر قلب الإسلام ...

ومهما يكن من أمركم فإني قد تأثرت في تعليقكم بالنقاط التالية :

<u>أولًا</u> : قد قلتم في الصفحة الثانية : «« وهذه الأناجيل كلها [متى ومرقس ولوقا ويوحنا] من صنع البشر »».

الجواب : لو طالعتم الكتاب المقدس - العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية [بيروت في ٢٩/٦/١٩٦٩] لوجدتم بشأن صحة الأصول جوابًا شافيًا في مقدمات كل من أسفاره. نقرأ فيها ما نصه : «« بين يديك ترجمة عربية جديدة للعهد الجديد [الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل والرؤيا]. وهي أحدث الترجمات العربية وأكثرها شرحًا وأتقنها طباعة وأفصحها لغة وأقربها إلى الأصل اليوناني كما يفسره كبار علماء الكتاب المقدس في عصرنا .

إن المطبعة الكاثوليكية وقد أصدرت منذ مائة سنة ترجمتها العربية للكتاب المقدس رأت اليوم أن تعيد النظر فيها لتفيدها مما وصلت إليه دراسات الكتاب المقدس وأساليب الترجمة الصحيحة وأوضاع اللغة العربية وفنون الإخراج والطباعة. كان انطلاق العمل من أسفار العهد الجديد وقام بترجمتها عن الأصل اليوناني الأبوان صبحي حموي ويوسف قوشاقجي وهذب عبارتها الأستاذ بطرس البستاني .

وقد أضيف إلى متن الترجمة الجديدة كثير من العناوين والمقدمات والفوائد والحواشي والشواهد والفهارس لتكون في متناول جميع الناس للقراءة والمراجعة والتأمل الروحي والتعليم الديني .

أمل المطبعة الكاثوليكية من هذا التجديد العلمي والفني أن يزداد المسيحيون وغير المسيحيين رغبة في الإقبال على كلام السيد المسيح ورسالته وذلك الكلام «« روح وحياة »» (يوحنا ٦/٦٣) »» .

ثم إني أضيف إلى ذلك بالضرورة نبذة من مقدمات كل إنجيل فإنجيل .

١- إنجيل متى : «« متى أول من كتب إنجيل يسوع كتبه بالآرامية وهي اللغة الدارجة عند اليهود في ذلك العصر والتي بها خاطب يسوع الناس ، والسريانية كثيرة الشبه بها . ذكر المؤرخون المسيحيون الأقدمون أن متى

كتب الانجيل فى السنة العاشرة لارتفاع يسوع أى السنة ٤٤م، ولم يثبت أحد الى يومنا ما ينقض قولهم. ونقل المسيحيون الأولون إنجيل متى الى اليونانية، ثم فقد الأصل الآرامى وبقيت ترجمته اليونانية، وهى المعول عليها فى البحث والنقل الى سائر اللغات».

٢- إنجيل مرقس: «أخذ مرقس الانجيل من بطرس وبولس حتى ان الأقدمين سموا إنجيله مذكرات بطرس. كتبه فى رومية سنة ٦٤م أو فى ما يقرب منها، على طلب مسيحيي تلك المدينة. وإنجيل مرقس أقصر الأناجيل الأربعة، عدد فصوله ١٦، وعدد الفصول ٢٨ فى إنجيل متى و٢٤ فى إنجيل لوقا و٢١ فى إنجيل يوحنا. وجميع ما رواه مرقس مروى فى إنجيل متى ولوقا منفردين أو مجتمعين، ما عدا فقرات قليلة؛ فتوهم بعض الأقدمين أن إنجيل مرقس ليس إلا مختصر إنجيل متى. واتضح لعلماء عصرنا بعد البحث أن شخصية بطرس تظهر فيه أوضح منها فى سائر الأناجيل مما يؤيد صلات إنجيل مرقس بتعليم بطرس رئيس الرسل».

٣- إنجيل لوقا: «كتب لوقا إنجيل السيد المسيح سنة ٦٥ أو فى سنة قريبة منها. وألف بعد بضع سنوات كتاب أعمال الرسل، فروى فيه انتشار إنجيل يسوع على يد الرسل وأعوانهم فى القرن المسيحى الأول. والرأى الراجح أنه كتب الانجيل فى رومية للمسيحيين اليونانيين، ذكر أحدهم فى مقدمته وهو تاوفيلس الذى أهدى إليه الكتاب، كما جرت العادة عند الكتاب الأقدمين. وأخذ لوقا الشئ الكثير من أخبار يسوع عن إنجيل مرقس. أما الأخبار والأقوال التى انفرد بروايتها فقد أخذها من شهود عيان للكلمة [١: ٢]. وقد تكون السيدة مريم العذراء نفسها ممن حدثوا عنهم، ولربما أشار الى ذلك إذ كتب: «وكانت مريم تحفظ جميع هذه الأمور وتتأملها فى قلبها» [٢: ١٩ و٢٢: ٢ و٢: ٥١]. ولا شك فى أنه عرف فى أنطاكية ثم فى أورشليم ورومية أناسا من المسيحيين الأولين وعلم منهم بعض ما انفرد بتدوينه.

ونجد فى إنجيله ما ينافز خمسمائة آية لم يرد منها شئ فى سائر الأناجيل. وهكذا حفظ لنا لوقا من أحداث حياة يسوع ومن أعماله وأقواله الثمين النفيس كالذى نقرأه فى الفصلين الأولين أى بشارة الملاك لزكريا وبشارته لمريم ومولد يوحنا وميلاد يسوع وصعوده الى الهيكل فى سن الثانية عشرة».

٤- إنجيل يوحنا: «يوحنا شاهد عيان وسامع لما كتب من أخبار يسوع وكلامه فى الانجيل الرابع. ذلك قول المسيحيين منذ بدء الكنيسة إلى أيامنا. وأنكر بعض المؤرخين فى القرن الماضى وفى عصرنا صحة نسبة الانجيل الرابع الى يوحنا وحاولوا إثبات زعمهم بكلام كثير باطل. وكتب يوحنا ثلاث رسائل والرؤيا وهو آخر كتب العهد الجديد. ودون يوحنا الانجيل فى آخر حياته الطويلة، فى مدينة إفسس. فترك ما رواه متى ومرقس ولوقا فى أناجيلهم إلا القليل؛ ذلك بأنه لم يشأ أن يكرر ما قاله غيره قبله بل أراد أن يتمم ما كتبوه. فأكثر ما جاء فى إنجيل يوحنا من أعمال يسوع وكلامه جرى أو قيل فى اليهودية. فى حين أن أكثر ما كتب متى ومرقس ولوقا جرى أو قيل فى الجليل إلا ما نجده عندهم فى الفصول الأخيرة من أناجيلهم قبل دخول يسوع إلى أورشليم يوم الشعانين ومن بعده».

هذا، ويتضح من هذه الأسانيد الدقيقة أن الأناجيل كتبت إجمالا باللغة اليونانية بعد صعود المسيح إلى الآب بفترة من الزمن قصيرة، فى القرن الأول للميلاد لا فى القرن الخامس وعلى يد شهود عيان هم رسل يسوع وتلاميذهم. ثم إن الكنيسة قبلت تلك الأناجيل الأصلية منذ البدء، فى حين أنها لم تقبل قط الأناجيل المنتحلة المتعددة

وهي مشكوك فيها، مزيفة، وحفظتموها بكل حرص وأمانة الى يومنا هذا. ومن الملاحظ أن ما ورد في القرآن من حوادث المسيح وأمه مريم لا يرجع دائما الى تلك الأناجيل الأصلية، بل الى هذه الأخيرة غير المعتمدة التي تسرّبت فيها أحيانا معجزات لا تليق بكرامة المسيح وقداسته لصبغتها الصبيانية.

ثانياً - قلتم في الصفحة الأولى: «إن الأناجيل جمعت بين المتناقضين: التثليث والتوحيد ...»

الجواب: لا يتناقض التثليث مع التوحيد في المعتقد المسيحي إذ كان موضوعهما أمرين اثنين متميّزين لا متخالفين. فالوحدة عبارة عن الطبيعة الالهية نفسها غير المنقسمة بين الثلاثة والتعدد عبارة عن عدد الأقانيم في تلك الطبيعة الواحدة.. وبناء عليه فليس من السداد أن تدعوا الثالوث الأقدس شركة الآلهة المتحدة كما ليس من السداد أن تدعوا البشرية شركة الناس المتحدة! فكل إنسان جامع في نفسه خواص الطبيعة البشرية بكمالها ولا ينقصه شئ منها. وكذلك عبارتكم «إلهين أو ثلاثة آلهة في الثالوث الأقدس» لا يقبلها المسيحي الذي بسملته «بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد. آمين». ومن الملاحظ أن المسيحي لا يقول «بأسماء... الآلهة الثلاثة!». وما دام أخونا اا ليس عنده قدرة على التمييز بين هذين الأمرين الجوهريين الواقعيين فمن المحال أن يتوصل الى نتيجة. فاذا نقضنا أساس البناء فالجدران والسقف يا ترى كيف يقفان؟! لا يبقى الا اللجوء الى هذه اله " وجيزة القائلة: «الأناجيل من صنع البشر كلها محرّفة». لكن مثل هذه العبارة ليست وجيزة فحسب بل هي غاية الإيجاز والبساطة وهي بالتالي مردودة أصلا.

ومن اللازم الضروري هنا أن نورد عليكم قانون الإيمان المسيحي الحق كما انبثق من مجمعي نيقية والقسطنطينية وكما يتلى في كل كنيسة كاثوليكية: «نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى. وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. إله من إله نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بقوة الروح القدس من مريم العذراء وتأنس. وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي تألم ومات وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب. وأيضا سيأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه. وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والابن الذي مع الآب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء. وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. ونترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي. آمين».

من الملاحظ أن في هذا القانون يتكلم أن الابن (أو كلمة الآب) مولود من الآب غير مخلوق وأنه مساوٍ للآب في الجوهر أي في الطبيعة الالهية. وكذلك الروح القدس هو الرب المحيي المنبثق من الآب والابن الذي مع الآب والابن يسجد له ويمجد أي أنه إله كالآب والابن على التساوي، بلا فرق أبدا. ولما كان كل منهم حاويا الطبيعة الالهية نفسها فلا بد من أن تنسب إليهم الثلاثة الأعمال الالهية والأسماء الحسنى بعينها وإن انفرد الآب بأعمال القدرة والخلق والابن بأعمال التجسد والفداء وروح القدس بأعمال المحبة والتقديس إلى منتهى الدهر.

ثالثاً - قلتم أيضا: «إن الأبوة تقتضي التقدم والبنوة تقتضي التأخر ...»

الجواب: أجل إن الأمر على كذلك في عالم الماديات حيث العلة تسبق المعلول لا في أقانيم الثالوث

الذين يجمعهم الطبيعة الواحدة غير المنقسمة، هم على التساوي في جميع الصفات منها الأزلية فالآب أزلي والابن أزلي وروح القدس أزلي لا سابق فيهم ولا تابع. ورب سائل يقول: كيف إذن هذه الولادة والانبثاق؟! هل للروح ابن أو ابنة؟ ...

أجيب: بالطبع ليس الابن الروحي كالابن المادي مما يستصعبه عقل الإنسان المنغمس في المادة. ولكن هناك بعض التشابيه من شأنه تسليط النور على حديثنا. ألم تقل العرب أيها الأزهري:

- بنت الشفة عن الكلمة، وبنت الأذن عن لوزة الحلق، وبنت اليمن عن القهوة، وبنت العنقود أو الكرم عن الخمرة، وبنت العين عن الدمعة، وبنات الأرض عن الأنهار الصغيرة، وبنات الهوى عن البغايا، وبنات الليل أو الصدر عن الهموم، وبنات الدهر عن المصائب والخ!.. وقد قيل في لغة الضاد أيضاً: - ابن السبيل عن المسافر، وابن الطود عن الصدى، وابن ليلى عن صاحب الأمس الكبير؟! - وأغرب من ذلك قد قيل: - إنسان العين عن بؤبئها!... - وهل السبيل والطود يلدان ولداً من لحم وعظم أم هل الشفة والدهر ينجبان بنات كبنات آوى؟! ...

ذلك ولا غرو إذن أن يكون المسيح قد علمنا، وهو الإنسان الحق والإله الحق، بنوته من الآب السماوي وقد أتى من السماء معلماً لنا وفادياً. وحقاً انطلق يوحنا في خطه إنجيله الطاهر من هذه الحقيقة كاتباً عن المسيح: "في البدء كان الكلمة [أي الأقنوم الثاني الابن] والكلمة كان لدى الله والكلمة هو الله. كان منذ البدء لدى الله. به كان كل شيء وبغيره ما كان شيء. هو الحياة لكل موجود..." والكلمة في المعتقد المسيحي هو ابن الله، حكمة الله النقية وصورته طبق الأصل كالإنسان الذي يرى في المرآة صورته هي هي.

<u>رابعاً</u> - قد قلتم أيضاً في الصفحة الثانية: "وليس من حق المسيح أن يعدل هذه الوحدة ويحولها الى ثلاثة، فإن الحق لا يتغير والألوهية ليست صالحة للتطوير...".

الجواب: إن المسيح لم يعدل الوحدة ولا حولها الى ثلاثة، إنما كشف لنا عن الوجه الثاني من الحقيقة وذلك الوجه هو التثليث، مضيفاً الى الوحي السابق غير الكامل ما كان ينقصه. وفي مثل هذا الأمر لا مخالفة للتوراة وللقرآن إذ يوحي صاحب الوحي الينا بأسراره متى وكيف شاء، إن ذلك من باب الاستكمال لما كان ناقصاً ليس في جوهره الإلهي ولكن في معرفتنا له. وبالتالي لا تنمو ولا تتطور الحقائق الالهية إلا فينا نحن البشر من غير أن يتحول الله في جوهره أيما تحول.

<u>خامساً</u> - وقد قلتم في الصفحة الخامسة بشأن البراهين: "وهذا تدعيه متأثراً بجو التقليد الذي يعيش فيه النصارى، ولو أنك تحررت من رباط التقليد ومن سجنه المظلم...".

أجيب: أولاً أنا النصراني لو يحصل للقرآن ما قد حصل للإنجيل من النقد والإنكار والتكذيب من الذين يلون والجدال على كل صعيد وبكل حرية، لأن الحرية في الإنسان من حقوقه الأساسية المشروعة بل هي من أعظم مواهب الله لخلائقه، ولا إكراه على الدين. نعم قد قام على الانجيل منذ أكثر من قرنين ابتداء من عهد التنور والعقلانية، الفلاسفة والملحدون والكفرة وغمروا العالم بمؤلفاتهم الجارحة الكاذبة وأنكروا في المسيح حتى وجوده التاريخي. ولكن عبثاً لأن الرد على أكاذيبهم آل الينا بفوائد جمة لم تكن في الحسبان.

الحق يقال إن المسيحي ليس مقيداً برباط التقليد حتى يتحرر منه ومن سجنه المظلم. إن المسيحي يعبد الله

٥/

وقبل كل شئ بالروح والحق: «ستأتى ساعة - بل أتت الآن - يعبد فيها العباد الصادقون الآب بالروح والحق لأن الآب يريد مثل هؤلاء العباد. إن الله روح فيجب على العباد أن يعبدوه بالروح والحق»
[يوحنا ٤: ٢٣ و٢٤]. وبناء عليه فالنصارى هم على مرونة و انفتاح على العالم عظيمين لحرية اعتقادهم الفكرى والأدبى والدينى، فى حين أنه من الحتم على أخينا المسلم أن يناله الجمود والتبلور لما ورد فى القرآن، سورة الأنعام بهذا الصدد: «وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره» : ٦٨
«إن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون» : ١٢١

ومن مظاهر انفتاح النصارى على عالم الثقافة والاجتماع والدين مثلا أنهم يطبعون الكتاب المقدس بصورة حديثة من حيث علامات التنقيط ومتطلبات فنون الإخراج العصرية، تسهيلا للقراء من غير أن يمسوا الحقيقة بشئ. مثلا أن الفاتيكان فتح باب مكتبته الشهيرة ودائرة وثائقه على مصراعيه واسعا، كما فتح أبواب الكنائس لجميع الحجاج بلا استثناء مهما يكن لونهم أو دينهم لأن النور لا يخاف الظلام فى حين أن الظلام يخشى النور. هل يسمح للنصارى مثلا بزيارة مكة والمدينة، كما يسمح لغير النصارى بزيارة قبر المسيح فى بيت المقدس أو قبر مار بطرس فى روما.

تمتنع الكنائس مثلا عن دق الأجراس باكرا أو عن إذاعة الخطب فرارا بمكبرات الصوت الجارحة للآذان، مراعاة لإخواننا البشر من أطفال نائمين ومرضى متألمين وطلبة جالسين على مقاعد العلم وأساتذة مجتمعين لنقاش شؤون التلاميذ أبنائكم وهلم جرا... أين تلك المرونة وذلك الانفتاح على الغير فى المجتمع الاسلامى يا فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير؟ أما ترون أن بعض التعديل يجب أن يجرى فى مظاهركم الدينية؟ وهل يكون الله قد أمر فى دين من الأديان أن يكرم هو تعالى بجلب الإيذاء على خلائقه البشر، ألا يكتب بخط كبير على أسوار كل مدينة أن القرآن دستور الدين والتمدن فى آن واحد؟
إنى أتمنى يا فضيلة الشيخ لو يتم هذا الشعار الجميل فى القريب العاجل إذ كانت تلك المظاهر فى الوقت الحاضر أمرا لا يطاق.
وعلى كل فإنى شخصيا فخور بكم جدا بإتاحتكم لى فرصة تبادل الرأى فى أمور شتى قد تنبئ بإذن الله باتجاه جديد فى عصر جديد.

<u>سادسا</u> - قلتم فى الصفحة الثانية بشأن معجزات المسيح: «مثل ذلك يقع فى كل زمان وقد نقل مثله عن صوفية المسلمين والهندوس» ثم أضفتم فى الصفحة العاشرة: - إحياء الإله، كاهن التبت للميت -
الجواب: الله أعلم بحقيقة الأمر وعلى كل ففى نهاية المطاف يبقى لدينا ما لا يوجد إلا لدينا، أعنى به البرهان الحاسم القاطع على ألوهية المسيح فيما يلى:

١- إن الشياطين أنفسهم كانوا يقرون بألوهيته مرارا عندما كانوا يطردون بأمر المسيح ممن بهم مس من الشيطان. ولا يصح هنا القول إن الشيطان كاذب أو أيضا إنه أبو الكذب. «واتفق أنه كان فى مجمعهم رجل فيه روح نجس، فأخذ يصيح: - ما لنا ولك يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا؟ أنا أعرف من أنت: أنت قدوس الله - فانتهره يسوع قال: - إخرس واخرج منه! - [مرقس ١: ٢٣ و٢٤] فالقداسة من صفات الاله... «وكانت الأرواح النجسة إذا رأته تسجد له وتصيح: «أنت ابن الله!» فكان ينهاها بشدة عن كشف أمره [مرقس ٣: ١١].

٢- إن المسيح لم يقم الموتى فحسب بل أقام نفسه من الموت أيضا [لا ننس أن فيه طبيعتين: الألوهية والإنسانية] بقوته الذاتية [لا بإذن الله] وبعد نبوات متكررة سابقة الى هذا الحادث الذى لا يمكن دحضه.

فالجواسيس الرومان لم يكونوا ليرى قبره اتفاقاً بل بطلب ملح من ألد أعداء المسيح. وهل يخاف الانجيل اليوم أعداء أو منكرين جدداً وقد أسكت وأفحم أعداء ومنكرين سابقين كانوا على أشد كفر وعداء؟

من يا ترى كان أشد بأساً وإنكاراً من شاول الذي كان عن رسالة الطوية ينكل بالنصارى ويسجنهم؟ هو المسيح الذي تراءى له وصرعه على أبواب دمشق الشام عند الظهيرة وحوله من ذئب مفترس الى حمل وديع الى رسول الأمم وكشف له حقائق الانجيل مباشرة ثم بشر بها بكل امتناع وجرأة حتى الاستشهاد. ذلك الرسول الذي كتب الى أهل غلاطية:

«فأذكركم أيها الاخوة أن البشارة التي بشرتكم بها ليست على سنة البشر لأني ما تلقيتها ولا أخذتها عن إنسان بل عن وحي من يسوع المسيح [الفصل الأول ١١: ١٢]» وأيضاً: «هنالك قوم يلقون البلبلة بينكم ويبغون أن يبدلوا بشارة المسيح. فلو بشرناكم نحن أو بشركم ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم به فليكن ملعوناً! قلنا لكم قبلاً وأقول اليوم: إن بشركم أحد بخلاف ما بشرناكم به فليكن ملعوناً! [الفصل الأول ٧: ١٠]

وبالرغم من أن الوحي ختم في المعتقد المسيحي بتعاليم يسوع ورسله الاثني عشر تماماً فمع ذلك يأتي فيما بعد في معتقد فئة أخرى من الناس ملاك من السماء ابتعاليم يخالف التعاليم السابقة. وهل يكفي القول بأن جميع الأناجيل والأسفار التي لا تتناسب والقرآن هي من صنع البشر ومحرفة. إن هذه العبارة بعد نبوات المسيح بالأنبياء الكذبة وبعد تحذير مار بولس الرسول الواضح المكرر لعبارة بسيطة ساذجة لا تقنع من تحرر من رباط التقليد وسجن المظالم ... ومن المبادئ البديهية المسلمة أنه ما أثبت مجاناً فقد أنكر مجاناً ...

سابعاً – قلتم في الصفحة الحادية عشرة: – كان لابد لذلك الرسول ... أن تكون معجزته علمية متفوقة فكانت معجزة القرآن العظيم ... ينزله الله على رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب ... –

الجواب: إذا صلحت هذه الحجة لتثبيت معجزة القرآن فلماذا لا تصلح حجة الأمية نفسها لإثبات معجزة الأناجيل؟ من الثابت أن المسيح أيضاً كان أمياً لا يتردد الى المدارس ومع ذلك فقد أثارت حكمته السامية دهش خصومه. وكان كذلك معظم الرسل أميين صيادي سمك. كيف استطاعوا أن يلقوا الى الناس خطباً مشفوعة بالحجج الدامغة؟ ذلك وعلى كل فيعتبر القرآن منزلاً في حين أن الأناجيل تعتبر محرفة من صنع البشر ..

ولابد لنا أن نشير هنا الى سورة الصف ٦: «وإذ قال عيسى ابن مريم: يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ...». نتساءل: "١" – في أية آية انجيلية وردت هذه الآية القرآنية؟ – "٢" – ولو وردت في الأناجيل فما قيمتها والأناجيل كلها محرفة وكلام بشر؟ – "٣" – من الثابت لدينا أن موسى فقط تنبأ بنبي يأتي من بعده داعياً شعبه الى أن يسمعوا له وهو المسيح.

وأما كلام المسيح فكان بعكس المعنى: «فيرتد عن الإيمان أناس كثيرون ويسلم بعضهم بعضاً ويتباغضون ويظهر كثير من الأنبياء الكذابين ويضلون أناساً كثيرين» [متى ٢٤: ١٠ و١١] – «فاذا قال لكم قائل: – هوذا المسيح هنا – هناك – فلا تصدقوه. فسيظهر مسحاء دجالون وأنبياء كذابون يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب لو استطاعت لضللت المختارين أنفسهم. فها أنذا أنبئكم ...» [متى ٢٤: ٢٢ و٢٥]

٧

ثامناً — قلتم في الصفحة الثانية عشرة: «ولا يزال القرآن يتحدى كل المفكرين أن يأتوا بمثله: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله».

الجواب: إن الكلمة، وهو حكمة الآب الأزلية، لم يأت الى العالم ليخلّصه بظاهر الحكمة وبكلام رنان طنان على غرار قدامى الفلاسفة والمفكرين، ولكن في صورة وديعة متواضعة إذ قال: «تتلمذوا لي أنا الوديع والمتواضع القلب» [متى ١١: ٢٩]. لقد أتى ليفدينا بالامه وبذل نفسه حبا لنا: «وكما رفع موسى الحية في البرية فكذلكه يجب أن يرفع ابن الانسان (أي المسيح) لينال به الحياة الأبدية من يؤمن. إن الله بلغ من حبه للعالم أنه جاد بابنه الواحد لكي لا يهلك من يؤمن به بل ينال الحياة الأبدية» [يوحنا ٣: ١٤-١٦].

لم يأت المسيح ليُخدَم ولكن ليَخدِم: «أنتم تدعونني معلما وربا، وأصبتم فيما تقولون، فهكذا أنا. وإذا كنت أنا الرب والمعلم قد غسلت أقدامكم، فيجب عليكم أنتم أيضا أن يغسل بعضكم أقدام بعض. فقد جعلت لكم من نفسي قدوة لتصنعوا ما صنعت إليكم» [يوحنا ١٣: ١٢-١٥].

وأيضا: «تخلّقوا بخلق المسيح فمع أنه في صورة الله لم يعدّ مساواته لله غنيمة، بل تجرد من ذاته متخذا صورة العبد وصار على مثال البشر وظهر بمظهر إنسان فوضع نفسه وأطاع حتى الموت، الموت على الصليب. ازلكه رفعه الله ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الأسماء كيما تجثو لاسم يسوع كل ركبة في السماء وفي الأرض وفي الجحيم ويشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب تمجيدا لله الآب». [رسالة القديس بولس الى أهل فيلبي الفصل ٢: ٥-١١]

ومع ذلك فقد أيّد تعاليمه الخلاصية بالقوات الباهرة، لا كغيره من المعلمين: «فدهشوا جميعا وأخذوا يتساءلون: ما هذا؟ إنه لتعليم جديد يُلقى بسلطان! حتى الأرواح النجسة يأمرها فتطيعه!» [مرقس ١: ٢٧]. إنه نعم قد علّمنا سبيل الحق والهدى قائلا عن نفسه: «أنا نور العالم من يتبعني لا يتخبط في الظلام بل له نور الحياة» [يوحنا ٨: ١٢]. وأيضا: «أنا الطريق والحق والحياة». «السماء والأرض تزولان وكلامي لن يزول» [مرقس ١٣: ٣١].

وبالاضافة الى ذلك فهو أيضا يتحدى خصومه الطالبين آية منه: «يا معلم نريد أن نرى منك آية» فأجابهم: «جيل فاسد فاسق يطلب آية، ولن يجعل له سوى آية النبي يونان. فكما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، فكذلك يبقى ابن الانسان في جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» [متى ١٢: ٣٩-٤٠]. وفي مكان آخر تصدى له اليهود فقالوا: «أية آية ترينا حتى تفعل هذا؟». فأجابهم يسوع: «أنقضوا هذا الهيكل أقمه في ثلاثة أيام!». قال له اليهود: «بُني هذا الهيكل في ست وأربعين سنة فكيف تقيمه في ثلاثة أيام؟» ولكنه كان يعني هيكل جسده» [يوحنا ٢: ١٩-٢١].

وبشأن الجن: كيف يستطيع أن يأتي بمثله والجن ليس في الوجود، إذ إنه مخلوق مزعوم بين الانس والأرواح، ينتسب الى الأساطير اليونانية؟

تاسعاً — قلتم في الصفحة الرابعة عشر: «إن معتقدكم أيها النصارى تُمثّل في هذا المبدأ القائل: آمن أولا ثم ابحث عن الدليل...»

الجواب: حجتكم مرفوضة، فنحن كما سبقا أن قلنا نستعين بنورين: نور العقل ونور الإيمان

اللذين هما من الله مصدر كل حقا، ومع أن حقيقة الوحدة في التثليث سر من أسرار الدين فهو منا الناحية الأخرى لا يناقض العقل البشري لأن في هذا السر موضوعين: الأول وهو الطبيعة الالهية والثاني وهو تعدد الأشخاص في تلك الطبيعة. وهل من تناقض لو قلنا: في الشمس الواحدة النور والحرارة والشعاع في الشجرة الواحدة ثلاثة أغصان في الطبيعة الانسانية مليارات الأشخاص؟ إن مبدأنا قبل كل شئ هو التمييز بين موضوع وموضوع وهذا من مهمة العقل لا الايمان ... لو قلنا مثلا إن الأبيض هو أسود فذلكم أي السيد هو المناقض كل التناقض!... ثم إننا في التعليم الاعدادي البحث عن جوهر مختلف الأديان لا نستعين إلا بالبراهين المنطقية والأدلة الصوابية.

عاشراً — ورد أخيرا في الصفحة السادسة عشرة: «« أن يسمح لهم بقتله ليعفو عنهم إن هذا لشئ عجاب »».

الجواب: نعم قد كان من الممكن أن يعفو الله عن الانسان الخاطئ من غير أن يطالبه بشئ ما وهذا من قبيل رحمته اللانهائية لهم. ولكن من قبيل العدل والوجهة التأديبية كان التعويض عن خطايا جميع البشر لازما ضروريا. ولما كان الانسان المحدود عاجزا عن تقديم ذلك التعويض فقد ارتضى الله أن يحمل خطايا العالم ويكفر عنه. إن جسامة الاهانة تقاس باعتبار الشخص المهان لا باعتبار الشخص المهين [فالاهانة اللاحقة بالملك مثلا هي أعظم من التي تلحق بالوزير]. وبالتالي فاهانة الانسان الله كانت إهانة غير محدودة كما أن الله هو غير محدود في جوهره، ولم يكن ليعوض عنها سوى الله نفسه معلقا بأي عمل تعويضي قيمة غير محدودة. وفضلا عن ذلك شاء الله الآب أن يتجسد ابنه الحبيب الوحيد ويموت موت الصليب الشائن عن الخطأة ليظهر لنا جسامة الاثم وعظم محبته لنا. إي نعم إن هذا لشئ عجاب بل ضرب من الجنون ولا يفسر ذلك العمل الجنوني إلا الحب المتناهي حب الله للنفوس الغالية الثمن التي خلقها وتبناها ووهب لها وراثته في دار الخلد. وذلك أخيرا ليعلمنا الله ضرورة مقابلة الحب فان الحب يقابل بالحب.

• ولكي لا يتشكك أخونا المسلم تجاه هذا الأمر العجاب لنستمع الى بولس الرسول في رسالته الأولى الى أهل كورنتس حيث قال: «« لما كان اليهود يطلبون الآيات واليونانيون يبحثون عن الحكمة؛ فاننا ننادي بمسيح مصلوب عثار لليهود وحماقة للوثنيين؛ وأما للمدعوين من اليهود واليونانيين [والمسلمين] فالمسيح قدرة الله وحكمة الله. لأن الحماقة من الله أكثر حكمة من الناس والضعف من الله أقوى من الناس »» [١: ٢٢ - ٢٥] — «« الله محبة »»: والمحبة عبارة عن الاتحاف. فالله قد أتحفنا بكل ما لنا... هوذا الخلق. المحبة هي التعبير عن خواطر النفس: فالله قد تكلم بالأنبياء وبابنه الالهي عينه: ها هو الوحي. المحبة هي التشبه بالمحبوب: فالله صار أخانا: هوذا التجسد. المحبة هي التألم في سبيل المحبوب: فالله ضحى بنفسه على الصليب لأجلنا: هوذا الفداء. المحبة هي الاقامة الدائمة بالقرب من المحبوب: هوذا سر القربان [وجود يسوع جوهريا في الكنائس المسيحية]. المحبة هي الاتحاد بالمحبوب اتحادا جوهريا: هوذا التناول [تناول جسد ودم المسيح]. المحبة هي إشراك المحبوب في ما يتمتع به من سعادة: هوذا الفردوس. يستحيل علينا أن ندرك مبلغ محبة الله لنا؛ فلنتأمل ما صنعه يسوع المسيح في سبيلنا. كنا عبيدا للشيطان فجعلنا بني الله؛ كنا مستوجبين جهنم ففتح لنا باب السماء؛ كنا كثيري الخطايا فغسلها في دمه »» [من الوعد الكبير: القسم الثاني: يسوع محبة — وقد عربه الأب يوسف كليسي في القدس ١٩٤٠].

شاكرا تلطفكم لي البالغ في تأمل تعليقي على تعليقكم أسأل الله يا فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير تسليط نوره على عباده.

الداعي لكم بطول العمر والتوفيق الاستاذ الأب إليزيو كاميروتا D. Eliseo Camerota - الاسكندرية في ١٥/٢/١٩٦٥

الأب إليزيو كاميروتا D. Eliseo Camerota -

٢٠١٠٠١

مع إبراهيم الخليل

فى محكم التنزيل

بناء البيت ودعاء ابراهيم :

قال تعالى : « وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » البقرة ١٢٧ .

والآيات مدنية واذ يرفع عطف على ما قبله من قوله : واذ قال ابراهيم ، وعبر بصيغة المضارع يرفع لاستحضار الصورة — القواعد : جمع قاعدة ، وهى الاساس والأصل لما يقام عليه ورفع القواعد : رفعها بالبناء .

وقد قيل : ان الكعبة بنيت عشر مرات .

وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام ، فقال له ولحواء : ابنيا لى بيتا ، فخط جبريل ، وجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا أصاب الماء من تحته قال: حسبك آدم ، فلما بنياه أوحى اليه أن يطوف به ، فقيل له : أنت أول الناس ، وهذا أول بيت » وبناه كذا بنو آدم بيتا من الطين والحجارة ، فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى أن مسه الغرق فى عهد نوح عليه السلام ، وبناه ابراهيم كما ذكر فى القرآن فى هذه الآية وبناه العمالقة ، وبناه عبد الله بن الزبير ، وبناه الحجاج .

وكل ما حدث فى البيت من بناء لم يكن بناء

لكل الكعبة ، وانما كان فى البعض بناء لبعض الجدران .

وقال البعض : ان بنـاء الكعبة لم يكن الا خمس مرات .

وأكثر رواة الأخبار يقولون : ان البيت كان موجودا قبل ابراهيم عليه السلام . وقـوله تعالى : ((واذ يرفع ابراهيم القواعد)) يدل على أن تلك القواعد كانت موجودة ، ولكنها متهدمة الا أن ابراهيم رفعها وعمرها .

وقد اشترك اسـماعيل مع أبيـه ابراهيم عليهما السلام فى البناء بدليل عطف اسماعيل على ابراهيم وان كان البعض يسـند الـى اسماعيل رفع الحجارة والطين . وابراهيم هو الباقى بمعنى أن ابراهيم هـو الذى كـان يضع الحجارة ويلصقها بالطين . وعـلى ذلك فرفع اشترك فيه كلاهما .

فلما أتما رفـع القـواعد اتجهـا الى الله بالدعاء ، وكان أول دعائهما :

١ ــ ((رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ)) .

ظـاهر هـذا الدعـاء يفيـد أن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام كانا يقولان معـا : ربنـا تقبـل منـا الخ الآية .

وقيل : ان ابراهيم كان فى شـغل برفع القواعد والداعى كان اسماعيل ، وقد دعا عنه

للدكتور محمد محمد خليفة

وعن أبيه بهذه العبارة : ((رَبَّنَا تَقَبَّـلْ مِنَّا)) أى منه ومن أبيه عملهما فى رفع قواعد البيت وأعمـال البناء وكان تذييل الدعاء : ((إِنَّـكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) .

وفى هذا التركيب من التـأكيد ما يقـوى جانب الاسـتجابة التى يتطلعان اليها فى قبول دعائهما ثم سـاقا فى التركيب صـيغتين للمبالغة :

الأولى : السميع وتفيـد أنه يسـمع جميـع المسـموعات ومنها ذلك الدعاء الذى يتحبهان به الى الله .

والصـيغة الثانية : ((العليم)) وهى كذلك صـيغة مبـالغة تفيد أن علمه يحيط بجميـع المعلومات ومنها ما تنطوى عليـه نية ابراهيم واسماعيل وما يكنه قلباهما من الاخـلاص فيما يقومان من بناء البيت .

والى جانب ما تقدم من التأكيد والمبالغة فان أسلوب ((انك أنت السميع العليم)) يفيـد الحصر ومعنى ذلك : أنه لما كان كمال صـفتى السمع والعلم فيه سبحانه وتعالى جعل كأنه مختص بهما دون غيره .

٢ ــ أما الدعاء الثانى فكـان : ((رَبَّنَـا

وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

الاسلام فى قوله : « واجعلنا مسلمين لك»

قد يكون المراد منه : الدين والاعتقاد ، أو الاستسلام والانقياد .

(واجعلنا) قد يكون من الجعل بمعنى التصيير ، أى صيرنا مسلمين ، وقد يكون بمعنى الأمر أى أؤمرنا بأن نكون مسلمين .

والتعبير بقوله : « واجعلنا مسلمين لك » يفيد الحصر على معنى نكون مسلمين لك لا لغيرك ، وكمال السعادة فى أن يكون العبد مسلما لقضاء الله وأحكامه موحدا مخلصا لا يعبد الا الله أما قوله : « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » فالمراد : واجعل من أولادنا أمة مسلمة مخلصة لك و (من) للتبعيض ، وخص البعض ، لأن الله أعلم ابراهيم من قبل بأنه (لا ينال عهدى الظالمين) حين أخبره الله بأنه جاعله للناس اماما ، فقال ابراهيم : (ومن ذريتى) .

فقال الله : (لا ينال عهدى الظالمين) ومعنى ذلك : أن بعض ذرية ابراهيم ممن اتصفوا بالظلم لن ينالوا الامامة والنبوة .

وقد دعا ابراهيم ربه أن يجعل من ذريته أمة مسلمة لله ، وان الاشفاق على أبنائه ومن تناسل من أبنائه هو الذى حداه الى هذا الدعاء ، وقد استجاب الله الدعاء فكان من ولد ابراهيم واسماعيل على اختلاف الأجيال والعصور من عبد الله ولم يشرك به شيئا .

وقد كان فى الجاهلية القريبة من فجر الاسلام : زيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة الايادى وعامر بن الظرب ، وهؤلاء آمنوا بالبدء والاعادة والثواب والعقاب ووحدوا الله ولم يعبدوا الأوثان .

وقيل : عبد المطلب جد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان كذلك ومعنى قوله : « وأرنا مناسكنا » أى علمنا شرائع الحج وما ينبغى أن نفعله من أعماله فتكون الرؤية فى قوله : « وأرنا » علمية بمعنى عرفنا .

وقد تكون الرؤية بصرية فمعنى أرنا مناسكنا أظهر المناسك لأعيننا حتى نراها وقد قال الحسن : ان جبريل أرى ابراهيم — عليه السلام — المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال له : أعرفت ما أريتك من المناسك ؟ قال : نعم ، فسميت تلك المنطقة التى قيل عندها هذا القول : عرفات) .

وقد أراد ابراهيم أن يزور البيت يوم النحر ، فعرض له ابليس ، وسد عليه الطريق ، فأمره جبريل أن يرميه بسبع حصيات ، ففعل ، فذهب الشيطان ، ثم عرض له فى اليوم الثانى والثالث والرابع وفى كل يوم يأمره جبريل برمى الشيطان بالحصيات فيرجمه ، فيذهب عنه (والنسك) بضم النون المشددة والسين : هو التعبد ، وسميت أعمال الحج مناسك .

وقد قال — صلى الله عليه وسلم — لحجاج بيت الله من أصحابه : « خذوا عنى مناسككم

لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وكان ذلك فى حجة الوداع » .

والمواضع التى تقام فيها شرائع الحج تسمى : مناسك .

قال تعالى : « لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ » والاراءة فى قوله : « وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا » لتعريف أعمال الحج ، وقد يراد المواضع فتكون الاراءة لتعريف البقاع .

ويكون معنى : أرنا مناسكنا : علمنا كيف نعبدك وأين نعبدك ، وبماذا نتقرب اليك حتى نخدمك به كما يخدم العبد مولاه .

(وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

ان ابراهيم واسماعيل — عليهما السلام — على الرغم من اجتهادهما فى طاعة ربهما فانهما ليشعران بالتقصير الذى يدعوهما الى أن يسألا ربهما التوبة من ذلك التقصير أو من السهو الذى يقع منهما .

وقد يكون المراد من طلب التوبة ارشاد ذريتهما الى طلب التوبة مما يقترفون ولو من صغائر الذنوب .

وقد يكون المراد (وتب علينا) أى على المذنبين من ذريتنا .

وقد حكى الله عنه فى آية أخرى ، « وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » أى ومن عصانى فانك قادر على أن تتوب عليه وتغفر له ما سلف من ذنوبه .

وقوله : « إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » تعليل للدعاء ولتحقيق الاجابة .

وفى التركيب تاكيدات وهو يفيد الحصر والمعنى « إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » لاغيرك وقد ساقه بعد طلب التوبة فى قوله : « وَتُبْ عَلَيْنَا » .

أما الدعاء لابراهيم وهو ما حكاه القرآن فى قوله : « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

سأل ابراهيم — عليه السلام — ربه فى آية سابقة أن يجعل من ذريته أمة مسلمة له ، وفى هذه الآية سأل ربه أن يبعث فى تلك الأمة المسلمة لله رسولا يكمل لتلك الأمة المرجوة دينها ، ويثبتها على الاسلام ، وأن يكون ذلك المبعوث المرسل من عند الله من تلك الذرية حيث يعرفون مولده ونشأته وتربيته وخلقه ، وانه اذا كان منهم كان أحرص على خيرهم .

وقد كان الرسول المعنى فى قولة ابراهيم عليه السلام (وابعث فيهم رسولا) محمدا — عليه الصلاة والسلام — .

وقد روى أنه — صلى الله عليه وسلم — قال : « أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى » . وأراد بالدعوة هذه الآية :

« رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنهُمْ » ، وخص ابراهيم لأنه الأصل فى الدعاء واسماعيل معه يردد قوله ، وذلك فى بعض الآراء على نحو ما بينا فى تفسير صدر هذه الآيات .

أما بشارة عيسى فهى التى جاءت فى سورة الصف فيما حكاه القرآن عنه « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ » .

وذلك الرسول الذى طلبه ابراهيم من ربه حقق له ما طلبه من ربه فى قوله : « وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ » حيث أجرى ذكر ابراهيم على لسان أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — فى التشهد فى صلاة الفروض والنوافل ويبقى ذكر ابراهيم حيا على لسان أمة محمد — صلى لله عليه وسلم — حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد وضع ابراهيم عليه السلام لذلك الرسول المنشود منهج عمله فيما يلى :

١ — أنه يتلو عليهم آيات الله (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) والمراد بتلك الآيات التى يتلوها الفرقان الذى أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — .

وقد يراد بالآيات : الدلائل التى تدل على وجود الله ووحدانيته ، ومعنى تلاوتها : تذكيرهم ودعوتهم الى الايمان بها .

٢ — تعليمهم الكتاب « وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ » أى أنه يعلمهم معانى الكتاب ، وتعليمهم ما فيه من الدلائل وكيفية استنباط أحكام الشريعة الاسلامية منه .

٣ — تعليمهم الحكمة (والحكمة) وهى : الاصابة فى القول والعمل ، ووضع كل شىء موضعه وقد قال الامام مالك : « ان الحكمة : هى معرفة الدين والفقه » .

وقال الامام الشافعى وقتادة : ان الحكمة هى سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى القول والعمل .

وقيل : الحكمة : هى الفصل بين الحق والباطل .

وقيل : المراد بتعليمهم الحكمة : حكمة الشرائع وما فيها من مصالح العباد .

٤ — التزكية : ويزكيهم أى يطهرهم من الشرك .

وقيل المراد بالتزكية : الطاعة والاخلاص ، أو الترغيب فى العمل والترهيب عن الاخلال بالعمل ثم ختم الآية بقوله : « إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » ، والعزيز : القادر الذى لا يغلب .

والحكيم : العالم الذى لا يجهل شيئا وفى هذا التذييل الذى ختمت به الآية تأكيد ، واسمية الجملة تفيد الثبوت والداوم وهى الى جانب ذلك تفيد القصر فهو العزيز لا غيره وهو الحكيم وحده .

د. محمد محمد خليفة

الإعجاز

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

الحديث عما سوى الله

أما حديث القرآن عن « ما سوى الله » فيبدو لنا أن الأساس فيه قول الحق تبارك وتعالى :

« .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » (١) وقوله سبحانه :

« وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » (٢) .

وآيات القرآن تشرح ذلك تفصيلا .

فاذا كان الله سبحانه هو الأول بلا بداية ، لأنه تعالى واجب الوجود ، اذ وجوده لذاته ، فكل ما سواه على العكس من ذلك ، فليس هناك شئ ينعم بالوجود الا والله مبدعه وخالقه ، وصدق الله حيث يقول :

« ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ .. » (٣) .

وحيث يقول :

« اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (٤) .

واذا كان الله سبحانه هو الآخر بلا نهاية لوجوده ، فكل ما سواه يلحقه الموت ويهلك ، وهذا هو الواقع الذى لا يمكن انكاره .

وقد عبر القرآن عن ذلك فى قول الله جل شأنه :

« وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ .. » (٥) .

---

(١) سورة الشورى : ١١
(٢) سورة الاخلاص : ٤
(٣) سورة الانعام : ١٠٢
(٤) سورة الزمر : ٦٢
(٥) سورة القصص : ٨٨

واذا كان الله قائما بنفسه ولا يحتاج الى سواه ، فكل ما سواه محتاج اليه فى وجوده ، وفى دوام هذا الوجود ، نقرأ فى ذلك قول الله عز وجل :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ » (١) .

وقوله سبحانه :

« قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ .. » (٢) .

وقوله تعالى :

« أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ .. » (٣) .

والقرآن واضح فى أن ما سوى الله نوعان :

مكلف وغير مكلف .

والمكلف فى عالم الشهادة هو الانسان ، وهو الذى جعله الله خليفة فى الأرض فميزه بالعقل وعلمه ما كان يجهل ليدرك مكانته فى هذا الوجود ، ومن رحمة الله به أنه أفاض فى الحديث عنه فى القرآن ، فحدثه عن وجوده وخلقه ، وفصل له ما أسبغ عليه من نعم هى قوام حياته ، وكشف له عن أعدائه ليأخذ حذره ويحصن نفسه ، ولم يبخل عليه بالهداية فأرسل له رسله بشرائعه وما ينير الطريق أمامه ، وقص عليه من أنباء ما قد سبق ليكون له فيه موعظة وعبرة ، ووضح له — بما يقطع كل شك — أنه مسئول عما يعمل ، وأنه مجازى عليه ، وأن الجزاء من جنس العمل .

وأكد له أن العدل الالهى لابد وأن يأخذ مجراه فى يوم آت لا ريب فيه ، وسنضع بين يدى القارىء نماذج من آيات الله التى تتصل بالانسان وفضل الله عليه لنحاول معا أن نتبين وجه الاعجاز فى القرآن الكريم .

ان القرآن يلخص لنا حياة الانسان فى هذه الدنيا فى آيات ثلاث ، هى قول الله تبارك وتعالى :

« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا . إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . » (٤) .

ومن هذا القول الكريم يتضح :

١ — ان الانسان (أى انسان) كان — قبل أن يخلقه الله — فى دائرة العدم ، (لَمْ يَكُنْ

---

(١) سورة فاطر : ٣
(٢) سورة الانعام : ١٤
(٣) سورة الملك : ٢١
(٤) سورة الانسان : ١ ، ٣

شَيْئًا مَذْكُورًا) وهذه حقيقة لا مراء فيها ولا تحتاج الى دليل .

٢ — وأن خروجه من دائرة العدم يبدأ من « نطفة أمشاج » وهى الخليط من ماء الذكر وماء الأنثى عندما يلتقيان .

وبدء الوجود بهذا الخليط حقيقة محسوسة لا يطلب عليها برهان . والذى قد يطلب عليه الدليل والبرهان هو القوة الخالقة .

فقد يحلو للبعض أن يقول : ان اختلاط الماءين كاف فى وجود ما كان معدوما .

ومن هنا عنى القرآن بما يرد هؤلاء الى الصواب فى أسلوب واضح ، ولفت النظر الى أن اختلاط الماءين لاينتج شيئا بذاته،والا لكان من الحتم أن يكون هناك وليد اذا تم اللقاء بين أى ذكر وأى أنثى ، والواقع المشاهد لايؤيد ذلك

وانما المشاهد المتفق عليه ولا خلاف حوله أن هذا اللقاء وما يعقبه من اختلاط الماءين قد يثمر وقد لا يثمر .

وهنا لا مفر من القول بالقوة المؤثرة التى عبر الله عنها بالخلق وأسندها الى نفسه ، ووضح — فى آيات أخرى أن ذلك تابع لمشيئته هو ، فان شاء وهب ، وان شاء منع ، وليس ذلك فحسب ، وانما تتنوع الثمرة — فى حالة الاعطاء — تبعا لمشيئته كذلك ، فتارة ذكر وتارة أنثى ، وذلك لأن خلق الانسان جزء من الكون ، والكون كله ملك لله ، يقول جل شأنه :

« لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ » (١) .

ولئلا يفهم البعض أن اللقاء بين الذكر والأنثى أمر حتمى لتعلق مشيئة الله وقدرته بخلق ثمرة هذا اللقاء ، وضح الحق فى كتابه أن ارادته تعالى حرة لا يقيدها شىء ، وأن قدرته نافذة لا تخضع لأسباب ، فلفت نظرنا — فى أكثر من موضع من كتابه الكريم — الى أنه خلق الانسان الأول حيث لم يكن هناك ذكر ولا أنثى ، ثم خلق له زوجا من طبيعته ليسكن اليها ، ومن هذين الزوجين كانت الكثرة من الرجال والنساء ، نقرأ فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

« يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً .. » (٢) .

وقوله سبحانه :

« هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا .. » (٣) .

---

(١) سورة الشورى : ٤٩ ، ٥٠ .
(٢) سورة النساء ١ .
(٣) سورة الاعراف : ١٨٩ .

ويوضح المقام الذى نحن بصدده أكثر قول الله تعالى متحدثا عن نفسه :

« **الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۰ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ** » (١) ۰

والسلالة المذكورة هنا هى بنفسها التى عبر عنها فى سورة الانسان بـ « **نطفة أمشاج** » وهى الخليط من ماء الرجل وماء المرأة ، وهو ما جعله سببا عاديا لوجود النسل ۰

وتدليلا على أن ذلك لا يحدد مشيئته ولا يعجز قدرته خلق سبحانه ـ بعد أجيال وأجيال من البشر ـ عيسى بن مريم كما خلق آدم دون أن يمس أمه بشر ، وصدق الله حيث يقول :

« **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۰ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ** » (٢) ۰

ويحدثنا القرآن عن النطفة التى أراد الله أن يكون منها انسان وعن تطورها فى رحم الأم فيقول :

« **ثم خلقنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** » (٣) ۰

وهذا واضح فى أن كل طور يختلف عما قبله اختلافا بينا يستلزم خلقا جديدا ، وهو تفصيل وبيان لما جاء فى قول الله عز وجل :

« ۰۰۰ **يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ** ۰۰۰ » (٤) ۰

وبين القرآن ما يحدث عندما يبلغ التطور فى رحم الأم مداه فى قول الله سبحانه :

« **ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا** ۰۰ » (٥) ۰

وفى قوله جل شأنه :

« ۰۰۰ **ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** » (٦) ۰

فحياة الانسان فى هذه الدنيا ـ منذ ولادته الى موته ـ محددة تبعا لمشيئة الله سبحانه ، وما نظن عاقلا ينكر ذلك أو يجادل فيه ، لأنه مرئى فى كل يوم ومحسوس فى كل مجتمع ۰

هذا الانسان الذى أنعم الله عليه بنعمة الوجود ، وحدد مدة حياته فى هذه الدنيا ، خلق لرسالة معينة عبر الله عنها فى سورة

---

(١) سوره السجدة : ٧ ، ٨ ۰
(٢) سورة ال عمران : ٥٩ ، ٦٠ ۰
(٣) سورة المؤمنون : ١٤ ۰
(٤) سورة الزمر : ٦ ۰
(٥) سورة الحج : ٥ ۰
(٦) سورة غافر : ٦٧ ۰

الانسان بقوله تعالى : « نبتليه » ٠

وعــدل الله يقضى ألا يبتلى عاجـزا ولا مكرها ، ومن هنا هيأ الانسان للانتفاع بكـل ما يحيط به فوهبه السمع والبصر وخصــه بقوة التمييز بين الصواب والخطأ وبين الحق والباطل ، وترك له حرية الاختيار ، فاما شكر النعمة وأطاع مانحها ، وهذا هو جانب الصواب والحق ، واما كفر النعمة وعصى من وهبـه اياها ، وهذا هو جانب الخطأ والبـــاطل ، وصدق الله حيث يقول :

« فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ٠ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » (١) ٠

ولم يقف فضل الله على الانسان عند خلقه مهيأ لأداء رسالته التى تتلخص فى عبـــادته تعالى تبعا لما شرع ، وانما ضمن لــه رزقــه وسخر له كل مافى الكون ، سمائه وأرضه ٠

وقد أفاض القرآن فى هذا المجال بما يشبع نهم كل باحث ويقطع الطريق على كل منكـر ، ومما نقرأ فى ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّـذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٠ الَّذِى جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِـنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٢) ٠

وقوله :

« اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًـا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُـمُ الْفُلْكَ لِتَجْـرِىَ فِى الْبَحْـرِ بِأَمْرِهِ وَسَـخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَـارَ ٠ وَسَـخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَـخَّرَ لَكُمُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَارَ ٠ وَآتَاكُم مِّـن كُلِّ مَا سَـــأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ٠٠٠ » (٣) ٠

وقوله :

« هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْـهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ٠ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُـلِّ الثَّمَـرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَـكَّرُونَ ٠ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَـرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَـاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٠ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ٠ وَهُـوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًـا طَـرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَـوَاخِرَ فِيـهِ وَلِتَبْتَغُـوا مِن فَضْـلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٠ وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـارًا وَسُـــبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَـدُونَ ٠

(١) سورة الانسان : ٢ ، ٣ ٠
(٢) سورة البقرة ٢١ ، ٢٢ ٠
(٣) سورة ابراهيم : ٣٢ ، ٣٤ ٠

وَعَلَامَـاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَـدُونَ » (١) .

وقوله :

« وَجَعَلْنَا اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَـا آيَةَ اللَّيْـلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْـلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُـوا عَـدَدَ السِّـنِينَ وَالْحِسَابَ .. » (٢) .

وقوله :

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَـهُ ظَـاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. » (٣) .

ولنا الآن أن نتساءل : هل حديث القرآن عن خلق الانسان فى جميع أطواره يخرج عن ذكر حقائق واضحة لا سبيل الى انكارها ، وهـل هناك مجال لأن تنسب هذه الحقائق الى غـير الله ، وكل ما سـوى الله مخلـوق وعاجز ومحتاج ، وأين هذا المخلوق الذى تحدثه نفسه بأن يقول : انه « خلق الانسان » ويعين المادة التى خلق منها فى أول وجوده ، وأين المخلوق الذى تحدثه نفسه بأن يقول : انه خلق نسـل هذا الانسان من « نطفة أمشاج » ، وأين هذا المخلوق الذى تحدثه نفسه بأن يقول : انـه تولى أمر هذه النطفة بعد اسـتقرارها فى الرحم فخلق منها علقة ، ثم خلق من العلقة ، مضغة ، ثم خلق من المضغة عظاما ، فكسا العظام لحما ، ثم أنشأها خلقا آخر ، خلقا آخـر له من المواهب ما يمكنه من الانتفاع بكل ماسخر له فى هذا الكون ويسيطر على كثير من القوى التى سخرت له ، هذا الكون الذى لا يد لـه فى ايجـاده ، واذا حرم من بعض مافيه من نعم وقف عاجزا ولم يسعفه كل ما حوله مـن عوالم فى الحصول عليها .

أن القرآن الكريم الذى عدد ما أسبغ الله على الانسان من نعم ، وضع ــ أمام من ضل من أفراده وتنكب الطريق ــ بعض الأسـئلة ليجيب الانسان عنها بنفسه ، ولفت نظره الى خطورة انكار الحقيقة الواضـحة وعـدم الاعتراف بالفضل لصاحب الفضل وقد وهب العقل وميز بالعلم ، يقول الله تبارك وتعالى :

« أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَـةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّـعَ اللَّـهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَـلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّـهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ . أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

(١) سورة النحل : ١٠ ، ١٦ .
(٢) سورة الاسراء : ١٢ .
(٣) سورة لقمان : ٢٠ .

أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (١) .

ويقول جل شأنه :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » (٢) .

ويقول سبحانه :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ » (٣) .

اننا نوقن — ويزداد يقيننا كلما تلونا آيات الله — أن وجه الاعجاز فى القرآن للانس والجن انما هو تركيزه على الحقيقة فى كل صورها ، الحقيقية التى يجملها الحق فى قوله :

« تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (٤) .

وتقرأ تفاصيلها فى آيات القرآن ، ونرى دلائلها فى أنفسنا وفى كل ما يحيط بنا فى كون الله .

ان عجز الانس والجن عن الاتيان بمثل هذا القرآن لا ريب فيه ، وان التحدى الذى وجهه الله اليهم شامل لهم أفرادا وجماعات فى أى زمان كانوا وبأى لسان تكلموا .

ومن اليسير على القارىء أن يلاحظ أن حديث القرآن الكريم عن الانسان فى مرحلة الاختبار — وهى فترة الحياة الدنيا — يرتكز على ما أسبغ الله عليه من نعم وما سخر له من مخلوقات ، وكل ذلك اما فى السموات واما فى الأرض ، وهذا هو بقية الكون .

واذا كان الانسان مخلوقا لله فكل ما عداه مخلوق مثله وقد عنى القرآن بهذه الحقيقة فى كثير من آياته ، نقرأ من ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

« اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... » (٥) .

وقوله سبحانه :

« .. وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا . » (٦)

وقوله جل شأنه :

« بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ .. » (٧) .

وكل شىء يشمل « ماسوى الله » ومن هنا كانت المقابلة الواضحة بين « الله » و « ماسواه » ، فلا خالق الا الله ، وكل ما سواه مخلوق . يتبع

د. أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) سورة النمل : ٦٠ ، ٦٤ .
(٢) سورة القصص : ٧١ ، ٧٢ .
(٣) سورة الملك : ٣٠ .
(٤) سورة الملك : ١ .
(٥) سورة الزمر : ٦٢ .
(٦) سورة الفرقان: ٢ .
(٧) سورة الانعام : ١٠١ .

تناسق سور القرآن وترتيبها

حمدا لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على حبيبنا رسوله الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، سليل اكرم نبعة ، وفريع أشرف بقعة ، جاء بأمته من الظلمات الى النور وأفاء عليهم الظل بعد الحرور ، خيرة الله من خلقه ، وحجته فى أرضه ، الهادى الى حقه، والداعى الى رشده ، وبعد ٠

آثرت فى هذا المقال الأخير من مقالات الاعجاز فى ترتيب سور القرآن الكريم أن أحشد ما يسر الله به من ترابط كل سورة بتاليتها من الجزء الأخير فى المصحف الشريف ٠

مثلا سورة البلد متصلة بسورة الفجر التى قبلها ، اذ أنه لما ذم فيها من أحب المال ، وأكثر التراث ، ولم يحض على طعام المسكين ، وذكر فى هذه السورة (البلد) الخصال التى تطلب من صاحب المال ، من فك الرقبة ، والاطعام فى يوم ذى مسغبة ٠

أما سورة « ألم نشرح » فانها شديدة الاتصال بسورة الضحى ، لتناسبها فى الجمل ، وهذا ما كان سببا فى ذهاب بعض علماء السلف الى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما ٠

لذلك قال البعض : ان غلبة الظن بذلك ترجع الى أن قوله (أَلَمْ نَشْرَحْ) كالعطف على « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى » الآية (٦) فى الضحى

وسورة الشرح مكية بالاجماع على ما فى القرطبى (٢٠/١٠٤) ، راجع تفسير الفخر الرازى الكبير (٨ /٤٥٥) والطبرى (٣٠ / ١٥٠) ٠

وسورة التين قد ورد فيها بيان خلق الانسان فى أحسن تقويم ، ثم جاءت بعدها مباشرة سورة العلق تبين أصل جبلة الانسان المفطورة منها فى قوله تعالى (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ) الآية (٢) وذلك ظاهر الاتصال ، فالأول بيان العلة الصورية ، وهذا بيان العلة المادية ٠

راجع تفسير الآية فى القرطبى (١٩/١١٩) ط ٠ دار الكتب المصرية ١٩٥١ م

ثم لا يخفى ما بين قوله فى الزلزلة

للدكتور سيد الجبيلى

(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) وما جاء فى سورة العاديات الآية (٢) فى قوله تعالى (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) آية ٩ ففيهما من التناسب والتوافق ، ما يدل على حتمية الترتيب والتتابع .

ولما ختم الحق تبارك وتعالى سورة العاديات بقوله ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾(١١) فكأنه قيل : وما ذاك ؟ فقال : هى القارعة ، قال السيوطى رحمه الله : « وتقديره ستأتيك القارعة على ما أخبرت عنه بقولى (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) (٩) .

راجع تفسير هذه الآية فى الطبرى (٣٠ / ١٨٣) والقرطبى (٢٠ /١٦٧) والفخر الرازى الكبير (٨/٤٩٤)

يقول الامام السيوطى فى معرض حديثه عن سورة الاخلاص : « قال بعضهم : وضعت ههنا للوزان (١) فى اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة « تبت » ، وأقول : ظهر لى هنا غير الوزان فى اللفظ : أن هذه السورة متصلة بـ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) فى المعنى ولهذا قيل : من أسمائها أيضا الاخلاص ، وقد قالوا انها اشتملت على التوحيد ، وهذه أيضا مشتملة عليه ، ولهذا قرن بينهما فى القراءة فى الفجر ، والضحى ، والطواف ، وسنة المغرب ، وصبح المسافر ، ومغرب ليلة الجمعة » أ هـ .

وقد أخرج الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ١٢٠) عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قرأ فى الفجر سفرا بالكافرين والاخلاص .

أما سورتا الفلق والناس ، فقد نزلتا معا ، كما ذكر البيهقى فى الدلائل ، لذلك قرنتا ، مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين ، والافتتاح فى كل منهما بـ (قل أعوذ) ثم عقب بهما سورة الاخلاص ، لأن الثلاثة سميت فى الحديث بالقوافل وبالمعوذات .

وقد قدمت سورة الفلق على الناس ـ على أنها أقصر منها ـ لمناسبة مقطعها فى الوزان لفواصل سورة الاخلاص مع مقطع « تبت » .

اذ أن مقطع الفلق « حسد » مناسب لفواصل الاخلاص (أحد الصمد ، أحد) ومقطع تبت (مسد) وكلها متفقة فى الوزن .

هذا طرف من دقة اعجاز القرآن التى وقف العقل عاجزا ازاءها لما اشتملت عليه من روائع الحكم النفسية التى لا ينضب معينها ، ولا تخلق جدتها ، ولا تذوى مع الأيام نضارتها. ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير.

تم البحث ..

السيد الجميلى

(١) وزان بكسر الاول بمعنى : وزن بزنة : أنف

فقه آية كريمة

"السحر حق" خاتمة

(١) اختلف العلماء هل للسحر حقيقة أو لا ؟

فقد نقل ابن كثير (٢) : أن الوزير ابن هبيرة ذكر فى كتابه (الاشراف على مذاهب الأشراف) بابا فى السحر . فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة . الا أبا حنيفة . فانه قال : لا حقيقة له عنده .

ونقل القرطبى (٣) : أن الغزنوى الحنفى ذكر فى (عيون المعانى) له :

أن السحر عند المعتزلة لا أصل له .

وعند الشافعى وسوسة وأمراض .

وعندنا أصله طلسم يبنى على تأثيرات خصائص الكواكب . كتأثير الشمس فى زئبق عصى فرعون . أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عسر .

قال القرطبى (٤) : وعندنا أنه حق وله حقيقة . يخلق الله عنده ما شاء .

وقال : ذهب أهل السنة الى أن السحر ثابت وله حقيقة . وذهب عامة المعتزلة . وأبو اسحق الاسترابادى من أصحاب الشافعى . الى أن السحر لا حقيقة له . وانما هو تمويه وتخييل . وايهام لكون الشىء على غير ما هو عليه . وأنه ضرب من الخفة والشعوذة . كما قال تعالى : **« يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ »**(٥) ولم يقل تسعى على الحقيقة . ولكن قال : **« يُخَيَّلُ إِلَيْهِ »** . وقال أيضا **« سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ »**(٦) .

وهذا لا حجة فيه . لأنا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر . ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل .

---

(١) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٣ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٧ .
(٣) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٤ ، ٤٦
(٤) كان القرطبى مالكيا .
(٥) سورة طه ٦٦ .
(٦) سورة الاعراف : ١١٦ .

للدكتور عبد الباقي احمد سلامة

وورد بها السمع . فمن ذلك ما جاء في الآية : « يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ .. » من ذكر السحر وتعليمه . ولو لم يكن له حقيقة لم يكن تعليما . ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس . فدل على أن له حقيقة . وقوله تعالى : « وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ » (١)

وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ماكان من سحر لبيد بن الأعصم . وهو مما خرجه البخارى ومسلم . وفيه : ان الله شفانى . والشفاء انما يكون برفع العلة وزوال المرض . فدل على أن له حقا وحقيقة . فهو مقطوع به باخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه . وعلى هذا أهل الحل والعقد . أ هـ بتصرف .

قال : وهم الذين ينعقد بهم الاجماع . ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة .

ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان . وتكلم الناس فيه . ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين انكار لأصله .

وروى سفيان عن ابن عباس : علم السحر في قرية من قرى مصر يقال لها (الفرما) (٢) فمن كذب به فهو كافر (٣) .

وقال النووى : والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور . وعليه عامة العلماء . ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة . أ هـ

وقيل : هو تخييل فقط . ولا حقيقة له . وهذا اختيار أبى جعفر الاسترابادى من الشافعية . وأبى بكر الرازى من الحنفية . وابن حزم الظاهرى . وطائفة (٤)

قال ابن حجر (٤) : ومحل النزاع : هل يقع بالسحر انقلاب عين أولا (٥) ؟ فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك . ومن قال ان له حقيقة اختلفوا . هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض أو ينتهى الى الاحالة؟ بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه . فالذى عليه الجمهور الاول . وذهبت طائفة قليلة الى الثانى .

ونقل الخطابى : أن قوما أنكروا السحر مطلقا . وكأنه عنى القائلين بأنه تخييل فقط . والا فهى مكابرة .

وقال المازرى : جمهور العلماء على اثبات السحر وأن له حقيقة ونفى بعضهم حقيقته

◄

---

(١) سورة الاعراف : ١١٦ .
(٢) تقدم الحديث عن الفرما تحت عنوان خاص
(٣) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٦ .
(٤) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٢ .
(٥) أى تحول مادة الشىء الى غيرها .

فقه آية كريمة

وأضاف مايقع منه الى خيالات باطلة وهو مردود • لورود النقل باثبات السحر • ولأن العقل لاينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام (١) •

والفخر الرازى (٢) : هل كل أنواع السحر ممكنة أولا ؟ أما المعتزلة فقد اتفقوا على انكارها — الا النوع المنسوب الى التخيل • والمنسوب الى اطعام بعض الأدوية المبلدة • والمنسوب الى التقريب والنميمة • فأما الأقسام الخمسة الأخرى فقد أنكروها • ولعلهم كفروا من قال بها وجوز وجودها • واحتجوا على انكاره بوجوه :

أحدها : قوله تعالى « **وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** » (٣) •

وثانيها : قوله تعالى فى وصف محمد ﷺ « **إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا** » (٤) ولو صار عليه السلام مسحورا لما استحقوا الذم بسبب هذا القول •

وثالثها : لو جاز ذلك من السحر فكيف يتميز المعجز عن السحر ؟

ثم قالوا : هذه الدلائل يقينية • وما ذكره أهل السنة من باب الآحاد • فلا تصلح معارضة لهذه الدلائل •

وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير فى الهواء • ويقلب الانسان حمارا الا أنهم قالوا : ان الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة • فأما أن يكون المؤثر فى ذلك الفلك أو النجوم فلا • واستدل أصحابنا على وقوع السحر بالقرآن والخبر :

أما القرآن فقوله تعالى « **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** » والاستثناء يدل على حصول الآثار بسببه •

وأما الأخبار : فما روى من أنه عليه السلام سحر ، وأن السحر عمل فيه • وأن امرأة يهودية سحرته • فلما استخرج ذلك زال عنه ماكان يعرض له من أنه يخيل اليه أنه يقول الشىء أو يفعله • ولم يقله ولم يفعله • وأنزل المعوذتان بسببه •

وأتت امرأة عائشة رضى الله عنها فقالت لها : انى ساحرة • فهل لى من توبة ؟ فقالت : وما سحرك ؟ قالت : صرت الى الموضع الذى فيه هاروت وماروت ببابل لطلب علم السحر فقالا لى : يا أمة الله : لاتختارى عذاب الآخرة بأمر الدنيا • فأبيت فقالا لى : اذهبى فبولى على هذا الرماد • فذهبت لأبول عليه ففكرت فى نفسى • فقلت : لا أفعل • وجئت اليهما • فقلت : قد فعلت • فقالا لى : مارأيت ؟ لما فعلت • فقلت : مارأيت شيئا • فقالا لى : أنت على رأس أمر • فاتقى الله ولاتفعلى • فأبيت فقالا لى : اذهبى فافعلى • فذهبت ففعلت • فرأيت كأن فارسا مقنعا بالحديد قد خرج من فرجى فصعد الى السماء • فجئتهما فأخبرتهما فقالا : ايمانك قد خرج عنك • وقد أحسنت

---

(١) فتح البارى ج ١٠ ص ٢٢٢ •
(٢) تفسير الفخر ج ٣ ص ٢١٣ ، ٢١٤ •
(٣) سورة طه : ٦٩ •
(٤) سورة الاسراء : ٤٧ •

السحر . فقلت : وماهو ؟ قالا : ماتريدين شيئا فتصوريه فى وهمك الا كان . فصورت فى نفسى حبا من حنطة فاذا أنا بحب . فقلت : انزرع فانزرع . فخرج من ساعته سنبلا . فقلت : انطحن فانطحن من ساعته . فقلت : انخبز فانخبز . وأنا لا أريد شيئا أصوره فى نفسى الا حصل . فقالت عائشة : ليس لك توبة .

ومايذكرونه من الحكايات فى هذا الباب كثيرة ومشهورة أ هـ .

سحر الكلام ..

سمى رسول الله ﷺ الفصاحة فى الكلام واللسانة فيه سحرا .

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (١): أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا . فعجب الناس لبيانهما . فقال ﷺ : ان من البيان لسحرا . أو ان بعض البيان سحر .

فسحر الكلام : اذا خلب القلب وغلب على النفس واستمالها .

والذى يشبه بالسحر من الكلام هو المذموم الذى يصرف الى الباطل ويصوبه حتى يتوهم السامع أنه حق .

ومن ذلك قوله ﷺ (لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض) وقوله (ان أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون) . فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وهو عليه . فالكلام محمول على الذم .

ويمكن حمله على المدح للبلاغة . والتفضيل للبيان . اذا كان فى تزيين الحق . ويسمى سحرا . لأن السحر يطلق على الاستمالة (٢).

سحر الدنيا ..

هو محبتها والتلذذ بشهواتها . والتمنى بأمانيها الكاذبة . حتى تأخذ بالقلب .

والدنيا تسحرنا بالخدع . وتكتمنا فتنتنا وتدعونا الى التحارص عليها والتنافس فيها .

والجمع لها . والمنع . حتى تفرق بيننا وبين طاعة الله . وتفرق بيننا وبين رؤية الحق ورعايته . وتأخذ بالقلب عن الله . وعن القيام بحقوقه وعن وعده ووعيده .

فلهذا جعلها النبى ﷺ أسحر من هاروت وماروت فقال : (اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده انها لأسحر من هاروت وماروت) (٣)

حكم السحر ..

لاشك أنه من كبائر المعاصى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ

◄

(١) البخارى : كتاب ٧٦ باب ٥١ ـ ومالك ٠ وغيرهما ٠
(٢) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٥ وفتح البارى ١٠ ص ٢٣٧ ٠
(٣) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٥٢ ٠

فقه آية كريمة

قال : اجتنبوا السبع الموبقات : قالوا : يارسول الله : وماهن ؟ قال : الشرك بالله . والسحر . وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق . وأكل الربا . وأكل مال اليتيم . والتولى يوم الزحف . وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات (١) .

وقد مال البخارى الى اختيار الحكم بكفر الساحر . حيث أورد الآية « **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** » فى أول باب السحر .

وقال فى قوله تعالى « **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** » : فيه اشارة الى أن تعلم السحر كفر . فيكون العمل به كفرا .

وهذا كله واضح على ما قررته من العمل ببعض أنواعه (٢) .

وقال ابن حجر : وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر . وهو واضح فى بعض أنواعه التى قدمتها . وهو التعبد بالكواكب أو بالشياطين . وأما النوع الآخر الذى هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلا .

قال النووى : عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع . وقد عده النبى ﷺ من السبع الموبقات . ومنه مايكون كفرا . ومنه مايكون معصية كبيرة . فان كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر . والا فلا . وأما تعلمه وتعليمه فحرام . وتقبل توبته اذا تاب . واذا لم يكن فى سحره مايقتضى الكفر عزر واستتيب .

وعن مالك : الساحر كافر . يقتل بالسحر ولايستتاب كالزنديق .

قال عياض : وبقول مالك قال أحمد وجماعة من الصحابة والتابعين (٣) وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين :

١ ــ لتمييز ما فيه كفر من غيره .

٢ ــ لازالته عمن وقع فيه .

فأما الأول : فلا محذور فيه الا من جهة الاعتقاد . فاذا سلم الاعتقاد . فمعرفة الشىء بمجرده لاتستلزم منعا . كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للاوثان ، لان كيفية ما يعلمه الساحر : انما هى حكاية قول أو فعل . بخلاف تعاطيه والعمل به .

وأما الثانى : فان كان لايتم . كما زعم بعضهم . الابنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلا . والا جاز للمعنى المذكور (٤) .

وسيأتى مزيد لذلك فى الكلام عن النشرة واستخراج السحر . وأخرج الترمذى من حديث جندب مرفوعا : حد الساحر ضربه بالسيف . وفى سنده ضعف .

ومن رواية بجالة : أن عمر رضى الله عنه كتب اليهم : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة .

وزاد عبد الرزاق عن بجالة : فقتلنا ثلاث سواحر .

(١) رواه البخارى فى كتاب الوصايا . باب ٢٣ ـ وانظر فتح البارى جـ ٥ ص ٣٩٣ .
(٢) انظر فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٥
(٣) انظر فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٥ .
(٤) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

وأخرج البخارى أصل الحديث دون قصة قتل السواحر (١) ٠

وعن أحمد ٠ عن بجالة : قال : كنت كاتبا لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس ٠ فأتانا كتاب عمر ٠ قبل موته بسنة ٠ أن اقتلوا كل ساحر ٠ وربما قال سفيان : وساحرة ٠ وفرقوا بين كل ذى محرم من المجوس ٠ وانهوهم عن الزمزمة ٠ فقتلنا ثلاثة سواحر (٢) ٠

قال ابن بطال : لايقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهرى الا أن يقتل بسحره فيقتل ٠

وهو قول أبى حنيفة والشافعى ٠

وعن مالك : ان ادخل بسحره ضررا على مسلم لما يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله ٠

وانما لم يقتل النبى ﷺ لبيد بن الأعصم ، لأنه كان لاينتقم لنفسه ٠ ولأنه خشى اذا قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار ٠ وهو من نمط ماراعاه من ترك قتل المنافقين ٠ سواء كان لبيد يهوديا أو منافقا ٠ على ماورد من الاختلاف فيه (٣) ٠

قال القرطبى (٤) اختلف الفقهاء فى حكم الساحر المسلم والذمى ٠

فذهب مالك الى أن المسلم اذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولايستتاب ولا تقبل توبته ٠ لأنه أمر يستسر به كالزنديق والزانى٠ ولأن الله سمى السحر كفرا « **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** » ٠

وهو قول أحمد ٠ وأبى ثور ٠ واسحق والشافعى ٠ وأبى حنيفة ورؤى قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبى موسى وقيس بن سعد ٠ وسبعة من التابعين ٠

وروى عن النبى ﷺ : حد الساحر ضربه بالسيف ٠ وقد تقدم منحديث جندب ٠ وخرجه الترمذى ، وليس بالقوى ٠ فقد انفرد به مرفوعا : اسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب ٠ وهو ضعيف عندهم ٠ ورواه الطبرانى من وجه آخر مرفوعا ٠ والصحيح أنه موقوف٠

قال ابن المنذر : وقد روينا عن عائشة أنها باعت ساحرة كانت سحرتها ٠ وجعلت ثمنها فى الرقاب ٠

وقال : اذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا ٠ وكذا لو ثبت ببينة : وجب قتله ان لم يتب ٠

فان كان أحدث فى المسحور جناية توجب القصاص ٠ اقتص منه ان تعمد ٠ والا ففيه دية ذلك ٠

وقال أيضا : اذا اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسألة وجب اتباع أشبههم بالكتاب والسنة ٠ وقد يجوز أن يكون السحر الذى أمر من أمر منهم بقتل الساحر سحرا يكون كفرا ٠ فيكون ذلك موافقا لسنة رسول الله ﷺ ٠ ويحتمل أن تكون عائشة رضى الله عنها أمرت ببيع ساحرة لم يكن سحرها كفرا ٠

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٦ ٠
(٢) مسند بن حنبل جـ ١ ص ١٩٠ ٠
(٣) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٦ ٠
(٤) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٧ وما بعدها ٠

فقه آية كريمة

ولوصح حديث جندب - المذكور - احتمل أن يكون أمر بقتل الساحر الذى يكون سحره كفرا • فيكون ذلك موافقا للأخبار التى جاءت عن النبى ﷺ أنه قال : لايحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث (النفس بالنفس • والثيب الزانى • والتارك لدينه المفارق للجماعة) •

قال القرطبى : وهذا صحيح • ودماء المسلمين محظورة لاتستباح الابيقين •ولايقين مع الاختلاف • والله تعالى أعلم •

وقال بعض العلماء : ان قال أهل الصناعة ان السحر لايتم الا مع الكفر أو تعظيم الشيطان : فالسحر اذا دال على الكفر على هذا التقدير •

وروى عن الشافعى : لايقتل الساحر الا ان يقتل بسحره ويقول : تعمدت القتل • وان قال لم أتعمده لم يقتل وكانت فيه الدية كقتل الخطأ وان أضربه أدب على قدر الضرر •

قال ابن العربى : وهذا باطل من وجهين :

١ - أنه لم يعلم السحر • وحقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب اليه المقادير والكائنات •

٢ - أن الله سبحانه قد صرح فى كتابه بأنه كفر فقال • « وما كفر سليمان » بقول السحر ولكن الشياطين كفروا به وبتعليمه • وهاروت وماروت يقولان « انما نحن فتنة فلا تكفر » وهذا تأكيد للبيان •

وقال القرطبى فى ساحر الذمة : قيل يقتل وقال مالك : لا يقتل الا اذا قتل بسحره • فان لم يقتل يعاقب (١) وقال غيره : يقتل لأنه نقض العهد •

وأما الحربى : فيقتل الا اذا تاب •

وقال مالك فى المرأة تعقد زوجها عن نفسها أو عن غيرها :تنكل ولا تقتل • ١ هـ • كلام القرطبى بتصرف •

وحكم المرأة اذا سحرت حكم الرجل الا عند أبى حنيفة • فانها لاتقتل • ولكن تحبس •

ومن أصحاب أبى حنيفة من قال : ان تعلمه ليتقيه أو ليجتنبه فلا يكفر • ومن اعتقده جائزا أو أنه ينفع كفر •

وقال الشافعى : اذا تعلم السحر • قلنا له: صف لنا سحرك • فان وصف مايوجب الكفر • مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب الى الكواكب السبعة وأنها تفعل مايلتمس منها فهو كافر • وان كان لايوجب الكفر واعتقد اباحته فهو كافر (٢) •

قال الفخر الرازى (٣) : العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور • اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف • وأيضا لعموم قوله تعالى : « هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة • والعلم بكون المعجز معجزا واجب ، ومايتوقف الواجب عليه

(١) تقدم قريبا أن ابن بطال نسب الى مالك قوله بقتل الذمى اذا أحدث ضررا بمسلم لنقضه العهد •

(٢) يراجع ابن كثير جـ ١ ص ١٤٧
(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٣ ص ٢١٤

فهو واجب فهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا . ومايكون واجبا كيف يكون حراما ؟. أ هـ

وعارضه ابن كثير فقال : هذا الكلام فيه نظر من وجوه :

١ – قوله : ليس بقبيح . ان عنى به ليس بقبيح عقلا فمخالفوه من المعتزلة يقبحونه . وان عنى ليس بقبيح شرعا ففى هذه الآية تبشيع السحر « **وَاتَّبَعُوا مَاتَتْلُو الشَّيَاطِينُ** » . وفى الصحيح (من أتى عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد) . وفى السنن . (من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر) .

٢ – قوله : اتفق المحققون على أنه غير محظور .. كيف لايكون محظورا مع وجود الآية والحديث ! واتفاق المحققين يقتضى أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم . فأين نصوصهم ؟

٣ – وادخاله علم السحر فى عموم قوله تعالى « **قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** » فيه نظر : لأن هذه الآية انما دلت على مدح العالمين العلم الشرعى (١) – ولم قلت ان هذا منه ؟ ثم ترقيه الى وجوب تعلمه بأنه لايحصل العلم بالمعجز الا به ؟ هذا ضعيف بل فاسد . لأن أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وهى القرآن الكريم . لايتوقف العلم بأنه معجز على تعلم السحر أصلا (٢) – ثم ان من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه . أهـ

النُّشْرَةُ وحل السحر عن المسحور ..

أجاز ذلك سعيد بن المسيب على ماذكره البخارى . واليه مال المزنى . وكرهه الحسن البصرى . وقال الشعبى : لابأس بالنشرة (٣) قال ابن بطال : وفى كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر ، فيدقه بين حجرين . ثم يضربه بالماء . ويقرأ عليه آية الكرسى . ثم يحسو منه ثلاث حسوات . ويغتسل به . فانه يذهب عنه كل مابه ان شاء الله تعالى . وهو جيد للرجل اذا حبس عن أهله (٤) .

قال قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب – أو يؤخذ عن امرأته – أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لابأس به انما يريدون به الاصلاح . فأما ماينفع فلم ينه عنه (٥) .

ورجح ذلك البخارى بايراده فى صدر الباب .

وفى لفظ عن قتادة : يلتمس من يداويه ؟ فقال : انما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع .

وأخرجه الطبرى بلفظ آخر . فى التهذيب وقال قتادة : وكان الحسن يكره ذلك . يقول : يكشف ويزال .

---

(١) سورة الزمر : ٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٣) النشرة : ضرب من الرقية والعلاج . يعالج به من به مس من الجن . فينشر عنه أى يكشف ويزال .
(٤) تفسير القرطبى ج ٢ ص ٤٩ ، ٥٠ .
(٥) أورده البخارى فى باب هل يستخرج السحر ٤٩ كتاب الطب .

فقه آية كريمة

لايعلم ذلك الا ساحر . قال : فقال سعيد بن المسيب . انما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع .

وأخرج أبو داود فى المراسيل عن الحسن رفعه : النشرة من عمل الشيطان .

ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر .

وقال ابن الجوزى : النشرة حل السحر عن المسحور . ولايكاد يقدر عليه الا من يعرف السحر .

وسئل أحمد : عمن يطلق السحر عن المسحور ؟ فقال : لابأس به . وهذا هو المعتمد .

ويجاب عن الحديث والأثر (النشرة من عمل الشيطان) أنه اشارة الى أصلها . ويختلف الحكم بالقصد . فمن قصد بها خيرا كان خيرا والا فهو شر .

ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره . لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعويذ فيحتمل أن تكون النشرة نوعين (١).

فأهل الاباحة أكثر . ورأيهم أقرب وأرجح .

ويوافق رأى سعيد بن المسيب ماورد فى باب الرقية من حديث جابر عند مسلم مرفوعا (من استطاع أن ينفع أخاه المسلم فليفعل) .

ويؤيد مشروعية النشرة (٢) ماذكر فى حديث (العين حق) فى قصة اغتسال العائن (عامر ابن ربيعة) بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فراح سهل بن حنيف مع الناس ليس به بأس (وهو الذى أصابته عين عامر بن ربيعة) .

وقد أخرج عبد الرزاق من طريق الشعبى قال : لابأس بالنشرة العربية التى اذا وطئت لاتضره . وهى أن يخرج الانسان فى موضع عضاه . فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل ثم يدقه ويقرأ عليه . ثم يغتسل به .

وفى كتاب الطب النبوى لجعفر المستغفرى قال : وجدت فى خط نصوح بن واصل على ظهر جزء من تفسير قتيبة بن أحمد البخارى .

قال : قال قتادة لسعيد بن المسيب ، رجل به طب أخذ عن امرأته أيحل له أن ينشر ؟ قال ، لا بأس . انما يريد به الاصلاح . فأما ماينفع فلم ينه عنه . قال نصوح : فسألنى حماد بن شاكر : ما الحل ؟ وما النشرة ؟ فلم أعرفهما . فقال : هو الرجل اذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ماسواها . فان المبتلى بذلك . يأخذ حزمة قضبان وفأسا ذا قطارين ويضعه فى وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارا فى تلك الحزمة .

حتى اذا ما حمى الفأس . استخرجه من النار وبال على حره فانه يبرأ باذن الله . وأما النشرة : فانه يجمع أيام الربيع ماقدر عليه من ورد المغارة وورد البساتين ، ثم يلقيها فى اناء نظيف ويجعلفيها ماء عذبا . ثم يغلى ذلك الورد فى الماء غليا يسيرا . ثم يمهل حتى اذا فتر الماء أفاضه عليه فانه يبرأ باذن الله . قال حاشد (من رواة الصحيح عن البخارى) : تعلمت هاتين الفائدتين من الشام .

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٣ .

(٢) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٠٤ .

وأثر قتادة المذكور : علقه البخارى . ووصله الطبرى فى تفسيره (١) .

وفى حديث زيد بن أرقم . عن سحر النبى ﷺ : (فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين . وفيه . فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية . فجعل يقرأ ويحل حتى قام كأنما نشط من عقال) .

وفى رواية عمرة عن عائشة (فنزل جبريل بالمعوذتين ، فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجدلها ألما ثم يجد بعدها راحة) .

وفى حديث ابن عباس نحو ماتقدم (٢) .

قال ابن كثير (٣) ، أنفع ما يستعمل لاذهاب السحر : ما أنزل الله على رسوله ﷺ فى اذهاب ذلك وهما المعوذتان . وفى الحديث (لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما) . وكذلك قراءة آية الكرسى ، فانها مطردة للشيطان .

وقال ابن القيم (٤) : أنفع الأدوية ، مقاومة السحر الذى هو تأثيرات الارواح الخبيثة بالأدوية الالهية من الذكر والدعاء والقراءة . فامتلاء القلب بالله وبذكره من أعظم الأسباب المانعة من اصابة السحر . فسلطان السحر هو فى القلوب الضعيفة . ولهذا : غالب مايؤثر فى النساء والصبيان والجهال ــ ويعكر عليه ، سحر النبى صلى الله عليه وسلم مع عظيم مقامه ــ ويمكن الجواب : بأن ماذكره ابن القيم محمول على الغالب . وما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز .

العجوة دواء للسحر ..

روى البخارى (٥) ، سمعت سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر .

قال ابن حجر (٦) ولم أقف فى شىء من طرق الحديث على حكم من تناول ذلك فى أول الليل. هل يكون كمن تناوله أول النهار ؟ حتى يندفع عنه ضرر السم والسحر الى الصباح . والذى يظهر خصوصية ذلك بالتناول أول النهار . لأنه يقع غالبا على الريق ، فيحتمل أن يلحق به من تناول أول النيل على الريق كالصائم . والظاهر المواظبة على ذلك .

قال الخطابى : كون العجوة تنفع من السم والسحر . انما هو ببركة دعوة النبى ﷺ لتمر المدينة ، قال ابن التين : يحتمل أن يكون المراد نخلا خاصا بالمدينة .

وقال عياض : عجوة العالية قد خصت بذلك . كما وجد الشفاء لبعض الأدواء فى الأدوية التى تكون فى بعض البلاد دون ذلك الجنس فى غيره . لتأثير يكون فى ذلك من الأرض أو الهواء .

والقرطبى يرى ذلك أيضا .

وخصوصية هذا العدد وردت فى مواطن كثيرة من الطب وذلك لخاصية لا يعلمها الا الله . أهـ .

خاتمة

لاريب أن هذه الآية الكريمة « واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان ... » . نزلت فى ذم اليهود . وتقبيح حالهم . وبيان انحراف سلوكهم .

◄

(١) يراجع فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤
(٢) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٠ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٨ .
(٤) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٥ .
(٥) كتاب الطب باب ٥٢ .
(٦) يراجع فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠

● فقه آية كريمة

لكنها مع ذلك تفيد أمورا أخرى · منها :

١ ــ وجوب التمسك بكتاب الله تعالى · وعدم نبذه الى غيره ·

٢ ــ السحر من عمل الشيطان · ويعلمه لأتباعه ·

٣ ــ السحر قديم · ومعروف · وله حقيقة·
٤ ــ لم ينزل الله السحر على لسان جبريل وميكائيل ولا غيرهما ·

٥ ــ هاروت وماروت كانا ملكين ــ على الأرجح ــ أنزلا للفتنة ·
٦ ــ لم يكن سليمان عليه السلام ساحرا ·

٧ ــ الساحر كافر ما أتى بمكفر · والا فالسحر كبيرة ·

٨ ــ يقتل الساحر ــ على الأرجح ــ سواء قتل بسحره أو لم يقتل ·

٩ ــ النافع والضار هو الله · والسحر لايؤثر بنفسه ·

١٠ ــ السحر يضر بالمسحور فى الدنيا · وبالساحر دنيا وأخرى ·

١١ ــ لا بأس فى علاج المسحور ·
١٢ ــ مبادىء الايمان هى التى تحقق الثواب عند الله ·

والحمد لله رب العالمين ··

د · عبد الباقي أحمد سلامة

المراجع

المصحف الشريف

تفسير القرآن العظيم لابن كثير المكتبة الشعبية

تفسير فتح القدير للشوكانى طبع دار الفكر

الجامع لأحكام القرآن للقرطبى عن طبع دار الكتب المصرية

التفسير الكبير للفخر الرازى دار الكتب العلمية طهران

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم · محمد فؤاد عبد الباقى

مفتاح كنوز السنة محمد فؤاد عبد الباقى

فتح البارى شرح البخارى لابن حجر المطبعة السلفية

صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الشعب

مسند الامام أحمد بن حنبل المكتب الاسلامى · بيروت

معجم البلدان ياقوت الحموى طبع بيروت ١٩٥٧ م

رسم المصحف

حكم اتباعه في هجائه وفوائده

للشيخ ابراهيم عطوة عوض

لقد هالنى ما قرأت لبعض الأدباء من كلمات مسمومة محمومة ، وأفزعنى ان يجرؤ ناقد أو ينكر جاحد « الرسم العثمانى » ويبغوا عنه بديلا « وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » الحق ان التزام رسم المصحف سنة متبعة تجب رعايتها والتحرى فى نقلها من مظانها الموثوق بها دون تصرف . فان هذا الأمر توقيفى صادر عن صاحب الشريعة عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

ومن مزايا الاسلام ورحمة الله تعالى وعظيم فضله واحسانه أن جمع المسلمين على رسم توقيفى ثابت منذ نزل القرآن الكريم حتى يأتى أمر الله العظيم . ولا يخفى ما فى هذا الاتصال برسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام عن طريق هذه الأسانيد الصحيحة التى تعود على أهل القرآن بالخيرات والبركات ، وهذه المزية شرفنا الله بها واهتدينا بأنوارها .

حكم اتباع الرسم العثمانى والأدلة على ذلك وفوائده

يرى أكثر العلماء المحققين وأعلام الأمة سلفا وخلفا من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم — أن اتباع رسم المصحف العثمانى واجب مفروض تحرم مخالفته ولو فى حرف واحد — بل لقد قال القاضى عياض فى كتابه الشفا : من غير منه حرفا بزيادة أو نقص أو بدله بحرف غيره فهو كافر . ووافقه على ذلك شارحاه : الخفاجي وملا على القارى ، جاء فى مقدمة كتاب تفسير المبانى (١) : ان من تعمد خلافا لهجاء المصحف بمنزلة من خالف لفظه فى حال التلاوة والقراءة .

وقال أبو عمرو الدانى : هذا الرسم

رسم المصحف

العثمانى أجمعت عليه الأمة ولم يخالف فيه أحد من الصحابة والتابعين ــ وتابع التابعين ــ رضى الله عنهم أجمعين •

ومن الأدلة على ذلك أن القرآن كله كتب بهذا الرسم نفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرهم على هذا الرسم ــ وقد قال الله تعالى « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (١) » ، « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ (٢) » ، « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ (٣) »

وقد تمت كتابة القرآن فى عهد أبى بكر وفى عهد عثمان ، بحضور اثنى عشر ألف صحابى رضى الله تعالى عنهم جميعا بهذا الرسم نفسه ، الذى أقره الرسول عليه الصلاة والسلام • ورضيه لأمته ، ولم يخالف أحد من الصحابة فى شىء مما كتب ــ ولو وقع ذلك لنقل عنهم ــ فصار هذا اجماعا يجب اتباعه وتحرم مخالفته لقوله تعالى : « وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٤) » •

وقال عليه الصلاة والسلام : (فانه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) •

جزاء من يخالف ذلك :

واذا فالمغير فى شىء من رسم المصحف متبع غير سبيل المؤمنين مخالف لما أقره الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، تارك لسنة الخلفاء الراشدين والمهديين رضى الله عنهم ، مشاق للرسول من بعد ما تبين له الهدى مؤثر على ذلك رأيه الفاسد وأهواءه الجامحة ، لا لشىء الا رغبته فى محاربة هذا الدين من هذا الوجه ليضيع هذا الميراث العظيم ، ويحل محله التحريف والتغيير شيئا فشيئا من الجهل بفوائد هذا الرسم واستكباره أن يتعلم ــ ومعظم النار من مستصغر الشرر •

سئل الامام مالك عمن كتب مصحفا هل يكتبه على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال : لا • الا على الكتبة الاولى •

قال الامام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو ــ أو ألف ــ أو ياء ــ أو غير ذلك •

وقال الامام البيهقى فى كتابه ــ السنن الكبرى ــ :

من كتب مصحفا ينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف

(١) سورة ال عمران : ٣١ •
(٢) سورة المائدة : ٩٢ •
(٣) سورة الحشر : ٧ •
(٤) سورة النساء : ١١٥ •

ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة — فلا نظن بأنفسنا استدراكا عليهم .

ومثل هذا فى حواشى المنهج من كتب الشافعية . وفى كتاب — المحيط البرهانى فى فقه الأحناف — وبه قال الامام النيسابورى ، والامام الخراز ، والامام الشاطبى ، والعلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطى فى كتبهم وفى شروحها رحمهم الله رحمة واسعة .

وروى الامام الدانى فى كتابه — المقنع — باسناده الى مصعب بن سعد قال : أدركت الناس حين شقق عثمان رضى الله عنه المصاحف فأعجبهم ذلك ولم يعبه أحد . وللعلماء فى الرسم كتب قيمة كالامام الدانى صاحب — المقنع والمحكم — والامام الشاطبى صاحب عقيلة أتراب القصائد وشرحها خلق كثير — الجعبرى ، والزبيدى ، وأبو العباس المراكشى . صاحب عنوان الدليل فى رسم خط التنزيل — والتنزيل لأبى داود — ومورد الظمآن — وله شروح كثيرة — كدليل الحيران — وهو يدرس بجامعة الزيتونة بتونس ، ويدرس بالأزهر الشريف . ومحمد بن أحمد الشهير بالمتولى صاحب — اللؤلؤ المنظوم فى ذكر جملة من المرسوم — والشيخ محمد خلف الحسينى الذى شرحه وذيله بكتاب — مرشد الحيران فى معرفة ما يجب اتباعه فى رسم القرآن — وارشاد القراء والكاتبين — للامام أبى عيد محمد بن رضوان .

هذا وللرسم العثمانى :

١ — أهداف سامية شريفة وغايات عليا بعيدة المدى الى معان بديعة وثيقة الصلة بالقراءات واللغة ، مرتبطة تمام الارتباط بتفسير الكتاب العزيز . وما يؤخذ منه من أحكام فقهية عملية — مثال ذلك : كتابتهم قوله تعالى : « **قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ** » (١) برسم واحد صالح لما فى هذا اللفظ الكريم من قراءات أربع ، بحيث يرشد كل قارىء الى الوجه الذى تلقاه فى هذه الآية مع اختلاف الأوجه : فيها تشديد . (ان) وتخفيفها ، وهذان بالألف والياء . فرسم هكذا يؤدى هذه المهمة فى أمانة واختصار يعد بلا ريب عظيم الأثر فى أداء هذا العلم وتيسيره لطلابه . فان القوم لم يعتمدوا على الشكل والنقط ، وأشاروا الى المد فجزاهم الله عنا خيرا . ومن رماهم بالجهل لقواعد الكتابة فهو الجاهل المغرور الذى لا يدرك مدى جهله .

٢ — ومن فوائد الرسم العثمانى مساعدة المعنى والسعى اليه ، وتنبيه القارىء على مكانه من ألفاظ القرآن الهادية اليه . مثال ذلك كتابتهم قوله تعالى : « **أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا** (٢) » بقطع (ام) عن (من)

(١) سورة طه : ٦٣ .

(٢) سورة النساء : ١٠٩ .

رسم المصحف

للدلالة على أنه لا أحد لهم يوكل اليه أمرهم والدفاع عنهم ، وللتنبيه على أن (ام) هنا منقطعة بمعنى (بل) وكتبوا (أم) متصلة فى قوله تعالى : « **أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** » (١) لأنها متصلة من حيث المعنى لوقوعها بعد همزة التسوية ، ولأن الذى يمشى سويا لم يقطعه الله تعالى • بل وصله بأوليائه وأحبابه •

٣ – ومن فوائده الايماء الى معنى بديع محجوب على أكثر العقول لا يكاد يهتدى اليه كزيادة الياء بعد الهمزة فى قوله تعالى : « **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ** (٢) » فان زيادتها هنا تفيد عظم قدرة الله تعالى وانقياد الأشياء له عز وجل • ولهذا السبب حذفوا الواو من قوله تعالى « **ويدع الانسان ، ويمح الله الباطل ، يوم يدع الداع ، سندع الزبانية** » قال أبو العباس المراكشى : فى كتابه – عنوان الدليل – والسر فى حذفها فى هذه الأربعة سرعة وقوع الفعل • وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل والمتأثر به فى الوجود •

٤ – ومن هذه الفوائد تعيين الحرف الذى قلب الى حرف غيره ، والتنبيه على التفخيم والتعظيم ، فقد زادوا الواو فى « الصلوات » وأصلها الواو فقلبت ألفا • وفى ذلك تفخيم شأنها – كالزكاة ، ومشكاة – ومن هنا يتبين أن الأحرف التى اختلفت فيها المصاحف كلها صحيحة الخ •

٥ – ومنها الاشادة بلغة عربية فصيحة لتتخذ لها مكانا فى اللفظ القرآنى كغيرها من اللغات المعتبرة • ومثال ذلك كتابتهم هاء التأنيث تاء ممدودة ، فانها لغة طىء وحذف الياء من المضارع المرفوع فى قوله تعالى « **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ** (٣) » ، « **قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ** (٤) » اعزازا للغة هذيل

٦ – ومنها مزيد العناية بضبط القرآن وتلقيه والرجوع فى كل شىء يتعلق به كأدائه وكتابته الى أهله المتقين الثقات ، المجمع على ورعهم وأمانتهم ودينهم وعلمهم • فان قداسة القرآن وحقه على أهله يحتم عليهم ألا يستقلوا بأخذه دون معلم ثقة تلقاه عن ثقة • وهكذا الى الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام ليتصل آخر الأمة بأولها • وهذه الأسانيد الى غير ذلك من الفوائد الجمة •

هذا : وان أبا بكر الخليفة الأول رضى الله عنه جمع القرآن فى صحف • وان عثمان جمعه ونسخه فى مصاحف • والفرق بين الصحف والمصاحف فى الأصل أن الصحف جمع صحيفة – وهى القطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها •

أما المصحف فهو بزنة اسم المفعول من أصحفه أى جمع فيه الصحف ، فكان المصحف ملحوظ فى معناه اللغوى • دفتاه وهما جانباه ، أو جلداه اللذان يتخذان جامعا لأوراقه • ضابطا لصحفه ، حافظا لها •

---

(١) سورة الملك : ٢٢ •
(٢) سورة الذاريات : ٤٧ •
(٣) سورة هود : ١٠٥ •
(٤) سورة الكهف : ٦٤ •

ولا يلحظ هذا فى معنى الصحف ، وان كان يصح استعمال كلا اللفظين فى كلا المعنيين استعمالا متوسعا فيه . هذا فى أصل اللغة ، أما فى الاصطلاح فالمراد بالمصحف الأوراق المجردة التى جمع فيها القرآن فى عهد أبى بكر ، وكانت سورا مرتبة آياتها فقط كل سورة على حدة .

والمراد بالمصحف اصطلاحا الأوراق التى جمع فيها القرآن مع ترتيب آياته وسوره جميعا على الوجه الذى اجتمعت عليه الأئمة أيام عثمان رضى الله عنه . وقد أطلق بعضهم لفظ المصحف على صحف أبى بكر ، وتوجيهه لا يخفى .

وقد بقيت الصحف عند أبى بكر حتى حضرته الوفاة فدفعها الى عمر لأنه وصى له بالعهد . ولما مات عمر انتقلت الى ابنته أم المؤمنين حفصة بوصية من عمر . ثم طلبها عثمان ونسخ المصاحف منها وردها اليها . وبقيت عندها حتى توفيت رضى الله عنها .

وقد حضر جنازتها مروان والى المدينة وقتئذ ، ورغب الى أخيها عبد الله بن عمر أن يبعث اليه بالصحف . وكان مروان قد طلبها من السيدة حفصة من قبل ـ فأبت رضى الله عنها .

أخرج ابن أبى داود فى رواية أن مروان أحرق هذه الصحف ! وفى رواية أنه غسلها ، وفى رواية أنه شققها . ولا مانع من الجمع بين هذه الروايات الثلاث بأنه غسلها أولا ثم شققها ثانيا ثم أحرقها أخيرا . مبالغة فى التكريم والمحو . كما روى أنه قال : انما فعلت هذا لأنى خشيت ان طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب . أى يظن أن فيها ما يخالف المصاحف . فانها كانت صحفا منثورة لا تأخذ شكل المصاحف المجموعة المنظومة .

عدد المصاحف : اختلفوا فى عدد المصاحف التى استنسخها عثمان رضى الله عنه . فصوب ابن عاشر أنها ستة : المكى ، والشامى ، والبصرى ، والكوفى ، والمدنى العام . الذى سيره عثمان رضى الله عنه من محل نسخه الى مقره . والمدنى الخاص به الذى حبسه لنفسه . وهو المسمى بالامام .

وقال صاحب زاد القراء : لما جمع عثمان القرآن فى مصحف سماه الامام ـ ونسخ منه مصاحف فانفذ منها مصحفا الى مكة ، ومصحفا الى الكوفة ، ومصحفا الى البصرة ، ومصحفا الى الشام . وحبس مصحفا بالمدينة . وهذا القول كسابقه فى أنها ستة . وذهب السيوطى وابن حجر الى أنها خمسة . ولعلهما أرادا الخمسة ماعدا المصحف الامام فيكون الخلاف لفظيا بينه وبين سابقيه .

وقيل انها ثمانية بزيادة : المكى ، ومصحف البحرين ، ومصحف اليمن . وقيل ان عثمان رضى الله عنه أنفذ الى مصر مصحفا .

ولعل القول بأن عددها ستة هو أولى الأقوال بالقبول . والمفهوم على كل حال أن عثمان رضى الله عنه قد استنسخ عددا من المصاحف يفى بحاجة الأمة ، وجمع كلمتها ، واطفاء الفتنة . ولا يتعلق بتعيين العدد كبير

رسم المصحف

غرض فيختلفوا فى التعيين ما وسعتهم أدلة ذلك الاختلاف . والله تعالى أعلم بالحقيقة .

كيف أنفذ عثمان المصاحف العثمانية

كان الاعتماد فى نقل القرآن - ولا يزال - على التلقى من صدور الرجال ثقة عن ثقة ، واماما عن امام ، الى النبى صلى الله عليه وسلم . لذلك اختار عثمان حفاظا يثق بهم .

وأوفدهم الى الأقطار الاسلامية . واعتبر هذه المصاحف أصولا ثوانى مبالغة فى الأمر وتوثيقا للقرآن ولجمع كلمة المسلمين ، فكان يرسل الى كل اقليم مصحفه مع من يوافق قراءته فى الأكثر الأغلب . وقد روى أن عثمان رضى الله عنه أمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدنى . وبعث عبد الله بن السائب مع المكى ، والمغيرة بن شهاب مع الشامى ، وأبا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر ابن القيس مع البصرى . ثم نقل التابعون عن الصحابة فقرأ أهل كل مصر بما فى مصحفهم تلقيا عن الصحابة الذين تلقوه من فم النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم تفرغ قوم للقراءة والأخذ والضبط حتى صاروا فى هذا الباب أئمة يرحل اليهم ويؤخذ عنهم . وأجمع أهل بلدهم على تلقى قراءتهم واعتماد روايتهم . ومن هذا نسبت القراءة اليهم . واجتمعت الأمة - وهى معصومة من الخطأ فى اجماعها - على مافى هذه المصاحف ، وعلى ترك ما خالفها من زيادة أو نقص وابدال لأنه لم يثبت عندهم ثبوتا متواترا أنه من القرآن .

ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب فى الفرقان (**وعتو عتوا كبيرا**) بغير ألف . وفى سبأ (**والذين سعو**) بغير ألف . وفى الحشر (**والذين تبوؤ الدار**) بواوين من غير ألف . وفى النبأ (**كنت ترابا**) بغير ألف . وفى القلم (بأييكم المفتون) بياءين ، وفى آل عمران (أفاين مات) بالياء . وفى الأنبياء (أفان مت) بغيرياء وكتب (أثاقلتم) ونحوه بالألف . (فادارءتم) ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء ألف فى جميع المصاحف .

وكتب فى الحاقه لبيان الحركة (كتابيه ، وحسابيه ، وماليه ، وسلطانيه) وفى القارعة (ماهيه) باثبات الهاء . والهاء فى (لم يتسنه ، و «فبهداهم أقتده» لبيان الحركة أو لغيرذلك؟

وكتب فى سورة النساء (فمال هؤلاء القوم) وفى الكهف (مال هذا الكتاب) وفى الفرقان (مال هذا الرسول) وفى المعارج (فمال الذين كفروا) باللام مع ما مقطوعة عما بعدها .

وبعد فليس فيما نرى ونسمع ونحس ونجد - كتاب أحيط بالاجلال والتقديس كالقرآن الكريم . حتى لقد وصفه الحق جل شأنه بأنه (كتاب مكنون) وحكم بأنه لايمسه الا المطهرون وأقسم على ذلك اذ يقول (**فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**) .

ابراهيم عطوة عوض

صلاح البطانة صلاح للرعية

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه • وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله » رواه البخارى

بطانة الرجل ووليجته : خصيصته وصفيه • شبه ببطانة الثوب كما يقال : فلان شعارى : أى متصل بى بمنزلة الشعر من الجسد •

وبطن يبطن من باب نصر ينصر بطنا وبطونا خفى : وبطنت هذا الامر : عرفت باطنه : وبطنت بفلان • صرت من خواصه : وبطانة الثوب بالكسر ضد ظهارته • وبطانة الرجل أيضا : وليجته : وابطنه : جعله من خواصه وبطن (١) الثوب تبطينا : جعل له بطانة •

لما كان كل راع مسئولا عن رعيته ولا يستطيع أن يقوم بأعبائها وحده جعل الله تعالى له من رعيته من يعاونه ويساعده وينفذ أقواله ويشرف على من يسند اليهم الأعمال من الرعية ويكون ناصحا له أمينا فى قوله وفعله مرشدا لصاحبه الى طريق الخير حتى يحفظوه من الأخطاء ويصونوا الامة من عبث الرؤساء والأمراء •

وقد وضح الرسول : صلى الله عليه وسلم : ذلك بقوله : اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه، واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه : رواه أبو داود •

ومن هنا وجب على الراعى لعمل من الأعمال أن يختار البطانة الصالحة التى

(١) بالتشديد •

تساعده على قيادة مرءوسيه الى الحق والصواب وتحفظهم من كل سوء وتفتح لهم أبواب الخير وتنزل عليهم السكينة •

أما اذا اتبع الراعى هواه واتخذ بطانة السوء من المفسدين والمنافقين فانهم يفسدون عليه أعماله حيث يستولون على قلبه بمجاراته فى آرائه وتحسين رغباته وتزيين ماتسول له به نفسه فيوردونه موارد التهلكة ويكونون سببا فى سخط رعيته عليه فتسوء حالته فى الدنيا كما أن ذلك يجر عليه الوبال فى الآخرة •

لذلك نهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا بطانة السوء بقوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** » آل عمران » •

وقد قال ﷺ : اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه • ومن ولى من أمر أمتى فرفق بهم فارفق به • رواه مسلم •

وهذه البطانة السيئة التى استهواها الشيطان وغر قلبها حب الدنيا وتغلب عليها الطغيان لتعلم بأن لها يوما يجعل الولدان شيبا : **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً • يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً** : « الفرقان » •

لذلك كان الخلفاء رضى الله عنهم يختارون البطانة الصالحة التى تساعدهم على طاعة الله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه والمسارعة لاسعاد الرعية وحفظها من الشرور والآثام وفتح باب الجنة لهم ومن هنا دعا أحد خلفاء العباسيين عالما صالحا ورعا لايخاف فى الله لومة لائم وطلب منه أن يقدم له نصيحة نافعة له فى دينه ودنياه فقال : يا أمير المؤمنين : لأن تصحب من يخوفك حتى تبلغ الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تبلغ الخوف :

ويقصد بذلك أن يحسن الامير أو الرئيس اختيار البطانة ومستشاريه المخلصين •

لأنهم سيحمونه ويحمون الأمة من أخطائه ويصلون به الى بر السلامة : فعن أبى يعلى معقل بن يسار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله : صلى الله عليه وسلم : يقول : مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الاحرم الله عليه الجنة : متفق عليه •

وليجعل الأمراء والرؤساء والعلماء ماكتبه الامام الحسن البصرى رضى الله عنه الى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه •• نصب أعينهم حتى يسيروا على منواله ليصلوا بأنفسهم وأممهم الى شاطىء الأمان •

كتب اليه يقول :

اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف • ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف •

والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على ابله الرفيق بها يرتاد لها أطيب المرعى • ويذودها عن مراتع الهلكة • ويحميها من السباع ، ويحميها من أذى البرد والحر • وهو كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته •

والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها •

ووضعته كرها • وربته طفلا • تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته ، وهو كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده، وهو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر الى الله ويريهم ، وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وبدد ماله •

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها ، وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم ، واذكر يا أمير المؤمنين الموت ومابعده وقلة أشياعك عنده ، وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الاكبر • واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثواؤك ويفارقك عنده أحباؤك • يسلمونك فى قعره فريدا وحيدا فتزود له مايصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه•

واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعثر ما فى القبور وحصل مافى الصدور • فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها•

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لاتحكم فى عباد الله بحكم الجاهلية ولاتسلك بهم سبيل الظالمين • ولاتسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لايرقبون فى مؤمن الا ولاذمة فتنوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك • وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك • ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ،ويأكلون الطيبات فى دنياهم باذهاب طيباتك فى آخرتك • ولاتنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحى القيوم •

ودخل عمرو بن عبيد رحمه الله تعالى على المنصور فقال له : اتق الله يا أمير المؤمنين فان ببابك نيرانا تأجج لايعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فقال له بعض الجالسين :

اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال عمرو :

ويلك ، أما كفاك أنك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينصحه • اتق الله أمير المؤمنين فان هؤلاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فأنت كالماسك

بالقرون وغيرك يجلب وان هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا ٠

ومن هنا صارت الرئاسة حسرة وندامة على صاحبها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ألا تستعملنى : فضرب بيده على منكبى ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه منها : رواه مسلم ٠

قال عوف بن مالك رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : خيار أئمتكم

الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ٠ وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم: رواه مسلم ٠

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اذا كان أمراؤكم أشراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم موكولة الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها : رواه الترمذى ٠

وتعاليم الاسلام أصلح لهذا الزمان ، والنادر من يراها غير ذلك ٠

عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — أنّ النبى — ﷺ — قال : لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ، ألا ولاغادر أعظم غدرا من أمير عامة رواه مسلم٠

فليحذر الأولياء والعلماء غضب الله — سبحانه — وغضب رسوله — صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، فلن يصلح حال هذه الامة الا بما صلح به أولها ٠

وعليهم ألا يحتجبوا عن الرعية ، عن أبى مريم الأزدى — رضى الله عنه أنه قال لمعاوية ابن أبى سفيان — رضى الله عنهما : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول ٠

« من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » ٠

فجعل معاوية — رضى الله عنه — رجلا على حاجة الناس ٠

رواه أبو داود والترمذى ٠

د ٠ محمد محمود شعبان

أضواء على منهج

تبليغ الدعوة

فى عهدها المدنى "الخاتمة"

للدكتور رءوف شلبى

ثالثا : الدبلوماسية

يقول الكاتبون فى تاريخ الدبلوماسية وأساليبها : ان عمليات السفراء وتنظيم العلاقات الدولية لم تأخذ حظها المنتظم الا فى القرن الخامس عشر الميلادى عندما استقر نظام الدولة فى أوربا ، ويذكرون أن أول حالة مسجلة لاقامة بعثة دبلوماسية كانت عام ١٤٥٠ م عندما بعث (دون ميلان الى كوزمودى ميدتش سفيرا) وذلك فى حالة التنافس الذى وقع بين جنوه والبندقية فى التسابق التجارى بينهما نتيجة ذلك الصراع الذى وقعت فيه كل من أسبانيا وفرنسا ، وانجلترا وايطاليا فى ذلك الوقت .

وكان مفهوم الدبلوماسية فى ذلك الوقت عبارة عن : كتابة تقارير عن التطورات التى تحدث فى الدول ، وغالبا ما كانوا يتدخلون فى السياسة الداخلية عن طريق : تقديم المعونات المالية بقصد ارباك الدولة ماليا لتكون فريسة توجيه سياسى معين ، أو يؤيدون أحزاب .. المعارضة بقصد اثارة الشعب فى الجبهة الداخلية ، أو اقامة العقابيل أمام مصالح دول .. أخرى والغاية من كل هذا هو محاولة السيطرة على الدولة المعنية (٢) .

ولقد وقعت الخلافة الاسلامية فى تركيا فى هذا الفخ حيث در عليها الأجانب وبخاصة اليهود القروض حتى أغرقت فى الديون وظل اليهود بأساليبهم الخبيثة يساومون حتى انكشف أمرهم فى المطالبة بالهجرة الى فلسطين مقابل سداد ديون الخلافة ، وانشاء اسطول بحرى ولما لم يستجب السلطان عبد الحميد ـ رحمه الله ـ عملوا على اسقاط الخلافة على يد مصطفى أتاتورك (٣) .

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٢) راجع كتاب : اصول الدبلوماسية وأساليبها للسفير الهندى بانيكار .

(٣) راجع تاريخ القرن التاسع عشر : المسألة الشرقية .

لكن الدبلوماسية الاسلامية لا تأخذ هذا المفهوم : مفهوم الانتحار الاخلاقى من أجل كسب مصالح للدولة أو من أجل التأثير فى سياسة دولة أخرى ٠

بل الدبلوماسية الاسلامية هى : محاولة التعامل بالحسنى واللطف لتبليغ دعوة الاسلام ومن أسلم من كبار رجال الدولة بقى على ماهو عليه فى سلطانه وملكه مادام يقيم شرع الله فان لم يقبل الاسلام دينا قبل الالتزام بسيادة الدولة الاسلامية على المسلمين لديه وألا يؤذى المسلمين وألا يعترض سبيل الدعوة ومظهر ذلك هو دفع الجزية ٠

والدبلوماسية الاسلامية منذ العصر القديم متكاملة فى الشكل وفى المضمون ٠٠٠٠

* فمن حيث الشكل :

اتخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — له خاتما يختم به الرسائل ، وقد عقد ابن سعد فى الطبقات الكبرى فصلا خاصا عن خاتم سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من حيث شكله المادى ومن حيث النقوش التى التى كانت عليه ، ومن حيث ما صار اليه أمر هذا الخاتم الكريم (١)

* كذلك كان ﷺ يبعث بالكتاب مع سفير مناسب للقوم الموجه اليهم الكتاب ومصداق هذا ما حكم به المقوقس عظيم القبط فى مصر بعد أن جرى بينه وبين حاطب بن أبى بلتعة حوار تغلب فيه حاطب فقال المقوقس مقالته المشهورة :

أحسنت : أنت حكيم من عند حكيم (٢) ٠

بل لقد تعلم كل سفير لغة البلد التى سيسافر اليها ٠

قال ابن سعد : وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث اليهم (٣) ٠

كذلك من مظاهر الدبلوماسية المتعارف عليها حسن المظهر فالنبى ﷺ كان اذا جاءه وفد من الخارج لبس أحسن ثيابه وأجملها ، ففى الامتاع للمقريزى :

« وكان ﷺ اذا قدم الوفود لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك » (٤) ٠

* أما من حيث المضمون :

فان من يقرأ كتب النبى ﷺ يجد أمرا عجبا ، ذلك أن مضمون كل كتاب يتفق مع النتيجة التى وقعت كأنما النبى ﷺ كان يبلغ الدعوة الى الملك أو الرئيس المعين وهو يقول له أنت ستكون مسلما أو كافرا ٠ على نحو ما سنوضحه ان شاء الله ٠

ولقد اتخذت الدبلوماسية الاسلامية فى المضمون ثلاث وسائل :

الأولى : الرسائل والسفارات ٠

الثانية : استقبال الوفود والبعوث ٠

الثالثة : الصلح والأمان ٠

لأن الغاية من الدبلوماسية الاسلامية هى تبليغ الدعوة وانتشار سيادة الدولة الاسلامية ٠

فالأولى : الرسائل مضمونها ونتائجها :

---

(١) راجع الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٧٣ ، ٤٧٨ ٠

(٢) الحلبية ج ٣ ص ٢٥٠ ٠

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ ٠

(٤) الامتاع ج ١ ص ٥٠٩ ٠

يمكن تقسيم الرسائل الى قسمين : ـ

* **قسم خارج الجزيرة العربية .**
* **وقسم داخل الجزيرة العربية .**

* أما القسم الخارج عن الجزيرة العربية فهى رسائل الدولة الاسلامية الى : قيصر الروم ، وكيرى فارس ، وعظيم القبط فى مصر ، والنجاشى فى الحبشة .

* فرسالة قيصر الروم حملها دحية الكلبى ، وسفارة سيدنا دحية بن خليفة الكلبى تبرهن على عظمة النبى ﷺ فى اختيار سفيره الذى يحمل شرف تبليغ كتابه فأدى السفير الرسالة دون أن يمارس تقاليد البلاط القيصرى ودون أن يثير أزمة دبيلوماسية فلا هو تعجرف ولا هو ركع اعتزازا منه بدينه وبنفسه من السقوط ، فوضع الكتاب على عتبة منبره الذى يجلس عليه لأن أحدا لن يحركه حتى يأخذه القيصر ثم دخل عليه دخولا عاديا ونجا سيدنا دحية من كارثة دبيلوماسية .

ومحتوى الكتاب يدل على النتائج التى رجع بها سيذنا دحية ففيه :

من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم :

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد ، فانى أدعوك بدعاية الاسلام : اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم الأريسين (١) .

وكان هرقل حذاء ينظر فى النجوم من قبل ، وقد عرف مبعث النبى الخاتم وكتب الى عماله فى الآفاق يبحثون له عن هذا الخبر ، وكان أبو سفيان فى محلة القيصر تاجرا فدعاه وسأله عن خبر النبى العربى وفى نهاية الحديث قال : لو كنت عنده لغسلت عن قدمه .

ثم دعا قومه الى الاسلام فحاصوا حيصة حمر الوحش ، وتناحروا ورفعوا الصليب فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من اسلامهم وخافهم على نفسه وملكه فسكتهم ثم قال : انما قلت لكم اختبركم لأنظر كيف صلابتكم فى دينكم فقد رأيت منكم الذى أحب فسجدوا له (٢) فوقع عليه اثم الأريسين كما قال ﷺ فى كتابه له .

* ورسالة كسرى فارس حملها عبد الله بن حذافة لأنه كان يتردد عليه كثيرا ، وكلتا الرسالتين تتنبأ بالنتيجة فرسالة كسرى تسجل أن عليه اثم شعبه اذا تولى وكفر ، بل فيها زيادة وهى الارهاص بذهاب ملكه فى قوله : « **ويحق القول على الكافرين** » ، وآية ذلك : ان كسرى مزق الكتاب وأرسل الى عامله باليمن ليجرد جيشا الى المدينة المنورة لحرب الرسول ﷺ وقد فرق الله ملكه حسبما سجل ذلك فى التاريخ فقد سلط الله عليه ولده شيرويه فقتله (٣) ولم تقم للكسروية قائمة بعده .

وأما القسم الداخلى فى الجزيرة العربية فله كتب كثيرة يكفينا منها :

كتاب رسول الله ﷺ الى المنذر بن ساوى ملك البحرين فقد حمله العلاء بن الحضرمى ،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٥٩ ـ الحلبية ج ٣ ص ٢٤٢ وما بعدها .
(٢) راجع الحلبيـة ج ٣ ص ٢٤٢ـ٢٤٦ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٥٩ ـ البخارى كتاب بدء الوحى ج ١ ص ٥ـ٨ .
(٣) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٦٠ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٧ .

ومحتواه : بسم الله الرحمن الرحيم سلم أنت فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد : من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول ، من أحب ذلك من المجوس فانه الآمن ومن أبى فان عليه الجزية •

فأسلم المنذر للتو ، وورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم – بكتاب سياسى رائع يستشيره فى الاقليات التى عنده فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : يارسول الله فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرض مجوس ، ويهود فأحدث الى فى ذلك أمرك ؟

فكتب الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لـه :

انه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا ، وانى شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية (١) •

* وكتاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك اليمامة هوذة بن على الحنفى حمله سليط بن عمرو العامرى ، ومحتواه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن على : سلام على من اتبع الهدى، وأعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافز فاسلم واجعل لك ما تحت يديك •

وسياق الأسلوب يفيد أن هوذة سوف لا يسلم لأنه مغرور بما عليه من الملك والرياسة •

يقول الكاتبون فى التاريخ الاسلامى : ان هوذة كتب فى رده على النبى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم ، والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الامر اتبعك •

فلما بلغ ذلك النبى ﷺ : لو سألنى قطعة (سياية) من الأرض ما فعلت باد ، وباد ما فى يده (١) ، ولم يلبث هوذة أن هلك عام الفتح ، وظلت اليمامة حتى كان أمرها فى عهد سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وهى صاحبة معركة القراء •

الثانية : الوفود والبعوث :

الديبلوماسية الاسلامية واسعة الصدر كثيرة الأساليب لأنها تعمل لصالح الاسلام وصالح البشرية على السواء ، فمن مهمة الديبلوماسية فى الاسلام أنها تسعى لعرض الاسلام على الملوك والرؤساء ، وأصحاب الوجاهة والنبل فى المجتمع من أجل أن تنقلهم من حياة السلطان البشرى الى السلطان الالهى ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا ورضوان الله فى الآخرة ، ولهذا فهى ترسل السفراء ، كما تستقبل البعوث والوفود التى تأتى لتتسأل عن الاسلام رغبة فيه أو تعرفا عليه •

---

(١) راجع الحلبية جـ ٣ ص ٢٥٢ •

ولقد استقبل سيدنا رسول الله ﷺ وفودا كثيرة تربو على السبعين وفدا • وقد كانت السمة العامة عند استقبال الوفود هى :

* نزولهم فى دار الضيافة وهى دار رملة بنت الحارث الأنصارية أو دار المغيرة بن شعبة وأحيانا يكون المسجد •

* تحديد موعد مسبق لاستقبال النبى ﷺ غالبا •

*توظيف مسئول لأداء المراسم وهو سيدنا بلال ــ رضى الله عنه وأحيانا يكون خالد بن سعيد بن العاص •

* تقديم الهدايا للوفود عادة دائمة •

وقد آثرت الدبيلوماسية الاسلامية هذه فأسلم أكثر الوفود :

*فقد أسلم وفد فلسطين الذى جاء تحت رأس فروة بن عمرو الجذامى عامل الروم على فلسطين وما حولها وأهدى هو الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بغلة بيضاء •

* كما أسلم وفد الأزد وعقد لرئيسه لواء الجهاد وهو صرد بن عبد الله فسار الى مدينة جرش فحاربهم ثم جاءوا وافدين الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأسلموا وحمى لهم رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ حول القرية للفرس والراحلة والمثيرة التى تحرث الأرض •

وهكذا نجد آثار الدبيلوماسية فى استقبال الوفود ، وأن أكثرية الوفود ، قد كرمت فى الضيافة ، وأهديت بالعطايا ، وقابلت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وناقشوه ، وسمعوا منه وآمن من أراد الله له الهداية وشرح صدراه ومن أخلد الى الأرض واتبع هواه ضل وغوى هذا منهج ثابت فى عملية التبليغ يجب احترامه •

ولم يبق علينا فى العصر الحديث الا أن نتمثل ــ نحن المسلمين ــ هذا المنهاج فى حياتنا بدل ذلك الذى صدع الأمة ، وفرق كلمتها وأسلم قيادها لأعدائها •

انهم يختلفون باسم الاسلام ويظنون أنهم على شىء ولو كانوا صادقين لما اختلفوا ولا آولوا ولا فرقوا ، وكانوا عباد الله اخوانا •• ؟!

الثالثة : الصلح والأمان :

لم يكن السيف فى الاسلام حجة اقناع لدخول الناس فى دين الله ولا كانت العقيدة الصحيحة التى جاء بها الاسلام ترغب فى أن ترفع السيف على رقبة أحد ، فقد علم الناس من قديم : ان كانوا أهل كتاب أو عرافة أن نبيا سوف يختم الله به رسالاته وأن مبعثه مكة المكرمة وأن مهاجره أرض ذات نخل •

وكانت هذه الدلائل شائعة فى جميع مستويات الناس خارج الجزيرة العربية وداخلها والاسلام جاء ليكون له السيادة على الدين كله ، لأنه الوحى الصحيح المعصوم الخالد والاسلام لا يقبل أن يساق الناس سوقا الى الايمان فانه لا اكراه فى الدين •

الدعوة الاسلامية تهدف الى أن يفسح السيف الاسلامى الطريق ، فيقضى ــ فقط ــ على من وقف عقبة فى سبيل الدعوة فلا أراد أن يؤمن ولا أراد للناس ايمانا حتى يكون للناس حرية النظر فى هذا الدين بعيدا عن

الجاذبية الادارية الحاكمة الطاغية أو العادات الجبرية المستحكمة ولهذا قبل من الذين رفضوا الدخول فى الاسلام الصلح وأعطاهم الأمان :

* لما طلب يهود تيماء الصلح صالحهم رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا على أموالهم .

* ولما جاء أكيدر بن عبد الملك وهو ملك من ملوك كنده وكان نصرانيا صالحه رسول الله ﷺ على الجزية وخلى سبيله وسبيل أخيه وكتب لهم أمانا ولم يعاملهم معاملة مجرمى جرب مع أنهم جاءوا مع خالد بن الوليد بعد معركة خسر فيها أكيدر .

هكذا كانت الدعوة الاسلاميه فى العهد المدنى تستخدم أسلوب الموادعة والأمان والصلح طريقة لتفتح أبواب التفكير والتدبر والتفهم حتى يدخل الناس فى دين الله عن طواعية ورغبة .

واذا كان هذا هو أسلوب الدعوة فى العهد المدنى فانه منهج وليس أمرا عشوائيا ، فمن أغمض العين عنه فقد ضل طريق الأسوة الحسنة ، كما ضل المستشرقون جهلا وتعصبا فقالوا ان الاسلام قد انتشر بالسيف ولم يتفهموا هذا الجهد الكبير فى مصالحة من حط السلاح وأغمد السيف ، ورمى الرمح ، واستعاذ من الفتنة وقبل الاسلام رغبة أو صالحه وأمنه ولم يقف فى طريق الدعوة .

وكم نحن بحاجة ماسة الى تفهم هذا النهج من الديبلوماسية الصالحة العفيفة .

رابعا : المعلمون والعمال (المتابعة)

المتابعة أمر مهم جدا فى عملية تبليغ الدعوة ولقد أسس سيدنا محمد ﷺ منهج التبليغ على قاعدة المتابعة وهى :

عبارة عن العناية بمن يدخل فى الاسلام أو من يرضخ لنظامه من الذين قبلوا الصلح والأمان .

فعملية المتابعة مهمتها استمرار التعهد بمن دخل فى الاسلام ليتعرف على تعاليم الدين وليواظب على ممارستها اذ المطلوب أن تنتظم تعاليم الاسلام جميع حركات المسلم فى حياته كلها .

كذلك فان الذين قبلوا الأمان والصلح لابد أن يكون عليهم مراقب يتعرف على مبلغ صدقهم فى « ميثاق » ، ودفعهم الجزية ، ويتعهد مطالبهم وحاجاتهم وحقوقهم حسبما نص العهد أو الأمان أو الميثاق ، وليتيح « الأمان » لمن شاء أن يسلم منهم أن يمارس عبادته على خير وجه وأحسنه .

فعملية المتابعة لها أهمية خاصة فى حماية الدعوة من جانب ، وحماية المجتمع من جانب آخر ، وتثبيت الايمان فى قلوب الذين دخلوا فيه حديثا ، ورعاية جانب الحق فى المستأمن وأهل الموادعة والصلح .

ولهذا فان رسول الله ﷺ كان يرسل المعلمين ليعلموا الناس القرآن وأصول الاسلام كما كان يرسل العاملين على الصدقات والخارجين للخراج ، من ذلك :

أ ــ أنه ﷺ وهو مازال فى مكة المكرمة أرسل مصعب بن عمير ــ رضى الله عنه ــ الى أهل يثرب بعد المعاهدة الأولى ليعلم

الناس القرآن ويدعو الى الاسلام ، وحديث ذلك فى كتب السيرة مشهور ومعروف •

(ب) كذلك أرسل سيدنا رسول الله ﷺ عمرو بن حزم الى نجران يعلمهم شرائع الاسلام ويأخذ منهم الصدقات وكتب له رسول الله ﷺ كتابا ليحملهم على ما فيه وبين فيه الأحكام ، والزكوات ، ومقادير الديات (١)

(جـ) ولما فتح رسول الله ﷺ خيبر ساقى يهود على الشطر من الثمر والزرع ، وكان يزرع تحت النخل ، وكان يبعث عبد الله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ يخرص (٢) عليهم النخل فلما استشهد عبد الله بن رواحة فى غزوة مؤتة كان يخرص عليهم أبو الهيثم بن التيهان وقيل جبار بن صخر وقيل فروة بن عمرو (٣) •

(د) ولما فرضت الصدقات بعث رسول الله ﷺ عماله يجمعون الصدقات :

ـ فأرسل بريد بن الحصيب بن عبد الله ابن الحارث الى أسلم وغفار •

ـ وأرسل عباد بن بشر الأشهلى الى مزينة وسليم •

ـ وأرسل عمرو بن العاص الى فزارة •

ـ وأرسل الضحاك بن سفيان بن عوف الى بنى كلاب • (٤)

وهكذا كانت متابعة النبى ﷺ الأقاليم التى دخلت فى دين الله من أجل الطمأنينة على اسلامها سلوكا أو الوفاء بما عاهدت عليه ان كان أصحابها من أهل الصلح والموادعة •

وهذه المتابعة هى التى جعلت سيدنا أبو بكر ـ رضى الله عنه يقوم بتأديب مانعى الزكاة ابقاء على الالتزام بتعاليم الاسلام كاملة ، وحرصا على استمرار سلطة الدولة على أقاليمها ورعيتها •

وان الذى أو هى الخلافة الاسلامية فى العصور الأخير انها لم تحترم المتابعة كمنهج اسلامى فى حماية الدعوة والدولة (٥) •

خامسا : القتال :

يستخدم القتال لعدة أهداف أو بواعث :

* فالقتال يستخدم للوقاية من هجوم متوقع يعده الخصوم مثلما حدث فى غزوة حنين حين اجتمعت هوازن وثقيف بعد فتح مكة وقالوا : قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النضرى •• فكان لابد من اجهاض هذه الجموع وقاية للدعوة وللدولة ولخير البشرية على السواء •

* والقتال يستخدم للدفاع عن العرض والدين والوطن كما حدث فى أحد والخندق حيث تجمعت قريش وسارت برجالها لتضرب الاسلام عن قوس واحدة •

* والقتال يستخدم لتأديب ناكثى العهد وناقضى المواثيق والخائنين للمعاهدات مثل

(١) الامتاع جـ ١ ص ٥٠١ـ٥٠٢ •
(٢) « أى يقدر » ما أخرجت النخل من ثمار •
(٣) الامتاع ١ـ٣٢٨ •
(٤) راجع السيرة لابن هشام ، وامتاع الاسماع للمقريزى ١ـ٤٣٣ •

(٥) ليس ذلك فقط ، فان الخلافة الاسلامية فى عهدها الاخيرة لم تراقب عمالها أنفسهم ولا كبار موظفيها الذين ارتشوا فأكثروا ، وأقاموا الارهاب حديدا ونارا فأوقدوا بذلك نعرة القوميات البغيضة وفتتوا كيان الخلافة •••• مجلة الازهر

ما حدث فى حرب بنى قينقاع ، وبنى النضير وبنى قريظة ، وفتح مكة .

* والحرب تستخدم لترفع العصابة السوداء عن أعين الذين يحبون الهداية ولكن أئمة الكفر تحجب الناس دون ذلك ومن هذه الحرب كانت عدة مواقع فتح الله بها للناس بابا فى دين الله بعد أن زهقت العقبات الكئود وهى رؤوس الكفر والضلال .

فلم يكن القتال لدافع سياسى ولا لنعرة وطنية ، ولا لمصلحة دولة أجنبية بل كان للهداية وقد حققت الحرب غرضها فدخل الناس فى دين الله بعد أن أزال القتال الرمد الذى كان يحجب رؤية البصيرة ، وفك العصابة السوداء التى كانت تحجب عن القلب نور الايمان .

سادسا : الاعلام والدعاية :

(ا) الاعلام هو : توصيل الحقائق الصادقة الى الناس ليتجنبوا شرورا سوف تصيبهم فى العاجل أو الآجل وليس هو كما قال العالم الألمانى أتوجروت .

« التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت » . ذلك لأن الاعلام ليس بذى هدف شهوانى فى النظرية الاسلامية بل ذو هدف انسانى .

لا يحنو هامته لعقلية الجماهير ، ولا يصد عنها ما كان خيرا لها فهو يأخذ بيدها الى طريق النجاة دون أن يخدعها أو يمارس تضليلها أو دفعها الى الشهوات ، وبهذا المنهج بلغ الدعوة وأثر فى حياة المسلمين فيما بعد :

ففى مرحلة تبليغ الدعوة استخدمت الدعوة الاعلام لتوصيل حقائق الدعوة الى الناس.

ففى مكة صعد النبى ﷺ على الصفا ونادى قريشا وقال لهم : « انى أنا النذير العريان ».

ولقد صدقوه فى أنهم لم يعهدوا عليه كذبا قط وارتكسوا فى نتيجة التصديق ، لكن موضوع الدعوة قد وصل اليهم وتفاعلوا معه.

وهذه ميزة فى الاعلام الاسلامى أنه يحاول أن يشرك المستمع فى الموضوع ، ويستجليه الرأى ويزيل الغشاوة التى على عينيه أو الشبهة التى تقسم له الحق بين الظن واليقين .

(ب) الدعاية هى : التأثير فى الأفراد والجماهير واستقطاب مشاعرهم وعقولهم نحو فكرة معينة وهى فى الاسلام محاولة ربط السلوك الانسانى بخصائص الاسلام عن طريق توضيح أسراره وشرح مميزاته (١).

وقد استخدم الاسلام هذه الدعاية فى عديد من أنماط العمل الاسلامى :

(ا) ففى ضيافة الوفود أظهر النبى ﷺ سماحة الاسلام وكرمه فترك بعض النصارى يؤدى صلاته وأجزل العطاء لكل واحد من أعضاء الوفود .

(ب) وفى عمرة القضاء أمر النبى ﷺ المعتمرين أن يضطبعوا وهم يطوفون حول الكعبة وقال :

---

(١) لم نفهم من فضيلة الكاتب ما اذا كان يقصر الدعاية فى الاسلام على هذه المحاولة فقط ؟ فما موقف الاسلام من الدعاية وميادينها فى العصر الحديث ، وبعضها شريف كريم والاسلام لكل زمان ومكان ؟!! مجلة الازهر

« رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » .

* كذلك استخدم العرض العسكري في يوم فتح مكة فرأى أبو سفيان كتائب الله تمر به وراحت كل قبيلة تصيح هاتفة عند مرورها .. وراح أبو سفيان ينظر طويلا :

ـ خالد بن الوليد في بني سليم : وهم ألف يحمل لواءهم عباس بن مرداس .

ـ والزبير بن العوام ومعه راية سوداء يزحف في خمسمائة .

ـ ومر أبو ذر الغفاري ومعه بنو غفار ثلثمائة .

ـ ثم جاء بنو ليث وهم مائتان وخمسون يحمل لواءهم الصعب بن جثامة .

ـ ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواءان واحد يحمله معقل بن سنان ، والآخر يحمله نعيم بن مسعود .

ـ ثم طلع رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فرأى أبو سفيان سوادا وغبرة من سنابك الخيل لكثرتها ومر الناس حتى مر النبي ﷺ على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن خضير ، ومعه المهاجرون والانصار، فيها الرايات والالوية مع كل بطن من الانصار راية ولواء .. وكان في الكتيبة ألف دارع وسعد بن عبادة يحمل لواء رسول الله ﷺ .

يقول الكاتبون في السيرة ان أبا سفيان قال بعد أن شاهد هذا العرض الجليل للعباس

ـ رضي الله عنه : ما رأيت هذه الكتيبية قط ، ولا خبرنية مخبر ، ما لأحد به طاقة ولا يدان. لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .

ذلك هو التأثير الذي التصق بنفسية أبي سفيان أثر الدعاية التي زلزلت وجدانه. غير أن عبارته : لقد أصبح ملك بن أخيك مازال فيها نكهة الجاهلية لان النبوة شيء والملك شيء آخر والدولة الاسلامية شيء والدولة الجاهلية شيء آخر ، فصحح سيدنا العباس بن عبد المطلب منطق أبي سفيان ليتساوى مع الايمان السليم فقال : يا أبا سفيان ، ليس بملك ولكنه النبوة يقول الكاتبون في السيرة « فنعر » يعني صاح من خيشومه صياحا شديدا ، فقال له العباس : ويحك أدرك قومك قبل أن يدخل عليهم ، فخرج أبو سفيان حتى دخل مكة وهو يقول : من أغلق بابه فهو آمن .

حتى انتهى الى هند بنت عتبة فأخذت برأسه وقالت : ما وراءك ؟ قال : هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد وقد جعل لي : من دخل داري فهو آمن ، فقالت له ، قبحك الله رسول قوم وجعل يصرخ بمكة يا معشر قريش : ويحكم انه قد جاءكم مالا قبل لكم به ... فأسلموا تسلموا وجعلت هند تقول : اقتلوا وافدكم هذا .. وهو يقول : ويلكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم ، رأيت مالم تروا ، رأيت الرجال ، والكراع ، والسلاح فما لأحد بهذه طاقة .

فانظر أيها العاقل كيف استطاعت الدعاية الاسلامية القائمة على الحق والحقيقة أن تؤدي رسالتها داخل مجتمع الكفر دون سيف يرفع أو رمح يدفع .

فهل سيتعقل الشباب المعاصر ويدرك معنى تبليغ الدعوة ويتأسى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أو هل سيظل سادرا في هرطقات الجزئيات التي يثيرها والاصطلاحات المعماة التي استرخى فكره لابتداعها ؟ لقد بلغت والله يشهد .

مكانة الأمن فى الإسلام

عن سلمة بن عبيد الله عن أبيه « وكانت له صحبه » قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

(من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه ، فكانما حيزت له الدنيا)

رواه الترمذى .

أولا : اللغة ١ — سربه بكسر السين : أى فى نفسه ، مستريح البال وبفتح السين : أى فى طريقه ومسلكه .

٢ — حيزت : أى جمعت .

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث

١ — معنى الأمن .

٢ — مكانة الأمن فى الاسلام .

٣ — الأمن والأمان لابد له من أركان

٤ — الأمن نعمة تستحق الشكر .

البيان

١ — معنى الأمن :

هو أن يشعر الانسان بالطمأنينة القلبية ، والراحة النفسية ، وتتاح له السعادة والهدوء والاستقرار ، وأن يهىء له ذلك أن يتمتع بما حوله من خيرات .

٢ — أركان الأمن فى الاسلام :

جاء الدين الاسلامى بالأمن والأمان ، وانتشر نوره السماوى فعم الأنام ، وشمل أقطار الدنيا ، بفضل مبادئه القويمة ، وتعاليمه السديدة .

ولكى يتحقق الأمن لكل انسان ، ويعم الأمان فى البلاد لابد للناس أن يكونوا على صلة بالله ، وتتوافر فيهم أركان الأمان ومن ذلك :

(أ) **الايمان بالله** : ففى ظل الايمان يعيش الانسان فى أمان ، فاذا انتفى الايمان أو ألبس الايمان بالشرك ، أو زاغت القلوب وضلت ، فلم تؤمن بآيات الله فان الخوف ينتابها ، والالقاء فى ايمانهم ، قال تعالى :

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى

لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور ٥٥

(ب) الاستقامة والتقوى :

الايمان اذا صحبته الاستقامة والتقوى ، بلغ المسلم الذروة من الأمان وقيض الله له أسبابه ، قال تعالى « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ • نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ » (١) •

والأمن كما هو نعمة وطمأنينة فى الدنيا ، فهو من نعم الله فى الآخرة ، جعله الله جزاء عباده المتقين « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ » (٢) وهو الجنة ، آمنوا فيها من الموت ، والخروج من كل النوائب والأحزان ، واغراء الشيطان •

(جـ) الرجوع الى كتاب الله ورسوله وأولى الأمر فيه :

وهكذا كل أمر صمام الأمن ، والأمان فيه، ان ترده الى حكم الله ، وحكم رسوله ، والمتخصصين المخلصين لله ورسوله ، قال تعالى « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »(٣) ويقول تعالى :

« وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » (٤) •

للشيخ محمد صابر البرديسى

فاذا لم تتوافر أركان الأمن ، راح الناس فى طغيانهم يعمهون ، فحل عليهم الخوف بما أحدثوا فاذا هم فى رعب أليم •

٣ ـ الأمن نعمة تستحق الشكر :

ونعم الله يجب أن نقابل بما تستحقه من الشكر لله والثناء على ذاته بما يليق بمجده ونعمه التى لا تعد ولا تحصى ، ومنها تلك النعمة العظمى التى لاقرار للانسان بدونها : نعمة الأمن المستتبعة لنعمة الرخاء وكان الخليل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ يخلص الشكر لله تعالى ـ على ما قل من النعم فكيف بنعمه الكثيرة وشكره الله من أجلها ، قال تعالى : « شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ » (٥) •

وهذا من آدب النبوة التى ختمت بنبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ الحامد الشاكر ، وصدق اذ يقول :

« من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا » •

---

(١) سورة فصلت : ٣٠ ، ٣٢ •
(٢) سورة الدخان : ٥١ •
(٣) سورة الانبياء : ٧ •
(٤) سورة النساء : ٨٣ •
(٥) سورة النحل : ١٢١ •

النظرية الإسلامية
فى استعادة الهيبة والروح المعنوية
" الخاتمة "

فى الحلقة الأولى من هذا البحث تناولنا ثلاثة مبادىء من النظرية الاسلامية فى استعادة الهيبة والروح المعنوية وهى :

١ ــ تحديد الأهداف الاستراتيجية ٠
٢ ــ استيعاب دروس الهزيمة ٠
٣ ــ الوقاية من أساليب التدمير الذاتى ٠

المبدأ الرابع ــ اليقظة والحذر ومنع العدو من استغلال الموقف

لابد فى خلال الفترة الحرجة التى يجرى فيها اعادة بناء القوى المادية والمعنوية والاعداد للنصر فى معركة قادمة من اتخاذ أقصى درجات الحيطة واليقظة والحذر لمنع العدو من استغلال الموقف واستثمار ما أحرزه من نجاح فى المعركة اعتمادا على ما يتصوره من فتور الهمم والسلبية والانطواء ٠

ومهما كان هناك تركيز للجهود ــ فى الداخل ــ فى عملية اعادة البناء ، فان الشعار الذى يجب أن يبقى مرفوعا فى كل لحظة هو : « يد تبنى ، ويد تحمل السلاح » قال تعالى : **«يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ»** (النساء ٧١) كما قال جل شأنه : **«وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً»** (النساء ١٠٢) ٠

المبدأ الخامس : القضاء على محاولات تدمير المعنويات أو تفتيت وحدة الامة

ومن أهم الاهداف التى يتوخاها العدو المنتصر محاولة تدمير معنويات الامة وتفتيت وحدتها ، لذلك يوجه الاسلام الى التصدى لهذه المحاولات بقوة الايمان والوعى المستنير والعزم والتصميم ، تعرض المسلمون ــ بعد أحد ــ لمحاولات من هذا القبيل تعددت صورها وأشكالها ، وكانت هذه المحاولات امتحانا للمسلمين ، فأثبتوا أنهم بايمانهم أقوى من

المحاولات والأحداث التى واجهتهم ، وكانـــوا مصداقا لقول الله تبارك وتعالى :

« فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » .

ونذكر فيما يلى بعض هذه المحاولات لنرى كيف واجهها النبى ﷺ وكيف واجهها المسلمون معه لنستخلص الدرس والعبرة :

(أ) قتل الدعاة :

حاول المشركون والمنافقـــون أن ينالوا من المسلمين وأن يؤثروا على معنوياتهم لكيـــلا يطمئنوا الى ارسال دعاتهم خارج المدينـــة وبذلك يحصرون الدعوة فى محيط ضيق لا يتسع لآمالها القريبة والبعيدة .

فقد قدم على رســـول الله ﷺ رهط من عضل والقارة فقالوا : يا رسول الله ان فينـــا اسلاما فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهـــونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام ؛ فبعث معهم عشرة رهط وأمر عليهم عاصم ابن ثابت (وقيل مرثد بن أبى مرثد الغنوى) فخرجوا حتى اذا بلغوا الرجيع (مكان بين مكة والطائف) غدروا بهم فقتلوا منهم ستة (١) .

كذلك غدر ابن الطفيل من بنى عامر مع بعض الاعراب بأربعين داعيا من دعاة الاسلام فى

بقلم : لواء أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

بئر معونة بنجد وقضى عليهم الا رجلا عاد الى المدينة يحمل أخبار الشهداء .

وقد تحمل المسلمون هذه الأفعال الغادرة ، ولم يؤثر استشهاد الدعاة على معنوياتهم بـــل استمروا على ارسال دعاتهم وخرجوا لأخـــذ ثارات هؤلاء الدعاة حتى لا يعود المشركون الى الغدر بالمسلمين مرة أخرى (وسوف نوضـــح ذلك فيما بعد) .

(ب) حديث الافك :

وحاول المنافقون التأثير على معنـــويات المسلمين بأســـلوب آخر هو أســـلوب اختلاق الأكاذيب فاختلقوا حديث الافك بعـــد غزوة بنى المصطلق وكانت تلك الفرية ايذاء للرسول ﷺ ونفسه فى أهله وكادت تقوم بسببها فتنة لولا حكمة الرسول وحسن مداخلته .

وقد بلغ من تأذيه صلوات الله وســـلامه عليه بتلك الاكذوبة أن قام يوما فى النـــاس يخطبهم فقال أيها الناس : « ما بال رجـــال

◄

(١) قتلوا أربعة وباعوا اثنين لقريش فى مكة فقتلتهما ومما يجدر ذكره ان قريشا قالت لزيد ابن الدثنة (أحد الاثنين) : يا زيد ، أنشدك الله أتحب أنك الان فى اهلك وأن محمدا عندنا مكانك نضرب عنقه ؟ فقال : لا والله لا أحب أن محمدا يشاك فى مكانه بشوكة تؤذيه وانى جـــالس فى اهلى . فقال أبو سفيان : والله ما رأيت من قوم قط أشد حبا لصاحبهم من اصحاب محمد له .

يؤذونني فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت منهم الا خيرا ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه الا خيرا وما يدخل بيتا من بيوتى الا معى » •

وقد أنزل الله براءة عائشة فخرج النبى الى المسجد فألقى على المسلمين الآيات التى نزلت وأولها : **« إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ »** وقد نفذت عقوبة رمى المحصنات فيمن أفصحوا بالفاحشة تنفيذا لحكم القرآن : **« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »** (النور ٤) •

(جـ) فتنة عبد الله بن أبى بين المهاجرين والانصار :

فى غزوة بنى المصطلق كان لعمر بن الخطاب فى الجيش أجير يقود فرسه فازدحم بعد انتهاء الموقعة مع أحد رجال الخزرج على الماء فاقتتلا فتصايحا : يقول الخزرجى ، يا معشر الانصار، ويقول أجير عمر ، يا معشر المهاجرين ، وسمع عبد الله بن أبى النداء وكان قد خرج مع المنافقين فى هذه الغزوة ابتغاء الغنيمة ، فثار ما فى نفسه على المهاجرين وعلى محمد ﷺ من حفيظة وقال لجلسائه : « لقد كاثرنا المهاجرون فى ديارنا ، والله ما عدنا واياهم الا كما قال الأول : (سمن كلبك يأكلك) أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل • ثم قال لمن حضر من قومه : « هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتولوا الى غير داركم » •

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ بعد فراغه من عدوه ، وكان عنده عمر بن الخطاب فهاج عمر لما سمع وقال : مر بلالا فليقتله ! ، هنا ظهر النبى ﷺ كدأبه مظهر القائد المحنك والحكيم البعيد النظر اذ التفت الى عمر وقال : « فكيف يا عمر اذا تحدث الناس وقالوا ان محمدا يقتل أصحابه ؟ •• لكنه عليه الصلاة والسلام قدر فى نفس الوقت أنه ان لم يتخذ خطة حازمة فقد يستفحل الأمر ، لذلك أمر أن يؤذن فى الناس بالرحيل فى ساعة لم يكن يرتحل المسلمون فيها ، وترامى الى ابن أبى ما بلغ النبى عنه ، فأسرع الى حضرته ينفى ما نسب اليه ويحلف بالله ما قاله ولاتكلم به ، ولم يغير ذلك من قرار الرسول الرحيل شيئا ، بل انطلق بالناس طيلة يومهم حتى أمسوا ، وطيلة ليلتهم حتى أصبحوا ، وصدر يومهم الثانى حتى أذنت الشمس ، فلما نزل الناس لم يلبثوا حين مست جنوبهم الارض أن وقعوا من فرط تعبهم نياما ، وأنسى التعب الناس حديث ابن أبى ، وعادوا

بعد ذلك الى المدينة ومعهم ما حملوا من غنائم بنى المصطلق وأسراهم ٠

المبدأ السادس ـ التحذير

من مهادنة العدو

ان المناخ النفسى العام بعد الهزيمة عادة ما يغرى أعداء الأمة من الداخل من الحاقدين والمنافقين وضعاف الايمان ومرضى القلوب واليائسين من ضعاف الارادة ودعاة الهزيمة بالسعى الى مهادنة العدو وموالاته ، كما أن العدو فى الوقت نفسه لا يفوت تلك الفرصة على نفسه ، بل يسعى بكل الوسائل لتغذية هذه الاتجاهات وتشجيعها ٠

ولقد حدث بعد عودة المسلمين من أحد أن دارت التساؤلات وتعددت الآراء وتصاعدت حول ما حدث فى أحد ، وكان المنافقون فى هذا الوقت من أنشط الناس فى الارجاف والتشكيك والتثبيط : مالنا ولصراع أهل مكة ؟ لماذا لا نتفق مع أبى سفيان ؟ وكان عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين هو المرشح ـ بطبيعة الحال ـ للتفاوض مع قريش ، فعلاقته بأبى سفيان طيبة ، وهو قد رفض خطة الرسول فى أحد ، ولم يحضر المعركة ، وماذا تريد قريش أكثر من أن تغشى الغيوم السود نفوس الصحابة ،وأن يكون فيهم سماعون للنوء ولأراجيف المنافقين ؟ وماذا يحدث لو بدأ مجتمع المدينة طريق المساومة ليتولى الأمر فيه أمثال عبد الله بن أبى اتصالا بالمشركين واتفق معهم على المدينة لا من أجلها ؟

هنا يأتى قول الله صريحا واضحا يحدد خط السير : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ٠ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** » (١)

فليس وراء الاستماع لقول التردد والضعف الا السير على المنحدر الوعر الى مهادنة العدو ثم الخضوع له ولارادته ، لن يكون حالكم غير حال المغلوب مع الغالب ، وماذا يود أعداؤكم غير هزيمتكم نفسيا وعسكريا ؟ والله يبين أن فى هذا خسران الدنيا والآخرة :

الدنيا بالخضوع للعدو والحرمان من ثمرات الكفاح والنصر وعدم التمكين للعقيدة أو قيام الحياة على أمن عادل قوى ٠

وفى الآخرة ثواب الله للعاملين الصابرين المتقين ، فلا تفكروا ـ أيها المؤمنون ـ فى ولاية أبى سفيان وحزبه ، ولا ولاية عبد الله ابن أبى وشيعته ، ولا تصغوا لاغواء أعدائكم اذ يحدثونكم وسط الجراح والألم ، ويوسوسون فى صدوركم بعد النكسة ، ولكن استمدوا من ربكم عونا ترتفعون به فوق الألم واستعيدوا ثقتكم فى أنفسكم سيرا على طريق الكفاح ، « **بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** »

حكم الله فى موالاة الأعداء :

(١) سورة ال عمران ٠

ان الأعداء محاربون لله ورسوله ، وكل من والاهم انما هو محارب لله ورسوله لانه ينصر أعداء الله على أولياء الله ، فهو من الأعداء ومعهم ، انه بعمله ذلك محارب لله ومحارب لرسول الله وقد قال الله تعالى :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (المائدة ٣٣)

وقد أراد الاسلام أن يضمن سلامة الداخل وأن يقاوم ما استطاع أعداء الخارج ولو كانوا ينتسبون للاسلام فكان لابد من عقاب الردع لهؤلاء وأولئك يتمثل فيما يراه الحاكم الاسلامى مما ذكرته الآية الكريمة من القتل أو الصلب أو قطع الأيدى والأرجل من خلاف أو النفى ، ولقد بين الله سبحانه لهؤلاء وأولئك أنهم خارجون على الاسلام وأن الايمان قد أنتفى من قلوبهم يقول سبحانه :

« لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »(المجادلة ٢٢)

وكل من يوالى الأعداء اذن هو كائن انتفى من قلبه الايمان ، والموقف الاسلامى اذن هو أن يجد المحاربون لله ورسوله فى المؤمنين غلظة ، بذلك يأمر الله تعالى فيقول : « وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً »(التوبة ١٢٣)

ولقد اتخذ المسلمون الأولون حكاما ورعية هذه المواقف الاسلامية بالنسبة للأعداء ،

فها هوذا المؤمن الصادق عبد الله بن عبد الله ابن أبى يعرض على رسول الله ﷺ أن يأتى له برأس أبيه اذا شاء ﷺ فيقول : يارسول الله انه قد بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرنى وأنا أحمل اليك رأسه (١) .

وهذا هو الموقف الاسلامى الصحيح أن لا يوالى المسلم من يحارب المسلمين ولو كانوا أباء أو أبناء أو اخوة أو عشيرة ، والا فقد باء بغضب من الله والرسول واستحق العذاب الأليم فى الدنيا قبل الآخرة .

(١) كان ذلك بعد موقف أبيه عبد الله بن ابى فى غزوة بنى المصطلق من محاولة الفتنة بين المهاجرين والانصار وما كان من قوله : أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد أنزل الله تعالى سورة المنافقين فى ذلك الشأن .

المبدأ السابع ـ المعركة مستمرة حتى النصر

من توجيهات الاسلام فى القتال أن المجاهد فى سبيل الله يضع نصب عينيه أحد أمرين : النصر أو الاستشهاد ، وأن الاستسلام للعدو أو الفرار أمامه جريمة لا تخطر على بال مؤمن، وأن المؤمن لا يغلب أبدا (أى لا يقهر) لأنه لا ينطبق عليه ما قد ينطبق على غيره وهو أن يكون فى المعركة (اما غالبا أو مغلوبا) فالله تعالى يقول :

« فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء ٧٤) ومعنى هذا أن المقاتل المجاهد « لا يكف عن قتال العدو » حتى يكتب له النصر، فاذا لم يتحقق « فالمعركة مستمرة » ما لم تزهق روحه ويقع سلاحه .

ولقد طبق الرسول القائد عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ بعد معركة أحد على أمثل وجه :

* ففى صبيحة اليوم التالى مباشرة لمعركة أحد ، أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه ممن حضروا المعركة بالخروج لمطاردة قريش حتى بلغ حمراء الأسد (١) كما ذكرنا فحقق بذلك العمل السريع استعادة الروح المعنوية وارادة القتال لدى المسلمين والتخفيف من وقع النكسة على نفوسهم .

* وفى خلال الفترة فيما بين أحد والخندق (٢) ـ وهى المعركة الحاسمة التى تمت فيها المواجهة ـ لا بين المسلمين والمشركين فحسب ، بل بين المسلمين وقريش والقبائل العربية المتحالفة معها واليهود ـ قام المسلمين بعدة عمليات عسكرية ذات طابع تعرضى (٣) (أى هجومى) للدفاع عن قاعدة الاسلام فى المدينة اذ كان النبى ﷺ لا ينتظر حتى يشن أعداؤه هجومهم على المدينة بل كان يبادر بالاغارة عليهم فور علمه بما عزموا عليه .

وتعتبر الروح الهجومية ـ فى مثل تلك الظروف التى أعقبت معركة أحد ـ « تعبيرا عمليا » عن الارادة القتالية الصلبة التى تستطيع أن ترتفع فوق الآلام والاحداث ،ومن هذه العمليات العسكرية نذكر ما يلى :

١ ـ سرية أبى سلمة وقوامها مائة وخمسون راكبا وراجلا ، وقد بعثها الرسول ﷺ للقضاء على قبيلة بنى أسد بعد شهرين من أحد لمنعها من غزو المدينة .

٢ ـ دورية عبد الله بن أنيس لمنع الأعراب من غزو المدينة ، وقد قتل عبد الله بن أنيس

---

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة .

(٢) كانت غزوة احد فى شوال عام ٣ هجرية، والخندق فى شوال عام ٥ هـ .

(٣) لا يصح ان نتصور ان الهجوم معناه العدوان ، وانما هو شكل من أشكال العمليات العسكرية تستلزمه ظروف المعركة حتى فى اطار الاستراتيجية الدفاعية .

خالد بن سفيان الهزلى الذى كان يحشد الأعراب للغزو ، فتفرقوا •

٣ ــ غزوة بنى النضير بقيادة الرسول ﷺ للتخلص من يهود بنى النضير لتآمرهم على اغتياله عليه الصلاة والسلام •

٤ ــ غزوة ذات الرقاع وقوامها أربعمائة راكب وراجل بقيادة الرسول ﷺ للقضاء على بنى ثعلبة وبنى محارب الذين احتشدوا للقيام بغزو المدينة وأخذ ثأر الشهداء من الدعاة المسلمين الذين غدر بهم المشركون فى بئر معونة بنجد •

٥ ــ غزوة بدر الآخرة وقوامها ألف راكب وراجل بقيادة الرسول ﷺ بعد أن مضى عام كامل على يوم أحد لملاقاة قريش كما وعد أباسفيان حين سمع نداءه « وان موعدكم بدر للعام القابل » ، ولقد خرج المسلمون برغم أن العام كان عام جدب ، وكان أبو سفيان يود لو يؤجل اللقاء الى عام آخر فبعث رجلا الى المدينة يقول للمسلمين : ان قريشا جمعت جيشا لا قبل لجيش فى العرب بمواجهته لتحاربهم به حتى تقضى عليهم قضاء لا يعد ما تم بأحد الى جانبه شيئا ، لكن الرسول ﷺ لم يكترث بهذا الوعيد وأصر على الخروج • وقد وصل المسلمون بدرا وانتظروا قريشا هناك ولكن المشركين الذين خرج بهم أبو سفيان من مكة ترددوا بين الاقدام والاحجام فآثروا السلامة وعادوا أدراجهم بعد أن قطعوا مسيرة مرحلتين منها •

وعاد المسلمون الى المدينة بعد أن طال انتظارهم للمشركين ثمانية أيام ببدر وقد محت غزوة بدر الآخرة كل أثر لمعركة احد داخل المدينة وخارجها على حد سواء ••

وهكذا كانت العمليات العسكرية التى دارت فيما بين غزوة أحد والخندق تطبيقاً لمبدأ « استمرار المعركة » حتى النصر ، اذ أن غزوة الخندق كانت معركة حاسمة انهزمت فيها الاحزاب التى تحالفت ضد المسلمين ، وكانت « نقطة تحول استراتيجية » فى الصراع بين المسلمين وأعدائهم ، فقد انتقل المسلمون بعدها نهائيا من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم • وهو ما عبر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انسحاب الأحزاب •

« الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير اليهم » (رواه البخارى) وانتقل زمام المبادأة الى يد المسلمين حتى تمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة العربية كلها •

وذلك من أروع التطبيقات العملية للاستراتيجية العسكرية الاسلامية ونظريتها فى مواجهة الهزيمة وعبورها واتخاذها منطلقا نحو النصر •

(تم البحث)

محمد جمال الدين محفوظ

الحج

وذكر الله المتجدد "فى أيام معلومات"

للدكتور
طه مصطفى أبو كريشة

**** من يتأمل حديث القرآن الكريم عن فريضة الحج ، وما يصحبها من شعائر ومناسك ، يلحظ أن هناك أمرا معينا ، يؤكد عليه تأكيدا واضحا أثناء أداء هذه الفريضة ٠ ذلك الامر هو ذكر الله سبحانه وتعالى ، والاعلان بأنه الاله المعبود الواحد الأحد ، وهو ذكر متجدد ساعة بعد ساعة ، ومكانا من بعد مكان فى كل منسك من مناسك الحج ٠٠**

ومن هنا فان الحشود حين تحتشد من كل صوب وحدب ، ومن كل جنس ولون ، وحين تجتمع قلوبها وألسنتها فى صعيد واحد ، لتعيش فى ظل كلمة التوحيد ، ترددها فى خشوع وخضوع ، فانها من خلال هذا الذكر المتجدد ، تجدد ايمانها وتجدد يقينها ، وتجدد فى أنفسها هذه الروح الايمانية التى تجعلها تذوق حلاوة الايمان ، حلاوة أن تكون مؤمنة بالله واليوم الآخر ، ثم حلاوة الانضواء تحت راية أمة أراد الله تعالى أن تكون خير أمة أخرجت للناس **« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »** آل عمران ٠

** وأول ما يلقانا عن الحج فى السورة القرآنية التى سميت باسم « الحج » قول الله عز وجل : **« وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٠ وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ »** ٠ الحج ٢٦ — ٢٨ ٠

ففى صدر هذه الآيات بيان للغاية العظيمة من بناء البيت الحرام ، انها توحيد الله سبحانه وتعالى ، وعدم الاشراك فى عبادته « أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » .

وفى الآيات كذلك بيان للغاية من وراء الامر الالهى لسيدنا ابراهيم — عليه السلام — بالأذان والنداء بالحج ، ان منها « وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ » .. ومما جاء فى تفسير الأيام المعلومات أنها الأيام العشر الأولى من شهر ذى الحجة ، ولهذه الأيام فضل عظيم ، أشير اليه فى كثير من الاحاديث النبوية ، ومن ذلك قول النبى — ﷺ — « ما من أيام أعظم عند الله ، ولا أحب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر ، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد » .. مسند الامام أحمد ٧٥/٢ .

✽✽ فاذا انتقلنا الى المناسك والشعائر ، فاننا نجد فى حديث القرآن الكريم وقفات عند بعض مراحلها ، يأتى فيها الامر بذكر الله تعالى ، ومن ذلك قول الله عز وجل : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ » . البقرة ١٩٨ .

والآية تشير الى مرحلة تالية للوقوف على عرفة ، وهى مرحلة المرور بالمزدلفة ، وهى التى أشير اليها بالمشعر الحرام ، والمراد بالذكر الاول هنا أداء صلاة المغرب والعشاء جمع تأخير ، والملاحظ أن الصلاتين قد عبر عنهما بالذكر ففى الجو العام المتسم بالذكر ،أخذت الصلاة اسم الذكر ،وكأن هذه الكلمة ،هى اللغة الجديدة فى الجمع المحشود من كل مكان ، مع اختلاف الألسنة والالوان .. ثم يأتى بعد ذلك تكرار الامر بالذكر « وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ » انه ذكر الشكر لله تعالى على نعمة الهداية للايمان ، الذى بغيره يعيش الانسان فى ضلال مبين ، فلولا هذه الهداية ما كانوا فى هذا المكان ، مجيبين نداء أبى الانبياء ابراهيم — عليه السلام — .

ومن هذه المراحل أيضا ، ما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى : «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » البقرة ١٩٩ .

انها المرحلة التالية للتوقف فى المزدلفة . وهى التوجه الى منى لرمى الجمار . كما جاء عن ابن عباس — رضى الله عنهما — ، وقد جاء الامر فى هذه المرحلة بالاستغفار ، والاستغفار وجه من أوجه الذكر لله تعالى بعد قضاء العبادات ، كما جاء عن صلاة الجمعة « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . الجمعة ١٠ .

✽✽ ومن مواطن الامر بذكر الله تعالى ، ذكره بعد قضاء المناسك والفراغ منها ، فالانتهاء

من المناسك لا ينبغى أن يلهى الحاج عن ذكر ربه ، بل هو مطالب أن يلهج بذكر الله تعالى وأن يكون قلبه معلقا بذلك فى حب وشوق، وحنين ، ففى ظل هذا التعلق الايمانى ، تتضح الموازين، وتتضح الاهداف والغايات ، ولا يعيش الانسان أسير الغاية القريبة غاية الدنيا ، وانما يجعل نصب عينيه الغايتين معا : غاية الدنيا وغاية الآخرة ، وذلك هو ما تشير اليه هذه الآيات من آيات الامر بالذكر فى الحج « **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ. وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** » . البقرة ٢٠٠ — ٢٠٢ .

✱ ويأتى بعد ذلك الأمر بذكر الله تعالى فى أيام التشريق . يقول تعالى « **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** » . البقرة ٢٠٣ .

ان الايام المعدودات هنا هى أيام « منى » الثلاثة بعد يوم النحر ، للحاج أن يكتفى منها بيومين ، أو يكمل الثلاثة ، وكل ذلك على شرط التقوى المصاحبة لذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الأيام ، فالتقوى هى السياج الذى يحوط المؤمن ، أو الذى ينبغى أن يحيط به نفسه ، حتى لا ينزلق فى شىء يخرجه عن دائرة المتصفين بذكر الله عز وجل ، ويأتى التأكيد على شرط التقوى فى هذا الأمر الالهى بها فى ختام الآية « **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** » .

✱ ومن مواطن الذكر ذكر الله تعالى عند ذبح الذبائح فى الحج نسكا وهديا ، وهذا ما تشير اليه هذه الآيات « **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ** » . الحج ٣٦ — ٣٧ .

ففى الآيات أمر بذكر الله تعالى عند اعداد هذه البهائم وتهيئتها للذبح « **فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ** » . فذكر الله تعالى هو الذى يجعل فيها الخير أجرا ومنفعة وهو الذى يجعل النية خالصة لله تعالى ، وهو الذى يحدد مجال التقوى والتعظيم لله فى هذا الموطن من مواطن شعائر الله « **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ** » .

انه موطن يذكر الانسان بما سخره الله له فى هذا الكون ، لقد سخر الله للبشر ما فى السماوات وما فى الأرض ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وانقياد هذه البهائم للانسان

لكى ينتفع بها هو نوع من التسخير الذى ينبغى أن يقابل بالحمد والثناء والشكر ، والشكر اذن على هذا النحو ، انما هو نوع من الذكر ، لانه ذكر للنعمة وموجدها ، وما يقتضيه ذلك من شعور بالعرفان والافتقار الى رب العالمين

« فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وفى مدارج الشكر يرتقى الانسان فى مشاعره وعواطفه درجات ، درجات يحس فيها طعم الهداية يسرى بين جوانحه ، وفى جوانب نفسه فلا يملك الا أن يكبر الله تكبيرا حتى يبلغ منازل المحسنين الذين يستحقون أن ينالوا البشرى التي لا تحد بحدود ــ من رب العالمين **« كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ »** . وهكذا ينبغى أن يكون شأن من قصدوا بيت الله الحرام ، ينبغى أن يبلغوا فى عبادتهم درجة الاحسان وينبغى أن يكونوا جديرين بتسمية « المحسنين » .

** واذا كان الحج اجابة لأمر الله سبحانه وتعالى بأداء هذه الفريضة ، فان هذه الاجابة يجب أن تكون تعظيما لحرمات الله تعالى ولشعائره ، يجب أن يتجاوز الحج الظواهر والاشكال الى ما وراءها من معنى الخضوع والامتثال لأمر الله عز وجل ، فذلك هو الاخلاص فى العبادة ، وهو معنى افراد الله تعالى وتنزيهه عن الشركاء ، وكل ذلك يخلق معنى الذكر الخالص لله تعالى فى كل منسك من مناسك الحج وهو الغاية الكبرى التى تشير اليها هذه الآيات البينات من قول الله تعالى :

« ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ . حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ . ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ » . الحج ٣٠ ــ ٣٢ .

ففى الآيات دعوة الى توحيد الله تعالى ، وعدم الاشراك به ، وفيها تصوير للهوة السحيقة التى ينحدر اليها أولئك الذين يشركون بالله ، ويرتضون لأنفسهم بديلا من أصنام البشر أو من طغاتهم ، ان هذه الهوة ما هى الا الضياع الذى لايقر له قرار ، أو هى المتاهة التى يجعلون أنفسهم فيها بأيديهم ، ويفقدون فيها الأمن الذى لايتذوقه الا المؤمنون المهتدون الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلمات الشرك والالحاد .

** وفى آيات الحج تأتى الاشارة الى ــ أن الله تعالى قد جعل لكل أمة عيدا تذكر فيه اسم الله تعالى ، وهنا يأتى الأمر الالهى الواضح الصريح بما هو مطلوب من هذه الأمة، أمة الاسلام ، التى لها ميزاتها وسماتها الخاصة ، ان المطلوب منها أن توحد الله توحيدا خالصا ، وأن تسلم لله رب العالمين ،

وأن ترضى به حاكما فى طاعة وخضوع ، وهذا هو ماجاء فى قوله عز وجل « **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ • الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** » الحج ٣٤ — ٣٥ •

ان صدر الآية يشير الى الأمر الجامع بين الأمم ، لكن التعقيب على هذا الأمر الجامع أمر له مغزى عظيم ، فيما يتصل بالأمة الاسلامية ، وبماهى مطالبة أن تعمل من أجله دائما وهو أن تكون كلمة الله هى العليا فى كل زمان وفى كل مكان « **فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا** » •

وان ذلك لن يكون مجرد شعار يرفع ، وانما يكون من خلال سلوك يؤتى ويمارس ، من خلال شعائر عملية لايبخل فيها بجهد النفس ، ولاطاقة الروح ، ولاقدرة المال «**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** » •

وبعد • فهذا جانب من حديث القرآن الكريم عن الحج وذكر الله المتجدد فى أيام معلومات **ومعدودات ، وهو حديث نذكره لنتذكر به فى هذه الايام** ، التى نرى فيها كثيرا من شياطين البشر الذين يريدون أن يصرفوا المسلمون عن اسلامهم وقرآنهم بل وايمانهم بالله سبحانه وتعالى •

ان هذا الحشد من الأمر بذكر الله تعالى فى أيام الحج أمر ينبغى أن لانمر به مرور اللاهين أو العابثين •

ان ذكر الله تعالى ، ليس لفظا يتردد على اللسان ، ولاعبارة ترفع فوق شعار ، وانما هو استحضار كلى لجلال الله ولعظمة الله سبحانه وتعالى انه اقرار وايمان بالله وبرسوله وبكتابه المبين ، انه تذكير بأن الأمر لله من قبل ومن بعد ، وبأن منهج الله تعالى الذى ارتضاه لعباده هو المنهج الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، تنزيل من حكيم حميد •

ان ذكر الله المتجدد تذكير لنا بأن نعتصم بالله ، وأن نلوذ به ، وأن نصد عن آذاننا صيحات الصائحين الناعقين ، الذين سول لهم شيطانهم ، فظنوا أنهم يستطيعون أن يقولوا فى كتاب الله قولا ، فيجعلون منه مايصلح لهذا الزمان وما لايصلح ، ولبئس ماظنوا وماقالوا •

ان المؤمنين الذين تمتلىء قلوبهم بذكر الله ، وتطمئن به عليهم أن يواجهوا أولئك المارقين — فى حسم يقول الله تعالى « أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا » الأنعام ١١٤ ، ويقول الله عز وجل « أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » الزمر ٦٤ وبهذه المواجهة الصادقة تكون العاقبة للمؤمنين « وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» الحج ٤٠ •

أ • د طه مصطفى أبو كريشة

ضوابط الشورى في الفقه الإسلامي (٢)

الخاتمة

انتهينا فى المقال السابق الى أن للشورى فى الاسلام ذاتية مستقلة ، تتواءم مع أحكام الشريعة وتلتقى معها ، وأنها وان كانت تستهدف الوصول الى معرفة أقرب الآراء للحق ، فهى فى سبيل ادراك تلك الغاية مقيدة بما حكم الله به ، فاذا كان الله قد حكم فى أمر فلا مجال بعده للرأى ، ولا محل مع قوله للمشورة ، وتلك سمة هامة تتسم بها الشورى فى الاسلام ، وتختلف فيها عن كل مايمكن ان يضاهى بها فى النظم الوضعية .

فالديمقراطية مثلا وان كانت وليدة رأى الكثرة، وثمرة للنضج والخبرة ، الا أنها لايمكن أن تكون أداة لتقرير أمر يقابل حكما قضى الله فيه اذ الاعتبار لحكم الله ولا معول على غيره. مهما ظهر من وجوه النفع فيه ، لأن النفع أيا كان مقداره لا يعتد به اذا خالف حكم الله، وسيكون هدرا ، والمصلحة الحقيقية هى التى تتفق مع شرع الله ولاتختلف معه ، فاذا اختلفت معه كانت هى الضرر بعينه مهما كانت قيمتها ، لأن متاع الدنيا بأسرها لا يمكن أن يعوض العبد والمجتمع الخسارة التى تحل به من جراء مخالفة أحكام الله ، والحق سبحانه يذكر المؤمنين دائما بهذا المعنى فى قوله الكريم :

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » (١) .

ومن ثم كان الخضوع لعمل العقل فى تقدير المصلحة أمرا غير مسلم به مالم يقم على أساس من هدى الشريعة فاذا لم يدرك العقل لاحكامها عله وجب عليه أن يقف موقف الاذعان لله والتسليم لحكمه ، كما رأينا أن الشورى

---

(١) سورة الاحزاب : ٣٦ .

تستهدف مع اختيار أقرب الآراء للحق،تحقيق وحدة الصف فى الأمة وتأليف قلوب أبنائهـا على حب المصلحة العامة من خلال اشتراكهم بالرأى البناء ، فيما للرأى فيه مجـال ٠

والى هذا المعنى يشير قول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** (١) » وعلى ضوء هذين الهدفين للشورى يتحدد مجالهـا ومن خلال تحديد مجال الشورى فى الاسـلام ينبنى حدود الالزام فيها ، وقد بينا أهـداف الشورى أولا ، ونثنى ببيان مجالها ٠

ثانيا : مجال الشورى فى الاسلام ٠٠

ومما تقدم نرى أن مجال الشـورى فى الاسلام يتحدد بغير ماورد فيه نص ، فـاذا د نص عن الشارع سبحانه فمن الواجب شرعا أن يمتثل العبد ماجاء فيه ، فاذا لم يمتثل كان ذلك هجرا لأمر الله ، وبعدا عن طـريق المؤمنين يستوجب المهانة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، قال تعالى : « **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

للدكتور عبد الله مبروك النجار

أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى » (٢) ٠

وقال تعالى : « **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** »(٣)٠

ويتضح من هاتين الآيتين أن العمـل بمـا نزله الله واجب وأن العمل بخلاف ما جاء عن الله سبحانه يستوجب ما جاء فيهما من ذل فى الحياة وعذاب فى الممات ، والنصوص فى هذا المعنى كثيرة ٠

نطاق الالتزام بالنص :

ونطاق الالتزام بالنص فى مجال الشورى يمتد ليشمل كل حكم يؤخذ من مصادر الشريعة الاسلامية الغراء ، ذلك أن طالب الحكـم فى

(١) سورة ال عمران : ١٥٩ ٠
(٢) سورة طه : ١٢٤ ، ١٢٦ ٠
(٣) سورة النساء : ١١٥ ٠

مسألة معينة عليه أن يتلمس ذلك الحكم من مصادر الفقه الاسلامى ، ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن شريعة الله عامة وخالدة ، ومن مظاهر عموميتها أنها قد تكفلت بالحكم والتوصيف لكل سلوك يصدر من العبد مهما بلغ قدره وهى فى هذا الصدد جديرة بحكم السلوك الانسانى فى حالتى السر والعلن ، لأن الذى شرع أحكامها هو الله الخالق سبحانه الذى خلق الانسان ويعلم ماتنطوى عليه نفسه قال تعالى : « وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ » ،(١) وقال تعالى : « يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » ، (٢) وقد أرشد الحق سبحانة وتعالى عباده الى أن أى عمل يصدر من العبد مهما بلغ مقداره فان له عند الله حكما ، كما أن له فى شرعه وصفا ، قال تعالى : « فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »(٣) .

وعلى هذا النحو فان مصادر الشريعة تتناول المنقول والمعقول .

والمنقول هو الكتاب والسنة ، والاجماع ، والنقل بالنسبة للكتاب أمر معلوم لان الله قد وعد بحفظه وقد نقل الينا متواترا عن الله عز وجل لم يتغير ولن يتغير الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، فالعمل بما جاء فيه واجب وسنة الرسول ﷺ هى ما أثر عنه عليه الصلاة والسلام من أقواله وأفعاله وتقريراته . وقد قيض الله لها علماء أفذاذا أخلصوا لله غايتهم وردوا عنها كل دخيل ،كما وضعوا معايير لفهمها ، واستنباط حكم الله منها ، فصارت مع الكتاب هما أصل الشريعة ومصدر أحكامها وهما الأساس الذى يضبط تصرف العبد على نحو ما أراده الله ، ذلك هو معنى النقل فى الكتاب والسنة ، أما وجهته فى الاجماع ، فانه هو المصدر الثالث للأحكام وحقيقته تتمثل فى اتفاق المجتهدين من أمة سيدنا محمد ﷺ فى عصر من العصور على أمر من الامور ، فاذا ما تحقق على مسألة وجب اتباعه كالكتاب والسنة ، ومن ثم وجب على طالب الحكم الشرعى أو المجتهد فى طلبه أن يتتبع المسألة التى تحقق الاجماع فيها ، وأن يعرف الحكم منها ، ومن ثم كان الاجماع بالنسبة له فى حكم المنقول كالكتاب والسنة ، وقد قام فيهما الدليل على حجيته .

وأما المعقول فانه لا يعنى اطلاق العنان لعمل العقل فى الوصول الى الحكم ، وانما يقصد به ترشيد عمله فى هذا المجال الخطير من خلال مقاييس محددة تنظم عمله ، وتضبط نشاطه ، بالقواعد الشرعية التى استقر معناها فى نظر علماء الأصول ، وذلك كالقياس والمصالح المرسلة ، والاستحسان والعرف ، فهى مصادر عقلية ضبطها علماء الاصول لاستنباط الاحكام

(١) سورة النحل : ١٩ .
(٢) سورة التغابن : ٤ .
(٣) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

الشرعية منها ، حين لا يمكن الوصول اليها بالرجوع الى الكتاب أو السنة أو استقراء المسائل التى تحقق الاجماع بالنسبة لها •

ومن المؤكد أن الرجوع الى مصادر الشريعة الاسلامية لاستقراء الاحكام الشرعية منها ، امر يقدم على ما تسفر عنه الشورى اذا اختلفت معه ، سواء أكان هذا الحكم مأخوذا من المصادر النقلية أم العقلية لها ، ولا يمكن أن يحتج فى مقابل حكم الله ، بأن ما أسفرت عنه الشورى بمثل رأى الأغلبية أو الكثرة ، لأن الكثرة لا يعتد بها فى مخالفة حكم الله كما قلنا وقد قام الدليل على ذلك من الكتاب والسنة وعمل الصحابة وذلك على النحو الآتى :

١ ـ من القرآن الكريم :

(أ) يقول الله تعالى : « وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » (١) ، ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم ، أن الحق سبحانه يخبر عن حال أكثر أهل الأرض من بنى آدم ، وأنه هو الضلال والبعد عن طريق الله وهم فى هذا الضلال ليسوا على يقين من أمرهم وانما هم فى ظنون كاذبة وحسبان باطل (٢)، ولا يتصور وحال أمرهم على هذا النحو الذى أخبر عنه الله تعالى أن يتحقق من خلاله اطمئنان على تحقيق مصلحة ، وما ذلك ، لمخالفة أمر الله وسيطرة الظنون الكاذبة على ما يرونه ، من آراء تخالف أحكام الله ، ففى الآية الكريمة ما يرشد الى هذا المعنى •

(ب) ويقول الله تعالى : « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ • فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ » (٣)، ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم ، أن الحق سبحانه ، قد أمر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يحكم بين الناس بما أنزله الله عليه فى كتابه ، وأن لا يتبع آراءهم التى اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله عز وجل (٤) ، والخطاب الموجه للنبى ﷺ يسرى على أمته ، ومن ثم وجب أن يكون الحكم بينهم على نحو ما أمر الله به ، فاذا تعارض ما يرونه مع حكم الله كان ذلك هو الحكم بالنزوة وهوى النفس ، وشتان بين الأمرين ، وعلى هذا النحو فان الآية الكريمة تدل على وجوب العمل بحكم الله اذا ما أسفر رأى الكثرة على خلافه •

---

(١) سورة الانعام : ١١٦ •

(٢) راجع فى هذا المعنى : مختصر تفسير ابن كثير ـ جـ ١ ص ٦١١ •

(٣) سورة المائدة : ٤٩ •

(٤) راجع : مختصر تفسير ابن كثير ـ جـ ١ ص ٥٢٤ •

٢ ـ ومن السنة المطهرة :

ماروواه ابن هشام فى سيرته ، أن رسول الله ﷺ كان قد نزل منزلا فى غزوة بدر ، ورأى الحباب بن المنذر بن الجموح أنه ليس بمنزل، فقال للرسول ﷺ وهو يستشير أصحابه فى هذه الغزوة : يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ ، قال الرسول ﷺ : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » ، قال الحباب يا رسول الله : فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فتنزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم .

فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرأى» ، وأمر بانفاذ رأيه (١) .

ويستفاد مما رواه ابن هشام ، ان الحباب ابن المنذر وهو بصدد ابداء رأيه فى المشورة ، قد سأل رسول الله ﷺ عن ما فعله ، هل هو من الوحى أم لا ؟ ، فدل ذلك على أن أمور الوحى لا مجال فيها لابداء الرأى ولا للمشورة.

وقد صدر هذا القول فى حضرة النبى ﷺ، مدل ذلك على أنه من الأمور التى فهمها عنه أصحابه ، وفى هذا ما يدل على وجوب العمل بأحكام الله تعالى ، اذا اختلفت مع ما تسفر عنه الشورى .

٣ ـ ومن القياس والأثر :

ماروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، حين انتقل الرسول ﷺ الى جوار ربه وارتد من ارتد من العرب ، رأى عمر رضى الله عنه عدم قتالهم ما داموا لم يقترفوا سوى امتناعهم عن دفع الزكاة ، وشاركه ، فى رأيه كبار الصحابة كأبى عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبى حذيفة ، الذى كان حجة فى كتاب الله وكثيرون غيرهم ، وأبو بكر يأبى الا أن يحارب الذين منعوا الزكاة ، ويقول : « ان الزكاة حق المال ، وفيها نحارب بالحق ، فما كان من عمر الا أن رأى ما شرح الله به صدر أبى بكر » (٢) .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال : « لما توفى رسول الله ﷺ ، واستخلف أبو بكر بعده ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر لأبى بكر : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » .

فقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ ، لقاتلتهم على منعه .

فقال : عمر فو الله ما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » (٣) ووجه الدلالة فى هذا الاثر ، أن

---

(١) السيرة النبوية ـ لابن هشام جـ ٢ ص ٢٥٣
(٢) راجع فى هذا المعنى : عبقرية عمر ـ ص ١٥٤ الطبعة الرابعة .
(٣) صحيح البخارى ج ٩ ص ١٠٢ ـ المطبعة الميمنية سنة ١٣٢٣ هـ ، ونيل الاوطار للشوكانى ـ ج ٤ ـ ص ١٣٤ الطبعة الاخيرة .

أبا بكر قد أمضى رأيه فى قتال المرتدين رغم مخالفة ذلك لما أشار به كبار الصحابة ، استنادا الى قيام رأيه على مصدر الشريعة وهو القياس، حيث قاس ترك الزكاة على ترك الصلاة ، وأعطى حكم الثانية للاولى ، وقد قال الله تعالى: « فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ » (١) .

ومن ضروب الاعتبار الحاق النظير بنظيره والشبيه بشبيهه فى الحكم ، وقد فعل هذا أبو بكر ، وأمضى رأيه بناء على تلك القاعدة ، وقد أدرك الصحابة قوة رأيه ، فيما بعد،وأمنوا بصحة أساسه واشتركوا معه فى التنفيذ بعد اقتناع به .

وفى ذلك الأثر ما يدل على وجوب العمل بحكم الله فى مقابل رأى الجماعة اذا رأت خلافه ، حتى ولو كان طريق استنباط هذا الحكم من المعقول وهو القياس .

ونخلص من هذه الدراسة الى أن مجال الشورى مقيد بما حكم الله به ، ويخرج من نطاقه الاحكام التى يمكن تلمس حكم الله فيها بالحل أو الحرمة ، أو الجواز وعدمه ، فاذا ما أمكننا الوصول الى حكم الله فمن الواجب أن يعمل به ، سواء كان مصدر هذا الحكم نصا فى الكتاب أم السنة ، وسواء كان ثابتا بالمنقول أم المعقول على نحو ما استبان لنا .

وفى هذا المعنى يقرر الشيخ محمد أبو زهرة: أن القرآن قد جعل الشورى أصلا عاما لكل شئون المسلمين فيما لا يرد فيه نص(٢) ، ويكون ما ذهب اليه البعض من أن الاسلام يحث على الشورى فى مهام الأمور على الاطلاق (٣) ، قولا يحتاج الى تقييد يبين حدوده على نحو ما سلف .

المسائل التى تخضع للشورى

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول أن المسائل التى تخضع للشورى فى الفقه الاسلامى هى التى يكون للرأى فيها مجال وهى متعددة وكثيرة منها مثلا .

اختيار الامام ومن يتولون القيام بالمصالح العامة معه ، ومنها أساليب تدبير مصالح الناس بما يستتبع التوسعة عليهم فى العمل وزيادة الانتاج عن طريق التوسع الصناعى والزراعى والانتاجى ، ومنها أخذ رأى العلماء والمتخصصين فى انجاز المهام التى تحتاج الى علم وخبرة وتخصص كالطب والهندسة وغيرهما .

وعلى هذا النحو يمكن تأصيل تلك المسائل وارجاعها الى معيار يصدق عليها ، وهو مايكون للرأى فيها مجال ، وصدق الله اذ يقول : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » ، هذا بالنسبة لمجال الشورى ، أما مدى الزامها والعمل بما تسفر عنه ، فاننا سوف نقوم ببيانه فى مقالنا القادم بإذن الله ، والله الموفق والمعين .

دكتور/عبد الله مبروك النجار

---

(١) سورة الحشر : ٢ .

(٢) ابو زهرة : المذاهب الاسلامية ص ٣٧ ولعل مراده نص على الحكم فيشمل المنقول والمعقول .

(٣) دكتور على عبد الواحد وافى ــ الحرية فى الاسلام ــ عدد اقرأ ص ١٠٧ دار المعارف ١٩٦٨ .

(٤) سبق تخريج الآية .

لا يا سيادة السفير
فى القرآن الكريم
ما يفرض الحجاب على المسلمات

من جديد عاد السيد السفير حسين أحمد أمين ليكرر دعواه بأنه لا توجد آية فى القرآن الكريم تفرض الحجاب على المسلمات ٠٠ وأنه ليس للحجاب أية علاقة بالاسلام ٠٠وأن الحجاب لم يفرض الا على زوجات الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ٠

وانى لأعجب من تلك الأفكار التى يطالعنا بها سيادته : بأنه لا توجد آية فى القرآن الكريم تفرض الحجاب على المسلمات ٠٠ بأنه قد أهدانا الدليل على بطلان دعواه ، وذلك بما ساقه بنفسه فى مقدمة مقاله الثانى عن الحجاب ، والذى سبق أن نشرته جريدة « الأهالى » ٠٠ حيث سجل المعنى اللغوى لكلمة « حجاب فى « لسان العرب » ، بأن معناها : الستر والحائل بين الشيئين ،

وسيادته ـ بلاشك ـ فى استعراضه للمعنى اللغوى لكلمة : « حجاب » ٠ واستنتاجه : بأن القرآن لم يفرض الحجاب ٠٠ « يعتبر متناقضا مع نفسه » والمعنى اللغوى حجة عليه وليس دليلا له ، وآيتا الحجاب فى كتاب الله تعلنان عن أنفسهما فى وضوح وجلاء ٠٠ أعنى بهما :

الآية ٣١ من سورة النور : « **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** » ـ أى فتحة العنق والصدر من الثياب ـ الى ان قال سبحانه : « ٠٠٠ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ٠٠ »

والآية ٥٩ من سورة الأحزاب : « **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ** ٠٠٠ »

ولئن كان الأمر يحتاج الى تبيان أكثر لدعوة هاتين الآيتين الى الحجاب وفرضه على المسلمات ، فاننا نسأل سيادته : مادمت لديك قناعة بأن الحجاب معناه : الستر ، والحائل بين

الشيئين .. أفلا ترى فى غض البصر سترا وحائلا دون الوصول الى التشهى الذى يقود الى الفاحشة ؟؟ ثم أترى حفظ الفرج يمكن أن يتم دون ستره والحيلولة دون رؤيته ؟؟ ثم ألا ترى فى ضرب الخمار على الجيوب — سترا وحائلا دون الكشف عن مواطن الفتنة ؟؟

ثم ألا ترى أن النهى عن ابداء الزينة سترا وحائلا دون اثارة الغريزة ؟؟ ثم ألا ترى فى النهى عن الضرب بالأرجل — خشية أن تنكشف السيقان وتظهر الملابس الداخلية — سترا وحائلا دون ابداء ما يوقظ الشهوة ؟؟ ثم ألا ترى فى أمر الله لنبيه بأن يأمر زوجاته وبناته ونساء المؤمنين ليدنين عليهن من جلابيبهن سترا يعرفن به ويميزن فيحول ذلك دون ايذائهن بالمعاكسة أو التعدى ؟؟ أليس فى ذلك كله ما يقنع سيادتك — وقد عرفت الحجاب بالستر بأن القرآن قد فرض الحجاب ؟؟

انك فى بحثك بين الآيات عن كلمة حجاب بلفظها كشرط لاقرارك بأن القرآن قد فرض الحجاب ؟ انما تضع نفسك فى دائرة من ينكر ضوء الشمس من رمد ، أوينكر طعم الماء من سقم .. ولا أحب لك أن تكون كذلك !!

ثم ان ما ذكرته من أن الفرس قد عرفوا الحجاب قبل الاسلام بألف عام أو أكثر .. فأنا معك فى ذلك ، بل انى أذكر سيادتك بما سقته فى مقال سابق من نصوص وردت فى العهد القديم والعهد الجديد تتحدث عن « النقاب » و « البرقع » وتحث النساء عليهما .. غير أنى لست معك فى أن هذا يمكن أن يصلح دليلا على أنه لا علاقة للاسلام

للشيخ مهدى عبد الحميد

بالحجاب .. فشرع من قبلنا شرع لنا الا اذا وجد فى شرعنا ما يخالفه .. والاسلام أقر كل عرف يحيى فضيلة ، أو يدفع رذيلة .. ورسولنا الأعظم ، ونبينا الأكرم — صلوات ربى وسلامه عليه — ضرب لنا فى حديث شريف ، مثله ومثل الأنبياء من قبله ، كمثل رجل بنى دارا ، فحسنها وجملها الا موضع لبنة فى زاوية من زواياها .. فجعل الناس يطوفون حولها ، ويعجبون لها ، ويقولون! هلا وضعت تلك اللبنة ثم قال : « فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

وصدق ربنا العظيم : « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ... »

بل انى على علم بأن الحجاب كان معروفا قبل الفرس بين العبرانيين من عهد سيدنا ابراهيم — عليه السلام — وظل معروفا بينهم أيام أنبيائهم جميعا الى ما بعد ظهور النصرانية .

سيادة السفير . وياكل القراء .

« هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » « فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » .

مهدى عبد الحميد

الأعياد في الإسلام

الأعياد : ظاهرة اجتماعية بشرية ، وهى فرصة متاحة : تعبر فيها الجماعات عن سرورها بحادث من الحوادث السعيدة : كالتوفيق الى اتمام شعيرة دينية ، أو انتصار على عدو .

والأعياد فى كثير من الأمم والشعوب : مجال خصب للهو المشين ، والعبث المريب ، فمظاهر الفرح : فيها تداع الى الشراب ، والى الندوات الماجنة : التى تستنزف العقول والأموال ، لذا كانت الاعياد فى كل أمة : مظهراً من المظاهر التى تعبر عن شخصيتها .

والاسلام : وهو دين الانسانية بأسرها ، والحريص على خيرها واسعادها : أقر فكرة الأعياد كظاهرة اجتماعية ، فجعل للمسلمين : عيدين اثنين ، ابتهاجا بالنعمة ، واظهارا للفرحة : فهما أشبه بواحتين جميلتين ، فى صحراء الحياة : يجد فيهما المسلم : من الظل والنعيم ، والمتعة الحلال : ما يملأه : نشاطا وبهجة .

ان النبى ﷺ : لم يرض أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها فى الجاهلية قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيدين مرتبطين بعبادتين عظيمتين : من أهم العبادات فى لاسلام وهما :

١ — **عيد الفطر :** بعد أن ينتهى المسلمون من عبادة الصوم ، فى شهر رمضان المعظم ، حيث يفرحون بفطرهم ، وعبادتهم لله عز وجل .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « للصائم فرحتان يفرحهما ، اذا أفطر : فرح بفطره ، واذا لقى ربه : فرح بصومه »(١) .

٢ — **وعيد الأضحى :** بعد أن يؤدى حجاج بيت الله الحرام : أهم ركن فى عبادة الحج : وهو الوقوف بعرفة ، حيث يفرحون ويفرح أهلوهم : بما أدوا من عبادة : فى أطهر بقعة وأقدسها .

عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما : فى الجاهلية ، فقال ﷺ : أبدلكم الله بهما خيرا منهما : يوم الأضحى ، ويوم الفطر » (٢) .

وبهذين العيدين المباركين : توحدت أعياد العرب ، وأعياد المسلمين عامة ، وقضى الاسلام على تلك الأعياد المتكاثرة : المتفرقة فى البلدان ، والقبائل ، والتى كانت مجالا للعبث والفجور .

وفى هذين العيدين المجيدين : يلتقى فى الاسلام : الدين بالدنيا : فى كل مظهر من مظاهر الحياة ،

فالعيد : ساعة من ساعات الدهر النادرة : التى يسود فيها الصفح ، ويسود فيها العفو ، وتسود فيها المحبة ، وتطيب فيها

(١) رواه البخارى .

(٢) اخرجه ابو داود

فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

النفوس • تتفتح من القلب فيها : نوافذ تظل أكثر العام مغلقة ، وفى فتحها للقلب التهوى ، وفتحها يخرج ما تجمع فيه على مر الزمن : من حقد واحن ، وغل وعفن •

حقا : ان العيد : ربيع حياة الانسان ، كما أن للأرض ربيعا تزخر فيه بأنواع النبات : وربيع الحياة الانسانية : هو هذه الفسحة الالهية وتحقيق ما تتطلبه الأمة من أسباب الكمال •

ان عيد الفطر : حفل ربانى أقيم بين السماء والأرض ، تشترك فيه الملائكة من الملأ الأعلى ، والطائعون من عباد الرحمن •• وفى هذا الحفل الذى يقام يوم العيد : يقدم الصائمون محصول عبادتهم : خلال شهر رمضان ، ويقدم الله لهم أثناءه : جائزة التوفيق فى عملهم ، فالأفراح فى الأرض ، والأفراح فى السماء •• وفى عيد الأضحى : يلتقى المسلمون على مائدة الرحمن عز وجل ، فهو لذلك يوم أكل وشرب ، وتمتع بالطيبات التى أحلها الله ، وفيه يحتفل المسلمون ، ابتهاجا بتوفيقهم الى أداء فريضة الحج . وتحقيق آمالهم فى زيارة البيت المعظم ، ولثم الحجر الأكرم ، والحظوة بالشراب من ماء زمزم ، ويشترك سائر المسلمين مع الحجاج فى الاحتفال بهذه المناسبة ، ويقوم القادرون منهم : بنحر أضاحيهم ، تقربا الى الله تعالى •• عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « ما عمل آدمى من عمل يوم النحر : أحب الى الله من اهراق الدم ، وانه لتأتى يوم القيامة : بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وان الدم ليقع من الله بمكان ، قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفسا » (١) •

ويندب احياء ليلتى العيدين : بالذكر والتكبير والدعاء والاستغفار ، كما يستحب كثرة البذل والعطاء للمحتاجين والفقراء والبائسين •

أما وقت التكبير : فيبتدىء من رؤية هلال شوال ، حتى يغدو الناس الى المصلى ، ويصعد الامام على المنبر ، لقول الله تعالى : **« وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (٢)** ••

أما فى الأضحى : فوقته من فجر عرفة ، ويمتد الى العصر من آخر أيام التشريق ، لقوله تعالى : **« وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ » (٣)** •

ويستحب التكبير فى كل وقت من هذه الأيام ، سواء كان قبل الصلاة ، أو بعدها ، أو فى الطريق العام ، أو فى المجالس الخاصة •• وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكبر فى قبته بمنى ، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ، ويكبر أهل السوق ، حتى ترتج منى : بالتكبير ••

وكان عبد الله بن عمر — رضى الله عنه — يكبر : بمنى تلك الأيام ، وخلف الصلوات ،

◄

(١) رواه ابن ماجه والترمذى والحاكم .
(٢) سورة البقرة : ١٨٥ •
(٣) سورة البقرة : ٢٠٣ •

الأعياد فى الإسلام

وعلى فراشه فى فسطاطه ، ومجلسه وممشاه .. لأن التكبير هو شعار هذه الأيام ، ورمز بهجتها وجمالها ، وما أروع أن نملأ الكون كله : بتكبير الله عز وجل ..

وصيغته يعرفها المسلمون جميعا : وهى كما وردت عن عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنهما : الله أكبر ـ الله أكبر .. لا اله الا الله .. والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد » ..

ولا بأس بالزيادة على هذه الصيغة بما يردده المسلمون اليوم ، فتهتز بها : رحبات المساجد ، وجنبات الحياة ، ويخفق قلب الوجود ، ويخشع الكون كله ، اجلالا لله تبارك وتعالى ..

ويستحب الغسل والطيب ولبس أجمل الثياب : روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده : « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يلبس برد حبرة فى كل عيد » حبرة من برود اليمن ..

كما يسن الأكل : يوم الفطر ، قبل الخروج الى الصلاة : بأن يأكل تمرات وترا ، وتأخير ذلك فى عيد الأضحى ، حتى يرجع من المصلى ، فيأكل من أضحيته . عن أنس رضى الله عنه قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم : لا يغدو يوم الفطر ، حتى يأكل تمرات ، ويأكلهن وترا » (١) ..

وعن بريدة رضى الله عنه قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا يغدو يوم الفطر ، حتى يأكل ، ولا يأكل يوم الأضحى ، حتى يرجع » (٢) .. زاد أحمد : « فيأكل من أضحيته » .. وعن سعيد بن المسيب : « أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل ، قبل العدو يوم الفطر » .. (٣) ..

ويسن أداء صلاة العيدين فى الصحراء ، أو فى مكان فضاء ، ما لم يكن هناك عذر كمطر ونحوه ، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : كان يصلى العيدين فى المصلى .. موضع بباب المدينة الشرقى .. وذلك خلافا للشافعية ، فانهم قالوا : ان أداءها بالمسجد : أفضل لشرفه ، الا لعذر كضيقه ، فيكره الزحام فيه ، وحينئذ : فسن فى الصحراء ..

ويندب أن يخرج الى المصلى : ماشيا ان أمكن ..

واللعب المباح ، واللهو البرىء والغناء الحسن : فى يومى العيدين : رياضة للبدن ، وترويح للنفس لا حرج فيه .. عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى يوم عيد ، فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لى منكبيه ، فجعلت أنظر اليهم من فوق عاتقه ، حتى شبعت ، ثم انصرفت » (١) .. وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعندى جاريتان : تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ودخل أبو بكر ، فانتهرنى ، وقال : مزمارة الشيطان عند النبى

---

(١) رواه احمد والبخارى .
(٢) رواه الترمذى وابن ماجه

(٣) اخرجه مالك فى الموطأ .
(١) سورة البقرة : ٢٣٦ .

ـ صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، فقال : دعهما فلما غفل : غمزتهما فخرجتا » (٢)

واذا كان الاسلام : قد رخص فى شىء من اللهو البرىء فى الأعياد ، استمتاعا بما فيه من لذة لا تخدش دين المسلم ولا حياءه ..

فقد ندب الى البر المادى ، لتتكامل مظاهر التكافل الاجتماعى فيها : ماديا وخلقيا .. فسن زكاة الفطر : يوم عيد الفطر ، وهى قدر مخصوص من المال عينه للفقراء : فى ذلك اليوم ، سدا لعوزهم ، ودعوة للمشاركة فى السرور به ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « فرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : زكاة الفطر : طهرة للصائم : من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة : فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة : فهى صدقة من الصدقات »

وقال عليه الصلاة والسلام : « أغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم » .

كما ندب الى مشاركة الفقراء : فى الأضحية ، فى عيد الاضحى ، وجعل لهم ثلثها ، ليستمتع بفضل الله ونعمه : المسلمون جميعا ، حتى لا يكون من جماعتهم : من يعضه ألم الجوع ولوعة الحرمان » .

وبهذا تصبح الأعياد : أعيادا اجتماعية ، يشترك فى الابتهاج بها : الأغنياء والفقراء .. فى جو محتشم ، يسوده الحب والايثار ، وتحقق فيه رغبات الأفراد ، ومصلحة الجماعات .. ومما صحب أعيادنا من تقاليد : اعداد أطعمة خاصة بها ، والتوسع فى الانفاق عليها ، ففى رمضان : تتبارى الأسر فى اعداد الكعك وفطائره ، وتبذل فى الانفاق عليه ما يرهق بعضها ، وبسبب أزمات عائلية خطيرة ، قد تنتهى بانهيار الأسر ، وتقويض دعائمها ، ويأبى كثير من النسوة : قبول الأعذار فى اعداده والاستدانة وبيع المتاع : احدى وسائل هؤلاء ، لتغطية نفقات الكعك !! .

وفى عيد الأضحى : تتبارى الأسر فى عمل الفطائر والحلوى ، والتلوين فى اعداد اللحوم لتستكمل مظاهر العيد ، وتحافظ على ما ورثناه من تلك التقاليد ..

ولا شك أن تعاليم الاسلام : لا تقر الاسراف فى أى وقت ، ولا فى أية مناسبة .. والتوسط والاعتدال : من أهم أصوله « عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ » (١) « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (٢) ..

دخل رجل على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم عيد : فوجد بين يديه خبزا خشنا ، فقال : يا أمير المؤمنين يوم عيد وخبز خشن ؟ فقال له الامام على « اليوم عيد من قبل بالأمس صيامه وقيامه ، عيد من غفر ذنبه ، وشكر سعيه ، وقبل عمله ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا يعصى الله فيه : فهو لنا عيد » .

وبعد :

فمن الواجب : أن تتحد أعياد المسلمين ، ليكون العيد : تعبيرا عن فرحة شاملة ، تعم العالم الاسلامى كله ، وليكون سبيل هذه الأمة : التى هى خير أمة أخرجت للناس : الى الوحدة ، واجتماع الكلمة ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » (٣) ..

---

(٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٣) سورة الانبياء : ٩٢ .

الفتاوى

من السيد / ط ٠ م ٠ موسى ٠

س : ما حكم مشاهدة أفلام التليفزيون والفيديو ؟

ج : مشاهدة التليفزيون والفيديو اذا ترتب على مشاهدة أفلا مهما وما يعرض فيهما من أغان ومسرحيات اثارة فتنة أو تحريك شهوة أو قارنه تضييع واجب أو ارتكاب محرم فهو حرام ٠

أما اذا كان ما يذاع فيهما لا يؤدى الى ذلك بأن كانت الأفلام اجتماعية هادفة أو وطنية ، أو تعالج مشاكل المجتمع ، أو تحكى تاريخ النابهين من العلماء والمفكرين فلا مانع من مشاهدة ذلك ٠

س : ما حدود طول الثوب وما حكم تطويله ؟

ج : تطويل الثوب قد يورث الخيلاء والتعالى ويحمل القاذورات التى تكون فى الطريق لذلك فمن الأفضل تقصيره حتى لا يحمل النجاسات وتجنبا للخيلاء ٠

س : من السيد /م ٠ ع سيد أحمد ٠ أبها ـ محايل ـ السعودية

ما الذى يمكن أن يراه من يريد أن يخطب فتاة ؟

ج : اذا عقد انسان العزم على خطبة فتاة فانه يجوز له أن ينظر منها الى الوجه والكفين فانه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : واذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها اذا كان انما ينظر اليها لخطبة وان كانت لا تعلم »

س : من السيد س ٠ م سلامة

١ ـ حلفت على زوجتى لو خرجت من البيت تكونين طالقا ٠٠ وخرجت وأنا أريد به التهديد ؟

٢ ـ ثم قلت لها : أنت طالق وراجعتها أثناء العدة ٠

٣ ـ وقلت لها مثل السابق أنت طالق وراجعتها أثناء العدة ٠

٤ ـ كنت فى حالة سكر لا أدرى ما أقوله ٠٠ وقلت لها أثناء ذلك : أنت

إعداد:
عبد الحميد السيد شاهين

طالق بالثلاثة وقد أخبرتنى زوجتى بذلك .. فما الحكم ؟

ج : عن الأول : هذا يمين معلق قصد به التهديد والمنع فلا يقع به طلاق .

وعن الثانى : فانه يقع به طلقة رجعية وحيث انه راجع زوجته أثناء العدة فان الرجعة صحيحة .

وعن الثالث : بأنه مثل سابقه يقع به طلقة رجعية وحيث انه راجعها أثناء العدة فالرجعة صحيحة .

وعن الرابع : مادام الحالف كان فى حالة سكر لا يدرى ما يقوله فان الطلاق فى هذه الحالة لا يقع .

وبهذا يكون جملة ما وقع طلقتان وتبقى معه على طلقة واحدة ... فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره .

س : من السيد / س . الدسوقى . توفى عن ابن ، بنتين . أولاد ابن ذكور فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد الابن المتوفى بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان حيا وقت وفاة والده فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ .

فتقسم التركة ثلاثة أجزاء : جزء منها وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم بالتساوى ، والباقى وهو جزءان هو الميراث للابن والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

س : من السيد / ع . ب نصار توفيت عن : أم ، أخت شقيقة ، أولاد أخ شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأم الثلث فرضا لعدم الفرع الوارث أو عدد من الاخوة والأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها ، والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ...

ولا شىء للاناث من أولاد الأخ لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله أعلم

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور
محمد السماحى

** مولده ونشأته (١) :

ولد الدكتور محمد محمد السماحى فى ٩ من مارس ١٩٠٧ م فى قرية برج البرلس مركز البرلس غربية •

نشأ رحمه الله فى بيئة دينية • فقد كان أبوه الشيخ محمد السماحى من علماء الأزهر • وكان اماما ومدرسا ومفتيا للبلد •

حفظ شيخنا القرآن فى القرية قبل أن يلتحق بالأزهر مع تجويده •

فقد كان من محاسن الحفظ أن يحفظ القرآن مجودا ، فمن أتم الحفظ أصبح ملما بأحكام التجويد والأداء •

ثم التحق بالأزهر فقضى دراسته الأولية فى معهد دسوق الدينى ، وبعدها انتقل الى طنطا للدراسة الثانوية الأزهرية ، واتصف فى هذه المرحلة بالجد والاجتهاد فى الدراسة • كما أنه كان مثالا للأخلاق الفاضلة والسلوك الطيب •

ثم التحق بكلية الشريعة الاسلامية فى بداية انشائها ، وكان يقضى كل وقته فى طلب العلم •

** قدر الله :

ولما كان فى السنة الرابعة من كلية الشريعة نجح فى كل العلوم بتفوق عدا علما واحدا هو « أصول الفقه » فقد أراد الله — لحكمته أن تقل درجات الشيخ فى هذا العلم درجة

(١) المعلومات الخاصة بحياة الشيخ حصل عليها الكاتب من أخى الشيخ فضيلة الأستاذ الشيخ على السماحى • والخاصة بالمؤلفات حصل عليها من صهره الشيخ أحمد حسن جابر •

للأستاذ عاطف زهران

واحدة عن النهاية الصغرى وكأن الله أراد بذلك أن يحتبسه عاما بهذه السنة ليلتحق

بعد نجاحه فيها بقسم الدراسات العليا للحصول على الأستاذية (الدكتوراه) التى

تؤهل للتدريس فى الكليات . ولم يكن هذا القسم قد أنشىء عام رسوبه ، ثم أنشىء فى

السنة التالية عقب نجاحه . وقد كان من أكبر رغباته أن يكون محصلا لأكبر قسط من العلم

فى هذا التخصص ليعمل مدرسا بالجامعة وقد كان .

*** * بين الشريعة وأصول الدين :**

كانت مدة الدراسة بقسم الأستاذية ست سنوات أربع منها للحصول على « الماجستير »

وهو درجة التخصص .. وسنتان للحصول على « الأستاذية » وهى « الدكتوراه » .

وقد أنهى دراسته بالتخصص بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين ، فقد

كان القانون يسمح لمن حصل على عالية الشريعة أن يلتحق بقسم التفسير والحديث

بكلية أصول الدين وحصل الشيخ منه على الاستاذية سنة ١٩٤٤ م . وبذلك جمع الشيخ

بين علوم الشريعة وعلوم أصول الدين حسب رغبته واتجاهه الطيب،ثم عين مدرسا للتفسير

والحديث بكلية أصول الدين وبعد سنوات عدة أعير الى « المملكة الليبية » مدرسا

للعلوم الدينية فقضى بها عدة سنوات من ١٩٦٥/١٢/١٧ — الى — ١٩٦٨/٩/٣٠ .

*** * أسفاره :**

عاد الشيخ من ليبيا الى كلية أصول الدين فعين رئيسا لقسم الحديث بالكلية ثم سافر الى المملكة العربية السعودية أستاذا للدراسات العليا بكلية الحديث بمكة المكرمة فى العام الدراسى ١٩٧١ . وعاد فى ٩ مارس ١٩٧٢ . ثم أحيل الى المعاش .

من أعلام الأزهر

ويبدو أنه قضى هناك فترة أخرى بعد احالته الى المعاش حتى عاد منها مريضا فى ١٩٣٤م .

**** من مواقفه :**

لم يكن الرجل يسعى لنيل شهرة ولا لمنصب دنيوى . فقد كان خادما للعلم وحسبه ذلك . وهذا يفسر لنا بعض مواقفه الطيبة فى قول الحق الذى حفظه الله ــ سبحانه ــ به .

ونسرد هنا بعض مواقفه :

استمع الى محاضرة أحد رؤسائه ــ وهو فى ليبيا ــ فلما سمعه يخالف ما عليه الاجماع قال كلمة الحق مستعدا لما يعقبها من أمور .

ونزلت لجنة الامتحان على رأيه فكان لابن أحد الأمراء دور ثان فى بعض المواد ...

وفى مصر أثناء انعقاد أحد المؤتمرات بقاعة الامام محمد عبده بالجامعة الأزهرية تحدث مسئول سياسى كبير فى تفسير قول الله تعالى (فك رقبة) ففسرها تفسيرا لا يتفق والكتاب العزيز . فأعلن الشيخ السماحى أمام المؤتمرين فساد ذلك التفسير وبين وجه الحق فيه .

آثاره

حين نتحدث عن آثار الشيخ السماحى يأخذنا العجب اذا علمنا أن ما طبع منها أقل من نصف مالم يطبع ، وما طبع منها يندر الحصول على نسخ منه .

ونخشى على تراث الشيخ المخطوط أن يلفه النسيان . ونسأل الله أن يوفق أبناءه وعارفى فضله وبعض من تسلم شيئا من مؤلفاته بمجمع البحوث الاسلامية أن يقوم بما عليه من واجب نحو احياء تراث الرجل (١) .

**** مؤلفاته :**

١ ــ المنهج الحديث فى علوم الحديث .
قسم مصطلح الحديث (طبع) ويحوى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الوسيط . وهو خاص بالحديث وأطواره التاريخية . وقد طبع الكتاب سنة ١٣٧٧ هـ ويحوى ثلاثة أقسام : قسم مصطلح الحديث ، وقسم الرواية ، وقسم الرواة .

٢ ــ المنهج الحديث فى علوم الحديث :
قسم تاريخ الحديث .

وهو ثلاثة أجزاء : الأول عن الحديث فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته (طبع)

والثانى عن الحديث فى عصر التابعين وتابعيهم (لم يطبع) .

البقية ص

(١) سلم الشيخ كتابه : القران الكريم والقضايا الانسانية الكبرى الى احد موظفى مجمع البحوث

الشعر والشعراء

إعداد: حسن جاد

مناجاة وخواطر

انت الحبيب

سيد العرب

عيد التضحية

إشراقة

مناجاة وخواطر
في محراب الرسول
صلى الله عليه وسلم

يا نور « أحمد » قد غمرت جوانحى — وسريت مسرى الروح فى أحنائى

قد كنت فى ظلم تغلف مهجتى — فاذا الرسول يشع فى ظلمائى

بل كان بى داء يقض مضاجعى — فلمست فى قبس الرسول شفائى

ونسيت أهلى والصحاب لأجله — ونسيت عند « محمد » أبنائى

وهجرت آمالى وأحلامى .. له — وتركت كل المغريات ورائى

ما كان يعوزنى العزاء لما جرى — اذ كان فى قرب الحبيب عزائى

وقصدت « يثرب » يانبى مولها — أرنو لنورك ـ فوق كل بناء

والقلب يقفز لهفة لحبيبه — من أضلعى مستنكرا ابطائى

حتى اذا خفق الفؤاد من الهوى — لاحت مجالى « القبة الخضراء »

ومشيت فى وجل على الأرض التى — طهرت بلمس نعالك العصماء

بل كدت أخطو فى الهواء .. تأدبا — كى لا أمس مسالك الخلفاء

من لم يجد كر الزمان بمثلهم — أو يذكر التاريخ من نظراء

ودخلت بابك فى خشوع مسلم — وتعثرت قدماى فرط حياء

فاذا الدموع تسيل دون توقف — واذا الدعاء يفيض اثر دعاء

واذا ابتهالات الحجيج ترن فى — جوف الفضاء الى عنان سماء

وتعطلت لغة البيان وخاننى — نطق اللسان وقدرة البلغاء

للدكتور عزت شندى موسى

ووقفت مذهولا أكذب خاطرى — أنى بقرب مشفع الشفعاء
وبكيت ما شاء البكاء وأقفرت — عيناى من دمع لطول بكاء
وذكرت أيام الجهاد وما جرى — لك يانبى الله من ايذاء
هو فى سبيل الله والعهد الذى — أنجزته فى قوة ومضاء
كم صمت يومك هائما متنقلا — من غير زاد للنوى أو ماء
وذكرت صحبك حين كنت تؤمهم — مثل البدور تدور حول ذكاء
وذكرت وجدك بين أغوار الفلا — فى غار « ثور » أو بغار « حراء »
كى تختلى بالله أو تخفى على — من أسرفوا فى الكيد والبغضاء
ان قلت للصديق لا تخش العدا — الله ناصرنا على الأعداء
وذكرت اذ عرضت عليك مفاتن — من سؤدد ومناصب وثراء
فأبيت الا أن تتم رسالة — ورفضت ما قد قدموا بإباء
وسألت ربك أن تعيش على الطوى — وتموت محشورا مع الفقراء
من كان للأخرى يعيش حياته — لم تغره دنيا من الاغراء
وأشدت بالعلم الحكيم لنرتوى — من نبعه ، وأشدت بالعلماء
خلق هو الاسلام أنت فقيهه — ولنعم ما شرعت للفقهاء
أنا يارسول الله قلبى موجع — لفراقكم من حرقة وعياء
أبكى ولكن هل تبل مدامعى — شوقى اليكم أو تزيل شقائى
قد جئت للساح الكريم مثقلا — بالذنب ادعوكم على استحياء
فغرست فى قلبى بذور هداية — وزها بروضك فى اليقين نمائى
انى ظفرت بما رجوت وليس لى — ان عشت بعد اليوم أى رجاء
أنت الحبيب وأنت كل مآربى — ان كنت ميتا أو مع الأحياء
ولأنت أقرب من بنى لخافقى — وأعز عندى من غنى وفتاء
سأعيش فى أمل اللقاء مؤرقا — أهفو الى رجعى لكم ولقاء
أنت الشفيع فجد بخير شفاعة — أنجو بها من شقوة وبلاء

أنت الحبيب

في مديح المصطفى "عليه الصلاة والسلام"

للاستاذ أحمد قاسم أحمد

لكل فــــرد حبيبـــه ... وأنت عنـــدى الحبيب
مـن كـان « أحمد » حبـا ... لـــه فنعم الحـبيب
يلـــذ كـل عنـاء ... فى حبـــه ويطيـب
هـــو الحبيب لـــربى ... فكيــف عنى يغـيب
هيهـات يـوهى شـروق ... ذكـرى لــه ... وغروب
هـــو الصبـاح الصبحى ... وضـوء ليلى الصبيب
وعنـد صـــفوى أراه ... بوصـــفه ... لا أخيـب
ان شئت بـــدرا فبـدر ... بـــه تضـــىء القلوب
قـــد كـان نـورا بصلب ... واليـوم نـور يجـوب
قـــد جـاءنا « بكتـاب » ... هـــو الطبيب اللبيب
فيــــه شـــفاء وطب ... هـــو الرءوف الطبيب
فيـــه الخــلاص فهيا ... اليـــه ... هيــا نثوب
يارحمة الله ... « طـــه » ... شـــوقى اليـك لهيب
انى ســـألتك رؤيـــا ... بهـــا فـــؤادى يطيب
قـــد جـدت قبـل فزدنى ... فمـــا لشــوقى نضوب

سيد العرب

شعر: د. مختار الوكيل

« ولما دنا الركب من يثرب
أضاء السنى حالك الغيهب »
(م . و)

سيد العرب — منتهى الأرب
جئت حيكم — صادق الأدب
أطلب الرضا — ألحف الطلب !

* * *

كنت كالورى — أنشد النشب
أبتغى الهوى — أطلب الذهب
.. مذ أتيتكم — عمنى الرهب
كل مأملى — فى الورى احتجب
لم يعدلنا — فيهمو رغب
أنت ملهمى — أنت لى نسب

* * *

فى الدجى أرى — نورك العجب
يمحق الأذى — يكشف الحجب
يحرز المنى — يخرق السحب

* * *

ذَلَّ من إلى — غيرك انتسب
عز من إلى — حصنك اقترب !

* * *

سيد الورى — نصرنا وجب !

عيد التضحية

بقلم: محمود شاور ربيع

وقف «الحجيج» على ربى «عرفات» ... يدعون رب العرش بالرحمات
لبيك جئنا خاشعين أذلة ... يا بارىء الأرواح والنسمات
نادى «الخليل» فما تخلف طائع ... من كل فج أو بعيد فلاة
ترك الحياة وزيفها لحقيقة ... قدسية الاركان والجنبات
الناس عند الله خلق واحد ... لا فرق فى الألوان والقسمات
خلعوا الثياب وأحرموا وتجردوا ... وتوجهوا لله فى الدعوات
وسعوا وطافوا واستقوا من «زمزم» ... وتعطروا بنسائم النفحات
الله كرمهم وبارك سعيهم ... واحاطهم بالخير والبركات
ذكروا «الذبيح» فقدموا قربانهم ... والهدى قربان وطيب زكاة
العيد عيد التضحيات وهذه ... أيامه صداحة النغمات
«القدس» نادى والعروبة تشتكى ... ظلم المغير وظلم شر بغاة
لبوا النداء وقدموا حق الفدا ... ذودوا عن الأعراض والحرمات
العيد فى طرد العدو ، وعودة ... من بعد تشريد وطول شتات

اشراقة

للشاعرة جليلة رضا

أيها الطارق الحياة ملولا   فى صباح منغم الأوطار

قم ، تقدم وسر على الدرب حرا   ضاحك الوجه فى سنى الأنوار

وامض – فى رحلة النهار – فتيا   فى شموخ وعزة واقتدار

واغز هذا النهار بالعمل المتقن حتى تفوز بالاكبار

واغز هذا النهار بالأمل الحلو   ونور اليقين والاصرار

فاذا ما التقيت باليأس حينا   فانتزع منه ألف ألف نهار

كن مضيئا كمقلة الشمس بشا   كمحيا الضفاف والأنهار

كن رقيقا ثر الوداعة غضا   مثل قطر الندى وعود الثمار

أرهف السمع فالطبيعة تشدو   لك أحلى اللحون والأشعار

ولتكن زهرة تفيض عبيرا   فى نفوس من الحنان قفار

لا تعد السنين ، لا تحسب العمر   فليس الشباب بالأعمار

ان قلبا حوى الطبيعة يوما   لهو طير يشدو مع الأطيار

قم . تقدم ، وسر على الدرب حرا   وتوكل على الاله البارى

شاعر العربية فؤاد الخطيب

يعد هذا الشاعر بحق ، أحد الأصوات المتميزة ، ذات الخصائص الشعرية العميقة الدالة على أصالته •

وقد ولد الخطيب بقرية شحيم بجبل لبنان عام ١٨٨٠ ، فى يوم ما ، لم يحدده نجله وراوية شعره ومؤرخ حياته : رياض الخطيب (١) •

وكان والد الشاعر — الشيخ حسن الخطيب — يعمل رئيسا لمحكمة لبنان ، وتلقى الشاعر علوم المرحلة الابتدائية فى مدرسة « طانيوس سعد » بـ (الشويفات) ، تلك البلدة التى أنجبت الأمير شكيب أرسلان ، الذى يكبر شاعرنا بأحد عشر عاما •

ثم أمضى الخطيب دراسته الثانوية فى « كلية سوق الغرب » ، وأتم تعليمه بـ « الجامعة الامريكية » فى بيروت • وفى تلك الاثناء ذاعت شهرته كشاعر جهبز ، بازغ فى سماء العربية •

وكان من زملاء الدراسة ، فى هذه الفترة : بندلى الجوزى ، وأنيس المقدسى ، وفيليب حتى ، (٢) ، وأتم دراسته عام ١٩٠٤ •

وقد بدأ الشاعر ، فى أول الأمر ، يوجه سهامه الماضية ، الى المتحاملين على اللغة العربية ، بقوله بقصيدة (آمال وآلام) •

جاروا على (لغة القرآن) فانصدعت
لها القلوب ، وضج البيت والحرم

ثم التفت — متحدثا عن قومه ، لتذكيرهم بأمجاد ماضيهم ، بقوله :

كم صرخة لى فيهم واليراع فم
ودمعة لى عليهم •• والمداد دم
أيذكرون — وقد كانوا اذا ذكروا
يسبح السيف والقرطاس والقلم ؟
أيام لم يك من ملك ولا بلد
الا وللعرب فيه العلم والعلم

وقد نشرتها جريدتا : الأهرام والمؤيد • وأتبعها بأخرى تظهر مدى استيعابه للتاريخ الاسلامى المجيد ، واعتزازه به ، قال فى مستهلها :

ذكرت له أيامنا •• فتنهدا
وقال : أيرضى الدهر أن نتجددا
ولاح له « المأمون » يهفو حياله
و (بغداد) تزهو فيه مجدا وسؤددا

---

(١) انتقل الشاعر الى رحمة مولاه فى يوم الاثنين الموافق ١٥ من رمضان سنة ١٣٧٦ (الموافق ١٥ من ابريل) سنة ١٩٥٧ ، عن سبعة وسبعين عاما •

(٢) فيليب حتى : من أعدى أعداء الاسلام الذى لا ينتصف بروح علمية للحقائق •

للاستاذ أحمد مصطفى حافظ

تفاضت دموع العين منه ، وقد أبى
عليه رسيس الذكر أن يتجلدا

واختتمها بقوله :

عدمت البيان الحر ، ان كنت منشدا
من الشعر الا ٠٠ ما يكون مخلدا

***

وانطلق بعد ذلك يوجه تثريبه الى بنى قومه ، لينفضوا غبار الهوان الذى ران عليهم :

ياقوم قد طال الجمود ، فحسبكم
ان الجمود ، اذا استطال ، فناء
ساد التنازع فى البقاء ، فلم يعد
فيه لمن نبذ الجهاد بقاء
ان الرزية أن تكون بلادكم
بيد الغريب ، وأنتم ٠٠ الغرباء
واذا توطد أمره فى أرضكم
فستصبحون ٠٠ وكلكم ٠٠ أجراء

الى أن انتهى الى قوله منبها لكيد الأعداء :

هتفوا بتعزيز السلام ، وانما
هى خدعة يرضى بها الجهلاء

أفلم تروا سفنا تنوء بجندهم
ضاق الفضاء بها وغص الماء

وقد كان الشاعر دائب التنقل بين أقطار البلاد العربية ، يشد الرحال اليها ، للوقوف على أحوالها ، وبث روح الكفاح بين ربوعها ٠

وقد بدأ سياحته فيها بانتقاله الى مدينة (يافا) بفلسطين ، لتدريس اللغة العربية بها ، وأداء رسالته الوطنية فيها ٠ثم هاجر الى مصر ، التى سبق أن قال فيها متشوقا ، بقصيدة من بواكيره :

ليت الذى قسم الحظوظ أتاح لى
عيشا بمصر ٠٠ فكنت غير مضيع

ما للفتى العربى الا مصر من
وطن ، يقر به بواد ممرع

وكانت هجرته الى مصر عام ١٩٠٨ ، حيث توطدت أواصر الأدب والفكر ، بينه وبين كبار شعراء العرب بها ، من أمثال : اسماعيل

◄

صبرى ، وشوقى ، والكاظمى ، ومطـران ٠٠ وكانت صلته بشاعر النيل حافظ ابراهيم هى أوثق الصلات ، فقد أمضى معه ، فى مسكن واحد بالقاهرة ، عامين كاملين ، كانا يقطنـان فيه سويا ٠ وتوجه بعـد ذلك بأعـوام الى الخرطوم للتدريس بكليـة (غـوردون) ، وتوطدت صلته بعلية القوم فى السودان ، من أمثال : المهدى والميرغنى ويوسف الهندى ٠٠ ومن تلاميذه فيها كل من : اسماعيل الأزهرى ، وعجيبد عبد النور ، وغيرهما ٠

***

ثم استقر به المطاف ، أخـيرا ، بالمملكـة العربية السعودية ، وبهـا وجد الاسـتقرار الذى كان ينشده ، بعد « مدافعة الكـوارث ومغالبة نوائب الدهر » ٠ كما يقول ٠

وعمل فى أول الأمر رئيسا لتحرير جـريدة (القبلة) ، وحينما تولى المغفـور لـه الملك عبد العزيز آل سعود حكم البـلاد ، بعـد توحيدها ، استدعاه الى الرياض عام ١٩٤٥ ، فمكث عنده مستشارا ، ثم انتقل الى « كابل » وزيرا مفوضـا لجلالته فى أفغانسـتان ، فسفيرا بها ، حيث أمضى بكابل البقية الباقية من حياته ، ناعما بالهدوء والاستقرار ، عشرة الأعوام الأخيرة من حياته ، فتعمق فى دراسته للآداب الأجنبية عامة ، كما يقـول نجله (١) الـذى كان يعمـل معـه « وأعجب بالأدب الـرومانى بشـكل خـاص ، وحفظ الكثير لشكسبير ، ومـارلو ، ولـورد بيرون مـن شعراء الانجليـز ، وهومر من شـعراء الرومان ، وقد انعكس ذلك فى شعره ، وظهر أثره فى قصائده ، وغذى الأدب العربى بأفكار جديدة ، مأخوذة من الآداب العالمية ٠ كمـا تغنى خلال هذه الفترة بأمجاد العـروبة ٠٠

واذا كان الشيخ عبد القادر المغربى قـد قال مداعبا ، أو متحسرا ، لصديقه فؤاد الخطيب ، بعد تعيينه وزيرا مفوضا بأفغانستان :

أيـا ابن الثـورة الكبـرى ٠٠ تقبل
دعـاء مـن أخى ثقـة صـميم
تركت حمى العـروبة ـ لهف قلبـى ـ
عليـه ـ لقـى لصـهيون لئيم
ورحت تقيم فى الأفغـان تشـدو
« ألا حـى المنـازل بالعتيم »

فان أخا المغرب يظلم الشاعر أفدح الظلم ، بتناسيه (فلسطينيات) الخطيب المدوية ، التى قال فى احداها مخاطبا الشـعب الامريكى بأسره ، ومنددا بما فعلـه الرئيس ترومان ، الـذى تجاهل كـل شىء ، فى سـبيل تأييده للصهيونية ، وبصفة خاصة ، باعترافه المباشر من البيت الأبيض فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، بدولة اسرائيل ٠٠ وذلك بعد دقيقتين اثنتين من اعلان الصهيونيين لها فى أرض فلسـطين العربية ٠

أتبـذل بيتى للدخيـل تبرعـا
وترغم أنفى ٠٠ أن أجـوب الفيافيـا ؟
ويملك أرضى ، ثم أطـلب غيرهـا
من الأرض أسـتجدى المهاجر نائيا
وكيف أعـق الدار والرمـل والحصى
وأنـزع مبكيا على ٠٠ وباكيـا ؟؟

(١) انظر مقدمة ديوان الخطيب ص ١٣ ٠

الى أن يقول :

وما وعد « بلفور » الذى بات رمة
وقد غفيت ٠٠ حتى تراعيت تاليا
ولست أبالى الظالمين ، واننى
سأبعث فيهم ٠٠ ما يشيب النواصيا
نطقت بصوت الشعب ، غير مدلس
وما كان صوت الشعب يوما مداجيا

بل انه يقول مصورا فترات الصمت التى انتابته ، لسبب أو لآخر ، بقوله :

فوا الله ما الثكلى يساق وحيدها
الى ظلمات القبر ، وهى تراقبه
بأوجع منى ، يوم ألقيت من يدى
يراعى ، وضاقت بالقريض مذاهبه

وقوله :

وكم صبرت على الأيام عاتية
عسى الصبور من الأيام ينتصف
وان للعرب ما أبقت وما أخذت
منى الحوادث ، لا من ولا سرف

وقوله يحدد موقفه ، والنبع الذى يصدر عنه فى أحاسيسه القومية :

انى أشيد بقومى كلما هتفت
بى العروبة ٠٠ لا التيجان والسرر

وذلك ، لقوله فى قصيدة أخرى :

وكم شكا الشعب أقطابا ٠٠ تخبطهم
مس الغباوة ٠٠ لا يدرون ما « الألف »

(أى ما الألف من كوز الذرة) ، كما نقول فى أمثلنا ! ٠٠

وقوله :

عفت (السياسة) حتى ما أهم بها
وقد رددت عليها كل ميثاق
فانها جشمتنى كل غائلة
وانها كلفتنى ٠٠ غير أخلاقى

وقوله :

ان فاتنى السيف ، فالأقلام مشرعة
أو ضاق بى العمر ، فالتاريخ يتسع

وقوله لباريس (عروس السين) مناجيا :

ان حطموا (الباستيل) فيك تحررا
فسلى العروبة ٠٠ كم بنوا بستيلا !

وقوله :

كثر الكلام ، وما أفاد قلامة
فتكلمت بلسانها النيران

ومازال صوته ، بعد رحيله عن عالمنا بما يناهز ثلث قرن من الزمان ، يدوى فى أسماعنا ، وكأنه لازال يعيش بين ظهرانينا ، ويشهد معترك الأحداث الذى نكتوى فى أتونه :

ولم التفرق ، والحتوف تجمعت
ولم التردد ، والبلاء مشمر

وخير ما يصف به نفسه ، ودوره الذى أداه فى ساحة العمل القومى ، هو قوله :

ان يضفر الغار اكليلا لشاعرهم
أقطاب رومة ٠٠ حسبى الطلع والسعف
وان « فرجيل » ان يفخربه ٠٠ انتشرت
على تلك الفروع الخضر تنعطف ٠٠

وقد خص الشاعر (فرجيل) بالذكر ، دون غيره من شعراء أوربا ، لأنه — كما يقول — هو الشاعر الذى وقف معظم شعره على التغنى بالقومية الرومانية ، والاشادة بمجد الرومان ٠٠ وكذلك كان شأن صاحب الديوان ، الخطيب ، من ناحية تغنيه بالقومية العربية

وقضايا العرب (١) ، لصدوره عن عاطفة صادقة جياشة ، بثت الحرارة في تضاعيف شعره ، ولأن لديه ما يقوله ، بل ما لا يملك الا أن يقوله .

واذا كان قد تحسر على الشعر وناظميه بقوله :

خلق القريض بما تعاور لفظه
من كل مبتذل له أو مدعى
هز اليراع ، ولا شعور يهزه
بل ضاع بين تعمل وتصنع
فغدا القريض مجانة لا صورة
للنفس ، ترسم ما انطوى في الأضلع

فان للخطيب ، في غير المعترك السياسي ، قصائد عامرة من الشعر الفني الخالص ، الذى يصور فيه خطراته وتأملاته ، وانعكاس خطا الزمن ودبيبه ، على وجدانه وأحاسيسه .. خذ مثلا قصيدته (الشعرة البيضاء) التى أوحت له بمعان قلما تخطر ببال شاعر ، والتى يقول فيها :

أنظر الى الشعرة البيضاء ، ان لها
معنى الهزيمة والتسليم للزمن
كأنها الراية البيضاء .. يرفعها
في الحرب ، من لم يطق صبرا على المحن!
كانت ليالى بيضا ، وهى فاحمة
سوداء .. فانسدلت .. خيطا من الكفن
وأنذرتنى اقتراب الحين ضاحكة
وقد قرعت بكفى الصدر .. من شجن

وكذلك قوله متفجعا ، بقصيدة : (القصر البالى) :

أيا قصر ، قل لى ، أين أهلك .. ما الذى
عراهم .. أما من هاتف فيك ذى خبر ؟
ألم تكن الأيام تجرى بأمرهم
فاما الى يسر ، واما الى عسر
.. وان نمال الأرض تثويك بعدهم
فتخرج من جحر ، وتدخل في جحر

وقد كان الشاعر على صلة ود عميقة بشوقى أمير الشعراء ، جعلت (شوقى) يعتب عليه ، حين تخلف عن حضور المهرجان ، الذى أقامته مصر وشعراء الأقطار العربية ، لتكريم شوقى ، في (دار الأوبرا) ، في التاسع والعشرين من أبريل سنة ١٩٢٧ ، لمبايعته بامارة الشعر ، كما كان (جون دريدن) أميرا للشعر الانجليزى .. وقد كتب الخطيب لشوقى ، في ذلك ، قائلا :

.. فان كنت قد أبطأت عنك ، فنازح
عن الأهل والأوطان ، شطت مراحله
ترامت به الأسفار دفعا وغربة
كذكرك في الأقطار قد جال جائله
وهل بعد ايات (الخليل) و (حافظ)
مرام لمثلى .. في البيان .. يحاوله ؟

وحين انتقل (شوقى) الى الرفيق الأعلى ، أجهش الشاعر مستعبرا :

أحافظ ثم شوقى ؟ بغتة معا؟ !
يا ويح للقلب .. كيف الدهر ينتقم
كلاهما كان لى خدنا ، وكان له
في دولة الشعر .. تاج الشعر .. والعلم

(١) انظر هامش ص ٤٦٢ بديوان الخطيب .

وقال الخطيب فى وصف (النفس) ما ينم عن عمق ثقافته وسعة اطلاعه :

ولو علوت جناح البرق منطلقا
تنغل فى الملا الطوى مقتحما
فمن نواة ، الى كون ، الى فلك
فى اثر آخر .. حتى تعبر السد ما
.. لكانت النفس ، فى شتى مظاهرها
أخفى وأعجب مما دق أو عظما

ويجدر بنا أن ننوه فى ختام هذا البحث الموجز ، بالقصيدتين المتبادلتين بين المرحوم « الامام يحيى بن حميد الدين » ملك اليمن ، والشاعر فؤاد الخطيب .. فقد كتب الملك يحيى قصيدة على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ وخروج العرب منها صفر اليدين وكان لغيرهم الغنم ، وكان عليهم الغرم .. كما يقول (شوقى) بحق :

كلنا وارد السراب ، وكل
حمل .. فى وليمة الذئب طاعم
قد رجونا من الغنائم حظا
ووردنا الوغى .. فكنا .. الغنائم

فقد أرسل الملك القصيدة مع مندوب من قبله الى الشاعر ، متخيلا فى مقدمتها مسارها — أى القصيدة ومرساها .. بقوله :

بأم القرى حطت ركابا وأنفذت
صوارخها (١) . تغشى صروم (٢) القبائل
تنادى بأسماع الحجيج ، بجمعهم
وخيف منى عند ازدحام المحافل ، :

أما أن ياقوم التفات لما عرا
واجماع آراء لدفع غوائل ؟

ورد عليه الخطيب معارضا ، من ذات البحر والقافية بقوله :

دعوت فأسمعت ياخير قائل
مغلغلة (٣) ليست تصيخ العاذل
نسجت لها من وشى صنعاء بردة
محبرة .. أزرت بوشى الخمائل

ويتوجه الشاعر بعد ذلك الى العرب — كل العرب — قائلا :

بنى عمنا .. من يرمكم يرمنا معا
ويقض علينا — ممعنا — فى المقاتل
بنى عمنا .. ما أرعب العرب دولة
اذا اتحدت واستمسكت بالوسائل
بنى عمنا .. ما أيسر المجد مطلبا
اذا اجتمعت أشتات تلك القبائل

***

وما أحوج العرب اليوم ، فى المنعطف التاريخى الراهن ، الذى يجتازونه ، أن يتدبروا نفثاته وروائعه ، وقصة كفاحه ، وما تخللها من عبر ، ليسيروا على النهج القويم ، الذى أنار دروبه ومسالكه أمامهم .. فانه اذا عز العرب عز الاسلام ..
ورحم الله الخطيب رحمة واسعة ، حين قال :

ليت السطور أحست روح كاتبها
وهل يحس بقدر اللؤلؤ الصدف ؟

---

(١) جمع صارخة ، وهى : الاستغاثة .
(٢) جمع صرم : أى الجماعة من البيوت (بكسر الصاد) .
(٣) الرسالة المحمولة من بلد الى اخر .

الاسلام ، اذ أن عمارة المساجد تقتضى الايمان بالله وطاعته حسبما نطقت الآية الأخيرة ويدل على أن من عمارة المساجد دخولها للعبادة والصلاة وتلاوة القرآن قول الله سبحانه : «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» (١) .

واذ كان ذلك : كانت مساجد المسلمين محرم دخولها على غير المسلم عملا بآيتى (٢) سورة التوبة السالفتين واذا كانت معتقدات القاديانية والأحمدية على ذلك النحو تكون قد انحرفت بهم عن الاسلام عقيدة وشريعة ، وصاروا بما حرفوا وما اعتقدوا من غير المسلمين لايجوز دفن موتاهم فى مقابر المسلمين باتفاق أئمة الاسلام .

السؤال الثالث :

تحت أية ظروف يكون للمشرفين من المسلمين على المساجد الاسلامية أن يمنعوا أى شخص من الصلاة فيها ؟.

والجواب

أن الآيتين المتلوتين (٣) آنفا اقتضت ولاهما بأسلوب تقريرى ممر منع غير المسلمين من دخول المساجد ولقد ثبت (٤) أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز كتب الى ولاته بمنع غير المسلمين من دخول سائر المساجد لما كان ذلك : كان للمشرفين من المسلمين على المساجد الاسلامية منع غير المسلمين ، مرتدين كانوا أو من اليهود أو من النصارى أو عبدة الأوثان منع كل أولئك من دخول مساجد المسلمين ، وعلى المسلمين أن يدافعوا عن مساجدهم ويدفعوا غيرهم عن دخولها كما يدافعون عن بيوتهم وأموالهم وأولادهم فان مقتضى قول الله سبحانه :

« مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ »

.. ان على المسلمين حماية مساجدهم من استهانها بدخول غير المسلمين فيها ومن العبث بها .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(١) من الآية ٣٦ من سورة النور .
(٢) ١ ، ٢ الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٣) ١ ، ٢ الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٤) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٥ والمغنى لابن قدامه الحنبلى : ٢ ص ٤٢٣ على هامشه جـ ٢ ص ٣١٥ وكتاب المبسوط للسرخسى الحنفى جـ ١٠ ص ١٩٨ والمجموع للنووى الشافعى جـ ٥ ص ٢٨٥ .

العلوم الكونية

الطاقة والخلق

العلوم الكونية والبحوث المدنية

مجلة الأزهر من خمسين عاما

الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم ٥

العمق الرابع للاعجاز العلمى

فى القرآن الكريم

يتجلى هذا العمق بوضوح فى حقيقة أننا لو جمعنا الآيات المتعلقة بـ « ظاهرة كونية بالذات » أو « كيان مادى معين » ، نجد أننا نحصل على معانى متكاملة مترابطة غير متكررة من غير هدف كما قد يظن البعض خطأ وسوف ينصب حديثنا عن هذا العمق على الجبال أو الرواسى على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

المعروف والمشاهد أن سطح الارض يرتفع تارة فتكون الجبال ، وينخفض تارة أخرى حيث قيعان البحار والمحيطات . وفى الجبال كهوف ومغارات نحتتها عوامل التعرية كالرياح والمياه الجارية . وفى القدم لجأ اليها الانسان واتخذها مأوى له قبل أن يتعلم فن البناء ، ثم راح ينحتها بنفسه ليحمى نفسه من غوائل الطبيعة ومن أخطار الحيوانات المفترسة ، وليعيش داخلها آمنا مطمئنا :

١ ــ « وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ » .

والمعنى أن قوم ثمود ــ وهم أصحاب ــ الحجر كانوا يصنعون بيوتهم فى الجبال ليطمئنوا على أنفسهم وعلى أموالهم .

٢ ــ « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا .....» ــ النحل

والمراد أن الله تعالى جعل لنا مما خلق من شجر وما على شاكلته ظلالا تقينا شر التعرض المباشر لأشعة الشمس ، كما جعل لنا من **الجبال كهوفا وفجوات ومغارات كالبيوت .**

ومازالت بعض تلك الكهوف والمغارات تفيد وتستخدم فى تخزين بعض حاجياتنا مثل الحبوب والغلال لما تمتاز به من توفر الجو المعتدل والمستقر الذى لا يتقلب داخلها .

والجبال بصفة عامة جزء لا يتجزأ من قشرة الارض الصلبة التى نعيش عليها ، والتى يبلغ متوسط سمكها نحو ٥٠ الى ٦٠ كيلو مترا فقط ، فى حين يبلغ متوسط طول

نصف قطر الارض ٣٩٦٣ ميلا ، ويلى هذه القشرة الصلبة من الداخل « الستار » ثم « اللب » المكون من الحديد والنيكل فى حالة شبه منصهرة .

ويتساقط أغلب المطر فى أجزاء الارض المرتفعة مثل الهضاب وأعالى الجبال ويجرى الماء الفائض ليكون منابع الانهار والروافد التى تروى السهول والوديان وتهىء على الأرض بيئة صالحة لازدهار الحياة .

٣ ـ « وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا .... » ـ فصلت .

بمعنى أنه سبحانه وتعالى أكثر فى الأرض الخير وقدر فيها أرزاق أهلها . وتؤدى الجبال العالية دورها فى ذلك .

وللجبال جذورها العميقة فى قشرة الأرض ، تحول دون انزلاق الطبقات المختلفة للقشرة فوق بعضها البعض ، وهى بذلك أشبه شىء بالأوتاد التى تشد بها الخيام لكى تتزن وتثبت على الارض .

٤ ـ « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا » ـ النبأ (٦ و ٧) .

وهذا يعنى ان من أهم وأعم وظائف الجبال أنها تعمل على حفظ توازن القشرة الأرضية .

والمعروف ، والثابت بالمشاهدة والرصد ، أن سطح الأرض فى تغير مستمر تحت تأثير عوامل عديدة منها عامل التعرية . ويتضمن هذا التغير حمل ما يتآكل من المناطق العالية

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

(الجبال) الى أسفل بالرياح وبالمياه الجارية لكى تترسب فى قيعان البحار والمحيطات .

وعلى هذا النحو يقل الثقل الملقى عن الجبال ويزداد الحمل الواقع على قيعان البحار ، فيختل التوازن وتضطرب القشرة اليابسة التى تلتوى أو تتصدع لاعادة التوازن من جديد محدثة الزلازل . وقد يكون الصدع عميقا يصل الى باطن الأرض عبر قشرتها اليابسة فتتكون البراكين التى تتدفق منها حمم الباطن .

وعلى أية حال :

عندما ترتفع أجزاء القشرة من أجل اعادة التوازن تتكون الرواسى أو الجبال وسلاسلها العالية وطرقها المميزة ، كما تجرى الانهار من فائض ماء أمطارها الوفيرة :

٥ ـ « وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » ـ النحل .

أى أن من مزايا الجبال العالية حفظ توازن قشرة الأرض الصلبة التى نعيش عليها ، وتدفق الأنهار منها ، كما أن بها طرقات نهتدى بها .

٦ ـ « وَجَعَلْنَا فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » ـ الأنبياء .

يعنى أن من دلائل قدرة الله أن جعل فى الأرض سلاسل الجبال لكى لا تضطرب وجعل فيها طرقا فسيحة ومسالك متسعة تعرفهم طريق السير .

٧ ـ « وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ ... » ـ الحجر .

فلما كان باطن الأرض منصهرا ، أو شبه منصهر ، جعل الله تعالى الرواسى على سطحها لها جذور ممتدة داخل القشرة اليابسة تمتد عبر أعماق تتناسب مع ارتفاعات تلك الرواسى . وهذه الجذور تكون كثافتها (١) أقل من كثافة مواد القشرة المحيطة بها .

وعلى هذا النحو تتواجد المواد ثقيلة الوزن من القشرة الأرضية تحت الأسطح المائية ، بينما الرواسى تكون من تحتها مواد خفيفة نسبيا . كل ذلك لكى لا تضطرب القشرة ولكى يتم توزيع الضغط توزيعا متساويا . وهكذا يتم تأمين الحياة على الأرض فتنمو وتزدهر . بفضل الله وعظيم نعمته .

وعلى طول المناطق التى يعظم فيها التواء قشرة الأرض من سلاسل الجبال الى قيعان المحيطات يعظم الاجهاد على القشرة اليابسة ، وهكذا تكون تلك المناطق أحزمة الزلازل .

والآن ، دعنا ننظر معا الى سطح الأرض وما عليه من جبال ، ووديان ، وبحار وصحارى وقفار .

هل تعتقد ـ أيها القارىء ـ أن هذه الأشياء كانت على حالها منذ القدم ؟ .

وهل وجه الأرض ظل على حاله منذ النشأة الأولى ؟ .

إعلم أن هناك تغيرات مستمرة على سطح الأرض ، الا أنها تغيرات بطيئة جدا فى أغلب الأحيان ، وسببها الأساسى هو عوامل التعرية ممثلة فى عمليات التسخين والتبريد ما بين النهار والليل كل يوم ، وفى الرياح ، والامطار ، والسيول ، وأمواج البحر .. كلها (تكحت) (٢) الصخر الصلبة وتفتتها ثم تحمل المواد المفتتة الى المناطق المنخفضة من الأرض مثل قيعان البحار كما قدمنا حيث تتراكم على مر العصور وتكون الصخور الرسوبية . ومن أهم العوامل التى ترسب المواد فى قاع البحر ما يعيش فيه من كائنات حية تموت وتتساقط أجسامها الى القاع .

(١) الكثافة هى كتلة وحدة الحجم من مادة ما .
(٢) كحت : مصرية بمعنى : برد ، وأداته « المبرد » .

أما البراكين فهى التى تكون الصخور النارية مثل الجرانيت . وقد تحتوى على مواد معدنية مختلفة مثل الحديد ، والنحاس ، والذهب ..

أما الصخور الرسوبية فان أكثرها شيوعا الصخور الجيرية والصخور الرملية . انظر الى قول الله عز وجل :

٨ ـ « .... وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ » فاطر .

وليس الاعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة قاصرا على مجرد ذكر ما للجبال من ألوان متباينة ناجمة عن تباين المواد الداخلة أو المترسبة فيها ، تلك المواد التى تتألف مثلا من عنصر الحديد الذى يجعل اللون السائد هو اللون الأحمر ، أو عنصر الكربون أو عنصر المنجنيز اللذان يجعلان اللون السائد هو اللون الاسود ، أو عنصر النحاس الذى ينجم عنه اللون الأخضر .

ولكن الاعجاز هو قبل كل شىء اظهار قدرة الخالق جل شأنه الذى .. يخلق جبالا فيها طرائق وعروق لونها أبيض أو أحمر أو أسود .. رغم أن الأصل واحد ومشترك هو باطن الأرض المنصهر ، الذى يعرف علميا باسم الصهارة (أو الماجما) .

وان اختلاف مواد الصهارة يرجع فى أساسه الى اختلاف الأماكن ــ على سطح الأرض . التى تتدفق أو تنبثق منها ، وكذلك على اختلاف الأعماق من سطح الأرض التى تمدها بالمواد .

وهذا الاختلاف فى الأعماق انما يعنى اختلاف تركيب المادة تبعا لاختلاف الكثافة ونحوها من خواص المواد . وبهذا التدبير المعجز من الخالق العليم يستطيع الانسان أن يحصل من الجبال على المادة التى يريدها لنفعه ورخائه وثرائه فضلا من الله ونعمة .

وثمة آيات عديدة تذكر الجبال مثل قوله تعالى :

٩ ـ « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ » ـ النحل .

والمعروف أن من أنواع النحل ما يعيش فى كهوف الجبال وفجواتها ، ويختلف لون الشراب تبعا لاختلاف الأزهار والنباتات عموما تبعا للارتفاع والبيئة .

١٠ ـ « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ... » ـ النمل .

نزل القرآن الكريم ــ كما نعلم ــ والناس يعتبرون الأرض مركزا للكون أو للمجموعة الشمسية على الأقل ، وكانوا يعتبرونها أيضا ثابتة لا تدور ولا تنساب فى الفضاء ، بينما الشمس وسائر الكواكب هى التى تدور وتلف وتتحرك من حولها حسب ما يبدو ظاهريا .

وعلى هذا النحو نجد أن من صور الاعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة أنها تسبق ركب العلم ، اذ تقرر وتؤكد أن الجبال (وهى جزء لا يتجزأ من قشرة الأرض الصلبة كما قدمنا) انما تتحرك كالسحاب اذ تشترك

مع الأرض فى دورانها حول محورها تارة ، وحول الشمس تارة أخرى وفى سبحها فى المجرة منطلقة مع الشمس بسرعة رهيبة ! وبطبيعة الحال نحن لا ندرك هذا بحواسنا ، بل ننطلق مع الأرض كجزء منها الا أننا اليوم نستطيع رصد حركة الجبال (مع الأرض) من الفضاء الكونى تماما كما نرصد حركة السحاب وهو يمر فوق رؤوسنا وقد دفعته الرياح •

ان أول من نقل مركز المجموعة الشمسية من الأرض الى الشمس هو عالم الفلك العربى المسلم (ابن الشاطر) قبل عصر (كبرنيق) بنحو قرن ونصف قرن) •

ويدعى الغربيون أن (كبرنيق هذا هو الذى أنجز تلك الخطوة العظمى فى تاريخ علم الفلك تلك الخطوة التى نقلته من الفلك القديم الى الفلك الحديث فى مستهل عصر النهضة العلمية • ويقيم الأوروبيون الحفلات كل عام تخليدا لذكرى (كبرنيق) ! •

والمشاهد أن هواء المرتفعات يكون عادة نقيا وغنيا بالاشعاع الشمسى ، كما تتوفر فيه الاشعة فوق البنفسجية التى تفيد كثيرا فى علاج أمراض البرد وأمراض العظام • ولهذا تجود حمامات الشمس فى أعالى الجبال والمرتفعات • هذا كما تسهل عمليات صرف المياه فى الحقول العالية وتجود فيها الحاصلات الزراعية •

لهذا كله نجد أن حدائق المرتفعات أحسن الحدائق زرعا ، وأوفرها محصولا ، وأنقاها ماء ، وأجودها جوا ، وأصلحها للسكنى •

ومجمل القول ان الحديث عن آيات الجبال ومزاياها ، وصفاتها كما وردت فى كتاب الله العزيز هو حديث علمى طويل ومثل من أمثلة هذا العمق الرابع للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم على النحو الذى أجملناه ، على الرغم من أن هناك ثمانى وثلاثين (٣٨) آية تذكر الجبال ، بالاضافة الى تسع آيات فيها ذكر الرواسى • ويدل هذان الرقمان على المدى الواسع الذى به استمد القرآن الكريم كثيرا من آياته وحكمه وأمثاله من الكون كتاب الله المنظور •

ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية قبل كل شىء ، يضرب الله فيه للناس الأمثال لعلهم يهتدون •

وفى مجال مكارم الاخلاق يقول المولى جل وعلا •

١٢ ـ « •••• **إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا** » ـ الاسراء •

وفى ختام حديثنا عما جاء من ذكر الجبال والرواسى فى القرآن الكريم كمثل من أمثلة « حقيقية » أن الجمع بين الآيات المتعلقة بـ « وجود مادى معين » أو « ظاهرة كونية بالذات » انما يعطينا حصيلة من المعانى المعجزة الأخاذة ، نستشهد بقول الله عز وجل :

« **وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا** » ـ المرسلات •

حيث يجىء ذكر الماء العذب الفرات بعد ذكر الرواسى العالية التى تكون فى مجموعها اجود مصادر الماء العذب على الأرض ، والله تعالى أعلم •

أ•د• محمد جمال الدين الفندى

الطاقة والخلق

للمهندس محمد إبراهيم حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . الآية ١٩ ، ٢٠ سورة العنكبوت .

تعريف :

الطاقة هى القدرة على عمل شغل معين ، فمثلا :

حركة كتلة معينة من السكون الى سرعة معينة يستلزم قدرا معينا من الطاقة ، حركة شحنة كهربائية عبر مجال فرق جهد معين يحتاج كمية معينة من الطاقة ، وكذلك رفع كتلة معينة الى ارتفاع معين يحتاج الى قدر محدد من الطاقة .

فى كل الامثلة السابقة تحسب كمية الطاقة اللازمة لعمل الشغل الموصوف باستخدام معادلات رياضية محددة تعتمد على مواصفات الشغل التفصيلية ، مثلا : وزن الكتلة المتحركة — مقدار السرعة — الارتفاع — قيمة الشحنة الكهربائية — فرق الجهد ....

ونظرا لأن حدوث أى شىء يستلزم كمية طاقة معينة فان الطاقة تعتبر عاملا ضروريا فى جميع العمليات الطبيعية المختلفة فى التفاعلات الكيميائية : فى تكوين السحب ، فى وظائف الخلايا الحية فى حركة الكواكب والنجوم ، فى انتقال الموجات المختلفة .

وكذلك فان الطاقة تلعب دورا أساسيا وخطيرا فى الأنشطة المختلفة للكائنات الحية وخاصة الانسان منها مثل النقل ، انتاج البضائع ، التدفئة المنزلية وما شابه ذلك من أنشطة .

صور الطاقة :

وتأتى الطاقة فى صور عديدة مختلفة ، مثلا :

١ — **الطاقة الحرارية** : وهى الناشئة عن ،

الطاقة والخلق

أو المعبرة ، عن طاقة الحركة للحركة الحرارية للمادة على المستوى الذرى .

٢ ــ **الطاقة الميكانيكية** : وهى طاقة الحركة التى تصف الحركة المنظمة للكتل المادية الضخمة .

٣ ــ **الطاقة الكهربائية** : وهى الطاقة الناشئة عن القوى التى تحدثها الاجسام المشحونة على بعضها البعض أو التى تنشأ عن القوى التى يحدثها التيار الكهربى بعضه فى بعض .

٤ ــ **الطاقة الكيميائية** : وهى طاقة الروابط الكيميائية الناتجة عن القوى الكهربائية التى تعمل على المستوى الذرى .

٥ ــ **الطاقة النووية** : وهى الطاقة المعبرة عن الارتباطات النووية كنتيجة للقوى النووية وقوى التنافر .

٦ ــ **طاقة الجاذبية الأرضية** : وهى الطاقة الناتجة عن قوى الجذب الارضى التى تحدثها الأجسام الكبيرة بعضها فى بعض .

٧ ــ الطاقة الضوئية : وهى طاقة الموجات الكهرومغناطيسية المختلفة .

تحولات الطاقة :

تجرى للطاقة تحولات مختلفة من صورة الى أخرى ، وتخضع هذه التحولات الى قانونين أساسيين من قوانين علم (الديناميكا الحرارية) وهما :

١ ــ الطاقة كمية محفوظة ، أى أن الكمية الكلية للطاقة لاتتغير مهما حدث من انتقالها من مكان لاخر . أو من تغيرها من صورة لأخرى

٢ ــ فى تحولات الطاقة ، تتجه الطاقة للمرور من الصورة المركزة الى الصورة المخففة أى أنها تتغير بصورة تؤدى الى نقص كمية الشغل الناتج .

ونضرب مثالا لتوضيح ارتباط الطاقة بالقانونين السابقين :

اذا اعتبرت جسما ساخنا جدا ، وحجمه صغير نسبيا وتم وضع هذا الجسم فى بحيرة كبيرة من المياه ، فان الطاقة الحرارية ستنتقل من الجسم الساخن الى المياه فى البحيرة مما يؤدى الى انخفاض حرارة الجسم الساخن وارتفاع حرارة مياه البحيرة قليلا وبعد قليل يصبح الجسم ومياه البحيرة فى درجة حرارة متساوية أعلى قليلا من درجة الحرارة الابتدائية لمياه البحيرة .

وهذا المثال يعنى أن الكمية لكلية للطاقة لم تتغير ولكنها أصبحت أكثر انتشارا أو أكثر تخفيفا .

فبينما فى الحالة الابتدائية كان يمكن للجسم الساخن جدا أن يولد بخارا ويدير (ماكينة) بخار ويحدث شغلا معينا فان الحالة النهائية التى أصبحت فيها مياه البحيرة دافئة قليلا ليست مناسبة للحصول على شغل معين .

الطاقة والقدرة :

القدرة هى معدل حدوث الشغل أو بصورة أعم هى معدل تحول الطاقة من صورة الى أخرى ، فمثلا القدرة الناتجة عن موتور كهربائى هى معدل تحول الطاقة الكهربائية الى طاقة ميكانيكية .

فالقدرة هى (المشتقة الزمنية للطاقة) .

أما سريان الطاقة فله نفس وحدات القدرة أى « طاقة / وحدة وقت » ويعرف بأنه معدل انتقال الطاقة أو بمعنى آخر ، كمية الطاقة المارة على نقطة معينة فى وقت معين من الزمن .

فمثلا ، كمية للطاقة الواصلة على سطح الأرض من الشمس فى وقت معين هى سريان الطاقة من الشمس الى الأرض .

تقييم الطاقة :

اذا اعتبرنا « الجول » هو وحدة قياس الطاقة (١) فاننا نجد أن الطاقة وتحولاتها تحتل مدى واسعا جدا من القيم المختلفة للعمليات المختلفة فمثلا الطاقة الشمسية اليومية المنبعثة من الشمس تقدر بحوالى ١٠^٣٢ جول فان الطاقة الشمسية الواصلة الى الأرض تقدر بحوالى ١٠^٢٢ جول .

والطاقة الناتجة عن شلالات نياجرا يوميا تعادل الطاقة الناتجة عن انشطار (١) كيلو جرام من « اليورانيوم » وتقدر بحوالى ١٠^١٤ جول .

وتصل الطاقة الناتجة عن احتراق «١» طن من الفحم حوالى ١٠^١٠ جول .

أما الطاقة الناتجة عن انشطار نواة « يورانيوم » فانها تصل الى ١٠^١٠ جول وتصل الطاقة الناتجة عن احتراق ذرة « كربون » واحدة الى ١٠^١٨ جول .

مصدر الطاقة :

تعتبر الشمس هى المصدر الرئيسى للطاقة على ظهر الارض . حيث تصل الطاقة الشمسية الى أجواء الكرة الأرضية فينعكس بعضها أو يتناثر فى الفضاء الخارجى بسبب السحب أو أى أجسام خاصة أخرى أو جزيئات للغازات .

وجزء آخر من هذه الطاقة الشمسية يمتص بواسطة نفس الأشياء التى أحدثت التناثر ويتبقى الجزء من هذه الطاقة الذى يخترق الجو المحيط بالكرة الارضية الى السطح الصلب أو السائل للأرض فاما أن يمتص أو ينعكس بواسطة سطح الارض . ويقوم الجزء الممتص من الطاقة الشمسية بواسطة سطح الأرض برفع درجة حرارة المياه أو التربة للأرض حيث تكون كمية من الحرارة المحسوسة .

أو تؤدى الى تبخر المياه بكميات معينة فتؤدى الى الحرارة الكامنة . وتنتقل الحرارة المحسوسة فى كل الاتجاهات أفقيا أو رأسيا .

ويحدث اشعاع حرارى من الأرض يؤدى الى فقد كمية من الطاقة التى وصلت اليها .

وفى النهاية تحتفظ الأرض بكمية قليلة معينة من الطاقة ويترك مجال الارض كل كمية الطاقة التى وصلت اليها . مما يؤدى الى التوازن ما بين الطاقة التى وصلت والطاقة التى تركت الأرض . حقا انها القوة الالهية الجبارة التى تتحكم فى كل هذه التحولات الدقيقة التى تؤدى الى كل هذه التحركات المختلفة .

ومن غير الخالق الواحد القهار يستطيع ان ينظم هذه القوى ويسيطر على تحولاتها ويمد البشر بها فتستمر الحياة .

وأن القوة لله جميعا .

---

(١) **الجول** Joule وهو عبارة عن : حاصل ضرب متر مربع فى كيلو جرام على مربع ثانية ، أى مربع وحدة طول فى وحدة وزن على مربع وحدة زمن .

فى ميزان الاسلام

الخاتمة

ثالثا ــ جريمة الفصل بين الدين والعلم :

أن نصوصا قرآنية خالدة مثل قوله تعالى « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »(المجادلة /، « فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٠ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ٠ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ » (الطارق / ٥ ، ٦ ، ٧)، « أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ٠ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ٠ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » (الغاشية / ١٧ ــ ٢٠) وغيرها من نصوص القرآن لتدعو بكل صراحة ، بل بكل قوة ، الى خوض غمار العلوم.

وان فصل الدين عن العلم أو سلخ العلم عن الايمان لهو جريمة نكراء وافدة علينا من الغرب أيام تسلط البابوات على رقاب الناس حينما كانت حكومة الكنيسة قد تدخلت فى شئون العلم وحياة الناس بفرية على الرسالات السماوية ، فان أية رسالة نزلت من السماء تدعو الى العلم والتقلب فى جنباته والأخذ بالنصيب الأوفى منه حتى توجت الرسالة الخاتمة (الاسلام) هذه الدعوة بالترشيد والتوضيح وضرب الامثلة وفتح أبواب البحوث أمام أصحاب العقول وذوى الالباب ، ولم تعالج الرسالة الاسلاميه الجانب المادى فى الانسان وكونه فقط أو الجانب الروحى منه فقط ، انما عالجت الجانبين على قدم المساواة ، واعتنت بكل ما من شأنه أن يقيم حياة الناس على أحسن حال ٠

ويمكن القول أن المجتمعات التى فصلت العلم عن الدين ، انما جاء ذلك منها نتيجة (رد فعل) يختلف قوة أو ضعفا للواقع الذى عاناه هذا المجتمع أو ذاك من هذا الدين بعينه الذى سيطر على أوربا ، وللرواسب التى أرهقت وجوده وضميره أو هروبا من مواجهة هذا الواقع الذى تتعقد مشكلاته عند بعض الشعوب ، فحينما تاجرت الكنيسة فى أوربا بتذاكر الغفران وانحرف (الآباء) هناك الى الحجر على فكر الانسان واستغلال حريته اشتعلت النفوس حقدا فاضطرمت ثورتان : الثورة الشيوعية التى أعلنت أن : « الدين أفيون الشعوب » ، الثورة الفرنسية التى نادت : « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر

قسيس » فكانت الحكومة الدينية التى ظهرت فى التاريخ الغربى ذات مدلول خاص وفى بيئة معينة أدت الى ظاهرة فصل الدين عن الدولة أو الايمان عن العلم ، فكان ظهـور الدولة العلمانية ثم الثورة الشيوعية انقـاذا لبعض المجتمعات من سلطان الكنيسـة الخانق فى العصـور الوسـطى والعصر الحديث ، وكان انقـاذا لها ـ فى مفهـومها ـ من التمزقات النفسية والفكرية التى كانت نتيجة غلبة الوثنية اليونانية والرومانية على الفـكر المسـيحى والتقاليد المسـيحية فى أوربا ، وحـذت بعض الدول الآسيوية حذو الغربية فى نفس الاتجاه.

وليس فى التاريخ الاسلامى للأمة الاسلامية ـ خصوصا فى الفترات التى كان فيهـا الدين والدولة أو الايمـان والعـلم سـياج المجتمع وقوام الحيـاة فيه ـ ما يقرب أو يشابه هذه الصورة المشوهة التى ألجأت تلك المجتمعات ـ أوربية أو آسيوية ـ للتنكر للدين حتى وقعت فيمـا هو أنكى من تلك الحيـاة المنكرة .

رابعا : مجالات لن يدركها البحث العلمى أبدا :

لقد أسرف العلم فى الغـرب حينما غالى فى قدرته على فهم أسرار بعينها : كبدء الحيـاة على الأرض واسـتمرارها ونهايتها ، الا أن العالم لا يخلو من عقلاء يقرون بعجزهم عن ولوج هذه الأمور التى لا قبل للنـاس بها ، فاتجهوا اذ ذاك يبحثـون فى أمور الظواهر الكونية وآثار الحكمة الالهيـة فى المخلوقات الأرضية مستخدمين فى ذلك ما توصلوا اليه من أدوات وامكانات البحـوث التى تعينهم فى مسعاهم الحميد هذا .

للدكتور كارم السيد غنيم

وانه لمن المعلوم أن أسرارا ستظل غامضة ولن يستطيع البشر بكل ما توصلت اليه عقولهم من اختراع للأدوات والوسائل ، الى معرفتها ، من تلك المغيبات :

(أ) سر خلق الحياة .

(ب) سر استمرار الحياة .

(جـ) سر انتهاء الحياة .

ان علماء يقضون أعمارهم الآن فى البحث عن الحلقة المفقودة فى تطـور الانسـان الجسمانى (الخلقى) حتى يثبتوا أن الانسان تطور عن قرد ، وانهم لفى وهم ، وكان الأجدر بهم أن يحاولوا مثلا خلق جـدار خليـة ، أو صنع جناح بعوضة ، ذلك المسـتحيل الذى لا قبل لهم به ، فما بالك بالوصـول الى سر خلق كائن كامل هو أكرم مخلوقات الأرض عند الله : الانسان ، ولو نظروا فى القرآن لعرفوا فصل الخطاب فى هذا الباب .

أما عن الخلود : فلقد أنفق العلماء جهـدا ومالا ووقتا ولم يصلوا حتى الآن ، ولن يصلوا الى تحقيق الخلود لانسان أو أى كائن حى ما ، وكل محاولاتهم فى هذا المضمار لا تعدو أوهاما ذهبت أدراج الرياح ، فالله سبحانه وحده هو الذى وهب ضوابط الحياة وأسباب استمرارها وهو وحـده العليم بمنتهاها ، فالموت نهاية كل حى ، هكذا شاءت ارادة الله الذى خلق كل

حى ، وهو أيضا العليم بنهاية العالم الدنيوى كله حتى يكون بابا لقيام القيامة وبداية عالم الآخرة ، وكل هــذه أمور ايمانية لا فكاك من التصديق بها •

خامسا : ضرورة ختمية ايمان النـاس عامة والباحثين خاصة بالأمور الغيبية :

اذا كان الكلام هنا يعد استكمالا للفقرة السابقة فقد أفردناه بفقرة خاصة لاتساع موضوعه وخطورته • فالايمان بالله ذاتا وصفاتا وأفعالا دون أن نراه ، والايمان بمخلوقات لله كالملائكة والجن دون أن نراها ، والايمان بالكتب والرسالات السماوية دون أن نعاصر مواقيت نزولها أو نراها تنزل على الرسل ، والايمان بالقيامة والآخرة والبعث والنشور والجزاء والعقاب والجنة والنار ، كل ذلك من الأمور الغيبية أو المسائل المغيبة عن الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية وكافة درجاتهم الادراكية أو الفكرية •

اذا كان الايمان بالغيب ، ما يزال ، أصلا من أصول الفطرة الانسانية السوية فانه فى فى عصور التقدم العلمى وفى عالم المدنية المعاصرة أشد طلبا وأعظم خطرا فى حياة البشر وسلامة النفوس مما يعتريها من جنون وصرع وأدواء تتولد يوما بعد يوم •

ان عصرنا الذى هو عصر الفتوحات العلمية والكشوف الكونية عصر يزن كل أمر فى الحياة بالقيم العلمية والمقاييس المادية • هذا العصر تاه فيه العلماء عبر سنين مضت ، فكان ما كان من الأمراض والمشكلات والأدواء والتخريب والدمار ، الا أنه قد عاد اليوم نفر منهم ، ويفكر آخرون فى العودة أو اللجوء الى عالم الاستقرار النفسى ولن يجدوا ذلك الا فى الايمان بالغيب والايمان بأن فى العالم أمورا لن يصلوا الى سبر غورها أو معرفة كنهها الا بالتسليم لله وحده ، فأما الكشوف العلمية فقد كانت من المغيبات حتى أذن اللـه بانبلاجها فانبلجت أمام العلماء وعلى أيدى الباحثين ، ان الايمان بالغيب هو مصدر النشاط العلمى الرشيد للكشف عن مجاهيل الكون ، حتى ليقول اينشتين (Einstein) : (ان الشعور الدينى الذى يستشعره الباحث فى الكون هو أقوى حافز على البحث العلمى وأنبل حافز) •

سادسا : عجز التقدم العلمى المجرد من الايمان عن اقامة مجتمع بشرى سوى :

ان انتشار العيادات النفسية فى الدول الغربية وارتفاع معدل الانتحار وانتشار العادات المنافية للفطرة البشرية كل ذلك أكبر دليل على عجز المدنية الحديثة عن اقامة مجتمع سليم ، ذلك لان الآخذين بزمام الحياة فى هذه الدول من قادة وعلماء يتجهون الى تجاهل عواطف الانسان والى تجاهل ايقاظ كوامن نفسه ومسايرة جوانب فطرته السوية •

وينطلقون ــ غالبا ــ الى عالم تحقيق الانتصارات على حساب كيان الانسان وفطرته وضميره غير مقدرين وزنا لهـذه القيم النبيلة التى تسعد الانسانية بحق ولقد آن لعلماء المسلمين وحدهم أن ينهضوا الى الأخذ بزمام القافلة لتتجه الى صراطها المستقيم الذى يقيم كرامة الانسان ، ويقود العلم فى خطاه السليمة •

« د• كارم السيد غنيم »

حرية الرأى

فى الإسلام

للشيخ صادق إبراهيم عرجون

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الديمقراطية : هذا اللفظ المتردد كثيرا بين الناس والذى يتشدق به كل من يريد أن يلبس رأيه ثوب المرونة وينأى بوجهة نظره عن صفة الجمود ، وينفى عن نفسه سمة التعصب .

هذا اللفظ . قد سبق بمضمونه الاسلام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان . بل هو أساس من أسسه التى قام عليها فالى الذين يظنون فى أنفسهم أنهم أصحاب الفضل فى ارساء هذا المبدأ نسوق هاتين الآيتين على سبيل المثال . « وشاورهم فى الأمر » و « وأمرهم شورى بينهم » ليعتبر من كان من أولى الأبصار .

واليهم نقول : عودوا الى كتاب الله وسنة رسوله تجدوا فيهما الاسس السليمة للحياة الكريمة فى دقة بالغة .

ان « الديمقراطية » الصحيحة احدى فضائل الاسلام قال الكاتب ـ رحمه الله » .

شرع الله تعالى الاسلام دينا للانسانية عاما خالدا ، وجعله خاتم حلقات سلسلة الوحى المتلاحقة فى سجل التاريخ الانسانى من لدن آدم الى محمد ـ صلوات الله عليه ـ . فكان هو الحلقة المكملة لتنزيل الرحمة

---

(١) المجلد السادس .

التشريعية الى الانسان فى هذه الأرض .

وقد شاءت حكمة الله أن تكون كل حلقة من حلقات التشريع الالهى على قدر استعداد الجماعة التى تأتى لها فى تكوينها الطبعى والخلقى والاجتماعى .

وكأنما نظم الله الانسانية بالوحى عقدا اجتماعيا متماثل الحلقات فى كل جيل وقبيل ، وان اختلفت فى الوضع والتصوير ، لتتفق مع وضع الأمة فى مكانها من الحياة .

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » .

حتى اذا اكتملت الانسانية فى حقيقتها المطلقة وتهيأت للوحدة الفكرية والاتجاه العقلى ، جاءها الاسلام مهيمنا على زمامها ليرشدها الى ما أعدت له من الكمال الذى يسمو بها عن حضيض الأرض الى ملكوت السماء .

ومن ثم كانت الشرائع السابقة انما تخاطب عقلا خاصا محدودا خطابا خاصا محدودا ، لا يتعدى هذا الجيل من الناس الى غيره من الأجيال ، ولا هذا القبيل الى سواه من المجتمع ، ولا ذلك التشريع الى تشريع أوسع وأعمق ، لأن العقل الانسانى العام لم يكن صالحا حينئذ لهذا الخطاب العام .

لكن الاسلام عمد الى هذا العقل الانسانى العام بعد أن تهيأ فى تكوينه الى الاضطلاع بعبء الحياة ، وخاطبه خطاب المرشد الى الطريق الأقوم ، وجعله قيما على شئون الحياة كلها ، وأبى الاسلام أن يقبل سلطانا غير سلطان العقل ، وشدد النكير على الذين استسلموا لبلادة الحس ، وأناموا عقولهم عن النظر والتفكير .

فقال فى دستوره ناعيا عليهم ازدراء عقولهم وتشبثهم فى اتباع آبائهم على ضلالاتهم : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » .

وقال فى هذا الباب أيضا على مهيع آخر :

« إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ » فهذا التسفيه البالغ حد التحقير للمخاطبين أشد ايلاما لنفوسهم ، وألذع فى أفئدتهم .

وقد مهد له القرآن بقضية من بدائه الفطر لا تختلف فيها العقول سيقت للتنبيه على موطن الخطأ العقلى فى مسلكهم ، حيث تعبدوا أنفسهم لما لا يستحق الحياة ، بله العبادة والتقديس . هم يعلمون أن الأصنام ليست لها أرجل تمشى بها ، ولا أيد تبطش بها ، ولا أعين تبصر بها ، ولا آذان تسمع بها ، ولكن فى نفى هذا المعلوم بداهة على طريق الاستفهام ازراء على عقولهم بأبدع أسلوب

« أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » ؟ :

وقد أراد القرآن الكريم بهذا المبدأ السامى ايقاظ العقل وتنبيهه الى أداء مهمته وابراء النفس الانسانية من مرض التقليد الأصم ، وتربية القوى الفكرية على الاعتداد بالنفس واستقلال الرأى وحرية التفكير ، ولذلك أثنى على الذين أيقظوا عقولهم وتفلتوا من قيود التقليد الى ساحات النظر فى آيات الله فى الأنفس والآفاق ، وساروا بسير العلم غير ملتفتين الا الى الحق فلم يقولوا : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ »

ولا اعتذروا اعتذار العاجز الذليل « رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ».

فقال تعالى : « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

هذا النوع من التشريع الفكرى من أهم ما عنى به القرآن الحكيم ، فردده كثيرا فى آيات بينات على انحاء شتى ، تعظيما لقدر الانسانية واجلالا لمقام العقل العام ، فى حدود تكبح من جماحه اذا تطلع الى تعدى طوره ، ومجاوزة حده وهو يطلعنا على أخص خصائص الاسلام وأعظم مميزاته على الشرائع الأخرى اطلاقا ، تلك الخصيصة هى أن الاسلام أقام من العقل الانسانى حارسا على الانسانية ، وملك الانسانية الحياة لتكون حية نامية والنمو رقى فى مدارج الكمال وهو بهذه الروح الهادئة القوية ضمن لنفسه البقاء والهيمنة على ماسواه « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه » .

فهم المسلمون الأولون الاسلام على هذا الأساس ، فعظموا حرية الرأى تعظيما جعل منهم أمة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض فى زمن لا يمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على أمره حبيسة العقل مقيدة التفكير . وليس مبدأ الشورى الذى جاء به الاسلام وجعله مناط الثناء على المؤمنين فقال : « وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » وأمر الله به نبيه — صلى الله عليه وسلم — ليجعله دستورا بينه وبين أمته فقال : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » الا قاعدة من قواعد حرية الرأى وتقديسها ، فاستمع الرسول أمر ربه ، وجرى على هذا السنن فيما لم ينزل عليه وحى فيه .

روى البخارى فى صحيحه « أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد اليهم أموالهم وسبيهم ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : معى من ترون . وأحب الحديث الى أصدقه ، فاختاروا احدى الطائفتين : اما السبى ، واما المال . وقد كنت استأنيت بكم — وكان أنظرهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف — فلما تبين لهم أن رسول

الله — صلى الله عليه وسلم — غير راد اليهم الا احدى الطائفتين ، قالوا : فانا نختار سبينا •

فقام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد : فان اخوانكم قد جاءونا تائبين وانى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل •

فقال الناس : قد طيبنا ذلك يارسول الله •

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : انا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم ، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا » •

هذا الحديث الشريف يصور أقصى ما تبلغ اليه الأمم الناهضة من حرية الرأى ونظام النيابة الفاضلة ومحو الاستبداد • وفيه من الفوائد العظيمة التى تدنو منا فى عصرنا هذا ، عصر الحرية الفكرية واستقلال الراى ، ما يجل عن الوصف • ولنتحدث منه فيما يمس موضوع (حرية الرأى) الذى عقدنا هذا المقال لأجله :

أول ما يبده القارىء من هذا الحديث قول النبى — صلوات الله عليه — لهؤلاء الذين دخلوا فى الاسلام جددا : « معى من ترون ، وأحب الحديث الى أصدقه » ليشعرهم بقانون الاسلام العام ، وهو احترام الحقوق وتقديس حرية الرأى ، والتجافى عن روح الاستبداد ، والحكم الفردى ، فكأنه يقول : ان الأمر صار الى الأمة ، ولابد من أخذ رأيها ، مع أنه لو فعل شيئا ما طرفت عين بمخالفته « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » ، ولكنه مشرع لدين عام خالد ، وهؤلاء تلاميذ مدرسته العظمى ، مدرسة الحياة ، والقائمون بأمر هذا الدين من بعده ، فهم فى حاجة الى دروس فى التربية الاستقلالية ، والاعتداد بالنفس ، وحرية الرأى ، فرد اليهم الأمر ليعلم وافدو الاسلام روح التشريع فى الاسلام ، وليعلم حماة الاسلام مكانهم من الدين ، ومكان الدين منهم •

ثانيا — لم يشأ صلوات الله عليه أن يجبر هوازن بعد أن استأنى بها وقطع عذرها على قبول طائفة بعينها ، بل خيرهم بين احدى الطائفتين : اما المال ، واما السبى ، وفى ذلك من احترام الرأى مالا يحتاج الى بيان •

ثالثا — عرض الأمر على أصحابه ، وذكر لهم توبة اخوانهم ، وقال لهم : « انى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم » ، ثم أطلق لهم حرية الرأى ، وأبان أنه لا يحكم الا بما تطيب به نفوسهم ، فقالوا قد طيبنا ذلك ، أفتراه — وهو الرسول الأمين — قام الى سبى هوازن فرده اليهم اتكالا على اجابة عامة من حشد المسلمين ، كيف ؟ ولعل فى غمار المسلمين من لم يؤبه له ، ولا يعرف رأيه فى هذا الجمع العظيم ، والمسلمون سواء أمام التشريع العام ، لكل مسلم رأيه ، ولكل رأى اعتباره ،

لا ، لم يتفرد النبى برأيه ، ولكنه عمد الى أدق نظم حرية الرأى ، وأحراها بالعدالة فجرى عليها : أمرهم أن يرجعوا الى أنفسهم ، ويتعرفوا منها الرضا ، أو الاباء ، وينضجوا رأيهم ، ويتفاوضوا مع نوابهم ، ثم يرفعوا اليه ما استقر عليه رأيهم .

نظام بلغ أسمى آيات (الديمقراطية) كما يقولون فى أمة حديثة ناشئة ، أليس هو أحدث ما تطمح اليه الأمم الناهضة لتعيش فى ظله ، فليتبصر الذين لا يعرفون من الاسلام الا قشورا منثورة هنا وهناك ليست من الاسلام فى الصميم .

اشترع النبى — صلى الله عليه وسلم — هذه الشرعة النقية الطاهرة فى حرية الرأى ، فاستن بسنته خلفاؤه الراشدون من بعده ، فهذا هو الخليفة الأول أبو بكر الصّديق — رضى الله عنه — قد ملكه المسلمون رقابهم وأموالهم ، وبايعوه بالخلافة بيعة رضا واطمئنان : خطب الناس أول ما خطبهم بعد مقام الخلافة فقال : « أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى » فكيف تكون اذن حرية الرأى ؟ !! خليفة يملك من أمر الناس مالا يملكونه فى بيوتهم ، ثم يرد اليهم أمر نفسه ويجعلهم ميزانا لأعماله ، ويطلب منهم العون ان أحسن ، والتقويم ان أساء . بهذا الروح ظفر أبو بكر — رضى الله عنه بالعرب بعد أن ارتدت أقاصيها .

ولقد سرت هذه التعاليم فى المسلمين ، فكان من أثرها أن يقوم رجل من عرض المسلمين يقول لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد قوله : من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه : « والله او رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيقول عمر : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم عوج عمر ! انما حمد الله عمر لأنه رأى فى الأمة روح الاعتداد بالنفس ساريا فاطمأن على أنه يتأمر أمة لا تلين لها فى الحق قناة .

بل ان عمر — رضى الله عنه بث فى الأمة حرية الرأى بين كبيرها وصغيرها .

روى ابن الجوزى أن عمر بن الخطاب قال : « لاتزيدوا فى مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذى القصة ، فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال » فقالت امرأة من صف النساء طويلة فى أنفها فطس : ما ذاك لك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن الله يقول : **« وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا »** فقال عمر : « امرأة أصابت ، ورجل أخطأ » .

واذا تأملنا فى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صعد الى الرفيق الأعلى ولم يخلف على المسلمين رجلا بعينه ، وهذا كان ميسورا وحاسما ، علمنا أن ذلك أثر من آثار حريةالرأى فى الاسلام .

وأبو بكر رضى الله عنه لم يخلف عمر بن الخطاب الا بعد أن فوض اليه المسلمون ذلك.

روى ابن الجوزى « أنه لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس اليه فقال : انه قد نزل بى ما ترون ، ولا أظننى الاميتالما بى ، وقد أطلق الله ايمانكم من بيعتى ، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من أحببتم ، فانكم ان أمرتم فى حياة

منى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى » فقاموا فى ذلك وخلوا عليه ، فلم تستقم لهم ، فرجعوا اليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك ، قال : فلعلكم تختلفون ، قالوا : لا ، قال فعليكم عهد الله على الرضا ، قالوا : نعم ، قال : فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده .

فاذا كانت حرية الرأى فى الاسلام تتجلى فى أخطر مسألة يدور عليها كيان الأمة ، ويترك لكل مسلم أن يقول فيها رأيه فى أحرج المواقف كانت أحرى أن تتمشى مع الأمة فى مراحلها التشريعية والاجتماعية . فأما التشريع فحسب القارىء الاطلاع على تاريخ فجر النهضة الاسلامية ليعلم كم كان من المجتهدين الذين لا يصدرون فى رأى الا عن كتاب الله أو سنة الرسول الصحيحة ، وحتى أن الأصوليين يختلفون فى أصحاب رسول الله : هل جميعهم مجتهدون ؟ وكتب الفقه والأصول مليئة بالفروع التى وقع فيها الخلاف بين الأئمة ، وما عاب أحد منهم على أحد اجتهاده ولا حجر عليه رأيه .

فهذا مالك بن أنس امام المدينة : قال له أبو جعفر المنصور : اجعل هذا العلم علما واحدا . فقال له مالك : « ان أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تفرقوا فى البلاد فأفتى كل فى مصره بما رأى ، فلأهل المدينة قول ، ولأهل العراق قول » . وفى رواية أنه قال له : « ان أهل العراق لايرضون علمنا » .

فقال أبو جعفر : يضرب عليه عامتهم بالسيف ، ونقطع عليه ظهورهم بالسياط ، فأبى مالك . فانظر الى اجلال مالك بن أنس — وهو من أجل أئمة المسلمين المقتدى بهم فى مشارق الأرض ومغاربها — لحرية الرأى وتجافيه عن خذلانها . خليفة مسلط يعرض عليه نشر علمه فى الأرض ولا يكون بين الناس غير رأيه فيأبى ، لأن لكل مجتهدى مصر من أمصار المسلمين رأيا أخذوه عن منبع الشريعة .

حرية الرأى أساس فهم عمومية الدين ، وهيمنته على سائر الأديان ، وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنه لا حاجة معها الى قانون آخر .

قال العلامة ابن القيم : « ومن له ذوق فى الشريعة واطلاع على كمالاتها ، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، ومجيئها بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها مواضعها وحسن فهمه فيها ، لم يحتج معها الى سياسة غيرها ألبتة » .

ومن البداهة بالمكان الأول أننا لا نعنى بحرية الرأى ما يفهم من كلمة (الفوضى) حتى يباح لكل متعلم فضلا عن شبه المتعلم أن يقول فى الشريعة برأيه ، وانما نعنى أن العالم الثقة اذا فهم فى الشريعة فهما وساق بين يديه دليله ، فلا سبيل عليه ، ولا تحجير على فضل الله .

اللغة والأدب والنقد

إلحاق هاء السكت بما آخره ساكن

النهج الإبداعي للآمدي الناقد

الإعلام الإسلامي الأسس والمبادئ

إلحاق هاء السكت بما آخره ساكن عند الوقف

عرفنا مما مضى أن هاء السكت تجتلب عند الوقف لبيان الحركة وهذا هو الأصل فيها ·

وقد تلحق ما آخره الف بشرط أن يكون مبنيا واليك ما قاله سيبويه مع التعليل قال (جـ ٢ ص ٢٨٠) : وقد لحقت هذه الهاءات بعد الألف فى الوقف لأن الألف خفية فأرادوا البيان ، وذلك قولهم : هؤلاه ، وههناه ، ولا يقولونه فى أفعى ، وأعمى ونحوها من الأسماء المتمكنة كراهية أن تلتبس بهاء الاضافة (١) ومع هذا أن هذه الألفات حروف اعراب (٢) ألا ترى أنه لو كان فى موضعها غير الألف دخله الرفع والنصب والجر كما يدخل راء أحمر ، ولو كان فى موضع ألف هؤلاء حرف متحرك سواها كانت لها حركة واحدة كحركة أنا وهو، فلما كان كذلك أجروا الألف مجرى ما يتحرك فى موضعها ·

واعلم أنهم لا يتبعون الهاء ساكنا سوى هذا الحرف الممدود ، لأنه خفى فأرادوا البيان كما أرادوا أن يحركوا : وناس كثير من العرب لا يلحقون الهاء كما لم يلحقوا هو ، وهن ونحوهما ثم قال سيبويه (وقد يلحقون فى الوقف هذه الهاء ــ الألف التى فى النداء(٣) والألف والياء والواو فى الندبة ، لأنه موضع تصويت وتبيين فأرادوا أن يمدوا فألزموها

---

(١) فلو قلت أفعاه لفهم ان افعى مضاف والهاء ضمير مضاف اليه ــ وانما لم يجىء هذا اللبس فى هؤلاء لانه لا تجوز اضافته ·

(٢) علة ثانية لعدم جواز الحاق هاء السكت بالمعرب الذى آخره الف ــ وذلك لان هذه الالف لو كان مكانها حرف يقبل الحركات لقبلها جميعا وأخذت هذه الالف حكم الحر ف المتحرك بحركة اعرابية فى أنه لا يجوز الوقف عليه بهاء السكت: أما الالف فى اخر المبنى لو كان مكانها حرف يقبل الحركة لزم حركة واحدة لبنائه فأخذت الالف حكم هذا الحرف المبنى فى جواز الحاق هاء السكت به عند الوقف·

(٣) المراد بالنداء الاستغاثة : راجع شرح قول ابن مالك ــ ولام ما استغيث عاقبت الف ــ وقوله فى الندبة ·· الخ ·

ومنتهى للندوب صلة بالالف ··· الخ الباب

الهاء فى الوقف لذلك ، وتركوها فى الوصل لأنه يستغنى عنها فى المتحرك فى الوصل لأنه يجىء ما يقوم مقامها وذلك قولك : يا غلاماه ، ووازيداه ، وواغلامهوه ، وواذهاب غلامهيه — اهـ جـ ٢ ص ٢٨١ .

وقد ذكر سيبويه أنهم كما يبينون حركة البناء بهاء السكت يبينونها فى حرفين فقط بالألف وهما (أنا ، وجيهلا) .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٧٩) وقد استعملوا فى شىء من هذه الألف فى الوقف كما استعملوا الهاء . لأن الهاء أقرب المخارج الى الألف وهى شبيهة بها فمن ذلك قول العرب : جيهلا ، فاذا وصلوا قالوا : جيهل بعمر ، وان شئت قلت :

جيهل — بالسكون كما تقول : بحكمك ، ومن ذلك قولهم : أنا ، فاذا وصل قال : أن أقول ذلك ولا يكون فى الوقف فى « أنا » الا الألف لم تجس بمنزلة هو (أى فى جواز بيان حركتها) . لأن هو آخرها حرف مد . والنون خفية فجمعت أنها على أقل عدد ما يتكلم به

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم الشناوى

مفردا وأن آخرها خفى ليس حرف اعراب فحملهم ذلك (١) على هذا اهـ .

ولكن الرضى عقب عليه بقوله :

أما جيهلا فيجوز أن يكون الألف فيه بدلا من التنوين فى حيهلا (٢) ...

وقد بينا فى باب المضمرات : أن الألف فى « أنا » عن الكوفيين من نفس الكلمة وبعض طيىء يقف عليه بالهاء مكان الألف فيقول : أنه ، وهو قليل قال حاتم (الطائى) : هكذا فزدى أنه ، وبعض العرب يصل أنا بالألف فى الوصل أيضا فى السبعة ، والأكثر أنهم لا يصلونه بها فى الوصل الا ضرورة قال (٣) :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى
حميدا قد تذريت السناما

◄

---

(١) أى حملهم كونها على اقل ما يتكلم به وان آخرها خفى ليس بحرف اعراب حملهم على لزوم الالف فى الوقف — بخلاف « هو » .

(٢) راجع القاموس فى باب الياء فصل الحاء (حى) تجده أتى فى حيهلا بوجوه كثيرة ومنها ما ذكره الرضى .

(٣) هذا البيت لحميد بن حريث بن بحدل الكلبى وقوله حميدا منصوب على انه بدل من الياء فى « فاعرفونى » أو على الاختصاص — وهذا ان روى « حميدا » بالتصغير على انه علم فان كان بفتح الحاء على انه صفة بمعنى محمود فهو حال — وان كان اسما غير صفة ما جاز فى المصغر ، وقد اختلف فى اسم الشاعر ، فيقل هو مصغر ، وقيل : مكبر ، و « تذريت » : علوت ، واصله من بلوغ الذروة ، والسنام للبعير معروف والمراد انه بلغ ذروة المجد والرفعة .

والاستشهاد بالبيت فى قوله « انا » حيث جاء بالف مع الوصل وهو من الضرائر الشعرية .

اجراء الوصل مجرى الوقف

قد يعطى الوصل حكم الوقف من اسكان مجرد ، أو مع الروم والاشمام ومن تضعيف ، ومن نقل حركة ، ومن اجتلاب هاء السكت وذلك قليل فى النثر ، كثير فى الشعر ، لأنه محل الخروج عن القياس فمن الأول : قراءة بعضهم « وَجِئْتُكَ مِن سَبَإْ بِنَبَإٍ » باسكان همزة سبأ فى الوصل ، وقراءة غير حمزة والكسائى « لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ » ، ومن ذلك (مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ.هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) خُذُوهُ ، وقوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ.نَارٌ حَامِيَةٌ) ، وقوله تعالى (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ) (١) .

ومن ذلك قول طيىء :هذه أفعى . بسكون الياء وصلا ووقفا .

قال سيبويه (جـ ٢ ص٢٨٧) وأما طيء ، فزعموا أنهم يدعونها (أى الياء المنقلبة عن الألف فى الوقف) فى الوصل على حالها فى الوقف لأنها خفية لا تحرك قريبة من الهمزة حدثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب ، وزعموا أن بعض طيىء يقول : أفعو ، لأنها أبين من الياء ولم يجيئوا بغيرها اه .

قال الرضى (جـ ٢ ص٢٨٦) : والذين يقلبونها واوا يدعون الواو فى الوصل بحالها فى الوقف : وكل ذلك لاجراء الوصل مجرى الوقف اهـ .

وهو كثير ولكنه غير قياسى .

ومن الثانى وهو أكثر .

قال الرضى : قد يجرى الوصل مجرى الوقف والغالب منه فى الشعر ، للضرورة الداعية اليه قال : (٢)

لما رأى أن لادعه ولا شبع
مال الى أرطاة حقف فالطجع

ومن ذلك قول شمير بن الحارث الضبى :

أتوا نارى فقالت منون أنتم
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

وموضع الشاهد كلمة « منون أنتم » القياس ، « من أنتم » .

لأن « من » اذا أريد بها الحكاية لا يختلف لفظها فى حال الوصل ، وانما يكون ذلك فى

---

(١) ألحق هاء السكت فى الوصل ـ بقوله تعالى ـ لم يتسنه ، وماليه ، وسلطانيه وماهيه ، واقتده ـ والاصل فيها أن تلحق عند الوقف ، ولكنه هنا أجرى الوصل مجرى الوقف .

(٢) هذا البيت من الرجز ، لمنظور بن مرثد الاسدى يصف ذئبا ، والدعة خفض العيش وهى محل الشاهد حيث أبدل التاء هاء فى الوصل اجراء له مجرى الوقف .

والارطاة : واحدة الارطى وهو شجر من اشجار الرمل ـ والحقف ـ بكسر الحاء وسكون القاف : التل المعوج ، والطجع : أصله اضطجع فابدل الضاد لاما ، ويروى « فاضطجع » بابدال الضاد طاء ، ويرى « فاضجع » بابدال الطاء ضادا .

حال الوقف فعومل الوصل هنا معاملة الوقف.

ومن ذلك قول الراجز

مثل الحريق وافق القصبا

والشاهد فى قوله القصبا حيث شدد الباء كأنه وقف عليها بالتضعيف مع أنه وقف باجتلاب ألف الوصل فلم تكن الباء حال الوقف واقعة فى الآخر حتى يعاملها هذه المعاملة • ولكنه أجرى الوصل مجرى الوقف فضعف الباء ومن ذلك قول الشاعر :

يا أبا الأسود لم خلفتنى

لهموم طارقات وذكر

والاستشهاد بالبيت على أنه قال « لم » بالسكون فى حال الوصل اجراء له مجرى الوقف •

لهجات أخرى فى الوقف
(منقولة عن كتاب سيبويه)

من ذلك ما حكاه سيبويه فقال (جـ ٢ ص ٢٨٨) :

وأما ناس من بنى سعد فانهم يبدلون الجيم مكان الياء فى الوقف ، لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف • وذلك قولهم هذا تميمج ، يريدون : تميمى ، وهذا علج يريدون: على ، وسمعت بعضهم يقول : عربانج يريد عربانى (١) وحدثنى من سمعهم يقولون :

خالى عويف وأبو علج (٢) المطعمان الشحم بالعشج

وبالغداة فلق البرنج

يريد العشى والبرنى فزعم أنهم أنشدوه هكذا وقال « هذا باب الكاف التى هى علامة المضمر » (جـ ٢ ص ٢٩٥) •

أعلم أنها فى التأنيث مكسورة ، وفى المذكر مفتوحة ، وذلك قولك رأيتك ــ بالكسر ــ للمرأة ، ورأيتك ــ بالفتح ــ للرجل ــ والتاء التى هى علامة الاضمار كذلك تقول : ذهبت ــ بالكسر ــ للمؤنث ، وذهبت ــ بالفتح ــ للمذكر •

فأما ناس كثير من تميم ، وناس من أسد : فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين ، وذلك أنهم أرادو البيان فى الوقف ، لأنها ساكنة فى الوقف « مطلقا » فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث وأرادوا التحقيق والتوكيد فى الفصل ، لأنهم اذا فصلوا بين المذكر

(١) نسبة الى عربان ــ وهى محركة بلد بالخابور •

(٢) قال الأعلم : وانشد فى باب الحرف الذى يبدل منه فى الوقف حرف اخر ابين منه ــ خالى عويف ٠٠ الخ •

والشاهد فيه ابدال الجيم من الياء فى على والعشى ، والبرنى ، لان الياء خفيفة وتزداد خفاء بالسكون للوقف فابدلوا مكانها الجيم ، لانها من مخرجها وهى أبين منها ، والبرونى : ضرب من التمر وفلقه : ما قطع منه بعد تكتله فى جلله وهى قفاف تعبئته ــ ا هـ •

والمؤنث وأرادوا التحقيق والتوكيد فى الفصل، لأنهم اذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان

أقوى من أن يفصلوا بحركة فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا :

ذهبوا وذهبن ، وأنتم وأنتن • وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف اليها ، لأنها

مهموسة كما أن الكاف مهموسة ولم يجعلوا مكانها مهموسا من الحلق ، لأنها ليست من

حروف الحلق ، وذلك قولك : انش ذاهبة ، ومالش ذاهبة يريد انك ، ومالك •

وأعلم أن ناسا من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث وانما ألحقوا السين ، لأنها قد تكون من حروف الزيادة فى استفعل • وذلك أعطيتكس ، وأكرمكس ، فاذا وصلوا لم يجيئوا بها ، لأن الكسرة تبين ، وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة فى الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان وذلك قولك : أعطيتكش وأ كرمكش فاذا وصلوا تركوها •

وانما يلحقون الشين والسين فى التأنيث ، لأنهم جعلوا تركهما بيان التذكير واعلم أن ناسا من العرب يلحقون الكاف التى هى علامة الاضمار اذا وقعت بعدها هاء الاضمار ألفا فى التذكير وياء التأنيث ، وذلك قولك : أعطايكيه وأعطيكيها للمؤنث ، وتقول فى التذكير • أعطيكاه وأعطيكاها •

وحدثنى الخليل : أن ناسا يقولون : ضربتيه فيلحقون الياء وهذه قليلة وأجود اللغتين وأكثرهما أن لا تلحق حرف المد فى الكاف ـ وانما لزم ذلك ، (الحاق حرف المد) الهاء فى التذكير كما لحقت الألف الهاء فى التأنيث والكاف والتاء لم يفعل بهما ذلك، وانما فعلوا ذلك بالهاء لخفتها وخفائها ، لأنها نحو الألف ـ ا هـ •

ولنكتف بهذا القدر المنقول عن كتاب سيبويه قصدا للتدريب على فهم أساليب سيبويه ـ ومن أراد الاستزادة فليرجع الى الكتب الخاصة باللهجات والله الموفق •

انتهى الوقف

د/ عبد العظيم على الشناوى

للآمدي الناقد

بقلم الدكتور
عبد الحميد محمد العبيسي

منهجه في النقد والموازنة

(ب) خطة الآمدي في كتابه « الموازنة » :

ذكرنا أن « الموازنة » تتكون من عشرة أجزاء « أبواب » هي :

١ ــ احتجاج الفريقين ، وسرقات أبي تمام .

٢ ــ أغلاط أبي تمام في المعاني والألفاظ .

٣ ــ المرذول من ألفاظ أبي تمام ، والساقط من معانيه .

٤ ــ سرقات البحتري .

٥ ــ أخطاء البحتري .

٦ ــ الدربة والممارسة ، وباب في فضل أبي تمام .

٧ ــ باب في فضل البحتري .

٨ ــ الموازنة التفصيلية .

٩ ــ التشبيه عندهما (مفقود) !! .

١٠ ــ الأمثال عندهما (مفقود) !! .

وهذا التبويب وتلك التجزئة قد أحدثها الآمدي نفسه ، بنص كتابه ، وقد أشار ياقوت الحموي الى تلك الأجزاء في « معجم الأدباء » (٣٢) ، كما تساءل الدكتور مندور ــ رحمه الله ــ عن الأساس في هذا التقسيم، أهو عدد الأوراق أم وحدة الموضوع (٣٣) ؟ ولا يمثل هذا التساؤل كبير أثر ، فان الذي يعنينا أن الأجزاء الثمانية الأولى هي محتوى الموازنة المطبوعة والمنشورة في صورتها التي بأيدينا ، وأن جزءي التشبيه والأمثال مازالا مفقودين !! .

في ضوء ذلك نستطيع أن نتبين خطة صاحبنا في كتابه من كلامه هو الذي وعد فيه بأنه سيعالج أربعة عناصر :

(٣٢) الحموي : ياقوت (معجم الادباء جـ ٨ ص ٧) .

(٣٣) مندور ــ د. محمد (النقد المنهجي عند العرب) ص ١٥٧ .

الأول : ذكر المساوىء للانتهاء الى ذكر المحاسن عند الطائيين .

الثانى : الموازنة التفصيلية بينهما .

الثالث : استيفاء عناصر النقد فى التشبيهات والأمثال عندهما .

الرابع : عرض مختارات شعرية لهما مرتبة حسب حروف المعجم .

هذه هى الخطوط العريضة التى كان يؤمل الآمدى تحقيقها فى موازنته ، فهل استطاع الوفاء بها ؟ .

ان المطلع على الموجود فى « الموازنة » يدرك أن العنصرين الأولين هما الموجودان ، وأن العنصرين الأخيرين لم يردا الينا .

ان العنصر الأساسى هو الموازنة التفصيلية وهو الذى يشكل الحيز الأكبر فى هذا الكتاب بل هى عنوانه ومضمونه ، فواضح أنها أهم العناصر وأكبرها على الاطلاق .

ولقد عرض الآمدى الموازنة فى **جانبين :**

١ ــ **تنظيرى** يعتمد على ركائز **أبرزها :**

(ا) أخذ معنيين فى موضعين متماثلين .

(ب) توضيح الجيد والردىء مع ذكر العلة .

(ج) تبيين الجيد والردىء مع اغفال العلة، اعتمادا على فطنة القارىء ، أو ظهور مناحى الجودة والرداءة .

(د) الحكم بأن هذا أشعر من ذاك فى معنى معين ، دون صدور حكم نهائى : « أيهما أشعر على الاطلاق ؟ » .

« وليس من شك فى أن الاتفاق فى المعنى هو المنطقة الصحيحة للموازنة (٣٤) » .

بل هى المجال الميسر الذى أتاح لناقدنا أن يمارس مهمته فى دقة وسهولة .

ويحتل الجانب التنظيرى الموازنى قدرا كبيرا من كتابه من أول الجزء الأول المطبوع بتحقيق العلامة المحقق الفاضل الأستاذ السيد صقر الى ص ٤٢٩ ، وحين فرغ من تناول هذا الجانب النظرى رأيناه يقول :

« وقد انتهيت الآن الى الموازنة بينهما ، وكان **الأحسن** أن أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقنا فى الوزن والقافية واعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق **المعانى** التى اليها المقصد ، وهى المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ، فانه جل اسمه حسبى ونعم الوكيل » (٣٥) .

أرأيت هذا الناقد وهو يكشف عن طريقته المثلى فى الموازنة ، من حفاوة بالمعنى ، وعناية

---

(٣٤) عباس : د. احسان (تاريخ النقد الادبى عند العرب) ص ١٨٠ « بتصرف » .

(٣٥) الآمدى : الحسن بن بشر (الموازنة جـ ١ ص ٤٢٩) .

هذا الجانب التطبيقى يحتل من ص ٤٢٩ الى ختام الجزء الاول بجانب الجزء الثانى كله .

بالمضمون ، وتحصيل أسباب الحيدة والابتعاد عن الهوى والتحامل ؟ !! .

٢ ـ جانب تطبيقي تفصيلي يتجلى فى قوله « وأنا أبتدىء باذن الله من ذلك بمـا افتتحا أى (الطائيان) به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدمن والأطلال ، والسلام عليها ، وتعفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار اياها ، والدعاء بالسقيا لها ، والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وكما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش ، وفى تعنيف الأصحاب ولومهم على الوقوف عليها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدم من ذلك (ذكر) ابتداءات قصائدهما فى هذه المعانى ان شاء الله(٣٦) » .

ان الآمدى فى هذا الجانب التطبيقى يقسم الشعر عندهما فنونا وأغراضا ، وصولا الى استقراء دقيق لتبيان « أيهما أكثر ابداعا فى تناول هذه الفنون ؟ » . وهذا التقسيم لم يصطنعه الآمدى حبا فى التفريع والتقسيم ولكنها طبيعة المنهج العلمى فى البحث .

ومن ثم فلا نستطيع أن نوافق على ماذهب اليه أحد المعاصرين من « أن تجزئة القصائد هى موطن الضعف فى الموازنة وهى بالعملية الاحصائية أشبه ، كما أنها تتحدد بما لمحه الآمدى من معان وردت فى الشعر ، وقد تجىء هناك معان لا شركة فيها ، وقد يشترك اثنان فى موضوع واحد ، ثم يكون تناولهما له على وجهين شديدى التباعد ، فهى عمل لا ينتهى الى غاية واضحة .

أن الموضوعات التى تكافأ فيها الشاعران خمسون ، وان الموضوعات التى رجح فيها ميزان البحترى مائة ، فهل معنى ذلك أن البحترى أشعر من أبى تمام ؟ . ان قضية الموازنة قد اقتضت من الآمدى جهدا فى غير طائل ، وردته الى سذاجة المفاضلة مرة أخرى على الرغم من تذرعه بالعلل ، ومن احتفاله بالتبويب والتقسيم ، انها اخضاع شىء لا يخضع للاحصاء ، ظاهرها منطقى ، وأصولها غير معتمدة على منطق ..!! (٣٧) » ولعلك تدرك معنى مدى الريب فى هذا الزعم الذى يتجاهل تماما كل أثر للموازنة ، وينفى كل قيمة لها ، وكان الأحرى بمثل هذا الناقد المعاصر أن يقدر تلك الظروف التى ظهرت فيها دراسة جديدة فى الموازنة الأدبية كمنهج نقدى ليدرك ابداع ذلك الناقد فيما اختطه منكتاب، وفيما عرضه من موازنة .. على أنا لا نسلم بأن الاشتغال بالموازنة عديم الفائدة ، وماذا كان يصنع الآمدى ازاء ذلك الصراع العنيف وتلك الخصومة الشديدة ؟ ألا يوافقنى الأستاذ الناقد على أن الموازنة قد فرضت نفسها على مسرح النقد ، وهو خال من أية دراسة جادة محايدة وافية كان يمكنه أن

(٣٦) المصدر السابق .
(٣٧) عباس : د. احسان (تاريخ النقد الادبى عند العرب) ص ١٨٢ .

النهج الإبداعى

تمهد الطريق للآمدى ، ولكنه استطاع بعقليته الفذة فى غيبة منهج الموازنة الأدبية العربية أن يرسى أصولا ،ويقيم قواعد لذلك المنهج الموازنى النقدى العجيب ، وأن يجعل من كتابه سفيرا على مر الأزمنة ، وتعاقب الايام ، ليثرى الحياة النقدية مع تجدد الشهور والسنين !! •

واذا كان الآمدى قد جنح فى موازنته بعض الشىء فحسب أنه الرائد وحده ، فهو الذى مهد الطريق ويسر السبيل ، وأن الموازنة بلاشك — هى وثبة كبرى فى تاريخ النقد العربى القديم ، بما اجتمع له من خصائص ، وما اختط من منهج ، وما توحى من وسيلة ، وبما حققه من نتائج ، فى وقت كان قد كثر فيه أدعياء المعرفة بالنقد والعلم ، وليسوا من العلم والنقد فى شىء ، وقد غرهم أنهم تعلموا شيئا من المنطق ،أو الجدل ، أو علم الكلام ، أو بعض أبواب الفقه ، أو حفظوا شيئا من صدر اللغة ، أو ألموا بمقاييس العربية ، فدفعهم هذا الغرور الى قرع باب النقد ، فتوجه اليهم الآمدى قائلا : « •• ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ويتسهل ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لأن كل امرىء انما يتيسر له مافى طبعه قبوله وما فى طاقته تعلمه فينبغى — أصلحك الله — أن تقف حيث وقف بك ، وتقنع بما قسم لك ، ولا تتعدى الى ما ليس من شأنك ، ولا من صناعتك •• (٣٨) »

ولا يضير الآمدى أبدا أن يستخدم الاستقراء أو الاحصاء فى تسجيل حسنات ، أو سلبيات شاعرية ، والا فليدلنا الناقد الفاضل على طريقة أخرى متاحة يراها مثالية، ولم يستخدمها الآمدى !! •

ان الآمدى — بحق — كان مهندسا قديرا ، وفنانا بارعا فى خطة الموازنة ، « فهى خطة سليمة واضحة ، اذ يتناول المؤلف موضوع درسه فى مراحل ثلاث لكل مرحلة منهجها •

محاجة ، فموازنة ، فمقارنة •• ، وانه وان يكن التقسيم الى أجزاء غير محكم ولا واضح ، بدليل أنها تتفاوت من مائتى صفحة أو يزيد فى جزء « الموازنة التفصيلية » الى ثمانى صفحات فى الجزء « الخاص بتفضيل الشاعرين » — أقول :

انه بالرغم من ذلك يتضح لنا منهج المؤلف فى بناء كتابه بناء محكما ،وأما مسألة (تساوى)الأجزاء فمسألة شكلية لا تؤثر على سياق الحديث فى شىء (٣٩) »• وبعد فتلك هى خطة الآمدى المحكمة ، فى سفره العظيم « والموازنة » ليست بحاجة الى من يدافع عنها •

عبد الحميد محمد العبيسى

---

(٣٨) الأمدى : الحسن بن بشر (الموازنة جـ١ ص ٤١٩) « بتصرف » •

(٣٩) مندور : د• محمد (النقد المنهجى عند العرب ص ١٦١) •

الإعلام الإسلامي

الأسس والمبادئ

٤

القيم الإخبارية

للأستاذ حسن على محمد العنيبسى

لا أحد (١) ينكر أن أساس العمل الاعلامى كله يقوم على (الخبر) .

ففى الصحافة ـ مثلا نجد الركيزة الاولى فيها تقوم على صناعة الخبر ، ومنه يتولد « التحقيق الصحفي » « والحديث الصحفى » و « المقال » بأنواعه فى الصحافة اليومية بالذات .

وفى الاذاعة تحتل « الاخبار » مكان الصدارة حيث تقدم الفترات الاخبارية فى كل المحطات الاذاعية .. ومن الاخبار يتولد « التعليق على الانباء» ، و «التحليل السياسى» و « الريبورتاج الاذاعى » ، و المقابلة أو الحديث الاذاعى » .. الخ الفنون الاذاعية الاخرى .. ومايقال على الاذاعة ينطبق على التليفزيون .

* ومن هنا تأتى أهمية « العمل الاخبارى » كمحتوى أو مضمون اعلامى يحتل مساحة كبيرة ، زمنية أو مكانية فى شتى وسائل الاعلام هذا من جهة .

---

(١) يقدم الكاتب بحوثه فى هذا المجال، ويسعده أن تكون محلا للمناقشة والتعقيب لا سيما ، وهو يطرق ميدانا ندر رواده كما ندرت سوابق البحث فيه حتى يتم فى النهاية بيان محكم رشيد عن « الاعلام الاسلامى » .. الباحث .

ومن جهة أخرى فان للاخبار تأثيرا مباشرا على الجماهير ، ولأن الناس لاتستطيع أن تحيا دون معرفة مايجري حولها ، ولذا كان من الطبيعي أن يترقب الناس مواعيد نشرات الأخبار في الاذاعة والتليفزيون ، ويشترون الصحف لمعرفة الاخبار .

* واذا كانت الاخبار تتمتع بهذه الاهمية، وتلك المكانة فانه يبدو أمامنا الى أي مدى يصبح الخبر الكاذب خطيرا وجسيما ، والى أي مدى قد يحدث الخبر الكاذب آثارا خطيرة بين الشعوب ، والحكومات .. بل قد يسبب خبر ما اعلان حرب بين دولتين ..، أو اشعال فتنة بين أبناء الشعب الواحد .. !!

* لهذا كله .. يبدو من الاهمية بمكان أن يكون « لصناعة الاخبار » ضوابط وقيم ، ومبادىء تحترم ويتمسك بها رجال الاخبار ، والقائمون بالاتصال في كل الوسائل الجماهيرية .

* ولهذا كان للاسلام — وما يزال — وقفة طويلة أمام « الخبر » ومصادره والقائمين على نشر هذه الاخبار ، ولعله من المفيد أن نطرح كل هذا أمامنا مستفيدين منه ، ومن خبرات من سبقونا في هذا الشأن .. ويدفعنا هذا في البداية الى أن نسأل :

أولا : ما الخبر ؟

تقول « اللغة » (١) : خبرت الشيء (أخبر) من باب قتل (خبرا) علمته فأنا (خبير به) واسم ما ينقل ويتحدث به (خبر) والجمع (أخبار) . وفي أساس البلاغة (٢) : مالي به من خبر أي علم ، ومن أين خبرت هذا بالكسر ، وأنابه خبير ، واستخبرته عن كذا فأخبرني به وخبرني ، وخرج يتخبر الاخبار أي يتتبعها .. هذا من الناحية اللغوية .

أما « الخبر » اصطلاحا : فتتفق معظم أقوال الباحثين في الاعلام على أنه رواية واقعية « للحدث ACTION » دون تحريف أو زيادة أو نقصان ، وبهذا يمكن القول أن كل ما يحدثه الانسان من فعل يمكن أن يكون « خبرا » ، اذا أخذ طريقه الى « الرواية » كما يمكن أن يكون « قولا » أو غيرهما ومسرح الحياة يموج بالأخبار مع كل تحركات الناس في شتى نواحي الحياة .. وهذا التعريف واسع فضفاض .. ولهذا جاء من قال : هناك أخبار تستحق النشر وأخرى لا تستحق النشر ، وثالثة ليست للنشر،

(١) المصباح المنير : مادة خبر .

(٢) اساس البلاغة : مادة خبر .

ومن هنا وضع علماء هذا الفن ضوابط للاخبار ذات القيمة والفائدة والاهمية الاخرى التى لا يهم أحدا نشرها ولا تلقى اهتماما ‥ ومن أهم هذه المبادىء ٠

* **أن يكون الخبر جديدا** ‥ وبالتالى يشتاق الناس الى سماعه ومعرفته

* **وأن يكون واقعيا** ‥ فلا يكون نسج خيال أو « اشاعة » (١) ٠

* **أن يكون طريفا** ‥ والطرافة هنا تعود لغرابته أو لمقدار ما يبعث من تسلية ٠

* **أن ينتظره أكبر عدد من الناس** ‥

وهى صفة أساسية فى اختيار ما ينشر وما لا ينشر ‥ لانه لا قيمة لخبر لا يهم الناس وفى تقديرى أن تكون هذه الخاصة فى المرتبة الاولى عند ذكر قيمه الاخبار الصالحة للنشر ‥ وقد أسهب علماء الاتصال فى التفاصيل والشرح وذكر الصفات والخصائص المتصلة بالخبر الصالح للنشر ‥ بما لانجد مجاله فى هذه السطور العجلى لأن هدفنا هنا أن نركز على المبادىء والاسس والقيم الاسلامية التى يعمل فى اطارها « الخبر » وينتشر ، ويقدم على هدى منها رجال الاعلام بعملية « صناعة الاخبار » بما يخدم قضايا المجتمع المسلم وهذا يجرنا الى الحديث عن المنابع أو مصادر الاخبار : ــ

ثانيا :

* **مصادر الخبر** : اذا كان مسرح الحياة كله صالحا لأن نجد فيه « الخبر » فانه يجدر بنا أن نحدد أين نجد « الخبر الصالح للنشر »؟ وفى الحق أنه يمكن أن نقرر وجود ثلاث دوائر أساسية نستقى منها الاخبار الجيدة كالتالى :

١ ــ الدائرة الاولى ــ الأفراد :

وليست كل أخبار « الافراد » تصلح لأن تنتشر على الملأ ، ولكن هناك الافراد النجوم(أ) STARS مثل رجال السياسة حيث ترصد

(١) لنا حديث فى حينه عن «الاشاعة والخبر» من هذه السلسلة ان شاء الله تعالى ، ويجب ان نعرف ان الخبر يحكى قصة حقيقية بعيدا عن الاهواء والاغراض فأما الاشاعة فتنطلق لاغراض غير التى ينطلق من اجلها الخبر ثم هى تابعة لخطط لها سلفا ، ومفتعلة ، ليست طبيعية الحدوث كما هو الحال فى الاخبار ، الى جانب أنها تخدم اغراضا معينة ٠

وسائل الاعلام جميع تحركاتهم حتى الشخصى منها ولو داخل منزله •• وينبغى أن نقول هنا : ان هذا الوضع الاخير ليس من الاسلام •• فان الاسلام حرم التجسس واستراق السمع •• ولو كان — فى ميداننا هذا — يؤدى الى سبق صحفى •• !!

* كذلك فان من مبادىء الاعلام الاسلامى •• « أن الحرية الشخصية مصونة لا تمس » فلا يمكن لأى وسيلة اعلامية — فى ضوء هذه التعاليم — أن تدس أنفها فى المسائل الشخصية للفرد •• وانما يكتفى بتتبع تحركاته ذات الاثر العام على الناس أما تصرفاته فى منزله أو مع أسرته أو مشاكله الخاصة فان هذا يتعارض تماما مع مبدأ أساسى فى ديننا الاسلامى •

(ب) أخبار نجوم الفن من سينما ومسرح وغيرهما •

ومما يؤسف له أن نجد جميع الصحف والاذاعات فى بلاد المسلمين تخصص مساحة اعلامية كبيرة لهذه الفئة من الناس •• ثم نفاجأ فى الصحف بأن (فلانا) طلق و (فلانة) تعيش قصة حب •• الخ هذه التفاهات وفى ذلك ما فيه من تضييع لوقت القارىء المسلم والمشاهد أو المستمع المسلم فيما لا طائل من ورائه •

وتصل بعض الاخبار فى صحفنا الى حد النميمة والكذب والافتراء الى جانب ما تقوم من تجسس مرفوض تماما فى الاعلام الاسلامى ومن هنا فاننا نستطيع أن نقرر أن هذه الدائرة الاخبارية الخاصة بالافراد : فى الاعلام الاسلامى انما تلتزم بنشر ما يهم الانسان المسلم وما يحدث تأثيرا فى حياة الناس من جراء الاقوال أو أفعال هؤلاء الافراد مثل رؤساء الدول والزعماء السياسيين ورجال الفكر والافراد العاديين فى حالة حدوث « فعل » يجعلهم موضع الاضواء بشروط :

١ — ألا يكون فى الاعلام به ندخل فى حياته الشخصية بما يسىء اليه أو لا يرضى عنه •

٢ — وألا يسبب هذا النشر له آلاما نفسية أو مادية ، فانه « لاضرر ولا ضرار » فى الاسلام •

٣ — ألا يغير أو يؤثر هذا النشر على مجريات العدالة اذا كان الموضوع متصلا بنشر تفاصيل حادثة أو جريمة أو قضية معينة •

٤ — ألا يكون فى نشره اخلال بالآداب العامة أو ما يتعارض مع مبادىء الشريعة السمحاء •

أما ما نراه فى الصحف من تشهير وقذف وهتك لأعراض الناس ووصم للابرياء بصفات خطيرة قبل تحقيق القضاء أو الادانة من جهة قضائية فان هذا يعتبر مخالفا تماما للمبادىء الاسلامية وللقيم الاخبارية فى الاسلام ، وانى لآمل أن تكف صحفنا فى المجتمع الاسلامى عن الخوض فى أخبار الجرائم اللهم الا المتعلق منها بأخبار من يتولى منصبا عاما ويثبت خيانته •

٢ ــ الدائرة الثانية : أخبار الهيئات والمؤسسات سواء أكانت رسمية أم أهلية فهى فى القانون تعتبر شخصية اعتبارية ومسئوليتها تضامنية ، وما ينتج عنها من فعل يؤثر فى حياة الناس يعتبر أخبارا تستحق النشر مثل : ــ
الوزارات والمصالح الحكومية ، والجهات التى يتعامل معها المواطنون يوميا والجمعيات الدينية والنوادى الثقافية والرياضية وغير ذلك •

ولهذا نجد أن الصحف ودور النشر الكبرى ترسل الى كل جهة من هذه الجهات مندوبين لجمع الاخبار ولمعرفة ما يدور داخل هذه المؤسسات ، وليس من شك أن هذا يعطى ــ بشكل غير مباشر ــ دورا رقابيا للاعلام على المؤسسات العامة والشخصيات العامة بما يعود بالفائدة على المجتمع وينبغى لوسائل الاعلام فى هذه الدائرة بالذات أن تكون ذات اتجاهين : ــ

١ ــ من المواطن الى المؤسسات العامة لتوصل اليها رأيه ومشاكله ووجهات نظره •

٢ ــ ومن المؤسسات الى المواطن حيث تخبره بما يجد من جديد فى أسلوب التعامل أو بماله تأثير عليه فى حياته مثل مصلحة الجوازات أو التموين أو الضرائب أو غيرها مما له صلة مباشرة بحياة الناس •

٣ ــ الدائرة الثالثة : الأمور المتصلة بالطبيعة والبيئة مثل أخبار الزلازل والمجاعات والكوارث والارصاد الجوية وأنسب الايام للسفر أو الزراعة لمحصول كذا •• الخ •

وهذه الدائرة تقدم خدمة خاصة للناس وغالبا ما تكون أخبارها لها (صفة الفجائية) والطفرة أحيانا وأحيانا أخرى لا تكون لها أية أهمية تذكر ••

على أى حال لا تخلو نشرة فى اذاعاتنا من ذكر أحوال الطقس اليومية أو غير ذلك •

ثالثا ــ وسائل نشر الاخبار : لاشك أن الانسان هو الهدف الاول فى عملية صناعة الاخبار ، فنحن نحاول أن نصل اليه بوسائل عدة مثل : الصحف ، الراديو ، التليفزيون ، الاتصال المباشر الى غير ذلك من وسائل الاتصال ولاشك ــ أيضا ــ أن لكل وسيلة من هذه

الوسائل صفات تميزها عن غيرها وتجعلها مفيدة وضرورية فى وقت ما أكثر من غيرها .

وقد تواضع الناس على نسبة ثقة معينة يعطونها لكل وسيلة من هذه الوسائل فمثلا يثق الناس فى الاذاعة أكثر من ثقتهم فى أخبار الصحف ، ويثق الناس فى أخبار التليفزيون أكثر من الاذاعة لأنه يقدم لهم الى جانب الصوت والصورة الواقعية الحقيقية للحدث نفسه .. وهكذا .

والخبر فى هذا كله هو محك الاعلام وهو الاساس فى كل هذه الوسائل ، **ومن هنا فان لكل وسيلة أسلوبا متميزا فى صناعة الاخبار ، وما يجوز نشره فى الصحف قد لا يمكن نشره فى الاذاعة ، وما يمكن قوله فى الاذاعة قد لايكون مقبولا لو نشرت صورته فى التليفزيون .. !**

ولهذا فان لكل وسيلة مبادىء خاصة بها فى صناعة الخبر الى جانب المبادىء التى ذكرناها وأوضحنا موقف الاعلام الاسلامى منها . وعلى سبيل المثال .

* **فى الاذاعة :** نقول ان محرر النشرة الناجح هو الذى يلتزم الصدق والامانة والشرف الصحفى فى تعامله مع الخبر .. الا أنه والحق يقال هناك بعض المشاكل والعقبات تقف فى سبيل هذا الالتزام منها ما يلى : —

١ — الالتزام بالسياسة العامة للدولة ..

وهنا قد يتعارض خبر ما برغم أهميته مع المبادىء أو السياسات العامة للدولة — أية دولة — وهنا يكون القائم على عملية صناعة الخبر فى صراع بين أمرين :

فواجبه يملى عليه ألا يخفى هذا الخبر عن الناس .

ونشر الخبر يتعارض مع سياسة معينة تراها الدولة .. من هنا يلجأ الى البتر والحذف فى الخبر بما يشوه الحقائق ويفقد الخبر مكانته ومصداقيته لدى المستمع فاذا حدث أن علم المستمع من جهة اذاعية أخرى حقيقة الخبر وقعت أزمة الثقة بين الوسيلة الاعلامية وبين « المتلقى » للجماهير هنا مقولة مشهورة : « يا عم دا كلام جرايد » !!

فالجماهير ذكية وتدرك أبعاد الموقف .. لكنها لا تنسى من يخدعها ولاتقيم معه جسرا للثقة بعد ذلك .

وموقف الاعلام الاسلامى من هذه المسألة واضح كل الوضوح لان الاعلام مرآة للمجتمع .. وفى المجتمع المسلم يلتزم الاعلام بالمصالح العليا للأمة ، فينشر ما يراه صالحا للامة ، ويغفل ما يتعارض مع ديننا الاسلامى واذا كانت السياسات العامة للدولة ملتزمة بوازع من مبادىء الاسلام فان الاعلام سيكون بالطبع انعكاسا لهذه المبادىء .

٢ — طبيعة الوسيلة : وطبيعة الوسيلة

التى ننشر من خلالها الخبر تؤدى دورا هاما فى تحديد ما يمكن قوله ومالا يمكن قوله ..

مثلا تستطيع الصحف أن تعرض باسهاب تفاصيل جريمة ما كجريمة اغتصاب .. أو زنا - رغم تحفظنا على هذا الجانب - فى حين لا يمكن للتليفزيون أن يعرض هذا على شاشته وقائع هذا الحدث ، ويستطيع الراديو أن ينشر خبرا عن كارثة معينة بحيث لا يسبب صدمة للمستمع كالتى يسببها نشر الصور وتفاصيل هذه الكوارث للمشاهد .. وهكذا ..

ثم اذا كانت الوسيلة محلية الانتشار فان لها أخبارا تناسب هذه المحلية وهى تختلف تماما عن اهتمامات الوسيلة عالمية الانتشار .

ثم نجد أن الخبر الاذاعى أقرب الى الأذن من خبر التليفزيون . وخبر الصحيفة أكثر استمرارية من الخبر الاذاعى والتليفزيونى .. بمعنى أنه يمكن الرجوع اليه فى أى وقت وتحت أى ظروف .. بينما تفقد هذه الاستمرارية فى الاذاعة أو التليفزيون بمجرد سماع النبأ فلا يبقى بين أيدينا شىء مادى يمكن أن نعاود النظر فيه .

ويحسن بنا فى نهاية هذه الحلقة أن نحدد القيم الاخبارية فى الاعلام الاسلامى على الوجه التالى : -

١ - قيم خبرية متصلة باستقاء الانباء .

٢ - قيم خبرية متصلة بصياغة الخبر ونشره

٣ - قيم خبرية عامه .

ولان المساحة تحدنا بحدود لا ينبغى أن نتجاوزها فاننا نرجى الحديث عن هذه المحاور الثلاثة الى حلقة قادمة ان شاء الله تعالى. وبالله وحده التوفيق والسداد ..

مصادر البحث :

المجلات ١ - مجلة الأزهر عددا ربيع الاول ، ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ .

٢ - مجلة الفن الاذاعى الاعداد ٨٨، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١

٣ - مجلة الفيصل العدد ٧٠ الصادر فى ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ

الكتب : ١ - الخبر ومصادره : د . احمد المغازى - مجموعة محاضرات لكلية الاعلام سنة ١٩٧٧ .

٢ - نشأة وسائل الاعلام وتطورها : د . خليل صابات .

٣ - دور الاعلام الدينى فى تغيير قيم الاسرة :د . نوال عمر ، مكتبة نهضة الشرق .

٤ - نحو اعلام اسلامى : حسن على العنيسى .

٥ - استقاء الانباء فن : وديع فلسطين .

القواميس : ١ - أساس البلاغة للزمخشرى .

٢ - المصباح المنير للفيومى .

طرائف

تبارك الله أحسن الخالقين

وعظ الامام الشافعى « محمد بن ادريس » ــ رحمه الله ــ فقال : هذا ورق التوت ، لونه واحد وطعمه واحد .

يأكله الدود فيخرج منه الحرير .
ويأكله النحل فيخرج منه العسل .
وتأكله الشاة والبقرة فتلقيه بعرا أو روثا .
وتأكله الظباة فيخرج منه المسك .

وهى شىء واحد « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » .

أشد الناس حسرة

كان عبد العزيز بن أبى رواد من كبار الصالحين فى جيله .

وكان راضيا عن الله فى كل حالاته :
ومن كلماته المأثورة :

أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة :

رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملا منه .

ورجل له مال فلم يتصدق منه ، ومات فورثه غيره ، فتصدق منه .

وعالم لم ينتفع بعلمه ، وعلم غيره فانتفع به .

يأمر وينهى

دخل شريح القاضى على زياد يزوره فى مرض موته فلما خرج سئل : كيف تركت الأمير ؟

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

قال : تركته يأمر وينهى •

فقال مسروق بن الأجدع : ان شريحـــا صاحب تعريض •
فاسألوه •

فسألوه ، فقال : تركته يأمر بالوصية وينهى عـن البكاء •

الحمد لله

جمع عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — قراء أهل الشام وقال لهم : انى جمعتكم لأمر قد أهمنى ، هذه المظالم التى فى أيد أهـــل بيتى ما ترون فيها ؟

فقالوا : ما نرى وزرهـا الا عـلى مـن اغتصبها !

فقال لابنه : عبد الملك ، ما ترى ؟

فقال : ما أرى من قدر على ردها فلم يردها والذى اغتصبها الا سواء •

فقال : صدقت يابنى •

الحمد لله الذى جعل لى وزيرا من أهلى : عبد الملك ابنى •

خلق الله الذباب

كان المنصور جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره •

فقال : انظروا من بالباب من العلماء ؟

فقالوا : مقاتل بن سليمان •

◄

طرائف ومواقف

فدعا به ، ثم قال له : هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب ؟ .

قال : ليذل به الجبابرة .

قال : صدقت ، ثم أجازه .

حقا

من أعطى مالا ، أو جمالا ، أو ثيابا ، أو علما ، ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة .

حجة بالغة

طلب صديق من الأصمعى قرضا فقال له : حبا وكرامة ، ولكن سكن قلبى برهن .. ! فقال له الرجل : الا تثق بى ؟

فأجاب الأصمعى : بلى ، وان خليل الله ابراهيم – عليه السلام – كان واثقا بربه وهو يقول : « ولكن ليطمئن قلبى » .

دعوة المظلوم

لما حبس جعفر بن يحيى البرمكى وأبوه بعد أن كان وزيرا لهارون الرشيد الخليفة العباسى قال لأبيه : يا أبت ، بعد الأمر والنهى أصارنا الدهر الى القيود ، ولبس الصوف.

فقال الأب : يابنى ، دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها .

دعاء

اللهم ارزقنى التوفيق حتى تصوم عينى عن المحرمات ، وتصوم نفسى عن الشهوات ، ويصوم قلبى عن الخطرات التى تحجبنى عنك.

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أنباء وآراء

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
محمد يوسف صلاح

علماء العالم الاسلامى

وجهت اللجنة العليا للمؤتمر العالمى الرابع للسنة والسيرة النبوية الشريفة . الدعوة الى العديد من علماء الاسلام من خارج مصر . للاشتراك فى المؤتمر العالمى الرابع للسنة والسيرة النبوية الذى يبدأ فى أول نوفمبر القادم . تم حجز مبنى جامعة الدول العربية ليكون مقرا رئيسيا للمؤتمر فترة انعقاده ، كما تم حجز فندق « ماريوت » لاستقبال الضيوف وستكون جلسة الافتتاح بقاعة الامام محمد عبده بالازهر . وقد وصل عدد البحوث التى قدمت الى أمانة المؤتمر (١٦٦) بحثا باللغة العربية وتسعة بحوث باللغة الانجليزية، وبحثين باللغة الفرنسية ، وبحثا واحدا باللغة التركية .

اهتمام عالمى بمؤتمر القاهرة للاعجاز الطبى فى القرآن .

يناقش المؤتمر الدولى عن « الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم » الذى يعقد بالقاهرة يوم ٢٣ سبتمبر القادم لمدة أربعة أيام تحت الرياسة الشرفية لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر - مائتى بحث نقلتها أمانة المؤتمر من جميع انحاء العالم . وسوف يحضر المؤتمر حوالى خمسمائة من أطباء العالم العربى والاسلامى ودول أوربا وامريكا وكندا وأمريكا اللاتينية واستراليا وآسيا ومجموعة من المستشرقين وذلك ضمن اهتمام عالمى وعلمى كبير باول مؤتمر يعقد من نوعه فى منطقة الشرق الأوسط تناقش فيه بحوث علمية وطبية متصلة بالاعجاز الطبى فى القرآن الكريم .

تطوير مناهج التربية الاسلامية بالمدارس الابتدائية ..

انتهت مطابع وزارة التربية والتعليم من طبع كتب التربية الاسلامية للصفوف الثلاثة الاولى من مرحلة التعليم الاساسى . وذلك بعد أن تامت لجنة من أساتذة السيرة وخبراء المناهج الازهر ووزارة التربية والتعليم بتطوير المنهج

◄

أنباء وآراء

بحيث راعت فيه وسائل الترغيب والايضاح بالصورة والرسوم التى توضح سير الأحداث الاسلامية فى السيرة النبوية والغزوات ، وكذلك اهتمت اللجنة فى هذا المنهج الجديد بتقرير السور القرآنية التى تدعو الى حسن الخلق والاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام .

بيت القرآن بالبحرين

تم وضع حجر الاساس لمشروع بيت القرآن بالمنامة بدولة البحرين يضم المشروع مسجدا ومكتبة ومتحفا ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وقاعة للمحاضرات والمؤتمرات . تبلغ تكاليف بيت القرآن ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف دولار . ومشروع بيت القرآن بالمنامة يعتبر أول مجمع اسلامى متكامل لخدمة الدعوة الاسلامية فى البحرين .

مركز اسلامى فى بلجيكا

يتم حاليا انشاء مركز اسلامى جديد فى مدينة « أنيتوبورت » البلجيكية . ويتم تنفيذ المشروع تحت رعاية مؤسسة الملك فيصل الخيرية ويخدم ٣٥ ألف مسلم فى المدينة البلجيكية التى تعد أكبر ميناء تجارى فى بلجيكا .

مراجعة الكتب الدراسية فى الدول الغربية

وافقت معظم الدول الغربية على الخطة التى تقدمت بها الجمعية الدولية « الاسلام والغرب » التى يرأسها الحبيب الشطى رئيس الجمعية ، والأمين العام السابق لمنظمة المؤتمر الاسلامى . تتضمن الخطة مراجعة الكتب الدراسية فى الغرب والتى تحتوى على مفاهيم تسىء الى سمعة المسلمين ، وتتعرض للقيم والمبادىء الاسلامية السمحة بالتجريح.

وأضاف الشطى :

ان الجمعية الدولية شكلت لجانا لهذا الغرض وانتهت من مراجعة الكتب الدراسية الخاصة بالمرحلتين الابتدائية والثانوية ، ومازالت الجهود مبذولة لمراجعة الكتب الجامعية وتهدف هذه الخطة الى مواجهة الحملات الصهيونية العالمية وتوضيح الاسلام على حقيقته دينا قادرا على قيادة العالم كذلك قررت الجمعية تنظيم مؤتمر فى العام المقبل ، لبحث المشكلات التى تواجهها المجتمعات الاسلامية فى الدول الغربية .

طبع مائة كتاب مخطوط

قرر الرئيس الباكستانى ضياء الحق طبع مائة كتاب مخطوط ومطبوع من كتب التراث الاسلامى التى تمثل مختلف المجالات الابداعية للعلماء المسلمين خلال الأربعة عشر قرنا الماضية فى السيرة والفقه والتاريخ والطب والحضارة .

مركز اسلامى لعلوم النفس والاجتماع

تقرر اقامة مركز اسلامى لأبحاث علم النفس والاجتماع فى اليمن الشمالية . بهدف ايجاد منهج اسلامى موحد لهذه العلوم .

يقوم بتنفيذ المشروع رابطة العالم الاسلامى ووزارة الاوقاف والارشاد اليمنية وجامعة صنعاء .

الكويت تطبع مليون كتاب اسلامى

تقوم الآن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى الكويت بطبع مليون نسخة من الكتب الدينية فى مختلف العلوم والدراسات الاسلامية . تطبع الكتب بلغات مختلفة منها البرتغالية والأسبانية والانجليزية والأردية

والسواحلية والهوسا وبعض اللغات الافريقية الأخرى . يتم توزيع هـذه الكتب عـلى المسلمين فى البلاد التى تتحدث بهذه اللغـات وكذلك على غير المسلمين من أجل التبليغ بدين الاسـلام .

من خير ماكتب

الدكتور / عبد الجليل شلبى

قـرآن وسـنة

ترى هل يذكر الذين يتحدثون عـن تطبيق الشريعة الاسلامية وما يزعمونه فيها من عنف وشدة واستبداد . و .. الخ . هل يذكر هؤلاء أن أول خليفة للمسلمين وضع مـن أصـول الديمقراطية ما لم تصل اليه أيـة دولـة فى التاريخ الحديث ؟ .

جاء فى أول خطبة للخليفة الأول : « .. انى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتمونى على حق فأعينونى وان رأيتمونى على بـاطل فقومونى ، .. أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم ..)

فالخليفة وضع نفسه قبل كـل شىء تحت رقابة الأمة يعينه محكوموه على الحق ويردونه عن الباطل ، ثم جعل نفسه مـوظفا لـديهم ، لاطاعة له عليهم اذا عصى الله ، فلهم اذن حق خلعه ، وطاعة الله ومعصيته ترجع الى قانون الله تعالى وقرآنه .

وهل كانت هذه مجرد دعاية أم جرى عليها المسلمون فعلا ؟ .

ان المسلمين كان لهم حق مراجعة الحاكم وروجع الخلفاء فى مختلف الأزمنة .

وأعجبنى « من التعجب » وأدهشنى ماذكره البعض من أن أبا بكر يوم أن أعلن حرب الردة أصر عليها رغم مخالفة الصحابة له ورأى ذلك استبدادا .!!!

لقد كان الحديث بينه وبينهم مراجعة لنص دستورى وهو قول رسول الله صلى اللـه عليه وسلم (أمرت أن أقـاتل النـاس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم) وذكرهم الخليفة ببقية الحديث وهى الا بحق الاسلام ما اعتبر استبداد هو فى حقيقته تنفيذ لقانون الهى من وظيفة الحاكم الاسـلامى أن يرعاه ويحفظه .

*** دكتور عادل صادق أستاذ الأمـراض النفسية والعصبية بطب عين شمس :**

« بدأت تزداد ـ بين نجـوم التمثيل ـ الأعداد من صرعى الهروين ، وأصحاب هـذه الأخبار يتنوعون بين فنانين وفنانات .

ومن عجب ـ وتلك قدرة الله ـ أن يلـزم العمل الحرام أزمة لاتفارقه ، فهى معه منـذ البداية حتى النهاية ، تؤكد أن العدول عن طاعة الله مهلكة ، وأن الله ـ سبحانه ـ لم يحـرم الا ما ضر وهلك .

« مجلة الأزهر »

دكتور عادل صادق أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بطب عين شمس يقول :

ان الفنان فى مرحلة خوف دائم من المنافسة فالصراع محتدم وهو فى أحيان كثـيرة صراعٌ غير شريف .. وحياة الفنـان ـ كما نعلم ـ مقترنة بتواجده فى أفضل صورة .. وعـندما

◄

من خير ما كتب

يشعر لسبب ما أن هذا التواجد أصبح مهددا بالخطر نتيجة لظهور منافسين جدد أو لتعرضه لبعض الاحباطات فان ذلك يصبح كفيلا بسحقه من الداخل فيلجأ للادمان كمحاولة للهروب من الواقع أو لخلق عالم جديد مليء بالنشوة والسعادة الوهمية .. والتحليق .. حيث أن « شمة » واحدة من الهيروين تجعل الانسان خفيفا ونشيطا وكأنه يطير أو يسبح فى الفضاء .. ولكن هذا التأثير الكاذب سرعان ما ينتهى .. ويفيق الانسان على الواقع المؤلم الذى حاول الفرار منه ، فيلجأ للتعامل مرة أخرى مع هذا المسحوق الكاذب .

* ولكن هل يمكن علاج المدمن وعودته لحياته الطبيعية ؟

يقول الدكتور عادل صادق :

من الممكن أن يحدث شفاء المدمن فى بعض الحالات من آثار الهيروين ولكن الأمر يتطلب قدرا هائلا من قوة الارادة والتصميم لكن للأسف يحدث انتكاس فى معظم الحالات .. **لأن الفنان لا يتعلم من خطئه .. كما أن الكثير منهم يقطعون العلاج بمجرد الاحساس ببوادر الشفاء ويعود لسلوكه السابق فى التعامل مع الهيروين كوسيلة للهروب من الاحساس بالخوف والاكتئاب والحزن .**

ويضيف د . عادل صادق عن الأعراض التى تصاحب ادمان الهيروين فيقول :

انها أعراض الانسحاب . حيث تبدأ معاناة المدمن عندما لا يأخذ الجرعات التى اعتادها فيشعر بآلام حادة فى مناطق متعددة من جسمه مع (زغللة) فى العين ، وسيولة فى اللعاب ودموع العينين مع افرازات من الأنف وارتعاش العضلات وشحوب مخيف فى الوجه ، وصعوبة التنفس بمعنى أن الانسان يتحول فى فترة قصيرة جدا الى كيان مهلهل .. ثم تبدأ رحلة النهاية التى تصبح فى هذه الحالة أمرا محتوما !!

ان أكبر نسبة من متعاطى الهيروين فى مصر .. من الوسط الفنى ويبرر الدكتور عادل هذا القول :

بأن مادة الهيروين باهظة الثمن بشكل مخيف . حيث أن الشمة الواحدة يصل ثمنها الى ثلاثمائة جنيه وهى رفاهية لا يقدر عليها الا اثنان فقط التاجر أو الفنان .. أى هؤلاء الذين لا يقدرون قيمة المال ولم يبذلوا الجهد الخارق للحصول عليه . ولكنهم فى معظم الحالات من هذا الصنف الذى هبطت عليه الثروة بعد سنوات حرمان وبأسلوب ما فالفنان الذى يتقاضى عشرات الآلاف فى الشهر الواحد ولا يعرف هو شخصيا كيف ارتفع دخله لهذه الأرقام الفلكية يلجأ الى أفخر أنواع المنبهات الهيروين

ماساة فى مطعم

وقصة أخرى يرويها أهل الفن عن أحد شباب السينما بل أكثرهم شعبية وموهبة فنية .. حيث كان يجلس فى أحد المطاعم مع نخبة من الاصدقاء ، ويبدو عليه بعض الانهاك والارهاق . فهو يعمل فى أكثر من فيلم ومسلسل فى وقت واحد .. بالاضافة لبعض المشاكل العاطفية والاسرية التى صادفته فى الآونة الأخيرة .. ولاحظ الجميع شرود نظراته وارتعاش عضلات وجهه ولكنه رغم ذلك كان يحاول جاهدا أن يبدو متماسكا . واستغرقت

المجموعة فى حوار مرح ، حتى فوجئوا بوجه الفنان الشاب يسقط فى طبق الشوربة .. ومنعا للفضيحة تعاون الأصدقاء على حمله والخروج به من المكان وسط دهشة رواد المطعم وذهولهم .

ويعلق الدكتور عادل صادق على ذلك فيقول ان الفنان عادة يعيش صراعات رهيبة ومخيفة .

فكل فنان داخله احساس ما بأن أمامه عاما أو اثنين من النجاح ثم يأفل نجمه . وكلما ظهر فى الأفق منافس أو وجه جديد يزداد احساسه بالخوف . لأن وسائل الاعلام تضغط بهذا المنافس الجديد وتعطيه مساحات من الدعاية والاهتمام .. فتزيد احساس الآخرين بالتوتر لأن الوسط الفنى فى مصر يستغل نجومه أسوأ استغلال

والأمثلة أمامنا كثيرة فتجار السينما يتعاملون مع النجوم كسلعة .. فمجرد نجاح ممثل ما ..يهرع اليه المنتجون ويسرفون فى تدليله ويعطونه ما يطلب من مال وتنهال عليه العروض للدرجة أنه لا يجد الوقت الكافى لينظر لنفسه فى المرآة .. ولكن هذا الفنان أو غيره عندما يتسع انتشاره ويشعر الجمهور بتشبع من وجوده تهبط أسهمه فى السوق ولا يجد أحدا يسأل عنه وسرعان ما يهبط من عليائه ليجد نفسه نهبا للاحباط والاكتئاب

انهم يقتلون الجياد ..

ويضيف الدكتور عادل صادق ان المنتجين فى مصر يتعاملون مع الفنان . كما يتعامل محترفو السباق مع الجياد التى يحقنونها بالمنشطات والمنبهات فتدخل الحلبة وتبلى بلاء حسنا ولكنها تخرج منهارة وتفقد القدرة على الاستمرار فيطلقون عليها الرصاص .

ان معظم مدمنى الهيروين من الوسط الفنى ينتمون الى فئة « الكوميديا » حيث يعطى « الهيروين » خفة فى الحركة ولباقة وقدرة على الاضحاك ، ويجعل الفنان خفيف الظل ، مرحا ، سريع البديهة .. لأن أسلوب الكوميديا فى مصر يصرع الفنان لأن النصوص المكتوبة تفتقد لعناصر الاضحاك وتخلو من الحدث والمواقف الراقية ، فيقع العبء كله على الممثل الذى يتحول على خشبة المسرح الى « بلياتشو » .. ويصبح مطالبا بانقاذ العمل من السقوط فيبذل يوميا وعلى مدى شهور قد تمتد الى سنوات جهدا خارقا أمام الجمهور ويستخدم كل وسائله المشروعة وغير المشروعة ويضطر الى المبالغة فى الحركات أو استخدام النكات اللفظية الفجة . ولابد له أن يجدد يوميا من هذه النكات . وهذا يتطلب قدرات خارقة ولا تتوفر للكثير منهم فيلجأون الى تعاطى الهيروين ويضيف الدكتور عادل صادق :

لقد عايشت الكثير منهم . وأعرف ما يعانيه فنان الكوميديا الذى يحرق نفسه كل ليلة من أجل الفوز بضحكات الجمهور . ولكنه للأسف يدفع الثمن .

* أما النهاية .. كما يحذر منها الدكتور عادل صادق :

فانها تأتى بصورة حتمية وخلال عدة أعوام قد تمتد الى أربعة أو خمسة على الأكثر ولكنها مخيفة ورهيبة فى معظم الأحيان حيث تترك سعداء الحظ منهم فى حالة غير بشرية وتحولهم الى كتل منهوكة من الآلام النفسية والجسدية ولا ينفع معها أى أنواع العلاج .

والثالث عن تدوين الحديث وأعلام المؤلفين فيه (لم يطبع) •

٣ ــ **غيث المستغيث فى مصطلح الحديث (طبع) •**

٤ ــ **المعلم بشرح المختار من صحيحى** البخارى ومسلم (طبع) •

٥ ــ **أبو هريرة فى الميزان (طبع) •**

فيه تمحيص لتاريخ أبى هريرة وتفنيد ما ألصق به من مفتريات الملحدين والمستشرقين وأذنابهم على ضوء البحث العلمى الصحيح والنقد التحليلى الدقيق ، وفيه رد على الطاعنين فى روايات أبى هريرة لكثرة الرواية عنه واقد تبين بالاثبات العلمى أن أبا هريرة لم ينفرد بحديث ، وما من حديث رواه الا رواه صحابى آخر أو أكثر •

٥ ــ **القرآن الكريم والقضايا الانسانيه الكبرى وبينات الكتاب المعجز تضمن عدة أقسام :**

(ا) الرسالة المحمدية وعمومها وختمها •

(ب) اثبات وجود الله على ضوء العلم •

(جـ) اثبات توحيد الله ذاتا وعبادة •

(د) اثبات البعث والجزاء الأخروى •

(هـ) المنهج الاصلاحى للفرد وللجماعة (لم يطبع) •

٦ ــ **آيات الألوهية فى القرآن الكريم • (لم يطبع) •**

٧ ــ **التأمين من الزاوية الاسلامية (لم يطبع) •**

٨ ــ **فى ظلال الاسلام ــ وهو سلسلة من الرسائل الاقتصادية :**

التأمين ــ المصارف ــ المعاش (لم يطبع)

٩ ــ **تفسير القرآن الكريم حسب النزول •** وانتهى الى قوله تعالى : « **وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » نهاية الزمر (لم يطبع) •

وكتب عدة مقالات حول « ابن تيمية يرد على ابن تيمية » كانت تطبع لتوضع فى أيدى طلبة كلية الشريعة بمكة المكرمة ليعرف الطلبة منها حقيقة ما ينسبه بعض العلماء الى ابن تيمية •

فكان الشيخ يأخذ المسألة التى يتداولونها عن ابن تيمية ويقارنها بما يردها من كتب ابن تيمية نفسه •

*** * شيوخه وتلاميذه :**

لاننسى هنا أن نذكر بعض شيوخ شيخنا وبعض تلاميذه • فقد كان من شيوخه فى الدراسات العليا فضيلة الشيخ محمد الاودن ــ رحمه الله ــ مدرس الحديث بكلية أصول الدين وفضيلة الامام الأكبر الأسبق الشيخ الخضر حسين •

ومن تلامذته وزير الأوقاف الحالى د • الأحمدى أبو النور ــ وغيره كثير ممن نهل من علم الرجل شرقا وغربا • فقد كانت حياته ــ رحمه الله ــ رحلة موصولة فى الجهاد العلمى حتى لقى ربه فى أوائل ذى الحجة ١٤٠٤هـ فسلام عليه مع الصديقين والشهداء والصالحين ورحمه الله رحمة واسعة •

عاطف زهران

فهرس العدد

مراجعة وعنـاوين داخليـة
الاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنـا
مراجعـة فنيـة
الاستاذ محمد صلاح حيدر

فهرس أسماء الكتاب
مرتبًا حسب الحروف الهجائية

إعـــداد

الأستاذ/ حسن سليم حسن
الأستاذ/ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

فهـرس المقالات

مرتبـا حسـب الحروف الهجائيـة باسقاط (ال) التى للتعريف فقط

اعـــده

ابراهيم حفنى احمـد ـ ابـو القاسم ابراهيم

هاروت وماروت « فصل من تفسير صفوة البيان لمعانى القرآن »	١٦٢٤	الوعد الحق والنبوءة التى نعيش فى واقعها	١٧١٠
هجرة الحق قصيدة	٣٩٦		٧٢٨
هل تجمع « معيشة » على «معائش»	١١٨	ولدى « قصيدة »	٩٠٢ ١١٤٧
واجب الشباب نحو ربهم	٥٧٧	الوقف	١٠٦ ٢٥٨ ٥٩٦ ٩٧٤ ١٣٦٠ ١٧٠٠ (٢٠٦٢)
الواحد الصمد	٨٢٨ ١٢٧٢		
« واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك »	١٧٥٣	حرف الياء	
وتعاونوا على البر والتقوى « دراسة قرآنية »	١٦٠٦	اليهود بين الحق والقوة	٥٩٢
وحدة الوجود	٩٢		
الوصايا العشر	١٠٩	يوسف الدجوى (الشيخ من أعلام الأزهر) فقيه بحاثة داعية	١٦٩٣ ١٨٣٩
وصايا القرآن الكريم بأمهات الفضائل	٥١٠		

هدايا مجلة الأزهر عام ١٤٠٥ هـ

« الهجرة »	« عودة القدس »
« الدروس الحسنيه »	البابية والبهائية فى الميزان
« المختار من ارشاد المريدين لسيرة سيد المرسلين »	« رمضان تفسيرا وحديثا وفقها »
المختصر فى مصطلح أهل الأثر »	« نبع الهدى ومكانه »
« مستقبل الحضارة الاسلامية »	أسرار الماسونية
« فى مسألة السفور والحجاب »	« الحج تفسيرا وحديثا وعبادة »

The Editorial board of The Al Azhar Magazine highly welcomes suggestions, proposals and Articles for The English Section; particularly from readers abroad.

The Editor

Jummada Al-Akhira, 1405 H. Part 6.

1- The confederates P. 1044, Dr. A.M. EL-Naggar.

2- Life after death P.1036, Soliman Barakat.

3- The way of Righteous P. 1034, Magdy A. Basheer.

(Both 2 and 3 were published with errors in Page sequence)

4- Believers Ignore the Envious. Translations from Sayed Al-Khatir by Imam Ibn Al-Jawzy. P. 1927, Sonia Hill.

Rajab, 1405 H. Part 7.

1- The Confederates and Bani Quraiza, P.1252, Dr. A.M. El-Naggar.

2- Life after death. P. 1246, Soliman Barakat.

3- Way of Righteous . P. 1242, Magdy A. Basheer

(Both 2 and 3 are correction of Errors in Part 6.)

Shaban, 1405 H. Part 8.

1- The Vanquish of Bani Quraiza P. 1412, Dr. A.M. El-Naggar.

2- Life after death (II) P. 1405 , Soliman Barakat.

3- The codes of Islamic social life. P. 1402 , Nasr El-Din A. Sholkamy.

Ramadan, 1405 H. Part 9.

1- The end of fifth year P. 1586, Dr. A.M. El-Naggar.

2- Translations from Riyad Al-Saleheen by Imam Al-Nawawy P. 1581, Soliman Barakat.

3- Fasting Ramadan and its Morals. P. 1577, Nasr El-Dien Al-Sholkamy.

Shawal, 1405 H. Part 10.

1- The Beginning of the sixth year. P. 1750, Dr. A.M. El-Naggar.

2- Translations from Riyad Al-Saleheen P. 1745, Soliman Barakat.

IMDEX OF ENGLISH SECTION

VOLUME 57.

1405 H.

time the instructor answered in the affirmative, for who could stand in between him and repentance. He advised him to go to a land where people used to serve God, to serve Him with them, and never get back to his own land which was a land of evil.Forth the man went, but hardly had he covered half the way when death came upon him. Angels of Mercy and Angels of Chastisement disputed over him. The Angels of Mercy said: " He came to us in repentance, turning his heart towards Allah." The Angels of Chastisement said:" He has never done a bit of good." Then, up to them came an Angel in the semblance of a human, whom they agreed to make arbiter between them, He said to them: " Measure in between the two lands and let him belong to that which he is nearer." On doing so, they found him nearer the land he had been making for; and so the Angels of Mercy took him on, (Agreed upon).

According to "Sahih; i.e. Genuine and valid Narrative", he was a span nearer the land of the righteous, and was therefore counted one of its folk. According to another "Sahih Narrative"; Allah inspired the one land to tend further away and the other to draw nearer and nearer, and He said, "Measure the distances he has made in between." Being found a span nearer the latter, he was forgiven his sins. Still, according to a third narrative, he was nearer by the breast,

---

(1) Ablution following sexual intercourse entails a full bath. " Defilement" is not a very accurate term, and is not suitable for a believer either.

(2) Though not homonyms, the Arabic for 40 and 70 sound so near that an error may result from acoustic failure.

"Have you ever heard him say anything concerning passion?" I asked Safwan, who said: "Yes, We were with the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, attending him during a journey, when a bedouin called him in a yelling voice: "Muhammad!". In an approximate shouting voice the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, answered him: "Here I am", I said to the Bedouin, "Woe to you! subdue this voice of yours. You are in the presence of the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, and you are ordained not to shout to him." However, the man retorted, " By Allah, I will not subdue it." Addressing the Prophet blessed be he, he said, " How about a man who loves such folk as he does not overtake?" The Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, said to him, "One will on the Day of Resurrection be with those whom he loves." Then the Prophet, blessed be he, went on to talk to us till he mentioned a door from the west as wide as a camel-rider might take forty or seventy years(2) to cover.

Sufian, a narrator of Hadith, said that door to be Syria-ward, created by Allah on the day He created the Heavens and the Earth, open for repentance and never to be closed till the sun makes its rise through it. (Tirmidhy and others)

8- On authority of Said Ibn Malik Al-Khudry, may Allah be pleased with him, the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said:

"There was of those before you a man who, having killed ninety-nine souls, inquired about the most learned man on earth. He was referred to a hermit whom he went to visit and tell that he had slain ninety-nine souls, and asked if his turn to Allah could ever be accepted. The hermit answered in the negative, so that the man killed him, too, thus completing a hundred. Again he inquired about the most erudite man on earth and this time he was referred to a man of great knowledge. He went to visit him and ask him if there could ever be a chance for his repentance to Allah to be accepted, having slain a hundred souls. This

4- On authority of Abu-Mussa Al-Ashary, may Allah be pleased with him: said:
The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah ,said: "Allah exalted be He spreads out His hand by night so that he may repent who has sinned by day, and spreads out His hand by day so that he may repent who has sinned by night, till the sun rises from its set." (Muslim).

5- On authority of Abu-Huraira, may Allah be pleased with him: said:
The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah ,said: "Allah will turn towards him who repents to Him before the sun rises from its set (Muslim).

6- On authority of Abd-Allah Ibn Omar Ibn-El-Khattab, may Allah be pleased with them, father and son; said:
The Apostle of Allah, blessing and peace from Allah be upon him. said: "Allah, Majestic in His Glory, accept His servant's penitence unless he is suffering the gurgles of death." (Al-Tirmidhy)

7- On authority of Zirr Ibn Hubaish, said:
I called on Safwan Ibn Assal, may Allah be pleased with him, to inquire of him about the replacement in ablution of washing one's feet by wiping one's shoes. (He said to me,) " Well, what have you come for, Zirr?" "Pursuit of knowledge," I said: He said" Angels repose their wings for the pursuer of knowledge in satisfaction at his aspiration " I said to him,"My breast is troubled with suspicion about the validity of shoe wiping in ablution following the discharge of excrement and urine.You were a companion of the Prophet , be upon him blessing and peace from Allah, and so I come to ask you if you have ever heard him say anything in respect of that."
He said, "yes, he did, He used to ordain us, both on travel and during stay, not to take off our shoes before three days and nights, save from the uncleanness of sex (1) , but not from excrement, or urine or sleep.

Nur XXIV, Verse 31) "Turn to Allah, all together, believers, that you may prosper." In Surat Houd (XI , Verse 3),He says, "Ask forgiveness of your God,and in Surat Al-Tahreem (LXVI, Verse 8) He says, "Believers, turn to Allah in sincere repentance that your God may acquit you of your evil deeds."

1- On authority of Abu-Huraira, may Allah be pleased with him; said: I heard the Apostle of Allah say, be upon him blessing and peace from Allah: " By Allah, I ask forgiveness of Allah and turn to Him over seventy times a day. " (Bukhary).

2- On authority of Al-Agharr Ibn Yassar Al-Muzany, may Allah be pleased with·him; said:
The Apostle of Allah said, be upon him blessing and peace from Allah: "Men, repent to Allah and seek his forgiveness. I myself turn to him a hundred times every day." (Muslim).

3- On authority of Anas Ibn Malik Al-Ansary, may Allah be pleased with him; private of the Prophet be upon him blessing and peace from Allah .
The Apostle of Allah said, be upon him blessing and peace from Allah "Allah surely joys in His servant's turn to Him more than does any of you who comes upon his camel which he had lost in an open waste land." (Agreed upon).
In another narrative by Muslim, it says: " Allah surely joys in His servant's repentance, when he actually turns to Him, more than does any of you whose mount has overthrown him and taken to flight with his food and drink on it, so that in black despair of ever seeing it again he goes to lie in the shade of a tree, and unexpectedly it is there waiting for him. He takes it by the halter in so great happiness that he misconstructs his thanksgiving and says; Allah, you are verily my servant and I am your God."

RIYAD AL-SALEHEEN BY

IMAM YEHIA IBN SHARAF AL-NAWAWY AL-DEMASHQI

Translated by: Soliman Barakat

CHAPTER - II

REPENTANCE

Scholars of Islam say that return to Allah is obligatory of every sin. If a misdeed is confined to the sinner's disobedience towards Allah, high exalted be He, not in the least injuring the rights of a human, then the wrong doer has to fulfil three conditions: the absence of any will render his repentance void:
a) he breaks himslf of the sin;(b) he feels really sorry to have committed it; and,(c) he determines never to repeat it.

On the other hand, should the misdeed touch a human, it is incumbent on him to add a fourth condition, i.e. to clear himself of the offended party's due. He has to repay him his wealth if such is his right, or to give him the power to penalise of absolve him in case it is a moral offence, like slander or backbiting.

A sinner has to repent of all his sins. If he repents of one, this is valid in the eyes of the people of the Truth, even though he is still chargeable for the rest.

Evidence from the Qur'an, Traditions and Consensus points out the necessity of repentance. Exalted be He, Allah says in Surat Al-

eleventh month, Zu Al-Qida of the sixth year, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) decided to visit the Holly Kaba by performing Umra, and was not out for battle. Then was the meeting of Al-Hudibiah, and the consequential events that followed in the life of early Muslims and the life of the great master.

Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library-Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition.
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah.
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
Mouassasa Al-Risalah.
Beirut, 1981.

it is good for you. To every man among them (will come the punishment) of the sin that he earned. And to him who took on himself the lead among them, will have a grievous penalty.

(Surat Al-Nur XXIV, 11).

"And why did ye not when ye heard it, say? It is not right of us to speak of this: Glory to Allah. This is a most serious slander"

(Surat Al-Nur, XXIV, 16).

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced the holy words of the revelation of the Quran to the people , and ordered that Mistah Ibn Athathah, Hassan Ibn Thabet, and a woman Hamnah Bent Gahesh receive their penalty for indulging and propagating the talk of slander. The hypocrites, Abd Allah Ibn Ubaii Ibn Salool and his clique received no punishment, because they slander without being directly involved or responsible for the words circulating.

The incident of the slander was an important event in the life of Muslims at that time and through all ages. Quranic legislation strictly specified the exact criteria for accusation and litigation for the act of adultery for both man and woman. Without the complete perfect fulfilment and satisfaction of these criteria, the indictment for adultary will be unfounded. The basic criteria are the witness of four men of well reputed piety and genuine character. The act in itself has to accord to specific anatomical considerations. The details of such criteria and considerations are well explained in reference books in Sharia and Fiqh.

With the expedition of Banu Al-Mustaliq and the settlement of Muslims at Al-Madinah comes the closure of yet another phase in the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This brings us towards the end of the sixth year after Hijrah. During the

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) consulted and conferred with men of wisdon and honour. The answer was always the same, that his wife Aisha is highly reputed for dignity and unquestioned chastity purity and immaculacy; also that the accused party Safwan Ibn Al-Muttal was known to be a man of distinguished character and genuine piety. Deep at heart, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was certain of his wife's innocence of all such sin. However, in order to meet the demand for public assurance of the reality of innocence, a heavenly message of revelation was necessary to establish that innocence. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) went to see Aisha at the home of her father Abu Bakre, and said addressing his wife "Aisha, I have heard about you such talk, if you are innocent, Allah will declare your innocence; but if you are guilty of any sin, ask pardon and mercy and repentance from Allah". There was no answer to these words from Abu Bakre nor his wife even when Aisha asked them to answer in her defence. Aisha then said " I know you have heard what you heard till it precepitated within yourselves to the extent of belief. If I say innocent, and Allah knows I am innocent, you will doubt my words and if I confess to what is not true, and Allah knows I am innocent ,you will believe me.I can only say humble patience, and Allah is my Savior and Redeemer." she said these words and left the gathering to her room.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) still in the house of Abu Bakre was overtaken by a trance of abstraction and self absorption experiencing severe profuse sweating, the revelation had come, His face lighted with pleasant smile, and after sometime said "Aisha, Allah has declared your innocence in the words of the holly Quran, the words of Allah, an everlasting innocence and exoner ation.

> "Those who brought forward the lie are
> a body among yourselves. Think it not
> to be an evil to you; On the contrary

ce. She hurried back to where she was to look for the necklace till she found it. Back at the camp, she found everybody had departed. The camel drivers carried her palanquin empty thinking that she was inside , due to her unusual light weight. Aisha (may Allah be pleased with her) young, inexperienced in life, and naive, remained in her place wrapped up in her garments, knowing that when she is missed, they would return for her.

As Aisha lay wrapped up in her garments, one of the men who usually tail the camp passed by Aisha. The man was Safwan Ibn Al-Muattal Al-Sullami who quickly retreated his step when he recognised Aisha, having seen her before the veil was ordered. No words were exchanged. He kneeled his camel and retreated till she mounted, and took the lead of the camel and ran to catch up with the people. They reached them as they were resting; and the slander started highly augmented by Abdel-Allah Ibn Ubaii Ibn Salool, accusing Aisha with Safwan.

When the whole troop was at Al-Madinah, Aisha totally ignorant of the talk of the slander was taken by sudden illness. During her illness, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did not show his usual kindness and compassion to her. Noticing his indifference Aisha took permission to move to her mother's home to be nursed. Still she was ignorant of the talk of slander. she recovered from her illness after one month, and still during all that period of time, Aisha was ignorant of her defamation on the tongues of the hypocrites and few others who carried the gossip. One night, Aisha went out (as was the custom) into the open for her needs, accompanied by a woman called Um Mistah. As they walked, Um Mistah tripped in her dress, and cursed Mistah. Aisha told the woman "how can you curse a man who has attended the battle of Badre". The woman replied " have you not heard what he and the hypocrites speak in slander", and told the whole story. Aisha was struck aghast dumfounded and shocked by what she heard from Um Mistah. At her mother's home she sank in severe oppression, continuous weeping, and restless nights.

THE SLANDER

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D. PhD.

In the name of Allah most Gracious most Compasionate

The story of the Slander was the second and more important incident that took place during the return of the Muslims after the confrontation with Banu Al-Mustaliq. This incident of defamation of the wife of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), Aisha Bent Abi Bakre; is in fact one of the most vicious and distressing events that was initiated and programmed by the hypocrites. It stands out unique in the art of psychological and social destruction and humiliation, a malignant art by which hypocrites have been well reputed at all times.

It was the custom of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to cast lots in order to speculate among his wives which of them was to accompany him on a certain expedition. By this process , Aisha Bent Abi Bakre accompanied him during the confrontation with Banu Al-Mustaliq. Women travellers occupied a specially covered flat seat, a palanquin, which was tied to the camel back firmly, and the camel driven by camel drivers. Women would sit ready inside their palanquin before the journey starts. The palanquin would be covered.

fter the confrontation with Banu Al-Mustaliq was over, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was on his way back to Al-Madinah, he spent part of a night at some place, and then during the night, it was announced that departure was soon. Aisha went out away from camp (as was the custom) to meet a demand for evacuation. When she was back in camp, she discovered the loss of a stone neckla-

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION